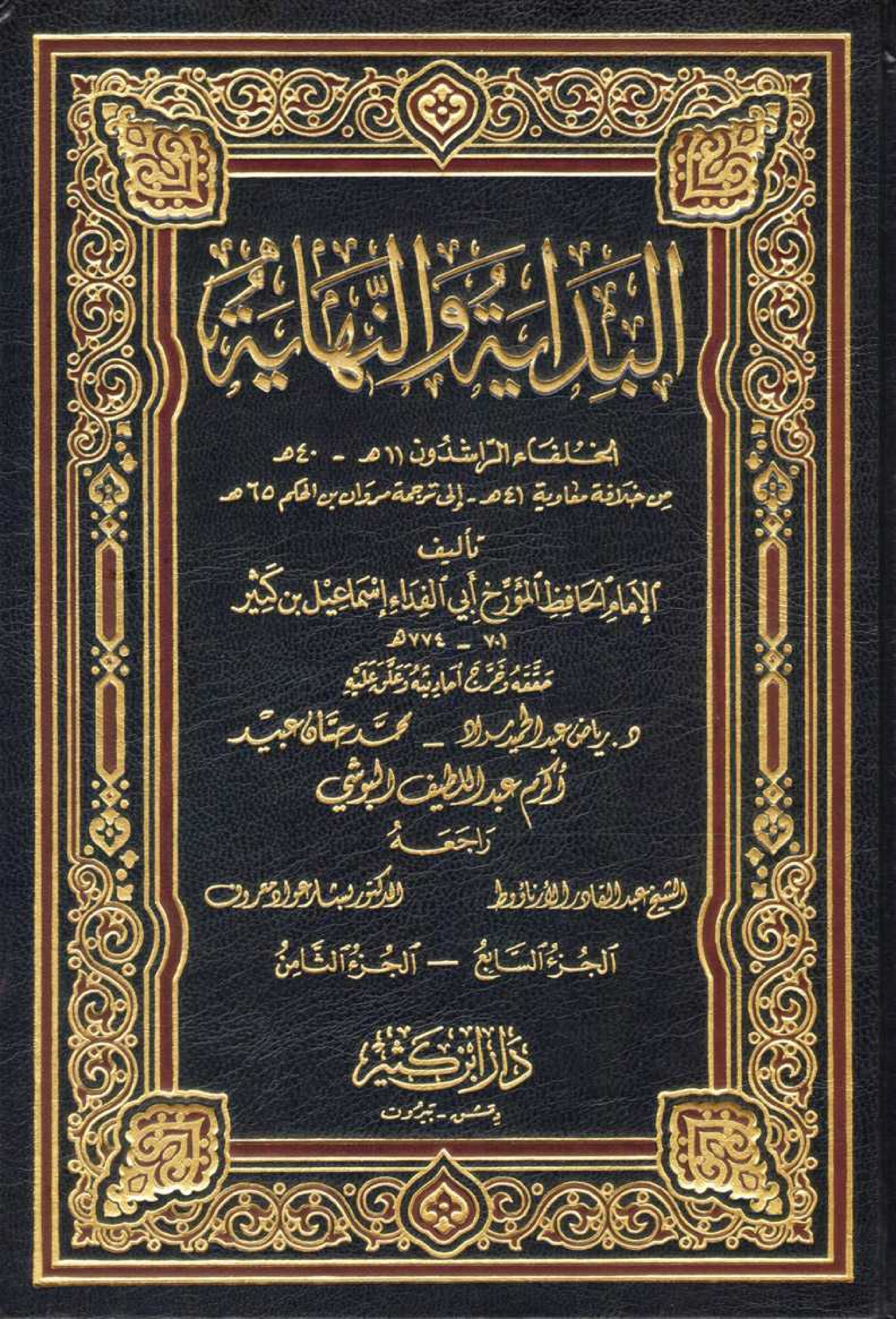
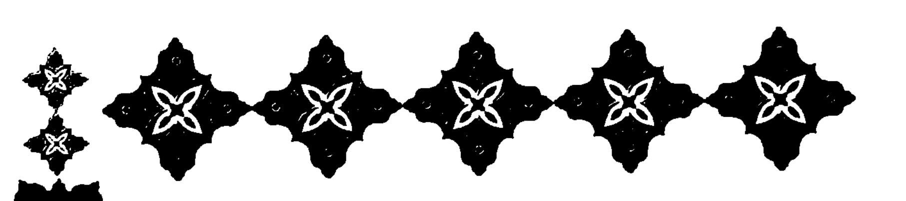

البداية والنهاية
الخلفاء الراشدون ١١هـ - ٤٠هـ
من خلافة معاوية ٤١هـ - إلى ترجمة مروان بن الحكم ٦٥هـ
تأليف
الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠١ - ٧٧٤هـ
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
د. رياض عبد الحميد مراد - محمد حسان عبيد
أكرم عبد اللطيف البوشي
راجعه
الشيخ عبد القادر الأرناؤوط
الدكتور بشار عواد معروف
الجزء السابع - الجزء الثامن
دار ابن كثير
دمشق - بيروت



الطبعة الثانية
1431 هـ - 2010 م

المـوضـوع: **تاريخ**

العنوان: **البداية و النهاية 20/1**

التأليف: **الإمام ابن كثير**

التحقيق: **مجموعة من العلماء**

الورق: **كريم**
ألوان الطباعة: **لونان**
عدد الصفحات: 10128
القياس: 17×24
التجليد: **فني - لوحة**
الوزن: 15215 غ



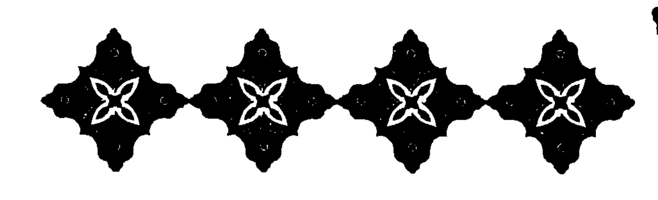
للطباعة و النشر و التوزيع

التنفيذ الطباعي :
مطبعة ايبكس - بيروت
التجليد :
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشـق - سوريا - ص.ب : 311
حلبـوني - جادة ابن سـينا - بناء الجابي
صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541
بيروت - لبنان - ص.ب : 113/6318
بـرج أبي حيـدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
تلفاكس : 817857 01 - جوال : 204459 03
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com



ISBN: 978-9953-520-84-1
9 789953 520841





البداية والنهاية

الخلفاء الراشدون

١١هـ - ٤٠هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

د. رياض عبد الحميد مراد - محمد حسان عبيد

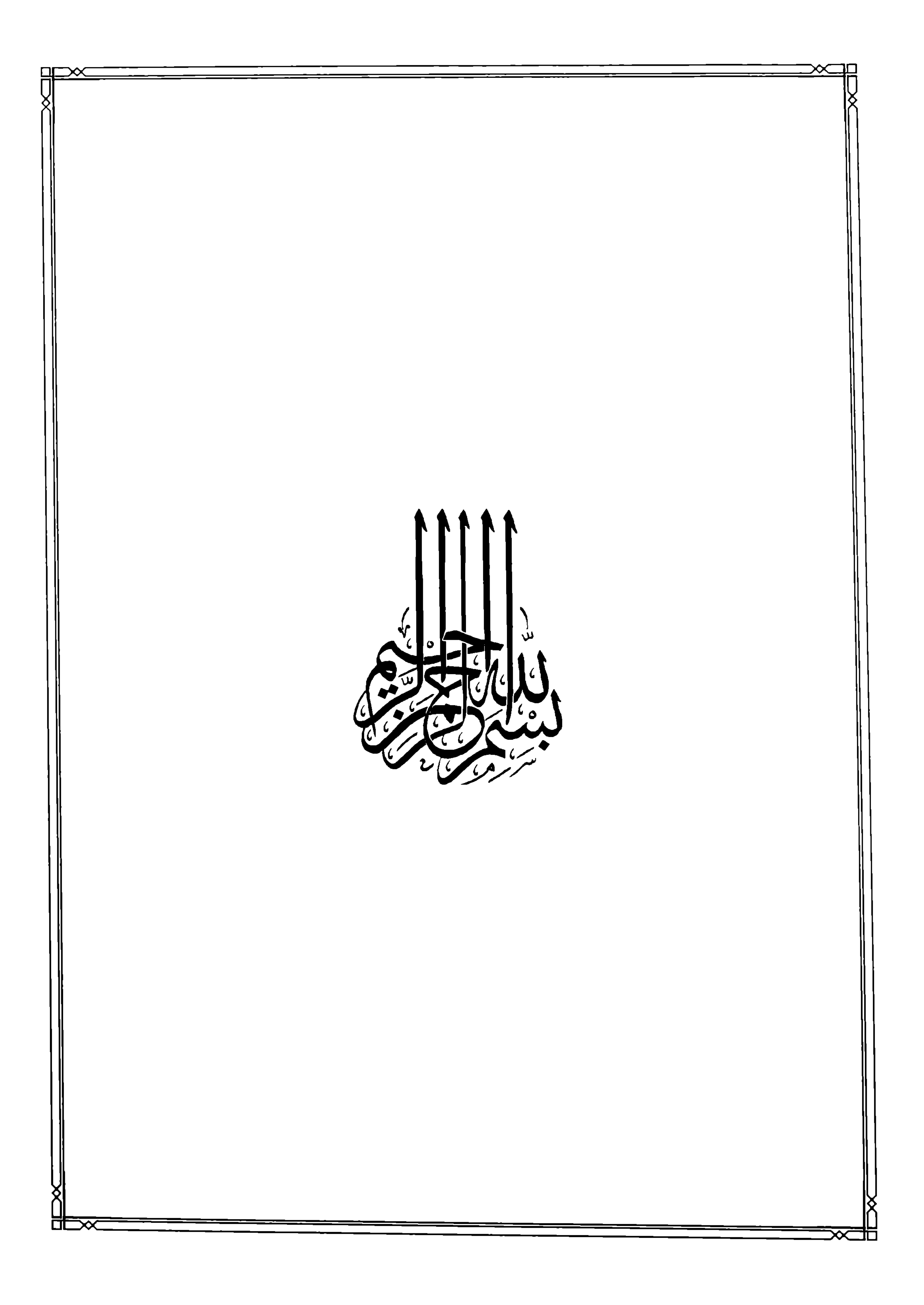
راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط — الدكتور بشار عواد معروف

الجزء السابع

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب[١]

تاريخُ الإسلام الأوّل من الحوادث الواقعة في الزمان ، ووفيات المشاهير والأعيان

سنة إحدى عشرة من الهجرة

تقدَّم ما كان في ربيع الأول منها من وفاة رسول الله ﷺ في يوم الإثنين وذلك لثاني عشر منه على المشهور ، وقد بسطنا الكلام في ذلك بما فيه كفايةٌ وبالله التوفيق .

خلافةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وما فيها من الحوادث

قد تقدم أنَّ رسولَ الله ﷺ توفي يوم الإثنين وذلك ضُحى ، فاشتغل الناس ببيعة أبي بكر الصّديق في سَقيفة بني ساعدة ، ثم في المسجد البيعة العامَّة في بقيّة يوم الإثنين وصبيحة الثلاثاء كما تقدَّم ذلك بطُوله ، ثمّ أخذوا في غَسْل رسول الله ﷺ ، وتكفينه ، والصلاةِ عليه ﷺ تسليماً بقية يوم الثلاثاء ، ودفنوه ليلة الأربعاء كما تقدّم ذلك مبرهناً في موضعه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[٢] : حدَّثني الزُّهري ، حدَّثني أنس بن مالك قال :

لما بُويع أبو بكر في السَّقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر فقام عمر فتكلَّم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس إني قد قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت [إلا عن رأيي][٣] وما وجدتُها في كتاب الله ولا كانت عهداً عَهِدهُ إليَّ رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى أنّ رسولَ الله ﷺ سيدبّر أمرَنا ، حتى[٤] يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم الذي به هدى رسول الله ﷺ فإن اعتصمتُم به هداكم الله لما كان هَداهُ الله ،

---

(١) تم مقابلة هذا الجزء مع مخطوطة الأحمدية (أ) فماوجدناه زيادة على المطبوع (ط) وضعناه بين معقوفين [ ] وما كان زيادة من (ط) على (أ) وضعناه بين قوسين ، وبيّنا الفوارق بينهما ، فماوجدناه صحيحاً متوافقاً مع المراجع الموثوقة ومصادر الكتاب أثبتناه ، وبيَّنَّا خطأ النسختين أو إحداهما إن وُجد .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٤٢) وتاريخ الطبري (٣/ ٢١٠) .

(٣) زيادة من الطبري .

(٤) في ط والسيرة : يقول ، وما أثبتناه عن (أ) والطبري .

وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحبِ رسول الله ﷺ ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه . فبايع الناس أبا بكر بعد بيعة السَّقيفة ، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال :

أما بعدُ ، أيُّها الناس فإني قد وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم فإنْ أحسنتُ فأعينوني وإن أسأتُ فقوِّموني .

الصدقُ أمانةٌ والكذبُ خيانةٌ ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرْجِعَ عليه حقَّه إن شاء الله ، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخذَ الحقَّ منه إن شاء الله ، لا يدعُ قومٌ الجهادَ في سبيلِ الله إلا خذلهم اللهُ بالذلّ ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلا عمَّهم اللهُ بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت اللهَ ورسولَه ، فإذا عصيْتُ الله ورسولَه فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

وهذا إسناد صحيح .

وقد اتَّفقَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم على بيعة الصّدّيق في ذلك الوقت ، حتى عليّ بن أبي طالب والزُّبير بن العَوّام رضي الله عنهما ، والدليل على ذلك ما رواه البيهقيُّ[١] حيث قال :

أخبرنا أبو الحسن[٢] عليُّ بن محمدٍ بن علي الحافظ الإسفراييني ، حدَّثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ ، حدَّثنا أبو بكر بن خُزَيْمَةَ[٣] وإبراهيم بن أبي طالب قالا : حدَّثنا بُنْدار بن بشّار[٤] ، حدَّثنا أبو هشام المَخْزومي ، حدَّثنا وُهَيْب ، حدَّثنا داود بن أبي هِنْد ، حدَّثنا أبو نَضْرةَ[٥] ، عن أبي سعيد الخُدْري قال :

قُبِضَ رسولُ الله ﷺ واجتمعَ الناسُ في دارِ سعدِ بن عُبادَةَ ، وفيهم أبو بكر وعمرُ قال : فقام خطيبُ الأنصار فقال : أتعلمون أنَّا أنصارُ رسولِ الله ﷺ فنحن أنصار خليفتِه كما كنَّا أنصارَه ، قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلُكم ، ولو قلتم غيرَ هذا لم نبايعْكم ، فأخذ بيد أبي بكرٍ وقال : هذا صاحبُكم فبايعوه ، فبايعه عمرُ ، وبايعه المهاجرونَ والأنصارُ ، وقال : فصعد أبو بكرٍ المنبرَ فنظرَ في وجوه القوم فلم يرَ الزبيرَ ، قال : فدعا الزبيرَ ، فجاءَ ، قال : قلتُ : ابنَ عمَّةِ رسولِ الله ﷺ أردتَ أن تَشُقَّ عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ الله ، فقام فبايعه ، ثم نظرَ في وجوه القوم فلم يرَ علياً ، فدعا

---

(١) السنن الكبرى (٨/ ١٤٣) .

(٢) في ط : أبو الحسين ، تحريف ، والتصحيح من السنن الكبرى . وترجمة أبي الحسن الإسفراييني في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٥) .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة ، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥) .

(٤) في ط : بن يسار ؛ تحريف ، والتصحيح من السنن الكبرى . وترجمة بندار في سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤) .

(٥) في ط : أبو نصرة ، بالصاد ؛ تحريف ، والتصحيح من السنن الكبرى . وهو المنذر بن مالك بن قُطعة ، ابو نضرة العبدي . سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٩) .

بعلي بن أبي طالب ، قال : قلت : ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ وخَتَنهُ على ابنتهِ ، أردتَ أن تَشُقَّ عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب يا خليفةَ رسول الله فبايَعه .

هذا أو معناه . قال الحافظ أبو علي النَّيْسابوري : سمعتُ ابنَ خُزيمة يقول : جاءني مسلمُ بنُ الحجاج فسألني عن هذا الحديثِ فكتبتُه له في رُقْعة وقرأت عليه ، فقال : هذا حديث يساوي بَدنةً ، فقلتُ : يَسْوى بدَنةً ، بل هذا يَسْوى[١] بَدْرَةً[٢] .

وقد رواه الإمامُ أحمد عن الثقةِ عن وُهَيْب مختصراً[٣] .

وأخرجه الحاكمُ في « مستدركِه »[٤] من طريقِ عفانَ بن مسلم ، عن وهيب مطوَّلًا كنحو ما تقدَّم .

وروينا من طريق المَحَاملي ، عن القاسمِ بن سعيد بن المُسيّب ، عن علي بن عاصم ، عن الجُرَيْري[٥] ، عن أبي نَضْرَة ، عن أبي سعيدٍ فَذَكَره مثلَه في مبايعةِ علي والزبير رضي الله عنهما يومئذٍ .

وقال موسى بن عقبة[٦] في « مغازيه » عن سعد بن إبراهيم : حدَّثني أبي أن أباه عبد الرحمن بنَ عوفٍ كانَ معَ عمرَ وأنَّ محمَّد بنَ مَسْلمة كسر سيفَ الزُّبير ، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى النَّاس وقال : واللهِ ما كنتُ حريصاً على الإمارةِ يوماً ولا ليلةً ، ولا سألتُها اللهَ في سِرٍّ ولا علانيةٍ ، فقَبِلَ المهاجرونَ مقالتَه ، وقال عليٌّ والزبيرُ : ما [غضبنا][٧] إلا لأنَّنا أُخِّرْنا عن المشورة ، وإنا نرى أبا بكرٍ أحقَّ النّاسِ بها ، إنَّه لصاحبُ الغارِ ، وإنَّا لنعرفُ شرفَه وخَيْره . ولقد أمَرَه رسولُ الله ﷺ بالصلاةِ بالنّاسِ وهو حيٌّ[٨] . وهذا اللائقُ بعليٍّ رضي الله عنه ، والذي يدلُّ عليه الآثارُ من شهودِه معه الصلواتِ ، وخُرُوجِه معه إلى ذي القَصَّة[٩] بعد موت رسول الله ﷺ كما سنورده ، وبذلِه له النصيحةَ والمشورة ، بين يديه .

---

(١) يَسْوى : نادرة ، وهي لغة أهل الحجاز . اللسان (سوا) .

(٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف . اللسان (بدر) .

(٣) هكذا وقع هذا النص ، وهو غلط لا شك فيه ، لا أدري إن كان من المصنف أو من النساخ ، وصوابه فيما أرى أن يكون : « وقد رواه الإمام أحمد عن عفان عن وهيب مختصراً ، ورواه بتمامه ثقة عن عفان » ، هكذا وجدته بخط الإمام الذهبي (تاريخ الإسلام ، أياصوفيا ٣٠٠٥ ورقة ١٧٣) ، وهو الذي في المسند (٥/ ١٨٥ ـ ١٨٦) ، إذ لم يروه أحمد عن الثقة البتة (بشار) .

(٤) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٧٦) .

(٥) في ط : الحريري ؛ تحريف ، وهو سعيد بن إياس ، أبو مسعود الجُريري البصري . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥٣) .

(٦) موسى بن عقبة ، صاحب المغازي ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٤) قال الإمام الذهبي : كان بصيراً بالمغازي النبوية ألّفها في مجلد .

(٧) ساقطة من أ ، ط واستدركت من المستدرك .

(٨) الخبر بأطول مما هنا في المستدرك (٣/ ٦٦) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٩) ذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا ، وهو طريق الربذة . معجم البلدان (٤/ ٣٦٦) معجم ما استعجم (١٠٧٦) .

وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمةَ ، وقد ماتت بعد أبيها عليه الصلاة والسلام بستة أشهر ، فذلك محمولٌ على أنَّها بيعةٌ ثانيةٌ أزالت ما كان قد وقعَ من وحشةٍ بسبب الكلام في الميراث ومنعِه إياهم ذلك بالنص عن رسولِ الله ﷺ : في قوله : « لا نُورث ، ما تركنا فهو صدقة »[١] . كما تقدم إيراد أسانيده وألفاظه ولله الحمد .

وقد كتبنا هذه الطرقَ مستقصاةً في الكتاب الذي أفردناه في سيرة الصدِّيقِ رضي الله عنه ، وما أسنده من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وما رُوي عنه من الأحكام مُبوَّبةً على أبواب العلم ولله الحمدُ والمنة .

وقال سيف بن عمر التميمي[٢] : عن أبي ضَمرة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عدي ، قال :

نادى منادي أبي بكر من الغد من مُتوفَّى رسول الله ﷺ ليتمّم بعثَ أسامةَ : ألا لا يبقينّ بالمدينة أحدٌ من جيش أسامة إلَّا خرج إلى عسكره بالجُرف[٣] .

وقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « أيها الناسُ إنما أنا مثلكم وإني [لا أدري][٤] لعلكم تُكلّفوني ما كان رسولُ الله ﷺ يُطيق ، إنَّ الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعَصَمهُ من الآفاتِ ، وإنما أنا متَّبع ولست بمُبتدعٍ ، فإن استقمتُ فبايعوني ، وإن زُغتُ[٥] فقوِّموني ، وإن رسول الله ﷺ قُبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبُه بمظلمةٍ ضربة سوط فما دونها ، وإنَّ لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثرُ في أشعاركم وأبشاركم[٦] وإنكم تَغْدون وتَروحون في أجَلٍ قد غُيِّب عنكم علمُه ، وإن استطعتُم أن لا يمضيَ يوم إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، وسابقوا في مهلِ آجالكم من قبل أن تُسلِمكُم آجالُكم إلى انقطاع الأعمال ، فإنَّ قوماً نسُوا آجالَهم وجعلوا أعمالَهم بعدهم ، فإياكم أن تكونوا أمثالهم ، الجدَّ الجدَّ ، النجاةَ النجاةَ ، الوحَا الوحا[٧] فإن وراءكم طالباً حثيثاً ، وأجلاً أمرُه سريعٌ ، احذروا الموتَ ، واعتبروا بالآباءِ والأبناءِ والإخوان ولا تُطيعوا الأحياءَ إلا بما تطيعوا به الأمواتَ » .

قال : وقام أيضاً فحمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : إنّ الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أُريد به وجهُه ، فأريدوا اللهَ بأعمالكم ، فإنّمـا أخلصتم لحين فقرِكم وحاجتكم ، اعتبروا عبادَ الله بمنْ مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم ، أين كانوا أمس ، وأين هم اليومَ ، أين الجبّارونَ الذين كان لهم ذكرُ القتالِ

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٩٣) في فرض الخمس .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٣) .

(٣) «الجرف»: موضع قرب المدينة، كان المسلمون يعسكرون هناك إذا أرادوا الغزو. معجم ما استعجم (٣٧٦ ـ ٣٧٨).

(٤) زيادة من الطبري يقتضيها السياق .

(٥) زاغ عن الطريق زوغاً وزيغاً : عدل ؛ والياء أفصح . اللسان (زوغ) .

(٦) أشعار جمع شعر . وأبشار جمع بشرة .

(٧) الوحا الوحا في حديث أبي بكر أي : السرعة السرعة . يمدد ويقصر . اللسان (وحى) .

والغلبةِ في مواطن الحروبِ ، قد تضعضعَ بهم الدهرُ ، وصاروا رميماً ، قد تولّت عليهم العالاتُ[١] ، الخبيثاتُ للخبيثين ، والخبيثونَ للخبيثاتِ ، وأينَ الملوكُ الذين أثاروا الأرضَ وعمروها ؟ قد بعدُوا ونُسِيَ ذكرُهم ، وصاروا كلا شيءَ ، ألا إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أبقى عليهم التبعاتِ ، وقطَعَ عنهم الشهواتِ ، ومضوا والأعمالُ أعمالُهم ، والدنيا دنيا غيرِهم ، وبُعثنا خلَفاً بعدَهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نَجَوْنا ، وإن انحدرنا كنا مثلهم ، أين الوضاءةُ الحسنة وجوههم ، المعجبونَ بشبابهم ؟ صاروا تراباً ، وصار ما فرَّطوا فيه حسرةً عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصَّنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيبَ؟ قد تركوها لمن خلفَهم ، فتلك مساكنُهم خاويةٌ وهم في ظلماتِ القبور ، ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨] ؟ أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم ، قد انتهت بهم آجالُهم ، فرُدُّوا على ما قدموا ، فحلُّوا عليه وأقاموا للشقوة أو السعادة بعد الموت ، ألا إن الله لا شريكَ له ، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف به عنه سوءاً ، إلَّا بطاعته واتباعِ أمره ، واعلموا أنّكم عبيدٌ مدينون ، وأنّ ما عنده لا يُدرك إلا بطاعته ، أما آن لأحدكم أن تحسر عنه النارَ ولا تَبْعُدُ عنه الجنة ؟ .

فصل
في تنفيذ جيش أسامةَ بن زيدٍ

الذين كانوا قد أمرَهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تُخُومِ البَلقاء من الشام ، حيث قُتل زيدُ بن حارثة ، وجعفر ، وابن رُواحةَ : فيغتزوا على تلك الأراضي ، فخرجوا إلى الجُرف فخيَّموا به ، وكان بينهم عمرُ بن الخطاب ، ويقال : وأبو بكر الصديق فاستثناه رسول الله منهم للصلاة ، فلما ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ أقاموا هنالك ، فلما مات عَظُمَ الخطبُ واشتدَّ الحالُ ونجم النفاقُ بالمدينة ، وارتدَّ من ارتدَّ من أحياءِ العرب حولَ المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصدِّيق ، ولم يبقَ للجمعة مُقامٌ في بلدٍ سوى مكةَ والمدينة ، وكانت جُواثى من البحرين أول قرية أقامت الجمعةَ بعد رجوع الناس إلى الحق ، كما في صحيح البخاري[٢] ، عن ابن عباس كما سيأتي .

وقد كانت ثقيفُ بالطائف ثَبَتوا على الإسلام ، لم يفرُّوا ولا ارتدّوا ، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثيرٌ من الناس على الصديق أن لا يُنفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم ، لأنَّ ما جهز بسببه في حال السلامة ، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب ، فامتنع الصدّيق من ذلك ، وأبى أشدَّ الإباء ، إلا أن يُنفذَ جيشَ أسامةَ ، وقال : والله لا أحلُّ عقدةً عقدها رسولُ الله ﷺ ، ولو أنَّ الطير تَخْطفُنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أنَّ الكلابَ جرت بأرجلِ أمهات المؤمنين لأجهِّزن جيشَ أسامةَ وآمر الحرس يكونون حول المدينة ، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالةُ تلك ،

---

(١) في الطبري : القالات .

(٢) خبر ابن عباس في صحيح البخاري رقم (٨٩٢) في الجمعة ، ورقم (٤٣٧١) في المغازي ونصه : إن أول جمعة جمعت .

فساروا لا يمرُّون بحيٍّ من أحياءِ العرب إلا أرعبوا منهم ، وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعَةٌ شديدة ، فقاموا أربعين يوماً ويقال سبعين يوماً ، ثم أتَوْا سالمين غانمين ، ثم رجعوا فجهّزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المُرْتدة ، ومانعي الزكاة على ما سيأتي تفصيلُه .

قال سيفُ بن عمر[١] : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

لما بُويع أبو بكر وجمع الأنصارُ في الأمر الذي افترقوا فيه ، قال :

ليتمّ بعثُ أسامة ، وقد ارتدت العرب ؛ إما عامة وإما خاصة ، في كل قبيلة ، ونجم[٢] النّفاق واشرأبّت اليهوديةُ والنصرانية ، والمسلمون كالغنم المَطِيرة[٣] في الليلة الشاتيةِ ، لفقد نبيهم ﷺ ، وقلّتهم وكثرة عدوّهم ، فقال له الناس : إن هؤلاء جلُّ المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضتْ بك ، وليس ينبغي لك أن تُفرق عنك جماعةَ المسلمين ، فقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباعَ تَخْطفني لأنفذتُ بعثَ أسامةَ كما أمرَ به رسولُ الله ﷺ ؛ ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته .

وقد روي هذا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، ومن حديث القاسم وعمرة ، عن عائشة قالت :

لما قبض رسول الله ﷺ ارتدتِ العربُ قاطبةً وأُشْربت النفاق ، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها[٤] ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم مِعْزًى[٥] مطيرة في حُشٍّ[٦] في ليلة مطيرة بأرض مَسْبَعَةٍ[٧] ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلَّا طارَ أبي بِحَظِّها وغنائها وفَضْلها[٨] ، ثم ذكرت عمر فقالت : من رأى عمر علم أنه خلق غنى للإسلام ، كان والله أحوذياً[٩] نسيج وحدِه وقد أعد للأمور أقرانها[١٠] .

وقال الحافظ أبو بكر البَيْهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العبّاس محمد بن يعقوب ،

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥) .
(٢) نجم الشيء ينجم ـ بالضم ـ نجوماً : طلع وظهر . اللسان (نجم) .
(٣) العبارة عند الطبري : والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية .
(٤) هاضها ؛ من الهيض : وهو كسر دون الهدِّ وفوق الرضِّ . اللسان (هضض) .
(٥) معزى ؛ يجوز تنوينها ومنعها ، ورجح سيبويه الأول . اللسان (معز) .
(٦) الحشُّ : البستان . اللسان (حشش) .
(٧) أرض مَسْبَعة : ذات سباع كثيرة . اللسان (سبع) .
(٨) في المطبوع : « بخطلها وعنانها وفصلها » وكله تصحيف لا معنى له ، والصواب ما أثبتنا ، ويعضده الذي في سنن البيهقي .
(٩) أحوذياً وأحوزياً : هو الحسن السبَّاق للأمور ، وفيه بعض النِّفار ، وقيل : هو الخفيف . النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٥٧ و٤٥٩) .
(١٠) خبر عائشة من طريق القاسم عنها في سنن البيهقي (٨/ ٢٠٠) .

حدَّثنا محمد بن علي الميموني ، حدَّثنا الفِرْيابي ، حدَّثنا عبَّاد بن كَثير عن الأعرج[١] عن أبي هريرة قال :

والله الذي لا إله إلَّا هو ، لولا أن أبا بكر استُخلف ما عُبد اللهُ ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ وجَّهَ أسامةَ بن زيد في سبعمئة إلى الشام ، فلما نزل بذي خُشُب[٢] قُبضَ رسولُ الله ﷺ وارتدَّتِ العربُ حولَ المدينة ، فاجتمعَ إليه أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر ردّ هؤلاء ، تُوجه إلى الرّوم وقد ارتدَّتِ العربُ حولَ المدينة ؟ فقال : والذي لا إله غيرُه لو جرت الكلاب بأرجل أزواجِ رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجَّهه رسولُ الله ﷺ ، ولا حللتُ لواءً عقدَه رسولُ الله ﷺ فوجَّه أسامة ، فجعل لا يمرُّ بقبيلٍ يريدون الارتداد إلَّا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرجَ مثلُ هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعُهم حتى يَلْقوا الرومَ ، فلقُوا الرومَ فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام .

عبّاد بن كثير هذا أظنه البرمكيَّ لرواية الفِرْيابي عنه ، وهو مقارب الحديث ، فأما [عباد بن كثير] البصري الثقفي فمتروك الحديث ، والله أعلم .

وروى سيف بن عمر[٣] ، عن أبي ضَمْرَة وأبي عمرو وغيرهما ، عن الحسن البصري : أن أبا بكر لما صمَّم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر : قل له فليُؤَمِّرْ علينا غيرَ أسامة ، فذكر له عمرُ ذلك ، فيقال : إنه أخذَ بلحيته وقال : ثكلتْكَ أمُّك يا بن الخطاب ، أُؤَمِّر غيرَ أميرِ رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجُرْفِ فاستعرضَ جيشَ أسامة وأمرهم بالمسير ، وسارَ معهم ماشياً ، وأسامةُ راكباً ، وعبدُ الرحمن بن عوف يقود براحلةِ الصِّدِّيق ، فقال أسامةُ : يا خليفةَ رسولِ الله : إما أن تركبَ وإما أن أنزلَ ، فقال : والله لستَ بنازلٍ ولستُ براكبٍ ، ثم استطلقَ الصدِّيقُ من أسامة عمرَ بن الخطاب ـ وكان مكتتباً في جيشه ـ فأطلقهُ له ، فلهذا كان عمرُ لا يلقاه بعد ذلك إلا قال : السلام عليكَ أيها الأميرُ .

مقتلُ الأسْود العَنْسي ، المُتَنبِّىء الكذَّاب

قال أبو جعفر بنُ جَرير[٤] : حدَّثني عمر بن شَبَّة[٥] النُّمَيْري ، حدَّثنا عليّ بن محمد ـ يعني المَدائني ـ عن أبي مَعْشر ويزيد بن عياض بن جُعْدُبة[٦] وغسّان بن عبد الحميد وجُوَيْرية بن أسماء ، عن مَشْيختهم قالوا :

---

(١) في المطبوع : « عن أبي الأعرج » وهو تحريف ، وهو عبد الرحمن بن هرمز ، من رجال التهذيب .

(٢) ذو خشب : موضع على مرحلة من المدينة على طريق الشام . معجم ما استعجم (٤٩٩) .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥ـ٢٢٦) .

(٤) في تاريخه (٣/ ٢٤٠) .

(٥) في ط : عمرو بن شيبة ؛ وهو تحريف . والتصحيح من الطبري ، وترجمة ابن شبَّة في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٢) .

(٦) في ط : عن جُعدِبه ، خطأ ، والتصحيح من الطبري وتقريب التهذيب (٦٠٤) .

أمضى أبو بكر جيشَ أسامةَ بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتل الأسود في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ، فكان ذلك أولَ فَتْحٍ فَـتَحَ أبو بكر وهو بالمدينة .

صِفَةُ خُروجِهِ وتَمْليكِهِ ومَقْتَلِهِ

قد أسلفنا فيما تقدَّم أنَّ اليمنَ كانت لِحِمْيَر ، وكانت ملوكهم يُسَمَّون التَّبابعة ، وتكلَّمنا في أيام الجاهلية على طرفٍ صالح من هذا .

ثم إنّ ملك الحبشة بعث أميرين من قواده ، وهما أبرهةُ الأشرمُ ، وأرياطُ ، فتملّكا له اليمن من حمير ، وصار مُلْكُها للحبشة ، ثم اختلف هذان الأميران ، فقُتِلَ أرياطُ واستقلَّ أبرهةُ بالنيابة . وبنى كنيسةً سماها القُلَّيْسَ[١] ، لارتفاعها ، وأراد أن يصرفَ حجَّ العربِ إليها دونَ الكعبةِ ، فجاء بعضُ قريشٍ فأحدث في هذه الكنيسة ، فلما بلغه ذلك حلفَ ليخربنَّ بيتَ مكة ، فسار إليه ومعه الجنود والفيلُ محمود ، فكان من أمرهم ما قصَّ اللهُ في كتابه .

وقد تقدَّم بسطُ ذلك في موضعه ، فرجعَ أبرهةُ ببعض من بقيَ من جيشه في أسوإ حالٍ وشرّ خيبةٍ ، وما زال تسقطُ أعضاؤُه أنملةً أنملةً ، فلمّا وصلَ إلى صنعاء انصدع صدرُه فماتَ ، فقام بالملك بعده ولده يكسومُ[٢] بن أبرهة ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، فيقال : إنه استمرَّ مُلك اليمن بأيدي الحبشة سبعين سنةً .

ثم ثار سيفُ بن ذي يزن الحِميريُّ ، فذهب إلى قيصرَ ملكِ الروّم يستنصرُه عليهم ، فأبى ذلك عليه ـ لما بينه وبينهم من الاجتماع في دين النَّصرانية ـ فسارَ إلى كسرى ملكِ الفرس فاستغاث به ، وله معه مواقفُ ومقاماتٌ في الكلام تقدَّم بسط بعضها ، ثم اتفق الحالُ على أنْ بَعَثَ معه ممن بالسجونِ طائفةً تقدمهم رجل منهم يقال له : وهرز ، فاستنقذ مُلْك اليمن من الحبشة ، وكسرَ مَسروق بن أبرهة وقتله ، ودخلوا إلى صنعاءَ وقرروا سيفَ بن ذي يزن في المُلك على عادة آبائه ، وجاءتِ العربُ تُهنِّئُهُ من كل جانب ، غير أن لكسرى نوايا على البلادْ[٣] ؛ فاستمرّ الحالُ على ذلك حتى بُعث رسولُ الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام ، ثم هاجر إلى المدينة فلما كتب كتبه إلى الآفاق يدعوهم إلى عبادة الله وحدَهُ لا شريكَ له ، فكتب في جملة ذلك إلى كسرى ملكِ الفرس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسولِ الله إلى كسرى عظيمِ الفرسِ ، سلامٌ على منِ اتّبعَ الهُدى ، أما بعدُ ، فأسلمْ تَسْلمْ . . . إلى آخره .

---

(١) في ط : العانس ؛ وهو تصحيف وتحريف ، والقُلَّيس بالتشديد : بيعة للحبش كانت بصنعاء بناها أبرهة . وفي التهذيب : القُلَّيسة : بيعة كانت بصنعاء للحبشة . اللسان (قلس) .

(٢) في ط : بلسيوم ، وهو تحريف ؛ وما أثبتناه عن الكامل (١/ ٤٣٣) .

(٣) الخبر بأطول مما هنا في الكامل لابن الأثير (١/ ٤٥١) .

فلما جاءه الكتابُ قال : ما هذا؟ قالوا : هذا كتابٌ جاء من عند رجلٍ بجزيرة العرب يزعُمُ أنه نبيٌّ ، فلما فتحَ الكتابَ فوجده قد بدأ باسمه قبل اسمِ كسرى ، غضبَ كسرى غضباً شديداً ، وأخذَ الكتابَ فمزّقه قبل أن يقرأه ، وكتب إلى عامله على اليمن ـ وكان اسمه باذام[١] ـ أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا فابعث من قِبَلك أميرين إلى هذا الرجل الذي بجزيرة العرب ، الذي يزعم أنه نبيٌّ ، فابعثه إليَّ في جامعة[٢] ، فلما جاء الكتاب إلى باذام ، بعثَ منْ عنده أميرين عاقلين ، وقال : اذهبا إلى هذا الرجل ، فانظرا ما هو ، فإن كان كاذباً فخُذاه في جامعةٍ حتى تذهبا به إلى كسرى ، وإن كان غير ذلك فارجعا إليَّ فأخبراني ما هو ، حتى أنظرَ في أمره ، فقدما على رسولِ الله ﷺ إلى المدينة ، فوجداه على أسَدِّ الأحوالِ وأرشدِها ، ورأيا منه أموراً عجيبةً ، يطول ذكرها ، ومكَثَا عنده شهراً حتى بلغا ما جاءا له ، ثم تقاضاهُ الجواب بعد ذلك ، فقال لهما : ارجعا إلى صاحبِكما فأخبراه أن ربِّي قد قتل الليلةَ ربَّه ، فأرَّخا ذلك عندَهما ثم رجعا سريعاً إلى اليمن فأخبرا باذامَ بما قال لهما ، فقال : احصوا تلك الليلة ، فإن ظهرَ الأمرُ كما قال فهو نبيٌّ ، فجاءت الكتبُ من عند ملكهم أنه قد قُتل كسرى في ليلة كذا وكذا ، لتلك الليلة ، وكان قد قتله بنوه ولهذا قال بعضُ الشعراء[٣] : [من الوافر]

وكِسْـرى إذ تَقَـاسمـهُ بَنُـوه ... بأسيافٍ كما اقْتُسِم اللِّحامُ[٤]

تمخّضتِ[٥] المنونُ له بيومٍ ... أتـى ولكـلِّ حـاملـةٍ تمـامُ

وقام بالمُلك بعده ولده شيرويه وكتب إلى باذام أن خُذْ ليَ البيعة من قبلك ، واعمد إلى ذلك الرجل فلا تهنه وأكرِمْهُ ، فدخل الإسلامُ في قلب باذام وذريته من أبناء فارسَ ممن باليمن ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ بنيابة اليمنِ بكمالها[٦] ، فلم يعزله عنها حتى مات ، فلما مات استنابَ ابنه شهر بن باذام على صنعاءَ وبعض مخاليف ، وبعث طائفةً من أصحابه نوّاباً على مخاليف أُخر ، فبعث أولاً في سنة عشرٍ عليّاً وخالداً ، ثم أرسل معاذاً وأبا موسى الأشعريَّ وفرّق عِمَالَة اليمن بين جماعةٍ من الصحابة ، فمنهم شَهْر بن باذام ، وعامر بن شَهْر الهَمْداني على همدان ، وأبو موسى على مأرب ، وخالد بن سعيد بن العاص على عامر نَجْران ورَفْعٍ وزَبيد ، ويَعْلى بن أمية على الجَنَد ، والطاهر بن

---

(١) في الكامل (٢/ ٣٣٦) : بأذان بالنون .

(٢) الجامعة : الغُلُّ ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق . اللسان (جمع) .

(٣) تقدم ذكر هذين البيتين في الجزء الثالث من هذا الكتاب في باب : ما آل إليه أمر الفرس باليمن ، منسوبين إلى خالد الشيباني وببعض الخلاف في الرواية .

(٤) اللِّحام : جمع اللَّحم . اللسان (لحم) .

(٥) تمخضت المنون في اللسان : أنتجت . وفي القاموس : تمخض الدهر بالفتنة : أتى بها ، والمعنى أن الموت ولد له بيوم أتاه .

(٦) الخبر بكماله في تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٣٦) .

أبي هالة على عَك[١] والأشعريين ، وعمرو بن حرام على نَجْران ، وعلى بلاد حضرموتَ زيادُ بن لبيد ، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور[٢] بن أخضر ، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله بن قيس ، وبعث معاذ بن جبل معلِّماً لأهل البلدين ـ اليمن وحضرموت ـ يتنقَّلُ من بلدٍ إلى بلدٍ ، ذكره سيف بن عمر ، وذلك كله في سنة عشر ، آخر حياة رسول الله ﷺ فبينما هم على ذلك إذ نجم[٣] هذا اللعين الأسود العنسي .

خروجُ الأسودِ العنسي

واسمه عَبْهَلَة[٤] بن كَعْب بن غَوْث ـ من بلد يقال لها : كهف خُبان[٥] ـ في سبعمئة مقاتل ، وكتب إلى عُمّال النبي ﷺ : أيّها المتمرِّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفِّروا ما جمعتم فنحن أولى به ، وأنتم على ما أنتم عليه ، ثم ركب فتوجّه إلى نَجْران فأخذها بعد عشرِ ليالٍ من مخرجه ثم قصد إلى صنعاء ، فخرج إليه شَهْر بن باذام فتقاتلا ، فغلبه الأسودُ وقتله ، وكسر جيشه من الأبناء واحتلّ بلدة صنعاء لخمسٍ وعشرين ليلةً من مخرجه ، ففرَّ معاذ بن جبل من هنالك واجتاز بأبي موسى الأشعري فذهبا إلى حضرموت ، وانحاز عُمّال رسول الله ﷺ إلى الطاهر ، ورجع عمر بن حرام وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة ، واستوثقت اليمن بكمالها للأسود العَنْسي ، وجعل أَمْرُهُ يَسْتطير[٦] استطارةَ الشرَّارَةِ ، وكان جيشُه يومَ لقي شهراً سبعمئة فارس ، وأمراؤه . قيس بن عبد يغوث ، ومعاوية بن قيس ، ويزيد بن محرم ويزيد بن حصن الحارثي ، ويزيد بن الأفكل الأزدي ، واشتدّ ملكه ، واستغلظ أمره ، وارتدّ خلق من أهل اليمن ، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقية ، وكان خليفته على مَذْحِج عمرو بن معدي كرب ، وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الدَّيْلمي وداذويه ، وتزوَّج بامرأة شهر بن باذام وهي ابنةُ عمٍّ فيروز الدَّيلمي ، واسمها زاذ ، وكانت امرأةً حسناءَ جميلةً ، وهي مع ذلك مؤمنةٌ بالله ورسوله محمد ﷺ ، ومن الصالحات .

قال سيف بن عمر التميمي[٧] : وبعثَ رسولُ الله ﷺ كتابَه ، حين بلغه خبرُ الأسودِ العنسي مع رجلٍ يُقال له : وبر بن يُحَنَّس الديلمي : يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العَنْسي ومصاولته ، وقام معاذ بن جَبَل بهذا الكتاب أتمَّ القيام ، وكان قد تزوّج امرأةً من السَّكون يُقال لها : رَمْلة ، فَحَدَبت عليه

---

(١) في ط : عل ؛ وهو تحريف ، والتصحيح من الكامل والاشتقاق لابن دريد (٤٨٩) والأعلام للزركلي (٥/ ٤٢) .
(٢) في ط والأصل : مور ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري وابن الأثير .
(٣) نجم : ظهر وطلع . القاموس (نجم) .
(٤) أخباره في تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٠) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٣٦) .
(٥) في ط : كهف حنان ؛ وهو تحريف ، والتصحيح من معجم البلدان (٢/ ٣٤٣) والمصادر .
(٦) استطار يستطير استطارة : انتشر . اللسان (طر) .
(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٢٣١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٣٨) .

السَّكون لصهره فيهم[١] ، وقاموا معه في ذلك ، وبلغوا هذا الكتاب إلى عُمّال النبي ﷺ ، ومن قدروا عليه من الناس ، واتَّفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجُنْد ـ وكان قد غضبَ على الأسود ـ واستخفَّ به ، وهمَّ بقتله ـ وكذلك كان أمر فَيْروز الدَّيْلَمي ، قد ضعف أيضاً ، وكذا داذَوَيْه ، فلما أعلم وبر بن يُحنَّس قيس بن عَبْدِ يَغُوث ، وهو قيس بن مَكْشُوح ، كان كأنّما نزلوا عليه من السَّماء ، ووافقهم على الفَتْك بالأسود ، وتوافق المسلمون على ذلك ، وتعاقدوا عليه ، فلما أيقنَ ذلك في الباطن اطَّلَعَ شيطان الأسود للأسود على شيء من ذلك ، فدعا قَيْس بن مكشوح ، فقال له : يا قَيْسُ ما يقولُ هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال يقول : عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منه كلَّ مدخل ، وصار في العزّ مثلَكَ ، مال ميلَ عدوّك ، وحاول ملكك ، وأضمرَ على الغَدْر ، إنّه يقول : يا أسودُ يا أسود يا سوءة يا سوءة ، فطُفْ به وخُذْ من قيس أعلاه ، وإلا سلبكَ وقطفَ قبلك ، فقال له قيس وحلف له فكذب : وذي الخمار لأنتَ أعظمُ في نفسي وأجلُّ عندي من أن أحدّث بك نفسي ، فقال له الأسودُ : ما إخالك تُكَذِّبُ المَلَك ، فقد صدقَ المَلَكُ وعرفَ الآن أنَّك تائبٌ عما اطلع عليه منك ، ثم خرج قيسٌ من بين يديه فجاء إلى أصحابه فيروز وداذويه ، وأخبرهم بما قال له وردَّ عليه : فقالوا : إنّا كلُّنا على حَذَرٍ ، فما الرأيُ ؟ فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسولُه فأحضرهم بين يديه ، فقال : ألم أشَرِّفكم على قومكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فماذا يبلغني عنكم ؟ فقالوا : أقِلْنا مَرَّتنا هذه ، فقال : لا يبلغني عنكم فأقيلكم ، قال : فخرجنا من عنده ولم نكد ، وهو في ارتيابٍ من أمرنا ، ونحنُ على خطرٍ ، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتبٌ من عامر بن شَهْر ، أمير هَمْدان ، وذي ظُلَيْم ، وذي كلاع ، وغيرهم من أمراء اليمن ، يبذلون لنا الطّاعة والنَّصْر ، على مخالفة الأسود ، وذلك حين جاءهم كتابُ رسول الله ﷺ يَحُثُّهم على مصاولة الأسودِ العَنْسي ، فكتبنا إليهم أن لا يُحْدِثُوا شيئاً حتى نبرم الأمر[٢] قال قيس : فدخلت على امرأته زاذ ، فقلت : يا ابنةَ عمّي قد عرفت بلاءَ هذا الرجل عند قومك ، قتلَ زوجَك ، وطأطأ[٣] في قومك القتلَ ، وفضحَ النساءَ ، فهل عندك ممالأةٌ عليه ؟ قالت : على أي أمر ، قلتُ إخراجه ، قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ، قالتْ : نعم ، واللهِ ما خلقَ اللهُ شخصاً هو أبغضُ إليَّ منه ، فما يقومُ لله على حقٍّ ولا ينتهي له عن حرمة ، فإذا عزمتمْ أخبروني أعلمكم بما في هذا الأمر ، قال فأخرج فإذا فيروز وداذويه ، ينتظران يريدون أن يناهضُوه ، فما استقرّ اجتماعُه بهما حتى بعثَ إليه الأسود فدخلَ في عشرةٍ من قومه ، فقال : ألم أخبرْك بالحقّ وتخبرني بالكذابة ؟ إنه يقول : يا سوأة يا سوأة ، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك العليا ، حتى ظنَّ قيسٌ أنّه قاتلُهُ ، فقال : إنه ليس من الحقّ ، إنّ أهلكَ وأنتَ رسول الله ، فقتلي أحبُّ إليَّ من موتاتٍ أموتُها كلَّ

---

(١) في المطبوع : « فخربت عليه السكون لصبره فيهم » وهو تحريف ولا معنى له ، والصواب ما أثبتنا ، ويعضده ما في تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٠) : « فحدبوا لصهره علينا » .

(٢) نبرم الأمر : ننفذ ، بعد إمعان الرأي فيه .

(٣) طأطأ في قتلهم : اشتد وبالغ . اللسان (طأطأ) .

يوم ، فرقَ له وأمره بالانصرافِ ، فخرجَ إلى أصحابه فقال : اعملوا عملَكم ، فبينما هم وقوف بالباب يشتورون ، إذ خرجَ الأسودُ عليهم وقد جمعَ له مئةً ما بين بقرةٍ وبعيرٍ ، فقام وخطَّ خطاً وأقيمت من ورائه ، وقام دونها ، فنحرها ، غير مُحْبَسَةٍ ولا مُعقَّلة ، ما يقتحم الخطَّ منها شيء ، فجالت إلى أن زهقت أرواحها ، قال قيس : فما رأيتُ أمراً كانَ أفظعَ منه ، ولا يوماً أوحشَ منه ، ثم قال الأسود : أحقٌّ ما بلغني عنكَ يا فيروز ؟ لقد هممت أن أنحركَ فألحقكَ بهذه البهيمة ، وأبدى له الحربةَ ، فقال له فيروز : اخترتنا لصهرك ، وفضلتنا على الأبناء ، فلو لم تكن نبياً ما بعنا نصيبنا منك بشيء ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ الآخرة والدنيا ؟ فلا تقبلْ علينا أمثالَ ما يبلغُكَ ، فأنا بحيث تحبُّ ، فرضي عنه وأمره بقسم لحوم تلك الأنْعام ، ففرّقها فيروز في أهل صنعاء ، ثم أسرعَ اللحاقَ به ، فإذا رجلٌ يحرّضُه على فيروز ويسعى إليه فيه ، واستمع له فيروز ، فإذا الأسود يقول : أنا قاتلُه غداً وأصحابه ، فاغْدُ عليَّ به ، ثم التفت فإذا فيروز ، فقال : مه ، فأخبره فيروز بما صنعَ من قسم ذلك اللحم ، فدخل الأسود داره ، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمعَ وبما قالَ وقيل له ، فاجتمعَ رأيُهم على أن عاودوا المرأة في أمره ، فدخلَ أحدهم ـ وهو فيروز ـ إليها فقالت : إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به ، غير هذا البيت ، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطّريق ، فإذا أمسيتُم فانقبوا عليه من دون الحرس ، وليس من دون قتله شيءٌ ، وإني سأضعُ في البيت سراجاً وسلاحاً ، فلما خرج من عندها تلقّاهُ الأسودُ فقال له : ما أدخلك على أهلي ؟ ووجأ رأسه ، وكان الأسود شديداً ، فصاحت المرأةُ فأدهشته عنه ، ولولا ذلك لقتله ، وقالت : ابنُ عميّ جاءني زائراً ، فقال : اسكتي لا أبا لك ، قد وهبتُه لكِ ، فخرجَ على أصحابه فقال : النجاءَ النجاءَ ، وأخبرهم الخبر ، فحاروا ماذا يصنعون ؟ فبعثت المرأةُ إليهم تقولُ لهم : لا تَنْثنوا عما كنتم عازمين عليه ، فدخلَ عليها فيروزُ الدَّيلمي فاسْتَثْبَتَ منها الخبرَ ، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من داخله بطائن ليهونَ عليهم النقبُ من خارج ، ثم جلسَ عندهما جهرةً كالزائر ، فدخل الأسود فقال : وما هذا ؟ فقالت : إنه أخي من الرّضاعة ، وهو ابن عمّي ، فنهره وأخرجَه ، فرجعَ إلى أصحابه ، فلما كان الليلُ نقبوا ذلك البيتَ فدخلوا فوجدوا فيه سراجاً تحتَ جفنةٍ فتقدّم إليه فيروز الديلمي والأسود نائمٌ على فراشٍ من حرير ، قد غرقَ رأسُه في جسده ، وهو سكرانُ يغطُّ ، والمرأةُ جالسةٌ عنده ، فلما قام فيروزُ على الباب أجلسَه شيطانهُ وتكلّم على لسانه ـ وهو مع ذلك يغطُّ ـ فقال : مالي ومالكَ يا فيروزُ ؟ فخشيَ إن رجعَ يهلكُ وتهلكُ المرأةُ ، فعاجلَه وخالطه وهو مثلُ الجملِ فأخذَ رأسه فدقّ عنقه ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتلَه ، ثم قام ليخرجَ إلى أصحابه ليخبرهم ، فأخذت المرأة بذيله وقالت : أين تذهبُ عن حرمتك . فظنَّتْ أنها لم تقتله ، فقال : أخرج لأعلمهم بقتله ، فدخلوا عليه ليحتّزوا رأسه ، فحركه شيطانه فاضطرب ، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره ، وأخذت المرأةُ بشعره ، وجعلَ يبربرُ بلسانه فاحتزَّ الآخرُ رقبتَه ، فخار كأشدّ خوارِ ثورٍ سُمع قطُّ ، فابتدر الحرسُ إلى المقصورة ، فقالوا : ما هذا ما هذا ؟ فقالتِ المرأة : النبيّ يُوحى إليهِ ، فرجعوا ، وجلس قيسٌ وداذويه وفيروزُ يأتمرون كيف يعلمون أشياعَهم ، فاتّفقوا على أنّه إذا كان الصباحُ ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين ، فلما كان الصباحُ قام

أحدُهم ، وهو قيسٌ على سور الحصن فنادى بشعارهم . فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن ، فنادى قيسٌ ويقال : وبر بن يحنس ، الأذان : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن عبهلة كذاب ، وألقى إليهم رأسه فانهزم أصحابُه وتبعهم الناسُ يأخذونهم ويرصدونهم في كلّ طريقٍ يأسرونهم ، وظهر الإسلام وأهلُه ، وتراجعَ نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وتنازعَ أولئك الثلاثةُ في الإمارة ، ثم اتّفقوا على معاذِ بن جَبَلٍ يصلّي بالناس ، وكتبوا بالخبر إلى رسولِ الله ﷺ ، وقد أطلعَه الله على الخبر من ليلتِه ، كما قال سيف بن عمر التميمي[١] عن أبي القاسم الشنوي ، عن العلاء بن زياد[٢] عن ابن عمر : أتى الخبرُ إلى النبي ﷺ من السماء الليلةَ التي قُتل فيه العنسي ليبشّرنا ، فقال : قُتل العنسيُّ البارحةَ ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيتٍ مباركين ، قيل : ومنْ؟ قال : فيروزُ فيروزُ .

وقد قيل : إنَّ مدةَ مُلْكه منذ ظهر إلى أن قتل ثلاثة أشهر ، ويقال : أربعة أشهر ، فالله أعْلم .

وقال سيفُ بن عمر[٣] : عن المُسْتَنير ، عن عروة ، عن الضحّاك ، عن فيروز ، قال :

قتلنا الأسودَ ، وعاد أمرُنا في صنعاء كما كان إلا أنّا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضَيْنا عليه ، فكان يُصلّي بنا في صنعاء ، فو الله ما صلّى بنا إلا ثلاثةَ أيام حتى أتانا الخبرُ بوفاةِ رسولِ الله ﷺ ، فانتقضت الأمور ، وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرفُ ، واضطربتِ الأرض .

وقد قدمنا أن خبرَ العنسي جاء إلى الصّدّيق في أواخر ربيع الأول بعدما جَهَّز جيشَ أسامة ، وقيل : بل جاءت البشارةُ إلى المدينة صبيحةَ توفي رسول الله ﷺ والأول أشهر ، والله أعلم .

والمقصود أنه لم يجئهم فيما يتعلق بمصالحهم واجتماع كلمتهم وتأليف ما بينهم والتمسّك بدين الإسلام إلا الصديق رضي الله عنه ، وسيأتي إرساله إليهم من يمهِّد الأمور التي اضطربت في بلادهم ويقوّي أيدي المسلمين ، ويثبّت أركان دعائم الإسلام فيهم ، رضي الله عنهم .

فصل
في تصدّي الصّدّيق لِقتالِ أهلِ الرِّدة ومانِعي الزَّكاة

قد تقدَّم أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا توفي ارتدَّت أحياءٌ كثيرةٌ من الأعراب ، ونجمَ النّفاق بالمدينة ، وانحازَ إلى مُسَيْلمَةَ الكَذّاب بنو حَنيفةَ وخلقٌ كثيرٌ باليمامة ، والتفَّ على طُلَيْحة الأسدي بنو أَسَدٍ وطيِّء ، وبشرٌ كثيرٌ أيضاً ، وادَّعى النبوَّة أيضاً ، كما ادّعاها مُسَيْلمةُ الكَذَّاب ، وعظمَ الخَطْبُ واشتدّتِ الحالُ ، ونفذَ الصِّدّيق جيشَ أُسامةَ ، فقلَّ الجندُ عند الصّدّيق فطمعت كثيرٌ من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٦) .
(٢) في ط : زيد ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٢) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٦) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٤١) .

عليها ، فجعلَ الصّدّيق على أنقابِ المدينةِ حُرّاساً يبيتون بالجيوش حولَها ، فمن أمراءِ الحرس : عليُّ بن أبي طالب ، والزُّبَيْر بن العَوّام ، وطَلْحةُ بن عبد الله ، وسَعْدُ بن أبي وقاص ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وجَعَلَتْ وفودُ العرب تقدم المدينة يقرُّون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة ، ومنهم من امتنعَ من دفعها إلى الصّدّيق ، وذكر أن منهم من احتجَّ بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] قالوا : فلسنا ندفعُ زكاتنا إلّا إلى منْ صلاتُهُ سكنٌ لنا ، وأنشد بعضهم : [من الطويل]

أطعنَا رسولَ اللهِ إذْ كانَ بَيْنَنا فواعَجَباً ما بَالُ مُلْكِ أبي بَكْرِ

وقد تكلَّم الصحابةُ مع الصّديق في أن يتركهم وما هم عليه من منعِ الزكاةِ ويتألَّفهم حتى يمكّنَ الإيمانُ في قلوبهم : ثم هم بعد ذلك يُزَكُّونَ ، فامتنعَ الصّديق من ذلك وأباه .

وقد روى الجماعةُ في كتبهم سوى ابن ماجه[١] ، عن أبي هريرة :

أنَّ عمرَ بن الخطاب قال لأبي بكر : علامَ تقاتلُ الناسَ ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » . فقال أبو بكر : والله لو مَنَعوني عَناقاً ، وفي رواية : عِقالاً كانو يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتِلَنَّهم على منعها ، إنَّ الزكاةَ حقُّ المال ، واللهِ لأقاتِلَنَّ منْ فرَّقَ بينَ الصلاةِ والزكاةِ ، قال عمر : فما هو إلا أن رأيتُ اللهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكر للقتال ، فعرفتُ أنه الحقُّ .

قلت : وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

وثبت في الصحيحين[٢] : بُني الإسلام على خمسٍ : شهادةِ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وحجِّ البيتِ ، وصومِ رمضان .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبَابة بن سوَّار : حدَّثنا عيسى بن يزيد المديني ، حدَّثني صالح بن كيسان ، قال : لما كانت الرّدّة قام أبو بكرٍ في الناس فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال : الحمدُ الله الذي هَدى فكَفَى ، وأعطى فأغنَى ، إنَّ اللهَ بعثَ محمداً ﷺ والعلم شريد ، والإسلام غريبٌ طريدٌ ، قد رثَّ حبلُه ، وخَلقَ عهدُه ، وضلَّ أهلُه منه ، ومقتَ الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم ، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم ، قد غيّروا كتابهم ، وألحقوا فيه ما ليس منه ، والعربُ الآمنون يحسبون

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٢٤ و٦٩٢٥) في استتابه المرتدين ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٠) في الإيمان ، وأبو داود في سننه رقم (١٥٥٦) في الزكاة ، والترمذي في جامعه رقم (٢٦٠٧) في الإيمان ، والنسائي في سننه (٥/ ١٤) في الزكاة وهو في مسند الإمام أحمد (٢/ ٥٢٨) وغيره . قال ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٢٧٨) : والعَناق ـ بفتح المهملة والنون ـ الأنثى من ولد المعز .

(٢) صحيح البخاري (٨) في الإيمان ، وصحيح مسلم (١٦ و٢٢) في الإيمان .

أنَّهم في مَنَعة من الله ِلا يعبدونه ولا يدعونه ، فأجهدهم عيشاً ، وأضلَّهم ديناً ، في ظلف[١] من الأرض مع ما فيه من السحاب ، فختمهم الله بمحمدٍ ، وجعلهم الأمة الوسطى ، نصرهم بمن اتَّبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطانُ مركبَهُ الذي أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلكتهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] إنّ منْ حولكم من العرب منعوا شاتَهم وبعيرَهم ، ولم يكونوا في دينهم ـ وإن رجعوا إليه ـ أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ما تقدَّم من بركةِ نبيّكم ﷺ ، وقد وكلكم إلى المولى الكافي ، الذي وجدَهُ ضالاً فهداه ، وعائلاً فأغناه ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] الآية ، والله لا أدعُ أن أقاتلَ على أمر الله حتى يُنْجزَ اللهُ وعدَه ، ويوفي لنا عهدَه ، ويُقتَل من قُتل منّا شهيداً من أهل الجنة ، ويَبْقى من بَقي منها خليفتَه ، وذريَّته في أرضِهِ ، قضاءُ اللهِ الحقُّ ، وقولُه الذي لا خلفَ له ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٥٥] الآية ، ثم نزلَ .

وقال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] الآية ، قالوا : المرادُ بذلك أبو بكر وأصحابُه ، في قتالهم المُرْتدِّين ، ومانعي الزكاة[٢] .

وقال محمد بن إسحاق : ارتدَّتِ العربُ عند وفاةِ رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين ، مكة ، والمدينة ، وارتدَّت أسد وغطفان وعليهم طُلَيْحة بن خُوَيْلدٍ الأسدي الكاهن ، وارتدَّت كندةُ ومن يليها ، وعليهم الأشعثُ بن قيس الكِنْدي ، وارتدَّتْ مَذْحجٌ ومن يليها ، وعليهم الأسود بن كعب العَنْسي الكاهن ، وارتدَّتْ ربيعةُ مع المعرور بن النعمان بن المنذر ، وكانت حنيفةُ مقيمةً على أمرها مع مُسَيْلمة بن حبيب الكذّاب ، وارتدَّت سليم مع الفجاءة ، واسمه أنس بن عبد يا ليل ، وارتدَّتْ بنو تَميم مع سَجَاحِ الكاهنة .

وقال القاسم بن محمد[٣] : اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طُلَيْحة الأسدي ، وبعثوا وفوداً إلى المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس ، فحملوا بهم إلى أبي بكر ، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال : لو مَنَعوني عِقالاً لجاهَدْتُهم ، فردَّهم فرجَعوا إلى عشائرهم ، فأخبروهم بقلَّة أهل المدينة ، وطمَّعوهم فيها ، فجعلَ أبو بكر الحرسَ على أنقاب[٤] المدينة ، وألزمَ أهلَ المدينة بحضور المسجد وقال : إنّ الأرضَ كافرةٌ ، وقد رأى وفدهم منكم قلّةً ، وإنكم لا تدرون ليلاً يأتون أم نهاراً ، وأدناهم منكم على بريدٍ ، وقد كان القومُ يُؤَمِّلون أن نقبل منهم

---

(١) الظَلَف من الأرض ـ بفتح الظاء واللام ـ الغليظ الصلب من الأرض مما لا يبين فيه أثر . اللسان (ظلف) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٥) طبعة دار الأندلس .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨) .

(٤) أنقاب : جمع نَقْب ونُقب : الطريق . اللسان (نقب) .

ونوادعهم وقد أبَيْنا عليهم، فاستعدّوا وأعدّوا، فما لبثوا إلَّا ثلاثاً حتى طرقُوا المدينة غارةً، وخلَّفوا نصفَهم بذي حُسَى ليكونوا ردءاً لهم، وأرسلَ الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارةِ، فبعث إليهم: أن الْزموا مكانَكم. وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النَّواضِحِ[١] إليهم، فانفشَّ العدوُّ واتَّبعهم المسلمونَ على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسًى[٢]، فخرجَ عليهم الرِّدْء فالتقوا مع الجمع، فكان الفتح وقد قال: [من الطويل]

أطَعْنَا رسولَ الله ما كانَ وَسطَنا ... فَيَا لعبادِ الله ما لأبي بكرِ
أيورثنا بَكْراً إذا ماتَ بعدَه ... وتِلكَ لَعمرُ الله قاصِمَةُ الظَّهرِ
فَهَلا رَدَدتُم وَفْدنا بِزَمانِهِ؟ ... وَهلاَّ خَشِيتُم حِسَّ راغيةِ البكرِ؟
وإنَّ التي سألوكموا فَمَنَعْتُموا ... لكالتَّمرِ أو أحلى إليَّ منَ التَّمر

وفي جمادى الآخرة ركب الصِّدّيقُ في أهل المدينة وأمراءِ الأنقاب، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عَبْسٍ، وبنى مُرَّة، وذبيان، ومنْ ناصب معهم من بني كنانة، وأمدَّهم طُلَيْحة بابنه حبال، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدةً وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء[٣] فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبلُ أصحاب الصديق نفرت وذهبت كلَّ مذهبٍ، فلم يملكوا من أمرها شيئاً إلى الليل، وحتى رجعت إلى المدينة، فقال في ذلك الخُطَيْل بن أوس:
[من الطويل]

فِدىً لِبَني ذبيان رحلي وناقتي ... عَشِيَّةَ يَحدي[٤] بالرِّماحِ أبو بكر
ولكن يُدَهْدى[٥] بالرِّجَالِ فَهِبنهُ ... إلى قدر ما أن تقيمَ ولا تسري[٦]
ولله أجنادٌ تُذاقُ مَذاقَهُ ... لِتُحسبَ فيما عُدَّ من عَجَب الدَّهرِ
أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا ... فَيا لعبادِ الله ما لأبي بَكرِ

فلما وقع ما وقع ظنَّ القوم بالمسلمين الوَهن، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحي أُخَر، فاجتمعوا، وباتَ أبو بكر رضي الله عنه قائماً ليله يُعَبِّىءُ الناسَ، ثم خرجَ على تعبئة من آخر الليل، وعلى ميمنته النُّعمانُ بن مُقَرِّنٍ، وعلى المَيْسرة أخوه عبد الله بن مُقَرِّن، وعلى السَّاقةِ أخوهما سُويد بن مُقَرِّن، فما طلعَ الفجرُ إلا وهم والعدوُّ في صعيدٍ واحدٍ، فما سمعوا للمسلمين حساً ولا همساً، حتى وضعوا فيهم السيوف، فما طلعتِ الشمسُ حتى ولُّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامةِ ظهرهم، وقُتل حبال، واتَّبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة، وكان أول الفتح، وذلّ بها المشركون، وعزّ بها المسلمون، ووثب بنو

---

(١) النَّواضح من الإبل: التي يستقى عليها واحدها ناضح. اللسان (نضح).
(٢) ذو حُسى: واد بأرض الشَّرَبّة من ديار عبس وغطفان. معجم البلدان (٢/ ٢٥٨).
(٣) الأنحاء: جمع نحو وهو الظرف. اللسان (نحو).
(٤) في الطبري (٣/ ٢٤٥): يحذى.
(٥) دهده ودهدى يدهدي: دحرج وقلب بعضه على بعض. اللسان (دهده).
(٦) في الطبري: إلى قَدرِ ما إن يزيدُ ولا يَحري.

ذبيان وعَبْس على منْ فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل منْ وراءهم كفعلهم ، فحلفَ أبو بكر ليقتلنَّ من كلِّ قبيلةٍ بمنْ قتلوا من المسلمين وزيادة ، ففي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي : [من الوافر]

غَداةَ سعَى أبو بكر إليهم كما يَسْعى لموتَتِهِ حَلالُ
أراحَ على نواهِقِها عَلِيّاً ومَجَّ لَهُنَّ مُهجَتَهُ حبالُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

أقمنَا لَهم عُرضَ الشِّمالِ فَكُبكِبوا[١] كَكَبْكبةِ الغُزَّى[٢] أنَاخُوا على الوفْرِ
فما صَبرُوا لِلْحرْبِ عِنْدَ قيامها صَبيحةَ يَسْمُوا بالرِّجَالِ أبو بكْرِ
طَرقْنا بني عَبْس بأدنَى نِبَاجِها[٣] وَذُبيانَ نَهْنَهْنَا[٤] بِقاصِمَة الظَّهرِ[٥]

فكانت هذه الوقعةُ من أكبر العونِ على نَصْرِ الإسلام وأهله ، وذلك أنه عزَّ المسلمون في كلّ قبيلةٍ ، وذلَّ الكفار في كلّ قبيلة ، ورجعَ أبو بكر إلى المدينة مؤيَّداً مَنْصوراً ، سالماً غانماً ، وطرقتِ المدينة في الليل صدقات عديّ بن حاتم ، وصفوان والزّبرقان ، إحداها في أول الليل ، والثانية في أوسطه ، والثالثة في آخره ، وقدم بكلّ واحدة منهن بشيرٌ من أمراء الأنقاب ، فكان الذي بشّر بصفوان سعد بن أبي وقاص ، والذي بشَّر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف ، والذي بشَّر بعدي بن حاتم عبد الله بن مسعود ، ويقال : أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه[٦] .

وذلك على رأس ستّين ليلةً من متَوَفَّى رسول الله ﷺ .

ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليالٍ[٧] ، فاستخلفَهُ أبو بكر على المدينة ، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم ، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه ، في الوقعة المتقدمة ، إلى ذي القصة ، فقال له المسلمون : لو رجعتَ إلى المدينة وأرسلتَ رجلاً ، فقال : والله لا أفعل ، ولأواسينَّكم بنفسي ، فخرج في تعبئته ، إلى ذي حسى وذي القصة ، والنعمان وعبد الله وسويد بنو مُقرِّن على ما كانوا عليه ، حتى نزلَ على أهل الرَّبَذة بالأبرق وهناك جماعةٌ من بني عبس وذبيان ، وطائفة من بني كنانة ، فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفاً ، وأُخذ الحطيئةُ أسيراً ، فطارت بنو عبس وبنو بكر ، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً وقد غلبَ بني ذبيان على البلادِ ، وقال : حرام على بني ذبيان أن يتملّكوا هذه البلاد ، إذ غنمناها الله وحمى

---

(١) كُبْكبوا : دُحْوِروا وجمعوا ، طرح بعضهم على بعض . اللسان (كبب) .
(٢) الغُزّى : جمع غاز .
(٣) النباج : شدة الصوت . اللسان (نبج) .
(٤) نهنهتُ فلاناً ؛ إذا زجرته فتنهنه أي كففته فكفَّ . اللسان (نهنه) .
(٥) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٧) .
(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٧) .
(٧) المصدر نفسه .

الأبرق بخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الرَّبَذة . ولما فرَّت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طليحة وهو نازل على بُزاخة ، وقد قال في يوم الأبرق زيادُ بن حنظلة : [من الوافر]

وَيَومٌ بالأبارقِ قد شَهِدْنا ... على ذبيان يلتهبُ التِهابا
أتيناهم بداهيةٍ نَسُوفٍ ... مَعَ الصِّديق إذ تركَ العِتابا

خروجُه إلى ذي القصَّة حينَ عقدَ ألويةَ الأمراءِ الأحدَ عشَرَ

وذلك بعدما جمَّ جيش أسامة واستراحوا ، ركبَ الصّدّيقُ أيضاً في الجيوش الإسلامية شاهراً سيفه مسلولًا ، من المدينة إلى ذي القصة ، وهي من المدينة على مرحلةٍ ، وعليُّ بن أبي طالب يقودُ براحلةِ الصّدّيق رضي الله عنهما ، كما سيأتي ، فسأله الصحابةُ ، منهم عليٌّ وغيره ، وألحّوا عليه أن يرجع إلى المدينة ، وأن يبعثَ لقتالِ الأعراب غيره ممن يؤمِّره من الشجعانِ الأبطال ، فأجابهم إلى ذلك ، وعقدَ لهم الألويةَ لأحدَ عشرَ أميراً ، على ما سنفصِّله قريباً إن شاء الله .

وقد روى الدارقطني[1] من حديث عبد الوهاب بن موسى الزُّهري ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، عن ابن عمرَ قال : لما برزَ أبو بكر إلى القصّة واستوى على راحلته ، أخذ عليُّ بن أبي طالب بزمامها وقال : إلى أين يا خليفةَ رسولِ الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ : لمّ سيفَكَ ولا تَفْجَعْنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فواللهِ لئن فُجعنا بك لا يكونُ للإسلام نظامٌ أبداً ، فرجع .

هذا حديث غريب من طريق مالك ، وقد رواهُ زكريا السّاجي من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، والزهري أيضاً عن أبي الزّناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : خرجَ أبي شاهراً سيفَه راكباً على راحلته إلى وادي القصّة ، فجاء عليُّ بن أبي طالب فأخذَ بزمام راحلتِه فقال : إلى أينَ يا خليفةَ رسول الله ؟ أقول لك ما قالَ رسولُ الله يومَ أُحُدٍ : « لمَّ سيفَكَ ولا تَفْجَعْنا بنفسِك ، فواللهِ لئن أُصبنا بك لا يكونُ للإسلام بعدكَ نظامٌ أبداً » . فرجع وأمضى الجيش .

وقال سيفُ بن عمر[2] : عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد : لما استراحَ أسامةُ وجندُه ، وقد جاءت صدقاتٌ كثيرةٌ تفضل عنهم ، قطع أبو بكر البعوث ، وعقد الألوية : فعقد أحدَ عَشَرَ لواءً :

عقدَ لخالد بن الوليد وأمره بطُلَيْحة بن خُوَيْلد ، فإذا فرغَ سار إلى مالك بن نُوَيْرَةَ بالبطاح إن أقام له .

ولعكرمة بن أبي جهل ، وأمره بمُسَيْلمة .

وبعث شرحبيل بن حَسَنة في أثره إلى مُسَيْلمة الكذّاب ، ثم إلى بني قُضاعة .

---

(١) لعله روى ذلك في كتاب « غرائب مالك » ولم يصل إلينا .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٩) .

وللمهاجر بن أبي أمية ، وأمره بجنود العَنْسي ، ومعونة الأبناء على قيس بن مَكْشوح .

قلت : وذلك لأنه كانَ قد نزع يده من الطاعة ، على ما سيأتي .

قال : ولخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام .

ولعمرو بن العاص إلى جماع قضاعة ووديعة والحارث .

ولحذيفة بن محصن الغطفاني وأمره بأهل دبا وبعرفجة وهرثمة وغير ذلك .

ولطرفة بن حاجب ، وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن .

ولسويد بن مُقرِّن ، وأمره بتهامة اليمن .

وللعلاء بن الحَضْرمي ، وأمره بالبحرين ، رضي الله عنهم .

وقد كتب لكلِّ أمير كتاب عهده على حدته ، ففصل كل أمير بجنده من ذي القصّة .

ورجع الصِّدِّيق إلى المدينة ، وقد كتب معهم الصديق كتاباً إلى المُرْتَدَّة[١] وهذه نسخته[٢] :

« بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى منْ بلغه كتابي هذا ، من عامةٍ وخاصةٍ ، أقامَ على إسلامه أو رجعَ عنه ، سلامٌ على من اتَّبع الهُدى ، ولم يرجع بعدَ الهُدَى إلى الضلالةِ والهَوى ، فإني أحمدُ اللهَ إليكم الذي لا إلهَ إلا هو ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأن محمداً عبدُهُ ورسولُه ، نقرُّ بما جاء به ، ونُكَفِّر من أبى ذلك ونجاهده . أما بعدُ فإن الله أرسلَ بالحقّ من عنده ، إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذْنِه وسراجاً منيراً ، لينذرَ منْ كان حيّاً ويحقّ القولُ على الكافرين ، فهدى الله بالحق منْ أجابَ إليه ، وضربَ رسولُ الله ﷺ منْ أدبرَ عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرهاً ، ثم توفّى اللهُ رسولَه ، وقد نفَّذَ لأمر الله ، ونصحَ لأمته ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بيَّن له ذلك ، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] فمن كان إنّما يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ ، ومنْ كانَ إنما يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ ، ولا تأخذُهُ سنةٌ ولا نومٌ ، حافظٌ لأمره ، مُنْتقمٌ من عدوِّه . وإني أوصيكُمْ بتَقْوى الله وحظكم ونصيبكم وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدينِ الله ، فإنَّ كلَّ منْ لم يهدِهِ اللهُ ضالٌّ ، وكلّ منْ لم يُعِنْهُ اللهُ مخذولٌ ، ومنْ هداهُ غيرُ اللهِ كانَ ضالّاً ، قال الله تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] ولن يُقْبَلَ له في الدنيا عملٌ حتى يقرَّ به ، ولن يُقْبَلَ له في الآخرة صرفٌ ولا عدلٌ ، وقد بلغني رجوعُ منْ رَجَعَ منكم عن دينه بعد أن أقرَّ

---

(١) في المطبوع : « الربذة » وهو تحريف عجيب !

(٢) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٠) .

بالإسلام وعملَ به ، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف ٥٠] وقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] وإني بعثتُ إليكم فلاناً في جيشٍ من المهاجرين والأنصار ، والتّابعين بإحسان ، وأمرتُه أن لا يقبلَ من أحدٍ إلّا الإيمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عزَّ وجلَّ ، فإن أجابَ وأقرَّ وعملَ صالحاً قُبل منه ، وأعانه عليه ، وإن أبى حاربَه عليه حتى يفيءَ إلى أمر الله ، ثم لا يُبْقي على أحدٍ منهم قدرَ عليه ، وأن يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كلَّ قتلة ، وأن يسبيَ النساءَ والذّراري ولا يقبل من أحدٍ غير الإسلام ، فمن اتَّبعه فهو خيرٌ له ، ومن تركَه فلن يعجزَ اللهَ ، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابه في كلِّ مَجْمعٍ لكم ، والداعية الأذان ، فإذا أذّنَ المسلمون فأذنوا فكُفُّوا عنهم ، وإن لم يُؤَذِّنوا فسلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجِلوهم ، وإن أقرُّوا حُمِل منهم على ما ينبغي لهم » .

رواه سيفُ بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك .

فصل
في مَسِيرةِ الأُمراءِ من ذي القصة على ما عُوهدوا عليه

وكان سيدَ الأمراءِ ورأس الشُّجعان الصَّناديد أبو سليمان خالد بن الوليد .

روى الإمام أحمد[١] من طريق وَحْشي بن حَرْب ، أن أبا بكر الصديق لما عقدَ لخالدِ بن الوليدِ على قتالِ أهلِ الرِّدَّة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم عبدُ الله وأخو العشيرة ، خالدُ بن الوليد ، سيفٌ من سيوف الله سلَّه اللهُ على الكفار والمنافقين » .

ولما توجَّهَ خالد[٢] من ذي القصة وفارقَه الصديقُ ، واعده أنَّه سيلقاهُ من ناحيةِ خيبر بمن معه من الأمراء ـ وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعرابَ ـ وأمره أن يذهبَ أولاً إلى طُلَيْحة الأسدي ، ثم يذهب بعده إلى بني تميم ، وكان طُلَيْحة بن خُوَيْلد في قومه بني أسد ، وفي غطفان ، وانضمّ إليهم بنو عبس وذبيان ، وبعث إلى بني جديلة والغوث وطيِّىء يستدعيهم إليه ، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم ، ليلحقوهم على أثرهم سريعاً ، وكان الصديق قد بعثَ عديَّ بن حاتم قبل خالد بن الوليد ، وقال له : أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم ، فذهب عدي إلى قومه بني طيِّىء فأمرهم أن يبايعوا الصديق ، وأن يراجعوا أمر الله ، فقالوا : لا نبايع أبا الفضل أبداً ـ يعنون أبا بكر رضي الله عنه ـ فقال : والله ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنَّه أبو الفحل الأكبر ، ولم يزل عدي يفتل لهم في الذروة والغارب

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٨) رقم (٤٣) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٤٧) .

حتى لانوا ، وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وبعث بين يديه ثابتَ بن أقرمَ ، وعُكَّاشةَ بن محصن طليعةً ، فتلقاهما طُلَيْحةُ وأخوه سلمة فيمن معهما ، فلما وجدا ثابتاً وعُكَّاشة تبارزوا فقتل عُكَّاشة حبال[١] بن طُلَيْحة ، وقيل : بل كان قتل حبالاً قبل ذلك وأخذ ما معه ، وحمل عليه طُلَيْحة فقتله وقَتل هو وأخوه سلمة ، ثابتَ بن أقرم ، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين ، فشقّ ذلك على المسلمين . وقد قال طليحة في ذلك[٢] : [من الطويل]

عَشِيَّةَ غَادَرْتُ ابنَ أقرَمَ ثاوياً وعُكَّاشةَ الغَنْميَّ تحتَ مَجَالِ
أقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الحمالةِ[٣] إنَّها معـوَّدةٌ قبـلَ الكُمَـاةِ نَـزالِ
فيوماً تراها في الجلالِ مَصُونةً وَيوماً تَراها في ظِلال عوالي
وإن يَكُ أولادٌ أُصِبْنَ ونسوةٌ فلمْ يَذهبوا فُرغاً بقتلِ حِبَالِ

ومال خالدٌ إلى بني طيِّىء ، فخرج إليه عديُّ بن حاتم فقال : أنْظِرْني ثلاثةَ أيامٍ ، فإنَّهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى منْ تعجَّل منهم إلى طُلَيْحةَ حتى يرجعوا إليهم ، فإنهم يخشون إنْ تابعوكَ أن يقتلَ طليحةُ من سار إليه منهم ، وهذا أحبُّ إليك من أن يعجلهم إلى النار ، فلما كان بعد ثلاثٍ جاءه عديٌّ في خمسمئة مقاتلٍ ممَّن راجعَ الحقَّ ، فانضافوا إلى جيش خالدٍ وقصد خالدٌ بني جديلة[٤] فقال له : يا خالد ، أجِّلني أياماً حتى آتيهم فلعلَّ الله أن ينقذهم كما أنقذَ طَيِّئاً ، فأتاهم عديٌّ فلم يزل بهم حتى تابعوه ، فجاء خالداً بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألفُ راكبٍ ، فكان عديٌّ خيرَ مولودٍ وأعظمَهُ بركةً على قومه ، رضي الله عنهم .

قالوا : ثم سارَ خالدٌ حتى نزلَ بأجأ وسَلْمى ، وعَبَّأ جيشَه هنالك والتقى مع طُلَيْحة الأسديِّ بمكانٍ يقال له : بُزاخَة[٥] ، ووقفتْ أحياءٌ كثيرةٌ من الأعراب ينظرون على منْ تكونُ الدائرةُ ، وجاء طُلَيْحة فيمن معه من قومه ومن التفَّ معهم وانضافَ إليهم ، وقد حضر معه عُيَيْنة بن حصن في سبعمئة من قومه ، بني فزارة ، واصطفّ الناسُ ، وجلس طُلَيْحةُ مُلْتفاً في كساءٍ له يَتَنبَّأ لهم ينظر ما يُوحى إليه فيما يزعم ، وجعلَ عيينةُ يقاتلُ ما يقاتلُ ، حتى إذا ضجرَ من القتال يجيء إلى طُلَيْحةَ وهو مُلْتفٌّ في كسائه فيقول : أجاءك

---

(١) في ط : جبال بالجيم . قال ابن الأثير (٢/ ٣٤٩) : حبال ؛ بكسر الحاء المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، وبعد الألف لام .
(٢) البيت الأول في الاشتقاق لابن دريد (٥٥١) والأبيات خمسة في السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦٣٧) برواية وترتيب مختلفين .
(٣) في هامش السيرة ؛ أن الحمالة اسم فرس طليحة .
(٤) في المطبوع : أديلة ؛ والتصحيح من تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير .
(٥) « بُزَاخة » : بالضم والخاء المعجمة : ماء لطيِّىء بأرض نجد ، وقيل لبني أسد ، كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طليحة الأسدي . معجم البلدان (١/ ٤٠٨) .

جبريلُ ؟ فيقول : لا ، فيرجع فيقاتل ، ثم يرجع فيقول له مثلَ ذلك ويردّ عليه مثل ذلك ، فلما كان في الثالثة قال له : هل جاءك جبريلُ ؟ قال : نعم ، قال ؛ فما قال لك ؟ قال : قال لي : إنَّ لكَ رحاءً كرحاه ، وحديثاً لا تنساه ، قال يقول عيينة : أظنّ أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه ، ثم قال : يا بني فزارة انصرفوا ، وانهزمَ وانهزمَ الناسُ عن طُلَيْحة ، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدّها له ، وأركبَ امرأتَه النَّوار على بعيرٍ له ، ثم انهزمَ بها إلى الشام وتفرَّق جمعُه ، وقد قتل الله طائفةً ممن كان معه ، فلما أوقعَ الله بطليحةَ وفزارة ما أوقع ، قالت بنو عامر وسليم وهوازن : ندخلُ فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلِّم لحكمه في أموالنا وأنفسنا .

قلت : وقد كان طُلَيْحةُ الأسديُّ ارتدَّ في حياةِ النبي ﷺ فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عُيَيْنة بن حصن من بدر ، وارتدَّ عن الإسلام ، وقال لقومه : والله لنبيٌّ من بني أسدٍ أحبُّ إليَّ من نبيٍّ من بني هاشم ، وقد مات محمدٌ وهذا طُلَيْحةُ فاتَّبعوه ، فوافق قومُه بنو فزارة على ذلك ، فلما كسرهما خالدٌ هربَ طُلَيْحةُ بامرأته إلى الشام ، فنزل على بني كلبٍ ، وأسر خالدٌ عيينةَ بن حصن ، وبعثَ به إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه ، فدخل المدينةَ وهو كذلك فجعلَ الولدانُ والغلمانُ يطعنونه بأيديهم ، ويقولون : أي عدوَّ الله ، ارتددتَ عن الإسلام ؟ فيقول : والله ما كنتُ آمنتُ قطُّ ، فلما وقفَ بين يدي الصّدّيق استتابه وحقنَ دمه ، ثم حَسُنَ إسلامُه بعد ذلك ، وكذلك منَّ على قرّة بن هبيرة ، وكان أحد الأمراء مع طُلَيْحة ، فأسره مع عُيَيْنة ، وأما طُلَيْحة فإنه راجعَ الإسلام بعد ذلك أيضاً ، وذهب إلى مكةَ مُعتمراً أيامَ الصّدّيق ، واستحيى أن يواجهه مدةَ حياتِه ، وقد رجعَ فشهدَ القتالَ مع خالدٍ ، وكتبَ الصّدّيق إلى خالدٍ ، أن استَشِرْهُ في الحرب ولا تُؤَمِّره ـ يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرئاسة في الباطن ـ وهذا من فقه الصّدّيق رضي الله عنه وأرضاه .

وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طُلَيْحة ممَّنْ أسلمَ وحَسُنَ إسلامُه : أخبرنا عمّا كان يقولُ لكم طُلَيْحةُ من الوحي ، فقال : إنه كان يقول : الحمام واليمام ، والصُّرد الصَّوَّام ، قد صُمن قبلكم بأعوام ليبلغنَّ ملكنا العراقَ والشام ، إلى غير ذلك من الخرافات والهذيانات السمجة .

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره فكتب إليه : ليزدك ما أنعم الله به خيراً واتّقِ الله في أمرك ، فإن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم محسنون ، جدّ في أمرك ولا تلنْ ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكَّلْتَ به ، ومن أخذت ممن حادَّ الله أو ضادَّه ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتله .

فأقام خالد[١] ببُزاخةَ شهراً ، يُصعِّدُ فيها ويُصوِّبُ ويرجعُ إليها في طلب الذين وصّاه بسببهم الصديق ، فجعل يتردّد في طلب هؤلاء شهراً يأخذه بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدّوا ،

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٢) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٠) .

فمنهم من حرَّقَهُ بالنار ، ومنهم من رَضَخهُ بالحجارة ، ومنهم من رَمَى به من شواهقِ الجبال ، كلّ هذا ليعتبرَ بهم من يسمعُ بخبرهم من مُرْتدَّةِ العرب ، رضي الله عنه .

وقال الثوري عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : لما قدم وفد بُزَاخة ـ أسد وغطفان ـ على أبي بكر يسألونه الصلحَ ، خَيَّرهم أبو بكر بين حرب مجليَّة أو خطة مخزية ، فقالوا : يا خليفة رسول الله أما الحرب المجليَّة فقد عرفناها ، فما الخطة المخزية؟ قال : تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتتركون أقواماً يتبعون أذناب الإبل حتى يُرِيَ اللهُ خليفة نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به ، وتؤدّون ما أصبتم منا ، ولا نؤدي ما أصبنا منكم ، وتشهدون أنّ قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار ، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم ، فقال عمر : أما قولك : تدون قتلانا ، فإنّ قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم ، فامتنع عمر وقال عمر في الثاني : نعم ما رأيت .

ورواه البخاري[١] من حديث الثوري بسنده مختصراً .

وقعة أخرى

كان قد اجتمع طائفةٌ كثيرةٌ من الفُلاَّل[٢] يوم بُزاخة من أصحاب طُلَيْحة ، من بني غطفان فاجتمعوا إلى امرأةٍ يُقال لها : أم زمل ـ سلمى بنت مالك بن حذيفة ـ وكانت من سيِّداتِ العرب ، كأمِّها أمّ قِرفة ، وكان يُضربُ بأمها المثلُ في الشَّرفِ لكثرةِ أولادها[٣] وعزَّةِ قَبيلتها وبيتها ، فلما اجتمعوا إليها ذمرتْهم لقتال خالد ، فهاجوا لذلك ، وتأشَّبَ[٤] إليهم آخرون من بني سليم وطيِّء وهوازن وأسد ، فصاروا جيشاً كثيفاً وتفحَّل أمرُ هذه المرأة ، فلما سمعَ بهم خالد بن الوليد سار إليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً وهي راكبةٌ على جملِ أمِّها الذي كانَ يُقال له : منْ يَمسُّ جَمَلها فله مئةٌ من الإبلِ وذلك لعزِّها ، فهزمهم خالدٌ وعقرَ جَمَلها وقتلَها وبعثَ بالفتح إلى الصِّدّيق رضي الله عنه .

قصة الفجاءة[٥]

واسمه إياسُ بن عبد الله بن عَبد يا ليل بن عميرة بن خفاف من بني سليم ، قاله ابن إسحاق ، وقد كان الصّدّيق حرقَ الفجاءةَ بالبقيع في المدينة ، وكان سببه أنَّه قدمَ عليه فزعمَ أنه أسلمَ ، وسأل منه أن يجهز معه

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٢١) في الأحكام .

(٢) هم قوم فَلٌّ : منهزمون ، والجمع فُلول وفُلال . اللسان (فلل) . والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٧) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٠) .

(٣) ذكر الطبري أولادها : قُرفة وحَكَمة وجُراشة وزِمْلاً وحُصيناً وشَريكاً وعبداً وزُفَر ومُعاوية وحمَلة وقَيساً ولأياً .

(٤) تأشب : التجأ .

(٥) الخبر بأطول مما هنا في تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٠) .

جيشاً يقاتل به أهل الرِّدَّة ، فجهَّز معه جيشاً ، فلما سار جعلَ لا يمرّ بمسلم ولا مُرْتدٍّ إلا قتلَه وأخذَ ماله ، فلما سمعَ الصّديقُ بعث وراءه جيشاً فردَّه ، فلما أمكنَه بعثَ به إلى البقيع ، فَجُمعت يداه إلى قفاه وأُلقي في النار فحرقه وهو مقموط .

قصة سَجَاحِ وبني تميم[١]

كانت بنو تميم قد اختلفتْ أراؤُهم أيامَ الرِّدَّة ، فمنهم من ارتدَّ ومنعَ الزكاة ، ومنهم منْ بعثَ بأموالِ الصَّدقات إلى الصدِّيق ، ومنهم من توقف لينظر في أمره ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنتُ الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية من الجزيرة ، وهي من نصارى العرب ، وقد ادَّعتِ النبوَّة ومعها جنودٌ من قومها ومن التفَّ بهم ، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق ، فلما مرَّتْ ببلاد بني تميم دَعَتْهُمْ إلى أمرها ، فاستجابَ لها عامَّتُهم ، وكان ممَّن استجابَ لها مالكُ بن نُوَيْرة التميمي ، وعُطَاردُ بن حاجبٍ ، وجماعةٌ من سادات أمراء بني تميم ، وتخلَّفَ آخرون منهم عنها ، ثم اصطلحوا على أن لا حربَ بينهم ، إلا أن مالكَ بن نُوَيْرة لما وادعها ثناها عن عودها ، وحرَّضها على بني تميم ، ثم اتفق الجميعُ على قتال الناس ، وقالوا : بمن نبدأ ؟ فقالتْ لهم فيما تسجِّعُهُ : أعدّوا الرِّكاب ، واستعدّوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب . ثم إنهم تعاهدوا على نصرها ، فقال قائل منهم : [من الوافر]

أَتَتْنا أُختُ تغلِبَ في رجالٍ[٢] جلائِبَ من سُراةِ بني أبينا
وَأرسَتْ دَعْوةً فينا سَفاهاً وكانتْ من عَمائِرَ آخرينا
فما كنا لنرزيهم زبالاً وما كانت لتُسلمَ إذ أتينا
ألا سَفِهَتْ حلومُكمُ وضَلَّتْ عَشيَّةَ تَحشدُون لها ثُبينا

وقال عُطاردُ بن حاجبٍ في ذلك[٣] : [من البسيط]

أمستْ نبيَّتُنا أُنثَى نُطيفُ بها وأصبحَتْ أنبياءُ النَّاس ذُكرانا

ثُمَّ إنّ سَجَاحِ قصدتْ بجنودها اليمامةَ ، لتأخذَها من مُسَيْلمة بن حبيبِ الكَذّاب ، فهابه قومُها ، وقالوا : إنه قد استفحلَ أمره وعَظُمَ ، فقالت لهم فيما تقوله : عليكم باليمامَةْ ، دفُّوا[٤] دَفيف الحَمامة ، فإنّها غزوةُ صرامَةْ ، لا تلحقكُمْ بعدها ملامَةْ . قال : فعمدوا لحرب مُسَيلمةَ ، فلما سمعَ بمسيرها إليه خافها على بلاده ، وذلك أنه مشغولٌ بمقاتلةِ ثُمامة بن أُثالٍ ، وقد ساعدَه عكرمةُ بن أبي جَهْلٍ بجنودِ

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٧) وما بعدها ، والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٧) .
(٢) في تاريخ الطبري : فاستهدَّتْ .
(٣) البيت في أسد الغابة (٤/ ٤٣) .
(٤) دفَّ : أي حرك جناحيه من الطير كالحمام . القاموس (دف) .

المُسْلمين ، وهم نازلونَ ببعضِ بلادِه ينتظرون قدومَ خالدٍ كما سيأتي ، فبعثَ[١] إليها يستأمنُها ويضمنُ لها أن يعطيها نصفَ الأرضِ الذي كان لقريشٍ لو عدلَتْ ، فقد ردَّهُ الله عليك فحباك به ، وراسلَها ليجتمعَ بها في طائفةٍ من قومه ، فركبَ إليها في أربعينَ من قومِه ، وجاء إليها فاجتمعا في خيمةٍ ، فلما خلا بها وعرضَ عليها ما عرضَ من نصف الأرضِ ، وقبلت ذلك . قال مسيلمة : سمعَ الله لمن سمعْ ، وأطمعَهُ بالخير إذا طمعْ ، ولا يزالُ أمرُه في كل ما يسر مجتمعْ ، رآكم ربكم فحيّاكُمْ ، ومن وحشته أخلاكمْ ، ويوم دينه أنجاكم فأحياكم ، علينا من صلواتِ معشر أبرارْ ، لا أشقياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم الكبار ، ربِّ الغيوم والأمطار .

وقال أيضاً : لما رأيتُ وجوههم حسنتْ ، وأبشارهم صفتْ ، وأيديهم طَفُلَتْ[٢] ، قلت لهم : لا النساءَ تأتونْ ، ولا الخمر تشربونْ ، ولكنكم معشرٌ أبرارٌ تصومونْ ، فسبحان الله إذا جاءتِ الحياةُ كيف تَحْيَون ، وإلى ملك السماء كيف تَرْقَوْن . فلو أنها حبةُ خردلةٍ لقام عليها شهيدٌ يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثبور[٣] .

وقد كان مسيلمةُ لعنه الله شرعَ لمن اتبعه أن الأعزب يتزوج فإذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ ، إلا أن يموت ذلك الولد الذكر ، فتحل له النساء حتى يولد له ذكر ، هذا مما اقترحه لعنه الله ، من تلقاء نفسه .

ويقال : إنه لما خلا بسَجاحٍ سألها ماذا يُوحَى إليها ؟ فقالت : وهل يكونُ النساءُ يبتدئن ؟ بل أنت ماذا أوحيَ إليك ؟ فقال : ألم ترَ إلى ربّك كيف فَعَلَ بالحُبْلى ؟ أخرج منها نسمةً تَسْعى ، من بين صفاقٍ[٤] وحشاً . قالت : وماذا ؟ فقال : إنَّ اللهَ خلقَ للنساء أفراجاً[٥] ، وجعلَ الرجالَ لهن أزواجا ، فنولج فيهن قَعْساً[٦] إيلاجاً ، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجاً ، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً . فقالت : أشهد أنك نبيٌّ ؛ فقال لها : هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العربَ ؟ قالت : نعم ، فقال : [من الهزج]

ألا قومي إلى النَّيْكِ فقدَ هُيِّءْ لَكِ المَضْجَعْ
فَإنْ شِئْتِ فَفِي البَيْتِ وإنْ[٧] شِئْت ففي المَخْدَعْ
وإنْ شِئْتِ سَلْقناكِ وَإنْ شِئْتِ عَلَى أرْبَعَ

---

(١) في المطبوع : فبعثني ؛ خطأ . وما هنا للسياق .
(٢) طَفُل : صار ناعماً . اللسان (طفل) .
(٣) الثبور : الهلاك والويل . القاموس (ثبر) .
(٤) الصِّفاق : ككتاب : الجلد تحت الجلد الذي عليه الشعر ، وجلد البطن كله . القاموس (صفق) .
(٥) الأفراج كما يبدو جمع فرج ، قال ابن منظور : الفرج والجمع فروج ، لا يُكسَّر على غير ذلك . اللسان (فرج) .
(٦) القَعْس في المعاجم العربية : الناتيء ، والمعنى المقصود هنا لم يرد فيها لأنه مجاز يفهم من السياق .
(٧) في ط : إن ؛ ولا يستقيم الوزن بها ، وما هنا للوزن العروضي .

وإنْ شِئْتِ بِثُلْثَيْهِ وَإنْ شِئْتِ بِهِ أجْمَعْ

فقالت : بل به أجمع ، فقال : بذلك أوحي إليّ ، وأقامت عنده ثلاثة أيام ، ثم رجعت إلى قومها فقالوا : ما أصدقَكِ ؟ فقالت : لم يصدقني شيئاً ، فقالوا : إنه قبيحٌ على مثلك أن تتزوج بغير صَداق فبعثت إليه تسألُه صَداقاً ، فقال : أرسلي إليَّ مؤذنك ، فبعثته إليه ـ وهو شَبَث بن رِبعي ـ فقال : نادِ في قومك : إن مسيلمةَ بن حبيب رسولَ الله قد وضعَ عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد ـ يعني صلاة الفجرِ وصلاة العشاءِ الآخرةِ ـ فكان هذا صداقها عليه لعنهما الله . ثم انثنت سَجَاح راجعةً إلى بلادها وذلك حين بلغَها دنوُّ خالد من أرض اليمامة فكرّتْ راجعةً إلى الجزيرة بعدما قبضَتْ من مسيلمة نصفَ خراجِ أرضِهِ ، فأقامت في قومها بني تَغْلِب ، إلى زمان معاوية ، فأجلاهم منها عامَ الجماعة كما سيأتي بيانه في موضعه .

فصل

في خبرِ مالكِ بن نُوَيْرَةَ اليَرْبوعي التَّميمي(١)

كان قد صانع سَجاحِ حين قدمتْ من أرض الجزيرةِ ، فلما اتّصلتْ بمسيلمةَ لعنهما الله ، ثم ترحلت إلى بلادها ـ فلما كان ذلك ـ ندمَ مالكُ بن نُوَيْرَة على ما كان من أمره ، وتلوَّم في شأنه ، وهو نازل بمكان يقال له : البطاح ، فقصدها خالدٌ بجنوده ، وتأخّرت عنه الأنصار ، وقالوا : إنّا قد قضينا ما أمرنا به الصدِّيق ، فقال لهم خالد : إن هذا أمرٌ لا بدَّ من فعله ، وفرصةٌ لا بدَّ من انتهازها ، وإنه لم يأتني فيها كتابٌ ، وأنا الأمير وإليّ تردُ الأخبارُ ، ولست بالذي أجبركم على المسير ، وأنا قاصدٌ البطاحَ . فسارَ يومين ثم لحقَهُ رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار ، فلحقوا به ، فلما وصلَ البطاحَ وعليها مالك بن نوَيْرة ، فبثَّ خالدٌ السرايا في البطاح يدعونَ الناسَ ، فاستقبله أمراءُ بني تميم بالسمعِ والطاعةِ ، وبذلوا الزكوات ، إلَّا ما كانَ من مالك بن نويرة فإنّه متحيرٌ في أمره ، مُتَنحٍّ عن الناس ، فجاءَته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابَه ، واختلفت السريةُ فيهم ، فشهد أبو قتادة ـ الحارث بن ربعي الأنصاري ـ أنهم أقاموا الصلاةَ ، وقال آخرون : إنهم لم يُؤَذّنوا ولا صَلّوا ، فيقال : إن الأسارى باتوا في كبولهم(٢) في ليلة شديدةِ البردِ ، فنادى منادي خالدٍ : أن أدفئوا أسراكم ، فظنَّ القوم أنّه أراد القتلَ ، فقتلوهم ، وقتل ضرارُ بن الأزور مالكَ بن نُوَيْرة ، فلما سمعَ الداعية خرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

واصطفى خالد امرأةَ مالكِ بن نُوَيْرة وهي أم تميم ابنة المنهال ، وكانت جميلةً ، فلما حَلَّتْ بنى بها ، ويقال : بل استدعى خالدٌ مالكَ بن نويرة ، فأنّبه على ما صدر منه من متابعة سَجَاح ، وعلى منعِه الزكاة وقال : ألم تعلمْ أنها قرينةُ الصلاة ؟ فقال مالكٌ : إن صاحبَكم كان يزعمُ ذلك ، فقال : أهو صاحبُنا وليس

---

(١) أخبار ابن نويرة اليربوعي في تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٦) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٧) .

(٢) كبول : جمع كَبْل وهو القيد ـ ويكسر . القاموس (كبل) .

بصاحبك ؟ يا ضرار اضربْ عُنُقه ، فضُربت عنقه ، وأمر برأسه فجُعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدراً، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب ، من المُرْتدَّةِ وغيرهم ، ويقال : إن شَعْرَ مالكٍ جعلتِ النارَ تعملُ فيه إلى أن نضجَ لحمُ القِدر ولم تفرغ الشعر لكثرته ، وقد تكلّم أبو قتادة مع خالد فيما صنع ، وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق ، وتكلَّم عمرُ مع أبي قتادة في خالدٍ ، وقال للصدّيق : اعزلْهُ فإنَّ في سيفه رَهَقاً[١] ، فقال أبو بكر : لا أشيم[٢] سيفاً سلّه اللهُ على الكفار ، وجاء مُتمّم بن نُوَيْرة فجعل يشكو إلى الصديق خالداً ، وعمرُ يساعده وينشد الصديقَ ما قال في أخيه من المراثي، فوداه[٣] الصديق من عنده .

ومن قول متمم في ذلك : [من الطويل]

وكنّا كنُدْمانَيْ جَذيمةَ بُرهةً ... منَ الدَّهرِ حتّى قيلَ لن يتصدَّعا
وَعشْنا بِخَيرٍ ما حَيِيْنا وقَبلنا ... أبادَ المنايَا قومَ كِسْرى وتُبَّعا
فلمّا تَفرَّقنا كأنّي ومَالِكاً ... لِطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

وقال أيضاً : [من الطويل]

لقد لامني عِنْدَ القعورِ على البُكى ... رَفيقي لِتذْرافِ الدموعِ السَّوافِكِ
وَقال أتبكي كُلَّ قَبْرٍ رَأيْتَهُ ... لِقبرٍ ثوى بينَ اللِّوى فالدَّكادِكِ[٤]
فَقُلْتُ لهُ إنَّ الأسى يبعثُ الأسى ... فَدَعني فهذا كُلُّه قَبْر مالِكِ[٥]

والمقصودُ أنه لم يزلْ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يُحرِّضُ الصديقَ ويُذَمِّره[٦] على عزل خالد عن الإمرةِ ويقول : إن في سيفه لرهَقاً ، حتى بعثَ الصديقُ إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة ، وقد لبسَ درعَه التي من حديد ، وقد صَدِىءَ من كثرةِ الدماء ، وغرز في عمامته النشاب المُضمَّخ بالدماء ، فلما دخل المسجد قام إليه عمرُ بن الخطاب فانتزعَ الأسهم من عمامةِ خالدٍ فحطَّمها ، وقال : أرياءً قتلتَ امرأً مسلماً ثم نزوتَ على امرأته ، والله لأرجمنَّك بالجنادلِ . وخالد لا يكلّمُهُ ، ولا يظنُّ إلّا أنّ رأيَ الصديق فيه

---

(١) الرَّهقُ : ـ محركة ـ السَّفه ، والخفة وركوب الشرّ والظلم . القاموس (رهق) .
(٢) شام سيفه يشيمُه : غمده واستله ضد . القاموس (شيم) قلت : والمقصود هنا : لا أغمدُ .
(٣) وَدَاهُ (كدعاه) : أعطى ديته . القاموس (ودى) .
(٤) الدكادك ؛ بفتح أوله على لفظ جمع دَكْدك : موضع في بلاد بني أسد . قال متمم بن نويرة : فقال . . . البيت . ويروى ـ فالدوانك ـ وهو أيضاً هناك ، مجاور الدكادك ، وكان مالك بن نويرة أخو متمم المرثي بهذا الشعر قتل بالملا ـ وقبره هناك ـ والملا في بلاد بني أسد . قال الأصمعي : قدم متمم العراق فجعل لا يمرُّ بقبر إلا بكى عليه ، فقيل له : يموت أخوك بالملا وتبكي أنت على قبر بالعراق ؟ فقال هذه الأبيات . معجم ما استعجم (٥٥٤ ـ ٥٥٥) .
(٥) البيتان الثاني والثالث في معجم ما استعجم (٥٥٤ ـ ٥٥٥) .
(٦) الذَّمْرُ : الحض . القاموس (ذمر) .

كرأي عمر ، حتى دخلَ على أبي بكر فاعتذرَ إليه فعذره وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك وودى مالك بن نويرة ، فخرجَ من عنده وعمرُ جالسٌ في المسجد ، فقال خالد : هلمّ إليَّ يا بن أمِّ شملةَ ، فلم يردَّ عليه وعرفَ أنَّ الصديقَ قد رضيَ عنه ، واستمرَّ أبو بكر بخالدٍ على الإمرة ، وإن كان قد اجتهد في قتلِ مالك بن نويرة وأخطأَ في قتله ، كما أنَّ رسول الله ﷺ لما بعثه إلى بني جَذيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا : صبأنا صبأنا[١] ، ولم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فوداهم رسول الله ﷺ حتى ردَّ إليهم ميلغةَ[٢] الكلب ، ورفع يديه وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ومع هذا لم يعزل خالداً عن الإمرة .

مَقْتَلُ مُسَيْلَمَةَ الكَذّاب لعنه الله[٣]

لما رضيَ الصدِّيقُ عن خالد بن الوليد وعذَرَهُ بما اعتذرَ به ، بعثَه إلى قتالِ بني حنيفة باليمامة ، وأوعبَ[٤] معه المسلمون ، وعلى الأنصار ثابتُ بن قيس بن شمّاس ، فسار لا يمرّ بأحدٍ من المُرْتدّين إلّا نكَّلَ بهم ، وقد اجتازَ بخيولٍ لأصحاب سَجَاح فشرَّدَهُمْ وأمرَ بإخراجهم من جزيرة العرب ، وأردفَ الصديق خالداً بسريةٍ لتكونَ رِدْءاً[٥] له من ورائهِ وقد كان بعثَ قبله إلى مسيلمةَ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ ، وشرحبيلَ بن حسنةَ ، فلم يقاوما بني حنيفة ، لأنهم نحو أربعين ألفاً من المقاتلةِ ، فعجلَ عكرمةُ قبل مجيء صاحبه شرحبيل فناجزَهم فنُكب ، فانتظر خالداً ، فلما سمع مسيلمةُ بقدوم خالدٍ عسكر بمكانٍ يقال له : (عقربا) في طرف اليمامة والريفُ وراءَ ظهورهم ، وندبَ الناسَ وحثَّهم ، فحشدَ له أهلُ اليمامة ، وجعل على مَجْنبتي جيشه المحكم بن الطفيل ، والرَّجّال بن عُنْفوة بن نهشل .

وكان الرَّجَّال هذا صديقه الذي شهدَ له أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : إنه قد أشركَ معه مسيلمةَ بن حبيب في الأمر ، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضل أهل اليمامة ، حتى اتبعوا مُسيلمة ، لعنهما الله .

وقد كان الرَّجالُ هذا قد وفدَ إلى النبي ﷺ وقرأ البقرةَ ، وجاء زمَن الردّة إلى أبي بكر ، فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام ، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة .

قال سيف بن عمر[٦] عن طلحة ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة : كنت يوماً عند النبي ﷺ في رهطٍ معنا الرَّجَّال[٧] بن عُنْفوة ، فقال : « إنّ فيكم لرجلاً ضرسُه في النار أعظمُ من أُحدٍ » فهلكَ القومُ وبقيت أنا

---

(١) صبأ : خرج من دين إلى دين آخر . وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابىء ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام . اللسان (صبأ) .

(٢) المِيلغ والمِيلغةُ بكسرهما : الإناء يَلغُ فيه الكَلْبُ في الدَّم . القاموس (ولغ) .

(٣) أخبار مسيلمة الكذاب في تاريخ الطبري (٣/ ٢٨١ ـ ٣٠١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦٦) .

(٤) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو . اللسان (وعب) .

(٥) « الرِّدءُ » : العون والناصر . اللسان (ردأ) .

(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٧) .

(٧) في « طبقات ابن سعد » (١/ ٣١٦) رحّال بن عُنْفُوة .

والرَّجّال وكنت متخوفاً لها ، حتى خرجَ الرَّجّال مع مسيلمة ، وشهدَ له بالنبوة ، فكانت فتنةُ الرجّال أعظمَ من فتنة مسيلمة[١] .

رواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة .

وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة ، وعلى المَجْنبتين زيداً وأبا حذيفة ، وقد مرَّت المقدمة في الليل بنحو من أربعين وقيل ستين فارساً ، عليهم مجاعة بن مرارة ، وكان قد ذهب لأخذ ثأرٍ له في بني تميم وبني عامر وهو راجعٌ إلى قومه فأخذوهم ، فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدِّقهم ، وأمر بضربِ أعناقهم كلِّهم ، سوى مجاعة فإنه استبقاهُ مقيَّداً عنده ـ لعلمه بالحرب والمكيدة ـ وكان سيِّداً في بني حنيفة ، شريفاً مطاعاً ، ويقال : إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم : ماذا تقولون يا بني حنيفة ؟ قالوا : نقول منا نبي ومنكم نبي ، فقتلهم إلّا واحداً اسمه سارية ، فقال له : أيها الرجل إن كنتَ تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل ـ يعني مجاعة بن مرارة ـ فاستبقاه خالد مقيداً ، وجعله في الخيمة مع امرأته ، وقال : استوصي به خيراً ، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه : اليوم يوم الغيرة ، اليوم إن هُزمتم تُستنكح النساء سَبيّاتٍ ، ويُنكحن غيرَ حظيّاتٍ ، فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم .

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يُشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، ورايةُ المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، ورايةُ الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس ، والعرب على راياتها ، ومجاعة بن مرارة مقيَّدٌ في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد ، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمتِ الأعرابُ حتى دخلت بنو حنيفة خيمةَ خالد بن الوليد وهمّوا بقتل أم تميم ، حتى أجارها مجاعة وقال : نعمتِ الحُرَّةُ هذه ، وقد قُتل الرَّجّالُ بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة ، قتله زيدُ بن الخطاب .

ثم تذامر[٢] الصحابة بينهم . وقال ثابت بن قيس بن شماس : بئس ما عوَّدتم أقرانَكم ، ونادَوْا من كل جانب : أخلصنا يا خالد ، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمى البراء بن مالك ـ وكان إذا رأى الحرب أخذته العُرَوَاء[٣] فيجلس على ظهره الرجال حتى يبول في سراويله ، ثم يثور كما يثور الأسد . وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله .

وجعلت الصحابة يتواصَون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورةِ البقرةِ ، بَطَلَ السِّحْرُ اليوم ، وحفر ثابتُ بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصافِ ساقَيْه ، وهو حاملُ لواءِ الأنصارِ بعدما تحنَّطَ وَتكفَّنَ ، فلم

---

(١) الحديث في تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٩) وإتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧/ ١٨١) وإسناده ضعيف جداً .

(٢) تذامروا : تلاوموا على ترك الفرصة ، وقد تكون بمعنى تحاضُّوا على القتال . اللسان (ذمر) ، وفي المطبوع من تاريخ الطبري (٣/ ٢٩٠) : « تداعوا » ، ولكنها وردت كما هنا في مكان آخر (٣/ ٢٩١) .

(٣) العرواء : رعدة تصيب الإنسان ، وهي في الأصل : برد الحمى .

يزل ثابتاً حتى قُتل هناك ، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً ، وقال زيد بن الخطاب : أيها الناس عَضُّوا على أضراسكم ، واضربوا في عدوّكم وامضوا قدماً، وقال: والله لا أتكلَّمُ حتَّى يهزمهم اللهُ أو ألقىَ اللهَ فأكلِّمه بحجّتي، فقُتل شهيداً رضي الله عنه .

وقال أبو حذيفة : يا أهلَ القرآنِ زيِّنوا القرآنَ بالفِعال ، وحملَ فيهم حتى أبعدَهم وأصيب رضي الله عنه ، وحملَ خالدُ بن الوليد حتى جاوزَهم ، وسار لحيال مسيلمة وجعل يترقَّب أن يصلَ إليه فيقتلَه ، ثم رجع ثم وقف بين الصَّفَّيْن ودعا البراز ، وقال : أنا ابن الوليد العَوْدْ[١] ، أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادى بشعار المسلمين ـ وكان شعارهم يومئذ : يا محمداه ـ وجعل لا يبرز لهم أحدٌ إلا قتله ، ولا يدنو منه شيء إلا أكله .

ودارت رحى المسلمين ، ثم اقترب من مسيلمة ، فعرض عليه النَّصَفَ[٢] والرجوع إلى الحق ، فجعل شيطانُ مسيلمةَ يلوي عنقه ، لا يقبلُ منه شيئاً ، وكلّما أراد مسيلمةُ يقاربُ من الأمر صرفه عنه شيطانه ، فانصرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب ، وكل بني أبٍ على رايتهم ، يقاتلون تحتها ، حتى يعرفَ الناسُ من أين يُؤْتون ، وصبرت الصحابةُ في هذا الموطن صبراً لم يُعْهد مثلُه ، ولم يزالوا يتقدَّمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم ، وولى الكفارُ الأدبارَ ، واتَّبعوهم يقتلون في أقفائهم ، ويضعونَ السيوفَ في رقابهم حيث شاؤوا ، حتى ألجؤوهم إلى حديقة الموت ، وقد أشار عليهم محكَّمُ اليمامة ـ وهو محكَّم بن الطفيل لعنه الله ـ بدخولها ، فدخلوها وفيها عدوُّ الله مسيلمةُ لعنه الله ، وأدركَ عبد الرحمن بن أبي بكر محكمَ بن الطفيل فرماه بسهمٍ في عنقه وهو يخطب فقتله ، وأغلقتْ بنو حنيفة الحديقةَ عليهم ، وأحاط بهم الصحابةُ ، وقال البراءُ بن مالك : يا معشرَ المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة[٣] ، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها ، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقةَ من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المُرْتدَّةِ من أهل اليمامة ، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله ، وإذا هو واقفٌ في ثُلْمةِ جدارٍ كأنه جملٌ أورق[٤] ، وهو مُزْبدٌ يتساندُ ، لا يعقلُ من الغَيْظِ ، وكان إذا اعتراه شيطانُه أزبدَ حتى يخرج الزَّبَدُ من شِدْقَيْه ، فتقدّم إليه وحشيُّ بن حرب مولى جُبَيْر بن مُطْعِم ـ قاتل حمزة ـ فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر ، وسارع إليه أبو دُجانة سماك بن خرشة ، فضَربه بالسيْف فسقطَ ، فنادت امرأةٌ من القصر : وا أمير الوضاءة ، قتله العبدُ الأسود .

---

(١) « العَوْد » : الجمل المسن وفيه بقية وهو المدرَّب . اللسان (عود) والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٣١٧) .

(٢) النَّصَفُ والنَّصفةُ والإنصاف : اعطاء الحق . اللسان (نصف) .

(٣) في ط : الحديثة ؛ تحريف .

(٤) الأورق من الإبل : الذي في لونه بياض إلى سواد . وقال أبو عبيد : الأورق : أطيب الإبل لحماً وأقلها شدة على العمل والسير وليس بمحمود عندهم في عمله وسيره . اللسان (ورق) .

فكان جملة من قُتلوا في الحديقة وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وقيل : أحد وعشرون ألفاً ، وقتل من المسلمين ستمئة ، وقيل : خمسمئة ، فالله أعلم ، وفيهم من سادات الصحابة ، وأعيان الناس من يُذْكر بعد .

وخرج خالد وتبعه مجاعةُ بن مرارة يرسفُ في قيوده ، فجعل يريه القتلى ليعرّفه بمسيلمة ، فلما مرّوا بالرَّجّال بن عُنْفوة قال له خالد : أهذا هو ؟ قال لا ، والله هذا خيرٌ منه ، هذا الرَّجّال بن عُنْفُوة .

قال سيف بن عمر : ثم مرّوا برجلٍ أصفر أخنس[١] ، فقال : هذا صاحبكم ، فقال خالد : قبّحكم الله على اتّباعكم هذا .

ثم بعثَ خالدٌ الخيولَ حولَ اليمامة يلتقطونَ ما حول حصونها من مالٍ وسبيٍ . ثم عزمَ على غزو الحُصون ولم يكن بقيَ فيها إلا النساءُ والصبيانُ والشيوخُ الكبار ، فخدعه مجاعة فقال : إنّها ملأى رجالاً ومقاتلة ، فهلمّ فصالحني عنها ، فصالحه خالدٌ لما رأى بالمسلمين من الجَهد وقد كَلُّوا من كثرة الحروب والقتال ، فقال : دعني حتى أذهبَ إليهم ليوافقوني على الصلح ، فقال : اذهب . فسارَ إليهم مجاعة ، فأمر النساءَ أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون ، فنظر خالدٌ فإذا الشرفاتُ ممتلئةٌ من رؤوس الناس فظنهم كما قال مجاعة فانتظر الصلحَ ، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق . وردّ عليهم خالدٌ بعضَ ما كان أخذَ من السبي ، وساق الباقين إلى الصدِّيق .

وقد تسرَّى علي بن أبي طالب بجارية منهم ، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له : محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

وقد قال ضرار بن الأزور في غزوة اليمامة هذه : [من الطويل]

فلـو سُئِلـتْ عنّـا جَنـوبٌ لأخبـرَتْ ... عَشِيَّـةَ سَـالَـتْ عَقـرِبـاءٌ ومَلهَـمُ
وسـالَ بفـرعِ الـوادِ حتى تَـرَقْـرَقَـتْ ... حِجـارتُـهُ فيـه مـنَ القـومِ بـالـدَّمِ
عَشيَّـةَ لا تُغنـي الـرِّمـاحُ مكـانهـا ... وَلا النَّبْـلُ إلَّا المشرفـيُّ المُصمِّـمُ
فَـإن تَبتغـي الكفّـارَ غيـر مُسَيْلِـمٍ[٢] ... جنـوبٌ فـأنـي تـابـعُ الـدينِ مسلـمُ
أُجـاهـدُ إذ كـانَ الجِهـادُ غَنيمـةً ... ولَلَّـهُ بـالمـرءِ المجـاهـدِ أعلـمُ

وقد قال خليفة بن خياط[٣] ، ومحمد بن جرير[٤] ، وخلق من السلف : كانت وقعةُ اليمامة في سنة إحدى عشرةَ . وقال ابن قانع : في آخرها ، وقال الواقدي وآخرون : كانت في سنة ثنتي عشرة ، والجمع

---

(١) الخنس ، قريب من الفَطَس وهو لصوق القصبة بالوجنة وضِخمُ الأرنبة ، وقيل غير ذلك . اللسان (خنس) .

(٢) عند الطبري (٣/ ٢٩٧) : مُليحةٍ .

(٣) في تاريخه (ص١٠٧) .

(٤) تاريخه (٣/ ٣١٤) .

بينهـا أن ابتداءهـا في سنة إحدى عشرة ، والفراغ منهـا في سنة ثنتي عشرة ، والله أعلم .

ولما قدمت[١] وفود بني حنيفة على الصدّيق قال لهم : أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة ، فقالوا : أو تعفينا يا خليفةَ رسول الله . فقال : لا بدَّ من ذلك ، فقالوا : كان يقول : يا ضفدعُ بنتَ الضِّفْدعين نِقّي لكمْ تَنِقّين ، لا الماءَ تكدّرين ، ولا الشاربَ تمنعين ، رأسُكِ في الماء ، وذنبُكِ في الطِّين ، وكان يقول : والمُبْذراتِ زَرْعاً ، والحاصِداتِ حَصْداً ، والذّاريات قَمْحاً ، والطّاحنات طَحْناً ، والخَابزاتِ خبزاً ، والثّارداتِ ثَرْداً ، واللاّقماتِ لقماً ، إهالةً[٢] وسمناً ، لقد فضلتُمْ على أهلِ الوَبَر ، وما سبَقَكُمْ أهل المَدَر ، رفيقكم فامنعوه ، والمُعْتَرّ[٣] فآووه ، والنّاعي فواسوه .

وذكروا أشياءَ من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون ، فيقال : إنَّ الصّدّيق قال لهم : ويحكم ، أينَ كانَ يذهبُ بقولكم ؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ[٤] .

وكان يقول : والفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم[٥] طويل ، وكان يقول : والليل الدامسِ ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسد من رطبٍ ولا يابس . وتقدم قوله : لقد أنعمَ اللهُ على الحُبْلى ، أخرج منها نَسْمةً تَسْعى ، من بين صفاق وحشى ، وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السميج .

وقد أورد أبو بكر بن الباقلاني[٦] رحمه الله في كتابه إعجاز القرآن أشياء من كلام هؤلاء الجَهَلة المُتَنبئين كمُسيلمة وطُلَيْحة والأسود وسَجاحٍ وغيرهم ، مما يدلّ على ضعفِ عقولهم وعقولِ من اتَّبعهم على ضلالهم ومحالهم .

وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفدَ إلى مُسَيْلمة في أيّام جاهليته ، فقال له مُسيلمةُ : ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورةً وجيزةً بليغةً ، فقال : وما هي ؟ قال : أنزل عليه ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ ـ ٣] قال : ففكّر مسيلمةُ ساعةً ثم رفعَ رأسه فقال : ولقد أُنزلَ عليَّ مثلها ، فقال له عمرو :

---

(١) خبر الوفد في تاريخ الطبري (٣/ ٣٠٠) .

(٢) « الإهالة » : ما أذيبت من الشحم ، وقيل : الإهالة : الشحم والزيت ، وقيل : كل دهن أو تدم به إهالة ، والإهالة : الودك . اللسان (أهل) .

(٣) « المُعْتَرّ » : الفقير ، وقيل المتعرض للمعروف من غير أن يسأل . اللسان (عرر) .

(٤) في حديث أبي بكر رضي الله عنه ـ لما عرض عليه سجع مسيلمة ـ إن هذا لم يخرج من إل : أي من ربوبية . وقيل : الإلّ : الأصل الجيد أي لم يجىء من الأصل الذي جاء منه القرآن . وقيل : الإلّ : النسب والقرابة ، فيكون المعنى : هذا كلام غير صادر من مناسبة الحق والإدلاء بسبب بينه وبين الصّدّيق . النهاية (١/ ٦١) . واللسان (ألل) .

(٥) « زلوم » : يقصد خرطوم الفيل ، والزلمة تكون للمعزى في حلوقها متعلقة كالقرط . اللسان (زلم) .

(٦) إعجاز القرآن (٢٣٨ ـ ٢٣٩) دار المعارف بمصر .

وما هي ؟ فقال مسيلمة : يا وَبر[١] يا وَبر ، إنما أنتَ إيراد وصَدر ، وسائرك حَقْرٌ نَقْرٌ[٢] . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنكَ لتعلمُ أني أعلمُ أنكَ تكذبُ .

وذكر علماء التاريخ[٣] أنه كان يتشبَّهُ بالنبي ﷺ ، بلغه أن رسولَ الله ﷺ بَصَقَ في بئر فغزرَ ماؤُه ، فبصقَ في بئرٍ فغاض ماؤُه بالكلية ، وفي أخرى فصارَ ماؤه أُجاجاً[٤] ، وتوضَّأ وسقى بوضوء نخلاً فَيبستْ وهلَكتْ ، وأتى بولدان يُبَرِّكُ[٥] عليهم فجعلَ يَمْسحُ رؤوسَهم فمنهم من قَرَعَ رَأْسُهُ[٦] ، ومنهم من لَثَغَ لسانُه . ويقال : إنه دعا لرجلٍ أصابه وجعٌ في عينيه فمَسَحَهُما فَعَمي .

وقال سيف بن عمر[٧] ، عن خليد بن زفر النَّمري ، عن عمير بن طلحة ، عن أبيه : أنه جاء إلى اليمامة فقال : أين مُسيلمةُ ؟ فقال : مه رسول الله ، فقال : لا حتّى أراهُ ، فلما جاء قال : أنت مسيلمةُ ؟ فقال : نعم . قال : من يأتيكَ ؟ قال : رحمن[٨] ، قال : أفي نورٍ أم في ظُلْمةٍ ؟ فقال : في ظُلْمةٍ ، فقال أشهد أنَّك كذّابٌ وأن محمداً صادقٌ ، ولكن كذّابَ ربيعة أحبُّ إلينا من صادقِ مُضَر ، واتبعه هذا الأعرابيُّ الجلفُ لعنه الله حتى قُتل معه يوم عقرباء ، لا رحمه الله .

ذكرُ ردَّةِ أَهْلِ البَحْرين وعودهم إلى الإسلام[٩]

كان من خبرهم أنَّ رسولَ الله ﷺ كان قد بعثَ العلاءَ بن الحَضْرميّ إلى مَلِكِها ، المُنْذر بن ساوى العَبْدي ، وأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلامَ والعدلَ ، فلما توفي رسولُ الله ﷺ توفي المنذر بعدَه بقليلٍ ، وكان قد حضر عنده في مرضه عمرو بن العاص ، فقال له : يا عمرو هل كان رسولُ الله ﷺ يجعلُ للمريض شيئاً من ماله ؟ قال : نعم ، الثلث ، قال : ماذا أصنعُ به ؟ قال : إن شئتَ تصدقتَ به على أقربائك ، وإن شئت على المَحاويج ، وإن شئتَ جعلتَه صدقةً من بعدك حبساً محرماً ، فقال : إني أكرهُ

---

(١) « الوَبْر » : بسكون الباء : دُوَيّبةٌ على قدر السنَّور غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء ، حسنة العينين تكون بالغَوْر ، والعرب تقول : قالت الأرنب للوَبْر : وَبْرٌ وَبْرٌ ، عَجُزٌ وصَدْر ، وسائرك حَقْرٌ نقرٌ !! فقال لها الوَبْرُ : أرانِ أرانْ ، عجز وكتفانْ ، وسائرك أكلتان . اللسان (وبر) .

(٢) « الحَقْر » ـ في كل المعاني ـ الذلّة ، « والنَّقْر » : إتباع له وتوكيد . اللسان (حقر ونقر) .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .

(٤) « ماء أجاج » : أي مِلْحٌ ، وقيل : مُرٌّ ، وقيل : شديد المرارة ، وقيل : الأجاج ؛ شديد الحرارة . اللسان (أجج) .

(٥) « برَّكَ عليه » : أي : دعا له بالبركة . اللسان (برك) .

(٦) « قَرْعُ الرأس » : وهو أن يصلع فلا يبقى على رأسه شعر . اللسان (قرع) .

(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٦) .

(٨) في ط : رجس والتصحيح من الطبري .

(٩) أخبار ردة أهل البحرين في تاريخ الطبري (٣/ ٣٠١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٦٨) .

أن أجعله كالبَحيرةِ والسّائبة والوَصِيلةِ والحامِ[١] ، ولكنّي أتصدّقُ به ، ففعل ، وماتَ فكان عمرو بن العاص يتعجّب منه[٢] .

فلما مات المنذرُ ارتدَّ أهلُ البحرين وملَّكوا عليهم الغرور ، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر . وقال قائلهم : لو كان محمد نبياً ما مات ، ولم يبق بها بلدةٌ على الثبات سوى قريةٍ يقال لها جُواثا[٣] ، كانت أولَ قريةٍ أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في البخاري عن ابن عباس ، وقد حاصرهم المُرْتدون وضيَّقوا عليهم ، حتى منعوا من الأقوات وجاعوا جوعاً شديداً حتى فَرَّجَ اللهُ ، وقد قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف ، أحد بني بكر بن كلاب ، وقد اشتد عليه الجوع[٤] : [من الوافر]

ألا أبلغْ أبا بَكْرٍ رَسولاً وَفتيانَ المَدينةِ أجْمَعينا
فهَلْ لكُمُ إلى قومٍ كرامٍ قُعود في جُواثا مُحصرينا
كَأنَّ دِماءَهم في كُلِّ فجٍّ شُعاعُ الشمسِ يَغشى الناظرينا
تَوكلْنا على الرَّحْمٰنِ إنَّا وَجَدْنا الصَّبْرَ[٥] للمُتَوكِّلينا

وقد قام فيهم رجلٌ من أشرافهم ، وهو الجارود بن المُعلَّى ـ وكان ممَّن هاجروا إلى رسول الله ﷺ ـ خطيباً وقد جمعهم فقال : يا معشرَ عبد القيسِ ، إنّي سائلُكُم عن أمرٍ فأخبروني إن علمتموه ، ولا تُجيبوني إن لم تَعْلموه ، فقالوا : سلْ ، قال : أتعلمونَ أنَّه كان لله أنبياء قبلَ محمدٍ ؟ قالوا : نعم ، قال : تعلمونَه أم تَرَوْنَهُ ؟ قالوا : نعلمُه ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال : فإنَّ محمداً ﷺ ماتَ كما ماتوا ، وإني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالوا : ونحن أيضاً نشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(١) قال الزمخشري : كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر ، بحروا أذنها ، أي شقوها وحرّموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ومرعى ، وإذا لقيها المعيي لم يركبها . واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة . وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها . وقيل : كان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث . وإذا ولدت شاة أنثى فهي لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وإذا نتجت من صلب*الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . الكشاف (١/ ٦٨٤ـ٦٨٥) .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٠٢) .

(٣) جواثاء ـ بالضم وبين الألفين ثاء مثلثة يمدّ ويقصر ـ حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه سنة ١٢ عنوة . وقال ابن الأعرابي : جواثا ، مدينة الخط ، ورواه بعضهم جؤاثا بالهمزة . وجؤاثا أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة . وقال عياض : وبالبحرين أيضاً موضع يقال له : قصر جواثا ، ويقال : ارتدت العرب كلها بعد النبي ﷺ إلا أهل جواثا . معجم البلدان (٢/ ١٧٤) ومعجم ما استعجم (٤٠١) .

(٤) الأبيات في معجم البلدان (١/ ١٧٤ـ١٧٥) .

(٥) في معجم البلدان : وجدنا النصر .

رسول الله ، وأنتَ أفضلُنا وسيِّدنا ، وثَبَتوا على إسلامهم ، وتركُوا بقيةَ الناس فيما هم فيه[١]

وبعث الصديق رضي الله عنه كما قدمنا إليهم العلاءَ بن الحَضْرمي ، فلما دَنَا من البحرين جاءَ إليه ثُمامة بن أُثال في مَحْفلٍ كبيرٍ ، وجاء كل أمراءِ تلك النواحي فانضافوا إلى جيشِ العلاءِ بن الحَضْرمي ، فأكرمهم العلاءُ ورَحَّبَ[٢] بهم وأحسنَ إليهم ، وقد كان العلاء من ساداتِ الصحابةِ العلماءِ العُبَّادِ مجابي الدعوة ، اتَّفقَ له في هذه الغزوة أنه نزلَ منزلاً فلم يستقر الناسُ على الأرض حتى نَفَرتِ الإبلُ بما عليها من زادِ الجيش وخيامهم وشرابهم ، وبقوا على الأرض ليس معهم شيءٌ سوى ثيابهم ـ وذلك ليلاً ـ ولم يقدروا منها على بعيرٍ واحدٍ ، فركبَ الناسَ من الهمِّ والغم ما لا يُحدُّ ولا يُوصفُ ، وجعلَ بعضُهم يوصي إلى بعض ، فنادى منادي العلاء ، فاجتمعَ الناسُ إليه ، فقال : أيها الناسُ ألستم المسلمين ؟ ألستُم في سبيل الله ؟ ألستُم أنصارَ الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذل اللهُ منْ كانَ في مثل حالكم ، ونُودي بصلاةِ الصبحِ ، حين طلعَ الفجرُ فصلَّى بالناس ، فلما قضى الصلاةَ جثا على رُكبتيه وجثا الناسُ ، ونصبَ في الدعاء ورفع يديه وفعلَ الناسُ مثله حتى طلعتِ الشمسُ ، وجعلَ الناسُ ينظرون إلى سراب الشمس يلمعُ مرةً بعد أخرى ، وهو يجتهدُ في الدعاء فلمّا بلغَ الثالثةَ إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماءِ القَراح ، فمشى ومشى الناسُ إليه فشربوا واغتسلوا ، فما تعالى النهارُ حتى أقبلتِ الإبل من كلِّ فجٍّ بما عليها ، لم يفقدِ الناسُ من أمتعتهم سِلْكاً[٣] ، فَسَقوا الإبلَ عَللاً بعد نَهل . فكان هذا مما عاينَ الناس من آيات الله بهذه السرية .

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة ـ وقد حشدوا وجمعوا خلقاً عظيماً ـ نزل ونزلوا ، وباتوا مُتجاورين في المنازل ، فبينما المسلمون في الليل إذ سمعَ العلاءُ أصواتاً عاليةً في جيشِ المُرْتدين ، فقال : منْ رجلٌ يكشفُ لنا خبرَ هؤلاء ؟ فقام عبدُ الله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سُكارى لا يعقلون من الشراب ، فرجعَ إليه فأخبره ، فركبَ العلاءُ من فَوْره والجيشُ معه فكبسوا أولئك فقتلوهم قتلاً عظيماً ، وقلَّ منْ هربَ منهم ، واستولى على جميعِ أموالهم وحواصلهم وأثقالهم ، فكانت غنيمةً عظيمةً جسيمةً .

وكان الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائماً ، فقامَ دَهِشاً حين اقتحمَ المسلمون عليهم ، فركبَ جوادَهُ فانقطع ركابُه فجعلَ يقولُ : منْ يُصْلح لي ركابي ؟ فجاءَ رجلٌ من المسلمين في الليل فقال : أنا أصلحُها لك ، ارفع رجلك ، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه ، فقال له : أجْهزْ عليَّ ، فقال : لا أفعل ، فوقعَ صريعاً كلما مرَّ به أحدٌ يسأله أن يقتلَه فيأبى ، حتى مرَّ به قيسُ بن عاصم فقال له : أنا الحطم فاقتلني فقتله ، فلما وجدَ رجلَه مقطوعة ندمَ على قتله وقال : واسوأتاه ، لو أعلمُ ما به لم أحرِّكْهُ .

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٠٢) .

(٢) في ط : « وترحب » خطأ ، فلا وجود لهذا الفعل في العربية .

(٣) « السِّلكة » : الخيط الذي يخاط به الثوب ، وجمعه سِلْك وسُلُوك وأسلاك . اللسان (سلك) .

ثم ركبَ المسلمون في آثار المُنْهَزمين ، يقتلونَهم بكلِّ مَرْصَدٍ[١] وطريق ، وذهب مَنْ فرَّ منهم أو أكثرُهم في البحر إلى دَارِين[٢] ركبوا إليها السفن .

ثم شرع العلاءُ بن الحضرمي في قسْم الغنيمة ونقل الأثقال وفرغَ من ذلك . وقال للمسلمين : اذهبوا بنا إلى دَارين لنغزو منْ بها من الأعداء ، فأجابوا إلى ذلك سَريعاً ، فسارَ بهم حتَّى أتى ساحلَ البحر ليركبوا في السُّفُنِ ، فرأى أن الشُّقَّة بعيدةٌ لا يصلونَ إليهم في السفن حتى يذهبَ أعداءُ الله ، فاقتحمَ البحرَ بفرسه وهو يقولُ : يا أرحمَ الراحمين ، يا حكيمُ يا كريمُ ، يا أحدُ يا صمدُ ، يا حيُّ يا مُحيي ، يا قيّومُ ، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت يا ربَّنا . وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا ، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليجَ بإذن الله يمشون على مثل رملةٍ دمثةٍ فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل ، ولا يصلُ إلى ركبِ الخيلِ ، ومسيرتُه للسفنِ يومٌ وليلةٌ ، فقطعَه إلى الساحل الآخر فقاتلَ عدوَّه وقهرهم واحتازَ غنائمهم ثم رجعَ فقطَعَهُ إلى الجانبِ الآخر ، فعاد إلى موضعه الأول ، وذلك كلُّه في يومٍ ، ولم يتركْ من العدوّ مُخبراً ، واستاقَ الذَّراري والأنعام والأموالَ ، ولم يفقدِ المسلمون في البحر شيئاً سوى عَليقة[٣] فرس لرجلٍ من المسلمين ومع هذا رجعَ العلاءُ فجاءه بها .

ثم قسَمَ غنائمَ المسلمين فيهم ، فأصابَ الفارسُ ألفين والراجل ألفاً ، مع كثرةِ الجيش ، وكتبَ إلى الصديق فأعلمه بذلك ، فبعثَ الصديق يشكرُه على ما صنعَ .

وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر . وهو عفيف بن المنذر[٤] : [من الطويل]

ألَــمْ تَــرَ أنَّ الله ذَلَّــل بَحْـرَهُ ... وأنزلَ بِالكُفَّارِ إحدى الجلائِلِ
دَعونا إلى شقِّ البحارِ فجاءنا ... بِأعجب من فَلَقِ البحار الأوائِلِ

وقد ذكر سيفُ بن عمر التميمي[٥] أنه كان مع المسلمين في هذه المواقف والمشاهد التي رَأوْها من أمر العلاءِ ، وما أجرى الله على يديه من الكرامات ، رجل من أهل هَجَر راهب فأسلم حينئذ ، فقيل له : ما دعاكَ إلى الإسلام ؟ فقال : خشيتُ إن لم أفعلْ أن يمسخني الله ، لما شاهدتُ من الآياتِ . قال : وقد سمعتُ في الهواء وقتَ السَّحَر دعاءً ، قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم أنت الرحمنُ الرحيمُ ، لا إله غيرك والبديع ليس قبلك شيء ، والدائم غير الغافل ، والذي لا يموت ، وخالق ما يُرى وما لا يُرى ، وكلَّ يومٍ

---

(١) « المَرْصدُ » : الطريق . اللسان (رصد) .
(٢) دارين : فرضة بالبحرين ، بينها وبين الساحل يوم وليلة ، فتحت في أيام أبي بكر سنة ١٢ . معجم البلدان (٢/ ٤٣٢) .
(٣) « العليقة » : البعير والناقة يوجهه الرجل مع القوم إذا خرجوا ممتارين ويدفع إليهم دراهم يمتارون له عليها . اللسان (علق) .
(٤) البيتان في تاريخ الطبري (٣/ ٣١١) ومعجم البلدان (٢/ ٤٣٢) .
(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٣١٢) .

أنتَ في شأنٍ ، وعلمتَ اللَّهم كلَّ شيءٍ علماً ، قال : فعلمتُ أنَّ القوم لم يعانوا بالملائكة إلَّا وهم على أمر الله ، قال : فحسُنَ إسلامه وكان الصحابةُ يسمعون منه .

ذكرُ ردَّةِ أهلِ عُمان ومَهرَةِ[١] اليَمَنِ

أما أهل عُمان فنبغ[٢] فيهم رجلٌ يقال له : ذو التّاج لَقيطُ بن مالك الأَزدي ، وكان يُسَمَّى في الجاهلية الجُلَنْدَى ، فادّعى النُّبوَّة أيضاً ، وتابعَهُ الجَهَلَةُ من أهل عُمان ، فتغلَّب عليها وقهر جيفراً وعباداً وألجأهما إلى أطرافها ، من نواحي الجبال والبحر ، فبعثَ جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه ، فبعث إليه الصديق بأميرين وهما حذيفة بن محصن الحميري ، وعرفجة البارقي من الأزد ؛ حذيفة إلى عمان ، وعرفجة إلى مهرة ، وأمرهما أن يجتمعا ويتّفقا ويبتدئا بعُمان ، وحذيفة هو الأمير فإذا ساروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأمير .

وقد قدمنا أن عكرمةَ بن أبي جهل لمّا بعثه الصديقُ إلى مسيلمةَ وإتباعِه بشرحبيل بن حسنة ، عجَّل عكرمةُ وناهضَ مسيلمةَ قبلَ مجيءِ شرحبيل ليفوز بالظَّفر وحدَه ، فناله من مسيلمة قرحٌ والذين معه ، فتقهقر حتى جاء خالدُ بن الوليد ، فقهرَ مسيلمة كما تقدّم ، وكتب إليه الصديق يلومُه على تسرُّعه ، قال : لا أرينَّك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء ، وأمره أن يلحقَ بحذيفة وعرفجة إلى عُمان ، وكل منكم أميرٌ على جيشه وحذيفة ما دمتم بعمان فهو أمير الناس ، فإذا فرغتُم فاذهبوا إلى مهرة ، فإذا فرغتُم منها فاذهب إلى اليمن وحضرموت فكن مع المُهاجر بن أبي أمية ، ومن لقيته من المرتدة بين عمان إلى حضرموت واليمن فنكِّلْ به ، فسار عكرمةُ لما أمره به الصديق ، فلحق حذيفة وعرفجة قبل أن يصلا إلى عمان ، وقد كتب إليهما الصديق إن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السير من عُمان أو المقام بها ، فساروا فلما اقتربوا من عمان راسلوا جيفراً ، وبلغَ لقيطَ بن مالك مجيءُ الجيش ، فخرجَ في جموعه فعسكر بمكانٍ يقال له : دبا[٣] ، وهي مصر تلك البلاد وسوقُها العُظمى ، وجعل الذراري والأموال وراءَ ظهورهم ليكونَ أقوى لحربهم ، واجتمع جيفر وعباد بمكانٍ يقال له صُحار[٤] ، فعسكرا به وبعثا إلى أمراء الصديق فقدموا على المسلمين ، فتقابل الجيشان هنالك ، وتقاتلوا قتالاً شديداً ، وابتُلي المسلمون وكادوا أن يُولُّوا ، فمنَّ الله

---

(١) خبر ردة أهل عمان ومهرة اليمن في تاريخ الطبري (٣/ ٣١٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٧٢) ، وقال ياقوت : ومَهْرة ـ بالفتح ثم السكون ـ هكذا يرويه عامة الناس ، والصحيح : مَهرة بالتحريك وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه . وباليمن لهم مخلاف يقال بإسقاط المضاف إليه ، وبينه وبين عمان نحو شهر وكذلك بينه وبين حضرموت . معجم البلدان (٥/ ٢٣٤) .

(٢) نبغ منه شاعر : خرج ، ونبغ الشيء : ظهر اللسان (نبغ) .

(٣) دبا بفتح أوله والقصر : سوق من أسواق العرب بعمان وكانت قديماً قصبة عمان . معجم البلدان (٢/ ٤٣٦) .

(٤) « صُحار » : قصبة عُمان مما يلي الجبل ، وتؤام قصبتها مما يلي الساحل ، وقال البكري صحار في بلاد بني تميم باليمامة أو ما يليها . معجم البلدان (٣/ ٣٩٣) ومعجم ما استعجم (٨٢٥) .

بكرمه ولطفه أن بعثَ إليهم مَدداً ، في الساعة الراهنة من بني ناجية وعبد القيس ، في جماعةٍ من الأمراءِ ، فلما وصلوا إليهم كان الفتحُ والنصرُ ، فولَّى المشركون مُدْبرين ، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل ، وسَبَوا الذراري ، وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها ، وبعثوا بالخُمْس إلى الصديق رضي الله عنه مع أحد الأمراء ، وهو عرفجة ، ثم رجع إلى أصحابه .

وأما مهرة فإنهم لما فرغوا من عُمان كما ذكرنا ، سار عكرمة بالناس إلى بلاد مهرة ، بمن معه من الجيوش ومن أضيف إليهم ، حتى اقتحم على مَهرة بلادها ، فوجدهم جندين ؛ على أحدهما ـ وهم الأكثر ـ أميرٌ يُقالُ له : المصبح ، أحد بني محارب ، وعلى الجند الآخر أمير يُقال له : شخريت ، وهما مختلفان ، وكان هذا الاختلاف رحمةً على المؤمنين ، فراسل عكرمةُ شخريت فأجابه وانضاف إلى عكرمة فقوي بذلك المسلمون ، وضعف جأش المصبح ، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة ، فاغترّ بكثرةِ مَنْ مَعَهُ ومخالفةً لشخريت ، فتمادى على طغيانه فسار إليه عكرمةُ بمنْ معه من الجنود فاقتتلوا مع المصبح أشدَّ من قتال دبا المتقدم ، ثم فتحَ اللهُ بالظفر والنصر ، ففر المشركون وقتل المصبح ، وقتل خلقٌ كثيرٌ من قومه ، وغنم المسلمون أموالهم ، فكان في جملة ما غنموا ألفا نجيبة ، فَخَمَّسَ عكرمة ذلك كله وبعثَ بخُمْسه إلى الصديق مع شخريت ، وأخبره بما فتح الله عليه ، والبشارة مع رجل يقال له : السائب ، من بني عابد من مخزوم ، وقد قال في ذلك رجل يقال له علجوم : [من الطويل]

جَزى اللهُ شخريتاً وأفناء هاشم[1] وَفِرضمَ إذ سارَت إلينا الحلائبُ
جَزاءَ مُسيءٍ لم يُراقب لذمَّةٍ ولم يَرجُها فيما يُرجّى الأقاربُ
أعِكْرمُ لولا جَمعُ قومي وفِعلُهُم لضاقَت عليكُم بالفَضاءِ المذاهبُ
وكُنّا كمَن إقتادَ كَفّاً بأختِها وَحلَّتْ علينا في الدُّهورِ النوائِبُ

وأما أهل اليمن فقد قَدَّمنا أن الأسود العنسي لعنه الله لما نبغ باليمن ، أضلَّ خلقاً كثيراً من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتدَّ كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام ، وأنه لما قتله الأمراء الثلاثة قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي ، وداذويه ، وكان ما قدمنا ذكره ، ولما بلغهم موت رسول الله ﷺ ازداد بعضُ أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك ، أجارنا الله من ذلك ، وطمعَ قيسُ بن مكشوح في الإمرة باليمن ، فعمل لذلك ، وارتدّ عن الإسلام وتابَعَهُ عوامُّ أهل اليمن ، وكتب الصدِّيق إلى الأمراء والرؤساء ، من أهل اليمن أن يكونوا [عوناً إلى] فيروز والأبناء[2] على قيس بن مَكشوح حتى تأتيهم جنوده سريعاً ، وحرص قيس على قتل الأميرين الأخيرين ، فلم يقدر إلا على داذويه ، واحترز منه فيروز الديلمي ، وذلك أنه عملَ

(١) في تاريخ الطبري (٣/ ٣١٧) : هيْشم .
(٢) الأبناء : قوم من أبناء فارس أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتديّروها وتزوجوا من العرب . فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . اللسان (بنى) .

طعاماً وأرسل إلى داذويه أولاً ، فلما جاءه عجَّلَ عليه فقتلَهُ ، ثم أرسلَ إلى فيروز ليحضرَ عنده فلما كان ببعض الطريق سمع امرأةً تقول لأخرى : وهذا أيضاً والله مقتولٌ كما قُتل صاحبُه ، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل داذويه ، وخرج إلى أخواله خولان فتحصَّن عندهم وساعدته عقيلٌ ، وعكٌّ وخلقٌ .

وعمد قيسٌ إلى ذراري فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن ، وأرسل طائفة في البر وطائفة في البحر ، فاحتدّ فيروزُ فخرجَ في خلقٍ كثيرٍ ، فتصادفَ هو وقيسٌ فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم قيساً وجنده من العوام ، وبقية جند الأسود العنسي ، فهزموا في كل وجه وأسر قيسٌ وعمرو بن معديكرب ، وكان عمرو قد ارتدَّ أيضاً ، وبايع الأسودَ العنسيَّ ، وبعث بهما المُهاجر بن أبي أمية إلى أبي بكر أسيرين ، فعنَّفَهما وأنّبهما ، فاعتذرا إليه فقبل منهما علانيتهما ، ووكل سرائرهما إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأطلقَ سراحهما وردّهما إلى قومهما .

ورجعت عمَّالُ رسول الله ﷺ الذين كانوا باليمن إلى أماكنهم التي كانوا عليها في حياته عليه السلام بعد حروبٍ طويلة ، لو استقصينا إيرادها لطال ذكرها ، ومُلَخصُها أنه ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصلَ في أهلها ردَّةٌ لبعض الناس ، فبعثَ الصدِّيقُ إليهم جيوشاً وأمراء يكونون عوناً لمن في تلك الناحية من المؤمنين فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطنٍ من تلك المواطن إلا غلب جيشُ الصدِّيق لمن هناك من المرتدين ، ولله الحمد والمنة ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وغنموا مغانم كثيرة ، فيتقوون بذلك على منْ هنالك ، ويبعثون بأخماسِ ما يغنمون إلى الصديق فينفقه في الناس فيحصل لهم قوةُ أيضاً ويستعدُّون به على قتال من يريدون قتلهم من الأعاجم والروم ، على ما سيأتي تفصيله .

ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلَّا أهل طاعة لله ولرسوله ، وأهل ذمة من الصديق ، كأهل نجران وما جرى مجراهم ولله الحمد .

وعامة ما وقع من هذه الحروب كان في أواخر سنة إحدى عشرة وأوائل سنة ثنتي عشرة .

ولنذكر بعد إيراد هذه الحوادث منْ توفي في هذه السنة من الأعيان والمشاهير وبالله المستعان .

وفيها رجع معاذ بن جبل من اليمن .

وفيها استبقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

ذكر من توفي في هذه السنة

أعني سنة إحدى عشرة من الأعيان والمشاهير ، وذكرنا معهم من قتل باليمامة لأنها كانت سنة إحدى عشرة على قول بعضهم ، وإن كان المشهور أنها في ربيع سنة ثنتي عشرة .

توفي فيها رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وذلك في ربيعها الأول يوم الإثنين ثاني عشرهِ على المشهور ، كما قدمنا بيانه .

وبعده بستة أشهر على الأشهر ، توفيت ابنته فاطمةُ[١] رضي الله عنها ، وتُكْنَى بأم أبيها ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه عهد إليها أنها أول أهله لحوقاً به ، وقال لها مع ذلك : « أما ترضين أن تكوني سيدةَ نساءِ أهل الجنة ؟ »[٢] وكانت أصغرَ بناتِ النبي ﷺ على المشهور ولم يبق بعده سواها ، فلهذا عَظم أجرها لأنّها أُصيبت به عليه الصلاة والسلام ، ويقال : إنها كانت توأماً لعبد الله ابن رسول الله ﷺ وليس له عليه الصلاة والسلام نسلٌ إلَّا من جهتها .

قال الزبير بن بكار : وقد رُوي أنَّه عليه الصلاة والسلام ليلةَ زفافِ عليٍّ على فاطمةَ توضَّأ وصبَّ عليه وعلى فاطمةَ ودعا لهما أن يباركَ في نسلهما . وقد تزوجها ابنُ عمها عليُّ بن أبي طالب بعد الهجرة ، وذلك بعد بدر . وقيل : بعد أحدٍ ، وقيل : بعد تزويج رسول الله ﷺ عائشةَ بأربعةِ أشهر ونصف ، وبنى بها بعد ذلك بسبعةِ أشهرٍ ونصف ، فأصدقَها درعَه الحُطَمية[٣] وقيمتُها أربعمئة درهم ، وكان عمرُها إذ ذاك خمسَ عشرةَ سنةً وخمسة أشهر ، وكان عليٌّ أسنَّ منها بستِّ سنين .

وقد وردتْ أحاديثُ موضوعةٌ في تزويج عليٍّ بفاطمة لم نذكرها رغبة عنها .

فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً وأم كلثوم ـ التي تزوجَ بها عمرُ بن الخطاب بعد ذلك ـ .

وقد قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا حماد ، أنبأنا عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن علي : أنَّ رسول الله لما زوَّجهُ فاطمةَ بعَثَ معها بخميلةٍ ووسادةٍ من أدم حشوها ليفٌ ، ورحى وسقاء وجرَّتين ، فقال علي لفاطمة ذات يوم : والله لقد سنوتُ[٥] حتى لقد اشتكيتُ صدري ، وقد جاء الله أباك بسبيٍ فاذهبي فاستخدميه ، فقالت : وأنا واللهِ لقد طحنتُ حتى مجلت[٦] يداي ، فأتت النبيَّ ﷺ فقال : « ما جاء بك أي بنية ؟ » قالت : جئتُ لأسلِّم عليك ـ واستَحْيَتْ أن تسألَه ـ ورجعتْ ، فقال : ما فعلتِ؟ قالت : استحييتُ أن أسأله ، فأتياه جميعاً ، فقال علي : يا رسولَ الله والله لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيتُ صدري ، وقالت فاطمة : لقد طَحَنْتُ حتى مَجَلَتْ يداي ، وقد جاءكَ الله بسبيٍ وسَعة فأخدمنا ، فقال : « والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفَّة تَطْوَى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم »[٧] فرجعا فأتاهما رسول الله ﷺ وقد

---

(١) ترجمة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٢) والاستيعاب (٤/ ١٨٩١) وأسد الغابة (٧/ ٢١٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨ ـ ١٣٤) والإصابة (٤/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠) .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٢٤) ومسلم رقم (٢٤٥٠) (٩٨) و(٩٩) .

(٣) الحُطَميَّةُ : دروع كانت تنسب إلى رجل كان يعملها وكان لعلي رضي الله عنه درع يقال لها : الحطميَّة وهي التي تحطم السيوف أي تكسرها ، وقيل : هي العريضة الثقيلة ، وقيل : هي منسوبة إلى بطن من عبد قيس يقال لهم حُطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع . قال : وهذا أشبه الأقوال . اللسان (حطم) .

(٤) مسنده (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧) رقم (٨٣٨) وإسناده حسن ، وهو حديث صحيح .

(٥) سنوت ، ونسنو أي نستقي . النهاية (٢/ ٤١٥) واللسان (سنا) .

(٦) مجلت : تقرَّحت من العمل .

(٧) بعد هذا في المسند : « ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم » .

دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطت أقدامهما تكشفت رؤوسهما ، فثارا ، فقال : مكانكما ، ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ قالا : بلى ، قال : « كلمات علمنيهن جبريل ، تُسَبِّحانِ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشراً ، وتحمدانِ عشراً ، وتكبِّران عشراً ، وإذا آويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبِّرا أربعا وثلاثين » قال : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ ، قال : فقال له ابن الكوا : ولا ليلة صفّين ؟ فقال : قاتلكم الله يا أهل العراق ، نعم ولا ليلة صفين .

وآخر هذا الحديث ثابتٌ في الصَّحيحين[١] من غير هذا الوجه ، فقد كانت فاطمةُ صابرةً مع عليٍّ على جَهْدِ العيشِ وضيقِه ، ولم يتزوجْ عليها حتى ماتَتْ ، ولكنّه أرادَ أن يتزوجَ في وقتٍ بدرةً[٢] بنت أبي جهل ، فأنف رسول الله ﷺ من ذلك ، وخطب الناسَ فقال : « لا أحرِّمُ حلالاً ولا أحلّ حراماً ، وإنّ فاطمةَ بضعةٌ مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها ، وإني أخشى أن تُفْتن عن دينها ، ولكن إني أحبُّ ابنَ أبي طالب أن يطلِّقَها ويتزوجَ بنتَ أبي جهل ، فإنّه واللهِ لا تجتمعُ بنتُ نبيِّ الله وبنت عدوِّ اللهِ تحتَ رجُلٍ واحدٍ أبداً »[٣] قال : فترك عليٌّ الخطبة .

ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقةٌ »[٤] فسألتْ أن يكونَ زوجُها ناظراً على هذه الصدقة فأبى ذلك ، وقال : إني أعول منْ كان رسول الله يعول ، وإني أخشى إن تركتُ شيئاً مما كان رسول الله ﷺ يفعله أن أضلَّ ، ووالله لقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي ، فكأنها وجدت في نفسها من ذلك ، فلم تزل تبغضه مدة حياتها ، فلما مرضت جاءها الصديقُ فدخلَ عليها فجعلَ يترضّاها وقال : واللهِ ما تركتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعشيرةَ إلّا ابتغاء مرضاةِ الله ومرضاةِ رسوله ومرضاتكم أهلَ البيت ، فرضيتْ رضي الله عنهما .

رواه البيهقي[٥] من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، ثم قال : وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح .

ولما حضرتها الوفاة أوصتْ إلى أسماء بنت عُمَيْس ـ امرأة الصديق ـ أن تُغَسِّلَها ، فَغَسَّلَتْها هي وعليُّ بن أبي طالب ، وسلمى أم رافع ، قيل : والعبّاسُ بنُ عبد المطلب .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ـ (٣٧٠٥) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه ـ (٢٧٢٧) (٨٠) في الذكر والدعاء .

(٢) في جامع الأصول (١٣/ ٢٨٠) هي جويرية ، وقيل جميلة .

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٦) بألفاظ متقاربة ، والبخاري في صحيحه (٣١١٠) في فرض الخمس ، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٩) (٩٥) في فضائل الصحابة .

(٤) حديث صحيح سبق تخريجه في خلافة أبي بكر الصديق من هذا الجزء .

(٥) في السنن الكبرى (٦/ ٢٩٨) ودلائل النبوة (٧/ ٢٨٠) .

وما رُوي من أنّها اغتسلتْ قبلَ وفاتها وأوصتْ أن لا تُغسَّلَ بعد ذلك فضعيفٌ لا يُعوَّلُ عليه ، والله أعلم .

وكان الذي صلَّى عليها زوجُها عليٌّ ، وقيل : عمُّها العباسُ ، وقيل أبو بكر الصديق ، فالله أعلم . ودُفنت ليلاً وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلونَ من رمضان سنة إحدى عشرة وقيل : إنها توفيت بعدَه عليه السلام بشهرين ، وقيل : بسبعين يوماً ، وقيل : بخمسة وسبعين يوماً ، وقيل : بثلاثة أشهر ، وقيل : بثمانية أشهر ، والصحيح ما ثبت في الصحيح[١] من طريق الزُّهري عن عروة عن عائشة : أن فاطمة عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر ، ودفنت ليلاً ، ويقال إنّها لم تَضْحك في مدة بقائها بعده عليه السلام ، وأنّها كانت تذوبُ من حُزْنها عليه ، وشوقها إليه .

واختلف في مقدار سنّها يومئذ فقيل : سبع ، وقيل : ثمانٍ وقيل : تسع وعشرون ، وقيل : ثلاثون ، وقيل : خمس وثلاثون سنة ، وهذا بعيد وما قبله أقرب منه ، والله أعلم .

ودفنت بالبقيع ، وهي أول من سُتر سريرها .

وقد ثبت في الصحيح[٢] أن عليّاً كان له وجهٌ من الناس حياة فاطمة ، فلما ماتت التمس مبايعة الصدِّيق فبايعه كما هو مروي في البخاري ، وهذه البيعة لإزالة ما كان وقع من وحشةٍ حصلت بسبب الميراث ، ولا ينفي ما ثبتَ من البيعة المتقدمة عليها كما قررنا ، والله أعلم .

ومِمَّنْ تُوفِّي هذه السنة :

أمَ أيمن بَرَكَةُ[٣] بنت ثَعْلَبَة بن عَمْرو بن حِصْن[٤] بن مالك بن سَلَمة بن عَمْرو بن النُّعمان ، مولاةُ رسول الله ﷺ ورثها من أبيه ، وقيل من أمه ، وحضنتْهُ وهو صغير ، وكذلك بعد ذلك ، وقد شربت بولَهُ ، فقال لها : لقد احتظرت بحظار[٥] من النار ، وقد أعتقها وزوَّجها عُبيداً[٦] فولدت منه ابنها أيمن فعرفت به ، ثم تزوجها زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ، فولدت أسامة بن زيد ، وقد هاجرت الهجرتين إلى

---

(١) صحيح الإمام البخاري (٤٢٤٠) و(٤٢٤١) في المغازي ، وصحيح مسلم (١٧٥٩) (٥٢) في الجهاد والسير .

(٢) نفس المصادر السابقة وصحيح ابن حبان (٤٨٢٣) في السير .

(٣) ترجمة ـ أم أيمن ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧) والاستيعاب (٤/ ١٧٩٣) وأسد الغابة (٧/ ٣٧) وجامع الأصول (١٢/ ١٧٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٩) والإصابة (٤/ ٤٣٢ ـ ٤٣٤) والشذرات (١/ ١٣٥) .

(٤) في ط : « حُصين » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في تهذيب الكمال (٣٥/ ٣٢٩) وفروعه ، والاستيعاب (٤/ ١٧٩٣) والإصابة وغيرها .

(٥) في ط : احتضرت بحضار ؛ خطأ . ومعنى احتظرت بحظار : لقد احتميت بحمى عظيم من النار يقيك حرّها ويؤمنك دخولها . النهاية (١/ ٤٠٤) واللسان (حظر) .

(٦) هو عُبيد بن الحارث الخزرجي .

الحبشة والمدينة ، وكانت من الصالحات ، وكان عليه السلام يزورها في بيتها ويقول : هي أمي بعد أمي ، وكذلك كان أبو بكر وعمر يزورانها في بيتها ، كما تقدم ذلك في ذكر الموالي ، وقد توفيت بعده عليه الصلاة والسلام بخمسة أشهر وقيل بستة أشهر .

ومنهم :

ثابتُ(١) بن أقْرم بن ثَعْلبة بن عَدِيّ بن العَجْلان البَلَوي ، حليف الأنصار ، شهدَ بدراً وما بعدها، وكان ممَّن حَضَرَ مُؤْتَةَ فلما قُتِلَ عبدُ الله بن رَوَاحةَ دُفعت الرايةُ إليه فسلَّمها لخالدِ بن الوليد ، وقال : أنت أعلمُ بالقتالِ منّي ، وقد تقدَّم أن طُليحة الأسدي قَتَله وقتلَ معه عُكَّاشةَ بن مِحْصن وذلك حين يقول طُلَيْحةُ(٢) :

[من الطويل]

عشِيَّـةَ غـادرتُ ابـن أقـرم ثـاوِيـاً وعُكّـاشَـةَ الغَنمـيَّ تحـتَ مَجـالِ

وذلك في سنة إحدى عشرة ، وقيل سنة ثِنْتي عشرةَ ، وعن عروة أنه قُتل في حياةِ النبي ﷺ وهذا غريب ، والصحيح الأول ، والله أعلم .

ومنهم :

ثابتُ بن قيس بن شَمَّاس(٣) **الأنْصاري الخَزْرجي** ، أبو محمد خطيبُ الأنصار ويقال له أيضاً : خطيب النبي ﷺ وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه بشَّره بالشهادة ، وقد تقدم الحديث في دلائل النبوة ، فقُتل يوم اليمامة شهيداً ، وكانت راية الأنصار يومئذ بيده .

وروى الترمذي(٤) بإسناد على شرط مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نعم الرجل ثابتُ بن قيس بن شمّاس » .

وقال أبو القاسم الطبراني(٥) : حدثنا أحمد بن المعلّى الدمشقي : حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عطاء الخراساني قال : قدمتُ المدينةَ فسألتُ عمَّن يحدثني بحديث ثابت بن قيس بن شَمّاس ، فأرشدوني إلى ابنته ، فسألتها فقالت : سمعت أبي يقول :

---

(١) ترجمة ـ ثابت بن أقرم ـ في الاستيعاب (١/ ١٩٩) ، وأسد الغابة (١/ ٢٦٥) والإصابة (١/ ١٩٠) .

(٢) مر تخريج الأبيات وخبر قتله ص١٧ من هذا الجزء .

(٣) ترجمة ـ ثابت بن قيس ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٦) والاستيعاب (٢/ ٢٠٠) وجامع الأصول (١٣/ ٢١٨ ـ ٢١٩) وأسد الغابة (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٨ ـ ٣١٤) والإصابة (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .

(٤) الجامع (٣٧٩٥) في المناقب . وقال هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث سهيل . قال بشار : وهو كما قال ، وإنما اقتصر على تحسينه لغرابة في متنه وللاختلاف في وصله وإرساله ، كما هو مبين في تخريجه .

(٥) في المعجم الكبير رقم (١٣٢٠) .

لما أُنزلَ على رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ [لقمان : ١٨] اشتدَّتْ على ثابتٍ وغلقَ عليه بابَه ، وطفِقَ يبكي ، فأُخبر رسول الله ، فسأله فأخبره بما كَبُرَ عليه منها ، وقال : أنا رجلٌ أحبُّ الجَمال ، وأن أَسُودَ قومي ، فقال : « إنّك لست منهم ، بل تعيش بخير وتموت بخير ، ويُدْخلكَ اللهُ الجنةَ » . فلما أنزل على رسول الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ [الحجرات ٢] فعلَ مثلَ ذلك ، فأخبر النبيُّ ﷺ فأرسلَ إليه فأخبره بما كَبُر عليه منها ، وأنه جَهيرُ الصَّوت ، وأنه يتخَوَّفُ أن يكونَ ممَّنْ حَبِطَ عملُه ، فقال : « إنك لستَ منهم ، بل تعيشُ حميداً وتُقتلُ شهيداً ويُدخلكَ اللهُ الجنة » فلما استنفر أبو بكر المسلمين إلى أهل الردَّةِ واليمامةِ ومُسَيْلمة الكذابّ ، سار ثابت فيمنْ سارَ ، فلما لَقُوا مسيلمة وبني حنيفة هزموا المسلمين ثلاث مرات ، فقال ثابتٌ وسالمٌ مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنَّا نقاتلُ مع رسول الله ﷺ ، فجعلا لأنفسهما حفرةً فدخلا فيها فقاتلا حتى قُتلا .

قالت : وأُرِيَ رجلٌ من المسلمين ثابتَ بن قيس في منامه فقال : إني لما قُتلت بالأمس مرَّ بي رجلٌ من المسلمين فانتزعَ منيّ درعاً نفيسةً ومنزلُه في أقصى العسكر وعند منزله فرسٌ يَسْتَنُّ[1] في طوله ، وقد أكفأ على الدرع بُرْمةً ، وجعل فوق البُرْمة رَحْلا ، وائت خالد بن الوليد فليبعث إلى درعي فليأخذها ، فإذا قدمتَ على خليفة رسول الله فأعلمه أنَّ عليَّ من الدَّين كذا ، ولي من المال كذا ، وفلان من رقيقي عتيق ، وإيّاك أن تقول : هذا حلم فَتُضيِّعه ، قال : فأتى خالداً فوجَّه إلى الدرع فوجدها كما ذكر ، وقدم على أبي بكر فأخْبَرهُ ، فأنفذَ أبو بكر وصيَّتهُ بعد موته ، فلا نعلم أحداً جازَتْ وصيَّتهُ بعد موته إلَّا ثابت بن قيس بن شمّاس[2] .

ولهذا الحديث وهذه القصة شواهد أخر . والحديث المتعلق بقوله : ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ في صحيح مسلم[3] عن أنس .

وقال حماد بن سلمة : عن ثابت عن أنس : أن ثابت بن قيس بن شمَّاس ، جاء يوم اليمامة وقد تحنّط ونشر أكفانه وقال : اللهم إنّي أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، وأعتذرُ إليك مما صنعَ هؤلاء ، فقُتل وكانت له درعٌ فسُرقت فرآه رجل فيما يرى النائم فقال : إن درعي في قدر تحتَ الكانون في مكان كذا وكذا ، وأوصاه بوصايا ، فطلبوا الدرع فوجدوها ، وأنفذوا الوصايا . رواه الطبراني[4] أيضاً .

---

(١) في ط : تبن ، وهو تحريف . وما هنا عن مصادره ، واستنّ الفرسُ يَسْتنُّ استناناً أي : عَدا لمرحه ونشاطه لطول حبله . النهاية (٣/ ٤١٠) واللسان (سنن) .
(٢) في إسناد هذا الحديث بنت ثابت بن قيس بن شماس مجهولة ، ولكن القصة كما قال المصنف لها شواهد .
(٣) صحيح مسلم (١١٩) (١٨٨) في الإيمان .
(٤) المعجم الكبير رقم (١٣٠٧) .

ومنهم :

حَزْنُ[١] بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ[٢] بن عمران المَخْزُومي ، له هجرةٌ : ويقال : أسلم عامَ الفتح ، وهو جدُّ سعيد بن المُسَيّب . أراد رسولُ الله ﷺ أن يسميه سَهْلاً فامتنعَ وقال : لا أغيّرُ اسماً سمانيه أبواي ، فلم تزل الحزونة فينا[٣] . استُشهد يومَ اليمامة . وقتل معه أيضاً ابناه عبد الرحمن ووهب ، وابن ابنه حكيمُ بن وَهْبِ بن حزن .

وممَّنِ استُشهد في هذه السنة داذَويه الفارسي أحدُ أمراءِ اليمنِ الذين قتلوا الأسودَ العَنْسي ، قتله غيلةً قيسُ بن مَكْشوح حين ارتدَّ قبل أن يرجعَ إلى الإسلام ، فلما عنَّفه الصدِّيقُ على قتله أنكر ذلك ، فقبل علانيته وإسلامه .

ومنهم :

زيدُ[٤] بن الخطاب بن نُفَيْل القُرشي العَدَوي أبو محمد ، وهو أخو عمر بن الخطّاب لأبيه ، وكان زيدٌ أكبر من عمر ، أسلم قديماً ، وشهدَ بدراً ، وما بعدها ، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عديّ الأنصاري وقد قُتلا جميعاً باليمامة ، وقد كانت رايةُ المهاجرين يومئذ بيده ، فلم يزل يتقدَّم بها حتى قُتل فسقطت ، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة ، وقد قتل زيد يومئذ الرّجّال بن عُنفوة ، واسمه نهار ، وكان الرَّجَّال هذا قد أسلم وقرأ البقرة ثم ارتدَّ ورجعَ فصدَّق مسيلمةَ وشهد له بالرسالة ، فحصل به فتنة عظيمة ، فكانت وفاته على يد زيد ، رضي الله عن زيد . ثم قتلَ زيداً رجل يقال له : أبو مريم الحنفي ، وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر : يا أميرَ المؤمنين إن الله أكرم زيداً بيدي ولم يُهنِّي على يده ، وقيل : إنما قتله سلمةُ بن صبيح ابن عمِّ[٥] أبي مريم هذا ، ورجَّحه أبو عمر[٦] وقال : لأن عمر استقضى أبا مريم ، وهذا لا يدلّ على نفي ما تقدم ، والله أعلم .

وقد قال عمر لما بلغَهُ مقتلُ زيد بن الخطاب : سبقني إلى الحُسَنيينِ ، أسلمَ قبلي ، واستُشهد قبلي .

---

(١) ترجمة ـ حزن بن أبي وهب ـ في الاستيعاب (١/ ٤٠١) وجامع الأصول (١٣/ ٣١٣) وأسد الغابة (٢/ ٤) وتهذيب الكمال (٥/ ٥٩٠) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٤٣) والإصابة (١/ ٣٢٥) .

(٢) في ط : « عامر » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في مصادر ترجمته .

(٣) صحيح البخاري (٦١٩٠) في الأدب .

(٤) ترجمة ـ زيد بن الخطاب ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٤) وحلية الأولياء (١/ ٣٦٧) والاستيعاب (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٠٩) وأسد الغابة (٢/ ٢٨٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) وتهذيب الكمال (١٠/ ٦٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤١١) والإصابة (١/ ٥٦٥) .

(٥) في ط : ابن عمر ؛ تصحيف ، وما هنا عن الاستيعاب .

(٦) قال أبو عمر رحمه الله : النفس أميل إلى هذا ، لأن أبا مريم لو كان قاتل زيد ما استقضاه عمر ، والله أعلم . الاستيعاب (٥٥٢) .

وقال لمُتَمِّم بن نويرة حين جعلَ يرثي أخاه مالكاً بتلك الأبيات المتقدم ذكرها : لو كنتُ أحسنُ الشعرَ لقلتُ كما قلت ، فقال له متمِّم : لو أن أخي ذهب على ما ذهبَ عليه أخوك ما حزنتُ عليه ، فقال له عمر : ما عزّاني أحد بمثل ما عزَّيْتني به ، ومع هذا كان عمرُ يقول : ما هبَّتِ الصَّبا إلا ذكَّرَتْني زيدَ بن الخطاب ، رضي الله عنه .

ومنهم :

سالم[١] بن عبيد ويقال : ابن مَعْقل[٢] مولى أبي حذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة ، وإنما كان مُعْتقاً لزوجته ثُبَيْتة بنت يَعَار[٣] وقد تَبنّاهُ أبو حُذَيْفة[٤] وزوَّجَهُ بابنةِ أخيه فاطمة بنت الوليد بن عُتْبة ، فلما أنزل الله ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٥] جاءت امرأة أبي حُذَيْفة سَهْلة بنت سَهْل بن عمرو فقالت : يا رسولَ الله إنَّ سالماً يدخل عليَّ وأنا غفلٌ ، فأمرها أن تُرْضِعهُ فأرْضَعَتْهُ فكانَ يدخلُ عليها بتلك الرضاعة ، وكان من سادات المسلمين ، أسلمَ قديماً وهاجرَ إلى المدينة قبل رسول الله ﷺ فكان يُصلِّي بمن بها من المُهاجرين ، وفيهم عمر بن الخطاب لكثرةِ حفظِهِ القرآن ، وشهد بدراً وما بعدها ، وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « استقرئوا القرآنَ من أربعةٍ »[٥] فذكر منهم سالماً مولى أبي حذيفة .

وروي عن عمر أنه قال لما احتُضِر : لو كانَ سالمٌ حيّاً لما جعلتها شُورى ، قال أبو عمر بن عبد البر[٦] . معناه أنّه كان يصدرُ عن رأيه فيمن يُولّيه الخلافةَ . ولما أخذ الرايةَ يومَ اليمامةِ بعد مَقْتل زيدِ بن الخطاب قال له المهاجرون : أتَخْشَى أنْ نُؤتى من قبلك ؟ فقال : بئسَ حاملُ القرآن أنا إذاً . انقطعت يدُه اليمنى فأخذها بيساره ، فقُطعت فاحتضنها وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] فلما صرع قال لأصحابه : ما فعل أبو حُذَيْفة ؟ قالوا : قُتل ، قال : فما فعلَ فلانٌ ؟ قالوا : قُتل ، قال : فأضجعوني بينهما . وقد بعثَ عمرُ بميراثه إلى مولاته التي أعْتَقَتْه « بثينة »[٧] فردَّتْه وقالتْ : إنّما أعْتَقتُهُ سائبةٌ ، فجعله عمر في بيت المال .

---

(١) ترجمة ـ سالم مولى أبي حذيفة ـ في حلية الأولياء (١/ ١٧٦ ـ ١٧٧) والاستيعاب (٢/ ٥٦٧) وجامع الأصول (١٤/ ١٥٤ ـ ١٥٧) وأسد الغابة (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٦٧ ـ ١٧٠) والإصابة (٢/ ٦ ـ ٨) .

(٢) في ط ؛ ابن يعمل ؛ تحريف ، والتصحيح من مصادره .

(٣) في ط : يعاد ؛ تحريف ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٤) في ط : حنيفة ؛ تحريف .

(٥) تمام الحديث : « استقرؤوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأُبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل » أخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٦٤) (١١٧) في فضائل الصحابة .

(٦) الاستيعاب (٢/ ٥٦٨) .

(٧) تقدم قبل أسطر اسمها : ثُبَيْتة ؛ وفي اسمها خلاف بين هذين الاسمين وثالث هو عمرة . الاستيعاب (٢/ ٥٦٨) .

ومنهم :

أبو دُجَانة سِماكُ[١] بن خَرَشَة ويقال سِماك بن أوْس بن خَرَشَة بن لَوْذان بن عَبْدِ ودٍّ بن زيد بن ثَعْلَبة بن الخَزْرجِ بن ساعدة بن كَعب بن الخَزْرج الأنْصاري الخَزْرجي . شهدَ بدراً وأبلى يومَ أُحُدٍ ، وقاتلَ شديداً وأعطاهَ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ سَيْفاً فأعطاهُ حَقَّه وكانَ يَتَبَخْتَرُ عندَ الحَرْب ، فقال عليه السلام : « إنَّ هذه لمشيةٌ يبغضها اللهُ ، إلا في هذا الموطن »[٢] . وكان يعصبُ رأسَهُ بعصابةٍ حمراء ، شعاراً له بالشجاعة . وشهدَ اليمامةَ ويُقال إنَّه ممَّنِ اقْتَحم على بني حنيفةَ يومئذٍ الحديقةَ فانكسرت رجلُه ، فلم يزل يُقاتل حتى قُتل يومئذ . وقد قَتل مُسَيْلمةَ مع وَحْشيٍّ بن حَرْب رماه وَحْشيّ بالحربة وعلاهُ أبو دُجانة بالسَّيْف ، قال وحشي : فَربُّك أعلمُ أيُّنا قَتَله . وقد قيل إنه عاش حتَّى شَهدَ صِفِّين مع عليٍّ ، والأول أصح . وأما ما يروى عنه من ذكر الحِرْزِ[٣] المنسوب إلى أبي دُجانة فإسناده ضعيف ولا يُلتفت إليه ، والله أعلم .

ومنهم :

شجاعُ[٤] بن وَهْب بن رَبيعة الأسَدي ، حليف بني عبد شمس ، أسلمَ قديماً وهاجرَ وشهدَ بدراً وما بعدها ، وكان رسولَ رسولِ الله إلى الحارث بن أبي شمر الغَسّاني فلم يُسْلم ، وأسلم حاجبُه سوي . واستُشهد شُجاعُ بن وهب يومَ اليمامةِ عن بضعٍ وأربعين سنة ، وكان رجلاً طوالاً نحيفاً أجنأ[٥] .

ومنهم :

الطُّفيل[٦] بن عَمْرو بن طَريف بن العاص بن ثَعْلبة بن سُلَيْم بن فَهْم[٧] بن غَنْم بن دَوْس الدَّوْسي ، أسلم قديماً قبل الهجرة ، وذهب إلى قومه فدعاهم إلى الله فهداهم الله على يديه ، فلمّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة جاءه بتسعين أهل بيت من دَوْس مسلمين ، وقد خرج عامَ اليمامة مع المسلمين ومعه ابنه عمرو ، فرأى الطُّفَيْل في المَنام كأنّ رأسه قد حُلقَ ، وكأنّ امرأةً أدخلته في فرجها ، وكأنَّ ابنه يجهتدُ أن يلحقه فلم

---

(١) ترجمة ـ أبي دجانة ـ في الاستيعاب (٢/ ٦٥١) وجامع الأصول (١٤/ ١٩٥ ـ ١٩٦) وأسد الغابة (٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) والإصابة (٢/ ٧٧) .

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٢٣) ومسلم في صحيحه (٢٤٧٠) في فضائل الصحابة .

(٣) قال الذهبي في سيره (١/ ٢٤٥) : وحرز أبي دجانة شيء لم يصحّ ما أدري منْ وضعه . وقد أورد المحققان الفاضلان للجزء الأول من سير أعلام النبلاء هذا الحرز كاملا في الهامش .

(٤) ترجمة ـ شجاع بن وهب ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٠٧) وأسد الغابة (٢/ ٥٠٥) والإصابة (٢/ ١٣٨) .

(٥) في ط : أجنى ؛ تحريف وأجنأ : أحدب الظهر . اللسان (جنأ) .

(٦) ترجمة ـ الطفيل بن عمرو ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٥٧) وجامع الأصول (١٤/ ٣٨٩) وأسد الغابة (٣/ ٧٨ ـ ٨١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧) والإصابة (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) .

(٧) في ط : فهر ؛ وهو تحريف ، والتصحيح من مصادره .

يصل . فأولها بأنه سيقتل ويدفن ، وأن ابنه يحرص على الشهادةِ فلا ينالُها عامَه ذلك . وقد وقع الأمر كما أوّلها ، ثم قُتل ابنُه شهيداً يوم اليرموك كما سيأتي[١] .

ومنهم :

عَبَادُ[٢] بن بِشْر بن وَقْش الأنصاري : أسلم على يدَيْ مُصْعب بن عُمَيْر قبلَ الهجرة قبلَ إسلام مُعاذ ، وأُسَيْد بن الحُضَيْر ، وشهد بدراً وما بعدها . وكان ممَّنْ قتل كَعْب بن الأشرف ، وكانت عصاهُ تُضيءُ له إذا خرج من عند رسول الله في ظلمةٍ .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : قُتل يوم اليمامةِ شَهيداً عن خمسٍ وأربعين سنة ، وكان له بلاءٌ وعناءٌ .

وقال محمد بن إسحاق : عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت :

تهجَّدَ رسولُ الله فسمع صوتَ عَبّاد فقال : « اللّهم اغْفِرْ لَهُ »[٣] .

ومنهم :

السَائِبُ[٤] بن عُثْمان بن مَظْعون : بَدْريٌّ من الرماة ، أصابه يومَ اليمامةِ سَهْمٌ فقتَله وهو شابٌّ ، رحمه الله .

ومنهم :

السَائبُ بن العَوَّام[٥] أخو الزُّبَيْر بن العَوَّام واستُشهدَ يومئذ ، رحمه الله .

---

(١) ستأتي ترجمته مع وفيات سنة ١٣ من هذا الجزء .

(٢) ترجمة ـ عباد بن بشر ـ في الاستيعاب (٨٠١) وجامع الأصول (١٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) وأسد الغابة (٣/ ١٥٠ ـ ١٥١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٧ ـ ٣٤٠) والإصابة (٢/ ٢٦٣) .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه معلقاً (٢٦٥٥) في الشهادات بلفظ : « اللهم ارحم عباداً » ، ووصله أبو يعلى في مسنده رقم (٤٣٨٨) من حديث عباد عن عائشة قالت : تهجد النبي ﷺ في بيتي وتهجد عباد بن بشر في المسجد ، فسمع رسول الله ﷺ صوته ، فقال : « اللهم ارحم عباداً » وفيه عنعنة ابن إسحاق وانظر الفتح (٥/ ٢٦٥) . (ملاحظة : وقع في المطبوع من مسند أبي يعلى : عن يحيى بن عباد ، عن عائشة : وهو غلط بين ، فإن يحيى بن عباد لم يلق عائشة ، وإنما رواه عن أبيه : عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة ، كما صَرَّح به الحافظ ابن حجر في الفتح . أما كلام محققه ففيه تخبيط عجيب ، وآية ذلك أن يحيى بن عباد ولد بلا شك بعد وفاة عائشة) (بشار) .

(٤) ترجمة ـ السائب بن عثمان ـ في الاستيعاب (٥٧٥) وأسد الغابة (١/ ٣١٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٦٣) والإصابة (٢/ ١١) .

(٥) ترجمة ـ السائب بن العوام ـ في الاستيعاب (٥٧٥) وأسد الغابة (٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩) والإصابة (٢/ ١١ـ١٢) .

ومنهم :

عبد الله[١] بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عَبْد ودٍّ القُرَشي العامري ، أسلمَ قديماً وهاجرَ ثم استُضعِفَ بمكة ، فلما كان يوم بدر خرج معهم فلما تواجَهوا فرَّ إلى المسلمين فشهدها معهم ، وقُتل يومَ اليمامة ، فلما حجَّ أبو بكر عَزَّى أباه فيه ، فقال سُهيل : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشهيدَ ليشفعُ لسبعين من أهله »[٢] فأرجو أن يبدأ بي .

ومنهم :

عبد الله[٣] بن عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول الأنصاري الخزرجي ، كان من سادات الصَّحابة وفضلائهم ، شهدَ بدراً وما بعدَها ، وكان أبوه رأسَ المنافقين ، وكان أشدَّ الناس على أبيه ، ولو أذن له رسول الله فيه لضربَ عُنُقه، وكان اسمه الحُباب ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله ، وقد استشهد يومَ اليمامة رضي الله عنه .

ومنهم :

عبد الله بن أبي بَكْر الصِّدِّيق[٤] أسلم قديماً ، ويقال : إنه الذي كانَ يأتي بالطعام والشرابِ والأخبار إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وهما بغارِ ثَوْرٍ ، ويبيتُ عندهما ويصبحُ بمكة كبائتٍ ، فلا يسمع بأمر يكادان به إلا أخبرهما به . وقد شهد الطائف فرماه رجلٌ يُقال له أبا محجن الثَّقفي بسهمٍ فَذَوى ، فاندمَلَتْ ولكنْ لم يزلْ منها حمتاً[٥] حتى مات في شوال سنة إحدى عشرة .

ومنهم :

عُكَّاشة بن مِحْصنٍ[٦] بن حُرْثان بن قيس بن مرة بن كَبير[٧] بن غَنْم بن دُودان بن أَسَد بن خُزيمة الأسدي

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن سهيل ـ في الاستيعاب (٩٢٥) وأسد الغابة (٣/ ٢٧١) والإصابة (٢/ ٣٢٢ـ ٣٢٣) .

(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه (٢٥٢٢) في الجهاد ، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٦٦٠) في السير كلاهما عن أبي الدرداء ، وهو حديث صحيح .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٨٩ ـ ٩٠) والاستيعاب (٦/ ٢٧٣) وجامع الأصول (١٤/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٧٦) والإصابة (٦/ ١٤٢ـ١٤٣) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن أبي بكر ـ في الاستيعاب (٨٧٤ـ٨٧٥) وجامع الأصول (١٤/ ٤٣٩) وأسد الغابة (٣/ ١٨٨ و٢٩٩ ـ ٣٠٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٢) والإصابة (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

(٥) حمت ـ كفرح ـ تغيَّر وفسد . اللسان والقاموس والتاج (همت) .

(٦) ترجمة ـ عكاشة بن محصن ـ في حلية الأولياء (٢/ ١٢) والاستيعاب (١٠٨٠ ـ ١٠٨١) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) وأسد الغابة (٤/ ٦٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٨) وسير أعلام النبلاء ((١/ ٣٠٧ـ٣٠٨) والإصابة (٢/ ٤٩٤ـ٤٩٥) .

(٧) في ط والاستيعاب : كثير ، وفي الإصابة : بكير ؛ وكلاهما تحريف ، وما هنا عن جامع الأصول وتوضيح المشتبه (٧/ ٢٩٧) .

حليف بني عبد شمس ، يكنى أبا مِحْصن ، وكان من سادات الصّحابة وفضلائهم ، هاجرَ وشهدَ بدراً ، وأبلى يومئذ بلاءً حسناً ، وانكسر سيفُه ، فأعطاهُ رسولُ الله يومئذ عرجوناً ، فعادَ في يده سيفاً أمضى من الحديد شديد المتن . وكان ذلك السيف يسمى « العون » . وشهدَ أُحداً والخندق وما بعدها .

ولما ذكر رسول الله ﷺ السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنةَ بغير حساب ، فقال عُكاشة : يا رسول الله ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم . فقال : « اللّهُمّ اجعلْه منهم »[١] ثم قام رجل آخر فقال : يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « سَبَقك بها عُكّاشَة » . والحديث مروي من طرق تفيد القطع .

وقد خرج عكاشة مع خالد يوم إمرةِ الصديق بذي القصة فبعثَه وثابتَ بن أقْرم بين يديه طليعةً ، فتلقاهما طُلَيْحةُ الأسديُّ وأخوه سلمة فقتلاهما ، وقد قَتَل عكاشةُ قَبْلَ مَقْتلهِ حِبال بن طُلَيْحة ، ثم أسلم طُلَيْحة بعد ذلك كما ذكرنا ، وكان عمر عكاشة يومئذ أربعاً وأربعين سنة ، وكان من أجملِ الناس رضي الله عنه .

ومنهم :

مَعْنُ[٢] **بن عَدِيّ بن الجدُ**[٣] **بن عَجْلان بن ضُبَيْعة البَلَوي** ، حليف بني عمرو بن عوف . وهو أخو عاصم بن عدي ، شهد العَقَبة وبدراً وأُحداً والخَنْدق وسائرَ المشاهد ، وكان قد آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطّاب فقُتلا جميعاً يوم اليمامة رضي الله عنهما .

وقال مالك : عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه قال :

بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات وقالوا : والله وددنا أن مُتْنا قبلَه ونخشى أن نُفْتتنَ بعده ، فقال معن بن عدي : لكنّي والله ما أحب أن أموتَ قبله لأصدقه ميتاً كما صدقته حياً .

ومنهم :

الوليد وأبو عُبَيْدة ابنا عُمارة بن الوليد بن المُغيرة[٤] ، قُتلا مع عمِّهما خالد بن الوليد بالبطاح ، وأبوهما عمارة بن الوليد ، وهو صاحب عمرو بن العاص إلى النجاشي ، وقضيته مشهورة .

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٥٦) والبخاري في صحيحه (٥٨١١) في اللباس ، ومسلم في صحيحه (٢١٦ و٣٦٨) في الإيمان من طرق متعددة .

(٢) ترجمة ـ معن بن عدي ـ في الاستيعاب (١٤٤١) وجامع الأصول (١٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٠٧) وأسد الغابة (٥/ ٢٣٨) والإصابة (٣/ ٤٤٨) .

(٣) في ط : الجعد ؛ تحريف . والتصحيح من مصادره .

(٤) ترجمتهما وأخبارهما في الاستيعاب (١٥٥٧ ـ ١٥٥٨) وفيه أن أبا عبيدة أبوه وهو خطأ لا بد من تصحيحه ، وأسد الغابة (٥/ ٤٥٣) والإصابة (٣/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩) .

ومنهم :

أبو حذيفة[١] بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس القُرشي العَبْشمي : أسلم قديماً قبل دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدراً وما بعدها ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عَبَّاد بن بِشْر وقد قُتلا شَهيدين يومَ اليمامة . وكان عُمْرُ أبي حذيفة يومئذ ثلاثاً أو أربعاً وخمسين سنةً ، وكان طويلاً حسنَ الوجه ، أثْعل ، ـ وهو الذي له سِنٌّ زائدة ـ وقيل[٢] اسمه هُشَيْم ، وقيل هاشم .

ومنهم[٣] :

أبو دجانة واسمه سماك بن خرشة تقدم قريباً .

وبالجملة فقد قتل من المسلمين يوم اليمامة أربعمئة وخمسون من حَملة القرآن ومن الصَّحابة وغيرهم . وإنما أوردنا هؤلاء لشهرتهم وبالله المستعان .

قلت : وممَّن استُشهدَ يومئذ من المهاجرين :

مالك بن عمرو حليف بني غنم[٤] ، مهاجريٌّ بدري .

ويزيد بن رُقَيْش بن رئاب[٥] الأسدي ، بدري .

والحَكَم بن سَعيد بن العاص بن أمية الأموي[٦]

وجبير[٧] بن مالك بن بُحينة أخو عبد الله بن مالك الأزدي ، حليف بني المطلب بن عبد مناف .

وعامر بن البُكَيْر[٨] اللَّيْثي ، حليف بني عدي ، بدري .

ومالك بن ربيعة حليف بني عبد شمس .

---

(١) ترجمة ـ أبي حذيفة ـ في الاستيعاب (١٦٣١ ـ ١٦٣٢) وفيه : يقال اسمه : مُهشِّم ، وقيل هشيم ، وقيل هاشم ، وجامع الأصول (١٥/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) وفيه : أبو حذيفة هشام ، وقيل إن اسمه هُشَيم ، وأسد الغابة (٥/ ٢٨٢) مُهشم و(٥/ ٤٠٣) هشام و(٥/ ٤٠٦) هشيم و(٦/ ٧٠ ـ ٧٢) أبو حذيفة ، وسير أعلام النبلاء (١/ ١٦٤ ـ ١٦٧) والإصابة (٤/ ٤٢ ـ ٤٣) وفيه : قال معاوية : اسمه مهشم ، وقيل : هشيم ، وقيل هاشم ، وقيل قيس .

(٢) في ط : وكان ، وما هنا للسياق .

(٣) تبين لنا من المقابلة أنَّ هذا الفصل نقله المصنف من تاريخ الإسلام لشيخه الذهبي ، وقد وصلت هذه القطعة منه بخط الذهبي (مجلد أياصوفيا ٣٠٠٥) ومصورتها عندي ، فضبطنا الأعلام عليها (بشار) .

(٤) في الاستيعاب (١٣٥٥) : مالك بن عمرو السلمي حليف بني عبد شمس .

(٥) في ط : رباب ؛ تحريف ، والتصحيح من الاستيعاب (١٥٧٤) وأسد الغابة (٥/ ٤٨٧) .

(٦) الاستيعاب (٣٥٥ـ٣٥٦) .

(٧) في ط : وحسن ؛ وهو تصحيف ، وترجمة جبير في تاريخ خليفة (١/ ٩٢) والاستيعاب (٢٣٤) .

(٨) في ط : عامر بن البكر ؛ تحريف ، وترجمة ابن البكير في تاريخ خليفة (٩٣) والاستيعاب (٧٨٨) .

وأبو أمية صفوان[١] بن أمية بن عمرو .

ويزيد بن أوس[٢] حليف بني عبد الدار .

وحُبَّى[٣] ويقال : مُعَلّى[٤] بن حارثة[٥] الثقفي .

وحبيب بن أسيد بن جارية الثقفي .

والوليد بن عبد شمس المخزومي .

وعبد الله بن عمرو بن بُجرة العدوي .

وأبو قيس بن الحارث بن قيس السهمي ، وهو من مهاجرة الحبشة .

وعبد الله بن الحارث بن قيس .

وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عَبْد ودّ بن نَصْر العامري ، من المهاجرين الأولين ، شهد بدراً وما بعدها ، وقتل يومئذ .

وعمرو بن أويس[٦] بن سعد بن أبي سرح العامري .

وسَليط بن سليط[٧] بن عمرو العامري .

وربيعة بن أبي خَرشة العامري .

وعبد الله بن الحارث بن رحضة من بني عامر .

ومن الأنصار غير من ذكرنا تراجمهم :

عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان النجاري ، وهو أخو عمرو بن حزم ، كانت معه رايةُ قومه يومَ الفتح ، وقد شهد بدراً وقُتل يومئذ .

وعُقبة بن عامر بن نابيء بن زيد بن حرام السَّلِمِي ، شهد العقبة الأولى وشهد بدراً وما بعدها .

---

(١) تاريخ خليفة (٩١) والاستيعاب (٧٢٢) .

(٢) تاريخ خليفة (٩٢) والاستيعاب (٣/ ٦٤٩) هامش الإصابة .

(٣) بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة الممالة ، قيده الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٣١٠) وقبله الأمير في الإكمال (٢/ ٥٨٣) ، وهو كذلك بخط الذهبي في تاريخ الإسلام . ويقال فيه : « حيي » بياءين آخر الحروف ، ويقال « حيّ » بالحاء المهملة وياء واحدة ، كما في تاريخ خليفة (٩٢) ونص عليه الأمير نقلا عن الطبري (بشار) .

(٤) هكذا بخط الذهبي (الورقة ١٨٧ في تاريخ الإسلام) من مجلد آيا صوفيا .

(٥) وقيل : « جارية » كما بينه الأمير في الإكمال (٢/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤) ، ووجدناه مجوداً بخط الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٦) هكذا بخط الذهبي أيضاً (الورقة ١٨٧ من مجلد آيا صوفيا ٣٠٠٥) ، وفي الاستيعاب (٣/ ١٧١٩) : عمرو بن أبي أويس .

(٧) سقط هذا الاسم من ط ، وأثبتناه من الاستيعاب (٢/ ٦٤٥) ، وخط الذهبي .

وثابت بن هزَّال من بني سالم بن عوف ، بدري . في قول .

وأبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة من بني جَحْجَبى ، شهد بدراً وما بعدها ، فلما كان يوم اليمامة أصابه سهم فنزعه ثم تحزم وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل ، وقد أصابته جراحات كثيرة .

وعبد الله بن عتيك .

ورافع بن سهل .

وحاجب بن زيد[١] الأشهلي .

وسهل بن عدي .

ومالك بن أوس .

وعمير[٢] بن أوس .

وطلحة بن عتبة من بني جَحْجبى .

ورَباح مولى الحارث .

ومعن بن عدي .

وجزء بن مالك بن عامر من بني جَحْجَبَى .

وودقة[٣] بن إياس بن عمرو الخَزْرجي بدري .

وجَرْول[٤] بن العباس .

وعامر بن ثابت .

وبشر بن عبد الله الخزرجي .

وكليب بن تميم[٥]

وعبد الله بن عِتْبان .

---

(١) في تاريخ خليفة (٩٤) والاستيعاب (٢٨٠) وأسد الغابة (١/ ٣٧٧) : حاجب بن يزيد ، وفي الإصابة (١/ ٢٧٣) : ابن زيد أو يزيد .

(٢) في ط : عمر ؛ وما هنا عن تاريخ خليفة (٩٥) وكلاهما أخوان ، وعمير هو المقصود ، وأما عمر فقتل يوم جسر أبي عبيد ، الاستيعاب (١١٦٥ و١٢١٢) .

(٣) في اسمه واسم أبيه خلاف كبير . تاريخ خليفة (١/ ٩٤) والاستيعاب (٦٧) وأسد الغابة (٥/ ٤٤٢) .

(٤) في ط : مروان ، وهو تحريف ، والتصحيح من تاريخ خليفة (٩٥) والاستيعاب (٢٦٢) .

(٥) في بعض المصادر : كليب بن بشر بن تميم . وترجمته في تاريخ خليفة (٩٥) . والاستيعاب (١٣٢٨) وفي مصادر أخرى : كليب بن تميم بن نسر . الإصابة (٣/ ٣٠٦) .

وإياس بن وَديعة[١]

وأسعد[٢] بن يربوع .

وسعد بن حارثة[٣]

وسعد[٤] بن حمان .

ومخاشن[٥] من[٦] حمير .

وسلمة بن مسعود ، وقيل : مسعود بن سنان .

وضمرة بن عياض .

وعبد الله بن أنيس[٧]

وأبو حَبَّة بن غَزِيّة المازني .

---

(١) هكذا في ط وتاريخ الإسلام للذهبي بخطه ، وكتب الذهبي في حاشية نسخته « ودفة » أي أنه يقال فيه ذلك أيضاً . وقد رجح ابن الأثير في أسد الغابة « ودفة » بالفاء .

(٢) هكذا في الأصل والمطبوع ، وهو كذلك بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ١٨٧ من مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥) ، وكذا ترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٩٥) ، وابن حجر في الإصابة (١/ ٥٠) وغيرهم . وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٨٢) وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٨٨) وابن حجر في الإصابة (١/ ٣٥) « أسعد بن يربوع الأنصاري الخزرجي الساعدي » وذكروا جميعاً أنه استشهد يوم اليمامة أيضاً . ولم يشيروا إلى هذا الخلف الواقع في الأسماء ، فهل هما أخوان استشهدا يوم اليمامة أم هو اختلاف في التسمية بين المؤرخين ؟ وأنا أرجح الأخير ، فالذي « أُسيداً » هو ابن إسحاق والواقدي والعسكري ووثيمة ، وذكره موسى بن عقبة عن الزهري . أما الذي ذكره باسم « أسعد » فهو سيف بن عمر ومن أخذ عنه ، فهما واحد ، والله أعلم (بشار) .

(٣) في تاريخ خليفة (٩٦) والإصابة (١/ ٢٣) : سعد بن جارية ، وهو كما هنا في الاستيعاب (٥٨٣) وأسد الغابة (٢/ ٣٤٢) وتاريخ الإسلام (بخط الذهبي) .

(٤) في ط : سهل ؛ وهو تحريف . وفي اسم أبيه خلاف بين حمار وجَمَّاز . تاريخ خليفة (٩٦) والاستيعاب (٥٨٥) وأسد الغابة (٢/ ٣٤١) والإصابة (٢/ ٢٣) .

(٥) في ط : محاسن ؛ تحريف . تاريخ خليفة (٩٦) والاستيعاب (١٤٦٥) .

(٦) في ط : « من » خطأ ، وما هنا يعضده ما في تاريخ الإسلام للذهبي (بخطه) وهو الذي ينقل منه المصنف ، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : « مخاشن الحميري » (بشار) .

(٧) هكذا في خ وط وتاريخ الإسلام للذهبي بخطه ، وهي رواية الواقدي فيما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/ الترجمة ٤٥٤٨) . ثم ذكر أنه هو الجهني . وأشار ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٤٩) أن ضمرة بن عياض الجهني هو ابن عم عبد الله بن أُنيس ، وهو بذلك لا يقر بأن عبد الله بن أنيس صحابي استشهد يوم اليمامة ـ كما ذكره الواقدي ـ بل كأنه يشير إلى عبد الله بن أنيس الذي عاش إلى سنة ٥٤هـ كما في الاستيعاب (٣/ ٨٦٩ ـ ٨٧٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٣١٦) . وإنما ذكر الذهبي رواية الواقدي في أسماء شهداء اليمامة ، فتابعه المؤلف ابن كثير (بشار) .

وحبيب[١] بن زيد .

وحبيب بن عمرو بن محصن .

وثابت بن خالد .

وفروة بن النعمان .

وعائذ بن ماعص .

ويزيد بن ثابت بن الضحاك ، أخو زيد بن ثابت .

قال خليفة بن خياط[٢] :

فجميع من استشهد من المهاجرين والأنصار يوم اليمامة ثمانية وخمسون رجلاً .

يعني وبقية الأربعمئة والخمسين من غيرهم والله أعلم .

وقد قُتل من الكفار فيما سُقْنا من المواطن التي التقى فيها المسلمون والمشركون في هذه وأوائل التي قبلها ، ما ينيف على خمسين ألفاً ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

فمن مشاهيرهم :

الأسود العنسي لعنه الله ، واسمه عبهلة بن كعب بن غوث ، خرج أول مخرجه من بلدة باليمن يقال لها كهف خبان ومعه سبعمئة مقاتل ، فما مضى شهر حتى تَملَّك صنعاء ثم استوسقت[٣] له اليمن بحذافيرها في أقصر مدة ، وكان معه شيطان يحذق له ولكن خانه أحوج ما كان إليه . ثم لم تمض له ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر حتى قتله الله على يدي إخوان صدق ، وأمراء حق ، كما قدمنا ذكره وهم داذَوَيْه الفارسي ، وفَيْروز الديلمي ، وقيس بن مَكْشوح المُرادي ، وذلك في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ، قبل وفاة رسول الله ﷺ بليال ، وقيل بليلة ، فالله أعلم .

وقد أطلع الله رسوله ليلة قتله على ذلك كما أسلفناه .

ومنهم :

مُسَيْلمة بن حَبيب اليَماميّ الكَذَّاب : قدمَ المدينةَ وافداً إلى رسول الله ﷺ مع قومه بني حنيفة ، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ فسمعه وهو يقول : إن جعلَ لي محمدٌ الأمرَ من بعده اتَّبعته ، فقال له : « لو سألتني هذا العود ـ لعرجون في يده ـ ما أعطيتكه ، ولئن أدبرت ليعقرنَّكَ اللهُ ، وإني لأراك الذي أريت فيه

---

(١) كتب الذهبي في الحاشية أنه في نسخة : « خباب » ، وكذلك جاء في ط .

(٢) في الأصل : حنَّاط ، وهو خطأ ، والخبر في تاريخه ص(١١٥) .

(٣) في ط : « استوثقت » محرفة ، واستوسق : اجتمع .

ما أريت » وكان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام كأن في يده سوارين من ذهب فأهمَّه شأنهما ، فأوحى الله إليه في المنام انفخهما ، فنفخهما فطارا ، فأوَّلهما بكذَّابين يخرجان ، وهما صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة . وهذا وقع ، فإنهما ذهبا وذهب أمرهما ، أما الأسودُ فذُبح في داره ، وأما مُسيلمةُ فعقره الله على يَدَيْ وَحْشي بن حرب ، رماهُ بالحربة فأنفذه كما تُعْقرُ الإبلُ ، وضربه أبو دُجانة على رأسه ففَلَقَهُ وذلك بعُقْرِ داره في الحديقةِ التي يقال لها حديقةُ الموتِ(١)

وقد وقف عليه خالد بن الوليد وهو طريحٌ ـ أراه إياه من بين القتلى مُجّاعة بن مُرارة ـ ويقال : كان أصفر أُخينس ، وقيل : كان ضخماً أسمرَ اللون كأنه جملٌ أورقُ ، ويقال : إنه ماتَ وعمرُه مئةٌ وأربعون سنة ، فالله أعلم .

وقد قتل قبله وزيراه ومستشاراه لعنهما الله ، وهما :

مُحكَّمُ بن الطُّفَيْل الذي يقال له مُحكَّمُ اليمامة ، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر ، رماه بسهم وهو يخطبُ قومه يأمرهم بمصالح حربهم فقتله .

والآخر نَهار بن عُنْفُوة الذي يقال له الرَّجَّالُ بن عُنْفُوة ، وكان ممَّن أسلم ثم ارتدَّ وصدَّقَ مسيلمةَ لعنهما الله في هذه الشهادة ، وقد رزق الله زيد بن الخطاب قتله قبل أن يُقتل زيد رضي الله عنه .

ومما يدل على كذب الرَّجَّال في هذه الشهادة الضرورة في دين الإسلام ، وما رواه البخاري وغيره أن مسيلمةَ كتبَ إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك : أما بعدُ فإني قد أُشركت معكَ في الأمر ، فلك المدرُ ولي الوبرُ ـ ويُروى فلكم نصف الأرض ولنا نصفها ـ ولكنَّ قريشاً قوم يعتدون .

فكتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب ، سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، أما بعد فإن الأرضَ لله يورثُها من يشاءُ من عباده والعاقبةُ للمتقين » .

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه مسيلمةُ ويتعاناه لعنه الله من الكلام الذي هو أسخفُ من الهَذَيان ، مما كان يزعمُ أنه وحيٌ من الرحمن ، تعالى الله عمّا يقولُه وأمثاله علواً كبيراً .

ولما مات رسول الله ﷺ زعمَ أنه استقلّ بالأمر من بعده واستخفَّ قومَهُ فأطاعوه ، وكان يقول : [من المتقارب]

خُذي الدُّفَّ يا هذهِ والعبِي ... وَبُثِّي محاسِنَ هذا النَّبي
تولَّى نبيُّ بَني هاشم ... وَقامَ نَبيُّ بني يَعربِ

فلم يُمهله اللهُ بعد وفاةِ رسول الله ﷺ إلَّا قليلاً حتى سلَّط اللهُ عليه سيفاً من سيوفه ، وحتفاً من حتوفه

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٤٣٧٨) و(٤٣٧٩) في المغازي و(٧٤٦١) في التوحيد .

فبعج بطنَه ، وفلقَ رأسه ، وعجّل الله بروحه إلى النار فبئس القرار ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] فمُسَيْلمةُ والأسودُ وأمثالهما لعنهم الله أحقُّ الناس دخولاً في هذه الآية الكريمة ، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة .

سنة[١] اثنتي عشرة من الهجرة النبوية

استُهلّت هذه السنة ، وجيوشُ الصديقِ وأُمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الرّدّة جوّالون في البلاد يميناً وشمالاً ، لتمهيد قواعد الإسلام ، وقتال الطُّغاة من الأنام ، حتى ردَّ شاردَ الدّين بعد ذهابه ، ورجعَ الحقُّ إلى نصابه ، وتمهدتْ جزيرةُ العرب ، وصار البعيدُ الأقْصى كالقريب الأدْنى [الأقرب][٢] .

وقد قال جماعةٌ من علماءِ السِّير والتواريخ : إنّ وقعة اليمامةِ كانت في ربيع الأول من هذه السنة ، وقيل إنها كانت في أواخر [السنة] التي قبلها ، والجَمْعُ بينَ القولين أنَّ ابتداءَها كان في السنة الماضية ، وانتهاءَها وقع في هذه السنة الآتية ، وعلى هذا القول ينبغي[٣] أن يُذْكروا في السنة الماضية كما ذكرناه لاحتمال أنهم قُتلوا في الماضية ، ومُبادرة إلى استيفاء تراجمهم قبل أن يُذْكروا مع منْ قُتل بالشام[٤] والعراق في هذه السنة على ما سنذكر[٥] إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قيل : إن وقعةَ جُواثا وعُمان ومهرة وما كان من الوقائع التي أشرنا إليها إنما كانت في سنة ثنتي عشرة [من الهجرة] .

وفيها كان قتلُ الملوك الأربعة : جَمْدٍ ومِخْوسٍ وأبْضَعة ومِشْرَحٍ[٦] ، وأسروا أختهم العَمرَّدة

---

(١) هنا ينتهي خرم النسخة (أ) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من النسخة أ ، وسنكتفي بهذه الإشارة عن المرات القادمة .

(٣) في أ : فعلى قول الأولين .

(٤) في أ : في الشام .

(٥) في أ : على ما سيذكر .

(٦) في ط : حمد ومحرس وأبضعة ومشرحاً ، وفي أ : حميد ومجوس ومشرح وأبضعة ؛ وفي كلا الروايتين تصحيف وتحريف . وقال الفيروزأبادي في القاموس (حاس) : ومحوس ـ كمنبر ـ ومِشْرح وجمْد ، وأبضعة : بنو معديكرب الملوك الأربعة الذين لعنهم رسول الله ﷺ ولعن أختهم العَمرَّدة ، وفدوا مع الأشعث ، فأسلموا ثم ارتدوا ، فقتلوا يوم النُّجير فقالت نائحتهم : يا عين بكّي لي الملوكَ الأربعة . وفي النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٤) : أبْضعة بوزن أرْنبة ، وقيل : هو بالصاد . تاريخ خليفة (٩٨) .

الذين ورد الحديث في مسند أحمد[١] بلعنهم ، وكان الذي قتلهم زياد بن لبيد الأنصاري .

بعْثُ خالدِ بن الوليدِ إلى العراق[٢]

لمَّا فَرَغ خالدُ بن الوليد من اليمامة ، بعثَ إليه الصِّدِّيقُ أن يسيرَ إلى العراقِ ، وأن يبدأ بفَرْجِ[٣] الهند ، وهي الأُبُلَّة ، ويأتي العراقَ من أسافلها ، وأن يَتألَّفَ الناسَ ويدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزيةَ فإن امتنعوا عن[٤] ذلك قاتلهم ، وأمره أن لا يُكْرِه أحداً على المسير معه ، ولا يستعينُ بمنِ ارتدّ عن الإسلام وإن كان [قد] عاد إليه . وأمره أن يستصحبَ كلَّ امرىءٍ[٥] مرَّ به من المسلمين .

وشرع أبو بكر في تجهيز السَّرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه .

قال الواقدي : اختُلف[٦] في خالدٍ ؛ فقائلٌ يقولُ : مَضَى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق . وقائلٌ يقول : رجعَ من اليمامة إلى المدينة ثم سار إلى العراق من المدينة فمرّ على طريقِ الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة .

قلت : والمشهور الأول .

وقد ذكر المدائني بإسناده أن خالداً توجّه إلى العراق في المحرم سنة اثنتي عشرة ، فجعل طريقه البصرة [فاستخلف][٧] فيها قطبة بن قتادة ، وعلى الكوفة المثنى بن حارثة[٨] الشيباني .

وقال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان . إن أبا بكر كتب إلى خالد أن يسير إلى العراق فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقُريّات من السواد يقال لها بانِقيا[٩] وبارُوسْما[١٠]

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٨٧) وهو قطعة من حديث طويل ، وفيه : « لعن الله الملوك الأربعة جمداً ومشرحاً ومخوساً وأبضعة وأختهم العمردة » وهو حديث صحيح من حديث عمرو بن عبسة السلمي ، إذ رواه أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني ، عن صفوان بن عمرو السكسكي ، عن شريح بن عبيدة عن عبد الرحمن ابن عائذ الأزدي ، عن عمرو ، وهؤلاء كلهم ثقات .

(٢) أخبار بعث خالد في تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٨٤) .

(٣) من معاني الفرج : الثغر . القاموس : (فرج) .

(٤) في أ : من ذلك كله .

(٥) في أ : كل أمير ؛ وما أثبتناه أجود .

(٦) في أ : فاختلف .

(٧) في أ : وفيها ، والخبر في تاريخ خليفة (١٠١) .

(٨) في أ : وعلى نواحي الكوفة خارجة ؛ واللفظة الأخيرة محرفة . تاريخ خليفة (١٠٢) .

(٩) بانقيا ـ بكسر النون ـ ناحية من نواحي الكوفة ذكرها في الفتوح . معجم البلدان (١/ ٣٣١) .

(١٠) بارُوسما : الواو والسين ساكنتان : ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما : باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الأستان الأوسط . معجم البلدان (١/ ٣٢٠) .

[وأَلَّيْس][١] وصاحبها جابان[٢] ، فصالحه أهلها .

قلت : وقد قَتَل منهم المسلمون قبلَ الصلح خلقاً كثيراً . وكان الصلح على[٣] ألف درهم ، وقيل دينار ، في رجب ، وكان الذي صالحه بصُبهري بن صلوبا ، (ويقال صلوبا بن بصبهري)[٤] [وصاحبها جابان وملوك الأعاجم ، فهزمه خالد ، وقتل أصحابه ، ثم طلبوا الصلح] فقبل منهم خالد وكتب لهم كتاباً[٥] .

ثم أقبل حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها ، مع قَبِيصة بن إياس بن حبَّة الطَّائي ، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ، فقال لهم خالد : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم [الجزية] فقد أتيتكم بأقوام هم أحرصُ على الموتِ منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة : ما لنا بحربك من حاجةٍ بل نُقيم على ديننا ونعطيكم الجزية [فقبل منهم خالد][٦] فلقيه [منهم] رجلان أحدهما أعجمي والآخر عربي[٧] فاستبدل بالعجميّ ، ثم صالحهم على تسعين ألفاً ، (وفي رواية مئتي ألف درهم) ، فكانت أول جزيةٍ أخذت من العراق ، وحُملت إلى المدينة هي والقريات قبلها التي صالح عليها ابن صلوبا .

قلت : وقد كان مع نائب كسرى على الحيرة ممَّنْ وفدَ إلى خالد عمرو بن عبد المسيح بن حيان[٨] بن بُقَيْلة ، وكان من نصارى العرب ، فقال له خالد : من أين أثرك ؟ قال : من ظهر أبي ، قال : ومن أين خرجت[٩] ؟ قال : من بطن أمي ، قال : ويحك على أي شيء أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ويحك[١٠] وفي أي شيء أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ويحك تعقل ؟ قال : نعم وأُقيِّد ، قال : إنما

---

(١) عن أ وحدها . وأُلَّيْس مُصَغّر بوزن فُلَّيس والسين مهملة : الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية . وفي كتاب الفتوح : أُلَّيْس قرية من قرى الأنبار . معجم البلدان (١/ ٢٤٨) .

(٢) في ط : « حابان » بالحاء المهملة ، مصحف . وينظر تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٥ و٣٥٥ و٣٥٦ و٤٤٨ . . . إلخ .

(٣) في أ : على ألف ألف درهم ؛ والصحيح ما أثبتناه . ونص كتاب الصلح في معجم البلدان (١/ ٣٣٢) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ ، وكل سقط منها سنضعه بين قوسين مماثلين ، وسنكتفي بهذه الإشارة عن المرات القادمة .

(٥) نص هذا الكتاب أورده ياقوت في معجم البلدان (بانقيا) .

(٦) مكان ما بين المعقوفين في ط : فقال لهم خالد : تباً لكم إن الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها . ويبدو أنها في غير مكانها الطبيعي .

(٧) في أ : أحدها أعجمي والآخر عربي فتركه .

(٨) في أ : حبان ، وما أثبتناه موافق لجمهرة أنساب العرب (٣٧٤) .

(٩) في أ : ومن أين جئت .

(١٠) في أ : ويلك .

أسألكَ ، قال : وأنا أُجيبكَ ، قال : أَسِلْمٌ أنت أم حربٌ ؟ قال : بل سِلمٌ ، (قال) : فما[١] هذه الحصون التي أرى ؟ قال : بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه ، ثم دعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، فأجابوا إلى الجزية بتسعين أو[٢] مئتي ألف كما تقدّم .

ثم بعث خالد بن الوليد كتاباً إلى أمراء كسرى بالمدائن (ومرازبته) ووزرائه .

كما قال هشام بن الكلبي : عن أبي مِخْنف ، عن مُجالد ، عن الشَّعبي[٣] قال :

أقرأني بنو بُقيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن : من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس : سلامٌ على من اتّبع الهُدى ، أما بعد فالحمد لله الذي فض خدمتكم[٤] وسلبَ مُلْككم ووهنَ كيدكَم ، وإنَّ منْ صلَّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكلَ ذبيحتنا فذلكَ[٥] المسلمُ الذي له ما لنا وعليه ما علينا ، أما بعد فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليَّ بالرُّهن واعتقدوا مني الذِّمة[٦] ، و (إلا) فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبّون الموتَ كما تحبّون أنتم الحياة ، فلما قرؤوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

وقال سيف بن عمر[٧] : عن طلحة بن الأعلم[٨] ، عن المغيرة بن عُتيبة[٩] ـ وكان قاضي أهل الكوفة ـ قال : فرَّقَ خالدٌ ـ مخرجه من اليمامة إلى العراق ـ جندَه ثلاثَ فرقٍ ، ولم يحملهم على طريق واحدة ، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر[١٠] ، وسرح عديَّ بن حاتم وعاصم بن عمرو ، ودليلاهما[١١] مالك بن عباد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد ـ يعني في آخرهم ـ ودليله رافع ، فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به ، ويصادموا عدوهم ، وكان فرج الهند [ويسمَّى فرجَ الذهب وهو الأبلق[١٢] ، وهو] أعظمُ فروجِ فارس بأساً وأشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العربَ في البر والهند في البحر وهو هرمز ، فكتب إليه خالدٌ فبعث هرمزُ بكتابِ خالدٍ إلى شيرَى بن كسرى ، وأردشير بن شيرَى ،

---

(١) في أ : بل سلم ماهذه .
(٢) في أ : بتسعين ومئتي ألف .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٦) .
(٤) في أ : حديثكم ، وفي ط : « خدمكم » ، وما أثبتناه من تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٦) ، وخدمتكم : جماعتكم .
(٥) في ط : « فذلكم » ، وما أثبتناه من أ ، وهو الذي في تاريخ الطبري الذي ينقل منه المصنف .
(٦) في أ : يالذمة . وما هنا يعضده ما في الطبري .
(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٨) .
(٨) في ط والأصل : طليحة الأعلم ، والتصحيح من الطبري وتوضيح المشتبه (٢/ ١٤٩) .
(٩) في ط والأصل : عيينة ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري وتوضيح المشتبه (٦/ ١٧٠) .
(١٠) في أ : ظفرح ؛ ويبدو أن الحاء زائدة .
(١١) في أ : ودليلهما .
(١٢) بعدها في أ : صاحبه يحارب في البر والهند وسترد بعدُ . وما بين الحاصرتين ليس في تاريخ الطبري .

وجمع هرمز ، وهو نائب كسرى جموعاً كثيرةً وسار بهم إلى كاظمة[١] ، وعلى مَجْنَبَتَيْهِ قباذ وأنوشجان ـ وهما من بيت الملك ـ وقد تقرن[٢] الجيش في السلاسل لئلا يفروا [فَتيمَّنَ المسلمون بذلك وقالوا هذا طائر مشؤوم قيدوا نفوسهم بالحديد] وكان هرمز ـ هذا ـ من أخْبَثِ النّاسِ طويَّةً وأشدِّهم كُفْراً ، وكان شريفاً في الفرس ، وكان الرجل كلما ازداد شرفاً زاد في حليته ، فكانت قلنسوة هرمز بمئة ألفٍ ، وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفاً فنزل تجاههم على غير ماءٍ فشكى [إليه] أصحابُه ذلك فقال : جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء ، فإن الله جاعل [الماء] لأصبر الطائفتين .

فلما استقرَّ بالمسلمين المنزلُ وهم ركبان على خيولهم ، بعث الله سحابةً فأمطرتهم حتى صار[٣] لهم غدران من ماءٍ . فقوي المسلمون بذلك ، وفرحوا فرحاً شديداً ، فلما تواجه الصفان وتقابل[٤] الفريقان ، ترجَّلَ هرمزُ ودعا إلى البراز ، فترجَّل خالدٌ وتقدَّم إلى هرمز ، فاختلفا[٥] ضربتين واحتضنهُ خالدٌ ، وجاءت حاميةُ هرمز فما شغله عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو[٦] على حامية هرمز فأناموهم[٧] ، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل واستحوذ (المسلمون و) خالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير ، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس [ومنعتهم السلاسل من الهزيمة وقتل منهم ثلاثين ألفاً سوى من غرق وبعث بالسلاسل إلى الصّدّيق] (وأفلت قباذ وأنو شجان) .

ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل ، فسار بالناس وتبعته الأثقالُ حتى نزلَ بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم ، وبعث بالفتح والبشارة والخمس ، مع زرّ[٨] بن كُلَيْب ، إلى الصدّيق ، وبعث معه بفيل ، فلما رآه نسوةُ أهل المدينة جعلن يقلن : أمنْ خَلْقِ الله هذا أم شيءٌ مصنوعٌ ؟ فردَّه الصديق مع زرٍّ ، وبعث أبو بكر لمّا بلغه الخبرُ إلى خالد ، فنفله سلبَ هرمز ، وكانت قلنسوته بمئة ألف ، (وكانت) مُرَصَّعةً بالجوهر ، وبعث خالدٌ الأمراءَ يميناً وشمالاً يحاصرون حَصُوناً هنالك ففتحوها عنوةً وصلحاً ، وأخذوا منها أموالاً جمةً ، ولم يكن خالدٌ يتعرَّضُ للفلاحين ـ من لم يقاتل منهم ـ ولا لأولادهم[٩] بل للمقاتلة من أهل فارس .

---

(١) قال ياقوت : على سيف البحر طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان معجم البلدان (٤/ ٤٣١) قلت : وهي التي تسمى اليوم الكويت .

(٢) في ط : تفرقد ؛ تحريف . وفي نسخة « اقترن » .

(٣) في ط : ثار لهم .

(٤) في ط : وتقاتل .

(٥) في ط : النزال فترجل خالد وتقدم إلى هرمز فاختلفوا .

(٦) في ط : القعقاع بن عمر . وهو كما أثبتنا ، في الاستيعاب (١٢٨٣) والإصابة (٣/ ٢٣٩) .

(٧) في أ : فأباتوهم ؛ وما أثبتنا موافق للطبري (٣/ ٣٤٩) .

(٨) في أ : رزين بن كليب ، تحريف . والصحيح ما أثبتناه . أسد الغابة (٢/ ٢٥٣) .

(٩) في ط : أولادهم .

[وقعة المذار]

ثم كانت وقعة المذار[١] في صفر من هذه السنة . ويقال لها : وقعة الثني ، وهو النهر ، قال ابن جرير[٢] : ويومئذ (قال الناس) : صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، على مجمع الأنهار . وكان سببها أنّ هرمز[٣] كان قد كتب إلى أردشير وشيرَى بقدوم خالدٍ نحوهُ من اليمامة ، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له : قارن[٤] بن قريانس ، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم ، وفرَّ منْ فرَّ من الفرس ، فتلقّاهم قارن ، فالتفوا عليه فتذامروا[٥] واتفقوا على العود إلى خالد ، فساروا إلى موضع يقال له : المذار ، وعلى مجنبتي قارن قباذ وأنوشجان[٦] ، فلما انتهى الخبر إلى خالد ، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل ، وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة ، وسار خالدٌ بمنْ معه من الجيوش حتى نزلَ على المَذار ، وهو على تعبئته ، فاقتتلوا قتال حنقٍ وحفيظةٍ ، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء ، فقتل معقل بن الأعشى بن النباش[٧] قارناً ، وقتل عديُّ بن حاتم قباذ ، وقتل عاصم أنوشجان ، وفرت الفرس وركبهم المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه ، وأقام خالد بالمذار وسلّم الأسلابَ إلى من قتل ، وكان (قارن) قد انتهى شرفه في أبناء فارس .

وجمع بقية الغنيمة وخَمَّسها ، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصّدّيق مع سعيد بن النعمان ، أخي بني عدي بن كعب ، وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبَى ذراري مَنْحضره من المقاتلة ، دون الفلاحين فإنّه أقرَّهُمْ بالجزية ، وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري ، وكان نصرانياً ، ومافنَّة مولى عثمان ، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة .

ثم أمّر على الجند سعيدَ بن النعمان وعلى الجزية سويدَ بن مُقَرِّن ، وأمره أن ينزل الحفير ، ليجبي إليه الأموال وأقام خالد يتحسس الأخبار عن الأعداء .

---

(١) المذار ـ بالفتح وآخره راء ـ ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . معجم البلدان (٥/ ٨٨) وقال البكري : المذار أرض قرب الكوفة . معجم ما استعجم (١٢٠٣) .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥١) .

(٣) في ط : أن هرمزاً ؛ وهو خطأ يخالف السياق النحوي .

(٤) في أ : فازن .

(٥) في أ : فتدابروا ؛ وتذامروا : تلاوموا . اللسان (ذمر) .

(٦) في أ : وعلى مجنبتي فازن وأبو شجان .

(٧) في أ : معقل بن النباش الأعشى فارن . وما أثبت موافق للطبري .

[ذكر وقعة الولجة]

ثم كان أمر الولجة[١] في صفر أيضاً من هذه السنة ، فيما ذكره ابن جرير[٢] وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار[٣] من قتل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذ ، بعث أميراً شجاعاً يقال له الأنذر زغر[٤] ، وكان من أبناء السواد ، ولد بالمدائن ، ونشأ بها وأمده بجيشٍ آخر مع أمير يقال له بهمن جاذَوَيه ، فساروا حتى بلغوا مكاناً يقال له : الولجة [وهي مما يلي كَسْكَر عن ناحية البر] ، فسمع بهم خالد ، فسار بمنْ معه من الجنود ووصَّى من استخلفه هناك بالحَذَر وقلَّة الغفلة ، فنازل أنذر زغر ومن ناشب معه ، واجتمع عنده بالولجة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، هو أشدّ مما قبله ، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ ، واستبطأ كمينه الذي كان قد أرصدهم وراءه في موضعين ، فما كان إلا يسيراً حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا ، ففرَّت صفوف الأعاجم فأخذهم خالدٌ من أمامهم والكمينان من ورائهم ، فلم يعرف رجل منهم مقتل[٥] صاحبه ، وهرب الأنذر زغر من الوقعة فمات عطشاً [وقتل منهم سبعون ألفاً] ، وقام خالدٌ في الناس خطيباً فرغَّبهم في بلاد الأعاجم وزهَّدَهم في بلاد العرب ، وقال : ألا تَرَون ما هاهنا من الأطعمات ؟ وتالله[٦] لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن [إلا] المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممَّنِ اثّاقَل[٧] عما أنتم عليه . ثم خمَّس الغنيمة ، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين ، وبعثَ الخُمس إلى الصديق ، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة ، وأقرَّ الفلاحين بالجزية .

وقال سيف بن عمر[٨] : عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : بارز خالدٌ يوم الولجة رجلاً من الأعاجم يُعْدَلُ بألف[٩] رجلٍ فقتله ، ثم اتكأ عليه وأُتِيَ بغدائه فأكله وهو مُتَّكِىءٌ عليه بين الصَّفَّيْن .

---

(١) في أ : الوليجة ؛ تحريف . والولجة بأرض كسكر موضع فيما يلي البر واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم سنة ١٢هـ .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٣) .

(٣) في أ : بما كان من المذار من قتل فازن وأصحابه .

(٤) في أ : الأندرز عن .

(٥) في أ : فلم يفلت رجل منهم فقتل صاحبه .

(٦) في ط : وبالله .

(٧) في أ : ممن تناقل .

(٨) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٤) .

(٩) في أ : يوم الوليجة رجل من الأعاجم بعد مبارزة ألف رجل .

[وقعة أُلَّيْس][١]

ثم كانت وقعة أُلَّيس في صفر أيضاً وذلك أن خالداً كان قد قتل يوم الولجة طائفةً من بكر بن وائل ، من نصارى العرب ممَّنْ كانَ مع الفرس ، فاجتمعَ عشائرهم وأشدهم حنقاً عبد الأسود[٢] العجلي ، وكان قد قُتل له ابنٌ بالأمس ، فكاتبوا الأعاجمَ فأرسلَ إليهم أردشير جيشاً [مددا] ، فاجتمعوا بمكان يقال (له) : أُلَّيس ، فبينما هم قد نصبوا لهم سماطاً (فيه طعام يريدون أكله) ، إذ غافلهم خالد بجيشه فلما رأوه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد ، وقال أمير كسرى [واسمه جابان] : بل ننهض إليه ، فلم يسمعوا منه . فلما نزل خالد تقدم بين يدي جيشه ، ونادى بأعلى صوته لشجعان[٣] من هنالك من الأعراب : أين فلان ، أين فلان ؟ فكلهم تلكّؤوا عنه إلا رجلاً يقال له مالك بن قيس ، من بني جذرة ، فإنه برز إليه ، فقال (له) خالد : يا بن الخبيثة[٤] ، ما جرَّأك عليَّ من بينهم وليس فيك وفاء ؟ فضربه[٥] فقتله . ونفرت الأعاجمُ عن الطّعام ، (وقاموا إلى السلاح) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً ، والمشركون يرقبون قدوم بهمن مدداً من جهة الملك إليهم ، فهم في قوة وشدة وكلب في القتال . وصبر المسلمون صبراً بليغاً ، وقال خالد : اللهم لك عليَّ إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحداً (أقدر) عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم . ثم إن الله عزَّ وجلَّ منحَ المسلمين أكتافهم فنادى منادي خالد : الأسرَ ، الأسرَ ، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر ، فأقبلتِ الخيولُ بهم أفواجاً يساقون (سوقاً) ، وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة وتطلبهم[٦] في الغد ومن بعد الغد ، وكلّما حضر منهم أحدٌ ضُربت عنقه في النهر ، وقد صرف ماء النهر ، إلى موضعٍ آخر فقال له بعض الأمراء : إنّ النهر لا يجري بدمائهم حتى ترسل الماء على الدم فيجري معه فتبرَّ بيمينك ، فأرسله فسال النهر دماً عبيطاً ، فلذلك سمي نهر الدم إلى اليوم ، فدارت الطواحين بذلك الماء المختلط بالدم العبيط ما كفى العسكر بكماله ثلاثة أيام ، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً ، [وقيل مئة وخمسين ألفاً] ، ولما هزم خالد الجيش ورجع مَنْ رجع من الناس ، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين : هذا نفل فانزلوا فكلوا ، فنزل الناس فأكلوا عشاءً . وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققاً[٧] كثيراً فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون : ما هذه الرقع ؟ يحسبونها ثياباً ، فيقول لهم من يعرف ذلك من

---

(١) خبر وقعة أُلَّيس في تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٨٨) .
(٢) في أ : واشدهم حنقاً عبد بن سود العجلي .
(٣) في أ : يا شجعان .
(٤) في أ : يا بن الحبشية .
(٥) في أ : وضربه .
(٦) في ط : ويطلبهم .
(٧) في أ : جردقاً .

(أهل) الأرياف والمدن : أما سمعتم برقيق[١] العيش ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فهذا رقيق العيش ، فسموه يومئذ رقاقاً ، وإنما كانت (العرب تسميه القرى)[٢]

وقد قال سيف بن عمر[٣] : عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، عمن حدث عن خالد :

أن رسولَ الله ﷺ نفل الناسَ يومَ خيبرَ الخبز والطبيخ[٤] والشواء وما أكلوا غير ذلك غير متأثلية[٥] .

وكان كل[٦] من قُتل بهذه الوقعة يوم أُلَيْس من بلدة يقال لها أمْغيشيا[٧] ، فعدل ، إليها خالد وأمر بخرابها ، واستولى على ما بها ، فوجدوا بها مغنماً عظيماً ، فقسم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفاً وخمسمئة غير ما تهيأ (له) مما قبله .

وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخُمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له جندل من بني عجل ، وكان دليلاً صارماً ، فلما بلغ الصدِّيق الرسالة وأدى الأمانة ، أثنى عليه وأجازه جارية من السبي ، وقال الصدِّيق : يا معشر قريش إن أسدكم قد عدا على الأسد (فغلبه على خراديله)[٨] ، عجزتِ النساءُ أن يلدنَ مثلَ خالد بن الوليد ، [وقد صدق الصدِّيق رضي الله عنه] .

ثم جرت أمورٌ طويلةٌ لخالد في أماكن متعددة يملُّ سماعها ، وهو مع ذلك لا يكلّ ولا يملّ ولا يهن ولا يحزن ، بل كلما له في قوةٍ وصرامةٍ وشدةٍ وشهامةٍ ، ومثل هذا إنما خلقه الله عزاً للإسلام وأهله ، وذلّاً للكفر وشتات شمله .

فصــــل

ثم سار خالدٌ فنزل الخَوَرْنق والسَّدير[٩] بالنجف وبثَّ سراياه هاهنا وهاهنا ، يحاصرون الحصون من

---

(١) في ط : رقيق .
(٢) مكان القوسين في أ : القرن ، وما أثبتناه يوافق ما في تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٧) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٧) .
(٤) في ط : والبطيخ ؛ خطأ ، وما أثبتناه من الطبري .
(٥) متأثليه : المتأثِّل : الجامع . اللسان (أثل) .
(٦) في أ : جلّ .
(٧) في أ : أمعيشا ، وفيها تحريفان . وأُمغيشيا ـ بفتح أوله وبضم ، وسكون ثانيه ، والغين معجمة مكسورة ، وياء ساكنة ، والشين معجمة وياء وألف ـ موضع كان بالعراق كانت فيه وقعة بين المسلمين وأميرهم خالد بن الوليد ، وبين الفرس ، فلما ملكها المسلمون أمر خالد بهدمها ، وكانت مصراً كالحيرة وكان فرات بادَقْلي ينتهي إليها ، وكانت أُلَيْس من مسالحها ، فأصاب المسلمون فيها ما لم يصيبوا مثله قبله . معجم البلدان (١/ ٢٥٤) .
(٨) لحم خراديل : إذا كان مقطَّعاً اللسان (خردل) والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٩) .
(٩) الخَورنق والسَّدير : قصران بالحيرة . معجم البلدان (٢/ ٤٠١) و(٣/ ٢٨) .

الحيرة ويستنزلون[١] أهلها قسراً وقهراً ، وصلحاً ويسراً ، وكان في جملة من[٢] نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم ابن بُقَيْلة المتقدم ذكره ، وكتب لأهل الحيرة كتابَ أمان ، فكان[٣] الذي راوده عليه عمرو بن عبد المسيح بن بُقيلة[٤] ووجد خالد معه كيساً ، فقال : ما في هذا ؟ ـ وفتحه خالد فوجد فيه شيئاً ـ فقال ابن بقيلة : هو سمٌ ساعة ، فقال : ولم استصحبته معك ؟ فقال حتى إذا رأيت مكروهاً في قومي أكلته فالموت أحب إليَّ من ذلك ، فأخذه خالد في يده وقال : إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها ، ثم قال : بسم الله خير الأسماء ، رب الأرض والسماء ، الذي ليس يضرُّ مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم ، قال : وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه فبادرهم فابتلعه ، فلما رأى ذلك ابن بُقَيْلة قال : والله يا معشر[٥] العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد ، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال : لم أر كاليوم أوضح إقبالاً من هذا ، ثم دعاهم وسألوا خالداً الصلحَ فصالحهم وكتب لهم كتاباً بالصلح ، وأخذ منهم أربعمئة (ألف) درهم عاجلة ، ولم يكن صالحهم حتى سلموا كرامة بنت عبد المسيح إلى رجل من الصحابة يقال له شويل[٦] ، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كأن شُرُفها أنياب الكلاب فقال له : يا رسولَ الله هَبْ لي ابنةَ بُقَيْلة ، فقال : « هي لك » فلما فُتحت ادَّعاها شويل وشهد له اثنان من الصحابة ، فامتنعوا من تسليمها إليه وقالوا : ما تريدُ إلى امرأةٍ ابنةِ ثمانين سنة ؟ فقالت لقومها : ادفعوني إليه فإني سأفتدي منه ، وإنه[٧] قد رآني وأنا شابة ، فسُلمت إليه فلما خلا بها قالت : ما تريد إلى امرأة بنت ثمانين سنة ؟ وأنا أفتدي منك فاحكم بما أردتَ ، فقال : والله لا أفديك بأقلّ من عشر مئة فاستكثرتها خديعة منها ، ثم أتت قومها فاحضروا له[٨] ألف درهم ، ولامه الناس وقالوا : لو طلبتَ أكثر من مئة ألف لدفعوها إليك ، قال : وهل عددٌ أكثر من عشر مئة ؟ وذهب إلى خالد وقال[٩] : إنما أردتُ أكثرَ العدد ، فقال خالد : أردتَ أمراً وأراد اللهُ غيره ، وإنا نحكم بظاهر قولك ، ونيتُك عند الله ، كاذباً أنت أم صادقاً[١٠] .

---

(١) في أ : يسترقون .

(٢) في ط : ما .

(٣) في أ : وكان .

(٤) في أ ، ط : نقيلة ؛ وهو تحريف وتقدم التعريف به .

(٥) في أ : يا معاشر العرب .

(٦) في أ : شريك ؛ وما هنا موافق لما عند الطبري (٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) .

(٧) في أ : وكأنه .

(٨) في أ : إليه .

(٩) في أ : فقال .

(١٠) في أ : كاذب أنت أم صادق . والحديث في تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٦) وسنن البيهقي (٩/ ١٣٦) .

وقال سيف بن عمر[١] : عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي : لما افتتح خالدٌ الحيرةَ صلَّى ثماني ركعات بتسليمةٍ واحدةٍ .

وقد قال عمرو بن القعقاع في هذه الأيام ومن قتل من المسلمين بها وأيام الردة[٢] : [من الطويل]

سقى الله قَتلى بالفُراتِ[٣] مُقيمةً ... وأُخرى بأَثْباجِ النِّجافِ الكوانِفِ
وَنحنُ وَطئنا بالكواظِم هرمزاً ... وَبالثني قَرْني قارنٍ بالجوارفِ
وَيومَ أحَطْنا بالقُصور تَتابعتْ ... على الحيرة الروحاءِ إحدى المصارف
حَططناهمُ منْها[٤] وقد كان عرشُهم ... يميل بهمْ فِعْلَ الجَبانِ[٥] المُخالفِ
رمينا عليهم بالقبولِ وقد رأوا ... غَبوقَ المنايا حولَ تِلكَ المحارِفِ[٦]
صَبيحةَ قالوا نَحنُ قَوْمٌ تنزَّلوا ... إلى الرِّيف من أرض العريبِ المَقانِفَ

وقد قدم جرير بن عبد الله البجلي على خالد بن الوليد[٧] وهو بالحيرة بعد الوقعات المتعددة ، والغنائم المتقدم ذكرها ، ولم يحضر شيئاً منها ، وذلك لأنه كان قد بعثه الصديق مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام ، فاستأذن خالد بن سعيد في الرجوع إلى الصديق ليجمع له قومه من بجيلة فيكونوا معه[٨] ، فلما قدم على الصديق فسأله (ذلك) غضب الصديق وقال : أتيتني لتشغلني عما هو أرضى لله من الذي تدعونني إليه ، ثم سيره (الصديق) إلى خالد بن الوليد بالعراق .

قال سيف بأسانيده :

ثم جاء ابن صلوبا فصالح خالداً على بانِقْيا وبرسوما[٩] وما حول ذلك على عشرة آلاف دينار ، وجاءه دهاقين تلك البلاد فصالحوه[١٠] على بلدانهم وأهاليهم كما صالح أهل الحيرة[١١] .

واتفق في تلك الأيام التي كان [خالد] قد تمكن بأطراف العراق واستحوذ على الحيرة وتلك

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٦) .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٥) .
(٣) في أ : بالعراق .
(٤) في أ : فيها .
(٥) في أ : الجناب .
(٦) ليس البيت في أ .
(٧) في أ : وهم .
(٨) تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٧ ـ ٣٧٠) .
(٩) في ط : وبسما ، وقد تقدم التعريف بها .
(١٠) في أ : وصالحوه .
(١١) في أ : أهل الحيرة على الحيرة .

البلدان[١] وأوقع بأهل أُلَّيس والثني وما بعدها بفارس ومن ناشب معهم ما أوقع من القتل الفظيع في فرسانهم ، أن عدت فارس على ملكهم الأكبر أردشير وابنه شيرين فقتلوهما وقتلوا كل من ينسب[٢] إليهما ، وبقيت الفرس حائرين لمن يولُّوه أمرهم ، واختلفوا فيما بينهم ، غير أنَّهم قد جَهَّزوا جُيوشاً تكونُ حائلةً بين خالدٍ وبين المدائن التي فيها إيوانُ كسرى وسرير مملكته ، فحينئذ كتبَ خالدٌ إلى من هنالك من المرازبة والأمراءِ والدولة يدعوهم إلى اللهِ وإلى الدخولِ إلى دينِ الإسلام ليُثبتَ ملكَهُم عليهم ، وإلا فليدفعوا الجزيةَ وإلا فليعلموا وليستعدّوا لقدومه عليهم بقومٍ يُحبُّون الموتَ كما يحبُّونَ [هم] الحياةَ ، فجعلوا يُعْجبون من جراةِ خالدٍ وشجاعته ، ويسخرونَ من ذلكً لحماقتهم ورعونتهم في أنفسهم ، وقد أقامَ خالدٌ هنالك بعد صلحِ الحيرةِ سنةً يتردَّدُ في بلادِ فارس هاهنا وهاهنا ، ويوقعُ بأهلها من البأس الشديد ، والسطوةِ الباهرةِ ، ما يُبْهرُ الأبصارَ لمن شاهدَ ذلك ويُشنّفُ أسماعَ منْ بَلغه ذلك ويحيِّر العقولَ لمن تدبَّرهُ .

فَتْحُ خالدٍ للأنبار ، وتُسمى هذه الغزوة ذات العيون

ركبَ خالدٌ في جيوشه ، فسارَ حتّى انتهى إلى الأنْبار ، وعليها رجلٌ من أعقل الفُرْس وأسودهم في أنفسهم ، يقال له شيرزاذ ، فأحاط بها خالدٌ وعليها خندقٌ وحولهُ أعرابٌ من قومهم على دينهم ، واجتمعَ معهم أهلُ أرضهم ، فمانَعوا خالداً أن يصلَ إلى الخندقِ فضربَ معهم رأساً ، ولما تواجَهَ الفريقانِ أمرَ خالدٌ أصحابَه فرشقوهم بالنبال حتى فقؤوا[٣] منهم ألف عين ، فتصايحَ الناسُ : ذهبت عيونُ أهلِ الأنبارِ ، وسُمِّيت هذه الغزوةُ ذات العيون ، فراسلَ شيرزاذ خالداً في الصُّلْح ، فاشترطَ خالدٌ[٤] أموراً امتنع شيرزاذ من قبولها ، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا[٥] الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها ، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد ، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفّى له خالد بذلك ، وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلمها خالد ، فنزلها واطمأن بها ، وتعلَّم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية ، وكان هؤلاء[٦] العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد ، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب ، وأنشدوا خالداً قول بعض إياد يمتدح قومه[٧] : [من المنسرح]

---

(١) في أ : البلاد .

(٢) في أ : ينتسب .

(٣) في أ : حتى قلعوا . والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٩٤) .

(٤) في أ ، ط : خالداً ؛ وما هنا للسياق اللغوي .

(٥) في أ : بردي ؛ وما هنا عن الطبري ، والرذايا : جمع رذية ؛ وهي الناقة المهزولة من السير .

(٦) في ط : أولئك .

(٧) البيتان في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٤٣) وهما في ديوان أمية بن أبي الصلت ثمانية .

قَـوْمـي إيـادٌ لـوْ أنَّهـمْ أُمـمُ أو لـوْ أقـامـوا فتُهْـزلَ[١] النَّعـمُ
قـومٌ لهـم بـاحـةُ العِـراقِ إذا سـاروا جميعاً واللَّوْحُ والقَلَـمْ[٢]

ثم صالح خالدٌ أهلَ البوازيج وكلْوَاذَى ، قال[٣] : ثم نَقض أهلُ الأنبارِ ومنْ حَوْلَهم عهدَهم لمّا اضطربَتْ بعض الأحوال ، ولم يبق على عهده سوى البوازيج وبانقْيا .

قال سيف [بن عمر][٤] عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت قال :

ليس لأحد من أهل السواد عهدٌ قبلَ الوقعة ، إلا بني صلوبا . ـ وهم أهل الحيرة ـ وكَلْواذى وقرى من قُرى الفرات ، غَدَروا حتى دَعوا إلى الذمة بعدما غادروا .

وقال سيف[٥] عن محمد بن قيس : قلت للشَّعبي : أُخذ السَّواد عنوة [قال : نعم] وكل أرضٍ إلا بعض القلاع والحصون فإن بعضهم صالح وبعضهم غالب .

قلت : فهل لأهل السَّواد ذمَّةٌ اعتقدوها قبل الحرب[٦] ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعوا ورضوا بالخراج وأُخذ منهم (صاروا ذمَّة) .

وقعة عين التمر

لما استقرَّ[٧] خالدٌ بالأنبار استنابَ عليها الزِّبْرِقانَ بن بَدْرٍ ، وقصدَ عينَ التَّمْر وبها يومئذ مِهران بن بهرام (جُوبين) في جمعٍ عظيمٍ من العرب ، وحولهم من الأعراب طوائفُ من النَّمر[٨] وتغلب وإياد ومنْ لاقاهم وعليهم عَقَّة[٩] بن أبي عقَّة ، فلما دنا خالد قال عقة لمهران : إن العربَ أعلمُ بقتالِ العرب ، فدعنا وخالداً ، فقال له : دونكم وإياهم ، وإن احتجتم إلينا أعَنَّاكُم ، فلامتِ العجمُ أميرَهم على هذا ، فقال : دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكمْ[١٠] ، وإن غُلبوا قاتلنا خالداً ، وقد ضعفوا ونحن أقوياء ، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم .

---

(١) في أ : قامت النعم ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٥) : والخط والقلم .
(٣) في أ : قالوا ؛ خطأ ، والقائل هنا ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/ ٣٧٥) .
(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٥) .
(٥) نفس المصدر .
(٦) في أ : قبل الهرب .
(٧) في ط : استقلّ .
(٨) في ط : التمر ؛ وهو تحريف .
(٩) في أ : عقبة ؛ والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٦) .
(١٠) في أ : لهم .

وسار خـالد وتلقاه عقّة فلما تواجهوا قال خالد لمَجْنَبَتيْهِ : احفظوا مكانَكم فإني حامل ، وأمرَ حماتَه أن يكونوا من ورائه ، وحمل على عقّة وهو يسوّي الصفوف فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقّة من غير قتال فأكثروا[١] فيهم الأسْرَ ، وقصدَ خالدٌ حصنَ عَيْنِ التَّمْرِ ، فلما بلغَ مهرانَ هزيمةُ عقة وجيشه ، نزلَ من الحصن وهربَ وتركه ، ورجعتْ فُلاَّلُ[٢] نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتَموْا به ، فجاء خالدٌ وأحاط بهم وحاصرهم أشدَّ الحصار ، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد ، فنزلوا على حكمه فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن ثم أمر فضربت عنق عقة[٣] ومن كان أُسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضاً أجمعين . وغنم جميع ما [كان] في ذلك الحصن ،ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل وعليهم بابٌ مغلقٌ ، فكسره خالد وفرَّقهم في الأمراء وأهل الغناء ، وكان [فيهم] حمران صـار إلى عثمان بن عفان من الخمس ، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه أنس بن مالك . وجمـاعة آخرون من الموالي المشاهير ، أراد بهم وبذراريهم خيراً . ولما قدم الوليد بن عقبة على الصدّيق بالخُمس ردَّه الصديق إلى عياض بن غنم مدداً له وهو محاصرٌ دومةَ الجندلِ ، فلما قدم عليه وجده في ناحية (من) العراق يُحاصر قوماً ، وهم قد أخذوا عليه الطرقَ فهو محصور أيضاً ، فقال عياض للوليد : إن بعض الرأي خير من جيش كثيف ، ماذا ترى فيما نحن فيه ؟ فقال له الوليد : اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده ، فكتب إليه يستمده فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به ، فكتب إليه : من خالد [بن الوليد] إلى عياض ، (إياك) أريد[٤] : [من الرجز]

لَبِّثْ قليلاً تأتِكَ الحلائبُ[٥] يَحملنَ آساداً عليها القاشبُ[٦]

كتائب تتبعها كتائب

---

(١) في أ : وأكثروا .

(٢) الفلّ : المنهزمون ، وهم قوم فلٌّ منهزمون والجمع فُلُولٌ وفُلالٌ . اللسان (فلل) .

(٣) في أ : ثم أمر بضرب عنق عقبة والهذيل .

(٤) كتاب خالد والأشطار الثلاثة في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٧) .

(٥) الشطرة الأولى مثل عربي قديم أوردته في معجم الأمثال العربية (١/ ٤٨٣) ومصادره في المستقصى (٢/ ٢٧٧) واللسان (حلب) والحلائب : الجماعات . وقال الأصمعي : حلائب الرجل : أنصاره من بني عمه خاصة .

(٦) في أ ، ط : القشائب ، وما هنا هو الأشبه للوزن . والقِشْبُ والقَشَبُ : السُمُّ . اللسان (قشب) .

خبرُ دُوْمَةِ[١] الجَنْدَلِ

لما فرغَ خالدٌ من عَيْنِ التَّمْر قصدَ إلى دومة الجندل ، واستخلفَ على عين التمر عويمر (بن) الكاهن[٢] الأسلمي ، فلما سمع أهل دومة الجندل بمسيره إليهم ، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وتنوخ وكلب[٣] وغسان والضجاعم ، فأقبلوا إليهم وعلى غسان وتنوخ ابن الأيهم ، وعلى الضجاعم ابن الحدرجان ، وجماعُ الناس بدومة إلى رجلين أُكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة ، فاختلفا ، فقال أُكيدر : أنا أعلم الناس بخالد ، لا أحد أيمن طائراً منه في حرب ، ولا أحدُّ منه ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً ، قلوا أم كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القومَ ، فأبَوْا عليه ، فقال : لن أمالئكم على حرب خالد وفارقهم ، فبعث إليه خالد عاصم بن عمرو فعارضه فأخذه ، فلما أتى به خالداً أمر فضربت عنقه وأخذ ما كان معه ، ثم تواجه خالد وأهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة ، وكلُّ قبيلةٍ مع أميرها من الأعراب ، وجعل خالدٌ دومةَ بينه وبين جيش عياض بن غنم ، وافترق جيش الأعراب فرقتين ، فرقة نحو خالد ، وفرقة نحو عياض ، حمل خالد على من قبله ، وحمل عياض على أولئك ، فأسرَ خالدٌ الجودي ، وأسرَ الأقرع (بن حابس) وديعة ، وفرت الأعراب إلى الحصن فملؤوه وبقي منهم خلق ضاق عنهم ، فعطفت بنو تميم على منْ هو خارج الحصن (فأعطوهم ميرة فنجا بعضُم ، وجاءَ خالدٌ فضربَ أعناقَ منْ وجده خارج الحصن) ، وأمر بضرب عنقِ الجودي ومنْ كان معه من الأسارى[٤] ، إلا أسارى بني كلب ، فإنَّ عاصمَ بن عمرو والأقرع بن حابسٍ ، وبني تميم أجاروهم ، فقال لهم خالد : ما لي وما لكم أتحفظون أمرَ الجاهلية وتضيِّعونَ أمرَ الإسلام ؟ فقال له عاصمُ بن عمرو : أتحسدونهم العافية وتحوذونهم الشيطان[٥] ، ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه ، واقتحموا الحصن فقتلوا منْ فيه من المُقاتلة ، وسَبَوا الذَّراري فبايعوهم بينهم فيمن يزيد ، واشترى خالدٌ (يومئذ) ابنةَ الجودي ، وكانت موصوفةً بالجمال ، وأقام بدومة الجندل وردّ الأقرع إلى الأنبار ، ثم رجع خالد إلى الحيرة ، فتلقاه أهلها من أهل الأرض بالتقليس[٦] ، فسمع رجلاً منهم يقول لصاحبه : مُرَّ بنا فهذا يومُ فَرَحِ الشَّرِّ[٧] .

---

(١) دومة ـ بضم أوله وفتحه ـ وعدّ ابن دريد الفتح من أغلاط المحدثين . وهي على سبع مراحل من دمشق إلى المدينة المنورة من القريات . معجم البلدان (٢/ ٤٨٧) .

(٢) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٨) : عويم بن الكاهل الأسلمي .

(٣) في أ : وكعب وغسان .

(٤) في أ : الأسرى إلا أسارى .

(٥) في أ : وتجوزونهم إلى الشيطان .

(٦) في أ : فتلقاه أهل من أهل الأرض بالتعليس . والتقليس : الضرب بالدف والغناء واستقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو . اللسان (قلس) .

(٧) تحتمل اللفظة في أ : السد والشك . وفي الطبي (٣/ ٣٧٩) : فرج الشر .

خبر وقعتي الحُصَيْد[١] والمُصَيَّخ[٢]

قال سيف[٣] : عن محمد وطلحة والمهلب قالوا : وكان خالد أقام بدُومة الجَنْدل ، فظنَّ الأعاجم به وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه ، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزِّبرقان ، وهو نائب خالدٍ عليها ، فلما بلغ ذلك الزِّبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة ، فبعث[٤] القعقاع أعْبَدَ بن فَدكي[٥] السَّعديّ ، وأمره بالحُصَيْد ، وبعث عُروة بن أبي الجعد البارقيّ وأمره بالخَنافس ، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى ، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق ، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه ، فبعث القعقاع بن عمرو أميراً على الناس ، فالتقوا بمكان يقال له الحُصَيْد ، وعلى العجم رجل منهم يقال له روزبه ، وأمده أمير آخر يقال له زَرْمهر[٦] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وهزم المشركون ، فقتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً ، وقتل القعقاع (بيده) زرمهر ، وقتل رجل يقال له عصمة بن عبد الله الضبي روزبه[٧] . وغنم المسلمون شيئاً كثيراً ، وهرب من هرب من العجم ، فلجؤوا إلى مكان يقال له خنافس ، فسار إليهم أبو ليلى (بن) فدكي السعدي ، فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المُصَيَّخ ، فلما استقروا بها بمنْ معهم من الأعاجم والأعراب قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود ، وقسم الجيش ثلاث فرق ، وأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنامهم[٨] ، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شبهوا إلا بغنم مُصرَّعةٍ .

وقد روى ابن جرير[٩] عن عدي بن حاتم قال :

انتهينا في هذه الغارة إلى رجل يقال (له) حُرْقُوص بن النعمان النمري ، وحوله بنوه وبناته وامرأته ، وقد وضع لهم جفنة من خمر وهم يقولون : أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت ؟ فقال لهم : اشربوا شربَ وداعٍ فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها ، فشربوا وجعل يقول[١٠] : [من الطويل]

---

(١) معجم ما استعجم (٤٥٢) .
(٢) ط : المضيح ؛وكذا في معجم ما استعجم (١٢٣٥) وقال ياقوت : المُصيخ بين حوران والقلت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب . معجم البلدان (٥/ ١٤٤) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٠) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٩٧) .
(٤) في أ : فكتب ، تصحيف .
(٥) في أ : عبد بن فزكي السعدي .
(٦) في أ : وزمهر .
(٧) في أ : رويزة .
(٨) أنامهم : هنا بمعنى : قتلهم . اللسان (نوم) .
(٩) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٢) .
(١٠) البيت مع الخبر مختصراً في معجم البلدان (٥/ ١٤٤) .

ألا يا اسْقِياني[١] قبلَ نائِرةِ[٢] الفَجرِ[٣] لعَـلَّ مَنَـايَـانـا قـريـبٌ ولا نَـدْري

القصيدة إلى آخرها ، قال : فهجم الناسُ عليه فضربَ رجلٌ رأسه فإذا هو في جفنته ، وأخذت بنوه وبناته وامرأته .

وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصدّيق بالأمان ولم يعلم بذلك المسلمون ، وهما عبد العُزَّى بن أبي رُهم[٤] بن قِرْواش ، قتله جرير بن عبد الله البجلي ، والآخر لَبيد بن جرير ، قتله بعض المسلمين ، فلما بلغ خبرهما الصّديق وداهما ، وبعث بالوصاة بأولادهما ، وتكلَّم عمر بن الخطاب في خالد بسببهما ، كما تكلَّم فيه بسب مالك بن نويرة ، فقال له الصدِّيق : كذلك يلقى من يساكن أهل الحرب في ديارهم ، أي الذنب لهما في مجاورتهما المشركين ، وهذا كما في الحديث « أنا بريءٌ من كُلِّ منْ ساكنَ المشركَ في داره »[٥] وفي الحديث الآخر[٦] « لا تراءى ناراهما » أي : لا يجتمع المسلمون والمشركون في محلة واحدة .

ثم كانت وقعة الثَّنيّ[٧] والزُّمَيْل[٨] وقد بيتوهم فقتلوا منْ كان هنالك من الأعراب والأعاجم فلم يُفلت منهم أحد ولا انبعث بخبر[٩] ، ثم بعث خالد بالخمس من الأموال والسبيِّ إلى الصدِّيق ، وقد اشترى عليُّ بن أبي طالب من هذا السبيِّ جاريةً من العرب وهي ابنة ربيعة بن بُجَيْر التغلبي ، فاستولدها عمر ورقية رضي الله عنهم (أجمعين) .

---

(١) في أ : فاسقياني ، وفي معجم البلدان : ألا يا اصحباني .

(٢) نأرت نائرة : هاجت هائجة . اللسن (نأر) .

(٣) في معجم البلدان : ألا يا اصحباني قبل جيش أبي بكر .

(٤) في أ : هروم ؛ وهو تحريف .

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢٦٤٥) في الجهاد ، والترمذي في جامعه (١٦٠٤) و(١٦٠٥) في السير . ونصه : « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » قالوا : يا رسول الله ؛ لم ؟ قال : « لا تراءى ناراهما » وهو حديث ساقه الترمذي موصولاً ومرسلاً والصحيح أنه مرسل ، أقول : وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٦) العبارة الآتية في الحديث السابق .

(٧) الثني بالفتح ثم الكسر وياء مشددة : موضع بالجزيرة شرقي الرُّصافة تجمعت فيه بنو تغلب ، وبنو بجير لحرب خالد بن الوليد فأوقع بهما وقتلهم شر قتلة سنة ١٢ في أيام أبي بكر الصديق . معجم البلدان (٢/ ٨٦) .

(٨) الزُّميل : عند البشر بالجزيرة شرقي الرصافة ، أوقع فيه خالد ببني تغلب ونمير وغيرهم سنة ١٢ أيام أبي بكر الصديق . معجم البلدان (٣/ ١٥١) .

(٩) في أ : فلم يفلت منهم أحداً ولا انبعث مخبر .

وقْعةُ الفِراض(١)

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى الفِراض وهي تُخومُ الشّام والعراق والجزيرة ، فأقام هنالك شهرَ رمضان مُفْطراً لشُغله بالأعداء ، ولما بلغ الرومَ أمرُ خالدٍ ومصيرُه إلى قرب بلادهم ، حموا وغضبوا وجمعوا جموعاً كثيرة ، واستمدوا تغلب وإياد والنَّمِر ، ثم ناهدوا خالداً فحالت الفرات بينهم فقالت الروم لخالد : اعبر إلينا ، وقال خالد للروم : بل اعبروا أنتم ، فعبرت الروم إليهم ، وذلك للنصف من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة ، فاقتتلوا هنالك قتالاً عظيماً بليغاً ، ثم هزمَ اللهُ جموعَ الروم وتمكَّن المسلمون من اقتفائهم فقتلَ في هذه المعركة مئة ألف ، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرةَ أيام ، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة ، لخمس بقين من ذي القعدة ، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعز أن يسير في الساقة ، (وأظهر خالد أنه يسير في الساقة) ، وسار خالد في عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام ، وسار إلى مكة في طريقٍ لم يُسْلكْ قبله قطُّ ، وتأتّى له(٢) في ذلك أمر لم يقعْ لغيره ، فجعلَ يسيرُ مُعْتَسِفاً(٣) على غير جادَّةٍ ، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة ، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة ، ولم يعلمْ أحدٌ بحجِّ خالدٍ هذه السنة إلا القليل من الناس ممَّنْ كانَ معه ، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك أيضاً إلا بعدما رجع أهل الحجّ من الموسم ، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش وكانت عقوبته عنده أن صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام ، وقال له فيما كتب إليه : يقول له : وإن الجموعَ لم تُشْجَ(٤) بعون الله شجيكَ فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة ، فأتممْ يُتمّمِ اللهُ لكَ ، ولا يدخلنك عُجْبٌ فتخسر وتخذل ، وإياك أن تُدلَّ بعمل فإنَّ اللهَ له المنُّ وهو وليّ الجزاء .

ولما قرأ خالد الكتاب قال(٥) : هذا من عمل الأعيسر ـ يعني عمر بن الخطاب ـ حَسَدني أن يكون فتح العراق على يدي . ولما انفصل خالد عن العراق استخلف عليه المثنى بن حارثة ، ومعه من تخلف من الصحابة وغيرهم ، فانحاز بهم المثنى نحو البريّة فيما يلي الأنهار مخافة عليهم من الفرس حتى يأتيه المدد .

---

(١) الفراض ـ بكسر أوله ـ تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات ، واجتمعت الروم والعرب والفرس فأوقع بهم وقعة عظيمة . قال سيف : قتل فيها مئة ألف ، ثم رجع خالد إلى الحيرة لعشر بقين من ذي الحجة سنة ١٢ . معجم البلدان (٤/ ٢٤٤) . وأخبار وقعة الفراض في تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٩٩) .

(٢) في ط : ويأتي ؛ وما هنا عن أ وهو بالسياق أشبه .

(٣) في أ : متعسفاً ، وَعسَف عن الطريق واعتسفه وتعسَّفه : مال وعدل وسار بغير هداية ولا توخّي صوب . القاموس والتاج (عسف) .

(٤) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٥) : فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك وهي من أشجاه الهم والحزن : بمعنى هيجه . اللسان (شجا) .

(٥) قول خالد هذا في تاريخ الطبري (٣/ ٤١٥) .

فصل فيما كان من الحوادث في هذه السنة[١]

فيها أمرَ الصديق زيدَ بن ثابتٍ أن يجمعَ القرآن من اللِّخافِ[٢] والعُسُب وصدور الرجال ، وذلك بعد ما استَحَرَّ[٣] القتلُ في القُرّاء يوم اليمامة كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري[٤] .

وفيها تزوج علي بن أبي طالب بأُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وهي من أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس الأموي ، وقد توفي أبوها في هذا العام ، وهذه هي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة فيضعها إذا سجد ويرفعها إذا قام .

وفيها تزوَّجَ عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وهي ابنة عمه ، وكان لها محباً وبهامعجباً ، وكان لا يمنعها من الخروج إلى الصلاة ويكره خروجَها ، فجلس لها ذات ليلة في الطريق في ظلمة ، فلما مرَّتَ ضربَ بيده على عجزها ، فرجعتْ إلى منزلها ولم تخرج بعد ذلك ، وقد كانت قبله تحت [أخيه] زيد بن الخطاب ، فيما قيل ، فقتل عنها ، وكانت قبل زيد تحت عبد الله بن أبي بكر (فقتل عنها) ، ولما مات عمر تزوَّجها بعده الزبير ، فلما قُتل خطبها علي بن أبي طالب فقالت : إني أرغب بك عن الموت ، وامتنعت عن التزوج[٥] حتى ماتت .

وفيها اشترى عمر مولاه أسلم ، ثم صار منه أن كان أحد سادات التابعين ، وابنه زيد بن أسلم أحد الثقات الرفعاء .

وفيها حج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان . رواه ابن إسحاق[٦] ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحُرقة ، عن رجل من بني سهم ، عن ابن ماجدة[٧] ، قال : حجَّ بنا أبو بكر في خلافته سنة ثنتي عشرة ، فذكر حديثاً في القصاص من قطع الأذن ، وأن عمر حكم في ذلك بأمر الصديق . قال ابن إسحاق : (وقال بعض الناس) لم يحجّ أبو بكر في خلافته ، وأنه بعث على الموسم سنة ثنتي عشرة عمر بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) في أ : ومما كان من الحوادث هذه السنة ، فصل كان من الحوادث هذه السنة .

(٢) في ط : اللحاف ، تحريف ، واللخاف : جمع لَخْفَة وهي حجارة بيض رقاق . النهاية (٣/ ٢٤٤) واللسان (لخف) .

(٣) استحرَّ القتل ، وحرَّ بمعنى اشتدَّ . اللسان (حرر) .

(٤) حديث جمع القرآن في صحيح البخاري (٤٩٨٦) في فضائل القرآن .

(٥) في أ : وامتنعت من التزويج .

(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٦) .

(٧) في أوط : أبي ماجدة ، والتصحيح من تاريخ الطبري ، واسم ابن ماجدة : علي ، وهو من رجال التهذيب .

فصل فيمن توفي في هذه السنة

قد قيل إن وقعةَ اليمامة وما بعدها (كانت) في سنة ثنتي عشرة ، فليذكر هاهنا من تقدَّم ذكره في سنة إحدى عشرة من قتل باليمامة وما بعدها ، ولكن المشهور ما ذكرناه .

[وممن توفي في هذه السنة] :

بشير بن سَعْد بن ثعلبة الخزرجي[١] والدُ النُّعمان بن بشير ، شهد العقبةَ الثانيةَ ، وبدراً وما بعدها ، ويقال : إنه أولُ من أسلم من الأنصار ، وهو أول من بايعَ الصديقَ يومَ السقيفة من الأنصار ، وشهدَ مع خالدٍ حروبه إلى أن قُتل بعين التمر رضي الله عنه ، وروى له النسائي[٢] حديث النُّحْل .

والصَّعْبُ بن جَثَّامة اللَّيْثي[٣] أخو مُحلِّم[٤] بن جَثَّامة ، له عن رسول الله ﷺ أحاديث . قال أبو حاتم[٥] : هاجر وكان ينزل ودَّان[٦] ومات في خلافة الصدِّيق .

وأبو مَرْثَد الغَنوي[٧] واسمه كَنَّاز[٨] بن الحصن[٩] ـ ويقال ابن حصين ـ بن يربوع بن (عمرو بن

---

(١) ترجمة ـ بشير بن سعد ـ في الاستيعاب (١٧٧) وأسد الغابة (١/ ٢٣٣) وجامع الأصول (١٣/ ١٥٦) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٦٦) والإصابة (١/ ١٦٨) .

(٢) رواه النسائي في المجتبى ، رقم (٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦١) ، وهو في النُّحْل من سننه الكبرى (٦٥٠٢) (٦٥٠٣) و(٦٥٠٥) و(٦٥١٠) . ورواه مسلم (١٦٢٣) وغيره من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ ، وهو المحفوظ .

(٣) ترجمة ـ الصعب بن جثّامة ـ في التاريخ الكبير (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) والجرح والتعديل (٤/ ٤٥٠) والاستيعاب (٧٣٩) وجامع الأصول (١٤/ ٣٤٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٩) وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٢١) . والإصابة (٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥) .

(٤) في ط : محكم ؛ تحريف ، وقال ابن الأثير : محلم ـ بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد اللام المكسورة ـ جامع الأصول (١٥/ ١٧١) .

(٥) الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٠) .

(٦) ودّان : موضع بين مكة والمدينة ينسب إليها الصعب بن جثامة الليثي الوداني ، كان ينزلها فنسب إليها . معجم ما استعجم (١٣٧٤) ومعجم البلدان (٥/ ٣٦٥) .

(٧) ترجمة ـ أبي مرثد الغنوي ـ في التاريخ الكبير (٧/ ٢٤١) والجرح والتعديل (٧/ ١٧٤) وحلية الأولياء (٢/ ١٩) والاستيعاب (١٣٣٣) وجامع الأصول (١٥/ ١١٧ ـ ١١٨) وأسد الغابة (٤/ ٥٠٠) وتهذيب الكمال (٢٤/ ٢٢٣) والإصابة (٣/ ٣٠٧) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٨) ومرثد ـ بفتح الميم وسكون الراء ، وفتح الثاء المثلثة ـ جامع الأصول .

(٨) في ط : معاذ ؛ تحريف ، وكناز بفتح الكاف ، وتشديد النون ، وبالزاي . جامع الأصول .

(٩) في أ ، ط : الحصين ويقال ابن الحصن . وما هنا عن مصادره .

يربوع) بن خَرَشَة[1] بن سَعْدِ بن طَرِيف بن جِلاَّن[2] بن غَنْم بن غَني بن أعصر[3] بن سَعْد بن قَيْس بن غيلان بن مُضَر بن نزار أبو مَرْثَد الغَنوي ، شهد هو وابنه مَرْثَد بدراً ، ولم يشهدها رجلٌ هو وابنه سواهما ، واستُشهد ابنُه مَرْثَد يوم الرَّجيع كما تقدَّم ، وابنُ ابنهِ أُنَيس بن مَرْثَد بن أبي مَرْثَد له صحبة أيضاً ، شهد الفتح وحنيناً وكان عينَ رسول الله ﷺ يوم أوطاس ، فهم ثلاثة نسقا ، وقد كان أبو مرثد حليفاً للعباس بن عبد المطلب ، ورُوي له عن النبي ﷺ حديثٌ واحدٌ أنّه قال : « لا تُصلّوا إلى القبور ، ولا تَجْلسُوا إليها » [رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من طريق واثلة بن الأسقع عنه][4] . قال الواقدي : توفي سنة اثنتي عشرة ، زاد غيره بالشام ، وزاد غيره عن ست وستين سنة ، وكان رجلاً طويلاً كثير الشعر .

قلت : وفي قبلي دمشق قبر يعرف بقبر كثير[5] ، والذي قرأته على قبره : هذا قبر كَنّاز بن الحصين صاحب رسول الله ﷺ ، ورأيت على ذلك المكان روحاً وجلالة ، والعجب أن الحافظ ابن عساكر لم يذكره في تاريخ الشام ، فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة :

أبو العاص[6] **بن الرَّبيع بن عَبْدِ العُزَّى بن عَبْدِ شَمْسٍ بن عَبْدِ مُنافِ بن قُصيّ القُرشيّ العَبْشمي** : زوج أكبر بنات رسول الله ﷺ زينب ، وكان مُحْسناً إليها ومُحبّاً لها ، ولما أمره المشركون بطلاقها[7] حين بُعث رسول الله ﷺ أبى عليهم ذلك ، وكان ابنَ أختِ خديجة بنت خويلد ، واسم أُمه هالة ، ويقال هند بنت خويلد ، واختلف في اسمه فقيل[8] : (لقيط) ، وهو الأشهر ، وقيل : مِهْشَم[9] ، وقيل : هُشَيْم ، وقد شهد بدراً من ناحية الكفار فأسر : فجاء أخوه عمرو بن الربيع ليفاديه وأحضر معه في الفداء قلادةً كانت خديجة أخرجتها مع ابنتها زينب حين تزوج أبو العاص بها ، فلما رآها رسولُ الله رقَّ رقةً شديدةً وأطلقه بسببها ، واشترط عليه أن يبعث له زينب إلى المدينة فوفَّى له بذلك ، واستمرّ أبو العاص على كفره بمكةَ إلى قُبيل الفتح بقليل ، فخرج في تجارةٍ لقريش فاعترضه زيدُ بن حارثة في سرية فقتلوا جماعة من أصحابه

---

(١) خرشة ـ بفتح الخاء المعجمة ، وفتح الراء وبالشين المعجمة ـ جامع الأصول .

(٢) في ط : خيلان ، تحريف ، وجلان ـ بكسر الجيم ـ وتشديد اللام ، وبالنون .

(٣) كذا في الأصلين ، وفي الاستيعاب وأسد الغابة : يعصر .

(٤) صحيح مسلم (٩٧٢) و(٩٧) و(٩٨) في الجنائز ، وسنن أبي داود (٣٢٢٩) في الجنائز ، وجامع الترمذي (١٠٥٠) و (١٠٥١) في الجنائز ، وسنن النسائي (٢/ ٦٧) في القبلة .

(٥) في أ : زيادة : وكأنه من تصحيف بعض العامة .

(٦) ترجمة ـ أبي العاص ـ في الاستيعاب (٤/ ١٧٠١) وجامع الأصول (١٥/ ٢١٩) وأسد الغابة (٦/ ١٨٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) . والإصابة (٤/ ١٢١ ـ ١٢٣) .

(٧) في ط : أمره المسلمون بطرقها ؛ خطأ . والتصويب من الاستيعاب .

(٨) في أ : وقيل قاسم ، وقيل ياسر .

(٩) مهشم : بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح الشين المعجمة ، وقيل بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الشين الثقيلة .

وغنموا العير ، وفرَّ أبو العاص هارباً إلى المدينة فاستجار بامرأته زينب فأجارته ، فأجاز رسول الله جوارها ، ورد عليه ما كانَ معه من أموالِ قريشٍ ، فرجع بها أبو العاص إليهم ، فرد كلَّ مالٍ إلى صاحبه ، ثم تشهد شهادة الحق وهاجر إلى المدينة ، ورد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول ، وكان بين فراقها له وبين اجتماعها[١] ست سنين ، وذلك بعد سنتين من وقت تحريم المسلمات على المشركين في عمرة الحديبية ، وقيل إنما ردَّها عليه بنكاح جديد ، فالله أعلم .

وقد ولد من زينب علي بن أبي العاص [وأمامة بنت أبي العاص] .

وخرج مع عليٍّ إلى اليمن حين بعثه إليها رسولُ الله ﷺ وكان رسولُ الله ﷺ يثني عليه خيراً في صهارته ، ويقول : « حدَّثني فصدَقني وواعدني فوَفاني »[٢] وقد توفي في أيام الصديق سنة ثنتي عشرة .

وفي هذه السنة تزوج عليُّ بن أبي طالب بابنته أمامة بنت أبي العاص ، بعد وفاة خالتها فاطمة ، وما أدري هل كان ذلك قبل وفاة أبي العاص أو بعده ، فالله أعلم[٣]

سنة ثلاث عشرة من الهجرة

استُهلَّتْ هذه السنة والصدِّيقُ عازم على جمع الجنود ليبعثَهم إلى الشام ، وذلك بعد مرجعه من الحج [وذلك] عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] وبقوله تعالى : ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ الآية [التوبة : ٢٩] . واقتداءً برسول الله ﷺ فإنه جمعَ المسلمين لغزو الشّام ـ وذلك عام تبوكَ ـ حتّى وَصلها في حرٍّ شديد وجهد ، فرجع عامَهُ ذلك ، ثم بعثَ قبل موته أسامةَ بن زيدٍ مولاه ليغزوَ تخوم الشام كما تقدم . ولما فرغ[٤] الصدِّيقُ من أمر جزيرة العرب بسط يمينَه إلى العراق ، فبعث إليها خالد بن الوليد ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق ، فشرع في جمع الأمراء في أماكنَ متفرقةٍ من جزيرة العرب . وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة معه الوليدُ بن عقبة فيهم ، فكتب إليه يستنفره إلى الشام[٥] : إنّي كنتُ قد رددتكَ على العمل الذي ولّاكهُ رسولُ الله ﷺ مرةً ، وسمّاه لك أخرى ، وقد أحببت ـ أبا عبد الله ـ أن أفرِّغك لما هو خيرٌ لك في حياتك ومعادك منه ، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك .

---

(١) من قوله : فراقها إلى هنا بياض في (أ) .

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٦) والبخاري في صحيحه (٣١١٠) في فرض الخمس ، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٩) (٩٥) في فضائل الصحابة .

(٣) بعده في ط : تم الجزء السادس من البداية والنهاية ، ويليه الجزء السابع ، وأوله : سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية . نسأل الله التوفيق والإعانة . بسم الله الرحمن الرحيم سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

(٤) في أ : ولما تفرغ .

(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٩) .

فكتب إليه عمرو بن العاص : إنّي سهمٌ من سهام الإسلام ، وأنت عبد[١] الله الرامي بها ، والجامع لها ، فانظرْ أشدَّها وأخشاها فارم (بي) فيها . وكتب إلى الوليد بن عقبة بمثل[٢] ذلك ورد عليه مثله ، وأقبلا بعد ما استخلفا في عملهما ، إلى المدينة . وقدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن ، فدخل المدينةَ وعليه جبَّةُ ديباج ، فلما رآها عمرُ عليه أمر من هناك من الناس بتحريقها[٣] عنه ، فغضب خالد بن سعيد وقال لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن ! أغُلبْتُم يا بني عبد مناف عن الإمرة ؟ فقال له علي : أمغالبة تراها أو خلافة ؟ فقال لا يغالب[٤] على هذا الأمر أولى منكم ، فقال له عمر بن الخطاب : اسكت فضَّ اللهُ فاك ، والله لا تزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لا تضر إلا نفسك . وأبلغها عمر أبا بكر فلم يتأثر لها أبو بكر .

ولما اجتمع عند الصدِّيق من الجيوش ما أراد قام في الناس خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم حثَّ الناسَ على الجهاد فقال : ألا [إنّ][٥] لكلِّ أمرٍ جوامع ، فمنْ بلغَها فهي حسبُه ، ومن عملَ لله كفاهُ اللهُ ، عليكم بالجدِّ والقصد فإنَّ القصدَ أبلغُ ، ألا إنه لا دينَ لأحدٍ لا إيمانَ له ، ولا إيمانَ لمنْ لا حسبةَ[٦] له ، ولا عملَ لمن لا نيَّة له ، ألا وإن في كتابِ الله من الثواب على الجهادِ في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحبَّ أن يُخصَّ به ، هي التجارةُ[٧] التي دلَّ اللهُ عليها ، إذ نَجّى بها من الخزي ، وألحق بها [من] الكرامة .

ثم شرعَ الصدِّيقُ في توليةِ الأمراءِ وعقدِ الألويةِ والرايات ، فيُقال إنَّ (أولَ) لواءٍ عَقَدهُ لخالدِ بن سعيد بن العاص ، فجاء عمر (بن الخطاب) فثناه عنه وذكَّره بما قال . فلم يتأثر (به الصديق كما تأثر به عمر ، بل عزله عن الشام وولاه أرض « تيماء » يكون بها فيمن) معه من المسلمين حتى يأتيه أمره .

ثم عقدَ لواءَ يزيد بن أبي سفيان ومعه جمهورُ الناس ، ومعه سهيلُ بن عمرو ، وأشباهُه من أهل مكة ، وخرج معه ماشياً يوصيه (بما اعتمده في حربه ومن معه من المسلمين ، وجعل له دمشق . وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر ، وخرج معه ماشياً يوصيه) ، وجعل له نيابةَ حمص . وبعثَ عمرو بن العاص ومعه جندٌ أُخر وجعله على فلسطين . وأمر كلَّ أميرٍ أن يسلكَ طريقاً غير طريق الآخر ، لما لحظ في ذلك من المصالح . وكان الصدِّيقُ اقتدى في ذلك بنبيِّ الله يعقوب حين قال لبنيه : ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ

(١) في أ : فعبد الله ، وفي الطبري : بعد الله .
(٢) في أ : قبل ذلك ، وفي الطبري : بنحو ذلك .
(٣) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٨) : فصاح عمر بمن يليه مزّقوا عليه جبته .
(٤) في أ : لا يخالف .
(٥) استدراك من الطبري .
(٦) في أ : خشية . وفي نسخة « ولا أجر لمن لا حسبة له » .
(٧) في أ ، ط : هي النجاة ؛ وما هنا عن الطبري (٣/ ٣٩٠) .

مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : ٦٧] . فكان سلوكُ يزيد بن أبي سفيان على تبوك .

قال المدائنيّ بإسناده عن شيوخه قالوا : وكان أبو بكر بعث هذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة .

قال محمد بن إسحاق[١] عن صالح بن كيسان : خرج أبو بكر ماشياً ويزيد بن أبي سفيان راكباً فجعل يوصيه ، فلما فرغ قال : أقرئك السلام وأستودعك الله ، ثم انصرف ومضى يزيد وأجدَّ السيرَ . ثم تبعه شرحبيل بن حسنة ، ثم أبو عبيدة مدداً لهما . فسلكوا (غير) ذلك الطريق .

وخرج عمرو بن العاص حتى نزل فلسطين من[٢] الشام . ويقالُ إن يزيدَ بن أبي سفيان نزلَ البلقاء أولاً . ونزل شرحبيلُ بالأردنّ ، ويقال ببُصْرى . ونزلَ أبو عبيدة بالجابية . وجعلَ الصدِّيقُ يمدُّهم بالجيوش ، وأمر كل واحد منهم أن ينضاف إلى من أحبَّ من الأمراءِ . ويُقال إن أبا عبيدة لما مرَّ بأرض البلقاءِ قاتلهم حتى صالحوه ، وكان أولَ صلحٍ وقعَ بالشامِ .

ويقالُ : إنَّ أولَ حربٍ وقع بالشام أن الرومَ اجتمعوا بمكانٍ يقال له العَرَبَة[٣] من أرض فلسطين ، فوجه[٤] إليهم أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم ، وقتل منهم بطريقاً عظيماً . ثم كانت بعد هذه وقعة مَرْجِ الصُّفَّر استُشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال إنَّ الذي استُشهد في مَرْجِ الصُّفَّر ابنٌ لخالد بن سعيد [بن العاص ، وجماعة من المسلمين ، وأما خالد بن سعيد] ففرَّ حتى انحاز إلى أرضِ الحجاز ، فالله أعلم ، حكاه ابن جرير[٥] .

قال ابن جرير[٦] : ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع[٧] كثير من نصارى العرب ، من بَهْراء[٨] ، وتنوخ ، وبني كَلْب ، وسَليح ، ولَخْم وجُذام ، وغَسّان ، فتقدم إليهم خالد بن سعيد ، فلمّا اقتربَ منهم تفرّقوا عنه ودخلَ كثيرٌ منهم في الإسلام ، وبعثَ إلى الصديق يُعلمُه بما وقعَ من الفتح ، فأمرَهُ الصديق أن يتقدَّم ولا يُحْجم ؛ وأمدَّه بالوليد بن عقبة[٩]

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٥) .

(٢) في ط : العرمات من أرض الشام ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٥) : نزل بغمر العَربات .

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٠٥) وفيه : واجتمع للروم جمع بالعَربة من أرض فلسطين . وفي ط : العرية . وعند ياقوت : الغَزيَّة قرية من أعمال زُرْع من نواحي حوران . معجم البلدان (٤/ ٢٧) ، والمصنف ينقل من تاريخ الطبري وفيه كما هنا .

(٤) في أ : فتوجه .

(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٦) .

(٦) تاريخه (٣/ ٣٨٩) .

(٧) في أ : ومعهم كثير .

(٨) في ط : من غيرا ؛ تحريف .

(٩) في ط : الوليد بن عتبة ؛ خطأ ، والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٠) .

وعكرمة بن أبي جهل وجماعة ، فسارَ إلى قريبٍ من إيلياء فالتقى هو وأميرٌ من الروم يقال له باهان[١] فكسره ، ولجأ[٢] باهان إلى دمشق ، فلحقه خالدُ بن سعيد ، وبادرَ الجيش إلى لحوق دمشق وطلب الحظوة ، فوصلوا إلى مرج الصُّفَّر فانطوت عليه مسالح باهان وأخذوا عليهم الطريق ، وزحف باهان ففرَّ خالدُ بن سعيد ، فلم يزل إلى ذي المروة . واستحوذَ الرومُ على عسكرهم إلَّا من فرَّ على الخيل ، وثبت عكرمة بن أبي جهل ، وقد تقهقر عن الشام قريباً وبقي ردءاً لمن نفر إليه ، وأقبلَ شرحبيلُ بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد إلى الصدِّيق ، فأمَّره على جيشه وبعثه إلى الشام ، فلما مر بخالد بن سعيد بذي المروة ، أخذ جمهورُ أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة .

ثم اجتمع عند الصديق طائفةٌ من الناس فأمَّر عليهم معاويةَ بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان . ولما مرَّ بخالد بن سعيد أخذ منْ كان بقي معه بذي المروة إلى الشام . ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال : كان عمر أعلم بخالد .

وقعةُ اليَرْموك

على ما ذكره سيف بن عمر في هذه السنة قبل فتح دمشق ، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله .

وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فإنه نقل[٣] عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر : أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق .

وقال محمد بن إسحاق : كانت في رجب سنة خمس عشرة .

وقال خليفة بن خياط[٤] : قال ابن الكلبي : كانت وقعة اليرموك يوم الإثنين لخمسٍ مَضَيْن من رجب سنة خمس عشرة .

قال ابن عساكر : وهذا هو المحفوظ ، وما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه .

قلت : وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير[٥] وغيره . قال :

ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً ، وكتبوا إلى هرقل

---

(١) في ط : ماهان ؛ تحريف وما هنا عن الطبري .

(٢) في أ : ونجا ؛ تحريف .

(٣) في تاريخ دمشق (١/ ٥٢٧ _ ٥٢٩) .

(٤) في تاريخه (ص١٣٠) .

(٥) في تاريخه (٣/ ٣٩٢) .

يعلمونه بما كان من الأمر . فيقال : إنه كان يومئذ بحمص ، ويقال : [بل] كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس . فلما انتهى إليه الخبر . قال لهم : ويْحكم إن (هؤلاء) أهلُ دينٍ جديد ، وإنهم لا قبلَ لأحدٍ بهم ، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم على نصفِ خراج الشام ويبقى لكم جبالُ الروم ، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم ، فنخروا من ذلك نخرةَ حُمُرِ الوَحْش كما هي عاداتهم في قلة[١] المعرفة والرأي بالحرب والنصرة في الدّين والدنيا . فعند ذلك سار إلى حمص ، (وأمر هرقل بخروج)[٢] الجيوش الرومية صحبةَ الأمراء ، في مقابلة كلّ أمير من المسلمين جيشٌ كثيفٌ . فبعث إلى عمرو بن العاص أخاً له لأبويه تَذَارق في تسعين ألفاً من المقاتلة . وبعث جرجه بن توذرا إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه[٣] في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً . وبعث الدُّراقص إلى شُرحبيل بن حَسَنة . وبعث الفيقار[٤] ويقال القيقلان ـ قال ابن إسحاق وهو خصيّ هرقل نسطورس ـ في ستّين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح . وقالت الروم : (والله) لنشغلنَّ أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا . وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل . وكان واقفاً في طرف الشام[٥] ردءاً للناس ـ في ستة آلاف ـ فكتب الأمراء إلى أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا[٦] جنداً واحداً والقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله والله ناصرٌ[٧] منْ نَصَره ، وخاذلٌ من كَفَره ، ولن يُؤْتى مثلُكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذُّنوب فاحترسوا منها ، وليصلّ كل رجل منكم بأصحابه .

وقال الصدِّيق : والله لأشغلنَّ النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على منْ به ، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق ، فكان ما سنذكره .

ولما بلغ هرقل ما أمر به الصدِّيقُ أمراءه من الاجتماع ، بعث إلى أُمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش (منزلًا) واسع العطن[٨] ، واسع المُطَّرَدِ[٩] ، ضيقَ المَهْرب ، وعلى الناس أخوه بذارق ، وعلى المقدمة جرجه ، وعلى المَجْنبتين باهان والدُّراقص ، وعلى البحر القيقلان .

وقال محمد بن عائذ[١٠] : عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن عبد العزيز : إنَّ المسلمين كانوا أربعةً

---

(١) في أ : عاداتهم فرط المعرفة .

(٢) مكان القوسين في أ : في .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٢) .

(٤) في ط : اللقيقار ، وما هنا عن الطبري .

(٥) في أ : طرف المدينة .

(٦) في أ : أن يجتمعوا ويكونوا .

(٧) في ط : والله ينصر . وكتاب أبي بكر هذا في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٣) .

(٨) العطن للإبل كالوطن للناس ، ومعنى واسع العطن : أي واسع الناحية . اللسان (عطن) .

(٩) من طراد الخيل ، وهو عدوها وتتابعها . اللسان (طرد) ومعنى مطرد : أي يتسع لعدو الخيل وتتابعها .

(١٠) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٥٢٩) .

وعشرين ألفاً ، وعليهم أبو عبيدة ، والرُّوم كانوا عشرين ومئة ألفٍ عليهم باهان وسقلاب يوم اليرموك .

وكذا ذكر [محمد بن] إسحاق : أن سقلاب الخصي كان على الروم يومئذ في مئة ألف ، وعلى المقدّمة جرجه ـ من أرمينية ـ في اثني عشر ألفاً ، ومن المُسْتعربة اثني عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم ، والمسلمون في أربعةٍ وعشرين ألفاً ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من ورائهم أشدَّ القتال .

وقال الوليد : عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : بعث هرقلُ مئتي ألف عليهم باهان الأرمني .

قال سيف[١] : فسارت الروم فنزلوا الواقوصة قريباً من اليرموك ، وصار الوادي خندقاً عليهم . وبعث الصحابةُ إلى الصدّيق يستمدُّونه ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك ، فكتب الصدِّيق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام ، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم . فاستناب المثنى بن حارثة على العراق ، وسار خالد مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمئة ، ودليله رافع بن عُمَيْرة الطّائي ، فأخذ به على السماوة[٢] حتى انتهى إلى قُراقِر[٣] ، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحدٌ ، فاجتابَ البراري والقفار ، وقطعَ الأوديةَ ، وتصعَّد على الجبال ، وسار في غير مهيع[٤] ، وجعل رافع يدلُّهم في مسيرهم على الطريق ، وهو في مفاوز مُعْطشة ، وعَطَّشَ النوقَ وسقاها الماء عللاً بعد نهل[٥] ، وقطع مشافرها وكعمها[٦] حتى لا تجترّ وخلَّى أدبارها ، واستاقها معه ، فلما فقدوا [ذلك] الماء نحرها ، فشربوا ما في أجوافها من الماء ، ويقال : بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها . ووصل ولله الحمد والمنة في تسعة[٧] أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر ، فصالح أهل تدمر وأركة[٨] ، ولما مر بعذراء[٩] أباحها وغنم لغسان أموالاً[١٠] عظيمة ، وخرج من شرقي دمشق ، ثم

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٣) .

(٢) في ط : السماق ، تحريف . والسماوة بادية بين الكوفة والشام قفرى . معجم البلدان (٣/ ٢٤٥) .

(٣) قراقر : واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند مقصده الشام . معجم البلدان (٤/ ٣١٧) .

(٤) مَهْيع : طريق مَهيعٌ واضح واسع بيّن ، وجمعه مهايع اللسان (هيع) .

(٥) العلل : الشربة الثانية ، والنهل : الأولى . اللسان (علل ونهل) .

(٦) كعم البعير يكعمُه كعْماً : شدّ فاه . اللسان (كعم) .

(٧) في ط : خمسة ، وما هنا عن أ والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٩) .

(٨) كذا في أ ، ط وهي في تاريخ الخميس (١/ ٢٣٢) : أوروكة ، وفي معجم البلدان (٢/ ١٥٣) : أرك ـ بفتحتين ـ وضم ابن دريد همزته : مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدْمُر ، وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام .

(٩) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة إليها ينسب مرجها ، وإذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيتها أول قرية تلي الجبل . معجم البلدان (٤/ ٩١) قلت : ويلفظها أهل دمشق اليوم عدرا .

(١٠) في أ : ولما مر بعذراء أغار على عسا وغنم غسان أموالاً عظيمة . وما هنا أوضح .

سار حتى وصل إلى قناة بصرى ، فوجد الصحابة تحاربها ، فصالحه صاحبها وسلمها إليه ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحمد .

وبعثَ خالدٌ بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحارث المزني إلى الصديق (ثم سار وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص ـ وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور ـ فكانت واقعة أجنادين) . وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد[1] [من الرجز] :

لله عَيْنَا[2] رافِعٍ أنَّى اهْتَدى
فَوَّزَ مِنْ قُراقِرٍ إلى سُوى
خمساً إذا ما سارها الجيشُ بكى
ما سارَها قَبلَكَ إنسيٌّ أرى

وقد كان بعضُ العرب قال له في هذا المسير : إن أنتَ أصبحتَ عند الشجرة الفلانية نجوتَ أنتَ ومنْ معكَ ، وإن لم تدركْها هلكتَ أنتَ ومنْ معك ، فسار خالد بمن معه وسَرَوا سروةً عظيمةً فأصبحوا عندها ، فقال خالد : عندَ الصَّباح يحمد القوم السُّرى . فأرسلها مثلاً ، وهو أول من قالها رضي الله عنه .

(ويقول غير ابن إسحاق ، كسيف بن عمر وأبي مِخْنَف وغيرهما في تكميل السياق الأول :

حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوصة) وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه ، فنزلوا قريباً من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا أيها الناس ، فقد حصرت (والله) الروم ، وقلما جاء محصور بخير .

ويقال : إنّ الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم ، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال : ما كنت أظنّ أني أعمَّر حتّى أدرك قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم ، ثم أشار أن يتجزَّأ الجيشُ ثلاثةَ أجزاء ، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم ، ثم تسير الأثقال والذراري في الثلث الآخر ، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل (إليهم) البُرُد والمَدد . فامتثلوا ما أشار به ونعم الرأي هو .

وذكر الوليد عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير :

أن الروم نزلوا فيما بين دير أيوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر ، وأذرعات خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة . ويقال إن خالداً إنما قدم عليه بعدما نزل الصحابة تجاه الروم بعد ما صابروهم (وحاصروهم) شهر ربيع الأول بكماله ، فلما انسلخ وأمكن القتال لقلة الماء بعثوا

---

(١) الأشطار الثلاثة الأولى في معجم ما استعجم (١٠٥٨) وهي أربعة في معجم البلدان (٤/ ٣١٨) وهي في تاريخ الطبري (٣/ ٤١٦) كما هنا .

(٢) في معجم ما استعجم : ضل ضلال رافع ، وفي معجم البلدان : لله در رافع .

إلى الصديق يستمدونه فقال : خالد لها ، فبعث إلى خالد فقدم عليهم في ربيع الآخر ، فعند وصول خالد إليهم أقبل باهان مدداً للروم ومعه القساقسة ، والشمامسة والرهبان يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية ، فتكامل جيش الروم أربعون ومئتا ألف ، ثمانون ألف مسلسل بالحديد والحبال ، وثمانون ألف فارس ، وثمانون ألف راجل .

قال سيف[١] : وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لئلا يفروا ثلاثين ألفاً ، فالله أعلم .

(قال سيف) وقدم عكرمةُ بمنْ معه من الجيوش فتكاملَ جيشُ الصحابةِ ستةً وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً .

وعند ابن إسحاق والمدائني (أيضاً) : أن وقعةَ أجنادين قبل وقعة اليرموك وكانت وقعةُ أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان . وكان قد بعث رجلاً من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ، فلما رجع إليه قال : وجدتُ قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار ، والله لو سرقَ فيهم ابنُ ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه . فقال له القيقلان : والله لئن كنت صادقاً لَبَطْنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

(وقال سيف بن عمر في سياقه) :

ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة وعمرو بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد في الناس خطيباً .

(وقال سيف بن عمر في وقعة اليرموك) فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف . فاجتمع الناس وتَصافُّوا مع عدوّهم في أول جمادى الآخرة ، وقام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً ، فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضُنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد ، حتى يتأمَّر كلكم ، ودعوني اليوم أليكم ، فأمّروه عليهم وهم يظنون أن الأمرَ يطول جداً ، فخرجت الروم في تعبئة لم يُر (مثلها) قبلها قط ، وخرج خالد في تعبئة لم تعبئها العرب قبل (ذلك) . فخرج في ستة وثلاثين كردوساً (إلى الأربعين) كلُّ كردوسٍ ألفُ رجلٍ عليهم أميرٌ ، وجعل أبا عبيدة في القلب ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان . وأمَّرَ على كل كردوس أميراً ، وعلى الطلائع قُبَاثَ[٢] بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود ، والقاضي يومئذ أبو الدرداء ، وقاصّهم الذي

(١) قول سيف وخبر وقعة اليرموك في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٤ ـ ٤١١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤١٠ ـ ٤١٥) .

(٢) في أ ، ط : قباب ؛ وهو تحريف ، وهو قُباث بن أشيم بن عامر بن الملوّح اللّيثي ويقال التميمي والكناني وهو الأكثر . الاستيعاب (٤/ ١٣٠٣) والإكمال (٧/ ٩٧) وجامع الأصول (١٥/ ٥٥) وأسد الغابة (٤/ ٣٧٩) والإصابة (٣/ ٢٢١) .

يعظُهم ويحثُّهم على القتال أبو سفيان بن حرب ، وقارؤهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآياتِ الجهاد المِقْداد بن الأسود .

وذكر إسحاق بن يسار بإسناده : أنَّ أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة ، أبو عبيدة وعمرو بن العاص وشُرحبيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان ، وخرج الناس على راياتهم وعلى الميمنة مُعاذ بن جَبَل ، وعلى المَيْسرة نفاثة بن أسامة الكناني ، وعلى الرجَّالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيَّالة خالد بن الوليد وهو المشير في الحرب الذي يصدر الناس كلهم عن رأيه ، ولما أقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون[١] بأصوات مرتفعة (ورهبانهم) يتلون الإنجيلَ ويحثُّونهم على القتال ، وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش[٢] فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له : إني مشيرٌ بأمر ، فقال : قُلْ ما أمرَكَ الله أسمعُ لك وأطيع . فقال له خالد (إن) هؤلاء (القوم) لا بدَّ لهم من حملة عظيمة لا محيدَ لهم عنها ، وإني أخشى على الميمنة والميسرة (وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء) (الميمنة والميسرة) حتى إذا صدموهم (كانوا لهم ردءاً فنأتيهم من ورائهم)[٣] . فقال له : نِعْمَ ما رأيتَ . فكان خالدٌ في أحد الخيلين من وراء الميمنة ، وجعل قَيْسَ بن هُبَيْرة في الخيل الأخرى ، وأمر أبا عبيدةَ أن يتأخَّر عن القلبِ إلى وراءِ الجيش كلِّه لكي إذا رآه المنهزمُ استحيى منه ورجع إلى القتال ، فجعل أبو عبيدة مكانَه في القلب سعيدَ بن زيد أحدَ العشرة رضي الله عنهم ، وساقَ خالدٌ إلى النساء من وراء الجيش ومعهنَّ عددٌ من السيوف وغيرها ، فقال لهن : من رأيتموه مولِّياً فاقتلنه ، ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه .

ولما تراءى الجمعان وتبارزَ الفريقان وعظَ أبو عبيدة المسلمين فقال :

عبادَ الله انصرُوا الله ينصرْكمْ ويُثبِّتْ أقدامكم ، يا معشر[٤] المسلمين اصبروا فإن الصبرَ منجاةٌ من الكفر ومرضاةٌ للربّ ومدحضةٌ للعار ، ولا تبرحوا مصافَّكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤوهم بالقتال ، وشرِّعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذِكْرِ الله (في أنفسكم) حتى آمركم إن شاء الله تعالى .

قالوا : وخرج معاذُ بن جبَلٍ على الناس فجعلَ يُذكِّرُهُم ويقولُ : يا أهلَ القرآن ، ومتحفِّظي[٥] الكتاب وأنصار الهدى والحقّ ، إن رحمة الله لا تُنال وَجنَّتهُ لا تُدْخلُ بالأماني ، ولا يؤتي اللهُ المغفرةَ والرحمةَ

---

(١) في أ : يضجّون .
(٢) في أ : بين يدي الميسرة .
(٣) مكان القوسين في أ : رأوا أنفسهم من ورائهم .
(٤) في أ : يا معاشر .
(٥) في أ : ومستحفظي .

الواسعةَ إلا الصادقَ المُصدِّق ، ألم تسمعوا لقول الله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٥] الآية . فاستحيوا رحمكم اللهُ من ربكم أن يراكُمْ فراراً من عدُوِّكم وأنتم في قَبْضتهِ وليس لكم مُلْتحدٌ من دونه ولا عزٌّ بغيره .

وقال عمرو بن العاص : يا أيُّها المسلمون غُضّوا الأبصارَ ، وٱجثوا على الرُّكَب ، واشرعوا الرماحَ ، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنَّة فثبوا إليهم وَثْبة الأسدِ ، فوالذي يرضى الصدق ويُثيبُ عليه ويمقتُ الكذب ويجزي بالإحسان إحساناً ، لقد سمعتُ أن المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقَصْراً قَصْراً ، فلا يهولنَّكم[١] جموعُهُم ولا عددُهم ، فإنكم لو صدقتموهم [في] الشد تطايروا تطاير أولاد الحَجَل .

وقال أبو سفيان : يا معشرَ المسلمين أنتم العربُ ، وقد أصبحتُم في دار العَجم منقطعين عن الأهل نائين[٢] عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتُم بإزاء عدوٍّ كثير عددُه ، شديد عليكم حنقه[٣] ، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنَّة لازمة وأن الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خيرُ معول ، فٱمتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون . ثم ذهب إلى النساء فوصاهنَّ ثم عاد فنادى : يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا ما ترون رسول الله والجنة[٤] أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

وقد وعظَ الناسَ أبو هريرة أيضاً فجعل يقول : سارعوا إلى الحُور العين وجوار ربكم عزَّ وجلَّ في جنات النعيم ، ما أنتم إلى ربكم في موطنٍ بأحبّ إليه منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم .

قال سيف بن عمر بإسناده عن شيوخه ، إنهم قالوا[٥] :

كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة ، منهم مئة من أهل بدر . وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول : اللهَ اللهَ ، إنكم دارة العرب وأنصارُ الإسلام ، وإنهم دارةُ الرومِ وأنصارُ الشِّرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك . قالوا : ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الرومَ وأقلَّ المسلمينَ !! فقال خالد :

---

(١) في ط : فلا يهولكم .
(٢) في أ : نائبين .
(٣) في أ : ضيقة .
(٤) في أ : حضر ما ترون فهذا ما ترون والجنة أمامكم .
(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٧) فما بعدها .

ويلك ، أتخوّفني بالروم ؟ وإنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه ، وأنهم أضعفوا في العدد ـ وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق ـ ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، وأبو جندل بن سهيل ، ونادوا : إنما نريد أميركم لنجتمع به ، فأذن لهم في الدخول على تذارق ، وإذا هو جالسٌ في خيمةٍ من حرير . فقال الصحابة : لا نستحلُّ دخولها ، فأمرَ لهم بفرشٍ بسطٍ من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه . فجلس معهم حيث أحبُّوا وتراضوا على الصلح ، ورجع[١] عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ فلم يتم ذلك .

وذكر الوليد بن مسلم : أن باهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحةٍ لهم فقال باهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهدُ والجوعُ ، فهلموا إلى أن أعطي كلَّ رجلٍ منكم عشرةَ دنانير وكسوةً وطعاماً وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل[٢] بعثنا لكم بمثلها ، فقال خالد : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنّا قومٌ نشربُ الدماء ، وأنه بلغنا أنه لا دمَ أطيبُ من دم الروم ، فجئنا لذلك . فقال أصحاب باهان : هذا والله ما كنا نُحدَّثُ به عن العرب قالوا : ثم تقدَّم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو ـ وهما على مَجْنبتي القلب ـ أن ينشبا القتال ، فبدرا يرتجزان ودَعوا إلى البراز ، وتنازل الأبطال ، وتجاولوا ، وحمي الحرب ، وقامت على ساقٍ . هذا وخالدٌ مع كردوس من الحماة[٣] الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف ، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه ، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل ، ويدبِّر أمر الحرب أتم تدبير .

وقال إسحاق بن بشير[٤] : عن سعيد بن عبد العزيز ، عن قدماء مشايخ دمشق ، قالوا :

ثم زحف باهان فخرج أبو عبيدة ، وقد جعل على المَيْمنة مُعاذَ بن جَبَلٍ ، وعلى المَيْسرة قُباثَ بن أشْيم الكناني ، وعلى الرجَّالة هاشم بن عتبة (بن أبي وقاص) ، وعلى الخيل خالد بن الوليد ، وخرج الناس على راياتهم ، وسار أبو عبيدة بالمسلمين ، وهو يقول : عبادَ الله انصروا الله ينصرْكم ويُثَبِّتْ أقدامَكُم ، يا معاشرَ المسلمين اْصبْروا فإنَّ الصبرَ منجاةٌ من الكفر ، (ومرضاة للرب) ، ومدحضةٌ للعار ، ولا تبرحوا مصافَّكُم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤوهم بالقتال ، وأشرِعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمتَ إلا من ذِكْر الله .

وخرج معاذ بن جَبَل فجعل يُذكِّرهم ، ويقول : يا أهلَ القرآن ، ومستحفظي الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، إنَّ رحمةَ الله لا تُنال ، وجنَّته لا تُدْخلُ بالأماني ، ولا يُؤْتي اللهُ المغفرة والرحمة الواسعة إلا

---

(١) في أ : ورجعوا ؛ على لغة ـ أكلوني البراغيث ـ وهي لغة مفضولة .
(٢) في أ : العام القابل .
(٣) في أ : من الجماعة .
(٤) الخبر في تاريخ دمشق ـ ترجمة عمر ـ (٥٣٧) .

للصادق المُصدِّق ، ألم تسمعوا لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [النور : ٥٥] إلى آخر الآية ؟ فاسْتَحْيُوا ـ رحمكم الله ـ من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم في قبضته ، وليس لكم مُلْتحدٌ من دونه .

وسار عمرو بن العاص في الناس وهو يقول : أيُّها المسلمون غُضّوا الأبصار واجثوا على الركب ، وأشرعوا الرماحَ ، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فَثِبُوا وثبةَ الأسدِ ، فوالذي يرضى الصدق ويُثيب عليه ويَمْقتُ الكذبَ ويجزي بالإحسان إحساناً ، لقد سمعتُ أنَّ المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقَصْراً قَصْراً ، فلا يهولنكم جموعُهم ولا عددُهم ، فإنكم لو صدقتموهم الشد لتطايروا[١] [تطاير] أولاد الحجل .

ثم تكلم أبو سفيان فأحسن وحثَّ على القتال فأبلغ في كلام طويل . ثم قال حين تواجه الناس : يا معشرَ أهل الإسلام حضر ما ترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . وحرَّض أبو سفيان النساء فقال : من رأيتنه[٢] فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصيّ حتى يرجع .

وأشار خالد أن يقف في القلب سعيد بن زيد ، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليردَّ المُنهزمَ . وقسم خالد الخيلَ قسمين فجعل فرقةً وراء الميمنة ، وفرقة وراء الميسرة ، لئلا يفرَّ الناسُ وليكونوا ردءاً لهم من ورائهم . فقال له أصحابه : افعلْ ما أراكَ اللهُ ، وامتثلوا ما أشارَ به خالدٌ رضي الله عنه . وأقبلت الرومُ رافعة[٣] صلبانها ولهم أصواتٌ مزعجةٌ كالرعد ، والقساقسة والبطارقة تحرّضُهم على القتال وهم في عَددٍ وعُدَدٍ[٤] لم يرَ مثله ، فالله المستعان وعليه التّكلان .

وقد كان فيمن شهد اليرموكَ الزبيرُ بن العوّام ، وهو أفضل منْ هُناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ (فقالوا) : ألا تحملُ فنحملُ معك ؟ فقال : إنكم لا تَثْبتون . فقالوا : بلى . فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوفَ الرُّوم أحجموا وأقدم هو فاخترقَ صفوفَ الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاؤوا إليه مرةً ثانيةً ففعل كما فعل في الأولى ، وجُرح يومئذ جرحان بين كتفيه ، وفي روايةٍ جرحٌ . وقد روى البخاري معنى ما ذكرناه في صحيحه[٥] . وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول : اللهم زلزل

---

(١) في أ : لطاروا .
(٢) في أ : من رأيتموني . والمثبت هو الأصح .
(٣) في أ : واقفة .
(٤) في أ : في عدد وعديد .
(٥) صحيح الإمام البخاري (٣٧٢١) كتاب فضائل الصحابة . والخبر عن عروة عن أبيه : أن أصحاب النبي ﷺ قالوا : للزبير يوم وقعة اليرموك : ألا تشدُّ فنشدّ معك ؟ فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر . قال عروة : فكنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير .

(أقدامهم) ، وأرعب قلوبهم ، وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى ، وحبِّبْ إلينا اللقاء ، وأرضنا بالقضاء . وخرج باهان فأمر صاحب الميسرة وهو الديريجان ، وكان عدو الله متنسكاً فيهم ، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحضرموت (وخولان) ، فثبتوا حتى صدّوا أعداء الله ، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال . فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب ، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت صور[١] من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، وانكشفت زبيد . ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس ، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم[٢] بالخشب والحجارة وجعلت خولة (بنت ثعلبة) تقول : [من الرجز] :

يـا هَـارِبـاً عـن نِسْـوَةٍ تَقِيّـات فعَنْ قَليلٍ ما ترى سَبِيّات
ولا حَصِياتٍ ولا رضيّات

قال : فتراجع الناس إلى مواقفهم .

وقال سيف بن عمر[٣] : عن أبي عثمان الغَسَّاني ، عن أبيه . قال قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك : قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفرُّ منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدَّامَ فسطاطِ خالدٍ حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم .

وقد ذكر الواقدي وغيره :

أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماءً فجيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم . رضي الله عنهم أجمعين .

ويقال : إنَّ أول منْ قُتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجلٌ جاءَ إلى أبي عبيدة فقال : إنّي قد تهيأتُ لأمري فهل لكَ من حاجة إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، تُقرئه عني السلام وتقول : يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . قال : فتقدَّم هذا الرجلُ حتى قُتل ، رحمه الله .

قالوا : وثبتَ كلُّ قوم على رايتهم حتى صارتِ الرومُ تدورُ كأنها الرحا . فلم تر يوم اليرموك (إلا) مُخّاً ساقطاً ، ومعصماً نادراً[٤] ، وكفاً طائرة من ذلك الموطن . ثم حملَ خالدٌ بمن معه من الخيّالة على المَيْسرة التي حملتْ على مَيْمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب ، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف

---

(١) الصور والسور واحد .
(٢) في أ : يضربونهم ؛ وما هنا أقرب للسياق .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠١) .
(٤) ندر الشيء يندر ندوراً فهو نادر : سقط وشذَّ . اللسان (ندر) .

منهم ، ثم قال : والذي نفسي بيده لم يبقَ عندهم من الصبر والجلد غيرُ ما رأيتُمْ ، وإنّي لأرجو أن يمنحَكُم الله أكتافهُمْ . ثم اعترضَهُم فحملَ بمئة فارس معه على نحو من مئة ألف فما وصل إليهم حتى انفضَّ جمعُهم ، وحمل المسلمون عليهم حملةَ رجلٍ واحد ، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم .

قالوا : وبينما هُمْ في جولةِ الحرب وحومةِ الوَغى والأبطالُ يتصاولون من كلِّ جانبٍ ، إذ قدم البريدُ من نحو الحجاز فدُفع إلى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبرُ ؟ فقال له ـ فيما بينه وبينه ـ : إن الصدِّيقَ رضي الله عنه قد توفي واستخلفَ عمرَ ، واستنابَ على الجيوش أبا عبيدةَ عامرَ بن الجرّاح . فأسرّها خالدٌ ولم يُبْد ذلك للناس لئلا يحصل ضعفٌ ووهنٌ في تلك الحال ، وقال له[١] والناسُ يسمعون : أحسنتَ ، وأخذ منه الكتابَ فوضعه في كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، وأوقف الرسول الذي جاء بالكتاب ـ وهو محمية بن زنيم ـ إلى جانبه . كذا ذكره ابن جرير[٢] بأسانيده .

قالوا[٣] : وخرجَ جرجة أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالدَ بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجة : يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، فإنَّ الحُرَّ لا يكذب ، ولا تخادعني فإنّ الكريمَ لا يُخادع المسترسل بالله ، هل أنزل (الله) على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فبم سُمِّيت سيفَ الله ؟ قال : إن الله بعثَ فينا نبيَّه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه[٤] ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذَّبه وباعدَه ، ثم إنّ اللهَ أخذَ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لي : أنت سيفٌ من سيوفِ الله سله (الله) على المشركين . (ودعا لي بالنصر ، فَسُمِّيتُ سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين) .

فقال جرجة : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه والإقرار بما جاء به من عند الله عزَّ وجلَّ . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فإن لم يُعْطها ؟ قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله ، قال : فما منزلةُ (من) يُجيبكم ويدخلُ في هذا الأمر اليوم ؟ قال منزلتنا واحدة فما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجة : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حيٌّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويُرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا[٥] ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقةٍ ونيَّةٍ كان أفضلَ منا ؟ فقال

---

(١) في أ : وقال له : أحسنت ؛ والناس يسمعون .
(٢) تاريخه (٣/ ٣٩٨) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠) .
(٤) في أ : وبايعه .
(٥) في أ : لو رأيتم .

جرجة : بالله لقد صَدَقْتني ولم تُخادعني ؟ قال : تالله لقد صَدَقْتُك وإنَّ اللهَ وليُّ ما سألتَ عنه . فعند ذلك قلبَ جرجة الترسَ ومال مع خالد . وقال : علّمْني الإسلامَ ، فمال به خالدٌ إلى فسطاطه فسنّ[١] عليه قربةً من ماءٍ ثم صلّى به ركعتين . وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام . فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الرومُ إلى مواقفهم وزحف خالدٌ بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب . وصلّى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماءً ، وأُصيب جرجة رحمه الله ولم يصلِّ لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما . وضعضعت الروم عند ذلك . ثم نهدَ خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الرُّوم ، فعند ذلك هربت[٢] خيالتهم ، وأسندتْ[٣] بهم في تلك الصحراء ، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا . وأخَّر الناس صلاتي العشاءين حتى استقر الفتح ، وعمد خالد إلى رحل الرُّوم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائطٌ قد هُدِمَ ، ثم تبعوا من فرَّ من الخيالةِ ، واقتحم خالد عليهم خندقهم ، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة ، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحدٌ منهم سقط الذين معه .

قال ابن جرير[٤] وغيره :

فسقط فيها وقتل عندها ,مئة ألف وعشرون ألفاً سوى منْ قُتل في المعركة . وقد قاتل نساءُ المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تذهبون وتدعوننا للعلوج ؟ فإذا زَجَرْنَهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجعَ إلى القتال .

قال : وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا : إذا لم نقدر[٥] على نصر دين النصرانية فلنمتْ على دينهم . فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم .

قالوا : وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو ، وسلمة[٦] بن هشام ،

---

(١) سنَّ عليه الماء : صبَّه . اللسان (سنن) .
(٢) في أ : ذهبت .
(٣) سندنا في الجبل وأسندنا جبلها فيها : أي صعدنا فيه . اللسان (سند) .
(٤) تاريخه (٣/ ٤٠٠) .
(٥) في أ : قال وتخلخل القيقلان وأشراف قومه من الروم برأسهم وقالوا : إذا لم يقدر . .
(٦) في أ : ابن سلمة ؛ وهو زيادة لا ضرورة لها ، فسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، من خيارالصحابة وفضلائهم ، وهو أخو أبي جهل بن هشام . قتل سنة ١٤ في خلافة عمر وقيل سنة ١٣ قبل موت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً . ترجمته في الاستيعاب (٦٤٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٩٢) وأسد الغابة (٢/ ٤٣٥ _ ٤٣٦) والإصابة (٢/ ٦٨ _ ٦٩) .

وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت[١] خالد بن سعيد فلا يُدرى أين ذهب ، وضرار بن الأزور ، وهشام بن العاص ، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي ، وحقّقَ اللهُ رؤيا أبيه[٢] يوم اليمامة . وقد تسلل[٣] في هذا اليوم جماعة من الناس ؛ انهزم عمرو بن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم[٤] النساء ، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] .

وثبت يومئذ يزيدُ بن أبي سفيان وقاتلَ قتالاً شديداً ، وذلك أن أباه مرَّ به فقال له : يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجلٌ بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفاً بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولّوا أمور المسلمين ؟! أولئك أحقّ الناس بالصبر والنصيحة ، فاتّق اللهَ يا بُنيَّ ولا يكوننَّ أحدٌ من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدوِّ الإسلام منك . فقال : أفعل إن شاء الله . فقاتل يومئذ قتالاً شديداً وكان من ناحية القلب رضي الله عنه .

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال : هدأتِ الأصواتُ يومَ اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثباتَ الثباتَ يا معشرَ المسلمين ، قال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيان (تحت راية ابنه يزيد) ، وأكمل خالدٌ ليلته في خيمة تذارق أخي هرقل - وهو أميرُ الروم كلهم يومئذ - هرب فيمن هرب ، باتت الخيول تجول نحو خيمةِ خالدٍ يقتلون من مرَّ بهم من الروم حتى أصبحوا وقتل تَذارِق وكان له ثلاثون سرادقاً وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم . وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصدِّيق حين أعلمهم خالد بذلك ، ولكن عوضهم الله بالفاروق رضي الله عنه .

وقال خالد حين عزّى المسلمين في الصدِّيق : الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت ، وكان أحبَّ إليَّ من عمر ، والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغضَ إليَّ من أبي بكر وألزمني حبَّه .

وقد اتبع خالد منِ انهزمَ من الروم حتى وصلَ إلى دمشقَ فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ؟ قال : نعم . ثم اتبعهم إلى ثنيّةِ العقاب فقتلَ منهم خلقاً كثيراً ثم ساقَ وراءهم إلى حمص فخرج إليه أهلُها فصالحهم كما صالح أهل دمشق .

وبعث أبو عبيدة عياضَ بن غَنْم وراءهم أيضاً فساقَ حتى وصلَ مَلَطْيَةَ[٥] فصالحه أهلُها ورجعَ . فلما بلغَ

---

(١) في أ : وابنه ؛ وهو تحريف . وأثبت أي جرح جرحاً عميقاً وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٢) وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين مات بعد .

(٢) في أ : رؤيا ابنه .

(٣) في ط : اتلف ، ولا معنى لها .

(٤) في أ : زجرنهم ؛ على لغة أكلوني البراغيث .

(٥) في أ : مليطة ؛ وهو تحريف . ومَلَطية بلدة في بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام . معجم البلدان (٥/ ١٩٢) .

هرقل (ذلك) بعثَ إلى مقاتليها فحضروا بين يديه وأمر بمَلَطْيَه فحُرقت وانتهت الرومُ منهزمةً إلى هرقل وهو بحمص والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون . فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين وترس (بها) وقال هرقل : أما الشامُ فلا شام، وويلٌ للرومِ من المولودِ المشؤوم .

ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو : [من الوافر]

أَلَمْ تـرَنَـا عَلَـى اليَـرْمـوكِ فُزْنـا كَمـا فُـزْنـا بـأيّـام العِـراقِ
وعـذراءَ المـدائـنِ قـد فَتَحْنـا ومَـرْج الصُّفـرِ بـالجُـرْدِ العِتَـاقِ[١]
فتَحْنـا قَبْلهـا بُصْـرَى وكَـانَـتْ مُحـرَّمـةَ الجناب لـدى النعـاقِ[٢]
قَتَلْنَـا مـنْ أقـامَ لَنـا وفِينـا نَهـابُهُـمُ بـأَسْيـافٍ رقـاقِ
قَتَلْنـا الـرُّومَ حتـى مـا تسـاوَى علـى اليـرمـوكِ معـروقُ الـوراق
فَضَضْنـا جمْعهُـم لمـا استجـالـوا على الواقوصِ بالبُتْرِ الرِّقاقِ[٣]
غـداةَ تهـافتـوا فيهـا فَصـاروا إلـى أمـرٍ فعُضِّـلَ بـالـذواقِ

وقال الأسود أبو مفزّر[٤] التميمي : [من الطويل]

وكمْ قَدْ أغَرْنا غارةً بعد غارةٍ وَيَوْماً وَيوماً قد كَشَفْنا أهاوِلَه
ولولا رجالٌ كانَ عشو[٥] غنيمةٍ لدى مأقطٍ[٦] رَجّتْ علينا أوائله
لقيناهم[٧] اليَرْموك لمَّا تَضَايَقَتْ بمنْ حَلَّ باليَرْموكِ منهُ حمائلهُ
فلا يَعْدِمنْ [منَّا] هرقلُ كَتَائباً إذا رَامَهـا رامَ الَّـذي لا يُحـاوِلُـهْ

وقال عمرو بن العاص : [من الرجز]

القَوْمُ لخمٌ وجذامٌ في الحربْ ونحْـنُ والـرُّومُ بمَـرْجٍ نَضْطـربْ
فـإنْ يَعُـودوا بهـا لا نَصْطحـبْ بل نَعْصِبُ الفُرّارَ بالضَرْبِ الكَرِبْ

وروى أحمد بن مروان المالكي[٨] في « المجالسة » : حدَّثنا أبو إسماعيل الترمذي حدَّثنا

---

(١) في أ : ومرج الصفرين على العتاق .
(٢) نعق ينعق نعقاً ونعاقاً ونعيقاً ونعقاناً : صاح بها . اللسان (نعق) .
(٣) أ : على الواقوصة البتر .
(٤) في ط : الأسود بن مقرن ، وفي أ : أبو الأسود المقرر ؛ وكلاهما خطأ . والأبيات في تاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٩/ ٦٩) ومختصره لابن منظور (٤/ ٣٨٨) .
(٥) أ : عسو ، وفي تاريخ ابن عساكر ومختصره : حشو ، والشطر غير واضح المعنى .
(٦) المأقط : المضيق في الحرب جمعه مآقط . اللسان (أقط) .
(٧) في التاريخ ومختصره : كفيناهم .
(٨) أحمد المالكي الدينوري محدث فقيه ، نزل مصر وبها توفي من تآليفه كتاب « المجالسة » الذي يرويه البوصيري =

أبو معاوية ، عن عمرو ، عن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبتُ لهم العدوُّ فُواقَ ناقةٍ[١] عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على أنطاكية لمّا[٢] قدمت منهزمةُ الروم : ويْلَكُم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى [وقال] : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثرُ منهم أضعافاً في كلِّ موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخٌ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغْصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عمَّا يُرضي الله ونفسد في الأرض . فقال : أنت صدقتني .

وقال الوليد بن مسلم : أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قالا : لمّا نزل المسلمون بناحية الأردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق (منها) قبل ذلك ، فبينا نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناه فقال : أنتما من العرب ؟ قلنا : نعم ! قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم . فقال : ليذهب أحدُكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم ، وليثبت الآخر على متاع صاحبه . ففعل ذلك أحدنا ، فلبثَ ملياً ثم جاءه فقال : جئتكَ من عند رجال[٣] دقاق يركبون خيولاً عتاقاً ، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، يريشون النبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدَّثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر . قال فالتفت إلى أصحابه وقال : أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به .

انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة [في الدولة العمرية وذلك] بعد وقعة اليرموك وصيرورة الإمرة بالشّام إلى أبي عبيدة أولَ منْ سُمِّي أميرَ الأُمراء

قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم يوم اليرموك ، وأن خالداً كتم ذلك عن المسلمين لئلا يقع وهن ، فلما أصبحوا أجلى لهم الأمر وقال ما قال ، ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتخميسها ، وبعث بالفتح والخمس مع قُباث[٤] بن أَشْيم إلى الحجاز ، ثم نودي بالرحيل إلى دمشق ، فساروا حتى نزلوا مرج الصُّفَّر ، وبعث أبو عبيدة بين يديه طليعةً أبا أمامة الباهلي ومعه رجلان من أصحابه .

قال أبو أمامة : فسرتُ فلمّا كان ببعض الطريق أمرتُ الآخر فكَمَنَ هناك وسرتُ أنا وحدي حتى جئتُ بابَ البلد، وهو مغلقٌ في الليل، وليس هناك أحد، فنزلتُ وغرزت رمحي بالأرض، ونزعت لجامَ فرسي،

= وغيره توفي بعد الثلاثين والثلاث مئة . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٢٧) ومعجم المؤلفين (٢/ ١٧٤) .

(١) فواق ناقة : أي قدر ما بين الحلبتين .

(٢) في ط : كما ؛ تحريف ، وما هنا أقرب للسياق .

(٣) في أ : قوم .

(٤) في ط : قباب ؛ تحريف . وقد تقدمت ترجمته .

وعلقت عليه مخلاتَه ونمتُ، فلما أصبحَ الصباحُ قمتُ فتوضَّأتُ وصَلّيتُ الفَجْرَ، فإذا بابُ المدينة يقعقعُ[١] فلما فُتح حملتُ على البواب فطعنتُه بالرمح فقتلته، ثم رجعتُ والطلب ورائي، فلما انتهينا إلى الرجل الذي في الطريق من أصحابي ظنوا أنه كمينٌ فرجعوا عني، ثم سرنا حتى أخذنا [صاحبنا] الآخر، وجئت إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رأيت، فأقام أبو عبيدةَ ينتظرُ كتابَ عمر فيما يعتمده من أمر دمشق، فجاء[٢] الكتاب يأمره بالمسير إليها، فساروا إليها حتى أحاطوا بها. واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بُشَيْر بن كعب في خيلٍ هناك.

وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام

وذلك أنَّ أهلَ فارسٍ اجتمعوا بعدَ مقتلِ ملكهم وابنه على تمليك شهريار[٣] بن أزدشير بن شهريار واستغنموا غيبةَ خالد عنهم، فبعثوا إلى نائبه المُثَنَّى بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هُرْمز بن جَاذَوَيْه، وكتب شهريار إلى المثنى: إنّي قد بعثت إليك جنداً من وَخْشٍ[٤] أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلُكَ إلاَّ بهم.

فكتب إليه المثنى: من المُثَنّى إلى شهريار إنما أنتَ أحدُ رجلين إما باغٍ فذلك[٥] شرٌّ لك وخيرٌ لنا، وإما كاذبٌ فأعظمُ الكاذبين عقوبةً وفضيحةً عند الله في الناس الملوكُ، وأما الذي يدلُّنا عليه الرأيُ؛ فأنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد الله الذي ردَّ كيدَكم إلى رعاة الدجاج والخنازير. قال: فجزع[٦] أهلُ فارس من هذا الكتاب، ولامُوا شهريارَ على كتابه إليه واستهجنوا رأيه. وسار المثنى من الحيرة[٧] إلى بابل، ولمّا التقى المُثَنّى وجيشهم بمكان عند عدوة الصَّراة[٨] الأولى، اقتتلوا قتالاً شديداً جداً، وأرسل الفرس فيلاً بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وغنموا منهم مالاً عظيماً، وفرّت الفرسُ حتى انتهوا إلى المدائن في شرِّ حالةٍ، ووجدوا الملكَ قد ماتَ فملَّكوا عليهم ابنةَ كسرى « بوران[٩] بنت أبرويز » فأقامتِ العدلَ، وأحسنت السيرةَ، فأقامت سنةً وسبعةَ شهور، ثم ماتَتْ،

---

(١) في أ: تقعقع.

(٢) في أ: فجاءه.

(٣) في أ: شهريار بن أدشير بن شهريار. وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤١١): شَهْرَ برازين أردشير بن شهريار.

(٤) في أ وط: وحش؛ تحريف، والوخش: رذالة الناس وصغارهم وغيرهم، يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد. اللسان (وخش).

(٥) في ط: لذلك.

(٦) في أ: فخرج؛ تحريف.

(٧) في ط: الحرة؛ تحريف.

(٨) في أ: غزوة الصراة. وذكر هذه الغزوة ياقوت في معجمه (٢/ ٣٩٩) والطبري في تاريخه (٣/ ٤١٢).

(٩) في أ: نوران؛ تحريف.

فملَّكوا عليهم أختها « آزَرْمِيدُخْت زنان » فلم ينتظم لهم أمرٌ ، فملَّكوا عليهم « سابور بن شهريار » ، وجعلوا أمره إلى الفَرُّخْزاذ بن البِنْدوان فزوَّجه سابور بابنة كسرى « آزرميدخت » (فكرهت ذلك وقالتْ : إنّما هذا عبدٌ من عبيدنا . فلمَّا كان ليلة عُرْسها عليه همُّوا إليه فقتلوه ، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً . وملَّكوا عليهم هذه المرأة وهي « آزَرْمِيدُخْت ») ابنة كسرى . ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً ، وآخر ما استقرَّ أمرُهم عليه (في هذه السنة) أن ملَّكوا امرأةً وقد قال رسول الله ﷺ : « لن يُفْلح قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأةً »[١] . وفي هذه الوقعة التي ذكرنا يقول عبدة بن الطبيب السَّعدي[٢] ، وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة (له) حتى شهد وقعةَ بابل هذه ، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال[٣] : [من البسيط]

هَلْ حَبْلُ خَوْلَة بَعْدَ البَيْن مَوصُولُ ... أمْ أنتَ عَنْها بَعيدُ الدَّارِ مَشْغُولُ
وَلِلأحبَّةِ أيَّامٌ تَذكَّرُها ... ولِلنَّوى قَبْلَ يَوْمِ البَيْنِ تأويلُ
حَلَّتْ خُوَيْلَةُ في حيٍّ عَهِدْتُهُمُ ... دونَ المدينةِ[٤] فيها الدِّيكُ والفِيلُ
يُقارِعُونَ رُؤوسَ العُجْمِ[٥] ضَاحيَةً ... منه فوارسُ لا عُزْلٌ ولا ميلُ

وقد قال الفرزدق في شعره يذكر قتل المثنى ذلك الفيل[٦] : [من الطويل]

وبيتُ المُثَنَّى قاتِلِ الفيلِ عَنْوةً ... ببابلَ إذْ في فَارسٍ مُلْكُ بَابِلِ

ثُمَّ إنَّ المُثَنَّى بن حارثة استبطأ أخبارَ الصدِّيق لتشاغله بأهل الشام ، وما فيه من حربِ اليرموك المتقدم ذكره ، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق ، واستناب على العراق بشير بن الخصاصيَّة ، وعلى المسالح سعيدَ ابن مُرَّة العِجْلي ، فلما انتهى المُثنّى إلى المدينة وجد الصدِّيق في آخر مرضِ الموت . وقد عهد إلى عمر ابن الخطاب ، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر : إذا أنا متُّ فلا تمسين حتى تندب الناسَ لحربِ أهل العراق مع المثنى ، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فأردْ أصحابَ خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه .

فلما مات الصدِّيقُ ندبَ عمرُ المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلة من بقيَ فيه من المُقاتلة بعد خالد ابن الوليد، فانتدب خلقاً وأمَّرَ عليهم أبا عبيدة بن مسعود ، وكان شاباً شجاعاً ، خبيراً بالحرب والمكيدة .

وهذا آخر ما يتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصدِّيق وأول دولة الفاروق .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٤٤٢٥) كتاب المغازي ، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٣ و٤٧) .

(٢) هو عبدة بن يزيد بن عمرو بن علي المعروف بعبدة بن الطبيب ، من تميم . شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، كان أسود شجاعاً ، شهد الفتوح وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة بالمدائن ، توفي سنة ٢٥هـ . الشعر والشعراء (٢٧٩) والأغاني (١٨/ ١٦٣) والإصابة (٣/ ١٠٠) ولقب أبيه : الطبيب . ووقع لقب أبيه في بعض المصادر ، ومنها الإصابة : الطيِّب ، وهو تحريف .

(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٤١٢ـ٤١٣) والأول والأخير في الإصابة (٣/ ١٠٠) .

(٤) في تاريخ الطبري : دون المدائن .

(٥) في الإصابة : الفرس .

(٦) البيت في ديوان الفرزدق ـ دار صادر ـ (١١٢) برواية : وبيت المثنى عاقر الفيل .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه

كانت وفاة الصدِّيق رضي الله عنه في يوم الإثنين عشيةً ، وقيل بعدَ المغرب ودفن من ليلته ، وذلك لثمانٍ بقينَ من جمادى الآخرة سنة ثلاثَ عشرةَ بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين ، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرىء على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا .

فكانت خلافة الصدِّيق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة ، للسن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ، وقد جمع الله بينهما في التربة ، كما جمع بينهما في الحياة ، فرضي الله عنه وأرضاه .

وقال محمد بن سعد[١] : عن أبي قطن عمرو بن الهيثم ، عن ربيع بن حسان[٢] الصائغ ، قال :

كان نقش خاتم أبي بكر « نعم القادر الله » . وهذا غريب .

وقد ذكرنا ترجمة الصدِّيق رضي الله عنه ، وسيرته[٣] وأيامه وما روى من الأحاديث ، وما روي عنه من الأحكام في مجلد ولله الحمد والمنة .

فقام بالأمر من بعده أتمَّ القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهو أوّلُ من سُمِّي بأمير المؤمنين ، وكان أول من حيّاه بها المغيرةُ بن شعبة ، وقيل غيره كما بسطنا ذلك في ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التي أفردناها[٤] في مجلد ، ومسنده والآثار المروية مرتباً على الأبواب في مجلد آخر ولله الحمد .

وقد كتب بوفاة الصدِّيق إلى أمراء الشام مع شدَّاد بن أوس ، ومَحْمِيَة بن جَزْء[٥] ، فوصلا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قدمنا . وقد أمَّر (عمر) على الجيوش أبا عبيدة (حين ولاه) وعزل خالد بن الوليد .

وذكر سلمةُ عن محمد بن إسحاق :

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٧٣) .

(٢) في أ : عمرو بن الهيثم بن ربيع بن حبان الصائغ .

(٣) في أ : وخيرته وأيامه .

(٤) في أ : أوردناها .

(٥) في أ : محنة بن جريج ، وفي ط : محمد بن جريج ؛ وكلاهما خطأ ، والصحيح ما أثبتناه عن تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٤) وترجمة محمية هذا في الاستيعاب (١٣٤٣) وجامع الأصول (١٥/ ١٨٠) والإصابة (٣/ ٣٨٨) .

أن عمر إنما عزل خالداً لكلام[١] بلغه عنه ، ولِما كان من أمر مالك بن نُويرة ، وما كان يعتمده في حربه . فلما ولي عمر كان أولَ ما تكلّم به أن عزل خالداً ، وقال : لا يلي لي عملاً أبداً . وكتب عمر إلى أبي عبيدة : إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه ، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين . فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد : أمهلني حتى أستشير أختي ، فذهب إلى أخته فاطمة ـ وكانت (تحت) الحارث بن هشام ـ فٱستشارها في ذلك ، فقالت له : إن عمر لا يحبك أبداً ، وإنه سيعزلك وإن كذبت نفسك . فقال لها : صدقت والله . فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ [إحدى][٢] نعليه وترك له الأخرى[٣] ، وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين .

وقد روى ابن جرير[٤] عن صالح بن كيسان أنه قال : كان أولَ كتابٍ كتبه عمرُ إلى أبي عبيدة حين ولاه وعزل خالداً أن قال : « وأوصيك بتقوى الله الذي يَبْقى ويَفْنى ما سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جُنْد خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تَسْتريده[٥] لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلَّا في كَثْفٍ[٦] من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ، فَغُضَّ بصرَكَ عن الدنيا ، وألْهِ قلبَكَ عنها ، وإياكَ أن تُهْلِكَكَ[٧] كما أهلكت منْ كانَ قبلكَ ، فقد رأيت مصارعَهم . وأمرهم بالمسير إلى دمشق » .

وكان بعدما بلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارةُ ، وحُمل الخُمس إليه .

وقد ذكر ابن إسحاق أن الصحابةَ قاتلوا بعد اليرموك بأجنادين ثم بفِحْلٍ من أرض الغور قريباً من بيسان بمكانٍ يقال له الرَّدَغة[٨] سمي بذلك لكثرة ما لقوا من الأوحال فيها ، فأغلقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابةُ .

قال : وحينئذ جاءت الإمارة لأبي عبيدة من جهة عمر وعُزِلَ خالدٌ ، وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من مجيء الإمارة لأبي عبيدة في حصار دمشق هو المشهور .

---

(١) في أ : أن عمر لما عزل خالداً بكلام .
(٢) كذا في ط : وسقطت اللفظة من أ .
(٣) في ط : الآخرة ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٧) فأخذ نعلاً وأعطاه نعلاً .
(٤) تاريخه (٣/ ٤٣٤) .
(٥) في أ : تستزيده ؛ تحريف ، وراد لهم روداً ورياداً ، وارتاد واستراد ، والرود مصدر فعل الرائد وهو الذي يرسل في التمام النجعة وطلب الكلأ . اللسان (رود) .
(٦) في أ : كتف ، وفي ط : كنف ، وما هنا عن الطبري (٣/ ٤٣٤) أي في حشد وجماعة . اللسان (كثف) .
(٧) في ط : تهلك وما هنا عن أ ويوافق ما عند الطبري .
(٨) الرَّدْغَةُ والرَّدَغَةُ والرَّدغ : الماء والطين والوحل الكثير الشديد . اللسان (ردغ) .

[ذكر] فتح دمشق

قال سيف بن عمر[١] :

لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصُّفَّر وهو عازم على حصار دمشق إذ[٢] أتاهُ الخبرُ بقدوم مددهم من حمص ، وجاءه الخبرُ بأنَّه قد اجتمع طائفةٌ كبيرةٌ[٣] من الروم بِفِحْلٍ من أرض فلسطين ، وهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ . فكتب إلى عمر في ذلك ، فجاء الجواب أن ابدأ بدمشق فإنها حصنُ الشام وبيتُ مملكتهم ، فانهد لها وأشغلوا عنكم أهل فِحْلٍ بخيولٍ تكون تلقاءهم ، فإن فتحَها اللهُ قبلَ دمشق فذلك الذي نحبُّ[٤] ، وإن فُتحت دمشقُ قبلَها فسرْ أنت ومن معكَ واستخلفْ على دمشقَ ، فإذا فتح الله عليكم فِحْلَ[٥] فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين .

قال : فسرّح أبو عبيدة إلى فِحْل عشرةَ أمراء ، مع كلِّ أميرٍ خمسة أمراء ، وعلى الجميع عمارة بن مخشي الصحابي ، فساروا من مرج الصُّفّر إلى فِحْل فوجدوا الروم هنالك قريباً من ثمانين ألفاً ، وقد أرسلوا المياه حولهم حتَّى أرْدَغَتِ الأرض[٦] فسموا ذلك الموضع الرَّدَغة ، وفتحها اللهُ على المسلمين فكانت أولَ حصنٍ فُتح قبل دمشق على ما سيأتي تفصيله .

وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث ذا الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل . ثم سار أبو عبيدة من مرج الصُّفَّر قاصداً دمشق ، وقد جعل خالد بن الوليد في القلب ، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص في المجنبتين ، وعلى الخيل عياض بن غَنْم ، وعلى الرَّجَّالة شرحبيل بن حسنة ، فقدموا دمشق وعليها نِسطاس بن نُسْطُورُس[٧] ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي وإليه باب كيسان أيضاً ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية (الكبير ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية) الصغير ، ونزل عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ، ونصبوا المجانيق والدَّبابات ، وقد أرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة ردءاً

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٦) .
(٢) في ط : إذا .
(٣) في أ : كثيرة .
(٤) في ط : يحب وهي مهملة النقط في أ ، وما هنا عن الطبري (٣/ ٤٣٨) .
(٥) قال ياقوت في معجمه (٤/ ٢٣٧) : اسم موضع بالشام ، كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم ، ويوم فحل مذكور في الفتوح ، وأظنه عجمياً ، لم أره في كلام العرب ، قتل فيه ثمانون ألفاً من الروم ، وكان بعد فتح دمشق بعام واحد . أما الطبري فقد صرفها في قوله : وزعم أن فحلاً كانت بعد دمشق . تاريخه (٣/ ٤٤١) .
(٦) أرْدَغتِ الأرض : كثر رِداغُها . والرِّداغ جمع رَدَغة وهي الماء والطين والوحل الشديد . القاموس (ردغ) .
(٧) في أ : قسطاس بن بسطوس ، وفي ط : نسطاس بن نُسْطُوس ، وما هنا عن تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٨) والضبط عنه .

له ، وكذا الذي بينه وبين حمص وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة ، وقيل أربعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً ، فالله أعلم .

وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع ، ويرسلون إلى ملكهم هرقل ـ وهو مقيمٌ بحمص ـ يطلبون منه المددَ فلا يمكن وصولُ المدد إليهم من ذي الكلاع ، الذي قد أرصده أبو عبيدة رضي الله عنه بين دمشق وبين حمص ـ عن دمشق ليلة ـ فلما أيقنَ أهلُ دمشق أنه لا يصلُ إليهم مدد أبلسوا[١] وفشلوا وضعفوا ، وقويَ المسلمون واشتدَّ حصارُهم .

وجاء فصل الشتاء واشتدّ البردُ وعسر الحال وعسر القتال ، فقدر الله الكبير المتعال ، ذو العزة والجلال ، أنْ وُلد لبطريقِ دمشق مولودٌ في تلك الليالي فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شراباً . وباتوا عنده في وليمته قد أكلوا وشربوا وتعبوا فناموا عن مواقفهم ، واشتغلوا عن أماكنهم ، وفطن لذلك أميرُ الحرب خالد بن الوليد ، فإنه كان لا ينام ولا يترك أحداً ينام ، بل مراصد لهم ليلاً ونهاراً ، وله عيون وقُصّاد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساءً . فلما رأى جَمْدة تلك الليلة ، وأنه لا يقاتل على السُّور أحدٌ كان قد أعدَّ سلالم من حبال ، فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال ، مثل القعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدي ، وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم : إذا سمعتُم تكبيرنا فوقَ السّور فأرقوا إلينا . ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقِربٍ في أعناقهم ، فنصبوا تلك السلالم وأثبتوا أعاليها بالشرفات ، وأكدوا أسافلها خارج الخندق ، وصعِدوا فيها ، فلما استووا[٢] على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلالم ، وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السّور إلى البوّابين فقتلوهم ، وقطع خالد واصحابه أغاليقَ الباب بالسيوف ، وفتحوا الباب عنوةً ، فدخل الجيشُ الخالديُّ من الباب الشرقي . ولمّا سمع أهلُ البلد التكبير ثاروا ، وذهبَ كلُّ فريق إلى أماكنهم من السور ، لا يدرون ما الخبر ، فجعل كلما قدم أحدٌ من أصحاب الباب الشرقي قتله أصحاب خالد ، ودخل خالد البلدة[٣] عنوةً فقتل منْ وجده . وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح ـ وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم ـ فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم .ولم يعلم بقيةُ الصحابة ما صنعَ خالدٌ . ودخل المسلمون من كل جانبٍ وبابٍ ، فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده ، فقالوا له : إنا قد أمَّنّاهم ، فقال : إني فتحتُها عنوةً . والتقت الأمراء في وسط البلد عند كنيسة المقسلاط بالقرب من درب الريحان اليوم .

هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالداً فتح الباب قسراً .

---

(١) أبلس : يئس وتحيّر . القاموس (بلس) .

(٢) من قوله : وصعدوا . . إلى هنا . مستدرك في هامش أ .

(٣) في أ : الباب .

وقال آخرون : بل الذي فتحها عنوةً أبو عبيدة . وقيل يزيد بن أبي سفيان ، وخالد صالحَ أهلَ البلد فعكسوا المشهور المعروف ، والله أعلم .

وقد اختلف الصحابةُ ، فقال قائلون هي صلح ـ يعني على ما صالحهم الأمير (في الأمر وهو أبو عبيدة ـ وقال آخرون : بل هي عنوة ، لأن خالداً افتتحها بالسيف) أولًا كما ذكرنا ، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم[١] أبو عبيدة فصالحوهم ، فاتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفَها صلحاً ونصفَها عنوةً ، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأُقروا عليه ، واستقرت يدُ الصحابة على النصف . ويُقوِّي هذا ما ذكره سيفُ بن عمر[٢] من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة فيأبون ، فلما أحسّوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابةُ دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم ، ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم ، والله أعلم .

[الكنائس التي تركت لأهل دمشق]

ولهذا أخذ الصحابةُ نصفَ الكنيسة العظمى التي كانت بدمشق وتعرف « بكنيسة يوحنا » فاتخذوا الجانب الشرقي منها مسجداً ، وأبْقوا لهم نصفها الغربي كنيسة ، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة « بيوحنا » ، وهي جامع دمشق اليوم . وقد كتب لهم[٣] بذلك خالد بن الوليد كتاباً ، وكتب فيه شهادته أبو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد وشرحبيل :

إحداها كنيسة المقسلاط[٤] التي اجتمع عندها أمراء الصحابة ، وكانت مبنية على ظهر السوق الكبير ، وهذه القناطر المشاهدة في سوق الصابونيين من بقية القناطر التي كانت تحتها ، ثم بادت فيما بعد وأخذت حجارتها في العمارات .

الثانية : كنيسة كانت في رأس درب القرشيين وكانت صغيرة ، قال الحافظ ابن عساكر[٥] : وبعضها باقٍ إلى اليوم وقد تشعثت .

الثالثة : كانت بدار البطيخ العتيقة[٦] . قلت : وهي داخل البلد بقرب الكوشك ، وأظنها هي المسجد الذي قبل هذا المكان المذكور ، فإنها خربت من دهر ، فالله أعلم .

---

(١) في أ : ومنهم .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٠) .

(٣) يلاحظ أن الورقتين اللتين تبدأان بهذه اللفظة ورقمهما ١٦٧ و١٦٨ غير واضحتين بسبب الحبر الذي طمس كثيراً من الكلمات أحياناً والحروف أحياناً أخرى .

(٤) تاريخ دمشق (٢/ ١٢٩ و١٣٠) .

(٥) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .

(٦) في تاريخ دمشق (٢/ ١٢٩) : بحضرة سوق الفاكهة . وفي (٢/ ١٣٠) : وأما التي بسوق الفاكهة فكانت في دار البطيخ فخربت .

الرابعة : كانت بدرب بني نصر بين درب الحبالين ودرب التميمي . قال الحافظ ابن عساكر[١] : وقد أدركت بعض بنيانها ، وقد خرب أكثرها .

الخامسة : كنيسة بولص ، قال ابن عساكر[٢] : وكانت غربيَّ القيساريةِ الفخرية [خربت] وقد أدركت من بنيانها بعض أساس الحنيّة .

السادسة : كانت في موضع دار الوكالة وتعرف (اليوم) بكنيسة القلانسيين . قلت : والقلانسيين هي الخواصين[٣] اليوم[٤] .

السابعة : التي بدرب السقيل اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن درة سابقاً ، لأن هذا الدرب كان أقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساحق القرشي العامري ، ودرة أمه ، وهي درّة ابنة [أبي] هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فأبوها خال معاوية . وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هذه الكنيسة إليه ، وكان مسلماً ، ولم يبق لهم اليوم سواها ، وقد خرب أكثرها .

ولليعقوبية منهم كنيسة داخل باب توما بين رحبة خالد ـ وهو خالد بن أسيد بن أبي العاص[٥] ـ وبين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهني ، وهي الكنيسة الثامنة .

وكانت لليعقوبيين كنيسة أخرى فيما بين درب التنوي وسوق علي . قال ابن عساكر[٦] : قد بقي من بنائها بعضه ، وقد خربت منذ دهر . وهي الكنيسة التاسعة .

وأما العاشرة فهي الكنيسة المصلبة . قال الحافظ ابن عساكر[٧] : وهي باقية إلى اليوم بين الباب الشرقي وباب توما بقرب النيبطن عند السور . والناس اليوم يقولون النيبطون . قال ابن عساكر : وقد خرب أكثرها ، هكذا قال . وقد خربت هذه الكنيسة وهدمت في أيام صلاح الدين فاتح القدس بعد الثمانين وخمسمئة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

الحادية عشرة : كنيسة مريم داخل الباب الشرقي . قال ابن عساكر[٨] : وهي من أكبر ما بقي بأيديهم . قلت : ثم خربت بعد موته بدهر في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على ما سيأتي بيانه .

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠ ـ ١٣١) .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ١٣١) والاستدراك عنه .
(٣) في ط : الحواحين ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ دمشق (٢/ ١٥٤) .
(٤) أضاف بعدها ابن عساكر (٢/ ١٣١) : فكانت موضع دارالوكالة فخربت .
(٥) في ط : العيص ؛ خطأ . تاريخ ابن عساكر (٢/ ١٣١) .
(٦) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .
(٧) تاريخ دمشق (٢/ ١٣١ ـ ١٣٢) .
(٨) نفس المصدر (٢/ ١٣١) .

الثانية عشرة : كنيسة اليهود التي بأيديهم اليوم في حارتهم[١] ، ومحلها معروف بالقرب من الحير وتسميه الناس اليوم بستان القط .

وكانت لهم كنيسة في درب البلاغة لم تكن داخلة في العهد فهدمت فيما بعد ، وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن الشهرزوري[٢] ، والناس اليوم يقولون درب الشاذوري .

قلت : وقد أخربت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكرها أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره ، وكان إخرابها في حدود سنة سبع عشرة وسبعمئة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بمرَّة .

ثم قال ابن عساكر[٣] : ومما أحدث ـ يعني النصارى ـ كنيسة بناها أبو جعفر المنصور لبني قطيطا في الفورنق[٤] ، وقد أُخربتْ فيما بعد وجعلت مسجداً يعرف بمسجد الجينيق[٥] وهو مسجد أبي اليمن .

قال[٦] : ومما أحدث كنيستا[٧] العباد إحداهما عند دار ابن الماشلي[٨] وقد جعلت مسجداً . والأخرى التي في رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً .

انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله .

[متى فتحت دمشق]

قلت : وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة ، ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة ؛ كذا حكاه الحافظ ابن عساكر[٩] من طريق محمد بن عائذ القرشي الدمشقي ، عن الوليد (بن مسلم عن عثمان بن

---

(١) في أ : بحارتهم .

(٢) في ط : السهروردي ؛ وهو تحريف ؛ والتصحيح من الدارس (٢/ ٣١٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .

(٤) في ط : بناها أبو جعفر المنصور بني قطيطا في الفريق عند قناة صالح قريباً من دازبها وأرمن اليوم . وما هنا عن أ ويوافق ما في تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .
وقد حولت هذه الكنيسة إلى مسجد . الأعلاق الخطيرة (١١٤ و٢٧٦) والدارس (٢/ ٣٢٦ و٣٢٧) .

(٥) في ط : الجينق ؛ خطأ ، ،التصويب من تاريخ دمشق (٢/ ٧٠ و٧١) . والأعلاق الخطيرة (١١٤ و١١٥ و٢٧٦) والدارس (٢/ ٣٢٦ و٣٢٧) .

(٦) أي ابن عساكر في تاريخه (٢/ ١٣٠ و١٣٢) .

(٧) في أ : كنيسة ؛ وهو مخالف للسياق .

(٨) كذا في الأصلين ، وفي تاريخ دمشق (٢/ ١٣٢) والأعلاق الخطيرة (٢٧٦) : ابن الماشكي .

(٩) في تاريخه (٢/ ١٠٩) ط دار الفكر .

حصن[١] بن عَلاَّق ، عن يزيد بن عبيدة قال : فتحت دمشق سنة أربع عشرة . ورواه دحيم عن الوليد) . قال : سمعت أشياخاً يقولون : إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة .

وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر ومحمد بن إسحاق ومعمر والأموي وحكاه عن مشايخه وابن الكلبي وخليفة بن خياط[٢] وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم ، إن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة .

وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأموي : وكانت اليرموك بعدها بسنة .

وقال بعضهم : (بل) كان فتحها في شوال سنة أربع عشرة .

وقال خليفة : حاصرهم أبو عبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة .

وقال الأموي في « مغازيه » : كانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى ، ووقعة فِحل في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة ـ يعني ووقعة دمشق سنة أربع عشرة ـ .

وقال دحيم عن الوليد : حدَّثني الأموي أن وقعة فِحْل وأَجْنادين كانت في خلافة أبي بكر ، ثم مضى المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة ، يعني ففتحوها في سنة أربع عشرة . وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة .

فصل : [هل فتحت دمشق صلحاً أو عنوة]

واختلف العلماءُ في دمشقَ هل فُتحت صُلْحاً أو عنوة ؟ فأكثرُ العلماء على أنَّه استقرَّ أمرُها على الصلح ، لأنهم شكُّوا في المتقدم على الآخر أفتحت عنوةً ثم عدَلَ الرومُ إلى المصالحة ، أو فُتحت صلحاً ، أو اتّفق الاستيلاءُ من الجانب الآخر قسراً ؟ فلما شكُّوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً .

وقيل : بل جُعل نصفُها صلحاً ونصفُها عنوةً ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها ، والله أعلم[٣] .

ثم قيل : إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتابَ الصلح ، وهذا هو الأنسبُ والأشهرُ ، فإن خالداً كان قد عزل عن الإمرة ، وقيل : بل الذي كتب لهم الصلحَ خالد بن الوليد ، ولكن أقرَّهُ على ذلك أبو عبيدة فالله أعلم[٤] .

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصدِّيقَ توفي قبلَ فتح دمشق ، وأنَّ عمرَ كتب إلى أبي عبيدة يُعَزّيه

---

(١) في ط : حصين بن غلاق ، وفي تاريخ دمشق : خضر عن علاف ؛ وكلاهما تحريف . وحصن بن علاَّق . من رجال التهذيب .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٠) .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١٢٥ ـ ١٢٦) .

والمسلمين في الصدِّيق ، وأنه قد استنابه على منْ بالشام ، وأمره أن يستشير خالداً في الحرب ، فلما وصلَ الكتابُ إلى أبي عبيدة كتمهُ من خالد حتى فُتحت دمشقُ بنحو من عشرين ليلةً ، فقال له خالدٌ : يرحمك الله ، ما منعك أن تعلمني حين جاءك ؟ فقال : إني كرهتُ أن أكسر عليك[١] حربكَ ، وما سلطان الدنيا أريدُ ، ولا للدنيا أعملُ ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنّما نحن أَخَوان ، وما يضرُّ الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه .

[هل كان إمداد خالد زمن أبي بكر أم زمن عمر]

ومن أعجب ما يُذْكرُ هاهنا ما رواه يعقوب بن سفيان الفسوي[٢] : حدَّثنا هشام بن عمار ، حدَّثنا عبد الملك بن محمد ، حدَّثنا راشد بن داود الصنعاني (حدَّثني أبو عثمان الصنعاني) شراحيل بن مرثد ، قال :

بعث أبو بكر خالدَ بن الوليد إلى أهل اليمامة ، وبعثَ يزيدَ بن أبي سفيان إلى الشام ، فذكر الراوي قتالَ[٣] خالد لأهل اليمامة إلى أن قال : ومات أبو بكر واستُخلف عمر ، فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمدَّ أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبي عبيدة بالشام . فذكر مسير خالد من العراق إلى الشام كما تقدم ، وهذا غريب جداً ، فإنَّ الذي لا يُشكُّ فيه أن الصديقَ هو الذي بعث أبا عبيدة وغيره من الأمراء إلى الشام ، وهو الذي كتب إلى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدداً لمن به وأميراً عليهم ، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميعَ الشام على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

[بعثناه بريداً فعاد أميراً]

وقال محمد بن عائذ : قال الوليد بن مسلم : أخبرني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير :

أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة (بن الجراح) وافداً إلى أبي بكر بشيراً بالفتح ، فقدمَ المدينةَ فوجد أبا بكر قد تُوفي واستُخْلفَ عُمرُ بن الخطاب ، فأعظم أن يتأمَّر أحد من الصحابة[٤] عليه فولاه جماعة الناس ، فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن بعثناه بريداً فقدم علينا أميراً .

---

(١) في أ : عنك .
(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٥ـ٣١٦) .
(٣) في ط : فقال .
(٤) في أ : أصحابه .

[مسألة فقهية في المسح على الخفين]

وقد روى الليثُ وابنُ لهيعة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحكم عن عُلَيّ بن رباح عن عقبة بن عامر :

أنه بعثه أبو عبيدة بريداً بفتح دمشق قال : فقدمت على عمر يوم الجمعة فقال لي : منذ كم لم تنزع خُفَّيك ؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة . فقال : أصبت السُّنَّةَ .

قال الليث : وبه نأخذ ، يعني أن المسحَ على الخُفَّيْن للمُسافر لا يتأقَّتُ ، بل له أن يمسحَ عليهما ما شاء ، وإليه ذهب الشافعي في القديم . وقد روى أحمد وأبو داود عن أُبيّ بن عِمارة مرفوعاً مثل هذا[١] .

والجمهور على ما رواه مسلم عن علي في تأقيت المسح للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمُقيم يوم وليلة[٢] .

ومن الناس من فصَّل بين البريد ومن في معناه وغيره ، فقال في الأول لا يتأقَّت ، وفيما عداه يتأقت لحديث عقبة[٣] وحديث علي ، والله أعلم .

فصل : [فتح البقاع وبيروت وتدمر]

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحه بالسيف . وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون[٤] ، وعلى الروم رجل يقال له « سنان »[٥] تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون « عين ميسنون » عين الشهداء . واستخلف أبو عبيدة

---

(١) لم يرو الإمام أحمد لأُبي بن عمارة شيئاً . تهذيب الكمال (٢/ ٢٦٠) بل روى حديثه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٤٥) وأبو داود في سننه رقم (١٥٨) كتاب الطهارة ، ونص الحديث : قلت : يا رسول الله! أمسح على الخفين ؟ قال : « نعم يوماً » قال : قلت : يا رسول الله يوماً ؟ قال : « نعم ويومين . . . الحديث ، » وفي آخره : قال : « نعم وما شئت » . ورواه ابن ماجه بمعناه (٥٥٧) من طريق عبادة بن نسي ، عنه .
وقد روى الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢١٣) حديث خزيمة بن ثابت قال : رخص لنا رسول الله ﷺ ، أن نمسح ثلاثاً ، ولو استزدناه لزادنا .

(٢) حديث علي رواه مسلم في صحيحه رقم (٨٥) (٢٧٦) كتاب الطهارة . ونصه : قال رسول الله ﷺ : للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن وللمقيم يوم وليلة .

(٣) حديث عقبة الموقوف هو المتقدم .

(٤) في أ : ميستون ، ولم نجدها فيما توافر لدينا من كتب البلدان ، ولعلها « ميسون » التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان .

(٥) في أ : سسان .

على دمشق[١] يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق . وبعث يزيد دِحْيَة بن خَليفة إلى تدمر في سرية ليمهِّدوا أمرها . وبعث[٢] أبا الزهراء القشيري إلى البَثَنِيَّة وحوران فصالح أهلها .

[فتح سائر مدن دمشق صلحاً]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله[٣] :

افتتح خالد دمشق صلحاً ، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحاً دون أرضيها . فعلى يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة . وقال الوليد بن مسلم : أخبرني غير واحد من شيوخ دمشق بينما هم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من عقبة السلمية مخمرة بالحرير ، فثار إليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت لهيا والعقبة[٤] التي أقبلوا منها ، فهزموهم وطردوهم إلى أبواب حمص ، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحوا دمشق ، فقال لهم أهل حمص إنا نصالحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وقال خليفة بن خياط[٥] : حدَّثني عبد الله بن المُغيرة ، عن أبيه قال : افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ، ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلبي . وقالا : بعث أبو عبيدة خالداً فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً .

وقال ابن المغيرة عن أبيه : وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، ووضع الخراج . وقال ابن إسحاق وغيره : وفي سنة أربع عشرة فُتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة ، قال خليفة : ويقال في سنة خمس عشرة .

وقعة فِحْل

[بكسر الفاء ، وقيل والحاء ، والصحيح تسكينها]

وقد ذكرها كثيرٌ من علماء السِّيَر قبل فتحِ دمشق (وإنما ذكرها الإمام أبو جعفر بن جرير[٦] بعد فتح دمشق) وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة

(١) في أ : على الشام .

(٢) في أ : وبعث يزيداً دحية بن خليفة أبا الزهراء .

(٣) الخبر في فتوح البلدان للبلاذري (١٦٩) .

(٤) في فتوح البلدان (١٧٨) : والثنيَّة .

(٥) تاريخه (١٢٩) .

(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٢) .

القيسي[١] قالا : خلف الناس يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وساروا[٢] نحو فحل ، وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حَسَنة ، وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد ، وأبو عبيدة على الميمنة ، وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخيل ضرار بن الأزور ، وعلى الرَّجَّالة عياض بن غنم ، فوصلوا إلى فِحْل : وهي بلدة بالغور ، وقد انحاز الرومُ إلى بَيْسان ، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على [ما] هنالك من الأراضي ، فحال بينهم وبين المسلمين ، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم وما صنعَهُ الرومُ من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين في عيش [رغيد] ومدد كبير ، وهم على أُهبة من أمرهم .

وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة . وظن الروم أن المسلمين على غِرة ، فركبوا في بعض الليالي ليبيتوهم ، وعلى الروم سقلاب[٣] بن مخراق ، فهجموا على المسلمين فنهضوا إليهم[٤] نهضة رجل واحد لأنهم على أُهبة دائماً ، فقاتلوهم حتى الصباح وذلك اليوم بكماله إلى الليل . فلما أظلمَ الليلُ فرَّ الرومُ وقتل أميرُهم (سقلاب) وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل[٥] الذي كانوا قد كادوا به المسلمين فغرَّقهم الله فيه ، وقتل منهم المسلمون بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً لم ينجُ منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً . وانصرف أبو عبيدة وخالد بمن معهما من الجيوش نحو حمص كما (أمر) أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شُرحبيل بن حَسَنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بَيْسان ، فخرجوا إليه ، فقتلَ منهم مقتلةً عظيمةً ، ثم صالحوه على مثل ما صالحتْ عليه دمشقُ ، وضرب عليهم الجزيةَ والخراجَ على أراضيهم[٦] ، وكذلك فعل أبو الأعور السّلمي بأهل طبرية سواء .

[فصلٌ فيـ]ـما وقع بأرض العراق آنذاك[٧] من القتال

وقد قدمنا أنَّ المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه إلى الشام ، وقد قيل : إنه سار بتسعة آلاف ، وقيل: بثلاثة آلاف ، وقيل: بسبعمئة، وقيل : بأقل ، إلا أنّهم صناديدُ جيشِ العراق ، فأقام المثنى بمن بقي ، فاستقلَّ عددهم ، وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وملكاتهم ، واستبطأ المثنى خبرَ الصدِّيق فسارَ إلى المدينة فوجد الصدِّيقَ في السياق ، فأخبره بأمر العراق ، فأوصى

(١) في تاريخ الطبري : العبشمي ، ولم أجد له ترجمة . وفي نسخة « العتبي » .
(٢) في ط : وسار .
(٣) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٢) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٣٠) : سقلار .
(٤) في أ : عليهم .
(٥) في أ : وأسكتتهم هزيمتهم إلى ذلك الرجل .
(٦) في أ : أرضهم .
(٧) في أ : في هذه المدة .

الصدِّيق عمر أن يندبَ الناسَ لقتال أهل العراق . فلما ماتَ الصدِّيقُ ودُفن ليلةَ الثلاثاء أصبح عمر فندب الناسَ وحثَّهمْ على قتالِ أهلِ العراق ، وحرضهم ورغَّبهم في الثواب على ذلك ، فلم يقم أحدٌ لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم ، وشدة قتالهم ، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يقم أحدٌ[١] . وتكلَّم المثنى بن حارثة فأحسن ، وأخبرهم بما فتحَ اللهُ تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق ، وما لهم هنالك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد ، فلم يقم أحدٌ في اليوم الثالث .

فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تتابعَ الناسُ في الإجابة ، وأمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمَّر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابياً ، فقيل لعمر : هلا أمَّرت عليهم رجلاً من الصحابة ؟ فقال : إنما أؤَمِّرُ أولَ من استجابَ ، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين ، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم[٢] . ثم دعاه فوصّاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وأمره أن يستشير أصحابَ رسول الله ﷺ ، وأن يستشير سَلِيط بن قَيْس فإنه رجلٌ باشرَ الحروب . فسار المسلمون إلى أرض العراق ، وهم سبعةُ آلاف رجلٍ ، وكتب عمرُ إلى أبي عبيدة أن يرسلَ منْ كانَ بالعراق ممن قدمَ مع خالدٍ إلى العراق ، فجهز عشرةَ آلاف عليهم هاشم بن عتبة ، وأرسل عمر جريرَ بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفةَ ، ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة ، فلما وصل الناسُ إلى العراق وجدوا الفرسَ مضطربين في ملكهم ، وآخر ما استقرّ عليه أمرهم أن ملكوا عليهم «بُوران[٣]» بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها (آزَرْميدُخت) وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم (بن فَرُّخزاذ على أن يقوم بأمر الحرب ، ثم يصير الملك إلى كسرى ، فقبل ذلك . وكان رُسْتم) هذا منجماً يعرف النجوم وعلمها جيداً ، فقيل له : ما حملك على هذا ؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا (الأمر) لا يتمّ لك ، فقال : الطمعُ وحبُّ الشرف .

وقعة النَّمارِق

بعث رستم أميراً يقال له « جابان » وعلى مَجْنَبَتَيْه رجلان يُقال لأحدهما « حشنس ماه » ويقال للآخر « مردانشاه » وهو خصيُّ أمير حاجب الفرس ، فالتقوا مع أبي عُبيد بمكان يقال له النَّمارِق[٤] ـ بين الحيرة والقادِسيَّة ـ وعلى الخيل المُثَنَّى بن حارثة ، وعلى المَيْسرة عمرو بن الهيثم ، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ، وهزمَ اللهُ الفرسَ ، وأسر جابان ومردانشاه . فأما مردانشاه فإنَّه قتلهُ الذي أسره ، وأما جابان فإنه خدعَ

---

(١) في أ : فلم يقم أحد في اليوم الثالث .

(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٦) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٣٢) .

(٣) في أ : نوران ؛ تحريف ، والخبر عند الطبري (٣/ ٤٤٦) .

(٤) النِّمارق : موضع قرب الكوفة من أرض العراق ، نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق . معجم البلدان (٥/ ٣٠٤) .

الذي أسره حتى أطلقه فأمسكه المسلمون وأبوا أن يُطلقوه ، وقالوا : إن هذا هو الأمير وجاؤوا به إلى أبي عُبيد فقالوا : اقتله فإنه الأمير ، فقال وإن كان الأمير فإني لا أقتله ، وقد أمَّنه رجلٌ من المسلمين ، ثم ركب أبو عُبيد في آثار[١] من انهزمَ منهم وقد لجؤوا إلى مدينة كَسْكَر[٢] التي لابن خالة كسرى واسمه نَرْسي فوازرهم نَرْسي على قتال أبي عبيد ، فقهرهم[٣] أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيراً وأطعمات كثيرة جداً ، ولله الحمد . وبعث بخُمس ما غنمَ من المال والطعام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال في ذلك رجل من المسلمين[٤] : [من الطويل]

لَعَمْـري ومـا عَمـري عَلـيَّ بَهيِّـنٍ لقد صُبِّحتْ بالخِزْيِ أهلُ النَّمارقِ

بأيدي رجالٍ هاجَرُوا نَحْو ربِّهمْ يَجُوسونَهُمْ ما بين دُرْتا[٥] وبارِقِ[٦]

قَتَلْنـاهُـمُ مـا بيْن مـرجِ مُسَلَّـحٍ[٧] وبين الهَوَافي[٨] من طريقِ التدارقِ[٩]

فالتقَوْا بمكان بين كَسْكَر والسَّقَاطيَّة[١٠] وعلى ميمنة نَرْسي ومَيْسرته ابنا خاله بِنْدَويه وَتِيرَوِيْه[١١] أولاد نظام[١٢] ، وكان رستم قد جَهَّز الجيوشَ مع الجالينوس[١٣] ، فلما بلغ أبو عُبَيد ذلك أعجل نَرْسي بالقتال قبل وصولهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمتِ الفرسُ وهرب نَرْسي والجالينوس إلى المدائن بعد وقعة جَرَتْ من أبي عبيد مع الجالينوس بمكان يقال له (باروسما) فبعثَ أبو عُبيد المُثَنّى بن حارثة وسرايا أُخر إلى متاخم تلك الناحية كنهر جور[١٤] ونحوها ، ففتحها صلحاً وقهراً ، وضربوا الجزيةَ والخراج وغنموا

---

(١) في أ : في إثر .

(٢) كَسْكر ، بالفتح ، ثم السكون ، وكاف أخرى ، وراء : كورة من آخر سقي النهروان إلى أن تصب دجلة في البحر وكانت قصبتها خسروسابور . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

(٣) في أ : فهزمهم .

(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٠) ومعجم البلدان (٥/ ١٢٩) منسوبة إلى عاصم بن عمرو .

(٥) في أ : دريا ، وفي ط : درنا ؛ وكلاهما تحريف ، وما هنا عن الطبري وياقوت .

(٦) بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة . معجم البلدان (١/ ٣١٩) .

(٧) مرج مُسلَّح : بالعراق ، ذكره عاصم بن عمرو التميمي في شعر له أيام الفتوح . معجم البلدان (٥/ ١٢٩) .

(٨) في الأصلين : الهواني ؛ وما هنا عن الطبري . والهَوافي : موضع بأرض السواد ، ذكره عاصم بن عمرو التميمي ـ وكان فارساً مع جيش أبي عبيد الثقفي ـ معجم البلدان (٥/ ٤١٩) .

(٩) كذا في الأصلين . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٥١) : البذارق ، ولم أجدهما في ما لدي من كتب البلدان .

(١٠) في الأصلين : السفاطية ؛ وما هنا عن معجم البلدان (٣/ ٢٢٦) قال ياقوت : السُّقاطية : ناحية بكسكر من أرض واسط وقع عندها أبو عبيد الثقفي بالنِّرسيان صاحب جيوش الفرس فهزمه شر هزيمة .

(١١) في ط : بيرويه . وما هنا عن أ والطبري (٣/ ٤٥١) .

(١٢) في تاريخ الطبري : بسطام .

(١٣) في تاريخ الطبري : الجالنوس .

(١٤) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٥١) : نهر جوبر ، والذي في معجم البلدان (٥/ ٣١٩) : نهر جوبرة بالبصرة . وأما نهر جور فهو بين الأهواز وميسان .

الأموالَ[١] الجزيلةَ ولله الحمد والمنة ، وكسروا الجالينوس الذي جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله ، وكرَّ هارباً إلى قومه حقيراً ذليلاً .

وقعة جسر أبي عُبَيْدٍ ومَقْتَلُ أمير المُسلمين وخلق كثير منهم

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين تذامرت[٢] الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب « بَهْمَن[٣] جاذويه » وأعطاه راية أفريدون وتسمى دِرفْش كابيان ، وكانت الفرس تتيمَّن بها . وحملوا معهم راية كسرى وكانت من جلودِ النمور ، عرضُها ثمانية أذرع . فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر ، فأرسلوا : إما (أن) تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم . فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد : أُؤْمُرْهُمْ فليعبروا هم إلينا . فقال : ما هُم بأجرأ على الموت منّا ، ثم اقتحمَ إليهم فاجتمعوا في مكانٍ ضيّقٍ هنالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهدْ مُثْله ، والمسلمون في نحوٍ من عشرة آلاف ، وقد جاءت الفرسُ معهم بأفيلةٍ كثيرةٍ عليها الجلاجلُ ، قائمة لتذعر خيولَ المسلمين ، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرَّت خيولُهم من الفيلةِ ومما تَسْمعُ من الجلاجل التي عليها ، ولا يثبت منها إلا القليل على قسْر ، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولُهم على الفيلة ، وَرَشَقَتْهُم الفرسُ بالنبل ، فنالوا منهم خلقاً كثيراً وقتلَ المسلمون منهم مع ذلك ستةَ آلاف .

وأمر أبو عُبَيْد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً ، فاحتوشوها[٤] فقتلوها عن آخرها ، وقد قدَّمتِ الفرسُ بين أيديهم فيلاً عظيماً أبيض ، فتقدَّم إليه أبو عُبيد فضربَهُ بالسيف فقطع ذلومه[٥] فحمي الفيل ، وصاح صيحةً هائلةً وحمل فتخبطه برجليه فقتله ووقفَ فوقه ، فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل ، ثم آخر ، ثم آخر ، حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نصَّ أبو عُبيد عليهم واحداً بعد واحد ، ثم صارت إلى المُثنَّى بن حارثة بمُقْتضى الوصية أيضاً . وقد كانت دَوْمةُ امرأةُ أبي عبيد رأت مناماً[٦] يدل على ما وقع سواء بسواء . فلما رأى المسلمون ذلك وَهَنوا عند ذلك ، ولم يكن

---

(١) هذه أول لفظة من الورقة (١٧٣ و١٧٤) التي لا تبين فيها الحروف والكلمات بسبب الحبر .

(٢) تذامر المشركون : أي تلاوموا على ترك الفرصة ، وقد تكون بمعنى تحاضوا على القتال . اللسان (ذمر) .

(٣) في ط : بهمس حادويه . وما هنا عن أ والطبري (٣/ ٤٥٤) وابن الأثير (٢/ ٤٣٨) .

(٤) احتوش القوم على فلان : جعلوه وسطهم . اللسان (حوش) .

(٥) لم أجدها في كتب اللغة ، وفي « تاج العروس » : زلم أنفه : إذا قطعه ، وازدلم أنفه : استأصله ، وازدلم رأسه : قطعه . ـ ورواية الطبري (٣/ ٤٥٧) : مِشفره ـ .

(٦) رأت دَوْمة ـ امرأة أبي عبيد ـ أن رجلاً نزل من السماء بإناءٍ فيه شراب فشرب أبو عبيد وجَبْر في أناس من أهله ، فأخبرت بها أبا عبيد فقال : هذه الشهادة ، وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إن قتلت فعلى الناس جبر ، فإن قتل فعليكم فلان حتى أمَّر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه . ثم قال : إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى . الطبري (٣/ ٤٥٦) .

بقيَ إلا الظفر بالفُرْس ، وضعف أمرهم ، وذهب ريحهم ، وولَّوْا مُدْبرين ، وساقت الفرسُ خلفهم فقتلوا بشَراً كثيراً وانكشف الناس (فكان) أمراً بليغاً ، وجاؤوا إلى الجسر فمر بعض الناس . ثم انكسر الجسر فتحكَّم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحواً من أربعة آلاف . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذي جاؤوا منه ، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق ، فنادى المثنى : أيُّها الناسُ على هِينتِكُمْ ، فإني واقفٌ على فمِ الجسر لا أجوزُه حتى لا يَبْقى منكم أحدٌ هاهنا ، فلما عدَّى الناسَ إلى الناحيةِ الأخرى سارَ المثنى فنزل بهم أولَ منزلٍ ، وقام يحرسُهم هو وشجعانُ المسلمين ، وقد جُرِح أكثرُهم وأُثْخِنوا ، ومن الناس منْ ذهب في البرية لا يدرى أين ذهب ، ومنهم من رجعَ إلى المدينة النبوية مذعوراً .

وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر ، فقال له عمر : ما وراءك يا عبد الله بن زيد؟ فقال : أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين ، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سراً .

ويقال : كان أول من قدم بخبرِ الناس عبدُ الله بن يزيد[١] بن الحُصَيْن الخَطْمي[٢] ، فالله أعلم .

قال سيف بن عمر : وكانت هذه الوقعة في شعبان من سنة ثلاث [عشرة] بعد اليرموك بأربعين يوماً فالله أعلم .

وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم منْ فَرَّ إلى المدينة فلم يُؤَنِّب عمرُ الناسَ بل قالَ : أنا فيئكم .

وأشغل اللهُ المجوسَ بأمر مَلِكهم .(وذلك[٣] أنَّ أهلَ المدائن عَدَوْا على رُستم فخلعوه ثم وَلَّوه وأضافوا إليه الفَيْرُزان ، واختلفوا على فرقتين ، فركب الفرس إلى المدائن ولحقهم المُثَنّى بن حارثة في نَفَرٍ من المسلمين ، فعارضه أميران من أمرائهم في جيشهم ، فأسرهما وأسر معهما بشراً كثيراً فضرب أعناقهم . ثم أرسل المُثنى إلى منْ بالعراق من أمراء المسلمين يستمدُّهم ، فبعثوا إليه بالأمداد ، وبعثَ إليه عمر بن الخطاب بمددٍ كثير فيهم جرير بن عبد الله البَجَلي ، في قومه بَجيلة بكمالها ، وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيشه .

---

(١) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٨) عبد الله بن زيد ؛ وهو خطأ . وترجمة عبد الله بن يزيد في الاستيعاب (١٠٠١) .

(٢) في ط : الحطمي : تصحيف .

(٣) من هذه اللفظة سقط في أ يستمر مايقرب من ورقة كاملة إلى آخر الأبيات التي على قافية النون .

وقْعةُ البُوَيْبِ التي اقْتَصَّ فيها المسلمون من الفرس

فلما سمعَ بذلك أمراءُ الفرس ، وبكثرةِ جيوشِ المُثَنَّى ، بعثوا إليه جيشاً آخر مع رجلٍ يقال له مِهْران فتوافَوْا هم وإياهم بمكان يُقال له : « البُوَيْب »[١] قريب من مكانِ الكوفةِ اليوم وبينهما الفرات . فقالوا : إما أن تعبروا إلينا ، أو نعبر إليكم . فقال المسلمون : بل اعبروا إلينا . فعبرتِ الفرسُ إليهم فتوافقوا ، وذلك في شهرِ رمضان . فعزمَ المُثَنَّى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعُبي الجيش ، وجعلَ يمرُّ على كلِّ رايةٍ من راياتِ الأمراءِ على القبائلِ ويعظهم ويحثُّهم على الجهاد والصبر والصمت . وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بَجِيلة وجماعة من سادات المسلمين . وقال المثنى لهم : إني مُكَبِّر ثلاثَ تكبيرات فتهيَّؤوا ، فإذا كَبَّرْتُ الرابعةَ فاْحملوا . فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كَبَّر أولَ تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم[٢] ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ورأى المُثَنّى في بعض صفوفه خللاً ، فبعث إليهم رجلاً يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : لا تفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم ـ وهم بنو عجل ـ أعجبه وضحك . وبعث إليهم يقول : يا معشر المُسلمين عاداتكم ، انصروا الله ينصركُمْ . وجعلَ المُثَنّى والمسلمون يدعون اللهَ بالظَّفَر والنصر . فلما طالت مدة الحرب جمع المُثَنّى جماعةً من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مِهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنةَ ، وحمل غلامٌ من بني تغلب نصراني فقتلَ مِهْران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر[٣] .

وقال محمد بن إسحاق : بل حمل عليه المُنْذِر بن حسَّان بن ضرار الضّبّي فطعنه واحتزَّ رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصما في سَلَبِهِ[٤] ، فأخذ جرير السلاح ، وأخذ المنذر مِنْطقته .

وهربتِ المجوسُ وركبَ المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً . وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنعَ الفرسَ من الجواز عليه ليتمكَّن منهم المسلمون . فركبوا أكتافَهم بقيةَ ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن أبعد إلى الليل ، فيُقال : إنه قتل منهم يومئذ ، وغرقَ قريبٌ من مئة ألفٍ ، ولله الحمد والمنة . وغنمَ المسلمون مالاً جزيلاً وطعاماً كثيراً ، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه . وقد قُتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بَشَرٌ كثيرٌ أيضاً . وذلَّتْ لهذه الوقعة رقابُ الفُرْس وتمكّن الصحابةُ من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة ، فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره . وجرت

---

(١) في ط : البويث ، تحريف . والبويب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، كان عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس . معجم البلدان (١/ ٥١٢) .

(٢) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٦٥) : خالطوهم .

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٦) .

(٤) في تاريخ الطبري : سلاحه . والسَّلَبُ ـ بالتحريك ـ ما يسلب . القاموس (سلب) ،

أمورٌ يطول ذِكرها بعد يوم البُوَيْب ، وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام . وقد قال الأعْوَرُ الشَّنيُّ[١] العَبْدِيُّ في ذلك[٢] : [من البسيط]

هـاجَـتْ لأعْـورَ دارُ الحيِّ أحْـزانـا ... واسْتَبْدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ القَيْسِ حَسَّانا[٣]

وَقَـدْ أرانـا بهـا والشَّمْـلُ مُجْتمـعٌ ... إذ بـالنُّخَيْلَـةِ قتْلَـى جُنْـدِ مِهْـرانـا

إذْ كانَ[٤] سارَ المُثَنَّى بالخيُولِ لهم ... فقتَّـلَ الـزَّحـفَ مـن فُـرْسٍ وجِيـلانـا

سَمـا لِمهـرانَ والجيشِ الـذي مَعـهُ ... حَتَّـى أبـادَهُـمُ مَثْنـى وَوُحْـدانـا)

فصل

ثم بعثَ أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطّاب سعدَ بن أبي وقّاص الزهري أحدَ العشرة في ستة آلاف أميراً على العراق ، وكتب إلى جرير بن عبد الله والمُثَنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسمعا له ويُطيعا ، فلما وصل إلى العراق كانا معه ، وكان قد تنازعا الإمرةَ ، فالمثنى يقول لجرير : إنما بعثكَ أميرُ المؤمنين مَدداً إليَّ . ويقول جرير[٥] : إنما بعثني أميراً عليكَ . فلما قدم سعد على إمارة[٦] العراق انقطع نزاعهما .

قال ابن إسحاق : وتوفي المثنى بن حارثة في هذه السنة[٧] : كذا قال ابن إسحاق . والصحيح أن بعثَ عمر سعداً إنّما كان في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

ذكر اجتماع الفرس على يَزْدَجِرْد بعد اختلافهم

كان شيرين قد جمعَ آلَ كسرى في القصر الأبيض ، وأمر بقتلِ ذُكرانه كلّهم ، وكانت أم يزدجرد فيهم ومعها ابنها وهو صغير ، فواعدت أخواله فجاؤوا وأخذوه منها ، وذهبوا به إلى بلادهم ، فلما وقع ما وقع يوم البُوَيْبِ وقُتل منْ قُتل منهم كما ذكرنا ، وركب المسلمون أكتافَهُمْ وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلدانهم ، ومحالّهم وأقاليمهم . ثم سمعوا (بقدوم سعد بن أبي وقاص من جهة عمر) ، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما رُسْتم والفيرزان فتذامروا[٨] فيما بينهم وتواصَوْا وقالوا لهما :

---

(١) الأعور الشني : هو بشر بن منقذ بن عبد القيس ، أبو منقذ كان شاعراً محسناً وله ابنان شاعران ، حبسه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم خلّى عنه . الشعر والشعراء (٤٢٥ـ٤٢٦) ط . دار الكتب العلمية .

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٤٧١) .

(٣) في تاريخ الطبري : خفانا .

(٤) في ط : إذا كان ، ولا يستقيم بها الوزن ، وفي تاريخ الطبري : أزمان .

(٥) في أ : وجرير يقول .

(٦) في ط : على أمر العراق .

(٧) أرخ خليفة بن خياط وفاة المثنى بن حارثة سنة أربع عشرة . تاريخه (١٢٩) .

(٨) تذامروا : أي تلاوموا أو تحاضُّوا على القتال . اللسان (ذمر) .

لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغي لنقتلنكما ونشتفي بكما . ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة ، فمن كان لها ولد من آل كسرى مَلَّكوه عليهم . فجعلوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها[١] هل لها ولد وهي تُنكر ذلك خوفاً على ولدها إن كان لها ولد ، فلم يزالوا حتى دُلُّوا على أم يَزْدَجِرْدَ ، فأحضروها وأحضروا ولدها فملَّكوه عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وهو من ولد[٢] شهريار بن كسرى وعزلوا بوران ، واستوثقت الممالك له ، واجتمعوا عليه وفرحوا به ، وقاموا بين يديه بالنصر أتمَّ قيام ، واستفحلَ أمره فيهم وقويت شوكتُهم به ، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعةَ للصحابة ونقضوا عهودهم وذممهم ، وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر ، فأمرهم عمر أن يتبرَّزوا من بين ظهرانيهم وليكونوا على أطرافِ البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كلُّ قبيلةٍ تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث[٣] حدث على قبيلة لا يَخْفى أمرُها على جيرانهم . وتفاقمَ الحالُ جداً ، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاثَ عشرةَ .

وقد حجَّ بالناس عمرُ في هذه السنة ، وقيل : بل حجَّ بهم عبد الرحمن بن عوف[٤] ، ولم يحجَّ عمر هذه السنة ، والله أعلم .

[ذكر] ما وقع [في هذه السنة ـ أعني] سنة ثلاث عشرة من الحوادث [إجماعاً ومن توفي من الأعيان]

كانت فيها وقائع تقدم تفصيلها ببلاد (العراق) على يَدَيْ خالدِ بن الوليد رضي الله عنه ، فُتحت فيها الحيرةُ والأنبارُ وغيرُهما من الأمصار .

وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور .

وفيها كانت وقعة اليرموك في قول سيف بن عمر ، واختيار ابن جرير ، وقتل بها من (قتل من) الأعيان ممَّنْ يطولُ ذكرُهم وتراجمُهم رضي الله عنهم أجمعين .

وفيها توفي أبو بكر الصدِّيق . وقد أفردنا سيرته في مجلد ولله الحمد .

وفيها ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها .

فولَّى قضاءَ المدينة عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري .

---

(١) عاقبوها : يقصد بذلك : عذَّبوها ؛ كما يفهم من رواية الطبري (٣/ ٤٧٧) .

(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٤٧٧) .

(٣) في أ : إذا أحدث ؛ تحريف .

(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٤٧٩) .

وعَزلَ عنها خالد بن الوليد المخزومي ، وأبقاه على شُورى الحربِ .

وفيها فُتحت بصرى صُلْحاً وهي أولُ مدينة فُتحت من الشام .

وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره ـ كما قدمنا ـ واستنيب فيها يزيدُ بن أبي سفيان ، فهو أولُ من وليها من أمراء المسلمين رضي الله عنهم .

وفيها (كانت وقعة) فحل من أرض الغور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم .

وفيها كانت وقعة جسر أبي عُبَيْد فقتل فيها أربعة آلاف من المسلمين ، منهم أميرُهم أبو عُبَيْد بن مسعود الثقفي ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر ، وكانت امرأةً صالحةً رحمهما الله . ووالد المُخْتار بن أبي عُبَيْد كذّاب ثقيف ، وقد كان نائباً على العراق في بعض (وقعات) العراق كما سيأتي .

وفيها توفي المُثَنَّى بن حارثة في قول ابن إسحاق ، وقد كان نائباً على العراق ، استخلفه خالدُ بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقفَ مشهورةً ، وله أيامٌ مذكورةٌ ولاسيَّما يوم البُوَيْب[1] بعد جسر أبي عُبَيْد ، قتل فيه من الفرس وغرق بالفرات قريبٌ من مئة ألف ، والذي[2] عليه الجمهورُ أنّه بقيَ إلى سنة أربعَ عشرةَ كما سيأتي بيانه .

وفيها حج بالناس عمرُ بن الخطاب في قول بعضهم ، وقيل : بل حجَّ عبد الرحمن بن عوف .

وفيها استنفرَ عمرُ قبائلَ العرب لغزو العراق والشام فأقبلوا من كلّ النّواحي فرمى بهم الشامَ والعراق .

(وفيها) كانت وقعة أجْنَادين في قول ابن إسحاق يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى منها . وكذا عند الواقدي فيما بين الرملة وبيت جَبْرين[3] وعلى الروم القيقلان[4] وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو في عشرين ألفاً في قول ، فقتل القيقلان وانهزمت الروم وقتل منهم خلق كثير . واستشهد من المسلمين أيضاً جماعةٌ منهم هشام بن العاص ، والفضل بن العباس ، وأبان بن سعيد ، وأخواه خالد وعمرو ، ونعيم بن عبد الله بن النحّام ، والطفيل بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو الدَّوْسيّان ، وضرار بن الأزور ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمّه سلمة بن هشام ، وهبّار بن سفيان[5] ، وصخر بن نصر ، وتميم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضي الله عنهم .

---

(١) في ط : البويت ؛ تحريف .
(٢) في ط : الذي ـ بلا واو ـ .
(٣) في أ وط : وبين جسرين ؛ وما هنا عن الطبري (٣/ ٤١٧) .
(٤) كذا في الأصلين ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤١٧) : القُبْقلار .
(٥) في تاريخ الطبري (٣/ ٤١٨) : هبَّار بن الأسود بن عبد الأسد .

وقال محمد بن سعد[(١)] : قتل يومئذ طليب بن عمير[(٢)] وأمُّه أروى بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ .

وممن قُتل يومئذ عبدُ الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدي[(٣)] ، قال : ولم يكن له روايةٌ ، وكان ممن صبر يوم حنين .

قال ابن جرير : وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضي الله عنهم .

وفيها كانت وقعة مرج الصُّفَّر في قول خليفة بن خَيّاط[(٤)] وذلك لاثنتي عشرةَ بقيتْ من جمادى الأولى ، وأميرُ الناس خالدُ بن سعيد بن العاص فقُتل يومئذ ، وقيل : إنَّما قُتل أخوه عمرٌو ، وقيل : ابنُه فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان أمير الروم فلقط[(٥)] ، فقتل من الروم مقتلةً عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دمائهم . والصحيح أن وقعة مرج الصُّفر في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

ذكر المُتَوفَّين في هذه السنة مُرَتَّبينَ على الحروف
كما ذكرهم [شيخنا] الحافظ الذهبي [في تاريخه][(٦)]

ـ أبانُ[(٧)] بن سَعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو الوليد (المكي) صحابيٌّ جليلٌ ، وهو الذي أجار عُثمان بن عفّان يومَ الحُدَيْبية حتى دخل مكةَ لأداءِ رسالة رسول الله ﷺ . أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة خالد ، وعمرو ، فدعواه إلى الإسلام فأجابهما ، وساروا فوجدوا رسولَ الله ﷺ قد فتح خيبر . وقد استعمله رسول الله ﷺ سنةَ تسع على البحرين وقتل بأجْنادين .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٣) .
(٢) في أ ، ط : عمر ، تحريف ، وما هنا عن الطبقات والطبري ، وسيرد اسمه صحيحاً في ترجمته بعد صفحات .
(٣) لم أجده في طبقات ابن سعد ، إنما ذكر وفاته في هذه السنة ابن الأثير في الكامل (٢/ ٤١٨) وقال : وكان عمره يوم مات النبي ﷺ نحو ثلاثين سنة .
(٤) تاريخه (ص١٢٠) والخبر أيضاً في تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٦) .
(٥) في ط : قلقط . وما هنا عن الأصل وتاريخ خليفة .
(٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٦)ط : مكتبة القدسي ـ القاهرة .
(٧) ترجمة ـ أبان بن سعيد ـ في نسب قريش (١٧٤ ـ ١٧٥) وتاريخ خليفة (١٢٠) والاستيعاب (١/ ١١٩) وجامع الأصول (١٣/ ٨ ـ ٩) وأسد الغابة (١/ ٤٦ ـ ٤٨) ومختصر تاريخ دمشق (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٦١) والوافي (٥/ ٢٩٩) والإصابة (١/ ١٦) .

ـ أنسة[١] مولى رسول الله ﷺ المشهور أنه قتل ببدر فيما ذكره البخاري وغيره ، وزعم الواقدي[٢] فيما نقله عن أهل العلم أنه شهد أحداً وأنه بقي بعد ذلك زماناً . قال : وحدَّثني ابن أبي الزناد عن محمد بن يوسف أن أنسةَ ماتَ في خلافة أبي بكر الصدِّيق ، وكان يُكْنَى أبا مسروح[٣] . وقال الزُّهْري[٤] : كان يأذن للناس على النبي ﷺ .

تميم[٥] بن الحارث بن قيس السهمي وأخوه قيس ، صحابيان جليلان هاجرا إلى الحبشة (وقُتلا بأجنادين .

الحارث[٦] بن أوس بن عتيك من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين .

خالد[٧] بن سعيد بن العاص الأموي من السابقين الأولين ، ممن هاجر إلى الحبشة) وأقام بها بضعَ عشرة سنةً ، ويقال : إنه كان على صنعاء من جهة رسول الله ﷺ ، وأمَّره الصدِّيقُ على بعض الفتوحات ، كما تقدم . قُتل يوم مَرْج الصُّفَّر في قولٍ ، وقيل : بل هرب فلم يُمكّنه الصديقُ من دخول المدينة تعزيراً[٨] له ، فأقام شهراً[٩] في بعض ظواهرها حتى أذن له . ويقال : إن الذي قتله أسلم ، وقال (رأيت له) حين قتلته نوراً ساطعاً إلى السماء رضي الله عنه .

سعد[١٠] بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزِيمة[١١] . ويقال حارثة بن حَزِيمة بن ثَعْلَبة بن طَرِيف بن

---

(١) ترجمة ـ أنسة ـ في الاستيعاب (١/ ١٣٧ـ١٣٨) وأسد الغابة (١/ ١٥٦) والإصابة (١/ ٧٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨) .

(٣) في مصادره : أبو مسروح ، وقيل : أبو مسرح . قال بشار : قد جَوّد الذهبي تقييده بخطه في تاريخ الإسلام « مُسَرِّح » بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الراء المشددة . وبه قيده ابن نقطة في إكمال الإكمال مستدركاً على الأمير ابن ماكولا ، ونقله العلامة ابن ناصر الدين في توضيحه فقال : « كذا قاله ابن نقطة ، وذكر أنه نقله من خط أبي بكر ابن الخاضبة ، وقيل : كنيته أبو مسروح ؛ حكى الوجهين مصعب بن عبد الله الزبيري ، وجزم بالثاني إبراهيم الحربي (٨/ ١٦٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٩) .

(٥) ترجمة ـ تميم بن الحارث السهمي ـ في الاستيعاب (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣) وأسد الغابة (١/ ٢٥٧) والإصابة (١/ ١٨٤) .

(٦) ترجمة ـ الحارث بن أوس بن عتيك ـ في الاستيعاب (١/ ٢٨١) وأسد الغابة (١/ ٣٧٩) والإصابة (١/ ٢٧٤) وفيه : الحارث بن أوس بن عتاب .

(٧) ترجمة ـ خالد بن سعيد بن العاص ـ في التاريخ الكبير (٣/ ١٥٢) والجرح والتعديل (٣/ ٣٣٤) والاستيعاب (٢/ ٤٢٠) وجامع الأصول (١٣/ ٤١٤) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٤٤) . وأسد الغابة (٢/ ٩٧) والإصابة (٣/ ٥٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٩) والإصابة (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

(٨) في ط : تعزيزاً ؛ تحريف .

(٩) في أ : أشهراً .

(١٠) ترجمة ـ سعد بن عبادة ـ في التاريخ الكبير (٤/ ٤٤) والجرح والتعديل (٤/ ٨٨) والاستيعاب (٥٩٤) وجامع الأصول (١٤/ ١٦٨) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٣٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٦/ ٩٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠) والإصابة (٢/ ٣٠) .

(١١) في ط : ابن أبي خزيمة ، ويقال حارثة بن خزيمة . وفي أ : بن أبي خريمة ، ويقال حارثة بن خرم بن خزيمة بن=

الخَزْرج بن ساعدَة بن كَعْب بن الخَزْرج الأنصاري الخزرجي سيِّدهم ، أبو ثابت ، ويقال : أبو قيس : صحابيٌّ جليلٌ كان أحدَ النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدراً في قول عروة وموسى بن عقبة والبخاري[١] وابن ماكولا[٢] . وروى ابن عساكر[٣] من طريق حجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أن راية المهاجرين يوم بدر كانت مع علي ، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة رضي الله عنهما .

قلت : والمشهور أنَّ هذا كان يوم الفتح ، والله أعلم .

وقال الواقدي[٤] : لم يشهدها لأنه نهشته[٥] حيةٌ فشغلته عنها بعد أن تجَّهز لها ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، وشهد أُحداً وما بعدها . وكذا قال خليفة بن خياط[٦] . وكانت له جفنة تدورُ مع النبيّ حيث دار من بيوت نسائه بلحمٍ وثَريدٍ ، أو لبن وخبز ، أو خبز بسمن ، أو بِخلٍّ وزيت ، وكان ينادي عند أطمة[٧] كلّ ليلة لمن أراد القِرى . وكان يحسن الكتابةَ بالعربيّ ، والرميَ والسباحةَ ، وكان يُسمَّى منْ أحسنَ ذلك كاملاً . وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر[٨] ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصدّيق حتى خرج إلى الشام فمات بقرية من حوران سنة أربع[٩] عشرة [وقيل : توفي][١٠] (في خلافة الصدِّيق . قاله ابن إسحاق والمدائني وخليفة . قال : وقيل في أول خلافة عمر . وقيل سنة أربع عشرة) ، وقيل سنة خمس عشرة . وقال الفَلاس وابن بُكَير سنة ست عشرة .

قلتُ : أما بيعةُ الصدّيق ، فقد روينا في مسند الإمام أحمدَ[١١] أنه سلم للصدِّيق ما قاله من إن الخلفاء من قريش . وأما موته بأرض الشام فمُحقَّقٌ والمشهور أنه بحوران .

قال محمد بن عائذ الدمشقي : عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال :

أول مدينة فُتحت من الشام بصرى ، وبها توفي سعد بن عبادة . وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقريةٍ

= ثعلبة . وأثبتنا ما في مصادره وتوضيح المشتبه (٣/ ٢٢٢) .

(١) التاريخ الكبير (٤/ ٤٤) .

(٢) في الإكمال لابن ماكولا (٣/ ١٤١) لم يشهد بدراً .

(٣) تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٤٩) طبعة دار الفكر .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٦١٤) .

(٥) نهشه ـ كمنعه : لسعه . القاموس (نهش) .

(٦) تاريخه (ص١٣٥) .

(٧) تأطّمُ الليل : ظلمته . اللسان (أطم) .

(٨) الاستيعاب (٢/ ٥٩٩) .

(٩) في ط : ثلاث ؛ وما هنا عن أ والاستيعاب .

(١٠) زيادة يقتضيها سياق النص .

(١١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٨٥) ونص الحديث : أن النبي ﷺ قال « الخلافة في قريش ، والحكم في الأنصار . . . » وإسناده ضعيف ، ولكن عبارة « الخلافة في قريش » صحيحة من غير هذا الوجه .

من غوطة دمشق ، يقال لها « المنيحة » وبها قبر مشهور به . ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرَّض لذكر هذا القبر[١] في ترجمته بالكلية ، فالله أعلم .

قال ابن عبد البر[٢] : ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله ، وقد اخضرَّ جسدُه ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول[٣] : [من الهزج]

قَتَلْنـا سَيِّـدَ الخَـزْرَ ج سَعْـدَ بْـن عُبَـادة
رَمَيْنـاهُ بسهميـن[٤] فلـم يخطـىء فـؤادَهْ

قال ابن جريج : سمعت عطاءَ [يقول] سمعت أن الجنَّ قالوا في سعد بن عبادة هذين البيتين .

له عن النبي ﷺ أحاديثُ ، وكان رضي الله عنه من أشد الناس غيرةً ، ما تزوّج امرأةً إلا بكراً ، ولا طلَّق امرأة فتجاسر أحدٌ أن يخطبها بعده .

وقد روي أنّه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنيه ، فلما توفي ، ولد له ولد ، فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه (قيس) بن سعد فأمراه أن يدخل هذا معهم ، فقال إني لا أغير ماصنع سعد ، ولكن نصيبي لهذا الولد .

سلمةُ[٥] بن هشام بن المغيرة ، أخو أبي جهل بن هشام ، أسلم سلمةُ قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، فلما رجع منها حبسه أخوه وأجاعه ، فكان رسول الله ﷺ يدعو له في القنوت ولجماعةٍ معه من المستضعفين . ثم انسلّ فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة بعد الخندق ، وكان معه بها ، وقد شهد أجنادين ، وقتل بها رضي الله عنه .

ضرار[٦] بن الأزور الأسدي ، كان من الفرسان المشهورين ، والأبطال المذكورين ، له (مواقف) مشهودة ، وأحوال محمودة . ذكر عروة وموسى بن عقبة أنه قتل بأجنادين . له حديث[٧] في استحباب إبقاء شيء من اللبن في الضرع عند الحلب .

---

(١) لقد تعرض ابن عساكر رحمه الله تعالى في أوّل ترجمة سعد بن عبادة من تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٣٧) لذكر هذا القبر وقال : وقيل إن قبره بالمنيحة من إقليم بيت الآبار . وصدق الله تعالى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٩٩) .

(٣) البيتان في الاستيعاب ، وتاريخ دمشق (٢٠/ ٢٦٦) وأسد الغابة (٢/ ٢٥٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٧) وقد أضاف المحقق كلمة (قد) قبل البيت الأول والواو قبل البيت الثاني فتحول وزنه من الهزج إلى مجزوء الرمل ـ والبيتان ـ مُخْتلّي الوزن ـ في جامع الأصول .

(٤) في الأصلين والاستيعاب : بسهم ؛ ولا يستقيم بها الوزن .

(٥) ترجمة ـ سلمة بن هشام ـ في الجرح والتعديل (٤/ ١٧٦) والاستيعاب (٦٤٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٩٢) وأسد الغابة (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) والإصابة (٢/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٦) ترجمة ـ ضرار بن الأزور ـ في الاستيعاب (٧٤٦) وتاريخ دمشق (٢٤/ ٣٧٨ ـ ٣٩٢) ـ طبعة دار الفكر ـ واسد الغابة (٣/ ٥٢) والإصابة (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٩) والدارمي في سننه (٢/ ٨٨) ونصه : عن ضرار بن الأزور رضي الله عنه=

طُلَيْب[١] بن عُمَيْر بن وَهْب بن كبير[٢] بن عبد[٣] بن قُصَيّ القُرَشي العبدي ، أمهُ أروى بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهدَ بدراً ، قاله ابن إسحاق والواقدي والزبير بن بكار . ويقال إنه أول من ضرب مشركاً ، وذلك أن أبا جهل سبَّ النبي ﷺ فضربَه طُلَيْب بلَحْي[٤] جمل فشجَّه . استشهد طليب بأجنادين وقد شاخ رضي الله عنه .

عبد الله[٥] بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي (الهاشمي ، ابن) عم النبي ﷺ كان من الأبطال المذكورين ، والشجعان المشهورين ، قُتل يوم أجنادين بعد ما قتل عشرةً من الروم مبارزةً كلهم بطارقةٌ أبطال .

وله من العمر يومئذ بضع وثلاثون سنة .

عبد الله[٦] بن عمرو الدوسي قتل بأجنادين . (وليس هذا الرجل معروفاً .

عثمان[٧] بن طلحة العبدري الحجبي ، قيل إنه قتل بأجنادين) ، والصحيح أنه تأخر إلى ما بعد الأربعين .

= قال : أُهديت لرسول الله ﷺ لقحة ؛ فأمرني أن أحلبها ، فحلبتها فجهدت في حلبها ، فقال : « دع داعي اللبن » وإسناده ضعيف .

(١) ترجمة ـ طليب بن عمير ـ في الاستيعاب (٧٧٢) وتاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٢) ـ طبعة دار الفكر ـ وأسد الغابة (٣/ ٩٤) والإصابة (٢/ ٢٣٣) وفيه : طليب بن عمير ـ بالتصغير ـ أو عمرو .

(٢) في ط : « وهب بن كثير » ، وفي أ : « وهب بن أبي كثير » ، وكله تصحيف ، والصواب ما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ١٩٢ من مجلد أيا صوفيا) وهو الذي ينقل منه المصنف ، فالمفروض أن يكون ما عند ابن كثير موافقاً لما عند الذهبي . وهذا الذي قاله الذهبي قاله ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٢٣) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٤٩٩) .
على أنه وقع في سلسلة نسبه خلف بين المصادر ، فذكر المصعب الزبيري (نسب قريش ٢٥٦) وابن حزم في الجمهرة (١٢٨) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٢) وغيرهم أنه : « طليب بن عمير بن وهب بن عبد » ليس فيه « ابن كثير » . وذكر يونس بن بكير وغيره عن ابن إسحاق أنه « طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد » (تاريخ دمشق ٢٥/ ١٤٦) ، وكذلك قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٧٢) وابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٣٣) وهو في الأصل قول موسى بن عقبة والزهري (كما في أسد الغابة ٣/ ٩٤) ، وفصّل فيه الفاسي في العقد الثمين (٥/ ٧٣) (بشار) .

(٣) في ط : « هند » وهو تحريف بيِّن .

(٤) اللَّحْي : العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم من الإنسان والحيوان . اللسان (لحا) .

(٥) ترجمة ـ عبد الله بن الزبير ـ في الاستيعاب (٩٠٤) وتاريخ دمشق (٢٨/ ١٣٧ـ١٤٠) وأسد الغابة (٣/ ٢٤١) والإصابة (٢/ ٣٠٨) .

(٦) ترجمة ـ عبد الله بن عمرو الدوسي ـ في الاستيعاب (٩٥٦) وأسد الغابة (٣/ ٣٤٩) والإصابة (٢/ ٣٥١) .

(٧) ترجمة ـ عثمان بن طلحة ـ في الاستيعاب (١٠٣٤) وجامع الأصول (١٤/ ٥١٤) وأسد الغابة (٣/ ٥٧٨) والإصابة (٢/ ٤٦٠) .

عتاب[١] بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن أمير مكة نيابةً عن رسول الله ﷺ استعمله عليها عامَ الفتح ، وله من العمر عشرون سنة ، فحجَّ بالناس عامئذٍ ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه السلام . وكانت وفاته بمكة ، قيل : يوم توفي أبو بكر رضي الله عنهما . له حديث واحدٌ رواه أهلُ السنن الأربعة[٢]

عكرمة[٣] بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشي المخزومي ، كان من سادات الجاهلية كأبيه ، ثم أسلم عام الفتح بعدما فرَّ ، ثم رجع إلى الحق . واستعمله الصدِّيقُ على عُمان حين ارتدُّوا ، فظفر بهم كما تقدم . ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال : إنه لا يُعرفُ له ذنبٌ بعد ما أسلم .

وكان يُقبِّلُ المصحفَ ويبكي ويقول ، كلامُ ربي ، كلام ربي[٤] . احتجَّ بهذا الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته . وقال الشافعي : كان عكرمة محمود البلاء في الإسلام . وقال عروة : قتل بأجنادين . وقال غيره : باليرموك بعد ما وجد به بضع وسبعون ما بين ضربةٍ وطعنةٍ رضي الله عنه .

الفضل[٥] بن العباس بن عبد المطلب ، قيل إنه توفي في هذه السنة ، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثماني عشرة .

نعيم بن عبد الله النَّحَّام[٦] أحد بني عدي ، أسلمَ قديماً قبل عمر ، ولم يتهيَّأ له هجرةٌ إلى ما بعد الحُدَيْبية ، وذلك لأنه كان فيه بِرٌّ بأقاربه ، فقالت له قريش : أقم عندنا على أي دينٍ شئتَ ، فوالله

---

(١) ترجمة ـ عتاب بن أسيد ـ في التاريخ الكبير (٧/ ٥٤) والجرح والتعديل (٧/ ١١) والاستيعاب (١٠٢٣) وجامع الأصول (١٤/ ٥٠٧) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٦) والإصابة (٢/ ٤٥١) .

(٢) نص الحديث عن عتاب بن أسيد : أن النبي ﷺ كان يبعث على الناس من يخرص عليهم كرومهم وثمارهم . رواه أبو داود في سننه رقم (١٦٠٣) كتاب الزكاة ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٦٤٤) كتاب الزكاة ، والنسائي في سننه رقم (٢٦١٨) كتاب الزكاة وابن ماجه في سننه رقم (١٨١٩) كتاب الزكاة ، وفي إسناده ضعف .

(٣) ترجمة ـ عكرمة بن أبي جهل ـ في التاريخ الكبير (٧/ ٤٨) والجرح والتعديل (٧/ ٧٠٦) والاستيعاب (١٠٨٢) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٥) وأسد الغابة (٤/ ٧٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٨) ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٣١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٣) والإصابة (٢/ ٤٩٦) .

(٤) الخبر رواه الدارمي في سننه (٢/ ٤٤٠) بلفظ « كان يضع المصحف على وجهه ، ويقول : كتاب ربي ، كتاب ربي » .

(٥) ترجمة ـ الفضل بن العباس ـ في التاريخ الكبير (٣/ ٥٠٢) والجرح والتعديل (٤/ ٤٨) والاستيعاب (٦٢١) وجامع الأصول (١٥/ ٣٠) وأسد الغابة (٢/ ٣٩١) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤) والإصابة (٢/ ٤٧) .

(٦) ترجمة ـ نعيم بن عبد الله ـ في التاريخ الكبير (٨/ ٩٢) والجرح والتعديل (٨/ ٤٥٩) والاستيعاب (١٥٠٧) وجامع الأصول (١٥/ ٤١٢) وأسد الغابة (٥/ ٣٤٦) والإصابة (٣/ ٥٦٧) .

لا يتعرضكَ أحدٌ إلا ذهبت أنفسنا دونك . استشهد يوم أجنادين ، وقيل : يوم اليرموك رضي الله عنه .

هَبَّارٌ[١] بن الأسود بن أسد أبو الأسود القُرشي الأسدي ، هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي ﷺ يوم خرجتْ من مكةَ حتى أسقطت ، ثم أسلم بعدُ فحَسُنَ إسلامُه ، وقُتل بأجنادين رضي الله عنه .

هَبَّار[٢] بن سُفْيان بن عبد الأسد المَخْزومي ابن أخي أم سلمة . أسلمَ قديماً وهاجرَ إلى الحبشة واستُشهد يوم أَجْنَادين على الصحيح ، وقيل : قتل يوم مؤتة ، والله أعلم .

هشام[٣] بن العاص بن وائل السَّهْمي أخو عمرو بن العاص . روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « ابنا العاص مؤمنان »[٤] وقد أسلم هشام قبل عمرو ، وهاجر إلى الحبشة ، فلما رجع منها احتبس بمكة . ثم هاجر بعد الخندق ، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم . وكان من الفرسان . وقتل بأَجْنادين ، وقيل : باليرموك ، والأول أصح ، والله أعلم .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدم ، وله ترجمة مفردة ولله الحمد .

* * *

سنة أربع عشرة من الهجرة

استُهلَّتْ هذه السنة ، والخليفة عمر بن الخطاب يحثُّ الناسَ ويحرِّضُهم على جهادِ أهل العراق ، وذلك لِما بلغَه من قتل أبي عُبَيْد يومَ الجِسْر ، وانتظامِ شَمْلِ الفرس ، واجتماعِ أمرهم على يَزْدَجِرْد الذي أقاموه من بيت الملك ، ونقض أهل الذمة[٥] بالعراقِ عهودهم ، ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم ، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم . وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد .

قال ابن جرير رحمه الله : وركب عمر رضي الله عنه في أول يوم من المحرم هذه السنة في الجيوش من

---

(١) ترجمة ـ هبار بن الأسود ـ في الاستيعاب (١٥٣٦) وأسد الغابة (٥/ ٣٨٤) والإصابة (٣/ ٥٩٧) .

(٢) ترجمة ـ هبار بن سفيان ـ في الاستيعاب (١٥٣٦) وأسد الغابة (٥/ ٣٨٥) والإصابة (٣/ ٥٩٩) .

(٣) ترجمة ـ هشام بن العاص ـ في الاستيعاب (١٥٣٩) وأسد الغابة (٥/ ٤١) والإصابة (٣/ ٦٠٤) .

(٤) لم يخرجه الترمذي بهذا اللفظ . وإنما أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٤) و(٣٢٧) و(٣٥٣) ، والنسائي في فضائل الصحابة (١٩٥) ، وإسناده حسن . أما الترمذي فقد أخرج في جامعه (٣٨٤٤) من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وقال عقيبه : غريب (يعني ضعيف) .

(٥) في ط : أهل المدينة ، والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٢) .

المدينة فنزل على ماءٍ يقال له صِرار[١] ، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه ، واستخلفَ على المدينة عليَّ بن أبي طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفان وساداتِ الصحابة . ثم عقدَ مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ، ونودي أنّ الصلاةَ جامعةٌ ، وقد أرسل إلى علي[٢] فقدم من المدينة ، ثم استشارهم فكلهم وافقه[٣] على (الذَّهاب إلى) العراق ، إلا عبد الرحمن بن عوف فإنَّه قالَ له : إنِّي أخشى إن كسرتَ أن يضعفَ المسلمون في سائر أقطار الأرض ، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة . فأرثا[٤] عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأيَ ابن عوف . فقال عمر : فمن ترى أن نبعثَ إلى العراق ؟ فقال : قد وجدتُه . قال : ومن هو ؟ قال الأسد (في براثنه)[٥] سعد بن مالك الزهري .

فاستجادَ قوله وأرسلَ إلى سعدٍ ، فأمّره على العراق وأوصاه ، فقال :

« يا سعد بن وهيب لا يغرَّنَّك من الله أن قيل : خالُ رسول الله ﷺ وصاحبُه ، فإنَّ اللهَ لا يمحو السيِّءَ بالسيِّءِ ، ولكن يمحو السيِّءَ بالحسنِ ، وإن الله ليس بينه وبين أحدٍ نسبٌ إلا بطاعته ، فالناس شريفُهم ووضيعُهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عبادُه ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمرَ الذي رأيتَ رسولَ الله ﷺ منذ بُعِثَ إلى أن فارقنا عليه فألْزمْهُ ، فإنَّه الأمرُ . هذه عِظتي إيّاك ، إن تركتَها ورغبتَ عنها حَبِطَ[٦] عملُك وكنتَ من الخاسرين » .

ولما أراد فراقَه قالَ له : « إنَّكَ سَتَقْدِمُ على أمرٍ شديدٍ ، فالصبرَ الصبرَ على ما أصابَكَ ونابكَ ، تجتمع[٧] لك خشية الله ، وأعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين ، في طاعته واجتناب معصيته ، وإنَّما أطاعه من أطاعه ببغضِ[٨] الدنيا وحبِّ الآخرة ، وإنما عصيان من عصاه بحبِّ الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائقُ يُنْشئها الله إنشاءً ، منها السرُّ ، ومنها العلانية ، فأما العلانيةُ فأن يكون[٩] حامدهُ وذامُّه في الحقِّ سواء ، وأمّا السرُّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس ، ومن محبة الناس فلا

---

(١) في أ : ضرار ، وما هنا عن تاريخ الطبري . وصرار ـ بكسر أوله وبالراء المهملة أيضاً في آخره ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . معجم البلدان (٣/ ٣٩٨) .

(٢) في أ : عدي ؛ تحريف ، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٣/ ٤٨٠ـ٤٨١) .

(٣) في ط : وافقوه .

(٤) كذا في أ ، ط ولعلها : فأرفأ بمعنى سكن واطمأن . اللسان (رفأ ورمأ) .

(٥) براثن الأسد جمع بُرْثُن : وهو مِخْلبه ، وقيل : هو للسبع كالإصبع للإنسان . وقيل : البرثن : الكف بكمالها مع الأصابع . اللسان (برثن) .

(٦) حبط : بطل ثواب عمله . اللسان (حبط) .

(٧) في أ ، ط : تجمع ؛ وما هنا عن الطبري .

(٨) في ط : ببعض ؛ وهو عكس المعنى المقصود .

(٩) في ط : تكون ؛ تحريف .

تزهدْ في التحبُّب فإنَّ النبيّين قد سألوا محبتهم ، وإنّ الله إذا أحب عبداً حبّبه ، وإذا أبغض عبداً بغّضه ، فٱعتبر منزلتكَ عندَ الله بمنزلتكَ عند الناس » .

قالوا : فسارَ سعدٌ نحوَ العراقِ في أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس ، وقيل في ستة آلاف . وشَيَّعَهُمْ عمر من صِرارٍ إلى الأعوص[١] ، وقام عمر في الناس خطيباً هنالك فقال :

« إن الله إنّما ضربَ لكمُ الأمثالَ ، وصرَّفَ لكم القول لتحيى [به] القلوب فإنَّ القلوبَ ميتةٌ في صدورها حتى يُحْييها اللهُ . من عَلِم شيئاً فلينتفع[٢] به ، فإنَّ للعدلِ أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين . وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ؛ ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأموال . والزهد أخذ الحق من كلّ أحدٍ قِبَلهُ حقٌّ والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فإنْ لم يكفه الكفاف لم يُغْنه شيءٌ . إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحدٌ ، وإنَّ اللهَ قد ألزمني دفعَ الدعاء عنه فانهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع فإلى من يُبَلِّغُناها نأخذ[٣] له الحقَّ غَيْرَ متعتع »[٤] .

ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بمنْ معه من المسلمين إلى المدينة .

ولما انتهى سعد إلى نهر زَرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالمثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه ، انتقض جرح المثنى بن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات رحمه الله ورضي الله عنه . واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية ، ولما بلغ سعداً موتُه ترحَّم عليه وتزوج زوجته سلمى. ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره ، وأمدَّه عمر بأمداد أخر حتى اجتمع معه يوم[٥] القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون .

وقال عمر : والله لأرمينَّ ملوكَ العجم بملوك العرب . وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة[٦] عريفاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعدٌ ، عرَّفَ العُرفاء ، وأمَّر على القبائل ، وولَّى على الطلائع ، والمقدِّمات ، والمَجْنبات والسَّاقات ، والرّجّالة ، والركبان ، كما أمرَ أمير المؤمنين عمر .

قال سيف[٧] بإسناده عن مشايخه قالوا : وجعل عمر على قضاء الناس عبدَ الرحمن بن ربيعة الباهلي

---

(١) في أ : الأعرص ، وهو تحريف . والأعوص على أميال من المدينة المنورة . معجم البلدان (١/ ٢٢٣) .
(٢) في ط : فلينفع ؛ وما هنا الوجه والطبري (٣/ ٤٨٥) .
(٣) في أ : جعلناها فيأخذ .
(٤) متعتع : أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه . اللسان (تعع) .
(٥) في أ : اجتمع له في القادسية .
(٦) في أ : على كل عشيرة . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٨) : فَعشَّر الناس ، وهذا يوافق ما أثبتناه .
(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٩) .

ذا النون . وجعل إليه الأقباض وقسمة الفَيْء ، وجعلَ داعيةَ الناس وقاصَّهُم سلمانَ الفارسيَّ . وجعل الكاتبَ زيادَ بن أبي سفيان .

قالوا : وكان في هذا الجيش كلّه من الصحابة ثلاثمئة وبضعة عشر صحابياً ، منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبعمئة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم .

وبعث عمر كتاباً إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وأن يكون بين الحجر والمدر ، وأن يأخذ الطرقَ والمسالكَ على فارس ، وأن يبدروهم بالضرب والشدة ، ولا يهولنك[١] كثرةُ عددهم وعُدَدهم ، فإنَّهم قومٌ خَدَعةٌ مَكَرةٌ ، وإن أنتم صبرتم واحتسبتم[٢] ونويتم الأمانة[٣] رجوتُ أن تُنْصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلَّا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم . وإن كانت الأخرى فأرجعوا إلى ما وراءكم حتى تصلوا (إلى) الحجر فإنكم عليه[٤] أجرأ ، وإنهم عنه أجبن ، وبه أجهل ، حتى يأتي اللهُ بالفتح عليهم ويردَّ لكم الكرّة . وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه ، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فإنَّ النصر يأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، وسلوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، واكتب إليّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها ، وكيف تنزلون وأين يكون منكم عدوكم ، واجعلني بكتبك إليَّ كأني أنظر إليكم ، واجعلني من أمركم على الجلية ، وخفِ الله وارْجُهُ ولا تدل بشيء[٥] ، واعلم أن الله قد توكَّل لهذا الأمر بما لا خُلْفَ له ، فأحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم .

فكتب إليه سعد يصفُ له كيفيةَ تلك المنازل والأراضي بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب إليه يخبره بأن الفرس قد جرَّدُوا لحربه رُسْتم وأمثاله ، فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وأمر الله بعدُ ماضٍ ، وقضاؤه مسلَّم[٦] ، إلى ما قدِّر لنا وعلينا ، فنسأل الله خيرَ القضاء وخيرَ القدر في عافية .

وكتب إليه عمر : قد جاءني كتابك وفهمته ، فإذا لقيتَ عدوَّك ومنحكَ الله أدبارهم ، فإنه قد أُلْقيَ في رُوعي أنَّكم ستهزمونهم فلا تشكَّنَّ في ذلك ، فإذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابُها إن شاء الله . وجعل عمر يدعو لسعدٍ خاصةً وله وللمسلمين عامةً .

---

(١) في أ : ولا يهولنكم .
(٢) في ط : وأحسنتم ، وما هنا عن الطبري .
(٣) في أ : الإنابة .
(٤) في أ : عليهم ، وفي تاريخ الطبري : عليها .
(٥) في أ : ولا تذل لشيء . وما هنا موافق للطبري .
(٦) في أ : مسلم لنا إلى .

ولما بلغ سعد العُذَيْب[١] اعترضَ للمسلمين جيشٌ للفرس مع شيرزاذ بن آزاذويه[٢] ، فغنموا مما معه شيئاً كثيراً ووقع منهم موقعاً كبيراً ، فَخَمَّسَها سعد وقسمَ أربعةَ أخماسها في الناس واستبشر الناسُ بذلك وفرحوا ، وتفاءلوا ، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحريم ، على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثي .

[فصل في] غَزْوة القادسيَّة

ثم سار سعدٌ فنزلَ القادسيةَ ، وبثَّ سراياه ، وأقامَ بها شهراً لم ير أحداً من الفرس ، فكتب إلى عمر بذلك ، والسرايا تأتي بالمِيرة . من كلّ مكانٍ ، فعجَّت رعايا الفُرْس من أطراف بلادهم إلى يَزْدَجِردَ من الذين يلقون (من المسلمين) من النهب والسبي . وقالوا : إن لم تنجدونا وإلا أعطينا (ما) بأيدينا وسلَّمنا إليهم الحصون . واجتمع رأي الفرس على إرسال رُسْتم إليهم ، فبعث إليه يَزْدَجِرْدَ فأمَّره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك ، وقال : إن هذا ليس برأي في الحرب ، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشدّ على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة . فأبى الملك إلا ذلك . فتجهز رستم للخروج[٣] . ثم بعث سعد كاشفاً إلى الحيرة (وإلى صلوبا) فأتاه الخبر بأن الملكَ قد أمَّر على الحرب رُسْتم بن الفرخزاذ الأرمني ، وأمدَّه بالعساكر . فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر : لا يكربنك ما يأتيك[٤] عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجَلَد يدعونه ، فإن الله جاعلٌ دعاءهم توهيناً لهم وفَلْجاً[٥] عليهم ، واكتب إليّ في كل يوم . ولما اقترب رُسْتم بجيوشه وعسكر بساباط[٦] كتب سعد إلى عمر يقول : إن رستم قد عسكر بساباط وجرَّ الخيول والفيول وزحف علينا بها ، وليس شيء أهمَّ عندي ، ولا أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة[٧] والتَّوكُّل . وعبأ رستم فجعل على المقدمة وهي أربعون ألفاً الجالنوس ، وعلى الميمنة الهرمزان ، وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون ألفاً ، وعلى الساقة البندران في عشرين ألفاً ، فالجيش كله ثمانون ألفاً فيما ذكره سيف[٨] وغيره .

---

(١) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة . . وكانت مسلحة للفرس . معجم البلدان (٤/ ٩٢) .
(٢) في ط : اراذويه . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٩٢) : آزاذ .
(٣) في أ : فعزم رستم على الخروج .
(٤) في أ : ما بلغك .
(٥) في أ : وملجأ . والفلج : الظَّفرُ والفَوْزُ . اللسان (فلج) .
(٦) ساباط ، يقال ساباط كسرى : بالمدائن موضع معروف . معجم البلدان (٣/ ١٦٦) .
(٧) في أ : الاستغاثة .
(٨) تاريخ الطبري (٣/ ٥٠٥) .

وفي رواية كان رستم في مئة ألف وعشرين ألفاً ، يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان لسابور ، فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت الفيلة تألفه . ثم بعث سعدٌ جماعةً من السادات منهم النعمان بن مُقرِّن ، وفُرات بن حَيَّان ، وحَنْظلة بن الربيع التميمي ، وعطارد بن حاجب ، والأشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معديكرب ، يدعون رستم إلى الله عزَّ وجلَّ . فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعود الله إيانا ، أخذ بلادكم وسبي نسائكم (وأبنائكم) وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رستم في منامه كأنَّ ملكاً نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كله ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر .

وذكر سيف بن عمر[١] أنَّ رستم طاول سعداً في اللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن وملتقاه سعداً بالقادسية أربعة أشهر ، كل ذلك لعله يضجر سعداً ومن معه[٢] ليرجعوا ، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه ، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم ، لما رأى في منامه ، ولما يتوسَّمه ، ولما سمع منهم ، ولما عنده من علم النجوم الذي يعتقد صحته في نفسه لما له من الممارسة لهذا الفن .

ولما دنا جيش رستم من سعد أحبَّ سعدٌ أن يطَّلعَ على أخبارهم على الجلية ، فبعثَ سرية لتأتيه برجلٍ من الفرس وكان في السرية طُلَيْحة الأسدي الذي كان ادَّعى النبوةَ ثم تاب . وتقدَّمَ الحارثُ مع أصحابه حتى رجعوا . فلما بعث سعدٌ السريةَ اخترقَ طُلَيْحةُ الجيوشَ والصفوفَ ، وتَخطَّى الألوفَ ، وقتل جماعة من الأبطال حتّى أسرَ أحدَهم وجاء به لا يملكُ من نفسه شيئاً ، فسأله سعدٌ عن القوم فجعل يصف شجاعةَ طليحة ، فقال : دَعْنا من هذا وأخبرنا عن رستم ، فقال : هو في مئة ألف وعشرين ألفاً ، ويتبعها مثلها . وأسلم الرجل من فوره رحمه الله .

[رستم والمغيرة بن شعبة]

قال سيف[٣] عن شيوخه : ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى [سعد] أن يبعثَ إليه برجلٍ عاقلٍ عالم بما أسأله عنه . فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة رضي الله عنه . فلما قدم عليه جعل رستم يقول له : إنكم جيراننا وكنا نُحسن[٤] إليكم ونكفُّ الأذى عنكم ، فأرجعوا إلى بلادكم ، ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا . فقال له المغيرة : إنّا ليس طلبنا الدنيا ، وإنما همنا[٥] وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدنْ بديني (فأنا) منتقم بهم ، منهم ، وأجعل لهم

---

(١) نفس المصدر (٣/ ٥٠٩) .

(٢) في أ : ومن تبعه .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) .

(٤) في أ : ونحن محسنون .

(٥) في أ : وإنما جئنا .

الغلبةَ ما داموا مُقِرِّين به ، وهو دين الحق ، لا يرغبُ عنه أحدٌ إلا ذلَّ ، ولا يعتصم به إلا عزَّ . فقال له رستم : فما هو ؟ فقال : أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله ، فقال ما أحسن هذا ؟! وأي شيء أيضاً . قال وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله . قال : وحسن أيضاً ، وأي شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم ، فهم إخوة لأب وأم ، قال : وحسن أيضاً . ثم قال رستم : أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا ؟ قال : إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة . قال: وحسن أيضاً . (قال) : ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنِفُوا ذلك وأَبَوْا أن يدخلوا فيه ، قبَّحهم الله وأخزاهم، وقد فعل.

[رستم وربعي بن عامر]

قالوا[١] : ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر بطلبه وهو رِبْعي بن عامر ، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسَهُ بالنمارق المذهَّبة[٢] والزرابي الحرير[٣] ، وأظهر اليواقيت واللآليء الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة . وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل رِبْعي بثياب صفيقة[٤] وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلَّا رجعت . فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قَبِلَ ذلك (قبلنا) منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود[٥] الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنةُ لمن ماتَ على قتال منْ أبى ، والظفرُ لمن بقي . فقال رستم : قد سمعتُ مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظرَ فيه وتنظروا ؟ قال : نعم ! كم أحبُّ إليكم ؟ يوماً أو يومين ؟ قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخِّر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانْظر في أمرك وأمرهم واخْتر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال: أسيدهم أنت ؟ قال ! لا: ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قطّ أعزَّ وأرجحَ من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا: معاذَ الله أن تميل إلى شيء من هذا ، وتدعَ دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ، فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٥١٨ ـ ٥١٩) .
(٢) النمارق : الوسائد . اللسان (نمرق) .
(٣) الزرابي : البسط ، وقيل كل ما بسط واتكيء عليه . وقيل هي الطنافس وقيل هي النمارق . اللسان (نمرق) .
(٤) في أ : ضعيفة . والصفيقة : السخيفة الرثّة .
(٥) في أ : موعد .

وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة . إن العربَ يستخفّون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب .

ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلاً فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ما قال ربعي .

وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل . قال فيه رستم للمغيرة : إنما مَثلكُم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل . فقال منْ يوصلني إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول منْ يُخلِّصني وله أربعة دراهم ؟ ومَثَلُكُم كمثل ثعلب ضعيفٍ دخل جحراً في كَرْمٍ ، فلما رآه صاحب الكَرْم ضعيفاً رحمه فتركه ، فلما سمنَ أفسدَ شيئاً كثيراً فجاء بجيشه ، واستعانَ عليه بغلمانه فذهبَ ليخرجَ فلم يستطع لسمنه فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضباً وأقسم بالشمس لأقتلنكم غداً (فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرتُ لكم بكسوةٍ ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعد أن أوهنَّا ملككم وضعضعنا[١] عزَّكم ، ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يدٍ وأنتم صاغرون ، وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم ؟! فلما قال ذلك استشاط غضباً) .

وقال ابن جرير[٢] : حدَّثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي، حدَّثنا أمية بن خالد، حدَّثنا أبو عوانة، عن حُصَين بن عبد الرحمن . قال قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال : لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف (أو ثمانية آلاف) بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً ، أو نحو ذلك ، فقالوا : لا يَدَ لَكُمْ ولا قوةَ ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا . قال : قلنا ما نحن براجعين ، ، فكانوا يضحكون من نَبْلِنا[٣] ويقولون دوك دوك ويشبِّهونها بالمغازل . فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ما جاء بكم . فقال المغيرة بن شعبة : أنا ، فعبر إليهم فقعد مع رستم على السرير ، فنخروا[٤] وصاحوا ، فقال : إنَّ هذا لم يزدني رفعةً ولم يُنْقص صاحبكم . فقال رستم : صدق ، ما جاء بكم ؟ فقال : إنّا كنّا قوماً في شرٍّ وضلالةٍ ، فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبةٌ تنبتُ في هذا البلد فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبرَ لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرضَ حتى نأكلَ من هذه الحبة . فقال رستم إذاً نقتلكم . قال إن قتلتمونا دخلنا الجنة ، وإن قتلناكم دخلتم النار ، وأدَّيتم الجزية (قال : فلما قال : وأديتم الجزية) نخزوا[٥] وصاحوا وقالوا : لا صلحَ بيننا وبينكم . فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبر إليكم ، فاستأخر المسلمون حتى عبروا ، فحملوا عليهم فهزموهم .

---

(١) في ط : وضعفنا .
(٢) تاريخه (٣/ ٤٩٦) .
(٣) في أ : قلتنا .
(٤) نَخَرَ ـ يَنْخِر ويَنْخُر ـ نخيراً : مدّ الصوت والنَّفَس في خياشيمه . اللسان (نخر) .
(٥) نخزوا : كنخروا .

وذكر سيف[١] : أن سعداً كان به عِرْق النَّسا يومئذ ، وأنَّه خطبَ الناسَ وتلا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، وصلَّى بالناس الظهر ثم كبَّر أربعاً ، وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا[٢] : لا حول ولا قوة إلا بالله ، في طردهم إياهم ، وقتلهم لهم . وقعودهم لهم كل مرصد ، وحصرهم لبعضهم في بعض الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنانير . وما رد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند ، ولجأ أكثرهم إلى المدائن ، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها .

وكان سعد قد بعث طائفةً من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرجَ أهلُ البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال في أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها . وجعلوا يتعجبون منها[٣] غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشَهم مع كثرة عددها وعُددها .

ولما استأذنوا على الملك يَزْدجردَ أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبِّراً قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ؟ عن الأردية ، والنعال ، والسياط ، ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل ، فردَّ الله فأله على رأسه . ثم قال لهم : ما الذي أقدمكم هذه البلاد ؟ أظننتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟. فقال له النعمان بن مُقرِّن : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلُّنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلَّا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواصّ ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينهد إلى منْ خالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط ، وطائع[٤] إياه فازداد . فعرفنا جميعاً فضلَ ما جاء به على الذي كنّا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام حَسَّن[٥] الحسنَ وقبَّح القَبيح كله ، فإن أبيتم فأمرٌ من الشرِّ هو أهونُ من آخر شرٍّ منه الجزيةُ ، فإن أبيتم فالمناجزة ، وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وإن أتيتمونا بالجزية[٦] قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم .

قال : فتكلم يَزْدَجرد فقال : إني لا أعلم في الأرض أمةً كانت أشقى ولا أقلَّ عدداً ولا أسوأ ذات بينٍ منكم ، قد كنّا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم . فإن

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥٣١) .
(٢) في أ : وحملوا بعدها وهم يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله .
(٣) في أ : منهم .
(٤) في أ : وطامع ؛ وهو تحريف .
(٥) في أ : فحسَّن .
(٦) في أ : وإن أبقيتمونا فالجزية .

كان عددكم كَثُرَ فلا يغرَّنكم منا ، وإن كان الجهْدُ دعاكم فرضنا لكم قوتاً (إلى) خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملَّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فأسكت القوم .

فقام المغيرة بن شعبة فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤوسُ العرب ووجوهُهم ، (وهم) أشراف[١] يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه[٢] ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبني فأكون (أنا) الذي أبلغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفةً لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا ، فلم يكن يشبه[٣] الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغي[٤] بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرتُ لك وفي المعاد على ما ذكرتُ لك ، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبَه ونعرفُ وجهَه ومولدَه ، فأرضهُ[٥] خير أرضنا ، وحَسَبُه خيرُ أحسابنا ، وبيتُه خيرُ بيوتنا ، وقبيلتُه خيرُ قبائلنا ، وهو نفسه كان خيرَنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمرٍ فلم يجبْه أحدٌ . أول تربٍ كانَ له الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذَّبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقذف الله في قلوبنا التصديقَ له واتّباعه ، فصار فيما بيننا وبين ربّ العالمين . فما قالَ لنا فهو قولُ الله ، وما أمرنا فهو أمرُ الله ، فقال لنا : إنَّ ربَّكم يقول : [إني] أنا اللهُ وحدي لا شريكَ لي ، كنتُ إذ لم يكن شيءٌ ، وكلُّ شيءٍ هالك إلا وجهي ، وأنا خلقتُ كلَّ شيءٍ ، وإليَّ يصيرُ كلُّ شيءٍ ، وإنَّ رحمتي أدركَتْكُم فبعثتُ إليكم هذا الرجلَ لأدلَّكم على السبيل التي أنجيكم بها بعد الموت من عذابي ، ولأحلَّكُمْ داري ، دارَ السلام . فنشهد عليه أنه جاءَ بالحق من عند الحق . وقال : منْ تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومنْ أبَى فاعْرِضُوا عليه الجزيةَ ، ثم امنعوه ممّا تمنعون منه أنفسَكم ، ومنْ أبى فقاتلوه فأنا الحكمُ بينكم ، فمنْ قُتل منكم أدخلته جنَّتي ، ومنْ بقيَ منكم أعقبته النصر على منْ ناوأه . فاختَرْ إنْ شئتَ الجزيةَ وأنت صاغرٌ ، وإن شئت فالسيفُ ، أو تُسْلم فتُنْجي نفسَكَ .

فقال يَزْدَجِرْدُ : استقبلتني بمثل هذا ؟ فقال : ما استقبلت إلّا منْ كلَّمني ، ولو كلَّمني غيرُك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لا تُقْتَلُ لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي . وقال : ائتوني بوقْرٍ من تُرابٍ

---

(١) في أ : والأشراف .
(٢) في أ : عنه .
(٣) في أ : شبه .
(٤) في أ : يغير .
(٥) في أ : وارضه .

فاحملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات[١] المدائن . ٱرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسلٌ إليه رستم حتى يدفنه[٢] وجنده في خندق القادسية وينكّل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ مما نالكم من سابور .

ثم قال : من أشرفُكم ؟ فسكتَ القوم ، فقال عاصم بن عمرو وافْتَأَتَ[٣] ليأخذ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيدُ هؤلاء فحمّلنيه ، فقال : أكذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها ، ثم انجذب في السير فأتوا[٤] به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قُدَيْس[٥] فطواه فقال[٦] بَشِّروا الأمير بالظفر ، ظفرنا إن شاء الله (تعالى ، ثم مضى حتى جعل التراب في الحِجْر ، ثم رجع فدخل على سعد ، فأخبره الخبر . فقال : أبشروا) فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم .

وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم . ثم لم يزل أمر الصحابة يزداد في كلّ يوم عُلوّاً وشَرَفاً ورفعةً ، وينحطّ أمرُ الفرس سُفلاً وذُلّاً ووهناً . ولما رجعَ رستم إلى الملك يسأله[٧] عن حالٍ من رأى من المسلمين ؟ فذكر (له) عقلهم وفصاحتهم وحدَّةَ جوابهم ، وأنهم يرومون أمراً يوشك أن يدركوه . وذكر ما أمر به أشرفهم من حمل التراب وأنه استحمق أشرفهم في حمله التراب على رأسه ، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر . فقال له رستم : إنه ليس أحمق ، وليس هو بأشرفهم ، إنما أراد أن يفتدي قومه بنفسه ، ولكن والله ذهبوا بمفاتيح أرضنا . وكان رستم مُنَجِّماً ، ثم أرسل رجلاً وراءهم وقال : إن أدرك التراب فردَّه تداركنا أمرنا ، وإن ذهبوا به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا .

قال : فساق وراءهم فلم يدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب . وساء ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشدَّ الغضب واستهجنوا رأي الملك .

فصل

كانت وقعةُ القادسية وقعةً عظيمة لم يكن بالعراق أعجبَ منها ، وذلك أنه لما تواجه الصفَّان كان سعد رضي الله عنه قد أصابه عِرْقُ النَّسا ، ودمامل في جسده ، فهو لا يستطيع الركوب ، وإنما هو في قصر متكىء على (صدره فوق) وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبّر أمره ، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن

---

(١) في تاريخ الطبري : باب .

(٢) في تاريخ الطبري : حتى يدفنكم ويدفنه .

(٣) افتأت : اختلق . اللسان (فأت) .

(٤) في ط : ليأتوا .

(٥) قُدَيْس : موضع بناحية القادسية نزله سعد لما قدم القادسية بينما نزل زُهرة حيال قنطرة العتيق وموضع القادسية اليوم . معجم البلدان (٤/ ٣١٤) .

(٦) في ط : وقال .

(٧) في أ : سأله .

عُرْفُطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مدداً من عند أبي عبيدة من الشام بعدما شهدا وقعة اليرموك .

وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستماً[١] كان في ستين ألفاً ، فصلَّى سعدٌ بالناس الظهر ، ثم خطب الناسَ فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] وقرأ القُرّاءُ آياتِ الجهاد وسُوَرَهُ ، ثم كبَّر سعدٌ أربعاً ، ثم حملوا بعد الرابعة ، فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفريقين بشرٌ كثيرٌ ، ثم أصبحوا إلى مواقفهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا (كما أمسوا) على[٢] مواقفهم ، فاقتتلوا حتى أمسوا ، ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك ، وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الهَرير ، فلما أصبح اليومُ الرابعُ اقتتلوا قتالاً شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً ، وقد أباد الصحابة الفيلةَ ومنْ عليها ، وقلعوا عيونها ، وأبلى جماعةٌ من الشجعان في هذه الأيام مثل طُلَيْحة الأسدي ، وعمرو بن مَعْديكرب ، والقَعْقاع بن عمرو ، وجَرير بن عبد الله البَجَلي ، وضِرار بن الخَطّاب ، وخالد بن عرفطة ، وأشكالهم وأضرابهم ، فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ويسمى يوم القادسية ، وكان يوم الإثنين من المحرم سنة أربعَ عشرةَ كما قاله سيف بن عمر التميمي ، هبت ريحٌ شديدةٌ فرفعت[٣] خيامَ الفرس عن أماكنها وألقتْ سريرَ رستم الذي هو منصوب له ، فبادر فركب بغلته وهرب ، فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدمَ الطلائع القادسية ، وانهزمت الفرسُ ، ولله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم ، ولحقهم المسلمون في أقفائهم فقُتل يومئذ المُسلْسَلون بكمالهم وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل في المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك . وقُتل من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمئة رحمهم الله . وساق المسلمون خلفَ المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة[٤] الملك وهي المدائن التي فيها الإيوان الكسروي ، وقد أذن لمن ذكرنا عليه ، فكان منهم إليه ما قدمنا .

وقد غنم المسلمون من وقعةِ القادسية هذه من الأموال والسلاح ما لا يُحدُّ ولا يُوصف كثرةً ، فحصلت الغنائمُ بعد صرف الأسلاب وخُمِّستْ وبُعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد كان عمر رضي الله عنه يستخبرُ عن أمر القادسية كلَّ منْ لقيهُ من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشقُ الخبرَ ، فبينما[٥] (هو ذات) يومٍ من الأيام إذا هو براكبٍ يلوحُ من بُعْدٍ ، فاستقبلهُ عمرُ فاستخبره ، فقال له : فتحَ الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائمَ كثيرةً ،

---

(١) كذا في الأصلين .
(٢) في أ : إلى .
(٣) في أ : وهبت ريح شديدة فوقعت .
(٤) في أ : إلى مدينة .
(٥) في أ : فلما .

وجعل يحدّثُه ، وهو لا يعرفُ عمر ، وعمر ماشٍ تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعلَ الناس يُحيُّونَ عمرَ بالإمارة ، فعرفَ الرجلُ عمرَ فقال : يرحمكَ الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنَّكَ الخليفةُ ؟ فقال لا حرجَ عليك يا أخي .

وقد تقدَّم أنَّ سعداً رضي الله عنه كان به قروحٌ وعِرقُ النّسا ، فمنعَهُ من شهودِ القتال ، لكنه جالسٌ في رأس القصر ينظرُ في مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يُغلقُ عليه بابَ القصر (لشجاعته) ، ولو فرَّ الناسُ لأخذته الفُرسُ قبضاً باليد ، لا يمتنع منهم ، وعنده امرأتُه سلمى بنت خصفة التي كانت قبله عند المُثنَّى بن حارثة ، فلما فَرَّ بعضُ الخيل يومئذٍ فزعتْ وقالت : وامُثَناه ولا مُثَنَّى لي اليوم . فغضبَ سعدٌ من ذلك ولطمَ وجهها ، فقالت : أغيرةً وجبناً ـ يعني أنها تعيِّره بجلوسه في القصر يوم الحرب ـ وهذا عناد منها ، فإنها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع[1] من ذلك .

وكان عنده في القصر رجلٌ مسجونٌ على الشراب كان قد حُدَّ فيه مراتٍ متعددةٍ ، يقالُ سبعَ مراتٍ ، فأمر به سعدٌ فَقُيِّدَ وأُودعَ في القصر ، فلما رأى الخيول تجول حول حمى القصر وكان من الشُّجعان الأبطال قال[2] : [من الطويل]

كفَى حزناً أنْ تدحمَ الخيلَ بالفتى[3] ... وأُتْـرَكَ مَشْـدُوداً عَلَـيَّ وِثَـاقِيـا

إذا قمتُ غنّاني الحديدُ وغُلّقتْ[4] ... مصـاريـعُ مـن دونـي تصـمُّ المناديـا

وقـدْ كنـتُ ذا مـالٍ كثيـرٍ وإخـوةٍ ... وقدْ تركوني مفرداً[5] لا أخا ليا[6]

ثم سأل من زَبْراء[7] أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيضع رجله في القيد فأطلقته ، وركب فرس سعد وخرج فقاتل قتالاً شديداً ، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها[8] ويشبهه بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موثق ، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال : ما هذا ؟ فذكروا له قصة أبي محجن فرضي عنه وأطلقه رضي الله عنهما .

---

(١) في أ : المتتابع .

(٢) في أ : فقال . والأبيات كما هنا عدداً ورواية في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٥) ، وهي أربعة فيه (٣/ ٥٤٨) وسبعة في الأغاني (١٩/ ٥) وهي عشرة في منح المدح ص(٢٨٩ ـ ٢٩١) .

(٣) في تاريخ الطبري والأغاني : أن تردي الخيل بالقنا . وفي منح المدح : أن تلتقي البيض بالقنا .

(٤) في أ : وأطلقت ؛ ولا معنى لها . وفي تاريخ الطبري والمنح : وأغلقت .

(٥) في تاريخ الطبري والأغاني والمنح : واحداً .

(٦) بعده في الطبري بيت ، وبعده في الأغاني أربعة ، وبعده في المنح : سبعة .

(٧) في تاريخ الطبري (٣/ ٥٤٨) والأغاني (١٩/ ٥) : سلمى بنت أبي حفصة .

(٨) في أ : ثم ينكرها وشبهه . وهي كما هنا في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٥) .

وقد قال رجل من المسلمين في سعد رضي الله عنه[١] : [من الطويل]

نُقاتِلُ حَتَّى أنْزَلَ اللهُ نَصْرهُ وَسَعْدٌ بباب القادِسيَّةِ مُعْصِمُ
فأُبْنا وَقَدْ آمَتْ نساءٌ كَثيرةٌ ونِسْوة سَعْدٍ ليسَ فيهنّ أيِّمُ

فيقالُ : إن سعداً نزل إلى الناس فاعتذر إليهم مما فيه من القروح في فخذيه وأليتيه ، فعذره الناسُ . ويذكر أنه دعا على قائل هذين البيتين وقال : اللهم إن كان كاذباً ، أو قال الذي قال رياءً وسمعةً وكذباً فاقطع لسانَهُ ويَدهُ . (فجاءه سهم) وهو واقفٌ بين الصَّفَّين فوقعَ في لسانه فبطل شقه فلم يتكلم حتى مات.

رواه سيف[٢] عن عبد الملك بن عُمَيْر عن قبيصة بن جابر فذكره . وقال سيف عن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه .

قال : قال جرير بن عبد الله البجلي[٣] : [من الرجز]

أنا جريرُ كنيتي[٤] أبو عمرو قدْ فتحَ اللهُ وسعدٌ في القصْر

فأشرف سعد من قصره وقال[٥] : [من الوافر]

وما أرْجو بَجيْلة غيرَ أنّي أُؤمِّلُ أجْرَها[٦] يَوْمَ الحِساب
وقدْ لقيتْ خيولُهُم خيولاً وَقَدْ وَقَعَ الفوارسُ في الضِّراب[٧]
وقد دلفت[٨] بعَرْصَتِهمْ خُيولٌ[٩] كأنّ زهاءَها إبلُ الجِراب[١٠]
فَلولا[١١] جَمْعُ قَعْقاعِ بن عَمْرو وحمّالٌ للجُوا في الرِّكاب[١٢]
وَلَوْلا ذاك ألْفَيْتمْ رِعاعاً تسيلُ جُموعُكم مِثْل[١٣] الذُّبابِ

---

(١) البيتان في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٧ و٥٨٠) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥) برواية مختلفة .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٥٨٠) .
(٣) البيت في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٧) برواية: قد نصر الله . وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠/ ٣٥٣) ـ طبعة دار الفكر ـ.
(٤) في أ ، ط : وكنيتي . وما هنا عن مصادره وهو الأشبه .
(٥) الأبيات الثلاثة الأولى في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٧) وهي ستة في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٥٣) ـ طبعة دار الفكر ـ .
(٦) في تاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكر : أجرهم .
(٧) في تاريخ الطبري : ضراب .
(٨) في أ : وقد دهمت .
(٩) في تاريخ الطبري : فيول ، وهو جمع فيل .
(١٠) في تاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكر : جراب ؛ مما أوقع البيت في الإقواء .
(١١) في تاريخ دمشق : ولو جمع ؛ وهو خطأ عروضي لابد من تصحيحه .
(١٢) في تاريخ دمشق : في الكذاب . وبعده فيه بيت آخر .
(١٣) في تاريخ دمشق : سلَّ الذباب .

وقد روى محمد بن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم البجلي ـ وكان ممن شهد القادسية ـ قال :

كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفُرس مرتدّاً ، فأخبرهم أن بأسَ الناس في الجانب الذي فيه بجيلة . قال : وكُنَّا رُبْع الناسِ ، قال : فوجَّهوا إلينا ستةَ عشرَ فيلاً ، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسكَ الحديد ، ويرشقوننا بالنُّشّاب ، فلكأنه المطر ، وقرنوا[٢] خيولهم بعضها إلى بعض لئلا ينفروا .

قال : وكان عمرو بن مَعْدِيكرب الزُّبَيْدي يَمُرُّ بنا فيقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أُسوداً فإنما الفارسي تيسٌ .

قال : وكان فيهم أسوارٌ لا تكاد تسقطُ له نُشَّابةٌ ، فقلنا له يا أبا ثور اتَّقِ[٣] ذاك الفارسيّ[٤] فإنّه لا تسقطُ له نُشَّابةٌ ، فوجه إليه الفارسيّ ورماه بنشابة[٥] فأصاب ترسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ، ومِنْطقة من ذهبٍ ، ويَلْمقاً[٦] من ديباجٍ .

قال : وكان المسلمون ستةَ آلافٍ أو سبعةَ آلافٍ ، فَقَتلَ اللهُ رستماً[٧] ، وكان الذي قتله رجلٌ يقال له هلال بن علقمة[٨] التميمي ، رماه رستم بنُشّابة فأصاب قدمه ، وحمل عليه هلال فقتله واحتزَّ رأسه ، وولت الفرسُ فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فأدركوهم في مكانٍ قد نزلوا فيه واطمأنّوا[٩] ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ هجمَ عليهمُ المسلمون فقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وقُتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حَوِيَّة[١٠] التميمي . ثم ساروا خلفهم ، فكلما تواجه الفريقان نصرَ اللهُ حزبَ الرحمن ، وخذلَ حزبَ الشيطان وعَبَدة النيران . واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجزُ عن حَصْرِهِ ميزانٌ وقبَّانٌ ، حتى إنَّ منهم من يقول من يقايض[١١] بيضاء بصفراء لكثرةِ ما غنموا من الفرسان . ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفراتَ وراءهم وفتحوا المدائنَ وجلولاءَ على ما سيأتي تفصيلُه في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

---

(١) تاريخ الطبري : (٣/ ٥٧٦) .
(٢) في ط : وقرَّبوا .
(٣) في ط : نق .
(٤) في ط : الفارس .
(٥) في أ : فوجه إليه ورماه الفارسي بنشابة .
(٦) اليلمق : القباء . القاموس (يلمق) .
(٧) كذا في الأصلين ، والذي في الطبري (٣/ ٥٧٦) : فقتل الله رستم وهو الأصح لسياق اللغة .
(٨) في تاريخ الطبري : هلال بن علقة التيمي .
(٩) في أ : واطمأنوا فيه سكارى .
(١٠) الضبط عن تاريخ الطبري (٣/ ٥٦٥) وتوضيح المشتبه (٢/ ٥٠٩) .
(١١) في أ : من يقارص ؛ وهو تحريف .

وقال سيفُ بن عمر[١] : عن سليمان بن بشير ، عن أمّ كثير امرأةِ همام بن الحارث النّخعي قالت : شهدنا القادسيةَ مع سعدٍ مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس ، شدَدْنا علينا ثيابنا وأخذنا الهَراوَى ثم أتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، ومن كانَ من المشركين أجهزنا عليه ، ومعنا الصبيانُ فنوليهم ذلك ـ تعني استلابهم ـ لئلا يكشفن عن عوراتِ الرجال .

وقال سيفٌ بأسانيده عن شيوخه قالوا[٢] : وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح وبعدَّةِ منْ قَتَلوا من المشركين . وبعدَّة منْ قُتل من المسلمين ، وبعث[٣] بالكتاب مع سَعْدِ بن عُمَيْلَةَ[٤] الفزاري وصورته :

أما بعدُ فإنَّ الله نَصرنا على أهل فارس ومنحناهم[٥] سنن منْ كانَ قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتالٍ طويلٍ ، وزَلْزالٍ شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدَّةٍ لم يَرَ الرّاؤُون مثلَ زُهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتَّبعهم المسلمون على الأنهار ، وصفوف[٦] الآجام ، وفي الفجاج . وأصيب من المسلمين سعد بن عُبيد القاري وفلان وفلان ، ورجالٌ من المسلمين لا يعلمهم إلا الله ، فإنّه بهم عالمٌ كانوا يُدَوُّون[٧] بالقرآن إذا جنَّ عليهم الليلُ كدويّ النَّحْل ، وهم آسادٌ في النهار لا تشبههم الأسود ، ولم يَفْضل منْ مَضَى منهم منْ بقي إلا بفضل الشهادة إذ[٨] لم تُكْتَبْ لهم .

فيقالُ : إنَّ عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضي الله عنهم . ثم قال عمر للناس : إني حريصٌ على أن لا أرى[٩] حاجةً إلا سددتُها ، ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجزَ ذلك عنّا تآسينا في عيشنا حتى نَسْتوي في الكَفاف ، ولوددتُ أنّكم علمتمُ من نفسي مثلَ الذي وقع فيها لكم ، ولستُ معلِّمكم إلا بالعمل ، إنّي واللهِ لستُ بملكٍ فأستعبدكم ، ولكنّي عبدُ الله ، عَرَضَ عليَّ الأمانة فإن أبيتُها ورددتُها عليكم واتَّبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم ، وتَروَوْا سعدتُ بكم ، وإنْ أنا حملتُها واستتبعتكم (إلى بيتي) شقيتُ بكم ، ففرحتُ قليلاً ، وحزنتُ طويلاً ، فبقيتُ لا أُقال ولا أُرَدّ فأستعتب .

وقال سيفٌ عن شيوخه قالوا[١٠] : وكانت العربُ من العُذَيْب إلى عَدَنِ أبْين ، يتربَّصون وقعةَ القادسية

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥٨١) .
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٥٨٣) .
(٣) في ط : بعث ؛ بلا واو .
(٤) الضبط عن تاريخ الطبري .
(٥) في بعض النسخ : ومنحهم .
(٦) في تاريخ الطبري : طفوف ، وهي الأشبه ، لأن الطفوف جمع طفّ وهو جانب البرّ وطرفه . اللسان (طفف) .
(٧) الدَّويّ : صوت ليس بالعالي كصوت النحل ونحوه دَوَّىٰ يُدوّي تَدْوية . اللسان (دوا) .
(٨) في أ ، ط : إذا ؛ وما هنا عن الطبري وهو أقرب للصواب .
(٩) في تاريخ الطبري : أن لا أدع ؛ وهو الأشبه .
(١٠) تاريخ الطبري (٣/ ٥٨١ ـ ٥٨٢) .

هذه ، يَرَونَ أنّ ثباتَ مُلْكهم وزوالَه بها ، وقد بعثَ أهلُ كلّ بلدةٍ قاصداً يكشفُ ما يكونُ من خبرهم ، فلما كان ما كان من الفتح سبقتِ الجنُّ بالبشارةِ إلى أقصى البلادِ قبل رُسُلِ الإنس فسمعت امرأة ليلاً بصنعاء على رأس جبل وهي تقول : [من الطويل]

فحُيِّيتِ عنَّا عِكْرم ابْنَة خالدٍ   وما خيرُ زادٍ بالقَليلِ المُصَرَّدِ[١]

وَحَيّتكِ عنّي الشمسُ عندَ طلوعها   وحَيّاك عني كلُّ ناجٍ مُفَرَّدِ[٢]

وَحَيَّتْكِ عنّي عُصْبة نَخَعيَّةٌ   حِسانُ الوُجوه آمنوا بمُحمدِ

أقاموا لكسرى يَضْربون جُنودهُ   بكُلِّ رقيقِ الشَّفْرتينِ مُهنّدِ

إذا ثَوَّبَ[٣] الدَّاعي أناخوا بكَلْكلٍ[٤]   من الموتِ مسودِّ الغياطل أجردِ[٥]

قالوا : وسمع أهلُ اليمامة مُجْتازاً يُغنّي بهذه الأبيات : [من الوافر]

وجدنا الأكثرينَ[٦] بني تَميم   غداةَ الرَّوعِ أكثرُهم رجالا

هُمُوا ساروا بأرْعَن مُكْفهرٍّ   إلى لَجِبٍ فَزَرّتهم[٧] رعالا

بحورٌ للأكاسرِ من رجالٍ   كأُسدِ الغابِ تَحْسَبُهُم جبالا[٨]

تَرَكْن لهم بقادسَ عزَّ فَخْرٍ   وبالخيفَيْنِ أيّاماً طوالا

مُقَطَّعةً أكُفُّهُمُ وسوقٌ   بمُرْدٍ[٩] حيث قابلتِ الرجالا[١٠]

قالوا : وسُمع ذلك في سائر بلاد العرب ، وقد كانت بلاد العراق بكمالها التي فتحها خالد نقضت العهود والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالداً ، سوى أهل بانِقْيا وباروسما ، وأهل أُلَّيس[١١] الآخرة

---

(١) التصريد في العطاء : تقليله . وفي الحديث : « لن يدخل الجنة إلا تصريداً » وصرّدَ العطاء : قَلَّلَهُ . اللسان (صرد) .

(٢) البيت في أ ، ط : وحييت . . . وحييت عني كل ناج وما هنا عن الطبري وهو الأشبه .

(٣) ثوَّب الداعي : إذا دعا مرة بعد أخرى . اللسان (ثوَّب) .

(٤) الكلكل : الصدر . اللسان (كلل) .

(٥) في تاريخ الطبري : تسود الغياطل مُجْرَدِ . والغياطل جمع غيطل : الظلمة . اللسان (غطل) .

(٦) في ط : الأكرمين .

(٧) في ط : يرونهم . وفي أ : فزرّتْهم وعالا .

(٨) في أ : جمالا .

(٩) في تاريخ الطبري : بمرْدى ؛ وكلاهما موضع .

(١٠) في أ : الجبالا .

(١١) سبق التعريف بهذه البلدان في ذكر مسير خالد إلى العراق ، وقد دعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة ، فاختاروا الجزية وكتب لهم كتاباً في الصلح .

ثم عاد الجميع بعد هذه الوقعة التي أوردناها ، وادَّعَوْا أن الفرس أجبروهم على نقض العهود ، وأخذوا منهم الخَراجَ وغير ذلك . فصدقوهم في ذلك تألفاً[١] لقلوبهم ، وسنذكر حكم أهل[٢] السواد في كتابنا « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى . (وقد ذهبَ ابنُ إسحاق وغيرُه إلى أنَّ وَقْعَةَ القادسية كانت في سنة خمس عشرة . وزعمَ الواقديُّ أنَّها كانت في سنة ست عشرة . وأما سيفُ بن عمر وجماعةٌ فذكروها في سنة أربع عشرة ، وفيها ذكرها ابن جرير[٣] ، فالله أعلم) .

قال ابن جرير[٤] والواقدي : في سنة أربع عشرة جمع عمرُ بن الخطاب الناسَ على أُبيّ بن كعب في التَّراويح وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان .

قال ابن جرير[٥] : وفيها (بعث) عمر بن الخطاب عتبةَ بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها[٦] بمن معه من المسلمين ، وقطعَ مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني ، وروايته .

قال : وزعم سيف أنَّ البصرةَ إنّما مُصِّرتْ في ربيع من سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرجَ إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ، وجَّههُ إليها سعدٌ بأمرِ عمر رضي الله عنهم .

وقال أبو مخنف[٧] : عن مجالد ، عن الشعبي : إنَّ عمر رضي الله عنه بعثَ عتبةَ بن غزوان إلى أرض البصرة في ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً ، وسار[٨] إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمئة ، فنزلها في ربيع الأول سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تُدْعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة ، وجعل يرتاد لهم منزلاً حتى جاؤوا حيال الجسر الصغير فإذا فيه[٩] حَلْفاء وقَصب نابت ، فنزلوا . فركب إليهم صاحبُ الفرات في أربعة آلاف أسوار[١٠] ، فالتقاه عتبة بعد ما زالت الشمس ، وأمر الصحابة فحملوا عليهم فقتلوا الفُرْسَ عن آخرهم ، وأسروا صاحبَ الفرات ، وقام عتبة خطيباً فقال في خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصَرْمٍ[١١] ، وولَّت حَذَّاء[١٢] ، ولم يبق منها

---

(١) في أ : تأليفاً .
(٢) ساقطة من أ .
(٣) في تاريخه (٣/ ٥٩٠) ونقل الأقوال السابقة .
(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٠) نقلاً عن الواقدي .
(٥) في تاريخه (٣/ ٥٩٠) .
(٦) في أ : بها . وفي تاريخ الطبري : وأمره بنزولها .
(٧) نقل هذا الخبر بسنده الطبري في تاريخه (٣/ ٥٩٠ ـ ٥٩١) .
(٨) في أ : وصار .
(٩) في أ : عند خلفا قصب نابت .
(١٠) الأسوار والإسوار : قائد الفرس . اللسان (سور) .
(١١) في اللسان : إن الدنيا قد أدبرت بصرم : أي بانقطاع وانقضاء ـ النهاية واللسان (صرم) .
(١٢) في هامش الطبري : حذّاء : مسرعة ؛ قال في « تاج العروس » : الحذّاء : السريعة الماضية ومنه قول عتبة بن غزوان في خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصرم وولَّت حَذّاء .

إلا صُبابَة[١] كصبابة الإناءِ ، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا عما بحضرتكم ، فقد ذُكر لي لو أنَّ صخرةً أُلقيتْ من شَفير جهنم هوتْ سبعين خريفاً ولتملأنَّه ، أو عجبتم ؟ ولقد ذُكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرةَ أربعين عاماً ، وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كظيظ من الزّحام ، ولقد رأيتُني وأنا سابعُ سبعةٍ ، وأنا مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق السَّمُر[٢] ، حتى تقرَّحتْ[٣] أشداقُنا ، والتقطتُ بُردةً فشققتها بيني وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مِصْر من الأمصارِ ، وسيُجَرِّبون الناسَ بعدنا . وهذا الحديث في صحيح مسلم[٤] بنحو من هذا السياق .

وروى علي بن محمد المدائني : أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة[٥] : يا عُتبة إنّي استعملتك على أرضِ الهندِ وهي حَوْمة[٦] من حومةِ العدوّ ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يُعينكَ عليها ، وقد كتبت إلى العَلاء بن الحضْرمي يمدّكَ بعَرْفجة بن هرثمة . فإذا قدم عليك فاستشره وقرِّبه ، وادعُ إلى الله ، فمنْ أجابَكَ فاقبلْ منه ، ومنْ أبى فالجزية عن صَغارٍ وذلَّةٍ ، وإلا فالسيفُ في غيرهوادة ، واتَّقِ اللهَ فيما وُلِّيت ، وإياكَ أن تنازعَكَ نفسُك إلى كِبْرٍ فتفسد عليك آخرتك[٧] ، وقد صحبتَ رسول الله ﷺ فعززتَ بعد الذلّة ، وقويتَ بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مُسلَّطاً ، وملكاً مُطاعاً ، تقول فيُسمع منك ، وتأمر فيُطاع أمرك ، فيا لها نعمة إذا لم ترق فوق قدرك ، وتبطر على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظَكَ من المَعْصية ، وهي أخوفُهما عندي عليك أن يستدرجك[٨] ويخدعك فتسقط سقطةً تصير[٩] بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسي من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأردِ الله ولا تردِ الدنيا ، واتَّق مصارع الظالمين .

وقد فتح عتبة الأبُلَّة في رجب أو شعبان من هذه السنة . ولما ماتَ عتبةُ بن غزوان في هذه السنة استعمل عمرُ على البصرة المغيرةَ بن شعبة سنتين ، فلما رُمي بما رُمي به عزلَه وولَّى عليها أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم .

وفي هذه السنة ضرب عمرُ بن الخطاب ابنهُ عُبَيْدَ الله في الشراب (هو وجماعة معه .

---

(١) الصُّبَةُ والصُّبابة ـ بالضم ـ بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الإناء والسقاء . اللسان (صبب) .

(٢) السَّمرة من شجر الطلح ، والجمع سَمُرٌ وسَمُرات وأسمر ، وقيل : ضرب من العضاه ، وقيل : من الشجر صغار الورق قصار الشوك . اللسان (سمر) .

(٣) تقرَّحت : أي تجرّحت من أكل ذلك الورق . اللسان (قرح) .

(٤) صحيح مسلم (٢٩٦٧) (١٤) في الزهد والرقائق .

(٥) كتاب عمر هذا في تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٣) ،

(٦) حومة كل شيء : معظمه . اللسان (حوم) .

(٧) في تاريخ الطبري : إخوتك ؛ تحريف لا بد من تصحيحه .

(٨) في تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٤) : تستدرجك وتخدعك .

(٩) في ط : فتصير . وما هنا عن الطبري .

وفيها ضرب أبا محجن الثقفي في الشراب) أيضاً سبع مرات ، وضربَ معه (ربيعة) بن أمية بن خلف .

وفيها نزل سعد بن أبي وقاص بالكوفة .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب .

قال : وكان بمكة عتاب بن أسيد ، وبالشام أبو عبيدة ، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص ـ وقيل : العلاء بن الحضرمي ـ وعلى العراق سعد ، وعلى عُمان حُذَيْفة بن مِحْصَن .

ذكرُ منْ تُوفّي في هذا العام من المشاهير [والأعيان]

ففيها توفي :

سعدُ[١] بن عبادة في قولٍ ، والصحيح في التي قبلها ، والله أعلم .

عتبةُ[٢] بن غزوان بن جابر بن أهيب المازني ، حليف بني عبد شمس صحابي بدري ، وأسلم قديماً بعد سنة وهاجر إلى أرض الحبشة ، وهو أول من اختطَّ البصرة عن أمر عمر في إمرته له على ذلك كما تقدم ، وله فضائل ومآثر ، وتوفي سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين ، فالله أعلم[٣] . وقد جاوزَ الخمسين ، وقيل : بلغَ ستّين سنةً رضي الله عنه .

عمرو[٤] بن أمّ مكتوم الأعْمى ، ويقال اسمه عبد الله ، صحابي مهاجري ، هاجر بعد مُصعب بن عُمَيْر ، قَبْلَ النبي ﷺ ، فكان يُقْرىء الناسَ القرآنَ ، وقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة غيرَ مرةٍ ، فيقال : ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسيَّة مع سعد زمنَ عمر ، فيقال : إنه قُتل بها شهيداً ويقال : إنه[٥] رجع إلى المدينة وتوفي بها ، والله أعلم .

---

(١) ترجمة ـ سعد بن عبادة ـ في الاستيعاب (٥٩٤) وجامع الأصول (١٤/ ١٦٨) وأسد الغابة (٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٢ ـ ١١٣) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٣٥ ـ ٢٧٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٩) والإصابة (٢/ ٣٠) وشذرات الذهب (١/ ١٦٢) وتهذيب تاريخ دمشق لبدران (٦/ ٨٦ ـ ٩٣) .

(٢) ترجمة ـ عتبة بن غزوان ـ في الاستيعاب (١٠٢٦) وجامع الأصول (١٤/ ٥١٠ ـ ٥١١) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٥ ـ ٥٦٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) والإصابة (٢/ ٤٥٥) .

(٣) في أ : والله .

(٤) ترجمة ـ عمرو بن أم مكتوم ـ في الاستيعاب (١١٩٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٦١ ـ ٥٦٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٠ ـ ٣٨٤) . وأسد الغابة (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) والإصابة (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .

(٥) في أ : بل .

المثنى[١] بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان الشيباني ، نائب خالد على العراق ، وهو الذي صارت إليه الإمرةُ بعد أبي عُبَيْد يومَ الجسر ، فدارى بالمسلمين حتى خلَّصَهم من الفُرْس يومئذ ، وكان أحد الفرسان الأبطال ، وهو الذي ركبَ إلى الصدّيق فحرضه[٢] على غزو العراق ، ولما تُوفي تزوَّج سعدُ بن أبي وقاص بامرأته سلمى بنت حفص رضي الله عنهما وأرضاهما . وقد ذكره ابن الأثير في كتابه « الغابة[٣] في أسماء الصحابة[٤] » .

أبو زيد الأنصاري النَّجّاري[٥] أحدُ القُرّاء الأربعة الذين حفظوا القرآن من الأنصار في عهد رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك ، وهم معاذ بن جبل ، وأُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال أنس أحد عمومتي . قال الكلبي واسم أبي زيد هذا : قيس بن السَّكن بن قَيس بن زَعُوراء بن (حَرَام[٦] بن) جُنْدب بن غَنْم[٧] بن عَديّ بن النَّجّار شهد بدراً . قال موسى بن عقبة : واستُشهد يومَ جسرِ أبي عُبَيْد وهي عنده في سنة أربع عشرة ، وقال بعض النّاس : أبو زيد الذي يجمع القرآن سعد بن عُبَيْد ، وردّوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك .

قال : افتخرتِ الأوسُ والخزرجُ ، فقالت الأوسُ : منّا غسيلُ الملائكة حنظلةُ بن أبي عامر ، ومنَّا الذي حمته الدَّبْر[٨] عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح[٩] ، ومنَّا الذي اهتزَّ له عرشُ الرحمن سعد بن معاذ ، ومنَّا الذي جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت .

فقالت الخزرجُ : منَّا أربعةٌ جمعوا القرآن (على عهد رسول الله ﷺ) أبيٌّ ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ ، وأبو زيد رضي الله عنهم أجمعين .

أبو عُبَيْد بن مسعود[١٠] بن عمرو الثقفي والد المختار بن أبي عُبَيْد أمير العراق ، ووالد صَفيّة امرأة عبد الله بن عمر .

---

(١) ترجمة ـ المثنى بن حارثة ـ في الاستيعاب (١٤٥٦ ـ ١٤٥٧) وأسد الغابة (٥/ ٥٩ ـ ٦٠) والإصابة (٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .
(٢) في أ : يحرضه .
(٣) كذا في أ ، ط : واسم الكتاب في كل طبعاته : أسد الغابة في معرفة الصحابة .
(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥/ ٥٩ ـ ٦٠) .
(٥) ترجمة ـ أبي زيد الأنصاري ـ في الاستيعاب (١٢٩٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٧١ ـ ١٧٢) وأسد الغابة (٤/ ٤٢٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٥) والإصابة (٣/ ٢٥٠) وفي اسمه خلاف .
(٦) في ط : حزم ؛ وهو تحريف والتصحيح من مصادره ، وضبط اللفظة في جامع الأصول بقوله : حرام : ضد حلال .
(٧) في أ : تميم ؛ تحريف .
(٨) قال ابن الأثير : الدَّبْر ـ بسكون الباء ـ النحل ، وهي الزنابير . النهاية (٢/ ٩٩) .
(٩) في أ ، ط : الأقلح ؛ تحريف . وقد ضبطه ابن الأثير بالحرف في جامع الأصول (١٤/ ٤١٩) .
(١٠) ترجمة ـ أبي عبيد الثقفي ـ في الاستيعاب (١٧٠٩ ـ ١٧١٠) .

أسلم أبو عبيد[١] في حياة النبي ﷺ وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي[٢] : ولا يبعد أن يكون له رؤية[٣] ، والله أعلم .

أبو قُحافة والدُ الصدِّيق[٤] واسم أبي بكر الصدِّيق عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو[٥] بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب ، أسلم أبو قحافة عامَ الفتح فجاء به الصدِّيقُ يقودُه إلى النبي ﷺ فقال : « هلا أقررتم الشيخَ في بيته حتى كُنّا نحن نأتيه » تكرمةً لأبي بكر رضي الله عنه ، فقال : بل هو أحقُّ بالسَّعي إليكَ يا رسول الله . فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ورأسه كالثغامة[٦] بياضاً ودعا له ، وقال « غيِّروا هذا الشيب بشيء وجنّبوه السوادَ »[٧] . ولما توفي رسول الله ﷺ وصارت الخلافة إلى الصدِّيق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة ، فقال : أو أقرت بذلك بنو هاشم وبنو مخزوم ؟ قالوا : نعم ! قال : ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء . ثم أُصيب بابنه الصدِّيق رضي الله عنه . ثم توفي أبو قحافة في محرم وقيل في رجب سنة أربع عشرة بمكة ، عن أربع وسبعين سنة رحمه الله وأكرم مثواه .

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٨] من المستشهدين في هذه السنة مرتبين على الحروف

أوس بن أوس بن عتيك قُتل يوم الجسر .

بشير بن عنبس بن يزيد الظَّفَري ، أُحُديٌّ ، وهو ابنُ عم قتادة بن النعمان ، ويعرف بفارس الحواء اسم فرسه .

ثابت بن عتيك ، من بني عمرو بن مبذول ، صحابي قتل يوم الجسر .

ثعلبة بن عمرو بن مِحْصن النّجّاري بدري قتل يومئذ .

(الحارث بن عتيك بن النعمان النجاري شهد أحداً قتل يومئذ .

الحارث بن مسعود بن عبدة صحابي أنصاري قتل يومئذ .

---

(١) في ط : أبو عبيدة ؛ تحريف .

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٨) ط : مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ .

(٣) في ط : رواية ؛ تحريف .

(٤) ترجمة ـ أبي قحافة والد الصدّيق ـ في الاستيعاب (١٧٣٢ ـ ١٧٣٣) وأسد الغابة (٥/ ٣٧٥) والإصابة (٤/ ٢٢٢) و(٨/ ١٥٦) .

(٥) تصحف في ط إلى صخر .

(٦) الثغامة : هو نبت أبيض الزَّهر والثمر يشبَّه به الشيب . النهاية (ثغم) .

(٧) الحديث بطوله أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٦٠) من حديث أنس ، والحاكم في مستدركه (٣/ ٤٦) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٨٧ ـ ١٨٨) رقم (٧٢٠٨) من حديث أسماء ، وهو حديث صحيح .

(٨) في تاريخ الإسلام (٢/ ٦ ـ ٧) .

الحارث بن عدي بن مالك أنصاري أُحدي قتل يومئذ) .

خالد بن سعيد بن العاص ، قيل : إنه استشهد يوم مرج الصفر ، وكان في سنة أربع عشرة في قولٍ .

خزيمة بن أوس الأشْهَلي قتل يوم الجسر .

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أرخ وفاته في هذه السنة ابنُ قانع .

زيد بن سراقة يوم الجسر .

سعد بن سلامة بن وقش الأشْهلي .

سعد بن عبادة في قول .

سلمة بن أسلم بن حَرِيش يوم الجسر .

ضمرة بن غزية يوم الجسر .

عبّاد وعبد الله وعبد الرحمن بنو مِرْبَع بن قيظي قتلوا يومئذ .

عبد الله بن صعصعة بن وهب الأنصاريّ النَّجَّاري ، شهد أحداً وما بعدها . قال ابن الأثير في الغابة[١] : وقتل يوم الجسر .

عتبة بن غزوان تقدم .

عقبة وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قيظي بن قيس وقتلا يومئذ .

العلاء بن الحضرمي توفي في هذه السنة في قول وقيل بعدها وسيأتي .

عُمر[٢] بن أبي اليَسَر قتل يوم الجسر .

قيس بن السكن أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه تقدم .

المثنى بن حارثة الشيباني ، توفي في هذه السنة رحمه الله وقد تقدم .

نافع بن غيلان قتل يومئذ .

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكان أسنَّ من (عمه) العباس ، قيل إنه توفي في هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم .

واقد بن عبد الله قتل يوم [الجسر][٣] .

---

(١) أسد الغابة (٣/ ١٨٥) .

(٢) في ط : « عمرو » ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٠١ كم مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥) وهو المصدر الذي ينقل منه المصنف .

(٣) بياض في أ . وقد توفي واقد بن عبد الله في خلافة عمر كما في الاستيعاب (١٥٥١) وأسد الغابة (٥/ ٤٣٣)=

يزيد بن قيس بن الخَطِيم الأنصاري الظفري[١] شهد أحداً وما بعدها ، قتل يوم الجسر ، وقد أصابه يوم أُحُدٍ جراحاتٌ كثيرةٌ ، وكان أبوه شاعراً مشهوراً .

أبو عُبَيْد بن مسعود الثقفي أمير يوم الجسر وبه عرف لقتله عنده ، تخبّطه الفيل حتى قتله رضي الله عنه بعدما قطع بسيفه خرطومه كما تقدم .

أبو قحافة التَّيْمي والد أبي بكر الصدِّيق ، توفي في هذه السنة رضي الله عنه .

هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أمية الأموية ، والدة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت من سيدات نساء قريش ذات رأي ودهاءٍ ورياسة في قومها ، وقد شهدت يوم أُحُد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل المسلمين يومئذ ، ولما قُتل حمزة مَثَّلَتْ به وأخذت من كبده فلاكَتْها فلم تستطع إساغتها ، لأنه كان قد قتل أباها وأخاها يوم بدر ، ثم بعد ذلك كله أسلمت وحَسُنَ إسلامها عام الفتح ، بعد زوجها بليلةٍ . ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله ﷺ لتبايعه استأذنت أبا سفيان فقال لها : قد كنت بالأمس مكذِّبة بهذا الأمر ، فقالت والله ما رأيت الله عُبد حقَّ عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله لقد باتوا ليلهم[٢] كلّهم يُصَلّون فيه . فقال لها : إنك قد فعلتِ ما فعلتِ فلا تذهبي وحدك . فذهبت إلى عثمان بن عفان ويقال إلى أخيها أبي حذيفة بن عتبة فذهب معها ، فدخلت وهي مُتَنَقِّبَة[٣] ، فلما بايعها رسولُ الله ﷺ مع غيرها من النساء قال : « على أن لا تُشْرِكْنَ بالله شيئاً ولا تَسْرُقْنَ ولا تَزْنين » فقالت : أوتزني الحرة ؟ « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغاراً نقتلهم كباراً ؟! فتبسم رسول الله ﷺ ، « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك »[٤] فبادرت وقالت : في معروف . فقال : في معروف[٥] . وهذا من فصاحتها وحزمها .

وقد قالت لرسول الله ﷺ : والله يا محمد ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ من أن يذلوا من أهل خبائك ، فقد والله أصبح[٦] اليوم وما على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إليّ من أن يعزّوا من أهل خبائك . فقال : وكذلك والذي نفسي بيده . وشَكَتْ من شُحِّ أبي سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفيها ويكفي

= وتاريخ الإسلام (٢/ ٩) وقال الذهبي قتل يومئذ ـ يقصد يوم الجسر ـ . وقال ابن حجر في الإصابة : مات واقد هذا في أول خلافة عمر (٣/ ٦٢٨) .

(١) في أ : الطفوي ، وهو تحريف ، والتصحيح من الاستيعاب (١٥٧٨) وتاريخ الإسلام (٢/ ٩) .

(٢) في أ : ليلتهم .

(٣) تنقبت المرأة وانتقبت : وضعت النقاب . اللسان (نقب) .

(٤) في أ : يعصين .

(٥) أخرج الحديث ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٣٧) وقال ابن حجر في الإصابة : سنده صحيح .

(٦) في أ : أمسى ، وما هنا عن مصادر الحديث .

بنيها بالمعروف[١] . وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة ، وقد شهدت اليرموك مع زوجها . وماتت يومَ ماتَ أبو قُحافة في سنة أربع عشرة ، وهي أم معاوية بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير[٢] : قال بعضهم فيها مَصَّر سعدُ بن أبي وقاص الكوفةَ ، دلَّهم عليها ابن بُقيلة[٣] ، قال لسعد : أدلُّكَ على أرضٍ ارتفعت عن البَقِّ ، وانحدرتْ عن الفلاة ؟ فدلَّهم على موضع الكوفة اليوم .

[وقعة مرج الروم]

قال : وفيها كانت وقعةُ مرجِ الرُّوم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالدٌ من وقعة فِحْل قاصدين إلى حمص حسب ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم في رواية سيف بن عمر ، فسارا حتَّى نزلا على ذي الكَلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له توذَرا[٤] في جيش معه ، فنزل بمرج دمشق وغربها ، وقد هجم الشتاءُ ، فبدأ أبو عبيدة بمرج الرُّوم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس[٥] وعسكرٌ معه كثيفٌ ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توذَرا ، فسار توذَرا نحو دمشق لينازلها وينتزعها من يزيد بن أبي سفيان ، فاتَّبعه خالد بن الوليد وبرز إليه يزيد بن أبي سفيان من دمشق ، فاقتتلوا وجاء خالد ، وهم في المعركة ، فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم[٦] ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد توذَرا وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقتسماها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبي عبيدة ، فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلةً عظيمةً حتى أنتنت الأرض من زَهَمِهم[٧] ، وقَتَلَ أبو عبيدة شنسَ وركبوا أكتافهم إلى حمص فنزل عليها يحاصرها .

وقعة حمص الأولى

لما وصلَ أبو عبيدة في اتّباعه الروم المنهزمين إلى حمص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك في زمنِ البردِ الشديدِ ، وصابرَ أهلُ البلد رجاء أن يصرفَهم عنهم شدة البرد ، وصبرَ الصحابةُ صبراً عظيماً بحيث إنه ذكر غيرُ واحدٍ أنّ من الروم منْ كان يرجع وقد سقطت

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٦٦٤١) في الأيمان والنذور ، ومسلم في صحيحه (١٧١٤) (٩) في الأقضية .
(٢) في تاريخه (٣/ ٥٩٨) .
(٣) في أ : مقيلة ؛ وهو تحريف .
(٤) في أ : بوذرا . وما هنا موافق للطبري .
(٥) في أ : سيس . وما هنا موافق للطبري .
(٦) قال الزمخشري : ومن المجاز : نام الرجل مات . أساس البلاغة (نوم) .
(٧) الزهم : الريح المنتنة ، أراد أن الأرض تنتن من جيفهم . اللسان (زهم) .

رجله وهي في الخفّ ، والصحابةُ ليس في أرجلهم شيءٌ سوى النِّعال ، ومع هذا لم يُصَبْ منهم قدَمٌ ولا أصبعٌ أيضاً ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتدَّ الحصارُ ، وأشارَ بعضُ كبار أهل حمص عليهم بالمُصالحة ، فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالحُ والملكُ منا قريبٌ ؟ فيقال : إن الصحابةَ كبّروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجّت منها المدينة حتى تَفَطَّرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور ، فجاءت عامتُهم إلى خاصَّتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القومَ عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضي ، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر[١] . وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم بلال والمقداد[٢] وكتب أبو عبيدة إلى عمر ، يخبره بأنَّ هرقلَ قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهرُ تارةً ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده .

وقعة قِنَّسْرين

لما فتح أبو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قِنَّسْرين ، فلما جاءها ثار إليه أهلُها ومنْ عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالدٌ (فيها) قتالاً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فأما منْ هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميتاس[٣] . وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه بأنَّ هذا القتالَ لم يكن عن رأينا فقبل منهم خالدٌ وكفَّ عنهم ثم خلصَ إلى البلدِ فتحصَّنوا فيه[٤] ، فقال لهم خالد : إنكم لو كنتم في السَّحاب لحَمَلنا اللهُ إليكم أو لأنزلكم إلينا . ولم يزَلْ بهم حتى فَتَحها الله عليه ولله الحمد .

فلما بلغَ عمرُ ما صنعهُ خالدٌ في هذه الوقعة قال : يرحمُ الله أبا بكر ، كان أعلمَ بالرجالِ منِّي ، واللهِ إنّي لم أعزلْهُ عن ريبةٍ ولكن خشيتُ أن يُوكلَ الناسُ إليه .

وفي هذه السنة تقهقر هرقل بجنوده ، وارتحلَ عن بلاد الشام إلى بلاد الروم . هكذا ذكره ابن جرير[٥] ، عن محمد بن إسحاق قال : وقال سيف : كان ذلك في سنة ست عشرة ، قالوا : وكان هرقل كلَّما حجَّ إلى بيت المقدس وخرجَ منها يقولُ : عليكِ السلامُ يا سورية ، تسليم مُودِّعٍ لم يَقْضِ منك وطره وهو عائدٌ . فلما عزم على الرحيلِ من الشام وبلغَ الرُّها ، طلبَ من أهلها أن يصحبوه إلى الروم ، فقالوا : إن بقاءَنا هاهنا أنفعُ لكَ من رحيلنا معك ، فتركَهم . فلما وصل إلى شمشاط[٦] وعلا على شرف هنالك

---

(١) في أ : بحسب الغني والفقير .
(٢) في أ : بلال بن المقدام ، وفيها زيادة وتحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٠) .
(٣) في أ : سيناس وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٠١) ورد الاسم مرتين وبشكلين مختلفين فمرة ميناس وأخرى ميتاس .
(٤) في أ : منه .
(٥) في تاريخه (٣/ ٦٠٣) .
(٦) في ط ؛ شمشان ؛ خطأ ، وما هنا عن الطبري ، وهي مدينة بالروم على شاطىء الفرات . معجم البلدان (٣/ ٣٦٢).

التفت إلى نحو بيت المقدس وقال : عليكِ السلامُ يا سوريةُ سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلِّمَ عليكِ تسليمَ المُفارقِ ، ولا يعودُ إليكِ روميٌّ أبداً إلا خائفاً حتى يولدَ المولودُ المشؤومُ ، ويا ليتَهُ لم يولدْ . ما أحْلَى فعلَه وأمرَّ عاقبته على الروم !! ثم سار هرقلُ حتى نزلَ القسطنطينيةَ واستقرّ بها ملكه ، وقد سأل رجلاً ممَّن اتّبعه كان قد أُسِرَ مع المسلمين ، فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم ، فقال : أخبركَ كأنَّك تنظرُ إليهم ، هم فرسانٌ بالنهارِ ، رهبانٌ بالليلِ ، لا يأكلون في ذمتهم إلَّا بثمنٍ ، ولا يدخلون إلَّا بسلام ، يقفونَ على منْ حاربوه حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ليملكن[١] موضعَ قدميَّ هاتين[٢] .

قلتُ : وقد حاصرَ المسلمون قسطنطينية في زمانِ بني أميةَ فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنبينه في كتاب الملاحم ، وذلك قبل خروج الدجال بقليل على ما صحَّتْ به الأحاديث عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم[٣] وغيره من الأئمة ، ولله الحمد والمنة .

وقد حرَّم الله على الروم أن يملكوا بلادَ الشام برُمَّتها إلى آخر الدهر ، كما ثبت به الحديث في الصحيحين[٤] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عزَّ وجلَّ »[٥] .

وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت ، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملكُ القياصرة إلى الشام أبداً لأنَّ قيصرَ علَمُ جنسٍ عند العرب يُطلق على كلِّ منْ ملكَ الشَّام مع بلاد الرومِ ، فهذا لا يعود لهم أبداً .

---

(١) في تاريخ الطبري : ليرثُنّ .

(٢) في أ : قدمي هذا .

(٣) صحيح مسلم (٢٨٩٧) (٣٤) في الفتن وأشراط الساعة ، وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٢٤) رقم (٦٨١٣) في كتاب التاريخ بنفس السند والسياق ونص الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺقال : لا تقوم الساعة حتى ينزل الرومُ بالأعماق ، أو بدابق : فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرضِ يومئذ ؛ فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا والله ! لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث . لا يفتنون أبداً ، فيفتتحون قُسْطُنْطينية . فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد علّقوا سيوفهم بالزيتون ؛ إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاؤوا الشام خرج ـ يعني الدجال ـ فبينما هم يُعِدُّون للقتال ، يُسوُّون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم عليه السلام ؛ فأمَّهم . فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتّى يهلك . ولكن يقتله الله بيده ، فيُريهم دمه في حربته .
وقد فتح الله القسطنطينية للمسلمين على يد السلطان العثماني محمد الفاتح عام ٨٥٧ للهجرة النبوية .

(٤) البخاري في صحيحه (٣٦١٨) في المناقب ، ومسلم في صحيحه (٢٩١٨) في الفتن .

(٥) وهو أيضاً عند أحمد في مسنده (٢/ ٢٣٣ و٢٤٠ ، والترمذي (٢٢١٦) ، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٨٣) رقم (٦٦٨٩) .

وقعة قَيْسارِيَّة[١]

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة أمَّر عمر معاويةَ بن أبي سفيان على قَيْسارِيَّة وكتب إليه : أما بعدُ فقد ولَّيْتُكَ قَيْسَارِيَّة فسرْ إليها واستَنْصرِ اللهَ عليهم ، وأكْثِرْ منْ قولِ لا حولَ ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم ، اللهُ ربُّنا وثقَتنا ورجاؤُنا ومولانا فنعمَ المولى ونعم النَّصير . فسار إليها فحاصرها ، وزاحَفَه أهلُها مراتٍ عديدةً ، وكان (آخرها) وقعةً أن قاتلوا قتالاً عظيماً ، وصمَّمَ عليهم معاوية ، واجتهدَ في القتالِ حتّى فتحَ اللهُ عليه فما انفصل الحال[٣] حتى قتلَ منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكمَّلَ المئة الألف من الذين انهزموا عن المعركة ، وبعثَ بالفتح والأخماسِ إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

قال ابن جرير[٤] : وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيلياء ، ومناجزة صاحبها ، فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت[٥] :

وقعة أجْنادين[٦]

وذلك أنه[٧] سار بجيشه وعلى ميمنته ابنُه عبدُ الله بن عمرو ، وعلى مَيْسرته جُنادةُ بن تَميم المالكي ، من بني مالك بن كنانة ، ومعه شُرَحبيلُ بن حَسَنة ، واستخلفَ على الأردن أبا الأعور السُّلمي ، فلما وصلَ إلى الرَّملة وجدَ عندها جَمْعاً من الرُّوم عليهم الأرْطبون ، وكان أدْهى الرُّوم وأبعدها غَوْراً ، وأنكاها فِعْلاً ، وقد كان وضعَ بالرملةِ جُنْداً عظيماً وبإيلياء جُنْداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءَهُ كتابُ عمرو قال : قد رَمَيْنا أرْطَبونَ الرُّومِ بأرْطبون العَرَبِ ، فانظروا عما تنفرجُ[٨] . وبعثَ عمرُو بن العاص علقمةَ بن حكيم الفراسيّ ، ومسروقَ[٩] بن بلال العكّي على قتالِ أهلِ إيلياء . وأبا أيوبَ المالكي إلى الرملةِ ، وعليها التَّذارق ، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمرو كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفةً إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء . وأقام عمرو على أجنادين

---

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تُعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . معجم البلدان (٤/ ٤٢١) .
(٢) في تاريخه (٣/ ٦٠٣) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٧) .
(٣) في أ : انفصل منهم .
(٤) في تاريخه (٣/ ٦٠٥) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٨) .
(٥) في أ : وكانت .
(٦) أجنادين : موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين ، كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم . معجم البلدان (١/ ١٠٣) .
(٧) في أ : وذلك أنه لما سار .
(٨) في تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) تتفرّج .
(٩) في أ : الفارسي ومروان بن بلال العلي . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٨) ومسروق ابن فلان العكّي .

لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسولٌ ، فأبلغه ما يريدُ وسمعَ كلامَه وتأمل حضرته[1] حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطبون في نفسه : والله ِإنَّ هذا لعمرو أو أنَّه الذي يأخذُ عمرو برأيه ، وما كنتُ لأصيبَ القومَ بأمرٍ هو أعظم من قتله . فدعا حَرَسِيًا فسارَّه فأمره بقتله[2] فقال : اذهب فقم في مكان كذا وكذا ، فإذا مر بك[3] فاقتله ، ففطن عمرو بن العاص ، فقال للأرطبون : أيها الأميرُ إني قد سمعتُ كلامَكَ وسمعتَ كلامي ، وإني واحدٌ من عشرة بعثنا عمرُ بن الخطابِ لنكونَ مع هذا الوالي لنشهدَ أمورَهُ ، وقد أحببتُ أن آتيكَ بهم ليسمَعُوا كلامَكَ ويروا ما رأيتَ . فقال الأرطبون : نعم ! فاذهبْ فأتني بهم ، ودعا رجلاً فسارَّه فقال : اذهب إلى فلانٍ فردَّه . وقام عمرو فذهبَ إلى جيشه ثم تحقَّق الأرطبونُ أنه عمرُو بن العاص ، فقال : خَدَعني الرجلُ ، هذا والله أدهَى العربِ . وبلغت عمرَ بن الخطاب فقال : لله در عمرو . ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً ، كقتال اليرموك ، حتى كثرتِ القتلى بينهم ثم اجتمعت بقيةُ الجيوشِ إلى عمرو بن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيلياء وتحصَّنَ منهم بالبلدِ ، وكثُر جيشُه ، فكتب الأرطبون إلى عمرو بأنَّكَ صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتحُ من فلسطين شيئاً بعد أجنادين فارجع ولا تغرَّ فتلقى مثلَ ما لقي الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرُّومية ، فبعثه إلى أرطبون وقال : اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتبَ إليه معه : جاءني كتابُكَ وأنتَ نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأَتْكَ خَصْلَةٌ تجاهلت فضيلتي وقد علمتَ أنّي صاحب فتح هذه البلاد ، وٱقرأ كتابي هذا بمحضرٍ من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه ، وقرأ عليهم الكتاب . فقالوا للأرطبون : من أين علمتَ أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبُها رجلٌ اسمه على ثلاثة أحرف . فرجع الرسولُ إلى عمرو فأخبره بما قال . فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له : إني أعالج حرباً[4] كؤوداً صدوماً ، وبلاداً ٱدخرَتْ لكَ ،فرأيكَ . فلما وصل الكتاب إلى عُمر علم أن عَمْراً لم يقل ذلك إلا لأمرٍ علمه ، فعزم عمرُ على الدخول إلى الشام لفتح بيتِ المقدسِ كما سنذكر تفصيله .

[دخل عمر الشامَ أربع مرات]

قال سيفُ بن عمر عن شيوخه : وقد دخل عمرُ الشام أربعَ مراتٍ ، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس ، والثانية على بعيرٍ ، والثالثة وصلَ إلى سَرْغ[5] ثم رجع لأجل ما وقعَ بالشام

---

(١) في أ : خصومة . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) : حصونه . وهي الأشبه .
(٢) في ط : بفتكه .
(٣) في أ : فإذا أمرتك .
(٤) في أ : كرباً .
(٥) في ط : سرع . وسرغ : هو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام ، وهناك لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراء الأجناد . معجم البلدان (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) .

من الوباء . والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه[١]

فَتْحُ بيتِ المَقْدسِ على يَدَيْ عُمرَ بن الخطَّابِ

ذكره أبو جعفر بن جرير[٢] في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر ، ومُلَخَّص ما ذكره هو وغيره : أنّ أبا عبيدة لما فرغَ من دمشق كتبَ إلى أهل إيلياء[٣] يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، أو يبذلون الجزيةَ أو يؤذنوا بحربٍ . فأبَوْا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه . فركبَ إليهم في جنوده واستخلفَ على دمشق سعيدَ بن زَيْد ، ثم حاصرَ بيت المَقْدس وضيَّقَ عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرطِ أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ، فاستشار عمر الناسَ في ذلك ، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركبَ إليهم ليكونَ أحقرَ لهم وأرغمَ لأنوفهم ، وأشار عليُّ بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكونَ أخفَّ وطأةً على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوي ما قالَ عليّ ، ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب ، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تَلقّاه أبو عبيدة ورؤوسُ الأمراءِ ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، فترجّل أبو عبيدة ، وترجَّل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبّل يد عمر فهم عمرُ بتقبيل رِجلِ أبي عبيدة ، فكفَّ عمر . ثم سار حتى صالحَ نصارى بيت المقدس ، واشترطَ عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ليلةَ الإسراء . ويقال إنه لبّى حينَ دخل بيت المقدس فصلّى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلَّى بالمسلمين فيه صلاةَ الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل ، ثم جاء إلى الصخرة فاستدلّ على مكانها من كعب الأحبار ، وأشار عليه كعب أن يجعلَ المسجد من ورائه[٤] ، فقال : ضاهيت اليهودية . ثم جعل المسجد في قِبْلِي بيت المقدس ، وهو العُمَريّ اليوم ، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسخَّر أهل الأردن في نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلةً لأنها قبلة اليهودِ ، حتى إنَّ المرأة كانت ترسلُ خرقةَ حيضتها من داخل الحوز لتلْقى في الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهودُ عاملتْ به القمامةَ ، وهي المكانُ الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوبَ فجعلوا يُلْقون على قبره القمامة ، فلأجل ذلك سُمّي ذلك الموضع القمامة وانسحبَ هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك .

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبويّ ، وهو بإيلياء ، وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء

---

(١) في تاريخه (٣/ ٦٠٧) و(٤/ ٥٧) .

(٢) في تاريخه (٣/ ٦٠٧) .

(٣) إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس : قيل معناه : بيت الله .

(٤) في أ : من ورائها .

الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود ، قال لهم : إنكم لخليقٌ أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد ، كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ، ثم أمروا بإزالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون، فأزالها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونه الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتابه « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » .

وذكر سيفٌ[١] في سياقه : أن عمر رضي الله عنه ركبَ من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها عليَّ بن أبي طالب ، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطبَ بالجابية خطبةً طويلةً بليغةً منها : « أيها الناسُ أصْلحُوا سَرائرَكُم تَصْلُحْ علانيتُكُمْ ، واعملُوا لآخرتِكُم تُكْفَوا أمرَ دنياكم ، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ ، ولا بينه وبين الله هوادةٌ ، « فمن أراد بُحْبُوحَةَ[٢] الجنة فليلزمِ الجماعة ، فإنّ الشيطانَ مع الواحدِ وهو مع الاثنين أبعد ، ولا يخلون أحدُكم بامرأةٍ فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما ، ومن سرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فهو مؤمن »[٣] . وهي خطبةٌ طويلةٌ اختصرناها .

ثم صالح عمرُ أهلَ الجابية ورحل إلى بيتِ المَقْدسِ وقد كتب إلى أمراءِ الأجْنادِ أن يوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية فتوافَوْا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية ، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامقُ[٤] الدِّيباح ، فسار إليهم عمر ليحصبهم[٥] فاعتذروا إليه بأنَّ عليهم السلاحَ ، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم . فسكت عنهم واجتمعَ الأمراءُ كلهم بعد ما استخلفوا على أعمالهم ، سوى عمرو بن العاص وشُرَحبيل فإنهما مواقفان[٦] الأرطبون بأجنادين .

فبينما عمر في الجابية إذا بكُردوس من الروم بأيديهم سيوفٌ مُسلَّلة ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر : إن هؤلاء قومٌ يستأمنون . فساروا نحوهم فإذا هم جندٌ من بيت المقدس يطلبون الأمانَ والصلحَ من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه ، فأجابهم عمرُ رضي الله عنه إلى ما سألوا ، وكتب لهم كتابَ أمانٍ ومصالحة ، وضرب عليهم الجزيةَ ، واشترطَ عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير[٧] ، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وهو كاتب الكتاب ، وذلك في سنة خمسة عشر .

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ١١١) .

(٢) في الأصل والمطبوع : لحب وجه ، وهو تحريف والتصحيح من مسند أحمد وغيره .

(٣) الخطبة : أوردها الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨ و٢٦) . والترمذي رقم (٢١٦٥) وابن ماجه رقم (٢٣٦٣) .

(٤) يلامق : جمع يَلْمق وهو القَباء نوع من الثياب . اللسان (يلمق ـ قبا) .

(٥) يحصبهم : يرميهم بالحصباء ، وهو الحصى الصغار . النهاية (١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) .

(٦) واقفه مواقفة ووقافاً : وقف معه في حرب أو خصومة . اللسان (وقف) .

(٧) في تاريخه (٣/ ٦٠٩) .

ثم كتب لأهل لُدّ[١] ومَنْ هنالك من الناس كتاباً آخر وضربَ عليهم الجزيةَ ، ودخلوا فيما صالحَ عليه أهل إيلياء ، وفرَّ الأرطبون إلى بلاد مصر ، فكان بها حتى فتحَها عمرو بن العاص ، ثم فرَّ إلى البحر فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين ، فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسي وقتله القيسي وقال في ذلك : [من البسيط]

فـإنْ يكـنْ أرطبـونُ الـرُّومِ أفْسـدها ... فـإنَّ فيهـا بحمـدِ الله مُنْتَفعـا

وإنْ يكـنْ أرطبـونُ الـرومِ قطَّعهـا ... فقـد تـركـتُ (بهـا) أوصـالَـه قِطَعـا

ولما صالح أهلُ الرملة وتلك البلاد ، أقبلَ عمرو بن العاص وشُرَحْبيل بن حَسَنة حتى قدما الجابيةَ فوجدا أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب راكباً ، فلما اقتربا منه أكبَّا على ركبتيه فقبَّلاها واعتنقهما عمر معاً رضي الله عنهم .

قال سيف[٢] : ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحّى[٣] فرسه فأتوه ببرذون فركبه فجعل يهملج[٤] به فنزل عنه وضرب وجهه ، وقال : لا علّم الله من علّمك ، هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ففُتحت إيلياء وأرضُها على يديه ما خلا أجنادين فعلى يدي عمرو . وقيسارية فعلى يدي معاوية .

هذا سياق سيف بن عمر ، وقد خالفه غيره من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة .

قال محمد بن عائذ : عن الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن حصن بن علان ، قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المَقْدس سنةَ ستَّ عشرةَ ، وفيها قدم عمرُ بن الخطاب الجابية . وقال أبو زرعة الدمشقي[٥] : عن دُحَيم ، عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد في سنة سبع عشرة فرجع من سَرْغ[٦] ، ثم قدم سنة ثماني عشرة فاجتمع إليه الأمراء وسلّموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسّمها وجنَّد الأجناد ومصَّر الأمصار ثم عاد إلى المدينة .

وقال يعقوب بن سفيان[٧] : ثم كان فتح الجابية وبيت المقدس سنة ست عشرة . وقال أبو معشر : ثم

---

(١) لُدّ: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى بن مريم الدجال فيقتله . معجم البلدان (٥/ ١٥).
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٦١٠) .
(٣) الوحَى : العجلة ، وتوحّى : أسرع . اللسان (وحي) وفي تاريخ الطبري : يتوجّى .
وقال محققه : وجى الفرس وتوجى إذا وجد وجعاً في حافره .
(٤) الهَمْلجة والهِملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة . اللسان (هملج) .
(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص١٧٨) .
(٦) في أ ، ط : سرع ؛ خطأ والصحيح ما أثبت ، وقد مر التعريف بها قبل صفحات .
(٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩) طبعة مؤسسة الرسالة ، والخبر من القسم المفقود وهو من استدراكات المحقق .

كان عَمَواس والجابية في سنة ستَّ عشرة . ثم كانت سَرْغ في سبع عشرة ، ثم كان عام الرمادة في سنة ثماني عشرة ، قال : وكان فيها طاعون عَمَواس ـ يعني فتح البلدة المعروفة بعَمَواس[١] ـ فأما الطاعون المنسوب إليها فكان في سنة ثماني عشرة كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى .

قال أبو مخنف[٢] : لمَّا قدمَ عمرُ الشامَ فرأى غوطةَ دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٥ ـ ٢٨] . ثم أنشد قول النابغة[٣] . [من الطويل]

هُما فَتَيا دَهْرٍ يكُرُّ عليهما ... نهارٌ وليلٌ يلحقانِ التَّواليا

إذا ما هُما مَرّا بحيٍّ بغبطةٍ ... أناخا بهم حتى يُلاقوا الدَّواهيا

وهذا يقتضي بادئ الرأي أنه دخلَ دمشقَ وليس كذلك ، فإنّه لم ينقل أحدٌ أنه دخلها في شيء من قدَماته الثلاث إلى الشام ، أما الأولى وهي هذه فإنه سارَ من الجابية إلى بيت المقدس ، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم ، وقال الواقدي : أما رواية غير أهل الشام فهي أنَّ عمرَ دخلَ الشامَ مرتين ورجع الثالثةَ من سَرْغ سنة سبع عشرة ، وهم يقولون دخلَ في الثالثة دمشق وحمص وأنكر الواقديُّ ذلك .

قلت : ولا يعرف أنّه دخل دمشق إلا في الجاهلية قبل إسلامه كما بسطنا ذلك في سيرته . وقد روينا أن عمر حين دخلَ بيتَ المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان الصخرة فقال : يا أميرَ المؤمنين اْذرع (من) وادي جهنَّم كذا وكذا ذراعاً فهي ثمَّ . فذرعوا فوجدوها ، وقد اتَّخذها النَّصارى مَزْبلةً ، كما فعلتِ اليهودُ بمكانِ القُمامة ، وهو المكانُ الذي صُلب فيه المَصْلوب الذي شُبِّه بعيسى فاعتقدتِ النصارى واليهودُ أنه المسيحُ . وقد كذَبوا في اعتقادهم هذا كما نصَّ الله تعالى على خطئهم في ذلك . والمقصودُ أنَّ النصارى لما حكَموا على بيت المقدس قبلَ البعثة بنحوٍ من ثلاثمئة سنة ، طَهَّروا مكان القُمامة واتخذُوه كنيسةً هائلةً بَنَتْها أمُّ الملك قسطنطين باني المدينة المنسوبة إليه ، واسم أمه هيلانة (الحرانية) البندقانية[٤] . وأمرت ابنها فبنى للنَّصارى بيتَ لحم على موضع الميلاد ، وبنت هي على موضع القبر فيما يزعمون . والغرضُ أنَّهم اتخذوا مكانَ قبلة اليهود مزبلةً أيضاً ، في مقابلة ما صنعوا في قديم الزمان وحديثه . فلما فتحَ عمرُ بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة ، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة حتى قيل إنه كنسها بردائه ، ثم

---

(١) عَمَواس : قرية من قرى الشام ، بين الرملة وبين بيت المقدس ، وهي التي ينسب إليها الطاعون لأنه منها بدَا . معجم ما استعجم (٩٧١) .

(٢) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ترجمة عمر ـ (ص٤) ط : مؤسسة الرسالة .

(٣) البيت الأول في ديوان النابغة الجعدي (١٦٩) والبيت الثاني في المنازل والديار لابن منقذ (٤٩٣) وهما أيضاً في تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة عمر بن الخطاب ص(٤) .

(٤) في أ : الفندقانية .

استشار كعباً أين يضعُ المَسْجد ؟ فأشار[١] عليه بأن يجعله وراءَ الصخرة ، فضربَ في صدره وقال . يا ابنَ أمّ كعب ضارعتَ اليهودَ[٢] وأمر ببنائه في مُقَدَّمِ بيت المقدس .

قال (الإمام) أحمد[٣] : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثنا حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أنَّ عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال قال ابن سلمة ؛ فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ قال إن أخذت (عني) صليت خلفَ الصخرة وكانت القدسُ كلُّها بين يديك ، فقال عمر : ضاهيتَ اليهوديةَ لا ولكن أصلِّي حيثُ صلَّى رسولُ الله ﷺ ، فتقدَّم إلى القبلة فصلَّى ، ثم جاء فبسط رداءَهُ وكَنَس الكُناسة في ردائه وكنسَ الناسُ .

وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه « المُسْتخرج » وقد تكلَّمنا على رجاله في كتابنا الذي أفردناه في « مسند عمر »[٤] ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روي عنه من الآثار الموقوفة مبوباً على أبواب الفقه ولله الحمد والمنة .

وقد رَوى سيفُ بن عمر[٥] عن شيوخه[٦] عن سالم قال : لمّا دخلَ عمرُ الشامَ تلقاه رجلٌ من يهود دمشق ، فقال السلامُ عليك يا فاروقُ ، أنتَ صاحبُ إيلياء ؟ لا ها لله لا ترجع حتى يفتح اللهُ عليك إيلياء .

وقد روى أحمد بن مروان الدِّينوري[٧] ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عدي ، عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن جده أسلم ـ مولى عمر بن الخطاب ـ أنّه قدم دمشق في تجار من قريش ، فلما خرجوا تخلَّف عمرُ لبعض حاجته ، فبينما هو في البلد إذا ببطْريقٍ يأخذُ بعنقه ، فذهب ينازعه فلم يقدر ، فأدخل داراً فيها ترابٌ وفأس ومجرفةٌ وزنبيلٌ ، وقال له : حوّل هذا من هاهنا إلى هاهنا ، وغلق عليه الباب ، وانصرف فلم يجيء إلى نصف النهار .

قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال لي شيئاً . فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ ولكمني في رأسي بيده قال : فأخذت الفأس فضربته بها فقتلته وخرجت على وجهي فجئت ديراً لراهبٍ فجلستُ عنده من

---

(١) في أ : فشار .

(٢) في أ : اليهودية .

(٣) في مسنده (١/ ٣٨) رقم (٢٦١) ومن طريقه الضياء في المختارة رقم (٢٤١) .

(٤) مسند عمر (١/ ١٦٠) ، وقال هناك : هذا حديث حسن ، وهو اجتهاده رحمه الله ، وفي إسناده عيسى بن سنان الحنفي القسملي ، ضعفه ابن معين وأحمد وأبو زرعة ووثقه بعضهم ، وقال أبو حاتم : ليس يقوى في الحديث ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : ليّن الحديث ، وهو كما قال ، فمثله لا يحتمل التفرد .

(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٨) .

(٦) في أ : عن مبشر عن سالم .

(٧) أحمد بن مروان الدِّينوري ، محدث ، فقيه نزل مصر وبها توفي سنة (٢٩٨) من تآليفه مناقب مالك ، والرد على الشافعي ، وكتاب المجالسة . معجم المؤلفين (٢/ ١٧٤) .

العشي ، فأشرفَ علي فنزل وأدخلني الدير فأطعمني وسقاني ، وأتحفني ، وجعل يحقّق النظر فيّ ، وسألني عن أمري فقلت : إني أضللت أصحابي . فقال : إنك لتنظر بعينِ خائفٍ ، وجعل يتوسّمني ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ، وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لكَ أن تكتبَ لي كتابَ أمانٍ على ديري[١] هذا ؟ فقلت : يا هذا لقد ذهبتَ غير مذهب . فلم يزل بي حتى كتبت له صحيفةً بما طلب مني ، فلما كان وقتُ الانصراف أعطاني أتاناً فقال لي : اركبها ، فإذا وصلت إلى أصحابك فابعث إليَّ بها وحدَها فإنها لا تمرّ بدير إلا أكرموها . ففعلتُ ما أمرني به ، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب وهو بالجابية بتلك الصحيفة فأمضاها له عمر واشترط عليه ضيافة من يمرّ به من المسلمين ، وأن يرشدهم إلى الطريق .

رواه ابن عساكر[٢] وغيره . وقد ساقه ابن عساكر[٣] من طريق أخرى في ترجمة يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البَلْقاوي عن زيد بن أسلم ، عن أبيه فذكر حديثاً[٤] طويلاً عجيباً هذا (بعضه) . وقد ذكرنا الشروطَ العمرية على نصارى الشام مَطوّلًا في كتابنا « الأحكام » وأفردنا له مصنفاً على حِدَةٍ ولله الحمد والمنة .

(وقد) ذكرنا خطبته في الجابية بألفاظها وأسانيدها في الكتاب الذي أفردناه لمسند عمر ، وذكرنا تواضعه في دخوله الشام في السيرة التي أفردناها له .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني الربيعُ بن ثَعْلب ، حدَّثنا أبو إسماعيل المؤدّب ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمز المكّي ، عن أبي العاليةْ[٥] الشامي قال : قدمَ عمرُ بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جملٍ أوْرَق[٦] ، تلوحُ صلعتُه للشمس ، ليس عليه قلنسوةٌ ولا عمامةٌ ، تصطفقُ رجلاه بين شعبتي الرَّحل بلا ركاب ، وِطاؤه[٧] كِساءٌ أنْبِجانيٌّ[٨] ذو صُوف هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشُه إذا نزل ، حقيبته نمرةٌ[٩] أو شملة محشّوة ليفاً ، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل ، وعليه قميصٌ منكرابيس[١٠] قد

---

(١) في أ : على ديني هذا .

(٢) في تاريخ دمشق ـ ترجمة عمر بن الخطاب ـ ص(٤ـ٥) طبعة مؤسسة الرسالة .

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٧/ ٢٦٩ ـ ٢٧٤) .

(٤) في أ : خبراً .

(٥) في ط : أبي الغالية . خطأ .

(٦) الأورق من الإبل : الذي في لونه بياض إلى سواد ، الوُرْقة : سواد في غبرة . اللسان (ورق) .

(٧) الوِطاء : خلاف الغطاء . اللسان (وطأ) .

(٨) أنبجاني : كساء يتخذ من الصوف له خَمْلٌ ولا علم له ، منسوب إلى بلد اسمه أنبجان ـ بكسر الباء ـ اللسان (نبج) .

(٩) النَّمِرَة : بردة من صوف مخطَّطة كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض . اللسان (نمر) .

(١٠) كَرابيس : جمع كِرْباس وهو القطن . اللسان (كربس) .

رسم[١] وتَخرَّق جنبه . فقال : ٱدعوا لي رأسَ القوم ، فدعوا له الجلومس ، فقال : اغسلوا قميصي وخَيِّطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً . فأُتي بقميص كتانٍ فقال : ما هذا ؟ قالوا : كتان . قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فنزعَ قميصَه فغُسل ورُقع وأُتي به فنزعَ قميصَهم ولبس قميصَه . فقال له الجلومس : أنتَ ملكُ العرب وهذه بلادٌ لا تصلح بها الإبلُ ، فلو لبستَ شيئاً غير هذا وركبتَ برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم . فقال : نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً . فأُتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرجٍ ولا رحلٍ فركبه بها فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنتُ أرى الناسَ يركبونَ الشيطان قبل هذا فأُتي بجمله فركبه .

وقال إسماعيل بن محمد الصَفّار[٢] : حدَّثنا سعدان بن نصر ، حدَّثنا سفيان ، عن أيوب الطائي ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال :

لمّا قدم عمرُ الشامَ عرضتْ له مخاضةٌ فنزل عن بعيره ونزعَ موقيه[٣] فأمسكهما بيدٍ[٤] وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة : قد صنعتَ اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصكَّ في صدره وقال : أوَ لَوْ غيرك يقولُها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزَّكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزَّ بغيره يذلكم الله .

قال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة ـ أعني سنة خمس عشرة ـ كانت بين المسلمين وفارس وقعات في قول سيف بن عمر . وقال ابن إسحاق والواقدي : إنما كان ذلك في سنة ست عشرة ، ثم ذكر ابن جرير وقعاتٍ كثيرةً كانت بينهم ، وذلك حين بعث عمرُ بن الخطاب إلى سعدِ بن أبي وقاص يأمره بالمسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق[٦] في خيل كثيرة كثيفة . فلما تفرَّغَ سعدٌ من القادسيَّةِ بعثَ على المقدِّمة زُهْرة بن حويَّة ، ثم أتبعه بالأمراء واحداً بعد واحد ، ثم سار في الجيوش ، وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافته مكان خالد بن عُرْفطة . وجعل خالداً هذا على الساقة ، فساروا في خيول عظيمة ، وسلاح كثير ، وذلك لأيام بقينَ من شوّال من هذه السنة ، فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن ، فلقيه بها بُصْبُهرى في جيش من فارس فهزمهم زُهْرة وذهبت الفرس في هزيمتهم

---

(١) الرسم : الأثر . اللسان (رسم) أراد أن القميص لم يبق منه إلا أثر .
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ترجمة عمر بن الخطاب ـ ص(٣) .
(٣) موقيه : خُفَّيْه . اللسان (موق) .
(٤) في أ : بيده .
(٥) تاريخه (٣/ ٦١٨) .
(٦) في ط : « بالعقيق » وهو تحريف ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ الطبري ، وهو الذي يتفق والسياق الجغرافي والتاريخي ، فالعتيق : واد بظاهر البصرة مما يلي سفوان (كما في معجم البلدان ٤/ ١٤٠) وغيره ، فأمِن سعد منه ، وهو بالقادسية !

إلى بابل (وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرُزان ، فبعث زُهرة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل ، فسار سعد بالجيوش إلى بابل) ، فتقابل هو والفيرُزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لَفَّة الرِّداء ، وانهزموا (بين يديه) فرقتين ففرقة ذهبت إلى المدائن ، وأخرى سارت[١] إلى نهاوند ، وأقام سعد ببابل أياماً ، ثم سار منها نحو المدائن ، فلقوا جمعاً آخر من الفُرس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وبارزوا[٢] أميرَ الفُرس ، وهو شهريار ، فبرز إليه رجلٌ من المسلمين يقال له نائل الأعرجي أبو نباتة[٣] من شجعان بني تميم ، فتجاولا ساعةً بالرّماح ، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما ، ثم تعانقا وسقطا عن فرسَيْهما إلى الأرض ، فوقع شهريار على[٤] صدر أبي نباتة ، وأخرج خنجراً ليذبحه بها ، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه ، وأخذ الخنجر فذبح شهريار بها وأخذ فرسه وسِوَارَيْه وسَلَبَه ، وانكشف أصحابه فهزموا ، فأقسم سعد على نائل ليلبس سِوَاري شهريار وسلاحه ، وليركبنَّ فرسه إذا كان حربٌ ، فكان يفعل ذلك ، قالوا : وكان أول من تسوَّر بالعراق ، وذلك بمكانٍ يقال له كوثى[٥] . وزار المكان الذي حُبس فيه الخَليل وصلَّى عليه وعلى سائر الأنبياء ، وقرأ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] الآية .

بَهُرَ سِير[٦]

قالوا : ثم قدّم سعد زهرة بين يديه من كوثى إلى بَهُر سير فمضى إلى المقدمة وقد تلقاه شيرزاذ إلى ساباط بالصلح والجزية فبعثه إلى سعد فأمضاه ، ووصل سعد بالجنود إلى مكان يقال له مظلم ساباط ، فوجدوا هنالك كتائب كثيرة لكسرى يسمونها بوران[٧] ، وهم يقسمون كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا ، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرَّط ، قد أرصدوه في طريق المسلمين ، فتقدم إليه ابن أخي سعد ، وهو هاشم بن عتبة ، فقتل الأسد والناس ينظرون ، وسمي يومئذٍ[٨] سيفه المتين ، وقبَّل سعدٌ يومئذ رأسَ هاشم ، وقبَّل هاشمٌ قدم سعد . وحملَ هاشمٌ على الفُرس فأزالهم عن أماكنهم وهزمهم وهو

---

(١) في أ : صارت .

(٢) في أ : وبارز .

(٣) في أ : نائل الأعرج أبو نباتة . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٢١) : أبو نباتة نائل بن جعشم الأعرجي .

(٤) في أ : عن .

(٥) كوثى ـ بالضم ثم السكون ، والثاء مثلثة ، وألف مقصورة تكتب بالياء لأنها رابعة الاسم ـ موضع بسواد العراق في أرض بابل سار إليها سعد بعد القادسية . معجم البلدان (٤/ ٤٨٧) وبلدان الخلافة الشرقية (٩٤) .

(٦) في أ ، ط : نهرشير ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٢٢) : بَهُرَ سير وكذلك في معجم البلدان (١/ ٥١٥) وضبطها ياقوت بالفتح ، ثم الضم ، وفتح الراء ، وكسر السين المهملة ، وياء ساكنة وراء من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وقيل هي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن .

(٧) في أ : نوزان ؛ تحريف . وهي كما أثبتنا في تاريخ الطبري (٣/ ٦٢٢) .

(٨) في أ : وسميْ سيفه يومئذ .

يتلو[1] قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٤] فلما كان الليلُ ارتحل المسلمون ونزلوا بَهُرَ سير فجعلوا كُلّما وقفوا كَبَّروا ، وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا في الثالث وفرغت السنة .

قال ابن جرير[2] : وفيها حجَّ بالنَّاس عُمر ، وكان عامله فيها على مكَّة عَتّاب (بن أسيد) ، وعلى الشام أبو عُبَيْدة ، وعلى الكوفة[3] والعراق سعد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية[4] وعلى البحرين واليمامة عثمان بن أبي العاص ، وعلى عُمان حُذَيْفة بن محصن[5]

قلت : وكانت وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة في رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبي معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خَيّاط وابن الكلبي ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبي عبد الله الذهبي الحافظ[6] . وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة اليرموك في سنة ثلاث عشرة . وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير ، وهكذا وقعة القادسية عند بعض الحفاظ أنها كانت في أواخر هذه السنة ـ سنة خمس عشرة ـ وتبعهم في ذلك شيخنا الحافظ الذهبي[7] . والمشهور أنها كانت في سنة أربع عشرة كما تقدم . ثم ذكر شيخنا الذهبي[8] :

من توفي في هذه السنة مرتبين على الحروف :

سعد[9] بن عبادة الأنصاري الخزرجي : وهو أحد أقوال المؤرخين وقد تقدم .

سعد[10] بن عُبَيْد بن النُّعمان أبو زيد الأنصاري الأوْسي : قُتل بالقادسية ، ويقال إنه أبو زيد القارىء أحد الأربعة الذين جَمَعوا القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ . وأنكر آخرون ذلك ، ويقال إنه والد عُمَيْر بن سَعْد

---

(١) في أ : وهو يتلو له .
(٢) في تاريخه (٣/ ٦٢٣) .
(٣) في تاريخ الطبري : وعلى قضائها أبو قرة .
(٤) في تاريخ الطبري : منية ـ وهي أمه ـ وترجمته في جامع الأصول (١٥/ ٥٤٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٠) .
(٥) بعده في تاريخ الطبري : وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة .
(٦) تاريخ خليفة (ص١٣٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ١٠) وقال الذهبي : وقيل سنة ثلاث عشرة وأراه وهماً .
(٧) في تاريخه (٢/ ١١) .
(٨) المصدر نفسه (٢/ ١٣ـ١٧) .
(٩) ترجمة ـ سعد بن عبادة ـ في الاستيعاب (٥٩٤) وجامع الأصول (١٤/ ١٦٨) . وأسد الغابة (٢/ ٣٥٦) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٩/ ٢٣٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠) .
(١٠) ترجمة ـ سعد بن عبيد ـ في الاستيعاب (٦٠٠) وجامع الأصول (١٤/ ١٧٠) وأسد الغابة (٢/ ٣٥٩) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٩) والإصابة (٢/ ٣١) .

الزاهد أمير حمص . وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال[١] : كانت في سنة ست عشرة والله أعلم .

سهيل بن عمرو[٢] بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ أبو يزيد العامري : أحد خطباء قريش وأشرافهم ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثيرَ الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء . ويقال إنه قام وصام حتى شحب لونه . وله سعيٌ مشكورٌ في صلح الحُدَيبية . ولما مات رسول الله ﷺ خطب الناسَ بمكة خطبةً عظيمةً تُثبّتُ الناسَ على الإسلام ، وكانت خطبته بمكة قريباً من خطبة الصدّيق بالمدينة ، ثم خرج في جماعةٍ إلى الشام مجاهداً فحضر اليرموكَ وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال إنه استشهد يومئذ . وقال الواقديّ والشافعي : توفي بطاعون عَمَواس .

عامر[٣] بن مالك بن أُهيب الزُّهري أخو سَعْد بن أبي وقَّاص ، هاجر إلى الحبشة ، وهو الذي قدم بكتاب عمر إلى أبي عبيدة بولايته على الشام وعزل خالد عنها ، استشهد يوم اليرموك .

عبد الله[٤] بن سُفيان بن عبد الأسَدَ المَخْزومي ، صحابي هاجر إلى الحبشة مع عمه أبي سلمة بن عبد الأسد . روى عنه عمرو بن دينار منقطعاً لأنه قتل يوم اليرموك .

(عبد الرحمن[٥] بن العوام ، أخو الزبير بن العوام ، حضر بدراً مشركاً ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك في قول) .

عُتْبة بن غَزْوان توفي فيها في قول[٦] .

عكرمة بن أبي جهل استشهد باليرموك في قول[٧] .

عمرو بن أم مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم[٨] . ويقال بل رجع إلى المدينة .

عمرو بن الطفيل[٩] بن عمرو تقدم .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٥٨) .

(٢) في أ : سهل بن عمرو ؛ تحريف . وترجمة ـ سهيل بن عمرو ـ في الاستيعاب (٦٦٩) وجامع الأصول (١٤/ ٢٠٦) وأسد الغابة (٢/ ٤٨٠) والإصابة (٢/ ٩٣) .

(٣) ترجمة ـ عامر بن مالك ـ في الاستيعاب (٧٩٩) وأسد الغابة (٣/ ١٤٠) والإصابة (٢/ ٢٥٧) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن سفيان ـ في الاستيعاب (٩٢١) وأسد الغابة (٣/ ٢٦٣) والإصابة (٢/ ٣١٩) .

(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن العوام ـ في الاستيعاب (٨٤٤) وأسد الغابة (٣/ ٤٧٩) والإصابة (٢/ ٤١٥) .

(٦) تقدمت ترجمة المصنف له في وفيات سنة ١٤هـ وذكر الاختلاف في سنة وفاته ، وتنظر مصادر ترجمته هناك .

(٧) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ١٣هـ . وتنظر مصادر ترجمته هناك .

(٨) تقدم في وفيات سنة ١٤هـ . وتنظر مصادر ترجمته هناك .

(٩) ترجمة ـ عمرو بن الطفيل ـ في الاستيعاب (١١٨٤) وأسد الغابة (٤/ ٢٤٣) والإصابة (٢/ ٥٤٤) ، وتقدم ذكره في ترجمة والده في وفيات سنة ١١هـ .

عيَاش[١] بن أبي ربيعة تقدم .

فراس[٢] بن النضر بن الحارث يقال استشهد يوم اليرموك .

قيس[٣] بن عدي (بن سهم) من مهاجرة الحبشة) قُتل باليرموك .

قيس[٤] بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني : شهد العقبة وبدراً ، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك ، وقتل يومئذ ، وله حديث قال : قلت يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « في خمس عشرة . . . » الحديث[٥] ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٦] : ففيه دليل على أنه ممن جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ .

نُضَيْر[٧] بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري ، أسلم عام الفتح ، وكان من علماء قريش ، وأعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مئة من الإبل ، فتوقف في أخذها وقال : لا أرتشي على الإسلام ، ثم قال : والله ما طلبتها[٨] ولا سألتها ، وهي عطية من رسول الله ﷺ ، فأخذها وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك .

نوفل[٩] بن الحارث بن عبد المطلب (ابن عم رسول الله ﷺ ، كان أسن من أسلم من بني عبد المطلب) وكان ممن أسر يوم بدر ففاداه العباسُ ، ويُقال إنه هاجر أيام[١٠] الخندق وشهد الحديبية والفتح ، وأعان رسول الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح ، وثبت يومئذ وتوفي سنة خمس عشرة ، وقيل سنة عشرين والله أعلم ، توفي بالمدينة وصلَّى عليه عمر ومشى في جنازته ودُفن بالبقيع وخلف عدة أولاد فضلاء وأكابر .

---

(١) في ط : « عامر » ، وهو تحريف ، وما هنا يعضده ما نقله الذهبي ، وهو عياش بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة المخزومي .

(٢) ترجمة ـ فراس بن النضر ـ في الاستيعاب (١٢٦٨) وأسد الغابة (٤/ ٣٥٤) والإصابة (٣/ ٢٠٢) .

(٣) ترجمة ـ قيس بن عدي ـ في الإصابة (٣/ ٢٨٤) .

(٤) ترجمة ـ قيس بن أبي صعصعة ـ في الاستيعاب (١٢٩٤) وأسد الغابة (٤/ ٤٢٩) والإصابة (٣/ ٢٥١) .

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٤٤) رقم (٨٧٧) وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٦٩) وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .

(٦) في تاريخ الإسلام (٢/ ١٦) .

(٧) ترجمة ـ نضير بن الحارث ـ في الاستيعاب (١٤٩٣) وأسد الغابة (٥/ ٣١٧) وفيه : النضر . والإصابة (٣/ ٥٥٤) .

(٨) في أ : لا طلبتها ، وما هنا يعضده ما نقله الذهبي .

(٩) ترجمة ـ نوفل بن الحارث ـ في الاستيعاب (١٥١٢) وأسد الغابة (٥/ ٣٦٩) والإصابة (٣/ ٥٧٧) .

(١٠) في أ : يوم .

هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم[١] وقال ابن سعد[٢] : قتل يوم اليرموك .

* * *

ثم دخلت سنة ست عشرة

استُهِلَّتْ هذه السنة وسعدُ بن أبي وقّاص منازلٌ مدينة بَهُرَسِير ، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلةَ من الغرب وكان قدومُ سعدٍ إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة ، واستُهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعثَ السرايا والخيول في كل وجهٍ ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مئة ألفٍ فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إنَّ منْ كان من الفلاحين لم يعنْ عليكم وهو مقيمٌ ببلده فهو أمانة ، ومنْ هرب فأدركتموه فشأنكم به . فأطلقهم سعدٌ بعد ما دعاهم إلى الإسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبقَ من غربي دجلة إلى أرض العرب[٣] أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج ، وامتنعت بَهُرَسير من سعد أشدَّ الامتناع ، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ أو الجزية أو المقاتلة ، فأبوا إلا المقاتلةَ والعصيان ، ونصبوا المجانيق والدبَّابات ، وأمر سعد بعمل المجانيق فعُملت عشرون منجنيقاً ، ونصبت على بَهُرَسير ، واشتدَّ الحصار ، وكان أهل[٤] بَهُرسير يخرجون فيقاتلون قتالاً شديداً ويحلفون أن لا يفروا[٥] أبداً ، فأكذبهم الله وهزمهم[٦] زُهْرة بن حَوِيَّة بعد ما أصابه سهم وقَتَل بعد مصابه كثيراً[٧] من الفرس ، وفرُّوا بين يديه ولجؤوا إلى بلدهم ، فكانوا[٨] يحاصرون فيه أشدَّ الحصار ، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلابَ والسنانير ، وقد أشرف رجلٌ منهم على المسلمين فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أنَّ لنا ما يلينا من دجلة إلى (جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى) جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونَكُم . قال : فبدر الناس رجلٌ يُقال له أبو مُفَزِّر[٩] الأسود بن قُطْبة فأنطقه الله بكلامٍ لم يَدْرِ ما قال لهم ، قال : فرجع الرجل

---

(١) تقدم في وفيات سنة ١٣هـ . وتنظر مصادر ترجمته هناك .

(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ١٩٢) .

(٣) في أ : المغرب .

(٤) في أ : وكانوا أهل ؛ وهي لغة مفضولة .

(٥) في أ : أن لا ينفرون ؛ خطأ .

(٦) في أ : أهزمهم .

(٧) في أ : بعد اتصاله به كثير الفرس .

(٨) في أ : وكانوا .

(٩) في أ ، ط : مقرن ؛ تحريف . والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٧) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ٦٨) ـ ط دار الفكر ـ . وينظر إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢٨٣) .

ورأيناهم يقطعون من بَهُرَسير إلى المدائن . فقال الناس لأبي مُفَزِّز : ما قلت لهم ؟ فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما قلتُ لهم إلا أن عليَّ سكينة وأنا أرجو أن أكون قد أنطقْتُ بالذي هو خير ، وجعل الناس ينتابونه يسألونه عن ذلك ، وكان فيمن سأله سعد بن أبي وقاص ، وجاءه سعد إلى منزله فقال : يا أبا مُفَزِّزٍ ما قلتَ ؟ فوالله إنهم هُرَّابٌ . فحلفَ له أنَّه لا يدري ما قال . فنادى سعد في الناس ونهد بهم إلى البلد والمجانيق تضرب في البلد ، فنادى رجل من البلد بالأمان فأمنّاه ، فقال والله ما بالبلد أحد ، فتسور الناس السورَ فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن . وذلك في شهر صفر من هذه السنة فسألنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأي شيء هربوا ؟ قالوا بعثَ الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابه ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينه صلحٌ أبداً حتى نأكلَ عسل أفريذين بأترج كوثى . فقال الملك : يا ويلاه ! إنَّ الملائكةَ لتتكلمُ على ألسنتهم ، تردُّ علينا وتُجيبنا عن العرب . ثم أمر الناسَ بالرحيل من هناك إلى المدائن ، فجازوا في السفن منها إليها وبينهما دجلة ، وهي قريبة منها جداً ولما دخل المسلمون بَهُرسير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذي ذكره رسول الله ﷺ أنه سيفتحه اللهُ على أمّتهِ ، وذلك قريب الصباح ، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخَطّاب ، فقال : الله أكبر أبيضُ كِسْرى ، هذا ما وعدنا الله ورسوله . ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح .

ذكر فتح المدائن [التي هي مستقرّ ملك كسرى]

لمّا فتحَ سعدٌ بَهُرَسِير واستقرَّ بها ، وذلك في صفة لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يغنم ، بل قد تحوّلوا بكمالهم إلى المدائن ، وركبوا السفن (وضمّوا السفنَ إليهم ، ولم يجد سعدٌ رضي الله عنه شيئاً من السفن) ، وتعذَّرَ عليه تحصيلُ شيء منها بالكُلِّية ، وقد زادت دجلةُ زيادةً عظيمةً واسودّ ماؤها ، ورمت بالزَّبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعدٌ بأنّ كسرى يَزْدَجرد عازمٌ على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنك إن لم تدركه قبلَ ثلاث فات عليك ، وتفارط الأمر . فخطبَ سعدٌ المسلمين على شاطىء دجلة ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا[١] فَيُناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤْتوا منه ، وقد رأيتُ أن تبادروا جهادَ العدو بنيّاتكم قبل أن تحصركم[٢] الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ، فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند (ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول : من يبدأ فيحمي لنا الفراض ـ يعني ثغرة) المخاضة من الناحية الأخرى ـ ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمئة ، فأمّر سعد عليهم عاصم بن عمرو ووقفوا على حافَّة دجلة فقال عاصم : من ينتدب (معي) لنكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر ،

---

(١) في أ : إذا شاؤوا وفي السفن وليس ورائكم .

(٢) في أ : أن تبادروا جهاد العدو بنسياكم قبل أن تحصدكم الدنيا .

فنحمي الفراض من الجانب الآخر .؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين ـ والأعاجم وقوف[١] صفوفاً من الجانب الآخر ـ فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس ، وقد افترق الستون فرقتين : أصحاب الخيل الذكور ، وأصحاب الخيل الإناث. فلما رآهم الفُرْس يطفون على وجه الماء قالوا : ديوانا ديوانا ، يقولون : مجانين (مجانين) . ثم قالوا : والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنّاً . ثم أرسلوا فرساناً منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماحَ ويتَوَخَّوا الأعين ، ففعلوا ذلك بالفُرس فقلعوا عيونَ خيولهم ، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كفَّ خيولهم حتى خرجوا من الماء، واتَّبعهم عاصمٌ وأصحابُه فساقُوا وراءهم حتى طَرَدُوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر . ونزل بقيةُ أصحاب عاصم من (الستمئة) في دجلة (فخاضوها) حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نَفَوْا الفرس عن ذلك الجانب ، وكانوا يُسمُّون الكتيبةَ الأولى كتيبةَ الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء ، وأميرها القعقاع بن عمرو . وهذا كلُّه وسعدٌ والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع[٢] هؤلاء الفرسان بالفرس ، وسعد واقع على شاطىء[٣] دجلة . ثم نزل سعدٌ ببقية الجيش ، وذلك حينَ نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصَّنَ بمَنْ حصلَ فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعدٌ المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعينُ بالله ونتوكَّلُ عليه ، حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلةَ واقتحمَ الناس لم يتخلَّفْ عنه أحدٌ ، فساروا فيها كأنّما يسيرون على وجه الأرض حتى ملؤوا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدّثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده ، ولأنَّ أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ . ودعا له . فقال : « اللهم أجبْ دعوتَه ، وسَدِّدْ رميتَهُ »[٤] والمقطوع به أن سعداً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم في هذا اليَمّ فسدَّدَهُم الله وسلمهم ، فلم يُفْقَدْ من المسلمين

---

(١) في أ : وقوفاً .
(٢) في أ : ما صنع .
(٣) في أ : شفير .
(٤) روى هذا الحديث الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٣٠٨)، والترمذي (٣٧٥١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٠٨) وابن حبان (٦٩٩٠)، والحاكم (٣/ ٤٩٩ و٥٠٠) من حديث قيس بن أبي حازم عن سعد مرفوعاً. واقتصر بعضهم على الاستجابة لدعوته حسب. وقد أعله الإمامان الترمذي والدارقطني في العلل (٤/ ٣٧٨ سؤال ٦٤٠) بالإرسال، فذكرا أنَّ المرسل هو المحفوظ، ليس فيه سعد، وهو الذي أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (٣/ ١٤٢) (بشار).

رجلٌ واحدٌ غير أنَّ رجلاً (واحداً) يقال له غَرْقَدَة[١] البارقي . زلّ عن فرس له شقراء ، فأخذ القعقاعُ بن عمرو بلجامها ، وأخذ بيد الرجل حتى عدَّله على فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجزَ النساءُ أن يلدنَ مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح من خشبٍ لرجلٍ يُقال له مالك بن عامر ، كانت علاقته رثّة فأخذه الموج ، فدعا صاحبُه اللهَ عزَّ وجلَّ ، وقال : اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعي ، فردَّه الموج إلى الجانب الذي يقصدونه ، فأخذه الناس ، ثم ردُّوه على صاحبه بعينه . وكان الفَرَسُ إذا أعيا ، وهو في الماء ، يُقيِّضُ الله له مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى إنَّ بعضَ الخيل ليسير وما يصلُ الماءُ إلى حزامها ، وكان يوماً عظيماً وأمراً هائلاً ، وخطباً جليلاً ، وخارقاً باهراً ، ومعجزةً لرسول الله ﷺ ، خلقها الله لأصحابه لم يُرَ مثلها في تلك البلاد ، ولا في بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمي المتقدمة ، بل هذا أجلُّ وأعظمُ ، فإن هذا الجيش كان[٢] أضعافَ ذلك .

قالوا : وكان الذي يساير سعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي ، فجعلَ سعدٌ يقول : حَسْبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ . والله لينصرنَّ الله وليَّه وليظهرنَّ اللهُ دينَه ، وليهزمنَّ اللهُ عدوَّه ، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوبٌ تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إنَّ الإسلام جديد . ذُلِّلَتْ لهم والله البحورُ كما ذُلِّل (لهم) البر ، أما والذي نفسُ سلمانَ بيده ليخرِجنَّ منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً . فخرجوا منه كما قال سلمان لم يغرق منهم أحدٌ ، ولم يفقدوا شيئاً .

ولما استقلَّ المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلةً ، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائنَ ، فلم يجدوا بها أحداً ، بل قد أخذ كسرى أهله ، وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل ، وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثّياب والمتاع ، والآنية والألطاف والأدْهان ما لا يدرى قيمتُه . وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه ، وتركوا ما عجزوا عنه ، وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه . فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء ، فأخذوا في سككها[٣] لا يلقون أحداً ولا يخشونه غير القصر الأبيض ففيه مقاتلةٌ وهو محصَّنٌ .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي ، فلما كانَ اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعدٌ ، واتّخذ الإيوان مُصلّىً ، وحين دخله تلا قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٥ ـ ٢٨] ثم تقدَّم إلى صدره فصلَّى ثمان ركعات صلاةَ الفَتْحِ .

---

(١) في أ : عروة ؛ تحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٢) .
(٢) في أ : كانوا .
(٣) في أ : كتيبة الأولى ثم الكتيبة الخرسا . فأخذوا في سلكها . وما هنا موافق للكامل لابن الأثير (٢/ ٥١٣) .

وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمةٍ واحدة وأنه جمَّعَ بالإيوان في صفر[١] من هذه السنة ، فكانت أولَ جمعةٍ جمِّعت بالعراق، وذلك لأنَّ سعداً نوى الإقامة بها، وبعثَ إلى العيالات فأنزلهم دور[٢] المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوا جلولاء وتكريت والموصل ، ثم تحوّلوا إلى الكوفة بعد ذلك كما سنذكره .

ثم أرسل السرايا في إثر كسرى يَزْدَجِرْدَ فلحق بهم[٣] طائفة فقتلوهم وشَرَّدوهم واستَلَبُوا منهم أموالاً عظيمة . وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليه . وشرعَ سعدٌ في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف ، مما لا يقوَّم ولا يُحدُّ ولا يوصف كثرةً وعظمةً . وقد روينا أنه كان هناك[٤] تماثيل من جصٍّ فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان، فقال سعد: إن هذا لم يوضع هكذا سدى، فأخذوا ما يسامت[٥] أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكاسرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالاً عظيمة جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحفاً فاخرة . واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم يَرَ أحدٌ في الدنيا أعجب منه . وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مُكلَّلٌ بالجواهر النفيسة التي تُحيِّر الأبصار ، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه ، وكان مربعاً ستون ذراعاً في مثلها ، من كل جانب ، والبساط مثله سواء ، وهو منسوج بالذَّهب واللآلىء والجواهر الثمينة ، وفيه مصور جميع ممالك كسرى ، بلاده بأنهارها وقلاعها ، وأقاليمها ، وكنوزها ، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده . فكان إذا جلس على كرسيّ مملكته ودخل تحت تاجه ، وتاجُه معلَّقٌ بسلاسل الذهب ، لأنه كان لا يستطيع أن يقلَّه[٦] (على رأسه) لثقله ، بل كان يجيء فيجلسُ تحته ثم يُدخل رأسه تحت التاج والسلاسل الذهب تحمله عنه ، وهو يستره حال لبسه فإذا رفع الحجاب عنه خرَّتْ له الأمراء سجوداً . وعليه المنطقةُ والسواران والسيفُ والقباءُ المُرَصَّعُ بالجواهر فينظر في البلدان واحدة واحدة ، فيسأل عنها ومن فيها من النواب ، وهل حدث فيها شيء من الأحداث ؟ فيخبره بذلك ولاة الأمور بين يديه . ثم ينتقل إلى الأخرى ، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده في كل وقت ، لا يهمل أمر المملكة ، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكاراً له بشأن الممالك ، وهو إصلاحٌ جيدٌ منهم في أمر السياسة . فلمّا جاءَ قَدَرُ الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك (والأراضي) وتسلمها المسلمون من أيديهم قسراً ، وكسروا شوكتَهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية (ضافية) ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) في أ : من صفر .
(٢) في أ : دون .
(٣) في أ : فلحقوا .
(٤) في أ : هنالك .
(٥) يسامت : من السمت ، وهو السير على الطريق بالظن ، والمراد هنا : أنهم بحثوا قبالة إشارة الإصبع .
(٦) في أ : ينقله .

وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض[١] عمرو بن عمرو[٢] بن مُقرِّن فكان أول ما حصل ما كان في القصر الأبيض ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن ، وما كان بالإيوان مما ذكرنا ، وما يفد من السرايا الذين في صحبة زُهْرة بن حَوية ، وكان فيما رَدّ زُهْرة بغلٌ كان قد أدركه وغصبه من الفرس ، وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم ، وقال : إنَّ لهذا لشأناً فردّه إلى الأقباض وإذا عليه سفطان فيهما ثياب كسرى وحليه ، ولبسه الذي كان يلبسه على السرير كما ذكرنا ، وبغل آخر عليه تاجه الذي ذكرنا في سفطين أيضاً رُدّا[٣] من الطريق مما استلبه أصحابُ السرايا ، وكان فيما رَدَّتِ السرايا أموالٌ عظيمةٌ وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته والأشياء النفيسة التي استصحبوها معهم ، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم . ولم تقدر الفَرَس على حمل البساط لثقله عليهم ، ولا حمل الأموال لكثرتها . فإنه كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملآن[٤] إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة ، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً ، فيحسبونه ملحاً ، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجدوه مُرّاً حتى تبيَّنوا[٥] أمره فتحصل الفيء على أمر عظيم من الأموال ، وشرع سعد فخمَّسه وأمر سلمان الفارسي فقسم أربعة[٦] الأخماس بين الغانمين ، فحصل لكلّ واحد من الفرسان اثني عشر ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، ومع بعضهم جنائب ، واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين ، ليبعثه إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجَّبوا منه ، فطيبوا له ذلك وأذنوا فيه ، فبعثه سعد إلى عمر مع الخُمس مع بشير بن الخصاصية ، وكان الذي بشَّر بالفتح قبله خنيس[٧] بن فلان الأسدي ، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إنَّ قوماً أدَّوْا هذا لأمناءُ ، فقال له علي بن أبي طالب : إنك عَفَفْتَ فَعَفَّتْ رَعيتُكَ ، ولو رَتَعْتَ لرَتَعتْ . ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب علياً[٨] قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً .

وقد ذكر سيفُ بن عمر[٩] أنَّ عمر بن الخطاب ألبسَ ثياب كسرى لخشبة ونصبها أمامه ليرى الناس ما في هذه الزينة من العجب ، وما عليها من زهرة الحياة الدنيا الفانية . وقد روينا أنَّ عمرَ ألبس ثياب كسرى لسُراقة بن مالك بن جُعْشُم أمير بني مُدْلج رضي الله عنه .

---

(١) الأقباض : جمع قَبَض ـ بفتحتين ـ وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن يُقسم . اللسان (قبض) .
(٢) في أ : عمر بن عمر ؛ خطأ . وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١٦) .
(٣) في أ : ردوا .
(٤) في ط : ملآنا ؛ وما هنا أقرب للسياق النحوي .
(٥) في أ : ثبتوا .
(٦) في ط : الأربعة الأخماس .
(٧) في أ ، ط : حليس ؛ خطأ . وما هنا عن تاريخ الطبري (٤/ ٢٢) .
(٨) في أ : علي .
(٩) تاريخ الطبري (٤/ ٢٢ ـ ٢٣) .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في « دلائل النبوة »[١] : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي ، قال : وجدت في كتابي بخطّ يدي عن أبي داود ، حدَّثنا محمد بن عُبيد ، حدَّثنا حمّاد ، حدَّثنا يونس ، عن الحسن :

أن عمر بن الخطاب أُتي بفروةِ كسرى فوُضعت بين يديه وفي القوم سُراقة بن مالك بن جُعْشُم ، قال فألقى إليه سِوَاري كسرى بن هرمز فجعلهما في يده فبلغا منكبيه ، فلما رآهما في يدي سُراقة قال : الحمدُ لله : سواري [كسرى][٢] بن هرمز في يدي سُراقة بن مالك بن جُعْشُم أعرابي من بني مُدْلج . وذكر الحديث . هكذا ساقه البيهقي .

ثم حكى عن الشافعي أنه قال : وإنما ألبسهما سُراقة لأنَّ رسول الله ﷺ قال لسُراقة ونظر إلى ذراعيه : « كأني بك وقد أُلبست سواري كسرى » (قال الشافعي : وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سواري كسرى) : قل : الله أكبر . فقال : الله أكبر . ثم قال : قل الحمدُ لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بني مدلج .

وقال الهيثم بن عدي[٣] : أخبرنا أسامة بن زيد اللّيثي، حدَّثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر. قال: بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخُفَّيه، قال فنظر عمر في وجوه القوم. وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن جُعْشُم فقال يا سراق: قم فالبس ، قال سراقة : فطمعت فيه فقمت فلبست فقال [له] : أدبر فأدبرت ، ثم قال أقبل فأقبلت ، ثم قال بخٍ بخٍ . أُعيرابيٌّ من بني مُدْلج عليه قَباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفَّاه . رُبَّ يومٍ يا سُراقَ بنَ مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ، انزع. فنزعت. فقال: اللهم إنَّكَ منعتَ هذا رسولك ونبيك ، وكان أحبّ إليك مني (وأكرم عليك مني). ومنعته أبا بكر وكان أحبَّ إليك مني ، وأكرم عليك مني ، وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي . ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسي .

وذكر سيف بن عمر التميمي[٤] : أن عمر حينَ ملك تلك الملابس والجواهر جيء[٥] بسيف كسرى ومعه عدةُ سيوف منها سيفُ النعمان بن المنذر نائب كسرى على الحيرة ، وأن عمر قال : الحمدُ لله

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

(٢) ساقطة من الأصل واستدركت من الدلائل .

(٣) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي البحتري الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، مؤرخ ـ عالم بالأدب والنسب ـ توفي سنة ٢٠٧هـ وله : « بيوتات العرب » و« نزول العرب في خراسان والسواد » و« نسب طيّىء » و« تاريخ الأشراف » و« التاريخ » وغيرها . الأعلام (٨/ ١٠٤) ، ولكنه كذاب متروك .

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٢٣) .

(٥) مكان اللفظة في أ : مع ذلك بسيف .

الذي جعلَ سيفَ كسرى فيما يضره ولا ينفعه . ثم قال : إن قوماً أدَّوْا هذا لأُمَناءُ ، أو لذووا أمانة . ثم قال : إنَّ كسرى لم يـزدْ على أن تشاغلَ بمـا أوتي عن آخرته فجمع لزوج امرأته ، أو زوج ابنته ، ولم يقدّم لنفسه ، ولو قدَّم لنفسه ووضع الفضول في مواضعها لحصلَ له . وقد قال بعض المسلمين وهو أبو نجيد[١] نافع بن الأسود (في ذلك)[٢] : [من الخفيف]

وأَسَلْنا[٣] على المدائن[٤] خيلاً بحـرُهـا مثـلُ بَـرِّهـنّ أريضـا
فانتثلنا[٥] خزائن المرءِ كسرى يـوم ولّـوا وحـاصَ منا جـريضـا

وقعة جلولاء[٦]

لما سار كسرى وهو يَزْدَجِرْد بن شهريار من المدائن هارباً إلى حلوان شرعَ في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنود ، من البلدان التي هناك ، فاجتمع إليه خلقٌ كثير ، وجم غفير من الفرس وأمَّرَ على الجميع مهران ، وسار كسرى إلى حلوان[٧] فأقامَ[٨] الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولاء ، واحتفروا خندقاً عظيماً حولها ، وأقاموا بها في العَددَ والعُددَ[٩] وآلات الحصار ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك . فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة (أميراً على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى ، ويكون على المقدمة القعقاع) بن عمرو ، وعلى الميمنة سعد بن مالك وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجُهني . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيفاً يقارب اثني عشر ألفاً . من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار ، ورؤوس العرب . وذلك في صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر المدائن ، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالاً لم يُسمع بمثله . وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد ، وكذلك سعد يبعث المددَ إلى ابن أخيه ، مرةً بعد أخرى ، وحمي القتالُ ، واشتد النزالُ ، واضطرمت نار الحرب ، وقام في الناس هاشمٌ فخطبهم غيرَ

---

(١) في تاريخ الطبري : أبو بجيد ـ بالباء ـ وتحتمل الوجهين في أ .
(٢) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ١٠) .
(٣) في أ : وأملننا ، وفي ط : وأملنا . وما هنا عن تاريخ الطبري والكامل (٣/ ٥١٤) .
(٤) في أ : على الخزائن خيلاً نحرها .
(٥) في ط : فانتشلنا .
(٦) جَلَولاء : بالمد : طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان ، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ ، بها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ ، فاستباحهم المسلمون ، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون معجم البلدان (٢/ ١٥٦) .
(٧) حلوان العراق : موضع في آخر حدود السواد فمايلي الجبال من بغداد . معجم البلدان (٢/ ٢٩٠) .
(٨) في أ : وأقام .
(٩) في أ : في العدد والعديد .

مرةٍ ، فحرَّضهم على القتال والتوكل على الله . وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت ، وحلفوا بالنار أن لا يفرّوا أبداً حتى يفنوا العرب . فلما كان الموقف الأخير ، وهو يوم الفيصل والفرقان ، تواقفوا من أول النهار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُعْهدْ مثله حتى فني النُّشّابُ من الطَّرفين ، وتَقَصَّفَت الرماحُ من هؤلاء ومن هؤلاء ، وصاروا إلى السيوف والطبرزينات[١] ، وحانت صلاةُ الظهر فصلَّى المسلمون إيماءً ، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكانها أخرى ، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال : أهالكم ما رأيتم أيها المسلمون ؟ قالوا : نعم إنا كالّون[٢] وهم مريحون ، فقال : بل إنا حاملون عليهم ومُجدُّون في طلبهم ، حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملةَ رجلٍ واحدٍ حتى نخالطهم ، فحمل وحمل الناس ، فأما القعقاع فإنه صمَّم الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان ، حتى انتهى إلى باب الخندق ، وأقبل الليل بظلامه ، وجالت بقية الأبطال بمنْ معهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحاجز من أجل إقبال الليل وفي الأبطال[٣] يومئذ طُلَيْحة الأسَدي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وقَيْس بن مَكْشوح ، وحجر بن عدي . ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل ، ولم يشعروا بذلك ، لولا مناديه ينادي : أين أيها المسلمون[٤] هذا أميركم على باب خندقهم . فلما سمع ذلك المجوس فرّوا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فإذا هو على باب الخندق قد ملكه عليهم ، وهربت الفرس كلَّ مَهْربٍ ، وأخذهم المسلمون من كل وجه ، وقعدوا لهم كل مرصد ، فقتل منهم في ذلك الموقف مئة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . وغنموا من الأموال والسلاح والذهب والفضة قريباً مما[٥] غنموا من المدائن قبلها .

وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو في إثر من انهزمَ منهم وراء كسرى ، فساق خلفهم حتى أدرك مِهْران منهزماً ، فقتله القعقاع بن عمرو ، وأفلتهم الفيرزان فاستمرَّ منهزماً ، وأسر سبايا كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة ، وغنموا دوابَّ كثيرة جداً . ثم بعث هاشم بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبي وقاص فنفَّل سعد ذوي النجدة ثم أمر بقسم ذلك على الغانمين .

قال الشعبي : كان المال المتحصّل من وقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف . وكان خمسه ستة آلاف ألف وقال غيره : كان الذي أصاب كل فارس يوم جلولاء نظير ما حصل له يوم المدائن ـ يعني اثني عشر ألفاً لكل فارس ـ وقيل أصاب كل فارس تسعة آلاف وتسع[٦] دواب . وكان الذي ولي قسم ذلك بين المسلمين

---

(١) في هامش ط : الطبرزينات : نوع من السلاح يشبه الفأس . وكذا في هامش تاريخ الطبري (٤/ ٢٧) ، وينظر معجم دوزي (٧/ ١٤) من الترجمة العربية .

(٢) كالّون : جمع كالٍّ وهو من كلَّ يكلُّ إذا أعيا . اللسان (كلل) .

(٣) بعدها في أ : إعادة لبعض الكلمات في السطر السابق .

(٤) في أ : أيها الناس .

(٥) في أ : بما .

(٦) حفي أ : سبع .

وتحصيله ، سلمان الفارسي رضي الله عنه . ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبي سفيان ، وقضاعي بن عمرو ، وأبي مفزر[١] الأسود . فلما قدموا على عمر (سأل عمر) زياد بن أبي سفيان عن كيفية الوقعة فذكرها له ، وكان زياد فصيحاً ، فأعجب إيراده لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأحبَّ أن يسمعَ المسلمون منه ذلك ، فقال له : أتستطيع أن تخطب الناس بما أخبرتني به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه ليس أحد على وجه الأرض أهيب عندي منك ، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك ؟ فقام في الناس فقصَّ عليهم (خبر) الوقعة ، وكم قتلوا ، وكم غنموا ، بعبارة عظيمة بليغة فقال عمر : إنّ هذا لهو الخطيب المِصْقَع[٢] ـ يعني الفصيح ! فقال زياد : إن جندنا أطلقوا بالفَعال لساننا . ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يجنّ هذا المال الذي جاؤوا به سقف حتى يقسمه ، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه في المسجد ، فلما أصبح جاء عمر في الناس ، بعد ما صلى الغداةَ وطلعتِ الشمس ، (فأمر) فكشف عنه جلابيبه ، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الأصفر وفضته البيضاء ، بكى عمر ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا لموطن شكر ، فقال عمر : والله ما ذاك يبكيني ، وتالله ما أعطى الله قوماً (إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا) إلا ألقى بأسهم بينهم ، ثم قسمه كما قسم أموال القادسية .

وروى سيف بن عمر[٣] عن شيوخه أنهم قالوا : وكان فتح جلولاء في ذي القعدة من سنة ست عشرة ، وكان بينه وبين فتح المدائن تسعة أشهر . وقد تكلم ابن جرير هاهنا فيما رواه عن سيف على ما يتعلّق بأرض السواد وخراجها ، وموضع تحرير ذلك كتاب « الأحكام » .

وقد قال هاشم بن عُتبة في يوم جلولاء[٤] : [من الرجز]

يـومُ جَلـولاءَ ويـومُ رُسْتـم[٥] ويـومُ زحـفِ الكـوفـةِ المُقَـدّمْ
ويومُ عَرْضِ النَّهر[٦] المُحرَّم وأيامٌ خَلَتْ من بينهنّ صُرَّمُ[٧]
شَيَّبْـنَ أصـداغـي فهُـنَّ هُـرَّمْ مِثْـلُ ثَغـامِ[٨] البلـدِ المُحـرّمْ

---

(١) في أ : مط : مقرن ، تحريف وتقدم الحديث عنه .
(٢) المصقع : البليغ . اللسان (صقع) .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٢) .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٣٣) .
(٥) جاءت القافية في أ ، ط : مكسورة . وما هنا عن الطبري (٤/ ٣٣ـ٣٤) .
(٦) في أ ، ط : الشهر .
(٧) في تاريخ الطبري : من بين أيام خلون صرّم ؛ وهي الأشبه .
(٨) الثغام : نبات أبيض الثمر والزهر يشبّه بياض الشيب به . اللسان (ثغم) .

(وقال أبو نجيد[١] في ذلك[٢]) : [من الطويل]

وَيَـوْم جَلـولاءَ الـوَقيعـة أصْبحـتْ كتـائبُنـا تَـرْدي بـأسـدٍ عَـوابـسِ
فضضتُ[٣] جموعَ الفُرْسِ ثم أنَمتُهُمْ فتبّـاً لأجْسـادِ المَجُـوسِ النَّجائـسِ
وأفْلَتَهـنَّ الفيـرزانُ بجـرْعـةٍ ومِهْـرانَ أرْدَتْ يـومَ حَـزِّ القَـوانـسِ
أقـامـوا بـدارٍ لِلْمَنيَّـةِ مَـوْعـدٍ وللتُّرْبِ تَحْثوها خَجُوجُ[٤] الرواسِ[٥]

ذكر فتح حلوان[٦]

ولما انقضت الوقعة أقام هاشم بن عتبة بجلولاء عن أمر عمر بن الخطاب ـ في كتابه إلى سعد ـ وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، عن أمر عمر أيضاً ليكون ردءاً للمسلمين هنالك ، ومرابطاً لكسرى حيث هرب . فسار كما قدمنا ، وأدرك أمير الوقعة وهو مِهْران الرازي ، فقتله وهرب منه الفيرزان ، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء ، وما جرى على الفرس بعده ، وكيف قتل منهم مئة ألف ، وأدرك مِهْران فقتل ، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الري ، واستناب على حلوان أميراً يقال له خسروشُنُوم[٧] ، (فتقدم إليه القعقاع بن عمرو ، وبرز إليه خسروشنوم) إلى مكان خارج من حلوان ، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ثم فتحَ اللهُ ونصرَ المسلمين وانهزمَ خسروشنوم ، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها[٨] ودخلها المسلمون فغنموا وسَبَوا ، وأقاموا بها ، وضربوا الجزيةَ على منْ حولها من الكُور والأقاليم ، بعدما دعوا[٩] إلى الدخول في الإسلام فأبَوْا إلَّا الجزيةَ . فلم يزلِ القعقاعُ بها حتى تحوَّل سعد من المدائن إلى الكوفة ، فسار إليها كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

فتح تكْريتَ[١٠] والموصِل

لما افتتحَ سعدٌ المدائنَ بلغه أن أهلَ الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له

---

(١) في تاريخ الطبري : أبو بجيد .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٣٤) .
(٣) في تاريخ الطبري : ففَضَّتْ .
(٤) الخجوج من الرياح : الشديد المرّ ، وقيل هي الشديدة من كل ريح ما لم تثر عجاجاً . اللسان (خجج) .
(٥) الروامس : الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار . اللسان (رمس) .
(٦) حلوان : بليدة بقوهستان نيسابور ، وهي آخر حدود خراسان ممايلي أصبهان . معجم البلدان (٢/ ٢٩٤) .
(٧) في أ : حرسيوم ، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٣٤) .
(٨) في أ : فتسلموها .
(٩) في أ : دلوا .
(١٠) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي غربي دجلة . معجم البلدان (٢/ ٣٨) .

الأنطاق، فكتب إلى عمر بأمر جلولاء واجتماع الفرس بها، وبأمر أهل الموصل، فتقدم ما ذكرناه من كتاب عمر في أهل جلولاء ، وما كان من أمرها . وكتب عمر في قضية أهل الموصل الذين قد ٱجتمعوا بتَكْريت على الأنطاق ، أن يعيِّن جيشاً لحربهم، ويؤمّر عليه عبد الله بن المُعْتَم[١] ، وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي[٢] ، وعلى الميمنة الحارث بن حسّان الذّهلي ، وعلى الميسرة فرات بن حيان العِجْلي ، وعلى السَّاقة هانىء بن قيس ، وعلى الخيل عَرْفَجة بن هَرْثَمة . ففصل عبد الله بن المُعْتَمّ في خمسة آلاف من المدائن ! فسار في أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق، وقد اجتمع إليه جماعة من الروم، ومن الشهارجة، ومن نصارى العرب ، ومن إياد وتغلب والنمر . وقد أحدقوا بتكريت ، فحاصرهم عبد الله بن المعتمّ أربعين يوماً . وزاحفوه[٣] في هذه المدة أربعاً وعشرين مرة . ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويفلّ جموعهم ، فضَعُفَ جانبُهم ، وعزمت الرومُ على الذهاب في السفن بأموالهم وراسل عبد الله بن المعتم إلى منْ هنالك من الأعراب ، فدعاهم إلى الدخول معه في النصرة على أهل البلد ، (فجاءت القصاد) إليه عنهم بالإجابة إلى ذلك ، فأرسل إليهم : إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقِرُّوا بما جاء من عند الله . فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا ، فبعث[٤] إليهم : إن كنتُم صادقين فإذا كبّرنا وحملنا على البلد الليلةَ فأمسكوا علينا أبواب السفن ، وامنعوهم أن يركبوا فيها ، وٱقتلوا منهم منْ قدرتم على قتله . ثم شدّ عبد الله وأصحابه ، وكبّروا تكبيرة رجلٍ واحدٍ ، وحملوا على البلد ، فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى ، فحار أهل البلد ، وأخذوا في الخروج من الأبواب التي تلي دجلة ، فتلقتهم[٥] إياد والنمر وتغلب ، فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، وجاء عبد الله بن المعتم بأصحابه من الأبواب الأخر فقتل جميعَ أهلِ البلد عن بكرة أبيهم ، ولم يسلم إلا منْ أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر ، وقد كان عمر عهد في كتابه[٦] إذا نُصروا على تكريت أن يبعثوا ربعي بن الأفكل إلى الحصنين وهي الموصل سريعاً ، فسار إليها (كما أمر عمر ، ومعه سرية كثيرة ، وجماعة من الأبطال ، فسار إليها) حتى فجئها قبل وصول الأخبار إليها ، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى الصلح[٧] فضربت عليهم الذِّلَّة[٨] (عن يد) وهم صاغرون ، ثم قسمت الأموال التي تحصلت من تكريت ، فبلغ سهم الفارس

---

(١) قيده الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٧/ ٢٧٣) وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه (٨/ ٢٠٦) بضم أوله وسكون العين المهملة وفتح المثناة تليها ميم مشددة .

(٢) تحرفت في ط إلى : الغزي .

(٣) في أ : وري وراي حفرة !

(٤) في أ : فبعثوا .

(٥) في أ : فلقيهم .

(٦) في أ : أن إذا .

(٧) في أ : المصالحة .

(٨) كذا في (أ) وفي المطبوع : الذمة .

ثلاثة آلاف ، وسهم الراجل ألف درهم . وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولي إمرة حرب الموصل ربعي بن الأفكل ، وولي الخراج بها عَرْفَجة بن هَرْثَمة .

فتح ماسَبَذان[١] من أرض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى عمر بالمدائن ، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن ابعث جيشاً وأمِّر عليهم ضرار بن الخطّاب . فخرج ضرار في جيش من المدائن ، وعلى مقدمته ابن الهزيل[٢] الأسدي ، فتقدم ابن الهزيل بين يدي الجيش ، فالتقى مع آذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه، فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس، وأسر آذين بن الهرمزان، وفرَّ عنه أصحابه، وأمر ابن الهزيل فضرب عنق آذين بين يديه، وساق وراء المنهزمين حتى انتهى إلى ماسَبَذان ـ وهي مدينة كبيرة ـ فأخذها عنوة ، وهرب أهلها في رؤوس الجبال والشعاب ، فدعاهم فاستجابوا له ، وضرب على منْ لم يسلم الجزيةَ ، وأقام نائباً عليها حتى تحوّل سعد من المدائن إلى الكوفة كما سيأتي .

فتح قَرْقِيسياء وهيت[٣] في هذه السنة

قال ابن جرير[٤] وغيره: لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن وكان أهل الجزيرة قد أمدوا هرقل على أهل حمص على قتال أبي عبيدة وخالد ـ لما كان هرقل بقنسرين ـ واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت ، كتب سعد إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشاً ، وأن يؤمِّر عليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت، فوجدهم قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم حيناً فلم يظفر بهم ، فسار في طائفة من أصحابه ، واستخلف على محاصرة هيت الحارث بن يزيد ، فراح عمر ابن مالك إلى قرقيسياء فأخذها عنوة، وأنابوا إلى بذل الجزية ، وكتب إلى نائبه على هيت : إن لم يصالحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقاً ، ويجعل له أبواباً من ناحيته . فلما بلغهم ذلك أنابوا إلى المصالحة .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي[٥] : وفي هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه

---

(١) ما سَبَذان : إحدى مدن الفرس ، وأصلها ماه سبذان مضاف إلى اسم القمر . معجم البلدان (٥/ ٤١) .

(٢) كذا في أ ، ط وفي تاريخ الطبري (٤/ ٣٧) : ابن الهذيل .

(٣) قرقيسياء : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق ، وكان سعد بن أبي وقاص قد أنفذ جيشاً وهو بالمدائن إلى هيت وقرقيسيا ورئيسهم عمر بن مالك الزهري فنزلوا على حكمه . معجم البلدان (٤/ ٣٢٨) .
وهيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية . معجم البلدان (٥/ ٤٢١) .

(٤) في تاريخه (٤/ ٣٧ ـ ٣٨) .

(٥) في تاريخ الإسلام (٢/ ٢٠) طبعة مكتبة القدسي .

من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب ، ومنبج ، وأنطاكية ، على الجزية . وفتح سائر بلاد قنّسرين عنوة .

قال : وفيها افتتحت سَروج والرُّها[١] على يدي عياض بن غنم .

قال : وفيها فيما ذكر ابن الكلبي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر إيلياء فسألوا الصلح على أن يقدم عمر فيصالحهم على ذلك ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر ، فقدم حتى صالحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة .

قلت : قد تقدم هذا فيما قبلَ هذه السنة ، والله أعلم .

قال الواقدي : وفي هذه السنة حمى عمر الرَّبذة بخيل المسلمين .

وفيها غرَّب عمر أبا محجن الثقفي إلى باضع[٢] .

وفيها تزوَّج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عُبيد .

قلت : الذي قُتل يوم الجسر ، وكان أمير السّرية ، وهي أخت المختار بن أبي عُبيد أمير العراق فيما بعد ، وكانت امرأةً صالحةً ، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً .

قال الواقدي : وفيها حجَّ عمرُ بالناس ، واستخلف على المدينة زيدَ بن ثابت . قال : وكان نائبه على مكة عتّاب ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى العراق سعد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحَضْرمي ، وعلى عُمان حذيفة بن محصن ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة ، وعلى الموصل ربعي بن الأفكل ، وعلى الجزيرة عِياض بن غَنْم الأشعري .

[وضع عمر رضي الله عنه التأريخ الهجري]

قال الواقدي : وفي ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة ست عشرة ـ كتب عمر بن الخطاب التاريخ[٣] ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه في سيرة عمر ، وذلك أنه رُفع إلى عمر صكٌّ مكتوبٌ لرجل على آخر بدَيْنٍ يحلّ عليه في شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ أمن هذه السنة أم التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم . فيقال إنهم أراد بعضهم

---

(١) سَروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، غلب عياض بن غنم على أرضها ثم فتحها صلحاً على مثل صلح الرّها في سنة ١٧ في أيام عمر رضي الله عنه . معجم البلدان (٣/ ٢١٦) .
والرُّها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الذي استحدثها . معجم البلدان (٣/ ١٠٦) .

(٢) في أ : ما صنع ؛ تحريف ، وباضع : جزيرة في بحر اليمن . معجم البلدان (١/ ٣٢٤) .

(٣) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٨) والكامل في التاريخ (٢/ ٥٢٦) .

أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرَّخوا من تاريخ ولاية الذي بعده ، فكرهوا ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان إسكندر فكرهوا ذلك ، ولطوله أيضاً ، وقال قائلون : أرِّخوا من مولد رسول الله ﷺ : وقال آخرون من مبعثه عليه السلام . وأشار علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكلّ أحد فإنه أظهر من المولد والمبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابة ، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ وأرخوا من أول تلك السنة من محرَّمها ، وعند مالك رحمه الله فيما حكاه السهيلي[1] وغيره أن أول السنة من ربيع الأول لقدومه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة . والجمهورُ على أنَّ أول السنة من المحرم ، لأنه أضبطُ لئلا تختلف الشهور ، فإنَّ المحرمَ أول السنة الهلالية العربية .

وفي هذه السنة ـ أعني سنة ست عشرة ـ توفيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن جرير[2] وغير واحد ، وصلَّى عليها عمر بن الخطاب ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودُفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها ، وهي مارية القبطية ، أهداها صاحب إسكندرية ـ وهو جريج بن مينا ـ في جملة تحفٍ وهدايا لرسول الله ﷺ ، فقبل ذلك منه ، وكان معها أختُها سيرين[3] التي وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان . ويقال أهدى المقوقس معهما جاريتين أُخْرَيين[4] ، فيُحتمل أنهما كانتا خادمتين لمارية وسيرين . وأهدى معهن غلاماً خَصِيّاً اسمه مأبور ، وأهدى مع ذلك بغلةً شهباءَ اسمها الدُّلدُل ، وأهدى حلةَ حرير من عمل الإسكندرية . وكان قدوم هذه الهدية في سنة ثمان . فحَملت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم عليه السلام ، فعاش عشرين شهراً ، ومات قبل أبيه رسول الله ﷺ (بسنة سواء . وقد حزن عليه رسول الله ﷺ) وبكى عليه وقال : « تدمع العينُ ، ويحزنُ القلبُ ، ولا نقول إلا ما يُرْضي ربَّنا ، وإنا بك يا إبراهيمُ لمحزونون »[5] . وقد تقدم ذلك في سنة عشر . وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان . وقد حظيت عند رسول الله ﷺ وأُعجب بها ، وكانت جميلة ملاَّحة ، أي : حلوة ، وهي تشابه هاجر سرية الخليل ، فإن كلاًّ منهما من ديار مصر وتسرّاها نبيٌّ كريم ، وخليل جليل ، عليهما السلام .

* * *

---

(١) في الأصل والمطبوع : حكاه عن السهيلي ، و(عن) مقحمة .
(٢) في تاريخه (٤/ ٣٨) .
(٣) في أ ، ط : شيرين ، وما أثبتنا عن الاستيعاب (٤/ ١٨٦٨) والإصابة (٤/ ٣٣٩) .
(٤) في ط : أخرتين ؛ وهو تحريف .
(٥) الحديث عن أنس رضي الله عنه ، وهو في مسند أحمد (٣/ ١٩٤) ومسلم في صحيحه (٢٣١٥) في الفضائل ، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٦٢) رقم (٢٩٠٢) في الجنائز .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

في المُحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أنَّ الصحابةَ استوخموا[١] المدائن ، وتَغيَّرتْ ألوانُهم ، وضعفتْ أبدانُهم ، لكثرةِ ذبابها وغبارها ، فكتبَ سعدٌ إلى عمر في ذلك ، فكتب (عمر) : إنَّ العربَ لا تصلحُ إلا حيثُ يوافق إبلَها . فبعث سعدٌ حُذَيْفة وسلمان (بن زياد) يرتادان[٢] للمسلمين منزلاً مناسباً يصلحُ لإقامتهم . فمرَّا على أرض الكوفة ، وهي حصباء في رملة حمراء ، فأعجبتهما ووجدا هنالك ديرات ثلاث[٣] دير حرقة بنت النعمان ، ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، وبين ذلك خصاص[٤] خلال هذه الكوفة ، فنزلا فصلَّيا هنالك ، وقال كل واحد منهما : اللهم ربَّ السماء وما أظَلَّتْ ، وربَّ الأرض وما أقلَّتْ ، وربَّ الريح وما ذَرَتْ ، والنجوم وما هَوَتْ ، والبحار وما جَرَتْ ، والشياطين وما أضلَّتْ ، والخصاص وما أجنَّتْ ، باركْ لنا في هذه الكوفة واجعلها منزلَ ثباتٍ ، ثم كتبا إلى سعد بالخبر .

فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمها ، فكان أول بناء[٥] وضع فيها المسجد . وأمر سعد رجلاً رامياً شديد الرمي ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيثُ سقطَ سهمُه بنى الناسُ منازلهم ، وعَمَّر قصراً تلقاءَ[٦] محراب المسجد للإمارة وبيت المال ، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب ، فاحترقت[٧] في أثناء السنة ، فبنوها باللَّبِنِ عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحدَّ . وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفةَ ، وأمر سعد أبا هَيّاج[٨] الموكل بإنزال الناس فيها بأن يعمُروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعاً . ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً ، وللأزقَّة سبعة أذرع . وبُني لسعد قصرٌ قريبٌ من السُّوق ، فكانت غوغاء الناس [تمنع] سعداً من الحديث ، فكان يغلق بابه ويقول : سكِّنِ الصويت ، فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطباً ويحرق باب القصر ثم يرجع من فوره . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر ، وأمر سعداً أن لا يغلق بابه عن الناس ، ولا يجعل على

---

(١) بلدة وَخِمَة ووخيمة إذا لم يوافق سكنُها وقد استوخمتُها . اللسان (وخم) .

(٢) في أ : يريدان ؛ والمثبت هو الأشبه .

(٣) في أ : ثلاث ديرات حربة ابن النعمان . وما هنا موافق للسان (دير) .

(٤) الخصاص : جمع خص وهو البيت من الشجر أو القصب . اللسان (خصص) .

(٥) في أ : أول ما وضع .

(٦) في أ : قصراً أبلقاً .

(٧) في أ : فاحترق .

(٨) في تاريخ الطبري (٤/ ٤٤) : أبو الهيّاج بن مالك .

بابه أحداً يمنع الناس عنه ، فامتثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله ، ورجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصفاً[١] ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

قصة أبي عبيدة وحصر الروم له بحمص وقدوم عمر إلى الشام [أيضاً لينصره]

وذلك أن جمعاً من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص ، واستجاشوا[٢] بأهل الجزيرة ، وخلق ممن هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنّسرين ، وكتب إلى عمر بذلك ، واستشار أبو عبيدة المسلمين في أن يناجر[٣] الروم ، أو يتحصَّنَ بالبلد حتى يجيء أمرُ عمر ؟ فكلّهم أشار بالتَّحصُّنِ ، إلا خالداً فإنه أشار بمناجزتهم ، فعصاهُ وأطاعهم . وتحصَّن بحمص وأحاط به الروم ، وكلُّ بلدٍ من بلدان الشام مشغولٌ أهلُه[٤] عنه بأمرهم ، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لا نخرم النظام في الشام كله .

وكتب عمر إلى سعد أن يندبَ الناس مع القعقاع بن عمرو ، ويسيّرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب ، نجدة لأبي عبيدة فإنه محصورٌ ، وكتب إليه أن يُجهِّز جيشاً إلى أهل الجزيرة الذين مالؤوا الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عِياض بن غَنْم . فخرج الجيشان معاً من الكوفة : القعقاع في أربعة آلاف نحو حمص لنجدة أبي عبيدة ، وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة ، فبلغ الجابية ، وقيل إنما بلغ سَرْغ . قاله ابن إسحاق ، وهو أشبه ، والله أعلم .

فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم ، انشمروا[٥] إلى بلادهم ، وفارقوا الروم ، وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً . وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهُزمت الرومُ هزيمةً فظيعةً . وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الأمداد إليهم بثلاث ليالٍ . فكتب أبو عبيدة إلى عمر ، وهو بالجابية ، يخبره بالفتح ، وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله[٦] هل يدخلهم في القَسْم معهم مما أفاء الله عليهم ؟ فجاء الجوابُ بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فإنَّ العدوَّ إنما ضعف ، وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم ، فأشركهم أبو عبيدة في

---

(١) في أ ، ط : ونصف ، وما هنا أقرب للسياق . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٠) .
(٢) استجاشه : أي طلب منه جيشاً . اللسان (جيش) .
(٣) في أ : أن يناجزوا .
(٤) في أ : مشغول بأهله .
(٥) انشمروا : عادوا ورجعوا .
(٦) في أ : وسألهم ؛ وهو خطأ .

الغنيمة . وقال عمر : جزى الله أهل الكوفة خيراً يحمون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

فتح الجزيرة

(قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة فتحت الجزيرة[٢] فيما قاله سيف بن عمر) . قال ابن جرير : في ذي الحجة من سنة سبعَ عشرةَ . فوافقَ سيف بن عمر في كونها في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان ذلك في سنة تسع عشرة . سار إليها عياض بن غنم . وفي صحبته أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وهو غلام صغير السنّ ليس إليه من الأمر شيء ، وعثمان بن أبي العاص . فنزل الرُّها فصالحه أهلها على الجزية ، وصالحت حَرَّان على ذلك . ثم بعث أبا موسى (الأشعري) إلى نَصيبين ، وعمر بن سعد إلى رأس العين ، وسار بنفسه إلى دارا ، فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية ، فكان عندها شيء من قتال ، قتل فيه صفوان بن المُعطَّل السُّلمي شهيداً . ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزية ، على كل أهل بيت دينار .

وقال سيف في روايته : جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان فسلك على رجليه حتى انتهى إلى الموصل فعبر إلى بلد حتى انتهى إلى نَصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرّقَّة . وبعث إلى عمر برؤوس النصارى من عرب أهل الجزيرة ، فقال لهم عمر : أدُّوا الجزيةَ . فقالوا : أبْلِغْنا مأمننَا فَوالله لئن وضعت علينا الجزية لندخلن[٣] (أرض الروم) ، والله لتفضحنا من بين العرب . فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسَكم ، وخالفتم أُمتكم ، ووالله لتؤدُنَّ الجزيةَ وأنت صَغَرَةٌ قَمَأَةٌ[٤] ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبنَّ فيكم ، ثم لأسبينَّكم . قالوا : فخذ منا شيئاً ولا تُسمِّه[٥] جزية . فقال : أما نحن فنسميه جزية ، وأما أنتم فسمُّوه ما شئتم . فقال له علي بن أبي طالب : ألم يُضْعف عليهم سعد الصدقة ؟ قال : بلى : وأصغى إليه ورضي به منهم .

[قدوم عمر رضي الله عنه إلى الشام]

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام فوصل إلى سَرْغ في قول محمد بن إسحاق ، وقال سيف : وصل إلى الجابية . قلت : والأشهر أنه وصل سَرْغ ، وقد تلقّاه

---

(١) في تاريخه (٤/ ٥٣) .
(٢) في ط : الجزائر . وما هنا عن الطبري .
(٣) في أ : لنرحلن ؛ تحريف .
(٤) صَغَرة : من الصَّغَر والصَّغار وهو الذل والهوان . اللسان (صغر) . قَمأة : جمع قميء من قمأ الرجل وغيره : ذلَّ وصَغُر وصار قميئاً . اللسان (قمأ) .
(٥) في أ ، ط : تُسمِّيه ، وما هنا للسياق النحوي .
(٦) في تاريخه (٤/ ٥٦) .

أمراءُ الأجناد ، أبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، إلى سَرْغ فأخبروه بأن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه ، فمن قائل يقول : أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه . ومن قائل يقول : لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله ﷺ على هذا الوباء . فيقال إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد[١] . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ! نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة ، فإن رعيت الخِصبة رعيتها بقدر الله ، وإن أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم قال : لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة .

قال ابن إسحاق في روايته وهو في صحيح البخاري[٢] : وكان عبد الرحمن بن عوف متغيباً في بعض شأنه ، فلما قدم قال : إن عندي من ذلك علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه » . فحمد الله عمر ـ (يعني) لكونه وافق رأيه ـ ورجع بالناس .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب[٤] بن أبي ثابت ، عن إبراهيم بن سعد ، عن سعد بن مالك بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت وأسامة بن زيد قالوا : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ هذا الطاعون رجزٌ وبقيةُ عذابٍ عُذِّب به قومٌ قبلكم ، فإذا وقع بأرض وأنتم بها[٥] فلا تخرجوا منها فراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تدخلوا عليه » .

ورواه (الإمام) أحمد[٦] أيضاً من حديث سعيد بن المسيّب ويحيى بن سعد[٧] ، عن سعد بن أبي وقاص به .

قال سيف بن عمر[٨] : كان الوباء قد وقعَ بالشام في المُحَرَّم من هذه السنة ثم ارتفع ، وكأن سيفاً يعتقدُ أنَّ هذا الوباء هو طاعون عَموَاس ، الذي هلك فيه خلق من الأمراء ووجوه المسلمين ، وليس الأمر كما زعم ، بل طاعون عَمَواس ، من السنة المستقبلة بعد هذه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزمَ على أن يطوفَ البلدان ، ويزورَ الأمراء . وينظر

---

(١) في أ : من الغزو .

(٢) صحيح البخاري (٥٧٢٩) في الطب .

(٣) في المسند (١/ ١٨٢ و٥/ ٢١٣) ، وإسناده صحيح .

(٤) في ط : « سفيان بن حسين » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وسفيان هو الثوري .

(٥) في ط : فيها ، وما هنا عن أ والمسند .

(٦) في المسند (١/ ١٧٤ و١٨٠ و١٨٦) من حديث سعيد بن المسيب .

(٧) في ط : « سعيد » وهو خطأ ، وهو يحيى بن سعد بن أبي وقاص ، وروايته عن أبيه أخرجها أحمد في المسند كما ذكر المصنف في (١/ ١٧٣ و١٧٥ و١٧٦) .

(٨) تاريخ الطبري (٤/ ٥٨) .

فيما اعتمدوه وما آثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة فمن قائلٍ يقولُ إبدأ بالعراق ، ومن قائل يقول بالشام . فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قَسْمِ مواريث منْ مات من المسلمين في طاعون عمواس ، فإنه أشكل قَسْمُها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك . وهذا يقتضي أن عمر عزمَ على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون في سنة ثماني عشرة كما سيأتي ، فهو قدوم آخر غير قدوم سَرْغ . والله أعلم .

قال سيف : عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان قالوا : قال عمر : ضاعت مواريثُ الناس بالشام ، أبدأ بها فأقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع فأتقلّب في البلاد وأنبذ إليهم أمري . قالوا : فأتى عمر الشام أربعَ مراتٍ مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع عشرة . (ولم يدخلها في الأولى من الأخريين . وهذا يقتضي ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس في سنة سبع عشرة) وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد ، فذهبوا إلى أنه كان في سنة ثماني عشرة . وفيه توفي أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان ، وغيرهم من الأعيان ، على ما سيأتي تفصيله[١] إن شاء الله تعالى .

[ذكر] شيءٍ من أخبار طاعون عَمَواس[٢]

الذي توفي فيه أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشراف الصحابة وغيرهم ، أورده ابن جرير[٣] في هذه السنة .

قال محمد بن إسحاق[٤] : عن شعبة ، عن المخارق[٥] بن عبد الله البَجَلي عن طارق بن شهاب البَجَلي قال : أتينا أبا موسى ، وهو في داره بالكوفة ، لنتحدَّث عنده ، فلما جلسنا قال : لا تَخفّوا[٦] فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تتنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها ، حتى يرتفع[٧] هذا البلاء ، فإني سأخبركم بما يكرَه مما يتقى ، من ذلك أن يظنَّ منْ خرج أنه لو

---

(١) في أ : تعيينه .

(٢) عَمَواس : ـ ورواه الزمخشري بكسر أوله ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ـ وهي كورة من فلسطين بالقرب من فلسطين ، ومنها كان ابتداء الطاعون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن غيرهم وذلك في سنة ١٨ للهجرة . معجم البلدان (٤/ ١٥٧ ـ ١٥٨) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٦٠) .

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٦٠ ـ ٦١) .

(٥) في ط : « المختار » ، محرف ، وهو مخارق بن عبد الله بن جابر ، ويقال : مخارق بن خليفة ، من رجال التهذيب .

(٦) في أ ، ط : تحفوا ، وما هنا عن تاريخ الطبري .

(٧) في أ : يرفع هذا الوباء .

قام مات ! ويظن منْ أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يُصِبْهُ ، فإذا لم يظنّ ذلك هذا المـرءُ المسلمُ فلا عليه أن يخرجَ وأن يتنزَّه عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عَمَواس ، فلما اشتعل[١] الوجعُ وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : أن سلامٌ عليكَ ، أمّا بعد ، فإنّه قد عرضَت لي إليكَ حاجةٌ أريدُ أن أشافِهَكَ بها ، فعزمتُ عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تُقبل إليَّ .

قال : فعرفَ أبو عبيدة أنَّه إنَّما أرادَ أن يستخرجَه من الوباء ، فقال : يغفر اللهُ لأميرِ المؤمنين . ثم كتبَ إليه يا أمير المؤمنين إنّي قد عرفت حاجتَكَ إليَّ ، وإني في جندٍ من المسلمين لا أجدُ بنفسي رغبةً عنهم ، فلستُ أريدُ فراقهم حتى يقضيَ الله فيّ وفيهم أمرَهُ وقضاءَهُ ، فخلِّني من عزمتك[٢] يا أمير المؤمنين ، ودعني في جندي[٣] .

فلما قرأ عمر الكتابَ بكى . فقال الناس : يا أمير المؤمنين أماتَ أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأن قد . قال : ثم كتب إليه سلام : عليك (أما بعد فإنك)[٤] أنزلت الناس أرضاً عميقة فٱرفعهم إلى أرضٍ مرتفعةٍ نزهةٍ .

قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعاني فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فٱخرج فٱرتد للناس منزلًا حتى أتبعك بهم ، فرجعتُ إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت ، فرجعتُ إليه وقلتُ : والله لقد كان في أهلي حدثٌ . فقال : لعلَّ صاحبتَك قد أصيبتْ ؟ قلت : نعم ، فأمر ببعير فرحِّل له ، فلما وضع رجلَه في غرْزِهِ طُعِنَ فقال : والله لقد أُصِبْتُ ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابيةَ ورفعَ عن الناس الوباءَ .

وقال محمد بن إسحاق[٥] ، عن أبان بن صالح ، عن شهر بن حوشب ، عن رابّه ـ رجلٍ من قومه ـ وكان قد خلف على أمّه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عَمَواس . قال : لما اشتعل الوجعُ قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجعَ رحمةُ ربِّكم[٦] ودعوةُ نبيّكم وموتُ الصالحين قبلكم (وإنَّ أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظَّه ، فطُعِنَ ، فماتَ وٱستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيباً بعده . فقال : أيّها الناسُ ، إنَّ هذا الوجع رحمة ربِّكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم) وإن معاذاً يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظَّهم ، فطُعِنَ ابنهُ عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا

---

(١) في أ : استقل ؛ تحريف .

(٢) في أ : عزيمتك .

(٣) في أ : ودعني وجندي .

(٤) في أ : وإني أنزلت .

(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٦١ ـ ٦٢) .

(٦) في ط : رحمة بكم .

لنفسه ، فطُعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليهـا ، ثم يقلب[١] ظهر كفه ، ثم يقول : ما أحبُّ أنَّ لي بما (فيك) شيئاً من الدنيا . فلما ماتَ استخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس ، إن هذا الوجعَ إذا وقعَ فإنّما يشتعلُ اشتعالَ النار ، فتحصَّنوا[٢] منه في الجبال . فقال أبو واثلة[٣] الهُذَليّ : (كذبت) والله لقد صحبتُ رسولَ الله ﷺ وأنت شرٌ من حماري هذا . فقال : والله ما أردّ عليك ما تقول ، وأيم الله لا نقيم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناسُ فتفرقوا ودفعه الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه .

قال ابن إسحاق : ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ، أمَّر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمّر شُرحْبيل بن حَسَنة على جندِ الأردن وخراجها .

(وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا : لما كان طاعون عَمَواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه ، وفني خلق كثيرٌ من الناس ، حتى طمع العدوّ وتخوفتْ قلوبُ المسلمين لذلك .

قلتُ : ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لمَّا أشكل أمرها على الأمراء . وطابت قلوب الناس بقدومه ، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام ولله الحمد والمنة .

([٤] وقال سيف ـ بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة ـ قال : فلما أراد القُفول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا إني قد وليِّتُ عليكم وقضيتُ الذي عليَّ في الذي ولَّاني اللهُ من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا[٥] بينكم فيأكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغناكم ما لدينا ، فجنَّدنا لكم الجنود ، وهيَّأنا لكم الفُروج[٦] وبوأنا لكم ، ووسعنا عليكم ما بلغَ فَيْؤُكُمْ وما قاتلتم عليه من شامكم ، وسمينا لكم أطعماتكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم . فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال وحضرت الصلاة فقال الناس : لو أمرتَ بلالاً فأذَّن ؟ فأمره فأذَّنَ فلم يبقَ أحدٌ كان أدرك رسولَ الله وبلال يؤذن إلَّا بكى[٧] حتى بلَّ لحيتَه ، وعمرُ أشدُّهم بكاءً ، وبكى من لم يدركه لبكائهم ولذكره ﷺ .

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٦٢) : يقبِّل .

(٢) في تاريخ الطبري : فتجبَّلوا ، وفي هامشه : تجبل القوم أي دخلوا في الجبل .

(٣) في أ ، ط : أبو وائل ؛ خطأ ، والمثبت من تاريخ الطبري (٤/ ٦٢) والإصابة (٤/ ٢١٥) وأبو واثلة الهذلي : صحابي شهد فتوح الشام وخبره هذا ، أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق المختصر (٢٩/ ١٧٤) .

(٤) سيرد ما بين القوسين في أ قبل فقرة (كائنة غريبة) .

(٥) في تاريخ الطبري : قسطنا .

(٦) في أ : فيأكم وبوأنا ، وفي ط : العروج ؛ وهو تحريف . والفروج : هي الثغور . النهاية (٣/ ٤٢٣) .

(٧) في أ : إلَّا وبكى .

وذكر ابن جرير[١] في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد أن عمر بن الخطاب بعث ينكر على خالد بن الوليد في دخوله إلى الحمام ، وتدلكه بعد النُّورة بعصفر معجون بخمر ، فقال في كتابه : إن الله قد حرَّم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرَّم ظاهر الإثم وباطنه ، وقد حرم مسّ الخمر فلا تمسّوها أجسامكم فإنها نجس ، فإن فعلتم فلا تعودوا . فكتب إليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر . فكتب إليه عمر : إني أظنّ أن آل المغيرة قد ٱبتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فٱنتهى لذلك[٢]) .

قال سيف : وأصاب أهلَ البصرة تلك السنة طاعونٌ أيضاً فماتَ بشرٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، رحمهم الله ورضي الله عنهم أجمعين .

قالوا : وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة . فقال المهاجر بن خالد[٣] في ذلك : [من السريع]

مـنْ يسكـنِ الشَّـام يُعـرِّسْ بـهِ والشّـامُ إنْ لـمْ يُفْننـا كـاربُ
أفنـى بنـي رَيْطـة فُرسـانهُـمُ عِشْرون لمْ يُقْصصْ لهم شاربُ
ومـنْ بنـي أعْمـامِهـمْ مِثْلهـمْ لِمِثْلِ هذا يعجبُ[٤] العاجبُ
طَعْنـاً وطـاعـونـاً منـايـاهُـمُ ذلـكَ مـا خـطَّ لنـا الكـاتـبُ

كائنةٌ غَريبةٌ فيها عزل خالد عن قِنَّسرين أيضاً

قال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، أي : سلكا درب الروم وأغارا عليهم ، فغنموا أموالاً عظيمة وسبياً كثيراً . ثم روى من طريق سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع وأبي المجالد ، قالوا : لما رجع خالدٌ ومعه أموالٌ جزيلةٌ من الصائفة انتجعه الناس يبتغون رفده ونائله ، فكان ممَّن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف ، فلما بلغ ذلك عمر[٦] كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويكشف عمامته وينزع عنه قلنسوته ويقيّده بعمامته ويسأله عن هذه العشرة آلاف ، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سَرَفٌ ، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة[٧] ، ثم اعزله عن عمله . فطلب أبو عبيدة خالداً وصعد أبو عبيدة المنبر ، وأقيم خالد بين يدي المنبر ، وقام إليه بلال ففعل

---

(١) في تاريخه (٤/ ٦٦) .
(٢) في تاريخ الطبري : إليه ذلك .
(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٦٥) للمهاجر بن خالد بن الوليد .
(٤) في أ : عجب ، وفي تاريخ الطبري : أعجب .
(٥) في تاريخه (٤/ ٦٦) .
(٦) في أ : فلما بلغ عمر ذلك .
(٧) في أ : جناية .

ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد[١] الذي قدم بالكتاب . هذا وأبو عبيدة ساكتٌ لا يتكلّمُ ، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير ٱختياره وإرادته ، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك . ثم سار خالد إلى قِنَّسرين فخطب أهل البلد وودَّعهم[٢] ، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضاً وودعهم وسار إلى المدينة ، فلما دخل (خالد على) عمر أنشد عمر قول الشاعر[٣] : [من الطويل]

صَنَعْتَ فَلَمْ يَصْنعْ كَصُنعكَ صانعٌ   وما يَصْنع الأقْوامُ فَاللهُ صانِعُ

ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف ، فقال : من الأنفال والسهمان . قال : فما زاد على الستين ألفاً فلك ، ثم قوَّم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال : والله إنك عليّ لكريم ، وإنك إليّ لحبيب ، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء .

وقال سيف[٤] ، عن عبد الله ، عن المستورد ، عن أبيه ، عن عدي بن سهل[٥] قال : كتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت (أن يعلموا) أن الله هو الصانعُ .

ثم رواه سيف ، عن مبشِّر ، عن سالم ، قال : لما قدم خالد على عمر . . . فذكر مثله . قال الواقدي :

وفي هذه السنة اعتمر عمر في رجب منها ، وعمَّر في المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم ، أمر بذلك لمخرمة بن نوفل ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العُزَّى ، وسعيد بن يربوع .

قال الواقدي : وحدَّثني كثير بن عبد الله المرّي ، عن أبيه ، عن جده قال : قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة ، فمر في الطريق فكلّمه أهل المياه أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة ـ ولم يكن قبل ذلك بناء ـ فأذنَ لهم وشرطَ عليهم أنَّ ابن السبيل أحقُّ بالظلِّ والماء .

قال (الواقدي) : وفيها تزوَّج عمر بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ودخل بها في ذي القعدة . وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمهرها أربعين ألفاً ، وقال : إنما تزوجتُها لقول رسول الله ﷺ « كل سبب ونسب فإنه ينقطعُ يومَ القيامة إلَّا سببي ونسبي »[٦]

---

(١) في أ : والبريدي .
(٢) في أ : وودهم .
(٣) في أ : فلما دخل عمر أنشده .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٦٨) .
(٥) في تاريخ الطبري : ابن سهيل .
(٦) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٣٥)، الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢) وغيرهما وهو حديث حسن.

[ذكر خبر عزل المغيرة بن شعبة عن البصرة وولاية أبي موسى]

قال : وفي هذه السنة ولَّى عمر أبا موسى الأشعري البصرة ، وأمره أن يشخصَ إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول . فشهد عليه فيما حدَّثني معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أبو بكرة ، وشبل بن معبد البَجَلي ، ونافع بن عبيد ، وزياد . ثم ذكر الواقدي وسيف[١] هذه القصة وملخصها :

أن امرأةً كان يُقال لها أمَّ جميل بنتَ الأفْقَم ، من نساء بني عامر بن صعصعة ، ويقال من نساء بني هلال . وكان زوجُها من ثقيف قد توفي عنها ، وكانت تغشى نساءَ الأمراءِ والأشرافِ ، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شُعبة وهو أمير البصرة ، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبي بكرة ، وكان بينهما الطريقُ ، وفي دار أبي بكرة كُوَّةٌ تُشرفُ على كُوَّةٍ في دار المغيرة ، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبي بكرة شَنَآنٌ[٢] . فبينما أبو بكرة في داره وعنده جماعة يتحدَّثون في العُلِّيَّةِ[٣] ، إذ فَتحتِ الريحُ بابَ الكُوَّة فقام أبو بكرة ليُغلقها ، فإذا كوةُ المغيرة مفتوحة ، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجليها ، وهو يُجامعها ، فقال أبو بكرة لأصحابه : تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأمِّ جميل . فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة ، فقالوا لأبي بكرة : ومن أين قلتَ إنها أم جميل ؟ ـ وكان رأساهما من الجانب الآخر ـ . فقال : انتظروا ، فلما فرغا قامت المرأة فقال أبو بكرة : هذه أم جميل . فعرفوها فيما يظنون . فلما خرج المغيرة ـ وقد اغتسل ـ ليصلّي بالناس منعه أبو بكرة أن يتقدم .

وكتبوا إلى عمر في ذلك ، فولى عمر أبا موسى (الأشعري) أميراً على البصرة . وعزل المغيرة ، فسار إلى البصرة فنزل البرد[٤] . فقال المغيرة : والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً (ولا جاء) إلا أميراً . ثم قدم أبو موسى على الناس ، وناولَ المغيرةَ كتاباً من عمر هو أوجز كتاب فيه : أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلِّم ما في يديك والعجل . وكتب إلى أهل البصرة : إني قد وليتُ عليكم أبا موسى ليأخذ من قويكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دينكم ، وليجبي لكم فيأكم (ثم ليقسمه بينكم) وأهدى المغيرة لأبي موسى جاريةً من مولدات الطائف تُسمَّى عقيلة (وقال : إنّي رضيتُها لك ، وكانت فارهةً[٥] . وارتحل المغيرة والذين شهدوا عليه) وهم أبو بكرة ، ونافع بن كلدة ، وزياد بن أمية ، وشبل بن معبد البجلي . فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة . فقال المغيرة : سَلْ هَؤلاء الأعبد كيف رأوني ؟ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها ، فإن كانوا مستقبلي فكيف لم

---

(١) القصة بكاملها في تاريخ الطبري (٤/ ٦٩ ـ ٧٢) .

(٢) يقال : شنئته أشنؤُه شَنْئاً وشنآناً : أبغضته . النهاية (٢/ ٥٠٣) .

(٣) علِّيَه ـ هي بضم العين وكسرها ـ الغرفة والجمع العلالي . النهاية (٣/ ٢٩٥) والقاموس (علا) .

(٤) في أ : فبرد البريد .

(٥) جارية فارهة : إذا كانت حسناء مليحة . اللسان (فره) .

يستتروا[١] ؟ أو مستدبريَّ فكيف استحلّوا النظر في منزلي على[٢] امرأتي ؟ والله ما أتيت إلا امرأتي وكانت تشبهها . فبدأ عمر بأبي بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة ، قال : كيف رأيتهما ؟ (قال) : مستدبرهما . قال : فكيف استبنت[٣] رأسها[٤] قال : تحاملتُ . ثم دعا شبل بن معبد فشهد بمثل ذلك ، فقال استقبلتهما أم استدبرتهما ؟ قال : استقبلتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكرة ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال : رأيته جالساً بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان وآستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاناً[٥] شديداً . قال : هل رأيت كالميل[٦] في المكحلة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها . قال : فتنحَّ . وروي أن عمر رضي الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة فجُلدوا الحدَّ ، وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور : ١٤] فقال المغيرة : آشفني من الأعبد . قال : اسكت ، أسكتَ اللهُ فاكَ ، والله لو تمَّتِ الشهادة لرجمناكَ بأحجارِكَ .

فتح الأهْواز ومَنَاذِر[٧] ونهر تِيْرَى[٨]

قال ابن جرير[٩] : كان في هذه السنة ، (وقيل : في سنة) ست عشرة . ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهُرْمزان كان قد تغلَّب على هذه الأقاليم (وكان ممَّنْ فَرَّ يوم القادسية من الفرس ، فجهَّز أبو موسى من البصرة ، وعتبة) بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله ، فنصرهم الله عليه ، وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دجيل ، وغنموا من جيشه ما أرادوا ، وقتلوا من أرادوا ، ثم صانعَهم وطلب مصالحتهم عن بقية بلاده ، فشاوروا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه ، وبعث بالأخماس والبشارة إلى عمر ، وبعث وفداً فيهم الأحنف بن قيس . فأعجب عمر به وحظي عنده . وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته والاستعانة برأيه . ثم نقض الهُرْمزان العهد والصلح ، واستعان بطائفةٍ من الأكراد ، وغرَّته نفسه ، وحَسَّن له الشيطانُ عملَه في ذلك . فبرز إليه المسلمون فنُصِروا عليه وقتلوا من جيشه جماً غفيراً ، وخلقاً كثيراً ،

---

(١) في تاريخ الطبري : لم أستتر .
(٢) في أ : إلى .
(٣) في تاريخ الطبري : استثبتَّ .
(٤) في أ : رؤوسهما .
(٥) حفزاناً : النفس الشديد المتتابع . اللسان (حفز) .
(٦) في أ : كالمرود .
(٧) مناذر : قرية من قرى الأهواز . وهما قريتان . معجم ما استعجم (٤/ ١٢٦٣) ومعجم البلدان (٥/ ١٩٩) .
(٨) تيرى : مقصور : نهر تيرى من نواحي الأهواز . معجم البلدان (٢/ ٦٦) .
(٩) في تاريخه (٤/ ٧٢) .

وجمعاً عظيماً ، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تُسْتَرَ[١] ، فتحصن بها ، وبعثوا إلى عمر بذلك . وقد قال الأسود بن سريع في ذلك ـ وكان صحابياً رضي الله عنه[٢] ـ [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما أضاعَ بنو أبينا[٣] ولكنْ حافَظوا فيمنْ يُطِيعُ[٤]
أطاعوا ربَّهُم وعَصاهُ قَوْمٌ أضاعوا أمْرَهُ فيمَنْ يُضيعُ
مَجوسٌ لا يُنَهْنِهُها كِتابٌ فلاقوا كبَّةً فيها قبوعُ
وولّى الهُرْمزانُ على جَوادٍ سريعِ الشدِّ يَثْفِنُهُ[٥] الجميعُ
وخَلَّى سُرَّةَ الأهوازِ كَرْهاً غَداةَ الجِسْرِ إذ نجَمَ[٦] الرَّبيعُ

وقال حُرْقوص بن زهير السَّعدي وكان صحابياً أيضاً : [من الوافر]

غَلَبْنا الهُرْمُزانَ على بلادٍ لها في كلِّ ناحيةٍ ذخائرْ
سواءٌ بَرُّهمْ والبَحْرُ فيها إذا صارت نواحيها[٧] بَواكرْ
لها بَحْرٌ يَعجّ بجانِبَيْهِ جَعَافِرُ[٨] لا يزالُ لها زواخِرْ

فتح تُسْتَر المرَّة الأولى صلحاً

قال ابن جرير[٩] : كان ذلك في هذه السنة في قول سيف وروايته . وقال غيره : في سنة ست عشرة وقال غيره : كانت في سنة تسع عشرة . ثم قال ابن جرير : ذكر الخبر عن فتحها ، ثم ساق من طريق سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو[١٠] قالوا : ولما افتتح حُرْقُوص بن زُهَيْر سوق الأهواز ، وفرَّ الهُرْمزان بين يديه ، فبعث في إثره جَزْء بن معاوية ـ وذلك عن كتاب عمر بذلك ـ فما زال جَزْء يتبعه حتى انتهى إلى رامَهُرْمُز[١١] فتحصن الهُرْمزان في بلادها ، وأعجز جَزْءاً تَطلُّبُهُ ، واستحوذ جَزْء على تلك البلاد

---

(١) تُسْتر : ـ بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء ـ أعظم مدينة بخوزستان . معجم البلدان (٢/ ٢٩) .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٧٦) .
(٣) في أ : بنوبنينا ؛ تحريف .
(٤) في أ ، ط : يطيعوا ، وما هنا عن تاريخ الطبري وهو الأشبه .
(٥) في أ : يتبعه ، والروايتان بمعنى واحد .
(٦) نجم طلع . اللسان (نجم) .
(٧) كذا في أ ، ط . وفي تاريخ الطبري : نواجبها .
(٨) الجعافر : جمع جعفر ، وهو النهر . اللسان (جعفر) .
(٩) في تاريخه (٤/ ٧٧) .
(١٠) في أ : وعمر ؛ خطأ .
(١١) رامَهُرْمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان ، وهي من بين مدن خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج . معجم البلدان (٣/ ١٧) .

والأقاليم والأراضي ، فضرب الجزية على أهلها ، وعمر عامرها ، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها ، فصارت في غاية العمارة والجودة . ولما رأى الهُرْمُزان ضيقَ بلاده عليه لمجاورة المسلمين ، طلب من جَزْء بن معاوية المصالحة ، فكتب إلى حُرْقوص ، فكتب حرقوص إلى عُتبة بن غزوان ، وكتب عتبة إلى عمر في ذلك . فجاء الكتاب العمري بالمصالحة على رامهُرْمز ، وتُسْتَر ، وجُنْدَيْ سابور[1] ، ومدائن أخر مع ذلك . فوقع الصلحُ على ذلك كما أمر به عمر رضي الله عنه .

ذكر غزو (بلاد) فارس من ناحية البحرين
(عن)[2] ابن جرير عن سيف

وذلك أنَّ العلاء بن الحَضْرمي كان على البحرين في أيام الصدِّيق، فلما كان عمر عزله عنها وولاها لقدامة بن مظعون . ثم أعاد العلاءَ بن الحضْرمي إليها . وكان العلاء بن الحضرمي يباري سعد بن أبي وقاص. فلما افتتح سعد القادسية، وأزاح كسرى عن داره، وأخذ حدود ما يلي السواد، واستعلى وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمي من ناحية البحرين. فأحب (العلاء) أن يفعل فعلاً في فارس نظيرَ ما فعله سعدٌ فيهم، فندب الناس إلى حربهم، فاستجاب له (أهل) بلاده ، فجزَّأهم أجزاء ، فعلى فرقة الجارود بن المُعلَّى، وعلى الأخرى السوّار بن همام، وعلى الأخرى خُلَيْد بن المُنْذر بن ساوَى، وخُليد هو أمير الجماعة. فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك ـ وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله ﷺ وأبا[3] بكر (ما) غزيا فيه المسلمين ـ فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخر ، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم ، فقام في الناس خُليد بن المنذر فقال : أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب، واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في مكان من الأرض يدعى طاوُس ، ثم أمر خُليد المسلمين فترجّلوا وقاتلوا فصبروا ، ثم ظفروا فقتلوا فارس مقتلةً لم يُقتلوا قبلها مثلَها . ثم خرجوا يريدون البصرةَ فغرقت بهم سفنهم ، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً ، ووجدوا شَهْرَك في أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق ، فعسكروا وامتنعوا من العدو . ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي، اشتد غضبُه عليه ، وبعث إليه فعزله وتوعَّده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه . فقال : الحق بسعد بن أبي وقاص (فخرج العلاءُ إلى سعد بن أبي وقاص) مضافاً إليه ، وكتب عمر إلى عُتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فأقطعهم أهل فارس وعصاني ،

---

(١) جُنْديسابور : مدينة بخوزستان ، خصبة واسعة الخير بها النخل والزروع والمياه .
(٢) في أ : وذلك فيما حكاه . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٧٩) .
(٣) في أ : ولى أبا بكر ؛ خطأ .

وأظنّه لم يردِ اللهَ بذلك، فخشيتُ عليهم إلّا يُنصروا ، أن يُغْلبوا ويُنْشَبوا[(١)] ، فاندب إليهم الناسَ واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا . فندب[(٢)] عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك ، فانتدب جماعة من الأمراء الأبطال ، منهم هاشم بن أبي وقاص ، وعاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هَرْثمة ، وحذيفة بن محصن ، والأحْنف بن قيس ، وغيرهم ، في اثني عشر ألفاً . وعلى الجميع (أبو) سَبْرة بن أبي رُهْم . فخرجوا على البغال يجنبون الخيل سراعاً ، فساروا على الساحل لا يلقون أحداً حتى انتهوا إلى (موضع) الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء ، وبين أهل فارس بالمكان المسمى بطاوُس ، وإذا خُلَيد بن المنذر ومن معه[(٣)] من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب ، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه ، وقد تكاملت أمداد المشركين ، ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم ، فالتقوا مع المشركين رأساً ، فكسر أبو سبرة المشركين كسرةً عظيمةً . وقتل منهم مقتلةً عظيمةً جداً. وأخذ منهم أموالاً جزيلةً باهرةً، واستنقذ خُلَيداً ومنْ معه من المسلمين من أيديهم، وأعزَّ به الإسلام وأهلَه ، ودفعَ الشركَ وذلَّه ولله الحمد والمنة ثم عادوا إلى عُتبة بن غزوان إلى البصرة .

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية ، استأذن عمر في الحج فأذن له فسار إلى الحجِّ واستخلف على البصرة أبا سَبْرة بن أبي رُهْم ، واجتمع بعمر في الموسم ، وسأله أن يقيله فلم يفعل ، وأقسم عليه ليرجعن إلى عمله . فدعا عتبة الله عزَّ وجلَّ فمات ببطن نخلة ، وهو منصرفٌ من الحج ، فتأثر[(٤)] عليه عمر وأثنى عليه خيراً ، وولَّى بعده بالبصرة المغيرةَ بن شُعبة ، فوليها بقية تلك السنة والتي تليها ، لم يقع في زمانه حدثٌ ، وكان مرزوق السلامة في عمله . ثم وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكرة ، فكان من أمره ما قدمنا . ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري والياً عليها رضي الله عنهم .

ذكر فتح تُسْتَر ثانية [عنوةً والسوس[(٥)] ورامهرمز] وأسر الهرمزان وبعثه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن جرير[(٦)] : كان ذلك في هذه السنة في رواية سيف بن عمر التميمي . وكان سبب ذلك أن

---

(١) ينشبوا من النشاب ، أو يقعوا في أمر لا خلاص منه .
(٢) في أ : أن يحتاجوا فانتدب .
(٣) في أ : ومن تبعه .
(٤) في أ : فتأسف .
(٥) السوس : بلدة بخوزستان ، فتحت في أيام عمر رضي الله عنه على يد أبي موسى الأشعري ، ووجد بها موضعاً فيه جثة دانيال النبي عليه السلام ، فسأل عن ذلك فأخبر أن بختنصَّر نقله إليها لما فتح بيت المقدس ، وأنه مات هناك فكان أهل تلك البلاد يستسقون بجثته إذا قحطوا ، وأمر عمر رضي الله عنه بدفنه ، فسَكر نهراً ثم حفر تحته ودفنه فيها وأجرى الماء عليه فلا يدرى أين قبره إلى الآن . معجم البلدان (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) .
(٦) في تاريخه (٤/ ٨٩) .

يَزْدجرد كان يحرّض أهل فارس في كل وقت ويُؤَنّبهم بملك العرب بلادهم وقصدهم إياهم في حصونهم فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحرّكوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وأن يقصدوا البصرةَ . وبلغ الخبر إلى عمر ، فكتب إلى سعد ـ وهو بالكوفة ـ أن ٱبعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النُّعمان بن مُقَرِّن وعجّل وليكونوا بإزاء الهُرْمزان ، وسمى رجالاً من الشجعان الأعيان الأمراء يكونون في هذا الجيش ، منهم جريرُ بن عبد الله البجلي ، وجَرير بن عبد الله الحِمْيري ، والنُّعمان بن مُقَرِّن ، وسُوَيْد بن مُقَرِّن : وعبد الله بن ذي السَّهمين . وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن ابعثْ إلى الأهواز جنداً كثيفاً[١] وأمّر عليهم سهيل بن عدي ، وليكن معه البَراء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ، ومَجْزَأة بن ثَوْر ، وكعب بن ثور ، وعرفجة بن هَرْثَمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن معبد . وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سَبْرة بن أبي رُهم ، وعلى كل منْ أتاه من المدد . قالوا : فسار النُّعمان بن مُقَرّن بجيش الكوفة فسبق البصريين فانتهى إلى رامهرمز وبها الهرمزان ، فخرج إليه الهرمزان في جنده ونقض العهد بينه وبين المسلمين ، فبادره طمعاً أن يقتطعه قبل مجيء أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس ، فالتقى معه النعمان بن مُقَرّن بإربل ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، فهزم الهرمزان وفر إلى تُسْتر ، وترك رامهرمز فتسلّمها النعمان عنوةً وأخذ ما فيها من الحواصل والذخائر والسلاح والعدد . فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه [قد] فرّ فلجأ إلى تُسْتَر ، ساروا إليها ولحقهم أهلُ الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً ، وعلى الجميع أبو سَبْرة فوجدوا الهُرْمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً . وكتبوا إلى عمر في ذلك وسألوه أن يمدَّهم ، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم . فسار إليهم ـ وكان أمير أهل البصرة واستمرّ أبو سَبْرة على الإمرة على جميع أهل الكوفة والبصرة ، فحاصرهم[٢] أشهراً وكثر القتل من الفريقين ، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مئة مبارزٍ سوى منْ قتل غير ذلك ، وكذلك فعل كعب بن سُور[٣] ، ومَجْزَأة بن ثَوْر ، وأبو يمامة وغيرهم من أهل البصرة ، وكذلك أهل الكوفة قَتل منهم جماعة مئة مبارزة كحبيب بن قرة ، وربعي بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود[٤] وقد تزاحفوا أياماً متعددة ، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك ـ وكان مجابَ الدعوة ـ : (يا براء) أقسم على ربك ليهزمنّهم لنا . فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدني قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم ، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به ، وقد ضاقت بهم البلد ، وطلب رجل من أهل البلد الأمانَ من أبي موسى فأمَّنه ، فبعث يدلُّ المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد ، وهو من مدخل

---

(١) في أ : كثيراً .
(٢) في أ : فحاصروهم .
(٣) في ط : ثور ؛ تحريف . والتصحيح من تاريخ الطبري .
(٤) في أ : عبد الأسد ، والمثبت عن تاريخ الطبري .

الماء إليها ، فندب الأمراءُ الناسَ إلى ذلك فانتدب [لذلك] رجال من الشجعان والأبطال ، وجاؤوا فدخلوا مع الماء ـ كالبطّ ـ إلى البلد ، وذلك في الليل ، فيُقال كان أول من دخلها عبد الله بن مُغَفَّل[١] المُزَني ، وجاءوا إلى البوابين فأناموهم[٢] وفتحوا الأبواب ، وكبَّر المسلمون فدخلوا البلد ، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالى النهار ، ولم يصلّوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس كما حكاهُ البخاريُّ[٣] عن أنس بن مالك قال : شهدت فتح تُسْتَر ، وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمرَ النعم[٤] . احتج بذلك البخاري لمكحول والأوزاعي في ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعُذْرِ القتال . وجنح إليه البخاري واستدلّ بقصة الخندق في قوله عليه السلام « شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً »[٥] وبقوله يوم بني قريظة « لا يصلينَّ أحدٌ منكم العصر إلَّا في بني قريظة »[٦] فأخَّرها فريقٌ من الناس إلى بعد غروب الشمس ، ولم يعنِّفهم ، وقد تكلّمنا على ذلك في غزوة الفتح .

والمقصود أن الهُرْمُزان لما فُتحت البلدُ لجأ إلى القلعة ، فتبعه جماعةٌ من الأبطال ممن ذكرنا وغيرهم فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافه أو تلافُهم ، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك ومَجْزأة بن ثور رحمهما الله : إن معي جعبةً فيها مئة سهم ، وإنه لا يتقدَّم إليَّ أحدٌ منكم إلا رميته بسهم قتلته ، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم ، فماذا ينفعكم إن أسرتموني بعدما قتلتُ منكم مئة رجل ؟ قالوا : فماذا تريد ؟ قال : تؤمّنوني حتى أسلِّمكم يدي فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فيحكم فيّ بما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونُشّابه وأسروه فشدوه وثاقاً وأرصدوه[٧] ليبعثوه إلى أمير المؤمنين عمر ، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقتسموا أربعة أخماسه ، فنال كلُّ فارسٍ ثلاثةَ آلاف وكل راجلٍ ألفَ درهم .

---

(١) في أ : ابن معقل ؛ تحريف . والتصحيح من الاستيعاب (٩٩٦) وجامع الأصول (١٤/ ٢٨٥) وأسد الغابة (٣/ ٣٦٨) والإصابة (٢/ ٣٧٢) .

(٢) أناموهم : أي قتلوهم . اللسان (نوم) .

(٣) صحيح الإمام البخاري (الفتح ٢/ ٤٣٤ عقيب الحديث رقم ٩٤٤) في صلاة الخوف كتاب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو .

(٤) لفظ البخاري : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها .

(٥) الحديث عن علي كرم الله وجهه رواه البخاري في صحيحه (٢٩٣١) في الجهاد ، ومسلم في صحيحه (٦٢٧) (٢٠٥) في الصلاة .

أما الحديث الذي احتج به البخاري لمكحول والأوزاعي فرواية أخرى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : جاء عمر يوم الخندق فجعل يسُبُّ كفّار قريش ويقول : يا رسول الله ، ما صليت العصر حتى كادت الشمس أن تغيب . فقال النبي ﷺ : « وأنا والله ما صلَّيتها بعدُ » قال : فنزل إلى بُطْحان فتوضأ وصلّى العصر بعدما غابت الشمس ، ثم صلّى المغرب بعدها . صحيح البخاري رقم (٩٤٥) في الخوف .

(٦) صحيح البخاري رقم (٩٤٦) في الخوف .

(٧) أرصده وترصَّده : راقبه . اللسان (رقب) .

فتح السوس

ثم ركب أبو سَبْرة في طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعري والنُّعمان بن مُقَرِّن ، واستصحبوا معهم الهُرْمزان ، وساروا في طلب المنهزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس ، فأحاطوا بها . وكتب أبو سَبْرة إلى عمر فجاء الكتاب بأن يرجعَ أبو موسى إلى البصرة ، وأمر عمر زرَّ بن عبد الله بن كُلَيب الفُقَيْمي[١] ـ وهو صحابيٌّ ـ أن يسير إلى جُنْديسابُور . فسار . ثم بعث أبو سَبْرة بالخُمْس والهُرْمُزان[٢] مع وفدٍ فيهم أنسُ بن مالك والأحنفُ بن قيس ، فلما اقتربوا من المدينة هيؤوا[٣] الهُرْمزان بلبسه الذي كان يَلبسه من الدّيباج والذَّهب المُكلل بالياقوت واللآلىء . ثم دخلوا المدينةَ وهو كذلك فتيمَّموا به منزلَ أمير المؤمنين ، فسألوا عنه فقالوا : إنَّه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة . فجاؤوا المسجد فلم يَرَوْا أحداً فرجعوا ، فإذا غِلْمانٌ يلعبون فسألوهم عنه فقالوا : إنه نائمٌ في المسجد متوسداً برنساً له . فرجعوا إلى المسجد فإذا هو متوسد[٤] برنساً له كان قد لبسه للوفد ، فلما انصرفوا عنه توسَّد البرنس ونام ، وليس في المسجد غيره ، والدِّرَّة معلقةٌ في يده . فقال الهُرْمُزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا . وجعل الناس يخفضون أصواتهم لِئَلا ينبهوه ، وجعل الهُرْمزان يقول : وأين حُجَّابُهُ ؟ أين حَرَسُهُ ؟ فقالوا : ليس له حُجّابٌ ولا حَرسٌ ، ولا كاتبٌ ولا ديوانٌ . فقال : ينبغي أن يكون نبياً . فقالوا : بل يعملُ عملَ الأنبياء . وكثر[٥] الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهُرْمُزان ، فقال : الهُرمُزان ؟ قالوا : نعم فتأمَّله وتأمَّلَ ما عليه ثم قال : أعوذُ بالله من النار وأستعين[٦] بالله . ثم قال : الحمدُ الله الذي أذلَّ بالإسلام هذا وأشياعَه ، يا معشرَ المسلمين تمسّكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدي نبيكم ، ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرَّارَةٌ[٧] . فقال له الوفد : هذا ملكُ الأهواز فكلِّمْهُ . فقال : لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيءٌ . ففعلوا ذلك وألبسوه ثوباً صفيقاً[٨] ، فقال عمر : يا هُرْمُزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمرُ : إنا وإيّاكم في الجاهلية كان الله قد خلَّى بيننا وبينكم فغلبناكم ، (إذ لم يكن معنا ولا معكم) ، فلما كان معكم غلبتمونا . فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرّقنا . ثم

---

(١) في ط : العقيمي ، تحريف .
وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٨٦) .

(٢) في أ : وبالهرمزان .

(٣) في أ : بعثوا إلى الهرمزان .

(٤) في أ : يتوسط .

(٥) في أ : وكبر الناس .

(٦) في أ : واستغفر الله ، وفي تاريخ الطبري : وأستعين الله .

(٧) في ط : غدارة ، وما هنا عن أ وتاريخ الطبري .

(٨) في أ : مفتقاً .

قال : ما عذركَ وما حجتكَ في انتقاضك[١] مرةً بعد مرةٍ ؟ فقال : أخافُ أن تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تَخَفْ ذلك . فاستسقى الهرمزان ماءً فأتي به في قدح (غليظ ، فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا . فأتي به في قدح) آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أُقتل وأنا أشربُ . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه ، فقال عمر : أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتلَ والعطشَ . فقال : لا حاجةَ لي في الماء ، إنما [أردت] أن أستأنس[٢] به . فقال له عمر : إني قاتلُك ، فقال : إنك أمَّنتني . قال : كذبتَ ، فقال أنس : صدقَ يا أميرَ المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أنا أُؤمن من قتل مَجْزأة والبراء ؟ لتأتيني بمخرج وإلا عاقبتك ، قال : قلت لا بأس عليك حتى تخبرني . وقلت لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له منْ حوله مثل ذلك . فأقبل على الهُرْمزان فقال : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا أن تُسلم . فأسلم ففرض (له) في ألفين وأنزله المدينة .

وفي روايةٍ أنَّ الترجمان بين عمر وبين الهرمزان كان[٣] المغيرة بن شعبة ، فقال له عمر : قُلْ له من أي أرضٍ أنت ؟ قال مهرجاني . قال : تكلّم بحجتك . فقال : أكلام حي أم ميت ؟ قال : بل كلام حي . فقال قد أمَّنتني ، فقال : خدعتني ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له في ألفين وأنزله المدينة . ثم جاءزيد فترجم بينهما أيضاً .

قلت : وقد حَسُن إسلام الهرْمزان وكان لا يفارقُ عمر حتى قُتل عمر فاتَّهمه بعضُ الناس بممالأة أبي لؤلؤة هو وجفينة ، فقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتي تفصيله .

وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبيد الله بالسيف قال : لا إله إلا الله . وأما جفينة فصلب على وجهه .

والمقصود أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسَّعوا في بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم ، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس بأن المصلحة تقتضي توسُّعهم في الفتوحات ، فإن الملك يَزْدَجِرْد لا يزال يستحثّهم على قتال المسلمين ، وإن لم يستأصل شأفة[٤] العجم وإلا طمعوا في الإسلام وأهله ، فاستحسن عمر ذلك منه وصوَّبه . وأذن للمسلمين في التوسع في بلاد العجم ، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً ، ولله الحمد . وأكثر ذلك وقع في سنة ثماني عشرة كما سيأتي بيانه فيها .

ثم نعودُ إلى فتح السوس وجُنْديسابور وفتح نهاوند في قول سيف . كان قد تقدّم أن أبا سبْرة سار بمن معه من علية الأمراء من تُسْتر إلى السُّوس ، فنازلها حيناً وقُتل من الفريقين خلقٌ كثيرٌ ، فأشرف عليه علماءُ

---

(١) في ط : إنقاضك .
(٢) في تاريخ الطبري (٤/ ٨٨) : أردت أن أستأمن .
(٣) في أ : إن الترجمان كان بين عمر وبين الهرمزان المغيرة .
(٤) في ط : شأو .

أهلها فقالوا : يا معشر المسلمين لا تتعبوا في حصار هذا البلد فإنا نأثر فيما نرويه[١] عن قدمائنا من أهل هذا البلد أنه لا يفتحه إلا الدجّال أو قوم معهم الدجال ، واتفق أنه كان في جيش أبي موسى الأشعري صاف بن صَيّاد ، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره ، فجاء إلى الباب فدقه[٢] برجله فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالأمان ودعوا إلى الصلح فأجابوهم إلى ذلك ، وكان على السوس شهريار أخو الهرمزان ، فاستحوذ المسلمون على السوس ، وهو بلدٌ قديمُ العمارة في الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض ، والله أعلم .

وذكر ابن جرير[٣] أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس ، وأن أبا موسى لما أقامَ[٤] بها بعد مضيّ أبي سَبْرة إلى جُنْدَيْ سابور ، كتب إلى عمر في أمره[٥] فكتب إليه أن يدفنه وأن يُغيّب عن الناس موضعَ قبره ، ففعل . وقد بسطنا ذلك في سيرة عمر ولله الحمد .

قال ابن جرير : وقال بعضهم إنَّ فتحَ السوس ورامهرمز وتسيير الهُرمُزان من تُسْتَر إلى عمر في سنة عشرين والله أعلم ، وكان الكتاب العمريّ قد ورد بأن النعمان بن مُقَرِّن يذهب إلى أهل نهاوند فسار إليها فمر بماه ـ بلدة كبيرة قبلها ـ فافتتحها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها ولله الحمد .

قلت : المشهور أن فتح نهـاوند إنمـا وقـع في سنة إحدى وعشرين كما سيأتي فيها بيان ذلك ، وهي وقعةٌ عظيمة وفتحٌ كبيرٌ ، وخبرٌ غريبٌ ، ونبأٌ عجيبٌ ، وفتح زر بن عبد الله الفُقَيْمي مدينة جُنْدَيْ سابور فاستوثقت[٦] تلك البلاد للمسلمين . هذا وقد تحول يَزْدَجرد من بلد إلى بلد [ومن ذلك البلد إلى غيره] حتى انتهى أمره إلى الإقامة بأصبهان ، وقد كان صرف طائفة من أشراف أصحابه قريباً من ثلاثمئة من العظماء[٧] عليهم رجل يقال له سياه ، فكانوا يفرّون من المسلمين من بلدٍ إلى بلدٍ حتى فتح المسلمون تُسْتر وإصطخرَ ، فقال سياه لأصحابه : إنَّ هؤلاء بعد الشقاء والذلّة ملكوا أماكن الملوك الأقدمين ، ولا يلقون جنداً إلا كسروه ، والله ما هذا عن باطل . ودخل في قلبه الإسلام وعظمته فقالوا له : نحن تبعٌ لك . وبعث عمارُ بن ياسر في غضون ذلك يدعوهم إلى الله ، فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري بإسلامهم [وكتب فيهم إلى عمر في ذلك ، فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين ، وفرض لستة منهم في ألفين

---

(١) في أ : ترونه .
(٢) في أ : فرفسه .
(٣) في تاريخه (٤/ ٩٢) .
(٤) في ط : قدم .
(٥) في أ : من أمره بهذا .
(٦) في أ : فاستوسقت .
(٧) في أ : العلماء .

وخمسمئة ، وحسن إسلامهم][1] وكان لهم نكاية عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصناً فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن[2] وضمَّخَ ثيابه بدمٍ ، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم ، ففتحوا إليه باب الحصن ليُؤْووه فثار إلى البوّاب فقتله ، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن ، وقتلوا منْ فيه من المَجوس ، إلى غير ذلك من الأمور العجيبة ، والله يهدي منْ يشاء إلى صراط مستقيم .

وذكر ابن جرير[3] أنّ عمرَ بن الخطاب عقدَ الألويةَ والرايات الكبيرة في بلاد خراسان والعراق لغزو فارس والتوسع في بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنفُ بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات كثيرة في السنة المستقبلة بعدها كما سنبينه وننبه عليه ولله الحمد والمنة .

قال : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم ذكر نُوّابه على البلاد ، وهم منْ ذكر في السنة قبلها غير المغيرة فإن على البصرة بدله أبو موسى الأشعري .

قلت : وقد توفي في هذه السنة أقوام قيل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم ، وقيل فيما بعدها وسيأتي ذكرهم في أماكنهم ، والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة

المشهور الذي عليه الجمهورُ أنَّ طاعونَ عَمَواس كان بها ، وقد تبعنا قول سيف بن عمر وابن جرير في إيراده ذلك في السنة التي قبلها ، لكنّا نذكرُ وفاةَ منْ ماتَ في الطّاعون في هذه السنة إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق وأبو معشر : كان في هذه السنة طاعون عَمَواس وعام الرَّمادة ، فتفانى فيهما الناسُ .

قلتُ : كان في عام الرمادة جَدبٌ عمَّ أرضَ الحجاز ، وجاع الناسُ جوعاً شديداً . وقد بسطنا القولَ في ذلك في سيرة عمر . وسُمِّيَتْ عام الرمادة لأنّ الأرضَ اسودّت من قلّة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد . وقيل : لأنها تسفي[4] الريح تراباً كالرماد . ويمكن أن تكون (سميت) لكل[5] منهما والله أعلم . وقد أجدبت الناس في هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت[6] الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد ، فلجؤوا إلى أمير المؤمنين ، فأنفقَ فيهم من حواصل بيت المال ممّا فيه من الأطعمة والأموال

---

(١) وضعت هذه العبارة في ط بين معقوفين وكأنها مضافة على النسخة المعتمدة ، وهي واردة في (أ) .
(٢) في أ : باب الحبس .
(٣) في تاريخه (٤/ ٩٤) .
(٤) سفت الريح التراب تسفيه سفياً : ذرته ، وقيل حملته . اللسان (سفا) .
(٥) في أ : أن يكون لكل منهما .
(٦) جفل : ذهب وأسرع . اللسان (جفل) .

حتى أنفده ، وألزمَ نفسه لأن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان في زمن الخصب يبث[١] له الخبز باللبن والسمن ، ثم كان عام الرمادة يبث له بالزيت والخل ، وكان يستمرىء الزيت . وكان لا يشبع مع ذلك ، فاسودّ لون عمر رضي الله عنه وتغيّر جسمه حتى كاد يُخْشى عليه من الضعف . واستمرّ هذا الحال في الناس تسعةَ أشهرٍ ، ثم تحوّل الحال إلى الخصب والدعة وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم .

قال الشافعي : بلغني أنّ رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت[٢] الأحياء عن المدينة : لقد انجلت عنك ولأنّك لابن حرة . أي : واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنت إليهم .

وقد روينا أن عمر عس[٣] المدينة ذات ليلة عامَ الرمادة فلم يجدْ أحداً يضحك ، ولا يتحدّث الناس في منازلهم على العادة ، ولم ير[٤] سائلاً يسأل ، فسأل عن سبب ذلك فقيل له : يا أمير المؤمنين إن السُّؤَّال سألوا فلم يُعْطوا فقطعوا السؤال ، والناسُ في همٍّ وضيقٍ فهم لا يتحدّثون ولا يضحكون . فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد . وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد . فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البُر وسائر الأطعمات ، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة . وهذا الأثر جيد الإسناد ، لكنَّ ذِكْرَ عمرو بن العاص في عام الرمادة مُشْكل ، فإن مصر لم تكن فُتحت في سنة ثماني عشرة ، (فإمّا أن يكونَ عامُ الرمادة بعد سنة ثماني عشرة) ، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهمٌ ، والله أعلم .

وذكر سيف عن شيوخه أنّ أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً ، فأمره عمر بتفريقها[٥] في الأحياء حول المدينة ، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ، فألحَّ عليه عمر حتى قبلها .

([٦] وقال سيف بن عمر[٧] ، عن سهل بن يوسف السُّلَمي ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة ، وأول سنة ثماني عشرة ، أصاب أهلَ المدينةِ وما حولها جوعٌ فهلك كثير من الناس ، حتى جعلتِ الوحشُ تأوي إلى الإنس ، فكان[٨] الناس بذلك وعمر

---

(١) كذا في ط ، وفي أ : ييس ، ولعل الصح : يفت .
(٢) في أ : ترحل .
(٣) عَسَّ ـ يَعُسُّ عَسّاً وعُسّاً ـ أي طاف بالليل . اللسان (عسس) .
(٤) في أ : يجد .
(٥) في أ : بتفرقتها .
(٦) هذه الفقرة جاءت في أ بعد الأبيات الرائية .
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٩٨) .
(٨) في أ : وكان .

كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال : أنا رسولُ رسولِ الله إليك ، يقول لك رسول الله ﷺ : « لقد عهدتُكَ كيساً ، وما زلتَ على ذلك ، فما شأنُكَ » ؟ قال : متى رأيتَ هذا ؟ قال : البارحةَ . فخرج فنادى في الناس الصلاة جامعة ، فصلَّى بهم ركعتين ثم قام فقال : أيها الناس أنشدكم[١] الله هل تعلمون مني أمراً غيره خير[٢] منه ؟ فقالوا : اللهم لا ، فقال : إن بلال بن الحارث يزعم ذَيَّة وذَيَّة[٣] . قالوا : صدق بلال فاستغث بالله ثم المسلمين . فبعث إليهم ـ وكان عمر عن ذلك محصوراً ـ فقال عمر : الله أكبر ، بلغ البلاء مدته فانكشف . ما أذنَ لقوم في الطلب إلا وقد رُفعَ عنهم الأذى والبلاء . وكتب إلى أُمراء الأمصار أن أغيثوا أهلَ المدينة ومنْ حولها ، فإنه قد بلغ جَهْدهم . وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه[٤] العباس بن عبد المطلب ماشياً ، فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغُدْران) .

ثم روى سيف[٥] ، عن مبشر بن الفضيل ، عن جبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب : أن رجلاً من مزينة عام الرّمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شيء . فألحوا عليه ، فذبح شاة فإذا عظامُها حمرٌ . فقال : يا محمداه[٦] . فلما أمسى أري في المنام أنَّ رسول الله يقول له : « أبشرْ بالحياة[٧] ، ائت عمر ، فأقرئه منّي السلام وقل له : إن عهدي بك وفيُّ العهد شديد العقد ، فالكَيْس الكَيْس يا عمر » ، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه : استأذن لرسول رسول الله ﷺ . فأتى عمر فأخبره ففزع ثم صعد عمر المنبر فقال للناس : أنشدكم الله الذي[٨] هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه ؟ فقالوا : اللهم لا ، وعم ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزني[٩] ـ وهو بلال بن الحارث ـ ففطنوا ولم يفطن . فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا . فنادى في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال : اللهم عجزتْ عنا أنصارُنا ، وعجزَ عنا حولُنا وقوتنا ، وعجزتْ عنا أنفسُنا ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بكَ ، اللهم اسْقنا وأحْي العبادَ والبلادَ .

---

(١) في أ : أنشدتكم .
(٢) في أ : خيراً منه .
(٣) ذَيَّة وذَيَّة : كيت وكيت . اللسان والقاموس (ذيت) .
(٤) في أ : ومعه .
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٩٩) .
(٦) هذه استغاثة بغير الله تعالى ، ولا يجوز ذلك وهي من مرويات سيف .
(٧) في تاريخ الطبري : أبشر بالحيا .
(٨) في أ : أنشدكم بالذي .
(٩) هذا الرجل ، لم يثبت أنه بلال بن الحارث ، والرواية التي تقول : إنه بلال بن الحارث ، من رواية سيف وهو متروك .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[١] : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدَّثنا أبو عَمْرو[٢] بن مطر ، حدَّثنا إبراهيم بن علي الذُّهلي ، حدَّثنا يحيى بن يحيى ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن مالك قال :

أصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجلٌ إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله استسقِ اللهَ لأمتك فإنهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال : ائت عمر فأقرئه مني السلامَ وأخبرهم أنهم مُسْقَوْن[٣] ، وقل له عليك بالكيس الكَيْس . فأتى الرجل فأخبر عمر فقال : يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح[٤]

وقال الطبراني[٥] : حدَّثنا أبو مسلم الكشّي ، حدَّثنا محمد الأنصاري[٦] ، حدَّثنا أبي ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس : أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي يقول : اللهم إنّا كُنّا إذا قُحِطنا على عهد نبيّنا توسَّلنا إليك بنبينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعمّ نبينا ﷺ .

وقد رواه البخاري[٧] عن الحسن بن محمد ، عن محمد بن عبد الله [الأنصاري] به ولفظه عن أنس : أنَّ عمرَ كان إذا قُحِطوا يستسقي بالعباس بن عبد المطلب فيقول : اللهم إنّا كُنّا نتوسَّلُ إليكَ بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبينا فاسْقِنا . قال : فيُسْقَوْنَ .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا ـ في كتاب المطر وفي كتاب مجابي الدعوة ـ حدَّثنا أبو بكر النيسابوري ، حدَّثنا عطاء بن مسلم ، عن العُمري ، عن خوَّات بن جبير قال : خرج عمر يستسقي بهم فصلّى ركعتين فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك فما برحَ من مكانه حتى مُطِروا ، فقدم أعراب فقالوا : يا أمير المؤمنين بينا نحن في وادينا في ساعة كذا إذ أظلتنا غمامة فسمعنا منها صوتاً : أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص .

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدَّثنا سفيان ، عن مطرف بن طريف ، عن الشَّعبي قال : خرج عمر يستسقي بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع ، فقالوا: يا أمير المؤمنين

---

(١) دلائل النبوة (٧/ ٤٧) والخبر أيضاً في تاريخ ابن عساكر (ترجمة عمر بن الخطاب/ ٢٤٩) .
(٢) في ط : « أبو عمر » محرف ، وهو أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري المزكي ، ترجمه الذهبي في السير (١٦/ ١٦٢) .
(٣) في أ : يسقون .
(٤) أي إلى مالك الدار ، ومالك الدار مجهول ، فالقصة ضعيفة .
(٥) المعجم الأوسط (٣/ ٢١٨) رقم (٢٤٥٨) .
(٦) في ط : « أبو محمد الأنصاري » خطأ ، وهو محمد بن عبد الله بن مثنى الأنصاري ، من رجال التهذيب ، وجاء على الصواب في السند الذي بعده .
(٧) صحيح البخاري (٣٧١٠) في فضائل الصحابة .

ما نراك استسقيتَ . فقال : لقد طلبتُ المطرَ بمجاديح[١] السماء التي يستنزل بها المطر[٢] ثم قرأ : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح : ١٠ ـ ١١] ثم قرأ : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود : ٣] .

وذكر ابن جرير[٣] في هذه السنة من طريق سيف بن عمر ، عن أبي المجالد والربيع (وأبي) عثمان وأبي حارثة ، وعن عبد الله بن شُبرُمة ، عن الشَّعبي قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل ، فسألناهم فقالوا : خُيِّرنا فاخترْنا . قال : فهل أنتم مُنْتهون ؟ (ولم يعزم . فجمعَ عمرُ الناسَ فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون) أي : انتهوا . وأجمعوا على جلدهم ثمانين ثمانين . وأن منْ تأوَّل هذا التأويل وأصرَّ عليه يُقتل . فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعُهُم فسلهم عن الخمر ، فإن قالوا هي حلال فاقتلهم ، وإن قالوا هي حرام فاجلدهم ، فاعترف[٤] القوم بتحريمها ، فجُلدوا الحدّ ، وندموا على ما كان منهم من اللّجاجة فيما تأولوه[٥] ، حتى وُسْوس أبو جندل في نفسه ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك ، وسأله أن يكتب إلى أبي جندل[٦] ويذكره ، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك : من عمر إلى أبي جندل ، إن الله لا يغفر أن يُشْركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فتُبْ وارفعْ رأسَكَ وابرز ولا تقنط فإن الله تعالى يقول ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] وكتب عمر إلى الناس : أن عليكم أنفسكم ومن غيَّر فغيِّروا عليه ، ولا تُعيِّروا أحداً فيفشوا فيكم البلاء ، وقد قال أبو الزهراء القشيري في ذلك[٧] : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـدَّهْـرَ يَعْثُـرُ بـالفَتَـى ... وليسَ على صَرْفِ المَنونِ بقَادِرِ[٨]

---

(١) في الأصل والمطبوع : محاديج ، بتقديم الحاء والجيم في آخره ، وهو تحريف ، صوابه (مجاديح) بتقديم الجيم وفي آخره حاء ، قال ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث » جدح ، المجاديح ، واحدها مِجْدَح ، والمجدح : نجم من النجوم . وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر ، انظر صحيح مسلم رقم (٧١) و(٧٢) و(٧٣) وابن حبان رقم (٦١٣٠) .

(٢) روى أحمد في مسنده رقم (١٠٩٨٣) (٣/ ٧) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً (لو أمسك الله القطر عن الناس سبع سنين ، ثم أرسله ، لأصبحت طائفة به كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء المِجْدَح) والمجدح : كوكب وهو عند ابن حبان في صحيحه رقم (٦١٣٠) والدارمي في سننه (٢/ ٣١٤) وأبي يعلى رقم (١٣١٢) وهو حديث حسن وفي الباب عن أبي هريرة ، انظر مسند أحمد (٢/ ٣٦٢) ومسلم رقم (٧٢) وعن ابن عباس رقم (٧٣) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٩٦ ـ ٩٧) .

(٤) في أ : فاعترفوا القوم ؛ وهي لغة مفضولة .

(٥) في أ : قالوه .

(٦) في أ : إليه عمر ويذكره .

(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٩٧ ـ ٩٨) .

(٨) في أ : لقادر ؛ وهي تخرج القافية عن الكسر .

صَبَرْتُ ولمْ أجْزَعْ وقَدْ ماتَ إخْوتي ولستُ عن الصَّهباءِ[١] يوماً بصابرِ
رماهـا أميـرُ المُـؤمنيـنَ بحَتْفها فخُلاَّنُها يَبْكُونَ حولَ المَعاصِرِ[٢]

قال الواقدي[٣] وغيره : وفي هذه السنة في ذي الحجة منها حَوَّلَ عمرُ المقام ـ وكان مُلْصقاً بجدار الكعبة ـ فأخّره إلى حيث هو الآن لئلا يشوِّشَ المصلون عنده على الطّائفين .

قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر ولله الحمد (والمنة) .

قال : وفيها استقضى عمر شريحاً على الكوفة ، وكعب بن سور على البصرة .

قال : وفيها حجَّ عمرُ بالناس ، وكان نوابه فيها الذين تقدَّم ذكرهم في السنة (الماضية) .

وفيها فُتحت الرَّقَّة والرُّها وحَرّان على يدي عياض بن غنم .

قال : وفُتحت رأس عين الوردة[٤] على يدي عمر بن سعد بن أبي وقاص . وقال غيره خلاف ذلك .

وقال شيخنا الحافظ الذهبي في « تاريخه »[٥] : وفيها ـ يعني هذه السنة ـ افتتح أبو موسى الأشعري الرُّها وسُمَيْساط[٦] عنوةً ، وفي أوائلها وجَّه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل : صلحاً . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وما حولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة .

وقال الواقدي : وفيها كان طاعون عَمَواس فمات فيه خمسة وعشرون ألفاً . قلت : هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عَمَواس ـ وهي بين القدس والرملة ـ لأنها كان أول ما نجم الداء بها ، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

قال الواقدي : توفي في عام طاعون عَمَواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفاً . وقال غيره : ثلاثون ألفاً . وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضي الله عنهم .

الحارث بن هشام[٧] ، أخو أبي جهل ، أسلم يوم الفتح ، وكان سيداً شريفاً في الإسلام كما كان

---

(١) الصهباء : الخمر . اللسان (صهب) .

(٢) في أ ، ط : المقاصر ؛ وما هنا عن تاريخ الطبري وهو الأشبه .

(٣) جملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٤/ ١٠١) وتاريخ ابن الأثير (٢/ ٥٦٢) .

(٤) عين الوردة : مدينة مشهورة بالجزيرة . معجم البلدان (٤/ ١٨٠) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦) طبعة القدسي .

(٦) في ط : « شمشاط » ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخه (مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥ مصورتها عند الدكتور بشار) وهي مدينة على شاطىء الفرات بطرف بلاد الروم على غربي الفرات ، وهي غير شمشاط (ينظر معجم البلدان (٣/ ٢٥٨ و٣٦٢ ـ بيروت) .

(٧) ترجمة ـ الحارث بن هشام ـ في الطبقات الكبرى (٥/ ٤٤٤) والاستيعاب (١/ ٣٠١) وجامع الأصول (١٣/ ٣٠٠) وأسد الغابة (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) ومختصر ابن منظور (٦/ ١٦٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٩) والإصابة =

في الجاهلية ، استشهد بالشام في هذه السنة في قول ، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة .

شُرَحْبِيل ابن حَسَنَة[١] ، أحد أمراء الأرباع ، وهو أمير فلسطين ، وهو شُرَحبيل بن عبد الله بن المُطاع ابن قطن الكِنْدي حليف بني زُهْرة ، وحَسَنَةُ أمه ، نسب إليها وغلب عليه ذلك . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة وجهزه الصّدّيق إلى الشام ، فكان أميراً على ربع الجيش ، وكذلك في الدولة العمرية ، وطعن هو وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد سنة ثماني عشرة . له حديثان روى ابن ماجه أحدهما في الوضوء وغيره[٢] .

عامر بن عبد الله بن الجرّاح[٣] بن هِلال بن أُهَيْب (بن ضَبَّة بن الحارث) بن فِهْر القُرَشي أبو عبيدة (بن الجَرّاح) الفِهْري ، أمينُ هذه الأمة ، وأحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحدُ الخمسة الذين أسلموا في يوم واحدٍ ، وهم عُثمان بن مَظْعون ، وعُبَيْدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عُبَيْدة بن الجَرّاح . أسلموا على يدي الصديق . ولما هاجروا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ ، وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهدَ بدراً وما بعدها ، وقال رسول الله ﷺ : « إن لكلِّ أمةٍ أميناً وأمينُ هذه الأمة أبو عُبَيْدة بن الجَرّاح » ثبت ذلك في الصحيحين[٤] وثبت في الصحيحين[٥] أيضاً أنّ الصّدّيق قال يوم السّقيفة : وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين فبايعوه ـ يعني عمر بن الخطاب وأبا عُبَيْدة . وبعثه الصديق أميراً على ربع الجيش إلى الشام ، ثم لما انتدب خالداً على العراق كان أميراً على أبي عبيد وغيره لعلمه بالحروب[٦] . فلما انتهت الخلافةُ إلى عمر عزلَ خالداً وولّى أبا عبيدة بن الجراح ، وأمره أن يستشير خالداً ، فجمعَ للأمة بين أمانة أبي عُبَيْدة وشجاعة خالد .

قال ابن عساكر : وهو أولُ من سُمِّي أميرَ الأمراء بالشام . قالوا : وكان أبو عبيدة طوالاً نحيفاً أَجْنَأ[٧]

= (١/ ٢٩٣) وشذرات الذهب (١/ ١٦٩) .

(١) ترجمة ـ شرحبيل بن حسنة ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨) والاستيعاب (٢/ ٧٠١) وجامع الأصول (١٤/ ٣٠٥) وأسد الغابة (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) والإصابة (٢/ ١٤٣) .

(٢) سنن ابن ماجه (٤٥٥) في الطهارة . ونص الحديث عن رسول الله ﷺ : « أتموا الوضوء ويل للأعقاب من النار » وهو حديث صحيح .

(٣) ترجمة ـ عامر بن عبد الله بن الجراح ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٠٩) والاستيعاب (٢/ ٧٩٢ ـ ٧٩٥) وجامع الأصول (١٢/ ٣١٨ ـ ٣٢٠) وأسد الغابة (٣/ ١٢٨ ـ ١٣٠) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥ ـ ٢٣) والإصابة (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤) .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٤٤) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤١٩) في فضائل الصحابة .

(٥) صحيح البخاري (٦٨٣٠) في المحاربين . وأما مسلم فأخرج طرفاً من حديث عمر لكن ليس فيه قول أبي بكر الصديق (١٦٩١) في الحدود . والحديث في مسند أحمد (١/ ٥٦) من رواية ابن عباس عن عمر .

(٦) في أ : بعلمه الحروب .

(٧) أجنأ : أي أحدب الظهر . اللسان (جنأ) ،

معروف الوجه ، خفيف اللحية ، أهتم[١] ، وذلك لأنه لما انتزع الحلقتين من وَجْنتي رسول الله ﷺ يوم أُحد خاف أن يؤلم رسول الله ﷺ فتحامل على ثنيتيه فسقطتا ، فما رُئِيَ أحسن هتماً منه . توفي بالطاعون عام عَمَواس كما تقدم سياقه في سنة ست عشرة عن سيف بن عمر . والصحيح أنّ عَمَواس كانت في هذه السنة ـ سنة ثماني عشرة ـ بقرية (فِحْل) ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة ينسب إليه ، والله أعلم . وعمره يوم مات ثمانٍ وخمسون سنة .

الفضل بن عباس بن عبد المطلب[٢] ، كان حسناً وسيماً جميلاً ، أردفه رسول الله ﷺ وراءه يوم النحر من حجة الوداع ، وهو شاب حسن ، وقد شهد فتح الشام ، واستُشهد بطاعون عَمَواس ، في قول محمد بن سعد والزبير بن بكار وأبي حاتم وابن البرقي[٣] ، وهو الصحيح . وقيل يوم مرج الصفر ، وقيل بأجنادين . ويقال باليرموك [ويقال] سنة ثمان وعشرين .

معاذ بن جَبَل[٤] بن عمرو بن أوس بن عائذ[٥] بن عَدي بن كَعْب بن عَمرو بن أُدَيّ بن [سعد بن] علي بن أَسَد بن سارِدَة بن يزيد بن جُشَم بن الخزرج الأنصاري الخَزرجي أبو عبد الرحمن المَدني :

صحابيٌّ جليلٌ كبيرُ القَدْرِ . قال الواقديُّ : كان طُوالاً حسنَ الشَّعرِ والثَّغرِ بَرّاق الثّنايا ، لم يولد له . وقال غيره : بل وُلد له ولد وهو عبد الرحمن . شهد معه اليرموك . وقد شهد معاذ العقبة . ولما هاجر الناس آخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود . وحكى الواقديّ الإجماعَ على ذلك . وقد قال محمد بن إسحاق : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وشهد بدراً وما بعدها . وكان أحدَ الأربعة من الخزرج الذين جمعوا القرآنَ في حياةِ النبيّ ﷺ ، وهم : أُبيّ بن كعبٍ ، وزَيْدُ بن ثابتٍ ، ومُعاذُ بن جَبَلٍ ، وأبو زيد عمّ أنس بن مالك[٦] . وصحَّ في الحديث الذي رواه أبو داود والنّسائي[٧] من حديث حَيْوة بن شُرَيْح ، عن عقبة بن مسلم ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلّي ، عن الصُّنابحي ، عن مُعاذ أن رسول الله ﷺ قال له : « يا مُعاذ والله إني لأحبُّكَ ، فلا تدعنَّ أن تقولَ في دبُرَ كلِّ صلاةٍ : اللَّهُمّ أعنّي على ذكرك وشُكرِكَ

---

(١) هَتَم فاه يَهْتِمُهُ : القى مُقَدَّم أسنانه كأهتمه ، وكفرح : انكسرت ثناياه من أصولها فهو أهتم . القاموس (هتم) .
(٢) ترجمة ـ الفضل بن العباس ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٥٤) والاستيعاب (٣/ ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠) وجامع الأصول (١٥/ ٣٠ ـ ٣١) وأسد الغابة (٤/ ٣٦٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤) مختصر ابن منظور (٢٠/ ٢٧٧) والإصابة (٣/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .
(٣) في أ : السري .
(٤) ترجمة ـ معاذ بن جبل ـ في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٤٧) والاستيعاب (٣/ ١٤٠٢) وجامع الأصول (١٥/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) وأسد الغابة (٥/ ١٩٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٣) والإصابة (٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) .
(٥) في ط والإصابة : عابد ؛ وهو تحريف لأن ابن الأثير ضبطها بالحرف في جامع الأصول .
(٦) روى هذا الخبر أنس بن مالك وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٧٧) والبخاري في صحيحه (٣٨١٠) في مناقب الأنصار وغيرهما . وأبو زيد هذا قال أنس : هو أحد عمومتي ، واختلف في اسمه .
(٧) سنن أبي داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة ، وسنن النسائي (٣/ ٥٣) رقم (١٣٠٣) في الصلاة ، وهو حديث صحيح .

وحُسنِ عبادتك » . وفي المُسند والنَّسائي وابن ماجه[١] من طريق أبي قِلابة ، عن أنسٍ مرفوعاً : « وأعْلَمهم بالحلالِ والحرامِ مُعاذ بن جبل » وقد بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال له : « بم تحكمُ » ؟ فقال : بكتاب الله . . . الحديث[٢] . وكذلك أقرَّه الصّديق على ذلك يعلّم الناس الخيرَ باليمن . ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعد ما استخلفه أبو عبيدة حين طُعن ثم طُعن بعده في هذه السنة . وقد قال عمر بن الخطاب : « إن معاذاً يبعث أمام العلماء برتوة »[٣] . ورواه محمد بن كعب مُرْسلاً[٤] . وقال ابن مسعود : كنا نُشبِّهه بإبراهيم الخليل . وقال ابن مسعود : إن معاذاً كان قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين[٥] . وكانت وفاته شرقي غور بَيْسان سنة ثماني عشرة . وقيل سنة تسع عشرة ، وقيل (سبع عشرة ، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور وقيل) غير ذلك والله أعلم .

يزيد بن أبي سفيان[٦] أبو خالد يزيد بن صَخْر بن حَرْب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف القُرَشي الأموي ، أخو معاوية ، وكان يزيد أكبرَ وأفضلَ . وكان يقال له يزيد الخير ، أسلم عام الفتح ، وحضر حُنَيناً ، وأعطاه رسول الله ﷺ مئة (من الإبل) وأربعين أوقية ، واستعمله الصّدّيق على ربع الجيش إلى الشام ، وهو أول أمير وصل إليها ، ومشى الصّدّيق في ركابه يوصيه ، وبعث معه أبا عبيدة وعمرو بن العاص وشُرَحْبيل بن حَسَنة ، فهؤلاء أمراء الأرباع . ولما افتتحوا دمشق دخلَ هو من باب الجابية الصغير عنوةً كخالد في دخوله من الباب الشرقي عنوةً ، وكان الصدِّيق قد وعده بإمرتها ، فوليها عن أمر عمر وأنفذ

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٤ و٢٨١) فضائل الصحابة للنسائي (١٨٢) . وسنن ابن ماجه رقم (١٥٤) في المقدمة ، وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٦ و٢٤٢) وأبو داود في سننه (٣٥٩٣) في الأقضية ، والترمذي في جامعه (١٣٢٧) في الأحكام ، من طريق ناس من أصحاب معاذ عن معاذ ، وقال الترمذي : « هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عندي بمتصل » . وضعَّفه بسبب جهالة من روى عن معاذ جملةٌ من جهابذة أهل العلم ، منهم إمام الصنعة : البخاري ، والعقيلي ، والدارقطني ، وابن حزم ، والذهبي ، وابن حجر فضلاً عن الإمام الترمذي . وقبله بعض العلماء المتأخرين ، منهم : الخطيب في كتابه الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠) ، وابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٢٠٢) . وينظر تعليق الدكتور بشار على طبعته من جامع الترمذي (٣/ ١٠) .

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ٥٩٠) ، وأحمد في مسنده (١/ ١٨) ، وفي الفضائل له (١٢٨٧) ، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٨٨٦) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٨ و٢٢٩) من طرق مختلفة عن عمر ، مرفوعاً ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده . والرتوة : رمية سهم ، وقيل : مد البصر . وقد تحرفت في ط إلى « ربوة » (بشار) .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ حديث ٤١) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٩) من طريق عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا (بشار) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٠) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧١) وصححه وهو أيضاً في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥١) .

(٦) ترجمة ـ يزيد بن أبي سفيان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٥) والاستيعاب (٤/ ١٥٧٥) وأسد الغابة (٥/ ٤٩١) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٦٢) ومختصر ابن منظور (٢٧/ ٣٦٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٨) والإصابة (٦/ ٣٤١) .

له ما وعده الصّدّيق ، وكان أولَ من وليها من المسلمين . المشهور أنه مات في طاعون عَمَواس كما تقدم . وزعم الوليد بن مسلم أنه توفي سنة تسع عشرة بعد ما فتح قيسارية . ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضي الله عنهم . وليس له في الكتب شيء ، وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « مثلُ الذي يُصلّي ولا يُتمُّ ركوعَهُ ولا سجوده مثلُ الجائعِ الذي لا يأكلُ إلا التمرةَ والتمرتين لا يغنيان عنه شيئاً »[١]

أبو جَنْدل بن سُهَيْل[٢] بن عمرو ، وقيل اسمه العاص : أسلم قديماً ، وقد جاء يوم صلح الحديبية مسلماً يرسف في قيوده لأنّه كان قد استضعف فردّه أبوه وأبى أن يصالح حتى يُردّ ، ثم لحق أبو جندل بأبي بَصير[٣] إلى سِيف البحر[٤] ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام . وقد تقدم أنه تأول آية الخمر ثم رجع[٥] ، ومات بطاعون عَمَواس رحمه الله ورضي عنه .

أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله تقدم .

أبو مالك الأشعري[٦] ، قيل اسمه كعب بن عاصم ، قدم مهاجراً سنة خيبر مع أصحاب السفينة ، وشهد ما بعدها ، واستُشهد بالطاعون عام عَمَواس هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد رضي الله عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقدي وغيره : كان فتحُ المدائن وجلولاء فيها . والمشهورُ خلافُ ما قال كما تقدَّم . وقال محمد بن إسحاق : كان فتحُ الجزيرة والرُّها وحَرّان ورأس العين ونَصيبين في هذه السنة . وقد خالفه غيره[٧] . وقال أبو معشر وخليفة[٨] وابن الكلبي : كان فتح قَيْسَارِيّة في هذه السنة وأميرُها معاويةُ . وقال غيره يزيد بن أبي سفيان . وقد تقدّم أن معاوية افتتحها قبل هذا بسنتين . وقال محمد بن إسحاق : كان

---

(١) أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٢٣٩) ، ورواه الطبراني في الكبير (٤/ ٣٨٤٠) وأبو يعلى الموصلي ، رقم (٧١٨٤) وابن خزيمة في صحيحه رقم (٦٦٥) وغيرهم ، فهو حديث حسن.

(٢) ترجمة ـ أبي جندل ـ في الطبقات الكبرى (٧/ ٤٠٥) والاستيعاب (٤/ ١٦٢١) وجامع الأصول (١٣/ ٢٧٣) وأسد الغابة (٦/ ٥٤ ـ ٥٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٩٢) والإصابة (٤/ ٣٤) .

(٣) في أ : نصير ، وهو تحريف .

(٤) قصة إسلامه مشهورة ذكرها البخاري في صحيحه رقم (٢٧٠٠) في الصلح ، وقد أوردها المصنف رحمه الله مطولة في السيرة .

(٥) تقدم الخبر صفحة ١٤٨ من هذا الجزء .

(٦) ترجمة ـ أبي مالك الأشعري ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٣٥٨) والاستيعاب (٣/ ١٣٢١) وجامع الأصول (١٥/ ١١١) وأسد الغابة (٤/ ٤٧٠) والإصابة (٣/ ٢٩٣) .

(٧) قال الطبري في تاريخه (٤/ ١٠٢) بعد ذكره الخبرين : وقد ذكرنا قول من خالفهم في ذلك قبل .

(٨) تاريخ خليفة (ص١٤١) .

فتحُ قَيْسارية من فلسطين ، وهرب هرقل ، وفتح مصر في سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : كان فتح قيسارية وفتح مصر في سنة ست عشرة . قال ابن جرير[١] : فأما فتحُ قيسارية فقد تقدم ، وأما فتح مصر فإني سأذكره في سنة عشرين إن شاء الله تعالى .

قال الواقدي : وفي هذه السنة ظهرت نارٌ من حرّةِ ليلى[٢] فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها ، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفئت ولله الحمد .

ويقال كان فيها وقعة أرمينية وأميرها عثمان بن أبي العاص ، وقد أصيب فيها صفوان بن المُعَطَّل بن رَحْضَة[٣] السُّلَمي ثم الذَّكواني ، وكان أحد الأمراء يومئذ . وقد قال فيه رسول الله ﷺ « ما علمت عليه إلا خيراً »[٤] وهو الذي ذكره المنافقون في قصة الإفك فبرَّأ اللهُ ساحتَه ، وجنابَ أمّ المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ مما قالوا . وقد كان إلى حين قالوا لم يتزوج ، ولهذا قال : والله ما كشفت كنف أنثى قط . ثم تزوج بعد ذلك ، وكان كثير النوم ربما غلب عليه عن صلاة الصبح في وقتها ، كما جاء في سنن أبي داود[٥] وغيره . وكان شاعراً ثم حصلت له شهادةٌ في سبيل الله ، قيل بهذا البلد ، وقيل بالجزيرة ، وقيل بسُمَيْساط[٦] . وقد تقدَّم بعضُ هذا فيما سلف .

وفيها فُتحت تكريتُ في قولٍ ، والصحيح قبل ذلك .

وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبدَ الله بن حُذافة[٧] .

وفيها في ذي الحجة منها كانت وقعةٌ بأرض العراقِ قتل فيها أميرُ المجوس[٨] شهرك ، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه .

قال ابن جرير[٩] ، وفيها (حجَّ) بالناس عمرُ ، ونوابه في البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم .

---

(١) في تاريخه (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣) .

(٢) حرّة ليلى : موضع لبني مرة بن عوف يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة . معجم البلدان (٢/ ٢٤٨) .

(٣) في جامع الأصول : رُبَيْضَة ، وفي الاستيعاب : ربيعة ، وفي الإصابة : رُبيعة ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام ، وفي السير (٢/ ٥٤٥) .

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٦١) في الشهادات ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٣ ـ ١٩) رقم (٧٠٩٩) في مناقب الصحابة .

(٥) سنن أبي داود رقم (٢٤٥٩) في الصوم من حديث أبي سعيد الخدري ، وهو حديث صحيح .

(٦) في ط : « بشميشاط » : وما هنا بخط الذهبي في تاريخ الإسلام ، وهي كذلك في السير (٢/ ٥٤٦) .

(٧) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٨٨٨) وتاريخ دمشق ـ (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد ـ/ ١٢٠ ـ ١٣٥) وجامع الأصول (١٤/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩) وأسد الغابة (٣/ ٢١١) والإصابة (٢/ ٥٤) .

(٨) في أ : أمير الجيوش . والخبر في تاريخ خليفة (ص١٤١) .

(٩) في تاريخه (٤/ ١٠٣) .

(ذكر من توفي فيها من الأعيان)

وممن توفي فيها من الأعيان :

أُبَيُّ بن كعب[١] سيد القراء ، وهو أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زَيْد بن مُعاوية بن عَمْرو بن مالك بن النَّجّار ، أبو المُنْذر وأبو الطُّفَيْل ، الأنْصاري النَّجّاري سيِّد القُرّاء : شهد العَقَبَة وبدراً وما بعدهما ، وكان سَيِّداً جليلَ القدر . وهو أحد القراء الأربعة الخزرجيين الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ وقد قال لعمر يوماً : إني تلقيت القرآن ممن تلقاه منه جبريل وهو رطب . وفي المسند والنسائي وابن ماجه[٢] من طريق أبي قِلابة عن أنس مرفوعاً : « أقرأُ أُمتي أُبي بن كعب » وفي الصحيح[٣] أنَّ رسول الله ﷺ قال له : « إنَّ اللهَ أمرني أن أقرأَ عليكَ القرآن » . قال : وسمّاني لكَ ؟ قال : « نعم » فذرفَتْ عيناه . وقد تكلّمنا على ذلك في التفسير عند سورةِ ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة : ١] .

قال الهَيْثَم بن عَدِيّ : توفي أُبي سنة تسع عشرة .

وقال يحيى بن مَعين : سنة سبع عشرة أو عشرين .

وقال الواقدي عن غير واحد : توفي سنة اثنتين وعشرين . وبه قال أبو عبيد وابن نمير وجماعة . وقال الفلاس وخليفة[٤] : توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وفيها مات خَبَّاب[٥] مولى عُتْبَة بن غَزْوان من المهاجرين شهد بدراً وما بعدها ، وهو صحابيٌّ من السّابقين وصلّى عليه عمرُ .

ومات فيها صَفْوان بن المُعطَّل[٦] في قول كما تقدم ، والله أعلم .

---

(١) ترجمة ـ أبي بن كعب ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٩٨) والاستيعاب (١/ ١٢٦) وجامع الأصول (١٣/ ١٠ ـ ١١) وأسد الغابة (١/ ٦١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٩ ـ ٤٠٢) . والإصابة (١/ ٢٦) .

(٢) مسند أحمد (٣/ ١٨٤) وفضائل الصحابة للنسائي (ص١٨٢) وسنن الترمذي رقم (٣٧٩٠) . وتمام الحديث : « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح » ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) صحيح الإمام البخاري (٤٩٥٩) في المناقب ، وصحيح مسلم (٧٩٩) (١٢١) في فضائل الصحابة .

(٤) تاريخ خليفة (ص١٦٧) .

(٥) هو خباب بن الأرت وقد أوردت المصادر نسبه كاملاً ، وترجمته في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٤) والاستيعاب (١/ ٤٣٧) وجامع الأصول (١٣/ ٤١٩) وأسد الغابة (٢/ ١١٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥) والإصابة (١/ ٤١٦) .

(٦) ترجمة ـ صفوان بن المعطل ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٢٥) وجامع الأصول (١٤/ ٣٥١) وأسد الغابة (٣/ ٣٠ ـ ٣١)=

سنة عشرين من الهجرة

قال محمد بن إسحاق : فيها كان فتحُ مصر . وكذا قال الواقدي : إنّها فُتحت هي وإسكندرية في هذه السنة . وقال أبو معشر : فُتحت مصر سنة عشرين ، وإسكندرية في سنة خمس وعشرين . وقال سيف : فتحت مصر وإسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها[١] . ورجّح ذلك أبو الحسن بن الأثير في « الكامل »[٢] لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرّمادة ، وهو معذور فيما رجحه ، والله أعلم .

وفيها كان فتح تُسْتَر في قول طائفةٍ من علماء السير بعد محاصرة سنتين وقيل سنة ونصف ، والله أعلم .

صفة فتح [بلاد] مصر [مجموعاً من كلام][٣] ابن إسحاق وسيف [وغيرهما]

قالوا : لما استكملَ (عمر) والمسلمون فتحَ الشام بعثَ عمرو بن العاص إلى مصرَ . وزعم سيفٌ أنَّه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزُّبير بن العَوَّام وفي صحبته بُسْر بن أرطاة[٤] ، وخارِجَة بن حُذافَة وعُمَيْر بن وَهْب الجُمَحي . فاجتمعا على باب مصر فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ، ومعه الأسقفّ[٥] أبو مريام في أهل الثبات[٦] ، بعثه المُقَوْقِسُ صاحب إسْكَنْدَرِيَّة لمنع بلادهم ، فلما تصافُّوا قال عمرو بن العاص لا تعجلوا حتى نُعْذرَ ، ليبرز إليَّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد ، فبرزا إليه ، فقال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا ، إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ ، وأدّى إلينا كلّ الذي أُمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا (إليه) فمثلنا ، ومن لم يجبنا[٧] عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا [ﷺ] أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا منكم ، وإنَّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة . ومما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقِبْطِيِّين خيراً ، فإنّ رسول الله ﷺ أوصانا بالقِبْطِيِّين

= وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٥٠) والإصابة (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١) .

(١) جملة هذه الأقوال في تاريخ الطبري (٤/ ١٠٤) .

(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٥٦٤) .

(٣) مكان هاتين المعقوفتين لفظة / عن/ في ط .

(٤) في ط : بشر بن أرطأة ؛ خطأ . والتصحيح من الاستيعاب (١/ ١٥٧) وجامع الأصول (١٣/ ١٥٢) وأسد الغابة (١/ ٢١٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٩) والإصابة (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨) .

(٥) الأسقف : رئيس النصارى في الدين ، أعجمي تكلّمت به العرب ولا نظير له إلا أُسْرُبّ ، والجمع : أساقف وأساقفة .

(٦) في تاريخ الطبري (٤/ ١٠٧) : النيات .

(٧) في أ : ومن لم يجب .

خيراً ، لأن لهم رحماً وذمةً[١] . فقالوا : قرابةٌ بعيدةٌ لا يصل مثلها إلا الأنبياءُ معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم ، فأديل[٢] عليهم أهلِ عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم[٣] عليه السلام مرحباً به وأهلاً . أَمِّنَّا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثلي لا يخدع ولكنّي أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما وإلا ناجزتكم . قالا : زدنا ، فزادهم (يوماً ، فقالا : زدنا . فزادهم يوماً) فرجعا إلى المُقَوْقِس فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم . وقد بقيتْ أربعةُ أيامٍ (قاتلوا) وأشار عليهم بأن يبيّتوا[٤] للمسلمين ، فقال الملأ منهم : ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصرَ وغلبوهم على بلادهم ، فألحّ الأرطبون في أن يبيّتوا للمسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة منهم الأرطبون ، وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع . وارتقى الزبير عليهم سورَ البلد ، فلما أحسُّوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترقَ الزُّبير البلدَ حتى خرجَ من الباب الذي عليه عمرو فأمْضوا الصلحَ وكتب لهم عمرو كتاب أمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهلَ مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم وبرّهم وبَحْرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ، ولا يُنتقص ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهلِ مصر أن يُعْطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادةُ نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم جَنَى لُصُوتُهم[٥] ، فإن أبى أحدٌ منهم أن يجيبَ رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمّتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غايته [إذا انتهى] رفع عنهم بقدر ذلك ومنْ دخل في صلحهم من الروم والنوبة ، فله مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم ، ومنْ أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثاً ، (في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم) . على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة[٦] صادرة ولا واردة ، شهد الزُّبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر » فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيولُ بمصر وعَمَروا الفسطاط[٧] ، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلّما عَمْراً في السبايا التي أصيبت بعد

---

(١) في أ : ذمة ورحماً ، والحديث رواه مسلم رقم (٢٥٤٣) .
(٢) في أ : منهم فتغلب .
(٣) في أ : فلهذا صارت لإبراهيم .
(٤) في أ : أن يثتبوا .
(٥) في ط : ما حق لصونهم ؛ تحريف ، واللُّصوت : جمع لصت هو اللص في لغة طيء . اللسان (لصت) .
(٦) في أ : ولا يمنعونا من غارة .
(٧) « الفسطاط » : مجتمع أهل الكورة حَوالي مسجد جماعتهم ، ومنه قيل لمدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص . معجم البلدان (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) .

المعركة . فأبى عمرو أن يردّها عليهما ، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه ، فلما بلغ ذلك أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب أمر أنّ كلّ سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمَّنوهم فيها أن يرد عليهم ، وكلّ سبي أخذ ممن لم يقاتل وكذلك منْ قاتل فلا يردّ عليه سباياه . وقيل إنّه أمره أن يخيِّروا منْ في أيديهم من السبي بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله ، فمنِ اختار الإسلامَ فلا يردّوه إليهم ، ومن اختارهم ردّوه عليهم وأخذوا منه الجزيةَ ، وأما ما تفرّق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما ، فإنه لا يقدر على ردّهم ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر[1] الوفاء به . ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخيَّروهم ، فمنهم من اختار الإسلامَ ، ومنهم من عاد إلى دينه ، وانعقد الصلحُ بينهم . ثم أرسل عمرو جيشاً إلى إسكندرية ـ وكان المُقَوْقسُ صاحب الإسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم ـ فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم : إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم . والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم . ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول : إني كنت أؤدّي الخراج إلى منْ هو أبغضُ إليَّ منكم ـ فارس والروم ـ ثم صالحهم على أداء الجزية ، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع المُقَوْقِس جعل كثير من المسلمين يفرّ من الزحف فجعل عمرو يُذَمِّرهم[2] ويحثهم على الثبات : فقال له رجلٌ من أهل اليمن : إنّا لم نخلق من حجارة ولا حديد . فقال له عمرو : اسكت فإنما أنت كلب . فقال له الرجل : فأنت إذاً أمير الكلاب[3] . فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحابَ رسول الله ﷺ فلما اجتمع إليه منْ هناك من الصحابة قال لهم عمرو : تقدّموا فَبِكُم ينصرُ اللهُ المسلمين ـ فنهدوا إلى القوم ففتحَ اللهُ عليهم وظفروا أتمَّ الظفر .

قال سيف : ففتُحت مصرُ في ربيع الأول من سنة ستّ عشرة، وقام فيها ملك الإسلام ولله الحمد والمنة .

وقال غيره : فُتحت مصر في سنة عشرين ، وفتحت إسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوةً ، وقيل صلحاً على اثني عشر ألف دينار . وقد ذكر أنّ المُقَوْقِس سأل من عمرو أن يهادنه أولاً ، فلم يقبل عمرو وقال له : قد علمتم ما فعلنا بملككم الأكبر هرقل . فقال المُقَوْقس لأصحابه : صدقَ فنحن أحقُّ بالإذعان . ثم صالح على ما تقدم .

وذكر غيره أن عَمراً والزبير سارا إلى عين شمس[4] فحاصراها وأن عمراً بعث إلى الفرما[5] أبرهة بن

---

(١) في أ : ما لا يعذر .

(٢) يُذمِّرهم ، أي يحضُّهم ويُشجِّعهم . وفي بعض النسخ : يزمرهم .

(٣) في أ : إذاً أنت كبير الكلاب .

(٤) عين شمس : اسم مدينة فرعون موسى بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ ، كانت مدينة كبيرة ، وبها آثار قديمة وأعمدة تسميها العامة مسالّ فرعون . معجم البلدان (٤/ ١٧٨) .

(٥) الفرما : مدينة على الساحل من ناحية مصر تشرف على بحر القُلْزم [الأحمر] ، فتحها عمرو بن العاص عنوة في=

الصباح ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية فقال كل منهما لأهل بلده : إن نزلتم فلكم الأمان . فتربّصوا ماذا يكون من أهل عين شمس ، فلما صالحوا صالح الباقون . وقد قال عوف بن مالك لأهل إسكندرية : ما أحسنَ بلدَكُم ؟ فقالوا : إنّ إسكندر لمّا بناها قال : لأبنينَّ مدينةً فقيرةً إلى الله غنيةً عن الناس . (فبقيت بهجتها) .

وقال أبرهة لأهل الفرما ، ما أقبحَ[1] مدينتكم ؟ فقالوا : إن الفرما ـ وهو أخو الإسكندر ـ لمّا بناها قال لأبنينّ مدينة غنيةً عن الله فقيرةً إلى الناس . فهي لا يزال[2] ساقطاً بناؤها ، فشوهت بذلك .

وذكر سيفٌ أنَّ عبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْح لمّا ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم رؤوساً من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كلّ سنة ، ويعوّضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوةٍ . وأقرّ ذلك عثمان ابن عفان وولاة الأمور بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمضاه أيضاً نظراً لهم ، وإبقاءً لعهدهم[3] .

قلت : وإنما سميت ديار[4] مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص ، وذلك أنّه نصب خيمتَه وهي الفسطاط موضع مصر اليوم ، وبنى الناس حوله ، وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم ، ثم رفع الفسطاط وبنى موضعه جامعاً وهو المنسوب إليه اليوم .

وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة فنالهم جراحات كثيرة ، وأصيبت أعين كثيرة ، لجودة رمي النوبة فسموهم جند الحدق . ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة .

وقد اختلف في بلاد مصر فقيل : فتحت صلحاً إلّا الإسكندرية ، وهو قول يزيد بن أبي حبيب . وقيل : كلّها عنوة ، وهي قول ابن عمر وجماعة . وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال : ما قعدت مقعدي هذا ولأحدٍ من القبط عندي عهدٌ إن شئت ـ قبلت ، وإن شئت بعت ، وإن شئت خمست ، إلا لأهل الطابلس فإنّ لهم عهداً نُوفي[5] به .

قصة نيل مصر

روينا من طريق ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن حدَّثه قال : لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص ـ حين دخل بؤنة من أشهر العجم ـ فقالوا : أيها الأمير ، لنيلنا[6] هذا سُنّة لا يجري إلا

= زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨ . معجم البلدان (٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ١٠٨) : ما أخلق .

(٢) في أ : فهي لا تزال .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١١١) .

(٤) في أ : بلاد مصر .

(٥) في أ : نفي .

(٦) في أ : إن لنيلنا .

بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت ثنتا[١] عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضلَ ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً ، حتى همّوا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي[٢] ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر . أما بعد ، فإن كنتَ إنما تجري من قِبَلِكَ ومن أمركَ فلا تَجْرِ فلا حاجةَ لنا فيكَ ، وإن كنتَ إنّما تجري بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يُجريكَ فنسألُ الله تعالى أن يجريكَ » قال : فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله [تلك] السُّنَّةَ عن أهل مصر إلى اليوم .

قال سيف بن عمر[٣] : وفي ذي القعدة من هذه السنة ـ وهي عنده سنة ست عشرة ـ جعل عمر[٤] المسالح[٥] على أرجاء مصر ، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر في البحر .

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة غزا أرض الروم أبو بَحْرِية[٧] عبد الله بن قيس العبدي ـ وهو أولُ من دخلها فيما قيل ـ فسلم وغنم . وقيل : أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي .

قال الواقدي : وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين (وحدّه[٨] في الشراب ، وولّى على البحرين) واليمامة أبا هريرة الدوسي رضي الله عنه .

قال : وفيها شكا أهل الكوفة سعداً في كل شيء ، حتى قالوا : لا يُحسن يُصلّي ، فعزله عنها وولى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان ـ وكان نائب سعد ـ وقيل بل ولاها عمّار بن ياسر[٩] .

وقال الإمام أحمد[١٠] : حدَّثنا سفيان ، عن عبد الملك ، سمعه من جابر بن سَمُرَة . قال : شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا : إنه لا يُحسن يصلّي ، قال الأعاريب ؟ والله ما آلو بهم صلاة رسول الله ﷺ

---

(١) في ط : اثنتي ؛ خطأ .

(٢) في أ : كتابي هذا .

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١١١) .

(٤) في ط : عمرو ؛ خطأ .

(٥) المسالح : جمع مَسْلحة وهي الثغر والقوم ذوو السلاح . القاموس (السلاح) .

(٦) في تاريخه (٤/ ١١٢) .

(٧) في أ : أبو بحيرة ؛ تحريف . وما هنا موافق لتاريخ الطبري .

(٨) أي أقام عليه الحدّ .

(٩) في الأصل والمطبوع : عمرو . وهو خطأ ، وسيأتي على الصواب صفحة (٢٣٩) .

(١٠) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٩) وهو في الصحيحين : البخاري (٧٥٥) و(٧٥٨) في الأذان ومسلم (٤٥٣) (١٥٨) في الصلاة عن طريق عبد الملك بن عمير ، به .

في الظهر والعصر ، أردّد في الأولين وأصرف في الأُخريين[١] . فسمعتُ عمر يقول : كذا الظنُّ بك يا أبا إسحاق .

وفي صحيح مسلم[٢] أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأثنوا خيراً إلا رجلاً يقال له : أبو سعدة أسامة بن قتادة[٣] قام فقال : أما إذ أنشدتنا فإنَّ سعداً لا يقسم بالسَّوية ، ولا يعدل في القضية ، ولا يخرج في السَّريَّة . فقال سعد : اللهمّ إن كان عبدكَ هذا قام مقام رياءٍ وسمعةٍ ، فأطل عمره وأدم فقرَهُ وعرِّضْهُ للفتن . فأصابته دعوةُ سعد ـ فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عينيه . ويتعرّض للجواري في الطرق فيغمزهن ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد .

وقد قال عمر في وصيته ـ وذكره في الستة[٤] ـ فإن أصابت الإمرَة سعداً فذاك ، وإلا فليستعنْ به أيّكم ولّي ، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة . قال : وفيها أجلى عمرُ يهودَ خيبر عنها إلى أذرعات وغيرها .

وفيها أجلى عمر يهود نجران منها أيضاً إلى الكوفة ، وقسم خيبر ، ووادي القرى ، ونجران بين المسلمين .

قال وفيها دوّنَ عمر الدواوين ، وزعم غيره أنّه دوّنها قبل ذلك ، فالله أعلم .

قال : وفيها بعث عمر عَلْقَمة بن مُجَزِّز المُدْلجي[٥] إلى الحبشة في البحر فأصيبوا ، فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعدها . وقد خالف الواقدي في هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين ـ يعني في خلافة عثمان بن عفان ـ والله أعلم .

قال الواقدي . وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد ، التي مات عنها الحارث بن هشام في الطاعون ، وهي أخت خالد بن الوليد .

قال : وفيها مات هلال[٦] بدمشق .

---

(١) في ط : الأخيرين ؛ خطأ . الذي في مسند أحمد « أركد في الأولين ، وأحذف في الأخريين » .

(٢) هكذا نسب المصنف هذه الزيادة لمسلم ، ولم أقف عليها في المطبوع منه ، وإنما أخرجها البخاري (٧٥٥) . وينظر دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٨٩ ـ ١٩٠) (بشار) .

(٣) في ط : قتادة بن أسامة ؛ خطأ . وما هنا موافق للبخاري ولتاريخ الطبري (٤/ ١٢١) والكامل لابن الأثير (٣/ ٦) .

(٤) الستة الذين أوصى عمر رضي الله عنه أن يكون الأمر لأحدهم من بعده وهم عليّ وطلحة ، وعثمان والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد رضي الله عنهم . ونص هذه الوصية في مسند أحمد (١/ ١٥) وصحيح البخاري رقم (٣٧٠٠) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم رقم (٥٦٧) في المساجد : وصحيح ابن حبان ـ الإحسان ـ (١٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥٥) رقم (٦٩١٧) وثمة تخريج واف لهذه الوصية .

(٥) ضبطه عن جامع الأصول (١٤/ ٥٣٧) وفي هامشه قائمة بمصادره .

(٦) هو هلال بن مرّة الأشجعي ؛ ترجمته في جامع الأصول (١٥/ ٥٠٠) وأسد الغابة (٥/ ٤١٢) والإصابة (٣/ ٦٠٧) .

وأُسَيْد بن الحُضَيْر في شعبان .

وزينب بنت جَحْش أم المؤمنين ، وهي أول منْ مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنها .

قال : وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين .

قال : وحج بالناس في هذه السنة عمر ، ونُوَّابُه وقضاتُه منْ تقدم في التي قبلها ، سوى منْ ذكرنا أنه عزله وولى غيره .

ذكر المتوفين [في هذه السنة] من الأعيان

أُسَيْد بن الحُضَيْر[١] بن سِمَاك الأنْصاري الأشْهلي من الأوس ، أبو يحيى : أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث ، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حُضَيْر الكتائب . يقال إنه أسلم على يَدَيْ مُصْعب بن عُمَيْر . ولما هاجر الناس آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدراً . وفي الحديث الذي صححه الترمذي[٢] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أُسَيْد بن الحُضَيْر » وذكر جماعة . وقدم الشام مع عمر ، وأثنت عليه عائشة ، وعلى سعد بن معاذ ، وعبّاد بن بشر ، رضي الله عنهم ، وذكر ابن بكير أنه توفي بالمدينة سنة عشرين ، وأن عمر حمل بين عموديه وصلَّى عليه ودفن بالبقيع ، وكذا أرَّخَ وفاته سنة عشرين الواقدي وأبو عبيد وجماعة .

أُنَيْس بن مَرْثَد (بن أبي) مَرْثَد الغَنَوي[٣] هو وأبوه وجده صحابة وكان أنيس (هذا) عيناً لرسول الله يوم حُنَيْن ، ويقال[٤] إنه الذي قال له رسول الله ﷺ : « واغْدُ يا أُنَيْس إلى امرأةِ هذا فإن اعْتَرَفَتْ فارْجُمْها »[٥] والصحيح أنه غيره ، فإن في الحديث : فقال لرجل من أسلم ، فقيل : إنه أُنَيْس بن الضَّحاك

---

(١) ترجمة ـ أسيد بن حضير ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٠٣) والاستيعاب (١/ ٩٢ ـ ٩٤) وجامع الأصول (١٣/ ٢٠ ـ ٢١) وأسد الغابة (١/ ١١١ ـ ١١٣) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٤/ ٣٩١ ـ ٣٩٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣) والإصابة (١/ ٤٩) .

(٢) هكذا قال إن الترمذي صححه ، وهو غلط محض انتقل إليه من شيخه الذهبي في تاريخ الإسلام ، وإنما اقتصر الترمذي على تحسينه ، فقال : « هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث سهيل » . ولعل الإمام الترمذي اقتصر على تحسينه لغرابة متنه ولأنه معلول عنده ، وهي عادته عند التحسين ، فقد روى موصولاً ومرسلاً ، فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ١١ ـ ١٢ و١٣٦ ـ ١٣٧ من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن النبي ﷺ ليس فيه أبو هريرة (بشار) .

(٣) ترجمة ـ أنيس بن مرثد ـ في الاستيعاب (١/ ١١٣ ـ ١١٤) وجامع الأصول (١٣/ ٣٣) . وأسد الغابة (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤) والإصابة (١/ ٧٣) ويقال في اسمه : أنس .

(٤) في ط : يقال .

(٥) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١١٥) والبخاري في صحيحه (٦٨٥٩ و٦٨٦٠) في الحدود ، ومسلم في=

الأسلمي . وقد مال ابن الأثير إلى ترجيحه ، والله أعلم . له حديث في الفتنة[١] قال إبراهيم بن المنذر : توفي في ربيع الأول سنة عشرين .

بلال بن رَبَاح الحَبَشي[٢] المُؤَذِّن مولى أبي بَكْر : ويُقال له بلال بن حَمامة . وهي أمه . أسلم قديماً فعُذِّبَ في الله فصبر فاشتراه الصديق فأعتقه . شهد بدراً وما بعدها[٣] . وكان عمر يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا . رواه البخاري[٤] . ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذي يؤذن بين يدي رسول الله ﷺ وابن أم مكتوم يتناوبان . تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال نديَّ الصوت حسنهُ ، فصيحاً ، وما يُروى « أنَّ سين بلال عند الله شينا » فليس له أصل . وقد أذّن يوم الفتح على ظهر الكعبة . ولما توفي رسول الله ﷺ ترك الأذان ، ويقال أذَّن للصدّيق أيام خلافته ولا يصحّ . ثم خرج إلى الشام مجاهداً . ولمّا قدم عمر إلى الجابية أذّن بين يديه بعد الخطبة لصلاة الظهر ، فانتحب الناس بالبكاء . وقيل إنه زار المدينة في غضون ذلك فأذَّن فبكى الناس بكاءً شديداً ويحق لهم ذلك رضي الله عنهم. وثبت في الصحيح[٥] أن رسول الله ﷺ قال لبلال « إني دخلت الجنة فسمعت خشف[٦] نعليك أمامي فأخبرني بأرجى عمل عملته » . فقال : ما توضأت إلا وصليت ركعتين . فقال : « بذاك » . وفي رواية « ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا رأيت أن علي أن أصلّي ركعتين » قالوا : وكان بلال آدم[٧] شديد الأدمة طويلاً نحيفاً كثير الشعر خفيف العارضين . قال ابن بكير : توفي بدمشق في طاعون عَمَواس سنة ثماني عشرة . وقال محمد بن إسحاق وغير واحد : توفي سنة عشرين . قال الواقدي : ودفن بباب الصغير وله بضع وستون سنة . وقال غيره : مات بداريا، ودفن بباب كيسان. وقيل: دفن بداريا ، وقيل : إنه مات بحلب . والأول أصح ، والله أعلم.

سعيد بن عامر بن حِذْيَم[٨] : من أشراف بني جُمَح ، شهدَ خيبر وكان من الزُّهّاد والعُبّاد ، وكان أميراً

= صحيحه (١٦٩٧) في الحدود ، وابن الأثير في جامع الأصول رقم (١٨٤٧) (٣/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) .

(١) في أ : الفقه ؛ تحريف ، وما هنا موافق للاستيعاب وتاريخ الإسلام ولم أجد هذا الحديث في المصادر الحديثة المتوفرة لدي والله أعلم .

(٢) ترجمة ـ بلال مؤذن رسول الله ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٣٢) والاستيعاب (١/ ١٧٨) وأسد الغابة (١/ ٢٤٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٦ ـ ١٣٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٧ ـ ٣٦٠) والإصابة (١/ ٢٧٣) .

(٣) في أ : وما بعدها فأعتقه .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٥٤) في المناقب .

(٥) صحيح البخاري (١١٤٩) في التهجد ، وصحيح مسلم (٢٤٥٨) في الفضائل . والرواية الثانية من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤ و٣٦٠) والترمذي في جامعه (٣٦٨٩) في المناقب .

(٦) الخشف : الصوت ليس بالشديد .

(٧) آدم : الأدمة : السمرة .

(٨) في ط : خذيم ، تحريف ، وترجمة ـ سعيد بن عامر ـ في الاستيعاب (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) وأسد الغابة (٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) والإصابة (٢/ ٤٨ ـ ٤٩) وفيه : حديم .

لعمر على حمص بعد أبي عبيدة ، بلغ عمر أنه قد أصابته حاجة[١] شديدة ، فأرسل إليه بألف دينار فتصدَّق بها جميعها ، وقال لزوجته : أعطيناها لمن يتجر لنا فيها رضي الله عنه . قال خليفة[٢] : فتح هو ومعاوية قَيْسارية كل منهما أمير على من معه .

عِيَاضُ بن غَنْمٍ[٣] أبو سعد الفِهْري من المهاجرين الأولين ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان سمحاً جواداً ، شجاعاً ، وهو الذي افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازياً ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين عن ستين سنة .

أبو سفيان بن الحارث[٤] بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ قيل : اسمه المغيرة . أسلم عام الفتح فحسُنَ إسلامُه جداً ، وكان قبل ذلك من أشد الناس على رسول الله ﷺ، وعلى دينه ومن تبعه ، وكان شاعراً مطبقاً ، يهجو الإسلام وأهله ، وهو الذي ردَّ عليه حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله[٥] : [من الوافر]

الا أبْلِغْ أبَا سُفيانَ عَنّي ... مُغَلْغلةً فَقَدْبَرح الخَفاءُ[٦]

هَجَوْتَ مُحمَّداً وأجَبْتُ[٧] عنه ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

أتَهْجوهُ ولَسْتَ لهُ بكُفْءٍ ... فشَرُّكما لخَيْرِكُما الفِداءُ

ولما جاء هو وعبد الله بن أبي أمية ليسلما لم يأذن لهما عليه السلام حتى شفعتْ أمُّ سلمة لأخيها فأذن له ، وبلغه أنّ أبا سفيان هذا قال : والله لئن لم يأذن لي لآخذن بيد بنيَّ هذا ـ لولد معه صغير ـ فلأذهبن فلا يدرى أين أذهب، فرقَّ حينئذ له رسول الله ﷺ وأذن له ، ولزم رسول الله ﷺ يوم حنين[٨] وكان آخذاً بلجام بغلته يومئذ، وقد روي أن رسول الله ﷺ أحبه وشهد له بالجنة، وقال: « أرجو أن تكون خلفاً من حمزة »[٩]

---

(١) في ط : جراحة ؛ تحريف .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص١٤١) .

(٣) ترجمة ـ عياض بن غنم ـ في الطبقات الكبرى (٧/ ٣٩٨) والاستيعاب (٣/ ١٢٣٤) وأسد الغابة (٤/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) الإصابة (٧/ ١٨٩) .

(٤) ترجمة ـ أبي سفيان بن الحارث ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٤٩) والاستيعاب (٤/ ١٦٧٣ ـ ١٦٧٧) وجامع الأصول (١٤/ ٢٧٩) وأسد الغابة (٦/ ١٤٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥) والإصابة (٤/ ٩٠ ـ ٩١) .

(٥) الأبيات في ديوان حسان (ص١٨) .

(٦) في الديوان : فأنت مجوّف نخب هواء .

(٧) في الديوان : فأجبت .

(٨) في أ : يوم خيبر . تحريف .

(٩) أورده ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٦٧٥) ، والذهبي في تاريخ الإسلام (وفيات سنة ٢٠) من غير إسناد ، وإنما نقله المصنف من الذهبي .

وقد رَثَى رسول الله ﷺ حين توفي بقصيدةٍ ذكرناها فيما سلف[١] وهي التي يقول فيها[٢] : [من الوافر]

أرقْـتُ فَبَـاتَ لَيْلـي لا يَـزُولُ ... وَلَيْـلُ أخِ المُصيبـةِ فيـهِ طُـولُ

وَأسْعـدنـي البُكـاءُ وذاكَ فيمـا ... أُصيـبَ المسلمـونَ بـهِ قَليـلُ

فقـدْ عَظُمـتْ مُصيبتنـا وجَلّـت ... عَشِيَّـةَ قيـلَ قـد قُبِضَ الـرَّسُـولُ

فَقَـدْنـا الـوَحْـي والتَّنـزيـلَ فينـا ... يَـروحُ بـه ويَغْـدو جِبْـرئيـلُ

ذكروا أنَّ أبا سفيان حجَّ فلما حلق رأسَه قطع الحالق ثؤلولاً (له) في رأسه فتمرض منه فلم يزل كذلك حتى مات بعد[٣] مرجعه إلى المدينة ، وصلَّى عليه عمر بن الخطاب . وقد قيل إن أخاه نوفلاً توفي قبله بأربعة أشهر ، والله أعلم .

أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهان[٤] هو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعور بن جُشَم بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنْصاري الأوْسي ، شهد العقبة نقيباً ، وشهد بدراً وما بعدها ، ومات سنة عشرين ، وقيل إحدى وعشرين ، وقيل إنه شهد صفين مع علي ، قال ابن الأثير وهو الأكثر . وقد ذكره شيخنا[٥] هنا ، فالله أعلم .

زينب بنت جَحْش[٦] بن رياب الأسدية من أسد خزيمة ، أول أمهات المؤمنين وفاةً ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وكان اسمها برَّة ، فسمّاها رسول الله زينب ، وتكنى أم الحكم ، وهي التي زوَّجه الله بها ، وكانت تفتخر[٧] بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ فتقول : زوَّجَكُنَّ أهلوكن وزوَّجني اللهُ من السماء[٨] . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] الآية . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة . فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ . قيل كان ذلك في سنة ثلاث وقيل أربع وهو الأشهر . وقيل

---

(١) تقدم ذكر هذه القصيدة في حوادث سنة ١١ وهذه الأبيات منها : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ .

(٢) الأبيات في الاستيعاب (٤/ ١٦٧٦) وعددها عشرة ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وعددها اثنا عشر .

(٣) في أ : من بعد .

(٤) ترجمة ـ ابن التيهان ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٤٧) والاستيعاب (٣/ ١٣٤٨) وجامع الأصول (١٥/ ١٥٧) وأسد الغابة (٥/ ١٤) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٩ ـ ٨٠) وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٨٩) والإصابة (٣/ ٣٤١) و(٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وفي هذه المصادر خلاف كبير في اسمه واسم آبائه وأجداده.

(٥) يقصد الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٦) ترجمة ـ زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها في الطبقات الكبرى (٨/ ١٠١) والاستيعاب (٤/ ١٨٤٩ ـ ١٨٥٢) وجامع الأصول (١٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وأسد الغابة (٧/ ١٢٥ ـ ١٢٧) وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢١١ ـ ٢١٨) . والإصابة (٤/ ٣١٣) .

(٧) في أ : تفخر .

(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٤٢٠) والترمذي رقم (٣٢١٣) من حديث أنس رضي الله عنه .

سنة خمس ، وفي دخوله عليه السلام بها نزل الحجاب كما ثبت في الصحيحين[١] عن أنس وهي التي كانت تسامي عائشة بنت الصديق في الجمال والحُظْوة ، وكانت ديّنةً ورعةً عابدةً كثيرةَ الصّدقة . وذاك الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « أسْرَعُكُنَّ لحاقاً بي أطولُكُنَّ يداً »[٢] أي : بالصدقة . وكانت امرأةً صناعاً تعمل بيديها وتتصدق على الفقراء ، قالت عائشة[٣] : ما رأيتُ امرأةً قطُّ خيراً في الدّين وأتْقَى لله وأصدقَ حديثاً وأوصلَ للرحم وأعظمَ أمانةً وصدقةً من زينب بنت جحش . ولم تحجّ بعد حجة الوداع لا هي ولا سودة ، لقوله عليه السلام لأزواجه : « هذه ثم ظهور الحصر »[٤] وأما بقية أزواج النبي ﷺ فكنّ يخرجن إلى الحجّ ، وقالت[٥] زينب وسودة : والله لا تحركنا بعده دابة . قالوا : وبعث عمر إليها فرضها اثني عشر ألفاً فتصدقت به في أقاربها . ثم قالت : اللهمَّ لا يدركني عطاءُ عمر بعدَ هذا . فماتَتْ في سنة عشرين وصلى عليها عمر . وهي أول من صُنع[٦] لها النعشُ[٧] ، ودفنت بالبقيع .

صَفِيَّة بنت عبد المُطَّلب[٨] **عمَّة رسول الله ﷺ** : وهي أمّ الزبير بن العوام ، وهي شقيقةُ حَمْزَةَ والمُقَوَّمِ وحَجْل ، أُمُّهم هالةُ بنت وهيب بن عبد مَنافِ بن زهرة . لا خلافَ في إسلامها وقد حضرت يوم أحد ووجدتْ على أخيها حمزةَ وَجْداً كثيراً ، وقَتَلَتْ يومَ الخندقِ رجلاً من اليهود جاء فجعل يطوف[٩] بالحصنِ التي هي فيه وهو فارع حصن حسَّان فقالت لحسان : انزل فاقتله ، فأبى ، فنزلت إليه فقتلته ثم قالت : انزل فاسلبه فلولا أنه رجل لاستلبتهُ[١٠] . فقال : لا حاجةَ لي فيه . وكانت أولَ امرأةٍ قتلتْ رجلاً من المشركين .

وقد اختُلِف في إسلام من عداها من عَمّاتِ النبي ﷺ فقيل : أسلمتْ أرْوَى وعاتكةُ . قال ابن الأثير وشيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ : والصحيح أنه لم يسلم منهن غيرُها . وقد تزوجتْ أولًا بالحارث بن

---

(١) صحيح الإمام البخاري (٦٢٣٨) في الاستئذان ، وصحيح مسلم (١٤٢٨) (٨٩) في النكاح .

(٢) الحديث في صحيح مسلم (٢٤٥٢) (١٠١) في فضائل الصحابة .

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٥١) .

(٤) الحديث في مسند أحمد (٢/ ٤٤٦ و٥/ ٢١٨) وسنن أبي داود (١٧٢٢) في المناسك ، وهو حديث حسن .

(٥) في ط : وقالتا وهي لغة مفضولة .

(٦) في أ : وضع .

(٧) ذكر الذهبي في السير (٢/ ٢١٢) أنه لما ماتت زينب بنت جحش أمر عمر منادياً : ألا يخرج معها إلا ذو محرم . فقالت بنتُ عُميس : يا أمير المؤمنين ؛ ألا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنعُه بنسائهم ؟ فجعلتْ نعشاً وغشته ثوباً . فقال : ما أحسن هذا وأستره ! فأمر منادياً ، فنادى : أن اخرجوا على أمّكم . وهو في الطبقات الكبرى (٨/ ١١١).

(٨) ترجمة ـ صفيّة بنت عبد المطلب ـ في الطبقات الكبرى (٨/ ٤١) والاستيعاب (٤/ ١٨٧٣) وجامع الأصول (١٤/ ٣٦٤) وأسد الغابة (٧/ ١٧٣) وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) والإصابة (٤/ ٣٤٨ـ ٣٤٩) .

(٩) في أ : يطيف .

(١٠) في أ : استلبته .

حرب بن أمية . ثم خلف عليها العوام بن خُوَيلد فولدتْ له الزبيرَ وعبدَالكعبةِ . وقيل تزوَّج بها العوامُ بكراً ، والصحيحُ الأولُ . توفيتْ بالمدينة سنةَ عشرين عن ثلاثٍ وسبعين سنةً . ودفنتْ بالبقيعِ رضي الله عنها . وقد ذكر ابن إسحاق من توفي غيرها .

عُوَيْم بن ساعِدَة الأَنْصاري[١] : شهد العَقَبَتَيْنِ والمشاهدَ كلَّها . وهو أولُ من استنجى بالماء ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] وله رواياتٌ . توفي هذه السنة بالمدينة .

بِشْر بن عَمرو بن حَنَش يُلَقَّبُ بالجَارُودِ[٢] ، أسلم في السنة العاشرة ، وكان شريفاً مُطاعاً في عبد القيس ، وهو الذي شهد على قُدامة بن مَظْعون أنه شربَ الخمرَ ، فعزله عمر عن البحرين وحدَّهُ . قُتِلَ الجارودُ شهيداً .

أبو خِراش[٣] خُوَيْلد بن مُرَّة الهُذَلي ، كان شاعراً مجيداً مُخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام وكان إذا جرى سبَقَ الخَيْلَ[٤] . نهشته حية فمات بالمدينة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

وكانت وقعة نَهاوَند[٥] [وفتحها على المشهور]
وهي وقعةٌ عظيمةٌ جداً لها شأن رفيع ونبأ عجيب ، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح

قال ابن إسحاق والواقدي : كانت وقعة نَهاوندَ في سنة إحدى وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة سبع عشرة . وقيل في سنة تسع عشرة والله أعلم . وإنما ساق أبو جعفر بن جرير[٦] قصَّتَها في هذه السنة فتبعناه في ذلك وجمعنا كلامَ هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقاً واحداً ، حتى دخل سياقُ بعضهم في بعض .

---

(١) ترجمة ـ عويم عن ساعدة ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٥٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٦٨) وأسد الغابة (٤/ ٣١٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٠) والإصابة (٣/ ٤٤) .

(٢) ترجمة ـ بشر بن عمرو ـ في الطبقات الكبرى (٥/ ٥٥٩) والاستيعاب (١/ ٢٦٢) وجامع الأصول (١٣/ ١٥٤ و٢٣٩) وأسد الغابة (١/ ٣١١) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٥١) والإصابة (١/ ٢١٦) .

(٣) في ط : أبو خراشة ، وترجمة ـ أبو خراش ـ هذا في الطبقات الكبرى (٧/ ٥٠٠) وساق له حديثاً ، والاستيعاب (٤/ ١٦٣٦ ـ ١٦٣٩) وجامع الأصول (١٣/ ٤٥٠) وضبط خِرَاش بالحرف . والإصابة (٤/ ٥١) .

(٤) في أ : وكان إذا جرى مع الخيل سبقهم .

(٥) نهاوَنْد : بفتح النون وتكسر ، والواو مفتوحة ، ونون ساكنة ، ودال مهملة : هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام ، كانت فيها وقعة المسلمين والفرس سنة ٢١ أيام عمر . معجم البلدان (٥/ ٣١٣ ـ ٣١٤) .

(٦) في تاريخه (٤/ ١١٤) .

قال سيف وغيره : وكان الذي هاجَ هذه الوقعةَ أنَّ المسلمين لما افتتحوا الأهوازَ ومنعوا جيشَ العلاء من أيديهم واستولَوْا على دار الملك القديم من إصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم حديثاً ، وهي المدائن ، وأخذوا[1] تلك المدائن والأقاليم والكور والبلدان الكثيرة ، فحموا عند ذلك واستجاشهم يَزْدَجِرْدُ الذي تقهقر من بلدٍ إلى بلدٍ حتى صار إلى أصبهان مُبْعَداً طَريداً ، لكنّه في أسرة من قومه وأهله وماله ، وكتب إلى ناحية نهاوَنْد وما والاها من الجبال والبلدان ، فتجمَّعُوا وتراسلُوا حتى كمل لهم من الجنود ما لم يجتمع لهم قبل ذلك .

فبعثَ سعدٌ إلى عمر يعلمه بذلك ، وثار أهلُ الكوفة على سعد في غضون هذا الحال . فَشَكَوْهُ في كلِّ شيءٍ حتى قالوا : لا يُحسنُ يُصلِّي . وكان الذي نهضَ بهذه الشكوى رجلٌ يقال له : الجَرَّاح بن سنان الأَسَديّ في نفر معه ، فلمَّا ذهبوا إلى عمر فشكَوْه قال لهم عمر : إنَّ الدليل على (ما عندكم من الشر)[2] نهوضكم في هذا الحال عليه ، وهو مستعدٌّ لقتال أعداء الله ، وقد جمعوا لكم ، ومع هذا لا يمنعني أن أنظرَ في أمركم .

ثم بعث محمد بن مسلمة ـ وكان رسولَ العُمّال ـ فلما قدم محمد بن مسلمةَ الكوفة طافَ على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة . فكلٌّ يُثْني على سعدٍ خيراً إلا ناحية الجَرَّاح بن سنان فإنّهم سكتوا فلم يذمُّوا ولم يشكروا ، حتى انتهى إلى بني عبس ، فقام رجل يُقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة ، فقال : أما إذ ناشدتنا[3] فإنَّ سعداً لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ، ولا يغزو في السريّة . فدعا عليه سعدٌ فقال : اللهمّ إنْ كانَ قالها كذباً ورياءً وسمعةً فأعم بصرَهُ ، وكَثِّرْ عيالَهُ ، وعَرِّضْهُ لمُضِلاَّتِ الفِتن . فَعَميَ واجتمعَ عنده عشرُ بناتٍ ، وكانَ يسمعُ بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فإذا عُثر عليه قال : دعوةُ سعدٍ الرجلِ المباركِ . ثم دعا سعد على الجَرّاحِ وأصحابه فكلٌّ أصابته قارعةٌ في جسده ، ومصيبةٌ في ماله بعد ذلك . واستنفر محمد بن مسلمة أهلَ الكوفة لغزو أهل نَهاوند في غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب .

ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجَرّاح وأصحابه حتى جاؤوا عمر فسأله عمر : كيف يُصلي ؟ فأخبره أنه يطوّلُ في الأولين ويُخففُ في الأُخريين وما آلو ما اقتديتُ به من صلاةِ رسول الله ﷺ . فقال له عمر : ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق .

وقال سعدٌ في هذه القصة : لقد أسلمتُ خامسَ خمسةٍ ، ولقد كنا وما لنا طعام إلا ورق الحُبْلَةِ[4] حتى تَقَرَّحتْ أشداقُنا ، وإنّي لأولُ رجلٍ رمى بسهمٍ في سبيل الله ، ولقد جمع لي رسولُ الله ﷺ أبويه

---

(١) في ط : وأخذ .

(٢) في أ : من الدليل على شركم . والخبر عند الطبري (٤/ ١٢١) وقد مرّ أيضاً في حوادث سنة عشرين صفحة (١٥٧) من هذا الجزء .

(٣) في أ : أنشدتنا .

(٤) الحُبْلَة : بالضم وسكون الباء : ثمر السَّمُر يشبه اللُّوبياء ، وقيل : هو ثمر العضاه . النهاية (١/ ٣٣٤) .

وما جمعهما لأحد قبلي ، ثم أصبحت بنو أسد يقولون : لا يُحسن يُصلّي ـ وفي رواية يغرر بي على الإسلام ـ لقد خبتُ إذاً وضلَّ عملي[١]

ثم قال عمر لسعد : منِ استخلفتَ على الكوفة ؟ فقال : عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان[٢] ، فأقرَّهُ عمر على نيابته[٣] الكوفة ـ وكان شيخاً كبيراً من أشراف الصحابة حليفاً لبني الحُبلي من الأنصار ـ واستمرّ سعدٌ معزولاً من غير عجْزٍ ولا خيانةٍ ويهدّدُ أولئك النفرَ ، وكادَ يوقعُ بهم بأساً . ثم تركَ ذلك خوفاً من أن لا يشكوَ أحدٌ[٤] أميراً .

والمقصودُ أنَّ أهلَ فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند ، حتى اجتمع منهم مئة ألف وخمسون ألف مقاتل ، وعليهم الفيرزان ويقال : بندار ، ويقال ذو الحاجب . وتذامروا فيما بينهم ، وقالوا : إنَّ محمداً الذي جاء العربَ بالدين لم يتعرَّضْ لبلادنا ، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرَّض لنا في دار مُلكنا ، وإن عمر بن الخطاب هذا لمّا طال ملكه انتهكَ حرمَتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عُقْر دارنا ، وأخذ بيتَ المملكة وليس بمُنْتهٍ حتى يخرجكم من بلادكم . فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرةَ والكوفةَ ثم يشغلوا عمر عن بلاده ، وتواثقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتاباً .

فلما كتب سعد بذلك إلى عمر ـ وكان قد عزل سعداً في غضون ذلك ـ شافه[٥] سعد عمر بما تمالؤوا عليه وقصدوا إليه ، وأنه قد اجتمع منهم مئة وخمسون ألفاً . وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظَفَر العَبْدي بأنَّهم قد اجتمعوا وهم منحرفون متذامرون على الإسلام وأهله ، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدهم فنعاجلهم عما هَمُّوا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا . فقال عمر لحامل الكتاب : ما اسمُكَ ؟ قال : قريبٌ . قال : ابنُ منْ ؟ قال : ابن ظَفَر . فتفاءل عمر بذلك وقال : ظَفَرٌ قريبٌ . ثم أمر فنُودي : الصلاةُ جامعةٌ ، فاجتمع الناسُ وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقاص ، فتفاءل عمر أيضاً بسعد ، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال : إن هذا يومٌ له

(١) خبر سعد هذا أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٢٧) و(٣٧٢٨) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٩٦٦) (١٢) في أول كتاب الزهد . ولكن دون ذكر : ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه وما جمعهما لأحد قبلي . فهذا خبر آخر أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٢٥) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٤١٢) في فضائل الصحابة وينظر تفاصيل تخريجه في مسند سعد من كتاب « المسند الجامع » للدكتور بشار وزملائه (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٨) ، الأحاديث (٤١٢٨) و(٤١٢٩) و(٤١٣٠) و(٤١٣١) و(٤١٣٢) و(٤١٣٣) و(٤١٣٤) و(٤١٣٥) .

(٢) ترجمته وخبر نيابته في تاريخ الطبري (٤/ ١٢٢) والكامل (٣/ ٦ ـ ٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٩) والإصابة (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

(٣) في أ : نيابة .

(٤) في أ ، ط : أحداً ؛ وما أثبته للسياق اللّغوي .

(٥) في أ : شاور .

ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد هممت بأمر[١] فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم ، إني قد رأيتُ أن أسيرَ بمن قِبَلي حتى أنزل منزلاً وسطاً بين هذين المِصْرين فأستنفر الناس ، ثم أكون لهم رِدْءاً حتى يفتح اللهُ عليهم . فقام عثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ وعبد الرحمن بن عوفٍ في رجالٍ من أهل الرأي ، فتكلَّم كلٌّ منهم بانفراده فأحسنَ وأجادَ ، واتّفق رأيُهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوثَ ويحصرهم برأيه ودعائه .

وكان من كلام عليٍّ رضي الله عنه أن قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ هذا الأمرَ لم يكن نصرُهُ ولا خذلانُهُ بكثرةٍ ولا قلةٍ ، هو دينُهُ الذي أظْهَرَ ، وجندُهُ الذي أعزَّه وأمدَّه بالملائكة حتى بلغَ ما بلغَ . فنحن على موعودٍ من الله ، واللهُ منْجِزٌ وعده ، وناصرٌ جنده ، ومكانكَ منهم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الخَرز يجمعه ويمسكه ، فإذا انحلَّ تفرَّق وما فيه وذهب ، ثم لم يجتمعْ بحذافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرٌ عزيزٌ بالإسلام ، فأقم مكانَكَ واكتبْ إلى أهل الكوفةِ فهم أعلامُ العرب ورؤساؤهم ، فليذهبْ منهم الثُلثان ويقيم الثُّلث ، واكتب إلى أهلِ البصرة يمدُّوهم[٢] أيضاً .

وكان عثمان قد أشار في كلامه أن يمدَّهم في جيوش[٣] من أهل اليمن والشام . ووافق عمرُ على الذهابِ إلى ما بين البصرة والكوفة ـ فرد عليّ على عثمان في موافقته على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم ، وردَّ رأيَ عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفاً على بلادهم إذا قلَّ جيوشها من الروم . ومن أهل اليمن خوفاً على بلادهم من الحبشة . فأعجبَ عمرَ قولُ عليٍّ وسُرَّ به .

وكان عمرُ إذا استشار أحداً لا يبرم أمراً حتى يشاور العباسَ ـ فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المقام عرضه على العباس فقال : يا أمير المؤمنين خَفِّضْ عليكَ ، فإنما اجتمعَ هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم .

ثم قال عمر : أشيروا عليَّ بمن أولّيه أمرَ الحربِ وليكن عراقياً . فقالوا : أنت أبصرُ بجندك يا أميرَ المؤمنين . فقال : أما والله لأولينَّ رجلاً يكون أولَ الأسنّةِ إذا لقيها غداً . قالوا : من يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : النُّعمان بن مُقَرِّنٍ . فقالوا[٤] : هو لها ـ وكان النعمانُ قد كتبَ إلى عمر وهو على كَسْكَر[٥] وسأله أن يعزلَه عنها ويوليه قتالَ أهل نَهاوَنْد ـ فلهذا أجابه إلى ذلك وَعَيَّنَه له ، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود منها ، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة .

وكتب إلى النعمان ـ وكان بالبصرة ـ أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نَهاوند ، وإذا اجتمع الناسُ فكلُّ أميرٍ على جيشه والأميرُ على الناس كلِّهم النُّعمانُ بن مُقَرِّنٍ . فإذا قُتل فحذيفةُ بن اليَمان ، فإن قُتل

---

(١) في أ : عزمت على أمر .
(٢) في ط : يمدونهم ؛ خطأ .
(٣) في أ : بجيوش .
(٤) في أ : قالوا .
(٥) كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط التي بين الكوفة والبصرة . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

فجَرير بن عبد الله ، فإن قتل فقَيْس بن مَكْشوح ، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عَدَّ سبعةً أحدهم المُغيرة بن شعبة ، وقيل : لم يُسمَّ فيهم ، والله أعلم .

وصورة الكتاب[١] : « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى النُّعمان بن مُقَرّن سلامٌ عليكَ ، فإني أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعدُ فإنّه قد بلَغني أنَّ جموعاً من الأعاجم كثيرةً قد جمعوا لكم بمدينة نَهاوند ، فإذا أتاكَ كتابي هذا فَسِرْ بأمرِ الله ، وبعونِ الله ، وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيَهم ، ولا تمنعْهم حقَّهم فتكفِّرَهم ، ولا تدخلهم غَيْضَةً ، فإن رجلاً من المسلمين أحبُّ إليَّ من مئة ألف دينار ، والسلام عليك . فَسِرْ في وجهك ذلك حتى تأتي ماه[٢] ؛ فإنّي قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوكَ بها ، فإذا اجتمعَ إليكَ جنودكَ فَسِرْ إلى الفيرُزان ومن جمعَ معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا وأكثروا مِنْ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

وكتب عمر إلى نائب الكوفة ـ عبد الله بن عبد الله ـ أن يعينَ جيشا ويبعثهم[٣] إلى نِهاوند ، وليكُنِ الأميرُ عليهم حذيفةَ بن اليَمان حتّى ينتهيَ إلى النُّعمان بن مُقَرِّنٍ ، فإن قُتل النعمانُ فحذيفة فإن قُتل فنُعيم بن مقرّن . وولّى السائب بن الأقرع قَسْمَ الغنائم . فسار حذيفةُ في جيشٍ كثيفٍ نحو النعمان بن مُقَرّن ليوافوه بماه ، وسار مع حذيفة خلقٌ كثيرٌ من أمراء العراق ، وقد أرصدَ في كلِّ كورةٍ ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس في كلِّ ناحية ، واحتاطوا احتياطاً عظيماً ، ثم انتهوا إلى النُّعمان بن مُقَرِّن حيث اتَّعدوا ، فدفع حُذيفة بن اليمان إلى النُّعمان كتاب عمر وفيه الأمرُ له بما يعتمده في هذه الوقعة ، فكمل جيش المسلمين في ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشَّعبي ، فمنهم من سادات الصحابة ورؤوس العرب خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين ، وجَرير بن عبد الله البَجَلي ، وحُذَيْفَة بن اليمان ، والمُغيرة بن شُعبة ، وعمرو بن معدي كرب الزُّبيدي ، وطُلَيْحة بن خُوَيْلد الأسدي ، وقَيْس بن مَكْشوح المُرادي . فسار الناسُ نحو نِهاوند وبعثَ النعمان بن مُقَرّن الأمير بين يديه طليعةً ثلاثة وهم طُلَيْحة ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وعمرو بن أبي سلمى[٤] ويقال له عمرو بنُ ثبيّ أيضاً ، ليكشفوا له خبرَ القوم وما هم عليه . فسارتِ الطليعةُ يوماً وليلةً فرجع عمرو بن ثُبيٍّ فقيل له : ما رجعكَ ؟ فقال : كنتُ في أرض العجم وقَتَلَتْ أرضٌ جاهلَها وقَتَلَ أرضاً عالمُها . ثم رجع بعده عمرو بن معدي كرب وقال : لم نرَ[٥] أحداً وخفتُ أن يؤخذَ علينا الطريق ، ونفذ طليحة ولم يحفِل برجوعهما فسار بعد ذلك نحواً من بضعة

---

(١) بعض هذا الكتاب في تاريخ الطبري (٤/ ١١٤ ـ ١١٥) والكامل لابن الأثير (٣/ ٩) .

(٢) ماه : بالهاء خالصة : قصبة البلد ، ومنه قيل ماه البصرة وماه الكوفة وماه فارس ويقال لنهاوند وهمذان وقمّ ماه البصرة . معجم البلدان (٥/ ٤٨) .

(٣) في أ : ويتبعهم .

(٤) في ط : عمرو بن أبي سلمة ؛ خطأ . وما هنا موافق لتاريخ الطبري .

(٥) في أ : لم أر .

عشر فرسخاً حتى انتهى إلى نِهاوند ، ودخل في العجم وعلم من أخبارهم ما أحبَّ ـ ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك ، وأنه[١] ليس بينه وبين نِهاوند شيءٌ يكرهُهُ . فسار النّعمانُ على تعبئته ، وعلى المقدمة نُعيم بن مقرن ، وعلى المَجْنَبَتَيْنِ حُذيفة وسُويد بن مُقَرّن ، وعلى المجرَّدة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ، حتى انتهوا إلى الفُرس وعليهم الفيرُزان ، ومعه من الجيش كلّ من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة ، وهو في مئة وخمسين ألفاً ، فلما تراءى الجمعان كبَّر النعمانُ وكبَّر المسلمون ثلاثَ تكبيراتٍ ، فزلزلت الأعاجم ، ورعبوا من ذلك رعباً شديداً .

ثم أمر النعمانُ بحطّ الأثقالِ وهو واقفٌ ، فحطَّ الناسُ أثقالَهم ، وتركوا رحالَهم ، وضربوا خيامَهم وقبابَهم ، وضُربت خيمةٌ للنعمان عظيمةٌ ، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشرافِ الجيش ، وهم حُذَيْفة بن اليمان ، وعُتبة بن عمرو ، والمُغيرة بن شعبة ، وبَشير بن الخصاصية ، وحَنظلة الكاتب ، وابن الهَوْبَر ، ورِبعيّ بن عامر ، وعامر بن مَطَر ، (وجرير بن عبد الله الحِمْيريّ)[٢] ، وجرير بن عبد الله البَجَلي ، والأقرع بن عبد الله الحِمْيري ، والأشْعث بن قَيْس الكِنْدي ، وسعيد بن قيس الهَمْداني ، ووائل بن حُجْر ، فلم يُرَ بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة ، وحين حَطّوا الأثقال أمرَ النعمانُ بالقتال وكان يوم الأربعاء ، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجالٌ ، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم ، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله ، والأعاجم (يخرجون) إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا .

وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلّمه ، فذهب إليه المغيرةُ بن شعبة ، فذكر من عظم[٣] ما رأى عليه من لبسه ومجلسه ، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهانته بهم ، وأنهم كانوا أطولَ الناس جوعاً ، وأقلَّهم داراً وقدراً ، وقال : ما يمنعُ هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنُّشاب إلا تنجُّساً[٤] من جيفكم ، فإن تذهبوا نخلِّ عنكم ، وإن تأبَوا ؟ نُرِزْكُمُ[٥] مصارِعَكُم .

قال : فتشهدتُ وحمدتُ الله وقلت : لقد كنا أسوأ حالاً مما[٦] ذكرتَ ، حتى بعث الله رسولَه فوعدنا النصرَ في الدنيا والخيرَ في الآخرة ، وما زلنا نتعرَّف من ربنا النصرَ منذ بعث الله رسولَه إلينا ، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجعَ إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على بلادكم وما في أيديكم أو نُقْتلَ بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه .

---

(١) في أ : وأن .

(٢) ما بين قوسين ساقط من أ وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١٢٩) .

(٣) في أ : عظمة .

(٤) في ط : محاً ؛ خطأ ، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١١٨) .

(٥) في تاريخ الطبري : نركم .

(٦) في أ : كما .

فلما طال على المسلمين هذا الحالُ واستمرَّ ، جمع النعمان بن مُقَرّن أهل الرأي من الجيش ، وتشاوروا في ذلك ، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيدٍ واحدٍ .

فتكلّم عمرو بن أبي سلمى أولاً ـ وهو أسنُّ من كان هناك ـ فقال : إن بقاءَهم على ما هم عليه أضرّ عليهم من الذي يطلبه منهم وأبقى على المسلمين . فردَّ الجميعُ عليه وقالوا : إنّا لعلى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا .

وتكلّم عمرو بن معدي كرب فقال : ناهِدْهُم وكاثِرْهم ولا تَخَفْهم .

فردّوا جميعاً عليه وقالوا : إنما تناطح بنا الجدران ، والجدرانُ أعوانٌ لهم علينا .

وتكلم طُلَيْحَةُ الأسديُّ فقال : إنهما لم يصيبا ، وإني أرى أن تبعثَ سريةً فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال ويحمشوهم[١] فإذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هراباً ، فإذا استطردوا وراءهم وانتهوا[٢] إلينا عزمنا أيضاً على الفرار كلّنا ، فإنهم حينئذ لا يشكّون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرةِ أبيهم ، فإذا تكاملَ خروجُهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضيَ اللهُ بيننا . فاستجادَ الناسُ هذا الرأيَ ، وأمَّر النعمان على المجرَّدة القعقاع بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم . ففعل القعقاعُ ذلك ، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاعُ بمنْ معه ثم نكص ثم نكص فاغتنمها الأعاجمُ ، ففعلوا ما ظنَّ طُلَيْحةُ ، وقالوا : هي هي ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبقَ بالبلد من المُقاتلة إلا من يحفظُ لهم الأبوابَ ، حتى انتهَوْا إلى الجيش ، والنعمانُ بن مقرّن على تعبئته . وذلك في صدر نهار جمعة ، فعزم الناس على مصادمتهم ، فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وتهب الأرواح ، وينزل النصرُ كما كان رسول الله ﷺ يفعل . وألحَّ الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل ـ وكان رجلاً ثابتاً ـ فلما حانَ الزوالُ صلّى بالمسلمين ثم ركبَ بِرْذَوْناً له أحْوَى[٣] قريباً من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات ، ويقدم على المسلمين أنه يُكبِّر الأولى فيتأهبُ الناسُ للحملة ، ويُكبِّر الثانية فلا يبقى لأحد أُهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة . ثم رجع إلى موقفه . وتعبَّتِ الفرس تعبئةً عظيمةً واصطفّوا صفوفاً هائلة ، في عدد وعُدد لم ير مثله ، وقد تغلغل[٤] كثيرٌ منهم بعضهم في بعض وألقوا حَسَكَ الحديد وراء ظهورهم حتّى لا يمكنهم الهربُ ولا الفرارُ ، ولا التحيّز .

ثم إن النعمانَ بن مُقَرّن رضي الله عنه كبّر الأولى وهزّ الرايةَ فتأهّب الناسُ للحملة ، ثم كبّر الثانيةَ وهزَّ

---

(١) حَمَشَ الرجلَ ؛ أحمشه : أغضبه . اللسان (حمش) .

(٢) في ط : وانتموا .

(٣) الحُوَّة : سواد إلى الخضرة ، ،قيل : حمرة تضرب إلى السواد ، وهو أحوى اللسان (حوا) .

(٤) في أ : ويغلغل .

الرايةَ فتأهّبوا أيضاً ، ثم كبّر الثالثةَ (وحمل) وحمل[١] الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض على[٢] الفرس كانقضاضِ العقاب على الفريسة ، حتى تصافحوا بالسيوف فاقتتلوا قتالاً لم يُعْهَدْ مثله في موقفٍ من المواقف المتقدمة ، ولا سمعَ السامعون بوقعة[٣] مثلها ، قُتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبّقَ وجهَ الأرض دماً ، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه ، حتى قيل : إن الأمير النعمانَ بن مُقَرِّن زلق به حصانُه في ذلك الدم فوقع وجاءه سهمٌ في خاصرته (فقتله) ، ولم يشعر به أحدٌ سوى أخيه سُوَيْد ، وقيل نُعَيْم ، وقيل غَطّاهُ بثوبه ، وأخفى موتَه ، ودفع الرايةَ إلى حُذيفة بن اليمان ، فأقامَ حذيفة أخاه نُعيماً مكانَه ، وأمر بكتم موته حتى ينفصلَ الحالُ لئلا ينهزم الناس .

فلما أظلم الليلُ انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون وكان الكُفّار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقعوا في الخندق وفي تلك الأودية نحو مئة ألف وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشرٌ كثيرٌ نحو مئة ألف أو يزيدون ، سوى منْ قُتل في المعركة ، ولم يُفلت منهم إلا الشَّريد . وكان الفيرزان أميرهم قد صرع في المعركة فانفلت وانهزم واتبعه نُعيم بن مُقَرّن ، وقدم القعقاع بين يديه وقصد الفيرزان هَمَذان فلحقه القَعْقاعُ وأدركه عند ثنية هَمَذان ، وقد أقبل منها بغالٌ كثيرٌ وحُمُر تحمل عسلاً ، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم ، وذلك لحينه فترجَّلَ وتعلَّق في الجبل فاتبعه القعقاعُ حتى قتله ، وقال المسلمون يومئذ : إنَّ لله جنوداً من عسل ، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال وسُمِّيتْ تلك الثَّنيةُ ثَنِيَّةَ العسل . ثم لحق القعقاعُ بقيةَ المنهزمين منهم إلى هَمَذان وحاصرها وحوى ما حولها ، فنزل إليه صاحبُها ـ وهو خُسْرَشَنُوم ـ فصالحه عليها . ثم رجع القعقاع إلى حُذيفة ومنْ معه من المسلمين ، وقد دخلوا بعد الواقعةِ نهاوند عنوةً ، وقد جمعوا الأسلابَ والمغانمَ إلى صاحب الأقباض[٤] ، وهو السائبُ بن الأقرع . ولما سمع أهلُ ماه بخبر أهل هَمَذان بعثوا إلى حُذَيْفة وأخذوا لهم منه[٥] الأمان ، وجاء رجل يقال له الهِرْبذ[٦] ـ وهو صاحب نارهم ـ فسأل من حذيفة الأمان ويدفع إليهم وديعةً لكسرى ، ادخرها لنوائب الزمان ، فأمَّنه حُذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءين[٧] جوهراً ثميناً لا يُقَوَّم ، غير أنّ المسلمين لم يَعْبَؤُوا به ، واتّفق رأيهم على بعثه[٨] لعمر خاصة ، وأرسلوه

---

(١) في هامش أ : قال : إني داعٍ فأمنوا على دعائي ثم قال : اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم ؛ فأمن القوم على دعائه ، ثم إن النعمان بن مقرن رضي الله عنه . . .

(٢) في أ : نحو .

(٣) في أ : بموقعة .

(٤) الأقباض جمع قَبَضَ وهو ما جُمع من الغنائم قبل أن تُقسم . اللسان (قبض) .

(٥) في أ : بقية .

(٦) في أ ،ط : الهرند وما هنا عن تاريخ الطبري (٤/ ١٣٣) .

(٧) في ط : مملوءتين . وما هنا أقرب للسياق اللغوي .

(٨) في أ : يعثهم .

صحبةَ الأخماس والسبي صحبةَ السائب بن الأقْرع ، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم ، ثم قسم حُذَيْفة بقيةَ الغنيمة في الغانمين ، ورضخ ونفل لذوي النجدات ، وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من ورائهم ، ومن كان ردءاً لهم ، ومنسوباً إليهم ، وأما أمير المؤمنين فإنّه[1] كان يدعو اللهَ ليلاً ونهاراً لهم ، دعاءَ الحوامل المقربات ، وابتهال ذوي الضرورات ، قد استبطأ الخبر عنهم فبينا رجل (من المسلمين) ظاهرَ المدينة إذا هو براكبٍ فسأله من أين أقبل ؟ فقال : من نِهاوند . فقال : ما فعلَ الناسُ ؟ قال : فتحَ الله عليهم وقُتل الأميرُ ، وغنم المسلمون غنيمةً عظيمة أصاب الفارسَ ستةُ آلافٍ ، والراجلَ ألفان . ثم فاته وقدم ذلك الرجل المدينةَ فأخبر الناسَ وشاعَ الخبرُ حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله عمَّن أخبره ، فقال : راكب . فقال : إنه لم يجئني ، وإنما هو رجل من الجنّ وهو يريدُهم واسمه عُثَيْم ، ثم قدم طَريف بالفتح بعد ذلك بأيام ، وليس معه سوى الفتح ، فسأله عمَّنْ قتل[2] النعمانَ ، فلم يكن معه علم حتى قدم الذين معهم الأخماسُ ، فأخبروا بالأمر على جليته ، فإذا ذلك الجني قد شهدَ الوقعةَ ورجع سريعاً إلى قومه نذيراً . ولما أُخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عمَّنْ قُتل من المسلمين فقال : فلان وفلان وفلان ، لأعيان الناس وأشرافهم .

ثم قال وآخرون من أفناد[3] الناس ممَّن لا يعرفهم أمير المؤمنين فجعل يبكي ويقول : وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين ؟ لكنَّ الله يعرفهم وقد أكرمهم الله بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر . ثم أمر بقسمة الخُمْسِ على عادته ، وحُملت ذانك السفطان إلى منزل عمر ، ورجعت الرسلُ ، فلما أصبح عمر طلبهم فلم يجدهم ، فأرسل في إثرهم البُرُدَ فما لحقهم البريدُ إلا بالكوفة .

قال السائب بن الأقرع : فلما أنختُ بعيري بالكوفة ، أناخَ البريدُ على عرقوب بعيري ، وقال : أجِبْ أميرَ المؤمنين ، فقلت : لماذا ؟ فقال : لا أدري . فرجعنا على إثرنا ، حتى انتهيتُ إليه . قال : مالي ولك يا ابنَ أمّ السائب ، بل ما لابن أمّ السائب ومالي ، قال : فقلتُ : وما ذاك يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : ويحكَ ! والله إن هو إلا أن نمتُ في الليلة التي خرجتَ فيها فباتت ملائكةُ الله تسحبني إلى ذينك[4] السفطين وهما يشتعلان ناراً ، يقولون لَنَكْوِيَنَّكَ بهما . فأقول : إني سأقسمهما بين المسلمين . فاذهبْ بهما لا أبالكَ فبعْهُما فاقسمهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم ، فإنهم لا يدرون ما وهبوا ولم تَدْرِ أنتَ معهم .

قال السائب : فأخذتُهما حتى جئتُ بهما مسجدَ الكوفة وغشيتْني التجارُ فابتاعهما مني عمرو بن حُرَيْث المَخْزومي بألفَيْ ألفٍ . ثم خرج بهما إلى أرضِ الأعاجم فباعَهما بأربعةِ آلافِ ألفٍ . فما زال أكثَرَ أهلِ الكوفة مالاً بعد ذلك .

---

(١) في أ : وكان .

(٢) في أ : فسأله عمر عن قتال النعمان .

(٣) أفناد : جماعات متفرقين . اللسان (فند) .

(٤) في أ : تستحثني إلى ذلك . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١١٧) .

قال سيف : ثم قسم ثمنَهما بين الغانمين فنالَ كلّ فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطين .

قال الشعبي : وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللراجل ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً.

قال : وافتُتحتْ نهاوندُ في أول سنة تسعَ عشرةَ لسبع سنين من إمارة عمر .

ورواه سيفٌ عن عمرو بن محمد عنه . وبه عن الشعبي قال : لما قدم سبي[١] نِهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة ـ فيروز غلام المغيرة بن شعبة ـ لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عُمر كبدي ـ وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند ، فأسرته الرومُ أيامَ فارس وأسرته المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سُبي[٢] ـ قالوا : ولم تقم للأعاجم بعد هذه الوقعة قائمة ، وأتحف عمر الذين أبلوا فيها بألفين[٣] تشريفاً لهم وإظهاراً لشأنهم .

[فتح أصبهان[٤]]

وفي هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نِهاوند مدينة جيّ ـ وهي مدينة أصبهان ـ بعد قتال كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلح ، وفرَّ منهم ثلاثون نفراً إلى كرمان لن يصالحوا المسلمين . وقيل : إن الذي فتح[٥] أصبهان هو النعمان بن مُقَرّن وأنه قتل بها ، ووقع أمير المجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشقّ بطنه ومات وانهزم أصحابه .

والصحيح أن الذي فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ـ الذي كان نائب الكوفة .

وفيها افتتح أبو موسى قُمّ وقاشان[٦] ، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان[٧] .

وذكر ابن جرير[٨] عن الواقدي : أن عمرو بن العاص سار في جيش معه إلى طرابلس قال : وهي برقة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار في كل سنة .

---

(١) في أ : لما قدم بسبي .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٣٦) .
(٣) في أ : وألحق عمر الذين أبلو في ألفين .
(٤) أصبهان : مدينة عظيمة مشهورة في بلاد فارس . معجم البلدان (١/ ٢٠٦ ـ ٢١٠) .
(٥) في أ : افتتح .
(٦) قم بالضم ، وتشديد الميم ، وهي كلمة فارسية : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها . معجم البلدان (٤/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) . وقاشان : مدينة قرب أصبهان ، بينهما ثلاث مراحل . معجم البلدان (٤/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .
(٧) كرمان : هي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .
(٨) في تاريخه (٤/ ١٤٤) .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري إلى زويلة ففتحها بصلح ، وصار ما بين برقة إلى زويلة سلماً للمسلمين .

قال : وفيها ولَّى عمرُ عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة الذي ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال ، فاشتكى أهل الكوفة من عمار فاستعفى عمار من عمله ، فعزله وولَّى جُبَيْر بن مُطْعم ، وأمره أن لا يُعلم أحداً ، وبعث المُغيرة بن شعبة امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت : اذهبي فأتيني به . فذهب المغيرة إلى عمر فقال : بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة . فقال : وما ذاك ؟ وبعث إلى جُبير بن مطعم فعزله وولى المُغيرة بن شعبة ثانية ، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضي الله عنهم .

قال : وفيها حجَّ عمر واستخلف على المدينة زيدَ بن ثابت ، وكان عُمَّالُهُ على البلدان المتقدمون في السنة التي قبلها سوى الكوفة .

قال الواقدي : وفيها توفي خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال غيره توفي سنة ثلاث وعشرين ، وقيل بالمدينة . والأول أصح .

وقال غيره : وفيها توفي العلاء بن الحضرمي فولَّى عمرُ مكانَه أبا هريرة . وقد قيل إن العلاء توفي قبل هذا كما تقدم ، والله أعلم .

وقال ابن جرير فيما حكاه عن الواقدي : وكان أمير دمشق في هذه السنة عمير بن سعيد ، وهو أيضاً على حمص وحوران وقنَّسرين والجزيرة ، وكان معاوية على البلقاء والأردن ، وفلسطين والسواحل وأنطاكية ، وغير ذلك .

ذكر من توفي [في هذه السنة ـ أعني] سنة إحدى وعشرين ـ

خالد بن الوليد[١] بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم القرشي أبو سُليمان المَخْزومي ، سيفُ الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يُقهر في جاهليةٍ ولا إسلامٍ . وأمُّه ، عَصْماء بنت الحارث ، أخت لبابة[٢] بنت الحارث ، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

---

(١) ترجمة ـ خالد بن الوليد ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٢ و٧/ ٣٩٤) والاستيعاب (١/ ٤٢٧ ـ ٤٣١) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (١٦/ ٢١٦ ـ ٢٨٢) ومختصره لابن منظور (٨/ ٥ ـ ٢٧) وجامع الأصول (١٣/ ٤١٧ ـ ٤١٩) وأسد الغابة (٢/ ١٠٩ ـ ١١٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٦ ـ ٣٨٤) والإصابة (٣/ ٧٠) وبدران (٥/ ٩٥ ـ ١١٧) .

(٢) قال ابن الأثير : وأمه لبابة الصغرى وقيل الكبرى ، والأكثر الأول بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي ﷺ . جامع الأصول (١٣/ ٤١٨) وقال ابن عساكر (١٦/ ٢٢٢) : وأمه لبابة الكبرى ويقال لها : عصماء بنت الحارث . . .

قال الواقدي : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الإمارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم يُرَ مثله ، اندقّت في يده تسعةُ أسيافٍ ، ولم تثبت في يده إلا صفيحة يمانية . وقد قال رسول الله ﷺ : « أخذ الراية زيدٌ فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه »[١]

وقد رُويَ أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب فجعل يستحثّ في طلبها فعوتب في ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله ﷺ ، وإنها ما كانت معي في موقف إلا نُصرتُ بها[٢]

وقد روينا في مسند أحمد[٣] من طريق الوليد بن مسلم ، عن وَحْشي بن حرب ، عن أبيه ، عن جدّه وَحْشي بن حرب ، عن أبي بكر الصديق أنه لما أمّر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم عبدُ الله وأخو العشيرة خالدُ بن الوليد ، خالد بن الوليد سيفٌ من سيوف الله سلَّه الله على الكفار والمنافقين » . وقال أحمد[٤] : حدَّثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال : استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد ، فقال خالد : بعث إليكم أمين هذه الأمة ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » فقال أبو عبيدة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خالدٌ سيفٌ من سيوف الله نِعْمَ فَتى العشيرة » .

وقد أورده ابن عساكر[٥] من حديث عبد الله بن أبي أوفى ، وأبي هريرة ، ومن طرق مرسلة يقوي بعضها بعضاً .

وفي الصحيح[٦] : « وأما خالدٌ فإنكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعبده في سبيل الله » .

وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزا بني جذيمة أميراً في حياته عليه السلام . واختلف في شهوده خيبر (وقد دخل مكةَ أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش ، كما قدمنا ذلك مبسوطاً في موضعه ولله الحمد والمنة . وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى ـ وكانت لهوازن ـ فكسر قمَّتها أولاً ثم

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤) والبخاري في صحيحه (٣٧٥٧) في فضائل الصحابة و(٤٢٦٢) في المغازي .

(٢) هذا الخبر أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩٩) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٤٦) من طريق هشيم عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، عن خالد بن الوليد . وذكره البوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة (٧٦٦٨) وقال : « رواه أبو يعلى بسند صحيح » .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨) وهو حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف لجهالة حرب بن وحشي .

(٤) مسنده (٤/ ٩٠) وهو حديث حسن .

(٥) في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٣٩ ـ ٢٤٥) .

(٦) صحيح البخاري (١٤٦٨) في الزكاة ، وصحيح مسلم (٩٨٣) (١١) في الزكاة .

دعثرها[١] وجعل يقول : يا عُزَّى كفرانك لا سبحانك . إني رأيت الله قد أهانك . ثم حرقها) وقد استعمله الصدّيق بعد رسول الله ﷺ على قتال أهل الردة ومانعي الزكاة ، فشفى واشتفى ، ثم وجهه إلى العراق ثم أتى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقرُّ بِهَا القلوب والعيون ، وتَتَشَنَّفُ بها الأسماع . ثم عزله عمر عنها وولَّى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً في الحرب ، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضي الله عنه .

وقد روى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال : لما حضرت خالداً الوفاةُ بكى ثم قال : لقد حضرتُ كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربةُ سيفٍ ، أو طعنةٌ برمحٍ ، أو رميةٌ بسهمٍ ، وها أنا أموت على فراشي حتفَ أنفي كما يموت البعيرُ ، فلا نامت[٢] أعينُ الجبناء .

وقال أبو يعلى[٣] : حدَّثنا سرَيج[٤] بن يونس ، حدَّثنا يحيى بن زكريا ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس . قال : قال خالد بن الوليد : ما ليلة يُهدى إليَّ فيها عروس ، أو أُبَشَّرُ فيها بغلامٍ بأحبّ إليَّ من ليلةٍ شديدةِ الجليد في سَريّة من المهاجرين أُصَبِّح بهم العدو[٥] .

وقال أبو بكر بن عَيَّاش ، عن الأعمش ، عن خَيْثَمة قال : أُتِيَ خالدٌ برجلٍ معه زقُّ خمرٍ فقال : اللهمّ اجعله عسلاً ، فصارَ عسلاً . وله طرق ، وفي بعضها مرَّ عليه رجلٌ معه زقُّ خَمرٍ فقال له خالد : ما هذا ؟ فقال : عَسَلٌ فقال : اللهم اجعله خلاً ، فلما رجع إلى أصحابه قال : جئتكم بخمرٍ لم يشربِ العربُ مثلَه ، ثم فتحه فإذا هو خلٌّ ، فقال أصابته والله دعوة خالدٍ رضي الله عنه .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثمامة ، عن أنس . قال : لقي[٦] خالد عدواً له فولَّى عنه المسلمون منهزمين وثبتَ هو وأخو البراء بن مالك ، وكنت بينهما واقفاً ، قال : فنكسَ خالدٌ رأسه ساعةً إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعةً ـ قال : وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا ـ ، ثم قال لأخي البراء : قم ، فركبا ، واختطب خالد منْ معه من المسلمين وقال : ما هو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل. ثم حمل بهم فهزم المشركين .

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر : اكتب إلى خالد أن لا يعطي شاةً ولا بعيراً إلا بأمرك . فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك ، فكتب إليه خالد : إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك بعملك . فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر : فمن يجزي عني جزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال : فأنت ،

---

(١) دعثر : هدم وصرع وكسر . اللسان (دعثر) .
(٢) في أ : فلا عاشت .
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (١٣/ ١٤١) رقم (٧١٨٥) وإسناده صحيح .
(٤) في ط : شريح ؛ تحريف .
(٥) في مسند أبي يعلى : بها .
(٦) في أ : التقى .

فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر في الدار[١] ، ثم جاء الصحابة فأشاروا على الصديق بإبقاء عمر بالمدينة وإبقاء خالد بالشام . فلما ولي عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله ، وقال : ما كان (الله) ليراني آمر أبا بكر بشيء لا أنفذه أنا .

وقد روى البخاري في « التاريخ »[٢] وغيره من طريق عُلَي بن رباح عن ناشرة بن سُمي اليَزَني[٣] ، قال : سمعتُ عمر يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد ، فقال : أمرتُه أن يحبسَ هذا المالَ على ضعَفَةِ المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس ، وذا الشرف واللسان ، وأمَّرْتُ أبا عبيدة . فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة : ما اعتذرت يا عمر ، لقد نزعتَ عاملاً استعمله رسول الله ﷺ ، ووضعتَ لواءً رفعه رسول الله ﷺ ، وأغمدت سيفاً سلَّه الله ، ولقد قطعتَ الرحم ، وحسدتَ ابنَ العمّ . فقال عمر : إنك قريبُ القرابة ، حديثُ السن مغضبٌ في ابن عمك .

قال الواقدي رحمه الله ، ومحمد بن سعد وغيرُ واحد : مات سنة إحدى وعشرين بقريةٍ على ميلٍ من حمص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال دُحيم وغيره : مات بالمدينة . والصحيحُ الأولُ . وقدمنا (فيما سلف) تعزير عمر له حين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف ، وأخذه من ماله عشرين ألفاً أيضاً . وقدمنا عتبهُ عليه لدخوله الحمّام وتدلكه بعد النورة بدقيقِ عصفرٍ معجونٍ بخمر ، واعتذار خالد إليه بأنه صار غسولاً .

وروينا عن خالد أنه طلّق امرأةً من نسائه وقال : إني لم أطلقها عن ريبة ، ولكنها لم تمرض عندي ولم يصبها شيء في بدنها ولا رأسها ولا في شيء من جسدها .

وروى سيف وغيره : أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن العراق : إنما عزلتهما ليعلم الناسُ أنَّ اللهَ نصرَ الدِّين لا بنصرهما وأن القوةَ لله جميعاً .

وروى سيفٌ أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قِنَّسرين وأخذ منه ما أخذ : إنك عليَّ لكريمٌ ، وإنك عندي لعزيزٌ ، ولن يصل إليك مني أمرٌ تكرهه بعد ذلك .

وقد قال الأصمعي : عن سَلَمة ، عن بلال ، عن مُجالد ، عن الشَّعبي قال : اصطرع عمر وخالد وهما غلامان ـ وكان خالد ابنَ خالِ عمر ـ فكسر خالدٌ ساقَ عمر ، فعُولجت وجُبرت ، وكان ذلك سببَ العداوة بينهما[٤] .

وقال الأصمعي ، عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير

---

(١) في أ : فعزم به حتى أنيخت الركائب في الدار .

(٢) التاريخ الأوسط المطبوع باسم التاريخ الصغير (١/ ٥٧) والخبر أيضاً أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٧٥) .

(٣) في ط : « ياسر بن سمي البرني » ، والصواب ما أثبتنا ، وهو من رجال التهذيب .

(٤) في إسناد هذه القصة مجالد بن سعيد ، وهو ضعيف .

فقال عمر : ما هذا يا خالد ؟ فقال : وما بأسٌ يا أميرَ المؤمنين ، أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف ؟ فقال : وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك مثل ما لابن عوف ؟ عزمتُ على منْ بالبيت إلا أخذَ كلُّ واحد منهم بطائفة مما يليه . قال : فمزَّقوه حتى لم يبق منه شيء[١] .

وقال عبد الله بن المبارك : عن حماد بن زيد ، حدَّثنا عبد الله بن المختار ، عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ـ ثم شك حماد في أبي وائل ـ قال : ولما حضرت خالدَ بن الوليد الوفاةُ قال[٢] : لقد طلبتُ القتلَ في مظانّه فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموتَ على فراشي . وما من عملي شيءٌ أرْجَى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتُّها وأنا مُتَترّسٌ والسماء تهلّني ننتظر الصبح[٣] ، حتى نُغير على الكفار . ثم قال : إذا أنا متُّ فانظروا إلى سلاحي وفرسي[٤] فاجعلوه عدّة في سبيل الله . فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يَسْفَحْنَ على خالدٍ من دموعِهِنَّ ما لم يكن نَقْعاً أو لَقْلَقَةً .

قال ابن المختار : النقع : التراب على الرأس ، واللقلقة : الصوت .

وقد علّق البخاري في صحيحه[٥] بعض هذا فقال : وقال عمر : دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقعٌ أو لقلقةٌ .

وقال محمد بن سعد[٦] : حدَّثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن نمير قالوا : حدَّثنا الأعمش ، عن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بني المغيرة في دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهنَّ قد اجتمعن في دار خالد يبكين عليه ، وهنّ خلقاء أن يسمعنك بعض ما تكره . فأرسلْ إليهنَّ فانههنَّ . فقال عمر : وما عليهنَّ أن ينزفن من دموعهنّ على أبي سليمان ، ما لم يكن نقعاً أو لقلقة . ورواه البخاري في « التاريخ »[٧] من حديث الأعمش بنحوه .

وقال إسحاق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تندبه وتقول[٨] : [من الخفيف]

---

(١) رخص رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف لبس الحرير لحكة كانت في جسده والخبر في ذلك أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٢٢ و١٢٧) والبخاري في صحيحه (٢٩١٩ ـ ٢٩٢٢) . في الجهاد ورقم (٥٨٣٩) في اللباس ، ومسلم في صحيحه (٢٠٧٦) في اللباس . وغيرهم .

(٢) الخبر في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨١) والإصابة (٣/ ٧٤) .

(٣) في ط : تهلني تمطر إلى الصبح .

(٤) في أ : وقوسي .

(٥) صحيح الإمام البخاري معلقاً ـ فتح الباري ـ (٣/ ١٦٠ عقيب الحديث ١٢٩٠) .

(٦) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٣) .

(٧) التاريخ الأوسط المنشور باسم الصغير (١/ ٤٦ ـ ٤٧) .

(٨) الخبر في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨١) وقال الذهبي : ويروى بإسناد ساقط أن عمر خرج في جنازة خالد بالمدينة .

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ[١] من القو مِ إذا مـا كُبَّـتْ وُجـوهُ الـرِّجـالِ

فقال : صدقتِ (واللهِ) إن كان لكذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم[٢] . قال : فأقام خالدٌ في المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به . وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى[٣] خالد بعدُ[٤] ، وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها : احدُروني إلى مهاجري ، فقدمت به المدينة ومرَّضته فلما ثقل وأظل[٥] قدوم عمر (لقيه لاقٍ على مسيرة) ثلاث صادراً عن حجه فقال له عمر : مَهْيَمْ[٦] فقال : خالدُ بن الوليد ثقيلٌ لما به . فطوى عمر ثلاثاً في ليلة فأدركه حين قَضَى ، فرقَّ عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جُهِّز ، وبكَتْهُ البواكي ، فقيل لعمر : ألا تسمعُ ؟ ألا تَنْهاهن ؟ فقال : وما على نساءِ قريشٍ أن يبكينَ أبا سليمان ؟ ما لم يكن نَقْعٌ ولا لَقْلَقةٌ . فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محترفة تبكيه وتقول : [من الخفيف]

أنتَ خيرٌ منْ ألف ألفٍ منَ النا سِ إذا ما كُبَّتْ وجُوهُ[٧] الرِّجالِ

أشُجَاعٌ فـأنـتَ أشجـعُ مـنْ ليـ ـثِ عَـرينٍ جهـم[٨] أبـي أشبـالِ

أجَـوادٌ فـأنـتَ أجْـودُ مـنْ سَيْـلٍ رئـاسٍ[٩] يَسيـلُ[١٠] بيـن الجبـال

فقال عمر : مَنْ هذه ؟ فقيل له : أمّه . فقال أمُّه ـ والإلَه ـ ثلاثاً . وهل قامت النساء عن مثل خالد .

قال : فكان عمر يَتَمثَّل في طيه تلك الثلاث في ليلة وفي قدومه : [من الوافي]

أتبكـي مـا وصلْـتَ بـهِ النـدامـى ولا تبكــي فــوارسَ كــالجبــالِ

أولئـكَ إنْ بكيـتَ أشـدُّ فقـداً من الإذهابِ والعكرِ[١١] الجلالِ[١٢]

---

(١) في أ : ألفِ ألفِ ألفٍ ، ولا يستقيم الوزن بها .

(٢) الخبر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٧٠) .

(٣) في أ : ظن عمر أن قد سبله ونصر الناس حج وقد عزم على توليته واشتكى خالد .

(٤) في ط : بعده . وما هنا موافق لتاريخ دمشق .

(٥) في أ : وأطال .

(٦) في أ ، ط : تهم ؛ تحريف وما هنا عن تاريخ دمشق . ومهيم : كلمة استفهام أي ما حالك ؟ وما شأنك ؟ أو ما وراءك ؟ القاموس (مهيم) .

(٧) في أ : إذا ما كنت من وجوه .

(٨) في ط : ضمر بن جهم ، وفي تاريخ دمشق : عرين حميم .

(٩) في ط وتاريخ دمشق : دياس ؛ وما هنا عن مختصر ابن منظور ، وفي اللسان : رأس السيل الغثاء جمعه واحتمله .

(١٠) في أ : من سيل قد سال من الجبال ؛ ولا يستقيم الوزن بها .

(١١) العكر : ما بين الخمسين والمئة من الإبل .

(١٢) البيت في أ : كثير التحريف .

تَمَنّى بعدهم قومٌ مداهم فلمْ يدنوا لأسبابِ الكمالِ

وفي رواية أنَّ عمر قال لأمِّ خالد : أخالداً أو أجره تُرزئين ؟ عزمت عليك أن لا تبيني حتى تسودَّ يداك من الخضاب . وهذا كله[١] يقتضي موته بالمدينة النبوية ، وإليه ذهب دُحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي .

ولكنّ المشهور عن الجمهور وهم الواقدي ، وكاتبه محمد بن سعد ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وإبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، وأبو عبد الله العصفري ، وموسى بن أيوب ، وأبو سليمان بن أبي محمد وغيرهم : أنه مات بحمص سنة إحدى وعشرين . زاد الواقدي : وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقد روى محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وغيره قالوا : قدم خالد المدينة بعدما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام ، فلم يزل بها حتى مات في سنة إحدى وعشرين . وروى الواقدي أنَّ عمر رأى [بالمدينة قوماً] حجاجاً يصلّون[٢] بمسجد قباء فقال : أين نزلتم بالشام ؟ قالوا : بحمص ، قال : فهل من معرفة خبر ؟ قالوا : نعم مات خالد بن الوليد ، قال : فاسترجع عمر وقال : كان والله سداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة . فقال له علي : فلم عزلته ؟ قال : لبذله المال لذوي الشرف واللسان .

وفي رواية أنَّ عمر قال لعلي : ندمت على ما كانَ منّي . وقال محمد بن سعد[٣] : أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدي ، حدَّثنا سفيان بن عيينة ، حدَّثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت قيس بن أبي حازم يقول : لما مات خالد بن الوليد قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت .

وقال جويرية ، عن نافع قال : لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلامه وسلاحه .

وقال القاضي المعافى بن زكريا الجريري : حدَّثنا أحمد بن العباس العسكري ، حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، حدَّثني عبد الرحمن بن حمزة اللّخمي ، حدَّثنا أبو علي الحرْمازي[٤] قال : دخل هشام بن البَخْتري في ناس من بني مخزوم على عمر بن الخطاب فقال له : يا هشام أنشدني شعرَكَ في خالدٍ . فأنشده فقال : قصَّرتَ في الثناء على أبي سليمان رحمه الله ، إنه كان ليحب أن يُذِلَّ الشركَ[٥] وأهلَه ، وإن كان الشامتُ به لمتعرضاً لمقت الله . ثم قال عمر قاتل الله أخا بني تميم ما أشعره ؛ [من الطويل]

وَقُلْ للَّذي يبقَى خِلافَ الذي مضى تَهَيَّأ لأُخرى مثلَها فكأنْ قَدِ

---

(١) في أ : وهذا كله مما يقتضي .

(٢) في أ : يقيلون .

(٣) الطبقات الكبرى (٧/ ٣٩٧) .

(٤) في ط : الحرنازي ؛ تحريف . والتصويب من تاريخ دمشق (١٦/ ٢٧٩) .

(٥) في أ : الشر .

فما عيشُ منْ قد عاش بعدي بنافعي ولا موتُ منْ قد ماتَ يوماً بمخلدي[١]

ثم قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، ما عند الله خيرٌ له ممّا كان فيه . ولقد مات فقيداً[٢] وعاش حميداً ، ولكن رأيت الدهر ليس بقائل[٣] .

طُلَيْحَة بن خُوَيْلِدِ[٤] بن نَوْفَل بن نَضْلَة بن الأَشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعس بن طَرِيف بن عَمرو[٥] بن قُعَيْن ابن الحارث بن ثَعْلَبة بن دُودَان[٦] بن أَسَد بن خُزيمة الأَسَدي الفَقْعسي . كان ممن شهد الخندقَ ، من ناحية المشركين . ثم أسلم سنة تسعٍ ، ووفدَ على رسول الله ﷺ إلى المدينة . ثم ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ في أيام الصديق ، وآدَّعى النبوةَ كما تقدم ـ وروى ابن عساكر[٧] أنه ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ وأنّ ابنه خيال[٨] قدم على رسول الله ﷺ فسأله : « ما آسمُ الذي يأتي إلى أبيك ؟ » فقال : ذو النون الذي لا يكذب ولا يخون ، ولا يكون كما يكون . فقال : « لقد سمَّى مَلَكاً عظيمَ الشأن » . ثم قال لابنه : « قتلكَ الله وحرمك الشهادة » . ورده كما جاء .

فقتل خيال في الردّة في بعض الوقائع ، قتله عُكّاشَة بن مِحْصَن ثم قَتَلَ طُلَيْحة عُكَّاشة وله مع المسلمين وقائع . ثم خذله الله على يدي خالد بن الوليد ، وتفرق جنده فهرب حتى دخل الشام فنزل على آل جفنة ، فأقام عندهم حتى مات الصديق حياءً منه .

ثم رجع إلى الإسلام وآعتمر ، ثم جاء يسلِّمُ[٩] على عمر فقال له : آغرب عنّي فإنك قاتلُ الرجلين الصالحين ، عُكَّاشة بن مِحْصن ، وثابت بن أَقْرَم ، فقال : يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدي ولم يهني بأيديهما . فأعجبَ عمرَ كلامُه ورضي عنه . وكتب له بالوصاة إلى الأمراء أن يشاوَرَ ولا يُولَّى شيئاً من الأمر ، ثم عاد إلى الشام مجاهداً فشهدَ اليرموكَ وبعضَ حروبٍ كالقادسية ونهاوند الفرس ، وكان من الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، وقد حَسُنَ إسلامه بعد هذا كله .

---

(١) في تاريخ دمشق : من قد مات بعدي بمخلد . ويروى : ولا موت من قد مات قبلي .

(٢) في ط : سعيداً . وما هنا عن تاريخ دمشق .

(٣) في تاريخ دمشق : ليس بقابل ؛ وفي هامشه إشارة إلى رواية الجليس الصالح : ليس بقاتل .

(٤) ترجمة ـ طليحة بن خويلد ـ في تاريخ خليفة (١٠٢ ـ ١٠٤) والاستيعاب (٢/ ٧٧٣) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٢٥/ ١٤٩ ـ ١٧٢) وأسد الغابة (٣/ ٩٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣١٦ـ ٣١٧) والإصابة (٥/ ٢٤٣) وبدران (٧/ ٩٣ـ١٠٦) .

(٥) في الأصل والمطبوع : عمر ، والتصحيح من كتب الأنساب .

(٦) في أ : بن فضيلة بن الأشتر بن حمران بن بقعس بن طريف بن عمر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن داود . وفي ط : بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمر بن قعير بن الحارث بن ثعلبة بن داود . وما هنا عن مصادره .

(٧) تاريخ دمشق ـ دار الفكر ـ (٢٥/ ١٥٤) .

(٨) في تاريخ دمشق : حبال . وقد ورد مثل هذا الخلاف في اسمه في حروب الردة من هذا الجزء .

(٩) في أ : فسلّم .

وذكره محمد بن سعد(١) في الطبقة الرابعة من الصحابة وقال: كان يعد بألف فارس لشدّته وشجاعته وبصره بالحرب(٢).

وقال أبو نصر بن ماكولا: أسلم ثم ٱرتدّ ثم أسلم وَحَسُنَ إسلامُهُ، وكان يعدل بألفِ فارسٍ.

ومن شعره أيام ردته وادِّعائه النبوة في قتل المسلمين أصحابه(٣): [من الطويل]

فما ظنُّكم بالقومِ إذْ تَقْتُلُونَهُمْ ... أَلَيْسُوا وإنْ لَمْ يُسْلِموا برجالِ

فإنْ تكُ أذواد أصبنَ(٤) ونسوةً ... فلم يذهبوا فَزَعاً بقتلِ خيالِ

نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الحمالةِ إنَّها ... معاودةٌ قِيلَ الكُماةِ نَزالِ

فيوماً تراها في الجلال مَصُونةً ... (ويوماً تراها غَيْرَ ذاتِ جلالِ)

(ويَوْماً تَراها تُضيءُ المَشْرَفيَّة نَحْوها) ... ويوماً تراها في ظلالِ عوالي

عَشِيَّةَ غادَرتُ ابْنَ أقْرَم ثاوياً ... وعُكّاشَةَ الغَنْميَّ(٥) عندَ مجالِ

وقال سيف بن عمر(٦)، عن مبشر بن الفضيل، عن جابر بن عبد الله. قال: باللهِ الذي لا إله إلا هو ما اطَّلعنا على أحدٍ من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد ٱتهمنا ثلاثةَ نفرٍ، فما رأينا كما هجمنا عليهم من أمانتهم وزهدهم: طُلَيْحة بن خُوَيْلد الأسدي، وعَمْرو بن معدي كرب، وقيس بن المكشوح.

قال ابن عساكر: ذكر أبو الحسين(٧) محمد بن أحمد بن القواس(٨) الورَّاق أنّ طليحة ٱستشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النُّعمان بن مُقَرِّن، وعمرو بن معديكرب رضي الله عنهم.

عَمْرو بن مَعْدي كَرِب(٩) بن عبد الله بن عَمْرو بن عاصم(١٠) بن عمرو بن زُبَيْد الأصغر [وهو مُنَبِّه] بن

---

(١) لم أجد لطليحة ترجمة في الطبقات وربما كان ضمن الجزء المفقود من الكتاب. والخبر في تاريخ دمشق (١٦/ ١٤٩).

(٢) في تاريخ دمشق: وصبره بالحرب.

(٣) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٥/ ١٦٦ و١٧٧) بثلاث روايات، الأوليان في خمسة أبيات والأخيرة في ستة أبيات ترتيبها مختلف عما هنا.

(٤) في أ، ط: فإن يكن أزواد أصبن. وما هنا عن تاريخ دمشق.

(٥) في ط: العمي؛ تحريف.

(٦) تاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٢٦/ ١٧٢).

(٧) كذا في أ، ط وفي تاريخ دمشق: أبو الحسن.

(٨) في ط: الفراس؛ تحريف.

(٩) ترجمة ـ عمرو بن معديكرب ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢٠١ ـ ١٢٠٥) وتاريخ دمشق (٤٦/ ٣٦٣) وأسد الغابة (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥) والإصابة (٣/ ١٨ ـ ٢١).

(١٠) كذا في ط، والاستيعاب وتاريخ دمشق والإصابة. وهي: (خصم) في أ وأسد الغابة، وهي: (عصم) في مقدمة ديوانه.

ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه[١] ـ وهو[٢] زُبَيْد الأكبر ـ بن الحارث بن صَعْب[٣] بن سَعْد العشيرة بن مَذْحج الزُّبيدي المَذْحجي أبو ثَوْر : أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المذاكير . قدمَ على رسول الله ﷺ سنة تسع[٤] ، وقيل عشر مع وفد مُراد ، وقيل في وفد زُبَيْدٍ قومه . وقد ارتدَّ مع الأسود العَنْسي ، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص ، فقاتله فضربه خالد بن سعيد بالسيف على عاتقه فهرب وقومه ، وقد استلب خالد سيفَه الصمصامةَ ، ثم أُسر ودُفع إلى أبي بكر فأنَّبه وعاتبه واستتابه ، (فتاب) وحسُنَ إسلامُه بعد ذلك . فسيَّره إلى الشام ، فشهد اليرموكَ ، ثم أمره عمر بالمسير إلى سعدٍ ، وكتب بالوصاة به ، وأن يشاوَرَ ولا يُولَّى شيئاً ، فنفعَ اللهُ به الإسلامَ وأهلهُ ؛ وأبلى بلاءً حسناً يوم القادسية . وقيل إنه قُتل بها ، وقيل بنِهاوند ، وقيل ماتَ عَطَشاً في بعض القُرى يُقال لها روذة[٥] ، فالله أعلم . وذلك كله في [سنة] إحدى وعشرين ، فقال بعض من رثاه من قومه[٦] [من الطويل]

لَقَدْ غادرَ الرُّكبانَ يومَ تَحَمَّلوا ... بِرُوذةَ شَخْصاً لا جَباناً ولا غَمْرا

فَقُلْ لِزُبَيْدٍ بل لِمَذْحِجَ كُلِّها ... رُزِئْتُمْ أبا ثورٍ قَريعَ الوَغى[٧] عَمْرا

وكان عمرو بن معديكرب رضي الله عنه من الشعراء المجيدين ، فمن شعره[٨] : [من الوافر]

أعاذلَ عُدَّتي بَدني ورُمْحي ... وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسِ القِيَادِ

أعاذلَ إنَّما أُفْني شَبابي ... إجابتيَ الصَّريخَ إلى المُنادي

معَ الأبْطالِ حتَّى سُلَّ جسمي ... وأقرعَ عاتقي حملُ النِّجادِ

وَيَبْقى بَعْدَ حِلْمِ القَوْمِ حِلْمي[٩] ... وَيَفْنى قَبْلَ زادِ القَوْمِ زادي

تَمَنَّى أن يلاقيني قييسٌ ... وَددتُ وأيْنَما منِّي وِدادي

---

(١) في ط والإصابة : ابن شيبة .

(٢) في أ والاستيعاب : بن زبيد .

(٣) في ط والإصابة : ضعف .

(٤) في أ : سبع ؛ تحريف .

(٥) روذة : قرية بالرّي ، قال ياقوت : « قالوا : وبها مات عمرو بن معديكرب منصرفاً عن الري ودفن في موضع يقال له كرمانشاه » . معجم البلدان (٣/ ٧٨) .

(٦) الأبيات في الاستيعاب وتاريخ دمشق وتاريخ دمشق وأسد الغابة والإصابة ، وأوردهما محقق ديوانه ثلاثة في مقدمته (ص٣١) .

(٧) في أ ، والاستيعاب وتاريخ دمشق وتاريخ دمشق وأسد الغابة : قريعكم . وفي مقدمة ديوانه : سنانكم .

(٨) الأبيات في ديوانه (ص١٠٦ ـ ١٠٧) وقد أورد المحقق حفظه الله روايات مختلفة من مصادر مختلفة ، ولم أجد ضرورة لإثبات هذه الخلافات لسهولة العودة إلى ديوانه .

(٩) في أ : حكم القوم حكمي .

فَمَنْ ذا عاذري من ذي سَفَاهٍ يرودُ بنفسهِ شرَّ المَرَادِ[١]
أُريدُ حياتَهُ ويُريدُ قتلي عَذِيرك مِنْ خليلكَ مِنْ مُراد

له حديث واحد في التلبية رواه شراحيل بن القعقاع عنه ، قال : كُنَّا نقولُ في الجاهلية إذا لَبَّيْنا[٢] :

[من الرجز]

لَبَّيْكَ تعظيماً إليكَ عُذْرا هذي زُبيدٌ قدْ أتَتْكَ قَسْرا
يعدو بها مُضمَّراتٌ شُزراً تَقْطعن خَبْناً وجبالاً وَعْرا
قد تركوا الأوثان خِلْواً صِفرا

قال عمرو : فنحنُ نقولُ الآن ، ولله الحمد ، كما علَّمنا رسولُ الله ﷺ : لبّيك اللهم لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبّيك ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملك ، لا شريك لك .

العلاء بن الحَضْرمي[٣] أميرُ البحرين لرسول الله ﷺ ، وأقرَّه عليها أبو بكر ثم عمر . تقدّم أنه تُوفي سنة أربع عشرة . ومنهم منْ يقول : إنّه تأخّر إلى سنة إحدى وعشرين ، وعزله عمر عن البَحْرين وولّى مكانه أبا هريرة . وأمره عمر على الكوفة ، فمات قبل أن يصل إليها منصرفَهُ من الحجِّ . كما قدَّمنا ذلك والله أعلم . وقد ذكرنا في دلائل النبوة قصته في سيره بجيشه على وجه الماء وما جرى له من خرق العادات ولله الحمد .

النُّعْمان بن مُقَرِّن بن عائذ المُزَني[٤] أمير وقعة نهاوند ، صحابيّ جليل . قدم مع قومه من مُزَيْنة في أربعمئة راكب ، ثم سكن البصرة ، وبعثه الفاروقُ أميراً على الجنود إلى نِهاوند ، ففتحَ اللهُ على يديه فتحاً عظيماً . ومكّن الله له في تلك البلاد ، ومكّنه من رقاب أولئك العباد ، ومكّن به للمسلمين هنالك إلى يوم التَّناد ، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وأتاحَ[٥] له بعدما أراه ما أحبَّ شهادةً عظيمةً وذلك غايةُ المراد ، فكان ممَّن قال الله تعالى في حقّه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم : ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

(١) في ط : مني المرادي .
(٢) الأبيات في الاستيعاب (٣/ ١٢٠٣) وأسد الغابة (٤/ ٢٧٤) والإصابة (٣/ ١٩) .
(٣) ترجمة ـ العلاء بن الحضرمي ـ في الاستيعاب (٢/ ١٠٨٥) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٦) وأسد الغابة (٤/ ٧٤ ـ ٧٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) والإصابة (٢/ ٤٩٧) .
(٤) ترجمة ـ النعمان بن مقرّن ـ في تاريخ خليفة (ص١٤٩) والاستيعاب (٣/ ١٥٠٥) وجامع الأصول (١/ ٤١١) وأسد الغابة (٥/ ٣٤٢) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٦) ، وفي جامع الأصول : مُقَرِّن : بضم الميم ، وفتح القاف ، وتشديد الراء المكسورة وبالنون . وفي أ : النعمان بن مقرن المزني ، بحذف لفظة : عائذ . وفي تقريب التهذيب (٥٦٤) : ووهم من زعم أنه النعمان بن عمرو بن مقرن ؛ فذاك آخر وهو ابن أخي هذا وهو تابعي .
(٥) في أ : وأباح .

فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

ثم دخلت سنة اثنتين[١] وعشرين

وفيها كانت فتوحات كثيرة منها[٢] : فتح هَمَذان ثانية ثم الرَّيّ وما بعدها ثم أذْرَبِيجان

قال الواقدي وأبو معشر : كانت في سنة اثنتين وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة ثماني عشرة بعد فتح هَمَذان والرَّيّ وجُرْجان . وأبو معشر يقول بأنّ أذْرَبيجان كانت بعد هذه البلدان ، ولكن عنده أنّ الجميع كان في هذه السنة[٣] . وعند الواقدي أنَّ فتحَ هَمَذان والرَّيّ في سنة ثلاثٍ وعشرين ، فَهَمذان افتتحها المُغيرة بعد مقتل عُمر بستةِ أشهرٍ ، قال : ويقال كان فتح الرَّيّ قبلَ وفاة عمر بسنتين ، إلا أنَّ الواقديَّ وأبا معشر متفقان على أن أذْرَبيجانَ في هذه السنة ، وتبعهما ابن جرير[٤] وغيره .

وكان السبب في ذلك أنّ المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقدم ، فتحوا[٥] حُلوان وهَمَذان بعد ذلك . ثم إنَّ أهلَ هَمَذان نقضوا عهدهم[٦] الذي صالحهم عليه القعقاعُ بن عمرو ، فكتب عمر إلى نُعَيْم بن مُقَرِّن أن يسير إلى هَمَذان ، وأن يجعل على مقدِّمته أخاه سُوَيْد بن مقرِّن ، وعلى مَجْنَبَتَيْه رِبْعي بن عامر الطّائي ، ومُهلهل بن زيد التَّميمي . فسار حتى نزل على ثَنِيَّة العَسَل ، ثم تحدَّر على هَمَذان ، واستولى على بلادها ؛ وحاصرها ، فسألوه الصلحَ فصالحهم ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثنا[٧] عشر ألفاً من المسلمين إذ تكاتب[٨] الروم والديلم وأهل الرَّي وأهل أذْرَبيجان ، وٱجتمعوا على حرب نُعَيْم بن مُقَرِّن في جمعٍ كثير ، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا[٩] ، وعلى أهل الري أبو الفَرُّخان وعلى أذربيجان إسْفَنْدياذ أخو رستم ، فخرج إليهم بمنْ مَعهُ من المسلمين ، حتى التَقَوْا بمكانٍ يقال له واج

(١) في أ : ثنتين .
(٢) مكان اللفظة في أ : فيما ذكره ابن جرير وغيره في هذا الشأن .
(٣) بعدها في أ : وتبعهما .
(٤) جملة هذه الأقوال في تاريخ الطبري (٤/ ١٤٦) .
(٥) في أ : فتح .
(٦) في أ : عهودهم .
(٧) في أ ، ط : اثني . وما هنا موافق للسياق .
(٨) في ط : تكاتف . وما هنا عن الطبري .
(٩) في أ : موتى .

الرُّوذ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكُ دونها ، فقتلوا من المشركين جمعاً كثيراً ، وجماً غفيراً لا يُحْصَوْن كَثْرَةً ، وقتل ملك الديلم موتاوتمزَّق شملُهم ، وانهزموا بأجمعهم ، بعد من قتل بالمعركة منهم . فكان نُعَيْم بن مُقَرِّن أولَ من قاتل الديلم من المسلمين .

وقد كان نُعيم كتب إلى عمر يعلمه بٱجتماعهم فهمَّه ذلك واغتمَّ له . فلم يفجأه إلَّا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر بالكتاب فقُرِىء على الناس ، ففرحوا وحمدوا الله عزَّ وجلَّ . ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثةٌ من الأمراء وهم سِمَاك بن خَرَشَة ، ويعرف بأبي دُجانة ، وسِماك بن عُبَيد ، وسِماك بن مَخْرَمة . فلما ٱستسماهم عمر قال[١] : اللهم أسمكْ بهمُ الإسلام ، وأمدَّ بهم الإسلام ، ثم كتب إلى نُعيم بن مُقَرِّن بأن يستخلف على همذان ويسير إلى الري فٱمتثل نُعيم . وقد قال نعيم في هذه الوقعة[٢] :

[من الطويل]

وَلَمّـا أتـانـي أنَّ مـوتـا وَرَهْطَـهُ ... بَني بـاسلٍ جَرُّوا جُنود الأعـاجـمِ

نَهَضْـتُ إلَيْهـمْ بـالجُنـودِ مُسـامياً ... لأمْنَـع منْهُـمْ ذِمَّتي بـالقَـواصِـمِ[٣]

فَجِئْنـا إلَيْهـمْ بـالحَـديـدِ كَـأنَّنـا ... جِبـالٌ تَـراءَى مـنْ فُـروعِ القَـلاسـمِ

فَلَمّـا لَقينَـاهُـم بهـا مُسْتَفيضـةً ... وَقَدْ جَعلُوا يَسْمُونَ فعلَ المُسَاهِمِ

صَـدَمْنـاهُـمُ فـي واجِ رُوذ بِجَمْعنـا ... غَـدَاةَ رَمَيْنـاهُـمْ بـإحْـدَى العَظـائِـمِ

فَمَا صبَرُوا في حَوْمةِ المَوْتِ سَاعَةً ... لِحَدِّ[٤] الرِّماحِ والسُّيوفِ الصَّوارِمِ

كـأنَّهُـمُ عِنْـدَ انْبثـاثٍ[٥] جُمُـوعِهِـمْ ... جِــدَارٌ تَشَظَّــى لَبْنُــهُ للهــوادمِ

أصَبْنا بها موتاً[٦] ومنْ لَفَّ جَمْعَهُ ... وفيهـا نهـابٌ قَسْمُـهُ[٧] غَيْـرُ عـاتِـمِ

تَبعْنـاهُـمُ حَتّـى أوَوْا فـي شِعَـابِهِـمْ ... فَنَقْتُلُهمْ[٨] قَتْلَ الكِلابِ الجَوَاحِمِ[٩]

---

(١) في أ : قال عمر .

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (١٤٩/٤) وأورد ياقوت خمسة منها وهي : ١ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ في معجم البلدان (واج ، روذ) .

(٣) القواصم : جمع قاصمة ، وقاصمة الظهر : البلية والمصيبة . أساس البلاغة (قصم) .

(٤) في معجم البلدان : بحد الرماح .

(٥) بثّه فانبثّ : فرَّقه فَتفرَّق ونَشَره ، وكذلك بَثَّ الخيلَ في الغارة يبثُّها بثّاً فانبثت . اللسان (بثث) .

(٦) في معجم البلدان : أصبنابها موتا ومن لفَّ لفَّه .

(٧) في معجم البلدن : قسمها غير غانم .

(٨) في تاريخ الطبري : نُقَتِّلهم .

(٩) الجواحم جمع جاحم : وهو المصاب بداء يكون منه بين عينيه . اللسان (جحم) .

كَـأنَّهُـمُ فـي واجِ رُوذَ وَجَـوِّهِ ضَئينٌ[١] أَصَابَتْها[٢] فُروجُ المَخَارِمِ[٣]

فتح الرَّيّ

ٱستخلف نُعَيْم بن مُقَرِّن على هَمَذان يزيدَ بن قَيْس الهَمْدَاني وسار بالجيوش حتى لحق بالرَّيّ ، فلقي هناك جمعاً كثيراً من المشركين[٤] ، فاقتتلوا عند سفح جبل الرَّيّ فصبروا صبراً عظيماً ثم ٱنهزموا ، فَقَتَلَ منهم نُعيم[٥] بن مُقَرِّن مقتلةً عظيمةً بحيث عُدُّوا بالقصب فيها ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون[٦] من المدائن . وصالح أبو الفَرُّخان على الرَّيّ ، وكتب له أماناً[٧] بذلك ، ثم كتب نُعَيْم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس ، ولله الحمد والمنة .

فتح قُومِس

ولما ورد البشيرُ بفتح الرَّيّ وأخماسها كتب عمر إلى نُعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سُوَيد بن مُقَرّن إلى قُومِس . فسار إليها سُوَيْد ، فلم يقم له شيء حتى أخذها سلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان[٨] (وصلح) .

فتح جُرْجان

لما عسكر سُوَيْد بقُومس بعث إليه أهلُ بلدانٍ شتَّى منها جُرجان وطبرستان وغيرُها يسألونه الصلحَ على الجزية ، فصالحَ الجميعَ وكتبَ لأهل كلِّ بلدةٍ كتابَ أمانٍ وصلحٍ . وحكى المدائني أن جُرجان فُتحت في سنة ثلاثين أيّام عثمان ، فالله أعلم .

وهذا فتح أَذْرَبيجان

لما افتتح نُعَيْم بن مُقَرِّن همذان ثم الرَّيَّ ، وكان قد بعث بين يديه بُكَيْر بن عبد الله من هَمَذان إلى

(١) الضَّئين والضِّئين اسمان لجمع الضأن . اللسان (ضأن) .
(٢) في معجم البلدان : وجره * ضئين أغانتها .
(٣) البيت الأخير ساقط من أ .
(٤) في أ : جمعاً من المشركين عظيماً .
(٥) في ط : النعمان ؛ وهو تحريف .
(٦) في أ : مقتلة عظيمة قريباً مما غنموا المسلمون من المدائن .
(٧) كتاب الأمان هذا في تاريخ الطبري (٤/ ١٥١) .
(٨) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٤/ ١٥٢) .

أَذْرَبيجان وأردفه بسِماك بن خَرَشَة ، فلقي إسفَنْدياذ بن الفرخزاذ بُكَيْراً وأصحابه ، قبل أن يقدم عليهم سِماك ، فاْقتتلوا فهزم الله المشركين ، وأسر بُكَيْر إسفَنْدِياذ ، فقال له إسْفَنْدياذ : الصلحُ أحبُّ إليكَ أم الحربُ ؟ فقال : بل الصلحُ . قال : فأمسكني عندك . فأمسكه ثم جعل يفتحُ بلداً بلداً وعتبة بن فَرْقَد أيضاً يفتحُ معه بلداً بلداً في مقابلته من الجانب الآخر . ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدَّم بُكَيْر إلى الباب وجعل سِماك [بن خَرَشَة] موضعه نائباً لعُتبة بن فرقد ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعُتبة بن فرقد ، وسلَّم إليه بُكَير إسْفَنْدياذ ، وسار كما أمره عمر إلى الباب . قالوا : وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاذ لعتبة بن فرقد ، فهزمه عتبة وهرب بهرام فلما بلغ ذلك إسفندياذ وهو في الأسر عند بُكير قال : الآن تمَّ الصلح (وطفئت الحرب . فصالحه فأجاب إلى ذلك كلهم) . وعادت أذربيجان سلماً ، وكتب بذلك عُتبة وبُكير إلى عمر . وبعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبة حين اْنتهت إمرة أذربيجان لأهلها كتابَ أمانٍ وصلحٍ[١]

فتح الباب[٢]

قال ابن جرير[٣] : وزعم سيف أنه كان في هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالإمرة على هذه الغزوة لسُراقة بن عمرو ـ المُلقَّب بذي النور[٤] ـ وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، ويقال له ـ ذو النور أيضاً ـ وجعل على إحدى المَجْنَبتين حُذيْفَة بن أَسِيد ، وعلى الأخرى بُكَيْر بن عبد الله اللّيْثي ـ وكان قد تقدمهم إلى الباب ـ وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة . فساروا كما أمرهم عمر ، وعلى تعبئته ، فلمَّا انتهى مقدِّم العساكر ـ وهو عبد الرحمن بن ربيعة ـ إلى الملك الذي هناك عند الباب وهو شهربراز ملك أرْمينية وهو من بيت الملك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان . فكتب شهربراز لعبد الرحمن واستأمنه فأمَّنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأنهى إليه أنّ صَغْوَه[٥] إلى المسلمين ، وأنه مناصحٌ للمسلمين . فقال له : إنَّ فوقي رجلاً فاذهب إليه . فبعثه إلى سُراقة بن عمرو أمير الجيش ، فسأل من سراقة الأمانَ ، فكتب إلى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان ، واستحسنه ، فكتب له سراقة كتاباً بذلك . ثم بعث سُراقة بُكيراً . وحبيب بن مسلمة ، وحُذَيْفة بن أُسيد ، وسلمان بن ربيعة ، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرْمينية جبال اللان وتَفْليس وموقان ، فافتتح بُكير موقان ، وكتب لهم كتاب أمان ومات في غضون ذلك أميرُ المسلمين هنالك ، وهو سُراقة بن عمرو ، واستُخلف بعده عبد الرحمن ابن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك .

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٥٥) .

(٢) المقصود به باب الأبواب : وهو الدَّربند دربند شروان ؛ مدينة كبيرة على ساحل بحر طبرستان ـ الخزر ـ ربما أصاب ماء البحر حائطها ، وفي وسطها مرسى السفن . معجم البلدان (١/ ٣٠٣ـ٣٠٦) .

(٣) في تاريخه (٤/ ١٥٥) .

(٤) في أ : ومعجم البلدان : النون ـ وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١٥٥) والكامل لابن الأثير (٣/ ٢٨) .

(٥) صغوه : ميله . اللسان (صغو) .

أول غزو الترك

وهو تصديق الحديث المُتقدم الثابت في الصحيح[١] عن أبي هريرة وعمرو بن تغلب[٢] ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قوماً عِرَاض الوجوه ، ذُلْفَ[٣] الأنوف ، حمرَ الوجوه ، كأنه وجوهَهم المَجانُّ[٤] المُطَرَّقَةُ » وفي رواية « يَنْتَعِلونَ[٥] الشَّعَر » .

لما جاء كتابُ عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو التركَ[٦] ، سار حتى قطع البابَ قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهربراز : أين تريدُ ؟ قال : أريدُ ملك الترك بلنجـر ، فقال له شهربراز : إنّا لنرضى منهم بالموادعة ، ونحن من وراء الباب . فقال له عبد الرحمن : إن الله بعث إلينا رسولاً ، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ، ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل الترك وسار في بلاد بلنجر مئتي فرسخ ، وغزا مرات متعددة . ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان كما سنورده (في موضعه) إن شاء الله تعالى .

وقال سيف بن عمر ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل ، عن سلمان بن ربيعة[٧] . قال : لمّا دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة بلادَهم حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما ٱجترأ علينا هذا الرجلُ إلا ومعهم الملائكة تمنعُهم من الموت . فتَحصَّنوا منه وهربوا بالغُنْم (والظَّفر) . ثم إنّه غزاهم غزواتٍ في زمن عثمان فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم . فلمّا ولّى عثمان على الكوفة بعضَ من كان ارتدّ غزاهم ، فتذامرت التركُ وقال بعضهم لبعض : إنّهم لا يموتون ، (قال : انظروا ، وفعلوا) فٱختفوا لهم في الغياض فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غِرَّةٍ فقتله وهرب عنه (أصحابه) ، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حتى عرفوا أنّ المسلمين يموتون ، فٱقتتلوا قتالاً شديداً ، ونادى منادٍ من الجو : صبراً آلَ[٨] عبد الرحمن وموعدكم الجنَّة ، فقاتل عبدُ الرحمن حتى قُتل ، وٱنكشف الناس ، وأخذ الرايةَ

---

(١) صحيح البخاري رقم (٢٩٢٨) في الجهاد عن أبي هريرة . ورقم (٢٩٢٧) في الجهاد عن عمرو بن تغلب .
(٢) في أ : ثعلب ؛ تحريف .
(٣) ذُلف الأنوف أي صغارها ـ فتح الباري (٦/ ١٠٤) ـ وقال ابن الأثير في النهاية (٢/ ١٦٥) : الذَّلَفُ ـ بالتحريك ـ قصر الأنف وانبطاحه وقيل ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته ، والذُّلْف ـ بسكون اللام ـ جمع أذلف كأحمر وحمر .
(٤) المجانّ : جمع مجنّ وهو الترس والمُطَرَّقَة التي ألبست الأطرقة من الجلود وهي الأغشية . فتح الباري (٦/ ١٠٤) .
(٥) في أ ، ط : يبتلعون ؛ تحريف .
(٦) في أ : بأن يقطع النهر بأن يغزو الترك .
(٧) في أ : قال سيف بن عمر عن القبض بن القاسم عن حرحان قال ؛ خطأ . وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩) .
(٨) في أ : صبراً لله عبد الرحمن . وما هنا موافق للطبري .

سلمانُ بن ربيعة ، فقاتل بها ، ونادى المنادي من الجو : صبراً آل سلمان بن ربيعة ، فقاتل قتالاً شديداً ثم تحيّز سلمان وأبو هريرة بالمسلمين ، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد السديد على جِيلان فقطعوها إلى جُرْجان ، وٱجترأت الترك بعدها ، ومع هذا أخذت التركُ عبد الرحمن بن ربيعة فدفنوه في بلادهم ، فهم يستسقون بقبره إلى اليوم . سيأتي تفصيل ذلك كله .

قصة السدّ

ذكر ابن جرير[1] بسنده أنَّ شهربراز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لمّا قدم عليه حين وصل إلى الباب ، وأراه رجلاً ، فقال شهربراز : أيُّها الأميرُ إنّ هذا الرجلُ كنتُ بعثته نحو السدّ ، وزودته مالاً جزيلاً وكتبتُ له إلى الملوك الذين يلوني[2] ، وبعثتُ لهم هدايا ، وسألتُ منهم أن يكتبوا له إلى منْ يليهم من الملوك حتى ينتهي إلى سدِّ ذي القرنين ، فينظر إليه ويأتينا بخبره . فسار حتى ٱنتهى إلى الملك الذي السَّد في أرضه ، فبعثه إلى عامله مما يلي السدّ ، فبعث معه بازياره[3] ومعه عقابه ، فلما انتهَوا إلى السدّ إذا جبلان بينهما سدٌّ مسدودٌ ، حتى ٱرتفع على الجبلين ، وإذا دون السدّ خندقٌ أشدُّ سواداً من الليل لبعده ، فنظر إلى ذلك كله وتفرّس فيه ، ثم لمّا همّ بالانصراف قال له البازيارُ على رِسْلكَ ، ثم شرح بضعة لحم معه فألقاها في ذلك الهواء[4] ، وٱنقضَّ عليها العقاب . فقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء[5] ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء . قال : فلم تدركها حتى وقعت في أسفله وأتبعها العقاب فأخرجها فإذا فيها ياقوتة (وهي هذه) . ثم ناولها الملك شهربراز لعبد الرحمن بن ربيعة ، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردَّها إليه ، فلمّا ردّها إليه فرح وقال : واللهِ لهذه خيرٌ من مملكة هذه المدينة ـ يعني مدينة باب الأبواب التي هو فيها ـ ووالله لأنتم أحبُّ إليَّ اليومَ من مملكة آل كسرى ، ولو كنت في سلطانهم وبلغهم[6] خبرها لانتزعوها (مني) ، وايم الله لا يقوم لكم شيءٌ ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر ، ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذي ذهب على السدّ فقال : ما حالُ هذا الردم ؟ ـ يعني ما صفته ـ فأشار إلى ثوب في زرقةٍ وحمرةٍ فقال : مثل هذا . فقال رجل لعبد الرحمن : صدق والله لقد نفذ ورأى . (فقال : أجل) وصف صفة الحديد والصُّفْر : قال الله تعالى : ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف : ٩٦] .

---

(١) في تاريخه (٤/ ١٥٩) .

(٢) في ط : الملوك يولوني . وما هنا عن أ وهو قريب مما عند الطبري .

(٣) البَيْزار الذي يحمل البازي ، ويقال له البازيار ، وكلاهما دخيل والبيازرة جمعه . اللسان (بزر) .

(٤) في أ : الوادي .

(٥) في أ : إن أدركها في الهوي فلا شيء وإن لم تدركها تقع فذاك قال .

(٦) في أ : ثم بلغهم .

وقد ذكرت صفة السدّ في التفسير ، وفي أوائل هذا الكتاب .

وقد ذكر البخاري في صحيحه[١] تعليقاً أنّ رجلاً قال للنبي ﷺ رأيت السدَّ . فقال : « كيف رأيته » ؟ قال : مثل البُرْدِ المُحَبرِ . [« قال : قد][٢] رأيته » .

قالوا : ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهربراز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مئة ألف في بلادي وثلاثة آلاف ألف في تلك البلدان .

بقية من خبر السد

أوردَ شيخُنا أبو عبد الله الذَّهبي[٣] الحافظ في هذه السنة ما ذكره صاحبُ كتاب « مسالك الممالك » عمّا أملاه عليه سلامٌ الترجمان ، حين بعثه الواثق بأمرالله بن المعتصم ـ وكان قد رأى في النوم كأنَّ السدَّ قد فُتح ـ فأرسل سلاماً هذا[٤] وكتب له إلى الملوك بالوصاة به ، وبعث معه ألفَيْ بغلٍ تحملُ طعاماً فساروا بين سامراء إلى إسحاق بتَفْليس ، فكتب لهم إلى صاحب السرير ، وكتب لهم صاحب السرير إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى قبلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجّه معه خمسة أَدلَّاء[٥] فساروا ستة وعشرين يوماً . انتهوا إلى أرضٍ سوداءَ منتنةٍ حتى جعلوا يَشمُّون[٦] الخَلَّ ، فساروا فيها عشرةَ أيامٍ ، فٱنتهوا إلى مدائن خرابٍ مدة سبعة وعشرين يوماً ، وهي التي كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فخربت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم ٱنتهوا إلى حصنٍ[٧] قريب من السَّدِّ فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فذكروا لهم أنَّهم من جهة أمير المؤمنين (الواثق) فلم يعرفوه بالكلّية . ثم ٱنتهوا إلى جبلٍ أملسَ ليس عليه خضراء[٨] وإذا السدُّ هنالكَ من لِبْنِ حديد مغيب في نحاس ، وهو مرتفعٌ جداً لا يكادُ البصرُ ينتهي إليه ، وله شرفاتٌ من حديدٍ ، وفي وسطه بابٌ عظيمٌ بمصراعين مغلقين ، عرضُهما مئة ذراع ، في طول مئة ذراع في ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع ـ وذكر أشياء كثيرة ـ وعند ذلك المكان حرسٌ

---

(١) صحيح الإمام البخاري معلقاً ـ فتح الباري ـ (٦/ ٣٨١ عقيب ٣٣٤٥) قال الحافظ : وصله ابن أبي عمر ، والطبراني .
(٢) ما بين معقوفين ساقط من أ ، ط .
(٣) في تاريخ الإسلام (٢/ ٤٧ ـ ٤٩) . ط المقدسي .
(٤) في أ : فأرسل غلاماً .
(٥) في ط : أولاد ؛ تحريف . وفي أ : أدلاء فساروا من سامراء إلى إسحاق فساروا في ستة وعشرين .
(٦) في أ : يشتمون .
(٧) في أ : حصون .
(٨) في أ : ليس عليه خضراً .

يضربون عند القُفل في كلّ يومٍ فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيماً مزعجاً [فيعلمون] أنَّ وراءَ هذا الباب حرساً[١] وحفظة ، وقريب منَ هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماءٍ عذبة ، وفي إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولِبْنٍ من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف في مثله . في سمك شبر . وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبروهم أنهم رأوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات ، فهبت الريح فألقتهم إليهم ، فإذا طول الرجل منهم شبرٌ أو نصفُ شبر والله أعلم .

قال الواقدي[٢] : وفي هذه السنة غزا معاوية الصائفةَ ، من بلاد الروم ، وكان معه حمادٌ والصحابة فسار وغنمَ ورجعَ سالماً .

وفيها ولد يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان .

وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد ، هم الذين كانوا في السنة (قبلها) .

وذكر أنّ عمر عزل عماراً في هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا : لا يحسن السياسة ، فعزله وولّى أبا موسى الأشعري ، فقال أهل الكوفة : لا نريده ، وشكوا من غلامه فقال : دعوني حتى أنظر في أمري ، وذهب إلى طائفة من المسجد ليفكّر من يولّي . فنام من الهمّ فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ فقال (له) : إنّ هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين ، الذي بلغ بك هذا . قال : وكيف [لا] وأهل الكوفة مئة ألف لا يرضون عن أميرٍ ، ولا يرضى عنهم أمير . ثم جمع الصحابة وٱستشارهم ، هل يولّي عليهم قوياً مشدّداً أو ضعيفاً مسلماً ؟ فقال له المغيرة بن شعبة : (يا أمير المؤمنين) ، إنّ القويَّ قوته لك وللمسلمين وتشديده لنفسه ، وأما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه . فقال عمر للمغيرة ـ وٱستحسن ما قال (له) ـ : ٱذهب فقد وليّتك الكوفة . فردَّه إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدّم حدهم بسبب قذفه ، والعلم عند الله عزَّ وجلَّ . وبعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة (فقيل لعمار : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرتني الولاية ، ولقد ساءني العزل . وفي رواية أنّ الذي سأله عن ذلك عمر رضي الله عنه) ثم أراد عمر أن يبعثَ سعدَ بن أبي وقاص على الكوفة بدلَ المُغيرة فعاجلته المنيةُ في سنة ثلاثٍ وعشرين على ما سيأتي بيانه ، ولهذا أوصى لسعدٍ به .

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا الأحنفُ بن قيس بلادَ خراسان ، وقصد البلد الذي فيه يَزْدجردُ ملكُ الفرس . قال ابن جرير[٣] : وزعم سيفٌ أنّ هذا كان في سنة ثماني عشرة . قلت : والأول هو المشهور ، والله أعلم .

---

(١) في أ ، ط : حرس . وما هنا للسياق .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٦٠) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٨) .
(٣) في تاريخه (٤/ ١٦٦) .

قصة يزدجرد بن شهريار بن كسرى
[الذي كان ملك الفُرس]

لما ٱستلب سعدٌ من يديه مدينة ملكِهِ ، ودارَ مقرّه ، وإيوانَ سلطانِه ، وبساطَ مشورتِه وحواصله ، تحوّل من هناك إلى حُلوان ، ثم جاء المسلمون ليحاصروا حلوان فتحوّل إلى الري ، وأخذ المسلمون حلوان ثمَّ أُخذت الريّ ، فتحوّل منها إلى أصبهان ، فأخذت أصبهان فسار إلى كِرمان فقصد المسلمون كِرمان فٱفتحوها : فٱنتقل إلى خراسان فنزلها ، هذا كلُّه والنارُ التي يعبدُها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد ، ويبني لها في كل بيت توقد فيهم على عادتهم ، وهو يُحمل في اللَّيل في مسيره إلى هذه البلدان على بعيرٍ عليه هودجٌ ينامُ فيه . فبينما هو ذاتَ ليلةٍ في هودجه وهو نائمٌ فيه ، إذ مرّوا به على مخاضة فأرادوا أن ينبّهوه قبلها لئلا ينزعجَ إذا ٱستيقظ في المخاضة ، فلما أيقظوه تغضّب عليهم شديداً وشتَمهم ، وقال : حرمتموني أن أعلم مدةَ بقاء هؤلاء في هذه البلاد وغيرها ، إني رأيتُ في منامي هذا أنّي ومحمداً [تناجينا] عند الله ، فقال له : ملككم مئة سنة ، فقال : زدني . فقال : عشراً ومئة ، فقال : زدني فقال : عشرين ومئة سنة . فقال : زدني فقال : لك . وأنبهتموني ، فلو تركتموني لعلمت مدة هذه الأمة .

[غزو المسلمين بلاد]
خراسان مع الأحنف بن قيس

وذلك أنّ الأحنفَ بن قيسٍ هو الذي أشار على عمر بأن يتوسَّع المسلمون[١] بالفتوحات في بلاد العجم ، ويضيِّقوا على كسرى يزدجرد ، فإنّه هو الذي يستحثّ الفرسَ والجنودَ على قتال المسلمين . فأذنَ عمرُ بن الخطاب في ذلك عن رأيه ، وأمَّرَ الأحنفَ ، وأمَرَهُ بغزو بلاد خراسان . فركب الأحنف في جيشٍ كثيفٍ إلى خراسان قاصداً حرب يَزْدجردَ . فدخل خراسان فافتتح هراةَ عنوةً وٱستخلف عليها صُحار بن فُلان العَبْدي ، ثم سار إلى مرو الشَّاهْجان وفيها يَزْدجردُ ، وبعث الأحنفُ بين يديه مطرّف بن عبد الله بن الشخِّير إلى نيسابور ، والحارث بن حسان إلى سرخس . ولما[٢] ٱقترب الأحنف من مرو الشاهجان ، ترحل منها يزدجرد إلى مرو الرَّوْذ (فٱفتتح الأحنف مرو الشاهجان فنزلها . وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ) إلى خاقان ملك الترك يستمده وكتب إلى (ملك) الصُغد [يستمده ، وكتب إلى ملك الصين][٣] يستعينه . وقصده الأحنف بن قيس إلى مَرْو الرَّوْذِ وقد ٱستخلف على مَرْو الشّاهْجَان

---

(١) في أ : المسلمين ؛ خطأ .
(٢) في أ : فلما .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من أ ، ط واستدرك من تاريخ الطبري (٤/ ١٦٧) .

حارثة[١] بن النُّعمان ، وقد وفدت إلى الأحنف أمدادٌ من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلمّا بلغ مسيره إلى يزدجرد (ترحل إلى بلخ ، فألتقى معه ببلخ يزدجرد) فهزمه الله عزَّ وجلَّ وهرب هو ومنْ بقي معه من جيشه فعبر النهر واستوثق ملكَ خراسان على يدي الأحنف بن قيس ، واستخلف في كل بلدة أميراً ، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان . بكمالها . فقال عمر : وددتُ أنّه كان بيننا وبين خراسان بحرٌ من نار . فقال له علي : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنّ أهلها سينقضون عهدهم ثلاث مرات فيُجتاحون في الثالثة ، فقال : يا أمير المؤمنين (لأن يكون ذلك بأهلها ، أحب إليّ من) أن يكون ذلك بالمسلمين ، وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور[٢] إلى ما وراء النهر وقال : أحفظ ما بيدك من بلاد خراسان . ولمّا وصل رسول يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره ، فلمّا عبر يزدجرد النهر ودخل في بلادهما تعيّن عليهما إنجاده في شرع الملوك ، فسار معه خاقانُ الأعظمُ ملكُ الترك ، ورجع يزدجرد بجنود عظيمة فيهم ملكُ التتار خاقان ، فوصل إلى بلخ وأسترجعها[٣] ، وفرَّ عمالُ الأحنف إليه (إلى مرو الروذ ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف) بمرو الروذ ، فتبرّز[٤] الأحنف بمنْ معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلاً يقول لآخر : إن كان الأمير ذا رأي فإنّه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة . فلما أصبح الأحنفُ أمرَ المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه ، وكان أمارةَ النصر والرّشد ، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيمٍ هائل مزعج ، فقام الأحنفُ في الناس خطيباً فقال : إنكم قليلٌ وعدوُّكم كثيرٌ ، فلا يُهولنَّكُمْ ، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] فكانتِ التركُ يُقاتلون بالنهار ولا يدري الأحنف أين يذهبون في الليل . فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان ، فلمّا كان قريبَ الصُّبح خرج فارسٌ من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إليه الأحنف ، فأختلفا طعنتين فطعنه الأحنفُ فقتله وهو يرتجز[٥] : [من الرجز]

إنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقَّاً أنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقَّا[٦]
إنّ لهـا شَيْخاً بها مُلَقَى سَيْفَ[٧] أبي حَفْصِ الَّذي تَبَقَّى

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ١٦٧) : حاتم بن النعمان الباهلي . وما هنا موافق للكامل لابن الأثير (٣/ ٣٤) .
(٢) في أ : الغزوة .
(٣) في أ : فاسترجعها .
(٤) في أ : فينزل .
(٥) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ١٦٩) .
(٦) في أ ، ط : يندقاه . وما هنا عن تاريخ الطبري .
(٧) في أ ، ط : بسيف . وما هنا عن تاريخ الطبري .

قال : ثم ٱستلب التركيَّ طوقَه ووقف موضعه ، فخرج آخرُ عليه طوقٌ ومعه طبلٌ فجعل يضرب بطبله . فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً وٱستلبه طوقه ، ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه ، ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحدٌ من الترك بالكلية . وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من مبيتهم حتى تخرج ثلاثةٌ من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله ، ثم الثاني ثم الثالث . ثم يخرجون بعد الثالث . فلما خرجت الترك (ليلتئذ) بعد[١] الثالث ، فأتَوْا على فرسانهم مُقَتَّلين ، تشاءم بذلك الملك خاقان وتَطيَّر ، وقال لعسكره : قد طال مقامنا وقد أصيب[٢] هؤلاء القوم بمكانٍ لم نصب بمثله ، ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير ، فٱنصرفوا بنا . فرجعوا إلى بلادهم وٱنتظرهم المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شُعَبهم فلم يَرَوْا أحداً منهم ، ثمّ بلغهم ٱنصرافُهم إلى بلادهم راجعين عنهم (وقد كان يَزْدَجرد ـ وخاقان في مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته ـ ذهب) إلى مرو الشاهجان فحاصرها وحارثة[٣] بن النعمان بها ، وٱستخرج منها خزانته التي كان دفنها بها ، ثم رجع وانتظره خاقان ببلخ حتى رجع إليه .

وقد قال المسلمون للأحنف : ما ترى في ٱتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . وقد أصاب الأحنف في ذلك ، فقد جاء في الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم »[٤] وقد ﴿ رد ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . ورجع كسرى خاسراً الصفقةَ لم يُشْفَ له غَليلٌ ، ولا حصلَ على خيرٍ ، ولا انتصرَ كما كان في زعمه ، بل تخلّى عنه من كان يرجو النصرَ منه ، وتنحّى عنه وتبرّأ منه أحوجَ ما كانَ إليه ، وبقي مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٨٨] وتحيَّر في أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ وقد أشار عليه بعض أولي النُّهى من قومه حين قال : قد عزمت أن أذهب إلى بلاد الصِّين أو أكون مع خاقان في بلاده . فقالوا : إنا نرى أن نصانع هؤلاء القوم فإنَّ لهم ذمَّة وديناً يرجعون إليه ، فنكون في بعض هذه البلاد وهم مجاورينا[٥] ، فهم خيرٌ لنا من غيرهم . فأبى عليهم كسرى ذلك . ثم بعث إلى ملك الصّين يستغيث به ويستنجده فجعلَ ملكُ الصين يسأل الرسولَ عن صفةِ هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلادَ وقهروا رقابَ العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيلَ والإبل ، وماذا يصنعون ؟ وكيف يُصلُّون . فكتب معه إلى يزدجرد : إنه لم يمنعني أن أبعثَ إليكَ بجيش أوّلهُ بمرو وآخره بالصّين ، الجهالةُ بما يحقُّ عليَّ[٦] ، ولكنَّ هؤلاء

---

(١) في ط : سعد ؛ تحريف .
(٢) في أ : أصيبت .
(٣) فحاصر حارثة بن النعمان بها .
(٤) رواه أبو داود مختصراً رقم (٤٣٠٢) والنسائي (٦/ ٤٣) بلفظ « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » وهو حديث حسن .
(٥) كذا في الأصل والمطبوع : وهو مجاورينا ، والصواب : وهم مجاورونا .
(٦) في أ : بما نحن عليه .

القوم الذين وصفَ لي رسولُك (صفتَهم لو يحاولون الجبال لهدُّوها ، ولو جئتُ لنصركَ أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك) فسالِمْهُم وٱرضَ منهم بالمسالمة .

فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين . ولم يزل ذلك دأبه حتى قُتل بعد سنتين من إمارة عثمان كما سنورده في موضعه .

ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح ، وما أفاءَ اللهُ عليهم من أموال الترك ومنْ كانَ معهم ، وأنَّهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلةً عظيمةً . ثم ردّهم اللهُ بغيظهم لم ينالوا خيراً . فقام عمرُ على المنبر وقُرىء الكتابُ بين يديه ، ثم قال عمر : إنّ اللهَ بعثَ محمداً بالهدى ووعد على ٱتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] فالحمدُ لله الذي أنجز وعدَه ! ونصرَ جندَه . ألا وإنّ اللهَ قد أهلكَ ملكَ المجوسية ، وفرّق شملَهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شِبْراً يُضير بمسلم ، ألا وإنَّ الله قد أورثكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأبناءَهم ، لينظرَ كيف تعملون !! فقوموا في أمرِه ، على وَجَلٍ ، يُوفّ لكم بعهده ، ويُؤْتِكم وعدَه ، ولا تغيِّروا يستبدل قوماً غيركم ، فإنّي لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤْتى إلا من قبلكُم .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ(١) في تاريخ هذه السنة ـ أعني سنة اثنتين(٢) وعشرين ـ : وفيها فتحت أَذْرَبيجان على يَدَي المُغيرة بن شُعبة . قاله ابن إسحاق : فيقال : إنه صالحهم على ثمانمئة ألف درهم . وقال أبو عبيدةِ : فتحها حبيب بن مَسْلَمة(٣) الفِهْري بأهل الشام عنوةً ، ومعه أهلُ الكوفة فيهم حُذَيْفة فافتتحها بعد قتال شديد ، والله أعلم . وفيها افتتح حذيفة الدينور عنوة ـ بعد ما كان سعد افتتحها فانتقضوا(٤) عهدهم ـ .

وفيها افتتح حذيفة ماه سندان عنوةً ـ وكانوا نَقَضُوا أيضاً عهدَ سعد ـ وكان مع حذيفة أهل البصرة(٥) (فلحقهم أهل الكوفة) فاختصموا في الغنيمة ، فكتب عمر : إنَّ الغنيمةَ لمنْ شهدَ الوقعة . قال أبو عبيدة : ثم غزا حذيفة هَمَذان فافتتحها عنوةً ، ولم تكن فُتحت قبل ذلك ، وإليها انتهى فتوح حذيفة . قال : ويقال : افتتحها جريرُ بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال : افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين .

وفيها افتُتحت جُرجان .

---

(١) في تاريخ الإسلام (٢/ ٤٥) .
(٢) في أ : ثنتين .
(٣) في ط : سلمة ؛ تحريف .
(٤) في أ : فانتقض .
(٥) في أ : الشام .

قال خليفة[١] : وفيها افتتح عمرو بن العاص طرابلس المغرب ، ويقال في السنة التي بعدها .

قلت : وفي هذا كلّه غرابة لنسبته[٢] إلى ما سلف ، والله أعلم .

قال شيخنا : وفيها توفي أُبيّ بن كعب في قول الواقدي وابن نمير والذهلي والترمذي ، وقد تقدم في سنة تسع عشرة .

ومعضد بن يزيد الشيباني استشهد بأذربيجان ولا صحبة له .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

وفيها وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال الواقدي وأبو معشر[٣] : فيها كان فتح إصطخر وهَمَذان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح تَوَّج[٤] الآخرة . ثم ذكر أنَّ الذي افتتح تَوّج مجاشعُ بن مسعود ، بعد ما قَتَلَ من الفرس مقتلةً عظيمةً وغنِمَ منهم غنائمَ جمةً ، ثم ضربَ الجزية على أهلها ، وعقدَ لهم الذمةَ ، ثم بعث بالفتح وخُمْسِ الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ثم ذكر أنَّ عثمان بن أبي العاص افتتح جُور[٥] بعد قتالٍ شديدٍ كان عندها ، ثم افتتح المسلمون إصطخر ـ وهذه المرة الثانية ـ ، وكان أهلها قد نقضوا (العهد) بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر ـ من أرض البحرين ـ والتقوا هم والفرس في مكان يقال له طاوس ، كما تقدَّم بسط ذلك في موضعه . ثم صالحه الهِرْبذُ على الجزية ، وأن يضرب لهم الذمة . ثم بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر .

قال ابن جرير[٦] : وكانت الرسل لها جوائز ، وتُقْضى لهم حوائج ، كما كان رسول الله ﷺ يعاملهم بذلك .

ثم إنَّ شهرك خلع العهد ، ونقضَ الذمَّة ، ونشَّط الفرسَ ، فنقضوا ، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص ابنَه وأخاه الحكم ، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتلَ الحكمُ بن أبي العاص شهرك ، وقتلَ ابنَه معه أيضاً . وقال أبو معشر : كانت فارس الأولى وإصْطَخر الآخرة سنة ثمانٍ وعشرين في إمارة عثمان ، وكانت فارس الآخرة و (وقعة) جُور في سنة تسعٍ وعشرين .

---

(١) تاريخ خليفة (ص١٥٢) .

(٢) في أ : بالنسبة .

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٤) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٩ ـ ٤٠) .

(٤) تَوَّج : مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحرّ لأنها في غور من الأرض ذات نخل ـ معجم البلدان (٢/ ٥٦) .

(٥) جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً ، وهي مدينة نزهة طيبة . معجم البلدان (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢) .

(٦) في تاريخه (٤/ ١٧٥) .

فتح فَسَا ودَارَابجَرْد وقصة سارية بن زُنَيْم

ذكر سيفٌ[١] عن مشايخه أنَّ سارية بن زُنَيْم قصدَ فَسَا ودارابجَرْد ، فاجتمع[٢] له جموعٌ ـ من الفرس والأكراد ـ عظيمة ، ودهمَ المسلمين منهم أمرٌ عظيمٌ وجمعٌ كثيرٌ ، فرأى[٣] عمر في تلك الليلة فيما يرى النائمُ معركتَهم وعددَهم في وقتٍ من النهار ، وأنهم في صحراء وهناك جبلٌ إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فنادى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها ، خرج إلى الناس وصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثم قال : يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ ، ثم (أقبل عليهم) وقال : إن لله جنوداً ولعلَّ بعضَها أن يبلغهم . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم اللهُ على عدوهم ، وفتحوا البلد .

وذكر سيف[٤] في رواية أخرى عن شيوخه أنَّ عمر (بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ) قال : يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ الجبلَ . فلجأ المسلمون إلى جبلٍ هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهةٍ واحدةٍ فأظفرهم الله بهم ، وفتحوا البلد . وغنموا شيئاً كثيراً ، فكان من جملة ذلك سفط من جوهر فاستوهبه ساريةُ من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس ـ ولم يعرفه ـ ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلمَّا فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل ، فاستأذن فأذن له ، وإذا هو قد وُضع له خبزٌ وزيتٌ وملحٌ ، فقال : ادنُ فكُلْ . قال : فجلستُ فجعل يقول لامرأته : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ فقالت : إني أسمع حسَّ رجلٍ عندك . فقال : أجل ، فقالت : لو أردتَ أن أبرزَ للرجال اشتريتَ لي غيرَ هذه الكسوة . فقال : أو ما ترضَيْنَ أن يُقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر . فقالت : ما أقلَّ غَناء ذلك (عني) . ثم قال للرجل : ادنُ فكُل فلو كانت راضية لكانَ أطيبَ مما ترى [قال] فأكلا فلما فرغا قال : أنا رسول ساريةَ بن زُنَيْمٍ يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلاً . ثم أدناه حتى مست ركبتُه ركبتَه ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية (بن زُنَيْم) ، فأخبره ثم ذكر له شأنَ السفط من الجوهر ، فأبى أن يقبله ، وأمر بردِّه إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسولَ ساريةَ عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتاً يوم الوقعة ؟ قال : نعم ، سمعنا قائلاً يقول : يا ساريةُ الجبلَ ، وقد كدنا[٥] نهلك فلجأنا إليه ، ففتح الله علينا .

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨) .
(٢) في أ : واجتمع .
(٣) في أ : ورأى .
(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨) والكامل لابن الأثير (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) وتاريخ الإسلام (٢/ ٤٩) .
(٥) في أ : كنا . وما عنا موافق لتاريخ الطبري .

ثم رواه سيفٌ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ بنحو هذا .

وقال عبد الله بن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ عمرَ وجَّه جيشاً ورأَّسَ عليهم رجلاً (يقال له سارية) قال : فبينما عمرُ يخطب (فجعل ينادي) : يا ساري الجبل (يا ساري الجبل ثلاثاً) ثم قدم رسولُ الجيش فسأله عمر : فقال : يا أميرَ المؤمنين هُزمنا ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً : يا سارية الجبلَ ، ثلاثاً ـ فأسندنا ظهورنا بالجبل ، فهزمهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنتَ تصيحُ بذلك . وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدي : حدَّثني نافعُ بن أبي نُعيم ، عن نافع مولى ابن عمر . أنَّ عمر قال على المنبر : يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ . فلم يدرِ الناسَ ما يقولُ حتى قدم ساريةُ بن زُنَيْم المدينةَ على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كنّا محاصري العدوّ فكنَّا نُقيم الأيامَ لا يخرج علينا منهم أحدٌ ، نحن في خفضٍ من الأرض وهم في حصنٍ عالٍ ، فسمعتُ صائحاً يُنادي بكذا وكذا يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ ، فعلوتُ بأصحابي الجبلَ ، فما كان إلا ساعةً حتى فتحَ اللهُ علينا .

وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي من طريق مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر بنحوه ، وفي صحته من حديث مالك نظر .

وقال الواقدي : حدَّثني أسامةُ بن زيد عن أسلم عن أبيه ، وأبو سليمان عن يعقوب بن زيد قالا : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة ، فصعدَ المنبر ، ثم صاح : يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ (يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ) ، ظُلِمَ منِ اسْتَرْعى الذئبَ الغنمَ . ثم خطب حتى فرغ ، فجاء كتابُ سارية إلى عمر : إنَّ الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا ـ لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلم[١] على المنبر ـ قال : سارية فسمعت صوتاً يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ ، يا سارية بن زنيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم ، فعلوت بأصحابي الجبل ، ونحن قبلَ ذلك في بطن وادٍ ، ونحن محاصرو العدوِّ . ففتحَ الله علينا . فقيل لعمر بن الخطاب : ما ذلك الكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلَّا بشيء أُلْقِيَ على لساني . فهذه طرقٌ يشدُّ[٢] بعضُها بعضاً .

[فتح كَرْمان وسِجْستان ومُكران]

ثم ذكر ابنُ جرير[٣] من طريق سيفٍ عن شيوخه فتحَ كَرْمان على يديْ سُهَيْل بن عدي وأمدَّه عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، وقيل على يَدَيْ عبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعي ، وذكر فتح سِجْستان[٤] على

---

(١) في أ : ليتكلم .
(٢) في أ : تشدّ .
(٣) في تاريخه (٤/ ١٨٠ ـ ١٨١) .
(٤) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، تقع جنوبي هراه وبينهما عشرة أيام ثمانون فرسخاً ، وأرضها كلّها رملية=

يَدَيْ[١] عاصم بن عمرو ، بعد قتالٍ شديدٍ ، وكانت ثغورها متسعةً ، وبلادها متنائية[٢] ، ما بين السند إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون القُنْدَهار والترك من ثغورها وفروجها . وذكر فتح مُكران على يَدَي الحَكم بن عمرو ، وأمدّه بشهاب بن المخارق بن شهاب ، وسُهَيْل بن عدي ، وعبد الله بن عبد الله واقتتلوا[٣] مع ملك السند فهزمَ اللهُ جموعَ السِّند، وغنم المسلمون منهم غنيمةً كثيرةً، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صُحار العَبْديّ ، فلمّا قدم على عمر سأله عن أرض مُكران فقال : يا أمير المؤمنين ، أرضٌ سهلُها جبلٌ ، وماؤُها وَشَلٌ[٤] ، وتَمْرُها[٥] دَقَلٌ[٦] ، وعدوُّها بطلٌ، وخيرُها قليلٌ، وشرُّها طويلٌ، والكثيرُ بها قليلٌ ، والقليلُ بها ضائعٌ ، وما وراءها شرٌّ منها . فقال عمر : أسجَّاعٌ أنتَ أم مُخْبِر ؟ (فقال : لا ، بل مُخْبِرٌ) ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لا يغزو بعد ذلك مُكران ، وليقتصروا على ما دون النهر .

وقد قال الحكم بن عمرو في ذلك[٧] : [من الوافر]

لَقَدْ شَبِعَ الأراملُ غيرَ فَخْرٍ ... بِفَيْءٍ جاءَهم من مُكُّرانِ

أَتَاهُمْ بَعْدَ مَسْغَبَةٍ وجَهْدٍ ... وقدْ صَفِرَ الشِّتاءُ منَ الدُّخانِ

فَإنّي لا يَذُمُّ الجَيْشُ فِعْلي ... ولا سَيْفي يُذَمُّ ولا لساني[٨]

غَدَاة أُدافِعُ[٩] الأوْباش دَفْعاً ... إلى السِّنْدِ العَريضة والمَداني

ومِهْرانٌ لنا فيما أرَدْنا ... مُطِيعٌ غير مُسْترخي العِنانِ[١٠]

فلَوْلا ما نَهَى عنه أميري ... قَطعْناهُ إلى البُدُدِ الزَّواني

غزوة الأكراد

ثم ذكر ابن جرير[١١] بسنده ، عن سيفٍ ، عن شيوخه : أن جماعةً من الأكراد والتفَّ إليهم طائفةٌ من

= سبخة . معجم البلدان (٣/ ١٩٠ ـ ١٩٢) .

(١) في أ : على يد .

(٢) في أ : متباينة .

(٣) في أ : فاقتتلوا .

(٤) الوشل : الماء القليل . اللسان (وشل) .

(٥) في أ ، ط : ثمرها . وما هنا عن الطبري .

(٦) الدَّقَلُ من التمر : هو أردأ أنواعه .

(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣) ومعجم البلدان (٥/ ١٧٩) دون الأخير .

(٨) في تاريخ الطبري والمعجم : ولا سناني .

(٩) في تاريخ الطبري : أُدَفِّعُ . وفي معجم البلدان : أُرَفِّعُ .

(١٠) في معجم البلدان : الهوان .

(١١) في تاريخه (٤/ ١٨٣) .

الفرس اجتمعوا ، فلقيهم أبو موسى بمكانٍ من أرض بَيْرُوذ قريب من نهر تيرَى ، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فتسلَّم الحرب وحنق[١] عليهم ، فهزم اللهُ العدوَّ وله الحمدُ والمنةُ ، كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرَّة ، في عباده المؤمنين ، وحزبه المفلحين ، من أتباع سيد المرسلين . ثم خُمست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه ، وقد سار ضَبَّة بن مِحْصن العَنَزيّ ، فاشتكى أبا موسى إلى عمر ، وذكر عنه أموراً لا ينقم عليه بسببها ، فاستدعاه عمر فسأله عنها ، فاعتذر منها بوجوهٍ مقبولةٍ فسمعها عمر وقبلها ، وردّه إلى عمله وعذر ضَبَّةَ فيما تأوّله ، ومات عمر ، وأبو موسى على صلاة البصرة .

خبر سلمة بن قيس الأشْجَعي والأكراد

بعثه عمر على سرية ووصاه بوصايا كثيرة بمضمون حديث بُرَيْدة في صحيح مسلم[٢] « اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله . . . » الحديث إلى آخره ، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعوهم إلى إحدى ثلاث خلال ، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها ، فقاتلوهم فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وغنموا أموالهم .

ثم بعث سلمة بن قيس رسولاً إلى عمر بالفتح وبالغنائم ، فذكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس ، وذهابه معه إلى منزله ، كنحو ما تقدَّم من قصة أمِّ كلثوم بنت علي ، وطلبها الكسوة كما يكسي طلحة وغيره أزواجهم ، فقال : ألا يكفيك أن يقال بنت علي وامرأة أمير المؤمنين ؟ ثم ذكر طعامه الخشن ، وشرابه من سُلْت[٣] ، ثم شرع يستعلمه عن أخبار المهاجرين ، وكيف طعامهم وأشعارهم ، وهل يأكلون اللحم الذي هو شجرتهم ، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم ؟ وذكر عرضه عليه ذلك السفط من الجوهر ، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك ، وأمره بأن يردَّه فيقسم بين الغانمين . وقد أورده ابن جرير[٤] مطولاً جداً .

وقال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة حجَّ عمرُ بأزواجِ النبي ﷺ ، وهي آخر حجَّةٍ حجَّها رضي الله عنه .

قال : وفي هذه السنة كانت[٦] وفاته . ثم ذكر صفة قتله مطولاً أيضاً[٧] ، وقد ذكرت ذلك مستقصى في آخر سيرة عمر ، فليكتب من هناك إلى هنا .

---

(١) في أ : وهو حتف .
(٢) صحيح مسلم (١٧٣١) (٣) في الجهاد والسير .
(٣) السُّلْتُ : سويق الحنطة أو الشعير . اللسان (سلت) .
(٤) في تاريخه (٤/ ١٨٦ ـ ١٩٠) .
(٥) في تاريخه (٤/ ١٩٠) .
(٦) في أ : كانت سنة وفاته .
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٠ ـ ٢٤١) .

[وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

وهو عُمر بن الخَطّاب[١] بن نُفَيْل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ (بن غالب) بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان القرَشي ، أبو حَفْص العَدوي ، المُلَقَّب بالفاروق ، قيل : لقَّبه بذلك أهلُ الكتاب .

[وأمه حَنْتَمة بنت هشام أخت أبي جهل بن هشام[٢] . أسلم عمر وعمره سبعُ وعشرون سنة ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها مع النبي ﷺ ، وخرج في عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أولُ من دُعي أميرَ المؤمنين ، وأولُ من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التّراويح ، وأولُ من عَسَّ بالمدينة ، وحمل الدِّرَّة وأدَّب بها ، وجلد في الخمر ثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصَّر الأمصار ، وجنَّد الأجناد . ووضع الخَراج ، ودوَّنَ الدواوين ، وفرض الأعطية ، واستقضى القضاة ، وكوَّر الكُورَ ، مثل السَّواد والأهْواز والجبال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كلّه ، والجزيرةَ والموصلَ ، ومَيّا فارقين ، وآمد ، وأرْمينية ، ومصر وإسكندرية . ومات وعساكرُه على بلاد الرّيّ . فتح من الشام اليَرْموك وبُصرى ودمشق والأرْدُن ، وبَيْسان ، وطَبَريَّة ، والجابية ، وفلسطين ، والرَّمْلة ، وعَسْقَلان ، وَغزَّة ، والسواحل ، والقُدْس . و(فتح) مصر وإسكندرية وطرابلس الغرب وبرقة ، ومن مدن الشام : بعلبك ، وحمص ، وقنّسرين ، وحلب ، وأنطاكية و(فتح) الجزيرةَ وحرّان والرُّها والرَّقة ونَصيبين ورأس عين وسُمَيْساط

---

(١) لا يخلو كتاب من كتب التراجم من ترجمة عمر رضي الله عنه ، ونكتفي هنا بذكر أهم هذه المصادر وهي : تاريخ الطبري (٤/ ١٩٠ ـ ٢٤١) والاستيعاب (٣/ ١١٤٤ ـ ١١٥٩) وتاريخ دمشق (مجلد بكامله) وأسد الغابة (٤/ ١٤٥ ـ ١٨٦) وتهذيب الكمال (٢١/ ٣١٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٥٠ ـ ٦٠) والإصابة (٣/ ٥١٨ ـ ٥١٩) وتاريخ الخلفاء ـ بتحقيق الأستاذ إبراهيم الصالح ـ (١٣٣ ـ ١٧٧) .

(٢) اختلفت المصادر في أم عمر رضي الله عنه ، هل هي بنت هشام فتكون أخت أبي جهل أم بنت هاشم فتكون بنت عمه . والذي قال بالرأي الأول غير ابن كثير الطبري في تاريخه (٤/ ١٩٥) وابن الأثير في جامع الأصول (١٢/ ٣٠٥) والذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ٥٠) ، وقال بالرأي الآخر ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥١٨) وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١١٤٤) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٤٥) والمزي في تهذيب الكمال (٢١/ ٣١٧) وقال : بنت هاشم أصح ؛ بل إن ابن عبد البر خطَّأ من قال بالرأي الأول وهو أنها أخت أبي جهل ، وقد لخّص ابن الأثير المشكلة فيمايلي وقال : وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقيل : حنتمة بنت هشام بن المغيرة ، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل ، وعلى الأول تكون ابنة عمه . قال أبو عمر : ومن قال ذلك ـ يعني بنت هشام ـ فقد أخطأ ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام ، وليس كذلك وإنما هي ابنة عمهما ؛ لأن هشاماً وهاشماً ابني المغيرة أخوان ، فهاشم والدحنتمة ، وهشام والد الحارث وأبي جهل ، وكان يقال لهاشم جدّ عمر ذو الرمحين . وقال ابن مندة : أم عمر أخت أبي جهل . وقال أبو نعيم : هي بنت هشام أخت أبي جهل ، وأبو جهل خاله ، ورواه عن ابن إسحاق . وقال الزبير : حنتمة بنت هاشم فهي ابنة عم أبي جهل ـ كما قال أبو عمر ـ وكان لهاشم أولاد فلم يعقبوا .

وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة وبلاد المَوْصل وأرْمينية جميعها ، وبالعراق : القادسية والحيرة ونهر شير وساباط ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والأُبُلَّة والبصرة والأَهْواز وفارس ونَهاوند وهَمَذان والرَّيّ وقُومس وخراسان وإِصْطخر وأصبهان والسّوس ومرو ونَيْسابور وجُرجان وأَذْرَبيجان وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً .

وكان متواضعاً في الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً في ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القربة على كتفيه ، مع عظم هيبته ، ويركب الحمار عرياً ، والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك ، لا يمازح أحداً ، وكان نقش خاتمه : كَفَى بالموتِ واعظاً يا عُمَر[١] .

وقال النبي ﷺ : « أشد أمتي في دين الله عمر »[٢] . وعن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، وإنَّهما السمع والبصر »[٣] .

وعن عائشة أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ الشيطان يَفْرَق من عمر »[٤] .

وقال : « أرحمُ أمتي أبو بكر ، وأشدُّها في دين الله عمر »[٥] .

وقيل لعمر : إنك فضاء . فقال : الحمدُ الله الذي ملأ قلبي لهم رُحماً ، وملأ قلوبهم لي رعباً .

وقال عمر : لا يحلُّ لي من مال الله إلا حلَّتان حلَّة للشتاء وحلَّة للصيف ، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ، ثم أنا رجل من المسلمين .

وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين واشترط عليه أن لا يركب برذوناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابهَ دون ذوي الحاجات . فإن فعل شيئاً من ذلك حَلَّتْ عليه العقوبةُ .

وقيل إنَّه كان إذا حدَّثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر : احبس هذه احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كلُّ ما حدَّثتك به حقٌّ غير ما أمرتني أن أحبسه .

وقال معاوية بن أبي سفيان : أمَّا أبو بكر فلم يُرد الدنيا ولم تُرده ، وأما عمر فأرادته فلم يردها ، وأما

---

(١) الخبر في تاريخ ابن عساكر ـ مجلد عمر بن الخطاب ـ (ص٢٢١) .

(٢) سيأتي تخريجه بعد قليل .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي [في جامعه (٣٦٨٠) في المناقب] وإسناده ضعيف ، والجملة الأخيرة منه « هذان السمع والبصر » رواه الترمذي رقم (٣٦٧١) من حديث عبد الله بن حنطب ، وهو حديث حسن .

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٥٣) والترمذي رقم (٣٦٩٠) من حديث بريدة ، وهو حديث صحيح .

(٥) قطعة من حديث عن أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤) والترمذي (٣٧٩١) والنسائي في فضائل الصحابة رقم (١٨٢) وابن حبان في صحيحه ـ الإحسان ـ (١٦/ ٧٤ و٨٥) رقم (٧١٣١ و٧١٣٧) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

نحن فتمرَّغنا فيها ظَهْراً لبطنٍ . وعُوتب عمر فقيل له : لو أكلتَ طعاماً طيباً كان أقوىَ لك على الحقِّ ؟ فقال : إنّي تركتُ صاحبيَّ على جادةٍ ، فإن أدركتُ جادَّتهما فلم أدركهما في المنزل . وكان يلبسُ ، وهو خليفةٌ ، جبةَ صوفٍ مرقوعة بعضها بأدم ، ويطوفُ بالأسواق على عاتقه الدِّرَّةُ يُؤدِّبُ بها الناسَ ، وإذا مرَّ بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : كان بين كَتفَيْ عمر أربعُ رقاعٍ ، وإزارُه مرقوعٌ بأدمٍ ، وخطبَ على المنبر ، وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعةً ، وأنفقَ في حجته ستة عشر ديناراً ، وقال لابنه : قدْ أسرفنا .

وكان لا يستظلُّ بشيء غيرَ أنَّه كان يُلقي كساءَه على الشجر ويستظلُّ تحتَهُ ، وليس له خيمةٌ ولا فُسطاط[١] . ولما قدمَ الشامَ لفتح بيتِ المقدس كان على جملٍ أورق[٢] ، تلوحُ صلعته للشمس ، وليس عليه قلنسوةٌ ولا عمامةٌ قد طبق رجليه بين شعبي الرَّحل بلا ركاب ، ووطاؤه كبشٌ[٣] من صوف ، وهو فراشُه إذا نزل ، وحقيبته[٤] محشوةٌ ليفاً ، وهي وسادتُه إذا نام ، وعليه قميصٌ من كرابيس[٥] قد رُسِّم[٦] وتخرَّق جيبه ، فلمَّا نزل قال : ادعوا لي رأسَ القرية ، فَدَعَوْهُ فقال : اغسلوا قميصي وخَيِّطُوه وأعيروني قميصاً ، فأُتي بقميصِ كتانٍ ، فقال : ما هذا ؟ فقيل كَتَّانٌ . فقال : فما الكَتَّان ؟ فأخبروه . فنزعَ قميصَه فغسلوه وخاطوه[٧] ثم لبسه ، فقال له : أنت ملكُ العرب ، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوبُ الإبل . فأُتي ببِرْذَونٍ فطُرح عليه قطيفةٌ بلا سَرْج ولا رَحْلٍ ، فلمَّا سار جعل [البرذون][٨] يهملج[٩] به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنتُ أظنُّ الناسَ يركبون الشياطينَ ، هاتُوا جَمَلي . ثم نزل وركب الجملَ .

وعن أنس قال : كنتُ مع عمر فدخل حائطاً لحاجته ، فسمعتُه يقول ـ وبيني وبينه جدارُ الحائط ـ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بَخٍ بَخٍ ، والله لَتَتَّقينَّ اللهَ بنيّ الخطاب أو لَيُعَذِّبَنَّكَ . وقيل : إنه حملَ قربةً على عاتقه ، فقيل له في ذلك فقالَ : إنَّ نفسي أعجبتني ، فأردتُ أن أذلَّها ؟ وكان يصلِّي بالناس العشاءَ[١٠] ثم يدخل بيتَه ، فلا يزالُ يصلِّي إلى الفجر[١١] . وما مات حتى سَرَد الصومَ ، وكان في عام

---

(١) الفُسطاط : بيت من شَعرٍ ، وفيه لغات : فُسْطاط ، وفسْتاط ، وفسّاط ، وكسر الفاء لغة فيهن . اللسان (فسط) .
(٢) الأورق من الإبل ؛ الذي في لونه بياض إلى سواد . اللسان (ورق) .
(٣) ثوب أكباش من برود اليمن . اللسان (كبش) .
(٤) الحقيبة تكون على عجز البعير ، وهي وعاء يجعل الرجل فيه زاده . اللسان (حقب) .
(٥) كرابيس : جمع كرباس : وهو القطن . اللسان (كربس) .
(٦) ثوب مُرَسَّمٌ ـ بالتشديد ـ مخطط . اللسان (رسم) .
(٧) في أ : وخيَّطوه .
(٨) كذا في ط وليس اللفظ في أ .
(٩) الهَمْلجة والهملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة . اللسان (هملج) .
(١٠) في أ : العشيّ .
(١١) في هذا الكلام مبالغة .

الرَّمادة لا يأكلُ إلا الخبزَ والزيتَ حتى اسودَّ جلدُه ويقول : بئسَ الوالي أنا إن شبعتُ والناسُ جياعٌ . وكان في وجهه خطَّان أسودان من البكاء ، وكان يسمعُ الآيةَ من القرآن فيغشى عليه فيُحمل صريعاً إلى منزله فيعاد أياماً ليس به مرض إلَّا الخوف[١] .

وقال طلحة بن عبيد الله[٢] : خرج عمر ليلةً في سواد الليل فدخل بيتاً فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى ذلك البيت فإذا عجوزٌ عمياء مقعدةٌ فقلت لها : ما بالُ هذا الرجل يأتيك ؟ فقالت : إنَّه يتعاهدني مدةَ كذا وكذا يأتيني بما يُصلحني ويُخرجُ عنّي الأذى . فقلت لنفسي : ثكلتكَ أمُّك يا طلحة ، أعثراتِ عمر تتبع ؟ .

وقال أسلم مولى عمر : قدم المدينةَ رفقةٌ من تجارٍ ، فنزلوا المُصلَّى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لكَ أن تحرسهم الليلة ؟ قال نعم ! فباتا يحرسانهم ويُصليان ، فسمع عمر بكاءَ صبيٍّ فتوجَّه نحوه فقال لأمِّه : اتقي الله تعالى وأحسني إلى صبيِّكِ . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلمَّا كان آخرَ الليل سمع بكاء الصبيّ فأتى إلى أمِّه فقال لها : ويحك ، إنك أم سوء ، ما لي أرى ابنَك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟! فقالت : يا عبدَ الله إني أشغلُه عن الطعام فيأبى ذلك ، قال : ولم ؟ قالت : لأنَّ عمر لا يفرض إلا للمفطوم . قال : وكم عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، فقال : ويحك لا تعجليه عن الفطام . فلمَّا صلَّى الصبحَ وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء . قال : بُؤساً لعمر . كم قتلَ من أولاد المسلمين . ثم أمر مناديه فنادى ، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم : خرجتُ ليلةً مع عمر إلى ظاهر المدينة ، فلاحَ لنا بيتُ شعر ، فقصدناهُ ، فإذا فيه امرأةٌ تمخض وتبكي ، فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة غَرِيبَةٌ[٣] وليس عندي شيء . فبكى عمر ، وعاد يُهَرْولُ إلى بيته ، فقال لامرأته أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب : هل لكِ في أجر ساقَهُ اللهُ إليكِ ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل على ظهره دقيقاً وشحماً ، وحملت أم كلثوم ما يصلحُ للولادة وجاءا ، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها ـ وهو لا يعرفه ـ يتحدث ، فوضعتِ المرأةُ غلاماً ، فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بَشِّرْ صاحبَكَ بغلامٍ . فلما سمعَ الرجلُ قولَها استعظمَ ذلك ، وأخذ يعتذرُ إلى عمر . فقال عمر : لا بأس عليك ، ثم أوصلهم بنفقةٍ وما يصلحهم وانصرف .

وقال أسلم : خرجتُ ليلةً مع عمر إلى حرة واقم[٤] ، حتى إذا كنا بصرار[٥] إذا بنار فقال : يا أسلم

---

(١) في هذا الكلام مبالغة .

(٢) في الأصل والمطبوع : عبد الله .

(٣) في ط : عربية .

(٤) في أ : إلى الحرّة فإذا بنار فقال . . . وحرة واقم : إحدى حرَّتي المدينة ، وهي الشرقية ، سميت برجل من العماليق اسمه واقم ، وكان قد نزلها في الدهر الأول . معجم البلدان (٢/ ٢٤٩) .

(٥) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . معجم البلدان (٣/ ٣٩٨) .

هاهنا ركبٌ قد قَصَّر بهم الليلُ ، انطلقْ بنا إليهم ، فأتيناهم فإذا امرأةٌ معها صبيانٌ لها وقِدْرٌ منصوبةٌ على النار وصبيانها يتضاغَوْن ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضَّوْء ، قالت : وعليكَ السلامُ . قال : أأدنو ؟ قالت : ادن [بخيرٍ] أو دَعْ . فدنا فقال : ما بالُكم ؟ قالت : قصَّرَ بنا الليلُ والبردُ . قال : فما بال هؤلاء الصبية يَتَضَاغَوْن ؟)[١] قالت : من الجوع . فقال : وأي شيءٍ على النار ؟ قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر . فبكى عمر ، ورجع يُهرول إلى دار الدّقيق ، فأخرج عِدْلاً من دقيقٍ وجرابَ شحمٍ ، وقال : يا أسلم احمله على ظهري ، فقلتُ : أنا أحملُه عنك . فقال : أنتَ تحملُ وزري يومَ القيامة ؟ فحملته[٢] على ظهره وانطلقنا إلى المرأة[٣] فألقى عن ظهره وأخرجَ من الدقيق في القدر ، وألقى عليه من الشَّحم ، وجعل ينفخُ تحت القدر والدخان يَتَخَلَّل لحيتَه ساعةً ، ثم أنزلها عن النار وقال : إيتيني بصَحْفة . فأُتي بها فغرفها[٤] ثم تركها بين يدي الصِّبيان وقال : كُلُوا ، فأكلوا حتى شبعوا ـ والمرأةُ تدعو له وهي لا تعرفُه ـ فلم يزل عندهم حتى نام الصغار[٥] ، ثم أوصلهم بنفقةٍ وانصرفَ ، (ثم أقبلَ عَلَيَّ) فقال : يا أسلم ، الجوعُ الذي أسهرهم وأبكاهم .

وقيل : إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : قد ندَّ بعيرٌ من إبل الصَّدَقة فأنا أطلبه . فقال : قد أتعبتَ الخلفاءَ من بعدك .

وقيل : إنَّه رأى جارية تتمايل من الجوع فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت ابنة عبد الله : هذه ابنتي . قال : فما بالُها ؟ فقالت إنك تحبس عنَّا ما في يدك فيصيبنا ما ترى . فقال : يا عبدَ الله ، بيني وبينكم كتابُ الله ، والله ما أعطيكم إلَّا ما فرضَ الله لكم ، أتريدون مني أن أُعطيَكم ما ليس لكم ؟ فأعود خائناً ؟ رُوي ذلك عن الزهري .

[تسمية عمر أمير المؤمنين]

وقال الواقدي[٦] : حدَّثنا أبو حَزْرَةَ[٧] يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي عمرو قال: قلت لعائشة : من سمَّى عمرَ الفاروقَ (أميرَ المؤمنين) قالت : النبي ﷺ قال : « أمير المؤمنين هو »[٨] .

---

(١) ما بين قوسين ساقط من أ .
(٢) في أ : فحمله .
(٣) في أ : الامرأة .
(٤) في أ : ثم غرفها .
(٥) في أ : حتى ناموا الصغار وهي لغة مفضولة .
(٦) الخبر في طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٢) .
(٧) في ط : أبو حمزة ؛ خطأ . ترجمته في تقريب التهذيب رقم (٦٠٨) ونزهة الألباب في الألقاب رقم (٢٩٨٢) .
(٨) في سنده الواقدي ، وهو متروك عند المحدثين .

وأوَّلُ من حَيَّاهُ بها المغيرةُ بن شعبة ، وقيل غيره ، فالله أعلم .

وقال ابن جرير[١] : حدَّثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، حدَّثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية ـ وكان قد أتى عليها مئة وثلاثون سنة ـ عن أبيها قال : لما ولي عمر قالوا : يا خليفةَ خليفةِ رسولِ الله . فقال عمر : هذا أمرٌ يطولُ ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فسمي أمير المؤمنين .

وملخص ذلك[٢] أنَّ عمر رضي الله عنه لمَّا فرغَ من الحجِّ سنةَ ثلاثٍ وعشرين ونزل بالأبطح دعا اللهَ عزَّ وجلَّ وشكا إليه أنَّه قد كبرت[٣] سنُّه وضعفت قوّتُه ، وانتشرت رعيتُه ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضَه إليه ، وأن يمنَّ عليه بالشهادة في بلدِ النبي ﷺ ، كما ثبت عنه في الصحيح[٤] أنَّه كان يقول : اللهم إني أسألك شهادةً في سبيلك ، وموتاً في بلد رسولك ، فاستجاب له الله[٥] هذا الدعاءَ ، وجمعَ له بين هذين الأمرين الشهادةَ في المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكنَّ الله لطيفٌ بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتَّفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل ، الرومي الدار ، وهو قائمٌ يصلِّي في المحراب ، صلاةَ الصبح من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ستّ ضربات ، إحداهن تحت سُرَّتِهِ قطعت السفاق فخرَّ من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العِلْجُ بخنجره لا يمرُّ بأحدٍ إلَّا ضربَهُ ، حتى ضربَ ثلاثةَ عشرَ رجلاً مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف بُرْنُساً فانتحر[٦] نفسه ـ لعنه الله ـ ، وحُمل عمر إلى منزله والدَّمُ يسيل من جرحه ـ وذلك قبل طلوع الشمس ـ فجعل يفيق ثم يُغْمَى عليه ، ثم يذكِّرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركها . ثم صلَّى في الوقت ، ثم سأل عمَّن قتله مَنْ هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بنِ شعبة . فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي على يَدَيْ رجل يَدَّعي الإيمانَ ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبَّحه الله ، لقد كنَّا أمرنا به معروفاً ـ وكان المغيرةُ قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ، ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه فإنه نجَّار نقَّاش حدَّاد ، فزاد في خراجه إلى مئة في كل شهر ـ وقال له : لقد بلغني أنك تُحسن أن تعمل رحا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملنَّ لك رحا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب ـ وكان هذا يوم الثلاثاء عشية ـ وطعنه صبيحةَ الأربعاء لأربعٍ بقينَ من ذي الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في ستةٍ ممن تُوفّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وهم عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص،

---

(١) في تاريخه (٤/ ٢٠٨) .

(٢) الخبر في طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣٤) .

(٣) في أ : كبر سنه ؛ وهو خطأ لأن السنّ أنثى كما في اللسان (سنن) .

(٤) صحيح البخاري رقم (١٧٩١) في فضائل المدينة .

(٥) في أ : فاستجاب الله له .

(٦) كذا في أ ، ط والذي في اللسان : انتحر الرجل أي نحر نفسه .

ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العَدَوي فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشيةَ أن يُراعَى في الإمارةِ بسببه ، وأوصى مَنْ يستخلفُ بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضي الله عنه بعد ثلاثٍ ، ودُفن في يوم الأحد مستهلّ المحرم من سنة أربعٍ وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصدّيق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك ، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قال الواقديّ[١] رحمه الله : حدَّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طُعِنَ عمر يوم الأربعاء لأربعِ ليالٍ بقينَ من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين ، ودُفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربعٍ وعشرين ، فكانت ولايته عشرَ سنين وخمسةَ أشهرٍ وأحداً وعشرين يوماً ، وبويع لعثمان يوم الإثنين لثلاثٍ مضينَ من [شهر] المحرم .

قال : فذكرتُ ذلك لعثمان الأخنسي[٢] فقال : ما أراكَ إلا وهلت[٣] . توفي عمر لأربعِ ليالٍ بقين من ذي الحجة ، وبويع لعثمان لليلةٍ بقيتْ من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربعٍ وعشرين .

وقال أبو معشر : قُتل عمر لأربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاثٍ وعشرين وكانت خلافته عشرَ سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وبويع عثمان بن عفان[٤] .

وقال ابن جرير[٥] : حدثت عن هشام بن محمد قال : قُتل عمر لثلاثٍ بقينَ من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين ، فكانت خلافته عشرَ سنين وستةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ .

وقال سيف : عن خليد بن ذَفْرَة[٦] ومجالد قالا استخلف عثمان [لثلاث][٧] من المحرم فخرج فصلَّى بالناس صلاة العصر .

وقال علي بن محمد المدائني ، عن شريك ، عن الأعمش ـ أو جابر الجعفي ـ عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد ، عن أشياخٍ من قومه ، وعثمان بن عبد الرحمن ، عن الزُّهري قال : طُعن عمر يوم الأربعاء لسبعٍ بقينَ من ذي الحجة . والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦٥) .
(٢) في ط : الأخنس ، وما هنا عن أ والطبقات ، وهو عثمان بن محمد الأخنسي وهو من رجال التهذيب .
(٣) وَهِلَ وَهَلاً : ضعف . اللسان (وهل) .
(٤) في هامش أ : وبويع لعثمان يوم الإثنين لثلاث مضين من شهر محرم سنة ٢٤ .
(٥) في تاريخه (٤/ ١٩٤) .
(٦) في ط : وفرة ؛ خطأ ، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١٩٤) وتوضيح المشتبه (١٤/ ٣٩) .
(٧) سقطت من ط .

صفته رضي الله عنه

كان رجلاً طوالاً أصلعَ أعسرَ أيسرَ أحورَ العينين ، آدم[١] اللون ، وقيل كان أبيضَ شديد البياض تعلوه حمرةٌ ، أشنب[٢] الأسنان ، وكان يصفّر لحيته ، ويرجل رأسه بالحنّاء .

واختلف في مقدار سنّه يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها عشرة :

فقال ابن جرير : حدَّثنا زيد بن أخزم[٣] ، حدَّثنا أبو قتيبة ، عن جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قُتل عمر بن الخطاب وهو ابنُ خمس وخمسين سنة .

ورواه الدراوَرْدي عن عبيد الله[٤] ، عن نافع ، عن ابن عمر . وقاله عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن الزُّهري ، ورواه أحمد ، عن هُشَيْم ، عن علي بن زيد ، عن سالم بن عبد الله بن عمر .

وعن نافع رواية أخرى ستّ وخمسون (سنة) .

قال ابن جرير وقال آخرون : كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد .

ثم روى عن عامر الشَّعبي أنَّه توفي وله ثلاث وستون سنة .

قلتُ : وقد تقدَّم في عُمْر الصدِّيق مثله .

وروي عن قتادة أنه قال : توفي عمر وهو ابن إحدى وستين سنة .

وعن ابن عمر والزُّهري خمس وستون .

وعن ابن عباس ست وستون .

وروى ابن جرير ، عن أسلم مولى عمر أنَّه قال : توفي وهو ابن ستين سنة . قال الواقدي[٥] : وهذا أثبت الأقاويل عندنا .

وقال المدائني : توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

ذكر زوجاته وأبنائه وبناته

قال الواقدي وابن الكلبي وغيرهما :

---

(١) الآدم من الناس : الأسمر . اللسان (أدم) ، وقد ساق ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٥) خبراً عن عبد الله بن عمر يقول فيه : كان أبي أبيض لا يتزوج النساء لشهوة إلا لطلب الولد . . إنما جاءتنا الأدمة من قبل أخوالي .

(٢) الشنب : البياض والبريق والتحديد في الأسنان . اللسان (أشنب) .

(٣) في ط : أحزم ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١٩٧) وتقريب التهذيب .

(٤) في ط : عبد الله ؛ خطأ والتصحيح من أ وتاريخ الطبري (٤/ ١٩٧) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٨) وتاريخ الطبري (٤/ ١٩٨) .

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مَظْعُون[١] أخت عثمان بن مَظْعُون فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة رضي الله عنهم .

وتزوج مليكة بنت جَرْول . فولدت له عُبيد الله ، فطلقها في الهُدْنة ، فخلف عليها أبو الجَهْم بن حُذَيْفة[٢] ، قاله المدائني .

وقال الواقدي : هي أمُّ كلثوم بنت جَرْول . فولدت له عُبيد الله وزيداً الأصغر . قال المدائني وتزوَّج قريبة[٣] بنت أبي أمية المخزومي ففارقها في الهُدْنة ، فتزوّجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر .

قالوا : وتزوج أمَّ حكيم[٤] بنت الحارث بن هشام بعد زوجها ـ حين قتل في الشام ـ فولدت له فاطمة ثمَّ طلَّقها . قال المدائني وقيل لم يطلِّقها .

قالوا : وتزوَّج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح من الأوس .

وتزوَّج عاتكة[٥] بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر[٦] ولما قُتل عمر تزوجها بعده الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنهم ، ويُقال هي أم ابنه عياض فالله أعلم .

قال المدائني : وكان قد خطب أمّ كلثوم[٧] ابنة أبي بكر الصديق وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم : لا حاجةَ لي فيه ، فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خشنُ العيش ، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصدَّه عنها . ودلّه على أم كلثوم[٨] بنت علي بن أبي طالب ، ومن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وقال : تعلَّقْ منها بسبب من رسول الله ﷺ ، فخطبها من علي فزوَّجه إياها ، فأصدقها عمر رضي الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ، ورقية .

قالوا : وتزوَّج لُهَيَّة[٩] ـ امرأة من اليمن ـ فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقال الواقدي هي أمّ ولد وليست زوجة .

قالوا وكانت عنده فُكَيْهة[١٠] أم ولد فولدت له زينب . قال الواقدي وهي أصغر ولده .

---

(١) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٥٧) .
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٦٢٣) .
(٣) في أ : بدينة ؛وهو تحريف ، وترجمتها في تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) والإصابة (٤/ ٣٩٠) .
(٤) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٩٣٢) والإصابة (٤/ ٤٢٣) .
(٥) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٧٦) .
(٦) في ط : مليكة ؛ خطأ والتصحيح من أ والاستيعاب (٤/ ١٨٧٧) وتاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) .
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) .
(٨) الاستيعاب (٤/ ١٩٥٤) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٠٠) .
(٩) في أ : لهبة ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) والإصابة (٤/ ٣٩٩) .
(١٠) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) .

قال الواقدي : وخطب أم أبان[١] بنت عتبة بن شيبة فكرهته وقالت : يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً .

قلت : فجملة أولاده رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو أبو شحمة ، وعبد الرحمن الأصغر ، وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ، رضي الله عنهم .

ومجموع نسائه اللاتي تزوَّجهنَّ في الجاهلية والإسلام ممن طلقهن أو مات عنهن سبع ، وهي جميلة بنت عاصم بن ثابت بن [أبي] الأقلح ، وزينب بنت مَظْعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وقُرَيْبة[٢] بنت أبي أمية ، ومُليكة بنت جَرْول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، وأم كلثوم أخرى وهي مُلَيْكة بنت جَرْول . وكانت له أمتان له منهما أولاد ، هما فكيهة ولُهَيَّة ، وقد اختلف في لُهَيَّة هذه فقال بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فالله أعلم .

ذكر بعض ما رُثي به

قال علي بن محمد المدائني : عن ابن دأب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان ، عن المُغيرة بن شعبة ، قال : لما مات عمر بكته ابنةُ أبي حَثْمة[٣] فقالت : واعمراه ، أقام الأوَد ، وأبرَّ العَهْد ؛ أمات الفِتَن ، وأحيا السُّنَن ؛ خرج نقيَّ الثوب ، بريئاً من العَيْب .

قال : فقال عليُّ بن أبي طالب : والله لقد صدقتِ ، ذهب بخيرها ، ونجا من شرِّها ، أما والله ما قالت ولكن قُوِّلت .

قال : وقالت عاتكةُ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل في زوجها عمر[٤] : [من الطويل]

فَجَّعَنـــي فَيْـــروز لا دَرَّ دَرُّهُ[٥] ... بِـأبْيَـض تَـالٍ لِلْكتَـابِ مُنِيـبِ

رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى ... أَخِـي[٦] ثِقَـةٍ فـي النَّـائبـاتِ نَجيـبِ

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٠٠) والاستيعاب (٤/ ١٩٢٤) .

(٢) في أ : قرينة ؛ تحريف ، وترجمتها في الإصابة (٤/ ٣٩٠) .

(٣) في ط : خيثمة ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري (٤/ ٢١٨) .

(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) .

(٥) في أ : فجعني في روح الادر دره : وما هنا موافق لرواية الطبري .

(٦) في أ : أخا ثقة .

مَتَى ما يَقُلْ لا يُكْذِبِ القَوْلَ فِعْلهُ سَرِيعٍ إلى الخَيْراتِ غَيْرِ قَطُوبِ

وقالت أيضاً[١] : [من الخفيف]

عينُ جُودي بعَبْرَةٍ وَنحيبِ لا تَمَلِّي على الإمامِ النَّجيبِ
فَجَّعَتْنا[٢] المَنُونُ بالفارسِ المُعْـ ـلَمِ يومَ الهِياجِ والتَّلبيبِ[٣]
عِصْمةِ النّاسِ والمعينِ على الدَّهْـ ـرِ وغيثِ المُنْتابِ والمَحْروبِ[٤]
قل لأهل السّراءِ[٥] والبؤسِ موتوا قد سَقَتْهُ المَنُونُ كأسَ شَعُوبِ[٦]

[وقالت امرأة من المسلمين تبكيه[٧] : [من الهزج]

سَيبكيكَ نِساءُ الحَيْ يِ[٨] يبكينَ شجياتِ
وَيَخمشْنَ وُجوهاً كالد دنانيرِ نَقيّاتِ
وَيَلْبَسْنَ ثِيابَ الحُزْ نِ[٩] بَعْدَ القُصبياتِ]

وقد ذكر ابن جرير[١٠] ترجمة طويلة لعمر بن الخطاب ، وكذلك أطال ابن الجوزي[١١] في سيرته ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي في « تاريخه »[١٢] وقد جمعنا متفرقات كلام الناس في مجلد مفرد ، وأفردنا لما أسنده وروي عنه من الأحكام مجلداً آخر كبيراً مرتباً على أبواب الفقه ولله الحمد .

قال ابن جرير[١٣] : وفي هذه السنة توفي قتادة بن النُّعمان ، وفيها غزا معاويةُ الصائفةَ حتى بلغ

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) وتاريخ دمشق ـ مجلد عمر ـ ٤١٢ ، وأسد الغابة (٤/ ١٨١) وتاريخ الخلفاء (١٧٧) .
(٢) في المصادر السابقة : فجعتني .
(٣) في تاريخ الخلفاء : والتأنيب . ولبَّب الرجل : جعل ثيابه في عنقه في الخصومة ثم قبضه وجره . اللسان (لبب) .
(٤) المحروب : حُرِبَ ماله أي سُلِبَهُ فهو محروب وحريب . اللسان (حرب) .
(٥) في أ وتاريخ الخلفاء : الضراء ، وفي تاريخ دمشق السرور .
(٦) في أ ، ط : سغوب ، وما هنا عن مصادره ، ولم يرد البيت في أسد الغابة .
(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) وتاريخ دمشق ـ مجلد عمر ـ (٤١٢) وليست الأبيات في أ ، ووضع في ط بين معقوفين ، وفي الهامش : زيادة عن المصرية .
(٨) في تاريخ دمشق : تبكيك نساء الجن ؛ وعلى هذه الرواية فالبيت مخروم كما أشارت إلى ذلك المحققة في الهامش .
(٩) في تاريخ دمشق : ثياب السود .
(١٠) في تاريخه (٤/ ١٩٠ ـ ٢٤١) .
(١١) لابن الجوزي كتاب منفرد في سيرة عمر رضي الله عنه سماه « مناقب عمر بن الخطاب » .
(١٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٥٠ ـ ٦٥) طبعة القدسي .
(١٣) في تاريخه (٤/ ٢٤١) .

عموريةَ ومعه من الصحابة عُبادة بن الصّامت ، وأبو أيوب ، وأبو ذر ، وشدّاد بن أوس . وفيها فتح معاوية عسقلان صلحاً .

قال : وفيها كان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة كعب بن سُور[١] .

قال : وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكاً روى عن الزهري أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في « تاريخه »[٢] في سنة ثلاث وعشرين . فيها كانت قصة سارية بن زنيم .

وفيها فتحت[٣] كرمان وأميرها سهيل بن عدي .

وفيها فتحت سجستان ، وأميرُها عاصمُ بن عمرو .

وفيها فُتحت مكران ، وأميرُها الحكمُ بن أبي العاص ، أخو عثمان ، وهي من بلاد الجبل .

وفيها رجع أبو موسى الأشعري من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها .

وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية .

[قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي][٤]

ثم ذكر وفاة من مات فيها . فمنهم قَتَادة بن النُّعْمان الأنصاري الأوْسي الظفري أخو أبي سعيد الخُدري لأمّه ، وقتادة أكبر منه ، شهد بدراً وأُصيبتْ عينُه في يوم أُحد حتى وقعت على خدّه فردَّها رسولُ الله ﷺ فصارت أحسنَ عينيه ، وكان من الرُّماة المذكورين ، وكان على مُقَدّمة عمر حين قدم إلى الشام . توفي في هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة ، ونزل عمر في قبره ، وقيل إنه توفي في التي قبلها .

ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فأطال فيها وأكثر وأطنب ، وأتى بمقاصد كثيرة مهمة ، وفوائد جمة ، وأشياء حسنة ، فأثابه الله الجنة .

ثم قال : ذكر من توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

الأقْرَعُ بن حابس[٥] بن عِقَال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن

---

(١) في الأصل والمطبوع : سوار ، والتصحيح من كتب الرجال ، وقد مرَّ على الصواب صفحة (٢١٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٤٩) .

(٣) في أ : فتح .

(٤) ترجمة ـ قتادة بن النعمان ـ في جامع الأصول (١٥/ ٥٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٧٤) وتاريخ ابن عساكر ـ المختصر ـ (٢١/ ٦٧) وأسد الغابة (٤/ ٣٨٩) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٣) والإصابة (٨/ ١٣٨) .

(٥) ترجمة ـ الأقرع بن حابس ـ في الاستيعاب (١/ ١٠٣ـ١٠٤) وجامع الأصول (١٣/ ٢٧ ـ ٢٨) وأسد الغابة (١/ ١٢٨ ـ ١٣٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٥/ ١٣ ـ ١٩) والإصابة (١/ ٥٨ ـ ٥٩) .

زيد مَناة بن تَميم التَّميمي المُجَاشعي . قال ابن دريد[١] : واسمه فراس بن حابس ولُقّب بالأقْرع لقَرَعٍ في رأسه . وكان أحدَ الرؤساء ، قدم على رسول الله ﷺ مع وفد بني تميم ، وهو الذي نادى من وراء الحجرات : يا محمد إنَّ مدحي زين ، وذمي شين ، وهو القائل ـ وقد رأى الله يقبل الحسن ـ أتقبِّله ؟ والله إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلت واحداً منهم . فقال « منْ لا يَرْحم لا يُرحم »[٢] . وفي رواية « ما أملك إن نزعَ اللهُ الرحمةَ من قلبك » وكان ممَّنْ تألَّفه رسول الله ﷺ فأعطاه يوم حُنين مئة من الإبل ، وكذلك لعيينة بن حصن الفزاري ، وأعطى عباس بن مرداس خمسين من الإبل فقال[٣] : [من المتقارب]

أتجعـلُ نهبـي ونهـبَ العبيـ ـــدِ بيـنَ عُيينـة والأقـرعِ
فمـا كـانَ حصـنٌ ولا حـابسٌ يفـوقـانِ مـرداسَ فـي مجمـعِ
وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما ومـنْ يُخْفـضِ اليـومَ لا يُـرْفَـعِ

فقال له رسول الله ﷺ أنت القائل :

أتجعـلُ نهبـي ونهـبَ العبيـ ـــدِ بيـنَ الأقـرعِ وعيينـةَ

رواه البخاري[٤] قال السهيلي[٥] : إنما قدَّم رسول الله ﷺ ذكر الأقرع قبل عيينة ، لأنَّ الأقرع كان خيراً من عيينة ، ولهذا لم يرتدَّ بعد النبي ﷺ كما ارتد عيينة ، فبايع طليحة وصدَّقه ثمَّ عاد .

والمقصود أن الأقرعَ كان سيداً مطاعاً ، وشهد مع خالد وقائعه بأرض العراق ، وكان على مقدمته يوم الأنبار .

ذكره شيخنا فيمن توفي في خلافة عمر بن الخطاب .

والذي ذكره ابن الأثير في الغابة[٦] أنه استعمله عبد الله بن عامر على جيش وسيَّره إلى الجُوْزجان فقتل وقتلوا جميعاً ، وذلك في خلافة عثمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) الاشتقاق (٢٣٩) .

(٢) الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٩٧) في الأدب ومسلم في صحيحه (٢٣١٨) في الفضائل . والرواية الثانية عند البخاري (٥٩٩٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) الأبيات هي الأولى من سبعة وردت في الاستيعاب (٢/ ٨١٨) .

(٤) الحديث من أفراد مسلم رقم (١٠٦٠) وليس عنده قول النبي ﷺ : أنت القائل . . . وانظر « الجمع بين الصحيحين » للحميدي رقم (٧٧٢) . ومرَّ على الصواب في قسمة غنائم هوازن فيما تقدم .

(٥) الروض الأنف (٤/ ٢٢٢) . وفيه تقديم الأقرع على عيينة ، وفي الأصول والمطبوع : عيينة والأقرع والسياق ينفيه وقد تقدم ذلك على الصواب في قسمة غنائم هوازن .

(٦) أسد الغابة (١/ ١٣٠) .

حُباب بن المُنْذِر[١] بن الجَموح بن زيد بن حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة أبو عمر ويقال أبو عمرو الأنْصاري الخَزْرجي السلمي ، ويقال له ذو الرأي لأنه أشار يوم بدر أن ينزل رسول الله ﷺ على أدنى ماءٍ يكون إلى القوم ، وأن يغور ما وراءهم من القُلب فأصاب في هذا الرأي ، ونزل الملَك بتصديقه وأما قوله يوم السقيفة : أنا جُذَيْلُها المُحكَّكُ ، وعُذَيقها المُرَجَّب[٢] ، منا أمير ومنكم أمير . فقد رده عليه الصديق والصحابة .

ربيعة بن الحارث[٣] بن عبد المطلب [الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ] .

عتبة بن مسعود[٤] الهذلي ، هاجر مع أخيه لأبويه ، عبد الله إلى الحبشة شهد أحداً وما بعدها . قال الزُّهري[٥] : ما كان عبدُ الله بأفقه منه ، ولكن مات عتبةُ قبله ، وتوفي زمن عمر على الصحيح ، ويقال في زمن معاوية سنة أربع وأربعين .

عَلْقَمة بن عُلاَثَة[٦] بن عَوْف بن الأحوص بن جَعْفر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة العامري الكلابي ، أسلم عام الفتح وشهد حُنيناً ، وأُعطي يومئذ مئة من الإبل تأليفاً لقلبه ، وكان يكون بتهامة ، وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، وقد ارتدَّ أيامَ الصدّيق ، فبعث إليه سريةً فانهزم ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامُه ، ووفد على عمر في خلافته ، وقدم دمشق في طلب ميراثٍ له ثمَّ ، ويقال استعمله عمرُ على حوران فمات بها ، وقد كان الحطيئة قصدَه ليمتدحه[٧] فمات قبل مقدمه بليالٍ فقال[٨] : [من الطويل]

فما كانَ بيني لو لَقيتُك سالماً ... وبين الغِنَى[٩] إلا ليالٍ قلائلُ

---

(١) ترجمة ـ حباب بن المنذر ـ في أسد الغابة (١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) والإصابة (١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) .

(٢) مثل عربي قديم أوردته في معجم الأمثال العربية (١/ ٣١٧) وفيه ذكر مصادره القديمة . وفي اللسان (عذق ورجب وجذل) : عنى بالجُذيل هنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفي به ، والعذيق ـ تصغير عذق النخلة ـ وهو غصنها وهو تصغير تعظيم ، وأراد من هذا المثل : أنه قد جربتني الأمور . وقد جاءت اللفظة في ط : ومزيجها ؛ وهو تحريف .

(٣) ترجمة ـ ربيعة بن الحارث ـ في الاستيعاب (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) وجامع الأصول (١٤/ ٥٠) وأسد الغابة (٢/ ٢٠٩) والإصابة (١/ ٥٠٦) .

(٤) ترجمة ـ عتبة بن مسعود الهذلي ـ في الطبقات لابن سعد (٤/ ٩٣) والاستيعاب (٣/ ١٠٣٠) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٠) والإصابة (٢/ ٤٥٦) .

(٥) في أ : الترمذي ؛ خطأ .

(٦) ترجمة ـ علقمة بن علاثة ـ في الاستيعاب (٣/ ١٠٨٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) وأسد الغابة (٤/ ٨٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤٢) والإصابة (٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٥) .

(٧) القصيدة في ديوانه (٢١٣ ـ ٢١٥) .

(٨) البيت مطلع قصيدة أخرى جاءت في ديوانه بعد الأولى (٢١٦ ـ ٢١٧) .

(٩) في أ : العلى .

علقمة بن مُجَزِّز[١] بن الأعْور بن جَعْدَة بن مُعاذ بن عُتْوارَة بن عمرو بن مُدْلج الكِناني المُدْلجي ، أحد أمراء رسول الله ﷺ ، على بعض السرايا ، وكانت فيه دُعابةٌ ، فأجَّج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتنعوا ، فقال النبي ﷺ : « لو دخلوا فيها ما خرجوا منها »[٢] وقال « إنما الطاعة في المعروف » . وقد كان علقمة جواداً ممدحاً رثاه جواس العذري[٣] فقال : [من الكامل]

إنَّ السَّلامَ وحُسْنَ كلِّ تَحيَّةٍ تَغْدو على ابنِ مُجَزِّزٍ وتَروحُ

عُوَيْم بن ساعِدَة[٤] بن عَابس[٥] أبو عبد الرحمن الأنْصاري الأوْسي ، أحد بني عمرو بن عوف ، شهد العقبة وبدراً وما بعدها ، له حديث عند أحمد[٦] وابن ماجة[٧] في الاستنجاء بالماء . قال ابن عبد البر[٨] : توفي في حياة النبي ﷺ وقيل في خلافة عمر . وقال وهو واقف على قبره : لا يستطيع أحد أن يقول أنا خيرٌ من صاحب هذا القبر ما نُصبت رايةٌ للنبي ﷺ (إلا وهو واقف تحتها . وقد روى هذا الأثر ابن أبي عاصم كما أورده ابن الأثير من طريقه .

غيْلان بن سَلَمة الثَّقفي[٩] أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله ﷺ) أن يختار منهنَّ أربعاً ،

---

(١) ترجمة ـ علقمة بن مجزز ـ في أسد الغابة (٤/ ٨٧) والإصابة (٢/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) .

(٢) الحديث بشقيه رواه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٩٤) والبخاري في صحيحه (٧٢٥٧) في أخبار الآحاد ، ومسلم في صحيحه (١٨٤٠) في الإمارة .

(٣) هو جَوَّاس بن قُطْبَة العذري أحد بني الأحبّ رهط بثينة ، وكان وأخوه عبد الله يهاجيان جميلاً ، وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في جيش إلى الحبشة فماتوا جميعاً من ماء مسموم شربوه ، فرثاه جواس بأبيات أوردها الأغاني (٢٢/ ١٥٠ و١٥٤ـ١٥٥) .

(٤) ترجمة ـ عويم بن ساعدة ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٦٨) وأسد الغابة (٤/ ٣١٥ ـ ٣١٦) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤١) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٦٦) والإصابة (٣/ ٤٤) .

(٥) عابس : بالباء الموحدة ومهملتين ، قيده الحافظ ابن حجر في « التقريب » ، وكذلك هو بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٣٣ من مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥) والمصنف إنما ينقل منه هنا . ومثله في تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٦٦) والإصابة (٣/ ٤٤) . ووقع في بعض المصادر كطبقات ابن سعد (٣/ ٤٥٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) ، وأسد الغابة (٤/ ٣١٥) : « عائش » ، والمختار ما أثبتناه (بشار) .

(٦) مسند أحمد (٣/ ٤٢٢) وهو حديث حسن .

(٧) هكذا قال المصنف ، وإنما أخرج ابن ماجه في سننه (١٨٦١) حديث : « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير » ، واسمه فيه : عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري . وقد ذكر المزي هذا الحديث في مسند عتبة بن عويم من تحفة الأشراف (٦/ حديث ٩٧٥٦) ثم أفرد مسنداً لعويم بن ساعدة وأحال على مسند عتبة بن عويم ، والصواب أنه من مسند عويم بن ساعدة ، كما في معجم الطبراني الكبير (١٧/ حديث ٣٥٠) والأوسط (٤٥٨) ، وتهذيب الكمال (١٠/ ١٦٤) .

(٨) في الاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) .

(٩) ترجمة ـ غيلان بن سَلَمة الثقفي ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢٥٦) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٤٨/ ١٣٣ ـ ١٤٢)=

وقد وفد قبل الإسلام على كسرى فأمره أن يبني له قصراً بالطائف ، وقد سأله كسرى : أيُّ ولدكَ أحبُّ إليكَ ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمريضُ حتى يبرأ ، والغائبُ حتى يقدم ، فقال له كسرى أنّى لكَ هذا ؟ هذا كلام الحكماء . قال : فما غذاؤك ؟ قال : البُرّ . قال : نعم هذا من البُرّ لا من التمر واللبن .

معمر بن الحارث[١] بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أخو حاطب وحطاب ، أمهم قَيْلةُ[٢] بنت مظعون ، أخت عثمان بن مظعون ، أسلم معمر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، وشهد بدراً وما بعدها ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاذ بن عفراء .

ميسرة بن مسروق العبسي[٣] شيخٌ صالحٌ . قيل إنه صحابي . شهدَ اليرموك ، ودخل الرومَ أميراً على جيش ستة آلاف ، وكانت له همة عالية فقتل وسبى وغنم وذلك في سنة عشرين ، وروى عن أبي عبيدة وعنه أسلم (مولى عمر ، لم يذكره ابن الأثير في « الغابة ») .

واقد بن عبد الله[٤] بن عبد مناف بن عَزيز[٥] الحَنْظلي اليَرْبوعي ، حليف بني عَدِيّ بن كَعْب ، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرْقَم ، وشهد بدراً وما بعدها ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور ، وهو أول من قتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ ببطن نخلة ، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحَضْرمي ، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه .

أبو خراش الهُذلي[٦] الشاعر[٧] واسمه خُوَيْلد بن مُرَّة ، كان يسبق الخيلَ على قدميه ، وكان فَتَّاكاً في الجاهلية ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه ، وتوفي في زمن عمر . أتاه حُجاج فذهب يأتيهم بماء فنهشته حيةٌ فرجع إليهم بالماء وأعطاهم شاة وقدراً ، ولم يعلمهم بما جرى له ، فأصبح فمات فدفنوه . ذكره ابن عبد البر وابن الأثير في أسماء الصحابة ، والظاهر أنه ليست له وفادة ، وإنما أسلم في حياة النبي ﷺ فهو مخضرم ، والله أعلم .

= وجامع الأصول (١٥/ ٨) وأسد الغابة (٤/ ٣٤٣) ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٢٢) والإصابة (٣/ ١٨٩) .

(١) ترجمة ـ معمر بن الحارث ـ في الطبقات (٣/ ٤٠٢) والاستيعاب (٣/ ١٤٣٣) ، وأسد الغابة (٥/ ٢٣٤) والإصابة (٣/ ٤٤٨) .

(٢) هكذا في أ وط ، وهو الموافق لما جاء في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٣٥ من مجلد أياصوفيا ٣٠٠٥ بخطه) والمصنف ينقل منه . واسمها في مصادر الترجمة « قتيلة » .

(٣) ترجمة ـ ميسرة بن مسروق العبسي ـ في الإصابة(٣/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) .

(٤) ترجمة ـ واقد بن عبد الله ـ في الطبقات (٣/ ٣٩٠) وأسد الغابة (٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) والإصابة (٣/ ٦٢٨) .

(٥) في ط : « عرين » ، محرف .

(٦) ترجمة ـ أبي خراش الهذلي ـ في الاستيعاب (٤/ ١٦٣٦) وأسد الغابة (١/ ٣٨٧) والإصابة (١/ ٤٦٥) .

(٧) في هامش أ : ترجمة أبو خراش الهذلي الشاعر .

أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب[١] بن عمرو الأنصاري شهد أُحداً وما بعدها ، إلَّا تبوك فإنه تخلف لعذر الفقر[٢] ، وهو أحد البكائين المذكورين .

سَوْدَة بنت زَمْعَة[٣] القرشية العامرية أم المؤمنين ، أول من دخل بها رسول الله ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها ، وكانت صَوَّامةً قَوَّامةً ، ويقال : كان في خلقها حدّةٌ ، وقد كبرت فأراد رسول الله ﷺ أن يفارقها ـ ويقال : بل فارقها ـ فقالت : يا رسول الله لا تفارقني ، وأنا أجعل يومي لعائشة ؛ فتركها رسول الله ﷺ وصالحها على ذلك . وفي ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء : ١٢٨] الآية . قالت عائشة : نزلت في سودة بنت زمعة ، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

هند بنت عتبة[٤] يقال : ماتت في خلافة عمر وقيل توفيت قبل ذلك كما تقدم فالله أعلم[٥] .

* * *

(١) ترجمة ـ عبد الرحمن بن كعب ـ في الاستيعاب (٣/ ٨٥٢) وجامع الأصول (١٤/ ٤٩٩) وأسد الغابة (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) والإصابة (٢/ ٤٢) .

(٢) في أ : فإنه تعذر بالفقر .

(٣) ترجمة ـ أم المؤمنين سودة ـ في الاستيعاب (٤/ ١٨٦٧) وجامع الأصول (١٤/ ٣/ ٢١) وأسد الغابة (٧/ ١٥٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١٢/ ٣٤٨) . وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٩) والإصابة (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

(٤) ترجمة ـ هند بن عتبة ـ في الاستيعاب (٤/ ١٩٢٢) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر/ تراجم النساء ـ (٤٣٧ ـ ٤٥٩) وأسد الغابة (٧/ ٢٩٢) . والإصابة (٤/ ٤٢٥) .

(٥) بعدها في أ : والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ـ مما يدخل في باب تجزئة الكتاب ، ولذلك فقد جاء في بداية الورقة التالية : يتلوه خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٢٤ من الهجرة النبوية .

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثم استهلت سنة أربع وعشرين [من الهجرة النبوية]

ففي أوّل يوم منها دُفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك يوم الأحد في قولٍ ، وبعد ثلاثة[١] أيام بُويع أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

كان عمر رضي الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستّة نفرٍ ، وهم : عثمان بن عَفّان ، وعليُّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عُبيد الله ، والزُّبير بن العَوّام ، وسعد بن أبي وَقّاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم . وتحرَّج أن يجعلها لواحدٍ من هؤلاء على التعيين ، وقال : لا أتحمّل أمرهم حياً وميتاً ، وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ ، ومن تمام[٢] ورعه لم يذكر في الشورى سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل لأنه ابنُ عمه ، خشي أن يراعَى فيُولَّى لكونه ابن عمه ، فلذلك تركه . وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال لَسْتُ مدخله فيهم ، وقال لأهل الشورى : يحضركم عبد الله ـ يعني ابنه ـ وليس إليه من الأمر شيء ـ يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يُولَّي شيئاً ـ وأوصى أن يصلِّي بالناس صُهَيْب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين وجعل عليهم مُستحثّاً أبا طلحة الأنصاري والمقداد بن الأسود الكندي .

وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يَدَيْ رسول الله ﷺ بما ينزل به جبريل عليه .

قالوا : فلما مات عمر رضي الله عنه وأُحضرت جنازتُه تبادر إليها عليٌّ وعثمانُ أيهما يصلِّي عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : لستُما من هذا في شيء ، إنَّما هذا إلى صُهيب الذي أمره عمر أن يصلِّي بالناس . فتقدَّم صهيبٌ وصلَّى عليه ، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فإنَّه كان غائباً ، فلمّا فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة ، وقيل في حجرة عائشة ، وقيل في بيت المال ، وقيل في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه والله أعلم .

---

(١) أ ، ط : ثلاث ؛ وما هنا للسياق النحوي .

(٢) في أ : وحسبي أنه من . .

فجلسوا في البيت وقام أبو طلحة يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا من وراء الباب فحصبهما[١] سعد بن أبي وقاص وطردهما وقال جئتما لتقولا : حضرنا أمر الشورى ؟ رواه المدائني عن مشايخه والله أعلم بصحته .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثر القول ، وعلتِ الأصواتُ وقال أبو طلحة : إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظنُّ أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فَوّض ثلاثةٌ منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي ، وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقَّه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوضُ الأمر إليه والله عليه والإسلام ليولينَّ أفضلَ الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إني أترك حقي من ذلك والله علي والإسلام أن أجتهد فأولّي أَوْلاكما بالحقِّ ، فقالا نعم ! ثم خاطب كلَّ واحدٍ منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهدَ والميثاقَ لئن ولاه ليعدلنَّ ولئن ولِّي عليه ليسمعنَّ وليطيعنَّ ، فقال كل منهما نعم ! ثم تفرقوا ، ويروى أنَّ أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليولِّيه ، فيذكر أنه سأل [كل] من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا يشير إلَّا بعثمان بن عفان ، حتى أنَّه قال لعلي : أرأيت إن لم أولّكَ بمن تشير به (علي ؟ قال : بعثمان . وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولِّكَ بمن تشير به ؟) قال : بعلي بن أبي طالب .

والظاهر أنَّ هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والإسلام ليجتهدنّ في أفضل الرجلين فيولِّيه .

ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس[٢] الناس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً ، مثنىً وفرادى ، ومجتمعين ، سراً وجهراً ، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهنَّ وحتى سأل الولدان في المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة ، في مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدُّم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب ، ثم بايعا مع الناس على ما سنذكره .

فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاءً واستخارة ، وسؤالاً من ذوي الرأي عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه .

فلمَّا كانت الليلة يسفر صباحُها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن أخته[٣]

---

(١) في ط : فحصبهم .

(٢) في أ : المسلمين برؤوس . .

(٣) في أ : منزل أخيه ، خطأ . ينظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨٢) ، وما يأتي من الكلام .

المسور بن مخرمة فقال : أنائم يا مسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع لي[١] علياً وعثمان . قال المسور : فقلت بأيهما أبدأ ؟ فقال بأيهما شئت ، قال فذهبت إلى علي فقلت أجب خالي ، فقال : أمركَ أن تدعوَ معي أحداً ؟ قلتُ : نعم ! قال : من ؟ قلتُ : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت : لم يأمرني بذلك ، بل قال ادعُ لي أيهما شئت أولاً ، فجئت إليك قال فخرج معي ، فلمَّا مررنا بدار عثمان بن عفان جلس عليٌّ حتى دخلت فوجدته يُوتر مع الفجر ، فقال لي كما قال لي علي سواء ، ثم خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلِّي ، فلمَّا انصرف[٢] أقبل على علي وعثمان فقال : إنّي قد سألتُ الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذَ العهدَ على كلٍّ منهما أيضاً لئن ولاه ليعدلنّ ، ولئن ولِّي عليه ليسمعنّ وليطيعن[٣] .

ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عمَّمه رسول الله ﷺ ، وتقلَّد سيفاً ، وبعث إلى وجوه (الناس) من المهاجرين والأنصار ، ونُودي في الناس عامة : الصلاة جامعة ، فامتلأ المسجد حتى غصَّ بالناس ، وتراصّ الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلسُ إلا في أُخريات الناس ـ وكان رجلاً حيياً رضي الله عنه ـ ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ودعا دعاءً طويلاً ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها الناس إني [قد] سألتكم سراً وجهراً بأمانيكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي وإما عثمان ، فقم إلي يا علي[٤] ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، قال فأرسل يده وقال : قم (إلي) يا عثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ! فقال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال : اللهمَّ اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد جعلت[٥] ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان .

قال وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال : فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه علي بن أبي طالب أولاً ، ويقال آخراً .

وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير[٦] وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن :

---

(١) في ط : إلي .
(٢) في ط : انصرفت ؛ خطأ : إذ المقصود انصرافه من الصلاة .
(٣) في أ : ويطيعن .
(٤) في أ : يا عثمان ؛ خطأ .
(٥) في ط : خلعت .
(٦) في تاريخه (٤/٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

خدعتني ، وإنك إنما ولّيته لأنَّه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها ، والله أعلم .

والمظنون بالصحابة خلاف ما يَتَوَهَّمُ كثيرٌ من الرافضة وأغبياء القصَّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ، ومستقيمها وسقيمها ، ومُنْآدها[١] وقويمها ، والله الموفق للصواب .

وقد اختلف علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فروى الواقدي عن شيوخه أنه بويع يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وهذا غريب جداً .

وقد روى الواقدي أيضاً عن ابن جريج[٢] عن ابن أبي مليكة قال : بويع لعثمان بن عفان لعشرٍ خلونَ من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليالٍ ، وهذا أغرب من الذي قبله .

وكذا روى[٣] سيف بن عمر عن عامر الشَّعبي أنه قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاثٍ خلونَ من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين الأذان والإقامة فخرج فصلّى بهم العصر .

وقال سيف عن خُلَيد بن زفر[٤] ومجالد قالا : استُخلف عثمان لثلاثٍ خلونَ من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلَّى بالناس العصر ، وزاد الناسَ - يعني في أعطياتهم - مئة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أولُ من صنع ذلك[٥]

قلت : ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضي أنَّ ذلك كان قبل الزوال ، لكنَّه لمَّا بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر ، وصلَّى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي ، وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر ، كما ذكره الشعبي وغيره .

وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال : لما بايع أهلُ الشورى عثمان خرج وهو أشدّهم كآبةً فأتى منبر النبي ﷺ فخطبَ الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي ﷺ ، وقال : إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، (فلقد

(١) في ط : مبادها ، ومنآدها : أي معوجها . القاموس (أود) .
(٢) في أ ، ط : ابن جرير ؛ خطأ والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٢٤٢) .
(٣) في أ : روي عن .
(٤) في الأصل والمطبوع : خليفة بن زفر ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٥) جملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤٢) .

أتيتم صُبِّحتم أو مسِّيتم ، ألا وإنَّ الدنيا طويت على الغرور) فلا تغرَّنكم (الحياة) الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدُّوا ولا تغفلوا . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومُتِّعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضربَ لها مثلاً ، بالذي هو خير فقال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٥ ـ ٤٦] قال : وأقبل الناس يبايعونه .

قلت : وهذه الخطبة : إمَّا بعد صلاة العصر يومئذ ، أو قبل الزوال (وعبد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر) وهو الأشبه ، والله أعلم . وما يذكره بعض الناس (من أن عثمان لمَّا خطب أول خطبة أُرتجَ عليه فلم يدرِ ما يقول حتى قال : أيها الناس ،) إنَّ أول مركب صعب ، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها ، فهو شيء يذكره صاحب العقد[١] وغيره ، ممن يذكر طرف الفوائد ، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه ، والله أعلم .

وأمَّا قول الشعبي إنه زاد الناس مئة (مئة) ـ يعني في عطاء كل واحد من جند المسلمين ـ زاده على ما فرض له عمر مئة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين في كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليه ، ولأمهات المؤمنين درهمين (درهمين) فلما ولِّي عثمان أقر ذلك وزاده . واتخذ سماطاً في المسجد أيضاً للمتعبدين ، والمعتكفين ، وأبناء السبيل ، والفقراء ، والمساكين رضي الله عنه .

وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يقف عليها ، فلما ولِّي عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبي بكر رضي الله عنهما ، فلمَّا ولِّي عثمان قال إنَّ هذا يطول فصعد إلى الدرجة التي كان يخطب عليها رسول الله ﷺ وزاد الأذان الأول يوم الجمعة ، قبل الأذان الذي كان يُؤَذّن به بين يدي رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر .

وأما أول حكومة حكم فيها فقضية عبيد الله بن عمر ، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها ، وضرب (رجلاً) نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله ، وضرب الهرمزان الذي كان صاحب تُسْتر فقتله ، وكان قد قيل إنهما مالأا أبا لؤلؤة على قتل عمر ، فالله أعلم .

و(قد) كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده ، فلما ولِّي عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه في شأن عبيد الله ، فقال علي : ما من العدل تركه ، وأمر بقتله ، وقال بعض المهاجرين : أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك ، قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك ، فودى عثمان رضي الله عنه أولئك القتلى من ماله ، لأن أمرهم إليه ، إذ

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/ ٦٦) .

لا وارث لهم إلا بيت المال ، والإمام يرى الأصلح في ذلك ، وخلَّى سبيل عبيد الله . قالوا : فكان زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول[١] : [من الطويل]

ألا يا عُبَيْدَ اللهِ مالكَ مهربٌ[٢] ... ولا ملجأٌ من ابن أروى ولا خَفَرْ

أَصَبْتَ دماً واللهِ في غيرِ حِلّهِ ... حراماً وقتلُ الهُرْمزانِ لهُ خَطَرْ

على غيرِ شيءٍ غيرَ أنْ قالَ قائلٌ ... أَتَتَّهمُونَ الهُرْمُزانَ على عُمَرْ

فقالَ سفيهٌ والحَوادثُ جَمَّةٌ ... نَعمْ أتَّهمهُ قد أشارَ وَقَدْ أَمَرْ

وكان[٣] سلاحُ العَبْدِ في جَوْفِ بيتهِ ... يُقَلّبها والأمرُ بالأمْرِ يُعتبرْ

قال : فشكا عبيد الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبيد فأنشأ زياد يقول في عثمان : [من الوافر]

أبا عمرو عُبَيْدُ اللهِ رهنٌ ... فلا تَشْكُكْ بقَتْلِ الهُرْمزانِ

فإنَّكَ إنْ غَفَرْتَ الجُرْمَ عنهُ ... وأسبابُ الخطا فَرَسا رِهانْ[٤]

أتعفُو إذْ عفوتَ بغيرِ حقٍّ ... فمالكَ بالذي تحكي[٥] يدان

قال : فنهاه عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لَبيد عمَّا يقول .

ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب ، والأئمة على الصلوات ، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثّهم على طاعة الله وطاعة رسوله ، ويحرضهم على الاتِّباع وترك الابتداع .

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرةَ بن شعبة عن الكوفة وولّى عليها سعد بن أبي وقاص فكان أول عامل ولاه ، لأن عمر قال : فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ولِّي ، فإني لم أعزله عن عجزٍ ولا خيانة ، فاستعمل سعداً عليها سنة وبعض أخرى .

ثم رواه ابن جرير من طريق سيف ، عن مجالد ، عن الشَّعبي ، وقال الواقدي فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أنَّ عمر أوصى أن تقر عماله سنة ، فلما ولِّي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة [ثم عزله ، وٱستعمل سعداً ثم عزله وولّى الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط .

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) .
(٢) أ : هارب ؛ وما هنا هو الأشبه .
(٣) أ : بأنّ .
(٤) البيت ليس في أ .
(٥) في ط : تخلي ؛ وما أثبتنا هو الأشبه وهي رواية الطبري .
(٦) في تاريخه (٤/ ٢٤٤) .

قال ابن جرير : فعلى ما ذكره الواقدي تكون ولاية سعد على الكوفة سنة [١] خمس وعشرين .

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة ـ أعني سنة أربع وعشرين ـ غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام في أيام[٣] عمر بن الخطاب ، وهذا في رواية أبي مخنف ، وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين ، ثم ذكر ابن جرير هاهنا هذه الوقعة وملخصها أنَّ الوليد بن عقبة سار بجيش الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين نقضوا العهدَ فوطىء بلادهم وأغار بأراضي تلك الناحية فغنم وسبى وأخذ أموالاً جزيلة فلمّا أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حُذيفة بن اليمان ثمانمئة ألف درهم في كل سنة ، فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالماً غانماً إلى الكوفة ، فمرَّ بالموصل . وجاءه كتاب عثمان وهو بها يأمره أن يمدَّ أهل الشام على حرب أهل الروم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رضي الله عنه يستمدّونه فكتب إلى الوليد بن عقبة : أن إذا جاءك كتابي هذا فأبعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام . فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حينَ وصلَ إليه كتابُ عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناسَ وحثَّهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمَّر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فأنتدب في ثلاثة أيام ثمانيةَ آلافٍ ، فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيبُ بن مَسْلَمَة[٤] الفهري ، فلمّا أجتمع الجيشان شَنُّوا الغاراتِ على بلاد الروم فغنموا وسَبَوْا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرةً ولله الحمد .

وزعم الواقدي أنَّ الذي أمدَّ أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنّما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضي الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى أنتهى إلى حبيب بن مسلمة وقد أقبل إليه المَوْريان[٥] الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك ، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً ، فعزم على أن يبيّت جيش الروم فسمعته امرأته يقول للأمراء ذلك فقالت له : فأين موعدي[٦] معك ـ تعني أين أجتمع بك غداً ـ فقال لها : موعدك سرادق المَوْريان أو الجنة ، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين ، فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق المَوْريان فكانت أول أمرأة من العرب ضُرب عليها سرادق . وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك ، فخلف عليها بعده الضحّاكُ بن قيس الفهري ، فهي أم ولده .

---

(١) زيادة من أ .

(٢) في تاريخه (٤/ ٢٤٦) .

(٣) في أ : ما كانوا صولحوا عليه في أيام عمر .

(٤) في أ ، ط : مسلم ، وما هنا عن الطبري .

(٥) في أ : المرزبان ، وما هنا عن الطبري والضبط عنه .

(٦) في أ : بوعدي .

قال ابن جرير[١] : واختلف فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة فقال الواقدي وأبو معشر : حجَّ بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان . وقال آخرون : حجَّ بالناس عثمان بن عفَّان رضي الله عنه . والأول هو الأشهر فإنَّ عثمان لم يتمكن من الحجِّ في هذه السنة لأجل رعاف أصابه مع الناس في هذه السنة حتى خشي عليه ، وكان يقال لهذه السنة سنة الرعاف .

وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الرّيَّ بعدما نقضوا العهد الذي كان واثقَهُمْ عليه حُذَيْفة بن اليمان رضي الله عنه .

وفيها توفي :

سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلِجي[٢] . ويكنى بأبي سفيان ، وكان ينزل قديداً ، وهو الذي اتَّبع رسول الله ﷺ وأبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أُرَيْقط الدّيلي حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أنْ يردَّهم على أهل مكة لمَّا جعلوا في كل واحد من النبي ﷺ وأبي بكر مئة من الإبل ، فطمع أن يفوز بهذا الجعل ، فلم يسلّطه الله عليهم ، بل لمَّا اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله ﷺ ساخت قوائم فرسه في الأرض حتى ناداهم بالأمان ، فأعطوه الأمان ، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله ﷺ (ثم قدم به بعد غزوة الطائف فأسلم وأكرمه النبي ﷺ) وهو القائل : يا رسول الله أعُمْرَتُنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال له : « بل لأبد الأبد ـ دخلت العمرة في الحجِّ إلى يوم القيامة »[٣] .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

وفيها[٤] نقض أهل الإسكندرية العهدَ ، وذلك أن ملكَ الروم بعث إليهم منويل الخصي[٥] في مراكب من البحر فطمعوا في النُّصْرة ونقضوا ذمتهم ، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول ، فافتتح الأرض عنوةً وافتتح المدينة صلحاً .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وفيها في قول سيف عَزل عثمانُ سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيط مكانه ، فكان هذا مما نقم على عثمان .

---

(١) في تاريخه (٤/ ٢٤٩) .

(٢) ترجمة ـ سراقة بن مالك ـ في الاستيعاب (١/ ٥٨١) وجامع الأصول (١٤/ ١٦٣) وأسد الغابة (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٣) والإصابة (٢/ ١٩) وشذرات الذهب (١/ ١٨١ ـ ١٨٣) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢٠) والبخاري في صحيحه (١٧٨٥) في العمرة ، ومسلم في صحيحه (١٢١٨) في الحج . وهو حديث طويل يرويه جابر بن عبد الله .

(٤) في أ : فيها .

(٥) في أ : الحمصي ، وفي ط : « معويل » ، وكلاهما خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما نقله الذهبي في تاريخ الإسلام .

وفيها وجه عمرو بن العاص عبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْح لغزو بلاد المغرب ، وٱستأذنه ابن أبي سَرْح في غزو إفريقية فأذن له .

ويقال فيها أيضاً عزلَ عثمانُ عمرو بن العاص عن مصر وولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وقيل بل كان هذا في سنة سبع وعشرين كما سيأتي ، والله أعلم .

وفيها فتح معاوية الحصون .

وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية .

ثم دخلت سنة ستٍّ وعشرين

قال الواقدي : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم .

وفيها وُسِّعَ المسجد الحرام . وفيها عَزَلَ سعداً عن الكوفة وولّاها[١] الوليد بن عُقْبة ، وكان سبب عزل سعدٍ أنَّه اقترض من ابن مسعود مالاً من بيت المال ، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيَّسر قضاؤه تقاولا ، وجرت بينهما خصومةٌ شديدةٌ ، فغضب عليهما[٢] عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عُقْبة[٣] . وكان عاملاً لعمر على عرب الجزيرة ـ فلما قدمها أقبل عليه أهلها ، فأقام بها خمس سنين ، وليس على داره باب ، وكان فيه رفقٌ برعيّته .

قال الواقدي : وفيها حجَّ بالناس عثمانُ بن عفان رضي الله عنه .

وقال غيره . وفيها افتتح عثمانُ بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمئة ألف .

ثم دخلت سنة سبعٍ وعشرين

قال الواقدي وأبو معشر : وفيها[٤] عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ـ وكان أخا عثمان من الرّضاع ـ وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسولُ الله ﷺ دمَه .

---

(١) في أ : وولّى .
(٢) في أ : عليه .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٥١) .
(٤) في أ : فلما .

غزوة إفريقية

أمر عثمانُ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أن يغزوَ بلاد إفريقية ، فإذا فتحها[١] الله عليه فله خُمس الخُمس من الغنيمة نفلاً ، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلَها وجبلَها ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا[٢] على الطاعة والإسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله بن سعد خُمسَ الخُمس من الغنيمة ، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار .

قال الواقدي : وصالحه بطريقها على ألفي ألف دينار [وخمسمئة ألف دينار] وعشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها (عثمان) في يوم واحد لآل الحَكم ، ويقال لآل مروان[٣] .

غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين[٤] من فورهما إلى الأندلس ، فأتياها من قِبلِ البَحْر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنّما تُفتح من قِبلِ البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلسَ فأنتم شركاء لمن يفتتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها ولله الحمد والمنة .

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية ، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وفي جيشه عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، صمدَ إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومئة ألف ، وقيل في مئتي ألف ؛ فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالةً ، فوقف المسلمون في موقف لم يُرَ أشنعَ منه ولا أخوف عليهم منه .

قال عبد الله بن الزبير : فنظرتُ إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون ، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك ، فجهّز معي جماعةً من الشجعان ، قال : فأمر بهم فحموا ظهري ، وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه ـ وهم يظنّون أنّي في رسالة إلى الملك ـ فلما اقتربتُ منه أحسّ مني الشرّ ففر على

---

(١) في ط : افتتحها .
(٢) في أ : أجمعوا .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٥٦) .
(٤) في أ : بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد قيس من فورهما .

برذونه ، فلحقته فطعنته برمحي ، وذففت[١] عليه بسيفي ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبَّرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالاً كثيرة ، وسبياً عظيماً ، وذلك ببلد يقال له سُبَيْطِلَةُ[٢] ـ على يومين من القيروان ـ فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

قال الواقدي : وفي هذه السنة ٱفتتحت إصطخر ثانية على يديْ عثمان بن أبي العاص .

وفيها غزا معاوية قنَّسرين[٣]

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان .

قال ابن جرير : قال بعضهم : وفي هذه السنة غزا معاوية قبرص[٤] . وقال الواقدي : كان ذلك في سنة ثمان وعشرين . وقال أبو معشر : غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

فتح قبرص

ففيها ذكر ابن جرير[٥] فتحَ قبرص تبعاً للواقدي ، وهي جزيرةٌ غربي بلاد الشام في البحر ، مخلصة وحدها ، ولها ذَنَبٌ مستطيلٌ إلى نحو الساحل مما يلي دمشق ، وغربيها أعرضها[٦] ، وفيها فواكه كثيرة ، ومعادن ، وهي بلدٌ جيدٌ ، وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان ، ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عُبادة بن الصّامت وزوجته[٧] أم حرام بنت ملحان التي تقدَّم حديثها في ذلك حين نام رسول الله ﷺ في بيتها ثم استيقظ يضحكُ فقالت : ما أضحككَ يا رسولَ الله فقال : « ناسٌ من أمتي عرضوا عليَّ يركبون ثبج[٨] هذا البحر مثل الملوك على الأسِرَّةِ » . فقالت : يا رسول الله ٱدعُ اللهَ أن يجعلني منهم . فقال : « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت : ادعُ الله أن

---

(١) ذففت : أجهزت عليه . اللسان (ذفف) .

(٢) قال ياقوت : سُبَيطلة : بضم أوله وفتح ثانيه . . مدينة من مدن إفريقية بينها وبين القيروان سبعون ميلاً . معجم البلدان (٣/ ١٨٧) .

(٣) في تاريخ الطبري : قنسرين .

(٤) في أ : غزا .

(٥) في تاريخه (٤/ ٢٥٨) .

(٦) في أ : أعرض .

(٧) في أ : في زوجته .

(٨) ثَبَجُ كلِّ شيء : معظمه ووسطه وأعلاه والجمع أثباج وثبوج . اللسان (ثبج) .

يجعلني منهم فقال : « أنتِ من الأولين »[١] فكانت في هذه الغزوة وماتتْ بها ، وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره .

والمقصود أن معاوية ركب البحر في مراكب فقصد الجزيرة المعروفة بقبرص ، ومعه جيش عظيم من المسلمين ، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه له في ذلك بعد سؤاله إياه ، وقد كان سأل في ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يُمكِّنه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم الذي لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم ، فلما كان عثمان لحَّ معاوية عليه في ذلك ، فأذنَ له فركبَ في المراكب فانتهى إليها ، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح إليها من الجانب الآخر . فٱلتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً ، وسبَوْا سبايا كثيرة ، وغنموا مالاً جزيلاً جيداً ، ولما جيء بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكي ، فقال له جُبَيْر بن نُفَيْر : أتبكي وهذا يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك ، فلما ضيَّعوا أمر الله صيَّرهم إلى ما ترى ، سلّط الله عليهم السبي ، وإذا سلّط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة ، وقال ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره ؟! ثم صالحهم معاويةُ على سبعة آلاف دينار في كل سنة ، وهادنهم ، فلما أرادوا الخروج منها قُدمِّتْ لأم حرام بغلةٌ لتركبها فسقطت عنها فٱندقت عنقها ، فماتت هناك ، فقبرها هنالك يُعظِّمونه ويستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة .

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا حبيب بن مَسْلمة سوريةَ من أرض الروم . وتزوّج عثمان نائلة بنت الفُرافصة الكَلبية ـ وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل[٢] بها .

وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزَّوراء .

وفيها حج بالناس أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ففيها[٣] عزلَ عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، بعد عمله ستَّ سنين ، وقيل ثلاث ، وأمَّر عليها عبدالله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حَبيب بن عَبْد شَمْسٍ ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص ، وله من العمر خمس وعشرون سنة ، فأقام بها ستَّ سنين . وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارسَ في قول الواقدي وأبي معشر . وزعم سيف أنه كان قبل هذه السنة ، فالله أعلم .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد (٦/ ٣٦١) والبخاري في صحيحه (٢٧٩٩) في الجهاد ، ومسلم في صحيحه (١٩١٢) (١٦١) في الإمارة .

(٢) في أ : قبل الدخول بها .

(٣) في أ : فيها .

وفيها وسَّع عثمانُ بن عفان مسجدَ النبي ﷺ ، وبناه بالقَصَّة[١] ـ وهي الكلس ـ كان يؤتى به من بطن نخل[٢] ، والحجارة المنقوشة ، وجعل عمده حجارةً مرصعةً ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومئة ذراع ، وعرضه خمسين ومئة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت (عليه) في زمان عمر بن الخطاب ، ابتدأ بناءه في ربيع الأول منها .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان ، وضرب له بمنى فسطاطاً ، فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى ، وأتمَّ الصلاة عامه هذا ، فأنكر ذلك عليه غيرُ واحد من الصحابة ، كعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، حتى قال ابن مسعود ليتَ حظّي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ، وقد ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله ، فروى ابن جرير[٣] أنه قال : تأهلت بمكة ؟ فقال له : ولك أهل بالمدينة وإنك تقوم حيث أهلك بالمدينة . قال : وإن لي مالاً بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر ، قال : إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ، فقال : وإن طائفة من أهل اليمن قالوا : إن الصلاة بالحضر ركعتان فربما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي ، فقال له : قد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي (والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل) ، وكان يصلّي هاهنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلّي هاهنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليتَ أنتَ ركعتين صدراً من إمارتك ، قال فسكت عثمان ثم قال : إنما هو رأي رأيته .

سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

فيها افتتح سعيدُ بن العاص طبرستان في قول الواقدي وأبي معشر والمدائني ، وقال : هو أول من غزاها . وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مُقَرّن قبل ذلك على ألا يغزوها ، على مالٍ بذله له أصبهبذها ، فالله أعلم . فذكر المدائني أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن والحسين ، والعبادلة الأربعة ، وحذيفة بن اليمان ، في خلق من الصحابة فسار بهم فمرَّ على بلدانٍ شتَّى يصالحونه على أموال جزيلة ، حتى انتهى إلى بلد معاملة جُرْجان ، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف ، فسأل حذيفة : كيف صلى رسول الله ﷺ ؟ فأخبره فصلَّى كما أخبره ، ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمانَ ، فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن[٤] . فأصاب رجل من بني نهد سفطاً مقفولاً فاستدعى به سعيد ؟ ففتحوه فإذا فيه خرقة سوداء

(١) القَصَّة والقصَّة والقَصّ : الجص . اللسان (قصص) .

(٢) في أ : نخلة . وبطن نخل : قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة ، بينهما الطرفُ على الطريق ، وهو بعد أبرق العَزَّاف للقاصد إلى مكة . معجم البلدان (١/ ٤٤٩) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٢٦٨) .

(٤) في أ : ما كان فيه .

مدرجة فنشروها ، فإذا فيها خرقة حمراء (فنشروها) ، وإذا داخلها خرقة صفراء ، وفيها أيْران كُميت وورد (فقال شاعر) يهجو بهما بني نهد[١] : [من الطويل]

آبَ الكِـرامُ بـالسَّبـايـا غَنيمـةً   وفازَ بنو نَهْدٍ بأيْرين في سَفَطْ
كُمَيْـتٍ ووَرْدٍ وافِـرَيْـنِ كِـلاهُمـا   فظَنُّوهُما غُنْماً فناهِيكَ[٢] من غَلَطْ

قالوا : ثم نقضَ أهلُ جُرجان ما كان صالَحَهُمْ عليه سعيدُ بن العاص ، وامتنعوا عن أداء المال الذي ضربه عليهم ـ وكان مئة ألفِ دينار وقيل مئتي ألف دينار وقيل ثلاثمئة ألف دينار ـ ثم وجه إليهم[٣] يزيد بن المهلب ، بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة عزل عثمانُ بن عفان الوليدَ بن عُقبة عن الكوفة ، وولّى عليها سعيد بن العاص وكان سببُ عزله أنَّه صلَّى بأهل الكوفة الصبحَ أربعاً ثم التفتَ فقال أزيدُكُمْ؟ فقال قائل : مازلنا منكَ منذ اليوم في زيادة. ثم إنّه تصدَّى له جماعةٌ يقال كان بينهم وبينه شنآن ، فشَكَوْه إلى عثمان ، وشهد بعضُهم عليه أنه شربَ الخمر ، وشهد آخرُ أنَّه رآه يتقيَّؤها ، فأمر عثمان بإحضاره وأمر بجلده ، فيقال إن علياً نزعَ عنه حلته ، وأن سعيد بن العاص جلده ، بين يدي عثمان بن عفان ، وعزله وأمَّر مكانَه على الكوفة سعيد بن العاص[٤] .

وفي هذه السنة سقطَ خاتمُ النبيّ ﷺ من يد عثمان في بئر أَرِيس[٥] ، وهي على ميلين من المدينة ، وهي من أقل الآبار ماءً ، فلم يدرك خبره بعد بذل مال جزيل ، والاجتهاد في طلبه حتى الساعة ، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضةٍ ، ونقشَ عليه « محمدٌ رسولُ الله ﷺ » ، فلما قُتل عثمان ذهب الخاتم فلم يُدْرَ[٦] من أخذه .

وقد روى ابن جرير[٧] هاهنا حديثاً طويلاً في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب ، ثم من فضة ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى كسرى ، ثم دحية إلى قيصر ، وإن الخاتم (الذي) كان في يد النبي ، ثم في يد أبي بكر ، ثم في يد عمر ، ثم في يد عثمان ست سنين ، ثم إنه وقع في بئر أريس ، وقد تقدم بعض هذا في الصحيح[٨] .

---

(١) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٠) .
(٢) في أ : فناهيك .
(٣) في أ : عليهم .
(٤) خبر عزل الوليد بن عقبة في تاريخ الطبري (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٨) مطولاً .
(٥) قال ياقوت ـ نقلاً عن أحمد بن يحيى بن جابر ـ : نسبت إلى أريس رجل من المدينة من اليهود . معجم البلدان (١/ ٢٩٨) .
(٦) في أ : فلا يدري .
(٧) في تاريخه (٤/ ٢٨١ ـ ٢٨٣) .
(٨) يذكر ابن جرير أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من حديد ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : انبذه من أصبعك ، وأمر=

وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذرٍّ بالشام ، وذلك أن أبا ذرٍّ أنكر على معاوية بعض الأمور ، وكان ينكر على من يقتني مالاً من الأغنياء . ويمنع أن يدَّخر فوقَ القُوت ، ويوجب أن يُتصدّقَ بالفضل ، ويتأوّلَ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ، فبعث يشكوه[١] إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبي ذرٍّ أن يقدمَ عليه المدينةَ ، فقدمها فلامه عثمانُ على بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالرَّبَذَةِ ـ وهي شرقي المدينة ـ ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم (بها) وقال : إن رسول الله ﷺ قال (لي) : « إذا بلغ البناء سلعاً[٢] فأخرج منها »[٣] وقد بلغ البناء سلعاً ، فأذن له عثمان بالمقام بالرَّبَذَة ، وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان ، حتى لا يرتدّ أعرابياً بعد هِجْرتهِ ، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سنذكره رضي الله عنه .

وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزَّوْراء[٤]

فصل

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٥] أنه توفي في هذه السنة ـ أعني سنة ثلاثين :

أُبيّ بن كعب[٦] فيما صححه الواقدي[٧]

(جَبّار) بن صَخْر[٨] بن أُميّة بن خَنْساء ، أبو عبد الرحمن الأنصاري ، عقبيٌّ بدريٌّ ، وقد بعثه

= بخاتم أخر من نحاس ، فقال له جبريل عليه السلام : انبذه من أصبعك ، فنبذه رسول الله ﷺ من أصبعه ، وأمر بخاتم من ورق ، فجعله في أصبعه فأقره جبريل ، وأمر أن ينقش عليه : « محمد رسول الله » . ولم يذكر أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب ، وكذلك في الصحيح فقد وصف خاتم رسول الله البخاري في صحيحه رقم (٥٨٧٠) في اللباس وابن حبان في صحيحه ـ كما في الإحسان ـ (١٤/ ٣٠٣) رقم (٦٣٩٢) وغيرهما .

(١) في أ : فبعث شكواه .

(٢) سَلْع : موضع بقرب المدينة . معجم البلدان (٣/ ٢٣٦) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٠١) .

(٤) الزَّوْراء : موضع عند سوق المدينة قرب المسجد . معجم البلدان (٣/ ١٥٦) والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٧).

(٥) في تاريخ الإسلام (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) .

(٦) ترجمة ـ أبي بن كعب ـ في الاستيعاب (١/ ١٢٦) وجامع الأصول (١٣/ ١٠) وأسد الغابة (١/ ٦١) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٨) ومختصر تاريخ دمشق (٤/ ١٩٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٩ ـ ٤٠٢) والإصابة (١/ ٢٦) .

(٧) قيل إنه مات سنة ١٩ ، وقيل سنة ٢٠ ، وقيل سنة ٢٢ ، وقيل سنة ٣٢ .

(٨) ترجمة ـ جبار بن صخر ـ في الاستيعاب (١/ ٢٢٨) وجامع الأصول (١٣/ ٢٤٠) وأسد الغابة (١/ ٣١٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٣) والإصابة (١٠/ ٢٢٠) .

رسول الله ﷺ إلى خَيْبَر خارصاً[١] ، وقد توفي عن ستين سنة .

حاطب بن [أبي] بَلْتَعَة[٢] عَمْرو[٣] بن عُمَيْر اللَّخمي حليف بني أسد بن عبد العُزَّى ، شهد بدراً وما بعدها ، وهو الذي كان كتب إلى المشركين يُعْلِمُهم بعَزْمِ رسولِ الله ﷺ (على فتح مكة ، فعذره رسول الله ﷺ) بما اعتذر به ، ثم بعثه بعد ذلك برسالةٍ إلى المقوقس ملك الإسْكندريَّة .

الطُّفيل بن الحارث[٤] بن المُطَّلِب أخو عبيدة ، وحصين ، شهد بدراً . قال سعيد بن عُفَيْر[٥] : توفي في هذه السنة :

عبد الله بن كعب[٦] بن عمرو المازني أبو الحارث ، وقيل أبو يحيى الأنصاري ، شهد بدراً وكان على الخمس يومئذ .

عبد الله بن مَظْعُون[٧] أخو عثمان بن مَظْعون هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً .

عِياض بن زُهَيْر[٨] بن أبي شَدّاد بن ربيعة بن هِلال أبو سعد[٩] القرشي الفِهْري ، شهد بدراً وما بعدها .

مسعود بن ربيعة[١٠] وقيل ابن الربيع أبو عُمَيْر القاريّ[١١] [شهد بدراً وما بعدها . توفي عن نيف وستين سنة .

---

(١) خرصت النخل والكرم أخرُصه خَرْصاً إذا حزرت ما عليها من الرطب تمراً ، ومن العنب زبيباً وهو من الظن ، وفاعل ذلك الخارص ، والجمع الخُرّاص . اللسان (خرص) .

(٢) ترجمة ـ حاطب بن أبي بلتعة ـ في الاستيعاب (١/ ٣١٢) وجامع الأصول (١٣/ ٣٠٢) وأسد الغابة (١/ ٤٣١) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣) والإصابة (١/ ٣٠٠) .

(٣) في أ وط : « ابن عمرو » وهو خطأ ، والذي أثبتناه هو الذي نص عليه الذهبي في تاريخ الإسلام ، واتفقت عليه مصادر ترجمته .

(٤) ترجمة ـ الطفيل بن الحارث ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٥٦) وأسد الغابة (٣/ ٧٦) والإصابة (٢/ ٢٢٤) .

(٥) في ط : « عمير » خطأ ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٦) ترجمة ـ عبد الله بن كعب ـ في الاستيعاب (٢/ ٩٨١) وأسد الغابة (٣/ ٣٧٥) والإصابة (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن مظعون ـ في الاستيعاب (٢/ ٩٩٥) وأسد الغابة (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) والإصابة (٢/ ٣٧١) .

(٨) ترجمة ـ عياض بن زهير ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢٣٢) وأسد الغابة (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) والإصابة (٣/ ٤١٠) .

(٩) في ط : « سعيد » محرف ، والتصويب من مصادر ترجمته .

(١٠) ترجمة ـ مسعود بن ربيعة ـ في الاستيعاب (٣/ ١٣٩٢) وأسد الغابة (٥/ ١٦٠) والإصابة (٣/ ٤١٠) .

(١١) في ط : « أبو عمرو القارىء » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه من أ وهو الموافق لما في تاريخ الإسلام للذهبي . ولما قاله ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٣٩٢) .

معْمَر بن أبي سَرْح[١] بن ربيعة بن هلال القُرشي أبو سعد[٢] الفِهْري][٣] ، وقيل اسمه عمرو ، بدري قديم الصحبة .

أبو أسيد[٤] مالك بن ربيعة . قال الفَلاَّس : مات في هذه السنة ، والأصح أنه مات سنة أربعين ، وقيل سنة ستين فالله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ففيها كانت غزوة الصَّواري ، وغزوة الأساودة في البحر فيما ذكره الواقدي (وقال أبو معشر : كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين . وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي) وسيف وغيرهما : أن الشامَ كان قد جمعها[٥] لمعاوية بن أبي سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد أحرزه غايةَ الحفظ وحمى حَوْزته ، ومع هذا له في كلّ سنة غزوة في بلاد الروم في زمن الصيف ، ـ ولهذا يسمُّون هذه الغزوة الصائفة ـ فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصوناً ويغنمون أموالاً ويُرْعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح منْ أصاب من الفرنج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين في جمع لم يُر مثله منذ كان الإسلام ، خرجوا في خمسمئة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبي سَرْح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون[٦] ويُصلِّبون ، وبات المسلمون يقرؤون ويُصلُّون ، فلما أصبحوا صفَّ عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً في المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن .

قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا إلينا في أمر لم يُرَ مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا[٧] صواريها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريحُ عنّا ، فقلنا لهم : إنْ شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر فمات الأعجل[٨] منّا ومنكم ، قال فنخروا نخرةَ رجلٍ واحدٍ وقالوا : الماء الماء ، قال : فدنونا منهم ،

---

(١) ترجمة ـ معمر بن أبي سرح ـ في الاستيعاب (٣/ ١٤٣٣) وأسد الغابة (٤/ ٢٣٥) والإصابة (٤/ ٤٤٨) .

(٢) في الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١١٧٦) وأسد الغابة (٤/ ٢٢٨) : « أبو سعيد » . نقلاً عن الواقدي . أما المؤلف فينقل من تاريخ الإسلام للذهبي ، والذي ينقل بدوره من طبقات ابن سعد (٣/ ٤١٧) وكنيته فيهما « أبو سعد » كما أثبتناه وهذا القسم من تاريخ الذهبي بخطه .

(٣) ما بين معقوفين ساقط من أ .

(٤) ترجمة ـ أبي أسيد ـ في الطبقات (٣/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) والاستيعاب (٣/ ١٣٥١) وأسد الغابة (٥/ ٢٣) والإصابة (٣/ ٣٤٤) .

(٥) في أ : جمع بناته .

(٦) في أ : يفسفسون .

(٧) في أ : وتعداد صواريها .

(٨) في أ : الأعجز .

وربطنا سفننا بسفنهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف يثبُ الرجالُ بالسيوف والخناجر ، وضَربتِ الأمواجُ في عيونِ تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل ، وألقتِ الأمواجُ جثثَ الرجال إلى الساحل ، حتى صارت مثل الجبل العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يُعْهد مثلُه قطُّ ، وقُتل منهم بشرٌ كثيرٌ ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزلَ الله نصرَهُ على المسلمين فهربَ قسطنطيينُ وجيشُه ـ وقد قلُّوا جداً ـ وبه جراحات شديدة مكينة[١] مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ، ثم رجع مُؤَيَّداً منصوراً مُظَفَّراً .

قال الواقدي : فحدثني معمر عن الزُّهري قال : كان في هذه الغزوة محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد ابن أبي بكر ، فأظهرا[٢] عيبَ عثمان وما غيَّر وما خالفَ أبا بكرٍ وعمر ، ويقولان دمُه حلالٌ لأنّه استعملَ عبد الله بن سعد ـ وكان قد ارتدّ وكفر بالقرآن العظيم ، وأباحَ رسولُ الله ﷺ دَمَه ، وأخرج رسولُ الله ﷺ أقواماً واستعملهم عثمان ، ونزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل[٣] سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو فكانا أنكل[٤] المسلمين قتالاً ، فقيل لهما في ذلك فقالا : كيف نُقاتل مع رجلٍ لا ينبغي لنا أن نُحكِّمهُ ؟ فأرسل إليهما عبد الله بن سعد فنهاهما أشدَّ النهي وقال : والله لولا لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما .

قال الواقدي : وفي هذه السنة فُتحتْ أرمينية على يَدَيْ حَبيب بن مَسْلمة .

وفي هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس .

كيفية قتل كسرى ملك الفرس[٥] وهو يَزْدَجِرْدُ

قال ابن إسحاق : هرب يَزْدَجِرْد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مَرْو ، فسأل من بعض أهلها مالاً فمنعوه وخافوه على أنفسهم ، فبعثوا إلى التُّرك يَسْتَفِزُّونهم عليه ، فأتَوْه فقتلوا أصحابه ، وهربَ ـ هو ـ حتَّى أتى منزل رجل ينقر الأرحية[٦] على شط ، فأوى إليه ليلاً ، فلما نام قتله .

وقال المدائني : لما هربَ بعد قتل أصحابه انطلقَ ماشياً عليه تاجُه ومِنْطَقتُهُ وسيفُه ، فانتهى إلى منزل

---

(١) في أ : كثيرة .
(٢) في أ : فأظهروا . وهي رواية الطبري في تاريخه (٤/ ٢٩٠) .
(٣) في أ : ونزع الصحابة واستعمل .
(٤) في تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٢) : أكلّ ؛ ولعل ما أثبتنا هو الأشبه .
(٥) في أ : حبيب بن مسلمة كيف مقتل ملك الفرس .
(٦) ينقر الأرحية : النقر : ضرب الرحى والحجر وغيره بالمنقار ـ وهو حديدة كالفأس يقطع به ـ والأرحية : جمع رحى وهي الطاحون . اللسان (نقر ـ رحى) .

هذا الرجل الذي يَنْقر الأرْحية ، فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذ ما كان عليه وجاءتِ الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله ، فقتلوا ذلك الرجل وأهلَ بيته ، وأخذوا ما كان مع كسرى ، ووضعوا كسرى في تابوتٍ ، وحملوه إلى إصطخر ، وقد كان يَزْدَجِرْد وطىء امرأةً من أهل مرو قبل أن يُقْتل ، فحملت منه ، ووضعت بعد قتله غلاماً ذاهب الشق ، وسُمِّي ذلك الغلامُ (المُخْدَج)[١] وكان له نسل وعقب في خراسان ، وقد سَبى قتيبةُ بن مسلمٍ في بعض غزواته بتلك البلاد جاريتين من نسله . فبعث بإحداهما إلى الحَجّاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنَه يزيدَ بن الوليد المُلقب بالنّاقِص .

وقال المدائني في رواية عن بعض شيوخه : إن يَزْدَجرد لمّا انهزم عنه أصحابُه عقرَ جوادَه وذهب ماشياً حتى دخل رحى على شطِّ نهر يقال له المَرْغاب[٢] فمكث فيه ليلتين ، والعدوُّ في طلبه لم يدرِ أين هو ، ثم جاء صاحبُ الرحى ، فرأى كسرى وعليه أُبَّهتُهُ ، فقال له : ما أنت ؟ إنسيٌّ أم جنيٌّ ؟ قال : إنسيٌّ ، فهل عندك طعامٌ ؟ قال نعم ! فأتاه بطعام . فقال : إني مزمزم فأتني بما أزمزم به ، قال : فذهب الطحّانُ إلى أسوار من الأساورة فطلب منه ما يزمزم به ، قال : وما تصنع به ؟ قال : عندي رجلٌ لم أر مثله قطُّ ، وقد طلب مني هذا ، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد ـ مرو ، واسمه ماهويه بن باباه ـ فأخبره خبره فقال : هذا[٣] يزدجرد ، اذهبوا فجيئوني برأسه ، فذهبوا مع الطحّان (فلما دنوا من دار الرحى هابوا أن يقتلوه وتدافعوا وقالوا للطحان) ادخلْ أنت فاقتلْه ، فدخل فوجده نائماً ، فأخذ حجراً فشدخ به رأسَه ثم احتزَّه فدفعه إليهم وألقى جسده في النهر ، فخرجت العامةُ إلى الطحان فقتلوه ، وخرج أسقف ، فأخذ جسده من النهر ، وجعله في تابوتٍ ، وحمله إلى إصطخر فوضعه في ناووس .

ويروى أنه مكث في منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكلُ حتى رقَّ له وقال له : ويحك يا مسكين ألا تأكل ؟ وأتاه بطعام ، فقال : إنّي لا أستطيعُ أن آكل إلاّ بزمزمة فقال له : كُلْ وأنا أزمزم لك ، فسأل أن يأتيه بمزمزم ، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شمّوا رائحة المسك من ذلك الرجل ، فأنكروا رائحة المسك[٤] منه فسألوه فأخبرهم فقال : إنَّ عندي رجلاً من صفته كيت وكيت ، فعرفوه وقصدوه مع الطّحّان ، وتقدم الطحانُ فدخل عليه ، وهمَّ بالقبض عليه ، فعرف يزدجرد ذلك فقال له : ويحك خُذْ خاتمي وسواري ومِنْطقتي ودعني أذهب من هاهنا ، فقال لا ، أعطني أربعة دراهم وأنا أطلقك ، فزاده إحدى قرطيه[٥] من أذنه ، فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم (أخرى) . فهم في ذلك إذ دهمهم الجند .

---

(١) مُخْدج : أي ناقص الخلق . اللسان (خدج) .
(٢) المرغاب : نهر في مرو الشاهجان . معجم البلدان (٥ / ١٠٨) .
(٣) في ط : هو .
(٤) في أ : فأنكروا ريحه .
(٥) في أ : قرطه .

فلما أحاطوا به وأرادوا قتله قال : ويحكم لا تقتلوني ، فإنّا نجدُ في كتبنا أنّ من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق[١] في الدنيا مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلوني واذهبوا بي إلى الملك أو إلى العرب ، فإنهم يستحيون من قتل الملوك ، فأبَوْا عليه ذلك ، فسَلَبوه ما كان عليه من الحلي ، فجعلوه في جراب ، وخنقوه بوتر ، وألقوه في النهر ، فتعلّق بعود فخذه أسقف ـ واسمه إيليا ـ فحنَّ عليه مما كان من أسلافه من الإحسان إلى النصارى الذين كانوا ببلادهم ، فوضعه في تابوت ، ودفنه في ناووس ، ثم حمل ما كان عليه من الحلي إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ففُقِدَ قرطٌ من حليه[٢] فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأغرمه ذلك .

وكان مُلْكُ يزدجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين في دعة ، وباقي ذلك هارباً[٣] من بلد إلى بلد ، خوفاً من الإسلام وأهله . وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الإطلاق ، لقول رسول الله ﷺ « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » رواه البخاري[٤] . وثبت في الحديث (الصحيح)[٥] أنّه لما جاء كتاب النبي ﷺ مَزَّقَه ، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزّق كل مُمزَّق ، فوقع الأمر كذلك .

وفي هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح ، فمن ذلك ما فتح عنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهي مرو على ألفي ألف ومئتي ألف ، وقيل على ستة آلاف ومئتي ألف .

وفي هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

وفيها غزا معاوية بلادَ الروم حتى بلغَ المضيق ـ مضيق القسطنطينية ـ ومعه زوجتُه عاتكةُ ، ويقالُ : فاطمة بن قرطة بنت عبد (عمرو بن) نوفل بن عبد مناف . قاله أبو معشر والواقدي .

وفيها استعمل سعيد بن العاص سلمانَ بن ربيعة على جيشٍ وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بَلَنْجَر فحصروها . ونُصبت عليها

---

(١) في أ : بالخرس . وما أثبت موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٢٩٨) .

(٢) في أ : من حليته .

(٣) في أ : هاوياً .

(٤) صحيح البخاري (٣٦١٨) في المناقب برواية أبي هريرة ، و(٣٦١٩) في المناقب برواية جابر بن سمُرة ، وللحديث أطراف متعددة .

(٥) الحديث في صحيح البخاري (٦٤) في العلم .

المجانيقُ والعَرّادات . ثم إن أهل بَلَنْجر خرجوا إليهم ، وعاونهم الترك فاقتتلوا قتالاً شديداً ـ وكانت الترك تهابُ قتالَ المسلمين ، ويظنّون أنهم لا يموتون ـ حتى اجترؤوا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقَوا معهم فاقتتلوا ، فقُتل يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة ـ وكان يقال له ذو النون ـ وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، ففرقة ذهبت إلى بلاد الخزَر . وفرقة سلكوا ناحية بلاد جيلان وجرجان ، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي . وأخذت الترك جسد عبد الرحمن بن ربيعة ـ وكان من سادات المسلمين وشجعانهم ـ فدفنوه في بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، ولما قُتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة ، وأمدّهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ، فتنازع حبيب وسلمان في الإمرة حتى اختلفا ، فكان أولَ اختلافٍ وقعَ بين أهل الكوفة وأهل الشام ، حتى قال في ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس[١] : [من الطويل]

فإنْ[٢] تضربوا سلمانَ نضْربْ حَبيبكمْ ... وَإنْ تَـرْحَلـوا نَحْـو ابـن عَفّـان نَـرْحـلُ
وإنْ تُقْسِطُـوا فـالثَّغـرُ ثغـرُ أميـرنـا[٣] ... وهــذا أميـرٌ فـي الكتـائـبِ مُقبـلُ
ونَحْــنُ ولاةُ الثَّغْــرِ كُنّــا حُمَــاتــهُ ... لَيَــالـيَ نَـرْمـي كُـلَّ ثَغْـرٍ ونُنْكِـلُ[٤]

وفيها فتح ابن عامر مروَ الرَّوْذ والطالقان والفارياب والجُوْزجان وطُخارستان . فأما مرو الرَّوْذ فبعث إليهم[٥] ابن عامر الأحنفَ بن قَيْس فحصَرَها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطرَّهم إلى حصنهم ، ثم صالحوه على مالٍ جزيلٍ وعلى أن يضرب على أراضي الرعية الخراجَ ، ويدعَ الأرض التي كان اقتطعها[٦] كسرى لوالد المرزبان ، صاحب مرو ، حين قتل الحيةَ التي كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم ، فصالحهم الأحنف على ذلك ، وكتب لهم كتاب صلح بذلك ، ثم بعث الأحنف الأقرعَ بن حابسٍ إلى الجُوْزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم ، قتل فيه خلقٌ من شُجعان المسلمين ، ثم نُصروا فقال في ذلك أبو كثير النَّهْشلي قصيدة طويلة فيها[٧] : [من الوافر]

سَقَـى مُـزْنُ السَّحَـاب إذا اسْتَهلَّـتْ ... مَصَــارعَ فِتْيَــةٍ بــالجُــوزَجَــان
إلى القَصْرينِ منْ رُسْتاقِ خُوطٍ[٨] ... أبــادَهُــمُ هُنــاكَ الأقْــرَعــانِ

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٠) والقائل : أوس بن مغراء .
(٢) في تاريخ الطبري : إن .
(٣) في أ : أميرها .
(٤) في أ : موكل .
(٥) في أ : إليها .
(٦) في أ : أقطعها .
(٧) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٣) ومعجم البلدان (٢/ ١٨٢) وفيه منسوبان إلى : كثير بن العزيزة النَّهشلي .
(٨) في أ ، ط : حوط ؛ وما هنا عن مصدريهما .

ثم سار الأحنف من مرو الرّوذ إلى بلخ فحاصرهم حتى صالحوه على أربعمئة ألف واستناب[١] ابن عمه أسيد بن المُتَشَمِّس[٢] على قبض المال ، ثم ارتحل يُريد الجهادَ ، وداهمه الشتاء فقال لأصحابه : ما تشاؤون ؟ فقالوا : قد قال عمرو بن معدي كرب[٣] : [من الوافر]

إذا لـم تَسْتَطـعْ شَيْئـاً فَـدَعْـهُ   وجَـاوِزْهُ إلـى مـا تستَطيـعُ

فأمر الأحنف بالرَّحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد إلى[ابن] عامر فقيل لابن عامر : ما فتح على أحد ما فتح عليك ، فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان ، فقال : لا جرمَ ، لأجعلنَّ شُكْري لله على ذلك أن أحرم بعمرةٍ من موقفي هذا مُشمِّراً فأحرمَ بعمرة من نيسابور ، فلما قدم على عثمان لامه على إحرامه من خراسان .

وفيها أقبل قارن في أربعين ألفاً فالتقاه عبد الله بن حازم في أربعة آلاف ، وجعل لهم مقدمة ستمئة رجل ، وأمر كلاً منهم أن يحمل على رأس رمحه ناراً ، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم ، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فاتفقوا هم وإياهم ، فولى المشركون مدبرين ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا وكيف شاؤوا ، وغنموا شيئاً كثيراً وأموالاً جزيلة ، ثم بعث عبد الله بن حازم [بالفتح إلى ابن عامر ، فرضي عنه وأقره على خراسان ـ وكان قد عزله عنها ـ فاستمر بها عبد الله بن حازم][٤] إلى ما بعد ذلك .

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

العباس بن عبد المطلب[٥] بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الفضل المكي عم رسول الله ﷺ ، ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث ، أسر يوم بدر فافتدى نفسه بمالٍ ، وافتدى ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث . وقد ذكرنا أنه لما أُسر وشُدَّ في الوثاق وأمسى الناس ، أرقَ رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله مالك ؟ فقال « إني أسمع أنين العباس في وثاقه فلا

---

(١) في أ : واستشار .

(٢) في ط : « المشمس » خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٢) ، وثقات ابن حبان (٤/ ٤٢) ، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (١/ ٢١٢) .

(٣) البيت في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٣) وديوان عمرو بن معديكرب .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من أ ومستدرك عن الطبعة المصرية .

(٥) ترجمة ـ العباس بن عبد المطلب ـ في الطبقات (٤/ ٥ ـ ٣٣) والاستيعاب (٢/ ٨١٠) وجامع الأصول (١٤/ ٤٣٢) وتاريخ دمشق ـ عبادة ، عبد الله ـ (١٠٤ ـ ٢٠٨) وأسد الغابة (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٧) وتاريخ الإسلام (٢/ ٩٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٧٨ ـ ١٠٣) والإصابة (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

أنام »[١] فقام رجل من المسلمين فحلَّ من وثاق العباس حتى سكن أنينه فنام رسول الله ﷺ ، ثم أسلم عام الفتح ، وتلقَّى رسول الله ﷺ إلى الجحفة فرجع معه ، وشهد الفتح ، ويقال إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة بإذن النبي ﷺ له في ذلك ، كما ورد به الحديث[٢] ، فالله أعلم .

وقد كان رسول الله ﷺ يُجلُّه ويُعظِّمُه ويُنْزله منزلةَ الوالدِ من الولد ، ويقول : « هذا بقيةُ آبائي »[٣] وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم ، وكان ذا رأي وعقل تام وافٍ[٤] ، وكان طويلاً جميلاً أبيض بضّاً[٥] ذا ضفيرتين ، وكان له من الولد عشرةُ ذكور سوى الإناث ، وهم تمام ـ وكان أصغرهم ـ والحارث ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعون ، والفضل ، وقثم ، وكثير ، ومعبد . وأعتق سبعين مملوكاً من غلمانه .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا علي بن عبد الله قال : حدَّثني محمد بن طلحة التيمي[٧] من أهل المدينة ، حدَّثني أبو سهيل نافع بن مالك ، عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ للعباس : « هذا العباس بن عبد المطلب أجودُ قريش كَفّاً وأوصلُها » تفرَّد به[٨] .

وثبت في الصحيحين[٩] : أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه ، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله ، وأما العباس فهي عليَّ ومثلُها » ثم قال « يا عمر أما شعرت أن عمَّ الرجل صنو أبيه »[١٠] ؟ .

وثبت في صحيح البخاري عن أنس : أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي به ، وقال : اللهم إنّا كنّا إذا قحطنا توسّلنا إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا ، قال : فيسقون .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٢ ، ١٣) وابن عساكر (١١٩) .

(٢) أورد الذهبي هذا الحديث وهو قول رسول الله ﷺ : « اطمئن يا عمُّ ، فإنك خاتم المهاجرين ، كما أنا خاتم النبيين » . واذن له بالرجوع إلى مكة . إسناده ضعيف . . . وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٩) وهو حديث ضعيف .

(٣) الحديث أورده ابن عساكر في تاريخه ـ عبادة ، عبد الله ـ (ص١٤١) .

(٤) في أ : تام وافر .

(٥) الرجل البضُّ : الناصع البياض في سمن . اللسان (بضض) .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٥) ، وإسناده حسن .

(٧) في ط : التميمي ، تحريف ، والتصحيح من مسند أحمد وتقريب التهذيب .

(٨) هكذا قال ، وهو وهم منه رحمه الله ، فقد أخرجه النسائي في الكبرى (٨١٧٤) عن حميد بن مخلد عن علي بن عبد الله ، به ، وحميد بن مخلد ثقة ثبت ، وهو من رجال التهذيب (بشار) .

(٩) صحيح البخاري (١٤٦٨) في الزكاة ، ومسلم (٩٨٣) في الزكاة .

(١٠) الصنو: المِثْل، يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد، وهو مثل أبي أو مثلي وجمعه صنوان. النهاية لابن الأثير (٣/ ٥٧).

(١١) صحيح الإمام البخاري (١٠١٠) في الاستسقاء .

ويقال : إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجّلا إكراماً له .

قال الواقدي وغير واحد : توفي العباس في يوم الجمعة لاثنتي[١] عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع وقيل توفي سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين ، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

عبد الله بن مَسْعُود[٢] بن غَافِل بن حبيب بن شَمْخ بن فار[٣] بن مَخْزُوم بن صاهِلَة بن كاهِل بن الحارث بن تميم[٤] بن سعد بن هُذَيْل بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر الهُذَلي ، أبو عبد الرحمن[٥] حليف بني زهرة ، أسلم قديماً قبل عمر ، وكان سبب إسلامه حين مرَّ به رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وهو يرعى غنماً فسألاه لبناً فقال : إني مؤتمن ، قال فأخذ رسول الله ﷺ عناقاً[٦] لم ينز[٧] عليها الفحل ، فاعتقلها ثمَّ حلب وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : « أقلص »[٨] فقلص ، فقلت : علّمني من هذا الدعاء فقال : « إنك غلام[٩] معلَّم » الحديث[١٠] .

وروى محمد بن إسحاق[١١] ، عن يحيى بن عروة [عن عروة][١٢] ، عن أبيه : أنَّ ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بمكة ، بعد النبي ﷺ عند البيت ، وقريش في أنديتها قرأ سورة ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٢] فقاموا إليه فضربوه ، ولزم رسول الله ﷺ حين أسلم ، وكان يحمل نعليه وسواكه ، وقال له : « إذنك عليَّ أن تسمعَ سوادي »[١٣] ولهذا كان يقال له صاحب السواك والسِّواد[١٤] ،

---

(١) في أ : لثنتي .
(٢) ترجمة ـ عبد الله بن مسعود ـ في الطبقات (٢/ ٣٤٢ـ٣٤٤) والاستيعاب (٢/ ٩٨٧) وتاريخ بغداد (١/ ١٤٧) وجامع الأصول (١٤/ ٤٨٢) وأسد الغابة (٣/ ٣٨٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١ ـ ٥٠٠) وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٠) والإصابة (٢/ ٣٦٨ـ٣٧٠) .
(٣) في جامع الأصول (١٤/ ٤٨٤) : قار ؛ بالقاف وقيل بالفاء والراء .
(٤) في ط والإصابة : تيم ؛ تحريف لا بدَّ من تصحيحه .
(٥) في أ : أبو عبد الرحمن الهذلي .
(٦) العناق : الأنثى من أولاد المعز له سنة . النهاية (٣/ ٣١١) .
(٧) لم ينز عليها الفحل : لم يثب عليها للنسل . النهاية (٥/ ٤٤) .
(٨) قال للضرع : اقلص فقلص : أي اجتمع . النهاية (٤/ ١٠٠) .
(٩) في أ : غليم .
(١٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٧٢) وإسناده حسن .
(١١) الخبر في السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٣٦) .
(١٢) ساقط من أ .
(١٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٦٩) في السلام ، وابن ماجه في سننه (١٣٩) في المقدمة .
(١٤) في ط : والوساد ؛ خطأ . والسِّواد بالكسر : السّرار . النهاية (٢/ ٤١٩) .

وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وهو الذي قتل أبا جهل بعد ما أثبته ابنا عفراء[١] ، وشهد بقية المشاهد .

وقال له رسول الله ﷺ يوماً : « اقرأ علي » فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] فبكى رسول الله ﷺ وقال : « حسبك »[٢]

وقال أبو موسى : قدمت أنا وأخي من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي ﷺ ، لكثرة دخولهم بيت النبي ﷺ .

وقال حذيفة : ما رأيت أحداً أشبه برسول الله ﷺ في هَدْيِهِ ودَلِّه وسَمْتِهِ من ابن مسعود .

ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى ، وفي الحديث « وتمسكوا بعهد ابن أم عبد »[٣]

وفي الحديث الآخر الذي رواه أحمد[٤] ، عن محمد بن فضيل ، عن مغيرة ، عن أمِّ موسى[٥] ، عن علي : أن ابن مسعود صعد شجرة يجتني الكَبَاث[٦] فجعل الناس يعجبون من دِقة ساقيه ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحُد » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وقد نظر إلى قصره وكان يوازي بقامته الجلوس ـ فجعل يتبعه ثمَّ قال : هو كُنَيف[٧] مليء علماً .

وقد شهد ابن مسعود بعد النبي ﷺ مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، وكان قدم من العراق حاجاً فمر بالرَّبذة فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة فمرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً ، فيروى

---

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (٢/ ١٠٢) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٤٠٤٩) في فضائل القرآن ، ومسلم في صحيحه (٨٠٠) في المسافرين ، والترمذي في جامعه رقم (٣٠٢٥) في التفسير .

(٣) الحديث رواه بهذا اللفظ الترمذي رقم (٣٨٠٥) واستغربه والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٥) وإسناده ضعيف جداً ، فإنه من رواته إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن جده ، وإبراهيم ضعيف وأبوه وجده متروكان . أما ما ورد في بعض نسخ الترمذي أنه قال : « حسن غريب » فلا يصح ، كما بيناه في طبعتنا من الترمذي وأخرجه الترمذي بلفظ : « وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه » (٣٧٩٩) من حديث حذيفة ، وحسنه ، وهو حديث لا يتحسن إلا بالطرق المتعددة والشواهد (بشار) .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٤) ومستدرك الحاكم (٣/ ٣١٧) وهو حديث صحيح .

(٥) تحرفت في ط ، أ : إلى : حرسي ؛ والتصحيح من مسند أحمد وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٧٧) .

(٦) الكَبَاث : هو النضيج من ثمر الأراك . النهاية (٤/ ١٣٩) .

(٧) كنيف : هو تصغير تعظيم للكنف وهو الوعاء . النهاية (٤/ ٢٠٥) والخبر في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٤) .

أنه قال له : ما تشتكي ؟ قال ذنوبي ، قال فما تشتهي ؟ قال رحمة ربي ، قال ألا آمر لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني ، قال : ألا آمر لك بعطائك ؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال : لا حاجة لي فيه . فقال : يكون لبناتك من بعدك . فقال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إني أمرتُ بناتي أن يقرأْنَ كلَّ ليلةٍ سورةَ الواقعة ، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « منْ قرأ الواقعةَ كلَّ ليلةٍ لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبداً »[١] . وأوصى عبد الله بن مسعود إلى الزّبير بن العوّام ، فيقال إنه هو الذي صلى عليه ليلاً ، ثمّ عاتب عثمانُ الزبير على ذلك ، وقيل بل صلَّى عليه عثمان ، وقيل عمَّار ، فالله أعلم . ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة .

عبد الرحمن بن عوف[٢] **بن عبد عوف بن عبد الحارث** بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو محمد القرشي ، الزُّهري ، أسلم قديماً على يديْ أبي بكر ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، وشهد بدراً وما بعدها ، وأمَّره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب وأرخى له عذبة[٣] بين كتفيه ، ليكون أمارة عليه للإمارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثمَّ أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا ، ثمّ كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه ، وقد تقاول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهو في الصحيح[٤] .

وقال معمر ، عن الزُّهري : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدَّق بأربعين ألفاً ، ثمّ تصدّق بأربعين ألف دينار ، ثمّ حمل على خمسمئة فرس في سبيل الله ، ثمّ حمل على خمسمئة راحلة في سبيل الله[٥] . وكان عامة ماله من التجارة ، فأمّا الحديث الذي قال عبْدُ بن حُميد في « مسنده »[٦] حدَّثنا يحيى بن إسحاق ، حدَّثنا عمارة بن زاذان ، عن ثابت البُناني ، عن أنس بن مالك ، أن عبد الرحمن بن عوف لمّا هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان بن عفان فقال له : إن لي حائطين فاختر أيهما شئت ، فقال : بارك الله لك في حائطيك ، ما لهذا أسلمت ، دلَّني على السوق ، قال

---

(١) أخرجه ابن السني رقم (٦٨٠) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٤٩٨) و(٢٤٩٩) وإسناده ضعيف .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن عوف ـ في الطبقات (٣/ ١٢٤) والاستيعاب (٨٤٤ ـ ٨٥٠) وجامع الأصول (١٢/ ٣١٧) وأسد الغابة (٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٦٨ ـ ٩٢) وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧) والإصابة (٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

(٣) العذبة : طرف الشيء . النهاية (٣/ ١٩٥) .

(٤) صحيح الإمام البخاري (٣٦٧٣) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٥٤٠) في فضائل الصحابة .

(٥) الخبر في معجم الطبراني رقم (٢٦٥) والحلية لأبي نعيم (١/ ٩٩) .

(٦) مسند عبد بن حميد (٤٠٧) رقم (١٣٨٣) .

فدلّه فكان يشتري السمنة[١] والأُقَيْطة[٢] والإهاب[٣] ، فجمع فتزوج فأتى النبي ﷺ فقال : « بارك الله لك أولمْ ولو بشاة » قال فكثر ماله حتى قدمت له سبعمئة راحلة تحمل البرّ وتحمل الدقيق والطعام ، قال : فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجّة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجّةُ ؟ فقيل لها عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمئة تحمل البُرَّ والدقيقَ والطعامَ . فقالت عائشة : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول « يدخلُ عبد الرحمن بن عوف الجنة حَبْواً »[٤] فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال : أُشهدكِ يا أمه أنَّها بأحمالها وأحلاسها[٥] وأقتابها في سبيل الله .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عبد الصمد بن حسان ، حدَّثنا عمارة ـ هو ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن أنس قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعتْ صوتاً في المدينة قالت : ما هذا ؟ قالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمتْ من الشّام تحملُ كلَّ شيء ـ قال وكانت سبعمئة بعير ـ قال فارتجَّتِ المدينةُ من الصوت ، فقالت عائشة : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « قد رأيتُ عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حَبْواً » فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال : لئن استطعتُ لأدخلنَّها قائماً ، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله . فقد تفرّد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف .

وأما قوله[٧] في سياق عبد بن حميد : إنه آخى بينه وبين عثمان بن عفان ، فغلط[٨] محض مخالف لما في صحيح البخاري[٩] من أن الذي آخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما .

وثبت في الصحيح[١٠] أن رسول الله ﷺ صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار ، وهذه منقبةٌ عظيمةٌ لا تُبارى .

ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمئة دينار ـ وكانوا مئة ـ فأخذوها حتى عثمان وعلي ، وقال علي : اذهب يا بن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زيفها ، وأوصى لكلّ امرأةٍ من أمَّهات المؤمنين بمبلغٍ كثيرٍ حتَّى كانت عائشةُ تقولُ : سقاهُ اللهُ من السَّلْسَبيل . وأعتقَ خلقاً من مماليكه .

---

(١) في أ : السميذ ، وفي مسند ابن حميد : السمينة .
(٢) الأقيطة : تصغير الأقط ، وهو لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به . النهاية (١/ ٥٧) .
(٣) الإهاب : الجلد . النهاية (١/ ٨٣) .
(٤) الحديث في مسند أحمد (٦/ ١١٥) ومعجم الطبراني (٢٦٤) وطبقات ابن سعد (٣/ ٩٣) وإسناده ضعيف كما سيأتي .
(٥) الحلس : كساء على ظهر البعير ، أو كل شيء وليَ ظَهْرَ البعير والدابة تحت الرحل . اللسان (حلس) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ١١٥) .
(٧) في أ : وقوله .
(٨) في أ : غلط محظى .
(٩) صحيح البخاري رقم (٣٧٨٠) في مناقب الأنصار .
(١٠) صحيح البخاري رقم (١٨٢) في الوضوء .

ثمّ تركَ بعد ذلك كلِّه مالاً جزيلاً ، من ذلك ذهبٌ قُطِّعَ بالفُؤوس حتى مجلت[١] أيدي الرجال ، وتركَ ألفَ بعيرٍ ومئةَ فرسٍ ، وثلاثةَ آلافِ شاةٍ تَرْعى بالبقيع .

وكان نساؤُهُ أربعاً فصُولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً[٢]

ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحَمَلَ في جنازته سعدُ بن أبي وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة .

وكان أبيضَ مُشْرَباً (حمرةً) ، حسنَ الوجه ، دقيقَ البشرة ، أعين[٣] ، أهدبَ الأشفار[٤] ، أقنى[٥] ، له جمةٌ ، ضخم الكفّين ، غليظ الأصابع ، لا يغيِّر شيبه رضي الله عنه .

أبو ذَرٍّ الغِفَارِي[٦] واسمه جُنْدُبُ بنُ جُنَادَة على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة . وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة ، وهو أول من حيَّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزمَ رسولَ الله ﷺ حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة .

وجاء في فضله أحاديث كثيرة من أشهرها : ما رواه الأعمشُ ، عن أبي اليقظانِ عثمان بن عُمَيْر ، عن أبي حَرْب بن أبي الأسود ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « ما أظلَّتِ الخَضْراء ، ولا أقلَّت الغَبْراء أصدقَ لهجةً من أبي ذر »[٧] وفيه ضعف .

ثمَّ لما[٨] مات رسول الله ﷺ ، ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمانُ إلى المدينة ، ثمَّ نزل الرَّبَذَة فأقامَ بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة ، وليس عنده سوى امرأتِه وأولادِه ، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه ، فحضروا موته ، وأوصاهم كيف يفعلون به ، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله

---

(١) في أ : دكلت . ومجلت يده تمجُلُ ومَجَلت تمْجَلُ مَجَلاً إذا ثخن جلدها وتعجَّر وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة . النهاية (٤/ ٣٠٠) .

(٢) الخبر في طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٦) .

(٣) الأعين : واسع العين . النهاية (٣/ ٣٣٣) .

(٤) أهدب الأشفار : أي طويل شعر الأجفان . النهاية (٥/ ٢٤٩) .

(٥) أقنى : القنا في الأنف طوله ورقة أرنبته مع حَدَب في وسطه . النهاية (٤/ ١١٦) .

(٦) ترجمة ـ أبي ذر الغفاري ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢١٩ ـ ٢٣٧) وحلية الأولياء (١/ ١٥٦ ـ ١٧٠) والاستيعاب (١/ ١٦٩ ـ ١٧٧) وأسد الغابة (١/ ٢٥٧) و(٦/ ٩٩ ـ ١٠١) والإصابة (٤/ ٦٢) .

(٧) الحديث أخرجه الترمذي (٣٨٠١) في فضائل الصحابة ، وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٢٨) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤٢) .

(٨) في أ : ومات .

ودفنه ، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاةً من غنمه ليأكلوه بعد الموت ، وقد أرسلَ عثمانُ بن عفان إلى أهله فضمهم إلى[١] أهله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كانَ فتحُ قبرص في قولِ أبي معشرٍ ، وخالفه الجمهورُ فذكروها قبل ذلك كما تقدم .

وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانيةً ، حين نقض أهلها العهد .

وفيها سيَّر أميرُ المؤمنين جماعةً من قُرَّاءِ أهلِ الكوفة إلى الشام ، وكان سببُ ذلك أنَّهم تكلَّموا بكلامٍ قبيحٍ في مجلسِ سعيد بن العاص ، فكتب إلى عثمان في أمرهم ، فكتب إليه عثمان أن يُجْلِيَهم عن بلده إلى الشام ، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشّام أنه قد أخرج[٢] إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم . فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتّباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد[٣] ، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلامٍ فيه بشاعةٌ وشناعةٌ ، فاحتملهم معاوية لحلمه ، وأخذ في مدح قريش ـ وكانوا قد نالوا منهم ـ وأخذ في المدح لرسول الله ﷺ ، والثناء عليه ، والصلاة والتسليم . وافتخر معاوية بوالده وشرفه في قومه ، وقال فيما قال : (وأظن) أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً ، فقال له صَعْصَعةُ بن صُوحان : كذبت ، قد ولد الناس كلُّهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ، ونفخَ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرُّ والفاجرُ ، والأحمقُ والكيّسُ . ثمَّ بذل لهم النصح مرةً أخرى فإذا هم يتمادون[٤] في غيّهم ، ويستمرّون على جهالتهم وحماقتهم ، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام ، لئلا يُشَوِّشوا عقولَ الطغام[٥] ، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على القدح في قريشٍ كونهم فرَّطوا وضيَّعوا ما يجب عليهم من القيام فيه ، من نُصْرَة الدين وقمع المفسدين . وإنما يريدون بهذا التنقيصَ والعيبَ ورجمَ الغيب ، وكانوا يشتمون عثمانَ وسعيدَ بن العاص ، وكانوا عشرةً ، وقيل تسعة وهو الأشبه ، منهم كُمَيْل بن زياد ، والأشتر النَّخعي ـ واسمه مالك بن [الحارث ، وصَعْصَعة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ، وكعب بن مالك الأرحبي ، والأسود بن][٦] يزيد ـ وعلقمة بن قيس النَّخعيّان ، وثابت بن

(١) في ط : مع أهله .
(٢) في أ : خرج .
(٣) في أ : والانتفاء .
(٤) في أ : متمادون .
(٥) في أ : الطغاة ، تحريف . والطغام من لا عقل معه ولا معرفة ، وقيل هم أوغاد الناس وأراذلهم . النهاية (٣/ ١٢٨) .
(٦) ما بين الحاصرتين عن أ وحدها ، وهي موافقة لما في تاريخ الطبري (٤/ ٣٢٦) .

قيس النَّخَعي ، وجندب بن زهير العامري ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعُروة بن الجَعْد وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي . فلما خرجوا من دمشق أووا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ـ وكان نائباً على الجزيرة . ثمَّ ولي حمص بعد ذلك ـ فهددهم وتوعدهم . فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عمّا كانوا عليه ، فدعا لهم وسيَّر مالكاً الأشتر النَّخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه ، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيّرهم أن يقيموا حيث أحبّوا ، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقدموا عليه حمص ، فأمرهم بالمقام بالسّاحل ، وأجرى عليهم الرزق . ويقال بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردّهم إليه ، فلما رجعوا كانوا أَذْلَقَ[1] ألسنة ، وأكثرَ شرّاً ، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان ، فأمره أن يسيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، وأن يلزموا الدروب[2] .

وفي هذه السنة سَيَّر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ، وإلى مصر بأسباب مسوّغة لما فعله رضي الله عنه ، فكان هؤلاء ممن يؤلِّب عليه ويمالىء الأعداء في الحط والكلام فيه ، وهم الظالمون في ذلك ، وهو البارّ الراشد رضي الله عنه .

وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتَقَبَّل الله منه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر : فيها كانت وقعة الصواري ، والصحيح في قول غيره أنها كانت قبل ذلك[3] كما تقدم .

وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن (طاعة) عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة ـ وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة ، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة ، وتألَّبوا عليه ، ونالوا منه ومن عثمان ، وبعثوا إلى عثمان مَنْ يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثيرٍ من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه ، وأغلظوا له في القول ، وطلبوا منه أن يعزل عمّاله ويستبدل أئمة غيرهم (من السابقين ومن الصحابة) ، حتى شقَّ ذلك عليه جداً ، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم ، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ، وعمرو بن العاص (أمير مصر) ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أمير المغرب ، وسعيد بن العاص أمير الكوفة ، وعبد الله ابن عامر أمير البصرة ، فاستشارهم فيما حدث من الأمر (وافتراق الكلمة) ؛ فأشار عبد الله بن عامر

---

(١) أذلق : أفصح وأبلغ . النهاية (٢/ ١٦٥) .
(٢) في أ : بالدروب .
(٣) في أ : أنها قبل كما تقدم .

أن يشغلهم بالغزو عمّا هم فيه من الشرّ ، فلا يكون همّ أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من دبر دابته وقمل[١] فروته (فإنّ غوغاء الناس إذا تفرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يُغْني وتكلّموا بما لا يُرضي وإذا تفرَّقوا نفعوا أنفسهم وغيرهم) .

وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل[٢] شأفة المفسدين ، ويقطع دابرهم[٣] ، وأشار معاوية بأن يردّ عمَّالَه إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشرّ ، فإنّهم أقلُّ وأضعفُ جنداً .

وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بأن يتألَّفهم بالمال فيعطيهم منه ما يكفّ به شرَّهم ، ويأمن غائلتهم[٤] ، ويعطف به قلوبهم إليه .

وأما عمرو بن العاص فقام فقال : أما بعدُ يا عثمانُ فإنَّك قد ركبت الناس ما يكرهون ، فإما أن تعزلَ عنهم ما يكرهون ، وإما أن تقدم فتنزل عمالك على ما هم عليه ، وقال له كلاماً فيه غلظةٌ ، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليبلغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا ، فعند ذلك قرَّر عثمانُ عمالَه على ما كانوا عليه ، وتألَّف قلوبَ أولئك بالمال ، وأمر بأن يُبعثوا إلى الغزو إلى الثغور ، فجمع بين المصالح كلها ، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ، ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان ويولّي عليهم أبا موسى الأشعري ، وكان اجتماعهم بمكانٍ يقال له الجرعة ، (وقد قال يومئذ الأشتر النخعي : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا ، وتواقف الناس بالجرعة) وأحجم سعيدٌ عن قتالهم وصمَّموا على منعه ، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، فجعل أبو مسعود يقول : [والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء . فجعل حذيفة يقول][٥] : والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم ، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد ﷺ حي . والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة ، فأعجب ذلك أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان (أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري) بذلك ، فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعذرهم ، وإزالة لشبههم ، وقطعاً لعللهم .

وذكر سيف بن عمر[٦] أن سببَ تألُّبِ الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم ! فيقول له

---

(١) في أ : وحمل فروته ، وأشار سعيد .
(٢) في أ : تستأصل . والشأفة الأصل . اللسان (شأف) والتعبير بمعنى أن يُقضي عليهم .
(٣) دابر القوم : آخر من بقي منهم ، وقطع دابرهم : أي جميعهم حتى لا يبقى منهم أحد . النهاية (٢/ ٩٨) .
(٤) الغائلة : أمر منكر داهٍ . اللسان (غول) .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من ط .
(٦) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٠) .

فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم يقول : وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب ، فمحمد خاتم الأنبياء ، وعليّ خاتم الأوصياء ، ثُمَّ يقول : فهو أحق بالإمرة من عثمان ، وعثمان معتدٍ في ولايته ما ليس له . فأنكروا عليه وأظهروا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر . فافتُتن به بشرٌ كثيرٌ من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، فتمالؤوا على ذلك ، وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان ، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة . فدخل هذا في قلوب كثير من الناس ، فجمع عثمان بن عفان نوّابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له ، فالله أعلم .

وقال الواقدي[١] فيما رواه عن عبد الله بن محمد ، عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس (بالمقالة) على عثمان بن عفان ونالوا منه[٢] أقبحَ ما نيل من أحد ، فكلَّم الناس علي (بن أبي طالب) أن يدخلَ على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إنَّ الناس (ورائي و) قد كلَّموني فيك ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلُّكَ على أمرٍ لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وما خُصصنا بأمورٍ خَفيَ عنك إدراكُها ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره ، (وما ابن أبي قحافة بأولى بعملِ الحقِّ منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيءٍ من الخيرِ منك ، وإنك أقربُ إلى رسول الله ﷺ رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا ، ولا سبقاك إلى شيء) ، فاللهَ اللهَ في نفسك ، فإنَّك واللهِ ما تُبصرُ من عَمىً ، ولا تعلمُ من جَهْلٍ . وإنَّ الطريقَ لواضحٌ بيّنٌ ، وإن أعلام الدين لقائمةٌ ، تعلَّم يا عثمان أن أفضلَ عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ ، هُديَ وهَدَى ، فأقام سُنّة معلومةً ، وأماتَ بدعةً معلومةً ، فوالله إن كُلاً لبيّنٌ ، وإن السنن لقائمةٌ لها أعلامٌ ، وإن البدعَ لقائمةٌ لها أعلامٌ ، وإن شرَّ الناس عندَ الله إمام جائر ضل وأضل به فأمات سنةً معلومة وأحيا بدعةً متروكةً ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤتى يومَ القيامة بالإمام الجائر ، وليس معه نصير ولا عاذر[٣] ، فيُلْقى في جهنم ، فيدورُ فيها كما تدورُ الرَّحا ، ثمَّ يرتطم في غمرة جهنَّم »[٤] وإنِّي أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته ، فإن عذابه أليم شديد ، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه كان يُقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس أمورها عليها ، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرحون فيها مرحاً . فقال عثمان : قد والله علمتُ لتقولن الذي قلت ، (أما والله) لو كنت مكاني ما عنفتك

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٣٦) .

(٢) في أ : لما كان سنة أربع وثلاثين كثر الناس على عثمان ونالوا منه .

(٣) مكان اللفظة بياض في أ بقدر ثلاث كلمات .

(٤) هو من رواية الواقدي ، وهو متروك عند المحدثين .

(ولا أسلمتك) ، ولا عبث[١] عليك ، ولا جئت منكراً ، إني وصلتُ رحماً ، وسددتُ خلة ، وآويتُ ضائعاً ، ووليت شبيهاً بمنْ كان عمرُ يُولِّي ، أنشدك الله يا علي هل تعلم أنَّ المغيرةَ بن شعبة ليس هناك ؟ قال : نعم ! قال : فتعلمُ أن عمرَ ولاه ؟ قال : نعم ! قال : فلم تلوموني[٢] أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته[٣] ؟ فقال علي : سأخبرك أنَّ عمر كان كلما ولى أميراً[٤] فإنما يطأ على صماخيه[٥] ، وأنه (إن) بلغه حرف جاء به ، ثمَّ بلغ به أقصى الغاية في (العقوبة) ، وأنت لا تفعل ، ضعفت ورفقت[٦] على أقربائك . فقال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال علي : لعمري[٧] إنَّ رحمَهم مني لقريبةٌ ، ولكنَّ الفضلَ في غيرهم . قال عثمان : هل تعلمُ أنَّ عمرَ ولَّى معاويةَ خلافته كلَّها ، فقد وليتُه ، فقال عليٌّ : أنشدك (الله) هل تعلم أن معاوية كان أخوفَ من عمر من يَرْفأ غلام عمرَ منه ؟ قال : نعم! قال علي : فإنَّ معاويةَ يقطعُ الأمورَ دونك (وأنت تعلمها) ويقول للناس : هذا أمر عثمان ، فليبلغك[٨] (فلا تنكر) ولا تغير على معاوية ثم خرج عليّ من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر [فخطب الناس][٩] فوعظ وحذَّر وأنذرَ ، وتهدَّد وتوعد ، وأبرقَ وأرعدَ ، فكان فيما قال : ألا فقد (والله) عبتُم عليَّ بما أقررتُمْ به لابن الخطّاب ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم[١٠] بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كتفي ، وكففتُ يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليَّ ، أما واللهِ لأنا أعزُّ نفراً وأقربُ ناصراً وأكثرُ عدداً وأقْمن ، إن قلت : هلمّ إليّ إليّ ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلتُ عليكم فضولاً ، وكشرت لكم عن نابي ، فأخرجتم مني خُلُقاً لم أكن أُحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفّوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم ، فإنّي قد كففتُ عنكم منْ لو كان هو الذي يليكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ، ألا فما تفقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ، ثمّ اعتذر عما كان يعطي أقرباءه[١١] بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم والله حكَّمنا بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر : [من الطويل]

---

(١) في أ : ولا بحثت عليك .
(٢) في أ : قال يلومونني أن .
(٣) مكان اللفظة بياض في أ بقدر كلمة أو كلمتين .
(٤) في أ : أن عمر كان كل من ولى فإنما يطأ .
(٥) الصماخ هنا بمعنى الأذن . اللسان (صمخ) .
(٦) في أ : وزققت .
(٧) في أ : فقال علي : أجل إن رحمهم .
(٨) الأصوب أن يقال : فيبلغك .
(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من ط .
(١٠) في أ : وقهركم ، وكذلك في تاريخ الطبري (٤/ ٣٣٨) .
(١١) في أ : أقاربه .

فرشنا لكم أعراضنا فَنَبَتْ بكمْ   مغارسُكُم[١] تبنونَ في دِمنِ الثرى

فقال عثمان : اسكت لا سكتَّ ، دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا[٢] ، ألم أتقدَّمْ إليكَ أن لا تنطق . فسكتَ مروان ونزل عثمان رضي الله عنه .

وذكر سيف بن عمر[٣] وغيره : أن معاوية لما ودّعه عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فإنهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء . فقال : لا أختار بجوار رسول الله ﷺ سواه . فقال : أجَهِّز لك جيشاً من الشام يكونون[٤] عندك ينصرونك ؟ فقال : إني أخشى أن أضيِّق بهم بلد رسول الله ﷺ على أصحابه من المهاجرين والأنصار . قال معاوية : فو الله يا أمير المؤمنين لتُغْتالن ـ أو قال : لتُغْزَين ـ فقال عثمان : حسبي الله ونعم الوكيل .

ثم خرج معاوية من عنده وهو مُتقلِّدٌ السيفَ وقوسُه في يده ، فمرّ على ملأ من المهاجرين (والأنصار) ، فيهم علي بن أبي طالب ، وطلحة ، والزبير ، فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلَّم بكلام بليغ يشتمل[٥] على الوصاة بعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه ، ثُمَّ انصرف ذاهباً . فقال الزبير : ما رأيتُه أهيبَ في عيني من يومه هذا .

وذكر ابنُ جرير[٦] أن معاوية استشعر الأمر لنفسه من قدمته هذه إلى المدينة ، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز في أيام الموسم في هذا العام وهو يقول : [من الرجز]

قَدْ علمتْ ضَوامرُ المَطيِّ   وضمَّـراتُ عَـوَجِ القِسـيِّ

أنَّ الأميـرَ بَعْـدهُ علـيُّ   وفـي الـزُّبَيْـرِ خَلَفٌ رَضِـيُّ

وطلحةُ الحافي لها وليُّ

[فقال كعب الأحبار وهو يسير خلف عثمان : والله إن الأمير بعده صاحب البغلة الشهباء . وأشار إلى معاوية][٧] فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك في نفسه ، حتى كان ما كان على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

---

(١) في أ : وتاريخ الطبري (٤/ ٣٣٩) : معارسكم .
(٢) في أ : وما منطقك وبعدها بياض بقدر كلمة واحدة .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .
(٤) في أ : يكون .
(٥) في أ : مشتمل .
(٦) في تاريخه (٤/ ٣٤٣) .
(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من أ ، وهي موافقة لما عند الطبري .

قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة مات :

أبو عبس بن جبير[٢] بالمدينة وهو بدري .

ومات أيضاً مسطح بن أثاثة[٣]

وعاقل بن البكير[٤]

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ففيها مقتل عثمان [بن عفان رضي الله عنه][٥]

وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولَّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص ، (مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلَّموا بسوء في خليفة ولا أمير) .

فما زالوا حتى شكوه[٦] إلى عثمان لينزعه عنهم ويُوَلِّي عليهم من هو أليَنُ منه . فلم يزل ذلك دأبُهم حتى عزل عَمراً[٧] عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولَّى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح . ثمَّ سَعَوْا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما ، حتى كان بينهما كلامٌ قبيحٌ . فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر ، خراجها (وحربها) وصلاتها ، وبعث إلى عمرو يقول له : لا خير لك في المقام[٨] عند من يكرهك ، فاقدم إليَّ ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر عظيم وشر كبير ، فكلَّمه فيما كان من أمره بنفس ، وتقاولا في ذلك ، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على

---

(١) في تاريخه (٤/ ٣٣٩) .
(٢) تحرفت في ط إلى : جبير ، وهو عبد الرحمن بن جبر بن عمرو . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٨) .
(٣) ترجمة ـ مسطح بن أثاثة ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦) وأسد الغابة (٥/ ٥٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٨٧) والإصابة (٣/ ٤٠٨) .
(٤) تحرف في ط إلى غافل ، وترجمة ـ عاقل بن البكير ـ في الطبقات (٣/ ٢٨٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٨٥) والإصابة (٢/ ٢٤٧) .
(٥) زيادة من أ .
(٦) في أ : فجعلوا يعملون عليه حتى شكوه .
(٧) في أ : عمرو بن العاص .
(٨) في أ : يقول إنه لا خير لك في الإقامة .

عثمان[١] ، وأنه كان أعز منه . فقال له عثمان : دَعْ هذا فإنّه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلِّبُ الناسَ على عثمان . وكان بمصر جماعة يبغضون[٢] عثمان ويتكلَّمون فيه بكلام قبيحٍ على ما قدمنا ، وينقمون عليه (في عزله جماعة من عليّة) الصحابة وتوليته من دونهم ، أو منْ لا يصلح عندهم للولاية . وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتحه بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلِّبون الناس على حربه والإنكار عليه ، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، حتى استنفر[٣] نحواً من ستمئة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب ، لينكروا على عثمان ، فساروا إليها تحت أربع رفاق[٤] ، وأمرُ الجميع إلى عمرو بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي ، وعبد الرحمن بن عُدَيْس (البلوي ، وكنانة بن بشر) التُّجيبي ، (وسُودان بن حُمْران السَّكُوني) . وأقبل معهم محمد بن أبي بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبي حُذَيْفة يُؤَلِّبُ الناسَ ويدافع عن هؤلاء (وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء) القوم إلى المدينة مُنْكرين عليه في صفة مُعْتمرين .

فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي[٥] بن أبي طالب أن يخرجَ إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . ويقال : بل ندب الناس إليهم ، فانتدب علي لذلك فبعثه ، وخرج معه جماعة الأشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر . فقال علي لعمار فأبى عمار أن يخرج معه ، فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرِّضه على الخروج مع علي إليه ، فأبى عمار كلَّ الإباء ، وامتنع أشدَّ الامتناع ، وكان متعصباً على عثمان بسبب (تأديبه له فيما تقدم على أمر وضربه إياه في ذلك ، وذلك بسبب) شتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب ، فأدبهما عثمان ، فتآمر عمّارٌ عليه لذلك ، وجعل يحرِّضُ الناسَ عليه ، فنهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه ، فلم يُقْلِعْ عنه ولم يرجع ولم ينزع ، فانطلق علي بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة ، وكانوا يعظمونه ويبالغون[٦] في أمره ، فردَّهم وأنَّبهم وشَتَمهم ، فرجعوا على أنفسهم بالملامة ، وقالوا : هذا الذي تحاربون الأمير بسببه ، وتحتجون عليه[٧] به . ويقال إنه ناظرهم في عثمان ، وسألهم ماذا ينقمون[٨] عليه ، فذكروا أشياء منها أنه حمى

---

(١) في أ : على أبي عثمان .
(٢) في أ : ينقصون .
(٣) في أ : استنفروا .
(٤) في أ : أربع رايات . وفي تاريخ الطبري (٤/٣٤٨) : أربع رفاق في أربعة أمراء .
(٥) في أ : علياً رضي الله عنه .
(٦) في أ : ويتغالون .
(٧) في أ : عليهم .
(٨) في أ : ينقمون .

الحمى[١] ، وأنَّه حرقَ المصاحف وأنّه أتم الصلاة ، وأنه ولّى الأحداث (الولايات وترك الصحابة الأكابر) وأعطى[٢] بني أمية أكثر من الناس .

فأجاب علي[٣] عن ذلك : أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ، ولم يَحْمِهِ لإبله ولا لغنمه ، وقد حماه عمر من قبله . وأما المصاحفُ فإنّما حرق ما وقع فيه اختلاف ، وأبقى لهم المتفق عليه ، كما ثبت في العرضة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فإنه كان قد تأهَّلَ بها ونوى الإقامة فأتمها ، أما توليته الأحداث فلم يولِّ إلا رجلاً سوياً عدلاً ، وقد ولَّى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد (على مكة) وهو ابن عشرين (سنة) ، وولَّى أسامةَ بن زيد بن حارثة ، وطعن[٤] الناس في إمارته فقال : « إنه لخليقٌ بالإمارة »[٥] وأما إيثارُهُ قومَه بني أمية فقد كان رسول الله ﷺ يُؤْثِر قريشاً على الناس ، ووالله لو أن مفتاحَ الجنة بيدي لأدخلتُ بني أمية إليها . ويقال : إنهم عتبوا عليه في عمّارٍ ومحمد بن أبي بكر ، فذكر عثمان عذره في ذلك ، وأنه أقام فيهما[٦] ما كان يجب عليهما .

وعتبوا عليه في إيوائه الحَكم بن أبي العاص ، وقد نفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله ﷺ كان قد نفاه إلى الطائف ثمَّ ردَّه ، ثمَّ نفاه إليها ، قال : فقد نفاه رسول الله ﷺ ثم رَدَّه .

وروي أنَّ عثمان خطب الناس بهذا كلِّه بمحضرٍ من الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له ، ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت[٧] الأعذار ، وانزاحت عللهم ، ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم فصفح عنهم [وتركهم] ، رضي الله عنه . وردَّهم إلى قومهم ، فرجعوا خائبين من حيث أتوا ، ولم ينالوا شيئاً مما كانوا أمَّلوا وراموا ، ورجع عليٌّ إلى عثمان ، فأخبره برجوعهم عنه ، وسماعهم منه ، وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبةً يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقاربه ، ويشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله[٨] ، وأنه لا يحيد عنها ، كما كان الأمر أولاً في مدة ست سنين الأُول ، فاستمع عثمان هذه النصيحة ، وقابلها بالسمع والطاعة .

ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه في أثناء الخطبة ، وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب

---

(١) في ط : أنه في الحمى .
(٢) في أ : وأنه أعطى .
(٣) في أ : عثمان .
(٤) في أ : فطعن .
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠) والبخاري في صحيحه (٣٧٣٠) في الفضائل ، ومسلم في صحيحه (٢٤٢٦) (٦٣) في المناقب .
(٦) في أ : فإنه أقام فيها .
(٧) تمهيد العذر : بسطه وقبوله .
(٨) في أ : سيرة الشيخين فيه .

إليك ، اللهم إني أول تائب مما كان مني ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنه قد سبل[١] بابه لمن أراد الدخول عليه ، لا يمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلّى بالناس ثمَّ دخل منزله ، وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال ، لا يمنع أحد من ذلك مدة .

قال الواقدي : فحدَّثني علي بن عمر ، عن أبيه قال : ثمَّ إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاماً يسمعه[٢] الناس منك ويشهدون عليك ، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة ، فإن البلاد قد تمخضت عليك ، ولا آمن ركباً آخرين[٣] يقدمون من قبل الكوفة ، فتقول : يا علي اركب إليهم ، ويقدم آخرون من البصرة فتقول : يا علي اركب إليهم ، فإن لم أفعل قطعت رحمك واستخففت بحقك . قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعلم الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فوالله ما عاب من عاب شيئاً أجهله ، وما جئتُ شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضلَّ رشدي ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زلَّ فليتبْ ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتمادى في الهلكة ، إن من تمادى في الجور كان أبعد عن الطريق »[٤] فأنا[٥] أولُ من اتَّعظَ ، أستغفر الله مما فعلتُ وأتوبُ ، فمثلي نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فوالله لأكوننَّ كالمرقوق إن مُلِكَ صبر ، وإن عُتِقَ شكر ، وما عن الله مذهبٌ إلا إليه .

قال : فرقَّ الناسُ له [يومئذٍ][٦] وبكى منْ بكى ، وقام إليه سعيد بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ! الله الله في نفسك ! فأتمم على ما قلت . فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعةً من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتكلم يا أمير المؤمنين أم أصمت ؟ فقالت امرأة عثمان ـ نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ من وراء الحجاب : بل اصمت ، فو الله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لا ينبغي النزوع عنها . فقال لها : وما أنت وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن (أن) يتوضَّأ . فقالت له : دع (ذكر) الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان . وقال لعثمان : يا أمير المؤمنين أتكلَّم أم أصمت ؟ فقال له عثمان : بل تكلّم ؛ فقال مروان : بأبي أنت وأمي ، لوددتُ أنَّ مقالتك هذه كانت وأنت ممتنعٌ[٧]

---

(١) سَبَّلْتُ الشيء إذا أبحته كأنك جعلت إليه طريقاً مطروقة . اللسان (سبل) .
(٢) في ط : تسمعه .
(٣) في أ : آخر .
(٤) هو من رواية الواقدي ، وهو متروك عند المحدِّثين .
(٥) في أ : وأنا .
(٦) زيادة عن تاريخ الطبري (٤/ ٣٦١) .
(٧) في ط : ممنع ، وما هنا عن أ وتاريخ الطبري (٤/ ٣٦٢) .

منيعٌ ، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ما قلت حين جاوز[١] الحزام الطُّبْيَيْن ، وبلغ[٢] السيلُ الزُّبَى ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لإقامةٌ على خطيئةٍ يُسْتَغفَرُ منها ، خيرٌ من توبة خُوِّفَ عليها ، وإنك لو شئت لعزمت[٣] التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : (قم) فاخرج إليهم فكلّمهم ، فإني أستحيي أن أكلمهم .

قال : فخرج مروان إلى الباب ، والناسُ يركب بعضهم بعضاً ، فقال : ما شأنكم كأنكم قد جئتم لنهب ، شاهت[٤] الوجوه (كل إنسان آخذ بأُذن صاحبه) إلا من أريدَ ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، اخرجوا عنا ، (أما والله لئن رمتمونا)[٥] ليمرَّن عليكم أمرٌ يسوؤكم ولا تحمدوا غبّه ، ارجعوا إلى منازلكم ، فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا .

قال : فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر ، فجاء علي مغضباً حتى دخل على عثمان ، فقال : أما رضيتَ من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟! وإن مثلك مثل جمل الظعينة[٦] سار حيث يسار به ، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه ، وايم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك[٧] ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبتَ سوقك[٨] ، وغُلبت على أمرك .

فلما خرج عليٌّ دخلت نائلةُ على عثمان فقالت : أتكلَّم أو أسكت ؟ فقال : تكلَّمي ، فقالت : [قد] سمعتُ قولَ عليٍّ أنه ليس يعاودك ، وقد أطعتَ مروان [يقودك][٩] حيث شاء ، قال : فما أصنع ؟ قالت : تَتَّقي اللهَ وحده لا شريك له ، وتتَّبع سُنَّةَ صاحِبَيْكَ من قبلك ، فإنك متى أطعت مروان قَتَلَك ومروان ليس له عند أحدٍ[١٠] قدرٌ ولا هَيْبَةٌ ولا محبةٌ ، فأرسلْ إلى علي فاستصلحه فإن له قرابةً منك وهو

---

(١) في أ : بلغ ، والروايتان واردتان للمثل : انظر معجم الأمثال العربية لرياض عبد الحميد مراد (١/ ٢٠١ و٣٧٧ و٤٤٢) وفيه ذكر لمصادر المثل ، ويضرب هذا المثل للأمر يبلغ غايته في الشدّة والصعوبة ، وهو أيضاً في جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٢٢٠) .

(٢) في أ : وخلف ، والمثل في معجم الأمثال العربية (١/ ٢٢) وفيه ذكر لمصادره : ويضرب أيضاً للأمر يبلغ غايته في الصعوبة والشدة .

(٣) في أ : تقريب التوبة ، وما هنا موافق للطبري (٤/ ٣٦٢) .

(٤) شاهت الوجوه : قبحت . اللسان (شوه) .

(٥) مكان القوسين بياض في أ بقدر ثلاث كلمات .

(٦) الظعينة : الهودج تكون فيه المرأة أو لا تكون . اللسان (ظعن) .

(٧) الصَّدَر نقيض الوِرْد ومعناه الرجوع ، ويقال للذي يبتدىء أمراً ثم لا يتمّه يورد ولا يُصْدر . اللسان (صدر) .

(٨) كذا في أ ، ط وفي تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٢) : شرفك ؛ ولعلها هي الأشبه .

(٩) الزيادة عن تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٢) .

(١٠) في ط : عند الله ، وفي تاريخ الطبري : عند الناس .

لا يُعصى . قال فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه ، وقال : قد أعلمته أني لست بعائد .

قال : وبلغ مروان قول نائلة (فيه فجاء إلى عثمان فقال : أتكلَّم أو أسكت ؟ فقال : تكلّم ، فقال : إن نائلة) بنت الفرافصة . ـ فقال[١] عثمان لا تذكرها بحرف فأسوِّىء[٢] لك وجهك ، فهي والله أنصح لي منك . (قال : فكف مروان) .

ذِكْرُ مجيء الأحزابِ إلى عثمان للمرَّةِ الثانية من مصر [وغيرها في شوال من هذه السنة]

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان ، وغضب علي على عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغير (ولم يسلك سيرة صاحبيه) فكاتب أهل مصر وأهل الكوفة و(أهل) البصرة وتراسلوا ، وزُوِّرتْ كتبٌ على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان عليٍّ وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونُصرة الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم .

وذكر[٣] سيف بن عمر التميمي عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر في أربع رِفاق على أربعة أمراء ، المُقَلِّلُ لهم يقول ستمئة ، والمُكْثِرُ يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوي . وكنانة بن بشر اللَّيْثي[٤] ، وسُودان بن حُمْران السَّكوني ، وقُتَيْرةُ[٥] السَّكوني ، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العَكّي ، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً ، ومعهم ابن السوداء ـ وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قوليةً وفعليةً ، قبحه الله ـ وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق (أيضاً) ، وأمراؤهم : زيد بن صُوحان ، والأشتر النَّخعي ، وزياد بن النَّضْر الحارثي ، وعبد الله بن الأصمّ ، وعلى الجميع عمرو بن الأَصَمّ . وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضاً في أربع رايات مع حُكَيْم بن جَبَلَة العَبْدي ، وبشر بن شُرَيْح بن ضُبَيْعة القيسي ، وذَريح بن عباد العبدي ، وعليهم كلّهم حرقوص بن زهير السعدي ، وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب ، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزُّبير ، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة . لا تشكّ كلّ فرقةٍ أن أمرها سيتمّ ، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا في كتبهم ، في شهر شوال فنزل طائفة منهم بذي خُشُبٍ ، وطائفة بالأعْوَص ، والجمهور بذي المروَة ، وهم على وجل من أهل المدينة ، فبعثوا قصَّاداً وعيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس

---

(١) في أ : فقال له .

(٢) في ط : فأسوء إلى وجهك .

(٣) في أ : وأنه أكبر الجهاد البر ، وقال سيف . . والخبر في تاريخ الطبري (٣٤٨/٤) .

(٤) في تاريخ الطبري : التجيبي . وقد تقدم .

(٥) في تاريخ الطبري : قتيرة بن فلان السَّكوني .

أنهم [إنما] جاؤوا للحجّ لا لغيره ، وليستعفوا هذا الوالي من بعض عماله ، ما جئنا إلا لذلك ، واستأذنوا للدخول[١] ، فكُلُّ الناس أبى دخولهم ونهى عنه ، فتجاسروا واقتربوا من المدينة ،وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في[٢] عسكر عند أحجار الزيت[٣] ، عليه حلّة أفواف[٤] ، معتم بشُقَيْقَةٍ[٥] حمراء يمانية ، متقلداً السيف وليس عليه قميص .

وقد سَرَّحَ[٦] ابنَه الحسنَ إلى عثمان فيمن اجتمع إليه ، فسلّم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خُشُبٍ ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فارجعوا لا صبَّحكم الله ، قالوا : نعم ! وانصرفوا من عنده على ذلك ، وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب ـ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان ـ فسلّموا عليه فصاح بهم واطّردهم وقال لهم كما قال عليّ لأهل مصر ، وكذلك كان ردّ الزُّبير على أهل الكوفة ، فرجع كل فريق (منهم) إلى قومهم ، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم ، وساروا أياماً راجعين ، ثم كرّوا عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها ، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان وقالوا للناس : منْ كفَّ يده فهو آمنٌ ، فكفَّ الناسُ ولزموا بيوتَهم ، وأقام الناسُ على ذلك أياماً . هذا كلُّه ولا يدري (الناس) ما القوم صانعون ، ولا على ما هم عازمون ، وفي كل ذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه يخرج من داره فيصلّي بالناس ، فيصلّي وراءه أهلُ المدينة وأولئك الآخرون ، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على رجوعهم ، حتى قال علي لأهل مصر : ما رَدَّكُم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ فقالوا : وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا ـ وكذلك قال البصريون لطلحة ، والكوفيون للزبير . وقال أهل كل مصر : إنما جئنا[٧] لننصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمتم بذلك من أصحابكم ، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضعوه على ما أردتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا ونحن نعتزله ـ يعنون (أنه) إن نزل عن الخلافة تركوه آمناً ـ وكان المصريون فيما ذ كر ، لما رجعوا إلى بلادهم[٨] وجدوا في الطريق بريداً يسير ،

---

(١) في أ : واستأذنوا في الدخول .
(٢) في أ : وهو على عسكر .
(٣) أحجار الزيت : موضع بالمدينة قريب من الزوراء ، وهو موضع صلاة الاستسقاء . معجم البلدان (١/ ١٠٩) .
(٤) في أ : حلّة أثواب ، والفوف : ضرب من برود اليمن . وفي حديث عثمان : خرج وعليه حلة أفواف . الأفواف جمع فوف وهو القطن ،وواحدة الفوف : فوفة ، يقال برد أفواف وحلةٍ أفواف . اللسان (فوف) .
(٥) الشُّقة : جنس من الثياب ، وتصغيرها شُقَيقة ، وقيل هي نصف ثوب . اللسان (شقق) .
(٦) في ط : أرسل ، وهما بمعنى . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٠) .
(٧) في أ : رجعنا .
(٨) في أ : بلدتهم .

فأخذوه ففتشوه ، فإذا معه في إداوة كتاباً[١] على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة (منهم) ، وبصلب آخرين ، وبقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم ، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان ، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جَمَله ، فلما رجعوا جاؤوا بالكتاب وداروا به على الناس ، فكلَّم الناسُ أميرَ المؤمنين في ذلك ، فقال بيِّنةٌ عليَّ بذلك وإلا فوالله لا كتبت[٢] ولا أمليت ، ولا دريت بشيء من ذلك ، والخاتم قد يزوّر على الخاتم ، فصدَّقه الصادقون في ذلك ، وكذَّبه الكاذبون .

ويقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سَرْح ، ويُولِّي محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا[٣] ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر [وآخرين معه] فرجعوا[٤] وقد حنقوا عليه حنقاً شديداً ، وطافوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس .

وروى ابن جرير[٥] من طريق محمد بن إسحاق ، عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السُّلمي ، على جَمَلٍ لعثمان .

وذكر ابن جرير[٦] من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه، وهذا كذب على الصحابة، وإنما كُتبت كتبٌ مزورةٌ عليهم، كم كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها ، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً ، فإنه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً . واستمرّ عثمان يصلّي بالناس في تلك الأيام كلها ، وهم أحقر في عينه من التراب ، فلمّا كان في بعض الجمعات وقام على المنبر ، وفي يده العصا التي كان يعتمد عليها رسول الله ﷺ في خطبته ، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده ، فقام إليه رجل من أولئك فسبَّه ونال منه ، وأنزله عن المنبر ، فطمع الناس فيه من يومئذ ، كما قال الواقدي[٧] : حدَّثني أسامة بن زيد ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، قال : بينا أنا أنظر إلى عثمان [يخطب] على عصا النبي ﷺ التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر ، فقال له جهجاه : قم يا نعثل[٨] فانزل عن هذا المنبر ، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها (فيها) فبقي الجرح حتى أصابته الأَكَلَة ، فرأيتها تدوِّد ،

---

(١) الصواب أن يقال : كتاب .
(٢) في أ : ما كتبت .
(٣) في أ : فلما رجعوا وجدوا .
(٤) في الأصل : فأجابهم إلى ذلك ، وهي مكررة .
(٥) تاريخه (٤/ ٣٦٣) .
(٦) المصدر نفسه (٤/ ٣٦٩) .
(٧) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .
(٨) « نعثل » : رجل من أهل مصر ، كان طويل اللحية ، قيل إنه كان يشبه عثمان رضي الله عنه ، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شُبِّه بهذا الرجل المصري لطول لحيته ، ولم يكونوا يجدون فيه عيباً غير هذا . اللسان (نعثل) .

فنزل عثمان (وحملوه) وأمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خَرْجَة أو خرجتين ، حتى حُصِر فقتل .

قال ابن جرير : وحدَّثنا أحمد بن إبراهيم ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع : أنَّ الجهجاه الغِفاري أخذ عصاً كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته ، فرُمي في ذلك المكان بأَكَلَةٍ .

وقال الواقدي[١] : وحدَّثني ابن أبي الزناد ، عن موسى بن عُقْبة ، عن أبي حَبيبة قال : خطب عثمان الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت نهابير[٢] وركبناها معك ، فتُبْ نَـتُبْ (معك) . فاستقبلَ عثمانُ القبلةَ وشهرَ يديه .

قال أبو حبيبة : فلم أرَ يوماً أكثر باكياً ولا باكيةً من يومئذ . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح (إليه) : يا عثمانُ ألا إن هذه شارف[٣] قد جئنا بها عليها عباءةوجامعة[٤] ، فانزل فلندرجك في العباءة ولنَطْرَحكَ في الجامِعَةِ ولنَحْملْكَ على الشَّارِفِ ثم نَطْرحكَ في جبل الدخان . فقال عثمان : قبَّحكَ اللهُ وقبَّح ما جئتَ به ، ثمّ نزل عثمان . قال أبو حبيبة : وكان آخر يومٍ رأيتُه فيه .

وقال الواقدي : حدَّثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد . قال : كان أول من اجترأ على عثمان بالنُّطْقِ السيِّء جَبَلة بن عمرو الساعدي ؛ مرَّ به عثمان وهو في نادي قومه ، وفي يد جبلة جامعة ، فلما مرَّ عثمان سلَّم فردَّ القومُ ، فقال جبلة : لم تردُّون عليه ؟ رجل قال كذا وكذا ، ثمّ أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحنَّ هذه الجامعة في عنقكَ أو لتتركنَّ بطانتك هذه ، فقال عثمان : أيّ بطانة ؟ فوالله [إني] لأتخيَّر الناسَ ، فقال : مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز تخيرته ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ تخيرته ، منهم من نزل القرآن بذمّه ، وأباح رسول الله ﷺ دمه ، قال فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

قال الواقدي : وحدَّثني محمد بن صالح ، عن عبيد الله بن رافع بن نقاخة ، عن عثمان بن الشَّريد . قال : مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعديّ وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال يا نَعْثَلُ ! والله لأقتلنَّك ولأحملنَّك على قَلوصٍ جَرْباء ، ولأخرجنَّك إلى حرَّةِ النارِ . ثمّ جاءه مرةً أخرى ، وعثمانُ على المنبر فأنزله عنه .

وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلَّى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال في خطبته : يا هؤلاء الغرباء ! الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٦) .

(٢) النهابر والنهابير : المهالك . القاموس .

(٣) الشارف من الإبل : المسنّ أو المسنّة . اللسان (شرف) .

(٤) الجامعة : القيد .

فامحوا الخطأ[١] بالصواب ، فإنَّ الله لا يمحو السيِّء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقام زيد بن ثابت فقال : إنه في الكتاب . فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي مريرة[٢] فأقعده وقال : يا نطع ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكـر ، ومحمد بن جعفر ، وعمـار بن ياسر .

وأقبل علي وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودونه ويشكون إليه بثَّهم وما حلَّ بالناس ، ثمّ رجعوا إلى منازلهم ، واستقبل جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت في المحاربة عن عثمان ، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضي الله ما يشاء .

ذكر[٣] حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

لما وقع ما وقع يومَ الجمعة ، وشُجَّ أميرُ المؤمنين عثمانُ ، وهو في رأس المنبر ، وسقط مغشياً عليه ، واحتملَ إلى داره وتفاقم الأمرُ ، وطمع فيه أولئك الأجلافُ الأخلاطُ من الناس ، وألجؤوه إلى داره وضيَّقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ولزم كثيرٌ من الصحابة بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير ـ وكان أمير الدار ـ وعبد الله بن عمرو ، وصاروا يحاجّون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فإنهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه ، أو يسلِّم إليهم مروانَ بن الحكم ، ولم يقع في خلد أحد أن القتل كان في نفس الخارجين[٤] ، وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلاً في أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكلية في آخره ، وكان يصلي (بالناس) في هذه الأيام الغافقي بن حرب . وقد استمر الحصر[٥] أكثر من شهر . وقيل أربعين يوماً . حتى كان آخر ذلك أنْ قُتلَ شهيداً رضي الله عنه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

والذي ذكره ابن جرير أنَّ الذي كان يصلِّي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور ، طلحة بن عبيد الله[٦] .

وروى الواقديّ أن علياً صلى أيضاً ، وصلى أبو أيوب ، وصلى بهم سهل بن حُنَيْف ، وكان يجمع

---

(١) في أ : الخطايا .
(٢) في أ : مرة .
(٣) في أ : صفة حصر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه .
(٤) في أ : أن يقتل كما كان في أنفس أولئك الخارجين عليه .
(٥) في أ : الحصار .
(٦) بعدها في ط : « وفي صحيح البخاري عن » . وفي هامشه إشارة إلى هذا الانقطاع .

بهم علي ، وهو الذي صلّى بهم بعد[١] ، وقد خاطب الناس في غبوب ذلك بأشياء ، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا بهز ، حدَّثنا أبو عوانة ، حدَّثنا حصين ، عن عمرو بن جاوان قال : قال الأحنف : انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة ، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال : الناس [من فزع] (في المسجد) ، فانطلقتُ أنا وصاحبي ، فإذا الناسُ مجتمعون على نفرٍ في المسجد ، قال : فتخللتهم حتى قمت عليهم ، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي ، فقال : هاهنا علي ؟ قالوا : نعم ! قال : هاهنا الزبير ؟ قالوا نعم ! قال : هاهنا طلحة ؟ قالوا : نعم ! قال : هاهنا سعد (بن أبي وقاص) ؟ قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له » فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إني قد ابتعته ، فقال : « اجعله في مسجدنا وأجره لك » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من يبتاع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إني (قد) ابتعتُها ـ يعني بئر رومة ـ قال : « اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك »[٣] قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العُسْرة فقال : « من يجهز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال[٤] : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثم انصرف .

ورواه النسائي[٥] من حديث حصين وعنده : إذ جاء عثمان[٦] وعليه ملاءة صفراء .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[٧] : حدَّثني عبيد الله[٨] بن عمر القواريري ، حدَّثني القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري ، حدَّثني أبو عبادة الزُّرقي الأنصاري ، من أهل المدينة ، عن زيد بن أسلم عن أبيه . قال : شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ، ولو أُلْقي حجرٌ لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيتُ عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها

---

(١) في أ : صلّى بهم العيد .
(٢) مسند أحمد (١/ ٧٠ ـ ٧١) وهو حديث صحيح بطرقه .
(٣) في ط : « ولك أجرها » ، وما هنا من أ ومسند أحمد .
(٤) في ط : « فقال » وما هنا من أ ومسند أحمد .
(٥) السنن الكبرى (٦/ ١٤١) في وقف المساجد رقم (٦٤٣٣) .
(٦) في ط : « رجل » وما هنا من أ وسنن النسائي .
(٧) مسند أحمد (١/ ٧٥) وإسناده ضعيف .
(٨) في المطبوع : عبد الله ، والتصحيح من كتب الرجال .

الناس : أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة[١] ؟ فقام طلحة بن عبيد الله ، فقال له عثمان : ألا أراك هاهنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي إلى آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبني ؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ، ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله ﷺ : « يا طلحة إنه ليس من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا (يعنيني) رفيقي معي في الجنة » فقال طلحة : اللهم نعم ! ثم انصرف ، لم يخرجوه .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدَّثنا هلال بن حِقّ[٣] ، عن الجريري ، عن ثمامة بن حَزْن[٤] القشيري . قال : شهدت الدار يوم أصيب عثمان ، فأطلع عليهم اطلاعة ، فقال ادعوا لي صاحبيكم اللذين ألبّاكم عليَّ ، فدعيا له ؛ فقال : أنشدكما الله أتعلمان[٥] أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله ، فقال : مَنْ يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين ، وله خير منها في الجنة » ؟ فاشتريتُها من خالص مالي ، فجعلتُها بين المسلمين ، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا (بئر) رومة فقال رسول الله ﷺ : « منْ يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين ، وله خير منها في الجنة » ؟ فاشتريتُها من (خالص) مالي ، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أني صاحب جيش العُسْرة ؟ قالوا : اللهم نعم ! .

وقد رواه الترمذي[٦] : عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي[٧] وعباس الدُّوري وغير واحد .

وأخرجه النسائي[٨] : عن زياد بن أيوب كلهم عن سعيد بن عامر ، عن يحيى بن أبي الحجاج المنقري[٩] ، عن أبي مسعود الجُرَيري به ، وقال الترمذي : حسن صحيح[١٠]

---

(١) في أ : طلحة بن عبيد الله .
(٢) مسند أحمد (١/ ٧٤ ـ ٧٥) وإسناده حسن .
(٣) في الأصل والمطبوع : هلال بن إسحاق ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٤) في ط : جزء ؛ خطأ .
(٥) في أ : أتعلمون .
(٦) جامع الترمذي (٣٧٠٣) في المناقب .
(٧) في أ : الرازي .
(٨) السنن الكبرى (٦/ ١٤٣) رقم (٦٤٣٥) في وقف المساجد ، وفي المجتبى للنسائي رقم (٣٦٠٨) .
(٩) في أ : البصري ، وهو منقري بصري . ينظر تهذيب الكمال (٣١/ ٢٦٣) .
(١٠) هكذا نقل عن الترمذي ولا يصح ، فإن الإمام الترمذي اقتصر على تحسينه حسب ، كما في المطبوع منه ، وكما نص=

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[(١)] : حدَّثنا عبد الصمد[(٢)] ، حدَّثنا القاسم ـ يعني ابن الفضل[(٣)] ـ حدَّثنا عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : دعا عثمان رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم عمار بن ياسر ، فقال : إني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني ، نشدتكم[(٤)] الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان يُؤْثر قريشاً على الناس ، ويُؤْثر بني هاشم على سائر قريش ؟ فسكت القوم . فقال : لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم . فبعث (إلى) طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه ـ يعني (عماراً) ـ أقبلت مع رسول الله ﷺ . أخذ بيدي نتمشَّى في البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وهم يعذبون ، فقال أبو عمار : يا رسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال له النبي ﷺ : « اْصبر » ثم قال : « اللهم اْغفر لآل ياسر وقد فعلت » . تفرَّد به أحمد ولم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[(٥)] : حدَّثنا إسحاق بن سليمان ، سمعت مغيرة بن مسلم أبا سلمة[(٦)] يذكر عن مطرٍ ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور ، فقال : علام تقتلونني ؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث ، رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرَّجْمُ ، أو قتل عمداً فعليه القود[(٧)] ، أو ارتدَّ بعد إسلامه فعليه القتل » . فوالله ما زنيتُ في جاهليةٍ ولا إسلامٍ ، ولا قتلتُ أحداً فأُقيد نفسي[(٨)] منه ، ولا ارتددتُ منذ أسلمتُ ، إني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

رواه النسائي[(٩)] عن أحمد بن الأزهر ، عن إسحاق بن سليمان (به) .

= عليه المزي في تحفة الأشراف (٦/ ٥٣٦ من طبعة الدكتور بشار) . وفي إسناد الترمذي يحيى بن أبي الحجاج لين الحديث ، لكن تابعه هلال بن حق ، وهو صدوق ، فتحسن الحديث (بشار) .

(١) مسند أحمد (١/ ٦٢) وإسناده ضعيف لانقطاعه .
(٢) في أ : عبد الله ؛ خطأ .
(٣) في ط : المفضل ؛ وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٤) في أ : أنشدكم .
(٥) مسند أحمد (١/ ٦٣) وهو حديث حسن .
(٦) في ط : معاوية بن سلم أن سلمة ، خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٧) في ط : القتل ، وما هنا موافق للمسند .
(٨) القَوَد : القصاص ، وأقاد الأمير القاتل بالقتيل : قتله به قوداً . المصباح المنير (قود) .
(٩) سنن النسائي (٧/ ١٠٣) رقم (٤٠٥٧) .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا حماد بن زيد ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، قال : كنت مع عثمان في الدار ، وهو محصورٌ ، قال : وكُنَّا ندخل مدخلاً إذا دخلناه سمعنا كلامَ منْ على البلاط ، قال : فدخل عثمان يوماً لحاجته فخرج إلينا منتقعاً لونه ، فقال ، إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفاً . قال : فقلنا يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين ، قال : وبم يقتلونني ؟ فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس » فوالله ما زنيتُ في جاهليةٍ ولا إسلام قطُّ ، ولا تمنيتُ بدلاً بديني منذ هداني الله له ، ولا قتلتُ نفساً ، فبم يقتلونني ؟ .

وقد رواه أهل السنن الأربعة[٢] من حديث حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، حدَّثني أبو أمامة[٣] . زاد النسائي : وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالا : كنّا مع عثمان ، فذكره . (وقال الترمذي : حسن . وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه) .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا [أبو قطن] ، حدَّثنا يونس ـ يعني ابن أبي إسحاق ـ عن أبيه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : أشرف عثمان (من القصر) وهو محصور ، فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حِراء إذ اهتزَّ الجبل فركله[٥] بقدمه ثم قال : « اسكن حراءُ ، ليس عليكَ إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ » وأنا معه ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ [يوم] بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال : « هذه يدي وهذه يد عثمان »[٦] . فبايع لي ؟ فانتشد له رجالٌ . ثم أنشد بالله من شهدَ رسولَ الله ﷺ قال : « من يوسِّع[٧] لنا بهذا البيت في المسجد ببيت[٨] له

---

(١) مسند أحمد (١/ ٦٥) وهو حديث صحيح .

(٢) وسنن الترمذي (٢١٥٨) في الفتن ، وسنن أبي داود (٤٥٠٢) في الديات ، وسنن ابن ماجه (٢٥٣٣) في الحدود . سنن النسائي (٧/ ٩١ ـ ٩٢) رقم (٤٠١٩) .

(٣) في ط : عن يحيى بن سعيد عن أبي أسامة .

(٤) مسند أحمد (١/ ٥٩) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في أ : فوكزه . وما هنا موافق للمسند وتاريخ ابن عساكر ـ ترجمة عثمان ـ (٣٤٢) والاستدراك عنه .

(٦) في ط بعد هذا : « ووضع يديه إحداهما على الأخرى » وليست في مسند أحمد ولا في (أ) ولم ترد في تاريخ دمشق (٣٤٢) الذي ينقل من مسند أحمد .

(٧) في أ : من وسَّع .

(٨) في ط : بنيت له بيتاً في الجنة .

في الجنة » فابتعتُه من مالي فوسعتُ به المسجد . فانتشد له رجالٌ . ثم قال : وأنشد[١] بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العُسْرَة قال : « من ينفق اليوم نفقة متقبّلة » ؟ فجهزتُ نصفَ الجيش من مالي ، فانتشد له رجال . (ثم) قال : وأنشد الله من شهد رومة يباع ماؤها ابنَ السبيل ، فابتعتها من مالي فأبحتُها ابن السبيل قال : فانتشد له رجال .

ورواه النسائي[٢] عن عمران بن بكار ، عن خطاب بن عثمان ، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن جده أبي إسحاق السبيعي به .

وقد ذكر ابنُ جرير[٣] أن عثمان رضي الله عنه لمّا رأى ما فعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار ، من محاصرته في داره ، ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة ، يستنجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبعث معاويةُ مسلمةَ بن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش ، وبعث أهل الكوفة جيشاً ، وأهل البصرة جيشاً ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمَّمُوا في الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتلُ عثمان رضي الله عنه كما سنذكره .

وذكر ابن جرير[٤] أن عثمان استدعى الأشتر النخعي ووضعت لعثمان وسادة في كُوَّة من داره ، فأشرف على الناس ، فقال له عثمان : يا أشتر ماذا يريدون[٥] ؟ فقال : إنهم يريدون منك إما أن تعزل (نفسك) عن الإمرة ، وإما أن تُقيدَ من نفسك منْ قد ضربتَه ؛ أو جلدتَه ، أو حبستَه ، وإما أن يقتلوك . وفي رواية أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابَه عن الأمصار ويولّي عليها منْ يريدون هم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم[٦] مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زوّر على عثمان كتابه إلى مصر ، فخشي عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه ، فيكون سبباً في قتل امرىء مسلم ، وما فعل من الأمر ما يستحقّ بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن . وأما ما سألوه من خلعه[٧] نفسه فأنه لا يفعل [ذلك] ولا ينزع قميصاً قمصه الله إياه ، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض (ويولي السفهاء من الناس من يختاروه هم فيقع الهرج ويفسد الأمر بسبب ذلك ، ووقع الأمر كما ظنه فسدت الأمة ووقع الهرج) ، وقال لهم فيما قال . وأي شيء إليَّ من الأمر إنْ كنتُ كلمّا كرهتم أميراً عزلتُه ، وكلما رضيتُم

---

(١) في ط : أنشد .
(٢) سنن النسائي (٦/ ٢٣٦) .
(٣) تاريخه (٤/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .
(٤) تاريخه (٤/ ٣٧١) .
(٥) في أ : ماذا تريدون .
(٦) في أ : إليهم .
(٧) في أ : من خلع نفسه .

عنه ولَّيته ؟ وقال لهم فيما قال : واللهِ لئن قتلتموني لا تتحابُّوا بعدي ، ولا تصلّوا جميعاً أبداً ، ولا تقاتلوا بعدي عدواً جميعاً أبداً ، وقد صدق رضي الله عنه فيما قال .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدَّثنا معاوية بن صالح ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن أبي قيس ، حدَّثني النعمان بن بشير قال : كتب معي معاوية إلى عائشة كتاباً فدفعت إليها كتابه ، فحدثتني أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان : « إن الله لعله يقمّصك قميصاً ، فإن أرادك أحدٌ على خلعه فلا تخلعه » ثلاث مرات ، قال النعمان : فقلت يا أمَّ المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يا بني والله أُنسيتُه .

وقد رواه الترمذي[٢] من حديث اللَّيث ، عن معاوية بن صالح[٣] ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن عامر[٤] ، عن النعمان ، عن عائشة به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

ورواه ابن ماجه[٥] من حديث الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد ، عن النعمان ، فأسقط عبد الله[٦] ابن عامر .

[قال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا يحيى ، عن إسماعيل[٨] ، حدَّثنا قيس ، عن أبي سهلة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ادعوا لي بعض أصحابي » قلت : أبو بكر ؟ قال : « لا » قلت : عمر ؟ قال : « لا » قلت : ابن عمك عليّ ؟ قال : « لا » قالت : قلت : عثمان ؟ قال : « نعم » فلما جاء قال : « تَنَحّيْ » فجعل يسارُّه ، ولون عثمان يتغيَّر ، فلما كان يوم الدار وحُصِرَ فيها ، قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإني[٩] صابر نفسي عليه . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[١٠] : حدَّثنا علي بن عياش ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا الأوزاعي ، عن

---

(١) مسند أحمد (٦/ ١٤٩) والحديث أيضاً في تاريخ دمشق (٢٧٨) وهو حديث صحيح .
(٢) جامع الترمذي (٣٧٠٥) في المناقب .
(٣) في أ : معاوية بن أبي صالح ؛ خطأ ، وأثبتنا الصحيح كما في تقريب التهذيب (٥٣٨) .
(٤) في أ : « عبد الملك بن عامر » وهو خطأ ، وجاء على الصواب في طبعة الدكتور بشار من جامع الترمذي (٦/ ٧٣) وتحفة الأشراف للمزي (١١/ ٧٥٣ حديث ١٧٦٧٥ من طبعة الدكتور بشار) ، وعبد الله بن عامر هو اليحصبي القارىء من رجال التهذيب .
(٥) سنن ابن ماجه (١١٢) في المقدمة وفيه الفرج بن فضالة وهو ضعيف ، ولكن يشهد له حديث أحمد والترمذي الذي قبله ، فهو حسن .
(٦) في أ : « عبد الملك » خطأ ، كما بيناه قبل قليل .
(٧) مسند أحمد (٦/ ٥٢) وهو حديث صحيح .
(٨) في ط : يحيى بن إسماعيل ؛ تحريف . وما هنا عن المسند وأ .
(٩) في أ : وأنا .
(١٠) مسند أحمد (١/ ٦٧) وإسناده ضعيف لانقطاعه .

محمد بن عبد الملك بن مروان أنَّه حدَّثه ، عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال : إنَّك إمام العامَّة ، وقد نزل بك ما ترى ، وإنّي أعرضُ عليك خصالاً ثلاثاً ، اختر إحداهن : إمّا أن تخرج فتقاتلهم ، فإن معك عدداً وقوة ، وأنت على الحق ، وهم على الباطل ، وإمّا أن نخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة ، فإنَّهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإمّا أن تلحق بالشام ، فإنَّهم أهل الشام ، وفيهم معاوية . فقال رضي الله عنه : أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أولَ من خَلَفَ رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء ؛ وأما أن أخرج إلى مكة وإنهم لن يستحلوني بها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحدُ رَجُلٌ من قُرَيشٍ بمكَّةَ يكون عليه نصفُ عذابِ العالم » ولن أكون أنا [إيّاه] ؛ وأما أن ألحق بالشام فإنَّهم أهل الشام وفيهم معاوية ؛ فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا إسماعيل بن أبان الوراق ، حدَّثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبْزَى ، عن عثمان قال : قال له [عبد الله بن] الزبير حين حُصِرَ : إن عندي رواحل قد أعددتها لك فهل لك أن تَحوَّلَ إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك . قال : لا ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحدُ بمكة كَبْشٌ من قريش اسمه عبد الله عليه مثل [نصف] أوزار الناس » . تفرَّد به ، وهذا غريب جداً وإسناد رجاله ثقات إلا يعقوب فإنه القمي ـ فيما يغلب على الظن ـ وهو شيعي فلعل الآفة منه[٢] .

وقال محمد بن عائذ الدمشقي . حدَّثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثنا عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفَهْمي[٣] يقول : قدمت على عثمان ، فبينا أنا عنده فخرجتُ ، فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا ، فدخلتُ على عثمان فأعلمته ، قال : فكيف[٤] رأيتهم ؟ فقلت : رأيت في وجوههم الشر ، وعليهم ابن عُدَيْس البَلَوي ، فصعِد ابن عُدَيْس منبر رسول الله ﷺ فصلّى بهم الجمعة ، وتنقَّص عثمان في خطبته ، فدخلتُ على عثمان ، فأخبرته بما قال فيهم ، فقال : كذب والله ابن عُدَيْس ، ولولا ما ذكر ما ذكرت[٥] ، إني رابع أربعة في الإسلام ، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثمَّ توفيت ، فأنكحني ابنته الأخرى ، ولا زنيت ولا سَرقت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تعنَّيت ولا تمنّيت منذ أسلمت ، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا أتت عليّ جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت ، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية . ورواه يعقوب بن سفيان ، عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن لهيعة ، قال : لقد اختبأت عند ربي عشراً ، فذكرهن[٦] .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٦٤) .

(٢) وهذان الأثران ليسا في المطبوع .

(٣) في ط : الفقيمي : وهو تحريف .

(٤) في أ : فقال : وكيف .

(٥) في أ : ولولا ذكر ما ذكره إني رابع .

(٦) وفي إسناده ضعف .

فصل

كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة ، فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار ـ وكانوا قريباً من سبعمئة ، فيهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير[١] والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكفّ يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جمٌّ (غفير) وقال لرفيقه : من أغمد سيفه فهو حرٌّ . فبرد القتالُ من داخلٍ ، وحمي من خارج ، واشتدَّ الأمرُ ، وكان سببُ ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلّت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده ، وشوقاً إلى رسول الله ﷺ وليكن كخير ابني آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله[٢] : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٩] وروي أنّ آخرَ من خرجَ من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم في الخروج ، الحسنُ بن عليّ وقد خرج ، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .

وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن (عمر) لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا يوم (الدار) ويوم نجدة الحروري .

قال أبو جعفر الرازي[٣] ، عن أيوب السّختياني ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدّث الناس ، قال : رأيت النبيَّ في المنام فقال : « يا عثمانُ أفطر عندنا » فأصبح صائماً وقُتل من يومه .

وقال سيف بن عمر ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم ، عن رجل قال : دخل عليه كثير بن الصلت فقال : يا أمير المؤمنين أخرجْ فأجلسْ بالفِناء فيرى (الناس) وجهَكَ فإنَّك إن فعلت ارتدعوا . فضحك وقال : يا كثير رأيت البارحة وكأنّي دخلتُ على نبي الله ﷺ وعنده أبو بكر وعمر ، فقال : « أرجع فإنَّك مُفْطرٌ عندي غداً » ثم قال عثمان : ولن تغيب (الشمس) والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة قال : فوضع سعدٌ وأبو هريرة السلاحَ وأقبلا حتى دخلا على عثمان[٤] .

وقال موسى بن عقبة : حدَّثني أبو علقمة ـ مولى لعبد الرحمن بن عوف ـ حدَّثني ابن الصَّلت قال : أغفى عثمانُ بن عفان في اليوم الذي قُتل فيه فاستيقظَ فقال : لولا أن يقول الناس تمنّى عثمان أمنيةً

---

(١) في أ : فيهم ابن عمر وابن الزبير .
(٢) في أ : قال له حيث أراد قتله .
(٣) في ط : الداري ؛ تحريف ، والتصويب من سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٦) .
(٤) في أ : عمار ؛ خطأ .

لحدَّثتكم . قال : قلنا أصلحك الله ، حدِّثنا فلسنا نقول ما يقول الناس ، فقال : إنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ في منامي هذا ، « فقال : إنكَ شاهدٌ معنا الجمعةَ » .

وقال ابن أبي الدنيا[١] : حدَّثنا أبو عبد الرحمن القرشي : حدَّثنا خلف بن تميم ، حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البَجَلي ، حدَّثنا عبد الملك بن عُمَيْر ، حدَّثني كثير بن الصَّلْت قال : دخلت على عثمان وهو محصورٌ ، فقال لي : يا كثير ما أراني إلا مقتولاً يومي هذا . قال : قلتُ ينصركَ الله على عدوكَ يا أمير المؤمنين ، قال : ثم أعاد عليَّ فقلتُ وقّت لك في هذا اليوم (شيء) ؟ أو قيل لك شيء ؟ قال : لا ! ولكنّي سهرتُ في ليلتي هذه الماضية ، فلما كان عند[٢] السحر أغفيتُ إغفاءةً فرأيت فيما يرى النائم رسولَ الله ﷺ ، وأبا بكر وعمر ، ورسول الله ﷺ يقول لي : يا عثمان الحقنا لا تحبسنا ، فإنا ننتظرك » قال : فقتل من يومه ذلك .

وقال ابن أبي الدنيا[٣] : حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فَضَالة ، عن مروان بن أبي أمية ، عن عبد الله بن سَلاَم . قال[٤] :

أتيت عثمان لأُسلِّم عليه وهو محصورٌ ، فدخلتُ عليه فقال : مرحباً بأخي[٥] ، رأيتُ رسولَ الله ﷺ الليلةَ في هذه الخَوْخَة ـ قال : وخوخة في البيت ـ فقال : « يا عثمان حصروك ؟ » قلتُ : نعم ! قال : « عطّشوك ؟ » قلت : نعم ! فأدلى دلواً فيه ماءٌ فشربت حتى رويت حتى إني لأجد برده بين ثَدْيَيَّ و (بين) كتفي ، وقال لي : « إن شئت نُصِرْتَ[٦] عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا » فاخترتُ أن أفطر عنده ؛ فقُتل ذلك اليوم .

وقال محمد بن سعد[٧] : أخبرنا عفان بن مسلم ، حدَّثنا وُهَيْب ، حدَّثنا داود ، عن زياد بن عبد الله ، عن أم هلال بنت وكيع ، عن امرأة عثمان ـ قال : وأحسبها بنت الفرافصة ـ قالت :

أغفى عثمان فلمّا استيقظ قال : إن القومَ يقتلونني ، قلت : كلا يا أمير المؤمنين . قال : إني رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ، فقالوا : أفطرْ عندنا الليلةَ ، أو إنّك مفطرٌ عندنا الليلة .

وقال الهيثم بن كليب : حدَّثنا عيسى بن أحمد العَسْقَلاني ، حدَّثنا شَبابة ، حدَّثنا يحيى بن أبي راشد

---

(١) الخبر في كتاب المنامات لابن أبي الدنيا (١٢٣) ، وتاريخ دمشق (٣٩١) .
(٢) في ط : وقت السحر .
(٣) المنامات لابن أبي الدنيا (٦٦) .
(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٣٩١ ـ ٣٩٢) .
(٥) في أ : يا أخي .
(٦) في أ : صبرت .
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٧٥) ، وبعدها في أ : حدَّثنا محمد بن عمر ؛ زيادة .

مولى عمرو بن حُرَيْث ، عن محمد بن عبد الرحمن الجرشي ، وعقبة بن أسيد[١] ، عن النعمان بن بشير ، عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ امرأة عثمان ـ قالت :

لما حُصِرَ عثمانُ ظَلَّ اليوم الذي كان فيه قتله[٢] صائماً ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماءَ العذبَ فأبَوْا عليه ، وقالوا : دونَكَ ذلك الرُّكِيَّ[٣] . ورُكِيٌّ في الدّار الذي يُلْقى فيه النتنُ ـ قالت : فلم يُفْطِرْ فأتيت جارات لنا على أجاجير[٤] متواصلة ـ وذلك في السحر ـ فسألتهم الماءَ العذب ، فأعطوني كوزاً من ماءٍ ، فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال : إني أصبحت صائماً ، قالت : فقلتُ : ومن أين أكلت ؟ ولم أر أحداً أتاك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ اطلع عليّ من هذا السقف ومعه دلو من ماءٍ فقال : « اشربْ يا عثمانُ » فشربتُ حتى رويتُ ، ثم قال : « ازدد » فشربتُ حتى نهلت[٥] ، ثم قال : « أما إنَّ القوم سينكرون[٦] عليك ، فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا » قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد الله بن الإمام أحمد[٧] : حدَّثني عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا يونس بن أبي يَعْفُور[٨] العَبْدي ، عن أبيه ، عن مسلم أبي[٩] سعيد مولى عثمان بن عفان[١٠] :

أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسراويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وأبا بكر وعمر ، وإنّهم قالوا لي : اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثُمّ دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه .

قلت : إنما لبس السراويلَ رضي الله عنه في هذا اليوم لئلا تبدو عورتُه إذا قُتل فإنّه كانَ شديدَ الحياء ، كانت تستحيي منه ملائكة[١١] السماء ، كما نطق بذلك النبي ﷺ ، ووضع بين يديه المصحفَ يتلو فيه ،

---

(١) في ط : « أسد » خطأ . وتنظر ترجمته في الجرح والتعديل (٦/ ٣٠٨) وثقات ابن حبان (٨/ ٤٩٩) .
(٢) في أ : الذي كان قبله بيوم صائماً .
(٣) الرُّكيُّ : جمع رَكِيَّةٍ وهو البئر . القاموس (ركو) .
(٤) أجاجير : جمع إجار وهو السطح . القاموس (أجر) .
(٥) في أ : نهدت .
(٦) في أ : مستنكرون .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٢) ولم أجده في مسند أبي يعلى ، وهو في الكبير كما قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٢) ، وإسناده ضعيف .
(٨) في أ : يعقوب ؛ تحريف . ويَعْفُور ـ بفتح التحتانية ، وسكون المهملة ، وضم الفاء ـ واسم أبي يعفور : وقدان بالقاف . تقريب التهذيب (٦١٤) .
(٩) في أ : مسلم بن سعيد .
(١٠) الخبر في تاريخ دمشق (٤٠٥) .
(١١) في أ : تسحتي منه الملائكة كما نطق .

واستسلم لقضاء الله عزَّ وجلَّ ، وكفَّ[١] يده عن القتال ، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه ، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه ، ولكن كان أمرُ الله قدراً مقدوراً .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه :

إن عثمان رضي الله عنه أوصى إلى الزبير .

وقال الأصمعي : عن العلاء بن الفضل ، عن أبيه . قال[٢] :

لما قتل عثمان فتَّشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه فوجدوا فيه حُقَّةً فيها ورقةٌ مكتوب فيها : هذه وصيةُ عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمانُ بن عفّان يشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وأن الجنةَ حقٌّ ، وأن النارَ حقٌّ ، وأن الله يبعثُ مَنْ في القبور ، ليوم لا ريبَ فيه ، إنَّ الله لا يُخلفُ الميعاد ، عليها يحيا[٣] وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى .

وروى ابن عساكر[٤] أن عثمان رضي الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه : [من الطويل]

أرى المَوْتَ لا يُبقي عَزيزاً ولم يَدَعْ لعادٍ ملاذاً في البلادِ ومرتقى[٥]

وقال أيضاً : [من الطويل]

يُبَيِّتُ[٦] أهل الحصنِ والحصنُ مغلقٌ ويأتي الجبالَ الموتُ في شماريخها العلا[٧]

صفة قتله رضي الله عنه

وقال خليفة بن خياط[٨] : حدَّثنا ابن عُلَيَّة ، حدَّثنا ابن عون ، عن الحسن قال : أنبأني وثّابٌ . قال :

بعثني عثمان فدعوت له الأشترَ فقال : ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بدٌّ ، قال : ما هن ؟ قال : يخيّرونك بينَ أن تخلعَ لهم أمرهم ، فتقول : هذا أمركم فاختاروا منْ شئتم ، وبين أن تقتصَّ[٩] من نفسك ، فإن أبَيْتَ فإنَّ القومَ قاتِلوكَ . فقال : أما أن أخلعَ لهم أمرهم فما كنتُ لأخلعَ سِرْبالاً

---

(١) في أ : فكف .
(٢) الخبر في تاريخ دمشق (٤٠٦) .
(٣) في أ : عليها نحيى .
(٤) تاريخ دمشق (٤٠٧) .
(٥) في أ : ومرتعا .
(٦) بيَّتَ القوم والعدو أوقع بهم ليلاً وأتاهم وهم غارُّون . اللسان (بيت) .
(٧) في أ : ويأتي الجبال في شماريخها العلاه .
(٨) تاريخ خليفة (١٧٠) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٤٠٨) بخلاف في الرواية .
(٩) في الأصل : تقص يقال أقصّه الحاكم إذا مكّنه من أخذ القصاص وهو أن يفعل مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح . اللسان (قصص) .

سَرْبَلَنيه اللهُ ، وأما أن أقتصَّ لهم من نفسي فوالله لقد علمت أن صاحبيّ بين يدي وقد كانا يعاقبان وما يقوم بدني بالقصاص ، وأما أن تقتلوني[١] فوالله لئن قتلتموني لا تَحابُّون بعدي ، ولا تُصلُّون بعدي جميعاً ، ولا تقاتلون بعدي جميعاً عدواً أبداً[٢] . قال : وجاء رويجل كأنه ذئب ، فاطَّلع من باب ورجع ، وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً ، فأخذ بلحيته فقال بها حتَّى سمعتُ وقعَ أضراسه ، فقال : ما أغنى عنكَ معاوية ، وما أغنى عنك ابنُ عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، قال : أرْسِلْ لحيتي يا بن أخي ، قال : فأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه ـ يعني أشار إليه ـ فقام إليه بمِشْقَص[٣] فوجأ به رأسه . قلت : ثم مَهْ[٤] ؟ قال : ثم تعاوروا[٥] عليه حتى قتلوه .

قال سيف بن عمر التميمي رحمه الله : عن الغُصْنِ[٦] بن القاسم ، عن رجل ، عن خنساء مولاة أسامة بن زيد ـ وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان ـ :

أنها كانت في الدّار [يومئذ][٧] ودخل محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فوجأ بها في حلقه ، فقال : مهلاً يا بن أخي ، فواللهِ لقد أخذتَ مأخذاً ما كان أبوكَ ليأخذَ به ، فتركه وانصرف مُستحيياً نادماً ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردّهم طويلاً حتى غلبوه ، فدخلوا وخرجَ محمدُ راجعاً ، فأتاه رجلٌ بيده جريدة يقدمهم حتَّى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجَّه ، فقطر دمُه على المصحف حتى لطَّخه ، ثم تعاوروا[٨] عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف [فسقط] ووثبت نائلة بنت الفرافصة (الكلبية فصاحت) وألقت نفسَها عليه ، وقالت : يا بنتَ شيبة أيقتل أميرُ المؤمنين ؟ وأخذتِ السيفَ ، فقطعَ الرجل يدها ، وانتهبوا متاع الدار[٩] ومرّ رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال : ما رأيتُ كاليوم وجهَ كافرٍ أحسنَ ولا مضجعَ كافرٍ أكرمَ[١٠] . قال : فلا والله ما تركوا في داره شيئاً حتى الأقداح إلا ذهبوا به[١١] .

---

(١) من قوله : فوالله لقد علمت . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) في أ : أبداً ، ولا تقاتلون عدواً جميعاً ، وفي تاريخ دمشق : ولا تقاتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً .
(٣) مشقص ـ كمنبر : نصل عريض . القاموس (شقص) .
(٤) مه : أصلها ما الاستفهامية ، والهاء للسكت بدل الألف . اللسان (مهه) .
(٥) في أ : ثم تعاونوا .
(٦) في أ : الحصين . وفي ط : العيص وما هنا عن تاريخ دمشق (٤١٠) ، وهو الصواب .
(٧) الاستدراك من تاريخ دمشق .
(٨) في أ : تعاونوا ، وفي تاريخ دمشق : تغاووا .
(٩) في أ : وانتهبوا المتاع ومر .
(١٠) في أ : أكره .
(١١) وإسناده ضعيف .

وروى (الحافظ) ابنُ عساكر[١] : أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوّروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ، وليس فيهم أحدٌ من الصحابة ولا أبنائهم إلا محمد بن أبي بكر ، وسبقه بعضهم ، فضربوه حتى غشي عليه ، وصاح النسوة فانذعروا وخرجوا ، ودخل محمد بن أبي بكر ، وهو يظنّ أنّه قد قُتل ، فلما رآه قد أفاق قال : على أي دين[٢] أنت يا نعثل ؟ قال : على دين الإسلام ، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين ، فقال : غَيَّرتَ كتابَ الله ، فقال : كتاب الله بيني وبينكم ، فتقدّم إليه وأخذ بلحيته وقال : إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب : ٦٧] وشحطه بيده من البيت إلى باب الدار ، وهو يقول : يا بن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي . وجاء رجلٌ من كِندة من أهل مصر ، يُلقّب حماراً ، ويكنى بأبي رومان . وقال قتادة : اسمه رومان ، وقال غيره : كان أزرقَ أشقرَ ، وقيل : كان اسمه سُودان بن رومان المرادي .

وعن ابن عمر قال : كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حُمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتاً قال : ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه[٣] ، ثم وضع ذُباب السيف في بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله ، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضي الله عنها ، ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه . والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره ، وأنه استحيا ورجع حين قال له عثمان : لقد أخذت بلحيةٍ كان أبوك يكرمها . فتذمم[٤] من ذلك وغطّى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

وروى ابن عساكر[٥] ، عن ابن عون : أن كنانة بن بشر ضرب جبينَه ومقدَّم رأسه بعمودِ حديدٍ فخر لجنبه ، وضربه سُودان بن حُمران المرادي بعدما خر لجنبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره ، وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهن فلله ، وست لما كان في صدري عليه .

وقال الطَّبراني[٦] : حدَّثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي ، وإسحاق بن داود الصواف التُّسْتَري قالا : حدَّثنا محمد بن خالد بن خِداش ، حدَّثنا سلم[٧] بن قتيبة حدَّثنا مبارك عن الحسن . قال : حدَّثني سياف عثمان :

---

(١) تاريخ دمشق (٤٠٨) .
(٢) في أ : على أي ذنب أنت غيرت كتاب الله .
(٣) مكان اللفظة بياض في أ . وقعصه ـ كمنعه ـ قتله في مكانه ، كأقعصه . القاموس (قعص) .
(٤) في أ : فتندم . وتذمَّم : استنكف . القاموس (ذمم) .
(٥) تاريخ دمشق (٤١٤) .
(٦) المعجم الكبير (١/ ٣٩ رقم ١١٨) .
(٧) في أ ، ط : مسلم ؛ خطأ ، والتصحيح من تهذيب الكمال (١١/ ٢٣٢) .

أن رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال : ارجع يا بن أخي فلست بقاتلي ، قال : وكيف علمت ذلك[١] ؟ قال : لأنه أتى بك النبيُّ ﷺ يومَ سابِعك فَحنَّكَكَ ودعا لك بالبركة ، ثم دخل عليه رجل (آخر) من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء . ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال : أنت قاتلي . قال : وما يدريك يا نَعْثَلُ ؟ قال : لأنّه أُتي بك رسولُ الله ﷺ يومَ سابِعَك ليُحَنِّكَكَ ويدعو لك بالبركة ، فخريتَ . . . ، قال : فوثب على صدره وقبض على لحيته ، ووجأه بمشاقص كانت في يده . هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة .

(وثبت) من غير وجه أنَّ أولَ قطرةٍ من دمه سقطت على قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضاً حين دخلوا عليه ، وليس ببعيد ، فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن .

وروى ابن عساكر[٢] أنَّه لما طُعن قال : بسم الله توكَّلْتُ على الله ، فلما قطر[٣] الدم قال : سبحان الله العظيم .

وقد ذكر ابن جرير في « تاريخه »[٤] بأسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر ، فيه الأمر بقتل بعضهم ، وصلب بعضهم ، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان ، متأولاً قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣] وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المُفْسدين في الأرض ، ولا شكَّ أنَّهم كذلك ، ولكن لم يكن له أن يفتئت على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ، ويزوّر على خطّه وخاتمه ، ويبعث غلامه على بعيره ، بعدما وقعَ الصلحُ بين عثمان وبين المصريين ، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر ، بخلاف ذلك كله ، ولهذا لمّا وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه ، وظنّوا أنه من عثمان ، أعظموا ذلك ، مع ما هم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤوس الصحابة ، وأعانهم على ذلك قومٌ آخرون ، حتى ظنَّ بعضُ الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضي الله عنه ، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين ، حلفَ باللهِ العظيم ، وهو الصادقُ البارُّ الراشدُ ، أنَّه لم يكتبْ هذا الكتاب ولا أملاه على منْ كتبه ، ولا علم به ، فقالوا له : فإنَّ عليه خاتمك . فقال : إن الرجل قد يزور على خطه (وخاتمه) قالوا : فإنه مع غلامك

(١) في أ : ذاك .

(٢) تاريخ دمشق (٤١٨ ـ ٤١٩) .

(٣) في أ : نظر ، وما هنا موافق لتاريخ دمشق .

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٩) وما بعدها .

وعلى جملك . فقال : واللهِ لم أشعرْ بشيءٍ من ذلك . فقالوا له ـ بعد كلِّ مقالة ـ إن كنتَ قد كتبتَه فقد خنتَ ، وإن لم تكن قد كتبته بل كُتبَ على لسانك وأنتَ لا تعلم فقد عجزتَ ، ومثلُكَ لا يصلُحُ للخلافةِ ، إما لخيانتك ، وإما لعجزك ، وهذا الذي قالوا باطلٌ على كلّ تقدير فإنه لو فرض أنه كتب الكتاب ، وهو لم يكتبه في نفس الأمر ، لا يضرّه ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة في إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الإمام ، وأما إذا لم يكن قد علم به فأي عجزٍ ينسب إليه إذا لم يكن قد اطَّلع عليه وزُوّر على لسانه ؟ وليس هو بمعصوم بل الخطأ[١] والغفلةُ جائزان عليه رضي الله عنه . وإنما هؤلاء الجهلةُ البغاةُ مُتَعنتون خَونةٌ ، ظَلَمةٌ مُفْترون ، ولهذا صمَّموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه ، حتى منعوه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، وتهددوه بالقتل ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومن وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أنه لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب (الزاني) ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكر أنه لم يقتل نفساً ، ولا ارتدَّ بعد إيمانه ، ولا زنى في جاهلية ولا إسلام ، بل ولا مسَّ فرجَه بيمينه بعد أن بايع بها رسول الله ﷺ ، وفي رواية بعد أن كتب بها المُفصَّل . ثمَّ ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله[٢] ولرسوله ولأولي الأمر منهم ، فَأَبَوْا إلا الاستمرارَ على ما هم عليه من البغي والعدوان ، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتدَّ عليه الحالُ ، وضاق المجالُ ، ونفد ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين في ذلك ، فركب علي بنفسه وحمل معه قُرَباً من الماء ، فبالجهد حتى أوصلها إليه بعدما ناله من جهلة أولئك كلام غليظ ، وتنفير لدابته ، وإخراق عظيم بليغ ، وكان قد زجرهم أتم الزجر ، حتى قال[٣] لهم فيما قال : والله إن فارسَ والرومَ لا يفعلون كفعلكم هذا لهذا[٤] الرجل ، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامته في وسط الدار . وجاءت أم حبيبة راكبة بغلةً وحولها حشمها وخدمها فقالوا : ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا[٥] بني أمية ، لأيتام وأرامل ، فأحببتُ أن أذَكِّره بها ، فكذّبوها في ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة (ونَدّت بها) وكادت أو سقطت عنها ، وكادت تُقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير[٦] جداً ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم في الخفية ليلاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) في أ : بل الغفلة والخطأ .
(٢) في أ : بالكف عنه بالرجوع إلى طاعة الله ورسوله ولأولي الأمر منهم .
(٣) في أ : وقال لهم .
(٤) في أ : بهذا الرجل .
(٥) في أ : قضايا .
(٦) في أ : كثير .

ولمّا وقعَ هذا أعظمه الناس جداً ، ولزم أكثر الناس بيوتَهم ، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة في هذه السنة إلى الحج ، فقيل لها : إنك لو أقمت كان أصلح ، لعل هؤلاء القوم يهابونك ، فقالت : إني (أخشى أن) أشيرَ عليهم برأي فينالني منهم من الأذية ما نال أم حبيبة ، فعزمت على الخروج[١] . واستخلف عثمان رضي الله عنه في هذه (السنة) على الحج عبد الله بن عباس ، فقال له عبد الله بن عباس : إن مقامي على بابك أحاجفُ[٢] عنك أفضلُ من الحج . فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج ، واستمرّ الحصارُ بالدّار حتى مضت أيامُ التَّشْريق ورجع البشير من الحجّ ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأنّ أهلَ الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغهم أيضاً أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج ، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاعَ بن عمرو (في جيش) ، وأنَّ أهلَ البصرة بعثوا مجاشعاً (في جيش) ، فعند ذلك صمَّموا على أمرهم وبالغوا فيه ، وانتهزوا الفرصة بقلَّة الناس وغيبتهم في الحجّ ، وأحاطوا بالدار ، وجدّوا في الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار[٣] عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجفَ الناس عن عثمان أشدَّ المحاجفة ، واقتتلوا على الباب قتالًا شديداً ، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة (يقول) : هذا يوم طاب في الضراب فيه . وقُتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار ، وجُرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن علي ومروانُ بن الحكم فقطع إحدى علباويه[٤] فعاش أوقص[٥] حتى مات . (ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهري) ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة ، ويقال إنه انهزم أصحابُ عثمان ثم رجعوا[٦] . ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران ، وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة ـ فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة (التي) عنده ، وخافوا أن يصل[٧] الحريق إلى بيت المال ، ثمَّ فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] فكان أول من

---

(١) في أ : الحج .
(٢) المحاجف : المقاتل . القاموس واللسان (حجف) .
(٣) في أ : الدور المتلاحمة كدار عمرو .
(٤) علباويه ـ العِلْباء ممدود : عَصَب العنق وهما علباوان يميناً وشمالاً بينهما منبت العنق ، وإن شئت قلت علباءان . اللسان (علب) .
(٥) أوقص : قصير العنق . القاموس (وقص) .
(٦) في أ : ثم تراجعوا .
(٧) في أ : أن يميل .

دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقه ، فتركه وهو يظن أنه قد قتله ، ودخل[١] ابن أبي بكر فمسك بلحيته ثم ندم[٢] وخرج ، ثمّ دخل عليه ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها : وقيل : بل قطعها ولم يبنها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها لأول[٣] يد كتبت المُفَصَّلَ ، فكان أول قطرة دم منها سطقت على هذه الآية ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلةُ بنت الفرافصة لتمنعه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها . ثمّ إنّه تقدّم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه [حتى قتله] ، رضي الله عن عثمان . وفي رواية أنَّ الغافقيَّ بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بحديدة في يده[٤] ، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضي الله عنه . وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سُودان بن حُمران بالسيف فمانعته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله (غضب الله ولعنته على قاتله) ، (فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله) ، فضرب الغلام رجل يقال له قترة[٥] فقتله .

وذكر[٦] ابن جرير[٧] أنهم أرادوا حـزَّ رأسه بعد قتله ، فصاح النساء[٨] وضربن وجوههن ، فيهن امرأتاه نائلة وأم البنين[٩] ، وبناته ، فقـال ابن عديس : اتركوه ، فتركوه . ثم مال هؤلاء الفَجَرَةُ على ما في البيت[١٠] فنهبوه ، وذلك أنه نادى منـاد منهم[١١] : أيحلّ لنا دمُه ولا يحلّ لنا ماله ، فانتهبوه ثم خرجوا فأغلقوا[١٢] الباب على عثمان وقتيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قترة فقتله ، وجعلوا لا يمرّون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي ، ملاءَةَ نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وقُتل الغلامُ أيضاً ، ثمَّ تنادى القوم : أن أدركوا بيت المال لا تستبقوا إليه ، فسمعهم حفظة بيت المال (فقالـوا : يا قوم النجاء النجاء ، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا أنهم إنما قاموا لأجله

---

(١) أ : ثم دخل .
(٢) في ط : ثم ند وخرج .
(٣) في ط : أول يد .
(٤) في ط : في فيه .
(٥) في أ : قتيرة ، وكذا في تاريخ الطبري (١/ ٣٩١) .
(٦) في أ : وروى .
(٧) في تاريخه (٤/ ٤١٤) .
(٨) في أ : فصاح الناس .
(٩) في أ : أم اليدين .
(١٠) في أ : بيت المال .
(١١) في أ : مناديهم .
(١٢) في أ : وأغلقوا .

وكذبوا إنما قصدهم الدنيا ، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال) وكان فيه شيء كثير جداً[١] .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[٢] في ترجمة سهم بن خنبش أبو خنبش أو [أبو] خنيس[٣] الأزدي ـ وكان قد شهد الدار ـ ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عنه ، وكان قد استدعاه عمر بن عبد العزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه :

أنَّ وفدَ الأشقياء ـ وهم وفد مصر ـ كانوا قدموا على عثمان رضي الله عنه فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثمَّ كروا إلى المدينة فوافوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو الظهر فحصبوه بالحصباء والنعال والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وطلحة ومروان والمغيرة بن الأخنس في أناس ، وأطاف وفد مصر بداره ، فاستشار الناس فقال عبد الله بن الزبير : يا أمير المؤمنين ؛ إني أشير بإحدى ثلاث خصال ، إما أن نُحرمَ بعمرةٍ فتحرم عليهم دماؤنا ، وإما أن نركبَ معك إلى مأمننا بالشام ، وإما أن نخرج فنضرب بالسيف حتى يحكم الله بيننا فإنا على الحق وهم على الباطل . فقال عثمان : أما ما ذكرت من الإحرام بعمرة ليحرموا دماءنا فإنهم يروننا حلالاً الآن وحال الإحرام وبعد الإحرام ، وأما الذهاب إلى الشام ، فإني أستحيي [أن آتي أهل الشام هارباً][٤] من بلدي خائفاً ليؤمنني أهل الشام ، وأما القتال فإني أرجو أن ألقى الله وليس يهراق بسببي محجمة[٥] دم .

قال : ثم صلينا معه صلاةَ الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال : إني رأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ الليلةَ فقالا : صم يا عثمان إنك تفطر عندنا ، وأنا أشهدكم أني قد أصبحت صائماً ، وإني أعزم على منْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه . فقلنا : يا أمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمنهم علينا ، فأذن لنا أن نكون في بيت من الدار يكون لنا فيه جماعةٌ ومنعةٌ ، فأذن لهم وأمر بباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكبَّ عليه وعنده امرأتاه بنت الفرافصة الكلبية وبنت شيبة ؛ فكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته فقال : دَعْها يا بن أخي ، فوالله لقد كان أبوك ليتلطف بها بأدنى من هذا ؛ فاستحيا فخرج فقال : قد أشعرته لكم . وأخذ عثمان ما أُسْقِطَ[٦] من لحيته فأعطاه إحدى امرأتيه ، ثم دخل رومان بن سودان رجل أزرق قصير مخدد[٧] عدادُه من مرادٍ ، ومعه جرز[٨] من حديد فاستقبله فقال

---

(١) بعد هذه اللفظة سقط في ط بقدر ورقة وأخر إلى ما قبل (بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان) .

(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) بخلاف في الرواية .

(٣) في الأصول : سهم بن حنيش أو حنش أو جنيش الأزدي ، والتصحيح من مختصر ابن عساكر لابن منظور .

(٤) الاستدراك عن مختصر ابن منظور .

(٥) « المحجم والمحجمة » : قارورة الدم . اللسان (حجم) .

(٦) في مختصر ابن عساكر : ما امتعط .

(٧) مخدد من خدد لحمه وتخدد : هزل ونقص . اللسان (خدد) .

(٨) الجُرْزُ : العمود من الحديد . اللسان (جرز) .

على أي ملة يا نَعْثَلُ . فقال : لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان ، وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كنت من المشركين . فقال : كذبت فضربه بالجرز على صدغه الأيسر فقتله فخر .

وأدخلته بنت الفرافصة بينها وبين ثيابها ـ وكانت امرأةً جسيمةً ضليعة[١] ـ وألقت بنت شيبة نفسَها على ما بقي من جسده ودخل رجل من [أهل][٢] مصر بالسيف مصلتاً فقال : والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة عنه فغلبته ، فكشف عنها درعها من خلفها حتى نظر إلى متنها ؛ فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين درعها ومنكبها فقبضت على السيف فقطع أناملها . فقالت : يا رباح ـ لغلام لعثمان أسود ـ يا غلام اغن عني[٣] هذا الرجل ، فمشى إليه الغلام فقتله وخرج أهل البيت فقاتلوا عن أنفسهم فقُتل المغيرةُ بن الأخنس وجُرح مروان . قال : فلما أمسينا قلنا : إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مَثَّلوا به ، فاحتملناه إلى بقيع الغَرْقَد في جوف الليل ، وغشينا سواد من خلفنا حتى هبناهم ، وكدنا أن نتفرق عنه ، فنادى منادٍ منهم ألَّا رَوْعَ عليكم ، اثبتوا وإنما جئنا لنشهده معكم ، فكان أبو خنيس يقول : هم ملائكة الله ؛ فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا [فلقينا أهل الشام][٤] بوادي القرى عليهم حبيب بن مسلمة[٥] قد أتوا في نُصرة عثمان ، فأخبرناهم بقتله ودفنه .

فصل

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط في أيدي الناس ، فأعظموه[٦] جداً ، وندم أكثرُ هؤلاء الجهلة الخوارج بما[٧] صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممن قصّ الله علينا خبرهم في كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل . في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

ولما بلغ الزبيرَ مقتلُ عثمان ـ وكان قد خرج من المدينة ـ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحَّم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال : تباً لهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس : ٤٩ ـ ٥٠] وبلغ علياً قتلهُ فترحَّم عليه . وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] ولما بلغَ سعدَ بن أبي وقاصٍ قتلُ عثمان استغفر له

---

(١) « الضليع » : العيظم الخلق الشديد . اللسان (ضلع) .
(٢) عن المختصر .
(٣) في المختصر : أعن على هذا فمشى .
(٤) الاستدراك من المختصر .
(٥) هنا نهاية السقط .
(٦) في أ : وعظموه .
(٧) في أ : وندم أكثر هؤلاء الجهلة على ما صنعوا .

وترحّم عليه ، وتلا في حق الذين قتلوه : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤] ثم قال سعد : اللهم أنْدِمْهم ثمّ خُذْهم . وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة[١] عثمان إلا مقتولاً . رواه ابن جرير[٢]

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوهٍ : (منها) دعوةُ سعد المستجابة كما ثبت في (الحديث) الصحيح . وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جن .

وقال الواقدي : حدَّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث قال : الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتّاب[٣] التجيبي ، وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول : خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمَرْج سمعنا رجلاً يُغني تحت الليل[٤] : [من الطويل]

ألا إنَّ خيـرَ النّـاس بعـد ثـلاثـةٍ قتيلُ التُّجَيْبي الذي جاء من مِصْر

ولما رجع الحج وجدوا عثمان رضي الله عنه قد قُتل ، وبايع الناسُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه . ولما بلغ أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أنَّ عثمان قد قُتل ، رجعن إلى مكة فأقمن بها نحواً من أربعة أشهر كما سيأتي .

فصل

كانت مدة حصار[٥] عثمان رضي الله عنه في داره أربعين يوماً على المشهور ، وقيل كانت بضعةً وأربعين يوماً . وقال الشعبي : كانت ثنتين وعشرين ليلةً . ثم كان قتله رضي الله عنه في يوم الجمعة بلا خلاف . قال سيف بن عمر عن مشايخه : في آخر ساعة منها ، ونص عليه مصعب[٦] بن الزبير وآخرون . وقال آخرون ضحوة (نهارها) ، وهذا أشبه ، وكان ذلك لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة على المشهور ، وقيل في أيام التشريق ، رواه ابن جرير[٧] : حدَّثني أحمد بن زهير ، حدَّثنا أبو خيثمة ، حدَّثنا وهب بن جرير ، سمعت يونس بن يزيد ، عن الزُّهري . قال : قُتل عثمان ، فزعم بعضُ الناس أنه قُتل في أيام التشريق [ورواه عبد الله بن أحمد بن عبيد الله بن معاذ ، عن معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن

---

(١) في أ : ممن قتل .
(٢) في تاريخه (٤/ ٣٩٢) .
(٣) في أ : غياث ؛ تحريف ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٤) .
(٤) البيت في تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٤) .
(٥) في أ : كان مدة حصار .
(٦) في أ : مصعب الزبيري .
(٧) في تاريخه (٤/ ٤١٧) .

أبي عثمان قال : قتل عثمان في أوسط أيام التشريق] ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثلاث خلت من ذي الحجة . وقيل قتل يوم النحر ، حكاه ابن عساكر ويستشهد له بقول الشاعر :

ضَحّوا بأشمط عنوان السجودِ بهِ يقطّعُ الليلَ تسبيحاً وقرآناً

قال : والأول هو الأشهر ، وقيل[١] إنه قتل يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وقيل سنة ست وثلاثين ، قال مصعب بن الزبير[٢] وطائفة : وهو غريب. فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، لأنه بويع له في مستهلّ المحرم سنة أربع وعشرين .

فأما[٣] عُمره رضي الله عنه فإنه جاوز ثنتين وثمانين سنة ، وقال صالح بن كيسان : توفي عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر ، وقيل : أربع وثمانون سنة[٤] ، وقال أحمد[٥] عن حسن بن موسى (حدثنا أبو هلال)[٦] عن قتادة : توفي عن ثمانٍ وثمانين أو تسعين سنة . وفي رواية عنه توفي عن ثنتين[٧] وثمانين سنة . وعن هشام بن الكلبي [أنه] توفي عن خمس وسبعين سنة، وهذا غريب جداً، وأغرب منه ما رواه (سيف) بن عمر عن مشايخه ، وهم محمد وطلحة وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا : قتل عثمان رضي الله عنه عن ثلاث وستين سنة[٨] .

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه (دفن) بحشّ كوكب ـ شرقي البقيع ـ وقد بني عليه في زمن[٩] بني أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم . قال الإمام مالك رضي الله عنه : بلغني أن عثمان رضي الله عنه كان يمرّ بمكان قبره من حشّ كوكب فيقول : إنه سيدفن هاهنا رجل صالح .

وقد ذكر ابن جرير[١٠] أن عثمان رضي الله عنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن .

قلت : وكأنه اشتغل الناس عنه بمبايعة علي رضي الله عنه حتى تَمَّتْ ، وقيل إنه مكث ليلتين ، وقيل بل دفن من ليلته ، ثم كان دفنه [في] ما بين المغرب والعشاء خيفة[١١] من الخوارج ، وقيل : بل استؤذن

---

(١) في أ : وهو أنه قتل .
(٢) في أ : مصعب الزبيري .
(٣) في أ : وأما .
(٤) اضطرب النص في أ وط اضطراباً شديداً ، فتكررت العبارات وتداخلت ، والصواب ما أثبتناه إن شاء الله تعالى .
(٥) مسند أحمد (١/ ٧٤) ، وإسناده منقطع .
(٦) إضافة من مسند أحمد لا بد منها ، وهو محمد بن سليم الراسبي .
(٧) في أ : عن ست .
(٨) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤١٨) .
(٩) في ط : زمان .
(١٠) في تاريخه (٤/ ٤١٢) .
(١١) في أ : خفية .

في ذلك بعض رؤسائهم ، فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة ، فيهم[١] حكيم بن حزام ، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، ونيار[٢] بن مكرم الأسلمي ، وجُبَيْر بن مُطْعم ، وزيد بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وطلحة والزبير ، وعلي بن أبي طالب وجماعة من أصحابه ونسائه ، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين ، وصبيان . ـ وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي [وقال أحمد[٣] : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : صلى الزبير على عثمان ودفنه وكان أوصى إليه] .

وروى عبد الله[٤] من طريق إبراهيم بن عبد الله بن فروخ (عن أبيه قال :)[٥] : شهدت عثمان دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسل] [وقيل : إن] جماعة من خدمه حملوه على باب بعدما غسّلوه وكفّنوه . وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن ، والصحيح الأول . وصلى عليه جُبَيْر بن مطعم ، وقيل الزبير بن العوام ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مَخْرَمة ، وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجمه ، وإلقاءه عن سريره ، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع ، حتى بعث علي رضي الله عنه إليهم من نهاهم عن ذلك .

وحمل جنازته حكيم بن حزام ، (وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مخرمة) ، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم ، وجبير بن مطعم .

وذكر الواقدي[٦] أنه لما وضع ليُصَلَّى عليه ـ عند مصلَّى الجنائز ـ أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك ، فقال أبو جهم بن حذيفة : ادفنوه فقد صلَّى الله عليه وملائكته ثم قالوا : لا يدفن في البقيع ، ولكن ادفنوه وراء الحائط ، فدفنوه شرقي البقيع تحت نخلات هناك .

وذكر الواقدي[٧] أن عمير بن ضابىء نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : أحبست ضابئاً حتى مات في السجن . وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابىء هذا وقال البخاري في « التاريخ »[٨] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، عن عيسى بن منهال ، حدَّثنا غالب ، عن محمد بن سيرين قال : كنتُ أطوفُ بالكعبة وإذا رجلٌ يقول : اللهم اغفر لي ، وما أظن أن تغفر لي ،

---

(١) في أ : منهم .
(٢) في أ : بيان ، خطأ .
(٣) مسند أحمد (١/ ٧٤) وإسناده منقطع .
(٤) مسند أحمد (١/ ٧٢) .
(٥) إضافة من مسند أحمد لا بد منها .
(٦) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤١٣) .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) لم أجده في تاريخ البخاري .

فقلت : يا عبد الله ما سمعت أحداً يقول ما تقول ، قال : كنتُ أعطيتُ لله عهداً إن قدرتُ أن ألطم وجهَ عثمان إلا لطمته ، فلما قُتل ووضع على سريره في البيت والناس يجيئون فيصلون عليه ، فدخلتُ كأنّي أصلّي عليه ، فوجدت خلوة فرفعتُ الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته وقد يبست يميني . قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنها عود .

ثم خرجوا[١] بعَبْدَي عثمان اللذين قتلا في الدار ، وهما صبيح ونجيح ، رضي الله عنهما ، فدفنا إلى جانبه بحشّ كَوْكَب ، وقيل إن الخوارج لم يمكنوا من دفنهما ، بل جرُّوهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما[٢] الكلاب ، وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله (حتى اتصلت بمقابر المسلمين) .

ذكر صفته رضي الله عنه

كان رضي الله عنه حسنَ الوجـه دقيقَ البشرة ، كبير[٣] اللحية ، معتدلَ القامة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، كثيرَ شعر الرأس ، حسنَ الثغر ، فيه سمرة[٤] ، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجدري ، رضي الله عنه . وعن الزهري : كان حسنَ الوجه والثغر ، مربوعاً ، أصلع ، أزوح[٥] الرجلين (يخضب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب وقد كسى ذراعيه الشعر) .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا سالم أبو جُمَيع ، حدَّثنا الحسن ـ وذكر عثمان وشدة حيائه ـ فقال : إن كان ليكون بالبيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه .

وقال عبد الله[٧] : حدَّثنا زياد بن أيوب ، حدَّثنا هُشَيْم ، قال : زعم أبو المقدام ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : دخلت المسجد فإذا بعثمان بن عفان متوكىء على ردائه ؛ فأتاه سقاءان يختصمان فقضى بينهما ثم أتيته فنظرت إليه ؛ فإذا رجل حسن الوجه ، بوجنتيه نكتات جدريّ ، وإذا شعره قد كسا ذراعيه .

وقال واقد بن عبد الله[٨] : حدَّثني من رأى عثمان بن عفان أنه ضبب أسنانه بالذهب .

---

(١) في ط : ثم أخرجوا .

(٢) في أ : فأكلتهم .

(٣) في أ : رقيق البشرة كثير اللحية .

(٤) في أ : سمرة وقيل بيان .

(٥) أزوح من زاح : إذا تباعد . اللسان (زاح) .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٣ ـ ٧٤) .

(٧) مسند أحمد (١/ ٧٣) وإسناده ضعيف .

(٨) مسند أحمد (١/ ٧٣) وهو من رواية عبد الله .

وقال الواقدي[١] : حدَّثنا ابن أبي سبرة ، عن سعيد بن أبي زيد ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ، ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمئة ألف درهم ، [وخمسون] ومئة ألف دينار ، فانْتُهِبتْ وذهبت ، وترك ألف بعير بالرَّبَذَة ، وترك صدقات كان تصدق بها ، بئر أريس ، وخيبر ، ووادي القرى ، فيه مئتا ألف دينار . (وبئر رومة كان اشتراها في حياة النبي ﷺ وسبَّلها) .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا أرطاة بن المنذر ، حدَّثنا أبو عون الأنصاري : أن عثمان قال لابن مسعود : هل أنت مُنتهٍ عما بلغني عنك ؛ فاعتذر بعض العذر ؛ فقال عثمان : إني قد سمعت وحفظت وليس كما سمعت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه سيقتل أمير ، وينتزي منتز[٣] وإني أنا المقتول وليس عمر ، إن عمر قتله واحد ، وإنه سيجتمع عليَّ .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : حدَّثني أبو سهلة أن عثمان قال يوم الدار : إن رسول الله ﷺ عهد لي عهداً فأنا صابر عليه . قال قيس : فكانوا يرونه ذلك اليوم .

ورواه الترمذي[٥] من حديث وكيع ويحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد به . وفي مسند أبي يعلى من طريق أبي سهلة قال : قال لي رسول الله ﷺ : ستبتلى بعدي فلا تقاتل .

فصل

قال الأعمش عن زيد بن وهب ، عن حذيفة أنه قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن الدجال . وروى (الحافظ) ابن عساكر[٦] من طريق شبابة ، عن حفص بن مورِّق الباهلي ، عن حَجّاج بن أبي عثمان[٧] الصوَّاف عن زيد بن وهب عن حذيفة . قال :

أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حُبِّ قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه آمن به في قبره .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره : (أخبرنا محمد بن سعد) ، أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي ، حدَّثنا أبو الأشهب ، حدَّثني عوف ، عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال :

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٧٦) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٦) وإسناده ضعيف .
(٣) في الأصول : إنه سيقتل امرؤ ، ويتبرأ متبرىء ، وهو خطأ ، والصحيح من مسند أحمد .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٥٨) .
(٥) سنن الترمذي (٣٧١١) في الفضائل ، وقال الترمذي : حسن صحيح .
(٦) تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٢٦٦) .
(٧) في ط : بن أبي عمار ، وهو تحريف ، والتصحيح من تقريب التهذيب (١٥٣) .

اللهمَّ إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً ، فليس لي فيه نصيب ؛ وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء ، والله لئن كان قتله خيراً ليحلبنه لبناً ، وإن كان قتله شراً ليمتصن[١] به دماً . وقد ذكره البخاري في « صحيحه »[٢] .

طريق أخرى عنه

قال محمد بن عائذ : ذكر يحيى[٣] بن حمزة ، حدَّثني أبو عبد الله النَّجْراني[٤] ، أن حذيفة بن اليمان في مرضه الذي هلك فيه ، كان عنده رجلٌ من إخوانه ، وهو يناجي امرأته ، ففتح عينيه فسألهما فقالا خيراً ، فقال : شيئاً تسرانه دوني ما هو بخير ، قال : قتل الرجلُ ـ يعني عثمانَ ـ قال : فاسترجع ثم قال : اللهم إنّي كنت من هذا الأمر بمعزلٍ ، فإن كان خيراً فهو لمن حضره ، وأنا منه بريء ، وإن كان شراً فهو لمنْ حضره وأنا منه بريء ، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان ، الحمد لله الذي سبق بي الفتن قادتها وعلوجها ، الحَظيُّ من تردّى بعيره فشبع شحماً وقلَّ عمله .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي موسى الأشعري ، قال :

لو كان قتل عثمان هُدًى لاحتلبت به الأُمَّةُ لبناً ، ولكنّه كان ضلالاً فاحتلبت به الأُمَّةُ دماً . وهذا منقطع .

وقال محمد بن سعد[٥] : أخبرنا عارم[٦] بن الفضل ، أخبرنا الصَّعق بن حَزْن ، حدَّثنا قتادة ، عن زَهْدم الجَرْمي . قال : خطب ابن عبّاس فقال : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وقد رُوي من غير هذا الوجه عنه .

وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد بن أبي جعفر[٧] الأنصاري . قال :

لما قُتل عثمان جئت علياً وهو جالس في المسجد ، وعليه عمامةٌ سوداءُ ، فقلت له : قُتل عثمان ، فقال : تباً لهم آخر الدهر[٨] ـ وفي رواية : خيبة لهم ـ .

---

(١) في أ : لتحتلبنه لبناً ولئن كان قتله شراً لنمتصن به دماً .

(٢) هكذا قال ، وما أظنه صواباً ، فإننا لم نقف عليه في صحيح البخاري .

(٣) في ط : « محمد » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

(٤) في أ : البحراني ، وفي ط : الحرّاني ، وما هنا عن تاريخ دمشق (٤٨٨) وهو يزيد بن عبد الله النجراني .

(٥) الطبقات (٣/ ٨٠) .

(٦) في ط : حازم ؛ تحريف وهو محمد بن الفضل أبو النعمان السدوسي ، البصري ، المعروف بعارم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٥) .

(٧) في أ : ثابت بن عبد عن أبي جعفر ؛ خطأ . وانظر تقريب التهذيب (١٣٢) .

(٨) الخبر في تاريخ دمشق (٤٦٠) .

وقال أبو القاسم البغوي : أنبأنا علي بن الجعد ، أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى . قال :

سمعت علياً وهو بباب المسجد ، أو عند أحجار الزَّيت ، رافعاً صوته يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان .

وقال أبو هلال : عن قتادة ، عن الحسن . قال :

قُتل عثمان وعليٌّ غائب في أرض له ، فلما بلغه قال : اللهم إني لم أرض ولم أمالىء[١] .

وروى الربيع بن بدر ، عن سيّار بن سلامة عن أبي العالية :

أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنّوا أنه سيلحق به .

وقال الثوري وغيره عن ليث ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال علي يوم قتل عثمان :

والله ما قتلت ولا أمرتُ ولكني غُلبت . ورواه غير ليث ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن علي نحوه[٢] .

وقال حبيب بن أبي العالية ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال علي : إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ما قتلتُ عثمان ولا أمرت بقتله ، ولقد نهيتهم فعصوني ، وقد رُوي من غير وجه عن علي بنحوه .

وقال محمد بن يونس الكُدَيْمي[٣] : حدَّثنا هارون بن إسماعيل ، حدَّثنا قرَّة بن خالد ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد . قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول :

(اللهم) إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان ، وأنكرت نفسي ، وجاؤوني للبيعة فقلت : والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ : « إني لأستحيي ممن تستحي منه الملائكة » وإني لأستحيي من الله أن أُبايع وعثمان قتيل (في) الأرض لم يُدْفَن بعد ، فانصرفوا ، فلما دُفن رجع الناس يسألوني[٤] البيعة فقلت : اللهم إني أشفق[٥] مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزمة فبايعت . فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدع قلبي وأسكت نفرة من ذلك .

وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر[٦] بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم

---

(١) جملة هذه الأخبار في تاريخ دمشق (٤٦١) ترجمة عثمان .
(٢) في أ : بنحوه .
(٣) في أ : المكرمي ؛ تحريف . انظر تقريب التهذيب (٥١٥) .
(٤) في أ : فسألوني .
(٥) في أ : لمشفق .
(٦) تاريخ دمشق (٤٦١ ـ ٤٦٢) ـ ترجمة عثمان ـ .

عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله لا مالأ ولا رضي به ، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ولله الحمد والمنة .

وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] وثبت عنه[١] أيضاً من غير وجه أنه قال : ﴿ إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ﴾ [المائدة : ٩٣] وفي رواية أنه قال : كان عثمان رضي الله عنه خيرنا وأوصلنا للرحم ، وأشدنا حياء ، وأحسننا طهوراً ، وأتقانا للرب عزَّ وجلَّ .

وروى يعقوب بن سفيان[٢] ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن مجالد ، عن عمير بن زوذي[٣] أبي كثير . قال :

خطب علي فقطع الخوارج عليه خطبته فنزل فقال : إنَّ مَثَلي ومَثَل عثمان كمثل أثوارٍ ثلاثةٍ ، أحمر وأبيض وأسود، ومعهم في أجَمةٍ أسدٌ، فكان كلما أراد قتلَ أحدهم منعَه الآخران ، فقال للأسود والأحمر: إنّ هذا الأبيضَ قد فضحنا في هذه الأجمة فخلِّيا عنه حتى آكله ، (فخلَّيا عنه فأكله) ، ثم كان كُلَّما أرادَ أحدَهما منعَه الآخرُ فقال للأحمر : إن هذا الأسود قد فضحنا (في هذه الأجَمة) ، وإنَّ لوني على لونك ، فلو خَلَّيْتَ عنه أكلته ، فَخَلَّى عنه الأحمر فأكله ، ثم قال للأحمر[٤] : إنّي آكلُكَ ، فقال : دَعْني حتى أصيحَ ثلاثَ صيحاتٍ ، فقال دونك ، فقال : ألا إني إنما أُكلتُ يومَ أُكلَ الأبيض[٥] ثلاثاً (فلو أنّي نَصَرْتُه لما أُكِلْتُ) ثم قال علي : وإنما أنت وهنت يوم قُتِلَ عثمان ، (ولو أني نصرته لما وهنت) قالها ثلاثاً .

وروى ابنُ عساكر[٦] من طريق محمد بن هارون الحَضْرمي ، عن سَوّار بن عبد الله العَنْبَري[٧] القاضي ، عن (ابن) مهدي ، عن حمّاد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المُسَيّب . قال :

وكانت[٨] المرأةُ تجيءُ في زمان عثمان إلى بيتِ المال فتحملُ وَقرَها وتقول : اللهم بدِّلْ ، اللهم غَيِّر . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان رضي الله عنه[٩] : [من الرمل]

---

(١) في أ : وثبت أيضاً عنه أنه سُئل عن عثمان فقال : كان من الذين آمنوا وعملوا . .
(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ١١٨) ، وهو في تاريخ دمشق أيضاً .
(٣) في ط : « رودي » بالراء المهملة ، مصحف . ينظر الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ٢٠٧٨) .
(٤) في أ : الآخر فأكله ثم قال للآخر .
(٥) في ط : البيض .
(٦) تاريخ دمشق (٤٨٣) ـ ترجمة عثمان ـ .
(٧) في أ ، ط : سويد ، وفي ط : القشيري ، وكلاهما تحريف . وانظر تقريب التهذيب (٢٥٩) .
(٨) في أ ، ط : كانت ، والواو عن تاريخ دمشق .
(٩) البيتان أربعة في ديوان حسان (١/ ١٢٢) .

قُلْتُمُ بَدِّلْ فَبُدِّلتمْ بِهِ[١] سَنةً حَرَّى وحَرْباً كاللَّهبْ
ما نَقَمْتُمْ من ثيابٍ خِلْفَةٍ وعَبيدٍ وإماءٍ وذَهَبْ

قال : وقال أبو حميد أخو بني ساعدة ـ وكان ممن شهد بدراً ، وكان ممن جانب عثمان ـ فلما قتل قال : والله ما أردنا قَتْلَه ، ولا كُنّا نرى أن يبلغ منه القتلُ ، اللَّهُمّ إنَّ لكَ عليّ أن لا أفعل كذا وكذا[٢] ولا أضحك حتى ألقاك .

وقال محمد بن سعد[٣] : أخبرنا عبد الله بن إدريس ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل . قال :

لقد رأيتني وإنَّ عمرَ مُوثقي وأختَه على الإسلام ، ولو ارْفضَّ أحَدٌ فيما صنعتم بابن عفّان لكان حقيقاً .

وهكذا رواه البخاري في « صحيحه »[٤] .

وروى محمد بن عائذ[٥] ، عن إسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر . قال : سمع عبد الله بن سلام رجلاً يقول لآخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان . فقال ابن سلام أجل ! إن البقر والمعز لا تنتطح في قتل الخليفة ، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح ، والله ليُقْتلنَّ به أقوامٌ إنهم لفي أصلابِ آبائهم ما ولدوا بعدُ .

وقال ليث[٦] : عن طاووس . قال : قال ابن سلام :

يحكَّم عثمان يوم القيامة في القاتل والخاذل .

وقال أبو عبد الله المحاملي : حدَّثنا أبو الأشعث ، حدَّثنا حزم بن أبي حزم ، سمعت أبا الأسود يقول : سمعت أبا بكرة يقول[٧] : لأن أخرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أُشْرَكَ في قتل عثمان .

وقال أبو يعلى[٨] : حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرة ، حدَّثنا محمد بن عباد الهنائي ، حدَّثنا البراء بن أبي فضالة ، حدَّثنا الحضرمي ، عن أبي مريم رضيع الجارود . قال :

كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيباً فقال : أيها الناس! رأيتُ البارحةَ في منامي عجباً ، رأيتُ

---

(١) في ط والديوان : فقد بد لكم .
(٢) ليست اللفظة في أ ولا في تاريخ دمشق .
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٧٩) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٤٨٥) ـ ترجمة عثمان ـ .
(٤) صحيح البخاري (٣٨٦٢) في مناقب الأنصار ، وقال ابن حجر رحمه الله : ارفضَّ أي زال عن مكانه ، وفي رواية : انقض بالنون والقاف بدل الراء والفاء أي سقط .
(٥) الخبر في تاريخ دمشق (٤٩٠) .
(٦) المصدر السابق (٤٩١) .
(٧) تاريخ دمشق (٤٩٢) .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ٦٧٦٧) والخبر في تاريخ دمشق (٤٩٥) ـ ترجمة عثمان ـ وإسناده ضعيف .

الربَّ تباركَ وتعالى فوقَ عرشه فجاء رسول الله ﷺ حتى قام عند قائمةٍ من قوائم العرش ، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبي ﷺ ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر ، ثم جاء عثمان فكان بيده[١] ـ يعني رأسه ـ فقال : ربِّ سلْ عبادَكَ فيم قتلوني ؟ فانبعثَ من السماء ميزابان من دمٍ في الأرض . قال : فقيل لعلي ألا ترى ما يحدِّثُ به الحسن ؟! فقال : حدَّثَ بما رأى .

ورواه أبو يعلى[٢] أيضاً : عن سفيان بن وكيع ، عن جُميع بن عُمَير[٣] بن عبد الرحمن : عن مجالد ، عن طُحْرُب[٤] العِجْلي : سمعت الحسن بن علي يقول :

ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت العرش ورأيت رسول الله ﷺ متعلقاً بالعرش ، ورأيت أبا بكر واضعاً يده على (منكب رسول الله ، وكان عمر واضعاً يده على منكب أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعاً يده على) منكب عمر ، ورأيت دماً دونهم ، فقلت : ما هذا؟ فقيل : دم عثمان يطلب الله به .

وقال مسلم بن إبراهيم : حدَّثنا سلام بن مسكين ، عن وهب بن شبيب ، عن زيد بن صوحان أنه قال : يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها ، والذي نفسي بيده لا تتألف إلى يوم القيامة .

وقال محمد بن سيرين[٥] : قالت عائشة : مُصتموه مَوْصَ[٦] الإناء ثم قتلتموه ؟

وقال خليفة بن خياط[٧] : حدَّثنا أبو قتيبة ، حدَّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عون بن عبد الله بن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ؟! استَعْتبتُموه حتى إذا تركتموه كالقُلْب[٨] المُصَفَّى قتلتموه .

وقال أبو معاوية[٩] : عن الأعمش ، عن خَيْثمة ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة رضي الله عنها حين قتل عثمان :

تركتموه كالثوب النقيِّ من الدَّنسِ ثمَّ قتلتموه . وفي رواية : ثم قربتموه فذبحتموه كما يُذْبَحَ الكَبْشُ ؟ فقال لها مسروقٌ : هذا عملكِ ، أنتِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم أن يخرجوا إليه ، فقالتْ :

---

(١) في تاريخ دمشق (٤٩٥) : فكان نَبْذَةَ ـ وفي حديث ابن حمدان : فكان بيده ـ يعني رأسه ، وهو وهم ـ ثم اتفقا ـ فقال . . .

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٦٧٦٨/١٢) والخبر في تاريخ دمشق (٤٩٤) ـ ترجمة عثمان ـ وإسناده ضعيف .

(٣) في أ ، ط : عمير عن عبد الرحمن ؛ خطأ .

(٤) في ط : « حرب » محرف ، وتنظر ترجمته في ميزان الذهبي (٢/ ٣٣٥) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٩٥) .

(٦) المَوْص والغسل واحد . تاريخ دمشق (٤٩٨) .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط (١٧٥) والخبر في تاريخ دمشق (٤٩٥) .

(٨) القُلْب : السِّوار من الفضة . اللسان (قلب) والنهاية (٤/ ٩٨) .

(٩) تاريخ دمشق (٤٩٦) .

لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبتُ لهم سوداءَ في بيضاءَ حتى جلست مجلسي هذا .

قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إليها . وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوَّروا كتباً على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان ، كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة .

وقال أبو داود الطيالسي(١) : حدَّثنا حزم القُطَعي ، حدَّثنا أبو الأسود [والد] سوادة(٢) أخبرني طلق بن خشاف(٣) قال :

قال قتل عثمان فتفرَّقنا في أصحاب محمد ﷺ نسألهم عن قتله ، فسمعت عائشة تقول : قُتل مظلوماً لعن الله قَتَلَتَهُ .

وروى محمد بن عبد الله الأنصاري(٤) : عن أبيه ، عن ثُمامة ، عن أنس . قال : قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان رحمه الله ، أما إنه لم يحلبوا بعده إلَّا دماً .

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له ، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله(٥) : إنكم مثلهم أو أعظم جرماً ، أما مررتم ببلاد ثمود قالوا : نعم ! قال : فأشهد أنكم مثلهم ، لخليفة الله أكرم عليه من ناقته .

وقال ابن علية : عن يونس بن عبيد ، عن الحسن . قال(٦) :

لو كان قتلُ عثمان هدى لاحتلبتْ به الأمةُ لبناً ، ولكنه كان ضلالًا فاحتلبت به الأمة دماً .

وقال أبو جعفر الباقر(٧) :

كان قتل عثمان [بن عفان] على غير وجه الحق .

وهذا ذكر بعض ما رُثي به رضي الله عنه

قال مجالد : عن الشعبي : ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك(٨) : [من الطويل]

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (٤٩٧) ـ ترجمة عثمان ـ من طريق الطيالسي .

(٢) في ط : أبو الأسودبن سوادة ، خطأ .

(٣) في ط : حسان ، خطأ .

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر مجلد عثمان (٤٩٩) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠٠) .

(٧) المصدر السابق .

(٨) الأبيات في تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤٧ ـ ٥٤٨) وديوان كعب بن مالك (٩١ ـ ٩٢) .

فَكَـفَّ يَـدَيْـهِ ثُـمَّ أغْلَـق بـابَـهُ ... وأيْقَـن أنَّ اللهَ ليـسَ بغـافِـلِ
وقـالَ لأهـلِ الـدّارِ لا تقتلـوهُـمُ[١] ... عفـا اللهُ عـن كُلِّ امرِىءٍ لـم يُقـاتـلِ
فكيـفَ رأيـتَ اللهَ صـبَّ عليهـمُ الـ ... ـعـداوةَ والبَغْضـاءَ بَعْـدَ التَّـواصـلِ
وكيـفَ رأيـتَ الخَيْـرَ أدبـرَ بعـدهُ ... عنِ الناسِ إدبارَ[٢] النَّعامِ الجَوافِلِ

وقد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى المغيرة [بن] الأخنس[٣] بن شريق .

وقال سيف بن عمر : وقال حسان بن ثابت[٤] : [من الطويل]

ماذا أرَدْتُم منْ أخي الدِّين باركتْ ... يـدُ اللهِ فـي ذاكَ الأديـمِ المُقَـدَّدِ
قَتَلْتُـمْ ولـيَّ الله فـي جَـوْفِ دارِهِ ... وجئتُـمْ بـأمْـرٍ جـائـرٍ غَيْـرِ مُهْتَـدِ
فَهـلا رَعَيْتُـمْ ذمَّـةَ اللهِ بينكـمْ[٥] ... وَأوْفَيْتُـمُ بـالعَهْـدِ عَهْـدِ مُحمَّـدِ
ألَـمْ يَـكُ فيكـمْ ذا بَـلاءٍ ومَصْدَقٍ ... وأوْفـاكُـمُ عهـداً[٦] لـدى كُـلِّ مَشْهـدِ
فَـلا ظَفِـرَتْ أيْمـانُ قَـوْمٍ تَبـايَعُـوا[٧] ... علـى قَتْـلِ عُثْمـانَ الـرَّشيـدِ المُسـدَّدِ

وقال ابن جرير[٨] : وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه[٩] : [من البسيط]

منْ سرَّهُ الموتُ صِرْفاً لا مِزاجَ لهُ ... فَلْيَـأْتِ مَـأْسَـدَةً[١٠] فـي دارِ عُثْمـانـا
مُسْتَحْقِبي حَلَقَ الماذيّ قد شَفَعَتْ ... فَوْقَ المَخاطِم بيض[١١] زان أبدانا
ضَحُّوا بأشْمَط عُنوانُ السُّجودِ بهِ ... يُقَطِّـعُ اللَّيْـلَ تَسْبيحـاً وقُـرآنـا
صَبْراً[١٢] فِدىً لَكُمُ أمّي وما وَلَدتْ ... قد يَنْفعُ الصَّبْرُ في المَكْروهِ أحْياناً
فقد رضينا[١٣] بأرض الشَّامِ نافرةً ... وبـالأميـر وبـالإخـوانِ إخـوانـا

---

(١) في ديوان كعب بن مالك : (وقال لمن في داره لا تقاتلوا . . .) .
(٢) في أ : أدبر عنهم وولى كإدبار . .
(٣) في ط : إلى أبي المغيرة الأخنس ، وما هنا عن أ وتاريخ دمشق وهو الصواب .
(٤) الأبيات في تاريخ دمشق (٥٤٥) وديوان حسان بن ثابت (١/ ٣٢٠) .
(٥) في ديوان حسان : سطكم .
(٦) في تاريخ دمشق : وأوفاكم قدماً .
(٧) في الديوان : تظاهرت .
(٨) في تاريخه (٤/ ٤٢٥) .
(٩) ديوان حسان (١/ ٩٦) .
(١٠) في أ : مأدبة .
(١١) في الديوان : بيضاً .
(١٢) في الديوان : ويهاً .
(١٣) في الديوان : وقد رضيت بأهل الشام زافرة .

إنّي لَمِنْهُمْ وإنْ غابوا وإنْ شَهِدوا ... ما دمتُ حيّاً[١] وما سُمّيتُ حسانا
لتسمعنَّ وشيكاً في ديارهمُ ... الله أكبر يا ثاراتِ عثمانا
يا ليتَ[٢] شِعْري وَلَيْتَ الطَّيرَ تُخْبرني ... ما كانَ شَأْنُ عليٍّ وابنِ عَفّانا

(وهو القائل أيضاً[٣] : [من البسيط]

إنّ تُمْسِ دارُ ابن أروى[٤] منهُ خاويةً ... بابٌ صريعٌ وبابٌ مُحْرَقٌ خَرِبُ
فقدْ يُصادفُ باغي العرفِ[٥] حاجَتهُ ... فيها ويأوي إليها المَجْدُ[٦] والحَسَبُ
يا مَعْشَرَ النّاسِ[٧] أبْدوا ذات أنْفسكم ... لا يستوي الصِّدْقُ عندَ اللهِ والكَذِبُ

وقال الفرزدق[٨] : [من البسيط]

إنَّ الخِلافةَ لما أظْعنتْ ظَعَنَتْ ... عنْ أهلِ يثربَ إذْ غيرَ الهُدى سَلكوا
صارتْ إلى أهلها منهمْ ووارثها ... لما رأى الله في عثمانَ ما انتهكوا
السّافكي دَمهُ ظُلْماً ومَعْصيةً ... أيَّ دمٍ ـ لا هُدوا ـ من غَيّهم سفكوا

وقال راعي الإبل النميري في ذلك[٩] : [من الوافر]

عَشِيَّةَ يَدْخلون بغَيرِ إذنٍ ... على مُتوكّلٍ أوفى وطابا
خليلُ محمّدٍ ووزيرُ صدقٍ ... ورابعُ خيرِ مَنْ وطىء التُّرابا

فصل

إن قالَ قائلٌ : كيفَ وقعَ قتلُ عثمان رضي الله عنه بالمدينة ، وفيها جماعةٌ من كبار الصحابة رضي الله عنهم ؟ فجوابه من وجوه :

أحدها : أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلّهم لم يكن يظنّ أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتلَه عيناً ، بل طلبوا منه أحدَ أمورٍ ثلاثةٍ ، إما أن يَعْزلَ نَفْسَه ، أو يُسْلمَ إليهم مروانَ بن

---

(١) في الديوان : حتى الممات وما .
(٢) في الديوان : بل ليت شعري .
(٣) الأبيات خمسة في ديوان حسان (٢٠٦) .
(٤) في الديوان : بني عفان .
(٥) في الديوان : باغي الخير .
(٦) في الديوان : الذكر والحسب .
(٧) في الديوان : يا أيها الناس .
(٨) لم أجد الشعر في ديوانه ولا في تاريخ دمشق .
(٩) البيتان في تاريخ دمشق (٥٥٥) مجلد عثمان .

الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلِّم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل (نفسه) ويستريح من هذه الضائقة الشديدة . وأما القتل فما كان يظن أحد[١] أنه يقع ، ولا أنَّ هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حدّه ، حتى وقع ما وقع ، والله أعلم .

الثاني : أنَّ الصحابةَ مانعوا دونه أشدَّ المُمانعة ، ولكن لمّا وقعَ التَّضييق الشديد ، عزم عثمانُ على الناس أن يكفّوا أيديهم ويغمدوا أسلحتَهم ففعلوا ، فتمكَّنَ أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن (أحد من) الناس أنه يقتل بالكلية .

الثالث : أنَّ هؤلاء الخوارجَ لمّا اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة [أو أكثرهم] في أيّام الحجّ ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لمَّا اقترب مجيئهم ، انتهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم .

الرابع : أنَّ هؤلاء الخوارج كانوا قريباً من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدَّة من المقاتلة ، لأنَّ الناسَ كانوا في الثُّغور وفي الأقاليم في كل جهة [وفي الحج] ، ومع هذا كان كثير من الصحابة [قد] اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتَهم ، ومنْ كان يحضرُ منهم المسجدَ لا يجيء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارجُ محدقون بدار عثمان رضي الله عنه ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن [كان] كبار الصحابة قد بعثوا أولادَهم إلى الدار يحاجفون[٢] عن عثمان رضي الله عنه ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فوجيء الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوَّروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكره بعضُ الناس من أنَّ بعضَ الصحابة أسلمه ورضي بقتله ، فهذا لا يصحّ عن[٣] أحد من الصحابة أنّه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته وسب من فعله ، ولكن (بعضهم) كان يودّ لو خلع نفسه من الأمر ، كعمّار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر ، و (عمرو) بن الحمق وغيرهم[٤] .

قال أبو عمر بن عبد البر[٥] : دفنوا عثمان رضي الله عنه . بحش كوكب ـ وكان قد اشتراه وزاده في البقيع .

ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول[٦] وقد سئل عن عثمان : هو أمير البررة ، وقتيل الفجرة ، مخذول من خذله ، منصور من نصره .

---

(١) في أ : ما كان أحد يظن أنه يقع .
(٢) حاجفت فلاناً إذا عارضته ودافعته . اللسان (حجف) .
(٣) في أ : من .
(٤) بعد هذه اللفظة يرد حديث سهم بن حنيش أبي خنيس عن يوم الدار رواه ابن عساكر وقد تقدم .
(٥) الاستيعاب (٣/ ١٠٤٨) واللفظ مختلف . وكوكب : رجل من الأنصار ، وحش : البستان .
(٦) في أ : حيث يقول .

وقال (شيخنا) أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله[(١)] ـ بعد حكايته هذا الكلام : الذين قتلوه أو ألَّبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته ، والذين خَذلوه خُذلوا وتنَغَّصَ عيشهم، وكان الملك بعده في نائبه معاوية وبنيه[(٢)] ، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته ، استطالوا حياته وملُّوه مع فضله وسوابقه ، فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعاً وثمانين سنة ، فالحكم لله العلي الكبير . وهذا لفظه بحروفه .

بعض[(٣)] الأحاديث الواردة في فضائل [أمير المؤمنين] عثمان بن عفان

هو عثمان[(٤)] بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَد بن عدنان ، أبو عمرو وأبو عبد الله ، القرشي ، الأموي ؛ أمير المؤمنين ، ذو النورين ، وصاحب الهجرتين ، وزوج الابنتين ، وأمُّه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن عبد شمس . وأمُّها أمُّ حكيم وهي البَيْضاء بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ ، وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحدُ الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستّة ، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، فكان[(٥)] ثالثَ الخلفاء الرّاشدين ، والأئمة المَهْديين ، المأمور[(٦)] باتباعهم والاقتداء بهم .

أسلم عثمانُ رضي الله عنه قديماً على يدي أبي بكر الصّدّيق ، وكان سبب إسلامه عجيباً[(٧)] فيما ذكره الحافظ ابن عساكر[(٨)] ، وملخص ذلك أن لما بلغه أن رسول الله ﷺ زوج ابنته رقية ـ وكانت ذات جمال ـ من ابن عمها عتبة بن أبي لهب ، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها ، فدخل على أهله مهموماً فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز ـ وكانت كاهنة ـ فقالت له[(٩)] : [من الرجز]

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٧٨) ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ ط : دار الكتاب العربي .

(٢) في أ : وكان الملك بعده نائبه معاوية واستديم في وزيره .

(٣) في أ : فصل في الإشارة إلى شيء من فضائل عثمان . . .

(٤) ترجمة ـ عثمان رضي الله عنه ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣) ونسب قريش (٢٣٦) حلية الأولياء (١/ ٥٥) والاستيعاب (٣/ ١٠٤٨) وأسد الغابة (٣/ ٢٧٦) وتاريخ دمشق لابن عساكر (مجلد كامل) والإصابة (٢/ ٤٦٢) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٢٩) والعقد الثمين (٦/ ٣٢) والرياض النضرة (١/ ١٩٢) .

(٥) في أ : فصار .

(٦) في ط : والمأمور .

(٧) في أ : عجباً .

(٨) تاريخ دمشق (٢٠) مجلد عثمان .

(٩) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٠) وقد جاءت في ط وكأنها نثر لا شعر .

أبْشِـرْ وحييّـتَ ثـلاثـاً تـترى ... ثـم ثـلاثـاً وثـلاثـاً أخـرى
ثـم بـأخـرى كـي تتم عشـراً ... أتـاك خيـرٌ ووقيـتَ شـرّا
أُنكحـتَ والله حصـانـاً زَهْـرا ... وأنـت بكـر ولقيـت بكـرا
وافيتهـا بنـتَ عظيـم قـدرا ... بنيـتَ أمـراً[1] قـد أشاد ذكـرا

قال عثمان : فعجبت من أمرها حيث تبشرني بامرأة قد تزوجت غيري فقلت : يا خالة ما تقولين ؟ فقالت : عثمانُ [من الرجز]

لك الجمال ولك اللسان ... هـذا نبـي[2] معـه البرهـانُ
أرسلـه بحقّـه الـديـانُ ... وجـاءه التنـزيـل والفـرقـان
فاتْبعه لا تغتالك الأوثان

قال : فقلت إنك لتذكرين أمراً ما وقع ببلدنا . فقالت : محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : [مجزوء الرجز]

مصباحُهُ مصباحُ ... ودينُـهُ فـلاحُ
وأمـرُه نجـاحُ ... وقـرنُـه نطّـاحُ
ذلَّتْ له البطاحُ ... ما ينفع الصيّاح[3]
لو وقع الذّباح ... وسُلَّتِ الصفـاح
ومُدَّتِ الرّماحُ

قال عثمان : فانطلقت مفكراً فلقيني أبو بكر فأخبرته ، فقال : ويحكَ يا عثمانُ إنَّك لرجلٌ حازمٌ ، ما يخفى عليك الحقُّ من الباطل ، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا ؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضرُّ ولا تنفع ؟ قال : قلت بلى ! والله إنها لكذلك ، فقال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا رسول الله محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته ، هل[4] لك أن تأتيه ؟ فاجتمعنا برسول الله ﷺ فقال : « يا عثمان أجب الله إلى جنته[5] فإنّي رسول الله إليك وإلى خلقه » . قال : فوالله ما تمالكتُ حين سمعت[6] قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم لم ألبث أن

---

(١) في أ : بنت امرىء قد أشار ذكراً .
(٢) في ط : هذا النبي .
(٣) في أ : المصباح .
(٤) في أ : فهل لك .
(٥) في ط : إلى حقه .
(٦) في ط : ما تمالكت نفسي منذ سمعت رسول الله ﷺ . وما هنا عن أ وتاريخ دمشق .

تزوجت رقية بنت رسول الله ﷺ فكان يقال : [أحسن زوج رقية وعثمان . قال عمارة بن زيد وكان يقال][1] : [من الرجز]

أحسنُ زوجٍ رآهُ إنسانُ   رقيّةٌ وزوجُها عثمانُ

فقالت في ذلك سعدى بنت كريز[2] : [من الطويل]

هَدَى اللهُ عُثماناً بقَوْلي إلى الهُدى   وأرْشَدَهُ واللهُ يَهْدي إلى الحقِّ
فَتَابعَ بالرَّأيِ السَّديدِ مُحمَّداً   وكان برأيٍ لا يَصُد[3] عن الصِّدْقِ
وأنْكحَهُ المَبْعوثُ بالحقِّ بنتَهُ   فكانا كبدْرٍ مازَجَ الشَّمْسَ في الأُفْقِ
فِداؤكَ يا بنَ الهاشِمِيِّينَ مُهْجتي   وأنتَ أمينُ اللهِ أُرسِلْتَ للخَلْقِ

قال : ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مَظْعون ، وبأبي عبيدة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا ، وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ثمانية وثلاثون رجلاً .

وهاجر إلى الحبشة أوّلَ الناس ومعه زَوْجتهُ رقية بنت رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعةُ بدرٍ اشتغلَ بتمريض ابنة رسول الله ﷺ ، وأقام بسببها في المدينة ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها ، فهو معدودٌ فيمن شهدها . فلما تُوفِّيت زوَّجهُ رسولُ الله ﷺ بأُخْتها أمّ كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبته ، وقال رسول الله ﷺ : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها لعثمان »[4] .

وشهد أُحداً وفر يومئذ فيمن تولَّى ، وقد نصَّ اللهُ على العفو عنهم ، وشهد الخندق والحديبية ، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه ، وشهد خيبر وعمرة القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجهز جيش[5] العسرة .

وتقدّم عن عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمئة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبَّها في حجر رسول الله ﷺ (فقال : « ما ضرَّ عثمانَ ما فعلَ بعد هذا اليوم »[6] مرتين) .

وحجَّ مع رسول الله ﷺ حجةَ الوداع ، وتوفي وهو عنه راضٍ ، وصحب أبا بكرٍ فأحسنَ صُحْبته ،

---

(١) الاستدراك عن تاريخ دمشق (٢١) .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٢١) .
(٣) في أ : وكان برأي لا بعيد عن الصدق .
(٤) الحديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨) .
(٥) في أ : وجهز فيها جيش العسرة .
(٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٦٣) والترمذي رقم (٣٧٠١) وهو حديث حسن .

وتوفي وهو عنه راضٍ ، وصحب عمر فأحسنَ صحبتَهُ وتوفي وهو عنه راضٍ . ونصَّ عليه في أهل الشورى الستة ، فكان خيرَهم كما سيأتي .

فولي الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار ، وتوسعت المملكة الإسلامية ، وامتدت الدولة المحمدية ، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٥٥] وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] وقوله ﷺ : « إن الله زوى لي مشارق الأرض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها »(١) وقوله ﷺ : « إذا هلكَ قيصرٌ فلا قيصرَ بعده ، وإذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله »(٢) وهذا كله تحقَّق وقوعه وتأكَّدَ وتوطَّد في زمان عثمان رضي الله عنه .

وقد كان رضي الله عنه حسنَ الشكل ، مليحَ الوجه ، كريمَ الأخلاق ، ذا حياءٍ كثير ، وكرمٍ غزيرٍ ، يُؤْثِرُ أهلَه وأقاربَه(٣) في الله ، تأليفاً لقلوبهم من مَتاع الحياةِ الدُّنيا الفاني ، لعله يرغِّبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى ، كما كان النبيُّ ﷺ يُعطي أقواماً ويدعُ آخرين ، يعطي أقواماً خشيةَ أن يَكبَّهُمْ اللهُ على وجوههم في النار ، وَيَكلُ آخرين إلى ما جَعلَ اللهُ في قلوبهم من الهُدى والإيمان ، وقد تَعنَّتَ عليه بسبب هذه الخصلة أقوامٌ ، كما تَعنَّتَ بعضُ الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار . وقد قدمنا ذلك في غزوة حُنين حيث قسم غنائمها . وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في فضل عثمان رضي الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة وهي قسمان :

الأول : فيما ورد في فضائله مع غيره

فمن ذلك الحديثُ الذي رواه البخاريّ في صحيحه(٤) : حدَّثنا مُسدد ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد ، عن قتادة أن أنساً(٥) حدَّثهم قال :

« صعدَ النبيُّ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجفَ فقال : اسكن أحد ـ أظنُّه ضربَه برجله ـ فليس عليك إلَّا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان » تفرد(٦) به دون مسلم .

---

(١) قطعة من حديث رواه ثوبان ، أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٩) في الفتن ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٧١٤) في التاريخ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٠) ومسلم في صحيحه (٢٩١٨) (٧٥) في الفتن .

في أ : يؤثر أقاربه وأهله .

صحيح البخاري (٣٦٩٩) في فضائل الصحابة .

في ط : إنساناً ؛ خطأ .

في أ : انفرد .

وقال الترمذي[(١)] : حدَّثنا قتيبة ، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال النبي ﷺ : « اهدئي فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد » .

ثم قال في الباب : عن عثمان وسعيد بن زيد وابن عباس ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وبُرَيْدة الأسلمي ، وهذا حديث صحيح . قلت : ورواه أبو الدرداء ، ورواه الترمذي عن عثمان في خطبته يوم الدار ، وقال : على ثبير .

حديث آخر

وهو [ما ثبت في الصحيحين[(٢)] من حديث] أبي عثمان النَّهدي ، عن أبي موسى الأشعري قال : كنتُ مع رسول الله ﷺ في حائط ، فأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجلٌ يستأذن فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « ائذنْ له وبشّره بالجنَّة » . ثمَّ جاء عمر فقال : « ائْذنْ له وبشّره بالجنَّة » ثمَّ جاء عثمان فقال : « ائذن له وبشّره بالجنة على بلوى تصيبُه » . فدخل وهو يقول : اللهمَّ صبراً وفي رواية ـ الله المستعان ، رواه عنه قتادة وأيوب السختياني .

وقال البخاري[(٣)] : وقال حماد بن زيد : حدَّثنا عاصم الأحول وعليّ بن الحكم ، سمعا أبا عثمان يحدِّث عن أبي موسى الأشعري بنحوه ، وزاد عاصم : أن رسول الله ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء قد انكشف[(٤)] عن ركبتيه ، أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها .

وهو في الصحيحين[(٥)] أيضاً من حديث سعيد بن المسيِّب ، عن أبي موسى ، وفيه : أن أبا بكر وعمر دلَّيا أرجلهما مع رسول الله في باب القفّ وهو في البئر ، وجاء عثمان فلم يجد له موضعاً [فجلس ناحيةً] » قال سعيد [بن المسيب] : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان .

وقال[(٦)] الإمام أحمد[(٧)] : حدَّثنا يزيد بن هارون[(٨)] ، حدَّثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سَلمة . قال : قال نافع بن عبد الحارث :

---

(١) سنن الترمذي (٣٦٩٦) في المناقب ، والرواية الثانية ـ خطبة عثمان ـ (٣٧٠٣) .

(٢) صحيح البخاري (٣٦٩٥) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٣) (٢٨) في فضائل الصحابة .

(٣) في صحيحه (٧/ ٥٣) ـ فتح الباري ـ رقم (٣٦٩٥) .

(٤) في ط : في مكان قد انكشف . . ، وما هنا عن أ وصحيح البخاري .

(٥) صحيح البخاري (٧٠٩٧) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٣) (٢٩) في فضائل الصحابة .

(٦) في أ : وقد قال .

(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٠٨) .

(٨) في ط : يزيد بن مروان ؛ تحريف وما هنا عن مسند أحمد وتاريخ دمشق (١٢٢) .

خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً فقال : « أمسك عليَّ البابَ » ، فجاء حتى جلس على القُفّ[١] ودلَّى رجليه ، فضرب الباب فقلتُ : منْ هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر ، قال : « ائذن له وبشِّره بالجنَّة » . فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ على القُفّ ودلَّى رجليه في البئر ، ثم ضُرِبَ البابُ : فقلت : منْ هذا ؟ قال : عمر : قلت : يا رسول الله هذا عمر ، قال : « ائذن له وبشِّره بالجنة » (ففعلت) ، فجاء فجلس مع رسول الله ﷺ على القُفِّ ودلّى رجليه في البئر ثم ضُربَ البابُ فقلت : منْ هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هذا عثمان ، قال : « ائذن له وبشِّره بالجنة معها بلاء » فأذنت له وبشرته بالجنة ، فجلس مع رسول الله ﷺ على القُفّ ودلّى رجليه في البئر .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي[٢] من حديث أبي سلمة ، فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا مُوكَّلين بالباب ، أو أنها قصة أخرى .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] : عن عفَّان ، عن وهيب ، عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث .

« أنَّ رسول الله ﷺ دخل حائطاً فجلس على قُفِّ البئر ، فجاء أبو بكر فاستأذن فقال لأبي موسى : ائذن له وبشِّره بالجنة . ثم جاء عمر فقال : ائذن له وبشِّره بالجنة » ثمَّ جاء عثمان فقال : « ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاءً » .

وهذا السياق أشبه من الأول ، على أنه قد رواه النسائي[٤] من حديث صالح بن كيسان ، عن أبي الزناد ، عن أبي سلمة ، عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث ، عن أبي موسى الأشعري فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا يزيد ، أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد ، عن عبد[٦] الله بن عمرو قال : كنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر فاستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » ثم جاء عمر فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » ثم جاء عثمان فاستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » . قال : قلت فأين أنا ؟ قال : أنت مع أبيك . تفرّد به أحمد . وقد رواه البزار وأبو يعلى من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

---

(١) القف : هو الدكة التي تجعل حول البئر . اللسان (ققف) .
(٢) سنن أبي داود (٥١٨٨) في الأدب ، والنسائي في الكبرى (٨١٣٢) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٠٨) .
(٤) في الكبرى (٨١٣١) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٦٥) وهو حديث صحيح .
(٦) في أ : عبيد الله ؛ تحريف .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا ليث ، حدَّثني عقيل ، عن ابن شهاب ، عن يحيى بن سعيد بن العاص، أن سعيد بن العاص أخبره ، أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدَّثاه : أن أبا بكر استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشه لابسٌ مرطَ[٢] عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، فاستأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال : « اجمعي عليك ثيابك » فقضيت إليه حاجتي ثم انصرف ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن عثمان رجل حييٌّ ، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحالة ألا يبلغ إليَّ حاجته » قال (الليث) : وقال جماعة الناس : إنَّ رسول الله ﷺ قال لعائشة : « ألا أستحي ممن تستحي منه [ملائكة الرحمن» . ورواه مسلم[٣] من حديث الليث بن سعد به ، ومن حديث صالح بن كيسان ، عن الزهري به] ؟ . ورواه مسلم[٤] من حديث محمد بن أبي حرملة ، عن عطاء وسليمان بن يسار (عن) أبي سلمة ، عن عائشة . ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل ، عن أبيه ، عن عائشة . ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا مروان ، حدَّثنا عبد الله[٥] بن سيَّار[٦] : سمعت عائشة بنت طلحة تذكر ، عن عائشة أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلتُ : يا رسولَ الله استاذنَ عليكَ أبو بكرٍ وعمرُ فأذنتَ لهما وأنتَ على حالك ، فلما استأذن عليك عثمان أرخيتَ عليكَ ثيابكَ . فقال : « يا عائشةُ ألا أستحي من رجل ـ والله ـ إن الملائكة لتستحي منه ؟ » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

طريق أخرى عن حفصةَ

رواه الحسن بن عرفة ، وأحمد بن حنبل[٧] ، عن روح بن عبادة (عن ابن جريج) ؛ أخبرني أبو خالد

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٧١) وهو حديث صحيح .

(٢) « المرط » : الثوب من الصوف أو الخز . اللسان (مرط) .

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٢) في فضائل الصحابة ، وبالطريق الثانية (٢٤٠٢) في فضائل الصحابة .

(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٦٢) وبهذا السند أيضاً في تاريخ دمشق (٨١ ـ ٨٢) مجلد عثمان .

(٥) في تاريخ دمشق : « عبيد الله » خطأ ، وتنظر ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ١١٠) ، والجرح والتعديل (٥/ ٧٦) ، وثقات ابن حبان (٧/ ١٧) .

(٦) في أ : سيار ؛ تحريف .

(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٨٨) ولهذه الرواية طرق متعددة في تاريخ دمشق (٨٣ ـ ٨٤) .

عثمان بن خالد ، عن عبد الله بن أبي سعيد المدني : حدَّثتني حفصة ، فذكر مثل حديث عائشة ، وفيه : فقال : « ألا أستحي[١] ممن تستحي منه الملائكة » .

طريق أخرى عن ابن عبّاس

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدَّثنا أبو كريب ، حدَّثنا يونس بن بكير ، حدَّثنا النضر ـ هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفي ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال قال رسول الله ﷺ « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة عثمان بن عفان ؟ » ثم قال البزار : لا نعلمه يُروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد . قلت وهو على شرط الترمذي ولم يخرجوه[٢]

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الطبراني[٣] : حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدَّثنا محمد بن أبي بكر المقدَّمي ، حدَّثنا أبو معشر ، حدَّثني إبراهيم بن عمر بن أبان ، حدَّثني أبي : عمر بن أبان ، عن أبيه . قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : بينما رسول الله ﷺ جالسٌ ، وعائشةُ وراءه ، إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل ، ورسول الله ﷺ يتحدث كاشفاً عن ركبته ، فردَّ ثوبَه على ركبته حين استأذن عثمان ، وقال لامرأته : « استأخري » فتحدثوا ساعةً ثم خرجوا ، فقالت عائشة : يا نبيَّ الله ! دخل أبي وأصحابه فلم تُصلح ثوبَكَ على ركبتك ، ولم تؤخرني عنك ، فقال النبي ﷺ : « يا عائشة ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل ، وأنت قريب مني ، لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفيه زيادةٌ على ما قبله ، وفي سنده ضعف .

قلت : وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن ثابت . وروى أبو مروان القرشي ، عن أبيه ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « عثمان حيي تستحي منه الملائكة »[٤] .

---

(١) في ط : ألا نستحي .

(٢) النضر بن عبد الرحمن الخزاز متروك ، فإسناد الحديث ضعيف جداً ، ولم أفهم قوله : « على شرط الترمذي » !! (بشار) ، أقول : الحديث حسن بطرقه وشواهده الكثيرة ، وقد تقدم بعضها .

(٣) المعجم الكبير (١٢/ ٣٢٧) رقم (١٣٢٥٣) وهو أيضاً في تاريخ دمشق (٨٥ ـ ٨٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٨٦) بهذا السند .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خالد الحذّاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس . قال قال رسول الله ﷺ : « أرحمُ أمَّتي أبو بكر ، وأشدُّها في دين الله عمرُ ، وأشدُّها حياءً عثمانُ ، وأعلمُها بالحلال والحرام معاذُ بن جبل ، وأقرؤُها لكتاب الله أبيٌّ ، وأعلمُها بالفرائض زيدُ بن ثابت ، ألا وإن لكلِّ أمةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه[٢] من حديث خالد الحذاء ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وفي صحيح البخاري ومسلم[٣] آخره « ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ») وقد روى هشيم ، عن كوثر[٤] بن حكيم ، عن نافع ، عن ابن عمر مثل حديث أبي قِلابة عن أنس أو نحوه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا يزيدُ بن عبد ربه ، حدَّثنا محمد بن حرب ، حدَّثني الزُّبيدي ، عن ابن شهاب ، عن عمرو بن أبان بن عثمان ، عن جابر بن عبد الله ، أنه كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال : « أري الليلةَ رجلٌ صالحٌ أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بأبي بكر ، ونيط عثمان بعمر » فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما ما ذكره[٦] رسول الله ﷺ من نوط بعضهم ببعض ، فهؤلاء ولاةُ هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ .

ورواه أبو داود[٧] عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب ، ثم قال : ورواه يونس وشعيب عن الزهري فلم يذكرا عَمراً .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أبو داود ـ عمر بن سعد ـ حدَّثنا بدر بن عثمان، عن عُبيد الله بن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٤) .
(٢) جامع الترمذي رقم (٣٧٩١) في المناقب ، فضائل الصحابة للنسائي (١٨٢) سنن ابن ماجه (١٥٤) و(١٥٥) في المقدمة .
(٣) صحيح البخاري رقم (٤٣٨٢) في المغازي ، وصحيح مسلم رقم (٢٤١٩) (٥٣) في فضائل الصحابة .
(٤) في أ : كريب ، وفي ط : كريز ؛ كلاهما تحريف ، وما هنا عن مصادر الحديث .
(٥) مسند أحمد (٣/ ٣٥٥) وفي إسناده ضعيف .
(٦) في أ : وأما ما ذكر وفي مسند أحمد : وأما ذكر .
(٧) سنن أبي داود (٤٦٣٦) في السنة وفي إسناده ضعف . ونيط : تعلق . هامش السنن (٥/ ٣١) .
(٨) في مسنده (٢/ ٧٦) وبهذا السند أيضاً في تاريخ دمشق (١٠٦) وإسناده ضعيف .

مروان[١] ، عن أبي عائشة ، عن ابن عمر قال : خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ بعد طلوعِ الشمس فقال :

« رأيتُ قبلَ الفجرِ كأنّي أعطيتُ المقاليدَ والموازينَ ، فأما المقاليدُ ، فهذه المفاتيحُ ، وأما الموازين فهي التي يوزن بها ، فوضعتُ في كفة ، ووضعت أمتي في كفة ، فوزنت بهم فرجحت ، ثم جيء بأبي بكر فوزن فوزن بهم ، ثم جيء بعمر فوزن فوزن بهم ، ثم جيء بعثمان فوزن فوزن بهم ، ثم رفعت » .

تفرد به أحمد .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا هشام بن عمار ، حدَّثنا عمرو بن واقد ، حدَّثنا يونس بن ميسرة ، عن أبي إدريس ، عن معاذ بن جبل ، قال قال رسول الله ﷺ :

« إني رأيت أني وُضعت في كفَّةٍ وأمتي في كفة فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ، ثم وضع عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ، ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها »[٢]

حديث آخر

قال أبو يعلى[٣] : حدَّثنا عبد الله بن مطيع ، حدَّثنا هشيم ، عن العَوَّام ، عمن حدَّثه ، عن عائشة ، قالت : لما أسَّس رسول الله ﷺ مسجدَ المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه ، وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « هم أمراء الخلافة من بعدي » .

وقد تقدم هذا الحديث في بناء المسجد ، أولَ مقدمِهِ المدينةَ عليه الصلاة والسلام .

وكذلك تقدم في دلائل النبوة من حديث الزُّهري : عن رجل ، عن أبي ذر في تسبيح الحصا في يده عليه السلام ، ثمَّ في كفِّ أبي بكر ، ثمَّ في كفِّ عمر ، ثُمَّ في كفِّ عثمان ، رضي الله عنهم .

وفي بعض الروايات : فقال رسول الله ﷺ : « هذه خلافة النبوة »[٤] .

وسيأتي حديث سفينة أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً »[٥] فكانت

---

(١) في الأصول والمطبوع : عبد الله ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٠٥) بهذا السند ، وإسناده ضعيف جداً ، فإن عمرو بن واقد القرشي متروك .

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٢٩٥) رقم (٤٨٨٤) ونص الحديث : « هذا أمر الخلافة من بعدي » وإسناده ضعيف .

(٤) تقدم تخريجه في الجزء الخامس دلائل النبوة .

(٥) الحديث رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠ و٢٢١) والبغوي في شرح السنة رقم (٣٨٦٥) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١٥/ ٣٩٢) رقم (٦٩٤٣) وهو حديث حسن .

ولاية عثمان ومدتها اثنتي عشرة سنة ، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين ، كما أخبر به سيد المرسلين ﷺ وصحبه أجمعين .

حديث آخر

وهو ما روي من طرق متعدِّدةٍ عن رسول الله ﷺ أنه شهدَ للعشرة بالجنة ، (وهو أحدهم بِنصِّ النبي ﷺ) .

حديث آخر

قال البخاري[١] : حدَّثنا محمد بن حاتم[٢] بن بزيع ، حدَّثنا شاذان ، حدَّثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدلُ بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نذر[٣] أصحاب النبي ﷺ لا نفاضلُ بينهم .

تابعه عبد الله بن صالح عن عبد العزيز ، تفرَّد به البخاري ، ورواه إسماعيل بن عياش ، والفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن نافع ، عن ابن عمر .

ورواه أبو يعلى[٤] عن أبي معمر ، عن يزيد بن هارون ، عن اللّيث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن عمر به .

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن ابن عمر . قال : كنا نعُدُّ ، ورسولُ[٦] الله ﷺ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت .

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحافظ أبو بكر البزّار[٧] : حدَّثنا عمرو بن علي وعقبة بن مكرم قالا : حدَّثنا أبو عاصم ، عن

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٩٨) في فضائل الصحابة .
(٢) في ط : محمد بن حازم ؛ تحريف .
(٣) في أ : ثم نزل ، تحريف .
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٩/ ٤٥٦) رقم (٥٦٠٤) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٤) ، وإسناده صحيح .
(٦) في ط : « كنا نعد رسول الله » خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما في المسند .
(٧) كشف الأستار (٢/ ٢٢٤) رقم (١٥٦٩) .

عمر بن محمد ، عن سالم ، عن أبيه . قال : كنا نقول في عهد النبي ﷺ : أبو بكر وعمر وعثمان ـ يعني في الخلافة ـ وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه ، لكن قال البزار : وهذا الحديث قد روي عن ابن عمر من وجوه : كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم لا نفاضل بعد . وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ ، وذلك ـ يتبين في حديثه[١] إذا روى عن غير سالم فلم يقل شيئاً .

وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزُّهري ، عن سالم ، عن أبيه به .

وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر[٢] بجمع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد .

فأما الحديث الذي قال الطبراني[٣] : حدَّثنا سعيد بن عبد ربه الصَّفار البغدادي ، حدَّثنا علي بن جميل[٤] الرَّقي ، أخبرنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . قال : قال رسول الله ﷺ :

« في الجنة شجرة ـ أو ما في الجنة شجرة ـ شك علي بن جميل ، ما عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين » فإنه حديث ضعيف ، في إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكاره ، والله أعلم .

القسم الثاني فيما ورد من[٥] فضائله وحده

قال البخاري[٦] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا أبو عوانة ، حدَّثنا عثمان بن موْهَب ، قال : جاء رجلٌ من أهل مصر حجَّ البيتَ ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : قريشٌ ، قال : فمن[٧] الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا بن عمر! إني سائلُكَ عن شيء فحدِّثني ، هل تعلم أنّ عثمانَ فرّ يومَ أحد ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيَّب يوم بدر ولم يشهدها ؟ قال : نعم! قال : تعلم أنه تغيَّب عن بيعةِ الرضوان ولم يشهدها ؟ قال : نعم ! قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال أبيِّن لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله وكانت مريضة ، فقال له رسول الله : « إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهد بدراً وسهمه » . وأما تغيبه[٨] عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة

---

(١) في أ : وذلك في حديثه متبين .
(٢) تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (١٥١ ـ ١٦١) .
(٣) في المعجم الكبير (١١٠٩٣) .
(٤) في أ : علي بن حنبل ، وهو تصحيف .
(٥) في أ : في .
(٦) صحيح البخاري (٣٦٩٩) في فضائل الصحابة .
(٧) في أ : من بلا فاء ، وما هنا موافق لرواية البخاري .
(٨) في أ : وأما تخلفه .

الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان » فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك . تفرد به دون مسلم .

طريق أخرى

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا معاوية بن عمرو ، حدَّثنا زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق[٢] . قال : لقي عبد الرحمن بن عوف الوليدَ بن عقبة ، فقال له الوليد[٣] : ما لي أراك جفوتَ أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبْلِغْهُ أني لم أفرَّ يوم عَيْنَيْنِ ، قال عاصم : يقول يوم أُحُد ـ ولم أتخلَّف يوم بدر ، ولم أترك سُنَّة عمر ، قال : فانطلق فخبَّر بذلك عثمان فقال : أما قوله : إني لم أفرّ يوم عَيْنين ؛ فكيف يعيرني بذنبٍ وقد عفا الله عني فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] وأما قوله : إني تخلفت يوم بدر ، فإنّي كنتُ أمرّضُ رقيةَ بنتَ رسول الله ﷺ وقد ضربَ لي رسول الله ﷺ بسهمي ، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد ، وأما قوله : ولم أترك سُنّة عمر ، فإنّي لا أطيقها ولا هو ، فائْتِهِ فحدِّثْهُ بذلك .

حديث آخر

قال البخاري[٤] : حدَّثنا أحمد بن شبيب بن سعيد[٥] ، حدَّثنا أبي ، عن يونس ، قال ابن شهاب : أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره : أن المِسْور بن مَخْرَمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنعكَ أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة . فقلت : إنَّ لي إليك حاجةً ، وهي نصيحة لك ، فقال : يا أيها المرء منك . قال أبو عبد الله قال معمر : أعوذ بالله منك ـ فانصرفتُ فرجعتُ إليهما إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله بعث محمداً ﷺ بالحقّ وأنزلَ عليه الكتابَ ، وكنتَ ممن استجاب لله ولرسوله ، وهاجرتَ الهجرتين ، وصحبتَ رسول الله ﷺ ورأيتَ هديه ، وقد أكثرَ النَّاسُ في شأن الوليد . فقال : أدركتَ رسول الله ﷺ ؟ قلتُ[٦] : لا ! ولكن خلص إليّ من علمه ما يخلصُ إلى العذراءِ في سِترها ، قال : أما بعد ! فإن الله بعث محمداً بالحق ، وكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله ، فآمنت بما بعث به ، وهاجرت الهجرتين كما قلتَ ، وصحبتُ رسولَ الله ﷺ وبايعتُهُ ، فوالله ما عصيتُهُ ولا غششتُهُ حتى توفاه الله

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٨) وإسناده حسن .

(٢) في ط : عن عاصم عن سفيان ؛ تحريف .

(٣) في أ : الوليد بن عقبة .

(٤) صحيح البخاري (٣٦٩٦) في فضائل الصحابة .

(٥) في ط : بن سعد ؛ تحريف . وهو من رجال التهذيب .

(٦) في ط : فقلت : وما هنا عن أ والبخاري .

عزَّ وجلَّ ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفتُ ، أفليس لي من الحق مثلُ الذي لهم ؟ قلت : بلى ! قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغُني عنكم ؟ أمّا ما ذكرت من شأن الوليد فسآخذ[١] فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا الوليد بن سليمان[٣] ، حدَّثني ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن عامر ، عن النعمان بن بشير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ ، فلما رأينا إقبالَ رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر [كلام][٤] كلَّمه أن ضرب منكبه وقال : « يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني » ثلاثاً . فقلت لها : يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيتُه والله ما ذكرته ، قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبي إليّ به ، فكتبت إليه به كتاباً .

وقد رواه أبو عبد الله الجَسْري[٥] : عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم .

ورواه قيس بن أبي حازم وأبو سلمة[٦] عنها .

ورواه أبو سهلة : عن عثمان : إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً فأنا صابر نفسي عليه .

ورواه فرج بن فضالة : عن محمد بن الوليد الزبيدي ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة فذكره[٧] ، (قال الدارقطني : تفرد به الفرج بن فضالة) .

ورواه أبو مروان محمد بن[٨] عثمان بن خالد العُثماني[٩] ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة .

---

(١) في البخاري : فسأخذ .
(٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ٨٦ ـ ٨٧) وهو حديث صحيح .
(٣) في الأصول والمطبوع : الوليد بن مسلم ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٤) زيادة من المسند .
(٥) في ط : « الجيري » محرف ، واسمه حميري بن بشير ، من رجال التهذيب .
(٦) في ط : سلمة ؛ تحريف .
(٧) في أ : بنحوه .
(٨) في ط : « عن » محرفة .
(٩) في ط : « العماني » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

ورواه ابن عساكر[١] من طريق المنهال بن بحر[٢] ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة عن أبيه عنها . ورواه ابن أسامة عن الجريري حدَّثني أبو بكر العدوي قال : سألت عائشة ، وذكر عنها نحو ما تقدم ، تفرّد به الفرج بن فضالة . ورواه خصيف : عن مجاهد ، عن عائشة بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن كناسة[٤] الأسدي أبو يحيى ، حدَّثنا إسحاق[٥] بن سعيد عن أبيه ، قال : بلغني أن عائشة قالت : ما استمعت رسول الله ﷺ إلَّا مرة ، فإن عثمان جاءه في نحر[٦] الظهيرة ، فظننت أنه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول : « إن الله ملبسك قميصاً تريدك أمتي على خلعه فلا تخلعه » . فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلَّا خلعه علمت أنه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه .

طريق أخرى

قال الطَّبراني : حدَّثنا مطلب بن سعيد الأزْدي ، حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ربيعة بن سيف ، قال : كنا عند شُفي[٧] الأصبحي فقال : حدَّثنا عبد الله بن عمر قال :

« التفت رسولُ الله ﷺ فقال : يا عثمان كساك الله[٨] قميصاً فأرادكَ الناسُ على خلعِه فلا تَخْلعه ، فوالله لئن خلعتَه لا ترى الجنةَ حتى يلجَ الجملُ في سمّ الخِياط » .

وقد رواه أبو يعلى[٩] من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفي سياق متنه غرابة والله أعلم .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨٢) مجلد عثمان .
(٢) تحرفت في ط إلى عمر .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ١١٤) وهو حديث ضعيف بهذه السياقة ، وقد تقدم بنحوه ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) في أ : محمد بن خالد وفي ط : محمد بن كنانة ، كلاهما تحريف . وما هنا عن مسند أحمد وتاريخ دمشق (٢٨١) .
(٥) في أ : أبو إسحاق ؛ خطأ .
(٦) في ط : بحر ؛ تحريف . وما هنا عن أ ومصادره .
(٧) مكان اللفظة بياض في أ .
(٨) في ط : إن الله كساك ، وما هنا عن أ وهو موافق لرواية ابن عساكر .
(٩) في مسنده (٧٠٤٥) .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثتني فاطمة بنت عبد الرحمن قالت : حدَّثتني أمي أنها سألت عائشة وأرسلها عمُّها فقال : قولي إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فإنّ الناسَ قد شتموه ، فقالت :

لعنَ اللهُ من لعنهُ ، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله ﷺ ، وإن رسولَ الله ﷺ لمسندٌ ظهره إليَّ ، وإنّ جبريلَ ليوحي إليه القرآن ، وإنه ليقول له : « أكتب يا عُثيْم » قالت عائشة : فما كان الله لينزلَ تلك المنزلة إلَّا كريماً على الله ورسوله .

ثم رواه الإمام أحمد : عن يونس ، عن عمر بن إبراهيم[٢] اليشكري ، عن أمه ، أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله .

حديث آخر

قال البزَّار[٣] : حدَّثنا عمر بن الخطاب قال : ذكر أبو المغيرة ، عن صفوان بن عمرو ، عن ماعز التميمي ، عن جابر :

أن رسولَ الله ﷺ ذكرَ فتنةً فقال أبو بكر : أنا أدركها ؟ فقال : « لا » ! فقال عمر : أنا يا رسول الله أدركها ؟ قال : « لا » ! فقال عثمان : يا رسول الله فأنا أدركها ؟ قال : « بك يُبْتَلَوْنَ » .

قال البزار : وهذا لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا أسود بن عامر[٥] ، حدَّثنا سنان بن هارون ، حدَّثنا كليب بن وائل ، عن ابن عمر . قال :

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٥٠) والرواية الثانية (٦/ ٢٦١) والخبر أيضاً بالسندين في تاريخ دمشق (٩٢ ـ ٩٣) مجلد عثمان ، وإسناده ضعيف .

(٢) في أ : يونس عن عبد الله بن إبراهيم .

(٣) كشف الأستار (٤/ ٨٩) رقم (٣٢٦٤) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢/ ١١٥) وهو حديث حسن .

(٥) في ط : عمر ؛ خطأ والتصحيح من أ والمسند .

« ذكر رسول الله ﷺ فتنةً [فمر رجل][١] فقال : « يقتل فيها هذا المُقنَّع يومئذٍ مظلوماً » فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان .

ورواه الترمذي[٢] عن إبراهيم بن سعيد ، عن شاذان به وقال : حسن غريب .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا وُهيب[٤] ، حدَّثنا موسى بن عقبة ، حدَّثني أبو أمي أبو حبيبة[٥] أنه دخل الدار وعثمانُ محصورٌ فيها ، وأنّه سمع أبا هريرة يستأذنُ عثمانَ في الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنكم تلقون بعدي فتنةً واختلافاً » ـ أو قال : اختلافاً وفتنةً ـ فقال له قائل من الناس : فمنْ لنا يا رسول الله؟ قال : « عليكم بالأمين[٦] وأصحابه » وهو يشير إلى عثمان بذلك . تفرَّد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا أبو أسامة حمادٌ[٨] بن أسامة ، حدَّثنا كَهْمَس بن الحسن ، عن عبد الله بن شَقيق ، حدَّثني هرمي[٩] بن الحارث وأسامة بن خُرَيم ـ وكانا يغازيان فحدثاني حديثاً ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدَّثنيه عن مرّة البَهزي قال : « بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر » قالوا : نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال : « عليكم هذا وأصحابه ـ أو اتبعوا هذا وأصحابه ـ » قال : فأسرعتُ حتى عييتُ فأدركتُ الرجلَ فقلتُ : هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذا » فإذا هو عثمانُ بن عفّان . فقال : هذا وأصحابه فذكره .

طريق أخرى

وقال الترمذي[١٠] في « جامعه » : حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا عبد الوهَّاب الثقفي ، حدَّثنا

(١) ما بينهما ساقط من أ ، ط .
(٢) جامع الترمذي (٣٧٠٨) في المناقب .
(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٤٥) .
(٤) في أ : ابن وهيب ، خطأ .
(٥) في ط : أبو حنيفة ؛ تحريف .
(٦) في أ : عليكم بالأمير ؛ تحريف .
(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥) وبهذا السند أيضاً في تاريخ دمشق (٢٦٨) مجلد عثمان .
(٨) في ط : أبو أسامة حدَّثنا حماد . . ؛ خطأ .
(٩) في أ : جرير بن الحارث ؛ تحريف . وفي ط : هرم ؛ وما هنا عن المسند .
(١٠) سنن الترمذي (٣٧٠٤) في الفضائل .

أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أبي الأشعث الصَّنْعاني أن خُطَباء قامت بالشام وفيهم رجالٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ رجل يقال له مُرَّة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت ، وذكر الفتن فقرَّبها فمر رجل مُقَنَّع[١] في ثوب ، فقال : « هذا يومئذ على الهدى » فقمت إليه . فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا؟ قال : « نعم » ! ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عُجْرة[٢] .

قلت : وقد رواه أسد بن موسى ، عن معاوية بن صالح ، حدَّثني سليم بن عامر ، عن جبير بن نفير ، عن مرة بن كعب البَهْزي فذكر نحوه .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن سليم بن عامر ، عن جبير بن نفير ، عن كعب بن مرة البَهْزي ، الصحيح مرة بن كعب كما تقدم[٤] .

وأما حديث ابن حوالة ، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجريري ، عن عبد الله بن شقيق[٥] ، عن عبد الله بن حوالة . قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض؟ » قلت : ما خار الله لي ورسوله ، قال : « اتبع هذا الرجل ، فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق » قال : فاتبعته فأخذت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا يا رسول الله ؟ فقال : « نعم » ! فإذا هو عثمان بن عفان .

وقال حرملة : عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط ، عن ابن حوالة . قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من نجا منهن فقد نجا : موتي ، وخروج الدجال ، وقتل خليفة مصطبر[٦] قوَّام بالحقّ يعطيه » .

وأما حديث كعب بن عجرة .

فقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، أخبرني مغيرة بن مسلم[٨] ، عن مطر الوراق ، عن ابن سيرين ، عن كعب بن عجرة قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقرَّبها وعظَّمها ، قال : ثم مرَّ رجلٌ مُقَنَّعٌ في ملحفة فقال : « هذا يومئذٍ على الحق » . قال : فانطلقتُ مُسرعاً أو محضراً

---

(١) في ط : متقنع ؛ وما هنا عن أ وهي موافقة لسنن الترمذي .
(٢) جملة هذه الروايات وغيرها في تاريخ دمشق (٢٦٧ ـ ٢٧٢) مجلد عثمان .
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٣٦) .
(٤) قال الذهبي في التذهيب (٣٢١) : كعب بن مرة أو عكسه . . . نزيل البصرة ثم الأردن ، صحابي .
(٥) في ط : بزيادة عن عبد الله بن سفيان عن عبد الله بن شقيق ، وما هنا عن المسند أحمد (٤/ ١٠٩) وتاريخ دمشق (٢٧٠) .
(٦) في أ : أو مصطبر .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٤٢) والحديث أيضاً بهذا السند في تاريخ دمشق (٢٧٣) وهو حديث صحيح .
(٨) في ط : معاوية بن سلم ؛ تحريف .

فأخذت بضبعيه[١] فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذا » فإذا هو عثمان بن عفان .

ثم رواه أحمد[٢] : عن يزيد بن هارون ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن كعب بن عُجْرة فذكر مثله .

ورواه أبو يعلى : عن هُدْبَة ، عن هَمّام ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن كعب بن عُجْرة .

وكذا رواه أبو عون : عن ابن سيرين ، عن كعب .

وقد تقدم[٣] حديث أبي ثور الفَهْمي عنه في قوله في الخطبة التي خاطب بها الناس من داره : والله ما تَعنَّيتُ ولا تمنَّيتُ ولا زَنيتُ في جاهلية ولا إسلام ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقاً ، فإن تعذّر عليه أعتق في الجمعة الأخرى عتيقين . وقال مولاه حمران : كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم . رضي الله عنه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا علي بن عيَّاش ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، أنبأنا الأوزاعي ، عن محمد بن عبد الملك بن مروان أنه حدَّثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصورٌ فقال : إنك إمامُ العامة ، وقد نزلَ بك ما تَرى ، وإني أعرضُ عليكَ خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن : إمّا أن تخرجَ فتقاتلهم فإن معك عدداً وقوةً وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن نخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق مكة ، فإنهم لن يستحلّوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أولَ من خلفَ رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء ، وأما أن أخرجَ إلى مكة فإنَّهم لن يستحلّوني بها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحِدُ رجُلٌ من قريشٍ بمكَّة يكون عليه نصفُ عذابِ العالم »[٥] ولن أكون أنا ، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا أرطاة ـ يعني ابن المنذر ـ حدَّثني أبو عون الأنصاري ، أن عثمان قال لابن مسعود : هل أنتَ مُنتهٍ عمَّا بلغني عنْكَ ؟ فاعتذر بعضَ العذر ، فقال عثمان : ويحك ! إني قد سمعتُ وحفظتُ ـ وليس كما سمعتَ ـ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « سيقتل

---

(١) ضبعيه : العضد أو الإبط . حاشية ط .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٤٣) .

(٣) تقدم صفحة (٣٣٠) من هذا الجزء ، وإسناده ضعيف .

(٤) مسند أحمد (١/ ٦٧) وقد تقدم ص(٣٢٩ و٣٣٠) وإسناده ضعيف .

(٥) في أ : أهل الدنيا . مضروباً عليها .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٦) .

أميرٌ ، ويَنْتَزي مُنْتَزٍ »[١] وإني أنا المقتول ، وليس عمر ، إنما قتل عمر واحد ، إنه يُجْتمعُ عليَّ . وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنه ماتَ قبلَه بنحو ذلك .

حديث آخر

قال عبد الله بن أحمد[٢] : حدَّثنا عُبَيْد الله بن عمر القَواريري[٣] ، حدَّثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري ، حدَّثني أبو عبادة الزُّرقي الأنصاري ـ من أهل المدينة ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : شهدتُ عثمان يوم حُصِرَ في موضع الجنائز ، ولو أُلْقي حجرٌ لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي باب مقام جبريل ، فقال : أيها الناسّ أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة بن عبيد الله ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان : ألا أراك هاهنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبني[٤] ؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنتُ أنا وأنتَ مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لكَ رسولُ الله ﷺ « إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا ـ يعني نفسه ـ رفيقي في الجنة ؟ » فقال طلحة : اللهم نعم ! . تفرَّدَ به أحمد .

حديث آخر عن طلحة

قال الترمذي[٥] : حدَّثنا أبو هشام الرِّفاعي ، حدَّثنا يحيى بن اليمان ، عن شيخ من بني زهرة ، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب[٦] ، عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله ﷺ : « لكلِّ نبيّ رفيقٌ ورفيقي في الجنة عثمانُ » ثم قال : هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي ، وإسناده منقطعٌ .

ورواه أبو مروان[٧] محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة .

وقال الترمذي[٨] : حدَّثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا : حدَّثنا عثمان بن زُفَر ، حدَّثنا محمد بن زياد ، عن محمدبن عجلان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : أتي النبيُّ ﷺ بجنازة رجل

---

(١) في ط : ويتبرىء متبرّىء ؛ تحريف . والانتزاء : الوثوب وتسرع الإنسان إلى الشر . اللسان (نزا) .

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٤) وإسناده ضعيف .

(٣) تحرفت في ط إلى : الفربري ، وترجمة القواريري في سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٢) .

(٤) في ط : ثم لا تجيئني .

(٥) سنن الترمذي (٣٦٩٨) في الفضائل .

(٦) في الأصول والمطبوع : وثاب ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٧) في ط : أبو عثمان ؛ خطأ وما هنا عن أ وتاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٩٨) . وهو من رجال التهذيب .

(٨) سنن الترمذي (٣٧٠٩) في الفضائل ، وهو أيضاً في تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (١١٩) .

لِيُصلِّي عليه فلم يُصلِّ عليه ، فقيل : يا رسول الله ، ما رأيناك تركت الصلاة على أحدٍ قبل هذا ؟ فقال : « إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عزَّ وجلَّ » ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون بن مهران ضعيف الحديث جداً ، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصري ثقة ، يكنى أبا الحارث ، ومحمد بن زياد الألهاني[١] صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أبا سفيان .

حديث آخر

روى الحافظ ابن عساكر[٢] من حديث أبي مروان العثماني[٣] : حدَّثنا أبي عثمانُ بن خالد ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ لقي عثمان بن عفان على باب المسجد فقال : « يا عثمان ! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوَّجك أم كلثوم بمثل صداق رقية ، وعلى مثل مصاحبتها » وقد روى ابن عساكر[٤] أيضاً من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن رُوَيْبة وعصمة بن مالك الخطمي وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم ، وهو غريب ومنكر[٥] من جميع طرقه .

وروي بإسناد ضعيف عن علي[٦] أن رسول الله ﷺ قال « لو كان لي أربعون ابنة لزوجتهن بعثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لا يبقى منهن واحدة » .

وقال محمد بن سعيد الأموي : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن المهلب بن أبي صفرة قال : سألتُ أصحابَ رسول الله ﷺ لم قلتم في عثمان : أعلاها[٧] فُوقاً ؟ قالوا : لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنَتَيْ نبي غيره . رواه ابن عساكر[٨] .

وقال إسماعيل بن عبد الملك[٩] ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه حتى يبدو ضَبْعَيْه[١٠] إلا لعثمان بن عفان ، إذا دعا له .

---

(١) في أ : الإهابي ، تحريف ، وما هنا عن الترمذي ، وترجمة محمد بن زياد الألهاني في تهذيب الكمال (٢٥/ ٢١٩) وفي السير (٦/ ١٨٨) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٤) ـ مجلد عثمان ـ .

(٣) في أ : النعماني ؛ تحريف .

(٤) جمع ابن عساكر هذه الروايات في ترجمة عثمان ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) .

(٥) في أ : وينكر .

(٦) تاريخ دمشق (٣٦ و٣٧) .

(٧) في ط : أعلانا فوقاً ؛ وما هنا عن ابن عساكر . وأعلاها فوقاً : أي خيرنا وأكملنا ، تاماً في الإسلام والسابقة والفضل . اللسان (فوق) .

(٨) تاريخ دمشق (٤٦) .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) الضبْع ـ بسكون الباء ـ العضد . اللسان (ضبع) .

وقال مسعر[١] : عن عطية ، عن أبي سعيد قال : رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : « اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه » .

وفي رواية يقول لعثمان[٢] : « غفر الله لك ما قدمتَ وما أخرتَ ، وما أسررتَ وما أعلنتَ وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » .

ورواه الحسن بن عرفة : عن محمد بن القاسم الأسدي ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، عن النبي ﷺ مرسلاً .

وقال ابن عدي[٣] : عن أبي يعلى عن عمار أبي ياسر المستملي ، عن إسحاق بن إبراهيم المستملي ، عن أبي إسحاق ، عن أبي وائل ، عن حذيفة : أن رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاةٍ غزاها ، فبعث إليه عثمانُ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ، فوضعها بين يديه ، فجعل يقلّبها بين يديه ويدعو له : « غفر الله لكَ يا عثمـان ما أسررتَ وما أعلنتَ وما أخفيتَ وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها » .

حديث آخر

وقال ليث بن أبي سليم[٤] : أول من خَبَّص الخبيصَ عثمان ، خلطَ بين العسلِ والنَّقِيِّ[٥] ثم بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أمّ سلمة ، فلم يصادفه ، فلما جاء وضعوه بين يديه ، فقال ؛ من بعث هذا ؟ قالوا : عثمان : قالت : فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللّهم إنَّ عثمان يترضاك فارض عنه » .

حديث آخر

روى أبو يعلى[٦] عن شيبان بن فروخ ، عن طلحة بن زيد ، عن عبيدة[٧] بن حسان ، عن عطاء الكَيْخاراني ، عن جابر أن رسول الله ﷺ اعتنق عثمان وقال : « أنت وليّ في الدنيا ووليي في الآخرة »[٨]

---

(١) تاريخ دمشق (٤٨) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الكامل في الضعفاء لابن عدي (١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) وإسناده ضعيف .
(٤) تاريخ دمشق (٤٩) رواه ابن عساكر عن ليث بن أبي سليم مرسلاً ، وهو ضعيف .
(٥) النقيّ : الحُوّارى ، وهو الدقيق الأبيض . اللسان (نقا) .
(٦) مسند أبي يعلى (٤/ ٤٤) والحديث أيضاً في تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٩٤) .
(٧) في أ : عبيد : خطأ .
(٨) وإسناده ضعيف .

حديث آخر

قال أبو داود الطَّيالسي[١] : حدَّثنا حمّاد بن سلمة وحمّاد بن زيد ، عن الجُرَيْري ، عن عبد الله بن شَقيق[٢] ، عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله ﷺ : « تهجمون على رجل مُعْتَجر[٣] ببردةٍ من أهل الجنة ، يبايع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان فرأيناه مُعْتجراً يبايع الناس .

[فصل في] ذكر شيء من سيرته وهي دالّة على فضيلته

قال ابن مسعود[٤] : لما توفّي عمر بايعنا خيرنا ولم نأل ، وفي رواية بايعوا خيرهم ولم يألوا .

وقال الأصمعي[٥] : عن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذي خلق فسوى .

وقال محمد بن المبارك[٦] بلغني أنه كان نقش خاتم عثمان آمن عثمان بالله العظيم .

وقال البخاري في « التاريخ »[٧] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا مبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما نقموا عليه . قلَّما يأتي على الناس يومٌ إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على السمن والعسل ، الأعطيات جارية ، والأرزاق دارَّةٌ ، والعدو منفيٌّ[٨] ، وذات البين حسن ، والخيرُ كثيرٌ ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، من[٩] لقيه فهو أخوه من كان أُلفَتُه ونصيحتُه ومودتُه ، قد عُهد إليهم أنها ستكون أثرة[١٠] ، فإذا كانت فاصبروا . قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير ، قالوا لا والله

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي رقم (٢٢٥٠) .
(٢) سقط عبد الله بن شقيق من المطبوع من مسند الطيالسي ، والصواب ما في البداية والنهاية .
(٣) الاعتجار : لف العمامة دون التلحي . اللسان (عجر) .
(٤) تاريخ دمشق (٢٠٧) .
(٥) المصدر نفسه (٢٠٣) .
(٦) المصدر نفسه (٢٠٤) .
(٧) وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ترجمة عثمان ـ (٢٢٠) .
(٨) في ط : متقي ؛ وما هنا عن أ ومصادره .
(٩) في ط : ومن .
(١٠) أثرة : الاستئثار : الانفراد بالشيء أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء . اللسان (أثر) .

ما[١] نصابرها : فوالله ما وردوا وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسلّوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس هذا ، وأيم الله إنّي لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة .

وقال غيرُ واحد : عن الحسن البصري[٢] قال : سمعت عثمان يأمر في خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب .

وروى سيف بن عمر[٣] : أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجلاهقات (فوكل عثمان رجلاً من بني ليث يتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات) ـ وهي قسى البندق ـ .

وقال محمد بن سعد[٤] : أنبأنا القعنبي وخالد بن مخلد ، حدَّثنا محمد بن هلال عن جدته ـ وكانت تدخل على عثمان وهو محصور ـ فولدت هلالاً ، ففقدها يوماً فقيل له : إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً ، قالت : فأرسل إليّ بخمسين درهماً وشُقَيْقَة سنبلانية[٥] ، وقال : هذا عطاء ابنك وكسوته ، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مئة .

وروى الزبير بن أبي بكر[٦] : عن محمد بن سلام ، عن ابن دأبٍ[٧] قال : قال ابن سعيد بن يربوع بن عَنْكثة[٨] المخزومي : انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعي طير أرسله في المسجد ، والمسجد يُبْنى[٩] ، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم ، تحت رأسه لبنة أو بعض لَبنة ، فقمت أنظر إليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت يا غلام ؟ فأخبرته ، فإذا غلام نائم قريباً منه فدعاه فلم يُجْبه ، فقال لي : ادعه ! فدعوته فأمره بشيء ، وقال لي : اقعد ! فذهب الغلامُ ، فجاء بحلَّةٍ وجاء بألف درهم ، ونزع ثوبي وألبسني الحلَّة ؟ وجعل الألف درهم فيها ، فرجعت إلى أبي فأخبرته ؟ فقال : يا بُنيَّ منْ فعلَ هذا بك ؟ فقلت : لا أدري إلا أنه رجل في المسجد نائم لم أر قطُّ أحسنَ منه ، قال : ذاك أميرُ المؤمنين عثمانُ بن عفان .

وقال عبد الرزاق[١٠] : عن ابن جريج ، أخبرني يزيد[١١] بن خصيفة ، عن أبي السائب بن يزيد ، أن

---

(١) في أ : لا نصابرها .
(٢) تاريخ دمشق (٢٢٢) .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٨) وتاريخ دمشق (٢٢١) .
(٤) الطبقات الكبرى (٥/ ٢٣) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٢١) .
(٥) الشُقَّةُ : جنس من الثياب وتصغيرها : شُقَيْقة ، وقيل هي نصف ثوب . والسنبلانية : سابغة الطول . اللسان (سنبل وشقق) .
(٦) تاريخ دمشق (٢٢٢) ـ ترجمة عثمان ـ
(٧) في ط : ابن بكار ؛ تحريف . وما هنا عن أ ومصادره .
(٨) في ط : عتكة ؛ تحريف والتصحيح عن تاريخ دمشق (٢٢٢) والاستيعاب (٦٢٦) .
(٩) في ط : بيننا ؛ تحريف . وفي أ : يبنا بالألف الممدودة .
(١٠) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٢٤) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٢٥ ـ ٢٢٦) .
(١١) في أ : زيد ؛ تحريف .

رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي[١] عن[٢] صلاة طلحة بن عبيد الله [قال : إن شئت] أخبرتك عن صلاة عثمان قال : نعم ! قال : قلت : لأغلبنَّ الليلةَ النفرَ على الحجر ـ يعني المقام ـ فلما قمتُ فإذا رجلٌ يزحمني مُقنَّعاً قال : فالتفت فإذا بعثمان[٣] ، فتأخرت[٤] عنه فصلَّى فإذا هو يسجد بسجود القرآن ، حتى إذا قلت هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصلّ غيرها ثم انطلق .

وقد روي هذا[٥] من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه .

ولهذا روينا عن ابن عمر[٦] أنه قال في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٩] قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس[٧] في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل : ٧٦] قال : هو عثمان .

وقال حسان[٨] : [من البسيط]

ضَحُّوا بأشْمط عُنْوانُ السُّجودِ به يُقَطِّـعُ اللَّيْـلَ تَسْبيحـاً وقُـرْآنـا

وقال سفيان بن عيينة : حدَّثنا إسرائيل بن موسى ، سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا ، وإني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر في المصحف . وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه .

وقال أنس ومحمد بن سيرين[٩] : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقتلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة .

وقال غير واحد[١٠] : إنه رضي الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه ، إلا أن يجده يقظاناً[١١] ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لو أيقظت بعض الخدم ؟

---

(١) في ط : التميمي ؛ تحريف .
(٢) في ط : أهي صلاة طلحة . . . ، وليست اللفظة لا التي تليها في أ .
(٣) في ط : فإذا بعثمان يزحمني ولم ترد اللفظة في أ .
(٤) في تاريخ دمشق (٢٢٦) فأخرت ؛ وما هنا موافق لراوية عبد الرزاق في مصنفه .
(٥) تاريخ دمشق (٢٢٦) .
(٦) الخبر في تاريخ دمشق (٢٢٤) .
(٧) المصدر نفسه (٢١٠) .
(٨) ديوان حسان (١/ ٩٦) .
(٩) تاريخ دمشق (٢٢٨) .
(١٠) المصدر نفسه (٢٢٩) .
(١١) كذا في الأصلين ، وفي لغتنا اليوم ممنوعة من الصرف .

فيقول : لا ! الليل لهم يستريحون فيه . وكان[١] إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه ، وهو في بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حيائه رضي الله عنه .

[فصل في ذكر] شيء من خطبه

قال الواقدي[٢] : حدَّثني إسماعيل بن إبراهيم[٣] بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، عن أبيه .

أن عثمانَ لمّا بويع خرجَ إلى الناس فخطبهم ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أيها النّاس أولُ كلِّ مركبٍ صعبٌ ، وإنَّ بعد اليوم أيّاماً ،وإن أعشْ تأتِكُم الخطبة على وجهها ، وما كنا خطـباء وسيُعلمُنا الله .

وقال الحسن : خطبَ عثمان فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! اتَّقوا الله فإنَّ تقوى الله غُنْمٌ ، وإن أكيسَ الناس من دانَ نفسَهُ ، وعملَ لما بعدَ الموتِ ، واكتسب من نورِ الله نوراً لظلْمةِ القَبْرِ ، وليَخْشَ عبدٌ أن يحشرَه الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يلقي الحكيم جوامع الكلم ، والأصمُّ ينادى من مكانٍ بعيدٍ ، واعلموا أنَّ منْ كانَ الله له لم يَخَفْ شيئاً ، ومنْ كانَ الله عليه فمنْ يرجو بعدَه ؟ .

وقال مجاهد : خطب عثمان فقال : ابنَ آدمَ !، اعلم أنَّ ملكَ الموتِ الذي وكل بك لم [يزل][٤] يُخْلفكَ ويَتَخطَّى إلى غيركَ منذ أنتَ في الدنيا ، وكأنه قد تَخطَّى غيرَكَ إليكَ ، وَقَصَدكَ ، فخُذْ حِذْركَ ، واستعدّ له ، ولا تَغْفُلْ فإنّه لا يَغْفُلُ عنكَ ، واعلم ابنَ آدم إنْ غفلتَ عن نفسكَ ولم تستعدَّ لها لم يستعدّ لها غيرُكَ ، ولا بدَّ من لقاء الله ، فخُذْ لنفسك ولا تَكِلْها إلى غيركَ والسلام .

وقال سيف بن عمر : عن بدر بن عثمان ، عن عمه ، قال : آخر خطبةٍ خطبها عثمانُ في جماعة : إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرةَ ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تَفْنى وإن الآخرة تَبْقى ، لا تُبْطرنكم الفانية ، ولا تشغلنَّكم عن الباقية ، فآثروا ما يَبْقى على ما يَفْنى ، فإنَّ الدنيا منقطعةٌ وإن المصيرَ إلى الله ، اتَّقوا اللهَ فإنَّ تقواه جُنّةٌ من بأسه ، ووسيلةٌ عنده واحذروا من الله الغِيَرَ ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إلى آخر الآيتين .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٣٠) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٦٢) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٣٠) .
(٣) في ط : إبراهيم بن إسماعيل ؛ خطأ . وما هنا عن أ ومصادره . وهو من رجال التهذيب .
(٤) زيادة من تاريخ دمشق (٢٣١) والمطبوع .

فصل

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا هُشيم ، حدَّثنا محمد بن قيس الأسدي ، عن موسى بن طلحة . قال : سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم ، وأسعارهم[٢] .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدَّثنا يونس ـ يعني ابن عُبَيْد ـ حدَّثني عطاء بن فروخ مولى القرشيين :

أن عثمان اشترى من رجلٍ أرضاً فأبطأ عليه فلقيه فقال : ما منعكَ من قبض مالكَ ؟ قال : إنك غَبْنتني ، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني ، قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم ! قال : فاختر بين أرضكَ ومالكَ ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « أدخل الله الجنةَ رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً ، وقاضياً مقتضياً » .

وروى ابنُ جرير[٤] أنَّ طلحة لقيَ عثمانَ وهو خارجٌ إلى المسجد فقال له طلحة : إن الخمسين ألفاً التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها[٥] ، فقال له عثمان : إنا قد وهبناكها لمروءتك .

وقال الأصمعي[٦] : استعمل ابنُ عامر قَطَنَ بن عوف الهلالي على كرمان ، فأقبل جيشٌ من المسلمين ـ أربعة آلاف ـ وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم ، وخشي قَطَنٌ الفوتَ فقال : من جاز الوادي فله ألفُ درهم ، فحملوا أنفسهم على العوم[٧] ، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قَطَنٌ : أعطوه جائزَتَهُ ، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعةَ آلافِ ألفِ درهم ، فأبى ابنُ عامر أن يَحْسِبَها له ، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان ، فكتب عثمان : أن ٱحْسِبْها له ، فإنه إنَّما أعانَ المسلمين في سبيل الله . فمن ذلك اليوم سُمِّيتِ الجوائزَ لإجازةِ الوادي ، فقال الكناني في ذلك : [من الوافر]

فِدَىً للأكْرَمين بني هِلالٍ ... على عِلاتِهِمْ أهلي ومالِي
هُمُوا سَنّوا الجَوائِزَ في مَعَدٍّ ... فَعادَتْ سُنّةً أخرى اللَّيالي
رِماحُهُمُ تَزيدُ على ثَمانٍ ... وعَشْرٍ قَبْلَ تَرْكيبِ النِّصالِ

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٣) وهو حديث صحيح .
(٢) في ط : وأسفارهم ؛ وما هنا عن المسند .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٥٨) وهو حديث حسن .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) .
(٥) في أ : يقتضيها ، وما هنا عن الطبري .
(٦) الخبر في تاريخ دمشق (٢٢٢ ـ ٢٢٣) والكامل لابن الأثير (٣/ ١٨٤) مع بعض الخلاف في الرواية .
(٧) في أ : على العُظْم ، وما هنا عن مصادره .

فصل : [من مناقبه]

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنَّه جمعَ الناسَ على قراءة واحدةٍ ، وكتب المصحفَ على العرضة الأخيرة ، التي درسَها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سنيِّ حياته ، وكان سبب ذلك أن حُذَيْفَة بن اليَمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلقٌ من أهل الشام ، ممَّنْ يقرأُ على قراءةِ المِقْدادِ بن الأسْود ، وأبي الدَّرْداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممَّنْ يَقْرأُ على قراءة عبد الله بن مسعود ، وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بَسَوغان القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما خَطَّأ الآخر أو كَفَّره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السيء بين الناس ، فركبَ حُذَيْفَة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدْرِكْ هذه الأمةَ قبلَ أن تختلف في كتابها كاختلافِ اليهود والنصارى في كتبهم . وذكر له مشاهدَ من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمعَ عثمانُ الصحابةَ وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمعَ الناسَ في سائر الأقاليم على القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحةِ كفِّ المنازعةِ ، ودفع الاختلافِ ، فاستدعى بالصُّحف التي كان الصّديقُ أمر زيدَ بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتبَ وأن يمليَ عليه سعيدُ بن العاص الأموي ، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغةِ قريشٍ ، فكتبَ لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ، وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه[١] المصاحف الأئمة ، وليست كلها بخطّ عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخطّ زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبةً إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقلي ، أي ضُرب في زمانه ودولته .

قال الواقدي[٢] : حدَّثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . ورواه غيره من وجه آخر عن أبي هريرة قال :

لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أَصَبْتَ ووُفِّقْتَ ، أشهد لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أشدَّ أمتي حُبّاً لي قومٌ يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، يعملون بما في الورق المُعلَّق »[٣] فقلت : أيّ ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، قال : فأعجب ذلك عثمان ، وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما علمتُ أنّك لتحبس علينا حديث نبينا ﷺ .

---

(١) في أ : ويقال لها .

(٢) تاريخ دمشق (٢٣٧) .

(٣) رواه ابن عساكر في ترجمة عثمان صفحة (٢٣٧) من طريق الواقدي ، وهو ضعيف جداً .

ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه ، لئلا يقع بسببه اختلاف .

فقال أبو بكر بن أبي داود ـ في كتاب « المصاحف »[١] ـ حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا : حدَّثنا شعبة ، عن علقمة بن مَرْثِد[٢] عن رجل عن سُوَيْد بن غَفَلة قال : قال لي عليٌّ حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعْه هو لصنعته .

وهكذا رواه أبو داود الطَّيالسي[٣] وعمرو بن مرزوق ، عن شُعبة مثله .

وقد رواه البَيْهقي[٤] وغيره من حديث محمد بن أبان ـ زوج أختِ حسين ـ عن علقمة بن مرثد قال : سمعتُ العَيْزار بن جرول سمعت سُويد بن غَفَلة قال : قال عليٌّ : أيها الناس! إياكم والغُلُوَّ في عثمان تقولون حرّق المصاحف ، والله ما حرّقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلتُ (مثل) الذي فعل .

وقد روي عن ابن مسعود[٥] أنه تعتّب لما أخذ منه مصحفه فحرِّق ، وتكلَّم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف ، وأمر أصحابه أن يغلُّوا[٦] مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك ، وجمع الكلمة ، وعدم الاختلاف ، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال أبو إسحاق : عن عبد الرحمن بن يزيد :

أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال كم صلَّى أميرُ المؤمنين الظهرَ؟ قالوا : أربعاً ، فصلَّى ابنُ مسعود أربعاً ، فقالوا : ألم تُحدِّثنا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر صلّوا ركعتين ؟ فقال : نعم ! وأنا أحدثكموه الآن ، ولكني أكره الاختلاف . وفي الصحيح[٧] أن ابن مسعود قال : ليت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين .

وقال الأعمش[٨] : حدَّثني معاوية بن قرة ـ بواسط ـ عن أشياخه قالوا :

---

(١) المصاحف (١٢) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٤١) .
(٢) في أ : يزيد ؛ تحريف وما هنا عن مصادره .
(٣) مسند أبي داود الطيالسي (ص١٩) .
(٤) سنن البيهقي (٩/ ١١٩) والخبر أيضاً بهذا السند في تاريخ دمشق (٢٣٨) .
(٥) خبره في تاريخ دمشق (٢٣٩) .
(٦) في أ : أن تعلق .
(٧) صحيح البخاري (١٠٨٤) تقصير الصلاة ، ومسلم (٦٩٥) (١٩) في صلاة المسافرين .
(٨) الخبر والذي قبله في تاريخ دمشق (٢٤٨ ـ ٢٤٩) .

صلى عثمان الظهر بمنى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه ، ثم صلى بأصحابه العصرَ في رَحْلِهِ أربعاً ، فقيل له : عَتبتَ على عثمان وصليتَ أربعاً ؟ فقال : إني أكره الخلاف ـ وفي رواية : الخلاف شر ـ فإذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن ؟ والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤوا بها لا بغيرها ؟

وقد حكى الزُّهري[١] وغيره : أن عثمان إنما (أتم) خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان ، وقيل : بل قد تأهل بمكة .

فروى أبو يعلى[٢] ، وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم ، حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب[٣] ، عن أبيه :

أنَّ عثمانَ صلَّى بهم بمنى أربع ركعات ، ثم أقبل عليهم فقال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إذا تزوَّجَ الرجلُ ببلد فهو من أهله » وإني أتممت لأني تزوجتُ بها منذ قدمتها . وهذا الحديث لا يصح ، وقد تزوَّجَ رسول الله ﷺ في عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتمّ الصلاة ، وقد قيل إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث كان ، وهكذا تأولت عائشة فأتمت ، وفي هذا التأويل نظر ، فإن رسول الله ﷺ هو رسول الله حيث كان ، ومع هذا ما أتمَ الصلاةَ في الأسفار . ومما كان يعتمده عثمان بن عفان أنه كان يُلْزِمُ عُمَّاله بحضور الموسم كلَّ عام ، ويكتب إلى الرعايا : منْ كانتْ له عند أحدٍ منهم مَظْلمةٌ فليوافِ إلى الموسم فإني آخذُ له حقَّه من عامله ، وكان عثمانُ قد سمحَ لكثيرٍ من (كبار) الصحابة في المسير حيث شاؤوا من البلاد ، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك ، حتى ولا في الغزو ، ويقول : إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم[٤] أبناؤها ، فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس ، وصار لكل واحد أصحاب ، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الإمارةَ العامةَ بعد عثمان ، فاستعجلوا موته ، واستطالوا حياته ، حتى وقعَ ما وقعَ من بعض أهلِ الأمصار ، كما تقدَّم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العزيز الحكيم ، العلي العظيم .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج برُقيّة بنت رسول الله ﷺ فولد له منها عبد الله ، وبه كان يُكنى ، بعدما كان يُكنى في الجاهلية بأبي عمرو .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٤٩) .

(٢) لم أجده في مسند أبي يعلى ، ولعله في الكبير ، والخبر بتمامه في تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٢٥٠) .

(٣) في أ : ذياب ؛ تحريف ، وضبطه في تقريب التهذيب (٣١٠) .

(٤) في أ : أن تزول الدنيا أو تراكم .

ثمَّ لما توفيت تزوَّج بأختها أم كلثوم .

ثمَّ توفيت فتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر .

وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدية ، فولدت له عَمراً ، وخالداً ، وأبانا ، وعمر ، ومريم .

وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية . فولدت له الوليد وسعيداً .

وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ، فولدت له عبد الملك ، ويقال : وعتبة .

وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان .

وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضَمْضَم بن عدي بن حيان بن كليب[١] ، فولدت له مريم ، ويقال : وعنبسة . وقتل رضي الله عنه وعنده أربع : نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاختة . ويقال : إنه طلق أم البنين وهو محصور .

فصل

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٢] وأبو داود[٣] من حديث سفيان الثَّوري عن منصور عن ربعي بن ناجية الكاهلي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال قال رسول الله ﷺ : « إن رحا الإسلام ستدور لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن تهلك[٤] فسبيل ما هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سعبين عاماً » قال : فقال عمر يا رسول الله أبما مضى أم بما بقي؟ قال : « بل بما بقي » وفي لفظ له ولأبي داود « تدور رحا الإسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين » الحديث . وكأن هذا الشك من الراوي ، والمحفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثون ، فإن فيها قتل أمير المؤمنين عثمان على الصحيح ، وقيل ست وثلاثين ، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة ولكن الله سلَّم ووقى بحوله وقوّته فلم يكن بأسرع من أن بايع الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانتظم الأمر ، واجتمع الشمل ، ولكن جرت[٥] بعد ذلك أمورٌ في يوم الجمل وأيام صفين على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

---

(١) في أ : بن خباب بن كلب .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٩٣) وهو حديث صحيح .
(٣) سنن أبي داود (٤٢٥٤) في الفتن والملاحم .
(٤) في أ : يهلك ، وفي المسند : يهلكوا .
(٥) في أ : حدث .

فصل

في ذكر من توفي في زمان دولة[١] عثمان ممن لا يعرف وقت وفاته على التعيين
[على ما ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٢]]

أنس بن معاذ[٣] بن أنس بن قيس الأنصاري النجاري ، ويقال له أُنَيس أيضاً ، شهد المشاهد كلها رضي الله عنه .

أوس بن الصّامت[٤] ، أخو عُبادة بن الصّامت الأنصاريان[٥] شهدا بدراً ، وأوس هو زوج المجادلة المذكور في قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] (وامرأته) خولة[٦] بنت ثعلبة .

أوس بن خَوَلي[٧] الأَنْصاري من بني الحُبْلى ، شهد بدراً ، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبي ﷺ ، والنزول مع أهله في قبره ، عليه الصلاة والسلام .

الجدُّ[٨] بن قيس[٩] ، كان سيداً في الأنصار ، ولكن كان بخيلاً ومتهماً بالنفاق ، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع ، واستتر ببعير له ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾ [التوبة : ٩٤] الآية . وقد قيل إنه تاب وأقلع ، فالله أعلم .

الحُطَيْئَةُ[١٠] الشاعر المشهور . قيل اسمه جَرْول ويكنى بأبي مُلَيْكَة ، من بني عبس ، أدرك أيام الجاهلية ، وأدرك صدراً من الإسلام ، وكان يطوف في الآفاق يمتدح الرؤساء من الناس ، ويستجديهم ويقال كان بخيلاً مع ذلك ، سافر مرة فودع امرأته فقال لها : [من الكامل]

---

(١) في ط : توفي زمان عثمان . . .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٣٧ ـ ٣٦٢) ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ ط : دار الكتاب العربي .

(٣) ترجمة ـ أنس بن معاذ ـ في الاستيعاب (١/ ١٠٨) وأسد الغابة (١/ ١٥٤) والإصابة (١/ ٧٤) .

(٤) ترجمة ـ أوس بن الصامت ـ في الاستيعاب (١/ ٢١٨) وجامع الأصول (١٣/ ٣٧) وأسد الغابة (١/ ١٧٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) والوافي (٩/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) وتهذيب التهذيب (١/ ٣٨٣) .

(٥) في أ : الأنصاري .

(٦) في أ : خويلة ؛ تحريف . وترجمتها في الاستيعاب (١٨٣٠) وجامع الأصول (١٣/ ٤٤٨) .

(٧) ترجمة ـ أوس بن خَوَليّ ـ في الاستيعاب (١/ ١١٧) وأسد الغابة (١/ ١٧٠) والإصابة (١/ ٨٤) وخوليّ : محركة وقد تسكن (القاموس خول) .

(٨) في ط : « الحر » وهو تحريف قبيح ، فهو صحابي معروف .

(٩) ترجمة ـ الجدّ بن قيس ـ في الاستيعاب (١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) وأسد الغابة (١/ ٣٢٧) والإصابة (١/ ٢٢٨) .

(١٠) ترجمة ـ الحطيئة ـ في الشعر والشعراء (٣٢٢) والاشتقاق لابن دريد (١٧٠) والأغاني (٢/ ٤١ ـ ٥٩) و(١٩/ ٣٨ ـ ٤٠) والإصابة (٢/ ٦٣ ـ ٦٤) .

عدّي السنينَ إذا خرجتُ لغيبةٍ[١] وَدَعِي الشهورَ فإنهنَّ قِصارُ

(وكان مدّاحاً هجّاء ، وله شعر جيد ، ومن شعره ما قاله بين يَدَيْ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاد منه قوله[٢] : [من البسيط]

من يَفْعلِ الخيرَ لم يَعْدَمْ جَوائِزَهُ[٣] لا يَذْهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنّاسِ)

خُبَيْب بن يساف[٤] بن عتبة الأنصاري أحد من شهد بدراً .

سلمان بن ربيعة الباهلي[٥] ، يقال له صحبةٌ ، كان من الشجعان الأبطال (المذكورين) ، والفرسان المشهورين ، ولّاه عمر قضاء الكوفة ، ثم ولي في زمن عثمان إمرة على قتال الترك ، فقتل ببَلَنْجر[٦] ، فقبره هناك في تابوت يستسقي به الترك إذا قحطوا .

عبد الله بن حُذافة بن قيس القُرشي السَّهْمي[٧] ، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة ، وكان من سادات الصحابة ، وهو القائل : يا رسول الله من أبي[٨] ؟ ـ وكان إذا لاحى الرجالُ دعي لغير أبيه ـ فقال : « أبوك حذافة »[٩] .

وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى كسرى فدفع كتابه إلى عظيم بصرى فبعث معه من يوصله إلى هرقل[١٠] كما تقدَّم ، وقد أسرته الرومُ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في جملة ثمانين من المسلمين ، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم ، فقال له الملك : قبِّل رأسي وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين ، فقبَّل رأسه (فأطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حقٌّ على كل مسلم أن يقبِّل رأسك ، ثم قام عمر فقبَّل رأسه) قبل الناس رضي الله عنه .

عبد الله بن سراقة[١١] بن المعتمر ، العدوي صحابي أُحُديٌّ ، وزعم الزهريُّ أنه شهد بدراً ، فالله أعلم .

---

(١) في أ : إذا حضرت أفيته .

(٢) البيت في ديوانه ـ رواية ابن حبيب ـ (١٠٩) .

(٣) في الديوان : لا يقدم جوازيه . .

(٤) ترجمة ـ خبيب بن يساف ـ في حلية الأولياء (١/ ٣٦٤) والاستيعاب (٣/ ١٨٨) وأسد الغابة (٢/ ١١٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) والإصابة (٣/ ٧٩) .

(٥) ترجمة ـ سليمان بن ربيعة ـ في الاستيعاب (٦٣٢) وأسد الغابة (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦) والإصابة (٢/ ٦١) .

(٦) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب . معجم البلدان (١/ ٤٨٩) .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن حذافة ـ في الاستيعاب (٨٨٨) وأسد الغابة (٢/ ٢١١) وسير أعلام النبلاء (٢/ ١١ ـ ١٦) والإصابة (٢/ ٢٩٦) .

(٨) في أ : من لي يا رسول الله .

(٩) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٩٢) في العلم ، ومسلم في صحيحه (٢٣٥٩) في الفضائل .

(١٠) في أ : كان رسول الله ﷺ بعثه إلى هرقل .

(١١) ترجمة ـ عبد الله بن سراقة بن المعتمر ـ في الاستيعاب (٩١٦) وأسد الغابة (٣/ ٢٥٥) والإصابة (٢/ ٣١٥) .

عبد الله بن قيس[(١)] **بن خالد الأنصاري** ، شهد بدراً .

عبد الرحمن بن سهل[(٢)] **بن زيد الأنصاري الحارثي** ، شهد أحداً وما بعدها .

وقال ابن عبد البر : شهد بدراً . استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان ، وقد نهشته حية فرقاه عمارة بن حزم ، وهو القائل لأبي بكر ـ وقد جاءته جدتان فأعطى السدس أم الأم وترك الأخرى وهي أم الأب ـ فقال له : أعطيت التي لو ماتت لم ترثها ، (وتركت التي لو ماتت لورثتها) ، فشرَّك بينهما .

عمرو بن سراقة[(٣)] **بن المعتمر العدوي** أخو عبد الله بن سراقة ، وهو بدري كبير ، روي أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ، ومشى يومه ذلك إلى الليل ، فأضافه قوم من العرب ومن معه ، فلما شبع قال لأصحابه : كنت أحسب الرِّجْلَيْن يحملان البطن ، فإذا البطن يحمل الرِّجْلَيْن .

عمير بن سعد الأنصاري[(٤)] **الأوسي** ، صحابي جليل القدر ، كبير المحل ، كان يقال له نسيجَ وحدِهِ ، لكثرة زهادته وعبادته ، شهد فتحَ الشام مع أبي عُبيدة ، ونابَ بحمص وبدمشق أيضاً في زمان عمر ، فلما كانت خلافةُ عثمان عزله وولّى معاويةَ الشامَ بكماله ، وله أخبار يطول ذكرها .

عروة بن حزام[(٥)] **أبو سعيد العُذري** كان شاعراً مُغْرَماً في ابنةِ عمٍ له ، وهي عفراء بنت مهاجر ، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها . فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام ، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره ، وزوجها بابن عمها الآخر ، فهلك عروة هذا في محبتها ، وهو مذكور في كتاب « مصارع العشاق »[(٦)] ، ومن شعره فيها قوله[(٧)] : [من الطويل]

وما هو[(٨)] إلا أنْ أراها فُجاءةً … فأبهتُ حتَّى ما أكادُ أجيبُ

وأُصْرَفُ عن رَأْيي الذي كنت أرتئي … وأنْسَى الَّذي أعْددتُ حينَ تَغيبُ

قطبة بن عامر[(٩)] **أبو زيد الأنصاري** عَقَبيٌّ بَدْري .

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن قيس ـ في الإصابة (٢/ ٣٥٩) .

(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن سهل ـ في الاستيعاب (٢/ ٨٣٦) وأسد الغابة (٣/ ٤٥٧) والإصابة (٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) .

(٣) ترجمة ـ عمرو بن سراقة ـ في الاستيعاب (٣/ ١١٧٦) وأسد الغابة (٤/ ٢٢٧) والإصابة (٣/ ١٧٤) .

(٤) ترجمة ـ عمير بن سعد ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢١٥) وجامع الأصول(١٤/ ٥٦٦) وأسد الغابة (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) والإصابة (٣/ ٣٢) .

(٥) ترجمة ـ عروة بن حزام ـ في الشعر والشعراء (٦٢٢) والأغاني (٢٠/ ١٥٢ ـ ١٥٨) .

(٦) كتاب مصارع العشاق لأبي محمد السَّرَّاج .

(٧) البيتان في الشعر والشعراء (٦٢٢ ـ ٦٢٣) .

(٨) في ط : هي .

(٩) ترجمة ـ قطبة بن عامر ـ في الاستيعاب (٢/ ١٢٨٢) وأسد الغابة (٤/ ٤٠٦) والإصابة (٣/ ٢٣٧) .

قيس بن قهد[١] **بن قيس بن ثعلبة الأنصاري النجاري** ، له حديث في الركعتين قبل الفجر ، وزعم ابن ماكولا أنه شهد بدراً ، قال مصعب الزبيري : هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري ، وقال الأكثرون : بل هو جد أبي مريم عبد الغفار بن القاسم الكوفي ، فالله أعلم .

لبيد بن ربيعة[٢] **أبو عقيل العامري الشاعر المشهور** . صح أن رسول الله ﷺ قال[٣] : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » . [من الطويل]

ألا كـلُّ شـيءٍ مـا خـلا اللهَ بـاطـلُ وتمام البيت : وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

فقال عثمان بن مظعون : إلا نعيم الجنة ، وقد قيل إنه توفي سنة إحدى وأربعين ، فالله أعلم .

المسيب بن حزن[٤] **بن أبي وهب المخزومي** ، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد التابعين .

معاذ بن عمرو بن الجموح[٥] **الأنصاري** شهد بدراً ، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله ، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه ، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه ، قال معاذ : فلما انتهيت وضعت قدمي عليها ثم تمطيت عليها حتى طرحتها رضي الله عنه . (وعاش بعد ذلك إلى هذه السنة سنة خمس وثلاثين) .

محمد بن جعفر[٦] **بن أبي طالب** ، القرشي الهاشمي ، ولد لأبيه وهو بالحبشة ، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر ، وتوفي يوم مؤتة شهيداً ، جاء رسول الله ﷺ إلى منزلهم فقال لأمهم أسماء بنت عميس : « إيتيني ببني أخي » فجيء بهم كأنهم أفرخ فجعل يقبِّلهم ، ويشمهم ويبكي ، فبكت أمهم فقال : « أتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ » ثم أمر الحلاق فحلق رؤوسهم[٧] . وقد

---

(١) في ط : بن مهدي ؛ تحريف . وترجمة ـ قيس بن قهد ـ في الإكمال (٧/ ٧٧) والاستيعاب (١٢٩٨) وأسد الغابة (٤/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) والإصابة (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .

(٢) ترجمة ـ لبيد بن ربيعة ـ في طبقات فحول الشعراء (١٢٣) والشعر والشعراء (٢٧٤) والأغاني (١٥/ ٣٦١) والاستيعاب (١٣٣٥) وجامع الأصول (١٥/ ١٤٤) وأسد الغابة (٤/ ٥١٤) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧١) والإصابة (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٨ و٤٤٤) والبخاري في صحيحه (٣٨٤١) في مناقب الأنصار ، ومسلم (٢٢٥٦) في الشعر من حديث أبي هريرة .

(٤) ترجمة ـ المسيب بن حزن ـ في الاستيعاب (١٤٠٠) وأسد الغابة (٥/ ١٧٧) وجامع الأصول (١٥/ ١٩٦) والإصابة (٣/ ٤٢٠) .

(٥) ترجمة ـ معاذ بن عمرو ـ في الاستيعاب (١٤١٣) وجامع الأصول (١٥/ ٢٠٤) وأسد الغابة (٥/ ٢٠٥) والإصابة (٣/ ٤٣١) .

(٦) ترجمة ـ محمد بن جعفر ـ في الاستيعاب (١٣٦٧) وأسد الغابة (٥/ ٨٣ ـ ٨٤) والإصابة (٣/ ٣٧٢) .

(٧) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤) والنسائي في سننه (٨/ ١٨٢) في الزينة .

مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا ، وزعم ابن عبد البر[١] أنه توفي في تستر ، فالله أعلم .

معبد بن العباس[٢] بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، قتل شاباً بإفريقية من بلاد المغرب .

مُعَيْقيب بن أبي فاطمة الدَّوْسي[٣] ، صاحب خاتم النبي ﷺ ، قيل توفي في أيام عثمان ، وقيل قبل ذلك ، وقيل سنة أربعين ، والله أعلم .

منقذ بن عمرو الأنصاري[٤] ؛ أحد بني مازن بن النجار ، كان قد أصابته آمَّة[٥] في رأسه فكسرت لسانه ، وضعف عقله ، وكان يكثر من البيع والشراء ، فقال له النبي ﷺ[٦] : « من بايعت فقل لا خِلابة ، ثم أنت بالخيار في كل ما تشتريه ثلاثة أيام » قال الشافعي : كان مخصصاً بإثبات الخيار ثلاثة في كل بيع ، سواء اشترط الخيار أم لا .

نعيم بن مسعود[٧] ، أبو سلمة الغطفاني ، وهو الذي خذَّل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه ، فله بذلك اليد البيضاء ، والراية العليا .

أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي[٨] ، الشاعر ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد موت النبي ﷺ ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي ﷺ ، وكان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب ، وهو القائل[٩] : [من الكامل]

وإذا المَنيَّةُ أنشَبَتْ أظْفَارها ... ألْفَيْتَ كُلَّ تميمةٍ لا تَنْفعُ

وتَجلُّدي للشّامتينَ أريهمُ ... أنّي لِرَيْب الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ

توفي غازياً بإفريقية في خلافة عثمان .

أبو رهم سبرة بن عبد العزى القرشي الشاعر ذكره في هذا الفصل محمد بن سعد وحده[١٠] .

---

(١) الاستيعاب (١٣٦٨) .

(٢) ترجمة ـ معبد بن العباس ـ في الاستيعاب (١٤٢٧) وأسد الغابة (٥/ ٢٢٠) والإصابة (٣/ ٤٧٥) .

(٣) ترجمة ـ ميعقيب بن أبي فاطمة ـ في الاستيعاب (١٤٧٨) وجامع الأصول (١٥/ ٢١٤) وأسد الغابة (٥/ ٢٤٠) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٢) والإصابة (٣/ ٤٥١) .

(٤) ترجمة ـ منقذ بن عمرو ـ في الاستيعاب (١٤٥١) وأسد الغابة (٥/ ٢٧٣) والإصابة (٣/ ٤٦٤) .

(٥) وفي (أ) : آفة ، وفي الاستيعاب وأسد الغابة : ضربة ، والأمّة ـ بتشديد الميم ـ الضربة التي تبلغ أم الرأس .

(٦) الحديث في مسند الإمام أحمد (٢/ ٧٢) عن ابن عمر ورواه البخاري رقم (٢١١٧) ومسلم رقم (١٥٣٣) .

(٧) ترجمة ـ نعيم بن مسعود ـ في الاستيعاب (١٥٠٨) وأسد الغابة (٥/ ٣٤٨) والإصابة (٣/ ٥٦٨) .

(٨) ترجمة ـ أبي ذؤيب ـ في الشعر والشعراء (٦٥٣) والأغاني (٦/ ٥٦ ـ ٦١) والاستيعاب (١٤٤٨) والإصابة (٤/ ٦٥) .

(٩) أشعار الهذليين (٣) .

(١٠) لم نقف عليه في المطبوع من طبقاته .

أبو زبيد الطائي[١] ، الشاعر ، اسمه حرملة بن المنذر (كان نصرانياً) وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشده شيئاً من شعره ، فأنشده قصيدة له في الأسد بديعة ، فقال له عثمان : تفتأ تذكر الأسد ما حييت ؟ إني لأحسبك جباناً نصرانياً .

أبو سبرة بن أبي رهم العامري[٢] ، أخو أبي سلمة بن عبد الأسد ، أمهما برة بنت عبد المطلب ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وما بعدها ، قال الزبير : لا نعلم بدرياً سكن مكة بعد النبي ﷺ سواه ، قال : وأهله ببدر في ذلك .

أبو لبابة[٣] بن عبد المنذر أحد نقباء ليلة العقبة ، وقيل إنه توفي في خلافة علي ، والله أعلم .

أبو هاشم بن عتبة تقدم وفاته في سنة إحدى وعشرين ، وقيل في خلافة عثمان ، والله أعلم[٤]

* * *

(١) ترجمة ـ أبي زبيد ـ في الشعر والشعراء (٣٠١ ـ ٣٠٤) والأغاني (١١/ ٢٣ ـ ٣٠) والاشتقاق (٢٣١) والإصابة (٢/ ٦٠) .

(٢) ترجمة ـ أبي سبرة ـ في الاستيعاب (١٦٦٦) وأسد الغابة (٦/ ١٣٠) والإصابة (٤/ ٨٤) .

(٣) ترجمة ـ أبي لبابة ـ في الاستيعاب (١٧٤٠) واسد الغابة (٦/ ٢٦٠) والإصابة (٤/ ١٦٨) .

(٤) بهذه اللفظة ينتهي الجزء الخامس من الكتاب ، ويبدأ الجزء السادس ، وعلى صفحة غلافه جملة التمليكات والتحبيسات، وعليه ختم المدرسة الأحمدية بحلب ، وعلى الصفحة الأولى وقف عليها . والنسخة مختلفة عن سابقتها بالترقيم ، وبالخط ، وبالتعليقات التي تمتلىء بها الهوامش وسنثبت في الحواشي ما نجده ذا فائدة منها إن شاء الله تعالى .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[(١)] رضي الله عنه

ولنذكر شيئاً[(٢)] من ترجمته على سبيل الاختصار قبل ذلك .

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ واسمه عبد مناف ـ بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قصي ـ واسمه زيد بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن مَعدّ بن عدنان ، أبـو الحسن والحسين ، ويكنى بأبي تراب ، وأبي القاسم[(٣)] الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وختنه[(٤)] على ابنته فاطمة الزهراء . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي ، ويقال : إنَّها أولُ هاشميةٍ ولدت هاشمياً[(٥)] . وكان له من الأخوة : طالبٌ ، وعقيلٌ ، وجعفرٌ[(٦)] ، وكانوا أكبرَ منه ، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين ، له أختان ؛ أم هانىء وجمانة ، وكلهم من فاطمة بنت أسد ، وقد أسلمت وهاجرت . وكان عليٌّ أحدَ العشرةِ المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان ممن توفي رسول الله ﷺ [وهو] راضٍ عنهم . وكان رابعَ الخلفاء الراشدين وكان رجلاً آدمَ شديد الأدمة أشكل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، أصلع ، وهو إلى القصر أقرب ، وكان عظيم اللحية ، قد ملأت صدره ومنكبيه ، أبيضها ، وكان كثيرَ شعر الصَّدْرِ والكتفين ، حسنَ الوجه ، ضحوكَ السّنِّ ، خفيف المشي على الأرض . أسلم عليٌّ قديماً ، وهو ابن سبع ، وقيل (ابن) ثمان ، وقيل تسع ، وقيل عشر ، وقيل إحدى عشرة ، وقيل اثنتي عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ،

---

(١) ترجمة ـ الإمام علي كرم الله وجهه ـ في نسب قريش (٣٩) وحلية الأولياء (١/ ٦١) والاستيعاب (١٠٨٩) وجامع الأصول (٩/١٢) وفيه قائمة بمصادره ، وأسد الغابة (٩١/٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (مجلد منفرد) ومختصر تاريخ دمشق (٢٩٧/١٧) و(٥/١٨ ـ ٩٩) وتاريخ الإسلام (مجلد الخلفاء الراشدين) والإصابة (٥٠٧/٢ـ ٥١٠) .

(٢) في أ : شيء ، وما هنا للسياق النحوي .

(٣) في أ : وأبي القضم .

(٤) في هامش أ : يعني زوج بنته .

(٥) في أ : هاشمي ؛ وما هنا للسياق .

(٦) بعدها في أ : وحرث .

وقيل أربع عشرة ، وقيل (ابن) خمس عشرة ، أو ست عشرة سنة قاله عبد الرزاق[١] عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن .

ويقال إنه أول من أسلم[٢] من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلمت[٣] من النساء ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار[٤] .

وكان سبب إسلام عليّ صغيراً أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ ، لأنه كان قد أصابتهم سنةُ مجاعةٍ ، فأخذه من أبيه ، فكان عنده[٥] ، فلما بعثه الله بالحقّ آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي ، وكان الإيمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصّدّيق رضي الله عنه .

وقد ورد عن علي أنه قال : أنا أولُ من أسلم . ولا يصحّ إسناده إليه . وقد رُوي في هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر[٦] [وهي] كثيرة منكرة لا يصحّ شيءٌ منها ، والله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد[٧] من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، سمعت أبا حمزة ـ رجلاً من موالي الأنصار ـ قال : سمعت زيد بن أرقم يقول :

أول من أسلم مع رسول الله ﷺ عليٌّ . وفي رواية أول من صلَّى . قال عمرو : فذكرت ذلك للنَّخعي فأنكره ، وقال : أبو بكر أول من أسلم[٨]

وقال محمد بن كعب القرظي : أول من آمن من النساء خديجة وأول رجلين آمنا أبو بكر وعلي ، ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلي يكتم إيمانه .

قلت : يعني خوفاً من أبيه ، ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرَته ، وهاجر عليٌّ بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه وردّ ودائعه ، ثم يلحق به ، فامتثل ما أمره به ، ثم هاجر ، وآخى النبي ﷺ . بينه وبين سهل بن حنيف .

وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه[٩] ، وقد

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٢٥) .
(٢) زيدت بعدها في ط : والصحيح أنه أول من أسلم .
(٣) في أ : أسلم .
(٤) في هامش أ : وقف مدرسة الأحمدية بحلب المحمية .
(٥) في أ : فكان في كفالته لما بعثه الله .
(٦) تاريخ دمشق (٤/ ٤٢) وما بعدها .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٨) فقد صححه الإمام الترمذي (٣٧٣٥) في المناقب .
(٨) في هامش أ : يمكن التوفيق بين هذين القولين مما سبق آنفاً في بيان أول من آمن . قلت : يقصد أن أبا بكر أول من آمن من الرجال ، وعلياً أول من آمن من الغلمان .
(٩) في أ : ولا يصح .

ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها ، ورِكَّة بعض متونها .

فإنَّ في بعضها : « أنت أخي ووارثي وخليفتي وخير من أُمِّر بعدي » وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين[١] وغيرهما ، والله أعلم[٢] .

وقد شهد علي بدراً وكانت له اليدُ البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه ، وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث وخصومهم الثلاثة ـ عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ـ نزل قوله تعالى : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] الآية . وقال الحكم وغيره عن مِقْسَم عن ابن عباس قال[٣] : دفعَ النبيُّ الرايةَ يوم بدرٍ إلى عليّ وهو ابن عشرين سنة .

وقال الحسن بن عرفة : (حدَّثني) عمار بن محمد ، عن سعيد بن محمد الحنظلي ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال :

نادى منادٍ في السماء يومَ بدر يُقال له رضوان : لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتىً إلا علي .

قال ابن عساكر[٤] : وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من علي بعد ذلك .

وقال يونس بن بُكَيْر : عن مسعر[٥] ، عن أبي عوف عن أبي صالح عن علي قال : قيل لي يوم بدر ولأبي بكر قيل لأحدنا معك[٦] جبريل ومع الآخر ميكائيل قال وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف . وشهد عليٌّ أُحُداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب بن عمير ، وعلى الميسرة المنذر بن عمرو الأنصاري ، وحمزة بن عبد المطلب على القلب ، وعلى الرَّجَّالة الزبير بن العوام وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل علي يوم أحد[٧] قتالاً شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبي ﷺ الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شُجَّ في وجهه[٨] وكُسرتْ[٩] رباعيتُه ، وشهدَ يوم الخندق فَقَتَلَ يومئذ فارسَ العرب ، وأحدَ شجعانهم المشاهير ، عمرو بن عَبْد ودٍّ العامري ، كما قدّمنا ذلك في غزوة الخندق ، وشهدَ الحُدَيْبية وبيعةَ الرِّضْوان ، وشهدَ خيبرَ وكانت له بها مواقفُ هائلةٌ ،

---

(١) في أ : في الصحيح وغيرها .
(٢) في هامش أ : مطلب الأحاديث الواقعة في حق علي وأنها موضوعة .
(٣) المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣١١) .
(٤) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ١٥٨) .
(٥) في أ : مسعود .
(٦) في أ : مع أحدكما جبريل .
(٧) في هامش أ : بيان يوم أحد .
(٨) في أ : الدم حين شج يومئذ في رأسه .
(٩) في هامش أ : معطوف على قوله : وشهد علي بدراً .

ومشاهد طائلة ، منها أنَّ رسول الله ﷺ قال[١] : « لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ، ويحبُّه الله ورسولُه » فباتَ الناس [ليلتهم] يدوكون أيّهم يعطاها ، فدعا علياً ـ وكان أرمدَ ـ فدعا له ، وبصقَ في عينه فلم يرمد بعدها ، فبرأ وأعطاه الرايةَ ، ففتح الله على يديه ، وقتل مرحباً[٢] اليهودي .

وذكر محمد بن إسحاق[٣] : عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه ، فتناول باباً عند الحصن فترس به ، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فلقد رأيتني أنا وسبعة (معي) نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع .

وقال ليث : عن أبي جعفر عن جابر أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، فلم يحمله إلا أربعون رجلاً .

ومنها أنه قتل مرحباً فارس يهود وشجعانهم .

وشهد عليٌّ عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ[٤] : « أنت مني ، وأنا منك » وأما [ما] يذكره كثير من القصاص في مقاتلة عليّ[٥] الجن في بئر ذات العلم ـ وهو بئر قريب من الجحفة ـ فلا أصل له ، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به[٦] .

وشهد الفتح وحنيناً والطائف ، وقاتل في هذه المشاهد قتالاً كثيراً ، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال[٧] : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » .

وبعثه رسول الله ﷺ أميراً وحاكماً على اليمن ، ومعه خالد بن الوليد ، ثم وافى رسول الله ﷺ عام [حجة] الوداع ، إلى مكة ، وساق معه هدياً ، وأهلَّ كإهلال النبيّ ﷺ ، فأشركه في هَدْيِهِ ، واستمرَّ على

---

(١) الحديث رواه سهل بن سعد وغيره من الصحابة ، وأخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٠١) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٣٣) .

(٢) في هامش أ : المرحب : ملك اليهود .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٤٥) .

(٤) الحديث رواه البراء بن عازب وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٩٨) والبخاري في صحيحه (١٨٤٤) في جزاء الصيد .

(٥) في ط : وما يذكره كثير من القصاص في مقاتلة الجن . .

(٦) في أ : فلا يعتبر به .

(٧) الحديث عن ابن عباس وغيره أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٣١) والبخاري في صحيحه (٣٧٠٦) في فضائل الصحابة .

إحرامه ، (ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم) ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس : سلْ رسولَ الله ﷺ فيمن الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله فإنه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً ، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوَّح بذكرِ الصدِّيقِ ؛ وأشار [إشارة] مفهمة ظاهرة جداً إليه ، كما قدمنا ذلك ولله الحمد .

وأما ما يفتريه كثيرٌ من جَهَلةِ الشِّيعة والقصاص (الأغبياء) ، من أنه أوصى إلى عليٍّ بالخلافة ، فكذبٌ وبهتٌ وافتراءٌ عظيمٌ يلزمُ منه خطأٌ كبيرٌ ، من تخوين[١] الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى منْ أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره ، لا لمعنى ولا لسبب ، وكلُّ مؤمنٍ بالله ورسوله متحقق[٢] أنّ دينَ الإسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأنّ الصحابةَ كانوا خيرَ الخلقِ بعد الأنبياء ، وهم خيرُ قرون هذه الأمة ، التي هي أشرفُ الأمم بنصّ القرآن ؛ وإجماع السلف والخلف ، في الدنيا والآخرة ، (ولله الحمد) .

وما قد يقصُّه بعضُ القُصّاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعليّ في الآداب والأخلاق[٣] في المأكل والمشرب والملبس مثل ما يقولون : يا علي لا تعتمّ وأنت قاعد ، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم ، يا علي لا تمسك عضادتي الباب ، ولا تجلس على أُسْكُفَّة الباب ، ولا تُخيّطْ ثوبك وهو عليك ، ونحو ذلك ، كل ذلك من الهذيانات ، فلا أصل لشيء منه[٤] ، بل هو اختلاق[٥] (بعض السَّفلة الجَهلة ، ولا يعوِّل على ذلك ويغتر به إلا غبي عيي) .

ثم لما مات رسول الله ﷺ كان عليٌّ من جملة من غسله وكفنه وولي دفنه كما تقدم ذلك (مفصلاً ولله الحمد والمنة) . وسيأتي في باب فضائله ذكر تزويج رسول الله ﷺ له من فاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن (كما قدّمنا) . وقد وردت أحاديثُ في ذلك لا يصحّ شيء منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص .

ولما بويع الصديقُ يومَ السقيفة كان علي من جملة من بايعَ بالمسجد (كما قدّمنا) . وكان بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضاً عليه ، وأحب الأشياء إليه .

ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر ـ وكانت قد تغضبت بعض الشيء[٦] على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليه السلام ، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما

(١) في أ : جور الصحابة وتماليهم .
(٢) في ط : يتحقق .
(٣) في أ : بآداب وأخلاق .
(٤) في أ : فلا أصل له .
(٥) في أ : اختلاق وكذب وزور .
(٦) في أ : بعض التغضب .

بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه[١] الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقي في نفسها شيء كما قدّمنا ، واحتاج عليّ أن يداريها بعض المداراة ، فلما توفيت جدد البيعةَ مع الصديق رضي الله عنهما ، فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر إليه بذلك : كان علي من جملة من بايعه ، وكان معه يشاوره في الأمور ، ويقال إنه استقضاه في أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ؛ وشهد خطبته بالجابية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستةٍ أحدُهم عليٌّ ، (ثم خلص منهم بعثمان وعلي كما قدمنا) ، فقدم عثمان على عليٍّ ، فسمع وأطاع .

فلما قُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرةَ خلت من ذي الحجة سنة خمسٍ[٢] وثلاثين على المشهور ، عدل الناس إلى علي فبايعوه ، قبل أن يدفن عثمان . وقيل بعد دفنه كما تقدم ، وقد امتنع علي من إجابتهم[٣] إلى قبول الأمارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبذول ، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجاءوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة

يقال : إنَّ أولَ من بايعه طلحةُ بيده اليُمنى وكانت شَلاَّءَ[٤] من يوم أُحدٍ ـ لما وقى بها رسولَ الله ﷺ ـ فقال بعضُ القوم : والله إن هذا الأمر لا يتمّ ، وخرج عليٌّ إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزارٌ وعمامةُ خزٍّ ونعلاه في يده ، يتوكَّأ على قوسه ، فبايَعه عامَّةُ الناس ، وذلك يوم السَّبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، ويقال : إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمِّرهما على البصرة والكوفة ، فقال لهما : بل تكونان عندي أستأنسُ بكما .

ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار ، منهم حَسَّان بن ثابتٍ ، وكعبُ بن مالكٍ ، ومسلمة بن مخلدٍ ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مسلمة ، والنُّعمان بن بَشير ، وزيدُ بن ثابتٍ ، ورافع بن خديجٍ ، وفضالةُ بن عبيد ، وكعب بن عُجْرة .

ذكره ابن جرير[٥] من طريق المدائني ، عن شيخ من بني هاشم ، عن عبد الله بن الحسن .

قال المدائني : حدَّثني منْ سمع الزهري يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا

---

(١) في هامش أ : وصرّح في « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » حيث قال : إن الأنبياء لا يورثون وإن ما تركوه صدقة في مصالح المسلمين ، ولم يخالف في ذلك إلا الشيعة . لمحرره .

(٢) في أ : خمسة ، تحريف .

(٣) في أ : مبايعتهم وفرّ منهم إلى بني عمرو بن مبذول وأغلق بابه ، وامتنع من قبول الإمارة حتى تقرر قولهم في الناس .

(٤) في هامش أ : تعليق لا يتضح منها إلا بعض كلمات .

(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٩ـ٤٣٠) .

علياً ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة .

قلت : وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام .

وقال الواقدي[١] : بايع الناسُ علياً بالمدينة، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا ، منهم ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص، وصهيب، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن أبي مسلمة ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلَّف أحدٌ من الأنصار إلَّا بايع فيما نعلم .

وذكر سيف بن عمر[٢] عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيتِ المدينةُ خمسةَ أيامٍ بعد مقتل عثمان وأميرُها الغافقيُّ بن حرب ، يلتمسون منْ يُجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحُّون على عليّ وهو يهربُ منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزُّبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا[٣] إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا في أمرهم ، ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناسُ في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى عليٍّ فألحوا عليه ، وأخذ الأشترُ بيده فبايعه وبايعه الناسُ .

وأهل الكوفةِ يقولون : أولُ من بايعه الأشترُ النَّخعي وذلك يوم الخميس الرابعُ والعشرون من ذي الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس له في ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا عليّ ، فلما كان يوم الجمعة وصعد (عليٌّ) المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ، فقال قائل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم الزبير ، ثم قال الزبير : إنمـا بايعت علياً واللج على عنقي والسلام[٤] ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمسٍ[٥] بقين من ذي الحجة .

وكان أول خطبةٍ[٦] خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشرَّ ، إن الله حَرَّم حُرَماً [غير] مجهولة ، وفَضَّلَ حُرْمةَ المُسلم على الحُرَم كلِّها ، وشدَّ بالإخلاصِ والتوحيدِ حقوقَ المسلمين ، والمسلمُ من سلم المسلمون[٧] من لسانه ويده إلَّا بالحقّ ، لا يحلّ لمسلم أذى مسلم إلا بما يجبُ ، بادروا أمر العامة ، وخاصَّة أحدكم الموت[٨] ، فإنّ

(١) المصدر نفسه (٤/ ٤٣١) .
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٣٢) .
(٣) في أ : جاؤوا .
(٤) في أ : بايعت والسلاح عليّ ثم راح .
(٥) في ط : لخمسة .
(٦) الخطبة في تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٦) .
(٧) في تاريخ الطبري : الناس .
(٨) في أ : بالموت .

الناسَ أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحدو كم فتخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، فإنكم مسؤولون (حتى) عن البقاع والبهائم ، (ثم) أطيعوا الله ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به (وإذا رأيتم الشرّ فدعوه) ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال : ٢٦] الآية .

فلما فرغ من خطبته قال المصريون[١] : [من الرجز]

خُذْها إليْكَ واحْذَرَنْ أبا الحَسَنْ ... إنّا نُمِرُّ الأمْرَ إمْرارَ الرَّسَنْ

صَوْلَةُ آسادٍ كآسادِ السُّفُنْ ... بمَشْرفياتٍ كغُدْرانِ اللَّبَنْ

ونَطْعنُ المُلْكَ بلَيْنٍ كالشَّطَنْ ... حَتَّى يُمرَّنَّ على غَيْرِ عَنَنْ

فقال علي مجيباً لهم[٢] :

إنّي عجزتُ عَجْزةً لا أعْتَذِرْ ... سوفَ أكيسُ بَعْدها وأسْتمِرْ

أرْفَعُ مِنْ ذَيْليَ ما كُنتُ أجُرْ ... وأجْمَعُ الأمْرَ[٣] الشَّتيتَ المُنْتشِرْ

إن لمْ يُشاغِبْني (العَجول) المُنْتَصِرْ ... أن يَتْرُكوني[٤] والسِّلاحُ يُبْتَدرْ

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة ، و (على) الحرب القعقاع بن عمرو ، وعلى الخراج جابر بن فلان المزني ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، ونوابه على حمص عبدُ الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قِنّسرين حبيبُ بن مَسْلَمَه ، وعلى الأردنّ أبو الأعور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أذْرَبيجان الأشعثُ بن قيس ، وعلى قَرْقيسيا جريرُ بن عبد الله البجلي ، وعلى حُلْوان عُتَيْبة[٥] بن النّهاس ، وعلى قيسارية[٦] مالك بن حبيب ، وعلى همذان حبيش[٧] ، هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفي وهم نواب الأمصار ، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت .

ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مُضَمَّخٌ بدمه ، ومعه أصابع نائلة

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٧) وقد جاءت الأشعار مضطربة في أ .
(٢) ديوان الإمام علي (٩٩) .
(٣) في أ : وأجمع السهل .
(٤) في الديوان : إن لم يباغتني . . . أو تتركوني .
(٥) في أ : عبد الله بن النهاس ؛ خطأ . وما هنا موافق للطبري (٤/ ٤٢٢) .
(٦) في تاريخ الطبري : ماه .
(٧) في أ : حبيش بن . . وفي الطبري النّسير .

التي أُصيبتْ حين حاجَفَتْ[١] عنه بيدها ، فقُطعتْ مع بعض الكفّ فورد به على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فتباكى الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، وحثّ[٢] بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام ، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرِّضون الناسَ على المطالبة بدم عثمان ، ممَّن قتله من أولئك الخوارج : منهم عُبادة بن الصّامِت ، وأبو الدَّرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عَبَسَةَ[٣] وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن حباشة ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غَنْم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقرَّ أمرُ بيعة عليٍّ دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم ، وطلبوا (منه) إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان . فاعتذر إليهم بأنَّ هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرةَ الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرةَ البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضي الله عنه ، فقال لهما : مهلاً[٤] عليَّ ، حتى أنظر في هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له : إني أرى أن تُقرَّ عمالكَ على البلاد ، فإذا أتتكَ طاعتُهم استبدلتَ بعد ذلك بمن شئت وتركتَ منْ شئت ، ثم جاءه من الغد ، فقال له : إني أرى أن تعزلهم لتعلمَ من يُطيعكَ (ممن يعصيك) ، فعرضَ ذلك عليّ على ابن عباس فقال : لقد نصحك بالأمس وغشَّك اليومَ ، فبلغ ذلك المغيرةَ فقال : نعم نصحتُه فلما لم يقبل غششتُه ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير : وكانوا قد استأذنوا علياً في الاعتمار فأذن لهم ، ثم إنّ ابن عباس أشار على عليٍّ باستمرار نوابه في البلاد ، إلى أن[٥] يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك[٦] بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكلما[٧] عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد ولَّيتُكَها ، فقال ابن عباس لعلي : إنّي أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يحبسني لقرابتي منك ، ولكن اكتب (معي) إلى معاوية فمنِّه وعِدْهُ ، فقال علي : والله

---

(١) حاجفت : أي دافعت . اللسان (حجف) .

(٢) في أ : يحث .

(٣) في ط : عنبسة ؛ تحريف ، وترجمة ابن عَبَسة في الاستيعاب (١١٩٢) وجامع الأصول (١٤/ ٥٥) وأسد الغابة (٤/ ٢٥١) والإصابة (٣/ ٥ـ٦) .

(٤) في أ : امهلا .

(٥) في أ : إلى حين .

(٦) في أ : يطالبك .

(٧) في أ : أن ينكرا .

إنَّ هذا ما لا يكون أبداً، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : « الحرب خدعة »[١] كما قال رسول الله ﷺ، فوالله لئن أطعتني لأوردنهم بعد صدرهم[٢] ونهى ابن عباس علياً فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسّنون إليه الرحيل[٣] إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفاً من الريح فغرَّقه الله بحوله وقوته ، ومن معه ، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شرذمة قليلة من قومه ، فلما دخل صقلية عملوا له حماماً (فدخله) فقتلوه فيه ، وقالوا : أنت قتلت رجالنا .

ثُمَّ دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنة وقد توَلَّى أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب الخلافةَ ، وولَّى على الأمصار نواباً ، فولى عبيد الله[٥] بن عباس على اليمن ، وولى سمرة بن جندب[٦] على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عبادة[٧] على مصر ، وعلى الشام سهل بن حُنَيْف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فتلقَّتْهُ خيلُ معاوية ، فقالوا : منْ أنْتَ ؟ فقال : أميرٌ ، قالوا : على أيِّ شيءٍ ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمانُ بعثَكَ فحيَّهلا بك ، وإن كانَ غيرُه فارجعْ . فقال : أوما سمعتُم الذي كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى عليٍّ .

وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهلُ مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفةٌ : لا نبايعُ حتى نقتُلَ قتلةَ عثمان ، وكذلك أهل البصرة .

وأما عمارة بن شهاب المبعوثُ أميراً على الكوفة فصدَّه عنها طلحةُ بن خُوَيْلد غضباً لعثمان ، فرجعَ إلى عليٍّ فأخبره .

---

(١) حديث « الحرب خدعة » من رواية ابن عباس أخرجه ابن ماجه (٢٨٣٤) وأبو يعلى (٢٥٠٤) وإسناده ضعيف جداً فيه مطر بن ميمون متروك . لكن متن الحديث صحيح عن عدد من الصحابة ، ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري ، فهو في الصحيحين ؛ البخاري (٣٠٣٠) ، ومسلم (١٧٣٩) (بشار) .

(٢) في أ : صدورهم .

(٣) في أ : الدخول .

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٤١) .

(٥) في ط : عبد الله ، تحريف ، والتصحيح من أ والطبري .

(٦) هكذا قال ، وهو وهم بين فإن سمرة لم يتول لعلي رضي الله عنه ، وإنما استخلفه عليها زياد بن أبيه ، وفي تاريخ الطبري : عثمان بن حنيف ، وهو الصواب وهو كذلك في السير للذهبي (٢/ ٣٢٢) وغيره ، وسيأتي في أثناء الكلام أنه عثمان بن حنيف .

(٧) في أ : عباد .

وانتشرت الفتنة وتفاقمَ الأمرُ ، واختلفت الكلمةُ ، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم .

وبعث عليٌّ إلى معاوية كتباً كثيرة فلم يرد عليه جوابها[١] ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً[٢] مع رجلٍ فدخل به على عليٍّ فقال : ما وراءك ؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القودَ[٣] كلهم موتور[٤] ، تركت ستين ألفَ[٥] شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال عليٌّ : اللهم إنّي أبرأ إليك من دم عثمان ، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي عليٍّ فهمّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فما أفلتَ إلا بعدَ جهدٍ .

وعزم عليٌّ رضي الله عنه على قتالِ أهلِ الشامِ ، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناسَ لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة ، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطبَ الناسَ فحثَّهم على ذلك . وعزم على التّجهُّزِ ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قُثَمَ بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه منْ عصاه ، وخرج عن أمره (ولم يبايعه مع الناس) ، وجاء إليه ابنهُ الحسنُ بن علي فقال : يا أبتِ دَعْ هذا فإنّ فيه سفكَ دماءِ المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس على الميمنة ، وعمر[٦] بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل : (جعل على الميسرة) عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر[٧] بن الجراح ، ابن أخي أبي عبيدة ، واستخلف (على المدينة) قُثَمَ بن العباس ، ولم يبقَ شيء إلا أن يخرج (من المدينة) قاصداً (إلى) الشام ، حتى جاءه[٨] ما شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده .

ابتداء وقعة الجمل

ولما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق ، وكان أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين) قد خرجْنَ إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة ، فلما بلغ الناسَ أنَّ عثمانَ قد قُتل ، أقمنَ بمكةَ بعد ما خرجوا منها ،

---

(١) في أ : لها جوابها .
(٢) الطامور والطومار : الصحيفة . القاموس (طمر) .
(٣) القود ـ محركة ـ القصاص . القاموس (قود) .
(٤) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك يومه . القاموس (وتر) .
(٥) في ط : سبعين ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٤٤) .
(٦) في ط : وعمرو ؛ خطأ وما هنا عن الطبري (٤/ ٤٤٥) .
(٧) في ط : عمرو ؛ خطأ .
(٨) في أ : من .

(ورجعوا إليها وأقاموا بها) وجعلوا ينتظرون ما يصنع (الناس ويتحسسون الأخبار) فلما بُويع لعلي وصار حظ الناس عنده ـ بحكم الحال وغلبة الرأي ، لا عن اختيار منه لذلك ـ رؤوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن علياً في نفس الأمر يكرههم ، ولكنه تربص بهم الدوائر ، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه ، وحجبوا عنه (عِلْيَةَ) الصحابة فرّ جماعةٌ من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحةُ والزبيرُ في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ ، وكان علي لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبَوْا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرَّضَه على الخروج معه ، فقال : إنما أنا رجلٌ من أهل المدينة ، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام ، ثم تجهَّز ابنُ عمر وخرج إلى مكة .

وقدم إلى مكة (أيضاً في) هذا العام يَعْلى بن أمية من اليمن ، ـ وكان عاملاً عليها لعثمان ـ ومعه ستمئة بعير وستمئة ألف (درهم)، وقدم إليها عبد الله بن عامر من البصرة ، وكان نائبها لعثمان ، فاجتمع فيها[١] خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين ، فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان ، وذكرتْ ما افْتأتَ به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام[٢] ، ولم يراقبوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء ، وأخذوا الأموال . فاستجاب الناس لها ، وطاوعوها على ما تراه من الأمر (بالمصلحة) ، وقالوا لها : حيثما سرتِ سرنا معك ، فقال قائل : نذهب إلى الشام ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفاكم أمرها ، ولو قدموها لغلبوا ، واجتمع الأمر كله لهم ، لأن أكابر الصحابة معهم . وقال آخرون : نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا ، وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنتقوى (من هنالك) بالخيل والرجال ، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان . فاتفق الرأي على ذلك ، وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة[٣] ، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة ، وجهز الناس يعلى بن أمية فأنفق فيهم ستمئة بعير وستمئة ألف درهم[٤] ، وجهزهم ابن عامر أيضاً بمال كثير ، وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة ، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك ، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة ، وسار الناسُ صحبةَ عائشةَ في ألفِ فارسٍ ، وقيل تسعمئة (فارس) من أهل المدينة ومكة ، وتلاحق بهم آخرون ، فصاروا في ثلاثة آلاف ، وأم المؤمنين[٥] عائشة تُحْملُ في

---

(١) في أ : فاجتمع بها .

(٢) في أ : في بلد نبي الله في الشهر الحرام .

(٣) في أ : إلى البصرة .

(٤) في أ : ستمئة ألف وستمئة بعير .

(٥) في أ : وأم المؤمنين تحمل ـ وتحت السطر ـ : أي عائشة رضي الله عنها .

هَوْدجٍ على جملٍ اسمه عسكر ، ٱشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمئتي دينار ، وقيل بثمانين ديناراً ، وقيلٍ غير ذلك، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقنها هنالك وبكين للوداع ، وتباكى الناس، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب، وسار الناس قاصدين البصرة، وكان الذي يُصلّي بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات[١] ، وقد مروا في مسيرهم ليلاً بماء يقال له الحَوْأَب[٢] ، فنبحتهم كلابٌ عنده ، فلما سمعتْ ذلك عائشة قالت : ما ٱسم هذا المكان قالوا الحَوْأب، فضربتْ بإحدى يديها على الأخرى وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أظنني إلا راجعة، قالوا : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لنسائه) : « ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحَوْأَب »[٣] ، ثم ضربت عضدَ بعيرها فأناخته ، وقالت : ردّوني ردّوني ، وأنا والله صاحبة ماء الحَوْأب .

وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة . كما سبق ، فأناخ الناس حولها يوماً وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير : إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحَوْأَب قد كذب ، ثم قال الناس : النجا النجا ، هذا جيش علي بن أبي طالب ، قد أقبل ؛ فارتحلوا نحو البصرة ، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس ، أنها قد قدمت ، فبعث عثمانُ بن حُنَيْف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي[٤] إليها ليعلما ما جاءت له ، فلما قدما عليها سلّما عليها واستعلما منها ما جاءت له ، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان ، لأنه قُتل مظلوماً في شهر حرام وبلدٍ حرام . وتلت قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤] فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له : ما أقدمكَ ؟ فقال : الطلبُ بدم عثمان ، فقالا : ما بايعت علياً ؟ قال : بلى والسيف على عنقي ، ولا أستقيله إن هو لم يُخلِ بيننا وبين قتلةِ عثمان . فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك ، قال : فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حُنَيْف ، فقال أبو الأسود[٥] : [من الرجز]

يا بنَ حُنَيْفٍ[٦] قد أُتيتَ فانْفِرِ وطاعِنِ القَوْمَ وجالِدْ واصْبِرِ
وَٱخرجْ لَهُمْ مُسْتَلْئِماً وَشَمِّرِ[٧]

---

(١) في هامش أ : مطلب إما عسكر عائشة عبد الله بن الزبير ومروان مؤذنهم .

(٢) في أ : الحوب . وفي معجم ما استعجم (٢/ ٤٧٢) : الحؤب ، وتخفف الهمزة فيقال : الحوب ؛ وهو ماء قريب من البصرة على طريق مكة إليها .

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده (٦/ ٥٢ ـ ٩٧) وأبو يعلى (٤٨٦٨) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١٥/ ١٢٦) رقم (٦٧٣٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤١٠) وهو حديث صحيح .

(٤) في أ : الديلي .

(٥) الأشطر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٣) .

(٦) في ط : يا ابن الأحنف ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٧) لم يرد هذا الشطر في أ ، وروايته في تاريخ الطبري : وابرز لهم مستلئماً وشمّر .

فقال عثمان بن حُنَيْف : إنا لله وإنا إليه راجعون ، دارت رحا الإسلام ورب الكعبة ، فانظروا بأي زَيَفانٍ نزيف[١] ، فقال عمران : إي والله لَنَعْرُكَنَّكُمْ عركاً طويلاً . يشير[٢] عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعاً « تدور رحا الإسلام لخمس وثلاثين » الحديث كما تقدم ، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين : أشِرْ عَلَيَّ ، فقال : ٱعتزل فإني قاعدٌ في منزلي ، أو قال : قاعد على بعيري ، فذهب . فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتيَ أميرُ المؤمنين ، فنادى في الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع في المسجد ، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهُّز .

فقام رجل[٣] (وعثمان على المنبر) فقال : أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤوا خائفين فقد جاؤوا من بلد يأمنُ فيه الطيرُ ، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته ، فأطيعوني وردُّوهم من حيث جاؤوا .

فقام الأسود بن سريع السعدي[٤] فقال : إنَّما جاؤوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منّا ومن غيرنا ، فحصبه الناس ، فعلم عثمان بن حُنَيْف أن لقتلة عثمان بالبصرة أنصاراً ، فكره ذلك .

وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس ، فنزلوا المِرْبد من أعلاه قريباً من البصرة ، وخرج إليها من أهل البصرة منْ أرادَ أن يكونَ معها[٥] ، وخرج عثمان بن حُنَيْف بالجيش ، فاجتمعوا بالمِرْبَد ، فتكلَّم طلحة ـ وكان على الميمنة ـ فندب إلى الأخذ بثأر عثمان ، والطَّلب بدمه ، وتابعه الزُّبَيْر فتكلَّم بمثل مقالته ، فردَّ عليهما ناسٌ من جيش عثمان بن حُنَيْف[٦] ، وتكلَّمت أم المؤمنين فحرَّضَتْ وحثَّتْ على القتال ، فتناور طوائف من أطراف الجيش فترامَوْا بالحجارة ، ثم تحاجزَ الناسُ ، ورجعَ كلُّ فريقٍ إلى حَوْزتهِ ، وقد صارت طائفةٌ من جيش عثمان بن حُنَيْف إلى جيش عائشة ، فكثروا .

وجاء حارثة بن قدامة السعدي فقال : يا أم المؤمنين! والله لقتلُ عثمان أهونُ من خروجكِ من بيتكِ على هذا الجمل عرضةً للسلاح ، إن كنتِ أتيتنا طائعةً فٱرجعي من حيثُ جئتِ إلى منزلك ، وإن كنتِ أتيتنا مكرهةً فٱستعيني بالناس في الرجوع .

وأقبل حكيم بن جبلة ـ وكان على خيل عثمان بن حُنَيف ـ فأنشب القتال وجعل أصحابُ أمِّ المؤمنين يكفُّون أيديهم ويمتنعون من القتال ، وجعل حكيمٌ يقتحمُ عليهم فاقتتلوا على فم السّكّةِ ، وأمرت عائشةُ أصحابها فتيامنوا حتى انتهَوْا إلى مقبرة بني مازن ، وحجزَ الليلُ بينهم .

---

(١) في أ : بأي زيفان زيف أنتم فقال عمران . .

(٢) هذا التعليق من ابن كثير رحمه الله .

(٣) هو قيس بن العَقَديّة الحُميسي كما في الطبري (٤/ ٤٦٣) .

(٤) في أ : الأسود بن سريع ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٣) .

(٥) في أ : وخرج إليها من أراد من أهل البصرة فكان منها .

(٦) في أ : حبيش بن حنيف .

فلما كان اليوم الثاني قَصَدوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، إلى أن زالَ النهارُ ، وقُتل خلقٌ كثيرٌ من أصحاب ابن حُنَيْف ، وكثرت الجراح في الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تداعَوْا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتاباً ويبعثوا رسولاً إلى أهل المدينة يسأل أهلها ، إن كان طلحة والزبير أُكرها على البيعة ، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها ، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم ، وبعثوا بذلك كعبَ بن سُور القاضي ، فقدمَ المدينة يومَ الجمعة ، فقام في الناس ، فسألهم : هل بايعَ طلحةُ والزبيرُ طائعين أو مُكْرهين؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد ، فقال : بل كانا مُكْرهين ، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه ، فحاجفَ[١] دونه صهيبٌ ، وأبو أيوب ، وجماعة حتى خلصوه ؛ وقالوا له : ما وسعك ما وسعنا من السكوت[٢] ؟ فقال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهي إلى هذا .

وكتب عليٌّ إلى عثمان بن حُنَيْف يقول له : إنهما لم يكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلعَ فلا عذرَ لهما ، وإن كانا يريدان غيرَ ذلك نظرا ونظرنا ، وقدم كعب بن سُور على عثمان بكتاب عليٍّ ، فقال عثمان : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حُنَيْف أن يخرج إليهما فأبى ، فجمعا الرجالَ في ليلةٍ مظلمةٍ وشهدا بهم صلاةَ العشاء في المسجد الجامع ، ولم يخرج عثمان بن حنيف[٣] تلك الليلة ، فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، ووقع من رعاع الناس من أهل البصرة كلام وضرب ، فقتل منهم نحواً [من] أربعين رجلاً ، ودخل الناسُ على عثمان بن حنيف قصرَهُ فأخرجوه إلى طلحة والزبير ، ولم يبقَ في وجهه شعرة إلا نتفوها ، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها الخبرَ ، فأمرت أن يُخلى سبيله ، فأطلقوه وولَّوْا على بيتِ المال عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقسم طلحة والزبير أموالَ بيتِ المال في الناس وفضَّلوا أهلَ الطاعة ، وأكبَّ عليهم الناسُ يأخذون أرزاقهم ، وأخذوا الحرسَ ، واَستَبَدُّوا في الأمر بالبصرة ، فحمي لذلك جماعةٌ من قوم قتلةِ عثمانَ وأنصارهم ، فركبوا في جيشٍ قريبٍ من ثلاثمئة ، ومقدّمُهُم حكيم بن جبلة ، وهو أحدُ من باشرَ قتلَ عثمان ، فبارزوا وقاتلوا ، فضربَ رجلٌ رِجلَ حكيم بن جبلة فقطعها ، فزحف حتى أخذها وضربَ بها ضاربه فقتله ثم اتَّكَأ عليه وجعل يقول[٤] : [من مجزوء الرجز]

يا ساقِ[٥] لن تُراعي إنّ لــــكِ ذراعــــي

أحمي بها كُراعي[٦]

---

(١) حاجفت فلاناً إذا عارضته ودافعته . اللسان (حجف) .

(٢) في أ : ما وسعك ما وسعنا فقال : ما كنت أرى الأمر .

(٣) في أ : ولم يخرج ابن حنيف .

(٤) الأشطر في الطبري (٤/ ٤٧١) .

(٥) في الطبري : يا فخذ .

(٦) في أ : ذراعي .

وقال أيضاً[١] : [من الرجز]

فليسَ عليَّ أنْ أموتَ عارُ والعارُ في النّاسِ هو الفِرارُ
والمَجْدُ لا يَفْضحُهُ الدَّمارُ

فمر عليه رجل وهو مُتَّكئٌ برأسه على ذلك الرجل ، فقال له : منْ قتلكَ ؟ فقال له : وسادتي . ثم مات حكيم قتيلاً هو ونحوٌ من سبعين من قَتلةِ عثمانَ وأنصارهم (أهل المدينة) ، فضعف جأشُ منْ خالفَ طلحةَ والزبير من أهل البصرة .

ويقال : إنَّ أهل البصرة بايعوا طلحةَ والزبيرَ ، وندب الزبيرُ ألفَ فارسٍ يأخذها معه ، ويلتقي بها علياً قبل أن يجيء فلم يجبه أحد ، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشّرونهم بذلك ، وقد كانت هذه الوقعةُ لخمسِ ليالٍ بقينَ من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فإنْ لم يَجيءْ فليكفّ يده وليلزم منزله ، أي : لا يكون عليها ولا لها ، فقال : أنا في نصرتك ما دمت في منزلك ، وأبى أن يطيعها في ذلك ، وقال : رحمَ اللهُ أمَّ المؤمنين ، أمرَها اللهُ أن تلزمَ بيتَها وأمرنا أن نقاتل ، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التي كانت هي أحقّ بذلك منا ، وكتبت (عائشة) إلى أهل اليمامة والكوفة بمثل ذلك .

[ذكر] مسير [أمير المؤمنين]
علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة بدلاً[٢] من [مسيره إلى] الشام

بعد أن كان قد تجهَّز قاصداً الشام كما ذكرنا ، فلما بلغه قَصْدُ طلحة والزبير البصرةَ ، خطبَ الناسَ وحثَّهم على المسير إلى البصرة ليمنعَ أولئك من دخولها ، إن أمكن ، أو يطردَهم عنها إن كانوا قد دخلوها ، فتثاقل عنه أكثرُ أهل المدينة ، واستجابَ له بعضُهم .

قال الشعبي : ما نهض معه في هذا الأمر غيرُ ستة نفرٍ من البَدْريّين ليس لهم سابع . وقال غيره : أربعة .

وذكر ابن جرير[٣] وغيره قال : كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التّيهان ، وأبو قتادة الأنصاري ، وزياد بن حنظلة ، وخزيمة بن ثابت . قالوا : وليس بذي الشهادتين ، ذاك مات في زمن عثمان رضي الله عنه .

وسار علي من المدينة نحو البصرة على تعبئته المتقدم ذكرها ، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس (وعلى) مكة قُثَم بن عبّاس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

---

(١) الأشطر في الطبري (٤/ ٤٧١) .
(٢) في أ : عن مسيره .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٧) .

وخرج (علي من المدينة) في نحو من تسعمئة مقاتل ، وقد لقي عبد الله بن سلام رضي الله عنه علياً وهو بالرَّبَذَةِ[١] ، فأخذ بعنان فرسه وقال : يا أمير المؤمنين! لا تخرج (منها) فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبَّه بعض الناس ، فقال علي : دعوه فنعمَ الرجلُ من أصحاب النبي ﷺ .

وجاء الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال : لقد نهيتُكَ فعَصَيْتني تُقْتَلُ غداً بمضيعةٍ لا ناصر لك . فقال له علي : إنك لا تزال تحنّ عليَّ حنينَ الجارية ، وما الذي نهيتَني عنه فعَصْيتُكَ ؟ فقال : ألم آمرك قبل مَقْتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها ، فيقول قائل أو يتحدث متحدث ؟ ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم ؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك (كله) ؟ فقال له علي : أما قولك أني خرجت[٢] قبل مقتل عثمان فلقد أُحيط بنا كما أُحيط به ، وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهتُ أن يضيعَ هذا الأمر ، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه . فتريد مني[٣] أن أكونَ كالضَّبع التي يحاط بها ، ويقال ليست هاهنا ، حتى يشق عرقوبها فتخرج ، فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني ، فمن ينظر فيه ؟ فكُفَّ عنّي يا بنيّ ، ولمّا انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة (من الأمر الذي قدمنا) كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، إني قد اخترتكم على (أهل) الأمصار ، فرغبت إليكم وفزعت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعودَ[٤] هذه الأمة إخواناً ، فمضيا ، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب ، وقام في الناس خطيباً فقال : إنَّ الله أعزَّنا بالإسلام ، ورفعنا به ، وجعلنا به إخواناً ، بعد ذلّةٍ وقلةٍ وتباغضٍ وتباعدٍ ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلامُ دينُهم ، والحقُّ قائمٌ بينهم ، والكتاب إمامُهم ، حتى أصيبَ هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم[٥] الشيطان لينزغَ بين هذه الأمة ، ألا وإنَّ هذه الأمة لا (بد) مفترقة كما افترقتِ الأممُ قبلها ، فنعوذ بالله من شرّ ما هو كائن . ثم عاد ثانية فقال : (إنه) لا بدَّ مما هو كائن أن يكون ، ألا وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، شرُّها فرقة تحبّني ولا تعمل بعملي ، وقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم ، واهتدوا بهدْيي فإنَّه هدي نبيِّكم ، واتبعوا سُنَّته ، وأعرضوا

---

(١) في هامش أ : اسم موضع . وهي من قرى المدينة على بعد ثلاثة أيام منها على طريق مكة . معجم البلدان (٣/ ٢٤) .

(٢) في ط : أن أخرج .

(٣) في أ : فتريدني .

(٤) في أ : وانهضوا إلينا بالإصلاح لتعود .

(٥) في أ : أذلهم . ونزع : أغرى وأفسد . اللسان (نزع) .

عمّا أشكلَ عليكم ، حتى تعرضوه على الكتاب ، فما عرفه القرآن فالزموه[١] ، وما أنكره فردُّوه ، وارضوا بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

قال : فلما[٢] عزم على المسير من الرَّبَذَة قام إليه ابن أبي رفاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين أي شيء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر . قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً .

فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ، والله لينصرني الله كما سمَّانا أنصاراً .

قال : وأتت جماعة من طيِّءٍ وعليٌّ بالربذة ، فقيل له : هؤلاء جماعة جاؤوا من طيِّءٍ منهم منْ يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد السلام عليك ، فقال : جزى الله كلاً خيراً ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥] قالوا : فسار علي[٣] من الربذة على تعبئته وهو راكبٌ ناقةً حمراءَ يقودُ فرساً كميتاً فلما كان بفَيْد[٤] جاءه جماعة من أسد وطيء ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال : فيمن معي كفاية ، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيباني ، فقال له عليٌّ : ما وراءك ؟ فأخبره الخبر ، فسأله عن أبي موسى فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتالَ فليس بصاحبه ، فقال علي : والله ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا ، وسار ، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليَّته ، من قتل ومن إخراج عثمان بن حُنَيْف من البصرة ، وأخذهم أموال بيت المال ، جعل يقول : اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير ، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف مهشماً ، وليس في وجهه شعرة فقال : يا أمير المؤمنين بعثتني إلى البصرة وأنا ذو لحية ، وقد جئتك أمرداً[٥] ، فقال : أصبت خيراً وأجراً . وقال عن طلحة والزبير : اللهم احْلل ما عَقَدا[٦] ، ولا تُبرم ما أحْكما في أنفسهما ، وأرهما المَسَاءة فيما قد عَمِلا ـ يعني في هذا الأمر ـ وأقام عليٌّ بذي قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر ـ وكانا قد قدما بكتابه على أبي موسى وقاما في الناس بأمره ـ فلم يجابا في شيء ، فلما أمسوا دخل أناس من ذوي الحجى على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعلي ، فقال : كان هذا بالأمس فغضب محمد ومحمد فقالا له قولاً غليظاً : فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي

---

(١) في أ : فما عرفه فاعرفوه .

(٢) في هامش أ : مطلب الفرق .

(٣) في أ : ثم سار من الربذة .

(٤) فيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة . معجم البلدان (٤/ ٢٨٢) .

(٥) كذا في الأصول والأصح : أمردَ .

(٦) في أ : ما عقدوا .

عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بد من قتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا ، فانطلقا إلى عليٍّ فأخبراه الخبرَ ، وهو بذي قار ، فقال للأشتر : أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض[١] في كل شيء فاذهب أنت وابن عباس فأصْلحْ ما أفسَدْتَ ، فخرجا فقدما الكوفةَ وكلَّما أبا موسى واستعانا عليه بنفرٍ من الكوفة فقام في الناس فقال : أيها الناس ، إن أصحاب محمد ﷺ الذين صحبوه أعلمُ بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً وأنا مؤدٍّ إليكم نصيحةً ، كان الرأي أن لا تستخفُّوا بسلطان الله وألا تجترئوا على أمره ، وهذه فتنةٌ النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان ، واليقظانُ خيرٌ من القاعد ، والقاعدُ خير من القائم والقائم خير من (الراكب ، والراكب خير) من الساعي فأغمدوا السيوفَ وأنصلوا الأسنةَ ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المضطَهَدَ والمظلومَ حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة ، فرجع ابنُ عباس والأشتر إلى علي فأخبراه الخبر ، فأرسل الحسنَ وعمّار بن ياسر ، وقال لعمار : انطلق فأصلحْ ما أفسدتَ ، فانطلقا حتى دخلا المسجدَ فكان أول من سلم عليهما مسروق بن الأجدع ، فقال لعمار : علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا[٢] ، فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولو صبرتم لكان[٣] خيراً للصابرين .

قال : وخرج أبو موسى فلقي الحسن بن علي فضمَّه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته ؟ فقال : لم أفعل ، ولم يسؤني ذلك ، فقطع عليهما الحسن بن علي فقال لأبي موسى : لمَ تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقتَ بأبي وأمي ، ولكنَّ المستشارَ مؤتمنٌ ، سمعتُ النبي ﷺ يقول[٤] : « إنها ستكون فتنةٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب » وقد جعلنا الله إخواناً ، وحرّم علينا دماءنا وأموالنا ، فغضب عمار وسبَّه ، وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له رسولُ الله ﷺ وحدَه أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ، فغضب رجلٌ من بني تميم لأبي موسى ونال من عمارٍ ، وثار آخرون ، وجعل أبو موسى يكفكف الناس ، وكثر اللَّغط ، وارتفعت الأصوات .

وقال أبو موسى : أيها الناس ، أطيعوني وكونوا خيرَ قومٍ من خيرِ أمم العرب ، يأوي إليهم المظلوم ، ويأمن فيهم الخائف ، وإن الفتنة إذا أقبلت شبَّهت ، وإذا أدبرت بيَّنَتْ[٥] ثم أمر الناس بكفّ أيديهم ولزوم بيوتهم .

---

(١) في ط : أنت صاحب أبي موسى والمعرض ، وفي أ : والغرض في كل شيء ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٢).
(٢) أبشارنا : جلودنا ، القاموس (بشر) .
(٣) في أ : ولا صرتم فكان .
(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤١٦) والترمذي في جامعه (٢٢٠٤) في الفتن ، وأبو داود في سننه (٤٢٥٩) في الفتن ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١٣/ ٢٩٧) رقم (٥٩٦٢) وهو حديث صحيح .
(٥) في ط : تبينت والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٤) .

فقام زيد بن صُوحان فقال : أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيّد المسلمين ، سيروا إليه أجمعون .

فقام القعقاع بن عمرو فقال : إن الحقَّ ما قاله الأميرُ ، ولكن لابدَّ للناس من أمير يردع الظالم ويُعْدِي[١] المظلومَ ، وينتظم به شملُ الناس ، وأمير المؤمنين عليٌّ ملي بما ولي ، وقد أُنصف في الدعاء[٢] ، وإنما يريدُ الإصلاح ، فانفروا إليه .

وقام عبد خير[٣] فقال : الناس أربع فرق ، عليٌّ بمَنْ مَعَهُ في ظاهر الكوفة ، وطلحةُ والزبيرُ بالبصرة ، ومعاويةُ بالشام ، وفرقةٌ بالحجاز لا تقاتلُ ولا عناء بها ، فقال أبو موسى : أولئك خير الفرق ، وهذه فتنةٌ . ثم تراسل الناسُ في الكلام ، ثم قام عمّارٌ والحسنُ بن علي في الناس على المنبر يدعوان[٤] الناسَ إلى النَّفير إلى أمير المؤمنين ، فإنه إنما يريد الإصلاحَ بين الناس ، وسمع عمارٌ رجلاً يسبُّ عائشة فقال : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكنَّ الله ابتلاكُمْ بها ليعلم أتطيعوه أو إياها ، رواه البخاري[٥] .

وقام حجر بن عدي فقال : أيها الناس ، سيروا إلى أمير المؤمنين ، ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] وجعل الناس كلّما قام رجل فحرَّض[٦] الناس على النفير يُثَبِّطُهم أبو موسى من فوق المنبر ، (وعمار والحسن معه على المنبر) حتى قال له الحسن بن علي : ويحك ! اعتزِلنا لا أمَّ لكَ ، ودع منبرنا .

ويقال إن علياً بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الإمارة من تلك الليلة ، واستجاب الناس للنفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البرّ وفي دجلة ، ويقال : سار معه اثنا عشر ألف رجل ورجل واحد ، وقدموا[٧] على أمير المؤمنين فتلقّاهم بذي قار إلى أثناء الطريق في جماعةٍ ، منهم ابن عباس فرحَّبَ بهم وقال : يا أهل الكوفة ! أنتم لقيتُم ملوكَ العجم ففَضَضْتمُ جموعَهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك الذي نُريده ، وإن أبَوْا داويناهم بالرِّفْقِ حتى يَبْدؤونا بالظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى .

فاجتمعوا عنده بذي قار ، وكان (من) المشهورين من رؤساء من انضاف إلى عليٍّ : القعقاع بن

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٤) : إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم .

(٢) في ط : بالدعاء .

(٣) هو الخَيْوانيّ صاحب علي رضي الله عنه .

(٤) في أ : يدعون .

(٥) صحيح البخاري (٣٧٧٢) في فضائل الصحابة .

(٦) في أ : يحرض .

(٧) في أ : فقدموا .

عمرو ، سِعْر[١] بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وزيد بن صُوحان ، والأشتر ، وعديُّ بن حاتم ، والمسيّب بن نَجبة ، ويزيد بن قيس ، وحُجْر بن عَدي وأمثالهم .

وكانت عبد القيس بكمالها بين علي وبين البصرة ينتظرونه وهم ألوفٌ ، فبعث عليٌّ القعقاع رسولاً إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألْفةِ والجماعة ، ويُعظم عليهما الفرقةَ والاختلافَ .

فذهب القعقاعُ إلى البصرة فبدأ بعائشة أمِّ المؤمنين ، فقال : أي أماه ! ما أقدمكِ هذا البلدَ ؟ فقالت : أي بنيّ ! الإصلاحُ بين الناس ، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها ، فحضرا ، فقال القعقاع : إنّي سألتُ أمَّ المؤمنين ما أقدمها ؟ فقالت إنما جئت للإصلاح[٢] بين الناس ، فقالا : ونحن كذلك .

قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ وعلى أي شيء يكون ؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ، ولئن أنكرناه لا نصطلحن ، قالا : قتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك[٣] كان تركاً للقرآن ، فقال قتلتما قتلته[٤] من أهل البصرة ، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمئة رجل ، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف ، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون ، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه ـ يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة ، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها ـ وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير ، لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله ، فَعَليٌّ أعذرُ في تركه الآن قتل قتلة عثمان ، وإنما أخَّرَ قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم ، فإنَّ الكلمة في جميع الأمصار مختلفة[٥] ، ثم أعلمهم أن خلقاً من ربيعة ومضر قد اجتمعوا[٦] لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع .

فقالت له عائشة (أم المؤمنين) : فماذا تقول أنت ؟ قال : أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامةُ خيرٍ وتباشيرُ رحمةٍ ، وإدراكُ الثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرةَ هذا الأمر وائتنافه كانت علامةَ شرٍّ وذهابَ هذا الملك ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيحَ خيرٍ كما كنتم أولًا ، ولا تعرِّضونا للبلاء فتتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وايم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر

---

(١) في ط : « سعد » ، محرف ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤ و٤٨٨) وقد قيده الأمير في الإكمال (٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) فلا مجال بعد ذلك إلى الاجتهاد .

(٢) في أ : فقالت الإصلاح .

(٣) في أ : إن يترك .

(٤) في أ : قتلة عثمان .

(٥) في أ : مختلفة عليه .

(٦) في أ : قد أجمعوا .

الذي قد حدث أمرٌ عظيمٌ ، وليس كقتل الرجل الرجلَ ، (ولا النفرالرجل) ، ولا القبيلة القبيلة .

فقالوا : قد أصبتَ وأحسنتَ فارجع ، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر ، قال : فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه .

وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للإصلاح[١] ، ففرح هؤلاء وهؤلاء .

وقام عليٌّ في الناس خطيباً فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها ، وذكر الإسلام وسعادة أهل بالأُلفة والجماعة ، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر الصديق ، ثم بعده على عمر بن الخطاب ، ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذي جرَّه على الأمة أقوامٌ طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها ، وأرادوا ردَّ الإسلام والأشياء على أدبارها ، واللهُ بالغُ أمْرِهِ . ثم قال : ألا إني مرتحلٌ غداً فارتحلوا ، ولا يرتحل معي أحدٌ أعانَ على قتل عثمان بشيء من أمور الناس .

فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النَّخعي ، وشُريح بن أوفى ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة ، وعِلباء[٢] بن الهيثم ، وغيرهم في ألفين وخمسمئة ، وليس فيهم صحابي ولله الحمد ، فقالوا : ما هذا الرأي ، وعلي ـ والله ـ أعلم[٣] بكتاب الله [وهو] ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وقد قال ما سمعتم ، وغداً يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم ، فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا ، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم ، فإن كان قد اصطلح معهم فإنهم اصطلحوا على دمائنا ، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا علياً بعثمان ، فرضي القوم منا بالسكوت ، فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ، لو قتلناه قتلنا[٤] ، فإنا يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمئة ، وطلحة والزبير (وأصحابهما) في خمسة آلاف ، لا طاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال عِلباء بن الهيثم : دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها ، فقال ابن السوداء : (بئس ما قلتَ ، إذاً والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء) قبحه الله : يا قوم إن عِزَّكم في خُلْطة الناس[٥] [فصانعوهم][٦] فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومنْ معهما عمّا يُحبّون ، ويأتيهم ما يكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه .

وأصبح عليٌّ مرتحلاً ومرَّ بعبد القيس فساروا معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار

---

(١) في ط : « للصلح » .

(٢) في ط : غلاب ؛ وما هنا عن أ والطبري (٤/ ٤٩٣) .

(٣) في أ : وعلي أبصر بكتاب الله .

(٤) في أ : ما رأيت قلنا لها قتلنا .

(٥) في ط : إن عيركم ، وفي ا : إن عزكم في خلطتكم بالناس .

(٦) زيادة عن تاريخ الطبري (٤/ ٤٩٤) .

طلحة والزبير ومن معهما للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونزل الناس كلٌّ في ناحية . وقد سبق علي جيشه وهم يتلاحقون به ، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، فأشار[١] بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة ، من قتلة عثمان فقالا : إن علياً أشار بتسكين هذا الأمر ، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك ، وقام عليٌّ في الناس خطيباً .

فقام إليه الأعور بن بُنان[٢] المِنْقُري ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الإصلاح ، وإطفاء الثائرة ليجتمع الناسُ على الخير ، ويلتئم شملُ هذه الأمة ، قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال : فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا ، قال : نعم !

وقام إليه أبو سلام[٣] الدَّالاني ، فقال : هل لهؤلاء القوم حجةٌ فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا اللهَ في ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك ؟ قال : نعم! قال ؛ فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحدٌ نقَّى قلبه لله إلا أدخله اللهُ الجنةَ .

وقال في خطبته : أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديَكم وألسنتكم ، وإياكم أن يسبقونا غداً ، فإن المخصوم غداً مخصوم اليوم .

وجاء في غبون ذلك الأحنفُ بن قيس في جماعةٍ فانضافَ إلى عليٍّ .

وكان قد منع حرقوص بن زهير من طلحة والزبير وكان قد بايع علياً بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير : إن قتل عثمان من أبايع ؟ فقالوا بايع علياً فلما قتل عثمان بايع علياً قال : ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفظع ، حتى قال الناس : هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان ، فحرتُ في أمري لمن أتبع ، فمنعني الله بحديث سمعتُه من أبي بكر قال : قال رسول الله ﷺ وقد بلغه أنَّ الفرس قد ملَّكوا عليهم ابنةَ كسرى فقال : « لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة » وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري[٤] .

والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف [قوس ، فقال لعلي : إن شئت قاتلت معك ، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف ، فقال : اكفف عنا][٥] عشرة آلاف سيف ، ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا

---

(١) في أ : وقد أشار .

(٢) في ط : نيار ، وفي أ : بيان ، وما هنا عن تاريخ الطبري (٤/ ٤٩٥) .

(٣) كذا في الأصلين ، وفي الطبري : أبو سلامة .

(٤) صحيح البخاري (٤٤٢٥) في المغازي .

(٥) ما بينهما ساقط من أ ومستدرك من هامشها .

الأمر ، فأرسلا إليه في جواب رسالته : إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس وسكنت ، واجتمع كل فريق بأصحابه[١] من الجيشين ، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا إليه محمد بن طليحة السجَّاد وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلةُ عثمان بشرِّ ليلةٍ ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس ، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريبٌ من ألفي رجلٍ فانصرفَ كلُّ فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف ، فثارت[٢] كلُّ طائفة إلى قومهم ليمنعوهم ، وقام الناسُ من منامهم إلى السلاح ، فقالوا : طرقتنا أهلُ الكوفة ليلاً ، وبيتونا وغدروا بنا ، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي فبلغ الأمر علياً فقال : ما للناس ؟ فقالوا ، بيتنا أهل البصرة ، فثار كل فريق إلى سلاحه[٣] ولبسوا اللأْمَة[٤] وركبوا الخيولَ ، ولا يشعر أحدٌ منهم بما وقع الأمرُ عليه في نفس الأمر ، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً ، وقامت الحربُ على ساقٍ وقدمٍ ، وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان[٥] ، فنشبت الحرب ، وتواقف الفريقان ، وقد اجتمع مع عليٍ عشرون ألفاً ، والتفَّ[٦] على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبَّحه الله لا يفترون عن القتل ، ومنادي عليٍّ ينادي : ألا كُفّوا ، ألا كُفّوا ، فلا يسمع أحد .

وجاء كعب بن سُور قاضي البصرة فقال : يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع ، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم[٧] ، فتصاولوا وتجاولوا[٨] .

وكان في جملة من تبارز الزبير وعمار ، فجعل عمار ينخزه بالرمح والزبير كافٌّ عنه ، ويقول له ، أتقتلني يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله ﷺ : « تقتلكَ الفئةُ الباغيةُ » وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه ، فلهذا كفَّ عنه .

وقد كان من سنَّتهم في هذا اليوم أنه لا يُذَفَّف على جريح ، ولا يتبع مدبر ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جداً ، حتى جعل علي يقول لابنه الحسن : يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً فقال له : يا أبتِ قد كنتُ أنهاكَ عن هذا .

---

(١) في أ : بأصحابهم .
(٢) في أ : فثار .
(٣) في أ : سلاحهم .
(٤) لبس اللأمة : الدرع . القاموس (لأم) .
(٥) جاءت هذه العبارة بعد سطر في أ قبل : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٦) في أ : مع علي عشرين ألفاً والتقت على عائشة . وفي ط : والتف على عائشة نحواً .
(٧) في أ : عند معركتهم .
(٨) في هامش أ : مطلب عدد عسكر علي وعدد عسكر أم المؤمنين عائشة .

قال سعيد بن أبي عروبة[١] : عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عبادة قال :

قال عليٌّ يوم الجمل : يا حسنُ ليتَ أباك مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبهْ قد كنت أنهاك عن هذا ، قال : يا بني إني لم [أكن] أرى أن الأمر يبلغ هذا .

وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن بن أبي بكرة : لما اشتدَّ القتالُ يومَ الجمل ، ورأى عليٌّ (الرؤوس) تُنْدر[٢] أخذ عليٌّ ابنَه الحسنَ فضمَّه إلى صدره ، ثم قال : إنا لله يا حسن ! أيُّ خيرٍ يُرْجَى بعد هذا ؟ فلما ركبَ الجيشان وتراءى[٣] الجمعان ، طلبَ عليٌّ طلحةَ والزبيرَ ليُكَلِّمَهُما ، فاجتمعوا حتَّى التفَّتْ أعناقُ خيولهم ، فيُقال إنه قال لهما : إني أراكما قد جمعتما خيلاً ورجالاً وعدداً ، فهل أعددتما[٤] عذراً يوم القيامة كذلك ؟ فاتَّقيا اللهَ ولا تكونا كالتي نَقَضَتْ غَزْلَها من بعد قوة أنكاثاً ، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما ، فهل من حديث أحلَّ لكما دم أخيكما[٥] ؟ فقال طلحة : [أنت] ألَّبتَ على عثمان . فقال علي : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ [النور : ٢٥] . ثم قال : لعن الله قتلة عثمان ، ثم قال : يا طلحة ! أجئت بِعِرْسِ رسول الله ﷺ تقاتل بها ، وخبأت عِرْسكَ في البيت ؟ أما بايعتني ؟ فقال : بايعتك والسيفُ على عنقي . وقال للزُّبير : ما أخرجكَ ؟ قال : أنت ، ولا أراك بهذا الأمر أولى به منّي . فقال له علي : أما تذكرُ يومَ مررتُ مع رسول الله ﷺ في بني غَنْم فنظر إليَّ وضحكَ وضحكتُ إليه ، فقلت : لا يَدعُ[٦] ابن أبي طالب زَهوهُ ، فقال لك رسول الله ﷺ : « إنه ليس بمزْهُوٍّ[٧] لتقاتلنَّه وأنت ظالمٌ له ؟ » فقال الزبير : اللهم نعم! ولو ذكرت [ذلك] ما سرت مَسيري هذا ، ووالله لا أقاتلكَ ، وفي هذا السياق كله نظر .

والمحفوظ منه الحديث ، كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي[٨] فقال : حدَّثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدَّورقي[٩] ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرَّقاشيّ ، عن جده عبد الملك ، عن أبي جرو المازني قال :

شهدت علياً والزُّبير حين تواقفا ـ [يعني يوم الجمل] ـ فقال له عليٌّ : يا زُبير ! أنشدكَ الله أسمعتَ

---

(١) في ط : عجرة ؛ خطأ . والتصحيح من أ وتقريب التهذيب (٢٣٩) وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤١٣) .
(٢) ندر : سقط . القاموس (ندر) .
(٣) في أ : وترايا .
(٤) في أ : فهل اعتدتا ؛ وما هنا أقرب للسياق .
(٥) في ط : دمي .
(٦) في أ : لا يدين .
(٧) في ط : بمتمرد .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٦٦٦) : وإسناده ضعيف .
(٩) في ط : الدوري ، وما هنا عن سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤١) .

رسولَ الله ﷺ يقول : « إنك تقاتلني وأنت ظالم [لي] » ؟ قال : نعم ! ولم[١] أذكره إلا في موقفي هذا ، ثم انصرف .

وقد رواه البيهقي[٢] : عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، عن قَطن بن بشير ، عن جعفر بن سليمان ، عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرَّقَّاشي ، عن جدِّه ، عن أبي جرو[٣] المازني ، عن علي والزبير به .

وقال عبد الرزاق[٤] : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال :

لما ولَّى الزبير يوم الجمل ، بلغ علياً فقال : لو كان ابن صفيَّة يعلم أنه على حق [وخير] ما ولَّى ، وذلك أن رسول الله ﷺ لقينا[٥] في سقيفة بني ساعدة فقال : « أتحبه يا زبير » ؟ فقال : وما يمنعني [أن أحبه] ؟ قال : « فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ » قال : فيرون أنَّه إنَّما ولَّى لذلك .

قال البيهقي[٦] : وهذا مرسل .

وقد روي موصولاً من وجه آخر :

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن[٧] القاضي ، أخبرنا أبو عامر[٨] بن مطر ، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوَّار الهاشمي الكوفي ، أخبرنا منجاب بن الحارث ، حدَّثنا عبد الله بن الأجلح ، حدَّثنا أبي ، عن يزيد الفقير[٩] ، عن أبيه . قال : وسمعت المُفَضَّل بن فضالة يُحدِّثُ عن حرب بن أبي الأسود الدُّئلي ، عن أبيه[١٠] ـ دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه ـ قال :

لما دنا عليٌّ وأصحابه من طلحة والزُّبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ، خرجَ عليٌّ وهو على بغلةِ رسولِ الله ﷺ فنادى : ادعوا لي الزبيرَ بن العوّام فإني عليٌّ ، فدُعي له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابِّهما ، فقال عليٌّ : يا زبيرُ ! نشدتكَ بالله ، أتذكرُ يومَ مرّ بك رسول الله ﷺ ونحنُ في مكانِ كذا وكذا ،

---

(١) في ط : لم ؛ بدون الواو .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤١٥) .
(٣) في أ : عن أبي حسن المازني ؛ خطأ ، وإنما هو أبو جرو المازني . ميزان الاعتدال (٤/ ٥١٠) .
(٤) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤١) .
(٥) في ط : لقيهما .
(٦) دلائل النبوة (٦/ ٤١٤ـ٤١٥) .
(٧) في أ : أبو بكر بن الحسن القاضي ، وفي هامشه : بن أحمد بن .
(٨) في أ : أبو عمرو .
(٩) في ط : مرثد الفقيه ، وما هنا عن تقريب التهذيب (٦٠٢) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧) ولقب بالفقير لأنه كان يشكو فقار ظهره .
(١٠) في ط : عن حرب بن الأسود الدؤلي دخل .

فقال : « يا زبير أتحب[١] علياً » ؟ فقلت : ألا أحبُّ ابنَ خالي وابنَ عمّي وعلى ديني ؟ فقال : « يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ » فقال الزبير : بلى ! والله لقد نسيتُه منذ سمعته من رسول الله ﷺ ، ثم ذكرتُه الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض[٢] له ابنه عبد الله بن الزبير ، فقال : ذكّرني عليٌّ حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول « لتقاتلنه وأنت ظالمٌ له » فقال : أو للقتال جئت ؟ إنما جئت لتصلحَ بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر ، قال : قد حلفت أن لا أقاتله ، قال : أعتق غلامكَ سرجس[٣] وقف حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس[٤] ذهب على فرسه . [وروى البراء ، عن أحمد بن عبدة[٥] ، عن الحسين بن الحسن ، عن رفاعة بن إياس بن أبي إياس ، عن أبيه ، عن جده قال (سمعت علياً رحمه الله يقول يوم الجمل لطلحة : أنشدك الله يا طلحة أما)[٦] : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » قال : بلى ، وانصرف . وقد استغربه البزار[٧] وهو جدير بذلك][٨] .

قالوا : فرجع الزبير إلى عائشة فذكر لها أنه قد آلى ألا يقاتلَ علياً ، فقال له ابنه عبد الله : إنك [قد] جمعت الناس ، فلما تراءى بعضهم لبعض خرجت من بينهم ، كفِّر عن يمينك واحضر . فأعتق غلاماً ، له اسمه مكحول ، وقيل غلامه سرجس . وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لمّا رأى عماراً مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فخشي أن يُقْتل عمارٌ في هذا اليوم .

وعندي أن الحديث الذي أوردناه[٩] إن كان صحيحاً عنه فما رجعه سواه ، ويبعد أن يكفِّر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي[١٠] ، والله أعلم .

والمقصود أن الزبيرَ لمّا رجعَ يومَ الجمل سار فنزل[١١] وادياً يُقال له وادي السباع[١٢] ، فاتبعه (رجل

---

(١) في أ : ألا تحب .
(٢) في أ : من الصفوف فتعرض .
(٣) في أ : جرجس .
(٤) في أ : فلما رأى اختلاف الأمر من الناس .
(٥) في أ : عبلة ؛ تحريف ، والتصحيح من مسند البزار .
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من مسند البزار لا يصح النص إلا بها .
(٧) ما بينهما زيادة من أ .
(٨) البحر الزخار ـ المعروف بمسند البزار ـ (٣/ ١٧١) طبعة مؤسسة علوم القرآن .
(٩) في أ : رويناه .
(١٠) في أ : ويقاتل علياً .
(١١) في أ : حتى نزل .
(١٢) وادي السباع الذي قتل فيه الزبير بن العوام بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال . معجم البلدان (٥/ ٣٤٣) .

يقال له) عمرو[١] بن جرموز ، فجاءه وهو نائم فقتله غيلةً كما سنذكر تفصيله[٢] . وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب[٣] يقال رماه به مروان بن الحكم ، فالله أعلم ، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول : إليّ عباد الله ، (إليّ عباد الله) ، فاتبعه مولى له فأمسكها ، فقال له : ويحك ! اعدل[٤] بي إلى البيوت ، وامتلأ خفه دماً ، فقال لغلامه [انزعه وأردفني] ، وذلك أنه نزفه الدم وضعف ، فركب [الغلام] وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه ، رضي الله عنه .

وتقدمت عائشة رضي الله عنها (في هودجها) وناولت كعبَ بن سُور قاضي البصرة مصحفاً وقالت : ادعهم إليه ـ وذلك أنه حين اشتدّ الحربُ وحميَ القتالُ ، ورجع الزبير ، وقُتل طلحة رضي الله عنهما ـ فلما تقدم كعب بن سُور بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمةُ[٥] جيش الكوفيين ، وكان[٦] عبد الله بن سبأ ـ وهو ابن السوداء ـ وأتباعه بين[٧] يدي الجيش ، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة ، لا يتوقفون في أحد ، فلما رأوا كعب بن سُور رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه ، ووصلت النبال إلى هودج (أم المؤمنين) عائشة رضي الله عنها ، فجعلت تنادي : الله الله ! يا بني اذكروا يوم الحساب ، ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان ، فضجَّ الناسُ معها بالدعاء حتى وصلت[٨] الضجة إلى علي فقال : ما هذا ! فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم . فقال : اللهم العن قتلة عثمان ، وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم ، فحملت معه الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب ، فقال لابنه محمد بن الحنفية : ويحك ! تقدم بالراية ، فلم يستطع ، فأخذها علي من يده فتقدّم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي ، فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقُتل[٩] خلقٌ كثيرٌ ، وجمٌّ غفيرٌ ، ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة ، وجعلت عائشة تحرّض الناس على أولئك النفر من قتلة عثمان ، ونظرت عن يمينها فقالت : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : نحن بكر بن وائل ، فقالت : لكم يقول القائل[١٠] : [من الطويل]

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٤٩٩) : عمير بن جرموز .
(٢) في أ : كما سنذكره مفصلاً .
(٣) يقال : أصابه سهم غَرْبٍ ، ويحرّك ، وسَهْمٌ غربٌ ، نعتاً : أي لا يُدْري راميه . القاموس (غرب) .
(٤) في أ : اعتزل بي البيوت .
(٥) في أ : مقدم .
(٦) في أ : وهو .
(٧) في أ : وهم بين .
(٨) في ط : بلغت .
(٩) في أ : حتى قتل .
(١٠) البيت في تاريخ الطبري (٤/ ٥١٦) .

وجاؤوا إلينا بالحديدِ كأنّهمْ مِنَ العزَّةِ القعساءِ بكرُ بنُ وائلِ

ثم لجأ[١] إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عندها[٢] منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلاً وهي آخذة بخطام الجمل فلما أثخنوا تقدم بنو عدي بن عبد مناف فقاتلوا قتالاً شديداً ، ورفعوا رأس الجمل ، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا : لا يزال الحرب قائماً ما دام هذا الجمل واقفاً ، ورأس الجمل في يد عمرة[٣] بن يثربي ، وقيل أخوه عمرو بن يثربي (ثم صمد عليه علباء بن الهيثم) وكان من الشجعان المذكورين [والفرسان المشهورين] ، فتقدم إليه [نفيل بن] عمرو الجملي فقتله ابن يثربي [ثم عمد إليه علباء بعد الهيثم فقتله ابن يثربي أيضاً] وقتل زيد[٤] بن صوحان ، وأرتث صعصعة بن صوحان فدعاه عمار إلى البراز فبرز له ، فتجاولا بين الصفين ـ وعمار [يومئذ] ابن تسعين سنة عليه فروة قد ربط وسطه بحبل ليف ـ فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يُلحق عماراً بأصحابه ، فضربه ابن يثربي بالسيف فاتقاه عمار بدرقته فغاص فيها السيف ونشب ، وضربه عمار فقطعَ رجليه وأخذ أسيراً[٥] إلى بين يَدَيْ علي فقال : استبقني يا أمير المؤمنين ، فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بعده بيد رجل[٦] كان قد استنابه فيه من بني عدي فبرز إليه ربيعة العقيلي فتجاولا حتى قتل كل واحد [منهما] صاحبه واخذ الزمام الحارث الضبي فما رؤي أشدَّ منه وجعل يقول[٧] : [من الرجز]

نحن بني[٨] ضبّةَ أصحابُ الجَملْ نُبارزُ القِرْنَ إذا القِرنُ نَزل
نَنْعَى ابنَ عفّان بأطْرافِ الأسَلْ[٩] المـوْتُ أحْلَى عِنْدنا من العَسَلْ
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

[وقد] قيل : إنَّ هذه الأبياتَ لوسيم بن عمرو الضبي . فكلما قُتل واحدٌ ممن يمسك الجملَ يقوم[١٠] غيره حتى قُتل منهم أربعون رجلاً ، قالت عائشة : ما زال جملي معتدلاً حتى فقدتُ أصواتَ بني ضبة ثم أخذ الخطامَ سبعون رجلاً من قريش وكلُّ واحدٍ يُقتلُ بعد صاحبه ، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسّجّاد فقال لعائشة مريني بأمرك يا أمه . فقالت : آمرك أن تكون كخير ابني آدم ، فامتنع أن

(١) في أ : ثم جاء .
(٢) في ط : « عنده » .
(٣) في أ : عمير .
(٤) في أ : سيحان بن صوحان وأثبت صعصعة .
(٥) في أ : فاتقاه عمار بدرقته فغضب السيف فيها فضربه فقطع يده وأخذه أسيراً .
(٦) في أ : زمام الجمل بيد رجل بعده كان .
(٧) أشطر الرجز في تاريخ الطبري (٤/٥١٨) .
(٨) في الأصول : بنو ، وما هنا عن الطبري وقد نصب بني على الاختصاص .
(٩) في أ : ننصر عثمان بن عفان بأطراف الأسل .
(١٠) في أ : وكلما قتل واحد ممن يمسك الجمل تقدم .

ينصرف وثبت في مكانه وجعل يقول : حم لا ينصرون ، فتقدَّم إليه نفرٌ فحملوا عليه فقتلوه وصار كل واحد منهم بعد ذلك يدَّعي قتله ، وقد طعنه بعضهم بحربة فأنفذه وقال[١] : [من الطويل]

وَأَشْعَثَ قَوّامٍ بآياتِ رَبِّهِ قَليلِ الأذى فيما ترى العَيْنُ مُسْلمِ
هتكتُ له بالرُّمْحِ جَيْبَ قَميصهِ فَخرَّ صَريعاً لليَدينِ وللْفَمِ
يُناشدُني[٢] حاميمٌ[٣] والرُّمْحُ شاجرٌ فهلا تَلا حاميمَ قبلَ التَّقدُّمِ
على غَيْرِ شيءٍ غيرَ أنْ ليسَ تابعاً عَليّاً ومنْ لا يتّبعِ الحَقَّ يَنْدمِ

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا خبطهُ[٤] بالسيف فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدي وهو يقول[٥] : [من الرجز]

يا أمنا يا خيرَ أمٍّ نعلمُ[٦] أما ترين كمْ شجاعٍ يُكْلمُ
وتُجتلى هامتُهُ والمعصم

فاختلفا[٧] ضربتين فقتل كل واحد صاحبه ، وأحدق أهل النجدات [والمروءات] والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل[٨] إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك ، وقد فقأ بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم فقيل لعائشة إنه ابنك وابن أختك فقالت : واثكل أسماء ! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله [بن الزبير] ضربةً خفيفةً[٩] ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يعتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول : [من مجزوء الخفيف]

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

[فأرسلها مثلاً] وجعل[١٠] الناس لا يعرفون مالكاً من هو وإنما هو معروف[١١] بالأشتر ، فحمل أصحابُ عليّ وعائشة فخلَّصوهما وقد جُرح عبدُ الله بن الزبير يومَ الجمل بهذه الجراحة سبعاً وثلاثين

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٥٢٦) .
(٢) في تاريخ الطبري : يذكرني .
(٣) في الأصول : حم ؛ وما هنا للسياق .
(٤) في ط : حطه .
(٥) الأشطر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٢١) .
(٦) في أ : تعلم .
(٧) في ط : واختلفا .
(٨) في أ : فكان لا يأخذ الراية والخطام إلا شجاع معروف فيقتل من قتله ثم يقتل .
(٩) في أ : ضربة ضعيفة .
(١٠) في ط : فجعل .
(١١) في أ : يعرف .

جراحةً، وجُرح مروان بن الحكم أيضاً، ثم جاء رجل فضرب الجملَ على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، فسُمع له عجيج ما سُمع أشد ولا أنفذ منه، وآخر من كان الزمام بيده زُفَر بن الحارث، فعُقر الجمل وهو في يده، ويقال إنه اتفق هو وبجير بن دلجة على عقره، ويقال إنَّ الذي أشار بعقر الجمل عليٌّ، وقيل القعقاع بن عمرو لئلا تصاب أم المؤمنين، فإنها صارت[١] غرضاً للرماة، ومن يمسك بالزمام بُرْجاساً[٢] للرِّماح، ولينفصل هذا الموقفُ الذي قد تَفَانى فيه الناس ولما سقط الجمل[٣] إلى الأرض انهزم من حوله من الناس، وحُمل هودجُ عائشة وإنه لكالقنفذ من السهام[٤]، ونادى منادي عليٍّ في الناس: إنه لا يتبع مدبر ولا يُذَفَّفُ على جريح، ولا تُدخل[٥] الدور، وأمر علي نفراً أن يحملوا الهودجَ من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعماراً أنْ يضربا عليه قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراح؟ فقالت: (لا)! وما أنت ذاك يا بن الخثعمية. وسلَّم عليها عمار فقال: كيف أنت يا أمُّ[٦]؟ فقالت: لست لك بأمٍّ. قال: بلى! وإن كرهتِ، وجاء إليها عليُّ بن أبي طالب (أمير المؤمنين) مسلِّماً فقال: كيف أنت (يا أمَّهْ؟) قالت: بخير فقال: يغفر الله لك. وجاء وجوهُ الناس [إليها] من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين[٧] رضي الله عنها، ويقال إن أَعْيَن[٨] بن ضُبيعة المُجاشعي اطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حُمَيْراء، فقالت: هتكَ الله ستركَ وقطعَ يدكَ وأبدى عورتكَ. فقُتل بالبصرة، وسُلب، وقُطعت يده، ورمي عرياناً في خربة من خَرابات الأزد. فلمَّا كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرةَ ـ ومعها أخوها محمد بن أبي بكر ـ فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي ـ وهي أعظم دار بالبصرة ـ على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار[٩]، وهي أم طلحة الطلحات [بن] عبد الله بن خلف، وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة[١٠]، وقد طاف علي بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحّم[١١] عليه ويقول: يعز عليَّ أن أرى قريشاً صرعى. وقد مر علي فيما ذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتولٌ فقال: لهفي عليك

---

(١) في ط: بقيت.
(٢) البُرْجاس: غرض في الهواء يُرمى به. اللسان (برجس).
(٣) في ط: البعير.
(٤) في أ: من كثرة النشاب.
(٥) في ط: يدخلوا.
(٦) في أ: يا أم المؤمنين.
(٧) في أ: يسلمون عليها.
(٨) في أ: أيمن، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٥٣٢ـ٥٣٣).
(٩) في أ: في دار أم عبد الله بن خليل الخزاعية. والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٣٤).
(١٠) بعدها في أ: وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً. وسترد بعد.
(١١) في أ: يترحم.

يا أبا محمد ، إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت كما قال الشاعر : [من الطويل]

فتىً كانَ يدنيهِ الغنى منْ صديقهِ إذا مـا هـو استغنـى ويبعـدهُ الفقـرُ

وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً ثمَّ صلَّى على القتلى من الفريقين ، وخَصَّ قريشاً بصلاة من بينهم ، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة ، فمن عرف شيئاً هو لأهلهم فليأخذه ، إلا [أن يكون] سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان .

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف : خمسة من هؤلاء ، وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم[١] . وقد سأل بعض أصحاب علي علياً أن يقسِّم فيهم [أموالهم يعني] أموال أصحاب طلحة والزبير (فأبى عليهم) فطعن فيه السبئية وقالوا : كيف تحل[٢] لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ فسكت القومُ ، ولهذا لما دخل البصرةَ فضَّ في أصحابه أموالَ بيت المال ، فنال كل رجلٍ منهم خمسمئة ، وقال : لكم مثلها من الشام [في أعطياتكم] ، فتكلم فيه السبئية أيضاً ونالوا منه من وراء وراء .

فصل

ولما فرغ علي من أمر الجمل أتاه وجوهُ الناس يسلّمون عليه ، فكان ممن جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد ـ وكانوا قد اعتزلوا القتال ـ فقال له علي : تربصت[٣] ـ (يعني) بنا ـ فقال : ما كنتُ أراني إلا قد[٤] أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارفق فإن طريقك الذي سلكت بعيد ، وأنت إليَّ غداً أحوج منك أمس ، فاعرف إحساني ، واستبق مودتي لغد ، ولا تقل (لي) مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً .

قالوا : ثم دخل عليٌّ البصرة يوم الإثنين فبايعه أهلُها على راياتهم ، حتى الجرحى والمستأمنة[٥] . وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي فبايعه فقال له علي : أين المتربص[٦] ؟ ـ يعني أباه ـ فقال : إنه والله مريض يا أمير المؤمنين ، وإنه[٧] على مسرتك لحريص . فقال : امش أمامي ، فمضى إليه فعاده ، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره ، وعرض عليه البصرة (فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ،

---

(١) مكان اللفظة في أ : أجمعين .
(٢) في ط : يحل .
(٣) في ط : تربعت ؛ تحريف .
(٤) في أ : قد كنت أحسنت .
(٥) في أ : والمستأنية . وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٥٤١) .
(٦) في ط : المريض . وما هنا موافق للطبري (٤/ ٥٤٣) .
(٧) في ط : « وإن » ، ولا معنى لها ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٣) .

وأشار إليه بابن عباس فولاه على البصرة) ، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد ـ وكان زياد معتزلاً ـ ثم جاء علي إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن ودخل فسلَّم عليها ورحبَّتْ به ، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على منْ قُتل ، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف ، فعبد الله قُتل مع عائشة ، وعثمان قُتل مع علي ، فلما دخل عليٌّ قالت له صفية امرأة عبد الله ، أم طلحة الطلحات : أيتم الله منك أولادكَ كما أيتمتَ أولادي ، فلم يردّ عليها عليٌّ شيئاً ، فلما خرج أعادت عليه المقالةَ أيضاً فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك ! إنا أُمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات[١] ؟

فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر عليٌّ القعقاعَ بن عمرو أن يجلدَ كلَّ واحدٍ منهما مئة وأن يخرجَهما من ثيابهما .

وقد سألت عائشة عمن قتل معها من المسلمين[٢] ومن قتل من عسكر عليٍّ فجعلت كلما ذكر لها واحدٌ منهم تَرَحَّمتْ عليه ودَعَتْ له .

ولما أرادات (أم المؤمنين) عائشة الخروجَ من البصرة بعثَ إليها علي رضي الله عنه بكلّ ما ينبغي من مركبٍ وزادٍ ومتاعٍ وغير ذلك ، وأذنَ لمن نجا ممَّنْ جاء في الجيش معها أن يرجع[٣] إلا أن يحبَّ المقامَ ، واختارَ لها أربعينَ امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات ، وسير[٤] معها أخاها محمد (بن أبي بكر) . فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليٌّ فوقفَ على الباب وحضرَ الناسُ ، وخرجت من الدار في الهودج فودَّعتِ الناس ودعتْ لهم ، وقالت : يا بنيَّ لا يعتب بعضنا على بعض[٥] ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ،وإنه على معتبتي [له] لمن الأخيار . فقال علي : صدقتِ والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجةُ نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة . وسار عليٌّ معها مودِّعاً ومشيعاً أميالاً، وسرّح بنيه معها بقية ذلك اليوم ـ وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين ـ وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها .

وأما مروان بن الحكم فإنه لما فرَّ استجار بمالك بن مسمع فأجاره ، ووفى له ، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكاً ويشرفونه ، ويقال إنه نزل دار بني خلف فلما خرجت عائشة خرج معها ، فلما سارت هي إلى مكة سار [هو] إلى المدينة .

---

(١) في أ : أن نكف عن النساء المشركات أفلا نكف عن المؤمنات .
(٢) في أ : سكتت عائشة عمن قتل معها ومع علي من المسلمين .
(٣) في أ : سلم ممن جاء في جيشها أن يرجع معها .
(٤) في أ : وبعث .
(٥) في أ : أن يعتب بعضنا بعضاً .

قالوا : وقد علم منْ بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة (يوم الوقعة) ، وذلك مما كانت النسور تخطفه من الأيدي والأقدام فيسقط[١] منها هنالك ، حتى إنَّ أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس ، وذلك أن نسراً مرَّ بهم ومعه شيء فسقط [منه] فإذا هو كفٌّ فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب .

هذا ملخص ما ذكره (أبو جعفر) بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، وليس فيما ذكره[٢] أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها ، وإذا دُعوا [إلى الله وإلى] الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ، (فنحن حينئذ) نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .

فصل

في ذكر أعيان من قُتل يومَ الجَمَل من السّادة النُّجباء من الصَّحابة وغيرهم من الفريقين رضي الله عنهم أجمعين ، وقد قدَّمنا أن عدَّة القَتْلى نحو من عشرة آلافٍ ، وأمّا الجَرْحى فلا يُحْصون كثرةً ، ولم يكن في الفريقين من الصحابة إلا القليل .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات ألوف فلم يحضرها منهم مئة ، بل لم يبلغوا ثلاثين .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدَّثنا إسماعيل ـ هو ابن عليّة ـ حدَّثنا منصور بن عبد الرحمن قال : قال الشعبي : لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ﷺ غير علي وعمّار وطلحة والزبير ؛ فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب . قلت : قد حضرتها عائشة وابن الزبير والحسن والحسين ومحمد بن أبي بكر وسهل بن حنيف وآخرون .

قلت : قد يكون الشعبي أراد أنه لم يحضرها من المهاجرين غير من ذكر والله أعلم . فممن قتل يوم الجمل[٣] في المعركة :

طلْحةُ بن عُبَـيْد الله[٤] بن عُثمان بن عَمْرو بن كعب بن سَعْد[٥] بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن

---

(١) في أ : وذلك أن النسور والطيور كانت تخطف من الأيدي والأقدام فسقطت . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٣٥) .

(٢) في أ : يذكره .

(٣) في أ : يومئذ .

(٤) ترجمة ـ طلحة بن عبيد الله ـ في الاستيعاب (٧٦٤ ـ ٧٧٠) وأسد الغابة (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٣ ـ ٤٠) والإصابة (٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥) .

(٥) في أ : سعيد ؛ تحريف .

غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانةَ أبو محمد القُرشي التَّيمي ، ويعرف بطَلْحة الخَيْر ، وطلحة الفَيّاض لكرمه ولكثرة جوده .

أسلم قديماً على يَديْ أبي بكر الصّدّيق ، فكان[١] نوفل بن خُوَيْلد بن العدوية يشدُّهما في حبل واحد ، ولا تستطيع بنو تَيْم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القرينان .

وقد هاجر وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري ، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً ـ فإنَّه كان بالشام لتجارة ـ وقيل في رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من بدر . وكانت له يوم أحد اليدُ البيضاءُ وشَلت يده يومئذ لأنه وقى بها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك إلى أن مات . وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد يقول : ذاك يوم [كان] كله لطلحة ، وقد قال له رسول الله ﷺ يومئذ : « أوجب طلحة »[٢] وذلك أنه كان على رسول الله ﷺ درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع ، فطأطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها ، وقال[٣] : « أوْجَبَ طلحة » .

وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحدُ الستة أصحاب الشورى ، وقد صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض ، وكذلك أبو بكر وعمر ، فلما كانت قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بعض الناس إلى تحامل عليه[٤] ، فلهذا لمّا حضر يوم الجمل واجتمع به عليٌّ فوعظه تأخّر فوقف في بعض الصفوف ، فجاءه سهمٌ غَرْبٌ فوقع في ركبته وقيل في رقبته ، والأول أشهر ، وانتظم السهمُ مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه ، وجعل يقول : إليّ عباد الله ، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ، ويقال إنه مات بالمعركة ، وأنَّ علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل[٥] يمسحُ عن وجهه التُّرابَ وقال : رحمة الله عليك أبا محمد ، يعز عليَّ أن أراك مُجَدَّلاً[٦] تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري[٧] ، والله لوددتُ أنّي كنتُ متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة . ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم ، وقال لأبان بن عثمان : قد كفيتك رجالاً[٨] من قتلة عثمان ، وقد قيل إن الذي رماه غيره ، وهذا عندي أقرب ، وإن كان الأول مشهوراً والله أعلم .

---

(١) في أ : وكان .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٦٥) والترمذي في جامعه (١٦٩٢) و(٣٨٢١) في الجهاد ، وهو حديث حسن .

(٣) في أ : فقال .

(٤) في ط : فيه .

(٥) في أ : وأن علياً رآه بين القتلى فجعل .

(٦) في ط : مجدولاً .

(٧) قال الأصمعي : معناه سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي . سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦) .

(٨) في أ : رجلا . وفي أسد الغابة : قد كفيتك بعض قتلة أبيك .

وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين ، ودفن طلحة إلى جانب الكلأ[١] وكان عمره ستين سنة ، وقيل : بضعاً وستين سنة ، وكان آدم ، وقيل أبيض ، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب ، وكانت غلته في كل يوم ألف درهم .

وروى حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبيه : أن رجلاً رأى طلحة في منامه ، وهو يقول : حوِّلوني عن قبري فقد آذاني الماء ، ثلاث ليالٍ ، فأتى ابن عباس ـ وكان نائباً على البصرة ـ فأخبره[٢] فاشتروا له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فحوّلوه من قبره إليها ، فإذا قد اخضّر من جسده ما يلي الماء ، وإذا هو كهيئته يوم أصيب .

وقد وردت له فضائل كثيرة . فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي عاصم : حدَّثنا الحسن بن علي ، حدثنا سليمان [بن أيوب] بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدَّثني أبي ، عن جده ، عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : سمّاني رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ طلحةَ الخير ، ويوم العسرة طلحة الفياض . ويوم حنين طلحة الجود[٣]

وقال أبو يعلى الموصلي[٤] : حدَّثنا أبو كُريب ، حدَّثنا يونس بن بُكَيْر ، عن طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى ابني طلحة ، عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل عمَّن قَضَى نَحْبهُ فقالوا : سلْ رسول الله ﷺ فسأله في المسجد ، فأعرض عنه ، ثمّ سأله ، فأعرض عنه ، ثُمّ اطَّلعتُ من باب المسجد ، وعليَّ ثيابٌ خضرُ ، فقال رسول الله ﷺ : « أين السائل ؟ » قال هاأنا ذا فقال : « هذا ممَّن قضى نحبهُ » .

وقال أبو القاسم البغوي : حدَّثنا داود بن رُشَيْد ، حدَّثنا مسلم بن إبراهيم[٥] ، حدَّثنا الصلت بن دينار ، عن أبي نَضْرة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله »[٦]

وقال الترمذي[٧] : حدَّثنا أبو سعيد الأشج ، حدَّثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزي[٨] ـ اسمه

---

(١) قال الذهبي في السير (١/ ٤٠) : وقبره بظاهر البصرة .

(٢) في أ : فأتى ابن عباس فأخبره .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » رقم (١٤٠٣) والحاكم (٣/ ٣٧٤) وإسناده ضعيف .

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٦٦٣) ، وإسناده حسن .

(٥) في ط : حدَّثنا مكي حدَّثنا علي بن إبراهيم . . . ، وفي أ : حدَّثنا علي بن إبراهيم . . .

(٦) رواه الترمذي رقم (٣٧٣٩) وأبو محمد البغوي في شرح السنة (١٤/ ١٢٠) وإسناده ضعيف جداً ، فإن الصلت بن دينار متروك ، ولذلك استغربه الترمذي ، وحق له .

(٧) جامع الترمذي (٣٧٤١) في المناقب ، وإسناده ضعيف ، كما قال الترمذي .

(٨) في أ : العنبري ؛ تحريف .

النضر ـ حدَّثنا عقبة بن علقمة اليَشكُري سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت أُذناي رسول الله ﷺ يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » وقد روي من غير وجه عن علي أنه قال[١] : إني أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فجعل سعدٌ ينهاه ويقول : لا تقع في إخواني فأبى فقام[٢] فصلَّى ركعتين ثم قال : اللهم إن كان [هذا] سخطاً لك فيما يقول ، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرةً . فخرج الرجل فإذا ببختي[٣] يشقُّ الناسَ فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته[٤] والبلاط فسحقه حتى قتله . قال سعيد بن المسيب : فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون : هنيئاً لك أبا إسحاق أُجيبت دعوتُك .

والزُّبير بن العَوّام بن خُوَيْلد[٥] بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي ، وأمه صفيَّة بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل أقل وقيل أكثر . هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش[٦] ، وقد شهد المشاهد كلَّها .

وقد قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال : أنا ، ثم ندب الناس فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ لكل نبيٍّ حوارياً وحواريَّ الزبير »[٧] ثبت ذلك من رواية زِرٍّ عن علي[٨] .

وثبت عن الزُّبير أنه قال : جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم بني قريظة .

وروي أنه أولُ من سلَّ سيفاً في سبيل الله ، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أنَّ رسول الله قد قُتل فجاء

---

(١) الخبر أخرجه ابن سعد (٣/ ١٦٠) والطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦) وهو في السير (١/ ٣٩) ، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان .

(٢) في أ : فقام سعد .

(٣) البُخْتُ : الإبل الخراسانية كالبختية (القاموس) .

(٤) الكِركرة ـ بالكسر ـ رحى زور البعير أو صدر كل ذي خف . القاموس .

(٥) ترجمة ـ الزبير بن العوام ـ في الاستيعاب (٥١٠) وأسد الغابة (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤١ ـ ٦٧) والإصابة (٥/ ٧ ـ ٩) .

(٦) في ط : سلمة بن وقش ؛ وما هنا موافق للسير .

(٧) قال مصعب الزبيري : الحواريّ : الخالص من كل شيء . وقال الكلبي : الحوراي : الخليل . سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩) .

(٨) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٨٩ و١٠٢ و١٠٣) والترمذي في جامعه (٣٧٤٤) والطبراني في الكبير رقم (٢٤٣) في المناقب ، وهو حديث صحيح .

[الزبير] شاهراً سيفه حتى رأى رسول الله ﷺ فشام[١] سيفه ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وصحب الصدّيق فأحسنَ صحبتَه ، وكان خَتنه على ابنته أسماء[٢] وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد[٣] اليرموك فتشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء ، اخترق عساكر[٤] الروم وصفوفهم [من بين الناس] مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكان من جملة من دافع عن عثمان (وحاجف عنه) ، فلما كان يوم الجمل ذكَّره علي بما ذكّره به [كما تقدم] فرجع عن القتال وكرَّ راجعاً إلى المدينة ، فمر بقوم الأحنف بن قيس ـ وكانوا قد اعتزلوا[٥] عن الفريقين ـ فقال قائل [منهم] يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا كرَّ راجعاً إلى بيته ؟ من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاوروا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو : إن لي إليك حاجة فقال : ادن ! فقال مولى الزبير ، واسمه عطية ـ إن[٦] معه سلاحاً فقال : وإن [كان] ، فتقدَّم إليه فجعل يحدثه[٧] وحان[٨] وقت الصلاة فقال له الزبير : الصلاة فقال : الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله .

ويقال : بل أدركه (عمرو) بواد يقال له وادي السباع وهو نائم (في القائلة) فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر ، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وهي[٩] آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها [أيضاً] وكانت قبلهُ[١٠] تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته بقصيدة [جيدة الشعر] محكمة المعنى فقالت[١١] : [من الكامل]

غَدَرَ ابنُ جُرْموزٍ بفارسِ بُهمةٍ[١٢] يَـوْمَ اللّقـاءِ وكـان غَيْـرَ مُعَـرِّدِ[١٣]

يـا عَمْـرو لَـوْ نَبَّهْتـهُ لـوَجـدْتَـهُ لا طـائشاً رَعْشَ الجنـان ولا اليـد

---

(١) شام : غمد .
(٢) في ط : أسماء بنت الصديق .
(٣) في أ : فجاهد وشهد .
(٤) في ط : جيوش .
(٥) في ط : انعزلوا عن الفريقين .
(٦) في أ : إن أرى معه .
(٧) في أ : يحادثه .
(٨) في ط : وكان .
(٩) في ط : وكانت .
(١٠) في أ : قبل عمر .
(١١) الأبيات في سير أعلام النبلاء (١/ ٦٧) وفي هامشه مصادرها .
(١٢) البهمة : الشجاع وقيل هو الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه .
(١٣) المعرِّد : اسم فاعل من عرد تعريداً بمهملات : إذا فرَّ وهرب .

ثَكِلَتْـك أمُّـكَ إنْ ظَفِـرْتَ بِمِثْلِـه ممـنْ بقـي ممـنْ يَـروحُ ويَغْتـدي[١]
كـمْ غَمْـرَةٍ قَـدْ خـاضَهـا لـم يَثْنِـهِ عَنْها طِرادُكَ[٢] يا بنَ فَقْعِ[٣] الفَدفَدِ[٤]
واللهِ رَبِّــي[٥] إن قتلــتَ لمُسْلمــاً حلّــتْ عَلَيْـكَ عُقــوبــةُ المُتعَمِّــدِ[٦]

ولما قتله عمرو (بن جرموز) احتزَّ رأسَه وذهب به إلى عليٍّ ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده ، فاستأذنَ فقال عليّ : لا تأذنوا له وبشِّروه بالنار ، وفي رواية أن علياً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بشر قاتلَ ابن صفية بالنار »[٧] (ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي : إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ) ، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه ، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير ، على العراق فاختفى منه ، فقيل لمصعب : إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختفٍ ، فهل لك فيه ؟ فقال : مروه فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقيد[٨] للزبير منه فهو أحقر من أن[٩] أجعله عدلاً للزبير .

وقد كان الزُّبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً ، ولمّا كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله ، فلما قُتل وجدوا عليه من الدين ألفي ألف ومئتا ألف فوفوها عنه ، وأخرجوا بعد ذلك ثُلْثَ ماله الذي [كان] أوصى به ، ثم قُسمت التَّركة بعد ذلك فأصاب كلَّ واحدة من زوجاته وكنّ أربعاً[١٠] من ربع الثُّمن ألف ألف ومئتا ألف درهم ، فعلى هذا يكون (مجموع) ما قُسم بين الورثة ثمانيةً وثلاثين ألف ألف وأربعمئة ألف (والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومئتا ألف فتلك الجملة سبعة) وخمسون ألف ألف وستمئة ألف ، والدَّين (المخرج) قبل ذلك ألفا ألف ومئتا ألف[١١] فعلى هذا يكون جميع ما تركه من

---

(١) في السير : فيما مضى مما تروح وتغتدي .
(٢) في أ : نظيرك .
(٣) الفقع : نوع أبيض من رديء الكمأة . والفدفد : الأرض المستوية ؛ وفقع الفدفد مَثَلٌ للذليل .
(٤) في ط : العردد .
(٥) في السير : ربك .
(٦) في هامش السير : أشارت بقولها : عقوبة المتعمد . . . ؛ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] . وقال غيره : عقوبة المتعمد أن يقتل قصاصاً .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/ ٨٩) عن علي رضي الله عنه موقوفاً عليه ، وإسناده حسن .
(٨) في أ : لأفتد .
(٩) في أ : من ذلك أن أجعله .
(١٠) في ط : من الزوجات الأربع .
(١١) في هامش أ : والدين قبل ذلك ألف ألف فالجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمئة .

الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمئة ألف ، وإنما نبَّهنا على هذا لأنه وقع في صحيح البخاري[١] ما فيه نظر ينبغي أن ينتبهَ[٢] له ، والله أعلم .

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة[٣] مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس ما يخص[٤] أمه منه ، ومن التجارة المبرورة (وقد) قيل إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فربما تصدَّقَ في بعض الأيام بخراجهم كلِّهم رضي الله عنه وأرضاه .

وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين[٥] بست أو سبع .

وكان أسمر ربعةً من الرجال ، معتدلَ اللحم ، خفيفَ اللحية ، رضي الله عنه .

وفي هذه السنة أعني سنة ست وثلاثين

ولَّى عليُّ بن أبي طالب [أمير المؤمنين] نيابةَ الدّيار المصرية لقيس[٦] بن سعد بن عبادة ، وكان على نيابتها في أيام عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فلمّا توجّه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان [ليقتلوه] ؛ وكانَ الذي جَهَّزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبي حذيفة بن عتبة ، وكان لما قتل أبوه باليمامة ، [قد] أوصى به إلى عثمان ، فكفله [عثمان] ورباه في حجره ومنزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ في عبادة وزهادة ، وسأل من عثمان أن يوليه عملاً فقال له : متى ما صرت أهلاً لذلك وليتك ، فتعتب[٧] في نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له ، فقصد الديارَ المصريةَ وحَضَرَ مع أميرها عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزوةَ الصَّواري كما قدمنا ، وجعل[٨] ينتقص عثمان رضي الله عنه وساعده[٩] على ذلك محمد بن أبي بكر [الصديق] ، فكتب بذلك ابن أبي سَرْح إلى عثمان يشكوهما (إليه) فلم يعبأ بهما عثمان ، ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبي حذيفة حتى استنفرَ أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها

---

(١) صحيح (٣١٢٩) في فرض الخمس .
(٢) في ط : « ينبه » ولا تصح ، لأنها لو كانت كذلك لقال « ينبه عليه » .
(٣) في أ : والمآثر الوثيرة من الحلال .
(٤) في أ : مما يختص به منه .
(٥) في أ : الستين سنة بست .
(٦) في أ : لبشر بن سعد ؛ خطأ . وما هنا موافق للطبري (٤/ ٥٤٧) .
(٧) في أ : فبقيت .
(٨) في أ : وشرع .
(٩) في أ : وساعده أولئك .

(عبد الله) بن سعد بن أبي سرح ، وصلى بالناس فيها ، فلما كان ابن أبي سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل (أمير المؤمنين) عثمان فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وبلغه أن علياً قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة ، فشمت بمحمد بن أبي حذيفة ، إذ لم يمتَّع بملك الديار المصرية سنة ، وسار عبد الله بن سعد[(١)] إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار مصر ، وأن محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها ، فسار معاوية وعمرو بن العاص [إليه] ليخرجاه منها لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان ، مع أنه كان قد رباه (وكفله) وأحسن إليه ، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا يخدعانه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصَّن بها ، وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا ، ذكره محمد بن جرير[(٢)] ، ثم سار إلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علي[(٣)] ، فدخل مصر في سبعة نفر ، فرقي المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[(٤)]

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فإني أحمد الله [إليكم] كثيراً الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرسل إلى عباده وخصَّ به من انتخب[(٥)] من خلقه ، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة ، وخصَّهم به من الفضيلة أن بعث محمداً يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة[(٦)] ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما يتفرقوا ، وزكاهم لكي يتطهَّروا ، ووفَّقهم لكيلا يجوروا . فلمّا قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته ، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين ، عَمِلا بالكتاب و [السنة] وأحسنا السيرةَ ولم يعدُوا السنَّة ثم توفاهما الله فرحمهما الله ، ثم ولي بعدهما والٍ أحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقالاً فقالوا ، ثم نقموا عليه فغيّروا ، ثم جاؤوني فبايعوني فأستهدي الله بهداه وأستعينه على تقواه[(٧)] ، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ، والقيام عليكم بحقه[(٨)] والنصح لكم بالغيب واللهُ المستعانُ وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيسَ بن سعد بن عبادة فوازروه وكانفوه وأعينوه على

---

(١) في أ : وسار ابن أبي سرح إلى الشام .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٧) وما بعدها .
(٣) في أ : فسار إلى مصر قيس بن سعد بولاية علي فدخلها في سبعة نفر .
(٤) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٨) .
(٥) في أ : من انتخبه .
(٦) في أ : والسنن لكي يهتدوا ، وجمعهم لكيلا يتفرقوا .
(٧) في ط : « التقوى » ، وما أثبتناه من أ وهو أليق .
(٨) في أ : بالحق .

الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم[١] والرفق بعوامكم وخواصّكم ، وهو ممن أرضى هديه ، وأرجو صلاحه ونصيحته ، أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبد الله[٢] بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

قال : ثم قام قيس بن سعد فخطب[٣] الناس ودعاهم إلى البيعة لعلي ، فقام الناس فبايعوه ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خِرْبتا[٤] ، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان ـ وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة آلاف [منهم بشر بن أبي أرطأة ومسلمة بم مخلَّد ومعاوية ابن خديج وجماعة من الأكابر] وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المُدْلجي ـ وبعثوا إلى قيس بن سعد فوادعهم ، وكذلك مسلمة بن مُدْلج الأنصاري تأخَّر عن البيعة فتركه قيس (بن سعد) ووادعه .

ثم كتب معاوية بن أبي سفيان ـ وقد استوسق[٥] له أمر الشام بحذافيره ـ إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمة[٦] وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها، وقد ضوى إليها[٧] الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية ، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من نوّاب معاوية ، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر[٨] ، واستقرّ أمرُ معاوية على تلك البلاد [فلما استوسقت له البلاد كما ذكرنا] كتب إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصدده من القيام في ذلك ، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تمّ له الأمر ما دام سلطاناً فلمّا بلغه الكتاب ـ وكان قيس رجلاً حازماً ـ لم يخالفه ، ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود ، فسالمه قيس وتاركه ولم يواقعه على ما دعا إليه ولا وافقه[٩] عليه : فكتب إليه معاوية[١٠] : إنه لا يسعك معي تسويفك بي وخديعتك لي ولا بد أن أعلم أنك سلم[١١] أو عدو ـ وكان معاوية حازماً أيضاً ـ

---

(١) في أ : مريبكم ومسيئكم .
(٢) في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤) : عبيد الله .
(٣) خطبة قيس في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٩) .
(٤) في أ : جربيا ؛ تحريف . وخربتا : قال القضاعي : يُعد كُورَ مصر . وهو حوالي الإسكندرية . معجم البلدان (٢/ ٣٥٥) .
(٥) في أ : بعد أن استوثق .
(٦) في أ : تحت حكمه يأتيه حملها .
(٧) في أ : وقد أتاه الذين .
(٨) في أ : ففر منه الأشتر وهرب .
(٩) في أ : ولا خالفه .
(١٠) في أ : معاوية إليه .
(١١) في أ : معي تسويفك لي فلابد أن أعلم أنك سلم لي .

فكتب إليه [قيس] لما صمم عليه : إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك ، فلما بلغ ذلك معاوية يئس منه ورجع ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيس بن سعد[١] يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق .

وروى ابن جرير[٢] أنه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية والله أعلم بصحته . ولما بلغ ذلك علياً فاتهمه وكتب له أن يغزو أهل خِرِبْتا[٣] الذين تخلفوا عن البيعة ، فبعث إليه يعتذر إليه بأنهم عدد كثير ، وهم وجوه الناس .

وكتب إليه : إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأنك اتَّهمتني [في طاعتك] ، فابعث على عملك بمصر غيري ، فبعث علي على إمرة مصر الأشتر النخعي ، فسار إليها فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه ، فبلغ ذلك أهل الشام فقالوا : إن لله جنداً من عسل ، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر ، وقد قيل وهو الأصح إن علياً ولى محمد بن أبي بكر[٤] بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد فعذره علي ، وشهدا معه صفين كما سنذكره ، فلم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الأمر مهيباً بالديار المصرية ، حتى (كانت) وقعة صفين ، وبلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم فطمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالعداوة ، فكان من أمره ما سنذكره . وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان ، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لئلا يشهد مهلكه ، مع أنه كان متعتباً عليه[٥] بسبب عزله له عن ديار مصر وتوليته عليها[٦] عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فتسرح عن المدينة على تغضب[٧] فنزل قريباً من الأردن ، فلما قتل عثمان رضي الله عنه صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرنا [من القيام بدم عثمان] .

فصل
في [ذكر وقعة صفّين]
بين أهل العراق [من أصحاب عليّ] وبين أهل الشام [من أصحاب معاوية]

قد تقدم ما رواه (الإمام) أحمد ، عن إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، أنه

(١) في أ : أن قيساً يكاتبهم .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٣) .
(٣) في أ : فلما جاء الكتاب إلى علي اتهمه وكتب إليه أن يغزوا جربيا .
(٤) في أ : أنه إنما ولاه مصر .
(٥) في أ : متعتباً على عثمان .
(٦) في أ : وهو الذي فتحها وتوليته بدلها . .
(٧) في أ : فخرج من المدينة على تغضب وغيظ فنزل .

قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مئة ، بل لم يبلغوا ثلاثين .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أمية بن خالد قال لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، فقال : كذب أبو شيبة ، والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خُزَيْمة بن ثابت ؟ وقد قيل إنه شهدها من أهل بدر سهل بن حُنَيْف ، وكذا أبو أيوب الأنصاري ؛ قاله شيخنا العلامةُ ابنُ تَيْمية في كتاب الرَّد على الرافضة .

وروى ابن بطة بإسناده عن بكير[١] بن الأشج أنه قال أما إن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلَّا إلى قبورهم .

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة[٢] .

قال أبو الكنُود عبد الرحمن بن عبيد فدخلها علي يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلةً خَلَتْ من رجب سنةَ ستٍّ وثلاثين فقيل له : انزل بالقصر الأبيض ، فقال : لا ! إن عمر (بن الخطاب) كان يكره نزوله فأنا أكرهه كذلك ، فنزل في الرحبة وصلَّى في الجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثَّهم على الخيْر ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله ـ وكان على همذان من زمان عثمان ـ وإلى الأشعث بن قيس ـ وهو على نيابة أذربيجان من زمان[٣] عثمان ـ [يأمرهما] أن يأخذا البيعة [له] على من هنالك (من الرعايا) ثم يقبلا إليه ، ففعلا ذلك . فلما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته . قال جرير بن عبد الله : أنا أذهب إليه (يا أمير المؤمنين) فإن بيني وبينه وداً ، فآخذ لك منه البيعة[٤] ، فقال الأشتر : لا تبعثه يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن يكون هواه معه . فقال علي : دعه ، وبعثه[٥] وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ، ويخبره بما كان في وقعة الجمل ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب[٦] معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل

---

(١) في أ : بكر ؛ تحريف وبكير هذا من رجال التهذيب .

(٢) في أ : لما فرغ من وقعة الجمل سار إلى الكوفة .

(٣) في أ : من أيام .

(٤) في أ : البيعة منه .

(٥) في أ : فبعثه .

(٦) في أ : وطلب .

قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فرجع[١] جرير إلى علي فأخبره بما قالوا ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ألم أنهك[٢] أن تبعث جريراً ؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته . فقال له جرير : لو كنت ثمَّ لقتلوكَ بدم عثمان . فقال الأشتر : والله لو بعثني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلنه عن الفكرة ، ولو أطاعني قبل لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة ، فقام جرير مغضباً وأقام بقرقيسيا ، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه .

وخرج[٣] أمير المؤمنين علي (بن أبي طالب) من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو[٤] البدري الأنصاري وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود . وأشار آخرون[٥] أن يخرج فيهم بنفسه ، وبلغ معاوية أن علياً قد خرج [إليه] بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له : اخرج أنت أيضاً بنفسك ، وقام عمرو بن العاص في الناس فقال إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا [يوم الجمل ، ولم يبق مع علي إلَّا شرذمة قليلة (من الناس) ، ممن قتل ، (وقد قتل) الخليفة أمير المؤمنين عثمان][٦] (بن عفان) ، فالله في حقّكم أن تضيِّعوه ، وفي دم عثمان خليفة الله فلا تطلبوه[٧]

وكتب إلى أجناد الشام فحضروا ، وعقدت الألوية والرايات للأمراء ، وتهيَّأ أهلُ الشام وتأهّبوا ، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين ـ حيث يكون مقدم علي (بن أبي طالب رضي الله عنه) ـ وسار علي رضي الله عنه بمنْ معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام .

قال أبو إسرائيل ، عن الحكم بن عتيبة[٨] : وكان في جيشه ثمانون بدرياً ومئة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة .

رواه ابن ديزيل . وقد اجتاز في طريقه براهب فكان من أمره ما ذكره [إبراهيم بن] الحسين بن ديزيل[٩] في كتابه فيما رواه عن يحيى بن عبد الله الكرابيسي ، عن نصر بن مزاحم[١٠] ، عن عمر بن سعد ، حدَّثني مسلم الأعور ، عن حبَّة العُرني قال :

---

(١) في أ : عثمان وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم فرجع . . .
(٢) في أ : ألم أنهك يا أمير المؤمنين .
(٣) في هامش أ : مطلب خروج علي رضي الله عنه بنية القتال مع معاوية .
(٤) في ط : عامر ؛ تحريف . وعقبة بن عمرو هذا من رجال التهذيب .
(٥) في أ : آخرون عليه بالخروج بنفسه فخرج .
(٦) ما بين الحاصرتين في هامش أ .
(٧) في ط : وفي دمكم أن تطلوه .
(٨) في ط : عيينة ؛ تحريف ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) في ط : الحسين بن ديزيل ؛ خطأ وترجمة ابن ديزيل في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٤) .
(١٠) نصر بن مزاحم هذا كذاب ، كما في الميزان (٤/ ٢٥٤) ، فلا يشك عاقل بأن هذا الخبر كذب محض .

لما أتى علي الرِّقَّة نزل بمكانٍ يقال له البليخ[١] على جانب الفرات فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلي : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم عليهما السلام ، أعرضه عليك ؟ فقال (علي) : نعم ! فقرأ الراهب (الكتاب) :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر ، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكّيهم ويدلّهم على سبيل الله ، لا فظّ ولا غليظ ولا صخاب[٢] في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمَّادون[٣] الذين يحمدون اللهَ على كل شرف ، وفي كل صعود وهبوط ، وتذلّ ألسنتهم بالتهليل والتكبير ، وينصره الله على كل منْ ناوأه فإذا توفّاه الله اختلفت (أمته) ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت[٤] ثم يمر رجل من أمته بشاطىء هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا ينكس الحكم ، الدنيا أهون (عليه من الرماد) أو قال التراب ـ في يوم عصفت فيه الريح ـ والموت أهون عليه من شرب الماء ، يخاف الله في السر ، وينصح[٥] في العلانية ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة .

ثم قال لعلي : فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما (أصابك) فبكى عليٌّ ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً ، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار . فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع عليّ حتى أصيب يوم صفين . فلما[٦] خرج الناس يطلبون[٧] فتلاهم قال علي : اطلبوا الراهب ، فوجدوه قتيلاً ، (فلما وجدوه) صلَّى عليه ودفنه واستغفرَ له .

وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعةً في ثمانية آلاف ، ومعه شريح بن هانىء ، في أربعة آلاف ، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه .

وجاء علي [كرم الله وجهه] فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدمتان ، فبلغهم أنَّ معاويةَ قد ركب في أهل الشام ليلتقي[٨] أمير المؤمنين علياً فهمّوا بلقياه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه ، فعدلوا عن طريقهم وجاءوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات فساروا فعبروا من هيت ثم لحقوا علياً ـ وقد

---

(١) في أ : اليلبج : تحريف . والبليخ اسم نهر بالرقة . معجم البلدان (١/ ٤٩٣) .
(٢) في أ : ولا سخاب .
(٣) في أ : الحامدون .
(٤) في أ : فتلبث في ذلك ما شاء الله ثم تختلف .
(٥) في أ : ويصفح .
(٦) في أ : حتى انقضت وقعة فلما .
(٧) في أ : يدفنون .
(٨) في أ : ليلقا علياً فهمّوا بلقائه .

سبقهم ـ فقال علي : مقدمتي تأتي من ورائي ؟ فاعتذروا إليه بما جرى لهم ، فعذرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبروا[١] الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا ، ودعاهم[٢] زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق ، إلى البيعة فلم يجيبوه بشيء فكتب إلى علي بذلك فبعث إليهم عليٌّ الأشتر النخعي أميراً ، وعلى ميمنته زياد [بن النضر] ، وعلى ميسرته شريح ، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدؤوه [أولاً] بالقتال ، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرةً بعد مرةٍ ، فإن امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب ، ولا يبتعد منهم ابتعاد مَنْ يهاب الرجال ، ولكن صابرهم حتى آتيك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله (فتحاجزوا يومهم ذلك ، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمي) وبعث معه بكتاب الإمارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفي ، فلما قدم الأشتر على [أمير] المقدمة امتثل ما أمره به علي ، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور [فتخاصموا يومهم ذلك من كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور] السلمي ، فثبتوا له واصطبروا لهم ساعة[٣] ثم انصرف أهل الشام عند المساء ، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر ، فقُتِلَ عبد الله بن المنذر التنوخي ـ وكان من فرسان أهل الشام ـ قتله[٤] رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمي ، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه ، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك ، وكأنه رآه غير كفء له في ذلك والله أعلم . ثم تحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني[٥] .

فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل علي رضي الله عنه في جيوشه ، وجاء معاوية رضي الله عنه في جنوده ، فتواجه الفريقان وتقاتل الجمعان وبالله المستعان ، فتوافقوا طويلاً . وذلك بمكان يقال له : صفين[٦] (وذلك) في أوائل ذي الحجة ، ثم عدل علي رضي الله عنه فارتاد لجيشه منزلاً ، وقد كان معاوية سبق بجيشه (فنزلوا) على مشرعة الماء في أسهل موضع وأفيحه[٧] ، فلما جاء علي نزل[٨] بعيداً من الماء ، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فمنعهم أهل الشام ، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك ، وقد كان معاوية وكل[٩] على الشريعة أبا الأعور السُّلمي ، وليس هناك مشرعةٌ سواها ، فعطشَ أصحابُ

---

(١) في ط : عبر .
(٢) في أ : فدعاهم .
(٣) في أ : وصبروا ساعة .
(٤) في أ : فقتله .
(٥) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٦٧) .
(٦) في هامش أ : مطلب اسم معركة علي ومعاوية .
(٧) في ط : وأفسحه .
(٨) في ط : فلما جاء علياً ؛ وهو خطأ .
(٩) في أ : وكان معاوية قد وكل .

عليٍّ عطشاً شديداً فبعث عليٌّ الأشعثَ بن قيس الكندي (في جماعة) ليصلوا إلى الماء فمنعهم أولئك وقال : موتوا عطشاً كما منعتم عثمان الماء ، فترامَوْا بالنبل ساعة ، ثم تطاعنوا بالرماح أخرى ، ثم تقاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله ، وأمدَّ كل طائفة أصحابها[١] ، حتَّى جاء الأشترُ النخعي من ناحية العراقيين وعمرو بن العاص من ناحية الشاميين ، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت ، وقد قال رجل من أهل العراق ـ وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي ـ وهو يقاتل[٢] : [من الرجز]

خَلُّوا لنا ماءَ الفُراتِ الجاري   أو اثبتــوا لِجَحْفَــلٍ جَــرّارِ
لِكُلِّ قَرْمٍ مَستميت شاري[٣]   مُطــاعــنٍ بــرُمْحِــهِ كَــرّار
ضَرّابِ هاماتِ العِدا مِغْوارِ

ثم ما زال أهلُ العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أزاحوهم عنه وخلوا بينهم وبينه ، ثم اصطلحوا على الورود حتى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلم أحدٌ أحداً ، ولا يؤذي إنسانٌ[٤] إنساناً .

وفي رواية أنَّ معاوية لما أمر أبا الأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماحٍ مشرعةٍ ، وسيوفٍ مسللةٍ ، وسهام مفوقةٍ ، وقسيٍّ موترة[٥] ، فجاء أصحابُ عليٍّ علياً فَشَكوا إليه ذلك فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاويةً يقول له : إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى نقيم عليكم الحجة ، فبعثت إلينا مقدمتك فقاتلتنا قبل أن نبدأكم [بالقتال] ثم هذه أخرى قد منعونا[٦] الماء ، (فلما بلغه ذلك) قال معاوية للقوم : ماذا ترون[٧] ؟ فقال عمرو[٨] : خلِّ بينهم وبينه ، فليس من النصف أن نكون ريَّانين وهم عطاش ، فقال الوليد [بن عقبة] : دعهم يذوقوا[٩] من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه (في داره) ، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً[١٠] ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح : امنعهم الماء إلى الليل فلعلَّهم يرجعون إلى بلادهم . فسكت معاوية فقال له صعصعة بن صوحان : ماذا جوابك ؟ فقال : سيأتيكم رأيي بعد هذا ، فلمّا رجع صعصعة فأخبر الخبر ركب[١١] الخيل والرجال ، فما زالوا حتى

(١) في ط : أهلها .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٥٧٠) .
(٣) في أ ، ط : مشرب تيار . . ؛ وما هنا عن الطبري .
(٤) في أ : إنسان منهم إنساناً . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٧١) .
(٥) في أ : موتورة .
(٦) في أ : منعتمونا .
(٧) في ط : تريدون .
(٨) في أ : عمرو بن العاص .
(٩) في أ : دعهم حتى يذوقوا .
(١٠) في أ : يوماً .
(١١) في أ : ركبت .

أزاحوهم عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطلحوا فيما بينهم على ورود الماء[١] ، لا يمنع أحد أحداً منه ، وأقام عليٌّ يومين لا يكاتب معاويةَ ولا يكاتبه معاويةُ ، ثم دعا عليٌّ بشير بن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشَبَث بن ربعي السَّهمي فقال : إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول (لكم) ، فلما دخلوا على معاوية[٢] قال له بشير بن عمرو : يا معاوية ! إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ، ومجازيك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن[٣] تسفك (دماءها) بينها . فقال له معاوية : هلا أوصيت[٤] بذلك صاحبكم ؟ فقال له : (إنَّ) صاحبي أحقُّ هذه البرية بالأمر في فضله ودينه وسابقته وقرابته ، وإنه يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلمُ لك في دنياك ، وخيرٌ لك في آخرتك[٥] . فقال معاوية : ويُطلُّ دمُ عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم أراد سعيد بن قيس الهمداني أن يتكلم فبدره شبَث بن ربعي فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء في حقّ معاوية ، فزجره معاوية وزبره في افتئاته على من هو [أكبر منه و] أشرف وكلامه[٦] بما لا علم له به ، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه ، وصمّم على القيام[٧] بطلب دم عثمان (الذي قتل مظلوماً) ، [فلما أخبروا علياً بما قالوا له وما رد عليهم ؛] فعند ذلك نشبت الحرب بينهم ، وأمر علي بالطلائع والأمراء أن يتقدموا[٨] للحرب ، وجعل عليٌّ يُؤمِّر على كل قوم من الحرب أميراً ، فمن أمرائه على الحرب : الأشتر النخعي ـ وهو أكبر من كان يخرج للحرب ـ وحجر بن عدي ، وشَبَث بن رِبْعي ، وخالد بن المعمر[٩] وزياد بن النَّضْر ، وزياد بن خَصَفَة[١٠] ، وسعيد بن قيس[١١] ، ومعقل بن قيس ، وقيس بن سعد ، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً[١٢] ، فمن أمرائه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلم ، وذو الكلاع الحميري ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وشرحبيل بن السمط ، وحمزة بن مالك الهمداني ، وربما اقتتل الناس في اليوم مرتين ، وذلك في شهر ذي الحجة بكماله .

---

(١) في أ : والرجال فأزاحوهم عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطلحوا على وروده وألا يمنع أحد أحداً منه .
(٢) في أ : عليه .
(٣) في أ : وأن لا .
(٤) في أ : وصيت بذلك صاحبك .
(٥) في أ : أخراك .
(٦) في أ : وأشرف وفي كلامه .
(٧) في أ : على القتال .
(٨) في ط : تتقدم .
(٩) في ط : المعتمر ؛ تحريف . والتصحيح عن أ والطبري (٤/ ٥٧٤) ومصادر ترجمته .
(١٠) في أ ، ط : حفصة ؛ وما هنا عن الطبري ومصادر ترجمته .
(١١) في ط : أيس ؛ تحريف .
(١٢) في أ : وكذلك فعل معاوية كان كل يوم يبعث على الحرب أمير .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عباس عن أمر علي له بذلك .

فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للمتاركة ، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم ، فكان ما سنذكره ، إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلَّت هذه السنة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، كل منهما في جنوده بمكانٍ يقال له صفّين بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام ، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة [بكماله] كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجرت (بينهم) حروبٌ يطولُ ذكرها .

والمقصود أنه لما دخل شهرُ المحرّم تحاجزَ القومُ رجاءَ أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم .

فذكر ابن جرير[١] من طريق (هشام عن) أبي مخنف قال : حدَّثني سعد أبو المجاهد[٢] الطائي عن مُحِلّ بن خليفة أن علياً بعث عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي ، وشَبَث بن رِبْعي وزياد بن خَصَفة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه ـ وعمرو بن العاص إلى جانبه ـ قال عدي بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد يا معاوية فإنا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا[٣] وتحقن به الدماء[٤] ، ويؤمَّن[٥] به السبل ، ويصلح ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله بالذي رَأَوْا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك من شيعتك ، فانتَهِ يا معاويةُ لا يصبْكَ الله وأصحابه مثل [ما أصاب الناس] يوم الجمل .

فقال له معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً[٦] ولم تأت مصلحاً ، هيهات والله[٧] يا عدي ، كلا والله إني لابن حرب ، لا يقعقع[٨] لي بالشِّنان[٩] ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وإنك لمن قَتَلَتِهِ ،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥) .

(٢) في ط : سعيد بن المجاهد ؛ تحريف .

(٣) في ط : وأمرنا .

(٤) في أ : وتحقن دماءنا .

(٥) في أ : ونأمن .

(٦) في ط : مهدداً . واللفظة موافقة لما في الطبري .

(٧) ليست لفظة الجلالة في أ ولا في الطبري .

(٨) في أ : وأنا من لا يقعقع بالشنان له .

(٩) مثل عربي قديم ورد في معجم الأمثال العربية (قعقع ـ شنن) ومصادره فيه مجمع الأمثال (٢/ ٢٦١) وأمثال القاسم بن سلام (٩٦) وجمهرة الأمثال (٢/ ٤١٢) والمستقصى (٢/ ٢٧٤) .

وإني لأرجو أن تكونَ ممَّن يقتله الله به ، وتكلّم شَبَث بن رِبعي وزياد بن خَصَفَة فذكرا من فضل عليٍّ وقالا : إتق الله يا معاوية ولا تخالفه فإنا والله ما رأيا رجلاً قطّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لخصال الخير كلها منه .

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنكم دعوتموني إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فمعنا هي ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نردّ ذلك عليه ولا نتهمه به ، ولكنه آوى قتلته[١] ، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شَبَث بن ربعي : أنشدك الله يا معاوية ، لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان ؟ قال معاوية : [والله] لو تمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلته بعثمان ، ولكني كنت قتلته بغلام عثمان . فقال له شَبَث بن ربعي : وإلّه الأرض والسماء لا تصل إلى قتل عمار حتى تندر الرؤوس عن كواهلها ، ويضيق فضاء الأرض ورحبها عليك . فقال معاوية ولو قد كان ذلك كانت عليك أضيق .

وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه بما قال[٢] .

وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري . وشُرَحبيل بن السِّمْط ، ومعن بن يزيد بن الأخْنَس إلى عليٍّ ، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفةً مهدياً عمل بكتاب الله وثبت[٣] لأمر الله ، فاستثقلتم حياته ، واستبطأتم[٤] وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلته إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم ، فيولي الناس أمرهم منْ جمع عليه رأيهم . فقال له علي : وما أنت لا أم لك ، وهذا الأمر وهذا العزل ، فاسكت فإنكَ لستَ هناك ولا بأهل لذاك . فقال له حبيب : أما والله لتريني[٥] حيث تكره ، فقال له علي : وما أنتَ ولو أجلبتَ بخيلك ورَجِلِكَ لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعِّدْ وصوِّب ما بدا لك .

ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر فإن في مطاوي ذلك الكلام من [كلام] عليٍّ ما ينتقص فيه معاويه وأباه ، وأنهم إنما دخلوا في الإسلام [كرهاً] ولم يزالا في تردد فيه وغير ذلك وأنه قال في غبون ذلك : لا أقول إن عثمان قُتل مظلوماً ولا ظالماً . فقالوا : نحن نبرأ ممن لم يقل إن عثمان قُتل مظلوماً ، وخرجوا من عنده ، فقال عليٌّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٨٠ـ٨١]

---

(١) في أ : قتلة عثمان .

(٢) في أ : فأخبروه الخبر .

(٣) في تاريخ الطبري (٥/٧) : وينيب .

(٤) في أ : واستطلتم .

(٥) في أ : لترين مني .

ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حقكم وطاعة نبيكم ، وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه .

وقد روى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد بإسناده : أن قراء أهل العراق (وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً ، وإن جماعة من قراء العراق) منهم عبيدة السلماني[١] ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبد قيس ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم جاؤوا معاوية[٢] فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان قالوا : فمن تطلب به ؟ قال : علياً ، قالوا : أهو قتله ؟ قال : نعم ! وآوى قتلته ، فانصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال فقال : كذب ! لم أقتله وأنتم تعلمون أني لم أقتله . فرجعوا إلى معاوية فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر بقتله ومالأ عليه[٣] فرجعوا إلى علي [فأخبروه] فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت . فرجعوا [إلى معاوية] فقال معاوية فإن كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان ، فإنهم في عسكره وجنده ، فرجعوا [إلى علي] فقال : علي : تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم سبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن كان الأمر على ما يقول فماله أنفذ[٤] الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن هاهنا ؟ فرجعوا إلى علي فقال علي : إنما الناس مع[٥] المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم ، ورضوا[٦] وبايعوني ، ولست أستحل أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاها ، فرجعوا إلى معاوية فقال : ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟ فرجعوا فقال علي : إنما هذا للبدريين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي ، وقد [تابعني و] بايعني وقد رضي [بي] ، فلا يغرنكم من دينكم وأنفسكم ، قال : فأقاموا يتراسلون في ذلك شهر ربيع الآخر وجماديين ويقرعون في غبون ذلك القرعة بعد القرعة ويزحف بعضهم على بعض ، ويحجز بينهم القراء ، فلا يكون [في ذلك] قتال قال : فقرعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة . قال : وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية فقالا له : يا معاوية على م تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم[٧] منك ومن أبيك إسلاماً ، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان لأنه آوى قتلته ، فاذهبا إليه فقولا له فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام ، فذهبا إلى علي فقالا له ذلك فقال : هؤلاء الذين تريان فخرج خلق كثير فقالوا : كلنا قتلة عثمان

---

(١) في أ : السماني ؛ تحريف .
(٢) في أ : إلى معاوية .
(٣) في ط : أمر رجالاً .
(٤) في أ : انتهز .
(٥) في أ : إنما الناس تبع للمهاجرين .
(٦) في أ : وقد رضوا بي .
(٧) في أ : لأقدم .

فمن شاء فليرمنا [ويكدنا] . قال : فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم قتالاً بل لزما بيوتهما .

وقال عمرو بن سعد بإسناده : حتى إذا كان رجب وخشي معاوية أن يبايع القراء كلهم علياً كتب في سهم من عبد الله الناصح : يا معشر أهل العراق ! إن معاوية يريد أن يفجِّر عليكم الفرات ليغرقكم فخذوا حذركم ، ورمى به في جيش أهل العراق . فأخذه الناس فقرؤوه وتحدثوا به ، وذكروه لعلي فقال : إن هذا ما لا يكون ولا يقع ، وشاع ذلك [فيهم] وبعث معاوية مئتي فاعل يحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك فتشوش[١] أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى علي فقال : ويحكم ! إنه يريد أن يخدعكم ويوهن كيدكم ليزيلكم[٢] عن مكانكم هذا وينزل فيه لأنه خير من مكانه . فقالوا : لابد من أن نخلي[٣] عن هذا الموضع فارتحلوا منه ، وجاء معاوية فنزل بجيشه ـ وكان علي آخر من ارتحل ـ فنزل بهم وهو يقول :

فَلَوْ أنِّي أطعْتُ عَصَمْتُ قَوْمي إلـى رُكْـنِ اليَمـامـةِ أو شَـآمِ[٤]
ولٰكنـي إذا أبْـرَمْـتُ أمْـراً يخالفه[٥] الطّغامُ بنو الطّغامِ

قال : فأقاموا إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في المقاتلة فجعل علي يؤمِّر على الحرب كلَّ يوم رجلاً وأكثر من كان يؤمِّر الأشتر . وكذلك معاوية يُؤمّر كلَّ يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكماله ؛ (وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين) .

قال ابن جرير رحمه الله[٦] : (ثم) لم تزل الرسل تتردَّد بين علي ومعاوية والناس كافّون عن القتال حتى انسلخ المحرمُ من هذه السنة ولم يقع بينهم صلحٌ ، فأمر علي بن أبي طالب يزيدَ بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس : ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استأنيتكم لتراجعوا[٧] الحق ، وأقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا ، وإني قد نبذت[٨] إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي ينادي فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فَعَبَّأا الجيش ميمنة وميسرة ، وبات علي يعبِّىء جيشه من ليلته ، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجَّالتهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجَّالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى قرائهم سعد بن فدكي التميمي ، وتقدم علي إلى الناس أن لا يبدؤوا

(١) في أ : فخاف .
(٢) في ط : إنه يريد خديعتكم ليزيلكم .
(٣) في أ : لابد أن نرتحل عن هذا .
(٤) في أ : شمام .
(٥) في أ : يخالفني .
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ١٠) .
(٧) في أ : لترجعوا إلى الحق .
(٨) في أ : وإني قد أعددت إليكم ونبذت .

أحداً[١] بالقتال حتى يبدأ أهل الشام ، وأنه لا يُذَفَّفُ على جريحٍ ولا يتبع مدبرٌ ولا يُكْشفُ سترُ امرأةٍ ولا تُهان ، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم ، وبرز معاوية صبح تلك الليلة ، وقد جعل على الميمنة ابن ذي الكلاع الحميري ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس . ذكره ابن جرير .

وروى (ابن) ديزيل[٢] : من طريق جابر الجعفي ، عن أبي جعفر الباقر زيد[٣] بن الحسن بن علي وغيرهما . قالوا : لما بلغ معاوية سير عليٍّ، سار معاوية نحو عليّ ، واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو أبا الأعور السلمي وعلى الساقة بسر بن أبي أرطاة حتى توافوا جميعاً سائرين إلى جانب صفين[٤] . وزاد ابن الكلبي فقال : جعل على المقدمة أبا الأعور السلمي ، وعلى الساقة بسراً، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر، ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليدوجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة، وعلى رجَّالتها يزيد ابن زحر العنسي[٥] ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى رجالتها حابس بن سعد الطائي، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس وعلى رجالتهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلي، وجعل على[٦] أهل حمص ذا الكلاع وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مُخَلَّد، وقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[٧] : أيها الناس ! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمري ما للشام رجاء[٨] في العراق ولا أموالها، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرها، مع أن القوم وبعدهم أعداءهم ، وليس بعدكم غيركم فإن غلبتموهم لم تغلبوا[٩] إلا مِن أناتكم وصبركم وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لاقوكم بكيد أهل العراق، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإنما ينصر غداً من ينصر اليوم ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا[١٠] بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ [الأعراف : ١٢٨] وقد بلغ علياً خطبة معاوية فقام[١١] في أصحابه فحرضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام .

---

(١) في ا : لا يبدؤوا واحداً .
(٢) هو إبراهيم بن الحسين بن علي الهمذاني ، أبو إسحاق ، إمام ، حافظ ، ثقة ، ـ والنقل من كتابه صفين وهو مفقود ـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٤) .
(٣) في ط : « يزيد » خطأ ، وترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٨) .
(٤) في أ : حتى توافقوا جميعاً بفنا صرير إلى جانب صفين .
(٥) في أ : العبسي .
(٦) في أ : وعلى أهل حمص .
(٧) في أ : خطيباً فقال .
(٨) في ط : رجال العراق .
(٩) في أ : فليس تغلبوهم .
(١٠) تبدأ الآية في أ عند هذه الكلمة ، وفي آخرها : إن الله مع الصابرين .
(١١) في أ : فلما بلغ . . قام في أصحابه أيضاً خطيباً وحضَّهم على الجهاد .

قال جابر الجعفي : عن أبي جعفر الباقر وزيد بن حسن[١] وغيرهما قالوا : سار علي [إلى الشام] في مئة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل علي في مئة ألف أو يزيدون ، وأقبل معاوية في مئة ألف وثلاثين ألفاً ـ رواها[٢] ابن ديزيل في كتابه ـ وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم ، وكان هؤلاء خمسة صفوف[٣] ومعهم ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفاً أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء ، وكان أمير الحرب يومئذ (للعراقيين) الأشتر (النخعي) ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين[٤] حبيب بن مسلمة ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال ، ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق[٥] هاشم بن عتبة ، وأمير الشاميين يومئذ أبا الأعور السلمي فاقتتلوا قتالاً شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا ثم خرج في اليوم الثالث ـ وهو يوم الجمعة ـ عمّار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج[٦] إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالاً شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثي وكان على الخيالة رجلاً فلما توافقا تعارفا فإذا هما أخوان من أم ، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه ، وتراجع الناس من العشي وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج في اليوم الرابع ـ وهو يوم السبت ـ محمد بن علي ـ وهو ابن الحنفية[٧] ـ ومعه جمع عظيم فخرج إليه في كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب[٨] من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه ؟ فلما كادا أن يقتربا قال علي : من المبارز ؟ قالوا محمد ابنك وعبيد الله [بن عمر] ، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم إلى عبيد الله[٩] [بن عمر] فقال له تقدم إلي قال [عبيد الله] له : لا حاجة لي في مبارزتك ، فقال : بلى ، فقال : لا ! فرجع عنه علي وتحاجز الناس يومهم ذلك .

ثم خرج في اليوم الخامس ـ وهو يوم الأحد ـ في العراقيين عبد الله بن عباس وفي الشاميين الوليد بن

---

(١) في ط : « زيد بن أنس » خطأ .
(٢) في أ : وذكر ذلك .
(٣) في أ : وكانوا خمس صفوف .
(٤) في أ : يومئذ الأشتر من جهة علي وأمير الشاميين .
(٥) في أ : وأمير حرب العراقيين .
(٦) في أ : ياسر من جهة علي وخرج . . .
(٧) في أ : محمد بن علي بن الحنفية ؛ خطأ .
(٨) في أ : فخرج إليه من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جحفل كثير من الشاميين فطلب .
(٩) في أ : وأمر ابنه أن يكف عنه وتقدم علي إلى عبيد الله .

عقبة ، واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وجعل الوليد ينال من ابن عباس فيما ذكره أبو مخنف ويقول : قتلتم خليفتكم ولم تنالوا ما طلبتم ؛ ووالله إن الله ناصرنا عليكم . فقال له ابن عباس : فابرز إلي فأبى عليه ، ويقال إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالاً شديداً بنفسه رضي الله عنه .

ثم خرج في اليوم السادس ـ وهو يوم الإثنين ـ وعلى الناس من جهة العراقيين[١] قيس بن سعد [بن عبادة] ، ومن جهة أهل الشام ابن ذي الكلاع فاقتتلوا قتالاً شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا .

ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع ـ وهو يوم الثلاثاء [من جهة علي] ـ وخرج إليه قِرْنه [من جهة معاوية] حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالاً شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً في هذه الأيام كلها .

قال أبو مخنف : حدَّثني مالك بن أعين الجُهَني ، عن زيد بن وهب : أن علياً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء[٢] بعد العصر فقال : الحمد لله الذي لا يبرم[٣] ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضلَه ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار وجمعت[٤] بيننا في هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع فلو شاء لعجل النقمة وكان منه التغيير[٥] حتى يكذب الله الظلم ، ويعلم الحقُّ أين مصيرُه ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم : ٣١] ألا وإنكم لاقوا القوم غداً فأطيلوا الليلةَ القيامَ ، وأكثروا تلاوةَ القرآن ، واسألوا الله النصر والصبر والقَوْهم[٦] بالجدّ والحزم وكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها .

قال : ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جُعَيْل[٧] التغلبي فرأى ما يصنعون[٨] فجعل يقول : [من الرجز]

أَصْبَحَتِ الأمَّةُ في أمْرٍ عَجَبْ ... والمُلْكُ مَجموعٌ غداً لمنْ غَلَبْ
فَقُلتُ قَوْلاً صادقاً غيرَ كَذِبْ ... إنّ غداً تهلك أعْلامُ العَرَبْ

قال : ثم أصبح علي في جنوده قد عبَّأهم كما أراد ، وركب معاوية في جيشه قد عبَّأهم كما أراد ، وقد

---

(١) في أ : الإثنين من جهة علي على العراقيين .
(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ١٣) عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر .
(٣) في أ : لا يبرم أحد ما نقض .
(٤) في ط : وألقت ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ١٣) : فلقت .
(٥) في ط : التعسير .
(٦) في ط : والقوة .
(٧) في ط : جعل ؛ وما هنا موافق للطبري (٥/ ١٤) .
(٨) في ط : يصفون .

أمر عليٌّ كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام [ثم زحف الناس بعضهم إلى بعض] فتقاتل[١] الناس قتالاً عظيماً لا يفرُّ أحدٌ من أحد ولا يغلب أحد أحداً ، ثم تحاجزوا عند العشي ، وأصبح عليّ فصلى الفجر بغلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال علي فيما رواه أبو مخنف عن مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب : اللهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته سقفاً لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب [هذه] الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام[٢] ، وما لا يحصى مما نرى وما لا نرى[٣] من خلقك العظيم ، ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق [منافع و] متاعاً ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني[٤] الشهادة وجنب بقية أصحابي من الفتنة . ثم تقدم علي وهو في القلب في أهل المدينة وعلى ميمنته يومئذ عبد الله بن بُديل ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على راياتهم فزحف بهم نحو[٥] القوم ، وأقبل معاوية ـ وقد بايعه أهل الشام على الموت ـ فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة علي على ميسرة أهل الشام وعليها حبيب بن مسلمة ، فاضطره [ابن بُديل] حتى ألجأه إلى القلب ، وفيه معاوية ، وقام عبد الله بن بُديل خطيباً في الناس يحرّضهم على القتال ويحثهم على الصبر والجهاد ، وحرض أمير المؤمنين عليٌّ الناس على الصبر والثبات والجهاد ، وحثهم على قتال أهل الشام ، وقام كل أمير في أصحابه يحرضهم ، وتلا عليهم آيات القتال من أماكن متفرقة من القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ثم[٦] قال : قدموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فإنه أنكأ للسيوف عن الهام ، وألبوا إلى أطراف الرماح فإنه أفوق للأسنة ، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأثبت[٧] للقلب ، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى[٨] بالوقار ، راياتكم لا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي[٩] شجعانكم .

(١) في أ : فتقاتلوا قتلاً .
(٢) في أ : قراراً للأنام والأنعام والهوام .
(٣) في أ : مما يرى ومما لا يرى .
(٤) في أ : فارزقنا .
(٥) في ط : إلى القوم .
(٦) العبارة مختلفة عماهنا في أ .
(٧) في ط : واسكن .
(٨) في أ : وأمسكوا .
(٩) في أ : إلا بيدي .

وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضي الله عنه بارز في أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمئة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق [مبارزة] ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه عليٌّ فتجاولا ساعة ثم ضربه عليٌّ فقتله ثم قال علي : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله ، ثم برز إليه رواد بن الحارث الكلاعي فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيسي فقتله . فتلا[1] علي قوله تعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] ثم نادى ويحك يا معاوية ! ابرز إلي ولا تفني العرب بيني وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : [يا معاوية] اغتنمه فإنه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة ، فقال له معاوية : والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلي لتصيب الخلافة من بعدي ، اذهب إليك ! فليس مثلي يخدع .

وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح فألقاه إلى الأرض فبدت سوءته فرجع عنه [علي] فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون ما هو ؟ قالوا : لا ! قال : هذا[2] عمرو بن العاص تلقاني بسوءته فذكرني بالرحم فرجعت عنه ، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد استك .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : حدَّثنا يحيى ، حدَّثنا[3] نصر[4] ، حدَّثنا عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، عن نمير الأنصاري قال : والله لكأني أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين أما تخافون مقت الله حتى متى ، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال : والله ما سمعنا برئيس أصاب بيده [من القتل] ما أصاب علي يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادُّون زيادة على خمسمئة رجل ، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ثم يجيء فيقول : معذرةً إلى الله وإليكم ، والله لقد هممتُ أن أقلعَه ولكن يحجزني عنه أنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي »[5] قال : فيأخذه فيصفحه ثم يرجع به .

وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر .

وحدَّثنا يحيى (حدَّثنا) ابن وهب ، أخبرني اللَّيث ، عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفّين مع علي ومعاوية .

قال ابن وهب : وأخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط قال : شهدنا صفين مع علي ومعاوية قال فمطرت السماء علينا دماً عبيطاً .

---

(١) في أ : ثم تلا .
(٢) في أ : أتدرون من هو ؟ قالوا : قال : هو عمرو .
(٣) في أ : ثنا يحيى بن نصر .
(٤) هو نصر بن مزاحم المنقري الكذاب صاحب كتاب « صفين » .
(٥) وهو حديث موضوع آفته عمرو بن شمر ، كذاب ، وجابر بن يزيد الجعفي ، ضعيف ، فعلي ما قال هذا أبداً .

قال الليث في حديثه : حتى إن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة : فتمتلىء ونهريقها .

وقد ذكرنا أن عبد الله بن بدير كسر[١] الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة حتى أضافها إلى القلب[٢] فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرَّة وبعث إليه معاوية يأمره بالحملة (والكرَّة) على ابن بُديل ، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق (فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلاثمئة وانجفل بقية أهل العراق) ، ولم يبق مع علي من تلك القبائل إلا أهل مكة[٣] وعليهم سهل بن حنيف ، وثبت ربيعة مع علي رضي الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه ، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلي فقتله الأموي وأقبل يريد علياً وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن حنفية ، فلما وصل إلى علي أخذه علي بيده فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد (بأسيافهما) فقتلاه فقال علي للحسن ابنه (وهو واقف معه) : ما منعك أن تصنع كما صنعا فقال : كفياني أمره (يا أمير المؤمنين) وأسرع إلى عليٍّ أهل الشام فجعل علي لا يزيد قربهم منه سرعة في مشيته ، بل هو سائر على هينته ، فقال له ابنه الحسن : يا أبتِ لو سعيتَ أكثرَ من مشيتك هذه[٤] فقال : يا بني إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطىء به عنه[٥] السعي ولا يعجل به إليه المشي إن أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع عليه [الموت] ثم إن علياً أمر الأشتر النخعي أن يلحق المنهزمين فيردهم فسار فأسرع[٦] حتى استقبل المنهزمين من العراق[٧] فجعل يؤنبهم ويوبخهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على الكرة فجعل طائفة تتابعه[٨] وآخرون يستمرون في هزيمتهم فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه خلق عظيم من الناس فجعل[٩] لا يلقى قبيلة [من الشاميين] إلا كشفها ولا طائفة إلَّا ردها حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بُديل ومعه نحو من ثلاثمئة قد ثبتوا في مكانهم فسألوا عن أمير المؤمنين فقالوا[١٠] حي صالح فالتفوا عليه ، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك ما بين صلاة العصر إلى الغروب[١١] ، وأراد ابن بُديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه

---

(١) في أ : وتهراق وقد ذكر ابن بديل كسر .

(٢) في أ : حتى أدخلها في القلب .

(٣) في أ : المدينة .

(٤) في أ : أكثر من هذا .

(٥) في ط : عند .

(٦) في أ : فيردهم فساق بأسرع سوق .

(٧) بعدها في أ : من بين أيديهم .

(٨) في أ : فتابعه طائفة واستمر آخرون في هزيمتهم .

(٩) في أ : عليه منهم جمع عظيم فرجع بهم إلى أهل الشام فجعل .

(١٠) فسألوه عن أمير المؤمنين فقال .

(١١) في أ : المغرب .

فإنه خير له فأبى عليه (ابن بُديل) ، وحمل نحو معاوية ، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفي يده سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال ، فلما اقترب ابن بُديل حمل عليه[١] جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتيلاً ، وَفَرّ أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح ، فلما انهزم[٢] أصحابه قال معاوية لأصحابه : انظروا إلى أميرهم ، فجاؤوا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فإذا هو عبد الله بن بُديل ، فقال معاوية : هذا والله[٣] كما قال الشاعر ، وهو حاتم الطّائي[٤] : [من الطويل]

أخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ به الحَرْبُ عَضَّها ... وإنْ شَمَّـرَتْ يَـوْمـاً بـه الحَـرْبُ شَمَّـرا

ويَحْمـي إذا مـا المـوتُ حـانَ[٥] لقـاؤُهُ ... كذلك ذو الأشْبالِ يَحْمي إذا ما تأمَّرا[٦]

كَلَيْـثٍ هِـزَبْـرٍ كـان يَحْمـي ذِمـارَهُ ... رَمَتْـهُ المَنـايـا سَهْمَهـا فَتَقَطَّـرا

ثم حمل الأشتر النخعي بمن رجع معه من المنهزمين ، فصدق الحملةَ حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا [وتعاهدوا على الموت و] أن لا يفروا وهم حول معاوية ، فخرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صفٌّ ، قال الأشتر فرأيت هولاً عظيماً ، وكدت أن أفرّ فما ثبتني إلا قول ابن الإطنابة وهي أمه من بلْقين وكان هو معه من الأنصار وهو جاهلي[٧] : [من الوافر]

أبَـتْ لـي عِفَّتـي وأبَـى بَـلائـي ... وإقْـدامـي علـى البَطَـل المُشيـحِ

وإعْطـائـي علـى المَكْـروهِ مـالـي ... وضَرْبي هامةَ الرجلِ[٨] السميحِ

وَقَوْلي كُلَّما جَشَأتْ وَجاشَتْ ... مكـانَـكِ تُحمَـدي أو تَسْتـريحـي

قال : فهذا الذي ثَبّتني في ذلك الموقف .

والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق حملوا حملةً واحدةً ، فلم يبق لأهل الشام صفٌّ إلا أزالوه حتى أفْضَوْا إلى معاوية فدعا بفرسه لينجو عليه ، قال معاوية : فلما وضعتُ رِجْلي في الرِّكاب تمثلتُ بأبيات عَمْرو بن الإطنابة :

أبَتْ لي عِفَّتي وأبَى بَلائي ... وأخْذي الحَمْدَ بالثَّمَن الرَّبيحِ

وإعْطائي على المَكْروهِ مالي ... وَضَرْبي هامَةَ البَطَلِ المُشيحِ

---

(١) في ط : تقدم إليه .

(٢) في أ : فلما انهزموا قال معاوية لأصحابه : انظروا من أميرهم .

(٣) في أ : فتقدم إليه معاوية فعرفه ، قال : هذا عبد الله بن بديل ، وهذا والله .

(٤) ديوان حاتم (١٣٢) والبيت الأول في تاريخ الطبري (٥/ ٢٤) .

(٥) في ط : كان لقاؤه .

(٦) في أ : إذا ما فرا .

(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٢٤) .

(٨) في أ : هامة البطل .

وَقَوْلي كُلَّما جَشَأَتْ وجَاشَتْ مكـانَـكِ تُحمـدي أو تَسْتَـريحـي

قال : فثبت .

ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص [يوم صفين] فقال : اليوم صبر وغداً فخر ، فقال له عمرو : صدقت . قال معاوية : فأصبت خير الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة .

ورواه محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الرحمن بن حاطب ، عن معاوية ، وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الخيالة لعلي فقال له : اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرةُ العراق ، فطمع فيها ، فلما ولي معاوية[١] (ولاه العراق فلم يصل إليها خالد رحمه الله) ، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قد اجتمعت رجع إلى الناس فأنّب بعضَهم وعذر بعضهم وحرّض الناس وثبّتهم ثم تراجع أهلُ العراق فاجتمع شملُهم ودارت رحى الحرب بينهم ، وجالوا في الشاميين وصالوا ، وتبارز الشجعان فقُتل خلقٌ كثيرٌ من الأعيان من الفريقين فإنا لله وإنا إليه راجعون . [وقيل ممن قتل في هذا اليوم][٢] عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين ، واختلفوا فيمن قتله من العراقيين[٣] ، وقد ذكر إبراهيم بن الحسين (بن) ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئذ أميراً على الحرب [من جهة معاوية] أحضر امرأتيه[٤] أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي وبحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيباني ـ فوقفتا وراءه في راحلتين لينظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته ، فواجهته من[٥] جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن خَصَفَة التيمي ، فشدوا عليه شدة رجل واحد[٦] فقتلوه بعدما انهزم عنه أصحابه ، ونزلت ربيعة فضربوا لأميرهم خيمة فبقي طنب[٧] منها لم يجدوا له وتداً فشدوه برجل عبيد الله [بن عمر] ، وجاءت امرأتاه تولولان حتى وقفتا عليه وبكتا عنده ، وشفعت امرأته بحرية إلى الأمير فأطلقه[٨] لهما فاحتملتاه معهما في هودجهما وقتل معه أيضاً ذو الكلاع [الحميري] ، وقال الشعبي : ففي مقتل عبيد الله بن عمر [بن الخطاب] يقول كعب بن جُعَيْل[٩] التغلبي[١٠] : [من الطويل]

أَلا إنَّمـا تَبْكـي العُيـونُ لفـارِسٍ بصِفِّيـن وَلَّـتْ خَيْلُـهُ وَهُـو واقِـفُ

---

(١) في أ : فلما ولي معاوية لم يعطه شيئاً ، ثم إن علياً .
(٢) بدل ما بين الحاصرتين في أ : منهم .
(٣) في أ : من قاتله من أهل العراق من هو .
(٤) في أ : امرأته .
(٥) في أ : فواجهه جيش .
(٦) في أ : شدة واحدة .
(٧) في أ : بقي فيها طنب لم يجدوا له .
(٨) في أ : إلى الأمير أن يطلقه .
(٩) في ط : جعل ، تحريف .
(١٠) الأبيات الثلاثة الأولى في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧) .

تبـدّل مـن أسمـاءَ أسْيـافُ وائـلٍ   وكـانَ فتـىً لـو أخَطَـأتْـهُ المَتـالِـفُ
تـركـنَ عُبَيْـدَ اللهِ بـالقـاعِ ثـاويـاً   تسيـلُ دمـاهُ والعـروق نـوازفُ[١]
يَنـوءُ ويَغْشـاهُ شَـآبيـبُ مـن دمٍ   كمَا لاحَ من جَيْبِ القَميصِ الكَفائفُ
وقدْ صَبَرَتْ حولَ ابن عمٍّ محمدٍ   لَدى الموت أربابُ المَناقبِ شارفُ
فما برحوا حتّى رأى اللهُ صَبْرهمْ   وحتى رقتْ فَوْقَ الأكُفِّ المَصاحِفُ

وزاد غيره فيها :

مَعـاوي لا تَنْهَـضْ بغيـرِ وثيقـةٍ   فـإنـكَ بَعْـدَ اليَـومِ بـالـذُّلِّ عـارِفُ

وقد أجابه أبو جهم الأسدي بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها قصداً .

مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام . وبان وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أن علياً محق وأن معاوية باغ ، وما في ذلك من دلائل[٢] النبوة .

ذكر ابن جرير[٣] من طريق أبي مخنف ، حدَّثني مالك بن أعين الجُهني ، عن زيد بن وهب الجُهني ، أن عماراً قال يومئذ : [أين] من يبتغي رضوان الله ولا يلوي[٤] إلى مال ولا ولد ، قال : فأتته عصابةٌ من الناس فقال : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قُتل مظلوماً ، والله ما قصدُهم الأخذُ بدمه ولا الأخذ بثأره ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمرؤوا الآخرة فَقَلَوْها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقةٌ في الإسلام يستحقُّون بها طاعةَ الناس لهم ولا الولاية عليهم ، ولا تمكَّنتْ من قلوبهم خشيةُ الله التي تمنعُ منْ تمكنتْ من قلبه عن نيل الشهوات ، وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها ، وتحمله على اتّباع الحقّ والميل إلى أهله ، فخدعوا أتباعَهم بقولهم إمامُنا قُتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرةً ملوكاً ، وتلك مكيدةٌ بلغوا بها ما تَرَون ، ولولا ذلك ما تبعهم من الناس رجلان ولكانوا أذلَّ وأخسَّ وأقلَّ ، ولكنَّ قولَ الباطل له حلاوةٌ في أسماعِ الغافلين ، فسيروا إلى الله سيراً جميلاً ، واذكروه ذكراً كثيراً .

---

(١) في أ : من عروق ذوارفِ ، وفي هذه الرواية إقواء ، ورواية الطبري : تمجّ دم الخرق العروقُ الذوارف .
(٢) في أ : وظهر بذلك دلائل النبوة .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨) .
(٤) في ط : من يبتغي رضوان ربه ولا يلوي . وفي تاريخ الطبري (٥/ ٣٩) . ولا يئوب إلى مال .

ثم تقدم فلقيه عمرو بن العاص وعبيد الله بن عمر فلامهما وأنبهما[١] ووعظهما ، وذكروا من كلامه لهما ما فيه غلظة ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت عبد الله بن سلمة يقول : رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالا آخذاً الحربة[٣] بيده ويده ترعد ، فقال : والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات[٤] هجر لعرفت أن مُصْلِحينا على الحق ، وأنهم على الضلالة .

وقال (الإمام) أحمد[٥] : حدَّثنا (محمد بن) جعفر ، حدَّثنا شعبة . وحجاج ، قال : حدَّثني شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة . قال حجاج : سمعت أبا نضرة ، عن قيس بن عُبَاد قال : قلت لعمار بن ياسر : أرأيت قتالكم مع علي رأيا[٦] رأيتموه ، فإن الرأي يخطىء ويصيب ، أو عهد عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة .

وقد رواه مسلم[٧] : من حديث شعبة . وله تمام عن عمار عن حذيفة في المنافقين .

وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما[٨] عن جماعة من التابعين ، منهم الحارث بن سويد ،

---

(١) في أ : وانتهرهما .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣١٩) وإسناده ضعيف ، فإن عبد الله بن مسلمة المرادي قد اختلط ، وسماع عمرو بن مرة منه بعد الاختلاط ، ولذلك قال البخاري : لا يتابع في حديثه .

(٣) في أ : الراية .

(٤) في المسند : شعفات . وسعفات : جمع سَعفة ـ بالتحريك ـ أغصان النخيل .

(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٢٠) وهو حديث صحيح .

(٦) في أ : رأي .

(٧) صحيح مسلم (٢٧٧٩) (١٦) في صفات المنافقين .

(٨) أخرجه الحميدي (٤٠) وأحمد في مسنده (١/ ٧٩) والبخاري (١١١) في العلم ، و(٣٠٤٧) في الجهاد ، و(٦٩١٥) في الديات ، ومسلم رقم (١٣٧٠) والترمذي (١٤١٢) في الديات ، والنسائي (٨/ ٢٤) في القسامة ، وابن ماجه (٢٦٥٨) في الديات ، من طرق عن مطرف ، عن الشعبي ، عن أبي جحيفة ، عن علي . . .
وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٢٢) وأبو داود (٤٥٣٠) في الديات من طريق يحيى بن سعيد ، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن عن قيس بن عباد . .
وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١١٩) وابنه في زوائده على المسند (١/ ١٢٢) والنسائي (٨/ ٢٣) في القسامة ، من طريق قتادة عن أبي حسان الأعرج ، عن علي .
وأخرجه أحمد (١/ ١٠٠ ـ ١٢٦) من طريقين عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه يزيد بن شريك ، عن علي . .
وأخرجه أحمد (١/ ١٥١) عن محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد .

وقيس بن عبادة ، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السّوائي ، ويزيد بن شريك ، وأبو حسان الأعرج وغيرهم أن كلاً منهم قال : قلت لعلي : هل عندكم شيء عهده إليكم رسول الله ﷺ لم يعهده إلى الناس ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ فإذا فيها العقل وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرم ما بين ثبير إلى ثور .

وثبت في الصحيحين[١] أيضاً من حديث الأعمش ، عن أبي وائل ، عن سفيان بن مسلم ، عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : يا أيها الناس ! اتهموا الرأي على الدين ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر لرددتُ على رسول الله ﷺ أمره ، ووالله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه ، غير أمرنا هذا ، فإنا لا نسدّ منه خُصْماً إلا انفتح لنا غيره لا ندري كيف نبالي له .

وقال أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البختري ، قال : قام عمار يوم صفين فقال : إئتوني بشربة لبن ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « آخر شربة تشربها من الدنيا (شربة لبن » .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبي البختري أن عماراً أتي) بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله قال لي : « آخر شراب أشربه (لبن) حين[٤] أموت » .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : حدَّثنا يحيى ، حدثنا نصر[٥] ، حدَّثنا عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي قال : سمعت الشعبي عن الأحنف بن قيس : قال : ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن حوى السكسكي وأبو الغادية الفزاري ، فأما أبو الغادية فطعنه ، وأما ابن حوى فاحتز رأسه . وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها صاع لبن » فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ويحك[٦] ! ما هذا يا عمرو ؟! فيقول له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذي الكلاع قال عمرو لمعاوية : ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمار أو ذي الكلاع ، والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام [إلى علي] ولأفسد علينا جندنا . قال : وكان لا يزال يجيء رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت

---

(١) صحيح البخاري (٤١٨٩) في المغازي ، وصحيح مسلم (١٧٨٥) (٩٤) في الجهاد والسير .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣١٩) ، وهو حديث صحيح .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣١٩) .

(٤) في المسند : حتى .

(٥) في ط : « يحيى بن نصر » خطأ ، فيحيى هو ابن عبد الله االكرابيسي ، ونصر هو ابن مزاحم المنقري الكذاب صاحب كتاب « صفين » ، وقد تقدم هذا الإسناد غير مرة .

(٦) في أ : يقول لعمرو ماهذا ويحك يا عمرو .

عماراً فيقول له عمرو : فما سمعته يقول ؟ فيخلطون حتى جاء [ابن] حوى فقال أنا سمعته يقول :

اليـوم أَلْقَـى الأحبَّـه مُحمَّـــداً وحِــزْبَــه

فقال له عمرو : صدقت أنت إنك لصاحبه[١] ، ثم قال له[٢] : رويداً ، أما والله ما ظفرت يداك ولقد أسخطت ربك .

وقد روى ابن ديزيل من طريق أبي يوسف ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الرحمن الكندي ، عن أبيه ، عن عمرو بن العاص : أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وحَبّة العُرْني .

وساقه من طريق أبان عن أنس مرفوعاً ، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجُعْفي عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعاً : « ما خُيِّر عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » .

وبه عن عمرو بن شمر عن السريِّ عن يعقوب بن راقط[٣] قال : اختصم رجلان في سلب عمار وفي قتله ، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما[٤] إليه ، فقال لهما : ويحكما اخرجا عني ، فإن رسول الله ﷺ قال : ولعبت قريش بعمار ـ : « ما لهم ولعمار ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، قاتله وسالبه في النار » قال : فبلغني أن معاوية قال : إنما قتله من أخرجه ، يخدع بذلك أهل الشام .

وقال إبراهيم بن الحسين : حدَّثنا يحيى ، حدَّثنا عدي[٥] بن عمر ، حدَّثنا هشيم ، حدَّثنا العوام بن حوشب عن[٦] الأسود بن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد ـ وكان يأتي من عند علي ومعاوية ـ قال : بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطب[٧] كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية لعمرو : ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟! . ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقاتل معنا ؟ فقال له إن رسول الله ﷺ أمرني بطاعة والدي ما كان حياً وأنا معكم ولست أقاتل .

---

(١) في أ : صدقت أنت صاحبه .
(٢) في أ : ثم قال لابن حوى .
(٣) في أ : ابن أوسط .
(٤) في أ : فتحاكما .
(٥) في أ : عيسى .
(٦) في ط : « بن » وهو تحريف بين ، فالعوام بن حوشب هو ابن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي ، من رجال التهذيب ، والأسود بن مسعود هو العنبري البصري ، من رجال التهذيب أيضاً ، وكلاهما ثقة .
(٧) في أ : لتطيب نفس كل .

وحدَّثنا يحيى حدثنا[١] نصر ، حدَّثنا حفص بن عمران البرجمي [قال :] حدَّثني نافع بن عمر الجمحي ، عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله ﷺ أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وحدَّثنا يحيى ، حدَّثنا عبد الرحمن بن زياد ، حدَّثنا هشيم ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو [بن العاص] فقال : إئذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أوما تسمع ما يقول عمرو . فقال معاوية[٢] : صدق ؟ إنما قتله الذين جاؤوا به .

وقال ابن جرير[٣] : وحدَّثنا أحمد بن محمد ، حدَّثنا الوليد بن صالح ، حدَّثنا عطاء بن مسلم ، عن الأعمش قال : قال أبو عبد الرحمن السلمي : كنّا مع علي بصفين وكنا قد وكّلنا بفرسه نفسين يحفظانه ويمنعانه أن يحمل [بنفسه على القوم خوفاً عليه] فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم وقال : لولا أنه انثنى ما رجعت ، قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي فقال : يا هاشم تقدم[٤] ! الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسنة ، وقد فتحت أبواب الجنة[٥] وتزينت الحور العين .

اليـوم ألْقَـى الأحبَّـة مُحمَّـــداً وحِــزْبَـــه

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى ، قال : وحمل حينئذ علي وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد كأنهما : كان ـ يعني عماراً وهاشماً ـ علَماً لهم قال : فلما كان الليل قلت لأدخلن الليلة إلى العسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ ـ وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم ـ فركبت فرسي وقد هدأت الرِّجل ، ثم دخلت عسكرهم فإذا أنا بأربعة يتسامرون[٦] ، معاوية وأبو الأعور السلمي ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خير الأربعة . قال : فأدخلت فرسي بينهم مخافةَ أن يفوتني ما يقول بعضهم لبعض ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبة قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، قال : وما قال ؟ قال[٧] : ألم يكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين ؟ فأتاه

---

(١) في ط : « بن » محرف ، كما بيناه قبل قليل .
(٢) في ط : قال .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٠) .
(٤) في أ : تقدم إلى الجنة .
(٥) في أ : السماء .
(٦) هذه اللفظة غير واضحة في أ .
(٧) في أ : فقال وما قال فقال .

رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: « ويحك يا بن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة، وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر (وكنت مع ذلك) ويحك تقتلك الفئة الباغية » قال فرجع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال: يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول وأخبره[1] الخبر فقال معاوية إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك، أو نحن قتلنا عماراً؟ إنما قتل عماراً من جاء به؟ قال: فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم.

وقال الإمام أحمد[2] : حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش، عن عبد الرحمن بن أبي زياد قال: إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفّين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو: يا أبه أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: « ويحك يا بن سُميَّة تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول عبد الله هذا؟! فقال معاوية لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة، أنحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاؤوا به.

ثم رواه أحمد[3] عن أبي نعيم، عن سفيان الثوري، عن الأعمش به نحوه، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه، وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رضي الله عنه بعيد، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روي من وجوه أخر.

قال الإمام أحمد[4] : حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن خالد، عن عكرمة، عن أبي سعيد الخُدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: « تقتلك الفئة الباغية ».

وقد روى البخاري في صحيحه[5] من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفي، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله ﷺ قال لعمار: « يا ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن، وفي بعض نسخ البخاري: « يا ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ».

وقال أحمد[6] : حدَّثنا سليمان بن داود، حدَّثنا شعبة، حدَّثنا[7] عمرو بن دينار، عن

---

(١) في أ: قال وما يقول فأخبره الخبر.
(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٦١) وهو حديث صحيح.
(٣) المصدر السابق.
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٢) وهو حديث صحيح.
(٥) صحيح البخاري (٤٤٧) في الصلاة، وهي الرواية الثانية التي أشار إليها المصنف رحمه الله. قال بشار: الصحيح عندنا أن البخاري لم يورد هذه الجملة في صحيحه، وقد أخطأ الناشرون في إثباتها، كما بيناه مفصلاً في غير هذا الموضع.
(٦) مسند الإمام أحمد(٣/ ٢٨) وهو حديث صحيح.
(٧) في المسند: حدَّثنا شعبة بن عمرو بن دينار؛ خطأ إنما هو شعبة بن الحجاج بن الورد وعمرو بن دينار يروي عنه.

أبي هشام[١] ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وروى مسلم[٢] من حديث شعبة ، عن [أبي مسلمة ، عن][٣] أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : حدَّثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

(وروى مسلم[٤] أيضاً : من حديث شعبة ، عن خالد الحذاء ، عن الحسن وسعيد بن أبي الحسن عن أمهما خيرة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

ورواه[٥] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن ابن علية ، عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أمه عن أم سلمة به) وفي رواية : وقاتله في النار .

وروى البيهقي[٦] عن الحاكم ، وغيره ، عن الأصم ، عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصغاني ، عن أبي الجوَّاب ، عن عمار بن رزيق ، عن عمّار الدُّهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لعمار) : « إذا اختلف الناس كان ابن سُمية مع الحق » .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في « سيرة علي » : حدَّثنا يحيى بن عبيد[٧] الله الكرابيسي ، حدَّثنا أبو كريب ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن عمّار بن رزيق ، عن عمّار الدُّهني ، عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : إن الله قد أَمَّننا أن يظلمنا ولم يؤمنا أن يفتننا ، أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله ، قلت : أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا اختلف[٨] الناس كان ابن سُمية مع الحق » .

وروى ابن ديزيل عن عمرو بن العاص نفسه حديثاً في ذكر عمار وأنه مع الحق ، وإسناده غريب .

وروى البيهقي[٩] : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الأسفاطي ، حدَّثنا أبو مصعب ، حدَّثنا[١٠] يوسف بن الماجشون ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ،

---

(١) في المسند : عن هشام .

(٢) صحيح مسلم (٢٩١٥) (٧٠) في الفتن وأشراط الساعة .

(٣) ما بينهما ساقط من أ ، ط .

(٤) صحيح مسلم (٢٩١٦) (٧٢) في الفتن وأشراط الساعة وتحرفت (خيرة) في أ ، ط إلى (حرة) وهي خيرة مولاة أم سلمة . تقريب التهذيب .

(٥) صحيح مسلم (٢٩١٦) (٧٣) في الفتن وأشراط الساعة وهو في مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٢) .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٢٢) .

(٧) في أ : عبد الله .

(٨) في أ : اختلفت .

(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٢١) .

(١٠) مكان السند في أ : من طريق يوسف بن الماجشون .

عن مَوْلاةٍ لعمّار قالت : « اشتكى عمار شكوى أرق منها فغُشي عليه ، فأفاق ونحنُ نبكي حوله ، فقال : ما تبكون ؟ أتخشون أن أموت على فراشي ؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر أدمي من الدنيا مذقة من لبن » .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة ، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فترب رأسه قال : فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه جعل ينفض رأسه ويقول : « ويحك يابن سمية تقتلك الفئة الباغية » . تفرد به أحمد ، وما زاده الروافض[٢] في هذا الحديث بعد قوله « الباغية » : لا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة ، فهو كذب وبهت على رسول الله ﷺ فإنه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين ، كما سنورده قريباً إن شاء الله .

قال ابن جرير[٣] وقد ذكر أن عماراً لما قُتل قال علي لربيعة وهمدان : أنتم درعي ورمحي ، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً ، وتقدمهم علي ببغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقاتل ويقول[٤] : [من الرجز]

أَضْـرِبُهـم ولا أرى مُعـاويـهْ الجاحظَ العَيْنِ عَظيم الحاويهْ

قال : ثم دعى عليٌّ معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه عمرو بن العاص [أن يبرز إليه] فقال له معاوية : إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل (قط) إلا قتله ، ولكنك طمعت فيها بعدي ، ثم قدم علي ابنه محمداً في عصابة كثيرة (من الناس) ، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم تبعه علي في عصابة أخرى ، فحمل بهم فقُتِلَ في هذا الموطن خلقٌ كثير من الفريقين (لا يعلمهم إلا الله) وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً ، وطارت أكفٌ ومعاصمُ ورؤوسٌ عن كواهلها ، رحمهم الله . ثم حانت صلاة المغرب فما صلّى بالناس إلّا إيماءً صلاتي العشاءِ واستمرّ القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شراً بين المسلمين ، وتسمى (هذه الليلة) ليلة الهرير ، وكانت ليلة الجمعة تقصفت [فيها] الرماح ونفدت النبال ، وصار الناس إلى السيوف ، وعليٌّ رضي الله عنه يحرّضُ القبائل ، ويتقدَّم إليهم يأمر بالصَّبْر والثبات[٥] وهو أمام الناس في قلب الجيش ، وعلى الميمنة الأشتر [النخعي] ، تولاها بعد قتل[٦] عبد الله بن بُدَيْل عشية الخميس ليلة الجمعة ـ وعلى الميسرة ابن عباس ، والناس يقتتلون من كل جانب [وذلك لما قتل عمار عرف أهل العراق

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥) وهو حديث صحيح .
(٢) في أ : وما رواه بعض الرواة في هذا الحديث ، وهو قوله : لا أنا لها الله .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤١) .
(٤) الأبيات في الطبري (٥/ ٤٢) وهو مع ثلاثة أشطر أخرى في هامشه منسوباً للأشتر عن كتاب صفين (٤٥٤) .
(٥) في أ : ويتقدم إليهم بالأمر بالثبات والصبر .
(٦) في أ : مقتل .

أن أهل الشام بغاة ليس معهم حق] فذكر غير واحد من علماء السير ـ أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت[١] ، وبالنبال حتى فنيت ، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي والرمي بالحجارة والتراب في الوجوه ، وتعاضُوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا[٢] ثم يجلسان يستريحان ، وكل واحد منهما يهمر على الآخر ويهمر عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا [ولا يتمكن أحدهما الفرار من الآخر] فإنا لله وإنا إليه راجعون . ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إيماءً وهم[٣] في القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق[٤] على أهل الشام ، وذلك أن الأشتر النخعي صارت إليه إمرة الميمنة [وكان من الشجعان الأبطال الذين يعرفون الحروب ولا يهابون القتل] ، فحمل بمن معه على أهل الشام وتبعه علي فتنقضت غالب صفوفهم وكادوا ينهزمون[٥] ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح : وقالوا : هذا بيننا وبينكم قد فني الناس فمن للثغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار[٦]

وذكر ابن جرير[٧] وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار برفع المصاحف[٨] عمرو بن العاص ، وذلك لما رأى أن أهل العراق قد ظهروا وانتصروا[٩] في ذلك الموقف ، أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر فإن كلاً من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون . فقال لمعاوية : إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا هذه الساعة إلا اجتماعاً ولا يزيدهم[١٠] إلا فرقة ، أرى أن نرفع المصاحف وندعوهم إليها ، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال [هذه الساعة] وإن اختلفوا فيما بينهم بأن يقول بعضهم نجيبهم وبعضهم[١١] لا نجيبهم ، فشلوا وذهب ريحهم .

وقال الإمام أحمد[١٢] ، حدَّثنا يعلى بن عبيد ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت قال :

---

(١) في أ : تكسَّرت .
(٢) في أ : فكان يقتتل الرجلان حتى يثخنان ثم يجلسان .
(٣) في أ : واستمروا في القتال .
(٤) في أ : وتوجه لأهل العراق على الشام .
(٥) في أ : فانقضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلا الهزيمة والكسر والفرار . . . مكراً منهم بأهل العراق وخديعة .
(٦) في أ : والكافرين .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨) .
(٨) في ط : بهذا هو .
(٩) في ط : استظهروا .
(١٠) في أ : ولا يزيد أهل الشام إلا فرقة واختلافاً .
(١١) في ط : فمن قائل نجيبهم وقائل .
(١٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٥) وهو حديث صحيح .

أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ بالنهروان فيما استجابوا له وفيما فارقوه ، وفيما استحلَّ قتالهم فقال : كنا بصفّين فلما استحرّ القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أرسل إلى علي بمصحف فادْعُهُ إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك [الإجابة إلى كتاب الله] فجاء به رجل [منهم] فقال : بيننا وبينكم كتاب الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣] فقال علي : نعم ! أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله ، قال : فجاءته الخوارجُ ونحن ندعوهم يومئذ القُرّاء وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما ينتظر هؤلاء القوم الذين على التلّ ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فتكلم سهل بن حُنيف فقال : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية ـ يعني[1] الصلح الذي كان بين رسول الله وبين المشركين ـ ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، فجاء عمر إلى رسول الله ، فقال : (يا رسول الله) ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ [قال : « بلى »] وذكر تمام الحديث كما تقدم في موضعه .

[ذكر] رفع أهل الشام المصاحف[2]

فلما رُفعت المصاحفُ قال أهل العراق : نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه .

قال أبو مخنف[3] : حدَّثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً قال :

عباد الله أمضوا إلى حقّكم وصدقكم وقتال عدوكم ، فإنَّ معاويةَ وعمرو بن العاص وابنَ أبي مُعَيْط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سَرْح والضّحّاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شرَّ أطفالٍ وشرَّ رجالٍ ، ويحكم والله إنهم ما رفعوها أنهم يقرؤونها ولا يعملون بما فيها وما رفعوها إلا خديعة ودهاءً ومكيدة . [ومكراً وتخذيلاً لكم وكسراً لحدتكم وقتالكم ، ولم يبق إلا هزيمتهم وفرارهم ونصركم عليهم] فقالوا له : ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ، فقال لهم : (إني) إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فإنهم قد عَصَوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، ونبذوا [أمره] وكتابه . فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبائي في عصابة معهما من القُرّاء الذين صاروا بعد ذلك خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيتَ إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان ، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا مقالتكم لي ، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكفّ عن القتال ، فبعث إليه علي ليكفَّ عن القتال .

---

(١) في أ : يوم .

(٢) جاء هذا العنوان في هامش أ بخط مغاير .

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨) .

وقد ذكر الهيثم بن عدي[١] في كتابه الذي صنَّفه في الخوارج فقال : قال ابن عباس : فحدَّثني[٢] محمد بن المنتشر الهمداني ، عمن شهد صفين وعن ناس من رؤوس الخوارج ممن لا يتهم[٣] على كذب :

أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى ، وقال في علي بعض ما أكره ذكره ، ثم قال : من رائح إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكماً ؟ فحمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه . وكان ممن دعا إلى ذلك [في ذلك اليوم من] سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام في أهل العراق فدعاهم إلى الموادعة والكف وترك القتال والائتمار بما في القرآن ، وذلك عن أمر معاوية له بذلك[٤] رضي الله عنهما ، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه .

فروى أبو مخنف[٥] من وجه آخر أن علياً لما بعث إلى الأشتر قال : قل له إنه (ليس) هذه ساعة ينبغي أن (لا) تزيلني عن موقفي فيها ، إني قد رجوت أن يفتح الله علي ، فلا تعجلني ، فرجع الرسول ـ وهو يزيد بن هانىء ـ إلى علي فأخبره عن الأشتر بما قال[٦] ، وصمم الأشتر على القتال لينتهز الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلي : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال : أرأيتموني ساررت الرسول[٧] ؟ ألم أبعثْ إليه جهرةً وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك ، فقال : عليٌّ لزيد بن هانىء : ويحك ! قل له أقبل إلي ، فإن الفتنة قد وقعت ، فلما رجع إليه يزيد بن هانىء فأبلغه عن أمير المؤمنين أنه (ينصرف عن القتال و) يقبل إليه ، جعل [الأشتر] يتململ[٨] ويقول : ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت له : أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يغني عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشتر إلى علي وترك القتال فقال :

يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن[٩] أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف

---

(١) هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن ، البحتري ، الكوفي ، مختص بمجالس الخلفاء ـ وكتابه الخوارج مفقود ـ ترجمته في كشف الظنون (٦/ ٥١١) .

(٢) في أ : وحدّثني . وفي النص خلافات كثيرة لا تخرج عن المعنى المراد ضربنا عنها صفحاً لكثرتها .

(٣) في أ : لم يتهم .

(٤) في أ : في ذلك .

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩) .

(٦) في أ : فأخبره بما قال الأشتر .

(٧) في ط : سارته .

(٨) في أ : يتمثل .

(٩) في أ : والدهب .

يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزل عليه [القرآن][١] ، فلا تجيبوهم ، (أمهلوني) فإني قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا ! قال : أمهلوني عدوَ الفَرَسِ فإني قد طمعت في النصر ، قالوا إذاً ندخل معك في خطيئتك ، ثم أخذ الأشتر يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام بما حاصله : إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه ، وإن كان باطلاً فاشهدوا لقتلاكم بالنار ، فقالوا : دعنا منك فإنا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً ، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله ، وتركنا قتالهم لله ، فقال لهم الأشتر : خُدعتم والله فانخدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النيب الجَلالة ما أنتم بربانيين بعدها . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسبّوه وسبَّهم فضربوا وجه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فإن الناس تفانوا في هذه المدة ، ولا سيما في هذه الثلاثة أيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهرير . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله ، ولهذا[٢] لم يفرَّ أحدٌ عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً : خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق .

قاله غير واحد منهم [محمد] بن سيرين وسيف وغيره . وزاد أبو الحسن بن البراء ـ وكان في أهل العراق ـ خمسة وعشرون بدرياً ، قال : وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلفوا[٣] في مدة المقام بصفين ، فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مئة [يوم] وعشرة أيام .

قلت : ومقتضى كلام أبي مخنف أنه كان من مستهلّ ذي الحجة في يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوماً ، فالله سبحانه أعلم .

وقال الزُّهري : بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في المنتظم[٤] .

وقد روى البيهقي[٥] : من طريق يعقوب بن سفيان ، عن أبي اليمان ، عن صفوان بن عمرو : كان أهل الشام ستين ألفاً فقتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مئة وعشرين ألفاً فقتل منهم أربعون ألفاً .

---

(١) في أ : وسنة من أنزلت عليه .

(٢) في أ : التي كان آخرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهزيز ، وقد صبر كل من الجيشين للآخر صبراً لم ير مثله لما كان فيهم من الشجعان والأبطال مما ليس يوجد مثلهم في الدنيا ولهذا . .

(٣) في ط : واختلفا .

(٤) المنتظم لابن الجوزي (٥/ ١١٧ـ١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤١٩) .

وحمل البيهقيّ هذه الوقعة على الحديث الذي أخرجاه في الصحيحين[١] (من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن هَمّام بن منبِّه) عن أبي هريرة .

ورواه البخاري[٢] (من حديث شعيب ، عن الزهري ، عن أبي سلمة) عن أبي هريرة ، (ومن حديث شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة) عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة » .

ورواه مجالد عن أبي الحواري عن أبي سعيد مرفوعاً مثله[٣] .

ورواه الثوري عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما[٤] واحدة فبينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » .

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد[٥] عن مهدي وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حِراش عن البراء بن ناجية الكاهلي عن ابن مسعود . قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل[٦] من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً » فقال عمر : يا رسول الله أممّا مضى أم مما بقي ؟ قال : « بلى مما بقي » .

وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في « سيرة علي » [رواه عن إبراهيم] عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله .

وقال أيضاً : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا شريك بن عبد الله النخعي ، عن مجالد ، عن عامر الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله . قال : قال لنا رسول الله ﷺ :

« إن رحى الإسلام ستزول بعد خمسٍ وثلاثين سنة فإن يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا (الدنيا) سبعين عاماً رغداً ، وإن يقتتلوا يركبوا سنن منْ كان قبلهم ؟ » .

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٠٩) في المناقب ، وصحيح مسلم (٢٢١٤) (١٧) في الفتن .

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠٨) في المناقب ومن الطريق التي تليها (٧١٢١) في الفتن .

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٢ و٤٨) وصحيح مسلم (١٠٦٤) (١٥٠) في الزكاة .

(٤) في أ : دعواهما .

(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٩٥) .

(٦) في المسند : فكسبيل .

وقال ابن ديزيل : حدَّثنا عبد الله بن عمر ، حدَّثنا عبد الله بن خراش الشيباني ، عن العَوّام بن حَوْشَب ، عن إبراهيم التيمي[١] . قال قال رسول الله ﷺ :

« تدور رحى الإسلام عند قتل رجل من بني أمية » ـ يعني عثمان رضي الله عنه ـ .

وقال أيضاً : حدَّثنا الحكم عن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ :

أن رسول الله ﷺ دعي إلى جنازة رجل من الأنصار فقال ـ وهو قاعد ينتظرها ـ « كيف أنتم إذا رأيتم خليفتين[٢] في الإسلام ؟ » قال أبو بكر[٣] : أو يكون ذلك في أمة إلَهها واحد ونبيها واحد ؟ قال : « نعم » ! قال : أفأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : « لا ! » قال عمر : أفأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : « لا ! » قال عثمان : أفأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ! بك ينشبون الحرب »[٤] وقال أيضاً عمر [بن الخطاب] لابن عباس : كيف يختلفون وإلَههم واحد وكتابهم واحد وملتهم[٥] واحدة ؟ فقال : إنه سيجيء قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه[٦] ، فيختلفون فيه فإذا اختلفوا فيه اقتتلوا . فأقرّ عمر بن الخطاب بذلك .

وقال أيضاً : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا سعيد بن عبد الرحمن ـ أخو أبي حمزة ـ حدَّثنا محمد بن سيرين قال :

لما قتل عثمان قال عدي بن حاتم : لا ينتطح في قتله عنزان[٧] فلما كان يوم صفين فقئت عينه فقيل : لا ينتطح في قتله عنزان[٨] ، فقال : بلى وتُفقأ عيون كثيرة .

وروي عن كعب الأحبار أنه مر بصفين فرأى حجارتها فقال : لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات ، وإن العرب ستقتتل فيها العاشرة ، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف بها[٩] بنو إسرائيل ويتفانوا كما تفانوا .

---

(١) في الأصل والمطبوع : التميمي ، وهو خطأ ، صوابه : التيمي .
(٢) في ط : إذا راعيتم جيلين .
(٣) في أ : قالوا .
(٤) في ط : يفتنون وقال .
(٥) في أ : وقبلتهم .
(٦) في أ : نفهم .
(٧) هذا المثل في معجم الأمثال العربية لرياض مراد (نطح ـ عنز) وفيه المصادر القديمة التالية : الفاخر (٣١٢) ومجمع الأمثال (٢/ ٢٢٥) وجمهرة الأمثال (٢/ ٣٧٦ و٤٠٣) والمستقصى (٢/ ٢٧٧) .
(٨) في أ : فقيل له ينتطح في قتله عنزان قال .
(٩) في ط : فيها .

وقد ثبت في الحديث[١] أن رسول الله ﷺ قال : « سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم[٢] فيستبيح بيضتهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فمنعنيها » .

ذكرنا ذلك[٣] عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام : ٦٥] قال رسول الله : هذا أهون .

قصة التحكيم[٤]

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكِّم كل واحد من الأميرين ـ علي ومعاوية ـ رجلاً من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه المصلحة للمسلمين . فوكّل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد عليّ أن يوكل عبد الله عباس ـ وليته فعل ـ ولكنه منعه القُرّاء [الخوارج] ممن ذكرنا وقالوا : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري .

وذكر الهيثم بن عدي[٥] في كتاب « الخوارج » : أنَّ أولَ من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه أنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجار . قال علي : فإني أجعل الأشتر حكماً ، فقالوا : وهل سعر الحرب وسعر الأرض إلا الأشتر ؟ قال : فاصنعوا ما شئتم ، فقال الأحنف لعلي : والله لقد رميت بحجر ، إنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل منهم ، يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ، ويبتعد حتى[٦] يصير بمنزلة النجم ، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً ، فإنه لن يعقد عقدة إلا أحلها[٧] ، ولا يحل عقدة عقدتها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها . قال : فأبوا إلا أبا موسى الأشعري فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري ـ وكان قد اعتزل ـ فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال : الحمد لله ، قيل له : وقد جُعلت حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي رضي الله عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته[٨] .

---

(١) الحديث رواه سعد بن أبي وقاص وأخرجه أحمد في المسند (١/ ١٨١ـ١٨٢) ومسلم في صحيحه (٢٨٩٠) (٢٠) في الفتن .
(٢) في ط : من سواهم .
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤١) .
(٤) العنوان ساقط من أ ومكانه فيها : قال .
(٥) في أ : الهيثم بن علي ؛ خطأ .
(٦) في أ : رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد عنهم حتى .
(٧) في أ : إلا حللتها .
(٨) صورة الكتاب في تاريخ الطبري (٥/ ٥٣ـ٥٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما قاضى[١] عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس بأميرنا ، فقال الأحنف : لا تكتب إلا أمير المؤمنين ، فقال علي : امح أمير المؤمنين[٢] واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة[٣] الحديبية حين امتنع أهل مكة [من قوله] « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فامتنع المشركون من ذلك وقالوا : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فكتب الكاتب : هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى عليّ على أهل العراق ومنْ معهم من شيعتهم والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومنْ كان معه من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونحيي ما أحيى الله عزَّ وجلَّ ، ونميت ما أمات الله ، فما وجد الحكمان في كتاب الله ـ وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ عملا به ، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة[٤] .

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما[٥] آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه[٦] ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهما على ما في هذه الصحيفة ، وأجَّلا القضاء إلى رمضان ، وإن أحبّا أن يؤخِّرا ذلك على تراضٍ منهما ، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحكمين أربعمئة من أصحابه ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، وقد ذكر الهيثم [بن عدي] في كتابه في الخوارج أنَّ الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه : هذا ما قاضى عبد الله علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان .

قال معاوية : لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله ، ولكن ليكتب اسمه ، وليبدأ به قبل اسمي لفضله وسابقته ، فرجع إلى علي فكتب كما قال معاوية .

وذكر الهيثم : أن أهل الشام أبوا أن يبدؤوا[٧] باسم علي قبل معاوية ، وباسم أهل العراق قبلهم ، حتى كُتب كتابان ، كتاب لهؤلاء فيه تقديم معاوية على علي ، وكتاب (آخر لأهل العراق بتقديم اسم علي

---

(١) في أ : تقاضي .
(٢) في أ : امحه واكتب .
(٣) في أ : بقضية .
(٤) في أ : المفرقة .
(٥) في أ : ومن الجندين العهود والمواثيق على أنهما .
(٦) في أ : لهما أنصاراً على الذي يتقاضيان عليه ويتفقان .
(٧) في ط : يبدأ .

وأهل العراق على معاوية وأهل الشام ﴾[١] وهذه تسمية من شهد على هذا التحكيم[٢] من جيش علي : عبد الله بن عباس ، والأشعث بن قيس الكندي ، وسعيد[٣] بن قيس الهمداني ، وعبد الله بن الطفيل (المعافري) ، وحجر بن عدي[٤] الكندي ، وورقاء بن سمي العجلي ، وعبد الله بن بلال العجلي ، وعقبة بن زياد الأنصاري ، ويزيد بن جحفة التميمي ، ومالك بن كعب الهمداني ، فهؤلاء عشرة .

وأما من الشاميين فعشرة آخرون ، وهم : أبو الأعور السُّلمي ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد ، ومخارق بن الحارث الزبيدي ، ووائل بن علقمة[٥] العدوي ، وعلقمة بن يزيد الحضرمي ، وحمزة ابن مالك الهمداني ، وسُبيع[٦] بن يزيد الحضرمي ، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، ويزيد بن الحُرّ العبسي .

وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه على الطائفتين . ثم شرع الناس في دفن قتلاهم .

قال الزُّهري : بلغني أنه كان يدفن[٧] في كل قبر خمسون نفساً ، وكان علي قد أسر جماعة من أهل الشام ، فلما أراد الانصراف [عن صفين] أطلقهم ، وكان مثلهم أو قريباً منهم [قد أسرهم أهل الشام] وكان معاوية قد عزم[٨] على قتلهم لظنه أنه[٩] قد قتل أسراهم ، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم[١٠] أطلق معاوية الذين في يده ، ويقال إن رجلاً يقال له عمرو بن أوس ـ من الأزد ـ كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال : امنن علي فإنك خالي ، فقال له : ويحك ! من أين أنا خالك ؟ فقال : إن أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ وهي أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها فأنت خالي ، فأعجب ذلك معاوية وأطلقه .

وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ـ وذكر أهل صفين ـ فقال : كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية فالتقوا في الإسلام معهم على[١١] الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا احتجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، (وهؤلاء في عسكر هؤلاء) فيستخرجون قتلاهم فيدفنوهم وقال الشعبي : هم أهل الجنة ، لقي بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد .

---

(١) مكان القوسين في أ : لهؤلاء بما أرادوا .
(٢) في أ : الكتاب والتحكيم .
(٣) في أ : وسعد ؛ وما هنا موافق للطبري .
(٤) في ط : يزيد ؛ خطأ .
(٥) في أ : بن عمر ؛ وهذا الاسم غير موجود في الطبري .
(٦) في أ : وشبيبة ؛ خطأ وما هنا موافق للطبري .
(٧) في ط : أنه دفن في .
(٨) في ط : قريب منهم في يد معاية وكان قد عزم على قتلهم .
(٩) في أ : لظنه أن علياً .
(١٠) في أ : أطلقهم علي .
(١١) في أ : بتلك الحمية ونهية الإسلام .

[ذكر] خروج الخوارج

وذلك أن الأشعث بن قيس مرَّ على ملأ من بني تميم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أذينة وهي أمه وهو عروة بن جرير من بني ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبي بلال (بن) مرداس بن جرير فقال : أتحكمون في دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجزَ دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤسائهم[١] يعتذرون إلى الأشعث (بن قيس) من ذلك ، قال الهيثم بن عدي : والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي .

(قلت): والصحيح الأول وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل[٢] طوائف من أصحاب علي من القراء وقالوا : لا حكم إلا لله ، فسُمُّوا المُحكِّمية . وتفرَّق الناسُ إلى بلادهم من صفين . وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع علي إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة[٣] سمع رجلاً يقول: ذهب علي ورجع في غير شيء . فقال علي : لَلَّذين فارقناهم [آنفاً] خيرٌ من هؤلاء ، وأنشأ يقول[٤] : [من الطويل]

أخوك الّذي إنْ أحْرَجَتْكَ[٥] مُلِمَّةٌ ... منَ الدَّهْرِ لم يَبْرح لبثِّك راحما[٦]
وليس أخوك بالذي إن تَشَعَّبَتْ ... عليك أمورٌ[٧] ظلَّ يلحاكَ لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة من الكوفة ، ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل[٨] من جيشه قريبٌ من ـ اثني عشر ألفاً ـ وهم الخوارج ، وأبوا أن يساكنوه في بلده ، ونزلوا[٩] بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون (أنه) ارتكبها ، فبعث إليهم عليٌّ رضي الله عنه عبدَ الله بن عباس فناظرهم فرجع اكثرُهم وبقي بقيتهم ، فقاتلهم عليٌّ بن أبي طالب وأصحابه كما سيأتي بيانه (وتفصيله) قريباً إن شاء الله تعالى .

والمقصود أن هؤلاء الخوارج (هم) المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ :

---

(١) في أ : من رؤساء بني تميم .
(٢) في أ : عن الرجل .
(٣) في أ : من صفين فرجع علي إلى الكوفة على طريق هيت ورجع معاوية إلى الشام بأصحابه فلما دخل علي الكوفة . .
(٤) البيتان في تاريخ الطبري (٥/ ٦٣) .
(٥) في أ : أجر ستك .
(٦) في الطبري : واجماً .
(٧) في أ : وليس أخاً لك بالذي قد تشعبت عليك الأمور .
(٨) في أ : انخزل .
(٩) في أ : فنزلوا .

« قال تمرقُ مارقةٌ على حين فرقة من الناس - وفي رواية من المسلمين ، وفي رواية من أمتي - فيقتلها أولى الطائفتين »[١] . وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة .

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع وعفان[٣] حدَّثنا القاسم بن الفضل ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » ورواه مسلم[٤] عن شيبان بن فَرُّوخ ، عن القاسم بن الفضل[٥] ، به .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ :

« تكون أمتي فرقتين تخرج بينهما مارقة تلي قتلها أولاهما » .

ورواه مسلم[٧] من حديث قتادة وداود[٨] بن أبي هند عن أبي نضرة به .

وقال أحمد[٩] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن سليمان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن رسول الله ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس ، سيماهم التحليق : « هم شر الخلق - أو من شر الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق » . قال أبو سعيد : فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

وقال أحمد[١٠] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا عوف[١١] ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد (الخدري) . قال قال رسول الله ﷺ :

« تفترق أمتي فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها[١٢] أولى الطائفتين بالحق » ورواه [أيضاً] عن يحيى القطان عن عوف[١٣] الأعرابي به مثله .

---

(١) في أ : وفي رواية : أولى طائفتين بالحق .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٢ و٩٧) .
(٣) في ط : وعفان بن القاسم بن الفضل ؛ خطأ . وما هنا عن (أ) والمسند .
(٤) صحيح مسلم (١٠٦٥) (١٥٠) في الزكاة .
(٥) في ط : « محمد » خطأ ، وما هنا يعضده ما في صحيح مسلم ، ولا نعرف لشيبان بن فروخ رواية عن رجل اسمه القاسم بن محمد ، وروايته عن القاسم بن الفضل الحداني ثابتة في تهذيب الكمال (١٢/ ٥٩٩) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٥) وفي سنده : حدَّثنا بهز ، حدَّثنا أبو عوانة . وفي متنه : أولاهما بالحق .
(٧) صحيح مسلم (١٠٦٥) (١٥١ و١٥٢) في الزكاة .
(٨) في أ : عن قتادة عن داود بن أبي هند ؛ خطأ ، بل هما طريقان عند مسلم ذكرناهما آنفاً .
(٩) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥) وأخرجه مسلم رقم (١٠٦٥) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٣/ ٧٩) وهو حديث صحيح .
(١١) في أ : عون ؛ تحريف .
(١٢) في أ : فتقتلها ، وما هنا كالمسند .
(١٣) في أ : عون ، تحريف ، وإنما هو عوف بن أبي جميلة العبدي ، المعروف بالأعرابي . من رجال التهذيب .

فهذه طرق متعددة عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قُطَعَة العبدي ، وهو أحد الثقات الرفعاء .

ورواه مسلم[١] أيضاً من حديث سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن الضحاك المشرقيِّ ، عن أبي سعيد بنحوه .

فهذا الحديث من دلائل النبوة ، إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحُكْمُ بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما تزعمه[٢] فرقة الرافضة والجهلة الطغام[٣] ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً [في قتاله له وقد أخطأ فهو] مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الإمام [المصيب] فله أجران [إن شاء الله تعالى] كما ثبت في صحيح البخاري[٤] (من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال :) « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وسيأتي بيان كيفية قتال (علي رضي الله عنه) للخوارج ، وصفة المخدج الذي أخبر عنه عليه السلام فوجد كما أخبر ففرح بذلك علي رضي الله عنه وسجد شكراً لله عزَّ وجلَّ[٥] .

فصل

قد تقدم أن علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ، ذهب إلى الكوفة ، فلما دخلها انعزل[٦] عنه طائفة من جيشه ، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً ، وقيل أقل من ذلك ، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا [عليه] أشياء ، فبعث إليهم (عبد الله) بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة (في نفس الأمر) ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلالهم[٧] حتى كان منهم ما سنورده قريباً [إن شاء الله] ، ويقال إن علياً رضي الله عنه ذهب إليهم فناظرهم (فيما نقموا عليه) حتى استرجعهم عما كانوا عليه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم إنهم عاهدوا فنكثوا ما عاهدوا عليه وتعاهدوا[٨] فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام على الناس في ذلك ثم تحيزوا إلى موضع يقال له النهروان ، وهناك قاتلهم[٩] علي كما سيأتي .

---

(١) صحيح مسلم (١٠٦٥) (١٥٣) في الزكاة .
(٢) في أ : تزعمه .
(٣) في أ : أهل الجهل والجور .
(٤) صحيح البخاري (٧٣٥٢) في الاعتصام ، وأوله : إذا حكم الحاكم فاجتهد . .
(٥) في ط : للشكر .
(٦) في أ : اعتزله .
(٧) في أ : على ضلالة .
(٨) في أ : عادوا فنكثوا ما عاهدوه عليه وتعاقدوا .
(٩) في أ : ثم تحيزوا لناحية إلى مكان يقال له النهروان وفيه قاتلهم .

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا إسحاق بن عيسى الطّباع ، حدَّثني يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن عبيد الله[٢] بن عياض بن عمرو القارىء قال : جاء عبد الله بن شدَّاد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قُتل[٣] علي ، فقالت : له يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ حدِّثني[٤] عن هؤلاء القوم الذي قتلهم علي ، فقال : وما لي لا أصدقك ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم ، قال : فإن علياً لما كاتب معاوية وحكَّم الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قُراء الناس فنزلوا بأرضٍ يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميصٍ ألبَسَكهُ اللهُ ، واسمٍ سمّاك له اللهُ ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا لله ، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين (رجل) إلا رجلاً قد حمل القرآن ، فلما (أن) امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحفّ حدث الناس فناداه الناس (فقالوا) يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ، فماذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء : ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية كتبت علي بن أبي طالب ، و(قد) جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف تكتب ؟ قال : أكتب باسمك اللهم ! فقال رسول الله ﷺ : « اكتب » فكتب ، فقال : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً ، يقول الله تعالى في كتابه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم فقام ابن الكوا فخطب الناس فقال يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لنواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، منهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على عليّ

---

(١) مسند أحمد (١/ ٨٦) .

(٢) في أ ، ط : عبد : خطأ .

(٣) في أ ، ط : قبل ، تحريف .

(٤) في ط : فحدثني .

الكوفة ، فبعث علي إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا[١] ذمة فإنّكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] فقالت له عائشة : يا بن شداد فقتلهم فقالوا والله ما بعثت إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة ، فقالت آلله ، قال : ألله الذي لا إله إلا هو قد كان ذلك ، قالت : فما شيء بلغني[٢] عن أهل العراق يقولون ذو الثدي وذو الثدية ؟ قال : قد رأيته وكنت مع علي في القتلى[٣] فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته في مسجد بني فلان [يصلي ويقرأ] ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا ! قالت أجل ! صدق الله ورسوله ، يرحم الله علياً إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث .

تفرد به أحمد وإسناده صحيح ، واختاره الضياء ، ففي هذا السياق ما يقتضي أن عدتهم كانت[٤] ثمانية آلاف ، لكن من القُرّاء ، وقد يكون واطأهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا اثني عشر ألفاً ، أو ستة عشر ألفاً . ولمّا ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقي بقيتهم على ما هم عليه .

وقد رواه يعقوب بن سفيان ، عن موسى بن مسعود ، عن عكرمة بن عمار ، عن سماك أبي[٥] زميل ، عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكَّم الرجال ، وأنه محا اسمه من الإمرة ، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبي ، فأجاب عن الأولين بما تقدم ، وعن الثالث بأن قال : قد كان في السبي أم المؤمنين [عائشة] فإن قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم ، وإن استحللتم سبي أمكم[٦] فقد كفرتم . قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فتقاتلوا . وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما دخل[٧] عليهم ، فناظروه في لبسه إياها ، فاحتج بقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] الآية .

---

(١) في أ : ولا تظلموا .
(٢) في أ : فإنني بلغني .
(٣) في مسند أحمد : وقمت مع علي عليه في القتلى .
(٤) في ط : كانوا .
(٥) في أ : « سماك بن زميل » . خطأ ، فهو أبو زميل سماك بن الوليد الحنفي ، من رجال التهذيب .
(٦) في ط : أمهاتكم .
(٧) في أ : لما خرج إليهم .

وذكر ابن جرير[١] : أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوي في ذلك ، ثم جعلوا يعرضون[٢] له في الكلام ويسمعونه شتماً ويتأولون بتأويل في أقواله[٣] .

قال الشافعي رحمه الله : قال رجل من الخوارج لعلي وهو في الصلاة : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] فقرأ علي : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] .

وقد ذكر ابن جرير[٤] أن هذا [الكلام إنما قاله] وعلي في الخطبة [لا في الصلاة] . وذكر ابن جرير أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلَّا لله ، فتنادوا من كل جانب لا حكم إلَّا لله ، لا حكم إلَّا لله ، فجعل علي يقول : هذه كلمة حق يراد[٥] بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئاً ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا نمنعكم مساجد الله ، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة وتحيزوا إلى النهروان على ما سنذكره بعد حكم الحكمين .

اجتماع الحكمين أبي موسى[٦] وعمرو بن العاص بدومة الجندل

و[كان] ذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين ، وقال الواقدي[٧] : اجتمعوا في شعبان . وذلك أن علياً رضي الله عنه لما كان مجيء رمضان بعث أربعمئة فارس مع شريح بن هانىء ، ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، وإليه الصلاة ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة فارس من أهل الشام ومنهم عبد الله بن عمرو[٨] ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح ـ وهي نصف [المسافة] بين الكوفة والشام ، بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل ـ وشهد [ذلك] معهم جماعة من رؤوس الناس ، كعبد الله بن عمر [بن الخطاب] ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٧٢) .
(٢) في أ : ثم جعلوا بعد ذلك يعرضون له .
(٣) في ط : قوله .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٧٣) .
(٥) في أ : أريد ، وفي تاريخ الطبري : يلتمس .
(٦) في أ : صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعري .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٧١) .
(٨) في ط : بن عمر ؛ خطأ .

وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبي جهم بن حذيفة . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم (أيضاً) ، وأنكر حضوره آخرون .

وقد ذكر ابن جرير[١] : أن عمر بن سعد خرج إلى أبيه وهو على ماءٍ لبني سليم بالبادية معتزل ؛ فقال يا أبة : قد بلغك ما كان من الناس بصفين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفي التقي » والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو بكر الحنفي عبد الكبير بن عبد المجيد ، حدَّثنا بكير[٣] بن مسمار ، عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه حدَّثنا : يا أبة أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » .

وهكذا رواه مسلم في صحيحه[٤] .

وقال أحمد[٥] (أيضاً) : حدَّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدَّثنا كثير بن زيد الأسلمي ، عن المطلب ، عن عمر بن سعد ، عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال : يا أبة : الناس يتقاتلون[٦] على الدنيا وأنت هاهنا[٧] ؟ فقال : يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً ؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب الغني الخفي التقي » . وهذا السياق كان عكس الأول ، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلي ويولونه ؛ فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الإباء ، وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء ، كما ثبت في صحيح مسلم[٨] أن رسول الله ﷺ قال : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » وكان عمر بن سعد هذا يحب [الدنيا و] الإمارة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٧) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١٦٨) .
(٣) في الأصل والمطبوع : بكر ، والتصحيح من مسند أحمد .
(٤) صحيح مسلم (٢٩٦٥) (١١) في الزهد والرقائق .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٧) .
(٦) في ط : يقاتلون .
(٧) قوله : « يا أبة : الناس يتقاتلون على الدنيا وأنت هاهنا » ليست في مسند الإمام أحمد .
(٨) صحيح مسلم (١٠٥٤) (١٢٥) في الزكاة .

السرية[١] التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في موضعه ، ولو قنع بما كان أبوه عليه لم يكن شيء من ذلك ، والله أعلم .

والمقصود أن سعداً رضي الله عنه لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به ، وإنما حضره من ذكرنا . فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين ، ونظرا في تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا علياً ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما ، وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : فولِّ ابني عبد الله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد . فقال له أبو موسى : إنك قد غمست ابنك في الفتن [والدنيا] معك ، وهو مع ذلك رجل صدق .

قال أبو مخنف[٢] : فحدَّثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال عمرو بن العاص : إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم . وكان ابن عمر فيه غفلة ، فقال له ابن الزبير : افطن وانتبه ، فقال ابن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، ثم قال : ياابن العاص إنَّ العرب قد أسندت إليكَ أمرَها بعدما تقارعت بالسيوف ، وتشاكت[٣] بالرماح ، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشدّ منها ، ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه ، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله (بن عمرو) هوالخليفة ، فأبى أيضاً ، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر [بن الخطاب] فامتنع[٤] عمرو أيضاً ، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعلياً ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على منْ يختاروه[٥] لأنفسهم ، ثم جاءا إلى المجمع الذي فيه الناس ـ وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى ، بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالاً ـ فقال له : يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه ، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلَّى على رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلحَ لها ولا ألمَّ لشعثها من رأي [قد] اتفقت أنا وعمرو عليه ، وهو أنّا نخلعُ علياً ومعاوية ونتركُ الأمر شورى ، وتستقبلُ الأمةُ هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه [واختاروه] وإني قد خلعت علياً ومعاوية . ثم تنحَّى ، وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا [قد] قال ما [قد] سمعتم ، وإنه قد خلعَ صاحبه ، وإني قد خلعته [أيضاً] كما خلعه وأثبتُّ صاحبي معاويةَ فإنَّه وليّ عثمان بن عفان ، والطالب بدمه ، وهو أحقُّ الناس بمقامه ـ وكان عمرو (بن العاص) رأى [من المصلحة] أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة

---

(١) في أ : كان من السرية .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٩) .
(٣) في تاريخ الطبري : وتناجزت الرماح .
(٤) في أ : فأبى .
(٥) كذا في أ ،ط وفيها مخالفة للسياق النحوي .

عريضة أربى[١] مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقرَّ معاوية لما رأى [في] ذلك من المصلحة ، [فاجتهد] والاجتهاد يخطىء ويصيب . ويقال إن أبا موسى تكلّم معه[٢] بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله .

وذكر (ابن جرير)[٣] : أن شريح بن هانىء ـ مقدم جيش علي ـ وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابنٌ لعمرو فضربه (بالسوط) ، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم ، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبو موسى فاستحيى من علي فذهب إلى مكة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو ، فاستضعفوا رأي أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص .

فذكر أبو مخنف[٤] ، عن أبي جناب[٥] الكلبي أن علياً لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية ، وعمرو (بن العاص)[٦] ، وأبا الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والوليد بن عقبة[٧] ، فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن في قنوته علياً وحسناً وحسيناً وابن عباس والأشتر (النخعي) ، ولا يصح هذا [عنهم رضي الله عنهم] والله أعلم .

فأما الحديث الذي قال البيهقي في « الدلائل »[٨] : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفّار ، حدَّثنا إسماعيل بن الفضل ، حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، عن زكريا بن يحيى ، عن عبد الله بن يزيد ، وحبيب بن يسار ، عن سويد بن غفلة قال :

إني لأمشي مع علي بشط[٩] الفرات فقال : قال رسول الله ﷺ : « إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا[١٠] حكمَيْن فَضَلاً وأضَلا ، وإن هذه الأمة ستختلف ؛ فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين فيَضلان ويُضِلان من اتبعهما » فإنه حديث منكر ورفعه موضوع ، والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس ، كما نطق به

---

(١) في أ : أعظم .
(٢) في أ : مع عمرو .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٧١) .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٧١) .
(٥) في الأصل والمطبوع : عن أبي حباب ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٦) في أ : وعمراً .
(٧) في ط : عتبة ؛ تحريف .
(٨) دلائل النبوة (٦/ ٤٢٣) .
(٩) في أ : على شط .
(١٠) في أ : فلم يزل اختلافهم حتى يبعثوا حكمين فيَضلان ويُضلان .

هذا[١] الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى قال ابن معين : ليس بشيء .

[ذكر] خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً [بالعداوة والمخالفة وقتال علي إياهم وما روي في ذلك من الأحاديث]

لما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على عليّ وصرحوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بن البرج (الطائي)[٢] وحُرْقوص بن زُهير السَّعدي فقالا : لا حكم إلاَّ لله ، فقال علي : [نعم] لا حكم إلا لله ، فقال له حرقوص : تب [إلى الله] من خطيئتك [وارجع عن قضيتك] واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال علي : قد أردتكم على ذلك فأبيتم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم [كتاباً و] عهوداً وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل : ٩١] الآية . فقال له حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه ، فقال علي : ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه ، فقال له زُرْعة بن البُرْج : أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه[٣] ، فقال علي : تباً لك ما أشقاك ! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له علي : إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم. فخرجا من عنده يحكمان [أمرهما] وفشى فيهم ذلك ، وجاهروا به الناس ، وتعرضوا لعلي في خطبته[٤] وأسمعوه السبَّ والشتمَ والتعريضَ بآيات من القرآن ، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع ، فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه . فقام جماعة منهم كل يقول لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضع إصبعه في أذنيه يقول : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر ويقول : حكم الله ننتظر فيكم . ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم [مساجدنا ما لم تخرجوا علينا ، ولا نمنعنكم نصيبكم من هذا الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم] حتى تقاتلونا .

وقال أبو مخنف[٥] عن عبد الملك بن أبي حرّة[٦] أن علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة اجتمع

---

(١) في أ : كما في هذا الحديث .
(٢) ساقطة من أ وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٥/ ٧٢) .
(٣) في أ : وجه الله ورضوانه فقال له .
(٤) في ط : خطبه .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٧٤) .
(٦) في ط : عن أبي حرّة .

الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الرّاسبيّ فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة ، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال ، أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة .

ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تَدْعونَّكم زينتُها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم[١] عن طلب الحق وإنكار الظلم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

فقال سنان بن حمزة الأسدي : يا قوم إن الرأيَ ما رأيتُم ، وإن الحقَّ ما ذكرتم ، ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنه لابد لكم من عماد وسناد ، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصين[٢] الطائي ـ وكان من رؤوسهم ـ فعرضوا عليه الإمارة [عليهم] فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص (ابن زهير) فأبى ، (وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى) وعرضوها[٣] على عبد الله بن وهب (الراسبي) فقبلها وقال : أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت . واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصين الطائي السنبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] و (كذا) التي بعدها وبعدها ﴿ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ، ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا في القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين .

فبكى[٤] رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السُّلمي ، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس ، وقال في كلامه : اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره ، وإن قتلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته[٥] .

قلت : وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد ، وسبق

---

(١) في أ : ولا يلفتنكم عن طلب الحق وإنكار الظلم أمير مسلط ولا سلطان غشوم .
(٢) في ط : حصن ؛ خطأ .
(٣) في أ : فأبى ثم عرضوها .
(٤) في أ : قال فبكى .
(٥) في أ : أفضل من الصبر والمصير إلى الله ورضوانه وجنته .

في قدره العظيم[١] . وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٥] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، (والأشقياء) في الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها (على الناس) ويتحصنوا بها ويبعثوا[٢] إلى إخوانهم وأضرابهم ـ ممن هو على رأيهم ومذهبهم[٣] ، من أهل البصرة وغيرها ـ فيوافوهم إليها . ويكون اجتماعهم عليها . فقال لهم زيد بن حصن الطائي : إن المدائن لا تقدرون عليها ، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها[٤] منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى[٥] ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يفطن بكم[٦] ، فكتبوا كتاباً عاماً إلى منْ هو على مذهبهم (ومسلكهم) من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى [ذلك] النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم[٧] من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات[٨] وفارقوا سائر القرابات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم (وعقلهم) أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر [والذنوب] الموبقات ، (والعظائم والخطيئات) ، وأنه مما زينه[٩] لهم إبليس (الشيطان الرجيم المطرود عن السموات، الذي نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات ، والله المسؤول أن يعصمنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات) ، وقد تدارك جماعة من الناس[١٠] بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم[١١] ، فمنهم منِ استمرّ على الاستقامة ، ومنهم منْ فرَّ بعد ذلك (فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة) ، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم منْ كانوا كتبوا[١٢] إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت

---

(١) في أ : وسبق في قدره ذلك وما أحسن .
(٢) في أ : ثم يبعثوها .
(٣) في أ : ممن هو على ما هم عليه من أهل البصرة .
(٤) في أ : وسيمنعوها ، وفيها مخالفة للسياق النحوي .
(٥) نهر جوخى : نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، قالوا : ولم يكن ببغداد مثل كورة جوخى . . معجم البلدان (٢/ ١٧٩) .
(٦) في أ : لئلا يشعر .
(٧) في أ : فيمنعونهم .
(٨) في أ : والأعمام والعمات .
(٩) في أ : بزينة .
(١٠) في أ : جماعة منهم .
(١١) في أ : أولادهم وقراباتهم وإخوانهم فردوهم ووبخوهم .
(١٢) في أ : من كاتبوه .

لهم شوكة ومنعة ، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة [وثبات وصبر] وعندهم أنهم متقربون بذلك [إلى الله عزَّ وجلَّ] فهم لا يُصطلى لهم بنار ، ولا يطمع (في) أن يؤخذ منهم بثأر ، وبالله المستعان .

قال أبو مخنف[١] : عن أبي رَوْق ، عن الشَّعبي : أن علياً لما خرجت الخوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى [الأشعري] إلى مكة ، وورد ابن عباس إلى البصرة ، قام في الناس (بالكوفة) خطيباً فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل الكادح[٢] ، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فإن المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمري ، ونحلتكم رأيي ، فأبيتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن فأجار[٣] : [من الطويل]

بذلتُ لهم نُصْحي بمُنْعرج اللِّوى فلم يستبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحى الغدِ

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنَّبهما ، وقال ما فيه حط عليهما[٤] ، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى الجهاد في أهل الشام[٥] ، وعيَّن لهم يوم الإثنين يخرجون فيه ، وكتب[٦] إلى ابن عباس والي البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى (أهل) الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذي حكم به (الحكمان مرود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام ، فهلموا حتى نجتمع) على قتالهم . فكتبوا إليه : أما بعد فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك وإن (شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد) نابذناك على سواء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] ، فلما قرأ عليٌّ كتابهم يئس منهم وعزم على الذهاب إلى الشام ليناجزهم ، وخرج من الكوفة إلى النُّخيلة[٧] في عسكر كثيف ـ خمسة وستين ألفاً ـ وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومئتي فارس من أهل البصرة مع جارية[٨] بن قدامة ألف وخمسمئة ، ومع أبي الأسود الدؤلي ألف وسبعمئة ، فكمل جيش علي في ثمانية وستين ألف فارس ومئتي فارس وقام عليٌّ أمير المؤمنين خطيباً[٩] فحثهم على الجهاد والصبر عند لقاء (العدو) ، وهو عازم على [غزو أهل] الشام ، (فبينما هو كذلك) إذ بلغه أن الخوارج

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٧٧) .
(٢) في هامش أ : القادح .
(٣) البيت لدريد بن الصمة في ديوانه ـ محمد خير بقاعي ـ ص(٤٧) .
(٤) في أ : فرد عليهما فيما حكما به وأنبهما ، وبيّن ما في ذلك من هوى وزور ومحبة للدنيا وقلة نصح ونظر للأمة ، وحط عليهما .
(٥) في أ : الخروج إلى أهل الشام والجهاد فيهم .
(٦) في ط : وندب .
(٧) النُّخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام . معجم البلدان (٥/ ٢٧٨) .
(٨) في أ : حارثة ؛ تحريف ، وجارية بن قدامة ترجمته في الاستيعاب (١/ ٢٢٦) .
(٩) في أ : علي في الناس خطيباً .

قد عاثوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب[١] (صاحب رسول الله ﷺ) ، أسروه وامرأته معه وهي حامل فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وإنكم قد روعتموني فقالوا : لا بأس عليك ، حدِّثنا ما سمعت من أبيك فقال : سمعت أبي يقول : (سمعت رسول الله ﷺ يقول) : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي »[٢] فاقتادوه[٣] بيده ، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم [بسيف] فشق جلده فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذمي ؟ فذهب إلى ذلك الذمي فاستحله [مما فعل] وأرضاه ، وبينا هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه ، فقال له آخر : بغير إذن ولا ثمن ؟ فألقاها ذاك من فمه ، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه ، وجاؤوا إلى امرأته فقالت : إني امرأة حبلى ، ألا تتقون الله ، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها ، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع ، فخافوا غائلتهم[٤] ، وأشاروا على عليّ بأن يبدأ بهؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام[٥] بعد ذلك والناس آمنون من شر هؤلاء فاجتمع الرأي على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً [إذ لو قوي هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقاً وشاماً ، ولم يتركوا طفلاً ولا طفلة ولا رجلاً ولا امرأة ، لأن الناس عندهم قد فسدوا فساداً لا يصلحهم إلا القتل جملة] .

فأرسل علي إلى الخوارج رسولاً من جهته وهو الحارث[٦] بن مرة العبدي ، فقال : اخبر لي خبرهم ، واعلم لي أمرهم واكتب إلي به على الجلية ، فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه ، فلما بلغ ذلك علياً عزم على الذهاب إليهم[٧] أولاً قبل أهل الشام .

[ذكر] مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج

(لما عزم عليٌّ ومن معه من الجيش على البداءة بالخوارج) نادى مناديه في الناس بالرحيل [إليهم] فعبر الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك علي دير عبد الرحمن ، ثم دير أبي موسى ، ثم على شاطىء

---

(١) في أ : بن حباب ، تحريف ، وعبد الله بن خباب ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٨٩٤) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ١١٠) وهو حديث حسن بشواهده ، دون سياق القصة فهي ضعيفة .
(٣) في أ : فقادوه .
(٤) في أ : وديارهم ويفعلوا هذا الصنيع وخافوا غائلتهم .
(٥) في أ : بأن يبدأ بهم ثم إذا فرغ منهم ساروا معه إلى الشام .
(٦) في ط : الحرب ؛ تحريف .
(٧) في أ : علياً سار إليهم وترك أهل الشام .

الفرات ، فلقيه هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير في غيره فإنه [إن سار في غيره] يخشى عليه فخالفه علي فسار على خلاف ما قال [المنجم وقال : نسير ثقة بالله وتوكلاً عليه وتكذيباً لقول المنجم] فأظفره الله عزَّ وجلَّ وقال علي : إنما أردت أن أبين للناس خطأه وخشيت أن يقول (جاهل[١] ، إنما ظفر لكونه وافقه ، وسلك عليٌّ ناحية الأنبار وبعث) بين يديه قيس بن سعد ، وأمره أن يأتي المدائن وأن يتلقاه بنائبها سعد بن مسعود ، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي ـ في جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على علي ، وبعث إلى الخوارج : أن ادفعوا[٢] إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم ثم أنا تارككم وذاهب إلى العرب ـ يعني أهل الشام[٣] ـ ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه. فبعثوا إلى علي يقولون : كلنا قتل إخوانكم ونحن مستحلون دماءهم ودماءكم[٤] ، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم ، (والخطب الجسيم) ، فلم ينفع ، وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنبهم ووبخهم فلم ينجع[٥] ، وتقدم (أمير المؤمنين) علي (بن أبي طالب) إليهم فوعظهم وخوّفهم وحذرهم وأنذرهم[٦] وتوعدهم وقال : إنكم أنكرتم علي أمراً أنتم دعوتموني إليه [وأبيتم إلا إياه] فنهيتكم عنه فلم تقبلوا وها أنا وأنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه ولا ترتكبوا محارم الله فإنكم[٧] قد سوّلت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيّؤوا للقاء الرب عزَّ وجلَّ ، الرواح الرواح إلى الجنة . وتقدموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للنزال فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي السنبسي ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجَّالة حُرقوص بن زُهير السَّعدي . ووقفوا مقاتلين لعليٍ وأصحابه . وجعل عليٌّ على ميمنته : حجر بن عدي ، وعلى الميسرة شبث بن ربعي ومعقل بن قيس الرياحي ، وعلى الخيل[٨] أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجَّالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل المدينة ـ وكانوا (في) سبعمئة ـ قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر عليٌّ أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان[٩] للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا

---

(١) في أ : الناس .
(٢) في أ : أن ابعثوا .
(٣) في أ : منكم لنقتلهم ثم أنا تارككم وذاهبون عنكم إلى الشام .
(٤) في أ : وأموالكم .
(٥) في أ : فلم ينفع ذلك فيهم وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري أتاهم ووبخهم فلم ينجع فيهم .
(٦) في أ : وتهددهم .
(٧) في أ : فإنه .
(٨) في أ : خيالته .
(٩) في أ : الأنصاري يرفع رايته أماناً ويقول .

فيكم[١] إلا فيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون ـ وكانوا في أربعة آلاف ـ فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي[٢] ، فزحفوا إلى عليّ فقدّم علي بين يديه الخيل وقدم منهم الرماة وصفَّ الرجالة وراء الخيالة ، وقال لأصحابه : كُفّوا عنهم حتى يبدؤوكم ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم عليّ ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، وأخرى إلى الميسرة ، فاستقبلهم[٣] الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل أمراؤهم : عبد الله بن وهب ، وحُرقوص (بن زهير) ، وشريح (بن أوفى) ، وعبد الله بن سخبرة (السلمي ، قبحهم الله) .

قال أبو أيوب : وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح فأنفذته من ظهره وقلت له : أبشر يا عدو الله بالنار ، فقال : ستعلم أينا أولى بها صلياً .

قالوا : ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر ، وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول : بؤساً لكم ! لقد ضرَّكم من غرَّكم ، فقالوا : (يا أمير المؤمنين) ومن غرَّهم ؟ قال : الشيطان[٤] وأنفس بالسوء أمارة ، غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون .

ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمئة ، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم .

وقال الهيثم بن عدي في كتاب « الخوارج » : وحدَّثنا محمد بن قيس الأسدي ومنصور بن دينار ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن النزال بن سبرة : أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهله[٥] كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتي به فرده .

وقال أبو مخنف[٦] : حدَّثني عبد الملك بن أبي حرة : أن علياً خرج في طلب ذي الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو حرة ، والريان بن صبرة بن هوذة فوجده الريان في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً ، قال : فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حلمة [كحلمة الثدي] عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الأخرى ثم تنزل[٧] فتعود

---

(١) في أ : في دمائكم .
(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ٨٦) : فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمئة .
(٣) في أ : واستقبلتهم .
(٤) في أ : إبليس .
(٥) في أ : إلى أهليهم .
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٨٨) .
(٧) في أ : ثم تترك .

إلى منكبه كثدي المرأة ، فلما رآه علي قال : أما والله ما كذبت لولا أن تتكلوا على العمل[١] لأخبرتكم بما قضى الله في قتالهم عارفاً للحق .

وقال الهيثم بن عدي في كتابه في « الخوارج » : وحدَّثني محمد بن ربيعة الأخنسي[٢] ، عن نافع بن مسلمة الأخنسي ، قال :

كان ذو الثدية رجلاً من عرنة من بجيلة[٣] ، وكان أسودَ شديدَ السّواد ، له ريح منتنة معروف في العسكر ، (وكان) يرافقنا قبل ذلك وينازلنا وننازله .

وحدَّثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريّان بن صبرة الحنفي . قال : شهدنا النهروان مع علي ، فلما وجد المخدج سجد سجدة طويلة .

وحدَّثني سفيان الثوري ، عن محمد بن قيس الهمداني ، عن رجل من قومه يكنى أبا موسى : أن علياً لما وجد المخدج سجد (سجدة طويلة) .

وحدَّثني يونس بن أبي إسحاق ، حدَّثني إسماعيل[٤] عن حبة العرني ، قال : لما أقبل أهل النهروان[٥] جعل الناس يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي قطع دابرهم . فقال علي : كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فإذا خرجوا من بين الشرايين فقلما يلقون أحداً إلا ألفوا[٦] أن يظهروا عليه .

قال : وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود ، وكان يقال له : ذو الثَّفِنات[٧]

وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال : ما كان عبد الله بن وهب من بغضه علياً يسميه إلا الجاحد .

وقال الهيثم (بن عدي) : حدَّثنا إسماعيل ، عن خالد ، عن علقمة بن عامر قال : سئل علي عن أهل

---

(١) في ا : تتكلوا على غير العمل .
(٢) في أ : الأحمسي .
(٣) في أ : من عرينة من بني بجيلة .
(٤) في أ : إسماعيل بن سعيد بن عروة .
(٥) في أ : لما قتل أهل النهروان .
(٦) في ط : ألبوا .
(٧) في أ : ذو المنقبات ، وفي ط : « ذو البينات » وكله تصحيف ، والصواب ما أثبتنا ، والثفنة : الركبة من البعير ، ونص على ذلك الفيروزآبادي في القاموس المحيط ، قال في « ثفن » : « وعبد الله بن وهب رئيس الخوارج ، لأن طول السجود أثر في ثفناته » .

النهروان أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل : أفمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً . فقيل : فما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بَغَوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا . هذا ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة[١]

الحديث الأول : عن علي رضي الله عنه ، ورواه[٢] عنه : زيد بن وهب ، وسويد بن غفلة ، وطارق بن زياد ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعَبِيدة بن عَمْرو السلماني ، وكليب أبو عاصم ، وأبو كثير وأبو مريم ، وأبو موسى ، وأبو وائل ، [وأبو] الوضيء[٣] فهذه اثنتا عشرة طريقاً إليه ستراها بأسانيدها وألفاظها ، ومثل هذا يبلغ حد التواتر[٤] .

الطريق الأولى

قال مسلم[٥] : حدَّثنا عَبْدُ بن حُميد ، حدَّثنا عبد الرزَّاق بن همام[٦] ، حدَّثنا عبد الملك بن أبي سُليمان ، حدَّثنا سَلمة بن كُهيل ، حدَّثني زيدُ بن وهب الجُهنيُّ أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليٍّ الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي : يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم » . لو يعلمُ الجيش الذين يصيبونهم ، ما قُضي لهم على لسان نبيهم ﷺ ، لا تكَلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عَضُد ليس له ذراع ، على رأس عضده [مثل] حلمة الثَّدي ، عليه شعراتٌ بيضٌ ، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام ، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريِّكم وأموالكم ، و [الله] إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القومَ ، فإنَّهم قد سفكوا الدَّم الحرام وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله .

قال سلمة : فنزلني[٧] زيد بن وهب منزلاً ، حتى مرُّوا على قنطرة فلما التقينا ـ وعلى الخوارج يومئذ

---

(١) في أ : ولنذكر الأحاديث الواردة فيهم الآن المرفوعة إلى رسول الله ﷺ .
(٢) في أ : رواه ـ بلا واو ـ .
(٣) في أ : أبو الرضى فهذه اثنا عشر طريقاً وزاد : طريق أبي جحيفة ، وأبي مؤمن .
(٤) بعده في أ : حديث الثدي الذي تقدم قبل صفحات . قال بشار : في قوله : ومثل هذا يبلغ حد التواتر ، فيه مبالغة ظاهرة ، ذلك أن أكثر هذه الطرق ضعيفة ، كما سيأتي !
(٥) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٦) في الزكاة .
(٦) في الأصل والمطبوع : عن همام ، وهو خطأ ، والتصحيح من صحيح مسلم .
(٧) في ط : « فذكر » ، وما هنا من أ وهو الذي في صحيح مسلم الذي ينقل منه المصنف .

عبد الله بن وهب الراسبي ـ فقال لهم : ألقوا الرماح وسُلّوا سيوفكم واكسروا جفونَها[١] فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلّوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم .

قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان ، فقال[٢] علي : التمسوا فيهم المُخْدَجَ[٣] ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام عليٌّ بنفسه حتى أتى ناساً [قد قتل] بعضهم على بعض ، فقال : أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض[٤] فكبر [علي] ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله .

قال : فقام إليه عَبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله (إلَّا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو) ، فاستحلفه ثلاثاً وهو يحلف له أنه سمعه من رسول الله ﷺ ، هذا لفظ مسلم . وقد رواه أبو داود[٥] عن الحسن بن علي الخلال ، عن عبد الرزاق[٦] بنحوه .

طريق أخرى عن علي[٧]

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا الأعمش وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن سويد بن غَفَلة ، قال قال علي : إذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنّ الحربَ خدعةٌ ، سمعت رسول الله ﷺ : « يخرجُ قومٌ في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البريَّة (يقرؤون القرآنَ لا يجاوز حناجرهم ـ قال عبد الرحمن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ـ) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة[٩] ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » وأخرجاه في الصحيحين[١٠] من طرق عن الأعمش به .

---

(١) في مسلم : « وسلُّوا سيوفكم من جفونها » .
(٢) في ط : قال .
(٣) المخدج : الناقص . اللسان (خدج) .
(٤) في ط : تكرار للجملة ، فقال أخروهم فوجدوهم ممايلي الأرض .
(٥) سنن أبي داود (٤٧٦٨) في السنة .
(٦) مصنف عبد الرزاق (١/ ١٤٧ ـ ١٤٩) .
(٧) مكان العنوان في أبياض ، ولفظه : عنه .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣١) .
(٩) الرّميّة : الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك ، وقيل : هي كل دابة مرمية . النهاية (٢/ ٢٦٨) .
(١٠) صحيح البخاري (٦٩٣٠) في استتابة المرتدين ، ومسلم (١٠٦٦) (١٥٤) في الزكاة .

طريق أخرى

قال (الإمام) أحمد[١] : حدَّثنا أبو نعيم ، وحدَّثنا[٢] الوليد بن القاسم الهمداني ، قالا : حدَّثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن طارق بن زياد قال :

سار علي إلى النهروان قال الوليد في روايته : وخرجنا معه فقتل[٣] الخوارج فقال ٱطلبوا المُخْدَج فإنّ رسول الله ﷺ قال : « سيجيء قومٌ يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلوقهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرقُ السهمُ من الرمية ، سيماهم أو فيهم رجلٌ أسود مخدج اليد في يده شعرات سودٌ ، إن كان فيهم [فقد] قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس » قال الوليد في روايته : فبكينا قال : [ثم] إنا وجدنا المُخْدَجَ فخررنا سجوداً وخرَّ عليٌّ (ساجداً) معنا . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

طريق أخرى

رواه عبد الله بن شداد عن عليّ كما تقدّم قريباً (إيراده) بطوله[٤] .

طريق أخرى عن علي

قال مسلم[٥] : حدَّثني أبو الطَّاهر ويونس بن عبد الأعلى قالا : أخبرنا عبدُ الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بُكير بن الأشَجّ ، عن بُسْر بن سعيد ، عن عُبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله : أن الحرورية لما خرجت ـ وهو مع علي بن أبي طالب ـ قالوا : لا حكمَ إلا لله ، قال علي : كلمةُ حقّ أريدَ بها باطل ، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء « يقولون الحقَّ بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه ـ من أبغض خلق الله ، منهم أسود . إحدى يديه طُبْيُ[٦] شاة أو حلمة ثدي » فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال : ارجعوا فانظروا فوالله ما كذَبْتُ ولا كُذبْتُ ـ مرتين أو ثلاثاً ـ فوجدوه[٧] في خَرِبَة ، فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول علي فيهم . زاد يونس في روايته : قال بُكير : وحدَّثني رجل عن ابن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود . تفرد به مسلم .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٧ و١٠٧) وهو حديث حسن ، وإسناده ضعيف لجهالة طارق بن زياد الكوفي .

(٢) في ط : حدَّثنا ؛ والصحيح ما أثبت وهي طريق أخرى عن إسرائيل .

(٣) في ط : قتل .

(٤) تقدم صفحة ٤٧٢ . وفيه أن عائشة رضي الله عنها سألت عبد الله بن شداد عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان .

(٥) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٧) في الزكاة .

(٦) الطُّبْيُ والطِّبْي : حلمات الضرع . اللسان (طبي) .

(٧) في أ : ثم وجدوه .

طريق أخرى[١]

قال أحمد[٢] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا أيوب ، عن محمد ، عن عَبِيدة ، عن علي قال : ذكرت الخوارج عند علي فقال : فيهم مُخْدجُ اليد (أو مَثْدون[٣] اليد) ؟ - أو قال مودن[٤] اليد - ولولا أن تبطروا لحدَّثْتُكم بما وعدَ اللهُ الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ ، قال : قلت : أنتَ سمعتَه من محمد ﷺ ؟ قال : إي وربِّ الكعبة : إي وربِّ الكعبة ، إي وربِّ الكعبة .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء ، عن ابن سيرين سمعاه ، عن عَبيدة ، عن علي قال قال رسول الله ﷺ :

« يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد ، ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيه ﷺ » قال عَبيدة قلت لعليٍّ : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة [إي ورب الكعبة] .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة قال : قال علي لأهل النهروان : فيهم رجل مثدون اليد أو مخدج[٧] اليد ، لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قتلهم ، (قال عبيدة :) فقلت لعلي : أنت سمعته[٨] ؟ قال : إي ورب الكعبة ، يحلف عليه ثلاثاً .

وقال أحمد[٩] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن ابن عون[١٠] عن محمد قال قال عبيدة : لا أحدثك إلا ما سمعت منه ، قال محمد : فحلف لنا عبيدة ثلاث مرات[١١] ، وحلف له علي قال : لولا أن تبطروا

---

(١) مكان العنوان بياض في أ .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٣) وهو حديث صحيح .
(٣) مثدون اليد : أي صغير اليد مجتمعها ، ويُروى : مُثَدَّن اليد ، أي : تشبه يده ثدي المرأة ، ويُروى : مُثْدن اليد ، ومعناه مخدج اليد ، وقيل المثدن مقلوب ثند يريد أنه يشبه ثندوة الثَّدْي ، وهي رأسه . اللسان (ثدن) .
(٤) المودَن والمَوْدون : القصير العنق الضيّق المنكبين ، الناقص الخلق قال بعضهم : مع قصر ألواح اليدين ، وفي حديث ذي الثدية أنه كان مودون اليد ، وفي رواية : مودن اليد ، وفي أخرى : إنه لمودن اليد ، أي ناقص اليد صغيرها . قال الكسائي وغيره : المودن اليد : القصير اليد . اللسان (ودن) .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٥) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٤) .
(٧) في ط : مخدوج .
(٨) في أ : سمعته من رسول الله ﷺ .
(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٥) .
(١٠) في ط : أبي بن عون ، وهو خطأ .
(١١) في المسند : مرار .

لأنبأتكم[١] ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ قال : قلت أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، (إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة) ، فيهم رجل مُخْدَج اليد ، أو مَثْدُون اليد ، أحسبه قال : أو مُودَن اليد .

وقد رواه مسلم[٢] من حديث إسماعيل بن عُلَيّة وحمّاد بن زيد كلاهما ، عن أيوب ، عن محمد بن المثنى ، عن ابن أبي عدي ، عن ابن عون كلاهما : عن محمد بن سيرين ، عن عَبيدة ، عن علي .

وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين ، وقد حلف (على) أنه سمعه من عبيدة ، وحلف عبيدة أنه سمعه من علي [وحلف عليٌّ] أنه سمعه[٣] من رسول الله ﷺ ، (وقد) قال (علي) : لأنْ أخرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أكذب على رسول الله ﷺ .

طريق أخرى

قال عبد الله ابن (الإمام) أحمد (بن حنبل)[٤] : حدَّثني إسماعيل أبو معمر ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، حدَّثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه قال :

كنت جالساً عند علي ، إذ دخل رجل عليه ثياب السفر ، فاستأذن على عليٍّ ، وهو يكلّم الناسَ ، فشُغل عنه ، فقال علي : إني دخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة فقال [لي] : « كيف أنت وقوم[٥] كذا وكذا ؟ » فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : فقال : « قوم يخرجون من قبل المشرق ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدِّين كما يمرقُ السهمُ من الرميَّةِ ، فيهم رجل مُخْدجُ اليد كأن يديه ثدْيُ حَبَشيَّةٍ » أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم ؟ فذكر الحديث بطوله . ثم رواه عبد الله بن أحمد[٦] عن أبي خيثمة زهير بن حرب ، عن القاسم بن مالك ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن علي ، فذكر نحوه وإسناده جيد [ولم يخرجوه] .

طريق أخرى[٧]

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[٨] : أخبرنا أبو القاسم الأزهري ، أخبرنا علي بن عبد الرحمن

---

(١) في المسند : لنبأتكم .
(٢) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٤) في الزكاة .
(٣) في أ : سمع ذلك .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٦٠) .
(٥) في ط : ويوم .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٦٠) .
(٧) مكان اللفظة بياض في أ .
(٨) تاريخ مدينة السلام (١/ ٥٦١) (بتحقيق الدكتور بشار) .

البَكَّائي[١] أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي[٢] أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني[٣] أخبرنا خالد بن عبيد الله ، عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جحيفة : قال علي :

حين فرغنا من الحرورية[٤] إن فيهم رجلاً ليس في عضده عظم ثَمَّ ، عضده كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عقف ، فالتمسوه فلم يجدوه قال : فما رأيت علياً جزع جزعاً أشد من جزعه يومئذ ، فقالوا : ما نجده يا أمير المؤمنين ، فقال : ويلكم ما اسم هذا المكان ؟ قالوا : النهروان ، قال : كذبتم إنه لفيهم فثورنا[٥] القتلى فلم نجده فعدنا إليه فقلنا : يا أمير المؤمنين ما نجده[٦] ، قال : ما اسم هذا المكان ؟ قلنا : النهروان ، قال : صدق الله ورسوله وكذبتم ، إنه لفيهم فالتمسوه ، فالتمسناه فوجدناه في ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة ثدي المرأة عليها شعرات طوال عقف[٧]

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدَّثنا إسماعيل بن مسلم العبدي ، حدَّثنا أبو كثير مولى الأنصار قال : كنتُ مع سيدي مع علي (بن أبي طالب) حيث قَتَلَ أهل النهروان ، فكأنَّ الناسَ وجدوا في أنفسهم من قتلهم ، فقال عليٌّ : يا أيّها الناسُ إنَّ رسولَ الله ﷺ « قد حدثنا بأقوام يمرقـون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فُوقه ، وإن آيَةَ ذلك أن فيهم رجلاً أسود مُخْدجَ اليدِ ، إحدى يديه كَثَدْي المرأة ، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة ، حوله سبع هلبات فالتمسوه فإني أُراه فيهم » فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه فكبَّر عليٌّ ، فقال : الله أكبر ! صدق الله ورسوله، وإنّه لمُتقلِّدٌ قوساً له عربية، فأخذها بيده فجعل يطعنُ بها في مُخْدَجته[٩] ويقول: صدق الله ورسوله . وكبّر الناسُ حين رأوه واستبشروا ، وذهب عنهم ما كانوا يجدون » تفرد به أحمد .

---

(١) في ط : الكناني ، تحريف ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٩) .

(٢) في ط : « محمد بن عبد الله بن عطاء عن سليمان الحضرمي » ، وهو تحريف قبيح ، والتصحيح من تاريخ الخطيب (١/ ٥٦١) و(٩/ ١٩٨) ، وهو المعروف بمطيَّن ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١) .

(٣) في أ : الحمامي ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ بغداد وتوضيح المشتبه (٢/ ٤١٧) .

(٤) في ط : الحرب .

(٥) ثورنا : بحثنا .

(٦) في أ : ما وحدناه .

(٧) إسناده ضعيف ، عطاء بن السائب ثقة اختلط ، ورواية خالد بن عبد الله عنه بعد الاختلاط ، وانظر بيان ذلك في ترجمة عطاء بن السائب من « تحرير التقريب » ، ولكن متن الحديث صحيح ، كما هو معروف .

(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٨) وهو حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف ، لجهالة أبي كثير مولى الأنصار .

(٩) في أ : إلى مخدجته .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[١] : حدَّثنا أبو خيثمة ، حدَّثنا شبابة بن سوّار ، حدَّثني نعيم بن حكيم ، حدَّثني أبو مريم، حدَّثنا علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال : « إن قوماً يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، علامتهم رجل مُخْدَج [اليد][٢] » .

وقال أبو داود في « سننه »[٣] : حدَّثنا بِشْرُ بن خالد ، حدَّثنا شَبَابة بن سَوّار ، عن نُعَيم بن حكيم ، عن أبي مريم[٤] قال : إن كان ذاك المُخْدج لمعنا يومئذ في المسجد نجالسه بالليل[٥] والنهار ، وكان فقيراً ، ورأيته مع المساكين يشهد طعامَ عليٍّ مع الناس ، وقد كسوتُه برنساً لي . قال أبو مريم : وكان المُخْدج يسمى نافعاً ذا الثُّدية ، وكان في يده مثل ثدي المرأة ، على رأسه حَلَمةُ مثل حَلَمة الثَّدي عليه شعرات مثل سبالة السِّنَّور .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في « الدلائل »[٦] : أخبرنا أبو علي الروذباري ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عمرو بن شوذب المقرىء الواسطي بها ، حدَّثنا شعيب بن أيوب ، حدَّثنا أبو نعيم[٧] الفضل بن دكين ، عن سفيان ـ هو الثوري ـ عن محمد بن قيس ، عن أبي موسى رجلٍ من قومه قال : كنتُ مع علي فجعل يقول : التمسوا المُخْدج فالتمسوه فلم يجدوه . قال : فأخذ يَعْرق ويقول : والله ما كذبت ولا كُذبت . فوجدوه في نهر أو دالية ، فسجد .

طريق أخرى

قال أبو بكر البزار[٨] : حدَّثني محمد بن مثنى ومحمد بن معمر[٩] ، حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥١) وهو حديث حسن ، وإسناده ضعيف لجهالة أبي مريم .

(٢) ساقطة من أ ، ط .

(٣) سنن أبي داود (٤٧٧٠) في السنة ، وإسناده ضعيف .

(٤) في أ : أبو تميم .

(٥) في : الليل .

(٦) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٣) وفيه : أخبرنا أبو الحسين بن محمد الروذباري ، وهو خطأ ، والصواب : أبو علي الحسين ، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن علي .

(٧) سقط من ط ، فصار اسمه كنيةً له !

(٨) البحر الزخار (٣/ ١١٣ ـ ١١٤) ، وإسناده ضعيف لجهالة أبي المؤمن ، فقد تفرد سويد بن عبيد العجلي بالرواية عنه ولم يوثقه أحد وقال الذهبي في الميزان : لا يعرف .

(٩) في أ : معتمر ؛ خطأ .

سُوَيد بن عبيد العجلي ، حدَّثنا أبو مُؤَمِّن ، قال : شهدت علي بن أبي طالب يوم قتل الحرورية ، وأنا مع مولاي فقال : ٱنظروا فإن فيهم رجلاً إحدى يديه مثل ثدي المرأة ، وأخبرني النبي ﷺ أني صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، وقالوا : سبعة نفر تحت النخلة لم نقلبهم بعد فقال : ويلكم ٱنظروا ، قال أبو مؤمن : فرأيت في رجليه حبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه ، فخرَّ عليٌّ ساجداً وقال : أبشروا قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار . ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو مؤمن[١] عن علي غير هذا الحديث .

طريق أخرى

قال البزار[٢] : حدَّثنا يوسف بن موسى ، حدَّثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، سمعت أبا سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : قلت لشقيق بن سلمة ـ يعني أبا وائل ـ حدَّثني عن ذي الثدية ، قال : لما قاتلناهم قال علي : اطلبوا رجلاً علامته كذا وكذا ، فطلبناه فلم نجده ، فبكى [علي] وقال : اطلبوه ، فوالله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، قال : (فطلبناه فلم نجده فبكى وقال : اطلبوه فوالله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، قال : فطلبناه فلم نجده قال : فركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بردي . فلما رآه سجد .

ثم قال البزار : لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن علي إلَّا هذا الحديث[٣]

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[٤] : حدَّثني عبيد الله بن عمرو القواريري ، حدَّثنا حماد بن زيد ، حدَّثنا جميل[٥] بن مرة ، عن أبي الوَضِيء ، قال : شهدت علياً حيث قتل أهل النهروان ، قال : التمسوا المُخدج : فطلبوه في القتلى فقالوا ليس نجده فقال : ٱرجعوا فالتمسوه فوالله ما كَذبت ولا كُذبت ، فرجعوا فطلبوه فردّد ذلك مراراً ، كل (ذلك) يحلفُ بالله ما كذبت ولا كُذبت ، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين ، فاستخرجوه ، فجيء به ، قال أبو الوَضِيء : فكأني أنظر إليه حبشي عليه ثَدْي قد طبق إحدى يديه مثل ثدي المرأة ، عليها[٦] شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع .

وقد رواه أبو داود[٧] عن محمد بن عبيد بن حساب[٨] عن حماد بن زيد حدَّثنا جميل بن مرة حدَّثنا أبو الوضيء ـ واسمه عباد بن نسيب ـ ولكن اختصره .

---

(١) في ط : أبو موسى ؛ تحريف .
(٢) البحر الزخار (٢/ ١٨٦) .
(٣) الأصح أنه مرسل ، فإن في رواية أبي وائل عن علي نظر ، كما أشار أبو حاتم الرازي (العلل ٨٨ ـ ٨٩) .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣٩) وهو حديث صحيح .
(٥) في أ : حميد ؛ تحريف .
(٦) في أ : له حلمة عليها ، وهي زيادة عن المسند .
(٧) سنن أبي داود رقم (٤٧٦٩) .
(٨) في أ : حسان .

قال عبد الله بن أحمد أيضاً[١] : حدَّثنا حجاج بن يوسف الشاعر ، حدَّثني عبد الصمد بن عبد الوراث ، حدَّثنا يزيدُ بن أبي صالح أن أبا الوضيء عباداً حدّثه أنه قال : كنّا عائدين[٢] إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب ، فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شذَّ منا ناسٌ كثيرون ، فذكرنا ذلك لعلي فقال : لا يهولنكم أمرهم فإنهم سيرجعون ، فذكر الحديث (بطوله) قال : فحمد اللهَ علي (بن أبي طالب) وقال : إنّ خليلي أخبرني « أن قائد هؤلاء مُخْدَج اليد على حلمة ثديه شعراتٌ كأنهن ذنب اليربوع » فالتمسوه (فلم يجدوه) فأتيناه فقلنا : (إنا لم نجده) [فقال : التمسوه ، فوالله ما كذبت ولا كُذّبت ، ثلاثاً فقلنا : لم نجده فجاء علي بنفسه][٣] فجعل يقول : اقلبوا ذا ، اقلبوا ذا ؟ حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال : هو ذا ؟ فقال علي : الله أكبر ، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه ، فجعل الناس يقولون : هذا مالك ، هذا مالك[٤] ، فقال علي : ابن مَنْ ؟

وقال عبد الله بن أحمد أيضاً[٥] : حدَّثني حجاج بن الشاعر ، حدَّثني عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدَّثنا يزيد بن أبي صالح أنَّ أبا الوضيء عباداً حدثه قال : كنّا عائدين[٦] إلى الكوفة مع علي ، فذكر حديث المُخْدَج قال علي : فوالله ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ ثلاثاً ، ثم قال علي : أما أن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن ، هذا أكبرهم ، والثاني له جمع كثير ، والثالث فيه ضعف .

وهذا السياق فيه غرابة [شديدة] جداً . وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن ؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الإنس أو شياطين الجن ، إن صح هذا السياق ، والله تعالى أعلم .

والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي ؛ إذ قد روي من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ[٧] وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي تواطأت الروايات عليه صحيح لا يُشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله ﷺ أنه أخبر[٨] عن صفة الخوارج و [صفة] ذي الثدية الذي هو علامة عليهم .

وقد روي ذلك من طريق جماعة من الصحابة (غير علي كما تراها بأسانيدها وألفاظها وبالله

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٠) وإسناده حسن .

(٢) في المسند : عامدين .

(٣) زيادة من المسند .

(٤) في أ : ملك ، والصحيح من المسند والمطبوع .

(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤١) .

(٦) في المسند : عامدين .

(٧) في أ : وأصل القصة محفوظة .

(٨) في أ : أخبره .

المستعان) منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورافع بن عمرو الغفاري ، وسعد بن أبي وقاص ، (وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، وسهل بن حُنيف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عَمرو) ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذَرّ ، وعائشة (أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين)[١] .

وقد قدمنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة وصاحب القصة . ولنذكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج .

الحديث الثاني (عن ابن مسعود رضي الله عنه)

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى بن أبي بُكَيْرٍ ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام ، أحداث ـ أو قال حُدَثاء ـ الأسنان ، يقولون من خيرِ قولِ الناس يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن أدركهم فليقتُلهم ، فإن في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم » .

وقد رواه الترمذي[٣] عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه[٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ثلاثتهم عن أبي بكر بن عيَّاش به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين ، فخبره في ذلك من أقوى الأسانيد[٥] .

الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا سليمان التيمي ، حدَّثنا أنس قال : ذُكِرَ لي أن نبي الله ﷺ قال ـ ولم أسمعه منه ـ : « إنَّ فيكم قوماً[٧] يعبدون ويدأبون[٨] حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسُهم ، يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرمية » .

---

(١) سيأتي بعد ذلك أن منهم سلمان الفارسي ، ولم يرد ذكره هنا !

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٠٤) وهو حديث صحيح .

(٣) سنن الترمذي (٢١٨٨) في الفتن .

(٤) سنن ابن ماجه (١٦٨) المقدمة .

(٥) في أ : الاعتضاد . قال بشار : هكذا قال ، وهذا لا يدل على أن النبي ﷺ أراد بهم الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي . ثم تدبر قول رسول الله ﷺ : « يخرج قوم في آخر الزمان » ، فهل كان زمان سيدنا علي هو آخر الزمان ! ومتن هذا الحديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في صحته .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٩) ، وهو صحيح .

(٧) في ط : فرقة ، والتصحيح من المسند و (أ) .

(٨) في الأصول والمطبوع : يدينون ، والتصحيح من مسند أحمد .

طريقٌ أخرى

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا الأوزاعي ، حدَّثني قتادة ، عن أنس بن مالك وأبي سعيد ، قال أحمد : وقد حدَّثنا أبو المغيرة عن أنس ، عن أبي سعيد (ثم رجع أن النبي ﷺ قال) : « سيكون في أمتي اختلاف وفُرقة ، قومٌ يحسنون القيل ويُسيئون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة ، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فُوقه[٢] ، هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه[٣] ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، مَنْ قاتلهم كان أولى بالله منهم » قالوا : يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال : « التحليق » .

وقد رواه أبو داود في « سننه »[٤] عن نصر بن عاصم الأنطاكي ، عن الوليد بن مسلم ومبشِّر بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأوزاعي ، عن قتادة ، عن أبي سعيد وأنس به . وأخرجه أبو داود وابن ماجه[٥] من حديث عبد الرزاق[٦] ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس وحده . وقد روى البزار[٧] من طريق أبي سفيان ، وأبو يعلى[٨] من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثاً في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله)

قال الإمام أحمد[٩] : حدَّثنا حسن بن موسى ، حدَّثنا أبو[١٠] شهاب ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال :

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٢٤) وهو حديث صحيح .
(٢) في المسند : لا يرجعون حتى يرتدوا على فوقه .
(٣) في ط : أو قتلوه .
(٤) سنن أبي داود (٤٧٦٥) في السنة .
(٥) سنن أبي داود (٤٧٦٦) في السنة ، وسنن ابن ماجه (١٧٥) في المقدمة .
(٦) مصنف عبد الرزاق (١٨٦٦٩) .
(٧) لم أجده في المطبوع من البحر الزخار ، وربما كان من الجزء المفقود .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .
(٩) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٥٣) وهو حديث صحيح .
(١٠) في أ ، ط : ابن شهاب ، وما هنا عن المسند .

كنت[١] مع رسول الله ﷺ عام الجِعِرّانَة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله ، اعْدِلْ ، فقال : « وَيْلَكَ ومَنْ يَعْدِلُ إذالم أَعْدل ؟ لقد خِبت إن لم أكن أعدل » فقال عمر : يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : « معاذ الله أن يتحدَّثَ الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، أو تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق[٢] السهم من الرمية » .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا علي بن عياش ، حدَّثنا إسماعيل بن عياش ، حدَّثني يحيى بن سعيد ، أخبرني أبو الزبير (قال) : سمعت جابراً يقول : بصر عيني وسمع أذني رسول الله ﷺ بالجِعِرّانَة وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبضها للناس يعطيهم ، فقال رجل : اعدل فقال : « وَيْلكَ مَنْ يَعدلُ إذا لم أكن أَعْدِلُ ؟ » فقال عمر (بن الخطاب) : دعني أقتلْ هذا المنافقَ الخبيثَ ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله أن يتحدثَ الناسُ أني أقتلُ أصحابي ، هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

ثم رواه أحمد[٤] عن أبي المغيرة ، عن معاذ بن رفاعة ، حدَّثنا أبو الزبير ، عن جابر (بن عبد الله) قال : لما قسم رسول الله ﷺ غنائم هوازن بالجِعِرّانة قام رجل من بني تميم فقال : اعدلْ يا محمد فقال : « ويلك ومَنْ يعدلُ إن لم أعدل ؟ لقد خبتُ وخسرتُ إن لم أعْدِلْ » . قال : فقال عمر : يا رسول الله ألا أقوم فأقتلُ هذا المنافق ؟ قال : « معاذ الله أن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه » ثم قال رسول الله ﷺ : « إن هذا وأصحاباً له يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق المرماة[٥] من الرمية » قال معاذ : فقال لي أبو الزبير : فعرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني فيه إلا أنه قال النضي[٦] قلت القدح قال : ألست رجلاً عربياً[٧] ؟ .

وقد رواه مسلم[٨] عن محمد بن رُمْح ، عن اللَّيث . وعن محمد بن المُثَنَّى ، عن عبد الوهاب الثقفي .

وأخرجه النسائي من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه .

---

(١) في المسند : جئت .
(٢) في أ : كما يمرق ، وما هنا كالمسند .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٥٤) ، وإسناده حسن من أجل إسماعيل بن عياش ، والحديث صحيح .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٥٥) .
(٥) في ط : كما يمرق السهم ، وما هنا كالمسند .
(٦) في الأصول والمطبوع : النضو ، وقلت ، وهو خطأ ، والتصحيح من المسند .
(٧) في أ : فقال ألست رجلاً غريباً . وفي المسند : ألست برجل عربي .
(٨) صحيح مسلم (١٠٦٣) (١٤٢) في الزكاة .

حديث (رافع)[١] بن عمرو الأنصاري مع حديث أبي ذر رضي الله عنهما

الحديث الخامس عن سعد بن أبي وقاص

قال يعقوب بن سفيان[٢] : حدَّثنا الحميدي[٣] ، حدَّثنا سفيان ـ هو ابن عيينة ـ حدَّثني العلاء بن أبي العباس أنه سمعَ أبا الطفيل يحدِّثُ عن بكر بن قرواش ، عن سعد بن أبي وقاص قال : ذكر رسول الله ﷺ ذا الثديَّة[٤] فقال : « شيطان الردهة كراعي الجَبَل يحتدره[٥] رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم ظَلَمةٍ » قال سفيان : فأخبرني عمار الدُّهني أنه جاء[٦] به رجل يقال له : الأشهب [أو ابن الأشهب] .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد[٧] عن (سفيان) بن عيينة به مختصراً ولفظه « شيطان الرَّدْهة يحتدره » [يعني] رجلاً من بجيلة . تفرد به أحمد . وحكى البخاري[٨] : عن علي بن المديني قال : لم أسمع بذكر بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث[٩] .

وروى يعقوب بن سفيان : عن عبد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حامد الهمداني قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : « قتل عليٌّ شيطان الرَّدهة » قال (الحافظ أبو بكر) البيهقي[١٠] : يريد والله أعلم قتله أصحاب علي بأمره .

وقال الهيثم بن عدي[١١] : حدَّثنا إسرائيل بن يونس ، عن جده أبي إسحاق السبيعي ، عن رجل قال : بلغ سعد بن أبي وقاص أن عليَّ بن أبي طالب قتل الخوارج فقال : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة .

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة منا للتوضيح .

(٢) هذا في القسم الضائع من « المعرفة » ليعقوب ، وقد نقله محققة الفاضل في مستدركه الذي عمل في آخر الكتاب (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦) من البداية والنهاية .

(٣) مسند الحميدي (١/ ١٩٠) رقم (٧٤) .

(٤) الثُّديّة : تصغير الثدي ، وإنما أدخل فيه الهاء وإن كان الثدي مذكراً ، كأنه أراد قطعة من ثدي ، ويُروى ذو اليُدية بالياء بدل الثاء تصغير اليد وهي مؤنثة . النهاية (١/ ٢٠٨) .

(٥) يحتدره ، بالدال المهملة : أي يسقطه .

(٦) في ط : جاء رجل .

(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٩) .

(٨) التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٩٤) .

(٩) ولذلك فإسناده ضعيف .

(١٠) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤) .

(١١) في أ : علي ، تحريف ، والهيثم بن عدي كذاب .

الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري
وله طرق (عنه) الأولى منها

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا بكر بن عيسى ، حدَّثنا جامع بن مطر[٢] الحبطي ، حدَّثنا أبو رؤبة شداد بن عمران القيسي[٣] عن أبي سعيد الخُدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل مُتخشّعٌ حسن الهيئة يصلي ، فقال له رسول الله ﷺ : « اذهب إليه فاقتله [قال] فذهب إليه (أبو بكر) فلما رآه على تلك الحال[٤] كره أن يقتله » . فرجع[٥] إلى رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ لعمر : « اذهب إليه فاقتله » قال : فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله إني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله . قال : « يا علي اذهب فاقتله » فذهب علي فلم يره فرجع ، فقال : يا رسول الله إني لم أره ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقيهم يمرقون من الدين كما يمرُقُ السَّهم من الرمية [ثم] لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه ، فاقتلوهم هم شرّ البريَّة » .

تفرد به أحمد[٦] . وقد روى البزار في « مسنده »[٧] : من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك ، وأبو يعلى[٨] : عن أبي خيثمة ، عن عمر بن يونس ، عن عكرمة بن عمار ، عن يزيد الرَّقاشي ، عن أنس من هذه القصة[٩] وأطول منها وفيها زيادات أخرى .

الطريق الثاني

قال (الإمام) أحمد[١٠] : حدَّثنا أبو أحمد ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن الضحاك المِشْرقيِّ ، عن أبي سعيد الخُدري عن النبي ﷺ في حديث « ذكر قوماً يخرجون على فرقة من الناس

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٥) .
(٢) في الأصول والمطبوع : جامع بن قطر ، وهو خطأ ، والتصحيح من المسند .
(٣) في ط : شداد بن عمر العنسي ؛ وما هنا كالمسند .
(٤) في ط : الحالة .
(٥) في ط : فجاء .
(٦) وإسناده ضعيف ، فإن أبا رؤبة شداد بن عمران مجهول الحال ، وفي ألفاظ الحديث نكارة ظاهرة إذ كيف يكره أبو بكر وعمر قتل من أمر النبي ﷺ في قتله .
(٧) كشف الأستار ١٨٥١٠) .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ١٥٤ـ١٥٦) .
(٩) في أ : عن عكرمة بن عمر ، عن يزيد الرقاشي عن أنس نحواً من هذا أو أطول .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٢) .

مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق » . أخرجاه في الصحيحين[١] كما سيأتي في ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد .

الطريق الثالث

قال (الإمام) أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا عكرمة بن عمار ، حدَّثنا عاصم بن شُميخ ، عن أبي سعيد الخُدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا حلف فاجتهد في اليمين قال : « لا والذي نفس أبي القاسم بيده[٣] ليخرجن قوم من أمتي تحقرون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهمُ من الرمية » قالوا : فهل من علامة يُعرفون بها ؟ قال : « فيهم رجل ذو يُدَيَّة[٤] أو ثُدَيّة مُحَلِّقي رُؤُوسِهم » . قال أبو سعيد : فحدَّثني عشرون أو بضع[٥] وعشرون من أصحاب النبي ﷺ أن علياً ولي قتلهم . قال : فرأيت أبا سعيد بعدما كبر ويديه ترتعش ويقول : قتالهم عندي أحل من قتال عدتهم من الترك . وقد رواه أبو داود[٦] عن أحمد بن حنبل به .

الطريق الرابع

قال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن أبيه ، عن (ابن) أبي نُعْم ، عن أبي سعيد (الخدري) قال : بعث علي وهو باليمن إلى النبي[٨] ﷺ بذُهَيبةٍ في تربتها فقسمها رسول الله ﷺ بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع وبين عُيَينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة[٩] أحد بني كلاب ، وبين زيد الخير[١٠] الطائي ، ثم أحد بني نبهان . قال فغضبت قريش والأنصار . قالوا : يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا ؟ قال : « إنما أتألفهم » . قال : فأقبل رجل غائر العينين ، ناتىء الجبين ، كثُّ اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال : يا محمد اتق الله فقال : « من يطع الله إذا عصيته ؟ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني » قال : فسأل رجل من القوم قتله النبي ﷺ ـ أراه خالد بن

---

(١) صحيح البخاري (٤٠٠٤) في المغازي ، وصحيح مسلم (١٠٦٣) (١٤٣) في الزكاة .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣) .
(٣) في أ : نفس محمد بيده ، وما هنا كالمسند .
(٤) تقدم أنه يجوز يُدية تصغير يد كما يجوز ثُدية .
(٥) في ط : بضعة .
(٦) سنن أبي داود (٣٢٦٤) في الأيمان والنذور ، وإسناده ضعيف ، لجهالة عاصم بن شميخ .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٨ و٧٣) .
(٨) في ط : رسول الله .
(٩) في الأصل والمطبوع : إقحام (أو عامر بن الطفيل) أحد .
(١٠) في ط : الخيل .

الوليد ـ فمنعه ، فلما ولَّى قال : « إن من ضئضئ[١] هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام مروق السَّهم من الرميَّة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » .

رواه البخاري[٢] من حديث عبد الرزاق به ، ثم رواه أحمد[٣] ، عن محمد بن فضيل ، عن عمارة بن القعقاع ، عن عبد الرحمن بن أبي نعم[٤] ، عن أبي سعيد ، وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل ، ولا ينافي سؤال عمر بن الخطاب .

وهو في الصحيحين[٥] من حديث عمارة بن القعقاع بن شبْرمة[٦] : وقال فيه « إنه سيخرج من [ضئضئ هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » وليس المراد بهم أنه يخرج من] صلبه ونسله ، لأن الخوارج الذين ذكرنا[٧] لم يكونوا من سلالة هذا ، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله ، وإنما أراد من ضئضئ هذا ، أي : من شكله وشبهه وصفته فعلاً وقولاً ، فالله أعلم . [وهذا الشكل وهذه الصفة كثيرة في الناس جداً في كل زمان وكل مكان في قرّاء القرآن وغيرهم لمن تأملها ، والله أعلم] . وهذا الرجل [المذكور] هو ذو الخُويصرَة التميمي وسماه بعضهم حرقوصاً ، فالله أعلم .

الطريق الخامس

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا (عفّان ، حدَّثنا) مهدي بن ميمون ، حدَّثنا محمد بن سيرين ، عن معبد بن سيرين ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « يخرجُ أناسٌ من قِبَلِ المشرقِ يقرؤون القرآن لا يجاوز تَرَاقيهم يمرقون من الدين كما يمرقُ السهم من الرَّميَّة ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السَّهم على فُوقه » قيل : ما سيماهم ؟ قال : « سيماهم التحليق أو التسبيد »[٩] ورواه البخاري[١٠] عن أبي النعمان محمد بن الفضل[١١] عن مهدي بن ميمون به .

---

(١) الضئضئ : الأصل ، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه . النهاية (٣/ ٦٩) .
(٢) صحيح البخاري (٧٤٣٢) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤) .
(٤) في أ : نعيم ؛ خطأ .
(٥) صحيح البخاري (٤٣٥١) في المغازي ، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٤) في الزكاة .
(٦) في ط : من سيرته ؛ تحريف .
(٧) في أ : المذكورين .
(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٤) .
(٩) في أ : التسبيل ، تحريف ، وفي المسند : التسبيت ـ بالتاء ـ والتسبيد : هو الحلق واستئصال الشعر ، وقيل : هو ترك التدهّن وغسل الرأس . النهاية (٢/ ٣٣٣) .
(١٠) صحيح البخاري (٧٥٦٢) في التوحيد .
(١١) في أ : محمد بن أبي الفضل ، خطأ .

الطريق السادس

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا محمد بن عبيد ، حدَّثنا سويد بن نجيح ، عن يزيد الفقير قال : قلت لأبي سعيد : إنَّ منَّا رجالاً هم أقرؤنا للقرآن ، وأكثرنا صلاة ، وأوصلنا للرَّحم ، وأكثرنا صوماً ، خرجوا علينا بأسيافهم . فقال أبو سعيد : سمعت النبي ﷺ يقول : « يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة » تفرّد به أحمد ولم يخرجوه في الكتب الستة ، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد (بن نجيح هذا) مستور[٢]

الطريق السابع

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذي الخويصرة[٤] التميمي فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرّميَّة فينظر في قُذَذِه[٥] فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيَّتِهِ[٦] فلا يوجد فيه شيء » ، ثم ينظر في رضافه[٧] فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم[٨] رجل أسود إحدى يديه [أو قال : إحدى ثدييه][٩] مثل ثدي المرأة ، أو مثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ[١٠] ، يخرجون على حين فترة[١١] من الناس » فنزلت فيه ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ [التوبة : ٥٨] الآية . قال أبو سعيد : (فأشهد) أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥٢) وهو حديث حسن .
(٢) قال الحافظ في « تعجيل المنفعة » (١٧٢) : قال أحمد : ما أرى به بأساً ، ووثقه ابن معين . وقال أبو حاتم : شيخ يكتب حديثه .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥٦) .
(٤) في أ : فقال ذو الخويصرة ، وما هنا كالمسند .
(٥) القُذذ : ريش السهم واحدتها قذَّة . النهاية (٤/ ٢٨) .
(٦) النضيُّ : نصل السهم ، وقيل هو السهم . النهاية (٥/ ٧٣) .
(٧) رضف الركبة ورضافها : جلدها وقيل عظمها . اللسان (رضف) .
(٨) في المسند : منهم رجل أسود .
(٩) ما بنيهما ساقط من ط .
(١٠) تدَرْدَر : أي ترجرج تجيء وتذهب . النهاية (٢/ ١١٢) .
(١١) في أ : فرقة .

وأشهد أن علياً حين قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ . ورواه البخاري[١] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر [به] .

ورواه البخاري[٢] [أيضاً] من حديث شعبة . ومسلم[٣] من حديث يونس بن بكير[٤] ، عن الزهري به ، لكن في رواية مسلم : عن حرملة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما ، عن ابن وهب[٥] ، عن يونس ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة ، والضحاك الهمداني [المِشْرقي] عن أبي سعيد به .

ثم رواه أحمد[٦] : عن محمد بن مصعب ، عن الأوزاعي ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة والضحاك المشرقي ، عن أبي سعيد ، فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق ، وفيه أنه عمر هو [الذي] استأذن [رسول الله ﷺ] في قتله ، وفيه « يخرجون على (حين) فرقة من الناس يقتلُهُمْ أَوْلَى الطائفتين بالله » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأني شهدت علياً حين قتلهم ، فالتمس في القتلى فوجد على النعت الذي نعته رسول الله ﷺ .

ورواه البخاري[٧] : عن دُحيم ، عن الوليد ، عن الأوزاعي كذلك .

وقال أحمد[٨] : قرأت على عبد الرحمن : مالك[٩] ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يخرج فيكم قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرّمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر في القدح فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر في الريش[١٠] فلا يرى شيئاً ويتمارى في الفُوق » .

قال عبد الرحمن : حدَّثنا به مالك ـ يعني هذا الحديث ـ

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٣٣) في استتابة المرتدين .
(٢) صحيح البخاري (٣٦١٠) في المناقب .
(٣) صحيح مسلم (١٠٦٤) (١٤٨) في الزكاة .
(٤) في ط : يزيد ، خطأ .
(٥) في أ : وهيب ، خطأ .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٥) .
(٧) صحيح البخاري (٦١٦٣) في الأدب .
(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٠) .
(٩) في الأصول والمطبوع : عبد الرحمن بن مالك ، وهو إقحام .
(١٠) في أ : ثم ينظر في الريش فلا يرى شيء ثم ينظر في القدح فلا يرى شيء ؛ وما هنا كالمسند .

ورواه البخاري[١] عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك به .

ورواه البخاري ومسلم[٢] : عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة وعطاء بن يسار ، عن أبي سعيد به .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا يزيد، حدَّثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى أبي سعيد فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر في الحرورية شيئاً ؟ فقال : سمعته يذكر قوماً يتعمَّقون[٤] في الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، وصومه عند صومهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة ، أخذ سهمه فنظر في نصله فلم ير شيئاً ثم نظر في رضافه فلم ير شيئاً ، [ثم نظر في قدحته فلم ير شيئاً][٥] ثم نظر في القذذ فتمارى هل يرى شيئاً أم لا » ورواه ابن ماجة[٦] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به .

الطريق الثامن

قال (الإمام) أحمد[٧] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن سليمان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق « هم شر الخلق ، أو من شر الخلق تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » قال : فضرب النبي ﷺ لهم مثلاً ـ أو قال قولاً ـ « الرجل يرمي الرمية ـ أو قال الغرض ـ فينظر في النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر في النّضيِّ فلا يرى بصيرة ، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة » فقال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

وقد رواه [مسلم][٨] عن محمد بن المثنى ، عن محمد بن أبي عديٍّ ، عن سُليمان ـ وهو ابن طرخان التيمي ـ عن أبي نَضْرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة ، عن أبي سعيد الخدري بنحوه .

الحديث الثامن[٩]

عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عدي : حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال قال : جاء رجل إلى قوم فقال :

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٨) في فضائل القرآن .
(٢) صحيح البخاري (٦٩٣١) في استتابة المرتدين ، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٧) في الزكاة .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣ ـ ٣٤) .
(٤) في أ : قوماً متعمقين .
(٥) زيادة من المسند .
(٦) سنن ابن ماجه (١٦٩) في المقدمة .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥) .
(٨) صحيح مسلم (١٠٦٤) (١٤٩) في الزكاة .
(٩) لعل المؤلف قد تجاوز السابع ، لأنه عدَّ حديث رافع [الذي سيأتي مع حديث أبي ذر] سابعاً .

لمن هذه الخباء ؟ قالوا : لسَلْمان الفارسي ، قال أفلا تنطلقون معي فيحدِّثنا ونسمع منه[١] ، فانطلق معه بعض القوم فقال : يا أبا عبد الله لو أدنيت خباءك [إلينا] وكنتَ منا قريباً فحدَّثتنا وسمعنا منك ؟ فقال : ومن أنت ؟ قال : فلان بن فلان . قال سَلْمان : قد بلغني عنك معروف . بلغني أنك تخفُّ في سبيل الله ، وتقاتل العدو ، وتخدم أصحاب رسول الله ﷺ ، فإن أخطأتك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ قالوا : فوجد ذلك الرجل قتيلاً في أصحاب النهروان[٢] .

الحديث التاسع
عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا أبو النضر ، حدَّثنا حزام بن إسماعيل العامري ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن يُسَيْر[٤] بن عمرو قال : دخلت على سهل بن حُنيف [الأنصاري] فقلت حدّثني ما سمعت من رسول الله ﷺ قال في الحرورية ، قال : أحدثك ما سمعت من النبي ﷺ لا أزيدك عليه شيئاً ، سمعت رسول الله ﷺ « يذكر قوماً يخرجون من هاهنا ـ وأشار بيده نحو العراق ـ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية » قال : قلت هل ذكر لهم علامة ؟ قال : هذا ما سمعت لا أزيد عليه [شيئاً] .

وقد أخرجاه في الصحيحين[٥] من حديث عبد الواحد بن زياد .

ومسلم[٦] من حديث علي بن مسهر ، والعوام بن حوشب .

والنسائي[٧] من حديث محمد بن فضيل كلّهم عن أبي إسحاق الشيباني به .

وقد رواه مسلم[٨] ، حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا علي بن مسهر ، عن الشيباني عن يُسَيْر بن عمرو قال : سألت سهل بن حُنيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر الخوارج ؟ فقال : سمعته ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ « قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة » .

---

(١) في أ : فتسمع منه .
(٢) في سنده الهيثم بن عدي ، وهو كذاب ، ومتروك .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٦) .
(٤) في ط : بسر ؛ تحريف .
(٥) صحيح البخاري (٦٩٣٤) في استتابة المرتدين ، وصحيح مسلم (١٠٦٨) (١٥٩) في الزكاة .
(٦) صحيح مسلم (١٠٦٨) (١٦٠) في الزكاة .
(٧) السنن الكبرى (٥/ ٣٢) .
(٨) صحيح مسلم (١٠٦٨) (١٥٩) .

حدَّثنا أبو كامل ، حدَّثنا عبد الواحد ، حدَّثنا سليمان الشيباني بهذا الإسناد وقال : « يخرج منه أقوام » .

حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر : حدَّثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب ، حدَّثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن يُسَيْر بن عمرو ، عن سهل بن حنيف ، عن النبي ﷺ قال : « يتيه[1] قومٌ قبل المشرق مُحَلَّقةٌ رُؤوسُهُم » .

الحديث العاشر عن ابن عباس

قال (الحافظ أبو بكر) البزار : حدَّثنا يوسف بن موسى ، حدَّثنا الحسن بن الربيع ، حدَّثنا أبو الأحوص ، عن سِماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « يقرأ[2] القرآن أقوام من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

ورواه ابن ماجة[3] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص بإسناده مثله .

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الإمام أحمد[4] : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا أبو جناب[5] يحيى بن أبي حَيَّة[6] ، عن شهر بن حَوْشب قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من أمتي قوم يسيؤون الأعمال يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : « يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الإسلام ، فإذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم ، وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فردد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال[7] : « الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ! وأشار بيده نحو المشرق » .

---

(١) في أ ، ط : فتنة قوم من قبل . . . ؛ وما هنا عن صحيح مسلم (٢/ ٧٥٠) .

(٢) في أ : ليقرأن ، وهي موافقة لرواية ابن ماجه .

(٣) سنن ابن ماجه (١٧١) في المقدمة ، وهو حديث حسن يشهد له الحديث الذي بعده عند ابن ماجه رقم (١٧٢) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢/ ٨٤) ، وقد أخرجه ابن ماجه من وجه آخر رقم (١٧٢) بإسناد حسن .

(٥) في ط : حساب ، وفي أ : حباب ؛ كلاهما تحريف .

(٦) في ط : حبة ـ بالباء ـ تحريف .

(٧) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٢١) والبخاري في صحيحه (٣٥١١) في المناقب ، ومسلم في صحيحه (٢٩٠٥)(٥٠) في الفتن .

الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الرزَّاق ، أنا مَعْمر ، عن قتادة عن شَهْر بن حَوْشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام ، فأخبرت بمقام يقومه نَوْف البكالي ، فجئته فجاء رجل فانتبذ[٢] الناس ، عليه خميصة ، فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، فلما رآه نوف أمسك عن الحديث ، فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجَر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضهم ، تقذرهم نفس الرحمن[٣] ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلَّف » قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيخرج ناس من أمتي [من] قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلَّما خرج منهم قرن قُطِع حتى عدها زيادة على عَشر مرَّات ، كُلَّما خرج منهم قرن قُطع حتى يخرج الدجال في بقيَّتهم » .

وقد روى أبو داود[٤] أوله في كتاب الجهاد من « سننه » عن القواريري ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة [به] وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

الحديث الثالث عشر عن أبي ذر

قال مسلم بن الحجاج[٥] : حدَّثنا شيبان بن فرّوخ ، حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، حدَّثنا حُميد[٦] بن هلال ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر . قال قال رسول الله ﷺ : « إن بعدي من أمتي ـ أو سيكون بعدي من أمتي ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميَّة لا يعودون فيه [هم] شر الخلق والخليقة » .

قال ابن الصامت : فلقيت رافع بن عمرو الغفاري أخا الحَكَم[٧] الغفاري . قلت : ما حديث سمعته من أبي ذرٍّ كذا وكذا ؟ فقال : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ . لم يروه البخاري .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٩٩) وإسناده ضعيف ، ولبعضه شواهد .
(٢) في المسند : بمقام يقومه نوف فجئته فجاء رجل فاشتد الناس .
(٣) في المسند : الله .
(٤) سنن أبي داود (٢٤٨٢) في الجهاد .
(٥) صحيح مسلم (١٠٦٧) (١٥٨) في الزكاة .
(٦) في ط : حبيب ؛ خطأ .
(٧) في ط : الحاكم ؛ خطأ .

الحديث الرابع عشر عن (أم المؤمنين) عائشة

قال (الحافظ) البَيْهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدَّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدَّثنا السري بن يحيى ، حدَّثنا أحمد بن يونس ، حدَّثنا علي بن عياش ، عن حبيب ، عن سَلَمة . قال قال علي : لقد علمت عائشة أن جيش المَرَدةِ وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ . قال ابن عياش : جيش المَرَدة قتلة عثمان رضي الله عنه .

وقال الهيثم بن عدي[٢] : حدَّثني إسرائيل ، عن يونس ، عن جده أبي إسحاق السبيعي ، عن رجل عن عائشة قال : بلغها [قتل] علي الخوارج فقالت : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة ـ تعني المُخْدج ـ .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدَّثنا محمد بن عمارة بن صبيح ، حدَّثنا سهل[٣] بن عامر البَجلي ، حدَّثنا أبو خالد ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال : « شِرارُ أمتي يقتلهم خيار أمتي »[٤]

قال[٥] : وحدَّثناه إبراهيم بن سعيد ، حدَّثنا حسين بن محمد ، حدَّثنا سليمان بن قرم ، حدَّثنا عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن مسروق[٦] ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ فذكر نحوه قال : فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان : ثم قال البزار : لا نعلم روى (عن) عطاء ، عن أبي الضحى ، عن مسروق إلَّا هذا الحديث ، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم .

[قلت :] وسليمان بن قرم قد تكلّموا فيه لكن الإسناد الأول يشهد لهذا كما أن هذا يشهد للأول[٧] فهما متعاضدان ، وهو غريب من حديث أم المؤمنين[٨] ، وقد تقدم في حديث عبد الله بن شداد[٩] ، عن

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٤) ، وإسناده ضعيف ، سلمة هو ابن أبي الطفيل فيما أظن أو لا نعرف راوياً عن علي بهذا الاسم غيره ، وهو مجهول الحال ، وقد جهله ابن خراش ، ولم يصنع الحافظ ابن حجر شيئاً حين رد جهالته في التعجيل (١٦٠) اللهم إلا إذا أراد أنه ليس بمجهول العين ، وهذا إسناد غريب ، فنحن لا نعرف رواية لعلي بن عياش عن حبيب ، ولا نعرف رواية لحبيب عن سلمة !! (بشار) .

(٢) الهيثم كذاب .

(٣) في أ : سهيل .

(٤) إسناده ضعيف لضعف مجالد .

(٥) في أ : وقال البزار .

(٦) في أ : عن مشرف ؛ خطأ .

(٧) في أ : يشهد له كما أن هذا يشهد كذلك . .

(٨) في أ : عائشة .

(٩) في ط : شيبة ؛ خطأ .

علي ما يدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولاسيما خبر ذي الثدية كما تقدم ، وإنما أوردنا هذه الطرق كلّها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلالات النبوة ، كما ذكره غير واحد من الأئمة فيها ، والله تعالى أعلم .

وقال : سألت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك عن خبر ذي الثدية فتيقنته من طرق متعددة .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في « الدلائل »[(١)] : أنا أبو عبد الله [الحافظ] أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندي بالكوفة من أصل سماعه ، حدَّثنا [أحمد بن] محمد بن صدقة الكاتب ، حدَّثني محمد[(٢)] بن أبان فقرأت فيه : حدثني الحسن بن الحر ، قال : حدَّثنا الحكم بن عتيبة وعبد الله بن أبي السفر ، عن عامر الشعبي ، عن مسروق ، قالت عائشة : عندك علم عن ذي الثَّدية الذي أصابه علي في الحرورية ؟ قلت : لا . قالت : فاكتب لي بشهادة من شهدهم ، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سُبع ، ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها ، قالت : أكل هؤلاء عاينوه ؟ قلت : لقد سألتهم فأخبروني بأن كلهم قد عاينه فقالت : لعن الله فلاناً فإنه كتب إلي أنه أصابهم بنيل[(٣)] مصر ثم أرخت[(٤)] عينيها فبكت فلما سكنت عبرتها قالت : رحم الله علياً لقد كان على حق ، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها .

حديث آخر عن رجلين من الصحابة[(٥)]

قال الهيثم بن عدي في كتاب « الخوارج » : حدَّثني سليمان بن المغيرة ، عن حميد[(٦)] بن هلال قال : أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقيل لهما : ما أقدمكما العراق ؟ قالا : رجونا أن ندرك هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ ، فوجدنا علي بن أبي طالب قدسبقنا إليهم ـ يعنيان أهل النهروان[(٧)] ـ .

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) .
(٢) في ط : أحمد ، وفي الدلائل : حدَّثنا عمر بن عبد الله بن عمر بن محمد بن إبان بن صالح ، قال : هذا كتاب جدي ، محمد بن أبان فقرأت فيه .
(٣) في ط : بليل .
(٤) في أ : ثم رجعت .
(٥) في أ : عن رجلين مؤمنين من أصحابه .
(٦) في ط : حبيب ؛ تحريف .
(٧) الهيثم بن عدي : كذاب متروك .

حديث [آخر] في مدح علي رضي الله عنه على قتاله[١] الخوارج

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا حسين بن محمد ، حدَّثنا فِطْر[٣] ، عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي ، عن أبيه قال : سمعت أبا سعيد يقول : كنّا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ ؛ فخرج علينا من بيوت بعض نسائه ، قال : فقمنا معه ، فانقطعت[٤] نعله ، فتخلف عليها علي يخصفها ، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه ، ثم قام ينتظره وقمنا معه ، فقال : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فاستشرفنا لها وفينا[٥] أبو بكر ، وعمر فقال : « لا ، ولكنه خاصفُ النعل » قال : فجئنا نبشّره قال : فكأنه قد سمعه .

ورواه أحمد[٦] عن وكيع وأبي أسامة ، عن فطر بن خليفة .

فأما الحديث الذي قال الحافظ أبو يعلى[٧] : حدَّثنا إسماعيل بن موسى ، حدَّثنا الربيع بن سهل ، عن سعيد بن عبيد ، عن علي بن ربيعة قال : سمعت علياً على مِنْبركم هذا يقول : عَهِدَ إليّ النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

وقد رواه أبو بكر بن المقرىء ، عن الجد بن عبادة البصري ، عن يعقوب بن عباد[٨] ، عن الربيع بن سهل الفزاري به ، فإنه حديث غريبٌ ومنكرٌ ، على أنه قد روي من طرقٍ عن علي وعن غيره ، ولا تخلو واحدة منها عن ضعف .

والمراد بالناكثين : يعني : أهل الجمل ، وبالقاسطين : أهل الشام [والقاسط هو الجائر الظالم] وأما المارقون : فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين .

وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدي في « كامله »[٩] عن أحمد بن جعفر البغدادي ، عن سليمان بن

---

(١) في ط : قتال الخوارج .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٢) وهو حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن .
(٣) في ط ، أ : مطر ؛ تحريف ، وهو فطر بن خليفة المخزومي ، من رجال التهذيب .
(٤) في أ : فانقطع ، والنعل مؤنثة كما في المذكر والمؤنث لابن الأنباري .
(٥) في ط : وفيهم ؛ وما هنا الجادة ، وهو الذي في المسند .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣) .
(٧) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٣٩٧) رقم (٥١٩) وهو ضعيف ، كما قال المصنف .
(٨) في أ : « عبادة » ، خطأ ، وهو الرواجني الشيعي ، من رجال التهذيب .
(٩) الكامل لابن عدي (٢/ ٦٣٦) والسند في ط : عن أحمد بن حفص البغدادي ، عن سليمان بن يوسف . . وما هنا عن أ والكامل .

سيف ، عن عبيد الله[١] بن موسى ، عن فطر ، عن حكيم بن جبير ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن علي قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[٢] : أخبرني الأزهري ، حدَّثنا محمد بن المظفر ، حدَّثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال : وجدت في كتابي جدّي محمد بن ثابت ، حدَّثنا أشعث[٣] بن الحسن السُّلمي ، عن جعفر الأحمر ، عن يونس بن الأرْقَم ، عن أبان ، عن خُلَيد العَصَري[٤] ، قال : سمعت علياً أمير المؤمنين يقول يوم النَّهروان : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين[٥] .

وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن نوح الجنديسابوري ، أخبرنا هارون بن إسحاق ، حدَّثنا أبو غسان ، عن جعفر ـ أحسبه الأحمر ـ عن عبد الجبار الهمداني ، عن أنس بن عمرو ، عن أبيه ، عن علي قال : أمرت بقتال ثلاثة : المارقين والقاسطين والناكثين .

وقال الحاكم أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن غنم الحنظلي بقنطرة بَرَدان ، حدَّثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي ، حدَّثني أبي ، حدَّثني عَمِّي عمرو بن[٦] عطية بن سعد ، عن أخيه الحسن بن عطية ، حدَّثنا جدي ، سعد بن جنادة ، عن علي رضي الله عنه قال : أمرت بقتال ثلاثة ؛ القاسطين ، والناكثين ، والمارقين ، فأما القاسطون فأهل الشام ، وأما الناكثون فذكرهم ، وأما المارقون فأهل النهروان ـ يعني الحرورية[٧] ـ .

وقال الحافظ ابن عساكر[٨] : أخبرنا أبو القسم زاهر[٩] بن طاهر ، أخبرنا أبو سعد الأديب ، أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين ، حدَّثنا محمد بن أحمد الصوفي ، حدَّثنا محمد بن عمرو الباهلي ، حدَّثنا كثير بن يحيى ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن أبي الجارود ، عن زيد بن علي بن الحسين بن علي ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : أمرني رسـول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

---

(١) في أ : عبد الله ؛ خطأ .

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٠) (ط . د. بشار) في ترجمة خليد بن عبد الله العَصَري .

(٣) في ط : « شعيب » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ الخطيب .

(٤) في ط : المصري ، تحريف وما هنا عن أ وتاريخ بغداد .

(٥) إسناده ضعيف جداً ، أبان هو ابن أبي عياش متروك الحديث ، ولم نقف عليه من هذا الوجه عند غير الخطيب .

(٦) في ط : حدَّثني عمي عن عمرو عن عطية ؛ خطأ وما هنا عن أ وتاريخ دمشق .

(٧) إسناده ضعيف .

(٨) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢٠٠) .

(٩) في أ : أنا القاسم بن زاهر بن الطاهر أبو سعيد الأديب .

حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحافظ : حدَّثنا الإمام أبو بكر أحمد بن الفقيه[١] ، أنا الحسن بن علي ، حدَّثنا زكريا بن يحيى الخراز المقرىء ، حدَّثنا إسماعيل بن عباد المقرىء ، حدَّثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة، عن عبد الله قال : خرج [علينا] رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة فجاء عليّ فقال رسول الله ﷺ: « يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي »[٢] .

حديث [آخر عن] أبي سعيد في ذلك

قال الحاكم : حدَّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيم الشيباني ، حدَّثنا الحسين بن الحكم الحيري ، حدَّثنا إسماعيل بن أبان ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري قال : أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت : يا رسول الله ! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ فقال : « مع علي بن أبي طالب ، معه يُقتل عمار بن ياسر »[٣] .

حديث أبي أيوب في ذلك

قال الحاكم[٤] : أخبرنا أبو الحسن[٥] علي بن حمشاذ[٦] المعدل ، حدَّثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ، حدَّثنا عبد العزيز بن الخطاب ، حدَّثنا محمد بن كثير ، عن الحارث بن حصيرة ، عن أبي صادق ، عن مخنف بن سُليم : قال : أتينا أبا أيوب فقلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

قال الحاكم[٧] : وحدَّثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ، حدَّثنا الحسن بن علي بن شبيب المَعْمَري[٨] ، حدَّثنا محمد بن حميد ، حدَّثنا سلمة بن الفضل ، حدَّثني أبو زيد الأحول ، عن عتاب بن ثعلبة [حدَّثني أبو أيوب الأنصاري] في خلافة عمر بن الخطاب قال : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب .

---

(١) في ط : أحمد بن الحسين ؛ خطأ وما هنا موافق لتاريخ دمشق .
(٢) إسناده ضعيف ، لضعف شريك .
(٣) إسناده ضعيف جداً ، فإن أبا هارون العبدي متروك .
(٤) في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢١٣) .
(٥) في أ : أبو الحسين ، خطأ .
(٦) في ط : « حماد » محرف ، وهو شيخ الحاكم ، مترجم في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٨) .
(٧) الحديث بتمامه في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢١٣) .
(٨) في الأصول والمطبوع : العمري ، والتصحيح من كتب الرجال .

وقال الخطيب البغدادي[١] : حدَّثنا الحسن بن علي بن عبد الله المقرىء ، حدَّثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، حدَّثنا محمد بن جعفر المطيري ، حدَّثنا أحمد بن عبد الله المؤدب بسرَّ منْ رأى ، حدَّثنا المُعَلَّى بن عبد الرحمن ببغداد ، حدَّثنا شريك ، عن سليمان بن مِهران الأعمش[٢] ، [قال : حدَّثنا إبراهيم][٣] عن علقمة والأسود قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفِّين فقلنا له : يا أبا أيوب ! إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حين أناخت ببابك دون الناس ، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال : يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله ، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل ، طلحة والزبير ، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ـ يعني معاوية وعَمْراً ـ وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات[٤] وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات[٥] ، والله ما أدري أين هم ، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله .

قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحق[٦] والحق معك ، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك (الناس) غيره فأسلك مع علي فإنّه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلَّدَ سيفاً أعان به علياً على عدوه قلَّدهُ الله يوم القيامة وشاحين (من در ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدو عليٍّ عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين) من نار . فقلنا : يا هذا ! حسبك رحمكَ اللهُ (حسبك رحمك الله) » .

هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من جهة المعلى بن عبد الرحمن فإنه متروك الحديث ، والله أعلم[٧] .

فصل[٨]

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال[٩] : وذكر

---

(١) تاريخ بغداد (١٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) (ط . د. بشار) في ترجمة المعلّى بن عبد الرحمن الواسطي .
(٢) في ط : مهران عن الأعمش . خطأ .
(٣) زيادة من تاريخ بغداد .
(٤) في ط : « الطرفات » ، وما هنا من أ وهو الذي في تاريخ الخطيب .
(٥) في ط : « النهروان » ، وما هنا من أ وهو الذي في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه المؤلف .
(٦) في أ : منذ إذ ذاك مع الخوف والحق معك .
(٧) بل هو كذاب يسرق الحديث ، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١١) وانظر تعليق الدكتور بشار عليه .
(٨) ذهب التصوير بهذه اللفظة في أ ومكانها بياض .
(٩) لكنه كذاب متروك !

عيسى بن داب قال : لما انصرف عليٌّ رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال : بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ : أما بعد فإنّ الله قد أعزَّ نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام . فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نفِدتْ نبالنا وكلّتْ سيوفُنا ونصلت أسنتنا ، فانصرفْ بنا إلى مصرنا حتى نستعدَّ بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة منْ فارقنا وهلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا ـ وكان الذي تكلّم بهذا الأشعث بن قيس الكندي ، فتابعهم[١] وأقبل بالناس حتى نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا أنفسهم على جهاد عدوهم ويُقلوا زيارةَ نسائهم وأبنائهم ، فأقاموا معه أياماً متمسكين[٢] برأيه وقوله ، ثم تسلَّلوا حتى لم يبق منهم أحد إلا رؤوس[٣] أصحابه ، فقام عليٌّ فيهم خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق ، وفالق الإصباح ، وناشر الموتى ، وباعث من في القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأوصيكم بتقوى الله فإنَّ أفضل ما توسل به العبدُ الإيمانُ والجهادُ في سبيله وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة ، وإقام الصلاة فإنها الملة ، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائض الله[٤] ، وصوم شهر رمضان فإنه جُنة من عذابه[٥] ، وحج البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب ، وصلة الرحم فإنها مثراة في المال ، منسأة في الأجل ، محبة في الأهل ، وصدقة السرّ فإنها تكفِّر الخطيئةَ وتُطفىءُ غضبَ الربّ ، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتةَ السّوء ويقي مصارع الهول ، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وُعدَ المتقون فإن وعد الله أصدقُ الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى ، واْستنُّوا بِسنَّته فإنها أفضل السنن ، وتعلَّموا كتابَ الله فإنه أفضل الحديث ، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاءٌ لما في الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص ، وإذا قرىء عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرْحَمون ، وإذا هُديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون ، فإن (العالم) العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستقيم عن جهله[٦] ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحيّر في جهله ، وكلاهما مضلل مثبور ، لا ترتابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا[٧] ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ، ولا تذهلوا[٨] في الحق فتخسروا ، ألا وإن من الحزم أن تثقوا ، ومن الثقة أن لا تغتروا ، وإنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإنَّ أغشّكم لنفسه أعصاكم لربّه ، من يطع الله يأمنْ

(١) في ط : فبايعهم ؛ تحريف .

(٢) في أ : مستمسكون ؛ خطأ .

(٣) في ط : راسل ، تحريف .

(٤) في ط : فريضته .

(٥) في أ : من عذاب الله .

(٦) في أ : فإن العامل بغير علم كالجاهل الحاير الذي لا يستقيم من جهله .

(٧) في أ : وكلاهما حائر مضلل مبتور لا يرتاب فتشك ولا تشك فتكفر .

(٨) في أ : ولا تدهنون .

ويستبشر ، ومن يعصِ الله يَخَفْ ويندم ، (ثم) سلوا اللهَ اليقينَ وارغبوا إليه في العافية ، وخير ما دام في القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها[١] وكل مُحْدثةٍ بدعةٌ وكلَّ مُحْدثٍ مُبْتدعٌ ، ومن ابتدع فقد ضيَّع ، وما أحدث محدثٌ بدعةً إلا ترك بها سنةً ، المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الرياء من الشرك ، وإن الإخلاص من العمل[٢] والإيمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان ، وتدعو إلى كل غي ، ومجالسة[٣] النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار ، وهي مصايد الشيطان ، فاصدقوا الله فإن الله مع من صدقَ وجانبوا الكذبَ فإن الكذب مجانب للإيمان ، ألا إنَّ الصدقَ على شرف منجاة وكرامة ، وإن الكذب على شرف رديء وهلكة [وإهانة] ألا وقولوا الحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدُّوا الأمانةَ إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذا عاهدتم فأوفوا ، وإذا حكمتم فاعدلوا ، ولا تفاخروا بالآباء ، ولا تنابزوا بالألقاب ، ولا تمازحوا ، ولا يغضب بعضكم بعضاً ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله (وابن السبيل) والسائلين وفي الرقاب ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وأفشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] وأكرموا الضيف ، وأحسنوا إلى الجار ، وعودوا المرضى ، وشيعوا الجنائز ، وكونوا عباد الله إخواناً ، أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت[٤] وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغداً السباق ، وإن السبقة الجنة والغاية النار[٥] ، ألا وإنكم في أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل ، فمن أخلص لله عمله في أيام مهلة[٦] قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله ، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله ، وضره أمله ، فاعملوا في الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة ، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ، ولمن شكر بالزيادة ، وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر متكسباً من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر ، وتبلى فيه السرائر ، وتجتمع فيه الكبائر ، [ألا] وإنه منْ لا ينفعه الحقُّ يضره الباطلُ ، ومن لا يستقيم على[٧] الهدى يجرُّبه الضلال ، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك ، ومن لا ينفعه حاضر لبّهِ[٨] فعازبه عنه

(١) في أ : وإن محدثاها شرّها .
(٢) في أ : من العلم .
(٣) في أ : ومحادثة .
(٤) في ط : قد أظلت .
(٥) في أ : وإن السيقة والغاية الجنة والنار .
(٦) في أ : مهلته .
(٧) في ط : به .
(٨) في ط : حاضره .

أعور[١] ، وغائبه عنه أعجز . [ألا] وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد [فاعملوا على المراد] ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فيُنْسِي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق[٢] ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ، ولا تكونوا من بني الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

وهذه الخطبة [عظيمة] بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر . وقد روي لها شواهد من وجوه أخرى متصلة ولله الحمد والمنة .

وقد ذكر ابن جرير[٣] : أن علياً رضي الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب معه إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات في الجهاد من سور متفرقة ، وحث على المسير إلى عدوهم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه ، واستمروا في بلادهم ، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا . [قيل إن ذلك بسبب قتله الخوارج لأنهم كانوا قراباتهم وإخوانهم ويرونهم أفضلهم وخيرهم لعبادتهم وقراءتهم فتثاقلوا عنه وهجروه ، فدخل عند ذلك إلى الكوفة في حالة الله بها عليم] .

فصل

وقد ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي رضي الله عنه بعد [قتله أهل] النهروان رجل يقال له : الخِرِّيت[٤] بن راشد الناجي ، قدم مع أهل البصرة ، فقال لعلي : إنك قد قاتلت من أهل النهروان في كونهم أنكروا عليك قصة[٥] التحكيم وتزعم أنك (قد) أعطيت أهل الشام عهودك ومواثيقك ، وإنك[٦] لست بناقضها ، وهذان الحكمان قد اتفقا على (خلعك) ثم اختلفا في ولاية معاوية ، فولاه عمرو [بن العاص] وامتنع أبو موسى من ذلك[٧] ، فأنت مخلوع باتفاقهما ، وأنا قد خلعتك وخلعت معاوية معك ، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه ـ بني ناجية وغيرهم ـ وتحيزوا ناحية ، فبعث إليهم علي معقل بن قيس الرماحي في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلاً ذريعاً وسبى من بني ناجية خمسمئة أهل بيت فقدم بهم على عليٍّ فتلقّاه رجلٌ يقال له : مصقلة بن هبيرة أبو المغلّس ـ وكان عاملاً لعلي على بعض الأقاليم ـ فتضرروا إليه

---

(١) في أ : أخون .
(٢) في أ : فطول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يبعد عن الحق .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١١٣) .
(٤) في الأصل والمطبوع : الحارث ، وما هنا عن الطبري ، وما سيأتي بعد قليل .
(٥) في أ : قضية .
(٦) في أ : فإنك .
(٧) في أ : من ولايته .

وشكوا ما هم فيه من السبي[١] ، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمئة ألف (درهم) وأعتقهم ، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة ، فكتب معقل إلى ابن عباس [في ذلك] فقال له مصقلة : إني إنما جئت لأدفع ثمنهم إليك ، ثم هرب منه[٢] إلى علي فكتب ابن عباس ومعقل إلى علي فطالبه علي فدفع من الثمن مئتي ألف ثم انشمر هارباً[٣] فلحق بمعاوية (بن أبي سفيان) بالشام ، فأمضى علي عتقهم وقال : ما بقي من المال في ذمة مصقلة ؟ وأمر بداره في الكوفة فهدمت .

وقد روى الهيثم ، عن سفيان الثوري وإسرائيل ، عن عمّار الدُّهني ، عن أبي الطفيل ، أن بني ناجية ارتدوا فبعث إليهم معقل بن قيس فسباهم فاشتراهم مصقلة من علي بثلاثمئة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية . قال الهيثم : وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحيٍّ من العرب ارتدوا [عن الإسلام] بعد الردة التي كانت في أيام الصديق .

وقال الهيثم : حدَّثني عبد[٤] الله بن تميم بن طرفة الطائي ، حدَّثني أبي أن عدي بن حاتم قال مرة لعلي بن أبي طالب وهو يخطب : قتلت أهل النهروان على إنكار الحكومة ، وقتلت الخريت[٥] بن راشد على مسألته إياك (أيضاً الحكومة) ، والله ما بينهما موضع قدم . فقال له علي : اسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضبع بجبل طيء بالأمس . فقال له عدي : وأنت والله قد رأيناك بالأمس تأكل البلح بالمدينة .

قال الهيثم: ثم خرج[٦] على علي (رجل) من أهل البصرة فقتل فأمَّر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيباني ، فقتل هو وأصحابه ، قال : ثم خرج على علي الأشهب بن بشر البجلي ، ثم أخذ عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه . قال : ثم خرج (على علي) سعيد بن نغد التميمي[٧] ثم (من بني) ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة درربجان فوق المدائن . قال الهيثم أخبرني بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته[٨] .

فصل

ذكر ابن جرير[٩] عن أبي مخنف لوط بن يحيى ـ وهو أحد أئمة هذا الشأن ـ أن قتال علي للخوارج

---

(١) في أ : فتضرع السبي إليه وشكوا ما هم فيه فاشتراهم .
(٢) في أ : من ابن عباس .
(٣) في أ : ثم هرب فلحق .
(٤) في أ : عبيد .
(٥) في ط : الحريث .
(٦) في أ : ثم خرج رجل على علي .
(٧) في أ : سعيد بن فعل التيمي .
(٨) مكان اللفظة بياض في أ .
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٩٢) .

(يوم النهروان ، كان في هذه السنة ـ أعني سنة سبع وثلاثين ـ قال ابن جرير : وأكثر أهل السير على أن ذلك) كان في سنة ثمان وثلاثين وصححه ابن جرير ، قلت : وهو الأشبه كما سننبه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة ـ يعني سنة سبع وثلاثين ـ عبيد الله بن عباس نائب علي على اليمن ومخاليفها . وكان نائب مكة قثم بن العباس ، وعلى المدينة تمام بن عباس ، وقيل سهل بن حنيف ، وعلى البصرة عبد الله بن عباس ، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ، و(علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين (مقيم) بالكوفة ، ومعاوية بن أبي سفيان مستحوذ على الشام . قلت : ومن نيته أن يأخذ مصر من محمد بن أبي بكر [الصديق] .

ذكر من توفي [في هذه السنة] من الأعيان[١]

خَبّاب بن الأرتّ[٢] بن جَنْدَلَة بن سعد بن خزيمة . كان قد أصابه سبي في الجاهلية فاشترته أم سباع بنت أنْمار الخُزاعية التي كانت تختن النساء ، وهي أم سباع بن عبد العُزّى الذي قتله حمزة يوم أحد وحالف[٣] بني زهرة ، أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم ، وكان ممن يؤذى في الله فيصبر[٤] ويحتسب ، وهاجر وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد .

قال الشعبي : دخل [خباب] يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال : ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال ، فقال : يا أمير المؤمنين إن بلالاً كان يؤذى وكان له من يمنعه ، وإني كنت لا ناصر لي ، والله لقد سلقوني يوماً في نار أججوها ووضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري ، ثم كشف عن ظهره فإذا هو برص رضي الله عنه ، ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعودونه فقالوا : أبشر

غـداً تلقـى الأحبـة محمـــداً وحـــزبـــه

فقال : والله إن إخواني مضوا ولم يأكلوا من دنياهم[٥] شيئاً ، وإنا قد أينعت لنا ثمرتها فنحن نهدبها[٦] ،

---

(١) هذا الفصل نقله المصنف من تاريخ الإسلام للذهبي .

(٢) ترجمة ـ خباب بن الأرت ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٤) والتاريخ الكبير (٣/ ٢١٥) والجرح والتعديل (٣/ ٣٩٥) والاستيعاب (٢/ ٤٣٧) وأسد الغابة (٢/ ١١٤) والإصابة (١/ ٤١٦) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٣٣) .

(٣) في أ : حالف خباب .

(٤) في الله عزَّ وجلَّ ويصبر .

(٥) في أ : من أجرهم .

(٦) هدَبَهُ يهدبه : قطعه . القاموس (هدب) .

فهذا الذي يهمني . قال : وتوفي بالكوفة في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة ، وهو أول من دفن بظاهر الكوفة .

خُزَيْمة بن ثابت[١] بن الفاكِه بن ثَعْلبة بن ساعِدة الأنصاري ، ذو الشهادتين وكانت راية بني خَطْمة معه يوم الفتح ، وشهد صفين مع علي ، وقتل يومئذ رضي الله عنه .

سفينة[٢] مولى رسول الله ﷺ . قد قدمنا ترجمته في الموالي المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه.

عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم[٣] أسلم عام الفتح وكتب بين يدي رسول الله ﷺ . وقد تقدم مع كتاب الوحي .

عبد الله بن بديل[٤] بن ورقاء الخزاعي ، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلي فصارت أمرتها للأشتر النخعي[٥]

عبد الله بن خباب بن الأرت[٦] . ولد في حياة[٧] النبي ﷺ وكان موصوفاً بالخير ، قتله[٨] الخوارج كما قدمنا (بالنهروان) في هذه السنة ، (فلما جاء علي قال لهم : أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون فقالوا : كلنا قتله فقاتلهم) .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٩] : أحد كتّاب الوحي أيضاً ، أسلم قديماً (وكتب الوحي) ثم ارتدّ ثم عاد إلى الإسلام عام الفتح واستأمن له عثمان [بن عفان رسول الله ﷺ] ـ وكان أخاه لأمه ـ وحسن إسلامه وقد ولاه عثمان نيابة مصر بعد عمرو بن العاص ، فغزا إفريقية وبلاد النوبة ، وغزا[١٠] ذات الصواري مع

---

(١) ترجمة ـ خزيمة بن ثابت ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٧٨) والاستيعاب (٢/ ٤٤٨) وأسد الغابة (٢/ ١٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٥) والإصابة (٣/ ٩٣) .

(٢) ترجمة ـ سفينة ـ في الاستيعاب (٢/ ١٢٩) وأسد الغابة (٢/ ٩٠) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٠٥) والإصابة (٢/ ٥٨) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم ـ في الاستيعاب (٢/ ٨٦٥) وأسد الغابة (٣/ ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٢) والإصابة (٢/ ٥٨) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن بديل ـ في الاستيعاب (٣/ ٨٧٢) وأسد الغابة (٣/ ١٨٤) والإصابة (٢/ ٢٨٠) .

(٥) في أ : وكان أمير ميمنة علي فأخذها بعده الأشتر .

(٦) ترجمة ـ عبد الله بن خباب ـ في الاستيعاب (٢/ ٨٩٤) وأسد الغابة (٣/ ٢٢٣) والإصابة (٢/ ٣٠٢) .

(٧) في أ : ولد في زمن .

(٨) في أ : قتلته .

(٩) ترجمة ـ عبد الله بن سعد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٩٦) والاستيعاب (٣/ ٩١٨) وتاريخ دمشق (٣٤/ ١٦) وجامع الأصول (١٤/ ٤٥٨) وأسد الغابة (٣/ ١٧٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣) والإصابة (٢/ ٣١٦) والشذرات (١/ ٢٨٣) .

(١٠) قبلها في أ، ط: وفتح الأندلس؛ خطأ إذ أن فتح الأندلس كان سنة اثنتين وتسعين هجرية في عهد الوليد بن عبد الملك.

الروم في البحر فقتل منهم ما صبغ وجه[١] الماء من الدماء[٢] ، ثم لمّا حُصر عثمان تغلّب عليه محمد بن أبي حذيفة وأخرجه من مصر فمات في هذه السنة وهو معتزل علياً ومعاوية ، في صلاة الفجر بين التسليمتين رضي الله عنه .

عَمَّار بن ياسر[٣] أبو اليَقْظان العَنْسي من عنس اليمن ، وهو حليف بني مخزوم ، أسلم قديماً وكان ممن يُعذَّبُ في الله هو وأبوه وأمه سُمَيَّة ، ويُقال إنه أولُ من اتَّخذَ مسجداً في بيته يتعبَّدُ فيه[٤] ، وقد شهد بدراً وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وأن رسول الله ﷺ قال : « تقتلك الفئة الباغية »[٥] وروى الترمذي[٦] من حديث الحسن ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، إلى علي وعمار وسلمان » .

وفي الحديث الآخر الذي رواه الثوري وقيس بن الربيع وشريك القاضي وغيرهم عن أبي إسحاق عن هانيء بن هانيء عن علي أن عماراً استأذن على رسول الله ﷺ فقال : « مرحباً بالطيب المطيب »[٧] .

وقال إبراهيم بن الحسين : حدَّثنا يحيى ، حدَّثني نصر ، حدَّثنا سفيان الثوري ، عن الأعمش[٨] ، عن أبي عمار ، عن عمرو بن شرحبيل[٩] ، عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله ﷺ قال : « لقد ملىء عمار إيماناً من قدمه[١٠] إلى مُشاشِهِ[١١] » .

وحدَّثنا يحيى بن معلّى ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : ما من أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) مكان اللفظة بياض في أ .

(٢) في أ : من الدنيا ؛ خطأ .

(٣) ترجمة ـ عمار بن ياسر ـ في طبقات ابن سعد (٣/٢٤٦ و٦/١٤) والاستيعاب (٣/ ١١٣٥) وتاريخ بغداد (١/ ١٥٠) وأسد الغابة (٤/ ١٢٩ ـ ١٣٥) وجامع الأصول (١٤/ ٥٤٠ ـ ٥٤١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦ ـ ٤٢٨) والإصابة (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣) وشذرات الذهب (١/ ٢١٣) .

(٤) في هامش أ : مطلب أول من اتخذ مسجداً في بيته عمار بن ثابت !

(٥) في أ : وقد قدمنا كيفية مقتله بصفين ، وكان مع علي وأخبر رسول الله ﷺ أنه تقتله الفئة الباغية . والحديث في جامع الترمذي (٣٨٠٠) في المناقب .

(٦) جامع الترمذي (٣٧٩٧) في المناقب وإسناده ضعيف .

(٧) الحديث بهذا السند رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٢٦) ورواه الترمذي (٣٧٩٩) وابن ماجه رقم (١٤٦) وهو حديث صحيح .

(٨) في الأصول والمطبوع : عن أبي الأعمش ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٩) في أ : عن عمرو بن سفيان .

(١٠) في أ : قرنه .

(١١) مُشاش : جمع مُشاشه ـ بالضم ـ رأس العظم الممكن المضغ . القاموس (مشش) والحديث رواه النسائي رقم (٨/ ١١١) (٥٠٠٧) وابن ماجه رقم (١٤٧) وهو حديث صحيح .

« إن عمار بن ياسر حُشِيَ[١] ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً »[٢] .

وحدَّثنا يحيى ، حدَّثنا عمرو بن عون[٣] أنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن سلمة بن كهيل ، عن علقمة قال : أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدَّثني قال : كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام في شيء فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال : « يا خالد ! لا تؤذ عماراً فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يعادِ عماراً يعاده الله »[٤] قال : فعرضت له بعد ذلك فسللت ما في نفسه .

وله أحاديث كثيرة في فضائله رضي الله عنه . قتل بصفين عن إحدى[٥] وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة ، طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتز رأسه ، ثم اختصما إلى معاوية أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص : اندرا فوالله إنكما لتختصمان في النار ، فسمعها منه معاوية فلامه على تسميعه إياهما ذلك ، فقال له عمرو : والله إنك لتعلم ذلك ، ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

قال الواقدي[٦] : حدَّثني الحسن بن الحسين بن عمارة ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم ، أن علياً صلَّى عليه ولم يُغَسّله وصلى (معه) على هاشم بن عتبة ، فكان عمار ممايلي علياً ، وهاشم إلى نحو القبلة . قالوا : وقبره هنالك .

وكان آدمَ اللونِ ، طويلاً ، بعيد ما بين المنكبين : أشهل العينين ، رجلاً لا يغير شيبه رضي الله عنه .

الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ[٧] بن عَفْراء[٨] أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الغزوات فتداوي الجرحى ، وتسقي الماء للكَلْمى [وغيرهم] ، وروت أحاديثَ كثيرةً .

وقد قتل في هذه السنة في أيام صفين خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفير ، فقيل : قتل من أهل الشام خمسةٌ وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . وقيل : قتل من أهل العراق أربعون ألفاً ـ من مئة وعشرين

---

(١) في أ : إلا عماراً فإنه حُشي . وفي هامشه التعليقة التالية : يعني مملوء ، يقال ثوب محشي يعني بالقطن ، وفراش محشي يعني بالصوف .

(٢) الحديث في طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٣) .

(٣) في أ : حدثنا يحيى بن عمرو بن عوف .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٩٠) وصححه بهذا الإسناد ، وهو إسناد معلول فقد اختلف فيه على سلمة بن كهيل ، وأعلَّ الحافظان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان طريق العوام من حوشب ، إذ ذكرا أنه أسقط عدة منه ، فهو منقطع (العلل لابن أبي حاتم ٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) .

(٥) في أ : في فضائله ـ يعني علقمة ـ قتل عمار يوم صفين بها عن إحدى .

(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩) .

(٧) مكان اللفظة بياض في أ .

(٨) ترجمة ـ الرُّبيع بنت معوذ ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٤٧) والاستيعاب (٤/ ١٨٣٧) وأسد الغابة (٥/ ٤٥١) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٨ ـ ٢٠٠) والإصابة (٤/ ٣٠٠) .

ألفاً ـ وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً ، وبالجملة فقد كان فيهم أعيانٌ ومشاهيرُ يطولُ استقصاؤهم وفيما ذكرناه كفايةٌ ، والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر واستناب معاوية عَمْراً عليها ، وذكر كما سنبينه ، وقد كان علي رضي الله عنه استناب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانتزعها من يد محمد بن أبي حذيفة [حين كان استحوذ عليها ومنع عبد الله][١] بن (سعد) بن أبي سَرْح من التصرّف فيها ، حين حُصر عثمان ـ وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص ـ وعمرو كان هو الذي افتتحها كما قدمنا ذكر ذلك . ثم إن علياً عزل[٢] قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبي بكر وقد ندم علي على عزل قيس بن سعد عنها ، وذلك أنه كان كفؤاً لمعاوية[٣] وعمرو ، ولما ولي محمد بن أبي بكر لم يكن فيه قوةٌ تعادلُ معاوية وعَمراً ، وحين عُزل قيسُ بن سعد عنها رجع إلى علي بالعراق فكان معه ، وكان معاوية يقول : (والله) لقيس بن سعد عند علي أبغض إلي من مئة ألف مقاتل بدله عنده ، فشهد معه صفين[٤] فلما فرغ علي من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفُّوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شاباً ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر إلى قيس بن سعد ، وكان[٥] قد جعله على شرطته أو إلى الأشتر النخعي وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فكتب إليه بعد صفين فاستقدمه عليه ثم ولاه مصر[٦] ، [وقيل إنه استمر بقيس عنده وولى الأشتر النخعي مصر][٧] فلما بلغ معاوية تولية (علي) للأشتر (النخعي ديار) مصر بدل محمد بن أبي بكر (عظم ذلك عليه ، وذلك أنه كان قد طمع في مصر واستنزاعها من يد محمد بن أبي بكر) ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزمه[٨] وشجاعته ، فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القلزم[٩] استقبله الخانسار[١٠] وهو مُقدَّم [عليٍّ] على

---

(١) مكان ما بين الحاصرتين في أ : وقد كان أخذها من . .
(٢) في أ : ابن أبي سرح نائب عثمان عليها وكان عثمان قد عزل عنها عمرو بن العاص ، وكان عمرو هو الذي افتتحها كما تقدم ذلك ثم إن علياً عزل .
(٣) في أ : محمد بن أبي بكر وكان قيس كفواً لمعاوية .
(٤) في أ : مقاتل تكون معه بدله فلما فرغ .
(٥) في أ : عزم علي على رد قيس بن سعد إليها ، وكان علي قد جعله على شرطته ، وكان نائبه .
(٦) في أ : فكتب إليه فاستقدمه عليه وولاه مصر .
(٧) زيادة عن أ .
(٨) في أ : لجرأته .
(٩) في أ : فسار الأشتر فلما بلغ القلزم استقبله الخانسار .
(١٠) هكذا في ط وأ ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٩٥ و٩٦) : « الجايستار » .

الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شراباً من عسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن لله جنوداً من عسل .

وقد ذكر ابن جرير في « تاريخه »[١] أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقتله[٢] ووعده على ذلك بأمور ففعل ذلك ، وفي هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضي الله عنه . والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعي[٣] ، ولما بلغ ذلك علياً : تأسف على شجاعته وغَنَائه ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، غير أنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا[٤] ، وقد كانوا استفحل أمرهم حين انصرف علي من صفين ، (وحين) كان من أمر التحكيم ما كان ، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام ، وقد كان أهل الشام حين انقضت[٥] الحكومة بدومة الجندل سلَّموا على معاوية بالخلافة وقوي أمرهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه : عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن السمط ، [وحبيب بن مسلمة] وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، وبسر بن أبي أرطاة ، وأبا الأعور السلمي ، وحمزة بن سنان الهمداني وغيرهم ، فاستشارهم في المسير إلى مصر فاستجابوا له وقالوا : سر حيث شئت فنحن معك ، وعيَّن معاوية نيابتها لعمرو بن العاص إذاً[٦] فتحها ففرح بذلك عمرو ، ثم قال لمعاوية : أرى أن تبعث إليهم رجالاً مع رجل مأمون عارف بالحرب[٧] ، فإن بها جماعة ممن يوالي عثمان فيساعدونه على حرب من خالفهم ، فقال معاوية : لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا ممن هنالك كتاباً يعلمهم بقدومهم عليهم[٨] ، ونبعث إلى مخالفينا كتاباً ندعوهم فيه إلى الصلح . وقال[٩] معاوية [لعمرو بن العاص] : إنك يا عمرو رجل بورك لك في العجلة وإني امرؤ بورك لي في التؤدة ، فقال عمرو : افعل ما أراك الله ، (فوالله) ما أمرك وأمرهم إلا سيصير إلى الحرب العوان ، فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وإلى معاوية بن خديج السكوني ـ وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر ممن لم يبايع علياً ولم يأتمر بأمر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف ـ يخبرهم بقدوم الجيش عليهم سريعاً ، وبعث به مع مولى له يقال له سبيع ، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٩٥ ـ ٩٦) .
(٢) في أ : فيقتله .
(٣) في أ : بموته .
(٤) عدة قرى حول الإسكندرية . قال القضاعي : وهو يعدُّ كوَرَ مصر . معجم البلدان (٢/ ٤٠٦) .
(٥) في أ : لما انقضت .
(٦) في أ : الذي فتحها .
(٧) في أ : إليهم رجلاً معه جند مأمون عارفاً بالحرب .
(٨) في أ : نعلمهم بقدومنا عليهم .
(٩) في أ : من الجيش فعند ذلك .

ومعاوية بن خديج فرحا به وردًا جوابه بالاستبشار والمعاونـة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيوش والجند والمدد إن شـاء الله تعالى ، فعند ذلك جهز معاويـة عمرو بن العاص في ستة آلاف ، وخرج معاوية[١] مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل (والتؤدة) ، وأن يقتل من قاتل ويعفو عمن أدبر ، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر[٢] الناس عندك ، فسار عمرو بن العاص إلى مصر ، فلما قدمها[٣] اجتمعت عليه العثمانية فقادهم ، وكتب عمرو إلى محمد بن أبي بكر : أما بعد فتنح فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان[٤] ، فاخرج منها فإني لك لمن الناصحين والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه : أما بعد[٥] فإن غب البغي والظلم عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه[٦] من النقمة في الدنيا ، والتبعة الموبقة في الآخرة . وإنّا لا نعلمُ أحداً كان أشدَّ خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه[٧] ، ثم إنك تظن أني عنك نائم أو ناس ذلك لك[٨] ، حتى تأتي فتأمَّر على بلاد أنت بها جاري وجلُّ أهلها أنصاري ، وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله بجهادك ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام . قال : فطوى محمد بن أبي بكر الكتابين وبعث بهما إلى علي وأعلمه بقدوم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية ، فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلي بأموال ورجال والسلام . فكتب إليه [علي] يأمره بالصبر وبمجاهدة العدو ، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال ، ويمده بما أمكنه من الجيوش .

وكتب محمد بن أبي بكر كتاباً (إلى معاوية في جواب ما قال) وفيه غلظة[٩] ، (وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص وفيه كلام غليظ) وقام محمد بن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثَّهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام ، وتقدم عمرو (بن العاص) إلى مصر في جيوشه ، ومن لحق به من العثمانية (المصريين) ، والجميع في قريب من ستة عشر ألفاً ، وركب محمد بن أبي بكر في [قريب من] ألفي

---

(١) في أ : وخرج معه مودعاً .
(٢) في أ : أبر .
(٣) في أ : فلما دخل مصر اجتمعت عليه .
(٤) مثل عربي قديم ، ورد في كتاب معجم الأمثال العربية (بطن ، حلق ، لقي) ومصادره فيه : مجمع الأمثال (٢/ ١٨٦) وجمهرة الأمثال (١/ ١٨٨) والمستقصى (١/ ٣٠٦) وأبو عبيد (٣٤٣) واللسان (بطن) ويضرب المثل للأمر يبلغ الغاية في الشدة والصعوبة .
(٥) لفظتا : أما بعد ؛ مكانهما بياض في أ ، ونص الكتاب في تاريخ الطبري (٥/ ١٠١) .
(٦) في أ : فاعله .
(٧) في أ : وأرواحه ؛ تحريف .
(٨) في أ : أو لفعلك ناس حتى تأتي فتتآمر .
(٩) في أ : وفيه كلام غليظ .

فارس الذين انتدبوا معه من المصريين وقدَّم على جيشه بين يديه[١] كنانة بن بشر فجعل لا يلقاه أحد[٢] من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو[٣] بن العاص ، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن حُدَيْج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب ، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٥] ، ثم قاتل حتى قتل .

وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه ورجع يمشي فرأى خربة فأوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن حُدَيْج في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعلوج في الطريق فقال لهم : هل مر بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا ! فقال رجل منهم : إني رأيت رجلاً جالساً في هذه الخربة ، فقال : (هو) هو ورب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها ـ وقد كاد يموت عطشاً ـ فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان قد قدم معه إلى مصر ـ فقال : أيقتل أخي صبراً ؟ فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن حُدَيْج أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ولا يقتله ، فقال معاوية : كلا والله ، أيقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر ، وقد كان ممن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء ، وقد سألهم[٤] محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية : لا سقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم .

وقد ذكر ابن جرير[٥] وغيره أن محمد (بن أبي بكر) نال من معاوية بن حُدَيْج هذا [وشتمه] ومن عمرو بن العاص ومن معاوية [بن أبي سفيان] ومن عثمان (بن عفان أيضاً) ، فعند ذلك غضب معاوية بن حُدَيْج فقدمه فقتله ثم جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها ، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلاة[٦]

وذكر الواقدي[٧] أن عمرو (بن العاص) قدم مصر في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي فالتقوا مع المصريين بالمُسَنَّاة[٨] فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي ، فهرب عند ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق ، فدلّ عليه فجاء معاوية بن خديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم (محمد) بن أبي بكر فقاتل حتى قُتل .

---

(١) في أ : من أهل مصر وقدم بين يدي جيشه .
(٢) في أ : فجعل لا يلقى أحداً .
(٣) في أ : بعمرو .
(٤) في أ : عثمان الماء فلم يسقوا وسألهم .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٤) .
(٦) في ط : « الصلوات » ، وما هنا من أ ، وهو الذي في تاريخ الطبري الذي ينقل منه المصنف (٥/ ١٠٥) .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٥) .
(٨) انظر معجم ما استعجم (١٢٢٩) ومعجم البلدان (٥/ ١٢٩) .

قال (الواقدي) : وكان ذلك في صفر من هذه السنة .

قال الواقدي : ولما قتل محمد (بن أبي بكر) بعث علي الأشتر النخعي إلى مصر فمات في الطريق فالله أعلم .

قال : وكانت أذرُح في شعبان في هذه السنة أيضاً .

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة (واجتماع الجماعة ، وبما عهد لهم من الأمر) .

وقد زعم هشام بن (محمد) الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة مسك [في هذه السنة] بعد مقتل محمد (بن أبي بكر) ـ وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان ـ فبعثه عمرو (بن العاص) إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية ، فحبسه (معاوية) بفلسطين فهرب من السجن [وكان معاوية يجانبه فيما يروون] ، فلحقه رجل [من خثعم] يقال له (عبد الله بن) عمرو بن ظلام بأرض البلقاء ، فاختفى محمد بغار فجاءت حمر وحش لتأوي إليه فلما رأته فيه نفرت فتعجب من نفرتها جماعة من الحصادين هنالك ، فذهبوا إلى الغار فوجدوه فيه ، فجاء أولئك فخشي عبد الله بن عمرو بن ظلام[١] أن يرده إلى معاوية فيعفو عنه ، فضرب عنقه [هنالك] ، (هكذا) ذكر ذلك ابن الكلبي[٢] . وقد ذكر الواقدي وغيره أن (محمد) بن أبي حذيفة قتل في سنة ست وثلاثين كما قدمنا [ذلك] فالله أعلم .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه : حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين ـ (يكتب إليهم بذلك) ـ فاستخرج منه بضعة[٣] وخمسين إِرْدَباً[٤] دنانير ، قال أبو صالح : والإردبّ ست ويبات والويبة مثل القفيز واعتبرنا الويبة فوجدناها تسعة وثلاثين ألف دينار ، قلت : فعلى هذا يكون مَبْلَغ ما كان أخذ من[٥] القبطي ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار .

قال أبو مخنف بإسناده[٦] : لما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان (بمصر) من الأمر ، وتملك عمرو لها ، واجتماع الناس[٧] عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم (من الشاميين والمصريين) ، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة . فلما

(١) في أ : فوجدوا محمد بن أبي حذيفة فخشي عبد الله بن ظلام .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ١٠٦) برواية الكلبي .
(٣) في أ : واستخرج من ماله بضعاً وخمسين .
(٤) الإِرْدَبُ : مكيال ضخم بمصر . القاموس (ردب) .
(٥) في أ : فعلى هذا يكون مبلغ ما أخذ منه . . . ؛ ثم بياض إلى آخر الجملة .
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٧) .
(٧) في أ : وما كان من الأمر وتملك عمر ومصر واجتمع الناس .

كان الغد خرج يمشي إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش ، فلما كان العشي بعث إلى أشراف الناس فدخلوا[١] عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلاني[٢] بكم وبمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، أو ليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام[٣] فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ، ويجيبونه في السنة مرتين والثلاث إلى أي وجه شاء ؟ وأنا أدعوكم ـ وأنتم أولو النُّهَى وبقية الناس ـ على المعونة و(طائفة منكم على) العطاء فتفرقون عني وتعصونني وتختلفون علي ؟ فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي[٤] فندب الناس إلى امتثال أمر علي والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمساً ، ثم قدم على عليّ جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه [كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو بها][٥] ، فبعث إلى مالك (بن كعب) فردَّه (من الطريق) وذلك أنه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر واستقرّ أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم[٦] (عنه) والخروج عليه والبعد عن أحكامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم[٧] وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم[٨] ، فكتب علي عند ذلك إلى ابن عباس ـ وهو نائبه على البصرة ـ يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة (والمعاندة) ، فردّ عليه ابنُ عباس يسليه في ذلك ، ويعزيه في محمد بن أبي بكر ويحثه على ملاطفة[٩] الناس والصبر على مسيئهم ، فإن ثواب الله خير من الدنيا ، ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي وهو بالكوفة واستخلف (ابن عباس) على البصرة زياداً .

وفي هذا الحين[١٠] بعث معاوية بن أبي سفيان كتاباً مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى (أهل) البصرة يدعوهم إلى الإقرار بما حكم له عمرو بن العاص ، فلما قدمها نزل على بني تميم فأجاروه فنهض إليه زياد وبعث إليه أعين[١١] بن ضبيعة في جماعة (من الناس) فساروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين بن ضبيعة ، فكتب زياد إلى علي يعلمه بما وقع بالبصرة [من المخالفة] بعد خروج ابن عباس منها ، فبعث

(١) في أ : يخرج إليه منهم أحد فلما كان العشي بعث إلى أشرافهم فدخلوا .
(٢) في أ : من فعل هو الذي ابتلاني .
(٣) الطغام ـ كسحاب ـ أوغاد الناس . القاموس (طغم) .
(٤) في أ : على المعونة والعطاء فتتفرقون وتنفرون عني وتعصونني ، فقام مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي .
(٥) مكان ما بين الحاصرتين في أ : فأخبروه الخبر .
(٦) بعدها في أ : لا يطيعون له أمراً ولا يسمعون له قولاً ولا يجيبون له دعوة بل كلما لهم في نأي عنه وبعد عنه .
(٧) في أ : والخروج عليه وانتقاد أحكامه ورد أقواله وحل إبرامه لجهلهم وقلة عقلهم وحيائهم وغلظتهم .
(٨) بعدها في أ : عدة أسطر زيدت هنا وقد تقدم شيء منها .
(٩) في ط : تلافي .
(١٠) في أ : العام .
(١١) في أ : وبعثه علي بن أبي طالب أعين .

(عند ذلك) علي جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلاً إلى قومه بني تميم ، وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي وقصده جارية فحصره في دار هو وجماعة معه ، قيل : كان عددهم أربعين[١] ، وقيل سبعين ، فحرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤوا له [من جهة معاوية] .

فصل

وقد صحح ابن جرير[٢] أن قتال علي لأهل النهروان كان في هذه السنة ، وكذلك خروج الخرِّيت بن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً ، وكان مع الخريت ثلاثمئة رجل من قومه بني ناجية ـ وكان مع علي بالكوفة ـ فجاء إلى علي فقام بين يديه وقال : والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ، إني لك غداً لمفارق . فقال له علي : ثكلتك أمك إذاً تعصي ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلَّا نفسك ، ولِمَ تفعلُ ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في كتاب وضعفت عن قيام الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الظالمين ، فأنا عليك زاري[٣] وعليك ناقم ، وإنا لكم جميعاً مباينون . ثم رجع إلى أصحابه فسار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم معقل بن قيس ثم أردفه بخالد بن معدان الطائي ـ وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة ـ وأمره أن يسمع له ويطيع ، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً ، ثم خرجوا في آثار الخِرِّيت وأصحابه فلحقوهم ـ وقد أخذوا في جبال رامهرمز ، قال : فصففنا لهم ثم أقبلنا إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي ، ووقف الخِرِّيت فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة ، وجعل من اتبعه من الأكراد والعلوج ميسرة .

قال : وسار فينا معقل بن قيس فقال : عباد الله ! لا تبدؤوا القوم وغضوا أبصاركم ، وأقلّوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا في قتالكم بالأجر إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين ، وعلوجاً كسروا الخراج ، ولصوصاً وأكراداً ، فإذا حملتُ فشدوا شدةَ رجلٍ واحد . ثم تقدم فحرك دابته[٤] تحريكتين ثم حمل عليهم في الثالثة ، وحملنا معه جميعنا ، فوالله ما صبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين ، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلاثمئة ، وفرّ الخرِّيت منهزماً حتى لحق بأساف ـ وبها جماعة من قومه (كثيرة) ـ فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر ، قتله النعمان بن صهبان ، وقتل معه في المعركة مئة وسبعون رجلاً .

ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بين أصحاب علي والخوارج (فيها أيضاً) .

---

(١) في أ : كانوا أربعين رجلاً .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١١٣) .
(٣) زرى عليه : عابه وعاتبه . القاموس (زرو) .
(٤) في أ : رايته .

ثم قال[١] : حدَّثني عمر بن شَبَّة ، حدَّثنا أبو الحسن ـ يعني المدائني ـ علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد قال قال الشعبي : لما قتل علي أهل النهروان خالفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه ، وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال[٢] ، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس ـ وكان عاملاً عليها [لعلي] ـ فأشار (عليه) ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها (فولاه إياها) فسار إليها في السنة الآتية في جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الخراج .

قال ابن جرير[٣] وغيره : وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس ، نائب علي على مكة ، وأخوه عبيد الله بن عباس نائب[٤] اليمن ، وأخوهما عبد الله [بن عباس] نائب البصرة ، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة ، وعلى خراسان خالد بن قرة اليربوعي وقيل ابن أبزى ، (وأما مصر) فقد استقرت[٥] بيد معاوية فاستناب عليها عمرو بن العاص ، والله أعلم .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سهل بن حنيف[٦] بن واهب بن العُكَيْم[٧] بن ثعلبة الأنصاري الأوسي ، شهد بدراً ، وثبت يوم أحد ، وحضر بقية المشاهد ، وكان صاحباً لعلي بن أبي طالب ، وقد شهد معه مشاهده كلها أيضاً غير الجمل فإنه كان قد استخلفه على المدينة ، ومات سهل بن حنيف في سنة ثمان وثلاثين بالكوفة[٨] ، وصلى عليه علي فكبر[٩] خمساً وقيل ستاً ، وقال : إنه من أهل بدر رضي الله عنه .

صَفْوان بن بيضاء[١٠] أخو سهل بن بيضاء شهد (المشاهد) كلها [مع رسول الله ﷺ] وتوفي في هذه السنة في رمضانها[١١] وليس له عقب .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٢٢) .
(٢) في تاريخ الطبري : أهل الأهواز .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٢) .
(٤) في أ : وكان أخوه عبيد الله نائب اليمن .
(٥) في أ : واستقرت مصر بيد معاوية .
(٦) ترجمة ـ سهل بن حنيف ـ في الاستيعاب (٢/ ٦٦٢) وجامع الأصول (١٤/ ٢٠٣) وأسد الغابة (٢/ ٤٧٠) وتهذيب الكمال (١٢/ ١٨٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٩) .
(٧) في ط : « وهب بن العلِم » محرف .
(٨) في أ : في هذه السنة بالكوفة .
(٩) فكبر عليه خمساً وقيل .
(١٠) ترجمة ـ صفوان بن بيضاء ـ في حلية الأولياء (١/ ٣٧٣) والاستيعاب (٢/ ٧٢٣) وأسد الغابة (٣/ ٣١) والإصابة (٥/ ١٤٧) .
(١١) في أ : في رمضان منها .

صهيب بن سنان[١] بن مالك أبو يحيى الرومي وأصله من النَّمر بن قاسط[٢] وكان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على الأُبُلَّة[٣] ، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات ، فأغارت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير ، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بنو كلب فحملوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حيناً ، فلما بُعث رسول الله ﷺ آمن به ، (وكان ممن أسلم) قديماً هو وعمار [بن ياسر] في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله عزَّ وجلَّ ، ولما هاجر رسول الله ﷺ هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدوه عن الهجرة ، فلما أحس بهم نثل كنانته (فوضعها بين يديه) وقال : والله لقد علمتم أني من أرماكم ، ووالله لا تصلون إلي حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلاً منكم ، ثم أقاتلكم بسيفي حتى أقتل . وإن كنتم تريدون المال فأنا أدلكم على مالي وهو مدفون في مكان كذا وكذا ، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله ، فلما قدم [على رسول الله ﷺ] قال له رسول الله ﷺ : « ربح البيع أبا يحيى » وأنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧][٤] .

ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب . وشهد [صهيب] بدراً (وأُحُداً) وما بعدهما ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذي يصلي بالناس حتى تعيَّن عثمان ، وهو الذي ولي الصلاة على عمر ـ وكان له صاحباً [وصديقاً] ـ وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر وكان لسانه فيه عجمة[٥] شديدة ، وكان مع فضله ودينه فيه دعابة وفكاهة وانشراح .

روي أن رسول الله ﷺ رآه يأكل (بقثاء) رطباً وهو أرمد إحدى العينين ، فقال [له] : « أتأكل رطباً وأنت أرمد » ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة ، فضحك رسول الله[٦] ﷺ .

(وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقد نيف على السبعين) .

محمد بن أبي بكر الصّدّيق[٧] ولد في حياة النبي ﷺ في حجة الوداع تحت الشجرة عند الحرم وأمه

---

(١) ترجمة ـ صهيب بن سنان ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٢٦) وجامع الأصول (١٤/ ٣٥٢) وأسد الغابة (٣/ ٣٦ ـ ٣٩) وتهذيب الكمال (١٣ / ٢٣٧) . وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٧ ـ ٢٦) والإصابة (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .

(٢) في ط : « صهيب بن سنان بن مالك الرومي وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط » وهو من أقبح التحريف ، وما أثبتناه من أ ، وهو الموافق لما في مصادر ترجمته .

(٣) في الأصول والمطبوع : الأيلة ، وهو خطأ .

(٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) والحاكم (٣/ ٣٩٨) وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٣١ ـ ٧٣٢) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٢٨) من طرق متعددة ، لا يخلو أي منها من ضعف .

(٥) في أ : وكان في لسانه عجمة شديدة .

(٦) رواه أحمد (٤/ ٦١) وابن ماجه رقم (٣٤٤٣) والحاكم (٣/ ٣٩٩) وهو حديث حسن .

(٧) ترجمة ـ محمد بن أبي بكر الصديق ـ في جامع الأصول (١٥/ ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨) وشذرات الذهب (١/ ٢١٨) .

أسماء بنت عميس ، ولما احتضر الصديق أوصى أن تغسله فغسلته ، ثم لما انقضت عدتها تزوجها علي فنشأ [محمد] في حجره ، فلما صارت إليه الخلافة استنابه على بلاد مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا ، فلما كانت هذه السنة بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبي بكر كما تقدم ، وله من العمر دون الثلاثين [سنة وحزنت عليه عائشة وعلي وغيرهما] ، رحمه الله ورضي عنه .

أسماء بنت عميس[١] بن معبد[٢] بن الحارث الخثعمية [وهي أم محمد المذكور] أسلمت [قديماً] بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وقدمت معه إلى خيبر ، ولها منه عبد الله ، ومحمد ، وعون . ولما قتل جعفر بمؤتة تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت منه محمد بن أبي بكر أمير مصر[٣] ، ثم لما مات الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوناً ، وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها . وكذلك هي أخت أم الفضل امرأة العباس لأمها ، وكان لها من الأخوات لأمها تسع أخوات ، وهي أخت سلمى بنت عميس امرأة العباس التي له منها بنت اسمها عمارة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فيها جهز معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها في أطراف معاملات علي بن أبي طالب ، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاه عمرو بن العاص بعد اتفاقه مع أبي موسى على عزل علي ، أن ولايته وقعت الموقع[٤] ، فهو الذي يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش علي من أهل العراق لا تطيعه في كثير من الأمر ولا يأتمرون بأمره ، فلا يحصل بمباشرته المقصود من الإمارة[٥] والحالة هذه ، [فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك][٦] . وكان ممن بعث في هذه السنة النعمان بن بشير في ألفي فارس إلى عين

---

(١) ترجمة ـ أسماء بنت عميس ـ في الاستيعاب (٤/ ١٧٨٤) وجامع الأصول (١٣/ ١٠٨) وأسد الغابة (٧/ ١٤ ـ ١٥) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٧) والوافي بالوفيات (٩/ ٥٣ ـ ٥٤) ، والإصابة (٤/ ٢٣١) .

(٢) هكذا في ط وأ وأسد الغابة والسير ، لكن الحافظ ابن حجر قيده فقال : « معد بوزن سعد ، أوله ميم » (الإصابة ٤/ ٢٣١) فلا ريب أن ما وقع هنا والمصادر المذكورة تحريف . وقد جاء على الصواب في تهذيب الكمال وفروعه وتاريخ الإسلام وغيره .

(٣) في أ : ولها من جعفر عبد الله وعون فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت له محمد .

(٤) في أ : عمرو بن العاص الخلافة بعد اتفاقه هو وأبو موسى على خلع علي وعزله عن الأمر أن ولايته صحيحة وقد وقعت .

(٥) في أ : فلا يحصل بمباشرته مقصود الولاية والإمارة .

(٦) مكانهما في أ : فأنا أولى منه إذا كانت كلمة أهل الشام ومصر مجموعة عليَّ وهم طائعون لي يتأمرون بأمري وكلمتي نافذة فيهم فعند ذلك جهز الجيوش إلى أطراف مملكة علي .

التمر ، وعليها مالك بن كعب الأرحبي في ألف فارس مسلحة لعلي ، فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا[١] عنه فلم يبق مع مالك بن كعب إلا مئة رجل فكتب عند ذلك إلى علي يعلمه بما كان من الأمر ، فندب علي الناس إلى مالك بن كعب فتثاقلوا [عليه] ونكلوا عنه ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم علي عند ذلك فقال في خطبته : يا أهل الكوفة ! كلما سمعتم بمنسر[٢] من مناسر أهل الشام انجحر كل [امرىء] منكم في بيته ، وغلق عليه بابه . انجحار الضب في جحره ، والضبع في وجاره ، المغرور والله من غررتموه ، ولَمن فارقكم فاز بالسهم الأخيب[٣] ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم ، عُميٌ لا تبصرون ، وبُكْمٌ لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

ودهمهم النعمان بن بشير فاقتتلوا قتالاً شديداً وليس مع مالك بن كعب إلَّا مئة رجل قد كسروا جفون[٤] سيوفهم واستقتلوا ، فبينا هم كذلك إذ جاءهم نجدة من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً ، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم ففروا هرباً [على وجوههم] فاتبعهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس وذهب الباقون على وجوههم ولم يتم لهم أمر من هذا الوجه[٥] .

وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف وأمره بأن يأتي هيت فيغير عليها ، ثم يأتي الأنبار والمدائن . فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد فيها أحداً ، ثم إلى الأنبار وفيها مسلحة لعلي نحو من خمسمئة ، فتفرقوا ولم يبق منهم إلا مئة رجل ، فقاتلوا مع قلتهم وصبروا حتى قُتل أميرهم ـ وهو أشْرَسُ بن حَسَّان البلوي[٦] ـ في ثلاثين رجلاً من أصحابه ، واحتملوا[٧] ما كان بالأنبار من الأموال وكرّوا راجعين إلى الشام ، فلما بلغ الخبر علياً رضي الله عنه [وما جرى لأهل الأنبار] ركب بنفسه فنزل بالنخيلة فقال له الناس : نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرح سعيد[٨] (بن قيس) في أثر القوم فسار وراءهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع .

وفيها بعث معاوية عبدَ الله بن مَسْعَدة الفَزاري[٩] في ألف وسبعمئة إلى تيماء وأمره أن يصدق[١٠] أهل

---

(١) ارفضوا : ذهبوا وتفرقوا . القاموس .

(٢) منسر ـ كمجلس ومنبر ـ : قطعة من الجيش . القاموس (نسر) .

(٣) في ط : الأصيب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ١٣٤) .

(٤) جفون : جمع جفن وهو غمد السيف . القاموس (جفن) .

(٥) في أ : وذهب الباقون لا يلوون على أحد حتى قدموا الشام ولم يبق لهم ما رجوا من هذا الوجه .

(٦) في تاريخ الطبري (٥/ ١٣٤) : البكري .

(٧) في أ : واحتمل الشاميون .

(٨) في ط : سعد ؛ تحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ١٣٤) .

(٩) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٥) .

(١٠) يأخذ الصدقات . القاموس .

البوادي ومن امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز . فسار إلى تيماء واجتمع عليه بشر كثير ، فلما بلغ علياً بعث المسيب بن نَجَبة الفزاري في ألفي رجل فالتقوا بتيماء فاقتتلوا قتالاً شديداً عند زوال الشمس ، وحمل المُسيَّب بن نَجبة على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له : النجا النجا ، فانحاز ابن مسعدة في طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به وهرب بقيتهم إلى الشام ، وانتهبت الأعراب ما كان جمعه ابن مسعدة من إبل الصدقة ، وحاصرهم المسيّب بن نَجبة ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب وألهب فيه النار ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا من الحصن ، ومتوا[١] إليه بأنهم من قومهم فرقَّ لهم وأطفأ النار ، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا [منه] هرباً إلى الشام ، فقال عبد الرحمن بن شبيب[٢] للمسيّب بن نَجَبَة : سر حتى ألحقهم ! فقال : لا ! فقال : غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم .

وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يغير على أطراف جيش علي ، فجهز علي حجر بن عدي في أربعة آلاف وأنفق فيهم [كل رجل] خمسين درهماً خمسين درهماً ، فالتقوا بتدمر فقتل [حجر] من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، وقُتل من أصحاب حجر بن عدي رجلان ، وغشيهم الليل فتفرقوا ، وانشمر[٣] الضحاك بأصحابه فارّاً إلى الشام . وفيها سار معاوية بنفسه في جيش كثيف حتى بلغ دجلة ثم كرَّ راجعاً . ذكره محمد بن سعد عن الواقدي بإسناده وأبو معشر [معه] أيضاً .

وفي هذه السنة ولَّى عليّ بن أبي طالب زياد بن أبيه على أرض فارس . وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة ، وسبب ذلك حين قتل ابن الحضرمي وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة في تلك الدار كما قدمنا ، فلما[٤] اشتهر هذا الصنيع في البلاد شَوَّش ذلك[٥] قلوب كثير من الناس على علي[٦] ، واختلفوا على علي ، ومنع أكثر أهل تلك النواحي خراجهم ، ولاسيما أهل فارس فإنهم تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف [عنهم] ـ كما تقدم في العام الماضي ـ من بين أظهرهم ، فاستشار علي الناس فيمن يوليه عليهم ، فأشار ابن عباس وجارية بن قدامة أن يولي عليهم زياد بن أبيه ، فإنه صليب الرأي ، عالم بالسياسة . فقال علي : هو لها ، فولاه فارس وكرمان وجهزه إليهما في أربعة آلاف فارس ، فسار إليها في هذه السنة فدوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج وما كان عليهم من الحقوق ، ورجعوا إلى السمع والطاعة ، وسار فيهم بالمعدلة والأمانة ، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون : ما رأينا سيرة أشبه

---

(١) المتّ : التوسّل بقرابة . القاموس .

(٢) في أ : ضيب ؛ وما هنا كالطبري .

(٣) في ط : واستمر .

(٤) في أ : جارية بن قدامة كما تقدم فلما اشتهر هذا .

(٥) في أ : تشوش .

(٦) في أ : من الناس وأنكروه جداً .

بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللّين والمداراة والعلم بما يأتي[١] ، وصفت له تلك البلاد بعدله وعلمه وصرامته[٢] ، واتخذ للمال قلعة حصينة ، فكانت تعرف بقلعة زياد ، ثم لما تحصن فيها منصور البكري[٣] فيما بعد ذلك عرفت به فكان يقال لها قلعة منصور .

قال الواقدي[٤] : وفي هذه السنة بعث علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس على الموسم وبعث معاوية يزيد بن سخبرة الرُّهاوي ليقيم للناس الحج فلما اجتمعا بمكة تنازعا وأبى كل واحد منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحَجَبي فحج بالناس وصلّى بهم في أيام الموسم .

قال أبو الحسن المدائني[٥] : لم يشهد عبد الله بن عباس الموسم في أيام علي حتى قتل ، والذي نازعه يزيد بن سخبرة إنما هو قثم بن العباس [حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان . قال ابن جرير : وكما قال أبو الحسن المدائني قال أبو مصعب][٦] .

قال ابن جرير[٧] : وأما عمال علي على الأمصار فهم الذين ذكرنا في السنة الماضية غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة إلى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ، ثم سار زياد في هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان[٨]

سعد القَرَظ[٩] ، مؤذن مسجد قبا في زمان رسول الله ﷺ ، فلما ولي عمر الخلافة ولاه أذان المسجد النبوي ، وكان أصله مولى لعمار بن ياسر ، وهو الذي كان يحمل العنَزَة بين يدي أبي بكر وعمر [وعثمان] وعلي إلى المصلى يوم العيد وبقي الأذان في ذريته مدة طويلة .

عقبة بن عمرو بن ثعلبة[١٠] ، أبو مسعود البدري سكن ماء بدر [فنسب إليه] ولم يشهد الوقعة بها على

---

(١) بعدها في أ : وما يذر .
(٢) في أ : وضراسته .
(٣) في ط : اليشكري ؛ تحريف .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٦) .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) ليس ما بينهما في أ .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٦) .
(٨) في أ : فيها من الأعيان .
(٩) في ط : القرظي ؛ تحريف ، وهو سعد بن عائذ المؤذن مولى عمار بن ياسر المعروف بسعد القرظ ، ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٥٩١) وأسد الغابة (٢/ ٤٤٠) والإصابة (٢/ ٢٩) .
(١٠) ترجمة ـ عقبة بن عمرو ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٦) والاستيعاب (٣/ ١٠٧٤) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣١) وأسد الغابة (٤/ ٥٧) والإصابة (٢/ ٤٩٠) .

الصحيح ، وقد شهد العقبة ، وهو من سادات الصحابة وكان ينوب لعلي بالكوفة إذا خرج منها إلى القتال[١]

سنة أربعين من الهجرة [النبوية]

[فيها كان مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على ما سنذكره مفصلاً إن شاء الله تعالى]

قال ابن جرير[٢] : فمما كان في هذه السنة من الأمور الجليلة توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عوانة قال : أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبي أرطاة ـ وهو رجل من بني عامر بن لؤي ـ في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ـ وعامل علي عليها يومئذ أبو أيوب ـ ففر منهم أبو أيوب فأتى علياً بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى على المنبر : يا دينار ويا نجار ويا رزيق شيخي شيخي عهدي به هاهنا بالأمس فأين هو ؟ ـ يعني عثمان بن عفان ـ ثم قال : يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت بهما محتلماً إلَّا قتلته ، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال : والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله ـ يعني حتى يبايعه ـ فانطلق جابر حتى دخل على أم سلمة فقال لها : ماذا ترين إني خشيت أن أُقتل وهذه بيعة ضلالة ؟ فقالت [له] : أرى أن تبايع فإني قد أمرتُ ابني عمر وختني عبد الله بن زمعة ـ وهو زوج ابنتها زينب ـ أن يبايعا فأتاه جابر فبايعه . قال : وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى الأشعري أن يقتله فقال له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك ، فخلّى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل من أبى أن يقر بالحكومة ، ثم مضى بسر إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلي ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثي[٣] ، فلما دخل بسر اليمن قتله وقتل ابنه ، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان صغيران له فقتلهما وهما عبد الرحمن وقثم ، [وقيل إنه ذبحهما بين يدي أمهما فزاغ عقلها ، ووسوست مما رأت فكانت بعد ذلك تقف في المواسم مبهوتة زائغة العقل تندب ولديها] ويقال إن بسراً قتل خلقاً من شيعة علي في ميسره هذا ، وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير ، وفي صحته عندي نظر والله تعالى أعلم .

ولما بلغ علياً خبر بسر وجَّه جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى بلغ نجران فحَرَّق بها[٤] وقتل ناساً من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعوا . فقالوا : لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع ؟ فقال : بايعوا لمن بايع

---

(١) في ط : إذا خرج إلى صفين وغيرها .

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٩) .

(٣) في ط : الحاوي ؛ تحريف . وما هنا كالطبري والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٨٤) .

(٤) في أ : حتى أتى نجران فحرق بابها .

له أصحاب علي ، فتثاقلوا ثم بايعوا من خوف ، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية : والله لو أخذت أبا سنّور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا للحسن بن علي ، فبايعوا وأقام عندهم [يوماً] ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة وعاد أبو هريرة يصلي بهم .

قال ابن جرير(١) : وفي هذه السنة جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ، وأن يكون ملك العراق لعلي ولمعاوية [ملك] الشام ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة .

ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى علي :

أما بعد فإن الأمة قد قتل بعضها بعضاً فلك العراق ولي الشام فأقر بذلك علي رضي الله عنه . وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر ، وبعث الجيوش إلى بلاده ، واستقر الأمر على ذلك .

قال ابن جرير(٢) : وفي هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مكة وترك العمل في قول عامة أهل السير ، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل عاملاً على البصرة حتى صالح [الحسن بن] علي معاوية ، وأنه كان شاهداً للصلح ، كما(٣) نص على ذلك أبو عبيدة كما سيأتي .

ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غض وحط على أبي الأسود ، فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس وينال من عرضه بأنه تناول شيئاً من أموال [الناس من] بيت المال فبعث علي إلى ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرَّر عليه القضية(٤) فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى علي أن ابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن عنه والسلام . [ثم ترك ذلك ابن عباس] إلى مكة مع أخواله بني هلال وتبعهم قيس كلها ، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العمالة والفيء ، ولما سار تبعته أقوام أخر فلحقهم بنو غنم وأرادوا منعهم من المسير فكان بينهم بعض قتال ، ثم تحاجزوا ودخل ابن عباس مكة .

ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وما ورد [في ذلك] من الأحاديث النبوية [وما في ذلك من دلائل النبوة] من الأخبار بمقتله وكيفيته

كان أمير المؤمنين رضي الله عنه قد انتقضت(٥) عليه الأمور ، واضطرب عليه جيشه ، وخالفه أهل

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٠) .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٤١) .
(٣) في ط : ممن .
(٤) في ط : التبعة .
(٥) في ط : تنغصت .

العراق [وغيرهم] ، ونكلوا عن القيام معه ، واستفحل أمر أهل الشام ، وصالوا وجالوا [في البلاد] يميناً وشمالًا ، زاعمين أن الإمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين في خلعهما علياً وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الإمرة عن أحد ، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم[١] يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق [ووهنوا] ، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان ، أعبدهم وأزهدهم ، وأعلمهم وأخشاهم لله عزَّ وجلَّ ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه [وقد كان يعطيهم العطاء الكثير والمال الجزيل فلا زال هذا ذهابهم معه] حتى كره الحياة وتمنى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن [والظلم والفساد] فكان يكثر أن يقول : ما يحبس أشقاها ، أي ما ينتظر ؟ ما له لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبن هذه ـ ويشير إلى لحيته ـ من هذه ـ ويشير إلى هامته ـ [كما روى ذلك عنه عن النبي ﷺ من طرق : الطريق الأولى : رواها][٢] البيهقي[٣] : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصَّغَاني ، حدَّثنا أبو الجوَّاب الأحوص بن جوَّاب[٤] ، حدَّثنا عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثعلبة بن يزيد قال قال علي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها » ؟ فقال عبد الله بن سَبُع[٥] : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأبدنا عترته : فقال أنشدكم بالله أن يُقتل بي غير قاتلي . فقالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما تركوكم رسول الله ﷺ . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته وقد تركتنا هملاً ؟ قال : أقول : اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني ، وتركتك فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم [فيه ضعف في بعض ألفاظه] .

طريق أخرى

قال أبو داود الطيالسي في « مسنده »[٦] : حدَّثنا شريك ، عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب ، قال : جاءت الخوارج إلى علي فقالوا : اتق الله [يا علي] فإنك ميت . قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ـ عهد معهود وقَضاء مقضي ، وقد خاب من افترى .

---

(١) في أ : بعد تحكيم الحكمين .
(٢) مكان ما بين الحاصرتين في ط : كما قال .
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٩) .
(٤) تحرفت في ط إلى : حراب .
(٥) في أ : منيع ؛ تحريف ، وما هنا موافق للطبقات الكبرى (٣/ ٣٤) .
(٦) مسند أبي داود الطيالسي (ص١٩) ، وهو موقوف على عليٍّ رضي الله عنه .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو يعلى[١] : حدَّثنا سويد بن سعيد ، حدَّثنا رشدين بن سعد ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ، عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه . قال قال علي : قال لي رسول الله ﷺ : « من أشقى الأولين ؟ » قلت : عاقر النَّاقة ، قال : « صدقتَ فمن أشقى الآخرين ؟ » قلت : لا علم لي يا رسول الله ، قال : « الذي يضربك [على هذه وأشار بيده على يافوخه فيخضب هذه من هذه ، يعني لحيته من دون رأسه قال : فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم] »[٢] .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا وكيع ، حدّثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عبد الله بن سبُع قال : سمعت علياً يقول : لتُخْضبنَّ هذه من هذه . فما ينتظر [بي] الأشقى ؟ [فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا به نبير عترته ، قال : إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي] قالوا : فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكن أترككم كما ترككم إلى ربه رسول الله ﷺ . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته ؟ قال : أقول : اللهم ، تركتني فيهم ما بدا لك . ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، إن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم .

قال أحمد[٤] : حدَّثنا أسود بن عامر ، أنبأنا أبو بكر ، عن الأعمش عن سلمة بن كهيل ، عن عبد الله بن سبُع قال :

خطبنا علي فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتُخْضبنَّ هذه من هذه . قال : فقال الناس : فأعلمنا منْ هو ؟ والله لنبيدنه ولنبيدن عترته[٥] . فقال : أنشدكم بالله : أن يُقتل غير قاتلي ، قالوا : إن كنت علمتَ ذلك فاستخلف ، قال : لا ولكن أكلكم إلى من وكلكم إليه رسول الله ﷺ .

تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن علي

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدَّثنا محمد يعني ابن راشد ، عن عبد الله بن

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤٨٥) وإسناده ضعيف .

(٢) من قوله : طريق أخرى عنه إلى هنا ساقط من أ . وقد أقحمت في ط . بعد هذا الخبر بخبرين منقولين عن ابن جرير الطبري بين عبد الملك بن مروان والحجاج فحذفناهما وذلك لأن موضعهما ليس هنا .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣٠) وهو حديث حسن لغيره .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٦) وإسناده ضعيف .

(٥) في المسند : والله لنُبيرنه أو لنبيرن عترته .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٠٢) وإسناده ضعيف .

محمد بن عقيل ، عن فَضَالة بن أبي فَضَالة الأنصاري ـ وكان أبو فَضَالةَ[١] من أهل بدر قال : خرجت مع أبي عائداً لعليٍّ من مرض أصابه ثَقُلَ منه . فقال له أبي : ما يقيمك بمنزلك هذا لو أصابك أجلك لم يَلِكَ إلا أعراب جُهينة أو غيرهم ، تُحملُ إلى المدينة ، فإن أصابك أجلك وليكَ أصحابك وصلّوا عليك . فقال علي : إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ أني لا أموت حتى أؤمَّر ، ثم تخضبُ هذه ـ يعني لحيته ـ من هذه ـ يعني هامته ـ قال : فقتل ، وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين .

تفرد به أحمد .

ورواه البيهقي في « الدلائل »[٢] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن مكرم ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .

طريق أخرى عنه

قال البزار[٣] : حدَّثنا أحمد بن أبان القرشي ، حدَّثنا سفيان بن عيينة ، حدَّثنا كوفي [لنا] يقال له عبد الملك بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود ، عن أبيه قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في غرز الركاب : لا تأتِ العراق فإنك إن أتيتها أصابك فيها ذباب السيف فقال : وايم الله لقد قالها ولقد قالها النبي ﷺ لي قبله . قال أبو الأسود : تالله ما رأيت رجلاً محارباً يحدث بهذا غيرك .

ثم قال البزار : لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا علي بن أبي طالب ، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين عن أبي حرب ولا رواه عنه إلا ابن عيينة .

هكذا قال . وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك . قال البيهقي[٤] : بعد ذكر طرق من هذه الطرق : وقد روينا في كتاب السنن بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان الدؤلي عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله .

حديث آخر في ذلك

قال الخطيب البغدادي[٥] : أخبرني علي بن القاسم البصري ، حدَّثنا علي بن إسحاق المادَرائي [قال] : أنبأنا محمد بن إسحاق الصَّغَاني ، حدَّثنا إسماعيل بن أبان الورَّاق ، حدَّثنا أبو عبد الله

---

(١) في الأصول والمطبوع : ابن فضالة ، والتصحيح من المسند .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٨) وهو بمعنى الذي قبله .
(٣) البحر الزخار (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) .
(٥) تاريخ بغداد (١/ ١٣٥) في ترجمة علي بن أبي طالب .

المُحلميّ ، عن سِماك ، عن جابر بن سمرَة قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « من أشقى الأولين ؟ » قال : عاقر الناقة ، قال : « فمن أشقى الآخرين ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قال : « قاتلك » .

حديث آخر في معنى ذلك

وروى البيهقي[١] من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثَعْلبة الحمَّاني قال سمعت علياً على المنبر وهو يقول : « والله إنه لعهد النبي الأمي إلي أن الأمة ستغدر بك بعدي » .

قال البخاري[٢] : ثعلبة بن يزيد الحمَّاني في حديثه هذا نظر .

قال البيهقي[٣] : وقد رويناه بإسناد آخر عن علي إن كان محفوظاً .

أخبرنا أبو علي الروذباري ، أنا أبو محمد بن شَوْذَب الواسطي ، بها ، حدَّثنا شعيب بن أيوب ، حدَّثنا عمرو بن عون ، عن هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي إدريس الأزدي ، عن عليٍّ . قال : إن مما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن الأمة ستغدر بك بعدي .

قال البيهقي : فإن صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في قتله .

وقال الأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن[٤] عبد الله بن الحارث ، عن زهير بن الأرقم . قال : خطبنا علي يوم جمعة فقال : نبئت أن بسراً قد طلع اليمن ، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم ، وخيانتكم وأمانتهم ، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم ، قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته ، اللهم سئمتهم وسئموني ، وكرهتهم وكرهوني ، اللهم فأرحهم مني وأرحني منهم . قال : فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه .

صفة مقتله رضي الله عنه

ذكر ابن جرير[٥] وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي حليف بني حنيفة[٦] من كندة المصري

---

(١) دلائل النبوة (١/ ٤٤٠) .
(٢) تاريخ البخاري (٢/ ٧٤) وقد تحرفت يزيد في ط إلى زيد .
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٤٠) .
(٤) في ط : عمرو بن مرة بن عبد الله بن الحارث ؛ خطأ . وعمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق ؛ من رجال التهذيب .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٣) .
(٦) في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٥) : حليف بن جبلة .

وكان أسمر حسن الوجه أبلج ، شعره مع شحمة أذنيه ، وفي جبهته أثر السجود . والبُرك بن عبد الله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي أيضاً ـ اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا : ماذا نصنع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا [من خير الناس وأكثرهم صلاة وكانوا دعاة الناس إلى ربهم] لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم [العباد و] البلاد ، وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أمّا أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب . وقال البرك : وأنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو بن بكر : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه ، فأخذو أسيافهم فسمُّوها واتعدوا [أن يكون هذا الأمر] لسبع عشرة من رمضان[١] أن يبيِّت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه . فأما ابن ملجَم فسار إلى الكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن [قومه و] أصحابه [بها] من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس في قوم من بني [تيم] الرباب [وهم] يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشجنة ، قد قتل علي يوم النهروان أباها وأخاها ، وكانت فائقة الجمال مشهورة [بالحسن] ، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجَم سلبت عقله ونسي حاجته التي جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادماً وقينة . وأن يقتل لها علي بن أبي طالب . [فأجابها إلى ما شرطت عليه] قال : فهو لك ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي [بن أبي طالب] ، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرّضه على ذلك ، وندبت له رجلاً من قومها ، من تيم الرَّباب يقال له وردان ، ليكون معه ردءاً ، واستمال عبد الرحمن بن ملجم رجلاً آخر يقال له شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري . قال ابن ملجم : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك : قال ؟ قتل علي ، فقال : ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إدّاً[٢] كيف تقدر عليه ؟ قال أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا[٣] ، وإن قتلنا فما عند الله خير [وأبقى] من الدنيا . فقال : ويحك لو غير علي كان أهون علي ؟ قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ فما أجدني أنشرح صدراً لقتله . فقال : أما تعلم أنه قتل أهل النهروان ؟ فقال : بلى قال : فنقتله بمن قتل من إخواننا . فأجابه إلى ذلك بعد لأيٍ ، ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التي واعدت [فيها] أصحابي [أن يقتل كل واحد منا فيها صاحبه الذي ذهب إليه ، ثم جاؤوا إلى قطام فدعت لهم بعصب الحرير فعصبتهم بها وكانت في المسجد][٤] فجاء هؤلاء الثلاثة ـ وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب ـ وهم مشتملون على سيوفهم

(١) في أ : من رمضان في تلك الليلة بيت كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه في بلده الذي هو فيه فيقتله .

(٢) الإدّ : الأمر الفظيع والداهية والمنكر . لقاموس (أرد) .

(٣) في أ : فأدركنا ثأر إخواننا .

(٤) مكان ما بين الحاصرتين في ط : فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص .

[فدخلوا المسجد الجامع] فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج جعل يُنهض الناس من النوم إلى الصلاة [على عادته] ويقول : الصلاة الصلاة [عباد الله] فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع [سيفه] في الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال : لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ونادى علي : عليكم به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله ، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس ، ومُسك ابن ملجَم ، وقدّم عليّ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب فصلّى بالناس صلاة الفجر ، وحُمل عليّ إلى منزله ، وحُمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف ـ قبحه الله ـ فقال له : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى : قال . فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته [يعني سيفه] أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له علي : لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به[١] . وقال جندب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن ؟ فقال : لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر .

ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ[٢] بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] . وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة [وغفر الذنب] وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاهما به ، وأن يعظمهما ولا يقطع أمراً دونهما وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه .

وصورة الوصية : بسم الله الرحمن الرحيم ! هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من[٣] المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدي [وأهلي] ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم[٤] ﷺ يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم ليهوّن الله عليكم الحساب ، الله

---

(١) في أ : تقديم لخبر أورده الإمام أحمد وسيرد بعد صفحة من هنا .
(٢) في أ : لا ينطق .
(٣) في ط : « أول » ، وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ١٤٧) .
(٤) في أ : رسول الله .

الله في الأيتام فلا تُعنوا[١] أفواههم ، ولا يضيعُنّ بحضرتكم ، الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، الله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم . الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم . الله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا[٢] . الله الله في شهر رمضان فإن صيامه جُنَّة من النار . الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . الله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب الرب . الله الله في ذمة نبيكم ولا يُظْلمنَّ بين أظهركم[٣] . الله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم . الله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم . الله الله فيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » الصلاة الصلاة ، لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله[٤]

ثم لم ينطق إلَّا بلا إله إلا الله حتى قبض في شهر رمضان سنة أربعين .

وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلّى عليه الحسن فكبّر عليه تسع تكبيرات .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا أبو أحمد الزّبيري ، حدَّثنا شريك ، عن عمران بن ظبيان ، عن أبي تِحيى[٦] قال : لما ضرب ابن ملجَم علياً قال لهم : افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال : « اقتلوه ثم حرقوه » .

وقد روي أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لمَ ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك، فقالت : إنه لا بأس عليه ، فقال : لمَ تبكين ؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لماتوا أجمعين ، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف .

قال الهيثم بن عدي : حدَّثني رجل من بجيلة ، عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من [بني] تيم الرَّباب يقال لها قطام كانت من أجمل النساء ترى رأي الخوارج ، قد قتل عليٌّ قومها على هذا الرأي ، فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف [درهم] وعبد وقينة

---

(١) في ط : « تعفو » وما هنا يعضده ما في تاريخ الطبري .

(٢) في أ : فإنه يترك بكم لن تناظروا .

(٣) في ط : « ظهرانيكم » ، وما هنا من أ وتاريخ الطبري .

(٤) وإسناد هذه الوصية ضعيف معضل ، وانظر معجم الطبراني الكبير (١/ ٩٧) رقم (١٦٨) .

(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٢) وإسناده ضعيف .

(٦) في أ ، ط : يحيى ؛ تحريف .

[وقتل علي بن أبي طالب] ، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له : يا هذا قد فرغت [من حاجتك] فافرغ [من حاجتي] فخرج ملبساً سلاحه ، وخرجت معه ، فضربت له قبة في المسجد وخرج عليٌّ يقول : الصلاة الصلاة ، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر ـ قال ابن جرير : هو ابن مياس المرادي[١] : [من الطويل]

فَلَمْ أرَ مَهْراً ساقَهُ ذو سَماحةٍ كَمهْرِ قَطامِ بيِّناً غيرَ مُعْجَمِ[٢]
ثَلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ وقتلُ عليٍّ بالحسامِ المُصَمَّمِ[٣]
فلا مَهْرَ أغْلَى من عليٍّ وإنْ غَلا ولا فتكَ إلا دون فتكِ[٤] ابن ملجم

وقد عزا ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن ميّاس المرادي وأنشد له ابن جرير[٥] في قتلهم علياً : [من الطويل]

ونحنُ ضربنا[٦] مالكَ الخيرِ حيدراً[٧] أبا حسنٍ مأمومةً[٨] فتفطَّرا
ونحن خلعنا ملكهُ من نظامه بضربةِ سيفٍ إذ علا وتجبَّرا
ونحنُ كرامٌ في الهياجِ[٩] أعزةٌ إذا الموتُ بالموتِ ارتدَى وتأزَّرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العبّاد ممن يروي[١٠] عن عائشة في صحيح البخاري[١١] فقال [يمدح ابن ملجم على قتله علياً][١٢] : [من البسيط]

يا ضربةً من تقيٍّ ما أرادَ بها إلَّا ليبلغَ من ذي العرشِ رضوانا
إنّي لأذكرُهُ يوماً فأحسبهُ أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزانا

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٠) وفيه اسم الشاعر : ابن أبي مياس .
(٢) في تاريخ الطبري من فصيح وأعجم .
(٣) في أ : المضهم .
(٤) في أ : والطبري : ولا قتل إلا دون قتل .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٠) .
(٦) في أ : ونحن قتلنا .
(٧) في تاريخ الطبري : يا لك الخير حيدرا .
(٨) المأمومة : الشجة التي تبلغ أم الرأس .
(٩) في تاريخ الطبري : في الصباح .
(١٠) في أ : وقد روى .
(١١) في اللباس الحديث (٥٩٥٢) عن عمران بن حطان : أن عائشة رضي الله عنها حدّثته أن النبي ﷺ لم يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه .
(١٢) بدل ما بين الحاصرتين في ط : فيه . والبيتان في الكامل للمبرد منسوبين لعمران بن حطان (٣/ ١٠٨٥) .

وأما صاحب معاوية ـ وهو البرك[١] ـ فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا[٢] اليوم فضربه بالسيف ، وقيل بخنجر مسموم ، فجاءت الضربة في وركه فجرحت أليته ، ومسك الخارجي فقتل ، وقد قال لمعاوية : اتركني فإني أبشرك ببشارة ، فقال : وما هي ؟ فقال : إن أخي قد قتل في هذا اليوم علي بن أبي طالب ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنه ، لا حرس معه ، فأمر به فقتل ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربةً فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك[٣] . فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لي بها وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني . فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل[٤] وسَلِمَ رضي الله عنه . ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها[٥] في حال السجود ، فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة[٦] .

وأما صاحب عمرو بن العاص ـ وهو عمرو بن بكر [الخارجي] ـ فإنه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في تلك الليلة فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة ـ وهو خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص [فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص ، فلما أخذ الخارجي][٧] قال : أردتُ عمراً وأراد الله خارجة ، فأرسلها مثلاً ، وقتل [من وقته] قبحه الله .

وقد قيل إن الذي قالها عمرو بن العاص ، وذلك حين جيء بالخارجي فقال : ما هذا ؟ قالوا قتل نائبك خارجة [فقال الخارجي والله ما أردت إلا إياك فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجة] ثم أمر به فضربت عنقه .

والمقصود أن علياً رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته ، هذا هو المشهور ، ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهب فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع ، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة ، حكاه الخطيب البغدادي[٨] عن أبي نعيم الحافظ ، عن أبي بكر الطلحي ، عن

---

(١) في أ : والذي ذهب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو البرك .
(٢) في أ : في يوم الجمعة أيضاً .
(٣) في أ : وينقطع النسل .
(٤) في أ : من ألمه وجراحه وانقطع نسله وسلم من ذلك ، ومن يومئذ أمر بعمل المقصورة .
(٥) في أ : وجعل الحرس حولها في حال السجود من الصلاة .
(٦) في أ : لأجل هذه الحالة .
(٧) ما بين الحاصرتين في أ : ومسك الخارجي فلما أخذوه .
(٨) تاريخ بغداد (١/ ١٣٨) .

محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ ـ مطين[١] ـ أنه قال : لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة .

قال الواقدي[٢] : حدَّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل ؟ قال : ثلاثاً وستين سنة . قلت : أين دفن ؟ قال : دفن بالكوفة ليلاً وقد غُبي[٣] عنّي دفنه .

وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانياً وخمسين سنة ، وقد قيل إن علياً دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة . قاله الواقدي[٤] . والمشهور [أنه دفن] بدار الإمارة [وقيل بحائط جامع الكوفة] . وقد حكى الخطيب البغدادي[٥] : عن أبي نعيم الفضل بن دكين : أن الحسن والحسين حوَّلاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر [زوجته] فاطمة [أمهما] . وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طيِّىء يظنونه مالاً فلما رأوا[٦] أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوا [من هو] دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره ، حكاه الخطيب أيضاً .

وروى الحافظ ابن عساكر[٧] عن الحسن قال : دفنت علياً في حجرة من دور آل جعدة . وعن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن عبد الله [القسري] أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم بإحراقه ثم صرفه الله عن ذلك [إلى غيره] فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه . قالوا وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت إسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه .

وعن جعفر بن محمد الصادق قال : صُلِّي على عليٍّ ليلاً ودفن بالكوفة وعُمِّي موضع قبره ولكنه عند قصر الإمارة .

وقال ابن الكلبي : شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه في ظاهر الكوفة وعمَّوا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم .

وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين وقيل إنه قتل في ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم . ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه

---

(١) في أ : خطير ، وفي ط : مطر ، وما هنا عن تاريخ بغداد .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٩١) .

(٣) التغبية : الستر . القاموس (غبب) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٩١) .

(٥) تاريخ بغداد (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٦) في أ : عرفوا .

(٧) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٣٧٥) .

الواقدي وابن جرير[١] وغير واحدٍ ، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وستين سنة رضي الله عنه . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر . فلما مات علي رضي الله عنه استدعى الحسن بابن ملجم فقال له ابن ملجم[٢] : إني أعرض عليك خصلة قال : وما هي ؟ قال : إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن خليتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم أقتله أو قتلته وبقيت فلله عليَّ أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك [إن أردت أن تقتل وإن أردت أن تعفو] فقال له الحسن : كلا والله حتى تعاين النار ، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه في بواري ثم أحرقوه بالنار[٣] .

وقد قيل إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ . . . ﴾ إلى آخرها ثم جاؤوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال : إني أخشى أن تمر عليَّ ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه في قوصرة[٤] والله أعلم .

وروى ابن جرير قال : حدَّثني الحارث حدَّثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب علي يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة ، وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة .

قال الواقدي[٥] : وهو الثبت عندنا والله أعلم بالصواب .

[فصل في] ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانىء بن هانىء ، عن علي قال : لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال : « أروني ابني ، ما سمَّيتموه ؟ » فقلت : سميته حرباً ، فقال : « بل هو حسن » فلما ولد الحسين قال : « أروني ابني ، ما سمَّيتموه ؟ » فقلت : سميته حرباً قال : « بل هو حسين » فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ فقال : « أروني ابني ما سميتموه ؟ » فقلت حرباً فقال : « بل هو مُحسِّن » ثم قال : « إني سميتهم باسم ولد هارون شبَّر وشبير ومُشبِّر » .

وقد رواه محمد بن سعد[٧] عن يحيى بن عيسى التميمي[٨] ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٥١) .

(٢) في أ : فلما مات علي استدعى الحسن بن علي بابن ملجم ، فلما وقف بين يديه قال . .

(٣) في هامش أ : مطلب قتل الحسن بن أمير المؤمنين علي قاتل أبيه ابن ملجم . .

(٤) القَوْصرة والقَوْصَرَّة : مخفف ومُثَقل ؛ وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري . اللسان (قصر) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٨) وتاريخ الطبري (٥/ ١٥٢) .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٨) وإسناده ضعيف ، لجهالة هانىء بن هانىء ، كما في « تحرير التقريب » .

(٧) لم أجده في الطبقات وهو بتمامه في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٧) .

(٨) في ط : التيمي ؛ خطأ .

قال قال علي : كنت رجلاً أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث . وقد ورد في بعض الأحاديث أن علياً سمى الحسن أولًا بحمزة وحسيناً بجعفر فغير اسميهما رسول الله ﷺ .

فأول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسيناً ويقال ومحسناً ومات [محسن] وهو صغير ، وولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم [الكبرى] وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم . ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة ، منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها ، وتوفي عن أربع كما سيأتي .

فمن زوجاته أم البنين بنت حزام وهو أبو المجل[١] بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر بن كلاب فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان . وقد قتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكر بلاء ولا عقب لهم سوى العباس .

ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، وقال هشام بن الكلبي : وقد قتلا بكر بلاء أيضاً . وزعم الواقدي : أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار .

ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبي . وقال الواقدي : ولدت له يحيى وعوناً ؛ قال الواقدي : فأما محمد الأصغر فمن أم ولد .

ومنهن أم حبيبة بنت ربيعة بن بجير[٢] بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد [بن الوليد] من بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر ـ وقد عمر خمساً وثمانين[٣] سنة ـ ورقية .

ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتِّب[٤] بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى .

ومنهن ابنة امرىء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية فولدت له جارية ، فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه وه تعني بني كلب .

---

(١) في ط : « بنت حرام ، وهو المحل » ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ١٥٤) .

(٢) في ط : « زمعة بن بحر » وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري .

(٣) في ط : وثلاثين ؛ وما هنا عن المصدرين السابقين .

(٤) في ط : « مغيث » ، محرف ، وانظر ترجمة عروة بن مسعود في الاستيعاب (٣/ ١٠٦٦) ، والإصابة (٢/ ٤٧٧) وقال : « معتب بالمهملة والمثناة المشددة » .

ومنهن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس[١] بن عبد مناف بن قصي وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ ـ وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها ـ فولدت له محمداً الأوسط ، وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، سباها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا ، ومن الشيعة من يدَّعي به الإمامة والعصمة ، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا بواجبي العصمة كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم .

وقد كان لعلي أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضي الله عنه .

فمن أولاده رضي الله عنهم ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم : أم هانىء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم جعفر ، وأم سلمة ، وجمانة .

قال ابن جرير[٢] : فجميع ولد علي أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى .

قال الواقدي[٣] : وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس بن الكلابية ، وعمر بن التغلبية رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال ابن جرير[٤] : حدَّثني ابن سنان القزَّاز ، حدَّثنا أبو عاصم[٥] ، حدثنا سُكين بن عبد العزيز ، أخبرنا جعفر[٦] بن خالد ، حدَّثني أبي خالد بن جابر قال : سمعت الحسن لما قتل علي قام خطيباً ،

---

(١) في الطبري : الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس .

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٥) .

(٣) الطبقات الكبرى (٦/ ١٤) .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٧) .

(٥) قوله : « حدثنا أبو عاصم » سقط من ط ، هو الضحاك بن مخلد ، وابن سنان هو محمد بن سنان .

(٦) في ط : « حفص » بدل جعفر ، وما أثبتناه من أ وهو الموافق لما في مسند أبي يعلى (٦٧٥٧) وسيشير المصنف إليه لاحقاً ، وهو بلا شك اختيار المصنف ، وإن كان مخالفاً لما في كتب الرجال وللصواب ، فقد ترجم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ الترجمة ١٤٥٤) لخالد بن جابر فقال : « روى عن الحسن بن علي ، ووى عنه ابنه حفص بن خالد بن جابر »، وترجم في حرف الحاء المهملة لحفص (٣/ الترجمة ٧٣٨) فقال : « حفص بن خالد بن جابر، روى عن أبيه، روى عنه سكين بن عبد العزيز ». وكذلك هو في تاريخ البخاري الكبير، وثقات ابن حبان. وحين ترجم المزي لسكين بن عبد العزيز في تهذيب الكمال (١١/ ٢٠٩) ذكر في الرواة عنه حفص بن خالد بن جابر ، ولم يذكر جعفراً ، فتبين أن الصواب فيه أنه « حفص » وليس جعفر ، وإنما انتقل الوهم إلى المصنف من أبي يعلى . (بشار) .

فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن ، ورفع فيها عيسى ابن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى ، والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده ، والله إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه في السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمئة أو سبعمئة أرصدها لخادم[١] . وهذا غريب جداً وفيه نكارة ، والله أعلم .

وهكذا رواه أبو يعلى[٢] : عن إبراهيم بن الحجاج ، عن سكين به .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا وكيع ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن هُبيرة قال : خَطَبنا الحسن بن علي قال : لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ، ولا يدركه الآخرون ، وكان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية ، جبريلُ عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يُفتح له . ورواه زيد العمِّي وشعيب[٤] بن خالد عن أبي إسحاق به وقال : ما ترك إلا سبعمئة كان أرصدها ليشتري بها خادماً .
وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا شريك ، عن عاصم بن كليب[٦] ، عن محمد بن كعب القرظي ، أن علياً قال : لقد رأيتني مع رسول الله وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألفاً . ورواه[٧] عن أسود ، عن شريك به وقال : إن صدقتي لتبلغ أربعين ألف دينار .

[باب ذكر] شيء من فضائل (أمير المؤمنين) علي بن أبي طالب رضي الله عنه

من ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله ﷺ فإنه علي بن أبي طالب [وأبو طالب اسمه عبد مناف] بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قصي ـ واسمه زيد ـ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشي الهاشمي فهو ابن عم رسول الله ﷺ [أبوه أخو أبيه] وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

---

(١) في الطبري : أو سبعمئة أرصدها لخادمه ، وفي ط : لحادثة .
(٢) مسند أبي يعلى (٦٧٥٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) في مسنده (١/ ١٩٩) وهو حديث حسن .
(٤) في أ : عن شعيب .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٩) وإسناده ضعيف .
(٦) تحرفت في ط إلى : كريب .
(٧) مسند أحمد (١/ ١٥٩) ، وإسناده ضعيف .

قال الزبير بن بكار[١] : وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً . وقد أسلمت وهاجرت .

وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا نص[٢] على ذلك الإمام أحمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس . وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران وأنه المراد من قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] وقد أخطؤوا في ذلك خطأً كثيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى ، فإنه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران : ٣٥] فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر ولله الحمد .

وقد كان أبو طالب كثير المحبة الطبيعية لرسول الله ﷺ ولم يؤمن به إلى أن مات على دينه كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[٣] من رواية سعيد بن المسيب ، عن أبيه في عرضه عليه الصلاة والسلام على عمه أبي طالب وهو في السياق أن يقول : لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول : « أما لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك » فنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] ثم نزل بالمدينة قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٣ ـ ١١٤] وقد قررنا ذلك في أوائل المبعث ونبهنا على خطأ الرافضة في دعواهم أنه أسلم ، وافترائهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصريحة[٤] .

وأما علي رضي الله عنه فإنه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور ، ويقال : إنه أول من أسلم من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي .

وقد روى الترمذي وأبو يعلى[٥] : عن إسماعيل بن السدّي ، عن علي بن عابس[٦] ، عن مسلم

---

(١) نسب قريش (ص٤٠) .

(٢) في هامش أ : مطلب الاختلاف في اسم أبي طالب الذي ابنه علي هل هو عبد مناف على ما نصه الإمام أحمد أم عمران كما ذهب إليه الروافض .

(٣) صحيح البخاري (١٣٦٠) في الجنائز .

(٤) في أ : الصحيحة .

(٥) جامع الترمذي (٣٧٢٨) في المناقب ، عن مسلم الملائي ، عن أنس ، ومسند أبي يعلى الموصلي (٤٢٠٨) وقال الترمذي : هذا حديث غريب (يعني : ضعيف) .

(٦) في ط : « عياش » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

الملائي[١] ، عن أنس بن مالك قال : بُعث رسول الله يوم الإثنين ، وصلَّى وعليٌّ يوم الثلاثاء . ورواه بعضهم عن مسلم الملائي ، عن حبَّة بن جُوين ، عن علي - وحِبَّة لا يساوي حَبَّة -

وقد روى سلمة بن كهيل ، عن حِبَّة ، عن علي قال : عبدت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبده أحد .

وهذا لا يصح أبداً وهو كذب .

وروى سفيان الثوري وشعبة ، عن سلمة ، عن حبَّة عن علي قال : أنا أول من أسلم ، وهذا لا يصح أيضاً وحبة ضعيف .

وقال سويد بن سعيد : حدَّثنا نوح بن قيس عن[٢] سليمان بن عبد الله ، عن معاذة العدوية قالت : سمعت علي بن أبي طالب على منبر البصرة يقول : أخبرنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

وهذا لا يصح ، قاله البخاري[٣] .

وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة : أيها الناس : إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت[٤] . وقد تقدم ذلك في فضائل الشيخين رضي الله عنهما وأرضاهما .

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا سليمان بن داود ، حدَّثنا أبو عَوَانة ، عن أبي بَلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس قال : أول من صلى - وفي رواية أسلم - مع رسول الله ﷺ بعد خديجة علي بن أبي طالب .

ورواه الترمذي[٦] من حديث شعبة ، عن أبي بلْجٍ به .

وقد روي عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصاري أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أي وجه كان روي عنه . وقد ورد في أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شيء ، وأجود ما في ذلك ما ذكرناه على أنه قد خولف فيه ، وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في

---

(١) في ط بعد هذا : « عن حبة بن جُوين ، عن علي ، وحبه لا يساوي حبة » ولا مكان لها هنا ، فهي مكررة لما يأتي .

(٢) في ط : « بن » ، وهو تحريف ظاهر .

(٣) في تاريخه الكبير (٤/ الترجمة ١٨٣٥) في ترجمة سليمان بن عبد الله .

(٤) في أ : ولو شئت أن أقول الثالث لقلت .

(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧٣) وإسناده ضعيف .

(٦) سنن الترمذي (٣٧٣٤) في المناقب وقال الترمذي : حديث غريب ، يعني ضعيف .

« تاريخه »[١] بتطريق هذه الروايات ، فمن أراد كشف ذلك فعليه بكتابه التاريخ والله الموفق للصواب .

وقد روى الترمذي والنسائي [من حديث شعبة][٢] عن عمرو بن مُرَّة ، عن طَلْحة بن يزيد[٣] ، عن زيد بن أرقم قال : أوَّلُ من أسلم عليٌّ . قال الترمذي : حسن صحيح .

وصحبَ عليٌّ رسول الله ﷺ مدة مقامه بمكة ، وكان عنده في المنزل[٤] وفي كفالته في حياة أبيه [أبي طالب] لفقر حصل لأبيه في بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر في نفقة رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله ﷺ ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس ، فإنه كان يُعرف في قومه بالأمين ، فكانوا يودعونه (الأموالَ و) الأشياءَ النفيسةَ ثم هاجرعليٌّ بعد رسول الله ﷺ وصحب[٥] رسولَ الله ﷺ إلى أن توفي وهور اضٍ عنه وحضر معه مشاهده كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه في مواطن الحرب (كما بينَّا ذلك في السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وغيرها وخيبر ، ولما) استخلفه عامَ تبوكٍ على أهله بالمدينة قال (له) « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي »[٦] وقد ذكرنا تزويجة فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته .

ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدير خم خطب الناس هنالك في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة فقال في خطبته : « من كنت مولاه فعلي مولاه »[٧] وفي بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » والمحفوظ الأول ، وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن علياً (لما) بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع علي فوافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة[٨] وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله ﷺ ، فلما تفرغ رسول الله من حجة الوداع أحب أن يبرىء ساحة علي مما نسب إليه من القول الذي لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً ، فكانت تضرب فيه الطبولَ

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٤١ وما بعدها) .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٣٥) في المناقب ، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٤) ، وتقدم ذكره في ص(٣٩٢) من رواية أحمد .

(٣) في الأصول والمطبوع : طلحة بن زيد ، وهو خطأ .

(٤) في أ : منزله .

(٥) في ا : ثم هاجر علي بعده وصحب .

(٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨٢) والبخاري في صحيحه (٤٤١٦) في المغازي ، ومسلم في صحيحه (٢٤٠٤) في فضائل الصحابة .

(٧) للحديث طرق متعددة وزيادات ، وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٨٤ و١١٨ و١١٩) وهو حديث صحيح بطرقه .

(٨) في أ : فرجع علي فوافى حجة الوداع مع النبي ﷺ وقد كثرت فيه القالة .

ببغداد في أيام بني بويه في حدود الأربعمئة (كما سننبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله) .

ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح على أبواب الدكاكين ويذَرُّ التبن والرماد ، وتدور الذراري والنساء في سكك البلد تنوح على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب في قتله[١] ، وسنبين الحق في صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى .

وقد كان بعض بني أمية يعيب علياً بتسميته[٢] أبا تراب ، وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين[٣] عن سهل بن سعد أن علياً غاضبَ فاطمةَ فراحَ إلى المسجد ، فجاء رسول الله ﷺ فوجده نائماً وقد لصق التراب بجلده فجعل ينفض عنه التراب ويقول : « اجلس أبا تراب[٤] » .

حديث المؤاخاة

قال الحاكم : حدَّثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد ، حدَّثنا الحسين[٥] بن جعفر القرشي ، حدَّثنا العلاء بن عمرو الحنفي ، حدَّثنا أيوب بن مدرك ، عن مكحول ، عن أبي أمامة قال : لما آخى رسول الله ﷺ بين الناس آخى بينه وبين علي . ثم قال الحاكم : لم نكتبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه ، وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام .

قلت : وفي صحة هذا الحديث نظر .

وورد من حديث[٦] أنس وعمر أن رسول الله ﷺ قال : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » .

وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى ، وابن عباس ، ومخدوج بن زيد الذهلي ، وجابر بن عبد الله ، وعامر بن ربيعة ، وأبي ذر ، وعلي نفسه نحو ذلك ، وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجة والله أعلم .

وقد جاء من غير وجه أنه قال : أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدي إلا كذاب[٧] .

---

(١) في أ : المسوح السود على أبواب الدكاكين ، وتذر التبن والرماد في الطريق وتدور النساء في سكك البلد ينحن على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبح قراءتهم المصرع المكذوب في مقتل الحسين .

(٢) في أ : يعيب على عليّ في تسميته .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٤١) في الصلاة و(٣٧٠٣) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٤٠٩) (٣٨) في فضائل الصحابة .

(٤) في هامش أ التعليقة التالية بخط مغاير : فيه إشارة إلى الفرق بن القعود والجلوس ؛ فإن القعود إنما يكون بعد القيام ، والجلوس بعد الرقود على هذا قال هكذا !

(٥) في أ : حدَّثنا أبو بكر بن محمد حدَّثنا الحسين .

(٦) في ط : من طريق .

(٧) في أ : لا يقول بعدي إلا كاذب قال . .

وقال الترمذي[١] ؛ حدَّثنا يوسف بن موسى القَطّان البغدادي ، حدَّثنا عليُّ بن قادم ، حدَّثنا عليُّ بن صالح بن حَيٍّ ، عن حَكيم بن جُبير[٢] ، عن جميع بن عُمير التَّيمي ، عن ابن عمر قال : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ، فقال رسول الله ﷺ : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » ثم قال : هذا حديث حسن غريب [وفي الباب] عن زيد بن أبي أوْفى .

وقد شهد [علي] بدراً . وقد قال رسول الله لعمر : « وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلعَ على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[٣] ؟ وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله ﷺ الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة قاله الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس . قال : وكانت تكون معه راية المهاجرين في المواقف كلها ، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقتادة .

وقال خيثمة بن سليمان الاطرابلسي الحافظ : حدَّثنا أحمد بن حازم ، عن ابن أبي غرزة ، حدَّثنا إسماعيل بن أبان ، حدَّثنا ناصح بن عبد الله المحلمي[٤] ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : قالوا : يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة ؟ قال : « ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلَّا من كان يحملها في الدنيا علي بن أبي طالب » ؟ وهذا إسناد ضعيف .

ورواه ابن عساكر[٥] عن أنس بن مالك ، ولا يصح أيضاً .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثني عمار بن محمد ، عن سعيد بن محمد الحنظلي ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال نادى مناد في السماء يوم بدر : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . قال الحافظ ابن عساكر[٦] : وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار[٧] يوم بدر ثم وهبه لعلي بعد ذلك .

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٢٠) في المناقب ، وإسناده ضعيف .

(٢) في أ : حكيم بن حسين .

(٣) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٠٥) والبخاري في صحيحه (٣٠٨١) في الجهاد ، ومسلم (٢٤٩٢) في فضائل الصحابة .

(٤) في أ : المحلي ؛ خطأ .

(٥) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .

(٦) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ١٥٨) .

(٧) في هامش أ التعليقة التالية بخط مغاير : اعلم أن من يقول إن ذا الفقار لعلي يوم بدر وهو يجتهد به في القتال بأن يستدل بعطف الفقرة الثانية على الأولى لا بيد رسول الله في ذلك اليوم . ويقول ابن عساكر : فإنه لرسول الله يوم بدر وهو بيده يباشر القتال بنفسه ثم وهبه من علي بعد ذلك فتحقق التنافي بينهما . لكني أقول : يمكن التطبيق بالمطابقة الأخرى بل هي أولى مما قيل بأن يقال : ليس لذي الفقار نظير في السيوف لا سيما بيد رسول الله كما لا نظير لعلي في القوة والشجاعة، لا سيما شاباً ولا موجب لاتحادهما في ذات وزمان بل يكفي حصول علمهما عند القائل فلا منافاة بينهما فليتأمل . لمحرره .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني علي بن المغيرة ، عن معمر بن المثنى قال : كان لواء المشركين يومَ بدرٍ مع طلحة بن أبي طلحة فقتله عليٌّ بن أبي طالب ففي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي : [من الكامل]

لله ِ أيّ مــذنــبٍ عــن حَـرْبـهِ   أعني ابنَ فاطمةَ المعمّ المخولا

جـادتْ يـداكَ لـهُ بعـاجـلِ طعنةٍ   تـركـتْ طليحـةَ للحبيـنِ مجنـدلا

وشـددتَ شـدَّة بـاسـلٍ فكشفتهُـمْ   بـالحـقِّ إذ يهـوونَ أخـولَ أخـولا

وعللتَ سيفكَ بالدماءِ ولم تكنْ   لتـردّهُ حـرَّانَ حتـى ينهـلا[١]

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح ١٨] وقال رسول الله ﷺ : « لن يدخل أحدٌ بايعَ تحتَ الشجرة النار » . وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسوله ويحبه اللهُ ورسولُه ، ليس بفرّار يفتح الله على يديه » فبات الناس يدوكون[٢] أيهم يعطاها حتى قال عمر : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، فلما أصبح أعطاها علياً ففتح الله على يديه .

ورواه جماعة منهم مالك ، والحسن ، ويعقوب بن عبد الرحمن ، وجرير بن عبد الحميد ، وحمّاد بن سلَمة ، وعبد العزيز بن المختار ، وخالد بن عبد الله بن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أخرجه مسلم[٣] .

ورواه ابن أبي حازم [عن أبي حازم] عن سهل بن سعد ، أخرجاه في الصحيحين[٤] وقال في حديثه : فدعا به رسول الله وهو أرمد فبصق في عينيه فبرأ .

ورواه إياس بن سَلَمة بن الأكوع ، عن أبيه ، ويزيد بن أبي عبيد ، عن مولاه سلمة أيضاً وحديثه عنه في الصحيحين[٥] .

وقال محمد بن إسحاق : حدَّثني بريدة ، عن سفيان ، عن أبي فَرْوة الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه

---

(١) البيت في الإصابة (١/ ٣١٣) وشطره الثاني : لترده في جرابه حتى ينهلا .

(٢) يدوكون : أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه . النهاية (٢/ ١٤٠) .

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٥) في فضائل الصحابة .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٠١) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٦) (٣٤) في فضائل الصحابة .

(٥) صحيح البخاري (٢٩٧٥) في الجهاد والسير ، وصحيح مسلم (٢٤٠٧) (٣٥) في فضائل الصحابة .

ليس بفرَّار » قال سَلَمة : فدعا رسول الله علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، قال سلمة : فخرج والله بها يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال اليهودي : غلبتم ومن أنزل التوراة على موسى قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقد رواه عكرمة بن عمار ، عن عطاء مولى السائب ، عن سَلَمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذي جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله في عينيه فبرأ .

رواية بريدة بن الحصيب :

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا زيد بن الحباب ، حدَّثنا الحسين بن واقد ، حدَّثني عبد الله بن بريدة حدَّثني بريدة بن الحصيب قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذه من الغد عمر[٢] فخرج فرجع ولم يفتح له ؛ وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله ﷺ : « إني دافع اللواء[٣] غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له » وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً قال : فلما أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها . ورواه النسائي[٤] من حديث الحسين بن واقد به أطول منه ، ثم رواه أحمد[٥] : عن محمد بن جعفر وروح كلاهما ، عن عوف ، عن ميمون أبي عبد الله الكردي ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه به نحوه ، وأخرجه النسائي[٦] عن بندار وغندر به ، وفيه الشعر .

رواية عبد الله بن عمر :

ورواه هشيم : عن العوام بن حَوْشب ، عن حَبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة .

ورواه كثير النَّواء : عن جُمَيْع بن عمير[٧] ، عن ابن عمر نحوه وفيه : قال علي : فما رمدت بعد يومئذ . ورواه أحمد : عن وكيع ، عن هشام بن سعد ، عن عمر بن أسيد ، عن ابن عمر كما سيأتي .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٣) .
(٢) في أ : عمر بن الخطاب فخرج ثم رجع .
(٣) في أ : الراية .
(٤) السنن الكبرى (٥/ ١٠٩) رقم (٨٤٠٢) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٨) .
(٦) السنن الكبرى (٥/ ١٠٩) رقم (٨٤٠٣) في الخصائص .
(٧) في أ : عمر ؛ خطأ . وجميع بن عمير من رجال التهذيب .

روایة ابن عباس :

وقال أبو يعلى : حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن أبي بَلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فقال : « أين علي ؟ » قالوا : يطحن ، قال : « وما أحد منهم يرضى أن يطحن » فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب . وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل .

ورواه الإمام أحمد[١] : عن يحيى بن حماد ، عن أبي عوانة ، عن أبي بَلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس فذكره بتمامه .

فقال الإمام أحمد : عن يحيى بن حماد ، حدَّثنا أبو عوانة ، حدَّثنا أبو بَلْج ، حدَّثنا عمرو بن ميمون قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا بن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء ؟ فقال : بل أقوم معكم ـ وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى ـ قال : وابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : « لأبعثنَّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبُّ اللهَ ورسوله » قال : فاستشرف لها منِ استشرف قال : « أين عليٌّ ؟ قالوا : هو في الرحا يطحن ، قال : وما كان أحدكم ليطحن » قال : فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيي (بن أخطب) قال . ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه قال : « لا يذهب بها إلا رجل منّي وأنا منه » . قال وقال لبني عمه : « أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ » فأبوا (قال : وعلي معه جالس) فقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال : « أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ » فأبوا فقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال : « أنت وليّي في الدنيا والآخرة » قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين فقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] قال: وشرى عليٌّ نَفْسَه ، لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه ، وقال وكان المشركون يرومون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال : يا نبيَّ الله ! فقال له علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدْرِكْهُ ، قال : فانطلقَ أبو بكر فدخلَ معه الغارَ قال : وجعل عليٌّ يُرْمىٰ بالحجارة كما كان يُرْمي رسول الله ﷺ وهو يتضرر وقد لفَّ رأسَه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك للئيم[٢] كان صاحبك نرميه فلا يتضوّر[٣] وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك ، قال : وخرج ـ يعني رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ـ فقال

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣١) رواه الحاكم بطوله (٣/ ١٣٢) وصححه ، وفي إسناده ضعف بهذا السياق ، ولبعض فقراته شواهد .

(٢) في ط : إنك لئيم ، وما هنا عن المسند .

(٣) في ط : يتضرر ، وما هنا عن أ والمسند .

له علي : أخرج معك ؟ فقال له النبي ﷺ : « لا » ! فبكى علي فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون بن موسى إلا أنّك لست بنبي؟ إنه لاينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» قال: وقال له رسول الله ﷺ: « أنت وليي [في] كل مؤمن بعدي » قال : وسدَّ أبواب المسجد غيرَ باب علي قال فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال: وقال: « من كنت مولاه فإنَّ علياً مولاه » قال : وأخبرنا الله في القرآن أنه قد رضي عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فهل حُدِّثنا أنه سخط عليهم بعد . قال : وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال : ائذن لي أن أضرب عنق هذا المنافق ـ يعني حاطب بن أبي بلتعة ـ قال[١] : « وما يدريك لعل الله قد اطلع [على] أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وقد روى الترمذي[٢] بعضه من طريق شعبة ، عن أبي بَلْج يحيى بن أبي سليم واستغربه .

وأخرج النسائي[٣] بعضه أيضاً عن محمد بن المثنى ، عن يحيى بن حماد به .

وفي رواية عمران :

قال البخاري في التاريخ : حدَّثنا عمر بن عبد الوهاب الرياحي ، حدَّثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن منصور ، عن ربعي ، عن عمران بن حصين . قال قال رسول الله ﷺ : « لأدفعنَّ الرايةَ إلى رجلٍ يحبُّ اللهَ ورسولهُ ويحبه اللهُ ورسولهُ » فبعث إلى عليٍّ وهو أرمد فتفلَ في عينيه وأعطاه الرايةَ فما ردّ وجهه وما اشتكاهما بعد .

ورواه أبو القاسم البغوي : عن إسحاق بن إبراهيم ، (عن) أبي موسى الهروي ، عن علي بن هاشم ، عن محمد بن علي ، عن منصور ، عن ربعي ، عن عمران فذكره .

وأخرجه النسائي[٤] عن عباس العنبري ، عن عمر بن عبد الوهاب به .

رواية أبي سعيد في ذلك :

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا مصعب بن المقدام ، وحجين بن المثنى قالا : حدَّثنا إسرائيل ، حدَّثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخُدْري يقول : إنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ثم قال : « من يأخذها بحقها » فجاء فلان فقال : أنا ، فقال : « امض »[٦] ثم جاء رجل آخر فقال أنا ، فقال : « امض »

---

(١) في أ : والمسند زيادة : « أو كنت فاعلاً ؟ » .
(٢) سنن الترمذي (٣٧٣٤) في المناقب .
(٣) السنن الكبرى (٥/ ١١٢ ـ ١١٣) رقم (٨٤٠٩) في الخصائص .
(٤) فضائل الصحابة (ص١٦) طبعة دار الكتب العلمية .
(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٦) ، وإسناده ضعيف .
(٦) في المسند : أمط .

ثم قال النبي ﷺ : « والذي أكرم[١] وجه محمد لأعطينَّها رجلاً لا يفرّ ، فجاء[٢] عليٌّ » فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتهما وقديدهما .

ورواه أبو يعلى[٣] عن حسين بن محمد ، عن إسرائيل وقال في سياقه : فجاء الزبير فقال أنا فقال : « امض » ثم جاء آخر فقال : « أمض » وذكره ، تفرد به أحمد .

رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك :

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا وكيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كان أبي يَسْمُر[٥] مع علي [وكان عليّ][٦] يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته ؛ فسأله فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إليَّ وأنا أرمد العين يومَ خيبر فقلت يا رسول الله ، إني أرمدُ العين فتفل في عيني فقال : « اللهم أذهب عنه الحر والبرد » فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ ، وقال : « لأعطين الراية رجلاً يحب اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه ، ليس بفرَّار » فتشرف لها أصحاب النبي ﷺ ، فأعطانيها . تفرد به أحمد .

وقد رواه غيرُ واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولاً . وقال أبو يعلى[٧] : حدَّثنا زهير ، حدَّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أم موسى قالت سمعت علياً يقول : ما رَمِدْتُ ولا صُدِعْتُ منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتَفَل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية .

رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك :

ثبت في الصحيحين[٨] من حديث شعبة ، عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟ » .

قال [الإمام] أحمد ومسلم والترمذي[٩] : حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن

---

(١) في المسند : كرم .
(٢) في المسند : هاك يا علي .
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٥٠٠) رقم (١٣٤٦) اللفظة فيه : أمط ، بدل : امض .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٩ و١٣٣) وإسناده ضعيف ولبعضه شواهد .
(٥) في ط : يسير ؛ خطأ .
(٦) زيادة ضرورية من المسند .
(٧) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤٤٥) رقم (٥٩٣) وإسناده حسن .
(٨) صحيح البخاري (٣٧٠٦) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٢) في فضائل الصحابة .
(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٥) وليس فيه ذكر لمعاوية . صحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٢) في فضائل الصحابة ، والترمذي رقم (٣٧٢٤) في المناقب .

بُكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ [فلن أسبَّه] لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم (سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ و) خَلَّفه في بعض مغازيه ـ فقال (له علي) : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال (رسول الله ﷺ) : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ » وسمعته يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبُّه اللهُ ورسولهُ » قال : فتطاولتُ لها . قال : « ادعوا لي علياً » فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال : « اللهم هؤلاء أهلي » : [ثم قال الترمذي : حسن صحيح] .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي[١] من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله ﷺ قال لِعليٍّ : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » (وقال الترمذي : ويستغرب من رواية سعيد عن سعد) . وقال (الإمام) أحمدُ[٢] : حدَّثنا [أبو] أحمد الزبيري ، حدَّثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت ، عن حمزة بن عبد الله ، عن أبيه ـ يعني عبد الله بن عمر ـ عن سعد قال :

لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك خلَّف علياً فقال : أتخلِّفني ؟ قال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي » .

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الحسن بن عرفة العبدي[٣] : حدَّثنا محمد بن خازم أبو معاوية الضرير ، عن موسى بن مسلم الشيباني ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن سعد بن أبي وقاص (قال : قدم معاوية في بعض حجاته فأتاه سعد بن أبي وقاص) فذكروا علياً فقال سعد : له ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من الدنيا [وما] فيها . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « منْ كنتُ مولاه فعلي [مولاه] » .

وسمعته يقول : « لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحب الله ورسوله (ويحبه الله ورسوله) » .

وسمعته يقول : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي » (لم يخرجوه) وإسناده حسن .

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٠) في فضائل الصحابة ، وسنن الترمذي (٣٧٣١) في المناقب ، والسنن الكبرى للنسائي (٥/ ٤٤) رقم (٨١٣٨) .

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٤) .

(٣) في أ : العقدي .

وقال أبو زرعة الدمشقي[١] : حدَّثنا أحمد بن خالد الوهبي أبو سعيد ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن نجيح ، عن أبيه قال : لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال : يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك ، قال : فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر [له] علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال : أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه ؟ والله لأن يكون فيّ إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لي ما قال له رسول الله ﷺ حين غزا تبوكاً : « أما[٢] ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبي بعدي » ؟ لأحبّ[٣] إلي مما طلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرَّار » أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس . ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ماله أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم ، ثمّ نفض رداءه ثمّ خرج .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص قال : خلَّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله تخلِّفني في النساء والصبيان ؟ قال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ؟ إسناده على شرطهما ولم يخرجاه[٥]

وهكذا رواه أبو عوانة : عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مصعب ، عن أبيه .

ورواه أبو داود الطيالسي[٦] : عن شعبة ، عن عاصم ، عن مصعب ، عن أبيه ، فالله أعلم .

وقال أحمد[٧] : حدَّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدَّثنا سليمان بن بلال ، حدَّثنا الجُعَيْد[٨] بن عبد الرحمن الجعفي ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها : أن علياً خرج مع رسول الله ﷺ حتى جاء ثنية الوداع وعلي يبكي يقول : تخلِّفني مع الخوالف ؟ فقال : « أوما[٩] ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من

---

(١) لم أجد حديثه في تاريخ أبي زرعة طبع مجمع اللغة العربية .
(٢) في ط : ألا .
(٣) في أ : أحب .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٢) .
(٥) في أ : ولم يخرجوه .
(٦) مسند أبي داود الطيالسي (ص٢٩) وفيه : حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعد .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٠) .
(٨) في ط : « الجعد » ، وما أثبتناه من أ والمسند ، وهما واحد ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) في أ : أما . وهذه لفظة المسند .

موسى إلا النبوة ؟ » وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه . وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها . قال الحافظ بن عساكر[١] : وقد روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن عباس وعبد الله بن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وأبو سعيد والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وحبشي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل ، وأم سلمة وأسماء بنت عميس ، وفاطمة بنت حمزة . وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والأنداد . رحمه[٢] رب العباد يوم التناد .

رواية عمر رضي الله عنه في ذلك :

قال أبو يعلى : حدَّثنا عبد الله بن عمر ، حدَّثنا عبد الله بن جعفر ، أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر : لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم ، قيل : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له فيه ما يحل له ، والراية يوم خيبر . وقد روي عن عمر من غير وجه .

رواية ابن عمر رضي الله عنهما :

وقد رواه الإمام أحمد[٣] : عن وكيع ، عن هشام بن سعد ، عن عمر بن أسيد ، عن ابن عمر قال : كنا نقول في زمان رسول الله ﷺ خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهن أحبُّ إليَّ من حمر النعم . فذكر هذه الثلاث .

وقد روى أحمد والترمذي[٤] : من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟ » ورواه أحمد[٥] من حديث عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . ورواه الطبراني[٦] من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً .

ورواه سلمة بن كهيل : عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، عن أم سلمة أن رسول الله قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هـارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » قال سلمة : وسمعت مولى لبني موهب يقول : سمعت ابن عباس يقول قال النبي ﷺ مثله .

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٣٠٦) وما بعدها .

(٢) في أ : فرحمه الله رب العباد .

(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٦) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣٨) وسنن الترمذي (٣٧٣٠) في المناقب ، وهو حديث حسن .

(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٨) وهو حديث حسن .

(٦) المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٣٧٧) برواية أم سلمة .

تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها

قال سفيان الثوري : عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه سمع رجل علياً على منبر الكوفة يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته[١] ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها ، فقال : « هل عندك شيء ؟ » قلت : لا ! قال : « فأين درعك الحطمية[٢] التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » قلت : عندي ، قال : « فأعطها » فأعطيتها ؛ فزوجني فلما كان ليلة دخلت عليها قال : « لا تحدثا شيئاً حتى آتيكما » قال : فأتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحثثنا فقال : « مكانكما » ثم دعا بقدح من ماء فدعا فيه ثم رشه عليَّ وعليها[٣] ، فقلت : يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي ؟ قال : « هي أحب إلي وأنت أعز علي منها » . وقد روى النسائي[٤] من طريق عبد الكريم بن سليط ، عن ابن بريدة ، عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق ، وفيه أنه أولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار ، وأنه دعا لهما بعدما صب عليهما الماء ، فقال : « اللهم بارك لهما في شملهما » ـ يعني الجماع ـ .

وقال[٥] محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : لما خطب علي فاطمة دخل عليها رسول الله فقال لها : « أي بنية ! إن ابن عمك قد خطبك فماذا تقولين ؟ » فبكت ثم قالت : كأنك (يا أبت) إنما ادخرتني لفقير قريش ؟ فقال : « والذي بعثني بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السموات » فقالت فاطمة : رضيت[٦] بما رضي الله [لي] ورسوله . فخرج من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال : « يا علي أخطب لنفسك » فقال علي : الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله ﷺ زوّجني ابنتَه على صداقٍ مبلغُه أربعمئة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا . قالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : « أشهدكم أني قد زوجته » . رواه ابن عساكر[٧] وهو [حديث] منكر .

وقد ورد في هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة أضربنا عنها لئلا يطول الكتاب بها . وقد أورد منها طرفاً جيداً الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٨] .

---

(١) في أ : أن أخطب فاطمة ابنة رسول الله ﷺ إليه .
(٢) في أ : الخطمية ـ بالخاء ـ والخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٧/ ٣٣٦) .
(٣) في أ : علينا .
(٤) سنن النسائي (٦/ ١٢٩) في الجهاد .
(٥) في أ : وروى .
(٦) في أ : ما تكلمت في هذا حتى أذن الله فيه من السماء » فقالت : رضيت . .
(٧) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٥١) تحقيق المحمودي .
(٨) في أ : وقد أورد منها ابن عساكر طرفاً جيداً في تاريخه .

وقال وكيع ، عن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : قال علي : ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته وتعجن فاطمة على ناحيته . وفي رواية مجالد عن الشعبي : ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي خادم[١] عليها غيرها .

حديث آخر :

قال أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا عوف ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد قال فقال يوماً : « سُدُّوا هذه الأبواب إلا بابَ علي »[٣] قال فتكلم في ذلك الناس ؛ فقام رسول الله ﷺ وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإني أمرت بسدِّ هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ، ولكن أمِرْتُ بشيء فاتَّبعتُهُ » .

وقد رواه أبو الأشهب : عن عوف[٤] ، عن ميمون ، عن البراء بن عازب فذكره . وقد تقدم ما رواه أحمد والنسائي من حديث أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل وفيه سد الأبواب غير باب علي[٥] . وكذا رواه شعبة عن أبي بلج .

ورواه سعد بن أبي وقاص :

قال أحمد[٦] : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا فِطْر ، عن عبد الله بن شريك ، عن عبد الله بن الرُّقيم الكناني ، قال : خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها ، فقال : أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي رضي الله عنه . تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن سعد[٧] :

قال أبو يعلى[٨] : حدَّثنا موسى بن محمد بن حيان[٩] ، حدَّثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان ،

---

(١) في ط : فأدم ؛ تحريف .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٩) ، وإسناده ضعيف ومتنه منكر .
(٣) في أ : غير باب علي ، وما هنا مطابق للمسند .
(٤) في أ : عون ، تحريف .
(٥) تقدم ص٤٠٤ـ٤٠٥ من هذا الجزء .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٥) وإسناده ضعيف .
(٧) من قوله : قال أحمد . . . إلى هنا زيادة من أ .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٦١) رقم (٧٠٣) وإسناده ضعيف .
(٩) في ط : حسان ؛ تحريف . وما هنا عن أ ومسند أبي يعلى .

حدَّثنا غسان بن بشر الكاهلي ، عن مسلم عن خيثمة عن سعد : أن رسول الله ﷺ سد أبواب [الناس في] المسجد وفتح باب علي فقال الناس في ذلك فقال : « ما أنا فتحته ولكن الله فتحه » .

وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري(١) من أمره عليه السلام في مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر الصديق لأن نفي هذا في حق علي كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل هذا رفقاً بها ، وأما بعد وفاته فزالت هذه العلة فٱحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلي بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه الصلاة والسلام ، وفيه إشارة إلى خلافته .

وقال الترمذي(٢) : حدَّثنا علي بن المنذر ، حدَّثنا ابن فُضيل ، عن سالم بن أبي حفصة ، عن عطيَّة ، عن أبي سعيد . قال قال رسول الله ﷺ لعلي : « يا علي لا يحلّ لأحدٍ يجنب في المسجد غيري وغيرك » قال علي بن المنذر : قلت لضرار بن صرد : ما معنى هذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك . ثم قال الترمذي : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد سمع محمد بن إسماعيل هذا الحديث (واستغربه)(٣) .

وقد رواه ابن عساكر(٤) من طريق كثير النواء ، عن عطية ، عن أبي سعيد به ، ثم أورده من طريق أبي نعيم ، حدَّثنا عبد الملك بن أبي غنيّة ، عن أبي الخطاب عمر الهجري ، عن محدوج ، عن جسرة بنت دجاجة ، أخبرتني أم سلمة قالت : خرج النبي ﷺ في مرضه حتى انتهى إلى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته : « إنه لا يحلّ المسجد لجُنُبٍ ولا لحائضٍ إلا لمحمد وأزواجه وعلي وفاطمة بنت محمد ألا هل بينت لكم ألا ساء أن تضلوا » وهذا إسناد غريب وفيه ضعف ، ثم ساقه من حديث أبي رافع بنحوه وفي إسناده غرابة أيضاً .

حديث آخر :

قال الحاكم(٥) وغير واحد : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن بريدة بن الحصيب : قال غزوت مع علي إلى اليمن ، فرأيت منه جفوة ، فقدمت على رسول الله ﷺ فذكرت علياً فَتَنَقَّصْتُهُ فرأيت وجه

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٦) في الصلاة ، و(٣٦٥٤) في فضائل الصحابة ، و(٣٩٠٤) في مناقب الأنصار . ومن هنا انقطاع في أ عن ط بمقدار عشر صفحات .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٢٧) في المناقب .

(٣) ما بين الحاصرتين من جامع الترمذي ، وحُق للبخاري أن يضعفه فعطية ، وهو العوفي ، ضعيف ، وسالم بن أبي حفصة ضعيف أيضاً .

(٤) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٢٩٢) والرواية الثانية (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

(٥) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١١٠) .

رسول الله ﷺ يتغيّر فقال : « يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟ فقلتُ : بلى يا رسول الله . فقال : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » .

وقال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا الأجلح الكندي ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه بريده قال : بعث رسول الله ﷺ بعثتين إلى اليمن على إحداهما علي بن أبي طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال : « إذا التقيتما فعلي على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده » قال : فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين ؛ [فقتلنا المقاتلة] وسبينا الذرية ، فاصطفى عليّ امرأة من السبي لنفسه . قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ، فلما أتيت رسول الله دفعت إليه الكتاب فقُرِىء عليه فرأيت الغضبَ في وجه رسول الله فقلت : يا رسول الله هذا مكان العائذ بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه فبلَّغت ما أرسلت به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي » هذه اللفظة منكرة والأجلح شيعي ومثله لا يقبل إذا تفرد بمثلها . وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم . والمحفوظ في هذا رواية أحمد(٢) : عن وكيع ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعليّ وليُّه » .

ورواه أحمد(٣) أيضاً والحسن بن عرفة عن الأعمش به .

ورواه النسائي(٤) : عن أبي كريب ، عن أبي معاوية به .

وقال أحمد(٥) : حدَّثنا روح ، حدَّثنا علي بن سويد بن منْجُوف ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : بعث رسول الله ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر ، فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما يصنع هذا ؟ قال : فلما رجعت إلى رسول الله أخبرته ما صنع علي ، قال : ـ وكنت أبغض علياً ـ فقال : « يا بريدةٍ أتبغض علياً ؟ » فقلت : نعم ! قال : « لا تبغضه وأحبَّه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » . وقد رواه البخاري في « الصحيح »(٦) عن بندار ، عن روح به مطولاً .

وقال أحمد(٧) : حدَّثنا يحيى بن سعيد ، حدَّثنا عبد الجليل ، قال : انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجْلَز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة : حدَّثني أبي بريدة قال : أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً ، قال

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٦) وإسناده ضعيف .
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٨) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٦١) .
(٤) السنن الكبرى (٥/ ٤٥) رقم (٨١٤٥) في المناقب .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٩) .
(٦) صحيح البخاري (٤٣٥٠) في المغازي .
(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٠) .

وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً ، قال فبعث ذلك الرجل على خيل قال فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً ، فأصبنا سبياً ، فكتبنا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا من يخمِّسه ، فبعث إلينا علياً ، قال : وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبيِّ - فخمَّس وقَسَم - ، فخرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ قال : ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي ؟ فإني قَسَمْتُ وخمَّستُ فصارت في الخمس ، ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ، ثم صارت في آل علي فوقعت بها . قال : وكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت : ابعثني ، فبعثني مصدقاً ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول : صدَقَ ، قال : فأمسك النبي ﷺ بيدي والكتاب قال : « أتبغض علياً ؟ » قال : قلت : نعم ! قال : « فلا تبغضهُ وإن كنت تحبه فازدد له حباً ، فو الذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة » قال : فما كان في الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إليَّ من علي .

قال عبد الله : فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة . تفرد به أحمد ، وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجوَّاب ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن البراء بن عازب ، نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب . وقد رواه الترمذي[١] : عن عبد الله بن أبي زياد ، عن أبي الجوَّاب الأحوص بن جوَّاب به ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا جعفر بن سليمان ، حدَّثني يزيد الرشك ، عن مُطَرِّف بن عبد الله ، عن عمران بن حصين قال : بعث رسول الله سرية وأمَّر عليها علي بن أبي طالب ، فأحدث شيئاً في سفره ، فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران : وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله ، فسلمنا عليه ، قال : فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ؛ فأعرض عنه ، ثم قام الثاني ، فقال يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، ثم قام الرابع فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، قال : فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغيّر وجهه وقال : « دعوا علياً ، دعوا علياً ، إن علياً مني وأنا منه ، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي » .

وقد رواه الترمذي والنسائي[٣] عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، وسياق الترمذي مطوَّل وفيه : أنه أصاب جارية من السبي . ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان[٤] .

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٢٥) في المناقب .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٤٣٧ _ ٤٣٨) .
(٣) سنن الترمذي (٣٧١٢) في المناقب ، وسنن النسائي (٥/ ١٣٢) رقم (٨٤٧٤) في الخصائص .
(٤) جعفر بن سليمان صدوق ولكنه شيعي معروف ، وقد عد الحافظ ابن عدي هذا الحديث من منكرات أحاديث جعفر هذا (الكامل ٢/ ٥٦٨) ، ولعل هذا هو السبب الذي حدا بالترمذي أن يقتصر على تحسينه ويستغربه .

ورواه أبو يعلى الموصلي[١] عن عبيد الله بن عمر القواريري والحسن بن عمر بن شقيق الجَرْمي والمعلّى بن مهدي كلهم ، عن جعفر بن سليمان به .

وقال خيثمة بن سليمان : حدَّثنا أحمد بن حازم ، أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صهيب ، عن دُكين ، عن وهب بن حمزة قال : سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة ، فرأيت منه جفوة فقلت : لئنْ رجعتُ فلقيتُ رسول الله لأنالنَّ منه ، قال : فرجعت فلقيت رسول الله فذكرت علياً فنلت منه ، فقال لي رسول الله ﷺ : « لا تقولن هذا لعلي فإن علياً وليكم بعدي » : وقال أبو داود الطيالسي[٢] : عن شعبة ، عن أبي بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي » .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدَّثنا أبي ، عن أبي إسحاق ، حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة ، عن عمته زينت بنت كعب ـ وكانت عند أبي سعيد الخدري ـ عن أبي سعيد قال : اشتكى علياً الناسُ فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول : « أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأُخَشْنٌ في ذات الله » أو « في سبيل الله » . تفرّد به أحمد .

وقال الحافظ البيهقي[٤] : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطّان ، أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدَّثنا أبو إسحاق القاضي ، حدَّثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدَّثني أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة ، عن أبي سعيد قال : بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه فلما أحضر إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا ـ وكنا قد رأينا في إبلنا خللاً ـ فأبى علينا وقال : إنما لكم منها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ عليٌّ وانصرف من اليمن راجعاً ، أمَرَّ علينا إنساناً فأسرع هو فأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي ﷺ : « ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم » . قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان عليٌّ منعنا إياه ففعل ، فلما جاء عليّ عرف في إبل الصدقة أنها قد رُكبت ـ رأى أثر المراكب ـ فذمَّ الذي أمَّره ولامه ، فقلت : أما إن لله عليَّ إن قدمت المدينة وغدوت إلى رسول الله ﷺ لأذكرن لرسول الله ﷺ ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ فلما رآني وقف معي ، ورحب بي ، وساءلني وساءلته وقال : متى قدمت ؟ قلت : قدمت البارحة ،

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٢٩٣) رقم (٣٥٥) .
(٢) مسند أبي داود الطيالسي (ص٣٦٠) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٦) . وفي تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٤١٨) الأخيشن .
(٤) دلائل النبوة (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وإسناده ضعيف بطوله .

فرجع معي إلى رسول الله ﷺ وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، قال : « ائذن له » فدخلت فحيَّيت رسول الله ﷺ ، وحيَّاني ، وسلَّمت عليه ، وسألني عن نفسي ، وعن أهلي فأخفى المسألة فقلت : يا رسول الله لقينا من علي من الغِلْظةِ وسوءِ الصحبة والتضييق ، فابتدر رسول الله وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ على فخذي ـ وكنت منه قريباً ـ وقال : « سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي ، فوالله لقد علمت أنه جَيِّش في سبيل الله » قال فقلت في نفسي : ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري ، لا جرم ، والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية .

وقال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني أبان بن صالح ، عن عبد الله بن دينار الأسلمي ، عن خاله عمرو بن شاش الأسلمي ـ وكان من أصحاب الحديبية ـ قال : كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله إلى اليمن ، فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي ، فلما قدمتُ المدينة اشتكيته في مجالس المدينة ، وعند من لقيته ، فأقبلت يوماً ورسوله الله جالس في المسجد ، فلما رآني أنظر إلى عينيه ، نظر إليَّ حتى جلست إليه ، فلما جلست إليه قال : « أما إنه والله يا عمرو لقد آذيتني » فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ فقال : « من آذى علياً فقد آذاني » . وقد رواه الإمام أحمد[١] : عن يعقوب ، عن أبيه إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، عن الفضل بن معقل ، عن عبد الله بن نيار[٢] ، عن خاله عمرو بن شاش فذكره . وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن الفضل . وكذلك رواه سيف بن عمر ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبان بن صالح به ولفظه : فقال رسول الله ﷺ : « من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » .

وروى عباد بن يعقوب الرواجني ، عن موسى بن عمير ، عن عقيل بن نجدة بن هبيرة ، عن عمرو بن شاش قال قال رسول الله ﷺ : « يا عمرو إن من آذى علياً فقد آذاني » .

وقال أبو يعلى[٣] : حدَّثنا محمود بن خداش ، حدَّثنا مروان بن معاوية ، حدَّثنا قَنان بن عبد الله النَّهْميّ ، حدَّثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي ، فأقبل رسول الله يُعرف في وجهه الغضب ، فتعوذت بالله من غضبه فقال : « ما لكم ومالي ؟ من آذى علياً فقد آذاني » .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٣) وإسناده ضعيف .
(٢) في ط : دينار ، خطأ ، وعبد الله بن نيار الأسلمي من رجال التهذيب .
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ١٠٩) رقم (٧٧٠) ، وإسناده ضعيف

حديث غدير خم

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعني قالا : حدَّثنا فطر ، عن أبي الطفيل قال : جمع عليٌّ الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد الله كلَّ امرىء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام ، فقام كثير من الناس قال أبو نعيم ! ـ فقام ناس كثير ـ فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا نعم يا رسول الله قال : « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا : قال . فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له . ورواه النسائي[٢] من حديث حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك .

وقال أبو بكر الشافعي[٣] : حدَّثنا محمد بن سليمان بن الحارث ، حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، حدَّثنا أبو إسرائيل الملائي ، عن الحكم ، عن أبي سليمان المؤذن ، عن زيد بن أرقم أن علياً انتشد الناس : من سمع رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم . وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في « مسند »[٤] أبيه : حدَّثنا القواريري ، حدَّثنا يونس بن أرقم ، حدَّثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس : أنشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » لما قام فشهد . قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم : « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

ثم رواه عبد الله بن أحمد[٥] ، عن أحمد بن عمر الوكيعي ، عن زيد بن الحباب ، عن الوليد بن عقبة بن نزار[٦] ، عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره ، قال : فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيدك يقول : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » . وهكذا رواه أبو داود الطَّهَوي ـ واسمه عيسى بن مسلم ـ عن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٠) وهو حديث صحيح .

(٢) السنن الكبرى (٥/ ١٣٠) رقم (٨٤٦٤) في الخصائص .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، المحدث ، مسند العراق . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٩) . والخبر في كتاب الغيلانيات (١٢٦) .

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) ومسند الإمام أحمد (١/ ١١٩) وهو حديث حسن .

(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٩) وهو حديث حسن ، دون قوله : (وانصر من نصره ، واخذل من خذله) .

(٦) في ط : نيار ، تحريف ، وعقبة بن الوليد بن نزار العَنْسي ؛ من رجال التهذيب .

عمرو بن عبد الله بن هند الجملي ، وعبد الأعلى بن عامر التغلبي كلاهما ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فذكره بنحوه ، قال الدارقطني : غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوي .

وقال الطبراني[١] : حدَّثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المديني سنة تسعين ومئتين ، حدَّثنا إسماعيل بن عمرو البَجليّ ، حدَّثنا مِسْعرٌ ، عن طلحةَ بن مُصرِّفٍ ، عن عَميرَةَ بن سعد قال : شهدت علياً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غدير خم يقول ما قال ؟ فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي ، عن الحسن بن علي بن عفان العامري ، عن عبد الله بن موسى ، عن قَطن ، عن عمرو بن مرة ، وسعيد بن وهب ، وعن زيد بن يُثَيْع قالوا : سمعنا علياً يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » . قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث : يا أبا بكر أي أشياخ هم ؟ .

وكذلك رواه عبد الله بن أحمد[٢] ، عن علي بن حكيم الأودي ، عن شريك ، عن أبي إسحاق فذكر نحوه .

وقال عبد الرزاق[٣] : عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا : سمعنا علياً برحبة الكوفة يقول : أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا أنهم سمعوا رسول يقول الله ذلك .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت سعيد بن وهب قال : نشد علي الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا يحيى بن آدم ، حدَّثنا حسين بن الحارث بن لقيط الأشجعي ، عن رِياح بن الحارث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا : فقال : كيف أكون مولاكم

---

(١) المعجم الأوسط (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) رقم (٢٢٧٥) وهو حديث حسن ، دون قوله : (وانصر من نصره ، واخذل من خذله) .

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٨) هو من زوائد (عبد الله بن الإمام أحمد) وهو حديث حسن ، دون قوله : (وانصر من نصره ، واخذل من خذله) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٢٥) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٦٦) .

(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١٩) .

وأنتم قوم عرب ؟ قالوا : سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول : « من كنت مولاه فإن هذا مولاه » قال رِياح ، فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة[١] : حدَّثنا شريك ، عن حنش ، عن رباح بن الحارث قال : بينا نحن جلوس في الرحبة مع علي إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال : السلام عليك يا مولاي قالوا : من هذا ؟ فقال أبو يوب : سمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وقال أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، حدَّثنا الربيع ـ يعني ابن أبي صالح الأسلمي ـ حدَّثني زياد بن أبي زياد الأسلمي ، سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال أنشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما قال ، فقام اثنا عشر رجلاً بدرياً فشهدوا .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا عبد الملك ، عن أبي عبد الرحيم الكندي ، عن زاذان أن ابن عمر قال : سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس : من شهد رسول الله يوم غدير خم وهو يقول ما قال ؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا حجاج بن الشاعر ، حدَّثنا شَبَابة ، حدَّثنا نُعيم بن حكيم ، حدَّثني أبو مريم ، ورجل من جلساء علي ، عن علي : أن رسول الله ﷺ قال يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » قال فزاد الناس بعد « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

وقد روي هذا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه ، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم .

وقال غندر عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، سمعت أبا الطفيل يحدِّث عن أبي مريم أو زيد بن أرقم ـ شعبة الشاك ـ قال قال رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » قال سعيد بن جبير : وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس . رواه الترمذي[٥] ، عن بندار ، عن غندر وقال : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أبي عبيد ، عن ميمون أبي عبد الله قال قال زيد بن أرقم وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله بوادٍ يقال له واد خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال : فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمر من الشمس فقال : « ألستم تعلمون ـ أو ألستم تشهدون ـ أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ » قالوا : « بلى ! » قال : « فمن كنت مولاه فإن علياً

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٦٠) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٨) .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٤) وفي ط : عن أبي عبد الرحمن . وما هنا عن المسند .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٢) ، وهو من رواية عبد الله بن الإمام أحمد عن حجاج فهو من زيادات المسند .
(٥) سنن الترمذي (٣٧١٣) في المناقب .
(٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٢) .

مولاه ، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه » . وكذا رواه أحمد[١] : عن غندر ، عن شعبة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم . وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم : أبو إسحاق السبيعي وحبيب الإساف وعطية العوفي وأبو عبد الله الشامي وأبو الطفيل عامر بن واثلة .

وقد رواه معروف بن خرَّبوذ ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد قال : لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن ، ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قام فقال : « أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلَّا مثل نصف عمر الذي قبله ، وإني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً ، قال : « ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ؟ » قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : « اللهم اشهد » . ثم قال : « يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ثم قال : « أيها الناس إني فرطكم[٢] وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون عليه من الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي[٣] أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » . رواه ابن عساكر[٤] بطوله من طريق معروف كما ذكرنا .

وقال عبد الرزاق[٥] : أنا معمر ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله حتى نزلنا غدير خم بعث منادياً ينادي ، فلما اجتمعنا قال : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ! قال : « ألست أولى بكم من أمهاتكم ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله : قال : « ألست أولى بكم من آبائكم ؟ » قلنا بلى يا رسول الله ! قال : « ألست ألست ألست » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقال عمر بن الخطاب : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن . وكذا رواه ابن ماجة[٦]

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٢) .

(٢) فرطكم : أي متقدمكم . النهاية (٣/ ٤٣٤) .

(٣) عترة الرجل أخصّ أقاربه ، وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب وقيل أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده . النهاية (٣/ ١٧٧) .

(٤) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٥) .

(٥) لم أجده في مصنف عبد الرزاق . وهو في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٧ ـ ٤٨) .

(٦) سنن ابن ماجه (١١٦) في السنة .

من حديث حماد بن سَلَمة ، عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي ، عن عديٍّ بن ثابت ، عن البراء به .

وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء به .

وقد روي هذا الحديث عن سعد ، وطلحة بن عبيد الله ، وجابر بن عبد الله ، وله طرق عنه ، وأبي سعيد الخدري ، وحبشي بن جنادة ، وجرير بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، وأبي هريرة ، وله عنه طرق منها ـ وهي أغربها ـ الطريق الذي قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[١] : حدَّثنا عبد الله بن علي بن محمد بن بِشْران ، أنا عليُّ بن عمر الحافظ ، أنا أبو نصر حَبْشُون بن موسى بن أيوب الخَلال ، حدَّثنا علي بن سعيد الرَّملي ، حدَّثنا ضمرة بن ربيعة القرشي ، عن ابن شوذب ، عن مطر الورَّاق ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال : « ألست ولي المؤمنين » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم . فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة . قال الخطيب : اشتهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال إنه تفرد به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن التبري ، عن علي بن سعيد الشامي .

قلت : وفيه نكارة من وجوه . منها قوله نزل فيه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وقد ورد مثله من طريق ابن هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ولا يصح أيضاً ، وإنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين[٢] عن عمر بن الخطاب وقد تقدم .

وقد روي عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه السلام « من كنت مولاه » والأسانيد إليهم ضعيفة .

حديث الطير

وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفي كل منها نظر ونحن نشير إلى شيء من ذلك : قال الترمذي[٣] : حدَّثنا سُفيان بن وكيع ، حدَّثنا عُبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن عُمر ، عن السُّدِّي ،

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٢٩٠) في ترجمة حبشون بن موسى الخلال .

(٢) صحيح البخاري (٤٥) في الإيمان ، ومسلم (٣٠١٧) (٣ ، ٥) في التفسير . ونص الحديث : أن رجلاً من اليهود قال لعمر : يا أمير المؤمنين ؛ آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : أي آية ؟ قال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . . ﴾ قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ : وهو قائم بعرفة يوم الجمعة .

(٣) سنن الترمذي (٣٧٢١) في المناقب .

عن أنس قال : كان عند النبي ﷺ طير فقال : « اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقكَ إليكَ يأكل معي من هذا الطير » فجاء علي فأكل معه . ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه من حديث السُّدِّي إلا من هذا الوجه ، قال : وقد روي من غير وجه عن أنس .

وقد رواه أبو يعلى[(١)] : عن الحسن بن حماد ، عن مسهر بن عبد الملك ، عن عيسى بن عمر به . وقال أبو يعلى : حدَّثنا قَطَن بن بشير ، حدَّثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعي ، حدَّثنا عبد الله بن مثنى ، حدَّثنا عبد الله بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : أهدي لرسول الله حجل مشوي بخبزه وضيافه ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام » فقالت عائشة : اللهم اجعله أبي ، وقالت حفصة : اللهم اجعله أبي ، وقال أنس : وقلت : اللهم اجعله سعد بن عبادة ، قال أنس : فسمعت حركة بالباب فقلت : إن رسول الله ﷺ على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فخرجت فإذا علي بالباب ، فقلت : إن رسول الله ﷺ على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلّم علي فسمع رسول الله ﷺ صوته فقال : أنظر من هذا ؟ فخرجت فإذا هو علي فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « ائذن له يدخل عليَّ فأذنت له فدخل » ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم وال من والاه » .

ورواه الحاكم في « مستدركه »[(٢)] : عن أبي علي الحافظ ، عن محمد بن أحمد الصفار وحميد بن يونس الزيات كلاهما ، عن محمد بن أحمد بن عياض بن أبي طيبة ، ثنا عن يحيى بن حسان ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس فذكره ، وهذا إسناد غريب . ثم قال الحاكم : هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم . وهذا فيه نظر : فإن أبا علاثة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هذا الحديث عنه جماعة عن أبيه ، وممن رواه عنه أبو القاسم الطبراني[(٣)] ثم قال : تفرد به عن أبيه ، والله أعلم .

قال الحاكم : وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً . قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبي : فصلهم بثقة يصح الإسناد إليه .

ثم قال الحاكم : وصحَّت الرواية عن علي وأبي سعيد وسفينة . قال شيخنا أبو عبد الله : لا والله ما صح شيء من ذلك .

ورواه الحاكم[(٤)] من طريق إبراهيـم بن ثابت القصار ـ وهو مجهول ـ عن ثابت البناني ، عن أنس قال : دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً . فقال أنس : اسكت عن سب علي ، فذكر

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ١٠٥) رقم (٤٠٥٢) .

(٢) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) .

(٣) المعجم الكبير (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) والمعجم الأوسط (٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) .

(٤) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٣١) .

الحديث مطولًا وهو منكر سنداً ومتناً . لم يورد الحاكم في « مستدركه » غير هذين الحديثين .

وقد رواه ابن أبي حاتم : عن عمار بن خالد الواسطي ، عن إسحاق الأزرق ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن أنس . وهذا أجود من إسناد الحاكم .

ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أنس بن مالك . فقال : أهدي لرسول الله ﷺ طير مشوي فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير » فذكر نحوه .

ورواه محمد بن مصفى : عن حفص بن عمر ، عن موسى بن سعد ، عن الحسن ، عن أنس ، فذكره .

ورواه علي بن الحسن الشامي ، عن خليل بن دعلج ، عن قتادة ، عن أنس بنحوه .

ورواه أحمد بن يزيد الورتنيس ، عن زهير ، عن عثمان الطويل ، عن أنس فذكره .

ورواه عبيد الله بن موسى ، عن سكين بن عبد العزيز ، عن ميمون أبي خلف ، حدَّثني أنس بن مالك فذكره ، قال الدارقطني : من حديث ميمون أبي خلف تفرد به سكين بن عبد العزيز .

ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة ، عن بشر بن الحسين ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس .

ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض ، حدَّثنا المضاء بن الجارود ، عن عبد العزيز بن زياد ، أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن علي بن أبي طالب فقال : أهدي للنبي ﷺ طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال : « اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي » . فذكره .

وقال الخطيب البغدادي[١] : أنا الحسن بن أبي بكر ، أنا أبو بكر محمد بن العبَّاس بن نجيح ، حدَّثنا محمد بن القاسم النَّحوي أبو عبد الله ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن أبي الهندي ، عن أنس فذكره .

ورواه الحاكم : عن محمد بن سليم ، عن أنس بن مالك فذكره .

وقال أبو يعلى[٢] : حدَّثنا الحسن بن حماد الورَّاق ، حدَّثنا مسهر بن عبد الملك بن سلع ثقة ، حدَّثنا عيسى بن عمر ، عن إسماعيل السدي [عن أنس بن مالك] أن رسول الله ﷺ كان عنده طائر فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير » فجاء أبو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده . ثم جاء عثمان فرده ، ثم جاء علي فأذن له .

وقال أبو القاسم بن عقدة : حدَّثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدَّثنا يوسف بن عدي ، حدَّثنا حمَّاد بن المختار الكوفي ، حدَّثنا عبد الملك بن عمير ، عن أنس بن مالك قال : أهدي لرسول الله ﷺ

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ١٧١) في ترجمة محمد بن القاسم بن خلاد الضرير .

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦) وعند هذه اللفظة ينتهي انقطاع النسخة (أ) وتعود لتلتقي مع (ط) .

طائر فوضع بين يديه فقال : « اللهم ائتني بأحبِّ خلقك إليكَ يأكل معي » . قال : فجاء عليٌّ فدقَّ البابَ فقلت من ذا ؟ فقال : أنا عليٌّ ، فقلت إن رسول الله على حاجة حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبيُّ ﷺ : « ما حَبَسَكَ ؟ » فقال : قد جئتُ ثلاث مرات فيحبسني أنس ، فقال النبي ﷺ : « ما حملك على ذلك [يا أنس] ؟ » قال قلت : كنتُ أحبُّ أن يكون رجلاً من قومي .

وقد رواه الحاكم النيسابوري[١] ، عن عبدان بن يزيد ، عن يعقوب الدقّاق ، عن إبراهيم بن الحسين الشامي ، عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن أنس فذكره ، ثم قال الحاكم : لم نكتبه إلا بهذا الإسناد .

وساقه ابن عساكر[٢] من حديث الحارث بن نبهان ، عن إسماعيل ـ رجل من أهل الكوفة ـ عن أنس بن مالك فذكره .

ومن حديث حفص بن عمر المهرقاني ، عن الحكم بن بشير[٣] بن إسماعيل أبي سليمان أخي إسحاق بن سليمان الرازي ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن أنس فذكره . ومن حديث سليمان بن قرم ، عن محمد بن علي السلمي ، عن أبي حذيفة العقيلي ، عن أنس فذكره . وقال أبو يعلى : حدَّثنا أبو هشام ، حدَّثنا ابن فضيل ، حدَّثنا مسلم الملائي ، عن أنس قال : أهدت أم أيمن إلى رسول الله ﷺ طيراً مشوياً فقال : « اللهم ائتني بمن تحبه يأكل معي من هذا الطير » قال أنس فجاء علي فاستأذن، فقلت : هو على حاجته[٤] ، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت : هو على حاجته فرجع ، ثم عاد فاستأذن فقلت : هو على حاجته فرجع ، ثم عاد فاستأذن فسمع النبي ﷺ صوته فقال : « إئذن له » فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل منه وحمد الله ، فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك ، وكل منها فيه ضعف ومقال . وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٥] ـ في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقاً متعددة نحواً مما ذكرنا ـ ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف ، وأبي عصام خالد بن عبيد ، ودينار أبي كيسان[٦] ، وزياد بن محمد الثقفي ، وزياد العبسي ، وزياد بن المنذر ، وسعد بن ميسرة البكري ، وسليمان التيمي ، وسليمان بن علي الأمير ، وسلمة بن وردان ، وصباح بن محارب ، وطلحة بن مصرف ، وأبي الزناد ، وعبد الأعلى بن عامر ، وعمر بن راشد ، وعمر بن أبي حفص الثقفي الضرير ،

---

(١) لم أجده بهذا السند في المستدرك .
(٢) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ١٣٠) .
(٣) في ط : شبير ؛ تحريف . وبشير بن إسماعيل من رجال التهذيب .
(٤) في أ : هو في حاجة .
(٥) ذكر محقق كتاب السير للذهبي هذا الجزء « الكلام على حديث الطير » ضمن قائمة كتبه في المقدمة ويبدو أن لا أثر له .
(٦) في أ : نكيس .

وعمرو بن سليم البجلي ، وعمر بن يحيى الثقفي ، وعثمان الطويل ، وعلي بن أبي رافع ، وعيسى بن طهمان ، وعطية العوفي ، وعباد بن عبد الصمد ، وعمَّار الدُّهني ، وعباس بن علي ، وفضيل بن غزوان ، وقاسم بن جندب ، وكلثوم بن جبر ، ومحمد بن علي الباقر ، والزهري ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، ومحمد بن مالك الثقفي ، ومحمد بن جحادة ، وميمون بن مهران ، وموسى الطويل ، وميمون بن جابر السلمي ، ومنصور بن عبد الحميد ، ومعلّى بن أنس ، وميمون أبي خلف الجراف[١] ، وقيل أبو خالد ومطر بن خالد ، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر ، وموسى بن عبد الله الجهني ، ونافع مولى ابن عمر ، والنضر بن أنس بن مالك ، ويوسف بن إبراهيم ، ويونس بن حيان ، ويزيد بن سفيان ، ويزيد بن أبي حبيب ، وأبي المليح ، وأبي الحكم ، وأبي داود السبيعي ، وأبي حمزة الواسطي ، وأبي حذيفة العقيلي ، وإبراهيم بن هُدْبة ، ثم قال بعد أن ذكر الجميع : الجميع بضعة وتسعون[٢] نفساً أقربها غرائب ضعيفة ، وأردؤها طرق مختلقة مفتعلة ، وغالبها طرق واهية .

وقد روي من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ ؛ فقال أبو القاسم البغوي وأبو يعلى الموصلي قالا : حدَّثنا القواريري ، حدَّثنا يونس بن أرقم ، حدَّثنا مطير بن أبي خالد ، عن ثابت البجلي ، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : أهدت امرأة من الأنصار طائرين بين رغيفين [إلى النبي ﷺ] ـ ولم يكن في البيت غيري وغير أنس ـ فجاء رسول الله ﷺ فدعا بغدائه . فقلت : يا رسول الله قد أهدت لك امرأة من الأنصار هدية ، فقدمت الطائرين إليه فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك » فجاء علي بن أبي طالب فضرب الباب [ضرباً] خفيا فقلت : من هذا ؟ قال أبو الحسن ، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله : « من هذا » قلت : علي بن أبي طالب . قال : « افتح له » ففتحت له فأكل معه رسول الله ﷺ من الطيرين حتى فنيا[٣] .

وروي عن ابن عباس ؛ فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد : حدَّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدَّثنا حسين بن محمد ، حدَّثنا سليمان بن قرم ، عن محمد بن شعيب ، عن داود بن [علي بن][٤] عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده ابن عباس قال : إن النبي ﷺ أتي بطائر فقال : « اللهم ائتني برجل يحبه الله ورسوله » فجاء علي فقال : « اللهم وإليّ » .

وروى عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب[٥] : حدَّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ، حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي قال : أهدي لرسول الله ﷺ طير يقال له الحبارى ، فوضعت

---

(١) في أ : وميمون أبو خلف الحراني .
(٢) في أ : وسبعون .
(٣) في أ : تكرار لسند أبي يعلى والبغوي ، حذفناه .
(٤) داود بن علي بن عبد الله ؛ من رجال التهذيب .
(٥) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧) .

بين يديه ـ وكان أنس بن مالك يحجبه ـ فرفع النبي ﷺ يده إلى الله ثم قال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير » . قال فجاء علي فاستأذن فقال له أنس : إن رسول الله على حاجته[١] فرجع ثم أعاد رسول الله ﷺ الدعاء ، فرجع ، ثم دعا الثالثة فجاء علي ، فأدخله ، فلما رآه رسول الله ﷺ : « اللهم وإليَّ » . فأكل معه ، فلما أكل رسول الله . وخرج علي قال أنس : سمعت علياً فقلت : يا أبا الحسن استغفر لي ، فإن لي إليك ذنباً وإن عندي بشارة ، فأخبرته بما كان من النبي ﷺ فحمد الله واستغفر لي ورضي عني ، أذهب ذنبي عنده بشارتي إياه .

ومن حديث جابر بن عبد الله الأنصاري أورده ابن عساكر[٢] : من طريق عبد الله بن صالح كاتب اللّيث ، عن ابن لهيعة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر فذكره بطوله .

وقد روي أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري ، وصححه الحاكم[٣] [من حديث أبي سعيد الخدري] ولكن إسناده مظلم وفيه ضعفاء .

وروى من حديث حبشي بن جنادة ولا يصح أيضاً ، ومن حديث يعلى بن مرة والإسناد إليه مظلم ، ومن حديث أبي رافع نحوه وليس بصحيح [بل طريقه مظلم] . وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه ، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي ، ورأيت فيه مجلداً في جميع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنداً ومتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلِّم . وبالجملة[٤] ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه ، والله أعلم .

حديث آخر في فضل علي[٥] :

قال أبو بكر الشافعي : حدَّثنا بشر بن موسى الأسدي ، حدَّثنا زكريا بن عدي ، حدَّثنا عبد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل[٦] ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار في نخل لها . يقال له الإسراف[٧] ففرشت لرسول الله ﷺ تحت صور لها مرشوش فقال رسول الله ﷺ : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة » فجاء أبو بكر ، ثُمّ قال : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة » فجاء عمر ، ثم قال : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة » قال : فلقد رأيته مطأطئاً رأسه [من]

---

(١) في أ : حاجة .
(٢) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) .
(٣) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٣١) .
(٤) في أ : وفي الجملة .
(٥) مكان السطر بياض في أ .
(٦) في أ : عبد الله بن محمد وعقيل بن جابر بن عبد الله عن جابر .
(٧) في أ : الأسواف .

رأسه تحت الصور ثم يقول : « اللهم إن شئت جعلته علياً » فجاء علي ، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله ﷺ شاة وصنعتها فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلي وصلينا ما توضأ ولا توضأنا ، فلما حضرت العصر صلى وما توضأ ولا توضأنا .

حديث آخر :

قال أبو يعلى[١] : حدَّثنا الحسن بن حمّاد الكوفي ، حدَّثنا ابن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الشيباني ، عن جُميع بن عمير[٢] قال : دخلت مع أبي على عائشة فسألتها عن علي فقالت : ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه ، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته . وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عمير به .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يحيى بن أبي بكير ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الله الجَدلي[٤] قال : دخلت على أم سلمة فقالت لي : أيسب رسول الله ﷺ فيكم ؟ قلت : معاذ الله ـ أو سبحان الله أو كلمة نحوها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سبَّ علياً فقد سبَّني » .

وقد رواه أبو يعلى[٥] : عن عبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن عبد الرحمن البَجلي ـ من بجيلة من سليم ـ عن السدّي ، عن أبي عبد الله الجَدلي[٤] قال : قالت لي أم سلمة : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر ؟ » قال : قلت : وأنى ذلك ؟ قالت : أليس يُسبُّ علي ومن أحبه ؟ فأشهد أن رسول الله ﷺ كان يحبه .

وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة . وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك » ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتج بها .

حديث آخر :

قال عبد الرزاق[٦] : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن عدي بن ثابت ، عن زر بن حبيش قال :

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٢٧٠) رقم (٤٨٥٧) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في أ : جُميع عن عمير ؛ خطأ . وما هنا موافق لمسند أبي يعلى .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٢٣) .
(٤) في ط : « البجلي » ، محرف ، وما هنا من أ ومسند أبي يعلى .
(٥) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) رقم (٧٠١٣) .
(٦) لم أجده في مصنف عبد الرزاق ، وهو بهذا السند والمتن في مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٢٥٠) رقم (٢٩١) .

سمعت علياً يقول : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إليَّ أنَّه لا يُحبُّك إلا مؤمنٌ ولا يبغضكَ إلا منافقٌ . ورواه أحمد[١] ، عن ابن عمير ووكيع ، عن الأعمش .

وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الخُريبي[٢] وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المُورِّع[٣] ويحيى بن عيسى الرملي [وغيرهم] عن الأعمش به .

وأخرجه مسلم في « صحيحه »[٤] عن[٥] .

ورواه غسان بن حسان ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن علي فذكره .

وقد روي من غير وجه عن علي .

وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الله[٧] بن عبد الرحمن بن أبي نصر ، حدَّثني مُساور الحِمْيري ، عن أمه ، قالت[٨] : سمعت أم سلمة تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : « لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » .

وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح .

وروى ابن عقدة ، عن الحسن بن علي بن بزيغ ، حدَّثنا عمر بن إبراهيم ، حدَّثنا سوار بن مصعب ، عن الحكم ، عن يحيى الخراز ، عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن » وهذا بهذا الإسناد مختلق لا يثبت ، والله أعلم .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثني سعيد بن محمد الوراق ، عن علي بن الخراز ، سمعت أبا مريم الثقفي [يقول] سمعت عمار بن ياسر يقول : سمعت النبي ﷺ يقول لعلي : « طوبى لمن أحبك وصدّق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذّب فيك » .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٢٨) .
(٢) في أ : الحوني ، وفي ط : الحربي ، وكلاهما تحريف ، وترجمة الخُريبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤٦) .
(٣) الضبط عن تقريب التهذيب (٥٢١) .
(٤) صحيح مسلم (٧٨) (١٣١) في الإيمان .
(٥) بياض في الأصل : وإنما رواه مسلم عن ابن أبي شيبة عن وكيع وأبي معاوية عن الأعمش . ورواه أيضاً عن يحيى بن يحيى عن الأعمش به .
(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٩٢) .
(٧) في ط : عبيد الله ، وهو خطأ .
(٨) في أ ، ط : عن أبيه قال ؛ وما هنا عن المسند .

وقد روي[١] في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها .

وقال غير واحد ، عن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر : حدَّثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله[٢] ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نظر إلى علي فقال : « أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني وحبيبك حبيب الله ، ومن أبغضك فقد أبغضني وبغيضك بغيض الله ، والويل[٣] لمن أبغضك من بعدي »[٤]

وروى غير واحد أيضاً عن الحارث بن حَصِيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، عن علي قال : دعاني رسول الله فقال : « إن فيك من عيسى بن مريم مثلاً أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته[٥] النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس هو له » قال علي : ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان محب مُطْرٍ مفرط يُقَرِّظُني بما ليس فيَّ . ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني ، ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم من طاعة الله فحقٌ[٦] عليكم طاعتي فيما أحببتم[٧] وكرهتم ، لفظ عبد الله بن أحمد[٨]

[حديث آخر] :

قال يعقوب بن سفيان . حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدَّثنا علي بن مسهر ، عن الأعمش ، عن موسى بن طريف ، عن عباية ، عن علي قال : أنا قسيم النار ، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لي . قال يعقوب : وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله [وليس بثقة] وعباية أقل منه ليس حديثه بشيء[٩] . وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديثه بهذا [الحديث] فقال له الأعمش : إذا نسيت فذكروني ، ويقال : إن الأعمش إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم في تصديقهم ذلك .

قلت : وما يتوهمه بعض العوام بل هو مشهور بين كثير منهم ، أن علياً هو الساقي على الحوض فليس له أصل ولم يجيء من طريق مرضي يعتمد عليه ، والذي ثبت أن رسول الله ﷺ هو الذي يسقي الناس .

---

(١) في أ : ورد .

(٢) في ط : « عبد الله بن عبيد الله » خطأ .

(٣) في ط : « وويل » وما هنا من أ وهو الموافق لمصادر تخريج الحديث .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٥١) ، والحاكم (٣/ ١٢٧) وقال : هو منكر ، ليس ببعيد من الوضع ، وانظر تمام تخريجه في تعليق الدكتور بشار عواد معروف على تاريخ الخطيب (٥/ ٦٨) .

(٥) في ط : وأحبوه على لغة أكلوه البراغيث ، وما هنا موافق لما في مسند أحمد .

(٦) في ط : « حق » ، وما أثبتناه من أ ومسند أحمد .

(٧) في أ : اختلفتم ، وما هنا موافق لما في مسند أحمد .

(٨) مسند أحمد (١/ ١٦٠) .

(٩) في ط : ليس بشيء حديثه .

وهكذا الحديث الوارد في أنه ليس أحد يأتي يوم القيامة راكباً إلا أربعة ، رسول الله على البراق ، وصالح على ناقته ، وحمزة على العضباء ، وعلي على ناقة من نوق الجنة رافعاً صوته بالتهليل .

وكذلك ما في أفواه الناس من اليمين بعلي يقول أحدهم : خذ بعلي ، أعطني[١] بعلي ، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له ، بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شيء من الوجوه[٢] ، وهو من وضع الرافضة ويخشى على من اعتاد ذلك سلب الإيمان عند الموت ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثني يحيى ، عن شعبة ، حدَّثنا عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي قال : مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا وجع وأنا أقول : اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني ، وإن كان آجلاً فارفع عني ، وإن كان بلاءً فصبِّرني . قال : « ما قلت ؟ » فأعدت عليه ، فضربني برجله وقال : « ما قلت ؟ » فأعدت عليه فقال : « اللهم عافه أو اشفه » فما اشتكيت ذلك الوجع بعد .

حديث آخر :

قال محمد بن مسلم بن وارة[٤] : حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، حدَّثنا أبو عمر الأزدي ، عن أبي راشد الحرَّاني ، عن أبي الحمراء قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فَهمه ، وإلى إبراهيم في حلمه[٥] ، وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، وإلى موسى في بطشه[٦] فلينظر إلى علي بن أبي طالب » وهذا [حديث] منكر جداً ولا يصح إسناده .

حديث آخر في ردِّ الشمس[٧] :

قد ذكرناه في دلائل النبوة بأسانيده وألفاظه فأغنى له عن إعادته .

حديث آخر :

قال أبو عيسى الترمذي[٨] : حدَّثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدَّثنا محمد بن فَضيل ، عن الأجلح ،

---

(١) في أ : أعط .
(٢) ولا يصح شيء من هذه الوجوه البتة ، بل ذلك من وضع الرافضة .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٣) ، وإسناده حسن .
(٤) في الأصل والمطبوع : مسلم بن دارة ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٥) في أ : في حكمه .
(٦) في أ : بطشته .
(٧) في أ : حديث في الشمس حتى صلى ضعيف جداً ذكرناه .
(٨) سنن الترمذي (٣٧٢٦) في المناقب .

عن أبي الزبير ، عن جابر قال : دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه[١] فقال الناس : لقد طال بنجواه مع ابن عمه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما انتجيته ولكن الله انتجاه » ثم قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه[٢] إلا من حديث الأجلح وقد رواه [عنه] غير ابن فضيل عن الأجلح .

ومعنى قوله : « ولكن الله انتجاه » أن الله أمرني أن أنتجي معه . [قلت : وقد يكون أراد أن الله أمرني بمناجاته[٣] . والله أعلم] .

حديث آخر :

قال الترمذي[٤] : حدَّثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن أبي الجَرّاح ، عن جابر بن صُبْح[٥] ، حدَّثتني أمُّ شراحيل[٦] ، حدَّثتني أمُّ عطية قالت : بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم عليّ قالت : فسمعت رسول الله ﷺ رافعاً يديه[٧] يقول : « اللهم لا تمتني حتى تُريني علياً » ثم قال : هذا حديث حسن [غريب إنما نعرفه من هذا الوجه] .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا علي بن عاصم ، قال : حصين أخبرنا عن هلال بن يساف ، عن عبد الله بن ظالم المازني قال : لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة ، قال : فأقام خطباء يقعون في علي ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو[٩] بن نُفيل قال : فغضب فقام وأخذ بيدي فتبعته[١٠] فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه ، الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة[١١] فأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قال : قلت : وما ذاك ؟ قال قال رسول الله ﷺ : « اثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد » قال قلت : من هم ؟ فقال : رسول الله ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ،

---

(١) الانتجاء : هو المناجاة . النهاية (٥/ ٢٥) .
(٢) في أ : لا يعرف .
(٣) وهو ما رجّحه ابن الأثير في نهايته .
(٤) سنن الترمذي (٣٧٣٧) في المناقب .
(٥) في ط : « صبيح » محرف .
(٦) في ط : « أمي أم شرحبيل » ولفظة أمي ليست في أ ولا جامع الترمذي .
(٧) في أ : فسمعت رسول الله ﷺ يقول مع يديه .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٩) ، وإسناده حسن .
(٩) في ط : عمر ؛ خطأ ، وترجمة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤) .
(١٠) في ط : وتبعته ؛ وما هنا كالمسند .
(١١) في ط : الكوفة ؛ خطأ .

وسعد بن مالك . [قال : ثم سكت] قلت : ومن العاشر ؟ قال : قال : أنا .

وينبغي أن يكتب هاهنا حديث أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبي عبد الله الجدلي : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر » ؟ الحديث . رواه أحمد [أيضاً][١]

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير قالا : حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حبشي بن جنادة السلولي ـ وكان قد شهد حجة الوداع ـ قال قال رسول الله ﷺ : « عليٌّ منِّي وأنا منه ولا يؤدّي عنِّي إلا أنا أو عليّ » ثم رواه أحمد عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل .

حديث آخر :

قال أحمد[٣] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا : حدَّثنا إسرائيل : قال أبو إسحاق : عن زيد بن يُثَيْع[٤] ، عن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة : « لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة[٥] ، من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته ، والله بريء من المشركين ورسوله » . قال : فسار بها ثلاثاً ، ثم قال لعلي : « الحقه وردَّ عليَّ أبا بكر وبلِّغها أنت » [قال : ففعل] قال : فلما قدم أبو بكر على رسول الله بكى ، وقال يا رسول الله : حدث فيّ شيء ؟ قال : « ما حدث فيك إلا خيرٌ ، ولكن أمرتُ أن لا يبلِّغه إلا أنا أو رجل مني »[٦] .

حديث آخر :

وقال عبد الله بن أحمد[٧] : حدَّثني محمد بن سليمان لوين ، حدَّثنا محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنش[٨] ، عن علي قال : لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني فقال لي : « أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه

---

(١) تقدم الحديث قبل ثلاث صفحات وهو في المسند (٦/ ٣٢٣) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥) بسندين .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٣) .
(٤) اللفظة مهملة النقط في أ ، وهي في ط : بثيغ ، وهو تحريف ، ويرسم اسمه على شكلين أثيع مصغراً ، ويثيع بضم التحتانية بعدها مثلثة ثم تحتانية ساكنة ثم مهملة . وزيد بن يثيعٍ من رجال التهذيب .
(٥) في ط : مؤمنة ؛ وما هنا كالمسند .
(٦) في ط : من أهل بيتي . وما هنا كالمسند .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥١) .
(٨) في ط : حبشي ؛ تحريف .

عليهم » فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل فيّ شيء ؟ قال : « لا ولكن جبريل جاءني فقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك[١] » .

وقد رواه كثيرٌ النَّوَّاء ، عن جُميع بن عُمير ، عن ابن عمر ، بنحوه ، وفيه نكارة من جهة أمره بردِّ الصدِّيق فإن الصدِّيق لم يرجع بل كان هو أمير الحج في سنة تسع ، وكان علي هو وجماعة معه بعثهم الصدّيق يطوفون برحاب منى في يوم النحر وأيام التشريق ينادون ببراءة ؟ وقد قررنا ذلك في حجّة الصديق وفي أول تفسير سورة براءة .

حديث آخر :

[روي من حديث][٢] أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس [بن مالك] وثوبان وعائشة وأبي ذر وجابر أن رسول الله ﷺ قال : « النظر إلى وجه عليّ عبادة »[٣] . وفي حديث عن عائشة « ذكرُ عليّ عبادةٌ » ولكن لا يصحُّ شيءٌ منها فإنه لا يخلو كل سند منها[٤] عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعي .

حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع :

قال الطبراني : حدَّثنا عبد الرحمن بن سَلْم[٥] الرازي ، حدَّثنا محمد بن يحيى ، عن ضريس العبدي ، حدَّثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب ، حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] فخرج رسول الله ﷺ ، فدخل المسجد ، والناس يصلون بين راكع وقائم وإذا سائل فقال : « يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً » فقال : لا ! إلا هاذاك الراكع ـ لعلي ـ أعطاني خاتمه .

وقال الحافظ ابن عساكر[٦] : أخبرنا خالي أبو المعالي القاضي ، أخبرنا أبو الحسن الخلعي ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد ، حدَّثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الرملي ، حدَّثنا القاضي جملة بن محمد ، حدَّثنا أبو سعيد الأشج ، حدَّثنا أبو نعيم الأحول ، عن

---

(١) في ط : من بيتك ؛ وما هنا كالمسند .
(٢) مكانهما في أ : عن .
(٣) في هامش أ : ولعل في قوله : النظر إلى وجه علي عبادة نظر ، أما سمعتم يقال : النظر إلى وجه العالم عبادة : فكيف وجه علي .
(٤) في أ : كل إسناد منها .
(٥) في ط : « مسلم » ، محرف .
(٦) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) .

موسى بن قيس(١) ، عن سلمة قال : تصدق عليّ بخاتمه وهو راكع فنزلت ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيده ، ولم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصيته ، وكل ما يوردونه في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] وقوله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] وقوله : ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة : ١٩] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في عليّ لا يصح شيء منها ، وأما قوله تعالى : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] فثبت في الصحيح(٢) أنه نزل(٣) في علي وحمزة وعبيدة من المؤمنين ، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين .

وما روي عن ابن عباس أنه قال : ما نزل(٤) في أحد من الناس ما نزل في عليٍّ . وفي رواية عنه أنه قال : نزل فيه ثلاثمئة آية فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا . [ولا يصح أيضاً ما قالوا فيه أنه قال : ما نزلت آية فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي بن أبي طالب رأسها(٥) ، كل ذلك لا يصح وإنما هذا من غلو الرافضة] .

حديث آخر :

قال أبو سعيد بن الأعرابي : حدَّثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدَّثنا العباس بن بكار أبو الوليد ، حدَّثنا عبد الله بن المثنى الأنصاري ، عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ جالساً بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي فسلم ثم وقف فنظر(٦) مكاناً يجلس فيه فنظر [إليه] رسول الله ﷺ وإلى وجوه أصحابه أيهم يوسِّع له ـ وكان أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ جالساً ـ فتزحزح أبو بكر عن مجلسه وقال : هاهنا يا أبا الحسن ، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر ، فرأينا السرور في وجه رسول الله ﷺ ، ثم أقبل على أبي بكر فقال : « يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل [ذوو الفضل] » .

فأما الحديث الوارد عن علي وحذيفة مرفوعاً : « علي خير البشر ، من أبى فقد كفر ، ومن رضي فقد شكر » فهو موضوع من الطريقين معاً ، قبح الله من وضعه واختلقه(٧) .

---

(١) في أ : موسى بن عقبة ، وفي سند تاريخ دمشق : حملة بن محمر ، وما أثبتناه هو الصواب .

(٢) صحيح البخاري (٣٩٦٥ و٣٩٦٦ و٣٩٦٨) في المغازي .

(٣) في أ : أنها نزلت ، والضمير يعود إلى قوله تعالى .

(٤) في أ : نزلت في أحد من الناس ما نزل .

(٥) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٢٨) .

(٦) في أ : ينظر .

(٧) في أ : قبح الله واضعه ومختلقه .

حديث آخر :

قال أبو عيسى الترمذي(١) : حدَّثنا إسماعيل بن موسى ، [حدَّثنا محمد بن عمر بن] الرُّومي ، حدَّثنا شُريك ، عن [سَلَمة بن] كهيل ، عن سُوَيد بن غَفَلة ، عن الصُّنابحيِّ ، عن علي قال : قال رسول الله ﷺ: « أنا دار الحكمة وعلي بابها » ثم قال : هذا الحديث غريب [منكر] . قال : وروى بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس قلت : رواه سويد بن سعيد ، عن شريك ، عن سلمة ، عن الصنابحي ، عن علي مرفوعاً : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة »(٢) .

وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدي(٣) من طريق أحمد بن سلمة أبي عمرو الجرجاني ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها » ثم قال ابن عدي : وهذا الحديث يعرف بأبي الصلت الهروي ، عن أبي معاوية ، سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء ، هكذا قال رحمه الله .

وقد روى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز ، عن ابن معين أنه قال : أخبرني ابن أيمن أن أبا معاوية حدّث بهذا الحديث قديماً ثم كفَّ عنه ، قال : وكان أبو الصلت رجلاً موسراً يكرم(٤) المشايخ ويحدثونه بهذه الأحاديث ، وساقه ابن عساكر بإسناد مظلم عن جعفر الصادق ، عن أبيه ، عن جده ، عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعاً ، ومن طريق أخرى عن جابر : قال ابن عدي وهو موضوع أيضاً . وقال أبو الفتح الأزدي(٥) : لا يصح في هذا الباب شيء .

حديث آخر(٦) :

يقرب مما قبله ، قال ابن عدي(٧) : حدَّثنا أحمد بن حمدون النيسابوري ، حدَّثنا ابن بنت أبي أسامة ـ هو جعفر بن هذيل ـ حدَّثنا ضرار بن صُرد ، حدَّثنا يحيى بن عيسى الرملي ، عن الأعمش ، عن ابن عباية ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « عليٌّ عيبة علمي » .

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٢٣) في المناقب ، وما بين معقوفين زيادة وتصحيح منه .

(٢) الحديث بهذا السند في المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٦٥ و٦٦) رقم (١١٠٦١) والمستدرك (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وصححه ، وتعقبه الذهبي بقوله : بل موضوع ، وأبو الصلت والله لا ثقة ، ولا مأمون .

(٣) الكامل في الضعفاء (٣/ ١٢٤٧) .

(٤) في أ : يلزم ، وما هنا يوافقه ما في سؤالات ابن محرز لابن معين (٢٤١) .

(٥) في أ : « اليزدي » خطأ .

(٦) في أ : طريق أخرى عن جابر .

(٧) (٢/ ١٤٢١) والحديث بتمامه في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٨٢) وفي سنده : حدَّثنا ابن بنت أسامة وفي أ ، ط : على عيينة علي . . ؛ تحريف .

حديث آخر :

في معنى ما تقدم . قال ابن عدي : حدَّثنا أبو يعلى ، حدَّثنا كامل بن طلحة ، حدَّثنا ابن لهيعة ، حدَّثنا يحيى بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال في مرضه : « ادعوا لي أخي » فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال : « ادعوا لي أخي » فدعوا له عمر فأعرض عنه ثم قال : « ادعوا لي أخي » فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال : « ادعوا لي أخي » فدعي له علي بن أبي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال [لك رسول الله ﷺ] ؟ قال : علّمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب . قال ابن عدي : هذا حديث منكر ، ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة ، فإنه شديد الإفراط في التشيع وقد تكلّم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف ، والله أعلم .

حديث آخر :

قال ابن عساكر[١] : أنبأنا أبو علي المقرىء[٢] ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، أخبرنا أبو أحمد الغطريفي، حدَّثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل ، حدَّثنا محمد بن عبيد بن عتبة ، حدَّثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي ، حدَّثنا أحمد بن عمران بن سلمة ـ وكان ثقة عدلاً مرضياً ـ حدَّثنا سفيان الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطي[٣] علي تسعة والناس جزءاً واحداً » وسكت الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على سفيان الثوري بإسناده، قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه.

حديث آخر :

قال أبو يعلى[٤] : حدَّثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن الأعمش ، عن عمرو[٥] بن مرة ، عن أبي البَخْتريِّ ، عن علي . قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء قال : فضرب في صدري وقال : « إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك » قال : فما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين بعد . وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول : علي أقضانا وأبيٌّ أقرؤنا للقرآن . وكان عمر يقول : أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها .

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٨١) .

(٢) في ط : « أنبأنا أبو يعلى ، ثنا المقري » وهو غلط محض ، وما أثبتناه هو الصواب الموافق لما في تاريخ دمشق ، وأبو علي هذا هو الحسن بن أحمد الأصبهاني الحداد المتوفى سنة ٥١٥هـ وهو شيخ مشهور للحافظ ابن عساكر ، وأكثر هو عن أبي نعيم ، وله معجم شيوخ معروف (بشار) .

(٣) في أ : فأعطي .

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٣٢٣) رقم (٤٠١) .

(٥) في أ : عمر . خطأ .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الله بن محمد ، حدَّثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن أم موسى ، عن أم سلمة قالت : والذي أحلف به إن كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ عدنا رسول الله غداة بعد غداة يقول : « جاء علي ؟ » مراراً ـ وأظنه كان بعثه في حاجة ـ قالت : فجاء بعدُ فظننت أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت ، فقعدنا عند الباب ، فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه عليٌّ ، فجعل يسارُّه ويناجيه ، ثم قبض من يومه ذلك ، فكان أقرب الناس به عهداً . وهكذا رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى[٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة به[٣]

حديث آخر في معناه :

قال أبو يعلى[٤] : حدَّثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش ، عن صدقة ، عن جُميع بن عمير ، أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا : يا أم المؤمنين أخبرينا عن علي ، قال : أيُّ شيء [تسألان عنه] تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه ثم اختلفوا في دفنه فقال : إن أحب الأماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه ﷺ ؟ قالتا : فَلِمَ خرجت عليه ؟ قالت أمر قضي لوددت أني أفديه بما على الأرض[٥] . وهذا منكر جداً وفي الصحيح ما يرد هذا ، والله أعلم .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثني عبد الحميد بن أبي جعفر ـ يعني الفراء ـ عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيْع ، عن علي قال : قيل يا رسول الله من نُؤَمِّر بعدك ؟ قال : « إن تُؤَمِّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ، وإن تُؤَمِّروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف[٧] في الله لومة لائم ، وإن تُؤَمِّروا علياً ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم » .

وقد روي هذا الحديث من طريق عبد الرزاق ، عن النعمان بن أبي شيبة ، وعن يحيى بن العلاء ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيْع ، عن حذيفة عن النبي ﷺ بنحوه .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٠٠) .
(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ٣٦٤) رقم (٦٩٣٤) .
(٣) وهو في مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٦ ـ ٥٧) .
(٤) مسند أبي يعلى (٤٨٦٥) .
(٥) في أ : أني افتديت بما على الأرض من شيء .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٠٩) وإسناده ضعيف .
(٧) في أ : لا تأخذه ؛ وما هنا عن المسند .

ورواه أبو الصلت الهروي عبد السلام بن صالح ، عن ابن نمير ، عن الثوري ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثيْع ، عن حذيفة به .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري[١] : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الآدمي بمكة ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني ، أنا عبد الرزاق بن همام ، عن أبيه ، عن ابن ميناء[٢] ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبي ﷺ ليلة وفد الجن قال : فتنفس فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « نُعيت إليّ نفسي » قلت : فاستخلف . قال : « من ؟ » قلت : أبا بكر . قال : فسكت ، ثم مضى ، ثم تنفس ، قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال نعيت إلي نفسي يا بن مسعود ، قلت : فاستخلف قال : من ؟ قلت : عمر . قال : فسكت ، ثم مضى ساعة ، ثم تنفس قال : فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « نعيت إليّ نفسي يا ابن مسعود » قلت : فاستخلف ، قال : « من ؟ » قلت : علي بن أبي طالب قال : « أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخُلنَّ الجنة أجمعون أكتعون »[٣] قال ابن عساكر : همام وابن ميناء مجهولان .

حديث آخر :

قال أبو يعلى[٤] : حدَّثنا أبو موسى ـ يعني محمد بن المثنى ـ حدَّثنا سهيل بن حماد أبو عتاب الدلال ، حدَّثنا مختار بن نافع التميمي ، حدَّثنا أبو حيان التيمي ، عن أبيه ، عن علي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحَمَلني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرَّاً تركه الحق وماله من صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة ، رحم الله علياً اللهم أدر الحق[٥] معه حيث دار » وقد ورد عن أبي سعيد وأم سلمة أن الحق مع علي رضي الله عنه وفي كلٍّ منهما نظر والله أعلم .

حديث آخر :

قال أبو يعلى[٦] : حدَّثنا عثمان ، [حدَّثنا] جرير ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : « لا ! » فقال عمر : أنا هو

---

(١) لم أجده في المستدرك وهو في مصنف عبد الرزاق (١١/ ٣١٧ ـ ٣١٨) بهذا السند .
(٢) في المصنف : عن ميناء .
(٣) في الأصل وط والمصنف : أجمعين أكتعين ، وهو مخالف للسياق النحوي .
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) رقم (٥٥٠) وإسناده ضعيف .
(٥) في ط : « رحم الله علياً دار الحق » ، وما هنا من أ وهو الموافق لما في مسند أبي يعلى الذي ينقل منه المصنف .
(٦) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) رقم (١٠٨٦) .

يا رسول الله ، قال : « لا ! ولكنه خاصف النعل » ـ وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه ـ.

ورواه الإمام البيهقي[١] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش به .

ورواه الإمام أحمد[٢] : عن وكيع وحسين بن محمد ، عن فطر بن خليفة ، عن إسماعيل بن رجاء به.

ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي نعيم ، عن فطر بن خليفة ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد به . ورواه فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد . وروي من حديث علي نفسه .

وقد قدّمنا[٣] هذا الحديث في موضعه في قتال علي أهل البغي والخوارج ولله الحمد ، وقدّمنا أيضاً حديث علي للزبير أن رسول الله ﷺ قال لك : إنك تقاتلني وأنت ظالم . فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ، ثم قتل بعد مرجعه في وادي السباع . وقدمنا صبره وصرامته وشجاعته في يومي الجمل وصفين ، وبسالته وفضله في يوم النهروان ، وما ورد في فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث ، وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن علي وأبي سعيد وأبي أيوب أن رسول الله ﷺ أمره بقتال المارقين والقاسطين والناكثين، وفسروا الناكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج، والحديث ضعيف.

فصل
في ذكر شيء من سيرته [العادلة وطريقته] الفاضلة
ومواعظه وقضاياه الفاصلة وخطبه [الكاملة] وحكمه التي هي إلى القلوب واصلة

قال عبد الوارث : عن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبيه قال : خطب عليٌّ الناس فقال : أيها الناس ! والله الذي لا إله إلا هو ما رزأتُ[٤] من مالكم [لا] قليلاً ولا كثيراً إلَّا هذه ـ وأخرج قارورة من كُمِّ قميصه فيها طيب ـ . فقال : أهداها إليَّ الدهقان ، ـ وفي رواية بضم الدال ـ وقال : ثم أتى بيت المال فقال : خذوا وأنشأ يقول[٥] : [من الرجز]

أفلحَ منْ كانتْ له قوصرهْ ... يأكلُ منها كلَّ يوم تمرهْ

وفي رواية : مرة . وفي رواية طوبى لمن كانت له قوصرة .

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٦) وثمة إشارة إلى الرواية الثانية والتي سترد بعد قليل .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣) .
(٣) في هذا المقطع خلاف كبير بين أ و ط يكاد يكون في كل لفظ من ألفاظه ولذا آثرنا أن نشير إلى ذلك بهذه الإشارة دون ذكر ذلك الخلاف بالتفصيل لقلة فائدته .
(٤) رزأته وأرزؤه : أخذت منه ونقصت . النهاية (٢/ ٢١٨) .
(٥) البيت في ديوان الإمام علي .

وقال حرملة : عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن عبد الله بن زُرَيْر[١] الغافقي قال : دخلنا مع علي يوم الأضحى فقرب إلينا خَزِيرَةً[٢] . فقلنا : أصلحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والإوز ، فإن الله قد أكثر الخير فقال : يا بن زُرَير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يطعمها بين الناس[٣] » .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا حسن وأبو سعيد مولى بني هاشم قالا : حدَّثنا ابن لهيعة ، حدَّثنا عبد[٥] الله بن هبيرة ، عن عبد الله بن زُرَيْر أنه قال : دخلت على علي بن أبي طالب ، قال حسن : يوم الأضحى ، فقرب إلينا خزيرة ، فقلنا : أصلحك الله لو أطعمتنا هذا البط ؟ - يعني الإوز - فإن الله قد أكثر الخير ، قال : يا بن زُرَيْر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس » .

وقال أبو عبيد : حدَّثنا عباد بن العوام ، عن مروان بن عنترة ، عن أبيه قال : دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال وأنت ترعد من البرد ؟ فقال : إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً ، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي - أو قال من المدينة - وقال أبو نعيم . سمعت سفيان الثوري يقول : ما بنى علي لبنة ولا قصبة على لبنة[٦] ، وإن كان ليؤتى بحبوبة من المدينة في جراب .

وقال يعقوب بن سفيان[٧] : حدَّثنا أبو بكر الحميدي ، حدَّثنا سفيان ، حدثنا أبو حسان[٨] ، عن مجمع بن سمعان[٩] التيمي ، قال : خرج علي بن أبي طالب بسيفه إلى السوق فقال : منْ يَشْتري مني سيفي هذا ؟ فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزاراً ما بعته .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني سفيان ، عن جعفر ، قال - أظنه عن أبيه - إن علياً كان إذا لبس قميصاً مدَّ يده في كمه فما فضل من الكم عن أصابعه قطعه وقال : ليس للكم فضل عن الأصابع .

وقال أبو بكر بن عياش : عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : اشترى علي

---

(١) في الأصل والمطبوع : عبد الله بن أبي رزين ، وفي المواضع رزين ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٢) الخزيرة : لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق . النهاية (٢ / ٢٨) .
(٣) في أ : قصعة يأكل هو وأهله وقصعة يطعمها للناس .
(٤) مسند الإمام أحمد (١ / ٧٨) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .
(٥) في أ : عبيد الله ، تحريف ، وعبد الله بن هبيرة من رجال التهذيب .
(٦) في أ : ما بنى علي لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .
(٧) في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٨٣) .
(٨) في ط : « سفيان أبو حسان » وهو خطأ ، وأبو حسان هذا هو أفلت بن خليفة العامري من رجال التهذيب .
(٩) في أ : صرفان ، خطأ .

قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كمه من موضع الرسغين ، وقال : الحمد لله الذي هذا من رياشه .

وروى الإمام أحمد : في « الزهد » عن عبّاد بن العوّام ، عن هلال بن خَبَّاب[١] ، عن مولى لأبي غصين[٢] قال : رأيت علياً [خرج] فأتى رجلاً من أصحاب الكرابيس فقال له : عندك قميص سنبلاني ؟ قال : فأخرج إليه قميصاً فلبسه فإذا هو إلى نصف ساقيه ، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال : ما أرى إلا قدراً حسناً ، بكم هذا ؟ قال : بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين ، قال : فحلَّها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق .

وقال محمد بن سعد[٣] : أنا الفضل بن دكين ، أنا الحسن بن جرموز ، عن أبيه قال : رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليه قبطيتان[٤] إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه ، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول : أوفوا الكيل والميزان . ويقول : لا تنفخوا اللحم .

وقال عبد الله بن المبارك في « الزهد »[٥] : أنا رجل ، حدَّثني صالح بن ميثم ، حدَّثنا زيد[٦] بن وهب الجهني قال : خرج علينا علي بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان مُتزر بأحدهما مُرْتد بالآخر قد أرخى جانب إزاره ورفع جانباً ، قد رفع إزاره بخرقة ، فمر به أعرابي فقال : أيها الإنسان البس من هذه الثياب فإنك ميت أو مقتول . فقال : أيها الأعرابي إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو ، وخيراً لي في صلاتي ، وسنة للمؤمن .

وقال عبد بن حميد[٧] : حدَّثنا محمد بن عبيد ، حدَّثنا المختار بن نافع ، عن أبي مطر قال : خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي : ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لك ، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً ، (فمشيت) خلفه ، وهو [بين يدي متزر] بإزار ومرتدٍ برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي [فمشيت] فقلت : من هذا ؟ فقال لي رجل : أراك غريباً بهذا البلد . فقلت : أجل أنا رجل من أهل البصرة . فقال : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو يسوق الإبل ، فقال : بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ، ثم أتى أصحاب التمر فإذا خادم تبكي[٨] فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فرده موالي فأبى أن يقبله ، فقال له

---

(١) في ط : « حبان » ، محرف وهو من رجال التهذيب .

(٢) في أ : عصفين .

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨) وأول سنده : الحر بن جرموز .

(٤) القبطية : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس . اللسان (قبط) .

(٥) الزهد لابن المبارك ص(٢٦١) .

(٦) في ط : يزيد ، وزيد بن وهب الجهني من رجال التهذيب .

(٧) الخبر في تاريخ دمشق (ص٤٨٥ . ط . دار الفكر) .

(٨) في أ : يبكي .

علي : خذ تمرك وأعطها درهماً فإنها ليس لها أمر ، فدفعه ، فقلت : أتدري من هذا ؟ فقال : لا ، فقلت : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فصبت تمره وأعطاها درهمها[١] . ثم قال الرجل : أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين ، قال : ما أرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم ، ثم مرَّ مجتازاً بأصحاب التمر فقال : يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يرب[٢] كسبكم . ثم مرَّ مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال : لا يباع في سوقنا طافي . ثم أتى دار فرات ـ وهي سوق الكرابيس ـ فأتى شيخاً فقال : يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم ، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً ، ثم آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً ، فأتى غلاماً حَدَثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه[٣] ما بين الرسغين إلى الكعبين . يقول في لبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في[٤] الناس ، وأواري به عورتي . فقيل له : يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : لا ! بل شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقوله عند الكسوة . فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له : يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم ، قال : أفلا أخذت منه درهمين ؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال : أمسك هذا الدرهم . فقال : ما شأن هذا الدرهم ؟ فقال إنما ثمن القميص درهمين ، فقال : باعني رضاي وأخذ رضاه .

وقال عمرو بن شمر[٥] ، عن جابر الجعفي ، عن الشعبي قال : وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه ، قال : فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال : يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلَّا معه ، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا كنتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه ، وصغِّروا بهم كما صغَّر الله بهم من غير أن تطغوا » ثم قال عليّ : هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب ، فقال شريح للنصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ فقال النصراني : ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين هل من بيِّنة ؟ فضحك علي وقال أصاب شريح ، ما لي بينة ، فقضى بها شريح للنصراني ، قال فأخذه النصراني ومشى خطاً ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه [وقاضيه] يقضي عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال : أما

---

(١) في ط : « درهماً » ، وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .

(٢) في أ : يربو .

(٣) في ط : « وكمه » ، وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .

(٤) في ط : « بين الناس » وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .

(٥) الخبر في تاريخ دمشق (ص٤٨٧ . ط . دار الفكر) .

إذا أسلمتَ فهي لك ، وحمله على فرس . قال الشعبي : فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج [مع علي] يوم النهروان .

وقال سعيد بن عبيد ، عن علي بن ربيعة : جاء جعدة بن هبيرة إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ؟ قال : فلهزه علي وقال : إن هذا شيء لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله .

وقال أبو القاسم البغوي : حدَّثني جدي ، حدَّثنا علي بن هاشم ، عن صالح بياع الأكسية[١] عن جدته قالت : رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا نحمله[٢] عنك ؟ فقال : أبو العيال أحق بحمله .

وعن أبي هاشم . عن زاذان قال : كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة ، يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] ، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة [من أهل الأموال] من سائر الناس .

وعن عبادة بن زياد ، عن صالح بن أبي الأسود ، عمن حدَّثه : أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلّى رجليه إلى موضع واحد [وناحية واحدة] ثم قال : أنا الذي أهنت الدنيا .

وقال يحيى بن معين : عن علي بن الجَعْد ، عن الحسن بن صالح قال : تذاكروا الزهّاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب .

وقال هشام بن حسان : بينا[٣] نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال : يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : فاحمرت وجنتا الحسن وقال : رحم الله علياً ، إن علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه ، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى[٤] رسول الله ﷺ ، وكان رهبانيَّ هذه الأمة ، لم يكن لمال الله بالسروقة ، ولا في أمر الله بالنومة ، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه ، فكان منه في رياض مونقة ، وأعلام بينة ، ذاك علي بن أبي طالب يالكع .

وقال هشيم : عن يسار[٥] ، عن عمار . قال : حدَّث رجل علي بن أبي طالب بحديث فكذبه فما قام حتى عمي .

---

(١) في أ : الأكيسة .
(٢) في أ : ألا أحمله عنك .
(٣) في أ : بينما .
(٤) في أ : من رسول الله .
(٥) في أ : سيار ؛ تحريف .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني شريح بن يونس ، حدَّثنا هشيم ، عن إسماعيل بن[١] سالم ، عن عمار الحضرمي ، عن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدّث علياً بحديث فقال [له علي] : ما أراك إلا قد كذبتني ، قال : لم أفعل قال : أدعو عليك إن كنت كذبت ، قال : ادع ! فدعا ، فما برح حتى عمي .

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا خلف بن سالم ، حدَّثنا محمد بن بشر ، عن أبي مكين قال : مررت أنا وخالي أبو أمية على دار في محل حي من مراد ، قال : ترى هذه الدار ؟ قلت : نعم ! قال : فإن علياً مرّ عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل بناؤها ، قال : فما وضعت [فيها بعد ذلك] لبنة ، قال : فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور . وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثني عبد الله بن يونس ابن بكير الشيباني ، عن أبيه ، عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري ، عن أبي بشير الشيباني . قال : شهدت الجمل مع مولاي فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً[٢] ، وقدماً نادرة من يومئذ ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل قال : فحدَّثني الحكم بن عتيبة أن علياً دعا يوم الجمل فقال : اللهم خذ أيديهم وأقدامهم .

ومن كلامه الحسنِ رضي الله عنه[٣]

قال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا علي بن الجعد ، أنا عمرو بن شمر ، حدَّثني إسماعيل السدّي سمعت أبا أراكة يقول : صليت مع علي صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأمثال رُكبِ المِعْزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا مادوا كما يميد[٤] الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبلّ ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين . ثم نهض فما رؤي بعد ذلك مفترّاً يضحك حتى قتله ابن ملجَم عدو الله الفاسق .

وقال وكيع : عن عمرو بن منبه ، عن أوفى بن دلهم ، عن علي بن أبي طالب أنه قال : تَعلَّموا العلم تُعْرفوا به ، واعملوا تكونوا من أهله ، فإنَّه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره ، وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب ، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المَذاييعِ[٥] البُذْرِ[٦] .

---

(١) في أ : عن ، تحريف وإسماعيل بن سالم من رجال التهذيب .
(٢) نَدَر الشيء : سقط . اللسان (ندر) .
(٣) ليس هذا العنوان في أ ومكانه بياض في المصورة .
(٤) في أ : كما يميل الشجر في يوم ريح ، ومهلت أعينهم حتى تبل .
(٥) المذاييع : جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه . وقيل : أراد الذين يشيعون الفواحش وهو بناء مبالغة . اللسان (ذيع) .
(٦) البُذْرُ : جمع بذور يقال : بذرت الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب ، اي : أفشيته وفرقته . النهاية (١/ ١١٠) .

ثم قال : ألا وإنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت[١] مقبلة ، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات[٢] ، ألا وإن لله عباداً كم رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين[٣] ، وأهل النار في النّار معذَّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافُّون أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم[٤] . وأما النهار فظماء حكماء بررة أتقياء ، كأنَّهم القداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : صعد علي ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال : عبد الله الموت ليس منه فوت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، فالنجا النجا ، والوحا الوحا[٥] ، إن وراءكم طالب حثيث ، القبر ، فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته[٦] ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها ومقامعها حديد ، وماؤها صديد ، وخازنها مالك ليس لله فيها رحمة . قال : ثم بكى وبكى المسلمون حوله ، ثم قال : ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم .

ورواه ليث بن أبي سليم : عن مجاهد ، حدَّثني منْ سمع علياً فذكر نحوه .

وقال وكيع : عن عمر بن منبه ، عن أوفى بن دلهم ، قال : خطب علي فقال : أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغداً السباق ، ألا وإنكم في أيام [أمل] من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عملة[٧] ، ألا

---

(١) في أ : أقبلت .

(٢) في ط : المصائب ، وما أثبتناه يوافق السجعة .

(٣) في أ : عباداً لم رأى أهل الجنة في الجنة خالدين منعمين .

(٤) في أ : فكاك رقابهم ربنا ربنا يطلبون منه .

(٥) الوحا الوحا : أي : السرعة السرعة ويمد ويقصر ، وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمر . النهاية (٥/ ١٦٣) .

(٦) في ط : « ضغطته ووحشته » ، وما هنا من أ ، وهو الصواب .

(٧) في أ : عمله فأجله .

فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودُللتم على الزاد ، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، وإن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . أيها الناس : أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم ، فإن الله قد وعد جنته من أطاعه ، وأوعد ناره منْ عصاه . إنها نار لا يهدأ زفيرها ، ولا يفكّ أسيرها ، ولا يجبر كسيرها[١] ، حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . وفي رواية : فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن طول الأمل يُنسي الآخرة .

وعن عاصم بن ضمرة قال : ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غناء وزاد لمن تزود منها ، ومهبط وحي الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد آذنت بفنائها[٢] ونادت بفراقها ، وشابت بشرورها السرور ، وببلائها الرغبة فيها والحرص عليها ترغيباً وترهيباً ، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه بالأمالي[٣] متى خدعتك الدنيا أو متى استدمت إليك ؟ أبمصارع آبائك في البلا ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وعللت بكفيك ، ممن تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، لا يغني عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك .

وقال سفيان الثوري والأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، قال : جاء رجل إلى علي فأطراه ـ وكان يبغض علياً ـ فقال له[٤] : لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك .

وروى ابن عساكر[٥] أن رجلاً قال لعلي : ثبتك الله قال : على صدرك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي حمزة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر قال قال علي : إن الأمر ينزل إلى[٦] السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة[٧] ، فإن المسلم ما لم يعش دُناه يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ،

---

(١) في أ : ولا يحتار سعيرها .
(٢) في ط : بغيلها .
(٣) في أ : بأماني .
(٤) في أ : فقال له علي .
(٥) تاريخ دمشق (ص٥١٩ . ط . دار الفكر) .
(٦) في أ : من .
(٧) في أ : ورأى بغيره عثرة أو ثروة فلا يكونن ذلك فتنة له .

ويغرى به لئام الناس ، كالبائس العالم ينتظر[١] أول فورة من قداحه توجب له المغنم ، وتدفع عنه المغرم فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين ، إذا ما دعا الله ، فما عند الله خير له ، وإما أن يرزقه الله مالاً فإذا هو ذو أهل ومال معه حسبه ودينه ، وإما أن يعطيه[٢] الله في الآخرة فالآخرة خير وأبقى ، الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والتقوى[٣] ، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام .

قال سفيان الثوري : ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا علي رضي الله عنه ؟

وقال : عن زبيد[٤] اليامي ، عن مهاجر العامري[٥] ، قال : كتب علي بن أبي طالب عهداً لبعض أصحابه على بلد فيه : أما بعد فلا يطولن حجابك على رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب يقطع عنهم[٦] علم ما احتجبوا دونه ، فيضعف عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يواري عنه الناس به من الأمور ، وليس على القوم سمات[٧] يعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب ، فإنما أنت أحد الرجلين ، إما امرؤ شحت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من حق واجب عليك أن تعطيه ؟ أو خلق كريم تسدُّ[٨] به ؟ وإما مبتلى بالمنع والشح فما أسرع زوال نعمتك[٩] ، وما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك ، مع أن أكثر حاجات[١٠] الناس إليك ما لا مؤنة فيه عليه من شكاية مظلمة أو طلب إنصاف ، فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله .

وقال المدائني : كتب علي إلى بعض عماله : رويداً فكأن قد بلغت المدى ، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيع التوبة ، والظالم الرجعة .

وقال هشيم : أنا عمر بن أبي زائدة ، عن الشعبي قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي يقول الشعر ، كان علي أشهر الثلاثة .

---

(١) في أ : ذا البائس ينظر أول .
(٢) في أ : يعصمه .
(٣) في أ : فإن الحرث . . . المال والعافية .
(٤) في أ : يزيد ؛ تحريف ، وزبيد اليامي من رجال التهذيب .
(٥) في أ : العمري .
(٦) في أ : عن الولاة .
(٧) في أ : سمات .
(٨) في أ : تسدد .
(٩) في أ : دولتك .
(١٠) في أ : من خيرك ومع ذلك في أكثر حاجات .

ورواه هشام بن عمار ، عن إبراهيم بن أعين ، عن عمر بن أبي زائدة ، عن عبد الله بن أبي السفر ، عن الشعبي فذكره .

وقال أبو بكر بن دريد : قال : وأخبرنا عن دماد ، عن أبي عبيدة ، قال : كتب معاوية إلى علي : يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة ، وكان أبي سيداً في الجاهلية ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر[١] رسول الله ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي . فقال علي : يا أبا الفضائل يفخرُ عليَّ ابن آكلة الأكباد ؟ ثم قال : اكتب يا غلام[٢] . [من الوافر]

محمــدٌ النبــيُّ أخــي وصهــري ... وحمــزةُ سيِّــدُ الشُّهــداءِ عَمِّــي
وجعفـرٌ الـذي يُمْسـي ويُضْحـي[٣] ... يَطيـرُ مـع المَـلائكـةِ ابـنُ أمِّـي
وبنــتُ مُحمَّــدٍ سَكَنـي وعِـرْسـي ... مَسُـوطٌ[٤] لحمُهـا بـدمـي ولَحْمـي
وسبطــا أحمــدٍ ولــداي منهــا ... فــأيّكــم[٥] لــهُ سهــمٌ كسهمــي
سَبَقْتُكُــمُ إلــى الإســلامِ طُــرّاً ... صغيــراً مـا بلغــتُ أوانَ حلمــي[٦]

قال : فقال معاوية : أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب . وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية .

وقال الزبير بن بكار وغيره : حدَّثني بكر بن حارثة ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت علياً ينشد ورسول الله ﷺ يسمع[٧] : [من البسيط]

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نَسَبي ... معـهُ ربيـتُ وسبطـاهُ همـا ولـدي
جـدّي وجـدُّ رسـولِ اللهِ منفـردٌ[٨] ... وفـاطـمٌ زوجتـي لا قـولَ ذي فنـدِ
صدقتُه وجميعُ الناسِ في بُهُمٍ[٩] ... مـن الضـلالـةِ والإشـراكِ والنكـدِ
فـالحمـدُ للهِ شكـراً لا شـريـك لـهُ ... البـرُّ بـالعبـدِ والبـاقـي بـلا أمـدِ

قال : فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « صدقت يا علي » .

---

(١) في أ : وصرت أنا ملكاً في الإسلام صهر ، وما هنا يعضده ما في تاريخ دمشق (ص٥٢١ . ط . دار الفكر) .
(٢) الأبيات في ديوان الإمام علي (١٨٨) ، وتاريخ دمشق .
(٣) في الديوان : يضحي ويمسي .
(٤) مسوط : أي ممزوج ومخلوط . النهاية (٢/ ٤٢١) وفي الديوان مشوب .
(٥) في الديوان : فمن منكم .
(٦) في الديوان بعد هذا البيت خمسة أبيات .
(٧) الأبيات في الديوان ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ (٥٩) ـ وطبعة إيران ـ (٨١) ، وتاريخ دمشق .
(٨) في الديوان : متحد .
(٩) في أ : في ظلم .

وهذا بهذا الإسناد منكر والشعر فيه ركاكة . وبكر هذا لا يُقبل منه تفردُّه بهذا السند والمتن والله أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر[(١)] ، من طريق أبي زكريا الرملي : حدَّثنا يزيد بن هارون ، عن نوح بن قيس ، عن سلامة الكندي ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي أنه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك . فقال علي : اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك ، فكتب : إني محتاج ، فقال عليٌّ : عليَّ بحلَّة ، فأُتي بها فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

كَسَوْتني حلةً تَبْلى مَحاسِنُها ... فسوفَ أكسوكَ من حسْن الثَّنا حُلَلا
إنْ نلتَ حسنَ ثنائي نلتَ مكرمةً ... ولستُ أبغي بما قدْ قلتهُ بدلا
إنَّ الثناء ليحيي ذكرَ صاحبهِ ... كالغيثِ يحيي نداهُ السهلَ والجبلا
لا تزهدِ الدهرَ في خيرٍ تواقعُهُ ... فكلُّ عبدٍ سيجزىٰ بالذي عملا

فقال علي : عليَّ بالدنانير فأتي بمئة دينار فدفعها إليه ، قال الأصبغ : فقلت يا أمير المؤمنين حلة ومئة دينار ؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وهذه منزلة هذا الرجل عندي .

وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط ، عن أبيه ، عن جده قال : قال علي بن أبي طالب[(٢)] : [من الوافر]

إذا اشتملتْ على الناسِ القلوبُ ... وضاقَ بما[(٣)] به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنتْ ... وأرستْ في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضرِ وجهاً ... ولا أغنى بحيلتهِ الأريبُ
أتاكَ على قُنوطٍ منكَ غوثٌ ... يمنُّ[(٤)] به القريبُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهت ... فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

ومما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب [قوله][(٥)] : [من الوافر]

ألا فاصبرْ على الحدثِ الجليلِ ... وداوِ جواكَ بالصبرِ الجميلِ

---

(١) تاريخ دمشق (ص٥٢٣ . ط . دار الفكر) .
(٢) الأبيات في ديوان علي (١٥ ـ ١٦) ط دار الكتب ، و(ص٤٦) ط إيران . وهي أيضاً في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٣٠٢) .
(٣) في الديوان : لما به .
(٤) في أ : فضل . . . يمن به اللطيف .
(٥) الأبيات في ديوان الإمام علي ـ ط دار الكتب العلمية ـ (١٥٠ ـ ١٥١) .

ولا تجزعْ وإنْ[١] أعسرتَ يوماً فقدْ أيسرتَ في الزمنِ[٢] الطويلِ
ولا تظنن بربكَ ظنَّ سوءٍ[٣] فإنَّ الله أولى بالجميلِ
فإنَّ[٤] العسر يتبعُه يسارٌ وقولُ اللهِ أصدقُ كل قيلِ
فلو أنَّ العقول تجر رزقاً لكانَ الرزقُ عند ذوي العقولِ
فكمْ من مؤمنٍ قد جاعَ يوماً سيُروى[٥] من رحيقِ السلسبيلِ

من هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجيع المؤمن مع نفاسته ، ويشبع الكلب مع خساسته ، والكافر يأكل ويشرب ، ويلبس ويتمتع ، والمؤمن يجوع ويعرى ، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين .

ومما أنشده علي بن جعفر الورَّاق لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٦] : [من الكامل]

أجدُ الثيابَ إذا اكتسيتُ فإنها زينُ الرجالِ بها تُعزُّ وتكرمُ
ودعِ التواضعَ في الثيابِ تخشعاً فالله يعلمُ ما تجنُّ وتكتم
فَرَثَاثُ ثوبكَ لا يزيدك زلفةً عندَ الإلهِ وأنتَ عبدٌ مجرمُ
وبهاءُ ثوبكَ لا يضركَ بعد أنْ تخشى الإلَه وتتقي ما يحرمُ

وهذا كما جاء في الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[٧] وقال الثوري : ليس الزهد في الدنيا بلبس العبا ولا بأكل الخشن ، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد : كان مكتوباً على سيف علي[٨] رضي الله عنه :

[من البسيط]

للناسِ حرصٌ على الدنيا وتدبيرُ وفي مرادِ الهوى عقلٌ وتشميرُ
وإنْ أتوا طاعةً للهِ ربهمُ فالعقلُ منهمْ عنِ الطاعاتِ مأسورُ
لأجلِ هذا وذاك الحرصِ قد مزجت صفاءُ عيشاتها همٌّ وتكديرُ

---

(١) في ط : فإن عن أ ويوافق ما في ديوانه .
(٢) في ط : في الدهر ؛ وما هنا عن أ ويوافق ما في الديوان .
(٣) في الديوان : غير خير .
(٤) في الديوان : وإن .
(٥) في أ : جاع دهراً سيسقى . .
(٦) الأبيات في ديوانه ـ ط دار الكتب العلمية ـ (١٨٩) .
(٧) الحديث يرويه أبو هريرة وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٣٩) ومسلم في صحيحه (٢٥٣٤) (٣٤) في البر والصلة . وغيرهما .
(٨) الأبيات في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٣٠٣) .

لم يرزقوها بعقلٍ عندَ ما قسمت لكنهم رزقوها بالمقادير[١]
كمْ من أديبٍ لبيبٍ لا تساعدُهُ ومائقٍ نالَ دنياهُ بتقصيرِ
لو كانَ عن قوةٍ أو عنْ مغالبةٍ طارَ البزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ

وقال الأصمعي : حدثنا سلمة بن بلال ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قال علي بن أبي طالب لرجل كره له صحبة رجل[٢] : [من الهزج]

فلا تصحبْ أخا الجهلِ وإيّاكَ وإيّاهُ
فكم من جاهلٍ أردى حليماً حينَ آخاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ما شاهُ
وللشيءِ على الشيء مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلبِ دليلٌ حين يلقاهُ

وعن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبيه قال : وقف عليّ على قبر فاطمة فأنشأ يقول[٣] : [من الطويل]

ذَكرتُ أبا أرْوى فبتُّ كأنَّني بردِّ الهُمومِ الماضياتِ وكيلُ[٤]
لكُلِّ اجتماعٍ من خليلينِ فرقةٌ وكلُّ الذي قبلَ المماتِ قليلُ
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ[٥] دليلٌ على أنْ لا يدومُ خليلُ
سَيُعرضُ عن ذكري وتُنسى مَوَدَّتي ويحدثُ[٦] بعدي للخليلِ خليلُ[٧]
إذا انقطعتْ يوماً من العيشِ مدتي فإنَّ غناءَ[٨] الباكياتِ قليلُ

وأنشد بعضهم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[٩] : [من الوافر]

حقيقٌ بالتواضعِ من يموتُ ويكفي المرءَ منْ دنياهُ قوتُ
فما للمرءِ يصبحُ ذا همومٍ وحرصٍ ليسَ تدركهُ النعوت

---

(١) في أ : لكن ما رزقوا قسم وتقدير .
(٢) الأبيات في ديوانه ـ ط دار الكتب العلمية ـ (٢٠٥) .
(٣) الأبيات في ديوانه (١٤٩ ـ ١٥٠) وفي ط إيران (١٢٩ـ١٣٠) .
(٤) البيتان الأول والثاني لم يردا في طبعة إيران .
(٥) في الديوان ـ ط إيران ـ : وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد .
(٦) في الديوان ـ ط إيران ـ : ويظهر .
(٧) جاء هذا البيت في الديوان بعد الذي يليه .
(٨) في الديوان ـ ط إيران ـ : بكاء .
(٩) الأبيات في ديوانه ـ ط دار الكتب العلمية ـ (٥١) .

صنيعُ مليكنا حسنٌ جميلٌ ... وما أرزاقه[١] عنا تفوتُ

فيا هذا سترحلُ عن قريب[٢] ... إلى قومٍ كلامُهُمُ السكوتُ

وهذا الفصل يطول استقصاؤه وقد ذكرنا منه ما فيه مقنع لمن أراده ولله الحمد والمنة .

وقال حماد بن سلمة : عن أيوب السختياني أنه قال : من أحبَّ أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحبَّ عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

غريبة من الغرائب وآبدة[٣] من الأوابد

قال ابن أبي خيثمة : حدَّثنا أحمد بن منصور بن يسار ، حدَّثنا عبد الرزاق قال : قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد فقلت له : ما شأنك ؟ قال : عجبت من أهل الكوفة ، كأن الكوفة إنما بنيت على حُبِّ علي ، ما كلَّمت أحداً منهم إلا وجدت المُقْتَصِد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، منهم سفيان الثوري ، قال : فقلت لمعمر ورأيته ؟ ـ كأني أعظمت ذاك ـ فقال معمر : وما ذاك ؟ لو أن رجلاً قال علي أفضل عندي منهما ما عبته[٤] ، إذا ذكر فضلهما ، ولو أن رجلاً قال : عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عنفته . قال عبد الرزاق : فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح ونحن خاليان[٥] فاستهالها من سفيان وضحك وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى إلى معمر بما لم يفض إلينا ، وكنت أقول لسفيان : يا أبا عبد الله أرأيت إن فضلنا علياً على أبي بكر وعمر ما تقول في ذلك ؟ فسكت[٦] ساعة ثم قال : أخشى أن يكون ذلك طعناً على أبي بكر وعمر ولكننا نقف . قال عبد الرزاق : وأما ابن التيمي ـ يعني معتمراً ـ فقال : سمعت أبي يقول : فَضَلَ عليُّ بن أبي طالب [أصحاب رسول الله ﷺ] بمئة منقبة وشاركهم في مناقبهم ، وعثمان أحبُّ إليَّ منه .

هكذا رواه ابن عساكر في « تاريخه »[٧] بسنده عن ابن أبي خيثمة به . وهذا الكلام فيه تخبيط كثير ولعله اشتبه على معمر فإن المشهور عن بعض الكوفيين تقديم عليّ على عثمان ، فأمّا على الشيخين فلا ، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلّا على غبيّ ، فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة ؟ بل قد قال

---

(١) في الديوان : أرزاقنا .

(٢) في ط : قليل ؛ وما هنا عن أوهو يوافق ما في الديوان .

(٣) الآبدة : الباقية على الأبد . اللسان (أبد) .

(٤) في أ : ما عنفته إذا ذكر فظلهما إذ قال عندي . .

(٥) في ط : خاليين ؛ وهو مخالف للسياق النحوي .

(٦) في ط : فيسكت ثم يقول .

(٧) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٣١٢) .

غير واحد من علماء (الأمصار) ـ كأيوب والدارقطني [وغير واحد] ـ من قدَّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار . وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي[١] ، حدَّثنا إبراهيم بن سعيد[٢] ، عن شعبة ، عن أبي عون ـ محمد بن عبد الله الثقفي ـ عن أبي صالح الحنفي قال : رأيت عليَّ بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى إني لأرى ورقه يتقعقع ثم قال : اللهم إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطني ثواب ما فيه ، ثم قال : اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير طبيعتي[٣] وخلقي ، وأخلاق لم تكن تعرف لي ، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم أمت قلوبهم موت الملح في الماء . قال إبراهيم : ـ يعني أهل الكوفة ـ

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثني عبد الرحمن بن صالح ، حدَّثنا عمرو بن هشام الخبي أبو الحُباب ، عن أبي عون[٤] الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : قال لي الحسن بن علي قال لي علي : إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأودواللدد ؟ قال : أدع عليهم فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شر [لهم] مني ، [قال] فخرج فضربه الرجل .

الأود : العوج[٥] واللدد : الخصومة .

وقد قدمنا الحديث الوارد بالأخبار بقتله[٦] وأنه يخضب لحيته من قرن رأسه ، فوقع كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله .

وروى أبو داود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي يحرسونه كل ليلة عشرة ـ يبيتون في المسجد بالسلاح ـ فرآهم علي فقال : ما يجلسكم[٧] ؟ فقالوا : نحرسك ، فقال : من أهل السماء ؟ ثم قال : إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء ، وإن علي من الله جنة حصينة . وفي رواية : وإن الرجل جنة محصونة[٨] ، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال : اتقه اتقه . فإذا جاء القدر خلا عنه . وفي رواية : ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خليا

---

(١) في ط : الأريسي ؛ تحريف وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي ؛ من رجال التهذيب .
(٢) في أ : سعد ؛ وإبراهيم بن سعيد من رجال التهذيب .
(٣) في أ : طبيعتي وفطرتي وخلقي .
(٤) في أ : عن أبي حباب عن أبي عون ، خطأ وانظر تقريب التهذيب ٤٩٤ ، ٦٣١ ، ٦٦٢ .
(٥) في أ : المعوج .
(٦) في أ : بمقتله وأنه تخضب .
(٧) في أ : ما أجلسكم .
(٨) في أ : حصينة .

عنه ، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه [وفي رواية أنه قال : حارس كل امرىء أجله] .

وكان علي يدخل المسجد كل ليلة فيصليّ فيه ، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة ، وجمع أهله ، فلما خرج إلى المسجد صرخ الإوزُ في وجهه فسكتوهن[١] عنه فقال : ذروهن فإنهن نوائح ، فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا[٢] قبل . فقال الناس : يا أمير المؤمنين ألا نقتل مراداً كلها ؟ فقال : لا ولكن احبسوه وأحسنوا إسارة[٣] ، فإن مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص . وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول : ما لي ولصلاة الغداة ، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين [في] صلاة الغداة ، وقتل أبي [علي] أمير المؤمنين [في] صلاة الغداة ، رضي الله عنها . وقيل لعلي : ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم[٤] كما ترككم رسول الله ﷺ ، فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ ، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق .

وقد ثبت عنه بالتواتر[٥] أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته ، فقال : أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر ، ثم عمر ، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت . وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر : ثم عثمان ثم عثمان . ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله ، وصلّى عليه ابنه الحسن وكبّر أربعاً[٦] ، وقيل أكثر من ذلك . ودفن علي بدار الخلافة وقيل تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة ، بحذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة ، وقيل بالكناسة ، وقيل دفن بالبرية [وقيل بحائط جامع الكوفة] .

وقال شريك القاضي وأبو نعيم الفضل بن دكين : نقله [ابنه] الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة[٧] بالبقيع إلى جانب [زوجته] فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وقال عيسى بن دأب : بل لما تحملوا به حملوه في صندوق[٨] على بعير ، فلما مروا به ببلاد طيِّىء أضلوا ذلك البعير فأخذته طيِّىء تحسب فيه مالاً ، فلما وجدوا بالصندوق[٩] ميتاً دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن ، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك بن عمران أن خالد بن

---

(١) في أ : فسكنوهن .
(٢) في أ : ما تقدم .
(٣) في أ : أسره .
(٤) في أ : بل أترككم .
(٥) في أ : بالتوتر عنه .
(٦) في أ : فكبر عليه أربعاً .
(٧) في أ : إلى المدينة .
(٨) في أ : دأب عنه عمه : بل لما أرادوا أن يحملونه إلى المدينة ليدفنوه بها جعلوه في صندوق .
(٩) في أ : طيء ذلك البعير بما عليه يحسبونه مالاً فلما وجدوا بذلك ميتاً دفنوه بالصندوق .

عبد الله القسري ـ نائب بني أمية في زمان هشام ـ لما هدم دوراً ليبنيها وجد[1] قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فإذا هو علي [بن أبي طالب] ، فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له : أيها الأمير إن بني أمية لا يريدون منك هذا كله [أي هذه المبالغة في طاعتهم قال] فلفه في قباطي ودفنه هناك .

قالوا : فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها . رواه[2] ابن عساكر . ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن ، فأحضر الناس النفط والبواري ليحرقوه[3] ، فقال لهم أولاد علي : دعونا نشتفي منه ، فقطعت يداه ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر ، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك [الذي خلق خلق الإنسان من علق] إلى آخرها ، وإن عينيه لتسيلان على خديه ، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعاً شديداً ، فقيل له في ذلك فقال : إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقاً[4] لا أذكر الله فيه . فقتل عند ذلك وحرق بالنار ، قبّحه الله . قال محمد بن سعد[5] : كان ابن ملجم رجلاً أسمر حسن الوجه أبلج[6] شعره مع شحمة أذنه ، في جبهته أثر السجود . قال العلماء : ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس بن علي فإنه كان صغيراً يوم قتل أبوه ، قالوا : لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً ، والله أعلم .

وكان طعن علي رضي الله عنه يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين بلا خلاف فقيل مات من يومه قيل يوم الأحد التاسع عشر منه .

قال الفلاس : وقيل ضرب[7] ليلة إحدى وعشرين ومات ليلة أربع وعشرين [منه] عن بضع أو ثمان وخمسين سنة ، وقيل عن ثلاث وستين سنة وهوالمشهور ، قاله محمد بن الحنفية [ابنه] ، وأبو جعفر الباقر ، وأبو إسحاق السبيعي ، وأبو بكر بن عياش . وقال بعضهم : عن ثلاث أو أربع وستين سنة ، وعن أبي جعفر الباقر خمس وستين سنة .

وكانت خلافته خمس سنين إلَّا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين [وتسعة أشهر وثلاثة أيام وقيل : وستة أيام ، وقيل : وأربعة عشر يوماً ، وقيل أربع سنين] وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، رضي الله عنه [وأرضاه] . وقال جرير : عن مغيرة قال : لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم[8] مع

(١) في أ : في زمن هشام بن عبد الملك لما كان أميراً على العراق هدم دوراً ليبنيها فوجد .
(٢) في أ : كذا ذكره ابن عساكر . والخبر في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٣٧٦) .
(٣) في أ : أحضر عبد الرحمن بن ملجم المرادي من الحبس ثم أحضر النفط والبواري .
(٤) فواق : ما بين الحلبتين من الوقت . القاموس (فوق) .
(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٠) .
(٦) في الطبقات : أفلج .
(٧) في أ : ضربه .
(٨) في أ : وكان ذلك في وقت القائلة وكان نائماً .

امرأته فاختة بنت قرظة في يوم صائف ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي فقالت له فاختة : أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره .

وذكر ابن أبي الدنيا ـ في كتاب مكايد الشيطان[١] ـ أن رجلاً من أهل الشام[٢] من أمراء معاوية [وجلسائه] غضب ذات ليلة على ابنه فأخرجه من منزله ، فخرج الغلام لا يدري أين يذهب ، فجلس وراءالباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ وبابه يخمشه هر أسود بري ، فخرج إليه الهر الذي في منزلهم فقال له البري : ويحك ! افتح فقال : لا أستطيع ، فقال : ويحك ائتني بشيء أتبلغ به فإني جائع وأنا تعبان ، هذا أوان مجيئي من الكوفة ، وقد حدث الليلة حدث عظيم ، قتل علي بن أبي طالب ، قال فقال له الهر الأهلي : والله إنه ليس هاهنا شيء إلا وقد ذكروا اسم الله عليه ، غير سفود كانوا يشوون عليه اللحم ، فقال : ائتني به ، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخذ حاجته وانصرف ، وذلك بمرأى من الغلام ومسمع ، فقام إلى الباب فطرقه فخرج إليه أبوه فقال : من ؟ فقال له : افتح ، فقال : ويحك مالك ؟ فقال : افتح ، ففتح فقص عليه خبر ما رأى ، فقال له : ويحك أمنام هذا ؟ قال : لا والله ، قال : ويحك ! أفأصابك جنون بعدي ؟ قال : والله ، ولكن الأمر كما وصفت لك ، فاذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنده بما قلت لك ، فذهب الرجل فاستأذن على معاوية فأخبره خبر ما ذكر له ولده . فأرّخوا ذلك عندهم قبل مجيء البُرُد ، ولما جاءت البُرُد وجدوا ما أخبروهم به مطابقاً لما كان أخبر به أبو الغلام ، هذا ملخص ما ذكره .

وقال أبو القاسم : حدَّثنا علي بن الجعد ، حدَّثنا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن الأصم قال : قلت للحسين بن علي : إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله . ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن إسحاق ، عن عمرو بن الأصم ، عن الحسن بن علي بنحوه . والله سبحانه أعلم[٣] .

---

(١) لم أجد هذا الخبر في كتاب مكائد الشيطان لابن أبي الدنيا ـ طبعة القاهرة مكتبة القرآن .

(٢) في أ : من أهل دمشق ؛ وثمة خلافات كثيرة في هذا الخبر بين أ وط لم نجد في إثباتها أي فائدة . لم أجده في كتب الطبراني وهو في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢١٠) .

(٣) بعد هذه اللفظة في أ الزيادات التالية من كلام الإمام علي : فصل نذكر فيه كلمات زيادة على ما نص عليه المؤلف :
عن سَلَمة بن كُهَيْل ، عن مجاهد قال : إنما شيعة علي العلماء الحكماء الذُّبل الشفاه الأبرار الأخيار الزهاد الذين يُعرّفوك بأثر العبادة .
وقال علي بن الحسين : شيعتنا الذُّبل الشفاه والإمام منا من دعى إلى طاعة الله .
وقال الطبراني : حدَّثنا محمد بن زكريا الغُلابي ، حدَّثنا العباس بن بكار الضَّبي ، حدَّثنا عبد الواحد بن أبي عمير الأسدي ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح قال : دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية ، فقال له : صف لي علياً . قال : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قال : أما إذ لا بد من وصفي له ، كان=

= والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير العبرة ، طويل الفكر ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن ، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكنا مع قُرْبنا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ولا يُيْئس الضعيف من عدله ؛ فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يتمثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا ، يتضرع إليه ، ثم يقول للدنيا إليَّ تعرضت أم ليّ تشوَّقت هيهات هيهات غرّي غيري ، قد بتتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك كبير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

قال : فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه ؛ وقد اختنق القوم بالبكاء ، فقال : كذلك كان أبو الحسن رحمه الله فكيف وجدك عليه يا ضرار ؟ قال : وَجْدُ من ذبح أَوْحَدُها من حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها ثم قام فخرج [الخبر في مختصر تاريخ دمشق ١١/ ١٥٨] .

وقال علي : أشد الأعمال ثلاثة ؛ إعطاء الحق من نفسك ، وذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ في المال .

وقال علي : إن الله لم يرض من أهل القرآن بالإذعان والسكوت والله يُعصى .

وروى الثوري : عن عمرو بن قيس قال : قيل لعلي : يا أمير المؤمنين ؛ لم ترقع قميصك ! قال : يخشع القلب ، ويقتدي بي المؤمن .

وعن زياد بن ميلح : أن علياً أتى بشيء من خبيص فوضعه بين أيديهم فجعلوا يأكلون ولا يأكل . فقال : إن الإسلام ليس ببكر ضال ، ولكن قريش رأت هذا العيش هَذَّاً فتناحرت عليه .

وقد كان لعلي رضي الله عنه ظبية ـ أي جراب جلد غزال ـ يكون فيه سويق ليشربه بالماء وقت القائلة هو طعامه لا يزيد عليه ، وكان يختم عليه لئلا يختلط بغيره . وعاتبه رجل في لبوسه . فقال له : مالك وللبوسي إن لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم .

وعن عبد الله بن شريك عن جده عن علي أنه أتي بفالوذج ؛ فوضع بين يديه فقال : إنك طيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم ، ولكن أكره أن أعوِّد نفسي ، ما لم تعتد .

وعن مجمع التيمي قال: كان علي يقسم مال بيت المال ويكنسه ويصلي فيه يتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

وقال الإمام . . . حدَّثنا وهب بن سعيد ، حدَّثنا محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي عن علي بن أبي طالب أنه جاءه ابن النَّبَّاج فقال : يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء ؛ فقال : الله أكبر فقام متوكئاً على ابن النّبّاج حتى قام على بيت المال فقال :

هـذا جنـاي وخيـاره فيـه ... وكـل جـان يـده إلـى فيـه

يا ابن النباج عليَّ بأشياع الكوفة فنودي في الناس فأعطاه جميع ما في بيت المال وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيرها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين .

وقال الطبراني : حدَّثنا أبو مسلم الكشي ، حدَّثنا عبد العزيز بن الخطاب ، حدَّثنا سهل بن شعيب ، عن أبي علي

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه
[وعن أبيه وعن أمه]

قد ذكرنا أن علياً رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قالوا له : استخلف يا أمير المؤمنين . فقال : لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ ـ يعني بغير استخلاف ـ فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم[١] على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ . فلما توفي[٢] وصلى عليه ابنه الحسن ـ لأنه [كان]

= الصيقل ، عن عبد الأعلى عن نوف البكالي قال : رأيت علي بن أبي طالب خرج ليلة فنظر إلى النجوم فقال : يا نوف أراقد أنت أم رامق ؟ قلت : بل رامق يا أمير المؤمنين . فقال : يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً فرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام ، يا نوف ؛ إن الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى عيسى أن مر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأيد من الآثام نقية فإني لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقي عنده مظلمة . يا نوف لا تكن شاعراً ولا عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا عشاراً شطرحياً فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل فقال : يا لها [من] ساعة لا يدعو فيها عبد ربَّه إلا استجاب له فيها إلا أن يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عشاراً أو صاحب عربطة ـ وهو الطنبور ـ أو صاحب كوبة ـ وهو الطبل ـ أو صاحب الشاه ـ وهو الشطرنج ـ .

وروى عمرو بن قيس : عن عمر بن مرة ، عن علي قال : كونوا ينابيع العلم معادن الحكمة ، مصابيح الليل ، خلقان الثياب ، جدد القلوب ، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض وتذكرون عند ربكم .

وروى نحو ذلك عن ابن مسعود .

وقال عاصم بن ضمرة : عن علي قال : ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يُقنط الناس من رحمة الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يرخص لهم في معاصي الله ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فهم فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها .

وقال أبو بكر بن خزيمة : حدَّثنا علي بن حجر ، حدَّثنا يوسف بن زياد ، عن يوسف بن أبي المتيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : قال علي : كونوا لقول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ؛ فإنه لن يقل عمل مع التقوى ، وكيف يقل عمل يُقبل .

وعن عبد خير ، عن علي قال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك ؛ فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة ؛ ورجل يسارع في الخيرات ، ويعمل في الدرجات ، ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يُقب . وروي نحو هذا عن أبي الدرداء .

وروى ثابت بن أبي صفية ، عن أبي الزاهر قال : قال علي : احفظوا عني خمساً لو ركبتم الإبل في طلبهن لما أصبتموهن ولأضنيتم الإبل قبل أن تدركوهن : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحيي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له .

(١) في أ : فسيجمعكم .
(٢) في أ : مات .

أكبر بنيه رضي الله عنهم ـ ودفن كما ذكرنا بدار الإمارة [بالكوفة] على الصحيح من أقوال الناس ، فلما فرغ[(١)] من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وكان ذلك يوم مات علي ، وكان موته يوم ضرب على قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وقيل إنما مات بعد الطعنة[(٢)] بيومين ، وقيل مات في العشر الأخير من رمضان ، ومن يومئذ ولي الحسن بن علي ، وكان[(٣)] قيس بن سعد على إمرة أذربيجان ، تحت يده أربعون ألف مقاتل ، قد بايعوا علياً على الموت ، فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير[(٤)] لقتال أهل الشام ، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان ، وولّى[(٥)] عبيد الله بن عباس عليها ، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً ، ولكن غلبوه على رأيه ، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله[لأن الناس مالوا إلى الحسن ميلاً عظيماً محبة وطاعة إذ هو ابن بنت رسول الله ﷺ وريحانته] فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه ، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام ، ليقاتل معاوية وأهل الشام[(٦)] فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه ، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها ، إذ صرخ في الناس[(٧)] صارخ : ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم[(٨)] بعضاً حتى انتهبوا سرادق الحسن ، حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه ، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أثبتوه وأشوته فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب[(٩)] فدخل القصر الأبيض من المدائن فنزله وهو جريح ، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي ـ أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر[(١٠)] ـ فلما استقر الحسن بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبَّحه الله لعمه سعد بن مسعود : هل لك في الشرف والغنى ؟ قال : ماذا ؟ قال : تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه[(١١)] إلى معاوية ، فقال له عمه : قبحك[(١٢)] الله وقبح ما جئت به ، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ ؟ ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه

---

(١) في أ : فرغوا .
(٢) في أ : أن طعن .
(٣) في أ : ويوم دفن ولي الحسن ابنه مكانه .
(٤) في أ : التجهيز .
(٥) في أ : ولى عليها .
(٦) في أ : الحرب معاوية بن أبي سفيان .
(٧) في أ : بالناس .
(٨) في أ : فانتهب بعضهم .
(٩) في أ : ثم ركب .
(١٠) في أ : عم المختار .
(١١) في أ : وتبعث به .
(١٢) في ط : قبحكم .

عنه[١] مقتهم مقتاً شديداً وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ـ وكان قد ركب في أهل الشام [لقتال أهل العراق] فنزل مسكن [وجعل] ـ يراوضه على الصلح بينهما ، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمُرة ، فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال ، فاشترط أن يأخذ من مال بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم ، وأن يكون خراج دار أبجرد له [في أشياء ذكرها] وأن لا يُسبَّ عليٌّ وهو يسمع ، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية ، ويحقن الدماء بين المسلمين . فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله ، وقد لام الحسين أخاه[٢] الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه ، والصواب مع الحسن رضي الله عنه كما سنذكر دليله قريباً . وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة[٣] قيس بن سعد أن يسمع ويطيع [لمعاوية] ، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك ، وخرج عن طاعتهما جميعاً ، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريب كما سنذكره .

ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين ، ولهذا يقال له عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية ، والمشهود عند ابن جرير[٤] وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما[٥] سنذكره إن شاء الله .

وحج بالناس[٦] في هذه السنة ـ أعني سنة أربعين ـ المغيرة بن شعبة ، وزعم ابن جرير[٧] فيما رواه عن إسماعيل بن راشد : أن المعيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلي إمرة الحج عامئذ ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان ، وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحج ، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الإمرة . وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك ، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل ، فإن الصحابة أجل قدراً من هذا ، ولكن هذه نزغة شيعية .

قال ابن جرير[٨] : وفي هذه السنة بويع لمعاوية بإيلياء ـ يعني لما مات علي ـ قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع ، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاوله ، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم ، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم[٩] ابن

---

(١) في ط : عليه .
(٢) في ط : لأخيه .
(٣) في أ : مقدمة جيشه .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٢) .
(٥) في أ : على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .
(٦) ثمة خلافات كثيرة في هذا الخبر بين أ ، ط لم أجد فائدة من إثباتها .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٠) .
(٨) المصدر نفسه (٥/ ١٦١) .
(٩) في أ : متابعتهم .

بنت رسول الله ﷺ ، وسيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم . والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً »(١) وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من [أكبر] دلائل النبوّة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً . وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا الفانية ، ورغبته في الآخرة الباقية(٢) ، وحقنه دماء هذه الأمة ، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع(٣) الكلمة على أمير واحد . وهذا المدح قد ذكرناه [فيما تقدم] وسنورده في حديث أبي بكرة الثقفي أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً وجلس الحسن بن علي إلى جانبه ، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال : « أيها الناس إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخاري(٤) .

[بعونه تعالى وتوفيقه تم الجزء السابع من كتاب البداية والنهاية ، ويليه الجزء الثامن وأوله : ثم دخلت سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية . . . والحمد لله رب العالمين] .

●●●

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٢١) وأبو داود في سننه (٤٦٤٦) في السنة ، والترمذي في جامعه (٢٢٢٦) في الفتن ، وغيرهم وهو أيضاً في صحيح ابن حبان (٦٦٥٧) الإحسان ، وهو حديث حسن .

(٢) في أ : الباقية الفائقة .

(٣) في أ : لأجل اجتماع الكلمة على أمير واحد وحقن دماء المسلمين .

(٤) صحيح البخاري (٢٧٥٤) في الصلح ، و (٣٦٢٩) في المناقب ، و (٣٧٤٦) في فضائل الصحابة ، و (٧١٠٩) في الفتن .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
أحداث سنة ١١هـ	٥
خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه	٥
فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد	٩
مقتل الأسود العنسي المتنبىء الكذاب	١١
صفة خروج الأسود العنسي وتمليكه ومقتله	١٢
خروج الأسود العنسي	١٤
تصدِّي الصدِّيق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة	١٧
خروج الصدِّيق إلى ذي القصة	٢٢
مسيرة الأمراء من ذي القصة	٢٤
وقعة أخرى	٢٧
قصة الفجاءة	٢٧
قصة سجاح وبني تميم	٢٨
خبر مالك بن نويرة اليربوعي التميمي	٣٠
مقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله	٣٢
ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام	٣٧
ردة أهل عمان ومهرة اليمن	٤١
وفيات سنة ١١هـ	٤٣
محمد بن عبد الله ﷺ	
فاطمة رضي الله عنها	٤٤
بركة بنت ثعلبة (أم أيمن)	٤٦
ثابت بن أقرع بن ثعلبة	٤٧
ثابت بن قيس بن شماس	
حزن بن أبي وهب المخزومي	٤٩
زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي	
سالم بن عبيد	٥٠
سماك بن خرشة (أبو دجانة)	٥١ و٥٥
شجاع بن وهب الأسدي	٥١
الطفيل بن عمرو الدوسي	

الموضوع	الصفحة
عباد بن بشر الأنصاري	٥٢
السائب بن عثمان بن مظعون	
السائب بن العوام	
عبد الله بن سهل بن عمرو	٥٣
عبد الله بن عبد الله بن أبيٍ بن سلول	
عبد الله بن أبي بكر الصدِّيق	
عكاشة بن محصن	
معن بن عدي البلوي	٥٤
الوليد بن عمارة بن الوليد	
أبو عبيدة بن عمارة بن الوليد	
عتبة بن ربيعة العبشمي	٥٥
مالك بن عمرو	
يزيد بن رقيش	
الحكم بن سعيد العاص	
جبير بن مالك	
عامر بن البكير الليثي	
مالك بن ربيعة	
صفوان بن أمية	٥٦
يزيد بن أوس	
حيي بن حارثة الثقفي	
حبيب بن أسيد بن حارثة الثقفي	
الوليد بن عبد شمس المخزومي	
عبد الله بن عمرو العدوي	
أبو قيس بن الحارث السهمي	
عبد الله بن الحارث بن قيس	
عبد الله بن مخرمة العامري	
عمرو بن أويس العامري	
سليط بن سليط بن عمرو العامري	
ربيعة بن أبي خرشة العامري	
عبد الله بن الحارث بن رحضة	
عمارة بن حزم البخاري	
عقبة بن عامر السلمي	
ثابت بن هزال	٥٧

الموضوع	الصفحة
أبو عقيل بن عبد الله جحجبى	٥٧
عبد الله بن عتيك	
رافع بن سهل	
حاجب بن زيد الأشهلي	
سهل بن عدي	
مالك بن أوس	
عمير بن أوس	
طلحة بن عتبة من بني جحجبى	
رباح مولى الحارث	
معن بن عدي	
جزء بن مالك من بني جحجبى	
ورقة بن إياس الخزرجي	
جرول بن العباس	
عامر بن ثابت	
بشر بن عبد الله الخزرجي	
كليب بن تميم	
عبد الله بن عتبان	
إياس بن وديعة	٥٨
أسعد بن يربوع	
سعد بن حارثة	
سعد بن حمان	
مخاشن بن حمير	
سلمة بن مسعود	
ضمرة بن عياض	
أبو حبة بن غزية المازني	
حبيب بن زيد	٥٩
حبيب بن عمرو بن محصن	
ثابت بن خالد	
فروة بن النعمان	
عائذ بن ماعص	
يزيد بن ثابت بن الضحاك	
الأسود العنسي	
مسيلمة بن حبيب اليمامي الكذاب	

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
محكَّم بن الطفيل	٦٠
أحداث سنة ١٢هـ	٦١
بعث خالد بن الوليد إلى العراق	٦٢
وقعة المذار	٦٦
ذكر وقعة الولجة	٦٧
وقعة ألَّيس	٦٨
فتح خالد للأنبار (غزوة ذات العيون	٧٢
وقعة عين التمر	٧٣
خبر دومة الجندل	٧٥
خبر وقعتي الحصيد والمصيَّخ	٧٦
وقعة الفراض	٧٨
أحداث أخرى سنة ١٢هـ	٧٩
وفيات سنة ١٢هـ	٨٠
بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي	
الصعب بن جثامة الليثي	
أبو مرثد الغنوي	
أبو العاص بن الربيع	٨١
أحداث سنة ١٣هـ	٨٢
وقعة اليرموك	٨٥
انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة	٩٩
وقعة جرت بالعراق	١٠٠
خلافة عمر بن الخطاب	١٠٢
ذكر فتح دمشق	١٠٤
الكنائس التي تركت لأهل دمشق	١٠٦
متى فتحت دمشق	١٠٨
هل فتحت دمشق صلحاً أو عنوة	١٠٩
متى كان إمداد خالد ؟	١١٠
بعثناه بريداً فعاد أميراً	١١٠
مسألة فقهية في المسح على الخفين	١١١
فتح البقاع وبيروت وتدمر	١١١
فتح سائر مدن دمشق صلحاً	١١٢
وقعة فِحْل	١١٢
ما وقع بأرض العراق من القتال	١١٣

الموضوع	الصفحة
وقعة النمارق	١١٤
وقعة جسر أبي عبيد	١١٦
وقعة البويب	١١٨
ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد	١١٩
أحداث أخرى سنة ١٣هـ	١٢٠
وفيات سنة ١٣هـ	١٢١
أبان بن سعيد بن العاص	١٢٢
أنسة مولى رسول الله ﷺ	١٢٣
تميم بن الحارث السهمي	
الحارث بن أوس بن عتيك	
خالد بن سعيد بن العاص	
سعد بن عبادة	
سلمة بن هشام بن المغيرة	١٢٥
ضرار بن الأزور الأسدي	
طليب بن عمير القرشي العبدي	١٢٦
عبد الله بن الزبير	
عبد الله بن عمرو الدوسي	
عثمان بن طلحة العبدري الحجبي	
عتاب بن أسيد بن أبي العاص	
عكرمة بن أبي جهل	١٢٧
الفضل بن العباس بن عبد المطلب	
نعيم بن عبد الله بن النحَّام	
هبَّار بن الأسود القرشي الأسدي	١٢٨
هبَّار بن سفيان المخزومي	
هشام بن العاص بن وائل السهمي	
أبو بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ	
أحداث سنة ١٤هـ	
فصل في غزوة القادسية	١٣٢
رستم والمغيرة بن شعبة	١٣٣
رستم وربعي بن عامر	١٣٤
وفيات سنة ١٤هـ	١٤٧
سعد بن عبادة	
عتبة بن غزوان المازني	

الموضوع	الصفحة
عمرو بن أم مكتوم الأعمى	١٤٧
المثنى بن حارثة	١٤٨
أبو زيد الأنصاري النجَّاري	
أبو عبيد بن مسعود الثقفي	
أبو قحافة والد الصدِّيق	١٤٩
أوس بن أوس بن عتيك	
بشير بن عنبس الظفري	
ثابت بن عتيك	
ثعلبة بن عمرو	
الحارث بن عتيك	
الحارث بن مسعود بن عبدة	
الحارث بن عدي بن مالك	١٥٠
خالد بن سعيد بن العاص	
خزيمة بن أوس الأشهلي	
ربيعة بن الحارث	
زيد بن سراقة	
سعد بن سلامة الأشهلي	
سلمة بن أسلم بن حريش	
ضمرة بن غزية	
عباد بن مربع بن قيظي	
عبد الله بن مربع بن قيظي	١٥٠
عبد الرحمن بن مربع بن قيظي	
عبد الله بن صعصعة	
عقبة بن قيظي	
العلاء بن الحضرمي	
عمر بن أبي اليسر	
قيس بن السكن	
نافع بن غيلان	
نوفل بن الحارث	
واقد بن عبد الله	
يزيد بن قيس الظفري	١٥١
هند بنت عتبة بن ربيعة	
أحداث سنة ١٥هـ	١٥٢

الموضوع	الصفحة
وقعة مرج الروم	١٥٢
وقعة حمص الأولى	
وقعة قنَّسرين	١٥٣
وقعة قيسارية	١٥٥
وقعة أجنادين	
دخل عمر الشام أربع مرات	١٥٦
فتح بيت المقدس	١٥٧
بَهْرَسِير	١٦٤
وفيات سنة ١٥هـ	١٦٥
سعد بن عبيد الأنصاري	
سهيل بن عمرو العامري	١٦٦
عامر بن مالك الزهري	
عبد الله بن سفيان المخزومي	
عبد الرحمن بن العوام	
عمرو بن الطفيل	
عامر بن أبي ربيعة	١٦٧
فراس بن النضر	
قيس بن عدي	
قيس بن أبي صعصعة	
نضير بن الحارث العبدري	
نوفل بن الحارث	
هشام بن العاص	١٦٨
أحداث سنة ١٦هـ	١٦٨
ذكر فتح المدائن	١٦٩
وقعة جلولاء	١٧٥
ذكر فتح حلوان	١٧٨
فتح تكريت والموصل	١٧٨
فتح ماسبذان من أرض العراق	١٨٠
فتح قرقيسيا وهيت	
وضع التاريخ الهجري	١٨١
أحداث سنة ١٧هـ	١٨٣
قصة أبي عبيدة وحصر الروم له بحمص	١٨٤
فتح الجزيرة	١٨٥

الموضوع	الصفحة
قدوم عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى الشام	١٨٥
ذكر شيء من أخبار طاعون عمواس	١٨٧
كائنة غريبة فيها عزل خالد	١٩٠
ذكر خبر عزل المغيرة بن شعبة	١٩٢
فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري	١٩٣
فتح تستر المرة الأولى صلحاً	١٩٤
ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين	١٩٥
ذكر فتح تستر ثانية عنوة	١٩٦
فتح السوس	١٩٩
أحداث سنة ١٨هـ	٢٠٢
وفيات سنة ١٨هـ	٢٠٧
الحارث بن هشام	
شرحبيل بن حسنة	
عامر بن عبد الله الجراح أبو عبيدة	٢٠٨
الفضل بن عباس	٢٠٩
معاذ بن جبل	
يزيد بن أبي سفيان	٢١٠
أبو جندل بن سهيل بن عمرو	٢١١
أبو مالك الأشعري	
أحداث سنة ١٩هـ	٢١١
وفيات سنة ١٩هـ	٢١٣
أبي بن كعب	
خباب بن الأرت	
صفوان بن المعطل	
أحداث سنة ٢٠هـ	٢١٤
صفة فتح بلاد مصر	
قصة نيل مصر	٢١٧
وفيات سنة ٢٠هـ	٢٢٠
أسيد بن الحضير	
أنيس بن مرثد الغنوي	
بلال بن أبي رباح الحبشي	٢٢١
سعيد بن عامر بن حذيم	

الموضوع	الصفحة
عياض بن غنم الفهري	٢٢٢
أبو سفيان بن الحارث	
مالك بن التيهان	٢٢٣
زينب بنت جحش (أم المؤمنين)	
صفية بنت عبد المطلب	٢٢٤
عويم بن ساعدة الأنصاري	٢٢٥
بشر بن عمرو بن حنش (الجارود)	
خويلد بن مرة الهذلي	
أحداث سنة ٢١هـ	٢٢٥
وقعة نهاوند	
فتح أصبهان	٢٣٤
وفيات سنة ٢١هـ	٢٣٥
خالد بن الوليد	
طليحة بن خويلد الأسدي	٢٤٢
عمرو بن معدي كرب	
العلاء بن الحضرمي	٢٤٥
النعمان بن مقرن المزني	
أحداث سنة ٢٢هـ	٢٤٦
فتح همذان	
فتح الري	٢٤٨
فتح قومس	
فتح جرجان	
فتح أذربيجان	٢٤٩
فتح الباب	
أول غزو الترك	٢٥٠
قصة السدّ	٢٥١
بقية من خبر السدّ	٢٥٢
قصة يزدجرد بن شهريار	٢٥٤
غزو المسلمين بلاد خراسان	
أحداث سنة ٢٣هـ	٢٥٨
فتح فسا ودار ابجرد	٢٥٩
فتح كرمان وسجستان ومكران	٢٦٠
غزوة الأكراد	٢٦١

الموضوع	الصفحة
خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد	٢٦٢
وفاة عمر بن الخطاب	٢٦٣
تسمية عمر أمير المؤمنين	٢٦٧
صفة عمر بن الخطاب	٢٧٠
ذكر زوجته وأبنائه وبناته	
ذكر بعض ما رثي به	٢٧٢
قتادة بن النعمان الأنصاري	٢٧٤
وفيات سنة ٢٣هـ	٢٧٤
عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ	
الأقرع بن حابس	
حباب بن المنذر	٢٧٦
ربيعة بن الحارث	
علقمة بن علاثة	٢٧٧
علقمة بن مجزِّز	
عويم بن ساعدة الأنصاري	
غيلان بن سلمة الثقفي	
معمر بن الحارث الجمحي	٢٧٨
ميسرة بن مسروق العبسي	
واقد بن عبد الله اليربوعي	
أبو خراش الهذلي	
عبد الرحمن بن كعب الأنصاري	
سودة بنت زمعة	٢٧٩
أحداث سنة ٢٤هـ	٢٨٠
خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه	٢٨٠
وفيات سنة ٢٤هـ	٢٨٧
سراقة بن مالك المدلجي	
أحداث سنة ٢٥هـ	٢٨٧
أحداث سنة ٢٦هـ	٢٨٨
أحداث سنة ٢٧هـ	٢٨٨
غزوة إفريقية	٢٨٩
غزوة الأندلس	
وقعة جرجير والبربر مع المسلمين	
أحداث سنة ٢٨هـ	٢٩٠

الموضوع	الصفحة
فتح قبرص	٢٩٠
أحداث سنة ٢٩هـ	٢٩١
أحداث سنة ٣٠هـ	٢٩٢
وفيات سنة ٣٠هـ	٢٩٤
أبي بن كعب	
جبار بن صخر الأنصاري	
حاطب بن أبي بلتعة	٢٩٥
الطفيل بن الحارث	
عبد الله بن كعب	
عبد الله بن مظعون	
عياض بن زهير	
مسعود بن ربيعة	
معمر بن أبي سرح الفهري	٢٩٦
مالك بن ربيعة	
أحداث سنة ٣١هـ	٢٩٦
كيفية قتل كسرى ملك الفرس	٢٩٧
أحداث سنة ٣٢هـ	٢٩٩
وفيات سنة ٣٢هـ	٣٠١
العباس بن عبد المطلب	
عبد الله بن مسعود	٣٠٣
عبد الرحمن بن عوف	
جندب بن جنادة الغفاري (أبو ذر)	٣٠٧
أحداث سنة ٣٣هـ	٣٠٨
أحداث سنة ٣٤هـ	٣٠٩
وفيات سنة ٣٤هـ	٣١٤
أبو عبس بن جبير	
مسطح بن أثاثة	
عاقل بن البكير	
أحداث سنة ٣٥هـ	٣١٤
مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ	
ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان	٣١٩
ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان	٣٢٣
صفة قتله ـ رضي الله عنه ـ	٣٣٤

الموضوع	الصفحة
ذكر صفته ـ رضي الله عنه ـ	٣٤٦
ذكر بعض ما رثي به عثمان بن عفان	٣٥٣
بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان	٣٥٧
ما ورد في فضائل عثمان مع غيره	٣٦٠
ما ورد في فضائل عثمان وحده	٣٦٨
ذكر شيء من سيرة عثمان بن عفان	٣٧٩
ذكر شيء من خطب عثمان بن عفان	٣٨٢
فصل من مناقب عثمان ـ رضي الله عنه ـ	٣٨٤
ذكر زوجاته وبنيه وبناته	٣٨٦
وفيات سنة ٣٥هـ	٣٨٨
أنس بن معاذ الأنصاري	
أوس بن الصامت	
أوس بن خولي الأنصاري	
الجدّ بن قيس	
الحطيئة الشاعر المشهور	
خبيب بن يساف الأنصاري	٣٨٩
سلمان بن ربيعة الباهلي	
عبد الله بن حذافة السهمي	
عبد الله بن سراقة	
عبد الله بن قيس	٣٩٠
عبد الرحمن بن سهل	
عمرو بن سراقة	
عمير بن سعد الأنصاري	
عروة بن حزام	
قطبة بن عامر	
قيس بن قهد	٣٩١
لبيد بن ربيعة	
المسيب بن حزن المخزومي	
معاذ بن عمرو بن الجموح	
محمد بن جعفر بن أبي طالب	
معبد بن العباس	٣٩٢
معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي	
منقذ بن عمرو الأنصاري	

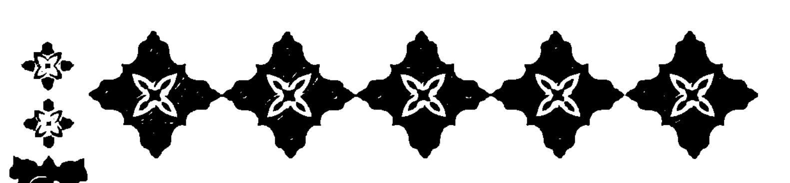
الموضوع	الصفحة
نعيم بن مسعود	٣٩٢
خويلد بن خالد الهذلي (أبو ذؤيب)	
أبو رهم سبرة بن عبد العزى	
أبو زبيد الطائي (الشاعر)	٣٩٣
أبو سبرة بن أبي رهم العامري	
أبو لبابة عبد المنذر	
خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٣٩٤
ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة	٣٩٩
أحداث سنة ٣٦هـ	٤٠٣
ابتداء وقعة الجمل	٤٠٤
ذكر مسير علي بن أبي طالب إلى البصرة	٤٠٩
وفيات سنة ٣٦هـ	٤٢٧
طلحة بن عبيد الله	
الزبير بن العوام	٤٣٠
ومن أحداث سنة ٣٦هـ	٤٣٣
ذكر وقعة صفين	٤٣٦
أحداث سنة ٣٧هـ	٤٤٣
مقتل عمار بن ياسر	٤٥٥
ذكر رفع أهل الشام المصاحف	٤٦٤
قصة التحكيم	٤٦٩
ذكر خروج الخوارج	٤٧٢
اجتماع الحكمين بدومة الجندل	٤٧٧
خروج الخوارج من الكوفة	٤٨١
مسير أمير المؤمنين إلى الخوارج	٤٨٥
ما ورد في الخوارج من الأحاديث الشريفة	٤٨٩
وفيات سنة ٣٧هـ	٥٢١
خباب بن الأرت	
خزيمة بن ثابت	٥٢٢
سفينة مولى رسول الله ﷺ	
عبد الله بن الأرقم	
عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي	
عبد الله بن خباب بن الأرت	
عبد الله بن سعد بن أبي سرح	

الموضوع	الصفحة
عمار بن ياسر	٥٢٣
الربيِّع بنت معوِّذ	٥٢٤
أحداث سنة ٣٨هـ	٥٢٥
وفيات سنة ٣٨هـ	٥٣٢
سهل بن حنيف	
صفوان بن بيضاء	
صهيب بن سنان	٥٣٣
محمد بن أبي بكر الصدِّيق	
أسماء بنت عميس	٥٣٤
أحداث سنة ٣٩هـ	٥٣٤
وفيات سنة ٣٩هـ	٥٣٧
سعد القرظ	
عقبة بن عمرو بن ثعلبة	
أحداث سنة ٤٠هـ	٥٣٨
ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٥٣٩
صفة مقتل عليٍّ بن أبي طالب	٥٤٣
ذكر زوجاته وبنيه وبناته	٥٥٠
ذكر شيء من فضائل علي بن أبي طالب	٥٥٣
حديث المؤاخاة	٥٥٧
تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها	٥٦٧
حديث غدير خم	٥٧٤
حديث الطير	٥٧٨
أحاديث في فضل علي بن أبي طالب	٥٨٣
ذكر شيء من سيرته العادلة وطريقته الفاضلة	٥٩٦
من كلامه الحسنِ رضي الله عنه	٦٠١
غريبة من الغرائب	٦٠٩
خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه	٦١٥
الفهرس	٦١٩

* * *

البداية والنهاية

من خلافة معاوية ٤١ هـ - إلى ترجمة مروان بن الحكم ٦٥ هـ



الموضوع: تاريخ

العنوان: البداية و النهاية 1/20

التأليف: الإمام ابن كثير

التحقيق: مجموعة من العلماء

الطبعة الثانية

1431 هـ - 2010 م

الورق: كريم

ألوان الطباعة: لونان

عدد الصفحات: 10128

القياس: 17×24

التجليد: فني ـ لوحة

الوزن: 15215 غ



للطباعة و النشر و التوزيع

التنفيذ الطباعي :

مطبعة ايبكس - بيروت

التجليد :

مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - سوريا - ص.ب : 311

حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

صالة المبيعات تلفاكس: 2228450 - 2225877

الإدارة تلفاكس: 2458541 - 2243502

بيروت - لبنان - ص.ب : 113/6318

برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

تلفاكس : 817857 01 - جوال : 204459 03

www.ibn-katheer.com

info@ibn-katheer.com



ISBN: 978-9953-520-84-1



من خلافة معاوية ٤١ هـ - إلى ترجمة مروان بن الحكم ٦٥ هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

أكرم عبد اللطيف البوشي

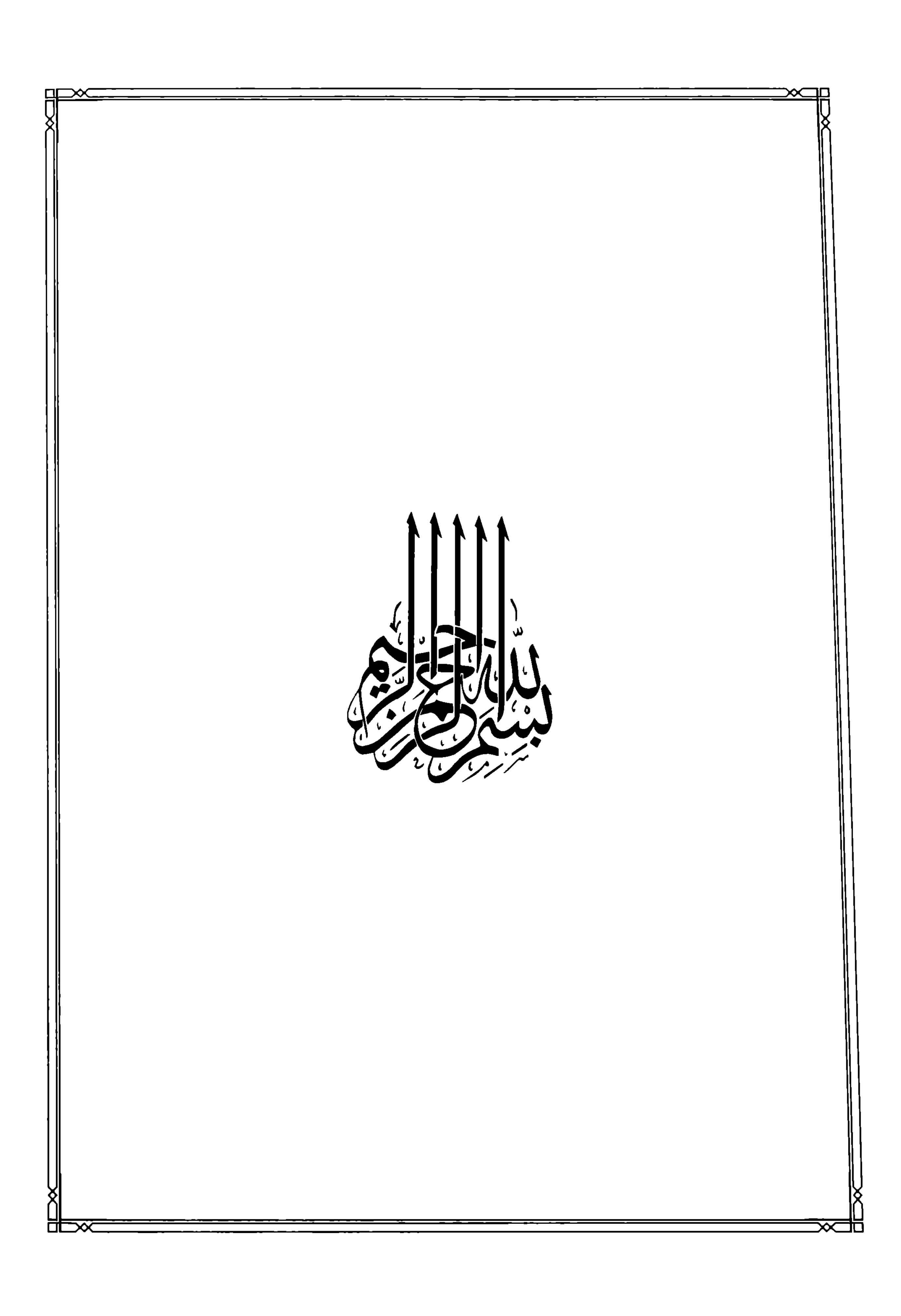
راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط | الدكتور بشار عواد معروف

الجزء الثامن

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان
[رضي الله عنه][١] وملكه

قد تقدَّم في الحديث أنَّ الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلكاً ، وقد انقضت الثلاثون سنة بخلافة الحسن بن علي ، فأيام معاوية أول المُلْك ، فهو أولُ ملوك الإسلام وخيارُهم .

قال الطبراني[٢] : حدثنا علي[٣] بن عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا الفُضيل بن عِياض ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابِط ، عن أبي ثعلبة الخُشَني ، عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالا[٤] : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ هذا الأمرَ بدأَ رحمةً ونبوَّة ، ثم يكونُ رحمةً وخِلافَة ، ثم كائن مُلكاً عَضُوضاً[٥] ، ثم كائن عُتُوّاً وجَبَريَّةً وفساداً في الأرض ، يستحلُّونَ الحريرَ والفُروج والخمورَ ، ويُرْزَقونَ على ذلك ويُنْصَرونَ حتى يَلْقَوا الله عزَّ وجلَّ » . إسناده جيد[٦] .

وقد ذكرنا في « دلائل النبوة » الحديثَ الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر ـ وفيه ضعف ـ عن عبد الملك بن عُمَيْر[٧] قال : قال معاوية : [والله ما حَمَلَني على الخلافة إلَّا قولُ رسول الله ﷺ لي : « يا معاويةُ][٨] إنْ مَلكْتَ فأَحسِنْ » . رواه البيهقي[٩] عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن العباس بن محمد ، عن محمد بن سابق ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن إسماعيل . ثم قال البيهقي : وله شواهد من وجوه أُخر ، منها :

حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص ، عن جدِّه سعيد : أنَّ معاويَةَ أخذ الإداوةَ[١٠] فتبعَ رسولَ الله ﷺ فنظر إليه ، فقال له : « يا مُعاويةُ إنْ وليتَ أمراً فاتَّقِ اللهَ واعْدِلْ » . قال معاوية :

---

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط ، وستأتي ترجمة معاوية لاحقاً في سنة ٦٠هـ .
(٢) الطبراني في الكبير (٢٠/ رقم ٩١) .
(٣) في أ : عمر ، خطأ .
(٤) في أ ، ط : قالوا: والمثبت من ب وهو الوجه.
(٥) قال ابن الأثير في النهاية : أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم ، كأنهم يُعضون عضاً .
(٦) هكذا قال ، وفي قوله نظر ، فإن ليث بن أبي سليم ضعيف ، وعبد الرحمن بن سابط . قيل : لم يدرك أبا ثعلبة الخشني كما قال في تهذيب الكمال (١٧/ ١٢٤) (بشار) .
(٧) تحرف في ط إلى : عمر .
(٨) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر والحديث في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣١) .
(٩) البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٤٦) .
(١٠) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وجمعها أداوَى .

فما زلتُ أظنُّ أني مبتلًى بعملٍ لقول رسول الله ﷺ[١] .

ومنها حديث راشد بن سعد ، عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّكَ إن اتَّبَعْتَ عوراتِ النّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ » . قال أبو الدَّرْداء : كلمة سمعها معاويةُ من رسول الله ﷺ فنفعَهُ اللهُ بها[٢] .

ثم روى البيهقي من طريق هُشيم ، عن العوّام بن حَوْشب ، عن سليمان بن أبي سليمان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الخِلافةُ بالمدينة ، والمُلْكُ بالشَّام » . غريب جداً .

وروى من طريق أبي إدريس ، عن أبي الدَّرْداء قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنا أنا نائمٌ رأيتُ [عمودَ][٣] الكِتابِ احتُمِلَ من تحتِ رَأسي ، فظَننتُ أنَّه مذهوبٌ به ، فأَتْبَعْتُهُ بصَري ، فعُمِدَ به إلى الشّام ، أَلَا وإنَّ الإيمانَ حينَ تقعُ الفِتَنُ بالشّام »[٤] .

وقد رواه سعيد بن[٥] عبد العزيز ، عن عطيَّة بن قيس ، عن يونس[٦] بن مَيْسَرة . عن عبد الله بن عمرو .

ورواه الوليد بن مسلم ، عن عُفَير بن مَعْدان ، عن سليمان بن[٧] عامر ، عن أبي أُمامة .

وروى يعقوب بن سفيان[٨] ، عن نصر بن محمد بن سليمان السّلمي الحمصي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن [أبي][٩] قيس ، سمعت عمر بن الخطّاب يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ عموداً مِنْ نورٍ خرجَ من تحتِ رَأسي سَاطعاً حتّى اسْتقرَّ بالشّام » .

وقال عبد الرزاق[١٠] : عن مَعْمر ، عن الزُّهري ، عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل يوم صفِّين : اللهم العَنْ أهل الشام . فقال له علي : لا تسبَّ أهلَ الشّام [جماً غفيراً][١١] فإنَّ بها الأبدال [فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال][١٢]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٠١) وهو حديث معلول بالإرسال ، فإن جد عمرو بن يحيى وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لم يثبت له سماع من معاوية ، ولذلك قال الهيثمي بعد أن أورده في مجمع الزوائد (٥/ ١٨٦) : « رواه أحمد وهو مرسل » .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) في الأدب ، باب في النهي عن التجسس ، وهو حديث صحيح .

(٣) سقط من ط .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٨ ـ ١٩٩) وهو حديث صحيح .

(٥) وقعت في ط عن وهو خطأ .

(٦) في (أ) أبو الحسن بن ميسرة بدل عن يونس بن ميسرة وهو خطأ، ويونس بن ميسرة كنيته أبو حَلْبَس، وهو من رجال التهذيب.

(٧) في ط عن .

(٨) في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١١) .

(٩) سقطت من ط ، وقد تنبه إلى ذلك محقق المعرفة والتاريخ وأشار إليه في حاشيته .

(١٠) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٥٥) .

(١١) سقط من ط .

(١٢) زيادة من ط .

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً[١]

فضل معاوية [بن أبي سفيان رضي الله عنه][٢]

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو عبد الرحمن القرشيُّ الأمويّ ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي رب العالمين .

أسلم هو وأبوه وأمُّه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روي عن معاوية أنه قال : أسلمتُ يومَ عُمرة القضيَّة[٣] ، ولكنِّي كتمتُ إسلامي من أبي إلى يوم الفتح[٤]

وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهليّة ، وأفضَتْ إليه رئاسة قريش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب . وكان رئيساً مُطاعاً ذا مال جزيل ، ولما أسلم قال : يا رسول الله مُرْني حتى أقاتل الكفّارَ كما كنتُ أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : « نعم » . ثم سأل أن يزوّج رسول الله ﷺ بابنته [الأُخرى][٥] وهي عَزَّة[٦] بنت أبي سفيان ، واستعان على ذلك بأختها أمِّ حَبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبيَّن رسول الله ﷺ أنَّ ذلكَ لا يحلُّ له . وقد تكلَّمنا على هذا الحديث في غير موضع[٧] . وأفردنا له مصنَّفاً على حدة ولله الحمدُ والمنَّة . والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كتّاب الوحي رضي الله عنهم .

ولما فُتحت الشام ولّاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقرَّه على ذلك عثمان بن عفَّان وزاده بلاداً أخرى . وهو الذي بنى القُبَّة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة . قاله الحافظ ابن عساكر .

ولما ولي عليُّ بن أبي طالب الخلافةَ أشار عليه كثير من أمرائه ممَّن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولِّي عليها سهل بن حُنَيْف ، فعزله ، فلم ينتظم له عزله ، والتفَّ على معاوية جماعةٌ من أهل الشام ، ومانع عليّاً عنها وقال : لا أبايعه حتّى يسلِّم إليَّ قَتَلة عثمان فإنه قُتل مظلوماً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

---

(١) وحديث الأبدال ضعيف في المرفوع .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في ط القضاء وكلاهما صحيح ، ويقال لها أيضاً : عمرة القصاص ، وعمرة الصلح . وكانت في ذي القعدة من سنة سبع للهجرة . سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٢) .
(٥) سقطت من ط .
(٦) وقيل : اسمها حَمنة ، وقيل : درّة . ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٧١ ، ١٠٢ ، ١٩٦) .
(٧) سيورده المؤلف لاحقاً في هذا الجزء ضمن ترجمة معاوية بن أبي سفيان .

وروى الطَّبراني عن ابن عبّاس أنه قال : ما زلت موقناً أن معاوية سيلي الملك [والسلطان][1] من هذه الآية . وقد أوردنا سنده ومتنه عند تفسير هذه الآية . فلمّا امتنع معاوية من بيعة علي كان من صِفِّين ما قدَّمنا ذكره . ثم آل الأمر إلى التحكيم ، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوَّة جانب أهل الشام في الصورة[2] الظاهرة ، واستفحل أمر معاوية ، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتلَه ابن مُلْجَم كما تقدَّم . فعند ذلك بايع أهل العراق الحسنَ بن علي . وبايع أهل الشام معاوية . ثم ركب الحسن في جنود العراق من غير إرادة منه ، وركب معاوية في أهل الشام . فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما بالصُّلح . فانتهى الحال إلى أنْ خلع الحسن نفسه من الخلافة ، وسلَّم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة إحدى وأربعين ـ ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناسَ بها خطبة بليغة بعدما بايعه الناس . واستوثقتْ له الممالك شرقاً وغرباً وبُعداً وقرباً ، وسمِّيَ هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفُرقة . فولَّى معاوية قضاء الشام لفَضالة بن عُبيد ، ثم بعده لأبي إدريس الخَوْلاني . وكان على شرطته قيس بن حمزة . وكان كاتبه وصاحب أمره سَرْجون[3] بن منصور الرومي .

ويقال : إنَّ معاوية أولُ من اتَّخذ الحرس ، وأول من حزم الكتب وختمها .

وكان أول الأحداث في دولته رضي الله عنه :

خروج طائفة من الخوارج عليه

وكان سبب ذلك أنَّ معاوية لما دخل الكوفة وخرج منها الحسن بن علي وأهلُه قاصدين الحجاز ، قالت فرقة من الخوارج ـ وهم نحو من خمسمئة ـ : جاء ما لا يُشَكُّ فيه ، فسِيروا إلى معاوية فجاهِدوه ، فساروا حتى قربُوا من الكوفة وعليهم فروة بن نَوْفل[4] ، فبعث إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام ، فطَرد الخوارج الشاميِّين ، فقال معاوية [لأهل الكوفة][5] : لا أمانَ لكم عندي حتّى تكفوا بوائقكم . فخرجوا إلى الخوارج ، فقالت لهم الخوارج : ويلكم ماذا تبغون ؟ أليس معاوية عدوَّكم وعدوَّنا ؟ فدعُونا حتى نقاتله ، فإنْ أصبناه كنّا قد كفيناكموه ، وإن أصابَنا كنتم قد كُفِيتمونا . فقالوا : لا والله حتّى نقاتلكم .

---

(١) سقط من ط .
(٢) في ط : الصعدة .
(٣) تحرف في ط إلى : سرحون .
(٤) تحرف في أ إلى : موكل .
(٥) سقط من ط .

فقالت الخوارج : يرحم الله إخواننا من أهل النهر ، كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة . فاقتَتَلوا ، فهزمهم أهل الكوفة وطردوهم .

ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على أهل الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له المغيرة بن شُعْبة : أتولِّيه الكوفة وأبوه بمصر ، وتبقى أنت بين لَحْيَي[١] الأسد ؟ فثناه عن ذلك ، وولَّى عليها المغيرة بن شُعبة ، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال : أتجعل المغيرة على الخَراج ؟ هلاّ وليتَ الخراج رجلاً آخر ؟ فعزله عن الخراج وولاّه على الصلاة . فقال المغيرة لعمرو في ذلك ، فقال له عمرو : ألستَ المشيرَ على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو ؟ قال : بلى ! قال : فهذه بتلك .

وفي هذه السنة وثب حُمْران بن أَبان على البصرة ، فأخذها وتغلَّب عليها ، فبعث معاوية جيشاً ليقتلوه ومَنْ معه . فجاء أبو بَكْرَة الثقفي إلى معاوية ، فسأله في الصَّفح والعفو ، فعفا عنهم وأطلقهم ، وولّى على البصرة بُسْر[٢] بن أبي أَرْطاة ، فتسلَّط على أولاد زياد يريد قتلَهم ، وذلك أنَّ معاوية كتب إلى أبيهم ليحضُرَ إليه فتلبَّث ، فكتب إليه بُسر بن أبي أَرْطاة : لئن لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلّا قتلت بَنِيكَ ، فبعث أبو بَكْرة إلى معاوية في ذلك [فأخذ لهم أماناً منه][٣] . وقد قال معاوية لأبي بَكْرة : هل من عهد تعهدُه إلينا ؟ قال : نعم ، أعهَدُ إليك ـ يا أمير المؤمنين ـ أن تنظرَ لنفسك ورعيَّتك وتعمل صالحاً فإنَّكَ قد تقلَّدتَ عظيماً ، خلافة الله في خلقه ، فاتَّقِ الله ، فإنَّ لك غايةً لا تعدُوها ، ومن ورائك طالباً حَثيثاً ، وأوشك أنْ يبلغَ المدىٰ فيلحق الطالب ، فتصير إلى مَنْ يسألُكَ عمّا كنتَ فيه ، وهو أعلم به منك ، وإنَّما هي محاسبةٌ وتوقيفٌ ، فلا تُؤْثرن على رضا الله شيئاً .

ثم ولَّى معاوية ـ في آخر هذه السنة ـ البصرة لعبد الله بن عامر ، وذلك أنَّ معاوية أراد أن يولِّيها لعُتبة بن أبي سفيان ، فقال له ابن عامر : إنَّ لي بها أموالاً وودائع ، وإن لم تولِّنيها هلكتُ . فولّاه إيّاها [وأجابه إلى سؤاله في ذلك][٤]

قال أبو مَعْشَر : وحجَّ بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . وقال الواقدي : إنَّما حجَّ بهم عَنْبَسَة بن أبي سفيان . فالله أعلم .

ومن أعيان من توفي هذا العام :

رفاعة بن رافع[٥] : ابن مالك بن العَجْلان . شهد العقبَة وبدراً وما بعدها .

---

(١) اللحيان : جانبا الفم .

(٢) تحرف في أ في أكثر من موضع إلى : بشر .

(٣) سقط من ط .

(٤) زيادة من ط و ب .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٩٦) طبقات خليفة (١٠٠) تاريخ خليفة (٢٠٥) مسند أحمد (٤/ ٣٤٠) تاريخ البخاري الكبير=

رُكانَة بن عبد يَزيد[١][٢] : ابن هاشم[٣] بن عبد المطَّلب القرشي. وهو الذي صـارعه النبي ﷺ . وكان رُكانة من أشدِّ الناس[٤] . وكان صرعُ[٥] رسول الله ﷺ له من المُعجزات كما قدَّمنا ذلك في دلائل النبوَّة .

أسلم رُكانة عام الفتح ـ وقيل : قبل ذلك ـ بمكة [لما صرعه رسول الله ﷺ][٦] فالله أعلم .

صَفْوان بن أميَّة[٧] : ابن خلف بن وهب بن حُذافة أبو[٨] وهب القرشي . أحد رؤساء مكّة .

تقدم أنه هرب [من رسول الله ﷺ][٩] عام الفتح ، ثم جاء فأسلم وحسُن إسلامه ، وكان الذي

= (٣/ ت ١٠٨٩) تاريخ البخاري الصغير (١/ ٢٤) الجرح والتعديل (٣/ ٤٩٢) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٣٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٨٦) المعجم الكبير للطبراني (٥/ ت ٤٣٦) وفيات ابن زبر (ورقة ١٤) جمهرة ابن حزم (٣٥٨) الاستيعاب (٢/ ٤٩٧) الإكمال لابن ماكولا: (٣/ ٣٦٣) الجمع لابن القيسراني (١/ ١٣٨) أسد الغابة (٢/ ٢٢٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٠). تهذيب الكمال (٩/ ٢٠٣) (الطبعة المحققة)، أسماء الرجال للطيبي (ورقة ١٩) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢٢٦) الكاشف (١/ ٢٤٢) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨٤) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٥) نهاية السول (ورقة ٩٧) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨١) الإصابة (١/ ٥١٧) خلاصة الخزرجي (١/ ١١٨).

(١) تحرف عبد يزيد في ط إلى : عبد العزيز .

(٢) طبقات خليفة (٩) تاريخ خليفة (٢٠٥) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ت ١١٤٦) الجرح والتعديل (٣/ ٥١٩) ثقات ابن حبان (ورقة ١٣٣) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٨٧) المعجم الكبير للطبراني (٥/ ت ٤٦٢) وفيات ابن زبر (ورقة ١٤) جمهرة ابن حزم (٧٣) الاستيعاب (٢/ ٥٠٧) أسد الغابة (٢/ ٢٣٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩١) تهذيب الكمال (٩/ ٢٢١) (الطبعة المحققة)، أسماء الرجال للطيبي (ورقة ١٩) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢٢٨) الكاشف (١/ ٢٤٣) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨٦) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٧) العقد الثمين (٤/ ٤٠٠) نهاية السول (ورقة ٩٨) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٧) الإصابة (١/ ٥٢٠) خلاصة الخزرجي (١١٩).

(٣) تحرف في الأصول إلى : هشام .

(٤) في ط و ب : من أشد الرجال .

(٥) في ط و ب : غلب .

(٦) من أ فقط .

(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٩) طبقات خليفة (٢٤ ، ٢٧٨) تاريخ خليفة (٧٥ ، ١١١) مسند أحمد (٣/ ٤٠٠) و (٦/ ٤٦٤) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٠٤) المعارف (٣٤٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٩) الجرح والتعديل (٤/ ٤٢١) ثقات ابن حبان (٣/ ١٩١) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٤٦) جمهرة ابن حزم (١٥٩) الاستيعاب (٢/ ٧١٨) تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٥٩/آ) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٩) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٨٩) تهذيب الكمال (١٣/ ١٨٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٢) الكاشف (٢/ ٢٧) العبر (١/ ٥٠) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٩٣) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٩٣) نهاية السول (ورقة ١٤٧) الإصابة (٥/ ١٤٥) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٤) خلاصة الخزرجي (١٧٤) شذرات الذهب (١/ ٢٢٩) (الطبعة المحققة) ، تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٤٢٩) .

(٨) في ط : « بن » وهو تحريف ، وما أثبتناه هو الصواب الموافق لمصادر ترجمته .

(٩) زيادة من ط و ب .

استأمن له [رسول الله ﷺ][1] عُمير بن وهب الجُمَحي وكان صاحبَه وصديقَه في الجاهلية كما تقدَّم ، فقدم به في وقت صلاة العصر ، فاستأمن له ، فأمَّنه رسول الله ﷺ [أربعة أشهر][2] ، واستعار منه أدرُعاً وسلاحاً ومالاً . وحضر صفوان حُنيناً مشركاً ، ثم أسلم [ودخل الإيمان قلبه][3] ، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهليّة .

قال الواقدي : لم يزل صفوان مقيماً بمكّة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية .

عثمان بن طلحة[4] : ابن أبي طَلْحة بن عبد العُزَّى بن عبد الدّار العَبْدري الحَجَبي .

أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في أول سنة ثمان قبل الفتح . وقد روى الواقدي عنه حديثاً طويلاً في صفة إسلامه .

وهو الذي أخذ رسول الله ﷺ منه مفتاح الكعبة عام الفتح ، ثم ردَّه إليه وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] وقال له : « خُذْها يا عثمانُ خالدةً تالِدَةً لا يَنْزِعُها منكُمْ إلّا ظالم »[5] . وكان عليٌّ قد طلبها [من النبي ﷺ][6] فمنعه من ذلك .

قال الواقدي : نزل المدينةَ حياة رسول الله ﷺ ، فلمّا مات نزل مكّة ، ثم لم يزل بها حتّى مات في أول خلافة معاوية .

عَمرو بن الأَسْوَد السَّكُوني[7] : كان من العُبّاد الزُّهّاد . وكانت له حُلَّة بمئتي درهم يلبسها إذا

---

(١) سقط من ط و ب .
(٢) زيادة من ط .
(٣) زيادة من ط .
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٨) طبقات خليفة (ت ٧٣ و٢٥٠٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٧٢) الجرح والتعديل (٦/ ١٥٥) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٣٠) معجم الطبراني الكبير (٩/ ٥٣ ، ٥٥) جمهرة أنساب العرب (١٢٧) الاستيعاب (٣/ ١٠٣٤) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٥٢) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٥٢/ ب) أسد الغابة (٣/ ٥٧٨) تهذيب الأسماء واللغات : القسم الأول من الجزء الأول (٣٢٠) مختصر تاريخ دمشق (١٦/ ٩٥) تهذيب الكمال (ورقة ٩١٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠) تاريخ الإسلام (١/ ٣٨٠ و٢/ ٢٣٢) الكاشف (٢/ ٢١٩) تذهيب التهذيب (٣/ ٣٠/ ١) العقد الثمين (٦/ ٢١) الإصابة (ت ٥٤٤٢) تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٤) خلاصة الخزرجي (٢٦٠) .
(٥) أخذ النبي ﷺ منه مفتاح الكعبة عام الفتح . أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٢٩) في الحج ، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره .
وأما قوله : خذها يا عثمان خالدة . . . ظالم . فقد رواه الطبراني في الكبير رقم (١١٢٣٤) والأوسط رقم (٤٩٢) وفي سنده عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف .
(٦) سقط من ط .
(٧) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٢) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣١٥) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٢٢) ثقات العجلي (٣٦٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٤ و٣٤٨) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠) مشاهير علماء الأمصار (ت ٨٦٠) تاريخ داريا (ص=

قام إلى صلاة الليل . وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله مخافةَ الخُيَلاء .

روى عن : معاذ ، وعبادة بن الصّامت ، والعِرْباض بن سارية ، وغيرهم .

وقال أحمد في « الزهد »[١] : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا أبو[٢] بكر ، عن حَكيم بن عُمير وضَمرة بن حَبيب قالا : قال عمر بن الخطّاب : مَنْ سرَّهُ أنْ ينظرَ إلى هَدْي رسول الله ﷺ فلينظُرْ إلى هَدْي عَمْرو بن الأَسْود .

عاتِكَة بنتُ زَيْد[٣] : ابن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزَّى ، وهي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة .

أسلمتْ وهاجرتْ ، وكانت من حسان النِّساء وعبّادهن .

تزوَّجها عبد[٤] الله بن أبي بكر ، فتَتَيَّم بها ، فلما قُتل عنها في غزوة الطائف آلت ألَّا تتزوَّج بعده ، فبعث إليها عمر بن الخطاب ـ وهو ابن عمها ـ فتزوَّجها ، فلما قُتل عنها تزوَّجها بعده الزُّبير بن العوام ، فقُتل عنها بوادي السِّباع[٥] ، فلما بعث إليها علي بن أبي طالب ليتزوَّجها قالت له : إني أخشى عليك أن تُقتل ، فأبت أن تتزوَّجه ، ولو تزوجته لقتل عنها أيضاً ، فإنها لم تزل [بلا زوج][٦] حتى ماتت في أول خلافة معاوية في هذه السنة رحمها الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان والروم ، فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً ، وغنموا وسلموا .

وفيها ولَّى معاويةُ مروانَ بن الحكم نيابة المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وعلى

= ٧٠) حلية الأولياء (٥/ ١٥٥) الإكمال لابن ماكولا (٦/ ٣٥٣) أنساب السمعاني (٩/ ٨٠) (العنسي) ، تاريخ ابن عساكر (١٣/ ١٩٦/ أ) أسد الغابة (٤/ ١٩٢) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ١٧٦) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٠) تاريخ الإسلام (٣/ ١٩٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٧٩) الكاشف (٢/ ٢٨٠) الإصابة (ت ٦٥٢٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٤) خلاصة الخزرجي (٢٨٧) .

(١) ورواه أيضاً أحمد في المسند (١/ ١٨ ـ ١٩) وإسناده ضعيف .

(٢) في ط : بن وهو خطأ .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٦٥) نسب قريش (٣٦٥) تاريخ البخاري الصغير (١/ ٣٧) المعارف (٢٤٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٣/ ١١٠٢ ، ١١٠٦) الاستيعاب (٤/ ١٨٧٦) أسد الغابة (٧/ ١٨٣) الإصابة (كتاب النساء/ ت ٦٩٥) خزانة الأدب (٤/ ٣٥١) أعلام النساء لكحالة (٣/ ٢٠١) شاعرات العرب (ص ٢٣٣) .

(٤) تحرفت في ط إلى : عبيد .

(٥) « وادي السباع » : بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال . معجم البلدان (٥/ ٣٤٣) .

(٦) سقط من ط .

الكوفة المُغيرة بن شعبة ، وعلى قضائها شُريح القاضي ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى خُراسان قيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر . [واستقضى مروانُ على المدينة عبدَ الله بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة عَمِيرة بن يَثْرِبي][١]

وفيها تحرَّكت الخوارج الذين كانوا قد عَفَا عنهم عليٌّ يوم النَّهروان ، وقد عوفي جرحاهم ، وثابت إليهم قواهم . فلما بلغهم مقتلُ علي ترحَّموا على قاتله ابن مُلْجم وقال قائلهم : لا يقطع الله يداً علت قَذَال[٢] عليٍّ بالسَّيف . وجعلوا يَحْمَدُون الله على قتل علي ، ثم عزموا على الخروج على الناس ، وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون .

وفي هذه السنة قدم زياد بن أَبيه على معاوية ـ وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة في قلعة عُرفت به يقال لها : قلعة زياد ـ فكتب إليه معاوية : ما يحملُكَ على أن تهلك نفسَك ؟ أقدم عليَّ فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفتَ منها وما بقي عندك فائتني به وأنت آمن ، فإن شئت أن تقيم عندنا فعلتَ ، وإلّا فاذهب حيث ما شئتَ من الأرض فأنت آمِن . فعند ذلك أزمع زياد المسير إلى معاوية ، فبلغ المغيرةَ قدومُه ، فخشي أن يجتمع بمعاوية قبلَه ، فسار نحو دمشق إلى معاوية ، فسبقه زياد إلى معاوية بشهر ، فقال معاوية للمغيرة : ما هذا وهو أبعد منك وأنت قد خرجت قبله[٣] وقد سبقك إليّ ؟! فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزِّيادة وأنا أنتظر النُّقصان . فأكرمَ معاوية زياداً ، وقبض منه ما كان معه من الأموال ، وصدَّقه فيما صرَفَه [وما بقي عنده][٤] .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بُسْر بن أبي أَرْطاة بلاد الروم ، فتوغَّل فيها حتى بلغ القُسْطَنْطينية ، وشتا ببلادهم فيما زعمه الواقدي ، وأنكر ذلك آخرون وقالوا : لم يكن بها مشتى لأحد قط ، فالله أعلم .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة ، وذلك أنهم صمَّموا ـ كما قدَّمنا ـ على الخروج على الناس في هذا الحين ، فاجتمعوا في قريب من ثلاثمئة عليهم المستورِد بن عُلَّفَة[٥] ، فجهَّز إليهم

---

(١) ما بين حاصرتين من آ فقط ، وقد تحرف فيها عميرة إلى : عمير . أخبار القضاة لوكيع (١/ ٢٩٠) وقد شُكل فيه عميرة ـ رسماً ـ بضم الميم : وهو خطأ .
(٢) « القذال » : جماع مؤخر الرأس .
(٣) وردت هذه العبارة في ط : وأنت جئت بعده بشهر .
(٤) سقط من ط .
(٥) كذا قيده ابن ماكولا في إكماله (٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وقد تحرف في الأصول ـ في غير موضع ـ : إلى : علقمة .

المغيرة بن شُعبة جنداً عليهم مَعْقِل بن قيس في ثلاثة آلاف ، فسار إليهم ، وقدَّم بين يديه أبا الرُّوَاع في طليعة هي ثلاثمئة على عدة الخوارج ، فلقيهم أبو الرُّوَاع بمكان يقال له المَذَار[١] ، فاقتتلوا معهم ، فهزمهم الخوارج ، ثم كرُّوا عليهم فهزمتهم الخوارج [ولكنْ لم يُقتل أحد منهم][٢] ، فلزموا مكانهم في مقابلتهم[٣] ينتظرون قدوم أمير الجيش معقِل بن قيس عليهم ، فما قدم عليهم إلا في آخر نهار بعد أن غربت الشمس ، فنزل وصلَّى بأصحابه ، ثم شرع في مدح أبي الرُّواع ، فقال له أبو الرُّواع : أيها الأمير ! إن لهم شدّاتٍ منكرة ، فكن أنت رِدْءً[٤] الناس ، ومُرِ الفرسان فليقاتلوا بين يديك . فقال له معقِل بن قيس : نِعمَ ما رأيت . فما كان إلّا ريثما قال له ذلك حتّى حمل الخوارج على معقِل وأصحابه ، فانجفَلَ[٥] عنه عامة أصحابه ، فترجَّل عند ذلك معقِل بن قيس وقال : يا معشر المسلمين الأرضَ الأرضَ ، فترجَّل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مئتي فارس منهم أبو الرُّواع الشاكِري ، فحمل عليهم المستورِد بن عُلَّفَة [أمير الخوارج][٦] بأصحابه ، فاستقبلوهم بالرماح والسُّيوف ، ولحق بقيَّة الجيش بعض الفرسان فذمَّرهم وعيَّرهم وأنَّبهم على الفرار ، فرجع الناس إلى معقِل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار[٧] قتالاً شديداً والناس يتراجعون في أثناء الليل ، فصفَّهم معقل بن قيس ميمنةً وميسرةً ورتَّبهم وقال : لا تبرحوا على مصافكم حتى نصبح فنحمل عليهم ، فما أصبحوا حتى هربت الخوارج ، فرجعوا من حيث أَتَوا ، فسار معقِل في طلبهم وقدَّم بين يديه أبا الرّواع في ست مئة ، فالتقوهم عند طلوع الشمس ، فثار إليهم الخوارج ، فتبارزوا ساعة ، ثم حملوا حملة رجل واحد ، فصبر لهم أبو الرّواع بمن معه ، وجعل يذمِّرهم ويعيِّرهم ويؤنِّبهم على الفرار ويحثُّهم على الصبر ، فصبروا وصدقوا في الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم . فلما رأتِ الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شيء ، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا في أرض بَهُرَسِير[٨] ، واتبعهم أبو الرّواع ولحقه معقِل بن قيس ، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة ، فركب إليهم شريك بن عبيد ـ نائب المدائن ـ ولحقهم أبو الرّواع بمن معه من المقدّمة .

---

(١) « المذار » : موضع بين واسط والبصرة . معجم البلدان (٥/ ٨٨) .
(٢) ما بين حاصرتين من ط و ب .
(٣) في ط : مقاتلتهم .
(٤) « الردء » : العون والنصير .
(٥) « انجفل القوم » : هربوا مسرعين .
(٦) من آ فقط .
(٧) في ب : الأبطال . وقوله من الأنصار ليس في أ .
(٨) كذا قيدها ياقوت في معجمه (١/ ٥١٥) وقال : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وهي معربة من ده أردشير أو به أردشير ، ومعناه : خير مدينة أردشير . وهي غربي دجلة . وقد تحرفت في أ و ب إلى : نهر سير ، وفي ط إلى : نهزشير .

[قال ابن جرير[١] : وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ومحمد بن مَسْلمة ـ قلت : وسنذكر ترجمة كل واحد منهما في آخر السنة ـ فولّى معاوية بعد عمرو على ديار مصر ولدَه عبد الله بن عمرو . قال الواقدي : فعمل له عليها سنتين][٢] .

أما عَمْرو بنُ العاص[٣] : فهو : عمرو بن العاص بن وائِل بن هاشم بن سُعَيد[٤] بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي بن غالب القرشيّ السَّهمي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو محمد .

أحد رؤساء قريش في الجاهلية . وهو الذي أرسلوه إلى النَّجَاشي ليردَّ عليهم مَنْ هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يُجبهم إلى ذلك لعدله ، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك ، فيقال : إنه أسلم على يديه ، والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد وعثمان [بن طلحة] بن أبي طلحة العَبْدري .

وكان عمرو أحد أمراء الإسلام ، وهو أمير غزوة ذات السَّلاسل[٥] ، وأمدَّه رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصدِّيق وعمر الفاروق .

وقد قال الترمذي[٦] : حدثنا قُتيبة [حدثنا ابن لَهِيعَة][٧] حدثنا مِشْرَح بن هاعان[٨] ، عن

---

(١) تاريخ انطبري (٥/ ١٨١) .

(٢) ما بين حاصرتين ورد هنا في أ و ب ، أما في ط فقد ورد قبل خبر الوقعة المتقدمة .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٤ و٧/ ٤٩٣) نسب قريش : ٤٠٩ ، طبقات خليفة (ت ١٤٧ ، و٩٧٠، ٢٨٢٠) مسند أحمد (٤/ ٢٠٢) المحبر (٧٧، ١٢١ ، ١٧٧) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣٠٣) ثقات العجلي (٣٦٥) المعارف (٢٨٥) المستدرك (٣/ ٤٥٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٢٣) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٨) الجرح والتعديل (٦/ ٢٤٢) مروج الذهب (٣/ ٣٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٧٦) الولاة والقضاة (انظر الفهرس) جمهرة أنساب العرب (١٦٣) وغيرها ، الاستيعاب (٣/ ١١٨٤) الجمع بين رجال الصحيحين : (١/ ٣٦٢) أنساب السمعاني (٧/ ٢٠٤) تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٢٤٥/آ) جامع الأصول (٩/ ١٠٣) أسد الغابة (٤/ ٢٤٤) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٧٤) الحلة السيراء (١/ ١٣) تهذيب الأسماء واللغات: القسم الأول من الجزء الثاني (٣٠) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٤١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٥) تذهيب التهذيب (٣/ ١٠١/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤) العبر (١/ ٥١) الكاشف (٢/ ٢٨٧) مرآة الجنان (١/ ١١٩) العقد الثمين (٦/ ٣٩٨) غاية النهاية (١/ ٦٠١) الإصابة : (ت ٥٨٨٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٥٦) النجوم الزاهرة (١/ ١١٣) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٤) خلاصة الخزرجي (٢٩٠) شذرات الذهب (١/ ٢٣٢).

(٤) في الأصل سعد ، والتصحيح من كتب الأنساب والإصابة .

(٥) كانت هذه الغزوة في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة. قال ابن إسحاق: سميت بذلك لأنهم نزلوا على ماء لجذام اسمه السلسل وخبرها في السيرة النبوية (٤/ ٦٢٣) وما بعدها، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٣١)، ومعجم البلدان (٣/ ٢٣٦) .

(٦) الترمذي في جامعه (٣٨٤٤) في المناقب ، وقال : هذا حديث غريب (يعني ضعيف) لا نعرفه إلاَ من حديث ابن لهيعة عن مشرح وليس إسناده بالقوي ، والحديث محتمل للتحسين وله شاهد عند أحمد (٢/ ٣٥٤) من حديث أبي هريرة بلفظ « ابنا العاص مؤمنان ، هشام وعمرو » فهو به حسن .

(٧) سقط من أ .

(٨) تحرفت هاعان في آ ، ط إلى : عاهان .

عُقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلَمَ النّاسُ وآمنَ عمرو بنُ العاص».

وقال أيضاً[١]: حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا أبو أسامة، عن نافع بن[٢] عمر الجُمحي، عن ابن أبي مُلَيكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ عَمرو بنَ العاص مِنْ صالحي قُريش».

وفي الحديث الآخر: «ابنا العَاص مُؤْمنان»[٣].

وفي الحديث الآخر: «نِعمَ أهلُ البيتِ: عبدُ الله، وأبو عبد الله، وأُمُّ عبد الله»[٤]. رووه في فضائل عمرو بن العاص.

ثم إن الصدِّيق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام، فكان ممَّن شهد تلك الحروب، وكانت له بها الآراء السَّديدة، والمواقف الحميدة، والأحوال السَّعيدة.

ثم بعثه عمر إلى مصر، فافتتحها، واستنابه عليها، وأقرَّه فيها عثمان بن عفّان أربع سنين ثم عزله ـ كما قدمنا ـ وولّى عليها[٥] عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، فاعتزل عمرو بفلسطين، وبقي في نفسه من عثمان رضي الله عنهما، فلما قُتل عثمان سار إلى معاوية، فشهد معه مواقفه كلَّها بصفِّين وغيرها، وكان هو أحد الحكمَيْن.

ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبي بكر استعمل عمرو بن العاص عليها، فلم يزل نائبَها إلى أن مات في هذه السنة على المشهور، وقيل: إنه توفي سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة ثمان وأربعين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، رحمه الله.

وقد كان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم.

وله أمثال حسنة، وأشعار جيِّدة. وقد روي عنه أنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل. ومن شعره:

إذا المرءُ لم يَتْرُكْ طَعاماً يُحِبُّهُ ... ولم يَنْهَ قَلْباً غاوياً حيثُ يَمَّما

---

(١) الترمذي رقم (٣٨٤٥) في المناقب، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث نافع بن عمر الجمحي، ونافع ثقة، وليس إسناده بمتصل، وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة.

(٢) في ط: عن، وهو خطأ.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٤) والطبراني في الكبير (٢٢/ رقم ٤٦١) وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦١) بسند رجاله ثقات، لكنه منقطع، فهو ضعيف.

(٥) في ط وب: «فيها»، وما أثبتناه من م وهو الأولى.

قَضىٰ وَطَراً منهُ وغادر سُبَّةً إذا ذُكِرَتْ أمثالُها تملأُ الفَمَا[١]

وقال الإمام أحمد[٢] : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله ـ يعني ابن المبارك ـ أخبرنا ابن لَهِيعَة ، حدثني يزيد بن أبي حَبيب أن عبد الرحمن بن شُمَاسَة حدثه قال : لما حضرتْ عمرو بن العاص الوفاةُ بكىٰ ، فقال له ابنه عبد الله : لمَ تبكي ؟ أجزعاً على الموت ؟! فقال : لا والله ، ولكنْ ممّا بعد الموت . فقال له : قد كنتَ على خير ، فجعل يذكِّره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحَه الشّام ، فقال عمرو : تركتُ أفضلَ من ذلك كلِّه : شهادةَ أنْ لا إله إلاَّ الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق[٣] ليس فيها طبقٌ إلّا قد عرفتُ نفسي فيه ، كنتُ أول شيء[٤] كافراً ، وكنتُ أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ فلو متُّ حينئذ وَجَبَتْ لي النّار ، فلمّا بايعتُ رسول الله ﷺ كنتُ أشدَّ الناس حياءً منه ، فما ملأتُ عينيَّ من رسول الله ﷺ ، ولا راجعتُه فيما أُريد حتّى لحِقَ بالله حياءً منه ، فلو متُّ يومئذ قال الناس : هنيئاً لعَمرو ؛ أسلمَ وكان على خير فمات ، نرجو له الجنة . ثم تلبَّستُ بعد ذلك بالسُّلطان وأشياء فلا أدري عليَّ أم لي ، فإذا متُّ فلا تبكينَّ عليَّ باكيةٌ ، ولا تُتْبِعني مادحاً ولا ناراً ، وشُدُّوا عليَّ إزاري فإني مُخاصم ، وسُنُّوا عليَّ الترابَ سَنّاً[٥] فإنَّ جنبيَ الأيمن ليس بأحقَّ بالتراب من جنبيَ الأيسر ، ولا تجعلن في قبري خشبةً ولا حَجَراً ، وإذا وارَيْتُموني فاقعُدُوا عندي قدرَ نحر جَزُور [وتقطيعِها][٦] أَسْتَأْنِس بكم .

وقد روى مسلم هذا الحديث في « صحيحه »[٧] من حديث يزيد بن أبي حَبيب بإسناده نحوه ، وفيه زيادات على هذا السِّياق حسنة ، فمنها قوله : كي أَسْتأنسَ بكُم لأنظُرَ ماذا أُراجِعُ رسلَ ربِّي عزَّ وجلَّ .

[وفي رواية : أنه بعد هذا حوَّل وجهه إلى الجدار وجعل يقول : اللهم أَمَرْتنا فعَصَيْنا ، ونَهَيْتَنا فما انتهينا ، ولا يَسَعُنا إلّا عَفْوُك .

وفي رواية : أنه وضع يده على موضع الغُلِّ من عنقه ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهمَّ لا قويٌّ فأَنتصِر ، ولا بريءٌ فأَعتذر ، ولا مُسْتكبرٌ بل مُسْتغفر ، لا إلَه إلّا أنت . فلم يزل يردِّدُها حتّى مات رضي الله عنه][٨] .

---

(١) البيتان من قصيدة له يذكر فيها عمارة بن الوليد المخزومي ، أوردها صاحب الأغاني (٩/ ٥٨ ـ ٥٩) والبيتان أيضاً في الاستيعاب (٣/ ١١٨٨) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٩/ ٢٥٢) وسير أعلام النبلاء : (٣/ ٥٨) .

(٢) في مسنده (٤/ ١٩٩) .

(٣) أي : على ثلاث حالات .

(٤) كذا في أ وب وم ومسند أحمد . ووقعت في ط : كنت أول قريش .

(٥) سنَّ التراب وشنَّه ـ بالشين ـ يعني : صبَّه .

(٦) زيادة من المسند .

(٧) برقم (١٢١) في الإيمان : باب كون الإسلام يجبُّ ما قبله .

(٨) ما بين حاصرتين من ط وب وم . وقد أخرجه ابن سعد في طبقاته (٤/ ٢٦٠) من حديث طويل بإسناد قوي . وأورده=

وأما محمد بن مَسْلَمة الأَنْصاري[١] : فإنه أسلمَ على يدي مصعب بن عُمير قبل أُسَيد بن حُضَير وسعد بن معاذ . شهد بدراً وما بعدها إلا تبوك ، فإنه استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في قول ، وقيل : استخلفه في قَرْقَرة الكُدْر[٢]

وكان فيمن قتلَ كعب بن الأَشْرف اليهودي . وقيل : إنه الذي قتل مَرْحباً اليهودي يوم خيبر أيضاً .

وقد أمَّره رسول الله ﷺ على نحو من خمس عشرة سَرِيَّة .

وكان ممن اعتزل تلك الحروب بالجمل وصِفِّين ونحو ذلك ، واتخذ سيفاً من خشب ، وقد ورد في حديث قدَّمناه أنه أمره رسول الله ﷺ بذلك ، وخرج إلى الرَّبَذَة[٣] .

وكان من سادات الصحابة .

وكان هو رسول عمر إلى عمَّاله [بسائر البلاد][٤] . وهو الذي شاطَرَهم ـ أي : صادرهم ـ عن أمر عمر له في ذلك .

وله وقائع عظيمة ، وصِيانة وأمانة بليغة رضي الله عنه ، واستعمله عمر على صدقات جُهَيْنة .

وقيل : إنه توفي سنة ست ـ أو سبع ـ وأربعين ، وقيل غير ذلك ، وقد جاوز السبعين ، وترك بعده عشرة ذكور وست بنات .

وكان أسمرَ شديد السُّمرة طويلاً أصلع ، رضي الله عنه .

= الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣) طبقات خليفة (٨٠ ، ١٤٠) تاريخ خليفة (٢٠٦) مسند أحمد (٣/ ٤٩٣ و٤/ ٢٢٥) تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢٣٩) تاريخ البخاري الصغير (٨٠) المعارف (٢٦٩) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٧) الجرح والتعديل (٨/ ٧١) مشاهير علماء الأمصار (ت ٩٣) المستدرك (٣/ ٤٣٣) الاستبصار (٢٤١) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧) تاريخ ابن عساكر (١٥/ ٤٧٧/آ) أسد الغابة (٥/ ١١٢) مختصر تاريخ دمشق : (٢٣/ ٢١٣) تهذيب الكمال (ورقة ١٢٧١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٩) العبر : (١/ ٥٢) الكاشف (٣/ ٨٦) مجمع الزوائد (٩/ ٣١٩) تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٤) الإصابة (٩/ ١٣١) خلاصة الخزرجي (٣٥٩) شذرات الذهب (١/ ٢٣٤) .

(٢) ويقال: قرارة الكدر، كما في طبقات ابن سعد (٢/ ٣١). وكانت هذه الغزوة في المحرم من سنة ثلاث للهجرة. وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سد معونة، وبين المعدن والمدينة ثمانية برد. معجم البلدان (٤/ ٣٢٦ و ٤٤١ـ٤٤٢).

(٣) « الربذة »: قرية من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. والحديث الذي أشار إليه المؤلف أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٣) وفي سنده علي بن زيد وهو ضعيف .

(٤) من أ فقط .

ومـمن توفي فيها :

عبد الله بنُ سَلاَم[١] : أبو يوسف الإسرائيلي ، أحد أَحبار اليهود .

كان حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في نخل له . قال : فلمّا قدم كنتُ فيمن انجفل إليه ، فلمّا رأيتُ وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذّاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أيُّها الناس أَفْشُوا السَّلام ، وأَطْعموا الطَّعام ، وصِلُوا الأَرْحام ، تَدْخُلوا الجنَّةَ بسَلام »[٢] .

وقد ذكرنا صفة إسلامه في أول الهجرة ، وماذا سأل رسولَ الله ﷺ من الأسئلة النافعة الحسنة .

وهو ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة[٣] ، فيقطع له بها .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون ، وشتوا هنالك .

وفيها غزا بُسْر بن أبي أَرْطاة في البحر .

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وذلك أنه ظهر فيها الفساد بسبب لينِه ؛ فإنه كان لَيِّن العَريكة سهلاً كريماً ، وكان لا يأخذ على أيدي السُّفهاء ، ولا يقطع لصّاً ، ويريد أن يتألف الناس . [قال ابن جرير[٤] : شكا عبد الله بن عامر إلى زياد فساد الناس ، فقال : جرِّد فيهم السَّيف . فقال ابن عامر : إني أكرهُ أن أُصلحهم بفساد نفسي . قال : فذهب عبد الله بن الكوّاء إلى معاوية فشكا ابنَ عامر ،

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٢) تاريخ ابن معين (٢/ ٣١١) طبقات خليفة (٨) تاريخ خليفة (٥٦ ، ٢٠٦) مسند أحمد (٥/ ٤٥٠) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ١٨) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٤) الجرح والتعديل (٥/ ٦٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٥٢) المستدرك (٣/ ٤١٣) الاستبصار (١٩٣) الاستيعاب (٣/ ٩٢١) جامع الأصول (٩/ ٨١) أسد الغابة (٣/ ٢٦٤) تهذيب الكمال (١٥/ ٧٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٣) تذكرة الحفاظ : (١/ ٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٠) العبر (١/ ٥١) الكاشف (٢/ ٨٥) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٥١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٧٨) مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٦) نهاية السول (ورقة ١٧٢) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٩) الإصابة (٦/ ١٠٨) النجوم الزاهرة (١/ ١٢٥) طبقات الحفاظ (٧) خلاصة الخزرجي (٢٠٠) شذرات الذهب (١/ ٢٣٣) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٥١) والترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) و (٣٢٥١) والدارمي (١/ ٣٤٠) كلهم من طريق عوف بن أبي جميلة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن سلام . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح . وقوله : انجفل إليه ، أي : ذهب إليه مسرعاً .

(٣) وردت هذه الأحاديث في سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨) وتخريجها ثمة .

(٤) في تاريخه (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .

فاستعمل[١] طُفَيل بن عوف اليَشْكري على خراسان ، وكان طُفيل هذا عدوَّ ابن الكوّاء . فلما بلغ ابنَ الكوّاء ذلك قال : إنَّ ابن دَجَاجة لقليل العلم فيَّ[٢] ، أظَنَّ أن ولاية طُفيل خراسان تسوءُني ؟! لوددتُ أنه لم يبق في الأرض يشكريٌّ إلّا عاداني وإنه ولّاهم[٣] . فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة ، وبعث إليها الحارث بن عبد الله الأزدي .

ويقال : إنَّ معاوية استدعاه إليه ليزوره ، فقدم ابن عامر على معاوية دمشق ، فأكرمَه وردَّه إلى عمله ، فلما ودَّعه قال له معاوية : ثلاث أسألُكهنَّ فقل : هنَّ لك . [قال ابن عامر : هن لك][٤] وأنا ابن أمِّ حكيم . فقال معاوية : تردّ عليَّ عملي ولا تغضب ، قال ابن عامر : قد فعلت . قال معاوية : وتهب لي مالك بعَرَفة ، قال : قد فعلت . قال : وتهب لي دُورَك بمكة ، قال : قد فعلت . فقال له معاوية : وصلتكَ رَحِم . قال ابن عامر : يا أمير المؤمنين وإني سائلُكَ ثلاثاً فقل : هنَّ لك . [فقال : هنَّ لك][٥] وأنا ابن هند . قال : تردّ عليَّ مالي بعرفة ، قال : قد فعلت . قال : ولا تحاسب لي عاملاً ولا أميراً ، قال : قد فعلت . قال : وتُنْكحني ابنتَك هنداً ، قال : قد فعلت . ويقال : إن معاوية خيَّره بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة ، فاختار هذه الثلاث ، وانعزل عن البصرة .

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن أَبيه بن سميَّة بأبيه أبي سفيان . وذلك أن رجلاً [من عبد القيس][٧] شهد على إقرار أبي سفيان أنه عاهَرَ بسُمَيَّةَ أمِّ زياد في الجاهليّة ، وأنها حملتْ بزياد هذا منه ، فلما استلحقه به قيل له : زياد بن أبي سفيان .

وقد كان الحسن البَصْري ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله ﷺ : « الولدُ للفِراش ، وللعاهِرِ الحَجَر »[٨] .

---

(١) سقطت هذه اللفظة من الأصل ، واستدركتها من تاريخ الطبري .

(٢) سقطت هذه اللفظة من الأصل ، واستدركتها من تاريخ الطبري .

(٣) ما بين حاصرتين من أ فقط . وورد مكانه في ط و ب : فذهب عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى معاوية .

(٤) سقط من ط و ب ، والمثبت في أ وتاريخ الطبري .

(٥) سقط من ط و ب .

(٦) في تاريخه (٥/ ٢١٤) .

(٧) سقط من ط .

(٨) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٢٩) والبخاري رقم (٢٠٥٣) ومسلم رقم (١٤٥٧) من حديث عائشة ورواه أحمد (٢/ ٢٣٩) ومسلم رقم (١٤٥٨) والبخاري رقم (٦٧٥٠) من حديث أبي هريرة .
وقوله : « الولد للفراش » معناه : أنه إذا كان للرجل زوجة أو مملوكة صارت فراشاً له ، فأتت بولد لمدة الإمكان منه ، لحقه الولد وصار ولداً يجري بينهما التوارث وغيره من أحكام الولادة سواء كان موافقاً له في الشبه أم مخالفاً . ومدة إمكان كونه منه ستة أشهر من حين أمكن اجتماعهما . =

وقال أحمد[١] : [حدثنا هُشيم][٢] حدثنا خالد ، عن أبي عثمان قال : لما ادُّعي زياد لقيتُ أبا بكرة فقلت : ما هذا الذي صنعتم ؟! إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت أذني رسول الله ﷺ يقول : « من ادَّعىٰ أباً في الإسلام غيرَ أبيهِ ـ وهو يعلمُ أنَّه غيرُ أبيه ـ فالجنَّةُ عليه حَرَام » فقال أبو بكرة : وأنا سمعتُه من رسول الله ﷺ . أخرجاه[٣] من حديث أبي عثمان عنهما .

قلت : أبو بكرة اسمُه نُفَيْع ، واسم أمه سُميَّة أيضاً .

وحج بالناس في هذه السَّنة معاوية .

وفيها عمل معاوية المقصورةَ [بالجامع][٤] بالشام ، ومروان مثلَها بالمدينة .

وفي هذه السنة توفيت :

أمُّ حَبِيبَـة[٥] : بنت أبي سفيان ، أخت معاوية ، وأمُّ المؤمنين ، واسمها رَمْلة .

أسلمت قديماً ، وهاجرت هي وزوجها عُبَيد الله بن جحش[٦] إلى أرض الحبشة ، فتنصَّر هناك زوجها ومات بالحبشة ، وثبتت هي على دينها رضي الله عنها . وبنتُها حَبيبة هي أكبر أولادها من عُبيد الله بن جحش ، ولدتها بالحبشة ، وقيل : بمكّة قبل الهجرة .

ولما تأيَّمت من زوجها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميّة الضَّمْري إلى النَّجاشي فتزوَّجها منه ، وولي

= وأما قوله : « للعاهر الحجر » فقد قال العلماء : « العاهر » : الزاني . ومعنى له الحجر أي : له الخيبة ، ولا حقَّ له في الولد .

(١) في مسنده (١/ ١٦٩) .

(٢) سقط من أ .

(٣) البخاري رقم (٦٧٦٦) ، ومسلم (٦٣) في الإيمان : باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم .

(٤) هذه اللفظة من أ فقط . وقد قال ابن قتيبة في الأوائل (ص٣٣) وأول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية ، وذلك أنه أبصر على منبره كلباً . وحول نشأة المقاصير انظر ما كتبه الدكتور حسين مؤنس في كتابه المساجد من سلسلة عالم المعرفة العدد (٣٧) ص١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٥) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٦) تاريخ ابن معين (٧٣٦) طبقات خليفة (٣٣٢) تاريخ خليفة (٧٩ ، ٨٦) مسند أحمد (٦/ ٣٢٥ و٤٢٥) المعارف (١٣٦ ، ٣٤٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٨) الجرح والتعديل : (٩/ ٤٦١) المستدرك (٤/ ٢٠) الاستيعاب (٤/ ١٨٤٣) تاريخ ابن عساكر : تراجم النساء : ص٧٠ ، أسد الغابة (٧/ ١١٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨) تاريخ الإسلام : (٢/ ٢٥٣) العبر (١/ ٥٢) الكاشف (٣/ ٤٢٦) مجمع الزوائد(٩/ ٢٤٩) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٩) الإصابة (١٢/ ٢٦٠) خلاصة الخزرجي (٤٩١) شذرات الذهب (١/ ٢٣٦) أعلام النساء لكحالة (١/ ٤٦٤) .

(٦) في الأصل : عبد الله بن جحش ، وهو خطأ ، فعبد الله أخوه ، صحابي جليل ، من شهداء أُحد .

العقد خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدَقَها عنه النجاشي أربعمئة دينار ، وحملها إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع[(١)] .

ولما جاء أبوها عام الفتح ليشدَّ العقد [الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ][(٢)] دخل عليها فثَنَتْ عنه فراش رسول الله ﷺ فقال : والله يا بنيَّة ما أدري أرغبتِ بهذا الفراش عنِّي أم بي عنه ؟! فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك ، فقال لها : والله يا بنيَّة لقد لقيتِ بعدي شرّاً[(٣)] .

وقد كانت هي من سادات النساء وأمهات المؤمنين ، ومن العابدات الورعات .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سُهَيل[(٤)] ، عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعتني أمُّ حَبيبة عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضَّرائر . فقلت : يغفرُ اللهُ لي ولكِ ما كان من ذلك كلِّه وتجاوزت عنه وحاللتك ، فقالت : سَرَرْتيني سرَّكِ الله . وأرسلت إلى أمِّ سلمة ، فقالت لها مثل ذلك[(٥)] .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

فيها ولَّى معاوية البصرة للحارث بن عبد الله الأزدي ، ثم عزله عنها بعد أربعة أشهر ، وولَّى زياداً [فقدم زياد][(٦)] الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فأقام بها ليأتيه رسول معاوية بولاية البصرة ، فظنَّ المغيرة أنه قد جاء على إمرة الكوفة ، فبعث إليه وائل بن حُجْر ليعلم خبره ، فاجتمع به فلم يقدر منه على شيء ، فجاء البريد من معاوية إلى زياد بأن يسير إلى البصرة والياً عليها ، واستعمله على خراسان وسِجِسْتان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

ودخل زياد البصرة في مستهل جمادى الأولى ، فقام في أول خطبة خطبها ـ وقد وجد الفسق ظاهراً بالبصرة ـ [فقال فيها : أيها الناس ! كأنكم لم تَسْمعوا ما أعدَّ الله من الثواب لأهل الطّاعة ، والعذاب لأهل المعصية ، أتكونون كمَنْ طَرَقَتْ عينَه الدنيا ، وسَدَّتْ مسامعَه الشهوات فاختار الفانية على الباقية . . .][(٧)] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٧ ـ ٩٩) .
(٢) من (أ) فقط .
(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٩ ـ ١٠٠) .
(٤) في الأصل : سَهْل ، وهو خطأ .
(٥) طبقات ابن سعد (٨/ ١٠٠) .
(٦) من (ط) و (ب) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) و(م)، وهو جزء من خطبته المعروفة بالبتراء التي أكثرت كتب التاريخ والأدب من تناقلها، انظر مثلاً: تاريخ الطبري (٥/ ٢١٧ـ٢٢١) والبيان والتبيين (٢/ ٦١ ـ ٦٦) والعقد الفريد (٤/ ١١٠ ـ ١١٢) .

ثم ما زال يُقيم أمر السُّلطان ويجرِّد السيف حتى خافه الناسُ خوفاً عظيماً ، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة ، واستعانَ على عمله بجماعة من الصَّحابة ، وولَّى عمران بن حُصين القضاء بالبصرة ، وولى الحكم بن عَمرو نيابة خُراسان ، وولَّى سَمُرَة بن جُنْدب وعبد الرحمن بن سَمُرة وأنس بن مالك .

وكان زياد حازم الرأي ، ذا هيبة ، داهية ، وكان مفوَّهاً فصيحاً بليغاً . قال الشعبي : ما سمعت متكلِّماً قطُّ تكلَّم فأحسن إلَّا أحببتُ أن يسكت خوفاً من أن يُسيء إلّا زياداً ، فإنه كان كلَّما أكثر كان أجودَ كلاماً .

وقد كانت له وَجَاهة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفي هذه السنة غزا الحكم بن عمرو الغِفَاري ـ نائب زياد على خراسان ـ جبل الأَشَلِّ[١] عن أمر زياد له في ذلك ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغَنِمَ أموالاً جمَّة ، فكتب إليه زياد : إنَّ أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يُصطفى له كلُّ صفراء وبيضاء ـ يعني الذهب والفضَّة ـ من هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو الغِفَاري : إنَّ كتاب الله مقدَّم على كتاب أمير المؤمنين ، وإنه ـ والله ـ لو كانت السماوات والأرض على عبد[٢] فاتَّقى الله لجعل له مَخْرجاً . ثم نادى في الناس : أن اغدُوا على قسم غنيمتكم ، فقسمَها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية ، وعزل الخُمس كما أمر الله ورسولُه . ثم قال الحكم : اللهمَّ إنْ كان لي عندك خيرٌ فاقبِضْني ، فمات بمرو من خراسان رحمه الله .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم ، وكان أميراً على المدينة [وكانت الولاة والعمال هم الذين كانوا في السنة الماضية][٣] .

وفي هذه السنة توفي :

زيد بن ثابت الأنصاري[٤] : أحد كُتّاب الوحي ، وقد ذكرنا ترجمته فيهم في أواخر السِّيرة ، وهو

---

(١) في الأصول : الأسل وهو تصحيف . قال ياقوت في معجمه (١/ ٢٠٠) الأشلّ : جبل في ثغور خراسان ، غزاه الحكم بن عمرو الغفاري .

(٢) في ط : عدو .

(٣) ما بين حاصرتين من أ فقط ، وشبيهه في تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٨) طبقات خليفة (٨٩) تاريخ خليفة (٢٠٧) مسند أحمد (٥/ ١٨١) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٨٠) ثقات العجلي (١٧٠) المعارف (٢٦٠) المعرفة والتاريخ : (١/ ٣٠٠ ، ٤٨٣) فضائل الصحابة للنسائي (١٦٤) أخبار القضاة (١/ ١٠٧) الجرح والتعديل (٣/ ٥٥٨) ثقات ابن حبان (٣/ ١٣٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢) معجم الطبراني الكبير (٥/ ١١١) المستدرك (٣/ ٤٢١) جمهرة ابن حزم (٣٤٨) الاستيعاب (٢/ ٥٣٧) طبقات الشيرازي (ص٤٦) الجمع لابن القيسراني : (١/ ١٤٢) تاريخ ابن عساكر (٦/ ورقة ٢٧٨/آ) أسد الغابة (٢/ ٢٧٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٠) تهذيب الكمال (١٠/ ٢٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٩) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠) العبر (١/ ٥٣) الكاشف (١/ ٢٦٤) معرفة القراء=

الذي كتب هذا المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان له في ذلك، وهو خط جيِّد قويٌّ جدّاً فيما رأيتُه.

وقد كان زيد بن ثابت من أشدِّ الناس ذكاءً، تعلَّم لسان يهود وكتابهم في خمسة عشر يوماً. [قال أبو الحسن بن البراء: تعلَّمَ الفارسيَّة من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً][١] وتعلَّمَ الحبشيَّة والروميَّة والقبطيَّة من خدّام رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: وأول مشاهده الخندقُ وهو ابن خمس عشرة سنة.

وفي الحديث الذي رواه أحمد والنَّسائي[٢]: « وأعلَمُهُمْ بالفَرائِضِ زيدُ بنُ ثابت ».

وقد استعمله عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على القضاء.

وقال مسروق: كان زيد بنُ ثابت من الراسخين في العلم[٣].

وقال محمد بن عمرو[٤]، عن أبي سلَمة، عن ابن عباس: أنه أَخَذَ لزيد بن ثابت بالرِّكَاب، فقال له: تنحَّ يا بنَ عمِّ رسول الله، فقال: لا، هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[٥].

وقال الأعمش: عن ثابت بن[٦] عُبيد قال: كان زيد بن ثابت من أَفكه الناس في بيته، ومن أَزْمَتِه[٧] إذا خرج إلى الرِّجال.

وقال محمد بن سيرين: خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة، فوجد الناس راجعين منها، فتوارى منهم وقال: مَنْ لايَسْتحيي من الناس لايَسْتحيي مِنَ الله[٨].

= الكبار (١/ ٣٦) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢٤٨) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥٠) مجمع الزوائد (٩/ ٣٤٥) غاية النهاية (١/ ٢٩٦) نهاية السول (ورقة ١٠٥) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩) الإصابة (٤/ ٤١) النجوم الزاهرة (١/ ١٣٠) طبقات الحفاظ (ص٨) خلاصة الخزرجي (١٢٧) كنز العمال (١٣/ ٣٩٣) شذرات الذهب (١/ ٢٣٧) تاريخ التراث العربي (٢/ ١٨).

(١) ما بين حاصرتين من (ط) و (ب).

(٢) أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤)، والنسائي في الكبرى رقم (٨٢٨٧). وأخرجه أيضاً الترمذي رقم (٣٧٩١)، وابن ماجه (١٥٤) وهو حديث صحيح.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٦٠.

(٤) تحرف في (أ) إلى: محمد بن عمر. ومحمد بن عمرو: هو أبو الحسن محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني، راوية أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٠) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري بهذا الإسناد، وصححه الحاكم (٣/ ٤٢٣).

(٦) وقعت في ط: عن، وهو خطأ.

(٧) في ط: أذمها تحريف. وقوله: من أزمته، أي: من أرزنهم وأوقرهم.

(٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٩).

مات في هذه السنة وقيل : في سنة خمس وخمسين ، والصحيح الأول ، وقد قارب السِّتِّين ، وصلَّى عليه مروان بن الحكم . وقال ابن عباس : لقد مات اليوم علمٌ كثير[١] .

وقال أبو هريرة : مات حَبْرُ هذه الأمَّة[٢] .

وفيها مات :

سَلَمة بن سَلامَة[٣] : ابن وَقْش[٤] عن سبعين سنة .

وقد شهد بدراً ومابعدَها .

ولا عَقِبَ له .

وعاصِمُ بن عَدِيّ[٥] : وقد استخلفه رسول الله ﷺ حين خرج إلى بدر على قُباء وأهلِ العالية ، وشهد أُحداً وما بعدها ، وتوفي عن خمس عشرة[٦] ومئة سنة .

وقد بعثه رسول الله ﷺ هو ومالك بن الدُّخْشُم إلى مسجد الضِّرَار فحرَّقاه[٧] .

---

(١) وقع في (ط) : عالم كبير . وقد أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) والحاكم (٣/ ٤٢٨) والطبراني برقم (٤٧٤٩) والفسوي (١/ ٤٨٥) من طرق عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار قال : لما مات زيد بن ثابت جلسنا إلى ابن عباس في ظل ، فقال : هكذا ذهاب العلماء ، لقد دفن اليوم علم كثير . ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦٢) والطبراني برقم (٤٧٥٠) والحاكم (٣/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) من طرق عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد قال : قال أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت : اليوم مات حبر هذه الأمة ، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً . ورجاله ثقات ، إلا أن يحيى بن سعيد لم يسمع من أبي هريرة.

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٩) طبقات خليفة (٧٧) تاريخ خليفة (٢٠٧) مسند أحمد (٣/ ٤٦٧) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٦٨) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٤) الجرح والتعديل (٤/ ١٦١) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٤) المستدرك (٣/ ٤١٧) الاستبصار (٢٢٢) الاستيعاب (٢/ ٦٤١) أسد الغابة (٢/ ٤٢٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٥) الإصابة (٤/ ٢٣٠).

(٤) تحرف في (ب) إلى : قيس.

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٦) مسند أحمد (٥/ ٤٥٠) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ت٣٠٣٧) المعارف (٣٢٦) المعرفة والتاريخ (٢/ ٢١٥) الجرح والتعديل (٦/ ٣٤٥) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٨٦) معجم الطبراني الكبير (١٧/ ١٧١) الاستيعاب (٢/ ٧٨١) أسد الغابة (٣/ ١١٤) تهذيب الكمال (١٣/ ٥٠٧) الكاشف (٢/ ٤٦) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٩٧٦) العبر (١/ ٥٣) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة١١١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢١٨) نهاية السول (ورقة ١٥٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٤٩) الإصابة (٢/ ت٤٣٥٣) خلاصة الخزرجي (١٨٢) شذرات الذهب (١/ ٢٣٨).

(٦) وقع في (ط) : خمس وعشرين ، وهو خطأ .

(٧) كان ذلك أثناء غزوة تبوك . سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢٩) وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٦) .

وفيها توفيت :

حَفْصَة بنتُ عمر[١] : ابن الخطاب ، أمُّ المؤمنين ، وكانت قبلَ رسول الله ﷺ تحت خُنَيْس[٢] بن حُذافة السَّهمي ، وهاجرتْ معه إلى المدينة ، فتوفي عنها بعد بدر ، فلما انقضتْ عدَّتُها عرضها أبوها على عثمان بعد موت زوجته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ فأبى أن يتزوَّجها ، فعرضها على أبي بكر ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم عن قريب خطبها رسول الله ﷺ فتزوَّجها ، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك ، فقال له أبو بكر : [مامنعني أن أردَّ عليك إلاّ أن رسول الله ﷺ كان قد ذكرها][٣] ولو تركها لتزوَّجْتُها[٤] .

وقد روينا في الحديث : « أن رسول الله ﷺ طلَّق حَفْصَة ثم راجعها »[٥] .

وفي رواية : « أن جبريل أمره بمراجعتها وقال : إنها صَوَّامة قَوّامة ، وهي زوجتُكَ في الجنَّة »[٦] .

وقد أجمع الجمهور على أنَّها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستّين سنة ، وقيل : إنها توفيتْ أيام عثمان ، والأول أصح ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين

فيها شتا المسلمون ببلاد الرُّوم لأجل الجهاد مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل : كان أميرهم غيره ، فالله أعلم .

[وحج بالناس فيها عُتْبَة بن أبي سفيان أخو معاوية ، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكرهم][٧]

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٨١) طبقات خليفة (٣٣٤) تاريخ خليفة (٦٦) مسند أحمد (٦/ ٢٨٣) المعارف (١٣٥) وغيرها ، المستدرك (٤/ ١٤) الاستيعاب (٤/ ١٨١١) أسد الغابة (٧/ ٦٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧) الكاشف (٣/ ٤٢٣) العبر (١/ ٥٠) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٤) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١١) الإصابة (١٢/ ١٩٧) خلاصة الخزرجي (٤٩٠) كنز العمال (١٣/ ٦٩٧) شذرات الذهب (١/ ٢٢٩) أعلام النساء لكحالة (١/ ٢٧٤) .

(٢) تحرف في أ إلى : حنيش ، وفي ط إلى : حنيس .

(٣) مكانه في ط و ب : إن رسول الله كان قد ذكرها ، فما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٠٥) في المغازي و(٥١٢٢) في النكاح من حديث ابن عمر عن عمر .

(٥) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٢٢٨٣) في الطلاق : باب في المراجعة ، وابن ماجه (٢٠١٦) والنسائي (٦/ ٢١٣) من حديث عمر . وفي المجتبى للنسائي : ابن عمر ، محرف .

(٦) رواه الحاكم (٤/ ١٥) وأبو نعيم (٢/ ٥٠) وهو حديث حسن بطرقه .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) و (ب) و(م) .

ومن توفي في هذه السنة :

سالم بن عمير[١] : أحد البَكّائين المذكورين في القرآن[٢] .

شهد بدراً وما بعدَها من المشاهد كلها .

سراقة بن كعب[٣] : شهد بدراً وما بعدها .

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[٤] : القرشي المخزومي . وكان من الشُّجعان المعروفين ، والأبطال المشهورين كأبيه . وكان قد عظم [أمره ، وعلا قدره][٥] ببلاد الشام كذلك حتى خاف منه معاوية . ومات وهو مسمومٌ ، رحمه الله وأكرم مثواه .

قال ابن مَنْدة وأبو نعيم الأصبهاني : أدرك النبي ﷺ .

وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر : أن[٦] عمرو بن قيس روى عنه عن النبي ﷺ في الحِجَامة بين الكتفَيْن . قال البخاري[٧] : وهو منقطع . ـ يعني مرسلاً ـ .

وقال الزبير بن بَكّار[٨] : كان عظيم القدر في أهل الشام ، شهد صفّين مع معاوية . وكان كعبُ بن جُعَيل مدَّاحاً له ولأخويه مُهاجر وعبد الله .

وقال ابن سُميع : كان يَلي الصَّوائف زمن معاوية ، وقد حفظ عن معاوية .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠) الاستيعاب (٢/ ٥٦٧) أسد الغابة (٢/ ٣١١) الإصابة (ت٣٠٤٦) .

(٢) قال الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص٢٥٨) : قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٩٢] نزلت في البكائين ، وكانوا سبعة . . . . أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا نبي الله إن الله عز وجل قد ندبنا إلى الخروج معك ، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزوا معك . فقال : لا أجد ما أحملكم عليه . فتولوا وهو يبكون . وذكر الخلاف في أسماء هؤلاء السبعة ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) وابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٢٨) وغيرهما .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٧) الجرح والتعديل (٤/ ٣٠٨) الاستيعاب (٢/ ٥٨٠) أسد الغابة (٢/ ٣٣٠) الإصابة (ت٣١١٤) .

(٤) نسب قريش (ص٣٢٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٩) الجرح والتعديل (٥/ ٢٢٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٥٢) الاستيعاب (٢/ ٨٢٩) أسد الغابة (٣/ ٤٤٠) تاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٤) العبر (١/ ٥٣) الإصابة (ت٦٢٠٧) شذرات الذهب (١/ ٢٣٩) .

(٥) من (أ) فقط .

(٦) في (ط) : من طريق أبي عمران عمرو . . وهو خطأ ، فعمرو بن قيس كنيته : أبو ثور . . ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٨٠) وغيره .

(٧) تاريخه الكبير (٥/ ٢٧٧) ، ونقله ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٦) .

(٨) ينظر نسب قريش لمصعب الزبيري (٣٢٤) ، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٦) .

وقد ذكر ابن جرير[١] وغيره : أنَّ رجلاً يقال له ابن أُثَال ـ وكان رئيس الذِّمَّة بأرض حمص ـ سقاه شَربةً فيها سمٌّ فمات .

وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ، ولا يصح ، والله أعلم .

وقد رثاه بعضهم[٢] فقال :

أَبُوكَ الذي قادَ الجيوشَ مُغَرِّباً إلى الرُّوم لمَّا أعطَتِ الخَرْجَ فارِسُ
وكمْ مِنْ فَتىً نَبَّهْتَهُ بعدَ هَجْعَةٍ بقَرْعِ لجام وهو أَكتَعُ ناعِسُ
وما يَسْتَوِي الصَّفَّانِ صَفٌّ لخالدٍ وصَفٌّ علَيهِ من دِمَشْقَ البَرانِسُ

وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة ، فقال له عروة بن الزُّبير : ما فعل ابن أُثال ؟ فسكت خالد بن عبد الرحمن ، ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أُثال ، فقتلَه ، [فحبسه معاوية ثم أطلقه ، ثم قدم المدينة ، فقال له عروة : ما فعل ابن أُثال][٣] ؟ فقال : قد كفيتُك إيّاه ، ولكن ما فعل ابنُ جرموز ؟ فسكت عروة .

وفيها توفي محمد بن مَسْلمة في قول ، وقد قدَّمنا وفاته .

هَرِم بن حَيّان[٤] العَبْدي[٥] : كان أحد عمّال عمر بن الخطّاب ، ولقي أُويساً القَرَني ، وكان من عقلاء الناس وعلمائهم وعبّادهم .

ويقال : إنه لما دُفن جاءتْ سحابة فروَّتْ قبره ، ونبتَ العشبُ عليه من وقته ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

فيها شتا المسلمون ببلاد الروم [لأجل الجهاد][٦] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٧) .
(٢) هو كعب بن جعيل الذي ورد ذكره قبل أسطر . والأبيات في نسب قريش (ص٣٢٦) ، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٣٣٢) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من (ط) . تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٩) .
(٤) كذا في (ب) ، ومثله في مصادر ترجمته اللاحقة ، ووقع في (أ) و (ط) والقاموس المحيط : حبان، خطأ .
(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٣١) طبقات خليفة (ت١٥٨١) الزهد لأحمد (٣٣١) المعمرون والوصايا (١٥٩) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٢٤٣) المعارف (٤٣٥) الجرح والتعديل (٩/ ١١٠) مشاهير علماء الأمصار (ت١١٨٢) حلية الأولياء (٢/ ١١٩) الاستيعاب (٤/ ١٥٣٧) أسد الغابة (٥/ ٣٩١) تاريخ الإسلام (٣/ ٢١١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨) الإصابة (ت٨٩٤٧) النجوم الزاهرة (١/ ١٣٢) .
(٦) من (أ) فقط .

وفيها عزل معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، وولّى عليها معاوية بن حُدَيج[١] .

وحج بالناس عتبة ـ وقيل : أخوه عَنْبسة ـ بن أبي سفيان ، فالله أعلم .

وممن توفي فيها :

قيسُ بنُ عاصِم المِنْقَري[٢] : كان من سادات الناس في الجاهليّة والإسلام ، وكان ممَّن حرَّم الخمر في الجاهليَّة ، وذلك أنه سكر يوماً فعبثَ بذات مَحْرَم منه فهربت منه ، فلمّا أصبح قيل له في ذلك ، فحرَّمها وقال في ذلك :

رأيــتُ الخمــرَ مَنْقَصَــةً وفيهــا   مَقَـابحُ تَفْضَحُ الـرجُـلَ الكَـريمـا
فــلا واللهِ أَشْــرَبُهــا حَيَــاتــي   ولا أَشْفــي بهــا أبـداً سَقيمـا[٣]

وكان إسلامه مع وفد بني تميم[٤] .

وفي بعض الأحاديث أنَّ رسول الله ﷺ قال : « هذا سَيِّدُ أهلِ الوَبَر »[٥] .

وكان جواداً ممدَّحاً كريماً . وهو الذي يقول فيه الشاعر[٦] يوم مات :

وما كانَ قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ   ولكنَّــهُ بُنْيــانُ قــومٍ تَهَــدَّمــا

[وقيل : إنما قال هذا البيت الخنساء في أخيها صخر][٧] .

وقال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان : قيل للأحنف بن قيس : ممَّن تعلمتَ الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المِنْقَري ، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يُختلف إلى الفقهاء في الفقه ، فبينا نحن عنده يوماً ، وهو قاعد بِفنائه ، محتبٍ بكسائه أتته جماعةٌ فيهم مقتول ومكتوف ـ المقتول ابنُه ، والمكتوف ابنُ أخيه ـ فقالوا : هذا ابنُك قتلَه ابنُ أخيك ، قال : فوالله ما حلَّ

(١) تصحف في الأصول إلى : خديج .
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦) مسند أحمد (٥/ ٦١) المعمرون والوصايا (١٣٥) المعارف (٣٠١) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢٧) معجم الشعراء للمرزباني (١٩٩) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٤) أسد الغابة (٤/ ٤٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١١٣٨) الكاشف (٢/ ٣٤٩) تهذيب التهذيب (٨/ ٣٣٩) الإصابة (ت٧١٩٤) خلاصة الخزرجي (٣١٧) .
(٣) البيتان مع بيتين آخرين في الاستيعاب (٣/ ١٢٩٥) وأسد الغابة (٤/ ٤٣٣) وتهذيب الكمال (ورقة ١١٣٨ ـ ١١٣٩) ورواية الشطر الأول في هذه المصادر : رأيت الخمر صالحة وفيها . . .
(٤) وذلك سنة سبع من الهجرة كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) .
(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٣٩) والبزار رقم (٢٧٤٤) وفي إسناده ضعف ، ورواه أيضاً البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٩٥٣) وغيره وهو حسن لغيره .
(٦) هو عبدة بن الطبيب ، وسيأتي تخريج البيت بعد أسطر .
(٧) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

حَبْوَته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفتَ إلى ابن له في المجلس[١] فقال : أَطْلِقْ عن ابن عمِّك ، ووارِ أخاك ، واحمل إلى أمِّه مئة من الإبل فإنها غريبة . [ثم نظر إلى ابن أخيه فقال له : لقد نقصتَ عددَك ، وقطعتَ رحمَك ، وعصَيتَ ربَّك ، وأطعتَ شيطانك][٢] .

ويقال : إنه لمّا حضرته الوفاةُ جلس حولَه بنوه ـ وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً ـ فقال لهم : يا بَنيَّ سَوِّدُوا عليكم أكبرَكم تخلفوا أباكم ، ولا تُسَوِّدوا أصغركم فيزدري بكم أكفاؤكم . وعليكم بالمال واصْطِناعه فإنه نعمَ ما يهبه[٣] الكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم . وإيّاكم ومسألةَ الناس فإنها من أخَسِّ مكسَبة الرجل . ولا تَنُوحوا عليَّ ، فإن رسول الله ﷺ لم يُنَح عليه . ولا تَدْفنوني حيث يشعر بكرُ بن وائل فإني كنتُ أُعاديهم في الجاهليّة[٤] .

وفيه يقول الشاعر[٥] :

عليكَ سَلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصِمٍ ... ورحمتُـهُ مـا شـاءَ أنْ يَتَـرحَّمـا

تحيَّـةَ مَـنْ أوليتَـهُ منـكَ مِنَّـةً ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما[٦]

فما كانَ قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنَّـهُ بُنْيـانُ قـومٍ تَهَـدَّمـا

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها شتا أبو عبد الرحمن القَيْني[٧] بالمسلمين ببلاد أنطاكية [لأجل الجهاد][٨] .

وفيها غزا عُقبة بن عامر بأهل مصر البحر .

وفيها حجَّ بالناس مروان بن الحكم نائبُ المدينة .

---

(١) في (ط) و (ب) : المسجد .

(٢) ما بين حاصرتين من أ فقط ، وهو متفق مع ما في الاستيعاب (٣/ ١٢٩٥) وأسد الغابة (٤/ ٤٣٣) .

(٣) كذا في الأصول ، وفي مراجع التخريج : فإنه نعم منبهة للكريم .

(٤) أورد هذه الوصية أبو حاتم في كتابه المعمرون والوصايا (ص١٣٥) وأيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٢٩٦) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٤٣٤) .

(٥) هو عبدة بن الطبيب ، والأبيات في الأغاني (٢١/ ٢٥ ـ ٢٦) وغيره .

(٦) هكذا ورد هذا البيت في جميع الأصول ، وهو خطأ ؛ إذ أن الشطر الثاني هو من قصيدة لعمرو بن العاص كما تقدم في ترجمته ، وجاء على الصواب في مصادر الترجمة على النحو الآتي :

تحيـة مـن أوليتـه منـك منـة ... إذا زارَ عَنْ شَحْطٍ بلادَكَ سَلما

(٧) في ط : « القتبي » ، خطأ . ينظر توضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٧/ ١٨١) .

(٨) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قُسْطنطينيَّة ، وكان معه جماعة من سادات الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزُّبير ، وأبو أيوب الأنصاري . وقد ثبت في « صحيح البخاري »[١] أن رسول الله ﷺ قال : « أَوَّلُ جيشٍ [مِنْ أُمتي] يغزونَ مدينةَ قَيْصَر مغفورٌ لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وماوصلوا إليها حتى بلغوا الجهد . وبها[٢] توفي أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، ولم يَمُتْ في هذه الغزوة ، بل بعدها في سنة بضع وخمسين كما سيأتي .

وفيها عزل معاويةُ مروانَ عن المدينة ، وولَّى عليها سعيد بن العاص ، فاستقضى سعيد عليها أبا سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف .

وفيها شتا مالك بن هُبيرة الفَزَاري بأرض الروم .

وفيها كانت غزوة فَضَالة بن عُبيد ، وشتا هنالك ، ففتح البلد ، وغنم شيئاً كثيراً [من الرقيق وغيره][٣] .

وفيها كانت صائفة عبد الله بن كُرْز البَجَلي .

وفيها وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج منها المغيرة بن شُعبة فارّاً ، فلمّا ارتفع الطاعون رجع إليها ، فأصابه الطاعون فمات . والصحيح أنه مات سنة خمسين كما سيأتي .

[وفيها عزل معاويةُ مروانَ بن الحكم عن المدينة في شهر ربيع الأول منها ، وولَّى عليها سعيد بن العاص في شهر ربيع الآخر ، فكانت ولاية مروان على المدينة لمعاوية ثمان سنين وشهرين ، وكان قاضي مروان على المدينة عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فلمّا ولي سعيد عزله عن القضاء ، واستقضى أبا سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف][٤] .

وفيها جمع معاويةُ بين ولاية الكوفة والبصرة لزياد ، فكان أول مَنْ جُمع له بينهما ، فكان يُقيم في هذه ستة أشهر ، وفي هذه ستة أشهر ، وكان إذا سار من البصرة استخلف عليها سَمُرَة بن جُنْدب .

---

(١) البخاري في الجهاد / ٩٣ برقم (٢٩٢٤) وسيعيده المؤلف ضمن ترجمة يزيد بن معاوية .

(٢) يعني القسطنطينية . ووقعت في ط : وفيها ، وهو خطأ ، إذ يتوجه الكلام إلى الغزوة .

(٣) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط ، وبعضه في (ب) و(م) . أما المطبوع فلا يوجد فيه شيء منه لأنه تقدم مختصراً في أول أحداث هذه السنة .

وحجَّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

الحسنُ بنُ عليِّ بن أبي طالب[١] : أبو محمد القرشيُّ الهاشميُّ ، سِبطُ رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة الزَّهراء ، ورَيْحانتُه ، وأشبهُ خلق الله به في وجهه .

ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، فحنَّكه رسول الله بريقه ، وسمَّاه حسناً . وهو أكبر ولد أبويه .

وقد كان رسول الله ﷺ يحبُّه حبّاً شديداً حتى كان يقبِّل زُبيبه[٢] وهو صغير ، وربما مصَّ لسانه واعتنقه وداعبه . وربما جاء ورسولُ الله ﷺ ساجدٌ في الصلاة ، فيركب على ظهره ، فيقرّه على ذلك ويطيل السجود من أجله ، وربما صعد معه إلى المنبر .

وقد ثبت في الحديث أنه عليه السلام بينما هو يخطُب إذ رأى الحسن والحسين مقبلَين ، فنزل إليهما ، فاحتضنهما وصعِد بهما معه إلى المنبر وقال : « صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] إني رأيتُ ابنيَّ هذَين يمشِيَانِ ويَعْثُرانِ فلَم أَملِكْ أَنْ نزلتُ إليهما »[٣] .

ثم قال : « إنَّكم لَمِنْ روحِ الله ، وإنَّكم لتُبَخِّلون وتُجَبِّنون »[٤] .

وقد ثبت في « صحيح البخاري »[٥] عن أبي عاصم ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، عن ابن

(١) نسب قريش (٤٦) طبقات خليفة (ت٨ ، ٨٢٢ ، ١٤٨٢ ، ١٩٦٨) مسند أحمد (١/ ١٩٩) المحبر (١٨ ، ١٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٢٩٣ ، ٣٢٦) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٨٦) تاريخ البخاري الصغير (الفهرس) ، ثقات العجلي (١١٦) المعارف (الفهرس) ، المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٥٨٧ ، ٥٨٨ وغيرها) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٨) الجرح والتعديل (٣/ ١٩) ، مروج الذهب (٣/ ٤) ثقات ابن حبان (ورقة ٩٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٦) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٥) حلية الأولياء (٢/ ٣٥) جمهرة أنساب العرب (٣٨ ، ٣٩) الاستيعاب (١/ ٣٨٣) تاريخ بغداد (١/ ١٣٨) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٢٤٤/ ب) جامع الأصول (٩/ ٢٧) أسد الغابة (٢/ ١٠) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٦٠) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٥٨) وفيات الأعيان (٢/ ٦٥) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٥) تهذيب الكمال (٦/ ٢٢٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٦) تذهيب التهذيب (١/ ١٤٠/ أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥) الكاشف (١/ ١٦٤) العبر (١/ ٥٥) الوافي بالوفيات (١٢/ ١٠٧) مرآة الجنان (١/ ١٢٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٧٤) العقد الثمين (٤/ ١٥٧) نهاية السول (ورقة ٦٥) الإصابة (١/ ٣٢٨) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٥) تاريخ الخلفاء (٢٩٨) خلاصة الخزرجي (٧٩) شذرات الذهب (١/ ٢٤٢) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٢٠٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤) وأبو داود (١١٠٩) والترمذي (٣٧٧٤) وابن ماجه (٣٦٠٠) والنسائي (٣/ ١٩٢) وهو حديث حسن ، كما قال الإمام الترمذي

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٠٩) والترمذي (١٩١٠) في البر والصلة : باب ما جاء في حب الولد ، وإسناده ضعيف.

(٥) رقم (٣٥٤٢) في المناقب ، باب صفة النبي ﷺ .

أبي مُلَيكة ، عن عُقبة بن الحارث أن أبا بكر صلَّى بهم العصر بعد وفاة رسول الله بليالٍ ثم خرج هو وعليٌّ يمشِيان ، فرأى الحسن يلعبُ مع الغِلْمان ، فاحتملَه على عُنُقه وجعل يقول :

بأَبي شِبهُ النَّبي ليسَ شَبيهاً بعَلي

قال : وعليٌّ يضحَك .

وروى سفيان الثَّوري وغير واحد قالوا : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت أبا جُحَيفة يقول : « رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسنُ بنُ علي يُشْبِهُه » .

ورواه البخاري ومسلم[١] من حديث إسماعيل بن أبي خالد .

قال وكيع : ولم يسمع إسماعيل من أبي جُحَيْفة إلا هذا الحديث .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدثنا أبو داود الطَّيالسي ، حدثنا زَمْعَة ، عن ابن أبي مُليكة قال : كانت فاطمة تُنقِّز الحسن بن علي وتقول :

بأَبي شِبهُ النَّبي ليسَ شَبيهاً بعَلي

وقال عبد الرزاق[٣] وغيره : عن مَعْمر ، عن الزُّهري ، عن أنس قال : « كان الحسنُ بنُ عليٍّ أشبَهَهُم وَجْهاً برسول الله ﷺ » .

ورواه أحمد[٤] عن عبد الرزاق بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا حجّاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانىء ، عن علي قال : « الحسنُ أشبَهُ [الناس] برسول الله ﷺ ما بينَ الصَّدرِ إلى الرَّأس ، والحسينُ أَشبَهُ الناسِ برسول الله ما كانَ أسفلَ مِنْ ذلك » .

ورواه الترمذي[٦] من حديث إسرائيل ، وقال : حسن غريب .

وقال أبو داود الطيالسي[٧] : حدثنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن هانىء بن هانىء ، عن علي قال : « كان الحسنُ أشبَهَ الناسِ برسول الله مِنْ وَجْههِ إلى سُرَّته ، وكان الحسينُ أشبَهَ الناسِ به ما أسفلَ مِنْ ذلك » .

---

(١) البخاري رقم (٣٥٤٣) في المناقب : باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم (٢٣٤٣) في الفضائل .
(٢) في مسنده (٦/ ٢٨٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ١٧٦) وإسناده ضعيف .
(٣) في المصنف (٢٠٩٨٤) .
(٤) في مسنده (٣/ ١٦٤) ، وهو حديث صحيح .
(٥) في مسنده (١/ ٩٩) وإسناده ضعيف .
(٦) برقم (٣٧٧٩) ، وإسناده ضعيف .
(٧) في مسنده رقم (١٣٠) وفي إسناده ضعف .

وقد روي عن ابن عباس وابن الزبير : أن الحسنَ بن علي كان يُشبِهُ النبي ﷺ .

وقال الإمام أحمد[١] : حدثنا عارِم بن الفَضْل[٢] ، حدثنا مُعتمر ، عن أبيه قال : سمعت أبا تَمِيمة يحدِّث عن أبي عثمان النَّهْدي ويحدِّث أبو عثمان عن أسامة بن زيد قال : « كان النبي ﷺ يأخُذُني فيُقعدني على فَخذِهِ ويُقعد الحسنَ على فَخذِهِ الأُخرى ثم يَضُمُّنا ثم يقول : اللهمَّ ارْحَمْهما فإنِّي أَرْحَمهما » .

وكذا رواه البخاري[٣] عن المسندي[٤] ، عن محمد بن الفضل أخي[٥] عارم به . وعن علي بن المَديني ، عن يحيى القطّان ، عن سليمان التَّيمي ، عن أبي تَمِيمة ، عن أبي عثمان ، عن أسامة . [وأخرجه أيضاً[٦] عن موسى بن إسماعيل ومسدَّد ، عن معتمر ، عن أبيه ، عن أبي عثمان ، عن أسامة][٧] فلم يذكر أبا تَمِيمة ، والله أعلم .

وفي رواية : « اللهمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما »[٨] .

وقال شُعبة : عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ والحسنُ بن علي على عاتقه وهو يقول : « اللهُمَّ إنّي أُحِبُّه » . أخرجاه[٩] من حديث شعبة . ورواه علي بن الجَعْد ، عن فُضيل بن مَرْزوق ، عن عدي ، عن البراء ، فزاد « وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أحمد[١٠] : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جُبير بن مُطعم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال للحسن بن علي : « اللهُمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » .

ورواه مسلم[١١] عن أحمد ، وأخرجاه من حديث أبي هريرة .

وقال أحمد[١٢] : حدثنا أبو النَّضر ، حدثنا وَرْقاء ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جُبَير [عن أبي هريرة قال : كنتُ مع النبي ﷺ في سوق من أسواق المدينة ، فانصرفَ وانصرفتُ معه ، فجاء إلى فِناء

---

(١) في مسنده (٥/ ٢٠٥) .
(٢) تحرف في (ط) إلى : حازم بن الفضيل .
(٣) البخاري رقم (٦٠٠٣) في الأدب .
(٤) تحرف في (ط) إلى : النهدي .
(٥) لفظة « أخي » مقحمة وعارم هو محمد بن الفضل .
(٦) البخاري رقم (٣٧٣٥) و(٣٧٤٧) .
(٧) ما بين حاصرتين سقط من (أ) .
(٨) أخرجه الترمذي (٣٧٨٢) من حديث البراء وقال : حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٩) البخاري رقم (٣٧٤٩) ومسلم برقم (٢٤٢٢) .
(١٠) في مسنده (٢/ ٢٤٩) وأخرجه البخاري رقم (٢١٢٢) .
(١١) برقم (٢٤٢١) .
(١٢) في مسنده (٢/ ٣٣١) .

فاطمة ، فقال : أَيْ لُكَع[١] ، أَيْ لُكَع ، أَيْ لُكَع ، فلم يُجِبْهُ أحد ، فانصرفَ وانصرفتُ معه إلى فناء عائشة ، فقعَد ، قال : فجاء الحسنُ بن علي ـ قال أبو هريرة : ظننّا أنَّ أُمَّه حَبَسَتْه لتجعلَ في عُنُقه السِّخَاب[٢] ـ فلما دخل التَزَمه رسولُ الله والتزم هو رسولَ الله . ثم قال : « اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه [فأحِبَّه] وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » ثلاث مرات .

وأخرجاه[٣] من حديث سفيان بن عُيينة ، عن عُبَيد الله به .

وقال أحمد[٤] : حدثنا حمّاد الخيّاط ، حدثنا هشام بن سعد ، عن نُعَيم بن عبد الله المُجْمِر ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قَيْنُقاع مُتَكِئاً على يدي ، فطاف فيها ثم رجع ، فاحتَبى في المسجد وقال : « أينَ لَكَاع ؟ ادعُوا لي لَكَاعاً » . فجاء الحسن فاشتَدَّ حتى وثَبَ في حَبْوَته ، فأدخلَ فمَه في فمِه ثم قال : « اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه ، وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » ثلاثاً . قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلّا فاضت عيني ـ أو قال : دمعت عيني ، أو بكَت .

وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وقد رواه الثَّوري ، عن نُعيم ، عن محمد بن سِيرين ، عن أبي هريرة ، فذكر مثلَه أو نحوه .

ورواه معاوية بن أبي مزرِّد[٥] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بنحوه وفيه زيادة .

وروى أبو إسحاق ، عن الحارث ، عن علي نحواً من هذا .

ورواه عثمان بن أبي الكنات[٦] ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عائشة بنحوه وفيه زيادة .

وقال سفيان الثَّوري وغيره ، عن سالم بن أبي حَفْصة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة]⁽٧⁾ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ الحسنَ والحسينَ فقد أَحَبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهُما فقد أَبْغَضَني » .

غريب من هذا الوجه[٨] .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٢٦٨) : (لكع) قد يطلق على الصغير ، فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل .

(٢) « السخاب » : قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب ، يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان والجواري . وقيل : هو خيط فيه خرز ، سمي سخاباً لصوت خرزه عند حركته .

(٣) البخاري رقم (٥٨٨٤) ومسلم (٢٤٢١) (٥٧) في الفضائل .

(٤) في مسنده (٢/ ٥٣٢) وإسناده حسن .

(٥) في ط : « برود » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

(٦) تحرفت هذه اللفظة في (ط) إلى : اللباب وما أثبته من الجرح والتعديل (٦/ ١٦٥) وغيره .

(٧) ما بين حاصرتين ـ وهو قدر صفحة تقريباً ـ من (ط) فقط .

(٨) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٣١) والحاكم في المستدرك (٣/ ١٧١) وغيرهما ، وهو حديث حسن .

وقال أحمد[١] : حدثنا ابن نُمير ، حدثنا الحجاج ـ يعني ابن دينار ـ عن جعفر بن إياس ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثُمُ هذا مرَّةً ، وهذا مرَّةً حتى انتهىٰ إلينا ، فقال له رجل : يا رسولَ الله إنَّكَ لتُحِبُّهما ، فقال : « مَنْ أَحَبَّهُما فقد أَحبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهُما فقد أَبْغَضَني » .

تفرد به أحمد .

وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يصلِّي ، فجاء الحسن والحسين ، فجعلا يَثِبَانِ على ظَهره إذا سجد ، فأراد الناس زَجْرَهما ، فلمّا سلَّم قال للناس : « هذانِ ابنايَ ، مَنْ أَحَبَّهُما فقد أَحَبَّني » .

ورواه النَّسائي من حديث عُبيد[٢] الله بن موسى ، عن علي بن صالح ، عن عاصم به .

وقد ورد عن عائشة وأمِّ سلَمة أُمَّي المؤمنين أن رسول الله ﷺ اشتمل على الحسن والحسين وأُمِّهما وأبيهما فقال : « اللَّهُمَّ هٰؤُلاءِ أهلُ بَيْتِي فأَذهِبْ عنهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطْهيراً »[٣] .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من سرَّه أن ينظرَ إلى سيِّد شباب أهل الجنَّة فلينظرْ إلى الحسن بن علي » .

وقد رواه وكيع ، عن الرّبيع بن سعد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ، فذكر مثله . وإسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه[٤] .

وجاء من حديث علي وأبي سعيد وبُريدة [وحُذيفة][٥] أن رسول الله ﷺ قال : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجنَّة »[٦] ومن طريق « وأبوهما خيرٌ منهما »[٧] .

وقال أبو القاسم البَغَوي : حدثنا داود بن عمرو ، حدثنا إسماعيل بن عيّاش ، حدثني عبد الله بن

---

(١) في مسنده (٢/ ٤٤٠) وهو حديث حسن .
(٢) تحرف في ب إلى : عبد . وهو عند النسائي في الكبرى رقم (٨١٧٠) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٤٢٤) من حديث عائشة، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٢) والترمذي رقم (٣٢٠٥) من حديث أم سلمة.
(٤) رواه أحمد في « فضائل الصحابة » رقم (١٣٧٢) .
(٥) سقط من (ط) و (ب).
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٢٥٩٩ ـ ٢٦٠٣) من حديث علي ، وأحمد (٣/ ٣) والترمذي (٣٧٦٨) في مناقب الحسن والحسين من حديث أبي سعيد ، وقال : حسن صحيح وأحمد (٥/ ٣٩١) والترمذي رقم (٣٧٨١) من حديث حذيفة . وهو حديث صحيح .
(٧) رواه ابن ماجه رقم (١١٨) .

عثمان بن خُثَيْم[١] ، عن سعيد بن [أبي] راشد ، عن يَعْلى بن مُرَّة قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر ، فجعل يده تحت رقبته ثم ضمَّه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر ، فجعل يده الأخرى في رقبته ثم ضمَّه إلى صدره ، ثم قبَّل هذا ، ثم قبّل هذا ، ثم قال : « اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » ، ثم قال : « أيُّها الناس ! إنَّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَة »[٢]

وقد رواه عبد الرزّاق ، عن مَعْمر ، عن ابن خُثيم ، عن محمد بن الأسود بن خلف ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ أخذ حسناً فقبّله ، ثم أقبل عليهم فقال : « إنَّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَة »[٣]

وقال ابن خُزيمة : حدّثنا عبدة بن عبد الله الخُزاعي ، حدّثنا زيد بن الحُباب ح وقال أبو يَعْلى : حدّثنا أبو خَيْثمة ، حدّثنا زيد بن الحُباب ، حدّثني حسين بن واقد ، حدّثني عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يخطُب ، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يَعْثُران ويقومان ، فنزل رسول الله ﷺ إليهما ، فأخذهما فوضعهما في حَجْره على المنبر وقال : صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] رأيتُ هٰذينِ الصَّبِيَّينِ فلم أَصْبِر » . ثم أخذ في خُطبته .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[٤] من حديث الحسين بن واقد به . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلّا من حديثه .

وقد رواه محمد الضَّمري ، عن زيد بن أرقم ، فذكر القصة للحسن وحده .

وفي حديث عبد الله بن شدّاد ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ صلَّى بهم إحدى صلاتي العشي ، فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلمّا سلَّم قال الناس له في ذلك ، فقال : « إنَّ ابني هذا ـ يعني الحسن ـ ارتَحَلَني فكرهتُ أنْ أُعْجِلَهُ حتى يقضيَ حاجَتَه »[٥] .

وقال الثوري[٦] : عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع ، فقلت : نعمَ الجَمَلُ جَمَلُكما ، فقال : « ونعمَ العِدْلان هُما » .

---

(١) تحرف في ط إلى : خيثم.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٧٢) وابن ماجه (٣٦٦٦) في الأدب : باب بر الوالد ، من طريق عفان ، عن وهيب ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به . وهو حديث صحيح .
وقوله : مبخلة . . . قال ابن الأثير في النهاية (١/ ١٠٣) : هو مفعلة من البخل ومظنة له ، أي يحمل أبويه على البخل ويدعوهما إليه ، فيبخلان بالمال لأجله.

(٣) وأخرجه البزار برقم (١٨٩١) في باب ما جاء في الأولاد .

(٤) أبو داود (١١٠٩) ، والترمذي (٣٧٧٤) ، وابن ماجه (٣٦٠) ، وتقدم في أول الترجمة أيضاً .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) والنسائي (٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وهو حديث صحيح .

(٦) تحرف في ط إلى : الترمذي .

إسناده على شرط مسلم ولم يخرجوه[١] .

وقال أبو يَعْلى : حدّثنا أبو هاشم ، حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا زَمْعَة بن صالح ، عن سلَمة بن وَهْرام ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس قال : خرج رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن على عاتقه ، فقال له رجل : يا غلام ! نعمَ المركبُ ركِبْتَ ، فقال رسول الله ﷺ : ونعمَ الراكبُ هو »[٢] .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا تَلِيد بن سليمان ، حدّثنا أبو الجَحّاف[٤] ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي وحسن وحسين وفاطمة ، فقال : « أنا حَرْبٌ لمنْ حارَبْتُم ، وسِلْمٌ لمنْ سالَمْتُم » .

وقد رواه النسائي من حديث أبي نُعيم ، وابنُ ماجه[٥] من حديث وكيع ، كلاهما عن سفيان الثَّوري ، عن أبي الجحّاف داود بن أبي عوف ـ قال وكيع : وكان مرضيًّا[٦] ـ عن أبي حازم ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال عن الحسن والحسين : « مَنْ أَحَبَّهُما فقَدْ أَحَبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهُما فقَدْ أَبْغَضَني » .

وقد رواه أَسْباط عن السُّدِّي ، عن صُبَيح مولى أمِّ سلَمة ، عن زيد بن أرقم فذكره .

وقال بقيّة : عن بَحِير[٧] بن سعد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن المِقْدام بن مَعْدي كرِب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحسنُ منِّي ، والحسينُ مِنْ عليّ » .

فيه نكارةٌ لفظاً ومعنى[٨] .

وقال أحمد[٩] : حدّثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون[١٠] ، عن عُمير بن إسحاق قال : كنت مع

---

(١) أخرجه الدولابي في الكنى (٢/ ٦)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٤٧)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ١٩)، والطبراني في الكبير (٢٦٦١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٤١٢) و(٤١٣). وفي قول المصنف: «إسناده على شرط مسلم» نظر شديد فإنه لم يعتبر الراوي عن الثوري وهو مسروح أبو شهاب، فهو ليس من رجال مسلم، وهو متكلم فيه، وقد انتقد على هذا الحديث خاصة فقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وقال أبو حاتم: يحتاج أن يتوب إلى الله عز وجل من حديث باطل رواه عن الثوري (الجرح والتعديل ٨/ ٤٢٤)، والحديث المقصود هو هذا. وقال النسائي: هذا حديث منكر يشبه أن يكون باطلاً (الكنى للدولابي ٢/ ٦). وينظر ميزان الذهبي (٤/ ٩٧) (بشار).

(٢) وأخرجه الترمذي (٣٧٨٤) من طريق محمد بن بشار ، عن أبي عامر العقدي ، عن زمعة بن صالح بهذا الإسناد ، وزمعة ضعيف ، وباقي رجاله ثقات ، وصححه الحاكم (٣/ ١٧٠) فتعقبه الذهبي بقوله : قلت : لا .

(٣) في مسنده (٢/ ٤٤٢) وإسناده ضعيف .

(٤) تحرف في (ط) إلى : الحجاف .

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى رقم (٨١٦٨) وابن ماجه (١٤٣) في المقدمة: باب فضل الحسن والحسين، وهو حديث حسن.

(٦) في (أ) و(ط) : وكان مريضاً وهو تحريف .

(٧) تحرف في (أ) و(ط) إلى : بجير ، وفي (ب) إلى : يحيى .

(٨) السير (٣/ ٢٥٨) .

(٩) في مسنده (٢/ ٢٥٥) وإسناده ضعيف .

(١٠) تحرف في (ط) إلى : عوف .

الحسن بن علي ، فلقيَنا أبو هريرة فقال : أرني أُقبِّل منك حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبِّل ، فقال بقميصه[١] ، قال : فقبَّل سُرَّتَه .

تفرد به أحمد . ثم رواه عن إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن ابن عون .

وقال أحمد[٢] : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا حَرِيز[٣] ، عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشي ، عن معاوية قال : رأيت رسول الله ﷺ يمصُّ لسانَه ـ أو قال : شَفَتَه ، يعني الحسن بن علي ـ وإنَّه لنْ يُعَذَّبَ لسانٌ أو شفتانِ مَصَّهُما رسول الله ﷺ .

تفرد به أحمد .

وقد ثبت في « الصحيح » عن أبي بكرة[٤] ، وروى أحمد عن جابر[٥] بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ ابني هٰذا سيِّد ، ولعلَّ اللهَ أَنْ يُصْلحَ بهِ بينَ فِئَتينِ عَظيمتَيْنِ منَ المُسْلمين » .

وقد تقدم هذا الحديث في « دلائل النبوة » وتقدم قريباً عند نزول الحسن لمعاوية عن الخلافة . ووقع ذلك كما أخبر ﷺ[٦] .

وقد كان الصدِّيق يجلُّه ويعظِّمه ويكرمه ويحبُّه ويتفدّاه .

وكذلك عمر بن الخطاب ، فروى الواقدي ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي ، عن أبيه : أن عمر لما عمل الدِّيوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف .

وكذلك كان عثمان بن عفّان يكرم الحسن والحسين ويحبُّهما . وقد كان الحسن بن علي يوم الدار ـ وعثمان بن عفّان محصور ـ عنده ومعه السيف متقلِّداً به يحاجف عن عثمان ، فخشي عثمان عليه ، فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطييباً لقلب علي ، وخوفاً عليه ، رضي الله عنهم .

وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ويعظِّمه ويبجِّلُه . وقد قال له يوماً : يا بني ألا تخطُب حتى

---

(١) أي : رفع قميصه وكشف عن بطنه .

(٢) في مسنده (٤/ ٩٣) وهو حديث صحيح .

(٣) هو حريز بن عثمان ، وقد تحرف في ط ومسند أحمد إلى : جرير .

(٤) حديث أبي بكرة أخرجه البخاري رقم (٢٧٠٤) . وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٨ و٤٤ و٤٩ و٥١) والترمذي (٣٧٧٣) والنسائي (٣/ ١٠٧) وأبو داود (٤٦٦٢) .

(٥) هكذا نسب المصنف رواية حديث جابر إلى مسند أحمد، ولا أظنه أصاب في ذلك، فالحديث ليس فيه، وإنما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٤٣)، والخطيب في تاريخه (٤/ ٣٥١)، وينظر تمام تخريجه في تعليقنا على تاريخ الخطيب من طبعتنا المذكورة (بشار).

(٦) قال الخطابي : وقد خرج مصداق هذا القول فيه بما كان من إصلاحه بين أهل العراق وأهل الشام ، وتخليه عن الأمر خوفاً من الفتنة وكراهية لإراقة الدم . ويسمى ذلك العام سنة الجماعة .

أسمعك ؟ فقال : إني أَستحيي أن أخطُب وأنا أراك ، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعليٌّ يسمع ، فأدى خطبة بليغة فصيحة ، فلما انصرف جعل علي يقول : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣٤] .

وقد كان ابن عباس يأخذ الرِّكاب للحسن والحسين إذا ركبا ، ويرى هذا من نعم الله عليه .

وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطِمونهما مما يزدحمون عليهما ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

وكان ابن الزبير يقول : واللهِ ما قامت النساءُ عن مثل الحسن بن علي .

وقال غيره : كان الحسن إذا صلَّى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلاّه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه مَنْ يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلِّم عليهنّ ، وربما أتحفنَه ، ثم ينصرف إلى منزله .

ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانةً لدماء المسلمين كان له على معاوية في كل عام جائزة ، وكان يفد إليه ، فربما أجازه بأربعمئة ألف درهم ، وراتبُه في كل سنة مئة ألف . فانقطع سنةً عن معاوية ، وجاء وقت الجائزة ، واحتاج الحسن إليها ـ وكان من أكرم الناس وأسخاهم ـ فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعثَ بها إليه ، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله ﷺ في المنام ، فقال له : يا بُني ! أتكتبُ إلى مخلوق بحاجتك ؟! وعلَّمه دعاءً يدعو به ، فترك الحسن ما كان همَّ به من كتابة ، فذكَره معاوية وافتقده وقال : ابعثوا إليه بجائزته وزيدوا مئة ألف أخرى ، فلعلَّ له ضرورة في تركه القدوم علينا . فحُملت إليه من غير سؤال .

[قال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : الحسن بن علي مدني ثقة . حكاه ابن عساكر في «تاريخه»][(١)] .

قالوا : وقاسَمَ الحسنُ اللهَ عز وجل مالَه ثلاث مرات ، وخرج من ماله مرَّتين . وحجَّ خمساً وعشرين حجَّة ماشياً وإن الجنائبَ لتُقَاد بين يديه . روى ذلك البَيْهقي من طريق عبد الله بن عُبيد بن عُمير عن ابن عباس ، وقاله علي بن زيد بن جُدْعان[(٢)] .

وقد علَّق البخاري في « صحيحه » أنه حجَّ ماشياً والجنائبُ تُقاد بين يديه .

وروى داود بن رُشيد ، عن حفص ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : حجَّ الحسنُ بن علي ماشياً ونجائبُه تُقاد إلى جَنْبه .

وقال العباس بن الفضل : عن القاسم ، عن محمد بن علي قال : قال الحسن بن علي : إني لأَستحيي من ربِّي ـ عز وجل ـ أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته ، فمشى عشرين مرَّة من المدينة على رجليه .

---

(١) ما بين حاصرتين من ط فقط .
(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٣) .

قالوا : وكان يقرأ في بعض خُطَبه سورة إبراهيم ، وكان يقرأ كلَّ ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرؤها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه ، فيقرؤها بعدما يدخل في الفِراش قبل أن ينام ، رضي الله عنه .

وقد كان من الكرم على جانب عظيم . قال محمد بن سِيرين : ربَّما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمئة ألف .

وقال سعيد بن عبد العزيز : سمع الحسن بن علي إلى جانبه رجلاً يدعو الله أن يُملكَه عشرة آلاف درهم ، فقام إلى منزله فبعث إليه بها .

وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمةً ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له : يا غلام ! ما حملك على هذا ؟ فقال الغلام : إني أَستحي منه أن آكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح من مكانك حتى آتيك ، فذهب إلى سيِّده ، فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه ، فأعتقه وملَّكه الحائط . فقال الغلام : يا مولاي إنِّي قد وهبت الحائط للذي وهبتَني له .

قالوا : وكان كثير التزوّج ، وكان لا يفارقه أربع حرائر ، وكان مِطْلاقاً مِصْداقاً ، يقال : إنه أحصن سبعين امرأة [وقيل : سبعمئة ، وقيل : ألف امرأة ، وربما كان يعقِد العَقد على أربعة في المجلس ، ويفارق أربعة][1] .

وذكروا أنه طلَّق امرأتين في يوم ، واحدة من بني أسَد ، وأخرى فَزاريَّة ، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبزِقَاقٍ[2] من عسل ، وقال للغلام : اسمع ما تقول كلُّ واحدة منهما . فأما الفَزاريَّة فقالت : جزاه الله خيراً ، ودعت له . وأما الأسديَّة فقالت :

مَتَاعٌ قليلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفارقِ

فرجع الغلام إليه بذلك ، فارتجع الأسديَّة ، وترك الفَزاريَّة[3] .

وقد كان علي يقول لأهل الكوفة : لا تزوِّجوه فإنه مِطْلاق ، فيقولون : والله ـ يا أمير المؤمنين ـ لو خطب إلينا كل يوم لنُزوِّجنَّه ما أراد محبةً في صهر رسول الله ﷺ .

وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفَزاري ـ وقيل : هند بنت سهيل ـ فوق إجّار[4] ، فعَمَدَت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خَلْخالها ، فلمّا استيقظ ورأى ذلك قال : ما حملك على هذا ؟ فقالت :

---

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٢) « زقاق » : جمع زق ـ وهو السقاء ـ وهو جمع للكثير ، أما جمع القلة فأزقاق (اللسان) .

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٧ ـ ٢٨) .

(٤) « الإجار » : السطح الذي ليس حوله ما يرد الساقط عنه .

خشِيتُ أن تقوم من وَسَن النوم فتسقط فأكون أشأمَ سَخْلة على العرب . فأعجبَه ذلك منها ، واستمرَّ بها سبعة أيام بعد ذلك [وأجازها بجائزة][١] .

وقال أبو جعفر الباقر : جاء رجل إلى الحسين بن علي ، فاستعان به في حاجه ، فوجده معتكفاً ، فاعتذر إليه ، فذهب إلى الحسن ، فاستعان به ، فقضى حاجته وقال : لَقضاءُ حاجة أخٍ لي في الله أحبُّ إليَّ من اعتكاف شهر .

وقال هُشيم : عن منصور ، عن ابن سِيرين قال : كان الحسن بن علي لا يدعو إلى طعامه أحداً ، يقول : إنَّ الطعام أهونُ من أن يُدعىٰ إليه أحد [مَنْ أراد أن يأكلَ فليأكلْ لا مِنَّةَ لنا فيه على أحد][٢]

وقال أبو جعفر : قال علي : يا أهل الكوفة لا تزوِّجوا الحسن بن علي فإنه مِطْلاق ، فقال رجل من هَمْدان : والله لنُزَوِّجنَّه ، فما رضيَ أمسك ، وماكره طلَّق .

وقال أبو بكر الخرائطي في كتاب « مكارم الأخلاق » : حدّثنا إبراهيم بن الجُنيد[٣] ، حدّثنا القَوَاريري ، حدّثنا عبد الأعلى ، عن هشام ، عن محمد بن سِيرين قال : تزوَّج الحسن بن علي امرأة ، فبعث إليها بمئة جارية مع كلِّ جارية ألف درهم .

وقال عبد الرزاق : عن الثَّوري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن الحسن بن سعد ، عن أبيه قال : متَّع الحسن بن علي امرأتين بعشرين ألفاً وزِقَاق من عسل ، فقالت إحداهما ـ وأراها الحنفيَّة :

مَتَاعٌ قليلٌ مِنْ حَبِيب مُفارق

وقال الواقدي[٤] : حدثني علي بن عمر ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين قال : كان الحسن بن علي مِطْلاقاً للنساء ، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبُّه .

وقال جُوَيْرِيَةُ بن أسماء : لما مات الحسن بكى عليه مروان بن الحكم في جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنتَ تجرِّعه ما تجرِّعه ؟! فقال : إني كنت أفعل ذلك إلى أحلَم من هذا ، وأشار إلى الجبل[٥] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٦) .
(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٣) في ط : حدثنا ابن المنذر هو إبراهيم ، حدثنا القواريري .
(٤) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٢) الطبقة الخامسة من الصحابة .
(٥) قوله : إني كنت أفعل . . . الجبل مضطرب في النسخ ، وما أثبته هو الأقرب للمعنى . وقد أورد الذهبي هذا الخبر في السير (٣/ ٢٧٦) ولفظه فيه : كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وقال محمد بن سعد[١] : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأَسَدي ، عن ابن عون ، عن عُمير[٢] بن إسحاق قال : ما تكلَّم عندي أحدٌ كان أحبَّ إلي إذا تكلَّم ألَّا يسكت من الحسن بن علي ، وماسمعت منه كلمة فحش قطُّ إلا مرة ، فإنه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة ، فقال الحسن : ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه ، فهذه أشدُّ كلمة فحش سمعتُها منه قطّ .

قال محمد بن سعد[٣] : وأخبرنا الفضل بن دُكين ، أخبرنا مسافر الجصاص ، عن رُزَيْق[٤] بن سَوّار قال: كان بين الحسن وبين مروان خصومة ، فجعل مروان يُغلِظ للحسن ، وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه، فقال له الحسن : ويحك ! أما علمتَ أن اليُمنى للوجه والشمال للفَرْج ؟ أُفٍّ لك ! فسكت مروان.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد : قيل للحسن بن علي : إن أبا ذَر[٥] يقول : إن الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى ، والسُّقم أحب إلي من الصَّحة . فقال : رحم الله أبا ذر ، أمّا أنا فأقول : من اتَّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار اللهُ له . وهذا حدُّ الوقوف على الرِّضى بما تصرَّف[٦] به القضاء .

وقال أبو بكر محمد بن كَيْسان الأَصَمّ : قال الحسن بن علي ذات يوم لأصحابه : إني أخبركم عن أخٍ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيم ما عظَّمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان فَرْجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً من سلطان جهله فلا يمدُّ يداً إلا على ثقة المنفعة ، [ولا يخطو خطوة إلا لحسَنَة][٧] وكان لا يسخط ولا يتبرَّم ، وكان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرصَ منه على أن يتكلَّم ، وكان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على الصَّمت ، كان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذَّ[٨] القائلين ، كان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مِرَاءٍ ، ولا يُدلي بحُجَّة حتى يرى قاضياً يقول ما لايفعل ويفعل ما لايقول تفضُّلاً وتكرُّماً ، كان لا يغفل عن إخوانه ولا يستخصُّ بشيء دونهم ، كان لا يلوم[٩] أحداً فيما يقع العُذر بمثله ، كان إذا ابتداه أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحقِّ نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه .

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) .
(٢) وقع في ط : محمد وهو خطأ ، فعمير بن إسحاق : هو أبو محمد مولى بني هاشم . من رجال التهذيب .
(٣) الطبقات الكبرى (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .
(٤) تحرف في (أ) و(ط) إلى : رزين وفي ب إلى : زيد .
(٥) تحرفت لفظة ذر المتكررة في هذا الخبر في ط إلى : زر .
(٦) كذا في (أ) و ب ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٩) . ووقعت في ط : تعرف .
(٧) ما بين حاصرتين ليس في ب ولافي مختصر تاريخ دمشق .
(٨) « بذَّ القائلين » : أي : سبقهم وغلبهم .
(٩) تحرفت في النسخ إلى : يكرم والتصويب من مختصر تاريخ دمشق .

رواه ابن عساكر[١] والخطيب .

وقال أبو الفرج المُعافىٰ بن زكريا الجَرِيري : حدثنا بدر بن الهيثم الحَضْرمي ، حدثنا علي بن المنذر الطَّرِيقي[٢] ، حدّثنا عثمان بن سعيد الدارمي ، حدّثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء ـ من أهل تُسْتَر ـ حدّثنا شعبة بن الحجّاج الواسطي ، عن أبي إسحاق الهَمْداني ، عن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه ـ يعني الحسن ـ عن أشياء من المروءة فقال :

يابُنَيَّ ما السَّداد ؟ قال : يا أبةِ ! السَّدادُ دفعُ المنكر بالمعروف .

قال : فما الشَّرف ؟ قال : اصطِناع العَشيرة ، وحملُ الجَريرة .

قال : فما المروءة ؟ قال : العَفاف ، وإصلاحُ المرء ماله[٣] .

قال : فما الدنية[٤] ؟ قال : النَّظرُ في اليَسير ، ومنعُ الحَقير .

قال : فما اللؤم ؟ قال : إحرازُ المرء نفسه ، وبذلُه عِرْسه .

قال : فما السَّماحة ؟ قال : البذلُ في العُسْر واليُسْر .

قال : فما الشُّحّ ؟ قال : أن ترىٰ ما في يديك شَرَفاً ، وماأنفقتَه تَلَفاً .

قال : فما الإخاء ؟ قال : الوفاء في الشِّدة والرَّخاء .

قال : فما الجُبْن ؟ قال : الجرأة على الصَّديق ، والنُّكول عن العدو .

قال : فما الغَنيمة ؟ قال : الرَّغبة في التقوى ، والزَّهادة في الدنيا [هي الغنيمة الباردة][٥] .

قال : فما الحِلْم ؟ قال : كَظْم الغَيْظ ، ومَلْكُ النفس .

قال : فما الغِنىٰ ؟ قال : رضى النفس بما قسمَ اللهُ لها وإن قَلَّ [فإنما الغنى غنى النفس][٦] .

قال : فما الفقر ؟ قال : شَرَهُ النفس في كل شيء .

قال : فما المَنَعَة ؟ قال : شدَّة البأس ، ومُقارعة أشدِّ الناس .

قال : فما الذُّل ؟ قال : الفَزَع عند المصدُوقية .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٠) .

(٢) تحرفت هذه النسبة في (أ) إلى : الطرائفي . قال السمعاني في الأنساب (٨/ ٢٣٩) : سألت أستاذي بأصبهان . . . عن علي بن المنذر الطريقي : لأي شيء نسب هذا ؟ قال : كان ولد في الطريق فنسب إليها .

(٣) في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب الكمال : حاله .

(٤) في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب الكمال : الدقه .

(٥) سقط من (ط) .

(٦) سقط من (أ) .

[قال : فما الجُرأة ؟ قال : موافقة الأقران][1] .

قال : فما الكُلْفة ؟ قال : كلامُك فيما لا يَعْنيك .

قال : فما المجد ؟ قال : أن تُعطيَ في الغُرم ، وأن تعفوَ عن الجُرم .

قال : فما العقل ؟ قال : حفظُ القلب كلَّ ما استرعَيْتَه .

قال : فما الخُرْق[2] ؟ قال : معاداتُك لإمامك ، ورفعُك عليه كلامَك .

قال : فما السَّناء ؟ قال : إتيانُ الجميل ، وتَرْك القبيح .

قال : فما الحَزم ؟ قال : طول الأَناة ، والرِّفق بالولاة ، والاحتراس من الناس بسوء الظنِّ ، هو الحزم .

قال : فما الشَّرف ؟ قال : مُوافقة الإخوان ، وحِفظ الجيران .

قال : فما السَّفَه ؟ قال : اتِّباع الدُّناة ، ومُصاحبة الغُواة .

قال : فما الغَفْلة ؟ قال : تركُك المسجد ، وطاعتُك المُفسد .

قال : فما الحِرْمان ؟ قال : تركُك حظَّك وقد عُرض عليك .

قال : فمن السيِّد ؟ قال : الأحمقُ في المال ، المتهاون بعِرْضه يُشتم فلا يُجيب ، المُتحزِّن[3] بأمر العَشيرة ، هو السيِّد .

قال : ثم قال علي : يا بُنيَّ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا فَقْرَ أشدّ من الجَهْل ، ولا مالَ أفضل من العَقْل ، ولا وحدةَ أوحش من العُجْب ، ولا مُظاهرةَ[4] أوثق من المُشاورة ، ولا عقلَ كالتَّدبير ، ولا حَسَب كحُسن الخُلُق ، ولا وَرَعَ كالكفِّ ، ولا عبادةَ كالتَّفكُّر ، ولا إيمانَ كالحَياء ، ورأسُ الإيمان الصَّبر ، وآفةُ الحديث الكذب ، وآفةُ العلم النِّسيان ، وآفةُ الحِلْم السَّفَه ، وآفةُ العبادة الفَتْرة[5] ، وآفةُ الظُّرف الصَّلَف ، وآفةُ الشَّجاعة البَغْي ، وآفةُ السَّماحة المَنّ ، وآفةُ الجَمال الخُيَلاء ، وآفةُ الحَسَب[6] الفخر » .

ثم قال علي : يا بُنيَّ لا تستخفنَّ برجل تراه أبداً ، فإن كان أكبر منك فعُدَّهُ أباك ، وإن كان مثلك فعدَّهُ أخاك ، وإن كان أصغر منك فعُدَّه ابنَك .

---

(١) سقط من آ .
(٢) « الخرق » : الحمق .
(٣) « المتحزن » : المهتم .
(٤) « المظاهرة » : المعاونة .
(٥) الفترة : الضعف .
(٦) في ط : الحب .

قال القاضي أبو الفرج : ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه ، وحفظه ووعاه ، وعمل به وأدَّب نفسه بالعمل عليه ، وهذَّبها بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدتُه بالوقوف عنده . وفيما رواه أمير المؤمنين في أضعافه عن النبي ﷺ ما لاغِنىً لكل لبيب عليم عن حفظه وتأمُّله ، والمسعودُ من هُدي لتلقِّيه ، والمجدود[١] من وُفِّق لامتثاله وتقبّله[٢] .

قلت : ولكن إسناد هذا الأثر ومافيه من الحديث المرفوع ضعيف ، ومثل هذه الألفاظ في عبارتها ما يدلُّ ما في بعضها من النَّكارة على أنه ليس بمحفوظ ، والله أعلم .

وقد ذكر الأصمعي والعتبي والمدائني وغيرهم : أنَّ معاوية سأل الحسن بن علي عن أشياء تُشبه هذا ، فأجابه بنحو ما تقدَّم لكن هذا السِّياق أطول بكثير ، فالله أعلم .

وقال علي بن العباس الطبراني : كان على خاتم الحسن بن علي مكتوباً[٣] :

قَدِّمْ لنفسِكَ ما استطعتَ من التُّقىٰ ... إنَّ المنيَّـة نـازل[٤] بـكَ يـا فتَـى
أصبحتَ ذا فَرَحٍ كأنَّكَ لا ترى ... أحبابَ قلبِكَ في المقابر والبِلَى

وقال الإمام أحمد : حدّثنا مطَّلب بن زياد أبو محمد ، حدّثنا محمد بن أَبَان قال : قال الحسنُ بن علي لبنيه وبني أخيه[٥] : « تعلَّموا ، فإنكم صغارُ قومِ اليوم ، كبارُهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب » .

رواه البيهقي ، عن الحاكم [عن الأصم][٦] عن عبد الله بن أحمد عن أبيه . [وفي رواية : « إنكم إنْ تكونوا صِغَارَ قوم ، فعسىٰ أن تكونوا كبارَ قومٍ آخرين »][٧] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا الحسن بن موسى وأحمد بن يونس قالا : حدّثنا زهير بن معاوية ، حدّثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن الأصم قال : قلت للحسن بن علي : إن هذه الشِّيعة تزعم أن علياً مبعوث [قبل يوم القيامة ، قال : كذبوا والله ، ما هؤلاء بالشِّيعة ، لو علمنا أَنَّه مبعوث][٨] ما زوَّجنا نساءَه ، ولا اقتسمنا مالَه .

---

(١) « المجدود » : المحظوظ .

(٢) الخبر بطوله في حلية الأولياء (٢/ ٣٥ ـ ٣٦) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٠ ـ ٣٢) وتهذيب الكمال (٦/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠) . وسيحكم عليه المؤلف فيما يلي .

(٣) الأبيات في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٦٠) .

(٤) في ط : نازلة ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٥) قوله : وبني أخيه كذا ورد في ط ، ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٧) وتهذيب الكمال (٦/ ٢٤٢) ووقع في (أ) و ب : ومن أحبه .

(٦) سقط من ط .

(٧) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٨) سقط من (أ) . والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣) .

وقال عبد الله بن أحمد : حدّثنا أبو علي سُوَيد الطّحان ، حدّثنا علي بن عاصم ، أخبرنا أبو رَيْحانة ، عن سَفِينَة ، عن النبي ﷺ قال : « الخِلافةُ منْ بعدي ثلاثونَ سَنَة »[١] . فقال رجل كان حاضراً في المجلس : قد دخلت من هذه الثلاثين ستَّة شهور في خلافة معاوية . فقال : من هاهنا أُتيت ، تلك الشهور كانت البيعة للحسن بن علي ، بايعه أربعون ألفاً أو اثنان وأربعون ألفاً .

وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : بايع الحسنَ سبعون[٢] ألفاً ، فزهِدَ في الخلافة وصالح معاوية ، ولم يُسفك في أيامه محجمةٌ من دم[٣] .

وقال ابن أبي خَيْثمة : حدّثنا أبي ، حدّثنا وَهْب بن جرير قال : قال أبي : لما قُتل علي بايع أهل الكوفة الحسنَ بن علي ، وأطاعوه ، وأحبُّوه أشدَّ من حبِّهم لأبيه[٤] .

وقال ابن أبي خَيْثمة : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضَمْرة ، عن ابن شَوْذَب قال : لما قُتل علي سار الحسن في أهل العراق ، وسار معاوية في أهل الشام ، فالتقَوا ، فكره الحسنُ القتال وبايع معاويةَ على أن جعل العهد للحسن من بعده . قال : فكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين ! قال : فكان يقول لهم : العار خيرٌ من النار[٥]

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا العباس بن هشام[٦] ، عن أبيه قال : لما قُتل علي بايع الناسُ الحسنَ بن علي ، فوليها سبعةَ أشهر وأحدَ عشرَ يوماً .

وقال غير عباس : بايع الحسنَ أهلُ الكوفة ، وبايع أهلُ الشام معاويةَ بإيلِيَاء[٧] بعد قتل علي ، وبُويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة أربعين [ثم لقي الحسنُ معاويةَ بمَسْكِن ـ من سواد الكوفة ـ في سنة إحدى وأربعين][٨] فاصطلحا ، وبايع الحسنُ معاوية .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠ و٢٢١) من طرق أخرى عن سفينة . وسويد بن سعيد الطحان لين الحديث ، وعلي بن عاصم يخطىء ويصر ورمي بالتشيع والرواية التي ذكرها المؤلف عن عبد الله بن أحمد عن سويد الطحان عن علي بن عاصم عن أبي ريحانة عن سفينة لا تضر ، لأن الحديث رواه أحمد من طرق عن سعيد بن جمهان (٥/ ٢٢٠ و٢٢١) . وأخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧) في السنة : باب الخلفاء ، والترمذي (٢٢٢٦) في الفتن : باب ما جاء في الخلافة ، كلاهما من طريق سعيد بن جُمْهان فهو حديث حسن ، كما قال الإمام الترمذي .

(٢) في ط و ب : تسعون ، وهو خطأ .

(٣) تاريخ الثقات للعجلي (ص١١٦) .

(٤) تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٣) .

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) .

(٦) يعني ابن الكلبي ، والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٤) .

(٧) قال ياقوت في معجم البلدان (١/ ٢٩٣) : إيلياء ـ بكسر أوله واللام ـ اسم مدينة بيت المقدس .

(٨) ما بين حاصرتين سقط من (أ) ، والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٤) .

وقال غيره : كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين . وقد تكلَّمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم .

وحاصل ذلك أنه اصطلح مع معاوية على أن يأخذ الحسنُ ما في بيت مال الكوفة ، فوفَّى له معاوية بذلك ، فأخذه فإذا فيه خمسة آلاف ألف ، وقيل : سبعة آلاف ألف ، وعلى أن يكون خَراج البصرة ـ وقيل : دَارَابْجِرْد[١] ـ له في كل عام ، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخَراج إليه ، فعوَّضه معاوية عن ذلك بستة آلاف ألف درهم في كل عام ، فلم يزل يتناولها مع ماله في كل عام في وِفادته من الجوائز والتُّحف والهدايا إلى أن توفي في هذا العام .

وقال محمد بن سعد[٢] : عن هَوْذة بن خليفة ، عن عوف ، عن محمد بن سِيرين قال : لما دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن بن علي قال أصحاب معاوية لمعاوية : مُرِ الحسنَ بن علي أن يخطُب بذلك فإنه حديث السِّن عَيِيّ ، فلعلَّه يتلعثم فيتَّضع في قلوب الناس . فأمره معاوية ، فخطب فقال في خطبته : أيُّها الناس ! لو ابتغيتم بين جابَلْق و جابَرْس[٣] رجلاً جدُّه نبيٌّ غيري وغير أخي لم تجدوه ، وإنا قد أعطينا بيعتنا معاوية ، ورأينا أنَّ حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أَدري لعلَّه فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين . وأشار إلى معاوية ، فغضب من ذلك وقال : ما أردتَ من هذه ؟ قال : أردتُ منها ما أراد الله منها . فصَعِد معاوية وخطب بعده .

وقد رواه غير واحد[٤] ، وقدَّمنا أن معاوية عتَب على أصحابه [لما خطب الحسن بذلك][٥] .

وقال محمد بن سعد[٦] : حدثنا أبو داود الطَّيالسي ، حدثنا شعبة ، عن يزيد بن خُمير قال : سمعت [عبد الرحمن بن][٧] جُبير بن نُفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة . فقال : كانت جماجمُ العرب بيدي ، يسالمون من سالمتُ ويحاربون من حاربت ، فتركتُها ابتغاء وجه الله ، ثم أُثيرها ثانياً بين أهل الحجاز[٨] !

---

(١) ويقال : دار بجرد ـ بإسقاط الألف الأولى ـ بلدة من بلاد فارس . معجم البلدان (٢/ ٤١٩ و ٤٤٦) وأنساب السمعاني (٥/ ٢٤٢ و ٢٩٢) .

(٢) طبقاته الكبرى (١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) الطبقة الخامسة من الصحابة .

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٩٠ ـ ٩١) : « جابرس » : مدينة بأقصى الشرق . . . « وجابلق » : مدينة بأقصى الغرب ثم أورد هذا الخبر .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

(٥) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٦) طبقاته الكبرى (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩) .

(٧) سقط من (ط) .

(٨) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٤) .

وقال محمد بن سعد[١] : أخبرنا علي بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن زيد بن أَسْلم قال : دخل رجل على الحسن بن علي وهو بالمدينة وفي يده صحيفةٌ، فقال: ما هذه الصحيفة ؟ فقال: من[٢] معاوية يَعِدُ فيها ويتوعَّد ، فقال الرجل : قد كنتَ على النّصف منه ؟ قال : أجل ، ولكن خشِيتُ أن يجيء يومَ القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقل كلُّهم تَنْضَح أَوْداجُهم[٣] دماً ، كلُّهم يَستعدي اللهَ فيمَ هُريق دمُه[٤] ؟ .

وقال الأصمعي : عن سلاّم بن مِسْكين ، عن عمران بن عبد الله قال : رأى الحسنُ بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ففرح بذلك ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيِّب فقال : إنْ كان رأى هذه الرؤيا فقلَّ ما بقي من أجَلِه . قال : فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلّا أياماً حتى مات[٥] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح العَتَكي ومحمد بن عثمان العِجْلي قالا : حدّثنا أبو أسامة ، عن ابن عَوْن ، عن عُمير بن إسحاق قال : دخلتُ أنا ورجل آخر من قريش على الحسن بن علي ، فقام فدخل المَخْرَج ثم خرج فقال : لقد لفظتُ طائفة من كبدي أقلّبها بهذا العود ، ولقد سُقِيتُ السُّم مراراً وما سُقيت مرة أشدَّ من هذه . قال : وجعل يقول لذلك الرجل : سَلْني قبل ألّا تسألني ، فقال : ما أسألك شيئاً ، يعافيك الله . قال : فخرجنا من عنده ، ثم عدنا إليه من الغد وقد أخذ في السَّوْق[٦] ، فجاء حسين حتى قعد عند رأسه فقال : أي أخي ! مَنْ صاحبك ؟ قال : تريد قتلَه ؟ قال : نعم ، قال : لئن كان صاحبي الذي أظنُّ للهُ أشدُّ نقمة وعقوبة ـ وفي رواية : للهُ أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً ـ وإن لم يكن هو ما أحبُّ أن تَقتل بي بريئاً[٧] .

ورواه محمد بن سعد[٨] ، عن ابن عُلَيّة ، عن ابن عَوْن .

وقال محمد بن عمر الواقدي[٩] : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن أم بكر بنت المِسْور قالت : كان الحسن قد سُقي السُّم مراراً كل ذلك يُفلِت منه ، حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها ، فإنه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النَّوح شهراً[١٠] .

---

(١) طبقاته الكبرى (١/ ٣٣٢) .

(٢) في ط : ابن ، وهو خطأ .

(٣) « الأوداج » : جمع وَدَج ، وهو عرق في العنق .

(٤) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) .

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥١) .

(٦) « السَّوق والسِّياق » : النزع عند الموت .

(٧) حلية الأولياء (٢/ ٣٨) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٨ ـ ٣٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) .

(٨) طبقاته الكبرى (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) .

(٩) الطبقات الكبرى (١/ ٣٣٩) .

(١٠) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٢) .

[وقال الواقدي[١] : وحدثتنا عبيدة بنت نابل[٢] ، عن عائشة[٣] قالت : حَدَّ[٤] نساءُ بني هاشم على الحسن بن علي سنَة] .

قال الواقدي[٥] : حدّثنا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن حسن قال : كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء ، وقلَّ ما يحظَيْنَ عنده ، وكان قلَّ امرأة تزوَّجها إلا أحبَّتْه وضنَّت[٦] به ، فيقال : إنه كان سُقي سُمّاً ، ثم أفلت ، ثم سُقي ثم أفلت ، ثم كانت الآخرة توفي فيها ، فلمّا حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قد قطع السُّمُّ أمعاءَه . فقال الحسين : يا أبا محمد ! أخبرني مَنْ سقاك ؟ قال : ولمَ يا أخي؟ قال : أقتلُه والله قبل أن أدفنَك ، أولا أقدر عليه ، أو يكون بأرض أتكلَّف الشخوص إليه ، فقال : يا أخي ! إنما هذه الدنيا ليالٍ فانية ، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله . وأبى أن يسمِّيَه له . وقد سمعت بعض مَنْ يقول : كان معاوية قد تلطَّف لبعض خدم الحسن أن يسقيَه سُمّاً .

قال محمد بن سعد[٧] : أخبرنا يحيى بن حمّاد[٨] ، أخبرنا أبو عَوَانة ، عن المُغيرة ، عن أمِّ موسى ، أن جَعْدة بنت الأَشعث بن قيس سقت الحسن السُّم ، فاشتكى منه شكاته ، قال : فكان يوضع تحته طستٌ ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً .

وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جَعْدة بنت الأشعث : أن سُمِّي الحسن وأنا أتزوَّجُك بعده، ففعلت، فلمّا مات الحسن بعثت إليه في ذلك ، فقال : إنا والله لم نرضَكِ للحسن ، أفنرضاك لأنفسنا ؟!.

وعندي أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأَولى والأَحرى [والله أعلم ، ويومُ الفصل ميقاتُ الخلائق أجمعين][٩] .

وقد قال كُثَيِّر عزَّة[١٠] في ذلك :

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٣٥٣) .

(٢) ما بين الحاصرتين من المطبوع فقط ، ووقع فيه : وحدثنا عبدة بنت نائل ، وهو خطأ ، وما أثبته مستفاد من تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٦ و٤٣٧) وغيره .

(٣) هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص .

(٤) « حدت المرأة على الميت تحُدُّ وتحِدُّ فهي حادّ » : إذا حزنت عليه ، ولبست ثياب الحزن ، وتركت الزينة .

(٥) الطبقات الكبرى (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) .

(٦) كذا في الأصول، ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٩) ووقعت في الطبقات الكبرى وتهذيب الكمال (٦/ ٢٥٢) والسير (٣/ ٢٧٤) وصبت.

(٧) طبقاته الكبرى (١/ ٣٣٨) .

(٨) تحرف في المطبوع إلى : حمال . والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٢) والسير (٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .

(٩) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(١٠) قال ابن عساكر في مختصره (٧/ ٤٠) والمزي في تهذيبه (٦/ ٢٥٣) : وقد تروى للنجاشي . =

يـا جَعْـدُ بَكِّيـهِ ولا تَسْـأمـي بكـاءَ حـقٍّ لـيسَ بـالبـاطِـل
لنْ تَسْتُري البيتَ على مثلِه في الناسِ من حافٍ ولا ناعِل
أَعنـي الـذي أَسْلَمَـهُ أهلُـه للـزَّمـنِ المُسْتخـرج المـاحِـل
كـان إذا شُبَّـتْ لـه نـارُهُ يـرفعُهـا بـالنَّسَـبِ المـاثِـل
كيْمـا يـراهـا بـائِسٌ مُرْمِـلٌ أو فـردُ قـومٍ لـيسَ بـالآهِـل
يُغْلـي بِنِـيءِ اللَّحـم حتَّـى إذا أنضـجَ لـم يُغْـل علـىٰ آكِـل

قال سفيان بن عُيينة : عن رَقَبَة بن مَصْقَلَة قال : لما حضرت الحسنَ الوفاةُ قال : أخرجوني إلى الصَّحن حتى أنظر في ملكوت السماوات ، فأخرجوا فراشه ، فرفع رأسه ، فنظر فقال : اللَّهمَّ إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعزُّ الأنفس علَيّ . قال : فكان مما صنع اللهُ له أن احتسب نفسه عنده .

قال عبد الرحمن بن مَهْدي : لما اشتد بسفيان الثوري المرض جزِع جزعاً شديداً ، فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال : ما هذا الجزع يا أبا عبد الله ؟! تقدم على ربٍّ عبدتَه ستين سنة ، صمتَ له ، صلَّيتَ له ، حججتَ له . . . قال : فسُرِّي عن الثوري .

وقال أبو نُعيم : لما اشتدَّ بالحسن بن علي الوجع جَزِع ، فدخل عليه رجل فقال له : يا أبا محمد ما هذا الجزَع ؟! ما هو إلّا أن تفارقَ روحُك جسدَك فتقدم على أبويك : علي وفاطمة ، وعلى جدَّيك : النبي ﷺ وخديجة ، وعلى أعمامك ، حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك : القاسم والطيِّب ومطهّر وإبراهيم ، وعلى خالاتك : رُقيَّة وأمِّ كلثوم وزينب . قال : فسُرِّي عنه .

وفي رواية : أن القائل له ذلك أخوه الحسين ، وأن الحسن قال له : يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أرَ مثلهم قطّ . قال : فبكى الحسين رضي الله عنهما.

رواه عباس الدُّوري ، عن ابن مَعِين . ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد ، عن أبيه فذكر نحوه .

وقال الواقدي[1] : حدّثنا إبراهيم بن الفضل ، عن أبي عتيق قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهدنا حسن بن عليٍّ يوم مات ، فكادت الفتنةُ تقعُ بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم ، لأنَّ الحسن كان قد عهد إلى أخيه أن يُدفن مع رسول الله ﷺ فإنْ خاف أن يكون في ذلك قتال أو شرّ فليُدْفن بالبقيع ،

= قلت : صرح المسعودي في مروج الذهب (٣/ ٥) بنسبتها للنجاشي . والنجاشي : هو قيس بن عمرو بن مالك ، من بني الحارث بن كعب ، من كهلان . شاعر هجاء مخضرم ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، أصله من نجران ، وانتقل إلى الحجاز ، ثم استقر بالكوفة وهجا أهلها ، وهدده عمر بقطع لسانه ، وضربه علي على السكر في رمضان . ترجمته في أعلام الزركلي (٥/ ٢٠٧) .

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) .

فأبى مروان أن يدعه ـ ومروان يومئذ معزولٌ ، وإنما أراد أن يرضي معاوية بذلك ـ ولم يزل مروان عدوًّا لبني هاشم حتى مات . قال جابر : فكلَّمت يومئذ حسين بن علي فقلت : يا أبا عبد الله ! اتَّقِ الله فإنَّ أخاك كان لا يحبُّ ما ترى ، فادفنه بالبقيع مع أمِّه ، ففعل .

ثم روى الواقدي : حدّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن [ابن][1] عمر قال : حضرت موت الحسن بن علي ، فقلت للحسين : اتَّقِ الله ، ولا تُثِرْ فتنة ، ولا تَسفِك الدماء ، وادفِنْ أخاك إلى جنب أمِّه ، فإنه قد عَهِدَ بذلك إليك . قال : ففعل .

وقد روى الواقدي عن أبي هريرة نحواً من هذا .

وفي رواية : أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك ، فأَذنت له ، فلمّا مات لبس الحسين السلاح ، وتسلَّح بنو أمية وقالوا : لا ندعُه يُدفن مع رسول الله ﷺ أيُدفن عثمان بالبقيع ويُدفن الحسن بن علي في الحُجْرة ؟! فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقّاص ، وأبو هريرة ، وجابر ، وابن عمر على الحسين ألّا يقاتل ، فامتثل ، ودفن أخاه قريباً من قبر أمِّه بالبقيع .

وقال سفيان الثوري : عن سالم بن أبي حَفْصة ، عن أبي حازم قال : رأيت الحسين بن علي قدَّم يومئذ سعيد بن العاص فصلَّى على الحسن ، وقال : لولا أنها سنَّةٌ ما قدَّمته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني مُساور ـ مولى بني سعد بن بكر ـ قال : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسنُ بن علي وهو ينادي بأعلى صوته : يا أيها الناس ! مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ فابْكُوا[2] .

وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزّحام ، وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً ، واستمرَّ نساء بني هاشم [يَنُحْنَ عليه شهراً ، وحدَّت نساء بني هاشم][3] عليه سَنَة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا محمد بن يحيى ، حدّثنا سفيان ، عن جعفر[4] بن محمد ، عن أبيه قال : قُتل عليٌّ وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها الحسن ، وقُتل لها الحسين .

وقال شعبة : عن أبي بكر بن حفص قال : توفي سعدٌ والحسنُ بن علي في أيام بعدما مضى من إمارة معاوية عشرُ سنين .

---

(١) سقط من ط . والخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٥) .
(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٥) .
(٣) سقط من (ب) .
(٤) تحرف في (أ) ، (ب) إلى : يحيى . والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٦) .

وقال [ابن][1] عُلَيَّة : عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين ، وكذا قال غير واحد ، وهو أصح .

والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين كما ذكرنا . وقال آخرون : مات سنة خمسين . وقيل : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين . والله أعلم سبحانه .

ثم دخلت سنة خمسين من الهجرة

في هذه السنة توفي أبو موسى الأشعري في قول ، والصحيح أنه مات سنة ثنتين وخمسين كما سيأتي .

وفيها حج بالناس معاوية ، وقيل : ابنه يزيد . وكان نائبَ المدينة سعيدُ بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسِجِسْتان وفارس والسِّند والهند زياد .

وفي هذه السنة اشتكى بنو نَهْشَل على الفرزدق إلى زياد ، فهرب الفرزدق منه إلى المدينة ، وكان سبب ذلك أنَّ الفرزدق هجا معاويةَ وعرَّض بذكره في قصيدة له ، فتطلَّبه زياد أشدَّ الطلب ، ففرَّ منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، وقال في ذلك أشعاراً ، ولم يزل يتردَّدُ بين مكة والمدينة حتى توفي زياد ، فرجع إلى بلاده . وقد طوَّل ابن جرير[2] قصته .

وذكر ابن جرير في هذه السنة من الحوادث ما رواه الواقدي : حدّثني يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبيه : أن معاوية كان قد عزم على تحويل منبر رسول الله ﷺ من المدينة إلى دمشق ، وأن يأخذ العصا [التي كان رسول الله ﷺ يُمْسكها في يده إذا خطب][3] فيقف معاوية على المنبر فيمسكها ، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ! نذكِّركَ الله أن تفعل هذا ، فإن هذا لا يصلح ، ولا يحل أن يُحوَّل المنبر عن موضعه الذي وضعه رسول الله ﷺ فيه ، وأن تخرج عصاه من المدينة . فترك ذلك معاوية ، ولكن زاد في المنبر ستَّ درجات [واعتذر إلى الناس][4] .

ثم روى الواقدي : أنَّ عبد الملك بن مروان في أيام خلافته هَمَّ بذلك وعزَم عليه ، فقيل له : إن معاوية كان قد عزَم على هذا ثم تركه ، وأنه لما حرّك المنبر وأراد قلعه كُسفت[5] الشمس . فترك ذلك .

ثم لما حجَّ الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً ، فقيل له : إنَّ معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه .

---

(١) سقط من (ط) .
(٢) تاريخه (٥/ ٢٤١ ـ ٢٥٠) .
(٣) سقط من (ب) .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩) .
(٥) في (ط) و (ب) : خسفت .

وكان السبب في تركه أنَّ سعيد بن المسيِّب كلَّم عمر بن عبد العزيز أن يكلِّمه في ذلك ويَعِظَه ، فترك .

ثم لما حجَّ سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد وأنَّ سعيد بن المسيِّب نهاه عن ذلك ، فقال سليمان : ما أحبُّ أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ، وما يكون لنا أن نفعل هذا ، ما لنا ولهذا ، وقد أخذنا الدنيا فهي في أيدينا فنريد أن نعمَدَ إلى علَم من أعلام الإسلام يفدُ إليه الناس فنحمله إلى ما قبلنا ؟! هذا ما لايَصلُح . رحمه الله .

وفي هذه السنة عزل معاويةُ عن مصر معاويةَ بن حُدَيج[1] ، وولَّى عليه مع إفريقية مَسْلمة بن مخلّد .

وفيها افتتح عُقبة بن نافع ـ عن أمر معاوية ـ بلاد إفريقية ، واختطَّ القَيْروان ، وكان مكانها غيضة تأوي إليها السِّباع والوحوش والحيّات العظام ، فدعا الله ، فلم يبقَ فيها شيءَ من ذلك ، حتى إن السِّباع جعلت تخرج منها حاملةً أولادها ، والحيّات يخرجن من أجحارهنَّ هوارب . فعند ذلك أسلم خلق كثير من البربر ، فبنى في مكانها القيروان .

وفيها غزا بُسْر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف أرض الروم .

وفيها غزا فَضَالة بن عُبيد البحر .

وفيها توفي :

مِدْلاج[2] بن عَمرو السُلمي[3] : صحابي جليل . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . ولم أر له ذكراً في الصحابة[4][5] .

وذكر أبو الفرح ابن الجَوْزي في كتابه « المنتظم » أن في هذه السنة توفي : جُبير بن مُطْعِم ، وحسان ابن ثابت ، والحكم بن عمرو الغِفَاري ، ودِحْيَة بن خليفة الكلبي ، وعَقيل بن أبي طالب ، وعمرو بن أمية الضَّمري بدري ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شُعبة ، وجُويرية بنت الحارث ، وصفيَّة بنت حيي ، وأمُّ شريك الأنصارية ، رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) تحرف في الأصول إلى : خديج . ضبطه ابن ماكولا في الإكمال (٢/ ٣٩٦) وغيره .

(٢) ويقال : مُدْلج .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٨) الجرح والتعديل (٨/ ٤٢٨) الاستيعاب (٤/ ١٤٦٨) أسد الغابة : (٥/ ١٣٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٨٦) الإصابة (ت٧٨٥٧) .

(٤) بعد هذا اختلف المطبوع عما ورد في (أ) ، ب من حيث ترتيب المترجمين في وفيات هذه السنة ، وقد أثبتهم حسب ورودهم في (أ) ، (ب) ، و(م) علماً بأن مضمون النسخ الأربع المعتمدة واحد .

(٥) هكذا قال ، وفي قوله نظر ، فهو مذكور في كتب الصحابة كما تقدم في الهامش السابق ، فلا وجه لما جزم به .

فأما جُبَير بنُ مُطْعِم[١] بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف القرشي النَّوْفلي ، أبو محمد ـ وقيل : أبو عدي[٢] ـ المدني ، فإنه قدم وهو مشرك في فداء أسارى بدر ، فلمّا سمع قراءة رسول الله ﷺ في سورة الطُّور ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] دخل في قلبه الإسلام ، ثم أسلم عام خَيْبر ، وقيل : زمن الفتح ، والأول أصح .

وكان من سادات قريش وأعلمها بالأنساب ، أخذ ذلك عن الصِّدِّيق .

والمشهور أنه توفي سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع وخمسين .

وأما حسان بن ثابت ـ شاعر الإسلام ـ فالصحيح أنه توفي سنة أربع وخمسين كما سيأتي .

وأما الحَكَم بن عَمرو بن مُجَدَّع الغِفَاري[٣] : أخو رافع بن عمرو الغفاري ـ ويقال له : الحكم بن الأَقرع ـ فصحابي جليل ، له عند البخاري[٤] حديث واحد في النهي عن لحوم الحمر الإنسيَّة .

وقد استنابه زياد بن أَبيه على غزو جبل الأَشَل[٥] ، فغنم شيئاً كثيراً من الذهب والفضَّة وغير ذلك ، فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يَصطفي من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله ، فردَّ عليه الحكم : إنَّ كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، أولم يسمعْ لقوله عليه السلام : « لاطاعةَ

---

(١) نسب قريش (٢٠١) طبقات خليفة (ت٤٣) تاريخ خليفة (٦٨ ، ١٥٤ ، ١٧٧ ، ٢٦٦) المحبر (٦٧ ، ٦٩) العلل لأحمد (١/ ٢٠٤) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٢٣) المعارف (٢٨٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٤ ، ٣٦٨ و٢/ ٢٠٦) الجرح والتعديل (٢/ ٥١٢) ثقات ابن حبان (٣/ ٥٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٥) معجم الطبراني الكبير (٢/ ١١٢) جمهرة أنساب العرب (١١٦) الاستيعاب (١/ ٢٣٠) أسد الغابة (١/ ٣٢٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٦) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥) تهذيب الكمال (٤/ ٥٠٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٥) العبر (١/ ٥٩) الكاشف (١/ ١٢٥) تذهيب التهذيب (١/ ١٠٢/أ) مرآة الجنان (١/ ١٢٧ و١٣٠) العقد الثمين (٣/ ٤٠٨) الإصابة (١/ ٢٢٥) تهذيب ابن حجر (٢/ ٦٣) خلاصة الخزرجي (٦٠) شذرات الذهب (١/ ٢٦٦) .

(٢) تحرف في (أ) ، (ب) إلى : عيسى .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨) تاريخ ابن معين (٢/ ١٢٦) طبقات خليفة (١٧٥ ، ٣٢١) تاريخ خليفة (٢١١) مسند أحمد (٤/ ٢١٢ و٥/ ٦٦) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٣٢٨) تاريخ البخاري الصغير (١٤٠) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥) الجرح والتعديل (٣/ ١١٩) ثقات ابن حبان (٣/ ٨٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٤١٥) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٢٣٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٤١) جمهرة أنساب العرب (١٨٦) الاستيعاب (١/ ٣٥٦) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٢٢٣) أنساب السمعاني (٩/ ١٦٥) أسد الغابة (٢/ ٤٠) تهذيب الكمال (٧/ ١٢٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٤) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٦٨) الكاشف (١/ ١٨٣) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٣٦) مجمع الزوائد (٩/ ٤١٠) الإصابة (٢/ ٢٧٣) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣٦) خلاصة الخزرجي (٨٩) .

(٤) (٩/ ٥٦٤) في الذبائح .

(٥) « الأشل » : جبل في ثغور خراسان . معجم البلدان (١/ ٢٠٠) .

لمَخْلوقٍ في مَعْصيَةِ الخالِق »[١] . ثم نادى في الناس : أن اغدُوا على غنائمكم ، وقسَّمها في الناس ، ولم يترك إلّا الخُمس . فيقال : إنه حُبس إلى أن مات بمرو في هذه السَّنة ، وقيل في سنة إحدى وخمسين ، رحمه الله .

وأما دِحْيَة بن خَليفة الكَلْبي[٢] : فصحابي جليل ، كان جميل الصُّورة ، ولهذا كان جبريل يأتي كثيراً على صورته .

وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى قيصر[٣] .

أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدراً ، وشهد ما بعدها ، ثم شهد اليرموك ، وأقام بالمزة ـ غربي دمشق ـ إلى أن مات في خلافة معاوية .

وفيها توفي :

عبدُ الرحمن بنُ سَمُرةَ[٤] بن حبيب بن ربيعة[٥] بن عبد شمس القرشي ، أبو سعيد العَبْشَمي .

أسلم يوم الفتح ، وقيل : إنه شهد مؤتة ، وغزا خراسان ، وافتتح سِجِسْتان وكابُل وغيرهما . وكانت له دار بدمشق ، وأقام بالبصرة ، وقيل : بمرو .

---

(١) حديث صحيح ، أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٦٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٩) تاريخ خليفة (٧٩) مسند أحمد (٤/ ٣١١) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٥٤) المعارف (٣٢٩) الجرح والتعديل (٣/ ٢٤٩) ثقات ابن حبان (٣/ ١١٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٨٠) معجم الطبراني الكبير (٤/ ٢٦٥) جمهرة أنساب العرب (٤٥٨) الاستيعاب (٢/ ٤٦١) الإكمال لابن ماكولا : (٣/ ٣١٤) أنساب السمعاني (١٠/ ٤٥٢) تاريخ ابن عساكر (٦/ ٢٤/ب) أسد الغابة (٢/ ١٥٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٨٥) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٥٩) تهذيب الكمال (٨/ ٤٧٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢١١) الكاشف (١/ ٢٢٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٦٥) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥) نهاية السول (ورقة ٩١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٨) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٦) الإصابة (٣/ ١٩١) خلاصة الخزرجي (١١٢) إعلام السائلين (٦٧ ـ ٨٠) (الطبعة الثانية) ، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٢٢١) .

(٣) تفصيل ذلك في إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (ص٦٧ ـ ٨٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥ و٣٦٦) تاريخ ابن معين (٣٤٩) طبقات خليفة (١١ ، ١٧٤) تاريخ خليفة (٢١١) مسند أحمد (٥/ ٦١) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٤٢) المعارف (٣٠٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٨٣) الجرح والتعديل (٥/ ٢٣٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٧٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٤٤) الاستيعاب (٢/ ٨٣٥) تاريخ ابن عساكر (٩/ ٤٨١/آ) أسد الغابة (٣/ ٤٥٤) مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ٢٦٠) تهذيب الكمال (ورقة ٧٩٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧١) الكاشف (٢/ ١٤٩) العبر (١/ ٥٥) تهذيب التهذيب (٦/ ١٩٠) الإصابة (٦/ ٢٨٤) خلاصة الخزرجي (٢٢٨) شذرات الذهب (١/ ٢٤٤) .

(٥) ليست كلمة ربيعة في المطبوع ، وهي موضع خلاف بين النسابين . أسد الغابة (٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) .

قال محمد بن سعد[1] وغير واحد : مات بالبصرة سنة خمسين ـ وقيل : سنة إحدى وخمسين ـ وصلَّى عليه زياد ، وترك عدَّة من الذكور .

وكان اسمه في الجاهلية عبد كُلال ، وقيل : عبد كلوب ، وقيل : عبد الكعبة ، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

وكان أحد السَّفيرين بين معاوية والحسن .

[وقد قال له رسول الله ﷺ : « يا عبدَ الرحمنِ بنَ سَمُرة ، لا تَسْأَلِ الإمَارة ، فإنَّكَ إنْ أُعْطيتَها عن مسألةٍ وُكِلْتَ إليها ، وإنْ أَعْطِيتَها عن غير مسألةٍ أُعِنْتَ عليها »][2] .

وفيها توفي :

عثمان بن أبي العاص الثقفي[3] : أبو عبد الله الطائفي . له ولأخيه الحكَم صحبة .

قدم على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، فاستعملَه رسول الله ﷺ على الطائف ، وأقرَّه عليها أبو بكر وعمر ، فكان إمامهم وأميرهم مدَّة طويلة حتى مات سنة خمسين ـ وقيل سنة إحدى وخمسين ـ رضي الله عنه .

وأما عَقِيل بن أبي طالب[4] : أخو عليّ . وكان أكبرَ من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أكبر من

---

(١) طبقاته الكبرى (٧/ ٣٦٧) ، وتهذيب الكمال (١٧/ ١٥٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . وتمام الحديث : وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فائت الذي هو خير وكفِّر عن يمينك .
وقد أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٦٢ ـ ٦٣) والبخاري رقم (٧١٤٦) في الأحكام : باب من سأل الإمارة وكل إليها ، ومسلم (١٦٥٢) في الأيمان ، وأبو داود (٣٢٧٧) والنسائي (٧/ ١٠) في النذور ، والترمذي (١٥٢٩) في النذور والأيمان ، وقال : حسن صحيح .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٠٨) طبقات خليفة (٥٣ ، ١٨٢ ، ١٩٧) تاريخ خليفة (١٤٩ ، ١٥٢) مسند أحمد (٤/ ٢١ و٢١٦) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢١٢) ثقات العجلي (٣٢٨) المعارف (٢٦٨ ، ٥٥٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٧٣) الجرح والتعديل (٦/ ١٦٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢٤) معجم الطبراني الكبير (٩/ ٣٠ ، ٥٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٦١٨) الاستيعاب (٣/ ١٠٣٥) أسد الغابة (٣/ ٥٧٩) تهذيب الكمال (ورقة ٩١٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٤) الكاشف (٢/ ٢٢٠) مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٠) تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٨) الإصابة (٦/ ٣٨٨) خلاصة الخزرجي (٢٦٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٤٢) طبقات خليفة (ت١٧ و٨٢٠ و١٤٨١) مسند أحمد (٢/ ٢٠١ و٣/ ٤٥١) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٥٠) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٤٥) ثقات العجلي (٣٣٨) المعارف (الفهرس) ، الجرح والتعديل (٦/ ٢١٨) مشاهير علماء الأمصار (ت١٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٥) جمهرة أنساب العرب (٦٩) الاستيعاب (٣/ ١٠٧٨) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٣٦٣/ أ) أسد الغابة (٤/ ٦٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣٣٧) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١١٤) تهذيب الكمال (ورقة ٩٥١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٣) تذهيب التهذيب (٣/ ٤٧/ ب) سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٩) الكاشف (٢/ ٢٣٩) نكت الهميان (٢٠٠) مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٣) العقد الثمين (٦/ ١١٣) الإصابة (٢/ ٤٩٤) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٥٤) خلاصة الخزرجي (٢٦٩) .

علي بعشر سنين ، كما أن طالباً أكبر من عَقيل بعشر سنين ، و كلُّهم أسلم إلّا طالباً .

أسلم عَقيل قبل الحُدَيبية ، وشهد مُؤتة ، وكان من أنسب قريش ، وكان قد ورث أقرباءه الذين هاجروا وتركوا أموالهم وديارهم بمكَّة ، ومات في خلافة معاوية .

وأما عَمرو بن أميَّة الضَّمْري[١] : فصحابي جليل . أسلم بعد أُحد ، وأول مشاهده بئر مَعُونة .

وكان ساعي رسول الله ﷺ إلى النَّجاشي في تزويج أمِّ حبيبة ، وأن يأتي بمَنْ بقي من المسلمين هناك . وله أفعال حسنة وآثار محمودة رضي الله عنه .

توفي في خلافة معاوية .

وفيها كانت وفاة :

عَمرو بن الحَمِق بن الكاهن الخُزاعي[٢] : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وقيل : إنما أسلم عام حجَّة الوداع[٣] .

وقد ورد في حديث « أن رسول الله ﷺ دعا له أن يُمْتِعَه اللهُ بشَبابه ، فعاش ثمانين سنة لا يُرى في لحيته شعرةٌ بيضاء »[٤] . ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان ، ثم صار بعد ذلك من شِيعة علي ، فشهد معه الجمل وصفِّين .

وكان من جملة الذين قاموا مع حُجْر بن عدي ، فتطلَّبه زياد ، فهرب منه إلى المَوْصل ، فبعث معاوية

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٨) طبقات خليفة (ت١٨٢) مسند أحمد (٤/ ١٣٩ و١٧٩ و٥/ ٢٨٧) المحبر (٧٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٨٣) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣٠٧) ثقات العجلي (٣٦٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٢٥) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٢٣) جمهرة أنساب العرب (١٨٥) الاستيعاب (٣/ ١١٦٢) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٦٢) أنساب السمعاني (٨/ ١٥٩) تاريخ ابن عساكر (١٣/ ١٩٨/ ب) أسد الغابة (٤/ ١٩٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٢٤) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ١٧٨) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٤) تذهيب التهذيب (٣/ ٩٤/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٩) الكاشف (٢/ ٢٨٠) العقد الثمين (٦/ ٣٦٥) الإصابة (٢/ ٥٢٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٦) خلاصة الخزرجي (٢٨٧) إعلام السائلين (٤٩ ـ ٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥) مسند أحمد (٥/ ٢٢٣) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٠٥) ثقات العجلي (٣٦٣) الأوائل لابن قتيبة (٤١) المعارف (٢٩١) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٠) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٧٩) الأوائل للعسكري (٦٥) الاستيعاب (٣/ ١١٧٣) أسد الغابة (٤/ ٢١٧) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٠١) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٤) الكاشف (٢/ ٢٨٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٣) الإصابة (ت٥٨١٨) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٣) خلاصة الخزرجي (٢٨٨) .

(٣) قال ابن عبد البر : والأول أصح .

(٤) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٤٧٥) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٢١٧) من حديث عمرو بن الحمق . وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك .

إلى نائبها ، فطلبوه فوجدوه قد اختفى في غار ، فنهشَتْه حيَّة فمات ، فقُطع رأسه ، فبُعث به إلى معاوية ، فطِيف به في الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشَّريد ـ وكانت في سجن معاوية ـ فأُلقي في حِجْرها ، فوضعت كفَّها على جبينه ولثمت فمه وقالت : غيَّبْتُموه عنِّي طويلاً ، ثم أهديتُموه إليَّ قتيلاً ، فأهلاً بها من هديَّة غير قالية ولا مقليَّة[١] .

وأما كعبُ بنُ مالك[٢] : السَّلَمي الأنصاري ، شاعر الإسلام ، فإنه أسلم قديماً ، وشهد العَقَبة ، ولم يشهد بدراً كما ثبت في « الصحيحين » في سياق توبة الله عليه ، فإنه كان أحد الثلاثة الذين تِيبَ عليهم لمّا تخلَّفوا عن غزوة تبوك كما تقدم ذلك مفصَّلاً [في التفسير ، وكما تقدم في غزوة تبوك][٣] .

وغلِط ابن الكلبي في قوله : إنه شهد بدراً ، وفي قوله : توفي قبل الأربعين ، فإن الواقدي ـ وهو أعلم ـ قال : توفي سنة خمسين . وقال الهيثم[٤] بن عدي : سنة إحدى وخمسين[٥] .

المُغيرة بنُ شُعبة[٦] بن أبي عامر بن مسعود ، أبو عيسى [ويقال : أبو محمد][٧] ويقال :

---

(١) تتمة كلامها وما دار بينها وبين معاوية في أعلام النساء لكحالة (١/ ١١) نقلاً عن بلاغات النساء لابن أبي طاهر .

(٢) طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٢٠) طبقات خليفة (١٠٣) تاريخ خليفة (٢٠٢) مسند أحمد (٣/ ٤٥٤ و٦/ ٣٨) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢١٩) المعارف (٣٤٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٨) الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٦٣) الأغاني (١٦/ ٢٢٦) معجم الشعراء للمرزباني (٢٢٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٤٠) الاستبصار (١٦٠) الاستيعاب (٣/ ١٣٢٣) أنساب السمعاني (٧/ ١١٤) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٨٦/ آ) أسد الغابة (٤/ ٤٨٧) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٨٨) تهذيب الكمال (ورقة ١١٤٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٢٣) العبر (١/ ٥٦) الكاشف (٣/ ٨) نكت الهميان (٢٣١) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٠) الإصابة (٨/ ٣٠٤) خلاصة الخزرجي (٣٢١) كنز العمال (١٣/ ٥٨١) شذرات الذهب (١/ ٢٤٤) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في (أ) .

(٤) تحرف في الأصول إلى : القاسم .

(٥) وقع في (أ) ، (ب) : إحدى وأربعين وهو خطأ .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٤ و٦/ ٢٠) طبقات خليفة (٣٦١ ، ٨٨٤ ، ١٤١٩) مسند أحمد (٤/ ٢٤٤) المحبر (الفهرس) ، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣١٦) ثقات العجلي (٤٣٧) المعارف (٢٩٤) الأوائل لابن قتيبة (٢٠ ، ٦٠) المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٤) الجرح والتعديل (٨/ ٢٢٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٦٩) الأغاني (١٦/ ٧٩) جمهرة أنساب العرب (٢٦٧) الاستيعاب (٤/ ١٤٤٥) تاريخ بغداد (١/ ١٩١) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٩٩) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣٣/ ب) أسد الغابة (٥/ ٢٤٧) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٦١) تهذيب الأسماء واللغات : القسم الأول من الجزء الثاني (١٠٩) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٥٤) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٦٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٧) تذهيب التهذيب (٤/ ٦٠/ أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١) الكاشف (٣/ ١٤٨) العبر (١/ ٥٦) مرآة الجنان (١/ ١٢٤) العقد الثمين (٧/ ٢٥٥) الإصابة (ت٨١٨١) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٦٢) خلاصة الخزرجي (٣٨٥) شذرات الذهب (١/ ٢٤٥) .

(٧) سقط من (ط) .

أبو عبد الله الثَّقفي . [وعروة بن مسعود الثقفي](١) عمُّ أبيه .

كان المغيرة من دهاة العرب وذوي آرائها . أسلم عام الخندق بعد ما قَتل ثلاثة عشر رجلاً من ثَقيف مرجعَهم من عند المُقَوْقِس(٢) ، وأَخذ أموالهم ، فغُرم دياتهم عُروة بن مسعود . وشهد الحُديبية ، وكان واقفاً يوم الصُّلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صَلْتاً . وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب ، فهدما اللاَّت ، وقد قدَّمنا كيفية ذلك . وبعثه الصدِّيق إلى البحرين ، وشهد اليَمامة واليرموك وأُصيبت عينه يومئذ ، وقيل : بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه . وشهد القادسيَّة . وولّاه عمر فتوحاً كثيرة منها : همذان ومَيْسان . وأرسله سعد بن أبي وقاص إلى رُسْتم ، فكلَّمه بذلك الكلام الفصيح البليغ . واستنابه عمر على البصرة ، فلمّا شُهد عليه بالزِّنى ـ ولم يثبتْ عليه(٣) ـ عزله عنها وولّاه الكوفة ، واستمرَّ به عثمان حيناً ثم عزله ، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمَيْن فلحق بمعاوية ، فلما قُتل علي وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولّاه عليها ، فلم يزل أميرَها حتى مات في هذه السنة على المشهور . قاله محمد بن سعد(٤) وغيره .

وقال الخطيب(٥) : أجمع الناس على ذلك ، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة تسع وأربعين . وقال ابن عبد البَرّ(٦) : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ثمان وخمسين . وقيل سنة ست وثلاثين ، وهو غلط .

قال محمد بن سعد : كان المغيرة أصهبَ الشَّعر جداً ، أكشف اللون ، مقلَّص الشفتَيْن ، أهتم(٧) ، ضخم الهامة ، عَبْل الذِّراعين ، بعيد ما بينَ المنكبين ، وكان يفرق رأسه أربعة قُرون(٨) .

وقال الشَّعبي : القُضاة أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدُّهاة أربعة : معاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة ، [وزياد .

وقال الزُّهري : الدُّهاة في الفتنة خمسة : معاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة](٩) بن

(١) سقط من (أ) .

(٢) اسمه جريج بن مينا ، والمقوقس لقب له . إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (ص٨١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧ ـ ٢٨) .

(٤) في طبقاته (٦/ ٢٠) .

(٥) في تاريخه (١/ ١٩١ ـ ١٩٣) ، لكن فيه : أنه توفي في شعبان لا في رمضان .

(٦) الاستيعاب (٤/ ١٤٤٦) .

(٧) « الأهتم » : من انكسرت ثناياه .

(٨) « قرون » : جمع قَرْن ، وهو الذؤابة . ولم نجد هذا النص في طبقات ابن سعد فلعله في الجزء المخروم من ترجمته فيها ، وهو في تاريخ ابن عساكر والسير وغيرهما .

(٩) ما بين حاصرتين سقط من (أ) . والقول في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٧) والسير (٣/ ٢٢ ـ ٢٣) .

شُعبة ـ وكان معتزلاً ـ وقيس بن سعد بن عُبَادة ، وعبد الله بن بُدَيل بن ورقاء ، وكانا مع علي .

قلت : والشِّيعة يقولون : الأشياخ[(١)] خمسة : رسول الله ﷺ وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين . والأضداد خمسة : أبو بكر ، وعمر ، ومعاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة بن شُعبة .

وقال الشعبي : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبني أحدٌ إلّا فتىً ، مرة ، أردت أن أتزوَّج امرأة ، فاستشرته فيها ، فقال : أيها الأمير ! لا أرى لك أن تتزوَّجها ، فقلت له : لم ؟ فقال : إني رأيت رجلاً يقبِّلُها . ثم بلغني عنه أنه تزوَّجها ، فقلت له : ألم تزعم أنك رأيتَ رجلاً يقبِّلها ؟ فقال : نعم ، رأيت أباها يقبِّلها وهي صغيرة[(٢)] .

[وقال أيضاً : سمعت قَبيصة بن جابر يقول : صحبتُ المغيرة بن شعبة ، فلو أن مدينة لها ثمانيةُ أبواب لا يُخرج من باب منها إلا بمكرٍ لخرج المغيرة من أبوابها كلِّها .

وقال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول][(٣)] : كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحبُ المرأة الواحدة تَحِيض فيَحيض معها ، وتمرض فيمرض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين تشتعلان ، وصاحب الأربعة قرير العين . وكان يتزوَّج أربعاً معاً ويطلِّقهنَّ معاً .

وقال عبد الله بن نافع الصّائغ : أَحصن المغيرةُ ثلاثمئة امرأة . وقال غيره : ألف امرأة . وقال قَتادة : مئة امرأة . وقيل : ثمانين امرأة . فالله أعلم .

وأما جُوَيْرِيَة بنتُ الحارث[(٤)] بن أبي ضِرار الخُزاعيَّة المُصْطلقيَّة، أمّ المؤمنين ، فكان سباها رسول الله ﷺ في غزوة المُرَيْسِيع ، وهي غزوة بني المُصْطلق ، وكان أبوها ملكَهُم ، فأسلمت ، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوَّجها . وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس، فكاتَبَها، فأتَتْ رسول الله ﷺ تستعينُه في كتابتها ، فقال : « أو خيرٌ مِنْ ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أَشتريك ، وأُعتقك ، وأَتزوَّجك » فأعتقها ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا ما بأيديهم من سَبْي بني المُصْطلق ، وكان نحواً من مئة أهل بيت . قالت عائشة : فما أعلمُ امرأةً كانت أعظمَ بركةً على أهلها منها[(٥)] .

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : الأشباح .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (أ) ، ومكانه بياض في ب . مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٧٤ و١٧٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ١١٦) طبقات خليفة (٣٤٢) تاريخ خليفة (٢٢٤) مسند أحمد (٦/ ٣٢٤ و٤٤٩) المعارف (١٣٨) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٢) مستدرك الحاكم (٤/ ٢٥) الاستيعاب (٤/ ١٨٠٤) أنساب السمعاني (١١/ ٣٤٥) أسد الغابة (٧/ ٥٦) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦١) الكاشف (٣/ ٤٢٢) العبر (١/ ٦١) مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٠) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٧) الإصابة (١٢/ ١٨٢) خلاصة الخزرجي (٤٨٩) كنز العمال (١٣/ ٧٠٦) شذرات الذهب (١/ ٢٥٧) أعلام النساء (١/ ٢٢٧) .

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٧) ، وأبو داود (٣٩٣١) في العتق من حديث عائشة ، وهو حديث حسن .

وكان اسمها بَرَّة ، فسمّاها رسول الله ﷺ جُوَيْرِيَة[(١)] .

وكانت امرأة مُلاَّحة ـ أي : حلوة الكلام .

توفيت في هذه السنة كما ذكره ابن الجَوْزي وغيره عن خمس وستّين سنة . وقال الواقدي : سنة ست وخمسين ، رضي الله عنها وأرضاها .

وأما صَفِيَّة بنتُ حُيَيّ[(٢)] بن أَخطَب بن سَعْية[(٣)] بن ثعلبة بن عبيد[(٤)] بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب ابن النَّضير بن النحام بن نحوم ، أمّ المؤمنين ، النَّضريَّة ، من سلالة هارون أخي موسى عليهما السلام . وكانت مع أبيها وعمها حُدَي بن أخطب بالمدينة ، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النَّضير ساروا إلى خيبر ، وقُتل أبوها حُيَي مع بني قُريظة صَبْراً كما قدَّمنا ، فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر كانت صَفِيَّة من جملة السَّبي ، فوقعت في سهم دِحْية بن خليفة الكَلْبي ، فذكر لرسول الله ﷺ جمالها وأنها بنت ملكهم ، فاصطفاها لنفسه ، وعوَّض دِحْية عنها ، وأسلمت ، فأعتقها وتزوَّجها ، فلما حلَّت بالصَّهْباء[(٥)] بنى بها ، وكانت ماشطتَها أمُّ سُلَيم .

وقد كانت تحت ابن عمِّها كنانة بن أبي الحُقَيْق ، فقُتل في المعركة بخيبر ، ووجد رسول الله ﷺ بخدِّها لطمةً فقال : ما هذه ؟ فقالت : إني رأيت كأن القمرَ أقبل من يثرب فسقط في حِجْري ، فقصصتُ المنام على ابن عمي ، فلطمني وقال : أتتمنَّيْنَ أن يتزوَّجك ملك يثرب ؟ فهذه من لطمته .

وكانت من سيِّدات النساء عبادةً وورعاً وزهادة وبرّاً وصَدَقة . رضي الله عنها .

قال الواقدي : توفيت سنة خمسين . وقال غيره : سنة ست وثلاثين . والأول أصح ، والله أعلم .

وأما أمُّ شَرِيك الأَنصَارِيَّة[(٦)] : ـ ويقال : العامريَّة ـ فهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فقيل : قَبِلَها ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٠) في الآداب : باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن . . .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ١٢٠) تاريخ خليفة (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦) مسند أحمد (٦/ ٣٣٦) المعارف (١٣٨) المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، مستدرك الحاكم (٤/ ٢٨) الاستيعاب (٤/ ١٨٧١) جامع الأصول (٩/ ١٤٣) أسد الغابة (٧/ ١٦٩) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٨) العبر (١/ ٥٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣١) الكاشف (٣/ ٤٢٩) مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٠) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٩) الإصابة (١٣/ ١٤) خلاصة الخزرجي (٤٩٢) كنز العمال (١٣/ ٦٣٧ ، ٧٠٤) شذرات الذهب (١/ ٢٤٥) أعلام النساء (٢/ ٣٣٣) .

(٣) وردت في المطبوع شعبة وقد اختلفت المصادر في تقييد هذا الاسم على أقوال منها : شعبة ، وسعية ، وسعنة . . . إلخ وأثبت ما في (أ) ، ب وهو أقربها إلى الصحة فيما وصلت إليه ، وهو الذي اختاره الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٥/ ٦٧) .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عبد .

(٥) « الصهباء » : موضع قرب خيبر .

(٦) تاريخ ابن معين (٧٤٢) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤) طبقات خليفة (٣٣٥) مسند أحمد (٦/ ٤٢١ ، ٤٦٢) الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٤) الاستيعاب (٤/ ١٩٤٣) أسد الغابة (٧/ ٣٥٢) تهذيب الكمال (ورقة=

وقيل : لم يقبلْها . ولم تتزوج حتى ماتت[١] [ترجو بذلك أن تكون من أزواجه][٢] .

وهي التي سُقيتْ بدلو من السماء لمّا منعها المشركون الماء ، فأَسلموا عند ذلك .

واسمها غزيَّة ـ وقيل : غُزَيلة ـ بنت دودان بن عمرو بن عامر [بن رواحة بن مُنقذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤي .

أسلمت قديماً .

قلت : قد ذكر ابن الجوزي والمؤلِّف في « جامع المسانيد » أن رسول الله ﷺ دخل بها لمّا وهبت نفسها له . وروت أحاديث . وقيل : لما رأى كبر سنِّها طلَّقها ، والله أعلم .

ماتت في هذه السنة][٣] على الصحيح . وقال ابن الجوزي : ماتت سنة خمسين . ولم أره لغيره .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

فيها كان مقتل حُجْر بن عديّ وأصحابه ، وهو :

حُجْر بنُ عَديّ[٤] بن جَبَلَة بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الكرم[٥] بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع بن كندة[٦] الكوفي ، ويقال : حُجر الخير ، ويقال له : حُجر بن الأَدْبَر ، لأن أباه عَديّاً طُعن مولِّياً فسمِّي الأَدْبر . [ويُكنى حُجر بأبي عبد الرحمن][٧] . وهو من كِنْدة ، من رؤساء أهل الكوفة .

= (١٧١١) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٥) الكاشف (٣/ ٤٤٢) الإصابة (١٣/ ٢٣٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٢) خلاصة الخزرجي (٤٩٨) أعلام النساء (٢/ ٢٩٦) .

(١) مثله في طبقات ابن سعد ووقعت في ط : مات .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (ط) ، (ب) ، وذكر ابن الأثير الخلافَ في اسمها ونسبها في أسد الغابة (٧/ ٣٥٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢١٧) طبقات خليفة (ت١٠٤٢) المحبر (٢٩٢) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٧٢) التاريخ الصغير (١/ ٩٥) المعارف (٣٣٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٠) ، الأخبار الطوال (٢٢٣) ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٣) الجرح والتعديل (٣/ ٢٦٦) مروج الذهب (٣/ ١٢) مشاهير علماء الأمصار (ت٦٤٨) الأغاني (١٧/ ١٣٣) معجم الطبراني الكبير (٤/ ٣٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٦٨) جمهرة أنساب العرب (٤٢٦) الاستيعاب (١/ ٣٢٩) تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٣١/ ب) أسد الغابة (١/ ٤٦١) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٧٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٣٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٢) العبر (١/ ٥٧) مرآة الجنان (١/ ١٢٥) الإصابة (١/ ٣١٤) شذرات الذهب (١/ ٢٤٧) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٨٧) .

(٥) وقعت في ط : الأكبر . وفي مصادر الترجمة : الأكرمين .

(٦) في الأصل : ابن كندي ، والتصحيح من جمهرة الأنساب .

(٧) سقط من ط .

قال ابن عساكر[١] : وفد إلى النبي ﷺ . وسمع علياً ، وعمّاراً ، وشراحيل بن مرَّة ـ ويقال : شرحبيل ابن مرّة . وروى عنه أبو ليلى مولاه ، وعبد الرحمن بن عباس ، وأبو البَخْتري الطائي . وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عَذْراء[٢] ، وشهد صفّين مع عليّ أميراً ، وقُتل بعَذْراء من قرى دمشق ، ومسجد قبره بها معروف . ثم ساق ابن عساكر بأسانيده إلى حُجْر فذكر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره .

وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة ، وذكر له وفادة على النبي ﷺ ثم ذكره في الأولى من تابعي أهل الكوفة . قال : وكان ثقة معروفاً ، ولم يرو عن غير[٣] علي شيئاً .

قال ابن عساكر : بل قد روى عن عمّار ، وشراحيل بن مرَّة .

وقال أبو أحمد العسكري : أكثر المحدثين لا يُصحِّحون له صحبة . شهد القادسية ، وافتتح مرج[٤] عَذْراء ، وشهد الجمل وصفّين ، وكان مع علي حُجْر الخير ـ وهو حُجْر بن عديّ هذا ـ وحُجْر الشَّر[٥] ـ وهو حُجْر بن يزيد بن سلمة بن مُرَّة .

وقال المرزباني : قد روي أن حُجْر بن عديّ وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانىء بن عديّ . وكان هذا الرجل من عُبّاد الناس وزُهّادهم ، وكان بارّاً بأمّه ، وكان كثير الصلاة والصيام . قال أبو مَعْشر : ما أحدثَ قطُّ إلّا توضأ ، ولا توضأ إلّا صلّى ركعتين . وهكذا قال غير واحد .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يعلى بن عُبيد ، حدّثني الأعمش ، عن أبي إسحاق قال : قال سلمان لحُجر : يا بن أمّ حُجْر ، لو تقطَّعت أعضاؤك ما بلغت الإيمان .

وكان ينكر على المغيرة بن شعبة ـ إذ كان المغيرة على الكوفة ـ إذا ذكر علياً في خطبته فتنقَّصه بعد مدح عثمان وشِيعته فيغضب حُجْر هذا ويظهر الإنكار عليه ، ولكن كان المغيرة فيه حِلْم وأناة ، فكان يصفح عنه ويَعِظُه فيما بينه وبينه ، ويحذِّره غِبَّ[٦] هذا الصَّنيع ، فإنَّ معارضة ذي السلطان شديدٌ وبالُها . فلم يرجع حُجْر عن ذلك . فلمّا كان في آخر أيام المغيرة قام حُجْر يوماً ، فأنكر عليه في الخطبة ، وصاح به ، وذمَّه بتأخيره العطاء عن الناس ، وقام معه فِئَام من الناس[٧] لقيامه ، وتبعه قومه فشنَّعوا على المغيرة ، فدخل

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

(٢) وتلفظ العامة اسمها اليوم عَذرا وهي من قرى غوطة دمشق ، تقع في الشمال الشرقي منها ، وتبعد عنها خمسة عشر ميلاً تقريباً .

(٣) سقطت لفظة غير من آ . طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٠) .

(٤) وقعت في ط : برج .

(٥) في الأصول : حجر الشرف . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٧) .

(٦) « غب الأمر ومغبته » : عاقبته .

(٧) « الفئام » : الجماعة . ووقعت في ط : فقام الناس .

المغيرة القصر بعد الصلاة ، ودخل معه جمهور الناس من الأمراء ، فأشاروا على المغيرة أن يردَع حُجْراً هذا عما يتعاطاه من الجرأة على السلطان وشقِّ العصا والقيام على الأمراء ، وذمَّروه وحثُّوه على التنكيل به . فصفَح عنه وحَلُم به .

وذكر يونس بن عبيد : أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمدُّه بمال يبعثه من بيت المال ، فبعث عِيراً تحمل مالاً ، فاعترض لها حُجْر ، فأمسك بزِمام أوَّلها وقال : لا والله حتى تعطيَ كل ذي حقٍّ حقَّه . فقال شباب ثقيف للمغيرة : ألا نأتيك برأسه ؟ فقال : ما كنت لأفعل ذلك بحُجْر ، فتركه ، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولَّى زياداً .

والصحيح أن المغيرة ما زال والياً حتى مات ، فلما مات جمع معاوية الكوفة مع البصرة لزياد ، فدخلها وقد التف على حُجْر جماعات من شِيعة عليٍّ يقوُّون أمره ، ويشدُّون على يده ، ويسبُّون معاوية ويتبرَّؤون منه . فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة ذكر في آخرها فضائل عثمان ، وذمَّ مَنْ قتله أو أعان على قتله ، فقام حُجْر كما كان يقوم في أيام المغيرة ، وتكلَّم بما كان يكلِّم به المغيرة ، فلم يعرض له زياد . ثم ركب زياد إلى البصرة ، وأراد أن يأخذ حُجْراً معه إلى البصرة لئلاّ يحدث حدثاً ، فقال : إني مريض ، فقال : والله إنك لمريض الدين والقلب والعقل ، والله لئن أحدثتَ شيئاً لأسعينَّ في ذلك إلى معاوية . ثم سار زياد إلى البصرة ، فبلغه أن حُجْراً وأصحابه أنكروا على نائبه بالكوفة ـ وهو عمرو بن حُريث ـ وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة ، فركب زياد إلى الكوفة ، فنزل القصر ، ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سُنْدس ومطرف خزّ أحمر ، قد فَرَق شعره ، وحُجْر جالس وحوله أصحابه أكثر ما كانوا [يومئذ ، وكان مَنْ لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، وجلسوا حوله][1] في المسجد في الحديد والسلاح . فخطب زياد ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن غِبَّ البغي والغيِّ وخيم ، وإن هؤلاء القوم أَمِنُوني فاجترؤوا عليّ ، وايم الله لئن لم تستقيموا لأُداوينَّكم بدوائكم . ثم قال : ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حُجْر وأدعه نكالاً لمن بعدَه ، ويلُ امِّكَ يا حُجْر ، سقط بك العشاءُ على سِرْحان . ثم قال :

أَبْلِـغْ نَصِيحَـةَ أَنَّ راعـيَ إِبْلِهـا ... سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرْحانِ[2]

وجعل زياد يقول في خطبته : إنَّ من حقِّ أمير المؤمنين [إنَّ من حقِّ أمير المؤمنين ، فقال حُجْر : كذبتَ ، فسكت زياد ونظر إليه ثم عاد : إن من حق أمير المؤمنين ، إن من حق أمير المؤمنين][3] ـ يعني

(١) من المطبوع فقط .
(٢) « السرحان » : الذئب ، وهذا مثل يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف . وهو في مجمع الأمثال للميداني (١/٣٢٨) .
(٣) سقط من المطبوع .

كذا وكذا ـ فأخذ حُجْر كفّاً من حصى ، فحصبَه بها وقال : كذبتَ ، عليك لعنة الله . فانحدر زياد ، فصلَّى ، ثم دخل القصر ، واستحضر حُجْراً .

ويقال : إن زياداً لما خطب طوَّل الخطبة وأخَّر الصلاة ، فقال له حُجْر : الصلاة ، فمضى في خطبته [١] ، فلمّا خشي حُجْر فوت الصلاة عمد إلى كفٍّ من حصى ، ونادى : الصلاة [بصوت عالٍ وصيحة عظيمة حتى سمعها أهل المسجد ومَنْ هو خـارج منه][٢] وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلَّى بالناس ، فلمّا انصرف من صلاته كتب إلى معـاوية في أمـره وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية : أن شُدَّه في الحديد واحملْه إلي ، فبعث إليه زياد والي الشرطة ـ وهو شدّاد بن الهيثم ـ ومعه أعوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع عن الحضور إلى زياد ، وقام دونه أصحابه ، فرجع الوالي إلى زياد فأعلمه ، فاستنهض زيادٌ جماعاتٍ من القبائل ، فركبوا مع الوالي إلى حُجْر وأصحابه ، فكان بينهم قتال بالحجارة والعِصيّ ، فعجزوا عنه ، فندب له محمد بن الأشعث ، وأمهله ثلاثاً ، وجهَّز معه جيشاً ، فركبوا في طلبه ، ولم يزالوا في طلبه حتى أحضروه إلى زياد ، وما أغنى عنه قومه ولا مَنْ كان يظن أنه ينصره ، فعند ذلك قيَّده زياد ، وسجنه عشرة أيام ، ثم بعث به إلى معاوية ، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سبَّ الخليفة ، وأنه حارب الأمير ، وأنه يقول : إن هذا الأمر لا يصلُح إلَّا في آل علي بن أبي طالب .

وكان من جملة الشهود عليه أبو بُرْدة بن أبي موسى ، ووائل بن حجر ، وعمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وإسحاق وإسماعيل وموسى بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزُّبير ، وكَثِير بن شهاب ، وشَبَث[٣] بن رِبْعي . . . في سبعين رجلاً[٤] . ويقال : إنه كتبت شهادة شُريح القاضي فيهم ، وإنه أنكر ذلك وقال : إنما قلت لزياد : إنه كان صوّاماً قوّاماً .

ثم بعث زياد حُجْراً وأصحابه مع وائل بن حُجْر وكَثِير بن شهاب إلى الشام .

وكان مع حُجْر بن عديٍّ من أصحابه جماعة ، قيل : عشرون ، وقيل أربعة عشرة رجلاً ، منهم : الأرقم بن عبد الله الكندي ، وشريك بن شدّاد الحَضْرمي ، وصَيْفي بن فَسيل[٥] ، وقَبِيصة بن ضُبيعة بن حرملة العبسي ، وكريم بن عفيف الخَثْعمي ، وعاصم بن عوف البَجَلي ، وورقاء بن سُمَيّ البَجَلي ،

---

(١) من (أ) فقط .

(٢) من (أ) فقط .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : ثابت .

(٤) تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (٥/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

(٥) الأغاني (١٧/ ١٤٤) .

وكِدَام بن حيان[١] وعبد الرحمن بن حسان العَنَزيّان من بني هُمَيم[٢] ، ومحرز بن شهاب التَّميمي ، وعبد[٣] الله بن حَوِيَّة السَّعدي التَّميمي أيضاً . فهؤلاء أصحاب حُجْر الذين وصلوا معه إلى معاوية . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين : عتبة بن الأخنس ـ من بني سعد ـ وسعيد بن نمران[٤] الهَمْداني ، فكملوا أربعة عشر رجلاً ، فساروا بهم إلى الشام .

ويقال : إن حُجراً لما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فغضب معاوية غضباً شديداً . وأمر بضرب عنقه هو ومن معه . ويقال : إن معاوية ركب فتلقاهم إلى مرج عَذْراء . ويقال : بل بعث إليهم مَن تلقاهم إلى عَذْراء تحت الثنيَّة ـ ثنيّة العقاب ـ فقتلوا هنالك . بعث إليهم معاوية من دمشق ثلاثة نفر وهم : هُدْبَة بن فيّاض القَضاعي ، وحُصين[٥] بن عبد الله الكِلابي ، وأبو شريف البدوي[٦] ، فجاؤوا إليهم عشاءً ، فبات حُجر وأصحابه يصلُّون طول الليل ، فلما صلَّوا الصبح قتلوهم . وهذا هو الأشهر ، والله أعلم .

وذكر محمد بن سعد : أنهم دخلوا على معاوية فردَّهم ، فقُتلوا بعَذْراء .

وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حين وصل بهم إلى مرج عَذْراء ـ[وقيل : إنهم حُبسوا فيها][٧] ـ فمن مُشير بقتلهم ، ومن مُشير بتفريقهم في البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كانت له حاجة في ملك العراق . فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة [وقتل منهم ستة][٨] أولهم حُجر بن عدي ، ورجع آخر ، فعفا عنه معاوية ، وبعث بآخر نال من عثمان وزعم أنه أول من جار في الحكم ومدح علياً ، فبعث به معاوية إلى زياد وقال : لم تبعث إليَّ فيهم أردى من هذا . فلما وصل إلى زياد دفنه في الناطف[٩] حيًّا ـ وهو عبد الرحمن بن حسان العَنَزي[١٠] .

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : حبان .

(٢) قوله : العنزيان من بني هميم . . . ، ورد بدلاً عنه في (أ) : الغنوي . وفي ب : العنزيان من بني هيثم . وفي ط : العريان من بني تميم . وكلها تحريف ، والمثبت من تاريخ الطبري (٥/ ٢٧١) وأيضاً من اللباب لابن الأثير مادة (الهميمي) .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبيد .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عمران .

(٥) تحرف في المطبوع إلى : حضير .

(٦) كذا في الأصول، وورد في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير : أبو شريف البدّي وفي الأغاني : أبو صريف البدري.

(٧) من (أ) فقط .

(٨) سقط من ب .

(٩) في الأغاني (١٧/ ١٥٣) قس الناطف . وقُس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي ، كما في معجم البلدان (٤/ ٣٤٩) .

(١٠) تحرفت هذه النسبة في أ ، ب إلى : العنبري . وفي ط إلى : الفري .

وهذه تسمية الذين قُتلوا بعَذْراء : حُجر بن عديّ ، وشريك بن شدّاد ، وصيفي بن فَسيل الشيباني ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسي ، ومُحْرز بن شهاب المِنْقري السَّعدي ، وكدام بن حيان[١] العَنَزي [وعبد الرحمن بن حسان العَنَزي المبعوث إلى زياد المدفون في الناطف][٢] .

ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القَصَب في غربيّه[٣] [ومنهم من يزعم أنهم مدفونون بمسجد السَّبعة خارج باب تُوما ـ وإنما نسبت السبعة إليهم لأنهم سبعة ـ في شرقيّه][٤] . والصحيح أنهم مدفونون بعَذْراء من غوطة دمشق ، رحمهم الله .

ويُذكر أن حُجراً لما أرادوا قتله قال : دعُوني حتى أتوضأ ، فقالوا : توضأ ، فقال : دعُوني حتى أصلِّي ركعتين ، فصلاّهما وخفَّف فيهما ثم قال : والله ما صلَّيت صلاة قطُّ أخفَّ منهما ، ولولا أن يقولوا أن ما بي جزعٌ من الموت لأطلتُهما ، ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة . ثم قدَّموه للقتل ـ وقد حُفرت قبورهم ، ونُشرت أكفانهم ـ فلما تقدم إليه السَّيّاف ارتعدت فرائصُه ، فقيل له : إنك قلت لست بجازع من القتل ! فقال : ومالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً . فأرسلها مثلاً . ثم تقدَّم إليه السَّيّاف ، وهو أبو شريف البدوي ، وقيل : تقدم إليه رجل آخر ، فلما أراد ضرب عنقه قال له : ارفع عنقك واشدُده ، فقال : لا أُعين على قتل نفسي فأُسأل عن ذلك يوم القيامة ، فضربه فقتله . وكان قد أوصى أن يُدفن في قيوده ، ففُعل به ذلك ، وقيل : بل غسَّلوه وصلَّوا عليه .

وروي أن الحسن بن علي لما بلغه قتل حُجر وأصحابه قال : أَصلَّوا عليهم ، وغسَّلوهم ، واستقبلوا بهم القِبلة ، ودفنوهم في قيودهم ؟ قالوا : نعم ، قال : حَجُوهم[٥] وربِّ الكعبة . والظاهر أن قائل هذا هو الحسين بن علي [أو الحسن البَصْري][٦] فإن حُجراً إنما قتل في سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ثلاث وخمسين ، وعلى كل تقدير فالحسن كان قد مات قبلَه ، والله أعلم .

وروينا أن معاوية لما دخل على أمِّ المؤمنين عائشة فسلَّم عليها من وراء الحجاب ـ وذلك بعد مقتل

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : حبان .
(٢) سقط من ط ، ب .
(٣) تحرفت لفظة غربيه في المطبوع إلى : عرفة . وحي مسجد القصب معروف بدمشق ، ويقع شرقي حي العمارة .
(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٥) حجَّه يحجُّه حجّاً : غلبه بالحُجة .
(٦) ما بين حاصرتين سقط من ط ، ب ، وهو ما قاله ابن الأثير في الكامل (٣/ ٤٨٦) .

حجر وأصحابه ـ قالت له : أين ذهب عنك حِلْمُك يا معاوية حين قتلتَ حُجراً وأصحابَه ؟ فقال لها : فقدتُه حين غاب عنِّي من قومي مثلُكِ يا أمّاه ، ثم قال لها : فكيف برِّي بك يا أمّاه ؟ فقالت : إنك بي لبارّ ، فقال : يكفيني هذا عند الله ، وغداً لي ولحُجر موقف بين يدي الله عزَّ وجل . وفي رواية : أنه قال لها : إنما قتله الذين شهدوا عليه .

وروى ابن جرير[١] أن معاوية لما حضره الموتُ جعل يُغَرْغر بروحه وهو يقول : إنَّ يومي بكَ يا حُجر بن عديٍّ لطويل . قالها ثلاثاً ، فالله أعلم .

وقال محمد بن سعد في « الطبقات »[٢] : ذكر بعض أهل العلم أن حُجراً وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانىء بن عديّ ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب ، فلمّا قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا حُجر بن عديٍّ فقال له : تعلم أني أعرفك ، وقد كنت أنا وإيّاكَ[٣] على ما قد علمت ـ يعني من حبِّ علي ـ وإنه قد جاء غير ذلك ، وإني أنشدك اللهَ أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كلّه ، املِكْ عليك لسانَك وليَسَعْك منزلُك ، وهذا سريري فهو مجلسُك ، وحوائجك مقضيَّة لديّ ، فاكفني نفسَك فإني أعرف عجلتك ، فأنشدك الله في نفسك ، وإياك وهذه السَّفَلَة[٤] وهؤلاء السُّفهاء أن يَسْتزلُّوك عن رأيك . . . فقال حُجر : قد نصحتَ ونهيت ، ثم انصرف إلى منزله ، فأتاه الشِّيعة فقالوا : ما قال لك ؟ قال : قال لي كذا وكذا [قالوا : ما نصح لك][٥] . وسار زياد إلى البصرة ، فجعل الشِّيعة يتردَّدون إلى حُجر ويقولون له : أنت شيخنا وذو رأينا . وإذا جاء المسجد مَشَوا معه ، فأرسل إليه عمرو بن حُريث ـ وكان نائب زياد على الكوفة ـ يقول : ما هذه الجماعة وقد أَعطيتَ الأمير ما قد علمت ؟! فقال للرسول : إنهم يُنكرون ما أنتم عليه ، إليك وراءك أوسع لك . فكتب عمرو بن حُريث إلى زياد : إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعَجَل . فأعجلَ زياد السَّير إلى الكوفة ، فلما وصل بعث إلى حُجر بن عديٍّ عديَّ بن حاتم ، وجرير بن عبد الله البَجَلي ، وخالد بن عُرْفُطَة في جماعة من أشراف أهل الكوفة ليَنْهَوه عن هذه الجماعة ، فأتوه فجعلوا يكلِّمونه ، وجعل لا يردُّ عليهم شيئاً ، وإنما جعل يقول : يا غلام ! اعلفِ البِكْر ـ لبكر مربوط في الدار ـ فقال له عديُّ بن حاتم : أمجنون أنت ؟ نكلِّمك وأنت تقول : يا غلامُ اعلفِ البِكر ، ثم قال عديٌّ لأصحابه : ما كنت أظنُّ هذا البائس بلغ به الضعف كلَّ ما أرى . ثم نهضوا فأخبروا زياداً ببعض الخبر وكتموه بعضاً ، وحسَّنوا أمر حُجر عنده ، وسألوه الرِّفق به ، فلم يقبل ، بل

(١) في تاريخه (٥/ ٢٧٩) .
(٢) الطبقات الكبرى (٦/ ٢١٧ ـ ٢٢٠) .
(٣) في ط : وأباك ، وهو تحريف .
(٤) وقعت في ط : السقطة .
(٥) سقط من ط .

بعث إليه الشُّرَطَ والبخاريّة[١] ، فأتي به وبأصحابِه ، فقال له زياد : ويلك مالك ؟ فقال : إني على بيعتي لمعاوية . فجمع زياد سبعين من وجوه أهل الكوفة فقال : اكتبوا شهاداتكم على حُجر وأصحابه ، ففعلوا ، ثم أوفدهم على معاوية . وبلغ الخبر عائشة ، فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم ، فوجدهم قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين ، ولكن كان حُجر فيمن قُتل ، وكان قد سألهم أن يصلِّي ركعتين قبل أن يقتلوه ، فصلَّى ركعتين طوَّلهما وقال : إنها لأخفُّ صلاة صلَّيتها . وجاء رسول عائشة بعد ما فُرغ من شأنهم ، فلما حجَّ معاويةُ قالت له عائشة : أين عَزَبَ[٢] عنك حلمُكَ حين قتلتَ حُجراً ؟ فقال : حين غابَ عنِّي مثلُكِ من قومي .

ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية : أقتلتَ حُجر بن الأدبر ؟ فقال معاوية : قتلُه أحبُّ إليَّ من أن أقتل معه مئة ألف .

وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حُجر بن عدي وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ، ويطلقون فيه مقالة الجَوْر ، وينتقدون على الأمراء ، ويسارعون في الإنكار عليهم ، ويبالغون في ذلك ، ويتولَّون شيعة علي ، ويتشدَّدون في الدين .

ويروى أنه لما أُخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناتُه في الطريق وهن يبكين ، فمال نحوهنّ ، فسكت ساعة ثم قال : إن الذي يُطعمكنَّ ويَسْقيكنَّ ويكسيكنَّ هو الله ، وهو حيٌّ باقٍ لا يموت ، وهو لكُنَّ بعدي ، فعليكنَّ بتقوى الله وعبادته ، والصبر ابتغاء وجهه ، والتوكل عليه [وإني لأرجو من ربي عز وجل في وجهي هذا إحدى الحسنَيَيْن : إما الشهادة وهي السعادة الكبرى ، وإما الانصراف إليكنَّ في عافية ، وإني لأرجو من الله الذي كان يكفيني مؤنتكنَّ ألَّا يضيعَكنَّ ، وأن يحفظني فيكنّ . ثم انصرف ، فمرَّ بقومه ، فجعلوا يدعون الله له بالعافية ، فأتوا به وبأصحابه مرج عَذْراء ، فقُتلوا ودفنوهم مستقبلي القِبلة ، رحمهم الله وعفا عنهم][٣]

وقد قالت امرأة من المتشيِّعات تَرثي حُجراً ـ وهي هند بنت زيد بن مَخْرمة الأنصاريَّة ـ ويقال : إنها لهند أخت حُجر ، فالله أعلم :

تـرفَّـعْ أيُّهـا القمـرُ المُنيـرُ تَبَصَّرْ هَلْ تَرىٰ حُجْراً يَسِيرُ

يَسِيرُ إلى معاويةَ بنِ حَرْبٍ ليقتُلَـهُ كمـا زَعَـمَ الأَمِيـرُ

---

(١) هكذا في أ ، ب وطبقات ابن سعد . ووقعت في ط : المحاربة .

(٢) « عزب » : غاب .

(٣) ما بين حاصرتين لفظُه من النسخة أ ، وما جاء في ب ، ط في المعنى نفسه ، إلا أن فيه تقديماً وتأخيراً وتبديلاً في بعض الألفاظ والجمل .

يرىٰ قتلَ الخيارِ عليهِ حقًّا ... لـهُ مِـنْ شَـرِّ أُمَّتِـهِ وزيـرُ
أَلَا يا ليتَ حُجْراً ماتَ مَوْتاً ... ولَـمْ يُنْحَـرْ كمـا نُحِـرَ البَعيـرُ
تجبَّـرَتِ الجبابـرُ بعـدَ حُجْـرٍ ... وطابَ لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ[1]
وأَصبحـتِ البـلادُ لـهُ مُحُـولاً ... كـأنْ لـمْ يُحْيِهـا مُـزْنٌ مَطِيـرُ
أَلَا يا حُجْرُ حُجْرَ بني عَدِيٍّ ... تَلَقَّتْـكَ السَّـلامَـةُ والسُّـرورُ
أخافُ عليكَ ما أردىٰ عَدِيًّا ... وسَبْعاً في دمشقَ له زَئيرُ[2]
فإنْ تهلِكْ فكلُّ زعيمِ قَومٍ ... مِـنَ الـدُّنيـا إلـى هُلْـكٍ يَصِيـرُ
فرضوانُ الإلَٰهِ عليكَ مَيْتاً ... وجنـاتٌ بهـا نِعَـمٌ وحُـورُ[3]

وقد ذكر ابن عساكر له مراثي كثيرة .

وقال يعقوب بن سفيان[4] : حدّثني حَرْملة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن لَهِيعَة ، عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشةَ فقالت : ما حملكَ على قتل أهل عَذْراء : حُجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنين إني رأيتُ في قتلهم صلاحاً للأمة ، وفي بقائهم فساداً للأمة . فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سَيُقتلُ بعَذْراء ناسٌ يغضبُ اللهُ لهم وأهلُ السَّماء » .

وهذا إسناد ضعيف منقطع .

وقد رواه عبد الله بن المبارك ، عن ابن لَهِيعة ، عن أبي الأسود : أن عائشة قالت : « بلغني أنه سَيُقتل بعَذْراء أناسٌ سبعة[5] يغضبُ اللهُ لهم وأهلُ السماء » .

وقال يعقوب بن سفيان : [حدّثني ابن بُكير][6] حدّثني ابن لَهِيعة ، حدّثني الحارث بن يزيد ، عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال : سمعت عليَّ بن أبي طالب يقول : يا أهل العراق ! سَيُقتل منكم سبعةُ نفر بعَذْراء ، مثلُهم كمثل أصحاب الأُخدود . قال : فقتل حُجر وأصحابه .

---

(١) « الخورنق والسدير » : قصران قرب الحيرة ، لهما ذكر كثير في أشعار العرب .
(٢) رواية البيت في الأغاني كما يلي :
أخاف عليك سطوة آل حرب ... وشيخـاً فـي دمشـق لـه زئيـر
(٣) الأبيات ـ ما عدا الأخير منها ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٠) والأغاني (١٧/ ١٥٤ ـ ١٥٥) والطبري (٥/ ٢٨٠) وابن الأثير (٣/ ٤٨٨) ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٤٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) وشاعرات العرب (٤٦٢ ـ ٤٦٣) وغيرها من المصادر .
(٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) .
(٥) سقطت هذه اللفظة من ط .
(٦) سقط من ط ، ب . والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) .

ابن لهِيعة ضعيف .

وروى الإمام أحمد ، عن ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن نافع قال : كان ابن عمر في السوق ، فنُعي له حُجر ، فأطلق حبوته وقام ، وغلب عليه النَّحيب(١) .

وروى الإمام أحمد أيضاً ، عن عفان ، عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، عن عبد الله بن أبي مُلَيكة ـ أو غيره ـ قال : لمّا قدم معاوية المدينة دخل على عائشة ، فقالت : أقتلتَ حُجراً ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنين [إني وجدتُ قتل حُجر فيه صلاح للأمَّة ـ أو قال : صلاح الناس . وفي رواية](٢) : إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خيرٌ من استحيائه في فسادهم(٣) .

وقال حمّاد بن سلَمة : عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن مروان بن الحكم قال : دخلت مع معاوية على أمِّ المؤمنين عائشة ، فقالت : يا معاوية قتلتَ حُجراً وأصحابَه وفعلتَ الذي فعلت ، أما خشيتَ أن أخبأ لك رجلاً يقتلك ؟ فقال : لا ، إني في بيت أمان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الإيمانُ قَيّدُ(٤) الفَتْكَ ، لا يَفْتِكُ مُؤْمن » . يا أمَّ المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح . قال : فدعيني وحُجراً حتى نلتقي عند ربنا عزَّ وجل(٥) .

[وفي رواية : أنها حجَبتْه وقالت : لا يدخل عليَّ أبداً ، فلم يزل يتلطَّف حتى دخل ، فلامَتْه في قتله حُجراً لوماً عنيفاً ، فلم يزل يعتذر حتى عَذَرَتْه](٦) .

وفي رواية أخرى : أنها كانت تتوعَّدُه كثيراً وتقول : لولا يغلبنا سفهاؤنا لكان لي ولمعاوية في قتله حُجراً شأن . فلما اعتذر إليها عذَرَتْه [على إغماض ، والله أعلم](٧)(٨) .

---

(١) إسناده صحيح . وهو في السير (٣/ ٤٦٦) .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٣) السير (٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) .

(٤) وقعت في أ ، ط : ضد وماأثبته من ب ومصادر التخريج .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٩٢) وأبو داود (٢٧٦٩) في الجهاد : باب في العدو يؤتى على غرّة ، وهو حديث صحيح .
« والفتك » : أن يأتي الرجلُ الرجلَ وهو غارّ غافل فيشد عليه فيقتله .
وقوله : « الإيمان قيّد الفتك » يعني : أن الإيمان يمنع القتل كما يمنع القيد عن التصرف .

(٦) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٧) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . والإغماض ـ كما جاء في اللسان ـ المسامحة والمساهلة .

(٨) هنا تنتهي ترجمة حجر بن عدي ، ويتابع المؤلف ذكر أحداث هذه السنة ، لكن ما سيأتي مضطرب ـ من حيث الترتيب ـ في النسخ ، وقد أثبت ما ورد في النسخة (أ) لكونه أقرب إلى الصواب .

قال المؤلف : قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة ولّى زيادٌ على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الربيعَ بن زياد الحارثي ، ففتح بلخ صُلحاً ، وكانوا قد أغلقوها بعدما صالحهم الأحنف بن قيس ، وفتح قوهِسْتان عَنْوة ، وكان عندها أتراك ، فقتلهم ولم يبقَ منهم إلَّا نَيْزك[٢] طَرْخان ، فقتله قُتيبة بن مسلم بعد ذلك كما سيأتي .

وفيها غزا الربيع ـ هذا المذكور ـ ما وراء النهر ، فغَنِمَ وسَلم .

وفيها حج بالناس يزيد بن معاوية ـ فيما قاله أبو مَعْشر والواقدي .

وذكر ابن الجوزي في « المنتظم » أنه توفي في هذه السنة من الأكابر : جرير بن عبد الله البَجَلي ، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث ، وحارثة بن النعمان ، وحُجر بن عدي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وعبد الله بن أُنيس ، وأبو بكرة نُفَيع بن الحارث الثقفي ، رضي الله عنهم .

فأما جَرير بنُ عبد الله البَجَلي[٣] : فأسلم بعد نزول المائدة في رمضان سنة عشر ، وكان قدومه ورسول الله ﷺ يخطُب ، وكان قد قال في خطبته : « إنَّه يقدمُ عليكم رجلٌ من هذا الفَجِّ من خير ذي يَمَن ، وإنَّ على وجهه مسحةَ مَلَك » فلما دخل جرير رماه الناس بأبصارهم ، فكان كما وصف رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك ، فحمِدَ الله تعالى[٤] .

ويُروى أن رسول الله ﷺ لمّا جالسَهُ بسطَ له رداءه وقال : « إذا جاءَكم كريمُ قومٍ فأكرِمُوه »[٥] .

وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخَلَصَة ـ وهو بيت كانت تعظِّمه دَوْس في الجاهليّة ـ فذكر للنبي ﷺ أنه لا يَثْبُتُ على الخيل ، فضرب في صدره وقال : « اللهمَّ ثَبِّتْهُ واجعلْهُ هادياً مَهْديًا »[٦] فذهب إليه فهدَمه .

---

(١) في تاريخه (٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) .

(٢) تحرفت في ط إلى : ترك .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢) طبقات خليفة (١١٦ ، ١٣٨) تاريخ خليفة (٢١٨) مسند أحمد (٤/ ٣٥٧) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢١١) المعارف (٢٩٢) المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، الجرح والتعديل (٢/ ٥٠٢) ثقات ابن حبان (٣/ ٥٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٧٥) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٣٢٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٦٤) الاستيعاب (١/ ٢٣٦) ، تاريخ بغداد (١/ ١٨٧) ، جامع الأصول (٩/ ٨٥) أسد الغابة (١/ ٣٣٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٧) تهذيب الكمال (٤/ ٥٣٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٠) العبر (١/ ٥٧) الكاشف (١/ ١٢٦) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٠٤) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٧٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٧٣) الإصابة (٢/ ٧٦) خلاصة الخزرجي (٦١) شذرات الذهب (١/ ٢٤٧ و٢٥٠) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٤) وهو صحيح .

(٥) أخرجه البزار برقم (٢٧٣٩) . وقال الهيثمي : رواه الطبراني والبزار ، وفيه جماعة لم أعرفهم . وللحديث شواهد عن غيره من الصحابة فهو بها حسن .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٥) والبخاري رقم (٣٠٤٠) ، ومسلم (٢٤٧٦) في فضائل الصحابة .

وفي « الصحيحين » عنه أنه قال : « ما حَجَبَني رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ ، ولا رآني إلا تَبَسَّم »[١]

وكان عمر بن الخطاب يقول : جريرٌ يوسفُ هذه الأمَّة .

وقال عبد الملك بن عُمَير : رأيت جريراً كأنَّ وجهَه شِقَّة قمر .

وقال الشعبي : كان جرير هو وجماعة مع عمر في بيت ، فاشتمَّ عمر من بعضهم ريحاً ، فقال : عزمتُ على صاحب هذه الرِّيح إلّا قام فتوضَّأ . فقال جرير : أوَ نقوم كلّنا فنتوضّأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعمَ السَّيدُ كنتَ في الجاهلية ، ونعمَ السيِّدُ أنتَ في الإسلام[٢] .

وقد كان عاملاً لعثمان على هَمَذان[٣] وبلادها ـ ويقال : إنه أُصيبت عينُه هناك ـ فلما قُتل عثمان اعتزل عليّاً ومعاوية ، ولم يزل مقيماً بالجزيرة حتى توفي بالشَّراة سنة إحدى وخمسين . قاله الواقدي . وقيل : سنة أربع ، وقيل : سنة ست وخمسين .

وأما **جعفر بن أبي سفيان**[٤] **بن الحارث بن عبد المطَّلب** ، فأسلم مع أبيه حين تلقَّياه بين مكة والمدينة عام الفتح ، فلما ردَّهما قال أبو سفيان : والله لئن لم يأذن لي عليه لآخذنَّ بيد بُنيّ هذا فلأذهبنَّ في الأرض فلا يُدرى أين أذهب ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ له ، وأذن له ، وقَبل إسلامهما ، فأسلما إسلاماً حسناً بعدما كان أبو سفيان يؤذي رسول الله ﷺ أذى كثيراً .

وشهد حُنيناً ، وكان ممَّن ثبت يومئذ .

وأما **حارثة بن النُّعمان الأنصاريُّ النجّاري**[٥] : فشهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلَّها ، وكان من فضلاء الصحابة ، ويُروى أنه رأى جبريل مع رسول الله ﷺ بالمقاعد يتحادثان بعد خَيْبر ، وأنه رآه يوم بني قُريظة في صورة دِحْية الكلبي[٦] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٥) والبخاري رقم (٣٨٢٢) ، ومسلم (٢٤٧٥) في فضائل الصحابة .

(٢) تهذيب الكمال (٤/ ٥٣٩) .

(٣) تحرفت في الأصول إلى : همدان . معجم البلدان (٥/ ٤١٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٥٥) الجرح والتعديل (٢/ ٤٨٠) الاستيعاب (١/ ٢٤٥) أسد الغابة (١/ ٣٤١) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٥) العقد الثمين (٣/ ٤٢٣) الإصابة (٢/ ٨٥) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٧) طبقات خليفة (٩٠) مسند أحمد (٥/ ٤٣٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٩٣) الجرح والتعديل (٣/ ٢٥٣) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٢٥٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٢٠٨) الاستبصار (٥٩) الاستيعاب (١/ ٣٠٦) أسد الغابة (١/ ٤٢٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٨) مجمع الزوائد (٩/ ٣١٣) الإصابة (٢/ ١٩٠) .

(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٨) .

وفي الصحيح[١] : أن رسول الله ﷺ سمع قراءته في الجنَّة[٢] .

قال محمد بن سعد : حدّثنا عبد الرحمن بن يونس ، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك ، حدّثنا محمد بن عثمان عن أبيه : أن حارثة بن النعمان كان قد كُفَّ بصرهُ ، فجعل خيطاً من مُصَلاّه إلى باب حُجْرته ، [وكان يضع عنده مِكْتَلاً فيه تمرٌ وغيره][٣] فإذا جاءه المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ يُمسك بذلك الخيط حتى يضع ذلك في يد المسكين . وكان أهله يقولون له : نحن نكفيك ذلك ، فيقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ مُناولةَ المسكينِ تَقي مِيْتَةَ السُّوء »[٤] .

وأما حُجر بن عدي فقد تقدَّمت قصته مطولةً مبسوطة .

وأما سعيدُ بنُ زيد[٥] بن عَمرو بن نُفيل : القرشي [أبو الأعور العدوي][٦] فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وهو ابن عمِّ عمر بن الخطّاب، وأختُه عاتكة زوجة عمر، [وأخت عمر فاطمة زوجة سعيد][٧] .

أسلم سعيد قبل عمر هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة .

قال عروة والزهري وموسى بن عُقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد : لم يشهد بدراً لأنه كان قد بعثَه رسول الله ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتحسَّسان أخبار قريش فلم يَرْجعا حتى فرغ من بدر ، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما . ولم يذكره عمر في أهل الشُّورى لئلاّ يُحابي قرابته

---

(١) هكذا قال، وهي عادته في الإشارة إلى صحيح البخاري أو مسلم، وهو ليس فيهما، فلعله أراد: في الحديث الصحيح، وهو بعيد، فإن كان ذلك كذلك، فكلامه صحيح .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠١١٩) وأحمد (٦/ ١٥١ و١٥٢ و١٦٦ و١٦٧)، والنسائي في الكبرى (٨٢٣٣)، وابن حبان (٧٠١٥) من حديث عمرة عن عائشة، وهو حديث صحيح .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع . و « المكتل » : الزبيل ـ القفة ـ الذي يحمل فيه التمر أو العنب .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٨) ورواه الطبراني الكبير رقم (٣٢٢٨) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » وفيه من لم أعرفه ، ويغني عنه ، حديث « صنائع المعروف تقي مصارع السوء » وهو حديث حسن ، رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٩ و٦/ ١٣) نسب قريش (٤٣٣) طبقات خليفة (٢٢ ، ١٢٧) تاريخ خليفة (٢١٨) مسند أحمد (١/ ١٨٧) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ت ١٥٠٩) التاريخ الصغير (١/ ١٠١) المعارف (٢٤٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩١) وغيرها ، الجرح والتعديل (٤/ ٢١) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٥٧) مشاهير علماء الأمصار (ت١١) حلية الأولياء (١/ ٩٥) جمهرة أنساب العرب (١٥١ ، ١٧٠) الاستيعاب (٢/ ٦١٤) تاريخ ابن عساكر (٧/ ١١٥/ ب) أسد الغابة (٢/ ٣٨٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٧) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٩٨) تهذيب الكمال (١٠/ ٤٤٦) تاريخ الإسلام (١/ ٢٨٥) سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٩) الكاشف (١/ ٢٨٦) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٨٤) العقد الثمين (٤/ ٥٥٩) نهاية السول (ورقة ١١٥) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٤) الإصابة (٤/ ١٨٨) خلاصة الخزرجي (١٣٨) شذرات الذهب (١/ ٢٤٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ١٢٩) .

(٦) ليس في ط .

(٧) ليس في أ .

من عمر فولّى ، فتركه لذلك ، وإلّا فهو ممّن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في جملة العشرة كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة .

ولم يتولَّ بعد رسول الله ﷺ ولاية ، ومازال كذلك حتى مات بالكوفة ـ وقيل : بالمدينة وهو الأصح ـ قال الفلاّس وغيره : سنة إحدى وخمسين [وقيل : سنة ثنتين وخمسين][1] والله أعلم .

وكان رجلاً طُوالاً أشعر ، وقد غسّله سعد بن أبي وقّاص ، وحُمل من العَقيق على أعناق الرجال إلى المدينة ، وكان عمره يومئذ بضعاً وسبعين سنة .

وأما عبد الله بن أُنَيْس الجُهَني[2] : أبو يحيى المدني ، فصحابي جليل ، شهد العقبة ، ولم يشهد بدراً ، وشهد ما بعدها ، وكان هو ومعاذ يكسِران أصنام الأنصار .

له في الصحيح حديث : أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين[3] .

وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان الهُذَلي ، فقتلَه بعُرَنَة[4] ، وأعطاه رسول الله ﷺ مِخْصرة[5] وقال : « هٰذِهِ آيةُ ما بَيْني وبَيْنَكَ يومَ القيامَة » فأَمر بها فدُفنت معه في أكفانه[6] .

وقد ذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة إحدى وخمسين . وقال غيره : سنة أربع وخمسين [وقيل : سنة ثمان وخمسين][7] وقيل : سنة ثمانين . والله أعلم .

وأما أبو بَكْرة نُفَيْع بن الحارث[8] : ابن كَلَدة بن عمرو بن عِلاج بن أبي سلمة الثَّقفي ، فصحابيٌّ

---

(١) ليس في أ .

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦١٩) طبقات خليفة (١١٨) مسند أحمد (٣/ ٤٩٥) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ت ٢٦) المعارف (٢٨٠) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٨) الجرح والتعديل (٥/ ١) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٣٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٨١) الاستيعاب (٣/ ٨٦٩) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢٤٥) أنساب السمعاني (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦ ، البركي) ، أسد الغابة (٣/ ١٧٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٠) تهذيب الكمال (١٤/ ٣١٣) الكاشف (٢/ ٦٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٣١٥٠) العبر (١/ ٥٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٩) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٣١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٤٥) نهاية السول (ورقة ١٦٣) توضيح المشتبه (١/ ٤٦٨) الإصابة (٢/ ت٤٥٥٠) تهذيب التهذيب (٥/ ١٤٩) خلاصة الخزرجي (١٩١) شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) .

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٨) في الصيام : باب فضل ليلة القدر .

(٤) وقعت في أ : بعرفة . وبطن عرنة ـ كهمزة ـ واد بحذاء عرفات .

(٥) « المخصرة » : شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه ، مثل العصا ونحوها .

(٦) أخرجه أحمد في المسند مطولاً (٣/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦) وإسناده ضعيف .

(٧) من (أ) فقط .

(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥) طبقات خليفة (ت٣٦٧ ، ٩٨٢ ، ١٤٢٠) مسند أحمد (٥/ ٣٥) المحبر (١٢٩ ، ١٨٩) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ١١٢) المعارف (٢٨٨) الجرح والتعديل (٨/ ٤٨٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢٠) الاستيعاب (٤/ ١٥٣٠) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥٣٣) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣١٦/آ) أسد الغابة =

جليل ، كبير القدر ، ويقال : كان اسمه مَسْروح ، وإنما قيل له أبو بَكْرة لأنه تدلَّى في بَكْرة يوم الطائف فأعتقه رسول الله ﷺ وكل من نزل من مواليهم يومئذ .

وأمه سُميَّة هي أمُّ زياد .

وكان ممَّن شهد على المغيرة بن شعبة بالزنى هو وأخوه زياد ، ومعهما شِبْل[١] بن مَعْبد ونافع بن الحارث ، فلمّا تلكّأ زياد في الشهادة جلد عمر الثلاثة الباقين ، ثم استتابهم فتابوا إلَّا أبا بَكْرة فإنه صمَّم على الشهادة [وقال المغيرة : يا أمير المؤمنين اشفِني من هذا العبد ، فنهرَه عمر وقال له : اسكت ! لو كملت الشهادة لرجمتُك بأحجارك][٢] . وكان أبو بكرة خير هؤلاء الشهود .

وكان ممَّن اعتزل الفتن ، فلم يحضر شيئاً منها .

ومات في هذه السنة ـ وقيل : قبلها بسنة ، وقيل : بعدها بسنة ـ وصلَّى عليه أبو بَرْزة الأَسْلمي ، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ .

وفيها توفيت :

أم المؤمنين مَيْمونة بنتُ الحارث الهِلاليَّة[٣] : تزوَّجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء[٤] سنة سبع . قال ابن عباس ـ وكان ابنَ أختها أمِّ الفضل ـ : تزوَّجها رسول الله ﷺ وهو مُحْرِمٌ[٥] . وثبت في « صحيح مسلم »[٦] عنها : أنهما كانا حلالَيْن . وقولها مقدَّم عند الأكثرين على قول ابن عباس .

= (٥/ ٣٥٤ و٦/ ٣٨) تهذيب الأسماء واللغات (الجزء الثاني من القسم الأول : ١٩٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٨٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٤٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٩) تذهيب التهذيب (٤/ ٢٠٥/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥) الكاشف (٣/ ١٨٤) العبر (١/ ٥٨) العقد الثمين (٧/ ٣٤٧ و٨/ ٢٩) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦٩) الإصابة (ت٨٧٩٥) خلاصة الخزرجي (٤٠٤) شذرات الذهب (١/ ٢٥٠) .

(١) تحرف في المطبوع إلى : سهل . ترجمته في أسد الغابة (٢/ ٥٠٣) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ١٣٢) طبقات خليفة (٣٣٨) تاريخ خليفة (٨٦ ، ٢١٨) مسند أحمد (٦/ ٣٢٩) المعارف (١٣٧) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٠) الاستيعاب (٤/ ١٩١٤) أسد الغابة (٧/ ٢٧٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٧٠٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٨) الكاشف (٣/ ٤٣٥) العبر : (١/ ٤٥ ، ٥٧) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٩) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٣) الإصابة (١٣/ ١٣٨) خلاصة الخزرجي (٤٩٦) كنز العمال (١٣/ ٧٠٨) شذرات الذهب (١/ ٢١٩ ، ٢٤٨) أعلام النساء (٥/ ١٣٨) .

(٤) ويقال لها أيضاً : عمرة القضية . قال السهيلي : سميت عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشاً . زاد المعاد (٢/ ٩٠ ـ ٩١) .

(٥) رواه البخاري رقم (٥١١٤) ومسلم رقم (١٤١٠) .

(٦) برقم (١٤١١) .

وروى الترمذي[١] عن أبي رافع ـ وكان السَّفير بينهما ـ « أنهما كانا حلالَيْن » .

ويقال : كان اسمها برَّة ، فسمّاها رسول الله ﷺ مَيْمونة .

وتوفيت بسَرِف بين مكة والمدينة ـ حيث بنىٰ بها رسول الله ﷺ ـ في هذه السنة ، وقيل : في سنة ثلاث وستين ، [وقيل : سنة ست وستين][٢] والمشهور الأول . وصلَّى عليها ابن أُختها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين

ففيها غزا بلاد الروم وشتا بها سفيان بن عوف الأزدي ، فمات هنالك ، واستخلف على الجند بعده عبد الله بن مَسْعدة الفَزاري . وقيل : إن الذي كان أمير الغزو ببلاد الروم في هذه السنة بُسْر بن أبي أَرْطاة ، ومعه سفيان بن عوف .

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص نائب المدينة . قاله أبو مَعْشر والواقدي وغيرهما .

وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثَّقفي .

وعمّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة الماضية .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

خالد بن زَيْد بن كُلَيب[٣] : أبو أيوب الأنصاري الخَزرجي . شهد بدراً والعقبة والمشاهد كلَّها ، وشهد مع علي قتال الحروريَّة .

---

(١) برقم (٨٤١) .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٤) طبقات خليفة (٨٩ ، ٣٠٣) تاريخ خليفة (٢١١) مسند أحمد (٥/ ١١٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٣٦) المعارف (٢٧٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٢) الجرح والتعديل (٣/ ٣٣١) ثقات ابن حبان (٣/ ١٠٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٢٠) معجم الطبراني الكبير (٤/ ١٣٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٥٧) حلية الأولياء (١/ ٣٦١) جمهرة ابن حزم (٤٣٨) الاستيعاب (٢/ ٤٢٤) تاريخ بغداد (١/ ١٥٣) الجمع لابن القيسراني (١/ ١١٨) تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢١٣/ ب) أسد الغابة (٢/ ٩٤) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٣٦) تهذيب الكمال (٨/ ٦٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٧) العبر (١/ ٥٦) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٨٧) الكاشف (١/ ٢٠٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٢) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٥٠) إكمال مغلطاي (١/ ورقة ٣١١) نهاية السول (ورقة ٨٢) مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٣) تهذيب التهذيب (٣/ ٩٠) الإصابة (٣/ ٥٦) خلاصة الخزرجي (١٠٠) كنز العمال (١٣/ ٦١٤) شذرات الذهب (١/ ٢٤٦) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٩) .

وفي داره كان نزول رسول الله ﷺ حيث قدم المدينة مهاجراً من مكة ، فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله ، ثم تحوَّل إليها ، وقد كان أبو أيوب أنزل رسول الله ﷺ في أسفل داره ، ثم تحرَّج من أن يعلو فوقه ، فسأل رسول الله ﷺ أن يصعد إلى أعلى الدار ، وأن يكون هو وأم أيوب في السُّفل ، فأجابه إلى ذلك .

وقد روينا عن ابن عباس أنَّ أبا أيوب لما قدم عليه البصرة ـ وكان ابن عباس نائبها ـ خرج له عن داره وأنزله بها ، فلمّا أراد الانصراف خرج له عن كل شيء بها ، وزاده تُحفاً وخدماً كثيراً : أعطاه أربعين ألفاً وأربعين عبداً إكراماً له ومجازاة له عمّا فعل مع رسول الله ﷺ من إنزاله له في داره ، ومافعلَه معه هو من أعظم الشرف لأبي أيوب .

وهو القائل لزوجته أمِّ أيوب حين قالت له : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال لها : أكنتِ فاعلة ذلك يا أمَّ أيوب ؟ فقالت : لا والله ، فقال : والله لَهي خيرٌ منكِ ، فأنزل الله ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور : ١٢] الآية .

وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور القُسْطنطينية من هذه السنة ، وقيل : في التي قبلها ، وقيل : في التي بعدها . وكان في جيش يزيد بن معاوية ، وإليه أوصى ، وهو الذي صلّى عليه .

وقد قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا عفّان[٢] ، حدّثنا همام ، حدّثنا عاصم[٣] ، عن رجل من أهل مكة : أن يزيدَ بن معاوية كان أميراً على الجيش الذي غزا فيه أبو أيوب ، فدخل عليه عند الموت ، فقال له : إذا أنا متُّ فاقرؤوا على الناس مني السلام ، وأخبروهم أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ لا يُشْركُ بالله شيئاً جعلَه اللهُ في الجنَّة » ولْينطلِقوا بجنازتي ولْيبعدُوا في أرض الروم ما استطاعوا . قال : فحدَّث الناس لما مات أبو أيوب بهذا الحديث ، فاستلأمَ[٤] الناس وانطلقوا بجنازته .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيان قال : غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية ، فقال أبو أيوب : إذا متُّ فأَدْخلوني في أرض العدو ، فادْفِنوني تحتَ أقدامكم حيث تلقَوْن العدو . قال : ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ لا يُشركُ باللهِ شَيْئاً دخلَ الجنَّة » .

---

(١) في مسنده (٥/ ٤١٦) وإسناده ضعيف ، لجهالة الرجل من أهل مكة ، ولكن له طرق يقوى بها .
(٢) تحرفت في ط إلى : عثمان .
(٣) وقعت في ط : أبو عاصم ، وهو خطأ .
(٤) لم ترد هذه اللفظة في أ ، وتحرفت في ط إلى : فأسلم . وقوله : استلأم الناس ، يعني : لبسوا عدة القتال .
(٥) في مسنده (٥/ ٤٢٣) وهو حديث صحيح .

ورواه أحمد[١] أيضاً عن ابن نمير ويعلى بن عبيد ، عن الأعمش : سمعت أبا ظَبْيان فذكره ، وقال فيه : سأحدِّثكم حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ لولا حالي هذا ما حدَّثتُكموه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً دخلَ الجنَّة » .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا إسحاق بن عيسى [حدّثني ليث][٣] حدّثني محمد بن قيس قاصّ[٤] عمر بن عبد العزيز ، عن أبي صِرْمَة ، عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنتُ كتمتُ عنكم شيئاً سمعتُه من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « لولا أنكم تُذنبونَ لخَلَقَ اللهُ قوماً يُذْنبونَ فيَغْفِر لهُم » .

وعندي أن هذا الحديث والذي قبلَه هو الذي حمل يزيد بن معاوية على طرف من الإرجاء [وما كان يتعاطاه من القبائح][٥] وركبَ بسببه أفعالاً كثيرة أُنكرت عليه كما سنذكره في ترجمته ، والله أعلم .

قال الواقدي : مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين ، ودُفن عند القُسْطنطينية ، وقبره هناك يَسْتَسْقي به الروم إذا قَحَطُوا . وقيل : إنه مدفون في حائط القُسْطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد ، وهم يعظِّمونه . وقال أبو زُرْعة الدمشقي : توفي سنة خمس وخمسين . والأول أثبت ، والله أعلم .

[وقال[٦] أبو بكر بن خلّاد : حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة ، حدّثنا داود بن المحبَّر ، حدّثنا مَيْسرة بن عبد ربه ، عن موسى بن عبيدة ، عن الزُّهري ، عن عطاء بن يزيد ، عن أبي أيوب الأنصاري ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الرجلَينِ ليتوجَّهانِ إلى المسجد فيصلِّيان ، فينصرف أحدُهما وصلاتُه أوزنُ من صلاة الآخر ، وينصرف الآخر وما تعدِلُ صلاتُه مثقال ذرَّة ، إذا كان أورعهما عن محارم الله ، وأحرصهما على المسارعة إلى الخير »[٧] .

وعن أبي أيوب قال : قال رسول الله ﷺ لرجل سأله أن يعلِّمه ويوجز ، فقال له : « إذا صلَّيتَ صلاةً فَصَلِّ صلاةَ مُوَدِّع ، ولا تَكلَّمن بكلامٍ تَعتذرُ منه ، وأجمعِ اليأسَ ممّا في أيدي النّاس »[٨]] .

---

(١) في مسنده (٥/ ٤١٩) وهو حديث صحيح .
(٢) في مسنده (٥/ ٤١٤) ومسلم رقم (٢٧٤٨) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدركته من المسند .
(٤) كذا في ب ومثله في المسند ، ووقعت في (أ) و(ط) : قاضي .
(٥) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٦) من هنا وحتى آخر ترجمة أبي أيوب سقط من ب .
(٧) إسناده ضعيف ؛ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٦٢١) .
(٨) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١) في الزهد، والطبراني في الكبير (٣٩٨٧)، والمزي في تهذيب الكمال (١٩/ ٣٤٧)، كلهم من طريق عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن عثمان بن جبير، عن أبي أيوب، وإسناده ضعيف لجهالة عثمان بن جبير كما في تحرير التقريب (٢/ ٤٣٤)، وكذا ضعفه الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة ، ولكن للحديث شواهد يكون حسناً لغيره بها .

وفيها توفي :

أبو موسى[١] عبدُ الله بنُ قيس بن سُلَيم بن حَضَّار بن حرب بن عامر بن غَنْم[٢] بن بكر بن عامر بن عدي بن وائل بن ناجية بن جَمَاهر بن الأَشْعر الأَشْعَري اليماني .

أسلم ببلاده ، وقدم مع جعفر وأصحابه عام خيبر . وذكر محمد بن إسحاق أنه هاجر أولاً إلى مكّة ، ثم هاجر إلى اليمن ، وليس هذا بالمشهور .

وقد استعمله رسول الله ﷺ مع مُعاذ على اليمن ، واستنابه عمر على البصرة ، وفتح تُسْتَر ، وشهد خطبة عمر بالجابية ، وولّاه عثمان الكوفة ، وكان أحد الحكَمين بين علي ومعاوية ، فلمّا اجتمعا خدع عمرو أبا موسى .

وكان من قرّاء الصحابة وفقهائهم ، وكان أحسن الصحابة صوتاً بالقرآن[٣] في زمانه .

قال أبو عثمان النَّهدي : ما سمعتُ صوت صَنْج ولا بَرْبَط[٤] ولا مِزْمار أطيبَ من صوت أبي موسى[٥] .

وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لقد أُوتيَ هذا مِزْماراً مِنْ مَزاميرِ آلِ داود »[٦] .

وكان عمر يقول له : ذكِّرنا ربَّنا يا أبا موسى ، فيقرأ وهم يسمعون .

وقال الشعبي : كتب عمر في وصيته : أن لا يُقَرَّ لي عامل أكثر من سنة إلّا أبا موسى فلْيقرَّ أربع سنين .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٤ و٤/ ١٠٥ و٦/ ١٦) تاريخ ابن معين (٣٢٦) طبقات خليفة (٦٨ ، ١٣٢ ، ١٨٢) تاريخ خليفة (١٧٨) وغيرها ، مسند أحمد (٤/ ٣٩١) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٢) ثقات العجلي (٢٧٢) المعارف (٢٣٦) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٧) أخبار القضاة (١/ ٢٨٣) الجرح والتعديل (٥/ ١٣٨) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٢١) مشاهير علماء الأمصار (ت٢١٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٦٤) حلية الأولياء (١/ ٢٥٦) الاستيعاب (٣/ ٩٧٩) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢٤١) أنساب السمعاني (١/ ٢٧٣ و٨/ ٣٨١) تاريخ ابن عساكر (٤٢٢) جامع الأصول (٩/ ٧٩) أسد الغابة (٣/ ٣٦٧) مختصر تاريخ دمشق (١٣/ ٢٣٣) تهذيب الكمال (١٥/ ٤٤٦) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٥٥) العبر (١/ ٥٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣) الكاشف (٢/ ١٠٦) معرفة القراء الكبار (١/ ٣٩) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٧٤) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٣٤٨٧) مرآة الجنان (١/ ١٢٠) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٨) غاية النهاية (١/ ٤٤٢) الإصابة (٦/ ١٩٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٢) طبقات الحفاظ (٧) خلاصة الخزرجي (٢١٠) كنز العمال (١٣/ ٦٠٦) شذرات الذهب (١/ ٢٣٥) .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : غز .

(٣) هذه اللفظة من (أ) فقط .

(٤) « البربط » : العود ، أو ملهاة تشبه العود . أعجمي معرب .

(٥) طبقات ابن سعد (٤/ ١٠٨) .

(٦) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٤/ ١٠٧) وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٠) وابن ماجه (١٣٤١) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، وهو حديث صحيح .

ذكر ابن الجوزي في « المنتظم » أنه توفي في هذه السنة ، وهو قول بعضهم . وقيل : قبلها بسنة ، وقيل : في سنة ثنتين وأربعين ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وكانت وفاته بمكة مقيماً بها معتزلاً للناس بعد التحكيم ، وقيل : بمكان يقال له الثَّوِيَّة على ميلين من الكوفة .

وكان قصيراً ، نحيفَ الجسم ، أَثَطّ ـ أي : لا لحية له . رضي الله عنه .

وذكر ابن الجوزي أنه توفي في هذه السنة أيضاً :

عبدُ اللهِ بنُ المُغَفَّل المُزَني[١] : وكان أحد البكَّائين ، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة ليفقِّهوا الناس في الدين . وهو أول من دخل تُسْتَر من المسلمين حين فتحها . لكن الصحيح ما حكاه البخاري[٢] عن مسدَّد أنه توفي سنة سبع[٣] وخمسين . وقال ابن عبد البَرّ[٤] : توفي سنة ستين ، وقال غيره : سنة إحدى وستين ، فالله أعلم .

ويُروى عنه أنه رأى في نومه كأنَّ القيامة قد قامت ، وكان هناك مكانٌ مَنْ وصل إليه نجا ، فجعل يحاول الوصول إليه ، فقيل له : أتريد أن تصل إليه وعندك ما عندك من الدنيا ؟! فاستيقظ فعَمِدَ إلى عَيْبَة[٥] عنده فيها ذهب كثير [مما حصل له من الغنائم من نصيبه حلالاً][٦] فلم يصبح عليه الصباح إلّا وقد فرَّقها في المساكين والمحاويج والأقارب ، رضي الله عنه .

وفيها توفي :

عِمرانُ بن حُصَين[٧] : ابن عبيد بن خلف ، أبو نُجيد الخُزاعي .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٣) تاريخ ابن معين (٣٣٣) طبقات خليفة (٣٧ ، ٧٦) تاريخ خليفة (١٤٦) مسند أحمد (٤/ ٨٥ و٥/ ٥٤ ، ٢٧٢) المعارف (٢٩٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٥٦) الجرح والتعديل (٥/ ١٤٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢١) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٨) الاستيعاب (٣/ ٩٩٦) إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢٦٤) أسد الغابة (٣/ ٣٩٨) تهذيب الكمال (ورقة ٧٤٦) تاريخ الإسلام (٢/ ١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٣) الكاشف (٢/ ١١٩) تهذيب التهذيب (٦/ ٤٢) الإصابة (٦/ ٢٢٣) خلاصة الخزرجي (٢١٥) شذرات الذهب (١/ ٢٧١) .

(٢) تاريخه الكبير (٥/ الترجمة ٣٦) ، وتهذيب الكمال (١٦/ ١٧٥) .

(٣) في المطبوع من التاريخ الكبير : سنة تسع وخمسين .

(٤) الاستيعاب (٣/ ٩٩٦) .

(٥) « العيبة » : وعاء من أدم يكون فيها المتاع .

(٦) من (أ) فقط .

(٧) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٧) تاريخ ابن معين (٢/ ٤٣٦) طبقات خليفة (١٠٦ ، ١٨٧) تاريخ خليفة (٢١٨) مسند أحمد (٤/ ٤٢٦) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٤٠٨) ثقات العجلي (٣٧٣) المعارف (٣٠٩) أخبار القضاة (١/ ٢٩١) الجرح والتعديل (٦/ ٢٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٢١٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٧٠) الاستيعاب (٣/ ١٢٠٨)=

أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر ، وشهد غزوات ، وكان من سادات الصحابة . استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة ، فحكم بها مدَّة ، ثم استعفاه فأعفاه ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة .

قال الحسن وابن سِيرين : ما قدم البصرة راكب خير منه .

وقد كانت الملائكة تسلِّم عليه ، فلمّا اكتوى انقطع عنه سلامُهم ، ثم عادوا فسلَّموا عليه قبل موته بقليل ، رضي الله عنه وعن أبيه أيضاً .

كعبُ بنُ عُجْرَة الأنصاري[1] : أبو محمد المدني ، صحابي جليل ، وهو الذي نزلت فيه آية الفِدْيَة[2] في الحج .

مات في هذه السنة ، وقيل : في التي قبلَها بسنة ، عن خمس ـ أو سبع ـ وسبعين سنة .

معاوية بن حُدَيج[3][4] : ابن جَفْنَة بن قُتَيرة الكِنْدي الخولاني المصري .

صحابي على قول الأكثرين ، وذكره ابن حبّان في التابعين من الثقات[5] ، والصحيح الأول .

= أسد الغابة (٤/ ٢٨١) تهذيب الكمال : ورقة ١٠٥٧ ، طبقات علماء الحديث (١/ ٨٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٨) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٦) العبر (١/ ٥٧) الكاشف (٢/ ٢٩٩) مجمع الزوائد (٩/ ٣٨١) تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٥) الإصابة (٧/ ١٥٥) النجوم الزاهرة (١/ ١٤٣) طبقات الحفاظ (٨) خلاصة الخزرجي (٢٩٥) شذرات الذهب (١/ ٢٤٩) .

(١) طبقات خليفة (ت٩٣٨) مسند أحمد (٤/ ٢٤١) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢٢٠) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٩) الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٨) جمهرة أنساب العرب (٤٤٢) الاستيعاب (٣/ ١٣٢١) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٢٩) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٧٧/ ب) أسد الغابة (٤/ ٤٨١) تهذيب الأسماء واللغات (القسم الأول من الجزء الثاني ٦٨) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٧٦) تهذيب الكمال (ورقة ١١٤٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢) العبر (١/ ٥٧) الكاشف (٣/ ٧) تذهيب التهذيب (٣/ ١٧٠/ آ) مرآة الجنان (١/ ١٢٥) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٥) الإصابة (ت ٧٤٢١) خلاصة الخزرجي (٣٢١) شذرات الذهب (١/ ٢٤٩) .

(٢) هي قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة : ١٩٦] والحديث رواه البخاري رقم (١٨١٦) ومسلم (١٢٠١) (٨٥) .

(٣) تحرف في الأصول إلى : خديج .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٣) طبقات خليفة (ت٤٧٧ و٢٧٢٣) مسند أحمد (٦/ ٤٠١) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٢٨) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٢٨) الجرح والتعديل (٨/ ٣٧٧) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٨٤) جمهرة أنساب العرب (٤٢٩) الاستيعاب (٣/ ١٤١٣) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٢٧/ ب) أسد الغابة (٥/ ٢٠٦) تهذيب الأسماء واللغات (القسم الأول من الجزء الثاني ١٠١) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٩٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٤٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٧) العبر (١/ ٥٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧) الكاشف (٣/ ١٣٨) تذهيب التهذيب (٤/ ٤٩/ ب) الإصابة (ت٨٠٦٤) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٥١) حسن المحاضرة (١/ ٢٣٧) خلاصة الخزرجي (٣٨١) شذرات الذهب (١/ ٢٥٠) .

(٥) ثقات ابن حبان (٥/ ٤١٥) .

شهد فتح مصر ، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الإسكندريَّة ، وشهد مع ابن أبي سَرْح قتال البربر فذهبت عينُه يومئذ ، وتولَّى حروباً كثيرة في بلاد المغرب .

وكان عثمانياً في أيام علي ببلاد مصر ، ولم يبايع علياً بالكليَّة ، فلما أخذ معاوية بن أبي سفيان مصر أكرمه واستنابه بها بعد عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد تولّاها عبد الله بن عمرو نائباً بها بعد أبيه سنتين ، ثم عزله معاوية وولَّى عليها معاوية بن حُدَيج هذا ، فلم يزل بمصر حتى مات بها في هذه السنة .

هانىء بن نِيَار[١] : أبو بُرْدة البَلَوي [وهو خال البَرَاء بن عازب][٢] .

وهو الذي خصَّه رسول الله ﷺ بذبح العَنَاق[٣] ، وأخبره أنها تَجزِيهِ عن غيرها من الأضاحي [ولن تَجزيَ عن أحدٍ بعدَه][٤] .

وقد شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلَّها ، وكانت راية بني حارثة معه يوم الفتح ، رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

فيها غزا عبد الرحمن بن أمِّ الحكم الثقفيّ بلاد الروم وشتا بها .

وفيها افتتح المسلمون وعليهم جُنادة بن أبي أميَّة جزيرة رُودُس ، فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا شديدين على الكفار ، يعترضون لهم في البحر ويقطعون سبيلهم ، وكان معاوية يدرُّ عليه الأرزاق والأُعطيات الجزيلة ، وكانوا على حذر شديد من الفِرَنج ، يبيتون في حِصْن عظيم لهم عنده فيه ذراريهم[٥] ودوابُّهم وحواصلهم ، ولهم نواطير على البحر يُنذرونهم إنْ قدم عدو أوكادهم أحد ، ومازالوا كذلك حتى مات معاوية وولي ابنُه يزيد ، فحوَّلهم من تلك الجزيرة ، وقد كانت للمسلمين بها أموال كثيرة وزروعات غزيرة .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٥١) تاريخ ابن معين (٦٩٤) طبقات خليفة (٨٠) تاريخ خليفة (٢٠٥) مسند أحمد (٣/ ٤٦٦ و٤/ ٤٤) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٢٧٧) المعارف (٣٢٦) الجرح والتعديل (٩/ ٩٩) مشاهير علماء الأمصار (ت١١٨) الاستيعاب (٤/ ١٦٠٨) أسد الغابة (٥/ ٣٨٢ و٦/ ٣٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٥٨٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥) الكاشف (٣/ ٢٧٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٩) الإصابة (١١/ ٣٤) خلاصة الخزرجي (٤٤٣) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ط .

(٣) « العناق » : هي الأنثى من المعز إذا قويت ما لم تستكمل سنة .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ط و ب . والحديث أخرجه البخاري رقم (٥٥٥٧) في أول الأضاحي ، ومسلم (١٩٦١) (٩) في الأضاحي : باب في وقتها ، من حديث البراء بن عازب .

(٥) في ط : حوائجهم .

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص والي المدينة . قاله أبو مَعْشر والواقدي .

وفي هذه السنة توفي جبلة بن الأيهم الغسّاني كما ستأتي ترجمته في آخر هذه التراجم .

وفيها توفي :

الرَّبيع بن زياد الحارثي(١) : مختلَف في صحبته .

وكان نائب زياد على خراسان .

وكان قد ذكر حُجر بن عديّ ، فتأسَّف عليه وقال : والله لو ثارت العرب له لما قُتل صبراً ، ولكن أقرت العرب فذلت . ثم لما كان يوم الجمعة دعا الله على المنبر أن يَقبضه إليه ، فما عاش إلى الجمعة الأخرى . واستخلف على عمله ابنه عبد الله بن الربيع ، فأقرَّه زياد على ذلك ، فمات بعد ذلك بشهرين ، واستخلف على عمله خُليد بن عبد الله الحنفي ، فأقرَّه زياد .

ورُوَيفع بن ثابت(٢) : صحابيٌّ جليل ، شهد فتح مصر ، وله آثار جيِّدة في فتح بلاد المغرب ، ومات بِبَرْقة والياً عليها من جهة مَسْلمة بن مخلَّد نائب مصر .

وفيها توفي :

زياد بن أبي سفيان(٣) : ويقال له : زياد بن أَبيه ، وزياد بن سُميَّة ـ وهي أمُّه ـ توفي في رمضان من هذه

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ١٥٩) تاريخ البخاري الكبير (٣/ت٩٧٩) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٣٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٩٨٤) الاستيعاب (٢/ ٤٩٢) أسد الغابة (٢/ ٢٠٦) تهذيب الكمال (٩/ ٨٠) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢١٩) الكاشف (١/ ٢٣٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٧٧) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٥) العقد الثمين (٤/ ٣٨٩) نهاية السول (ورقة ٩٥) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٤) الإصابة (١/ ٥٠٥) خلاصة الخزرجي (١١٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥٤) طبقات خليفة (ت٧٢٤) تاريخ خليفة (٢٠٨) مسند أحمد (٤/ ١٠٧) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٣٨) الجرح والتعديل (٣/ ٥٢٠) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٣٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٨٩) معجم الطبراني الكبير (٥/ ت٤٣٤) الاستيعاب (٢/ ٥٠٤) أسد الغابة (٢/ ٢٣٩) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٢) تهذيب الكمال (٩/ ٢٥٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٣ ، ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦) الكاشف (١/ ٢٤٤) تذهيب التهذيب (١/ ٢٢٩/ ب) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨٧) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٩) نهاية السول (ورقة ٩٩) الإصابة (ت٢٦٩٩) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٩) حسن المحاضرة (١/ ١٩٩) خلاصة الخزرجي (١٢٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٩٩) طبقات خليفة (ت١٥١٦) المحبر (١٨٤ ، ٣٠٣ ، ٤٧٩) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٥٧) التاريخ الصغير (١/ ١١٥) المعارف (٣٤٦) تاريخ الطبري (٥/ ١٧٦) وغيرها ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٣٩) العقد الفريد (٤/ ١١٠ وغيرها) الاستيعاب (٢/ ٥٢٣) تاريخ ابن عساكر (٦/ ٢٤٢/ أ) وفيات الأعيان (٦/ ٣٥٦) أسد الغابة (٢/ ٢٧١) الكامل لابن الأثير (٣/ ٤٩٣ وغيرها) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٩٨) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٧٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٤) العبر (١/ ٥٨) فوات الوفيات (٢/ ٣١) الوافي بالوفيات (١٥/ ١٠) مرآة الجنان (١/ ١٢٦) الإصابة (١/ ٥٨٠) شذرات الذهب (١/ ٢٥٢) خزانة الأدب (٢/ ٥١٧) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٠٩) .

السنة مطعوناً [لم يُمهله الله بعد حُجر بن عديٍّ إلا نحو سنة وثلثي سنة ، فالتقى هو وعبد الله][١] .

وكان سبب هلاكه بالطاعون أنه كتب إلى معاوية يقول له : إني قد ضبطتُ لك العراق بشمالي ، ويميني فارغةٌ فارْعَ لي ذلك ، وهو يعرّض له أن يستنيبه على بلاد الحجاز أيضاً ، فلمّا بلغ أهل الحجاز ذلك جاؤوا إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فشكَوا إليه ذلك ، وخافوا أن يليَ عليهم زياد فيَعْسِفهم كما عسَفَ أهل العراق ، فقام ابن عمر فاستقبل القِبلة ـ ودعا على زياد والناس يؤمّنون ، فطُعن زياد بالعراق في يده ، فضاق ذرعاً بذلك ، واستشار شُريحاً القاضي في قطع يده ، فقال له شُريح : إني لا أرى أن تفعل بنفسك ذلك ، فإنه إن لم يكن في الأجل فسحة لقيتَ الله أجذم قد قُطعت يدك جزعاً من لقاء الله ، وإن كان لك أجل بقيتَ في الناس أجذم فتعيَّر بذلك أنت وولدك . فصرفه عن ذلك ، فلما خرج شُريح من عنده عاتبه بعض الناس وقالوا : هلاّ تركته يقطع يده ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « المُسْتَشارُ مُؤْتَمَن »[٢] .

ويقال : إن زياداً جعل يقول : أأنام أنا والطاعون في فراش واحد ؟ فعزم على قطع يده ، فلما جيء بالمكاوي والحديد خاف من ذلك فترك ذلك .

ويذكر أنه جمع مئة وخمسين طبيباً عنده ليداووه مما يجد من الحرِّ في باطنه ، منهم ثلاثة ممّن كان يَطِبُّ كسرى بن هُرْمز ، فعجزوا هم وهو عن رد القدر المحتوم والأمر المحموم ، فمات في ثالث شهر رمضان في هذه السنة ، وقد أقام في إمرة العراق خمس سنين ، ودفن بالثَّوِيَّة[٣] خارج الكوفة ، وقد كان برز منها قاصداً إلى الحجاز والياً عليها [مضافاً إلى ما بيده من العراق وخراسان وغير ذلك][٤] ، فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال : اذهب إليك يا بن سُميَّة ، فلا الدنيا بقيتْ لك ، ولا الآخرة أدركت .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني أبي ، عن هشام بن محمد ، حدّثني يحيى بن ثعلبة أبو المقوَّم[٥] الأنصاري ، عن أمه عائشة ، عن أمها[٦] ، عن عبد الرحمن بن السائب الأنصاري قال : جمع زياد أهل

---

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٢٨) في الأدب : باب في المشورة ، والترمذي (٢٣٦٩) في الزهد : باب ماجاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ و(٢٨٢٢) في الأدب : باب المستشار مؤتمن ، وابن ماجه (٣٧٤٥) في الأدب : باب المستشار مؤتمن ، كلهم من طريق شيبان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «المستشار مؤتمن» . وأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٤) وابن ماجه (٣٧٤٦) والدارمي (٢/ ٢١٩) كلهم من طريق الأعمش ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي مسعود الأنصاري ، عن النبي ﷺ ، وهو حديث صحيح .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : الثوبة وفي (أ) إلى : السوية .

(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٥) تحرف في الأصول إلى : المقدم . وضبطها في مشتبه النسبة (٢/ ٦١٠) .

(٦) في ط : عن أبيها .

الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرض عليه البراءة من علي بن أبي طالب . قال عبد الرحمن : فإني لمع نفر من أصحابي من الأنصار والناسُ في أمر عظيم من ذلك وفي حصر ، قال : فهوَّمْتُ تَهْويمة ـ أي : نَعَسْتُ نَعْسَة ـ فرأيت شيئاً أقبل طويلَ العنق ، له عنق مثل عنق البعير ، أهدب أهدل ، فقلت : ما أنت ؟ فقال : أنا النقَّاد ذو الرقبة ، بُعثت إلى صاحب هذا القصر ، قال : فاستيقظتُ فزعاً ، فقلت لأصحابي : هل رأيتم ما رأيت ؟ قالوا : لا ، فأخبرتهم [فما هو إلا أن أخبرتهم][1] خرج علينا خارج من القصر فقال : إن الأمير يقول لكم : انصرفوا عنِّي فإني عنكم مشغول ، وإذا الطاعون قد أصابه[2] .

وروى ابن أبي الدنيا : أن زياداً لما ولي الكوفة سأل عن أعبَد أهلها ، فدُلَّ على رجل يقال له : أبو المغيرة الحميَري ، فجيْ به ، فقال له : الزم بيتك ولا تخرج منه وأنا أعطيك من المال ما شئت ، فقال : لو أعطيتني ملك الأرض ما تركت خروجي لصلاة الجماعة . فقال : الزم الجماعة ولا تتكلم بشيء ، فقال : لا أستطيع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فأمر به فضُربت عنقُه . [ولما احتُضر قال له ابنه : يا أبة قد هيَّأت لك ستين ثوباً أكفنكَ فيها ، فقال : يا بنيَّ قد دنا من أبيك أمرٌ إما لباس خير من لباسه ، وإما سلب سريع][3] .

وهذا غريب جداً .

صَعْصَعة بنُ ناجِيَة[4] : ابن عِقال[5] بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم .

كان سيِّداً في قومه في الجاهلية وفي الإسلام . يقال : إنه أحيا في الجاهلية ثلاثمئة وستين مَوْؤودة ، وقيل : أربعمئة ، وقيل : ستاً وتسعين مَوْؤودة ، فلمّا أسلم قال له رسول الله ﷺ « لكَ أجرُ ذلكَ إذ مَنَّ اللهُ عليكَ بالإسلام »[6] .

ويروى عنه : أنه أولَ ما أحيا الموؤودة أنه ذهب في طلب ناقتين شردتا له ، قال : فبينا أنا في الليل

---

(١) سقط من ط و ب .
(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٨٨ ـ ٨٩) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٩٠) .
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٨) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ت٢٩٧٨) الجرح والتعديل (٤/ ٤٤٥) ثقات ابن حبان (٣/ ١٩٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٣٩) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٧٦) الاستيعاب (٢/ ٧١٨)أنساب السمعاني (١١/ ١٣٤) أسد الغابة (٣/ ٢٢) تهذيب الكمال (١٣/ ١٧٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٧٩٦) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٩٣) نهاية السول (ورقة ١٤٧) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٣) الإصابة (٢/ ت٤٠٦٨) خلاصة الخزرجي (١٧٤) .
(٥) تحرف في ط إلى : عفان .
(٦) رواه الطبراني في الكبير (٧٤١٢) وإسناده ضعيف .

أسيرُ إذ أنا بنار تضيء تارة وتخبو أخرى ، فجعلت لا أهتدي إليها ، فقلت : اللهم لك عليَّ إن أوصلتني إليها أن أدفع عن أهلها ضيماً إن وجدته بهم ، قال : فوصلتُ إليها وإذا شيخ كبير يوقد ناراً وعنده نسوة مجتمعات ، فقلت : ما أنتن ؟ فقلن : إنَّ هذه امرأة قد حبستنا منذ ثلاث ، تُطْلَق ولم تخلُص ، فقال لي الشيخ صاحب المنزل : وماخبرك ؟ فقلت : إني في طلب ناقتين ندَّتا لي ، فقال : قد وجدتهما ، إنهما في إبلنا ، قال : فنزلتُ عنده ، قال : فما هو إلّا أن نزلت إذ قلن : وضعتْ ، فقال الشيخ : إن كان ذكراً فارتحلوا ، وإن كانت أنثى فلا تُسْمعنني صوتها ، فقلت له : علامَ تقتلُ ولدك ورِزقُه على الله ؟ فقال : لا حاجة لي بها ، فقلت : أنا أَفتديها منك وأتركها عندك حتى تَبِين[1] عنك أو تموت ، قال : بكم ؟ قلت : بإحدى ناقتَيّ ، قال : لا ، قلت : فبهما ، قال : لا إلَّا أن تزيدني بعيرك هذا ، فإني أراه شاباً حسن اللون ، قلت : على أن تردَّني إلى أهلي ، قال : نعم ، فلما خرجتُ من عندهم رأيت أن الذي صنعتُه نعمة من الله منَّ بها عليَّ وهداني إليها ، فجعلتُ لله عليَّ ألّا أجد مَوْؤودة إلَّا افتديتها كما افتديت هذه . قال : فما جاء الإسلام حتى أحييتُ مئة موؤودة إلّا أربعاً ، ونزل القرآن بتحريم ذلك على الناس .

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير المذكورين :

جَبَلَة بنُ الأَيْهَم الغسَّاني[2] : ملك نصارى العرب .

وهو : جبلَة بن الأَيهم بن جبلَة بن الحارث بن أبي شَمِر ، واسمُه المنذر بن الحارث ، وهو ابن مارية ذات القُرْطَيْن ، وهو ابن ثعلَبة بن عمرو بن جَفْنة ، واسمه كعب بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس ، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جَفْنة ، ويقال غير ذلك في نسبه . وكنيةُ جبلة أبو المنذر الغسَّاني الجَفْني .

وكان ملك غسّان ، وهم نصارى العرب أيام هِرَقل ، وغسّان أولاد عم الأنصار أَوسِها وخَزْرجها .

وكان جبلة آخر ملوك غسّان ، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً مع شُجاع بن وهب يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ[3] .

قال ابن عساكر : قيل : إنه لم يسلم قطّ . وقد صرح به الواقدي[4] وسعيد بن عبد العزيز .

---

(١) « تبين » : تتزوج .

(٢) المحبر (٧٦ ، ٣٧٢) المعارف (٦٤٤) الاشتقاق (٤٣٦) العقد الفريد (٢/ ٥٦) الأغاني (١٥/ ١٥٧) جمهرة أنساب العرب (٣٧٢) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٦٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٤) خزانة الأدب (٢/ ٢٤١) .

(٣) اختلف المؤرخون فيمن أُرسل إليه شجاع بن وهب : أهو الحارث بن أبي شمر الغساني أم جبلة بن الأيهم ؟ . والخبر في إعلام السائلين ص١٠٨ .

(٤) في ط : الواحدي ، محرف .

وقال الواقدي : شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ، ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر ، فاتفق أنه وَطِىء رداء رجل من مُزينة بدمشق[١] ، فلطمه ذلك المُزَني ، فرفعه أصحاب جبلة إلى أبي عبيدة فقالوا : هذا لطم جبلة ، قال أبو عبيدة : فيلطمه جبلَة ، فقالوا : أو ما يُقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : لا ، إنما أمر الله بالقَوَد ، فقال جبلَة : أترون أني جاعل وجهي بدلًا لوجه مُزَني جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ، ثم ارتدَّ نصرانياً ، وترحَّل بأهله حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشقَّ عليه وقال لحسان : إن صديقك جبلَة ارتدَّ عن الإسلام ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : ولم ؟ قال : لطمه رجل من مُزَينة ، فقال : وحقَّ له ، فقام إليه عمر بالدِّرَّة فضربه بها .

رواه الواقدي عن مَعْمر وغيره ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، وساق ذلك بأسانيده إلى جماعة من الصحابة . وهذا القول هو أشهر الأقوال .

وقد روى ابن الكلبي وغيرُه : أن عمر لما بلغه إسلام جبلَة فرح بإسلامه ، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة ، وقيل : بل استأذنه جبلَة في القدوم عليه فأذن له ، فركب في خلق كثير من قومه ـ قيل : مئة وخمسين راكباً ، وقيل : خمسمئة ـ وتلقته هدايا عمر ونزلُه قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل ، وكان يومُ دخوله إلى المدينة يوماً مشهوداً ، دخلها وقد ألبس خيولَه قلائد الذهب والفضة ، ولبس هو تاجاً على رأسه مرصَّعاً باللآلىء والجواهر ، وفيه قُرْطا مارية جدَّته ، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظرون إليه ، فلمّا سلَّم على عمر رحَّب به عمر وأدنى مجلسَه ، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة ، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وَطِىء إزاره رجلٌ من بني فَزَارة ، فانحلّ ، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل الذي وَطىء إزاره ـ ومن الناس من يقول : إنه قلع عينه ـ فاستعداه الفَزَاري إلى عمر ومعه خلق كثير من بني فَزَارة ، فاستحضره عمر ، فاعترف جبلة ، فقال له عمر : أَقِدْه ، فقال جبلة : كيف وأنا ملك وهو سُوقَة ؟ فقال : إنَّ الإسلام جمعك وإياه فلستَ تفضلُه إلَّا بالتقوى ، فقال جبلَة : قد كنت أظن أن أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية ، فقال عمر : دع ذا عنك ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أَقَدْته منك ، فقال : إذاً أتنصَّر ، فقال : إن تنصَّرتَ ضربتُ عنقك ، فلمّا رأى الجدَّ قال : أمهلني لأنظر في أمري هذه الليلة ، فانصرف من عند عمر ، فلما ادلهمَّ الليل ركب في قومه ومَنْ أطاعه فسار إلى الشام ، ثم دخل بلاد الروم ، ودخل على هِرَقل في مدينة القُسْطنطينية ، فرحَّب به هِرَقل ، وأكرمه ، وأقطعه بلاداً كثيرة ، وأجرى عليه أرزاقاً جزيلة ، وأهدى إليه هدايا جميلة ، وجعله من سُمّاره ، فمكث عنده دهراً . ثم إنَّ عمر كتب كتاباً إلى هِرَقل مع رجل يقال له : جَثّامة بن مساحق[٢] الكناني ، فلما بلغ هِرَقل كتابُ عمر بن الخطاب قال له

---

(١) ليست هذه اللفظة في أ .
(٢) كذا في ط ومثله في الأغاني . ووقع في أ ، ب : مساحي .

هِرَقل : هل لقيتَ ابن عمِّك جبلَة ؟ قال : لا ، قال : فالقَهُ ، فذكر اجتماعه به ، وماهو فيه من النّعمة والسُّرور والحُبور الدُّنيوي في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه ، حواليه الحِسَان من الخدم والقِيَان ، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوَّض بها عن دار السلام[١] ، وذكر أنه دعاه إلى الإسلام والعَوْد إلى الشام ، فقال له جبلَة : أبعدَ ما كان مني من الارتداد ؟ فقال : نعم ، إنَّ الأشعث بن قيس ارتدَّ وقاتلهم بالسيوف ، ثم لما رجع إلى الحقِّ قبلوه منه وزوَّجه الصدِّيق بأخته أم فروة ، قال : فالتهى عنه بالطعام والشراب ، وعرض عليه الخمر فأبى عليه ، وشرب جبلة من الخمر شيئاً حتى سكر ، ثم أمر جواريه القِيَان فغنَّيْنَه بالعيدان من قول حسّان يمدح بني عمِّه من غسان ، والشعر في والد جبلَة هذا الحيوان :

لله دَرُّ عِصَابَةٍ نادَمْتُهُم ... يوماً بجلَّقَ في الزَّمانِ الأَوَّلِ
أولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قبرِ أبيهم ... قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريم المُفْضِلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَريصَ عَلَيهمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ
بيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أَحسَابُهُمْ ... شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ
يُغْشَوْنَ حتَّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لا يَسْأَلونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ[٢]

قال : فأعجبه قولُهنَّ ذلك ، ثم قال : هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري فينا وفي ملكنا ، ثم قال لي : كيف حال حسان ؟ قلت له : تركته ضريراً شيخاً كبيراً . ثم قال لهن : أَطْرِبْنني ، فاندفعن يغنِّين لحسان أيضاً :

لِمَنِ الدّارُ أَقفَرتْ بمَعَانِ ... بينَ أعلى اليَرْموكِ فالصَّمَّانِ
فالقُرَيَّاتِ مِنْ بَلاسَ فدارَيَّـ ... ـا فسَكّاءَ فالقصورِ الدَّواني
فحِمىٰ جاسمٍ إلى مرجِ ذي الصُّـ ... ـفْرِ مَغْنىٰ قبائلٍ وهِجانِ
تلكَ دارُ العزيزِ بعدَ أَنيسٍ ... وملوكٍ عظيمةِ الأَرْكانِ
صلواتُ المسيحِ في ذلكَ الدَّيْـ ... ـرِ دعاء القسِّيسِ والرُّهْبانِ
ذاكَ مَغْنىٰ لآلِ جَفْنَةَ في الدَّهْـ ... ـرِ وحقٌّ تعاقُبُ الأزمانِ
قد أراني هناكَ حقَّ مَكينٍ ... عند ذي التّاجِ مَجْلسي ومَكاني
ثكلتْ أُمُّهُمْ وقَدْ ثكلتْهُمْ ... يومَ حلُّوا بحارثِ الجَوْلانِ
ودَنا الفصحُ فالوَلائِدُ يَنْظِمْـ ... ـنَ سِراعاً أَكلَّةَ المَرْجَانِ[٣]

---

(١) في ط : دار الإسلام .

(٢) الأبيات في ديوان حسان (ص٣٦٤ ـ ٣٦٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ . أيضاً في العقد الفريد (٢/ ٥٩ ـ ٦٠) والأغاني (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٢) .

(٣) الأبيات ـ عدا الخامس منها ـ في ديوان حسان (ص٤٧٤ ـ ٤٧٥) . وأيضاً في : العقد الفريد (٢/ ٦٠) والأغاني (١٥/ ١٦٦) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) .

ثم قال : هذا لابن الفُريعة حسان بن ثابت فينا وفي ملكنا وفي منازلنا بأكناف غوطة دمشق ، قال : ثم سكت طويلاً ثم قال لهن : بكينني ، فوضعن عيدانهنَّ ونكَّسن رؤوسهنَّ وقلن :

تَنَصَّـرتِ الأشـرافُ مـن عـارِ لَطْمـةٍ وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ

تكنَّفَنـي فيهـا لجـاجٌ ونَخْـوَةٌ وبعتُ بها العينَ الصَّحِيحةَ بالعَوَرْ

فيـا ليـتَ أُمـي لـم تَلِـدْني وليْتَني رجعتُ إلى القولِ الذي قالهُ عُمَرْ

ويـا ليتَنـي أَرعـى المخـاضَ بقفْـرَةٍ وكنـتُ أسيـراً فـي ربيعـةَ أو مُضَـرْ

ويـا ليـتَ لـي بـالشّـامِ أدنـى مَعيشـةٍ أُجالسُ قومي ذاهبَ السَّمعِ والبَصَرْ

أَدِيـنُ بمـا دانُـوا بـه مِـنْ شـريعـةٍ وقد يَصْبِرُ العَوْدُ الكبيرُ على الدَّبَرْ(١)

قال : فوضع يده على وجهه فبكى حتى بلَّ لحيته بدموعه ، وبكيت معه ، ثم استدعى بخمسئة دينار هِرَقلية فقال : خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت ، وجاء بأخرى مثلها فقال : خذ هذه لك ، فقلت : لا حاجةَ لي فيها ولا أقبل منك شيئاً وقد ارتددتَ عن الإسلام ـ فيقال : إنه أضافها إلى التي لحسان فبعث بألف دينار هِرَقلية ـ ثم قال له : أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين . فلمَّا قدمت على عمر أخبرته خبره ، فقال : ورأيتَه يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ، قال : أبعده الله ، تعجَّل فانيةً بباقية فما ربحت تجارتُه . ثم قال : وماالذي وجَّه به لحسان ؟ قلت : خمسمئة دينار هِرَقلية ، فدعا حساناً فدفعها إليه ، فأخذها وولَّى وهو يقول :

إنَّ ابنَ جَفْنَةَ من بقيَّةِ معشرٍ لـم يَغْـزُهُـمْ آبـاؤُهُـمْ بـاللُّـومِ

لم يَنْسَني بالشَّام إذ هو ربُّها كـلاً ولا مُتَنَصِّـراً بـالـرُّومِ

يُعطي الجزيلَ ولا يراهُ عندَهُ إلّا كبعضِ عطيَّةِ المَذْمومِ(٢)

وأَتَيْتُـهُ يـومـاً فقـرَّبَ مجلسـي وسَقىٰ فروّاني من الخُرْطُومِ(٣)

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مَسْعدة الفَزَاري رسولاً إلى ملك

---

(١) الأبيات لجبلة بن الأيهم كما نص عليه صاحب الأغاني (١٥/ ١٧٠) وأيضاً في العقد الفريد (٢/ ٦١) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٣) .
وقوله : وقد يصبر العود الكبير على الدبر « العود » : المسن من الإبل . « والدبر » : قرحة الدابة .

(٢) في أصول كتابنا المحروم بدل المذموم . والمثبت من الديوان وغيره من مصادر التخريج .

(٣) « الخرطوم » : الخمر السريعة الإسكار . وقيل : هو أول مايجري من العنب قبل أن يداس .
والأبيات في ديوان حسان (ص٤٤٧ ـ ٤٤٨) وأيضاً في العقد الفريد (٢/ ٦٢) والأغاني : (١٥/ ١٦٧) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٤) .

الروم ، فاجتمع بجبلَة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول ، فقال له جبلَة : لو أعلم أن معاوية يُقْطِعُني أرض البَثَنِيَّة[١] فإنها منازلنا وعشرين قريةً من غوطة دمشق ، ويفرض لجماعتنا ، ويحسن جوائزنا لرجعت إلى الشام . فأخبر عبد الله بن مَسْعدة معاوية بقوله ، فقال معاوية : نعم أنا أعطيه ذلك ، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك ، فما أدركه البريد إلّا وقد مات في هذه السنة ، قبَّحه الله .

ذكر أكثرَ هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج بن الجَوْزي في « المنتظم » وأرَّخ وفاته في هذه السنة ـ أعني سنة ثلاث وخمسين .

وقد ترجمه ابن عساكر في « تاريخه » فأطال الترجمة وأفاد ، ثم قال في آخرها : بلغني أن جبلَة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

فيها شتا محمد بن مالك بأرض الروم ، وغزا الصّائفة معن بن يزيد السُّلمي .

وفيها عزل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن إمرة المدينة ، وردَّ إليها مروان بن الحكم ، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص ويصفِّي أمواله التي بأرض الحجاز ، فجاء مروان بالفَعَلة إلى دار سعيد ليهدمها ، فقال سعيد : ما كنتَ لتفعل ذلك ، فقال : إنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ بذلك ، ولو كتب إليك في داري لفعلتَه . فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولّاه المدينة بأن يهدم دار مروان ويصفِّي ماله ، وذكر أنه لم يزل يحاجف معاوية دونه حتى صرف ذلك عنه . فلمّا رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك ثناه ذلك عن دار سعيد وعن أخذ أمواله ، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معاوية في داره وأقرَّ عليه أمواله .

وفيها عزل معاويةُ سَمُرةَ بن جُنْدب عن البصرة ، وكان زياد قد استخلفه عليها ، فأقرَّه معاوية ستة أشهر ثم عزله ، وولَّى عليها عبد الله بن عمرو بن غَيْلان .

وروى ابن جرير وغيره عن سَمُرة أنه قال لمَّا عزله معاوية : لعن الله معاوية ، لو أطعتُ الله كما أطعتُ معاوية ما عذَّبني أبداً . وهذا لا يصح عنه .

وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية [دمشق من العراق][٢] فأكرمه وسأله عن نوّاب أبيه

(١) « البثنية » : قرية بين دمشق وأذرعات .
(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

على البلاد ، فأخبره عنهم . ثم ولّاه إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فسار إلى مقاطعته وتجهَّز من فوره غادياً إليها ، فقطع النهر إلى جبال بخارى [ففتح رامِيثَن[١] ونصف بِيْكَنْد ـ وهما من معاملة بخارى ـ][٢] والتقى الترك هناك ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وهزمهم هزيمة فظيعة بحيث إنَّ المسلمين أعجلوا امرأة الملك أن تلبَس خفَّيها ، فلبست واحدة وتركت الأخرى ، فأخذها المسلمون فقوَّموا جَوْرَبها[٣] بمئتي ألف درهم ، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة ، وأقام عبيد الله بن زياد بخراسان سنتين .

في هذه السنة حجَّ بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة . وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وقيل : بل كان عليها الضحّاك بن قيس . وكان على البصرة عبد الله بن غَيْلان .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

أسامة بن زيد بن حارثَة الكَلْبي[٤] : أبو محمد المدني ، مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه ، وحِبُّه وابن حِبِّه ، وأمُّه بَرَكَة أمُّ أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنتُه .

ولّاه رسول الله ﷺ الإمرة بعد مقتل أبيه ، فطَعن بعض الناس في إمرته ، فقال رسول الله ﷺ : « إن تَطعَنوا في إمارتَه فقد طَعَنْتم في إمرة أَبيهِ من قَبْله ، وايمُ اللهِ إنْ كان لخَليقاً بالإمارة وإن كان لمن أَحبِّ الناسِ إليّ [وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناسِ إليّ][٥] بعده »[٦] .

وثبت في « صحيح البخاري »[٧] عنه : « أن رسول الله ﷺ كان يُجلسُ الحسنَ بن عليٍّ على فخذه ويُجلسُ أسامة على فخذه الأُخرى ويقول : اللهمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » .

---

(١) كذا في ب ومثله في تاريخ الطبري . ووقعت في ط : رامس .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٣) في ط : جواهرها .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٦١) تاريخ ابن معين (٢٢) طبقات خليفة (٦ ، ٢٩٧) تاريخ خليفة (١٠٠ ، ٢٢٦) مسند أحمد (٥/ ١٩٩) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٠) ثقات العجلي (٥٩) المعارف (١٤٥ وغيرها) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٤) الجرح والتعديل (٢/ ٢٨٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٤) معجم الطبراني الكبير (١/ ١٢٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٩٦) الاستبصار (٣٤ ، ٨٧) الاستيعاب (١/ ٧٥) أنساب السمعاني (١٠/ ٤٥١) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٤١/ أ) أسد الغابة (١/ ٧٩) مختصر تاريخ دمشق (٤/ ٢٤٨) تهذيب الكمال (٢/ ٣٣٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٠) العبر (١/ ٥٩) تذهيب التهذيب (١/ ٥٠) الكاشف (١/ ٥٧) مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٦) تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٨) الإصابة (١/ ٥٤) خلاصة الخزرجي (٢٦) كنز العمال (١٣/ ٢٧٠) شذرات الذهب (١/ ٢٥٣) تهذيب ابن عساكر (٢/ ٣٩٤ ، ٤٠٢) .

(٥) سقط من ط .

(٦) أخرجه البخاري رقم (٣٧٣٠) ومسلم (٢٤٢٦) من حديث ابن عمر .

(٧) (٧/ ٧٠) وقد تقدم الحديث في ترجمة الحسن بن علي .

وفضائله كثيرة جداً .

توفي رسول الله ﷺ وعمره تسع عشرة سنة .

وكان عمر إذا لقيه يقول : السلام عليك أيُّها الأمير .

وصحح أبو عمر بن عبد البَرّ[١] أنه توفي في هذه السنة ، وقال غيره : سنة ثمان ـ أو تسع ـ وخمسين ، وقيل : توفي بعد مقتل عثمان . فالله أعلم .

ثَوْبان بن بُجْدُد[٢] : مولى رسول الله ﷺ تقدمت ترجمته في مواليه ومن كان يخدمه عليه السلام .

أصله من العرب ، فأصابه سَبْي ، فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه ، فلزم رسولَ الله ﷺ سفراً وحضراً ، فلمّا مات أقام بالرَّملة ، ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة على الصحيح ، وقيل : سنة أربعين وهو غلط ، ويقال : إنه توفي بمصر ، والصحيح بحمص .

جُبير بن مُطْعم[٣] : تقدم أنه توفي سنة خمسين .

الحارثُ بنُ رِبْعي[٤] : أبو قَتَادة الأنصاري ، [وقال الواقدي : اسمه النعمان بن رِبْعي . وقال غيره : عَمرو بن رِبْعي . وهو أبو قَتادة الأنصاري][٥] السَّلمي المدني ، فارس الإسلام .

---

(١) الاستيعاب (١/ ٧٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٠) طبقات خليفة (ت١٥ و٢٧١٠) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (٥/ ٢٧٥) المحبر (١٢٨) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٨١) المعارف (١٤٧) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٣٣ وغيرها) الجرح والتعديل (٢/ ٤٦٩) ثقات ابن حبان (٣/ ٤٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٢٤) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٨٥) حلية الأولياء (١/ ١٨٠ ، ٣٥٠) الاستيعاب (١/ ٢١٨) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٦٨) تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٩٧/ ب) أسد الغابة (١/ ٢٩٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٠) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٤٦) تهذيب الكمال (٤/ ٤١٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٣) العبر (١/ ٥٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥) الكاشف (١/ ١١٩) تذهيب التهذيب (١/ ٩٨/ ب) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٤٨) تهذيب التهذيب (٢/ ٣١) الإصابة (ت٩٦٧) حسن المحاضرة (١/ ١٨٠) خلاصة الخزرجي (٥٨) شذرات الذهب (١/ ٢٥٣) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٨١) .

(٣) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٠ .

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ١٥) تاريخ ابن معين (٧٢٠) تاريخ خليفة (٩٩ ، ١٠٥ ، ٢٠١ ، ٢٢٣) مسند أحمد : (٤/ ٣٨٣ و٥/ ٢٩٥) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٥٨) الجرح والتعديل (٣/ ٧٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٩) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٢٧٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٨٠) الاستبصار (١٤٦) الاستيعاب (٤/ ١٧٣١) تاريخ بغداد (١/ ١٥٩) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٥٢٥) أنساب السمعاني (٧/ ١١٤) تاريخ ابن عساكر (باريس ٢/٢١٨) جامع الأصول (٩/ ٧٧) أسد الغابة (٦/ ٢٥٠) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ١١٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٤٤) تاريخ الإسلام (٢/ ١٨٨) العبر (١/ ٦٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٩) الكاشف (٣/ ٣٢٥) الإصابة (١١/ ٣٠٢) خلاصة الخزرجي (٤٥٧) كنز العمال (١٣/ ٦١٧) شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

شهد أُحداً وما بعدها ، وكان له يوم ذي قَرَد سعي مشكور كما قدمنا هناك . قال رسول الله ﷺ : « خيرُ فرسانِنا اليومَ أبو قَتَادة ، وخيرُ رَجَّالتِنا سلَمةُ بنُ الأكْوَع »[١] .

وزعم أبو أحمد الحاكم أنه شهد بدراً ، وليس بمعروف .

وقال أبو سعيد الخُدري : أخبرني من هو خير مني ـ أبو قَتَادة الأنصاري ـ أن رسول الله ﷺ قال لعمّار : « تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَة »[٢] .

قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ـ يعني سنة أربع وخمسين ـ بالمدينة عن سبعين سنة .

وزعم الهيثم بن عديٍّ وغيرُه : أنه توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلَّى عليه علي بن أبي طالب ، وهذا غريب .

حَكيم بنُ حِزَام[٣] : ابن خُويلد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ بن كِلاب القرشيُّ الأسديّ ، أبو خالد المكي .

أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى ، وعمتُه خديجة بنت خُويلد زوجة رسول الله ﷺ وأمُّ أولاده سوى إبراهيم .

ولدت حَكيماً أمُّه في جوف الكعبة قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وذلك أنها دخلت الكعبة تزور ، فضربها الطَّلق وهي في الكعبة ، فوضعته على نِطع .

وكان شديد المحبَّة لرسول الله ﷺ ، ولما كان بنو هاشم وبنو المطَّلب في الشِّعب لا يبايعون ولا يناكحون كان حكيم يُقبل بالعير تقدم من الشام فيشتريها بكمالها[٤] ، ثم يذهب بها فيضرب

---

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم (١٨٠٧) في الجهاد والسير : باب غزوة ذي قرد ، وأحمد في مسنده (٤/ ٥٢ ـ ٥٤) من حديث سلمة بن الأكوع .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩١٥) في الفتن وأشراط الساعة ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٠٦) .

(٣) نسب قريش (٢٣١) طبقات خليفة (ت٧٠) مسند أحمد (٣/ ٤٠١ و٤٣٤) المحبر (١٧٦ ، ٤٧٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١١) التاريخ الصغير (١٠٢ ، ١١٩ ، ١٢٠) جمهرة نسب قريش (١/ ٣٥٣) ثقات العجلي (١٢٨) المعارف (٣١١) الجرح والتعديل (٣/ ٢٠٢) ثقات ابن حبان (٣/ ٧٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٨٢) جمهرة أنساب العرب (١٢١ وغيرها) الاستيعاب (١/ ٣٦٢) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٠٥) أنساب السمعاني (١/ ٢٢٨) تاريخ ابن عساكر (٥/ ١٢٣/آ) أسد الغابة (٢/ ٤٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٦) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٣٣) تهذيب الكمال (٧/ ١٧٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٧) تذهيب التهذيب (١/ ١٦٩/ ب) العبر (١/ ٦٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤) الكاشف (١/ ١٨٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٣٧) إكمال مغلطاي (١/ ورقة ٢٨٣) مرآة الجنان (١/ ١٢٧) العقد الثمين (٤/ ٢٢١) نهاية السول (ورقة ٧٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٤٧) الإصابة (ت١٨٠٠) خلاصة الخزرجي (٩٠) شذرات الذهب (١/ ٢٥٤) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٤١٦) .

(٤) في (أ) ، ب : مكانها .

أدبارها حتى تلج الشِّعب تحمل الطعام والكسوة تكرمةً لرسول الله ﷺ ولعمته خديجة .

وهو الذي اشترى زيد بن حارثة أولاً ، فابتاعته منه عمتُه خديجة ، فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه .

وهو الذي اشترى حُلَّة ذي يَزَن ، فأهداها لرسول الله ﷺ فلبسها ، قال : فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها .

ومع هذا ما أسلم إلّا يوم الفتح هو وأولاده كلهم .

قال البخاري[١] وغيره : عاش حَكيم في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة .

وكان من سادات قريش وكرمائهم وأعلمهم بالنَّسب ، وكان كثير الصدقة والبِرّ والعَتاقة ، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال له : « أَسلمتَ على ما أَسْلَفْتَ[٢] مِنْ خَيْر »[٣] .

وقد كان حَكيم شهد مع المشركين بدراً ، وتقدَّم إلى الحوض فكاد حمزة أن يقتلَه ، فما سُحب إلا سَحباً من بين يديه ، فلهذا كان حَكيم إذا اجتهد في اليمين يقول : لا والذي نجَّاني يوم بدر .

ولما نزل رسول الله ﷺ يوم الفتح بمَرِّ الظَّهران[٤] ومعه الجنود خرج أبو سفيان وحَكيم يتحسَّسان الأخبار ، فلقيهما العباس ، فأخذ أبا سفيان فأجاره وأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، وأسلم أبو سفيان ليلتئذ كُرْهاً ، ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حكيم .

وشهد مع رسول الله ﷺ حُنَيناً ، وأعطاه رسول الله ﷺ مئةً من الإبل ، ثم سأله ، فأعطاه ، ثم سأله ، فأعطاه ثم قال له : « ياحَكيم إنَّ هذا المال حُلوةٌ خَضِرة ، وإنَّه مَنْ أخذهُ بسَخاوة نَفْسٍ بُورِكَ له فيه ، ومَنْ أخذَهُ بإشْراف نَفْس لم يُبارَك له فيه ، وكان كالذي يأكلُ ولا يَشْبع » . فقال حكيم : والذي بعثك بالحقِّ لا أَرْزَأُ[٥] بعدك أحداً شيئاً . فلم يَرْزَأْ أحداً بعده ، فكان أبو بكر يعرض عليه العطاء فيأبى ، وكذلك عمر فكان يعرض عليه العطاء فيأبى ، فيُشهد عليه المسلمين[٦] . ومع هذا كان من أغنى الناس ، مات الزبير يوم مات ولحكيم عليه مئة ألف .

---

(١) تاريخه الكبير (٣/ الترجمة ٤٢) .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : أسلمت .

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٤٣٦) ومسلم (١٢٣) في الإيمان ، من طريق ابن شهاب ، عن عروة ، عن حكيم بن حزام أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ : أرأيت أموراً كنت أتحنث بها في الجاهلية هل لي فيها من شيء ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «أسلمت على ما أسلفت من خير» .
وللحديث طرق أخرى تنظر في التعليق على السير (٣/ ٤٩) .

(٤) « مر الظهران » : موضع قرب مكة .

(٥) في اللسان : ما رزأ فلاناً شيئاً : أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص منه .

(٦) رواه البخاري رقم (٣١٤٣) ومسلم رقم (١٠٣٥) .

وقد كان بيده حين أسلم الرِّفادة[١] ودار الندوة ، فباعها بعد من معاوية بمئة ألف ـ وفي رواية : بأربعين ألف دينار ـ فقال له ابن الزبير : بعتَ مَكرُمَة قريش ؟! فقال له حكيم : يا بن أخي ذهبت المكارم فلا كرمَ إلَّا بالتقوى ، يا بن أخي إني اشتريتها في الجاهلية بزِقّ خمر ، ولأَشترينَّ بها داراً في الجنة ، أُشهدك أن قد جعلتُها في سبيل الله ، وهذه الدار كانت لقريش بمنزلة دار العدل ، وكانوا لا يُمكنون أحداً من دخولها إلّا مَنْ جاوز الأربعين سنة إلّا حكيم بن حِزام فإنه دخلها وعمره خمس عشرة سنة . ذكره الزبير بن بكّار[٢] .

وذكر الزبير : أنَّ حكيماً حجَّ عاماً فأهدى مئة بَدَنَة مجلَّلة ، وألف شاة ، وأوقف معه بعرفات مئة وَصِيف[٣] في أعناقهم أَطوقة الفضة قد نُقش فيها : هؤلاء عتقاء الله عن حَكيم بن حِزام ، فأعتقهم وأهدى جميع تلك الأنعام[٤] . رضي الله عنه .

توفي حكيم في هذه السنة على الصحيح ، [وقيل : سنة خمسين ، وقيل : سنة ستين][٥] وقيل غير ذلك ، وله من العمر مئة وعشرون سنة .

حُوَيطِب بنُ عبد العُزَّى العامري[٦] : صحابي جليل . أسلم عام الفتح ، وكان قد عُمِّر دهراً طويلاً ، ولهذا جعله عمر في النفر الذين جدَّدوا أنصاب الحرم[٧] .

---

(١) الرفادة شيء كانت قريش تترافد به ـ أي تتعاون ـ في الجاهلية ، وذلك أن يخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم ، فيشترون للحاج الجُزر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج . وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم ، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمي هاشماً لهشمه الثريد (اللسان : رفد) .

(٢) جمهرة نسب قريش (ص٣٥٤) .

(٣) « الوصيف » : العبد أو الخادم .

(٤) جمهرة نسب قريش (ص٣٥٦) .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في ط .

(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٤) تاريخ ابن معين (٢/ ١٤٠) طبقات خليفة (٢٧) تاريخ خليفة (٢٢٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٢٧) المعارف (٣١١) الجرح والتعديل (٣/ ٣١٤) العقد الفريد (٤/ ٣٣ ، ١٥٨) ثقات ابن حبان (٣/ ٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت١٧٧) معجم الطبراني الكبير (٣/ ت٢٤٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٩٢) جمهرة أنساب العرب (١٦٧) الاستيعاب (١/ ٣٩٩) الجمع لابن القيسراني (١/ ١١٤) تاريخ ابن عساكر (٥/ ١٩) أسد الغابة (٢/ ٧٥) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٨٧) تهذيب الكمال (٧/ ٤٦٥) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٨٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٠) الكاشف (١/ ١٩٧) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٤٤) إكمال مغلطاي (١/ ورقة ٣٠٥) العقد الثمين (٤/ ٢٥١) نهاية السول (ورقة ٨٠) الإصابة (٢/ ٣٠٤) تهذيب التهذيب (٣/ ٦٦) خلاصة الخزرجي (٩٩) تهذيب ابن عساكر (٥/ ١٨) .

(٧) « أنصاب الحرم » : حدوده . وحد الحرم من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق تسعة أميال ، ومن طريق اليمن سبعة أميال ، ومن طريق الطائف عشرون ميلاً .

وقد شهد بدراً مع المشركين ، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض . وشهد الحُدَيبية وسعى في الصُّلح ، فلمّا كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذين أمرا رسول الله ﷺ بالخروج من مكة ، فأمر بلالاً ألّا تغرُبَ الشمس وبمكة أحد من أصحابه . قال : وفي كل هذه المواطن أهمُّ بالإسلام ويأبى الله إلّا ما يريد . فلما كان زمن الفتح خفتُ خوفاً شديداً وهربت ، فلحقني أبو ذرّ ـ وكان لي خليلاً في الجاهلية ـ فقال : يا حُوَيطب مالك ؟ فقلت : خائف ، فقال : لا تخف فإنه أبرُّ الناس وأَوْصل الناس ، وأنا جار لك فاقدم معي ، فرجعت معه ، فوقف بي على رسول الله ﷺ وهو بالبَطحاء ومعه أبو بكر وعمر ، وقد علَّمني أبو ذرٍّ أن أقول : السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته ، فلما قلت ذلك قال : « حُوَيطب » ؟! قلت : نعم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : « الحمدُ للهِ الذي هَداك » وسُرَّ بذلك ، واستقرضني مالاً ، فأقرضتُه أربعين ألفاً . وشهدت معه حُنَيناً والطائف ، وأعطاني من غنائم حُنين مئة بعير .

ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة فنزلها ، وله بها دار ، ولما ولي عليها مروان بن الحكم جاءه حُوَيطب وحكيم بن حِزام ومَخْرمة بن نوفل ، فسلَّموا عليه وجعلوا يتحدَّثون عنده ثم تفرَّقوا . ثم اجتمع حُوَيطب بمروان يوماً آخر ، فسأله مروان عن عمره ، فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامُك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث ، فقال حُوَيطب : اللهُ المستعان ، والله لقد هممت بالإسلام غير مرَّة كل ذلك يَعُوقني أبوك يقول : تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين مُحْدَث ، وتصير تابعاً ؟! قال : فأُسكت مروان واستحيىٰ وندم على ما كان قال لي . ثم قال حُوَيطب : أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم ؟ قال : فازداد مروان غَمَّاً .

وكان حُوَيطب فيمن شهد دفن عثمان .

واشترى منه معاوية داره بمكة بأربعين ألف دينار ، فاستكثرها الناس ، فقال حُوَيطب : وما هي في رجل له خمسة من العيال ؟! .

قال الشافعي : كان حُوَيطب حميد الإسلام ، وكان أكثر قريش بمكة ريعاً جاهلياً .

وقال الواقدي : عاش حُوَيطب في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة . ومات حويطب في هذه السنة بالمدينة ، وله مئة وعشرون سنة . وقال غيره : توفي بالشام .

له حديث واحد رواه البخاري ومسلم والنَّسائي[1] من حديث السائب بن يزيد عنه ، عن عبد الله بن

---

(١) رواه البخاري رقم (٧١٦٣) ومسلم رقم (١٠٤٥) والنسائي (٥/ ١٠٤) ومن لطائف هذا الإسناد أن الزهري رواه عن أربعة من الصحابة في نسق واحد السائب ، وحويطب ، وابن السعدي ، وعمر .

السعدي ، عن عمر في العُمَالة[١] بتمامه ، وهو من غريب الحديث لأنه اجتمع فيه أربعة من الصحابة ، رضي الله عنهم .

سَعيد[٢] بن يَرْبوع[٣] : ابن عَنْكَثَة بن عامر بن مخزوم .

أسلم عام الفتح ، وشهد حُنيناً ، وأعطاه رسول الله ﷺ خمسين من الإبل .

وكان اسمه صُرْماً ـ وفي رواية : أَصْرم ـ فسمّاه سعيداً .

وكان في جملة النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم[٤] .

وقد أُصيب بصرُه بعد ذلك ، فأتاه عمر يعزِّيه فيه . رواه البخاري[٥] .

قال الواقدي وخليفة[٦] وغير واحد : مات في هذه السنة بالمدينة ـ وقيل : بمكة ـ وهو ابن مئة وعشرين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك .

مُرَّة بن شَرَاحيل الهَمْداني[٧] : ويقال له : مُرَّة الطَّيِّب ، ومُرَّة الخَيْر .

روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وغيرهم .

كان يصلِّي كل يوم وليلة ألف ركعة ، فلما كبر صلَّى أربعمئة ركعة .

---

(١) « العمالة » : أجرة العامل .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : معبد .

(٣) تاريخ ابن معين (٢/ ٢٠٩) طبقات خليفة (٢٧٨) تاريخ خليفة (٢٢٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ت١٥١١) المعارف (٣١٣) الجرح والتعديل (٤/ ٧٢) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٦٣) مشاهير علماء الأمصار (ت١٧٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٩٠) جمهرة أنساب العرب (١٤٢) الاستيعاب (٢/ ٦٢٦) تاريخ ابن عساكر (٧/ ١٨٢/ ب) أسد الغابة (٢/ ٤٠١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٦) تهذيب الكمال (١١/ ١١١) العبر (١/ ٥٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٩) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٣١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٢) الكاشف (١/ ٢٩٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٣٤٧) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٠٠) نكت الهميان (١٥٩) العقد الثمين (٤/ ٥٨٨) تهذيب التهذيب (٤/ ٩٩) الإصابة (٤/ ٢٠٠) خلاصة الخزرجي (١٤٤) شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) تهذيب ابن عساكر (٦/ ١٨٠) .

(٤) « أنصاب الحرم » : حدوده .

(٥) في تاريخه الكبير (٣/ الترجمة ١٥١١) .

(٦) تاريخه (ص٢٢٣) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦/ ١١٦) طبقات خليفة (ت١٠٧١) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٥) ثقات العجلي (٤٢٤) الجرح والتعديل (٨/ ٣٦٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٥٤) حلية الأولياء (٤/ ١٦١) أنساب السمعاني (٨/ ٢٨٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٣١٦) طبقات علماء الحديث (١/ ١٣٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٧٤) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٦٧) الكاشف (٣/ ١١٦) تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٨) طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢٦) خلاصة الخزرجي (٣٧٢) طبقات المفسرين (٢/ ٣١٧) .

ويقال : إنه سجد حتى أكل التراب جبهته ، فلما مات رُئي في المنام ـ وقد صار ذلك المكان نوراً ـ فقيل له : أين منزلك ؟ فقال : في دار لا يَظْعَن أهلُها ولا يموتون .

[النُّعَيْمان بن عَمْرو][١] [٢] : ابن رفاعة بن الحارث[٣] .

شهد بدراً وما بعدها .

ويقال : إنه هو الذي كان يُؤتى به في الخمر [فيجلده النبي ﷺ][٤] فقال رجل : لعنه اللهُ ما أكثرَ ما يُؤتى به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تَلْعَنْه ، فإنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَه »[٥] .

سَوْدة بنت[٦] زَمْعَة[٧] : القرشيَّة العامريَّة ، أمُّ المؤمنين .

تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة ، وكانت قبلَه عند السَّكران بن عمرو ـ أخي سهيل بن عمرو ـ فلما كبرت همَّ رسول الله ﷺ بطلاقها ، ويقال : إنه طلَّقها ، فسألته أن يُبقيها في نسائه وتهب يومها لعائشة ، فقبل ذلك منها وأبقاها ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ الآية[النساء : ١٢٨][٨] .

وكانت ذات عبادة وورع وزهادة .

قالت عائشة : مامن امرأة أحبّ أن أكون في مِسْلاخها إلا سَوْدة ، إلَّا أنَّ فيها حدَّة تسرعُ منها الفَيْئة[٩] .

---

(١) سقط من أ .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٧٠٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٩٣) المعارف (٣٢٨ ، ٣٢٩) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٥ ، ٣٦٦) الاشتقاق (٤٥٠) الجرح والتعديل (٨/ ٥٠٧) الاستيعاب (٤/ ١٥٢٦) أسد الغابة (٥/ ٣٥١) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٩) الإصابة (ت٨٧٨٨) حياة الصحابة للكاندهلوي (٣/ ١٨٥) .

(٣) تحرفت لفظة الحارث في المطبوع إلى : الحر .

(٤) سقط من ط ، ب .

(٥) انظر البخاري رقم (٦٧٧٥) من حديث عقبة بن عامر ، والبخاري رقم (٦٧٨٠) من حديث عمر .

(٦) في المطبوع : بن وهو خطأ .

(٧) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٢) طبقات خليفة (٣٣٥) مسند أحمد (٦/ ٤٢٩) التاريخ الصغير (٥٠ ، ١٠٩) المعارف (١٣٣ ، ٢٨٤) الاستيعاب (٤/ ١٨٦٧) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٣٩٧) جامع الأصول (٩/ ١٤٥) أسد الغابة (٧/ ١٥٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٦٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٥) الكاشف (٣/ ٤٢٨) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٦) الإصابة (١٢/ ٣٢٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٦) خلاصة الخزرجي (٤٩٢) شذرات الذهب (١/ ١٧٩ و٢٥٥) أعلام النساء لكحالة (٢/ ٢٦٧) .

(٨) رواه أبو داود رقم (٢١٣٥) وهو حديث صحيح .

(٩) أخرجه مسلم (١٤٦٣) في الرضاع : باب جواز هبتها نوبتها لضرتها . « والمسلاخ » : الجلد ، فكأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها .

ذكر ابن الجوزي وفاتها في هذه السنة ، وقال ابن أبي خَيْثمة : توفيت في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله [بن عمرو][1] بن غَيْلان عن البصرة وولّى عليها عبيد الله بن زياد ، وكان سبب عزله أنه كان يخطُب الناس ، فحصَبه رجل من بني ضَبَّة ، فأمر بقطع يده ، فجاء قومه إليه فقالوا له : إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعتَ يد صاحبنا في هذا الصَّنيع فعل به وبقومه نظير ما فعل بحُجر بن عدي ، فاكتب لنا كتاباً أنك قطعت يده في شُبهة ، فكتب لهم ، فتركوه عندهم حيناً ، ثم جاؤوا معاوية فقالوا له : إنَّ نائبك قطع يد صاحبنا في شُبهة فأَقِدْنا منه ، قال : لا سبيل إلى القَوَد من نوّابي ولكن الدِّية ، فأعطاهم الدية [من بيت المال][2] وعزل عنهم ابن غَيْلان ، وقال لهم : اختاروا مَنْ تريدون ، فذكروا رجالًا ، فقال : لا ، ولكن أولِّي عليكم ابنَ أخي عبيد الله بن زياد ، فولّاه ، فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة ، فلم يغزُ ولم يفتح شيئاً من البلاد .

وجاء ابن زياد إلى البصرة فولَّى قضاءها لزُرارة بن أَوْفى ، ثم عزله وولّى ابن أُذينة العبدي ، وولّى شرطتها عبد الله بن حصن[3] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أَسِيد عن الكوفة ، وولّى عليها الضحاك بن قيس الفِهْري .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

الأَرْقم بنُ أبي الأَرْقم[4] : عبد مناف بن أَسَد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

أسلم قديماً ـ يقال : سابع سبعة ـ وكانت داره كهفاً للمسلمين يأوي إليها رسول الله ﷺ ومَنْ أسلم معه

---

(١) ليس في ط .
(٢) ليس في ط .
(٣) في ط : الحصين .
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٢) طبقات خليفة (٢١) مسند أحمد (٣/ ٤١٧) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٤٦) الجرح والتعديل (٢/ ٣٠٩) مشاهير علماء الأمصار (ت١٦٢) معجم الطبراني الكبير (١/ ٢٨٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٢) الاستبصار (١١٧) الاستيعاب (١/ ١٣١) أسد الغابة (١/ ٧٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٣) العبر (١/ ٦١) الإصابة (١/ ٤٠) كنز العمال (١٣/ ٢٦٩) شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) .

من قريش ، وكانت عند الصَّفا ، وقد صارت فيما بعد ذلك للمهدي ، فوهبها لامرأته الخَيْزُران أمِّ موسى الهادي وهارون الرشيد ، فَبَنَتْها وجدَّدتها فعُرفت بها ، ثم صارت لغيرها .

وقد شهد الأَرقم بدراً وما بعدها من المشاهد .

ومات بالمدينة في هذه السنة ، وصلَّى عليه سعد بن أبي وقاص أوصى به رضي الله عنهما ، وله بضع وثمانون سنة .

سَحْبان بنُ زُفَر بن إياس[١] : ابن عبد شمس بن الأحب[٢] الباهلي الوائلي ، الذي يضرب بفصاحته المثل فيقال : أفصح من سَحْبان وائل . ووائل : هو ابن مَعْن[٣] بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان[٤] بن مُضر بن نزار . وباهلة امرأة مالك بن أعصُر ، ينسب إليها ولدها ، وهي : باهلة بنت صَعب بن سعد العَشيرة .

قال ابن عساكر : سَحْبان المعروف بسَحْبان وائل ، بلغني أنه وفد على معاوية فتكلَّم ، فقال معاوية : أنت الشيخ ؟ فقال : إي والله وغير ذلك . ولم يزد ابن عساكر على هذا .

وقد نسبه ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » كما ذكرنا ، ثم قال : وكان بليغاً يُضرب المثل بفصاحته ، دخل يوماً على معاوية وعنده خطباء القبائل ، فلمّا رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه ، فقال سَحْبان :

لقَـدْ علِـمَ الحيُّ اليَمـانُـون أنَّـني إذا قلتُ : أمَّا بعدُ ، أَنِّي خطيبُها

فقال له معاوية : اخطب ، فقال : انظروا لي عَصاً تُقيم من أَوَدي ، فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربَّه عزَّ وجل ، فأخذها وتكلم من الظُّهر إلى أن قاربت العصر ، ما تنحنح ولا سعَل ولا توقَّف ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه وقد بقيتْ عليه بقيةٌ فيه ، فقال معاوية : الصلاة ، فقال : الصلاة أمامك ، ألسنا في تحميد وتمجيد ، وعِظة وتنبيه ، وتذكير ووعد ووعيد ؟! فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال : العرب وحدَها ؟! بل أخطب الجنِّ والإنس ، قال : أنت كذلك .

---

(١) المعارف (٦١١) الاشتقاق (٢٧٣) العقد الفريد (٢/ ٢٤٠) مجمع الأمثال (١/ ٢٤٩) تاريخ ابن عساكر (تهذيبه : ٦/ ٦٥) ، لسان العرب : (سحب) ، بلوغ الأدب (٣/ ١٥٦) خزانة الأدب (٤/ ٣٤٧) أعلام الزركلي (٣/ ٧٩) .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : الأجب .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : معد .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : غيلان .

سعد بن أبي وقّاص[١] : واسمه[٢] مالك بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب ، أبو إسحاق القرشي الزُّهري . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشُّورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

أسلم سعد قديماً ، قالوا : وكان عمره يوم أسلم سبع عشرة سنة . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : ما أسلمَ أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإني لثلُث الإسلام[٣] سابع سبعة[٤] .

وهاجر ، وشهد بدراً وما بعدها . وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله[٥] . وكان فارساً شجاعاً ، من أمراء رسول الله ﷺ .

وكان في أيام الصدِّيق معظَّماً جليل القدر ، وكذلك في أيام عمر ، وقد استنابه عمر على الكوفة ، وهو الذي كوَّف الكوفة ، ونفى عنها الأعاجم . وكان مجاب الدعوة . وهو الذي فتح المدائن ، وكانت بين يديه وقعة جَلُولاء[٦] . وكان سيِّداً مطاعاً . وعزله عمر عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ، ولكن للمصلحة التي ظهرتْ لعمر في ذلك ، وقد ذكره في الستة أصحاب الشُّورى . ثم ولّاه عثمان الكوفة ، ثم عزله عنها .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٧ و٦/ ١٢) نسب قريش (٢٦٣ وغيرها) طبقات خليفة (١٥ ، ١٢٦) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (١/ ١٦٨) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ت١٩٠٨) التاريخ الصغير (١/ ٩٩ وغيرها) ثقات العجلي (١٨٠) المعارف (٢٤١) فتوح البلدان (٢١٥) الجرح والتعديل (٤/ ٩٣) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٥٤) مشاهير علماء الأمصار (ت١٠) حلية الأولياء (١/ ٩٢) الاستيعاب (٢/ ٦٠٦) تاريخ بغداد (١/ ١٤٤) تاريخ ابن عساكر (٧/ ٦٦/ ب) جامع الأصول (٩/ ١٠) أسد الغابة (٢/ ٣٦٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٠) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٠٩) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢) دول الإسلام (١/ ٤٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨١) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١١) الكاشف (١/ ٢٨٠) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٢٧٢) العبر (١/ ٦٠) نكت الهميان (١٥٥) مجمع الزوائد (٩/ ١٥٣) العقد الثمين (٤/ ٥٣٧) غاية النهاية (١/ ٣٠٤) الإصابة (٤/ ١٦٠) تهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٤٧) طبقات الحفاظ (٥) حسن المحاضرة (١/ ٢٠٥) خلاصة الخزرجي (١٣٥) كنز العمال (١٣/ ٢١٢) شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٩٥) .

(٢) يعني اسم أبي وقاص .

(٣) رواه البخاري (٣٧٢٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (٥٤١٢) .

(٥) الأوائل لابن قتيبة (ص٦٣) .

(٦) وتسمى جلولاء الوقيعة ، كانت سنة ١٦هـ ، وكان النصر فيها للمسلمين . وموضع جلولاء اليوم بالعراق . وخبر هذه الوقعة في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤) وما بعدها . وأيضاً في معجم البلدان (٤/ ١٥٦) وبلدان الخلافة الشرقية (ص٨٧) .

وقال الحميدي : عن سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار قال : شهد سعد بن أبي وقاص وابن عمر دومة الجَنْدل يوم الحكَمَيْن .

وثبت في « صحيح مسلم »[١] أن ابنه عُمر جاء إليه وهو معتزل في إبله فقال : الناسُ يتنازعون الإمارة وأنت هاهنا ؟! فقال : يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ الغَنيَّ التَّقيَّ الخَفيّ » .

قال ابن عساكر : وذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص جاءه فقال : يا عم هاهنا مئة ألف سيف يَرَوْنك أحقَّ الناس بهذا الأمر ، فقال : أريد من مئة ألف سيف سيفاً واحداً إذا ضربتُ به المؤمن لم يؤذه ولم يقطع فيه شيئاً ، وإذا ضربتُ به الكافر قطع . [أو قال : أريد سيفاً يعرف المؤمن من غيره حتى لا أؤذيه][٢] .

وقال عبد الرزاق : [عن معمر][٣] عن ابن جُريج ، حدثني زكريا بن عمرو أنَّ سعد بن أبي وقّاص وفد على معاوية ، فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر[٤] . وقال غيره : فبايعه وما سأله سعد شيئاً إلّا أعطاه إياه .

وقال أبو يعلى[٥] : حدّثنا زهير ، حدّثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : قال سعد : إني لأولُ رجل رمىٰ بسهم في سبيل الله في المشركين ، وما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحدٍ قبلي ، ولقد سمعتُه يقول : « اِرْمِ فداكَ أبي وأُمي » .

وقال أحمد[٦] : حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا إسماعيل ، عن قيس سمعت سعد بن مالك يقول : والله إني لأول العرب رمىٰ بسهمٍ في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو ومالنا طعام نأكله إلّا ورق الحُبْلَة وهذا السَّمُر[٧] حتى إنَّ أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحتْ بنو أسد تعزِّرني على الدِّين ، لقد خبتُ إذاً وضلَّ عملي .

رواه شعبة ووكيع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به .

---

(١) رقم (٢٩٦٥) في الزهد .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٣) ليس في (ط) و (ب) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق برقم (٤٣٥١) .

(٥) في مسنده (٢/ رقم ٧٥٢) وإسناده صحيح .

(٦) هو في مسند أحمد (١/ ١٨٦) والبخاري رقم (٥٤١٢) ومسلم رقم (٢٩٦٦) .

(٧) « ورق الحبلة والسمر » : نوعان من شجر البادية .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا [يحيى بن سعيد][1] عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن سعد قال : « جمعَ لي رسولُ الله ﷺ أبوَيْه يومَ أُحد » .

ورواه أحمد [أيضاً عن غُنْدَر][2] ، عن شعبة ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري .

[وقد رواه الليث وغير واحد عن يحيى الأنصاري][3] .

ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيِّب ، عن سعد .

ورواه الناس من حديث عامر بن سعد ، عن أبيه .

وفي بعض الروايات : « فداكَ أبي وأمي » . وفي رواية : « فقال : اِرْمِ وأنتَ الغلامُ الحَزَوَّر »[4] .

وقال أحمد[5] : حدّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن شدّاد ، سمعت علياً يقول : ما سمعتُ رسول الله ﷺ يفدي أحداً بأبويه إلّا سعد بن مالك ، فإني سمعتُه يقول له يوم أُحد : « اِرْمِ سعدُ فداكَ أبي وأُمي » .

ورواه البخاري[6] عن أبي نعيم عن مِسْعَر ، عن سعد بن إبراهيم به .

ورواه شعبة ، عن سعد بن إبراهيم .

ورواه سفيان بن عُيينة وغير واحد ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن علي بن أبي طالب ، فذكره .

وقال الأعمش : عن أبي خالد ، عن جابر بن سَمُرة قال : أول الناس رمىٰ بسهمٍ في سبيل الله سعدٌ رضي الله عنه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمر ، عن أيوب أنه سمع عائشةَ بنت سعد تقول : أنا ابنةُ المهاجر الذي فدَّاه رسول الله ﷺ بالأبوين .

وقال الواقدي : حدّثتني عبيدة بنت نابل[7] ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها قال : لقد رأيتني أرمي بالسَّهم يوم أُحد فيردّه عليَّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتّى لمّا كان بعد ذلك ظننتُ أنه مَلَك .

---

(١) سقط من أ ، وهو في مسند أحمد (١/ ١٨٠) وإسناده صحيح .
(٢) سقط من آ ، وهو في مسند أحمد (١/ ١٧٤) وغندر : هو محمد بن جعفر .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٤) « الحزوّر » : الغلام إذا اشتد وقوي .
(٥) مسند أحمد (١/ ١٢٤) وإسناده صحيح .
(٦) البخاري رقم (٤٠٥٨) .
(٧) في أ ، ط : حدثني عبيدة بن نابل وهو تصحيف . تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٧) وغيره .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدّثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه [عن أبيه][١] عن سعد بن أبي وقّاص قال : لقد رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يوم أُحدٍ رجلَين عليهما ثيابٌ بيض يقاتلان عنه كأشدِّ القتال ، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ .

ورواه الواقدي : حدّثني [أبو][٢] إسحاق بن أبي عبد الله ، عن عبد الواحد[٣] ـ جد ابن أبي عون ـ عن زياد مولى سعد ، عن سعد قال : رأيتُ رجلَين يوم بدرٍ يقاتلان عن رسول الله ﷺ أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وإني لأراهُ ينظرُ إلى ذا مرةً وإلى ذا مرةً مسروراً بما ظفَّره الله عز وجل[٤] .

وقال الأعمش : عن إبراهيم ، عن[٥] علقمة ، عن ابن مسعود قال : لقد رأيتُ سعدَ بن أبي وقّاص يقاتل يوم بدرٍ قتالَ الفارس للرّاجل .

وقال سفيان : عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة بن[٦] عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : اشتركتُ أنا وسعدٌ وعمّار يوم بدر فيما أصبنا من الغنيمة ، فجاء سعد بأَسِيرين ، ولم أَجىء أنا وعمّار بشيء .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبد الله بن عامر بن ربيعة يقول : قالت عائشة : بات رسول الله ﷺ أَرِقاً ذات ليلة ثم قال : « ليتَ رجلاً صالحاً يحرسُني الليلة » قالت : فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوت السِّلاح ، فقال رسول الله : « مَنْ هذا » ؟ قال : أنا سعد بن أبي وقاص جئت أحرسُكَ يا رسول الله ، قالت : فنام رسول الله ﷺ حتى سمعتُ غَطِيطه[٧] .

أخرجاه[٨] من حديث يحيى بن سعيد .

وفي رواية : فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام .

وقال أحمد : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا رِشْدين بن سعد ، عن الحجّاج[٩] بن شدّاد ، عن أبي صالح

---

(١) سقط من الأصول ، وهو في مسند أحمد (١/ ١٧١) وإسناده صحيح ، وهو في البخاري رقم (٤٠٥٤) ومسلم رقم (٢٣٠٦) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبد العزيز .

(٤) مغازي الواقدي (١/ ٧٨) .

(٥) في المطبوع بن ، وهو خطأ .

(٦) في الأصل : عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود ، وهو خطأ .

(٧) « الغطيط » : صوت النائم المرتفع .

(٨) البخاري (٢٨٨٥) في الجهاد : باب الحراسة في الغزو ، ومسلم (٢٤١٠) في الفضائل : باب فضائل سعد .

(٩) في المطبوع : يحيى بن الحجاج ، خطأ .

الغِفَاري ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « أولُ مَنْ يدخلُ مِنْ هذا الباب رجلٌ منْ أهلِ الجنَّة » فدخل سعد بن أبي وقّاص[١] .

وقال أبو يعلى : حدّثنا محمد بن المثنى [حدّثنا عبد الله][٢] بن قيس الرَّقاشي الخرّاز بصري ، حدّثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال : « يدخلُ عليكم مِنْ هذا الباب رجلٌ من أهل الجنَّة » ، قال : فليس منا أحد إلا وهو يتمنّى أن يكون من أهل بيته ، فإذا سعدُ بن أبي وقّاص قد طلَعَ[٣] .

وقال حَرْملة : عن ابن وَهْب ، أخبرني حَيْوة ، أخبرني عقيل ، عن ابن شِهاب ، حدّثني مَنْ لا أتّهم، عن أنس بن مالك قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ فقال : « يطلُعُ الآنَ عليكم رجلٌ من أهل الجنَّة » فاطَّلع سعد بن أبي وقّاص ، حتى إذا كان الغد قال : رسول الله ﷺ مثل ذلك ، قال : فاطَّلع سعد بن أبي وقّاص على ترتيبه الأول . حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، قال : فطلَع على ترتيبه الأول . فلمّا قام رسول الله ﷺ ثار عبد الله بن عمرو بن العاص [إلى سعد][٤] فقال : إني غاضبتُ أبي فأقسمتُ ألَّا أدخلَ عليه ثلاث ليال ، فإن رأيتَ أن تُؤويني إليكَ حتى تنحلَّ يميني فعلت . قال أنس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان مع الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئاً ، غير أنه كان إذا انقلبَ على فراشه ذكر الله وكبّره حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلّى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمّه ثم يصبح مفطراً . قال عبد الله بن عمرو : فرمقتُه ثلاث ليال وأيامَهُنَّ لا يزيد على ذلك ، غير أني لم أسمعه يقول إلّا خيراً ، فلمّا مضت الليالي الثلاث وكدتُ أحتقر عمله ، قلتُ : إنه لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجر ، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ قبل ذلك يقول ثلاث مرات في ثلاثة مجالس : « يطلُع عليكم رجلٌ من أهلِ الجنَّة » فاطَّلعتَ أنت ، فأردتُ أن آوي إليك حتى أنظرَ ما عملك فأَقتدي بكَ لأنال ما نلتَ ، فلم أرَ لك كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما هو إلّا ما رأيتَ . قال : فانصرفتُ ، فدعاني حين ولَّيت ، فقال : ما هو إلَّا ما رأيتَ غيرَ أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ، ولا أنوي له شرّاً ، ولا أقوله . قال : قلت : هذه التي بلغتْ بك وهي التي لا أُطيق[٥] .

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٢٢) وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد ، وبشارة سعد بن أبي وقاص بالجنة . ثابتة في أحاديث صحيحة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) سقط من (أ) و (ب) .

(٣) قال العقيلي في الضعفاء : عبد الله بن قيس الرقاشي ، عن أيوب حديثه غير محفوظ ، ولا يتابع عليه ، ولا يعرف إلا به . ثم أورد حديثه هذا . . .

(٤) من (أ) فقط .

(٥) وإسناده ضعيف ، وهو في مسند أحمد (٣/ ١٦٦) من حديث أنس أيضاً ، وفيه أن الرجل من الأنصار وسعد ليسَ أنصارياً ، بل هو قرشيّ ، والحديث صحيح في مسند أحمد ، وهو بمعناه .

هكذا رواه صالح المُرِّي ، عن عمرو بن دينار ـ مولى [آل][1] الزبير ـ عن سالم ، عن أبيه ، فذكر مثلَه من رواية أنس بن مالك .

وثبت في « صحيح مسلم »[2] من طريق سفيان الثَّوري ، عن المِقْدام بن شُريح ، عن أبيه ، عن سعدٍ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام : ٥٢] نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم .

وفي رواية : أنزل الله فيّ : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ [العنكبوت : ٨] وذلك أنه لما أسلم امتنعتْ أمُّه من الطعام والشراب أياماً ، فقال لها سعد : تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجتْ نفساً نفساً ما تركتُ ديني هذا لشيء ، إن شئتِ فكُلي واشرَبي ، وإن شئتِ فلا تأكُلي ولا تَشْربي [فلمّا رأتْ ذلك أكلتْ][3] فنزلت هذه الآية .

وأما حديث الشهادة للعشرة بالجنَّة فثبت في الصحيح[4] من حديث سعيد بن زيد[5] .

وجاء من حديث سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة في قصة حِرَاء[6] ذكرُ سعد بن أبي وقّاص منهم .

وقال هشيم وغير واحد : عن مجالد ، عن الشَّعبي ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ فأقبل سعد ، فقال رسول الله ﷺ : « هٰذا خالي ، فَلْيُرِني امرُؤٌ خالَه » . رواه الترمذي[7] .

وقال الطبراني[8] : حدّثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَري ، حدّثنا عبد الوهّاب بن الضحّاك ، حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن ماعز التَّميمي ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل سعد ، فقال : « هٰذا خالي » .

وثبت في « الصحيحين » من حديث مالك وغيره ، عن الزُّهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه « أنَّ رسول الله ﷺ جاءه يعودُه عام حجَّة الوداع من وجع اشتدَّ به . فقلت : يا رسول الله ! إني ذو مال

---

(١) سقطت من ط .
(٢) رقم (٢٤١٣) في الفضائل : باب فضائل سعد .
(٣) ليس في ط .
(٤) كأنه يريد: في الحديث الصحيح، وليس كتاباً بعينه، فهو ليس في الصحيحين، كما سيأتي في تخريجه .
(٥) رواه أحمد (١/ ١٨٨) وأبو داود رقم (٤٦٤٩) والترمذي رقم (٣٧٥٧) وهو حديث صحيح .
(٦) أخرجه مسلم (٢٤١٧) من طريق يحيى بن سعيد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء ، فتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : «اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم .
(٧) برقم (٣٧٥٢) في المناقب : باب مناقب سعد . وقوله : « هذا خالي » لأن أم النبي ﷺ زهرية ، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، ابنة عم أبي وقاص ، وهو حديث صحيح .
(٨) في معجمه الكبير برقم (٣٢٣) .

ولا يَرثني إلا ابنة ، أفأتصدَّق بثلثي مالي ؟ قال : لا ، قلت : فالشطر يا رسول الله ؟ قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنكَ أن تَذَر ورثتَكَ أغنياء خيرٌ من أن تذرَهم عالةً يتكفَّفون الناس ، وإنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلّا أُجرت بها ، حتى ما تجعلُ في في امرأتِك ـ وفي رواية : حتى اللقمة تضعُها في فم امرأتك ـ قلتُ : يا رسول الله أُخلَّف بعد أصحابي ؟ فقال : إنك لن تخلَّف فتعملَ عملاً تبتغي به وجهَ الله إلّا ازددتَ به درجةً ورِفعَة ، ولعلَّك أن تخلَّف حتى يَنتفِعَ بك أقوام ويُضرَّ بك آخرون . ثم قال : اللهمَّ أَمضِ لأصحابي هجرتَهم ولا تردَّهم على أعقابهم ، لكن البائسُ سعدُ بن خَوْلَة » يرثي له رسول الله ﷺ أنْ مات بمكة[١] .

ورواه أحمد[٢] ، عن يحيى بن سعيد ، عن الجَعْد بن أوس ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها فذكر نحوه ، وفيه : قال : « فوضعَ يدَهُ على جبهتِه فمسحَ وجهَه وصدرَه وبطنَه وقال : اللهمَّ اشْفِ سعداً وأتمَّ لهُ هجرتَه » . قال سعد : فما زلتُ يخيَّل إليَّ أني أجدُ برد يده على كبدي حتى السّاعة .

وقال ابن وهب : حدّثني موسى بن عُلَيّ بن رباح ، عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ عاد سعداً فقال : « اللهمَّ أَذهِبْ عنه الباس ، إلَهَ الناس مَلِك الناس ، أنتَ الشّافي لا شافيَ له إلّا أنت ، بسم الله أَرْقِيكَ من كلِّ شيء يُؤْذيك ، من حَسَدٍ وعَيْن ، اللهمَّ أَصِحَّ قلبَهُ وجسمَه ، واكشِفْ سَقَمَه ، وأَجِبْ دَعْوَتَه » .

وقال ابن وهب : أخبرني عمرو ، عن بكر بن الأَشَجّ قال : سألت عامر بن سعد عن قول رسول الله ﷺ لسعد : « وعسى أَنْ تبقىٰ ينتفع بكَ أقوام ويُضَرّ بك آخرون » فقال : أُمِّر سعدٌ على العراق ، فقتل قوماً على الرِّدَّة فضرَّهم ، واستتاب قوماً كانوا سجعُوا[٣] سجع مُسَيْلمة الكذّاب ، فتابوا ، فانتفعوا به .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا أبو المغيرة ، حدّثنا مُعان[٥] بن رِفاعة ، حدّثني علي بن يزيد[٦] ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن أبي أُمامة قال : جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكَّرنا ورقَّقَنا ، فبكى سعد بن أبي وقّاص فأكثر البكاء ، وقال : يا ليتني متّ ، فقال رسول الله ﷺ : [« يا سعد ! أعندي تتمنّى الموت » ؟ فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال][٧] « يا سعد ! إنْ كنتَ للجنَّة خُلقتَ ، فما طالَ من عُمركَ أو حسُنَ من عملكَ فهو خيرٌ لك » .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٩٥) ومسلم رقم (١٦٢٨) وقوله : يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة ، هو من كلام الزهري كما ذكر الحافظ في الفتح .

(٢) في مسنده (١/ ١٧١) وهو حديث صحيح .

(٣) سجعوا سجع فلان : أشبهوه وساروا على قصده .

(٤) في مسنده (٥/ ٢٦٧) وإسناده ضعيف .

(٥) تحرف في ط إلى : معاذ .

(٦) تحرف في ط إلى : زيد .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدركته من المسند .

وقال موسى بن عقبة وغيره : عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس عن سعد : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهمَّ سَدِّدْ رميتَه ، وأَجِبْ دَعْوَتَه » .

ورواه سيار بن بشير ، عن قيس ، عن أبي بكر الصدِّيق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لسعد : « اللهمَّ سَدِّدْ سهمَه ، وأَجِبْ دعوتَه ، وحبِّبْهُ إلى عبادك » .

وروي من حديث ابن عباس ـ وفي رواية : محمد بن عائذ الدمشقي ـ عن الهيثم بن حميد ، عن مطعم ، عن المقدام وغيره : أن سعداً قال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجيب دعوتي ، فقال : « إنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعوةَ عبدٍ حتى يطيبَ مطعَمَه » فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يطيب مطعمي ، فدعا له . قالوا : فكان سعد يتورَّع من السنبلة يجدها في زرعه ، فيردّها من حيث أخذت .

وقد كان سعد مجاب الدعوة ، لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فمن أشهر ذلك ما ثبت في « الصحيحين » من طريق عبد الملك بن عُمير ، عن جابر بن سَمُرة[١] : أنَّ أهل الكوفة شكَوا سعداً إلى عمر في كلِّ شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلِّي ، فقال سعد : أما إني لا آلو أن أصلِّي بهم صلاة رسول الله ﷺ أُطيل في الأُولَيين وأَحذف [في][٢] الأُخْرَيين ، فقال عمر : ذاك الظنُّ بكَ يا أبا إسحاق[٣] .

وكان قد بعث مَنْ يسأل عنه بمحالِّ الكوفة ، فجلعوا لا يسألون أهل مسجد إلّا أثنَوا خيراً ، حتى مرُّوا بمسجد لبني عبس ، فقام رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قَتادة فقال : إن سعداً كان لا يسير في السَّريَّة ، ولا يقسم بالسَّويَّة ، ولا يعدل في القضيَّة . فبلغ سعداً قولُه ، فقال : اللهمَّ إن كان عبدُك هذا قام مقام رياء وسمعة فأَطِلْ عمرَه ، وأَدم فقرَه ، وأَعم بصرَه ، وعرِّضه للفتن . قال : فأنا رأيته بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه ، يقف في الطريق فيغمز الجواري ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ مفتونٌ أصابته دعوةُ سعد ، وفي رواية غريبة : أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عُبيد ، فقتل فيها[٤] .

وقال الطبراني[٥] : حدّثنا يوسف القاضي ، حدّثنا عمرو بن مرزوق ، حدّثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن سعيد بن المسيِّب قال : خرجتْ جاريةٌ لسعد يقال لها زبراء ، وعليها قميص جديد ،

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سلمة .

(٢) سقطت من المطبوع . وقوله : أحذف في الأخريين يعني : أقصرهما عن الأوليين ، لا أنه يخل بالقراءة ويحذفها كلها .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠) والبخاري (٧٧٠) باب يطوِّل في الأوليين ويحذف في الأخريين ، ومسلم (٤٥٣) في الصلاة : باب القراءة في الظهر والعصر .

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ١١٣ ـ ١١٤) .

(٥) في الكبير برقم (٣٠٩) .

فكشفها الريح ، فشدَّ عليها عمر بالدِّرَّة ، وجاء سعد ليمنعَه ، فتناوله عمر بالدِّرَّة ، فذهب سعد يدعو على عمر ، فناوله الدِّرَّة وقال : اقتصَّ مني ، فعفا عن عمر .

وروي أيضاً : أنه كان بين سعد وابن مسعود كلام ، فهمَّ سعدٌ أن يدعوَ عليه ، فخاف ابن مسعود وجعل يشتدُّ في الهرب .

وقال سفيان بن عُيينة : لمّا كان يوم القادسيَّة كان سعد على الناس ، وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم الفتح - يعني : فتح القادسيَّة - فقال رجل من بَجِيلَة :

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أظهـرَ دِينَـهُ وسعدٌ ببابِ القادسيَّة مُعْصَمُ
فـأُبْنا وقـد آمَـتْ نسَـاءٌ كثيـرةٌ ونِسْوةُ سعدٍ ليسَ فيهنَّ أَيِّمُ[١]

فقال سعد : اللهمَّ اكفنا يدَهُ ولسانَه ، فجاء سهمُ غَرب[٢] ، فخرسَ ويبستْ يداه جميعاً .

وقد أسند زياد البكّائي وسيف بن عمر ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن قَبيصة بن جابر ، عن ابن عمر[٣] . . فذكر مثله ، وفيه : ثم خرج سعد فأرى القوم ما به من القروح في ظهره ليعذر إليهم .

وقال هشيم : عن أبي بلح ، عن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي ، فنهاه سعد ، فلم ينته ، فقال سعد : أدعو عليك ، فلم ينته ، فدعا الله عليه [فما برح][٤] حتى جاء بعير نادٌّ[٥] فتخبَّطه .

وجاء من و جه آخر : عن عامر بن سعد : أنَّ سعداً رأى جماعة عكوفاً على رجل ، فأدخل رأسه من بين اثنين ، فإذا هو يسبُّ علياً وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك ، فلم ينته ، فقال : أدعو عليك ، فقال الرجل : تتهدَّدني كأنك نبيّ ؟! فانصرف عنه سعد ، فدخل دار آل فلان ، فتوضأ وصلَّى ركعتين ، ثم رفع يديه فقال : اللهمَّ إن كنتَ تعلم أن هذا الرجل قد سبَّ أقواماً قد سبقت لهم منك سابقة الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبُّه إياهم ، فاجعلْه اليوم آيةً وعبرة . قال : فخرجتْ بُخْتيَّةٌ[٦] نادَّة من دار آل فلان لا يردُّها شيء حتى دخلتْ بين أضعاف الناس ، فافترق الناس عنها ، فأخذته بين قوائمها ، فلم تزل تتخبَّطه حتى مات . قال : فلقد رأيت الناس يشتدُّون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق .

---

(١) البيتان في العقد الفريد (١/ ٤٤) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٩/ ٢٦٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٦٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥) .
(٢) « سهم غرب » : أي لايعرف راميه .
(٣) هكذا في الأصول ، وكذلك في السير (١/ ١١٥) .
(٤) ليس في ط .
(٥) « نادّ » : شارد .
(٦) « البختية » : الناقة .

ورواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب . فذكر نحوه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر القرشي ، حدّثنا عبد الرزّاق ، عن أبيه ، عن مِينا[١] ـ مولى عبد الرحمن بن عوف ـ : أنَّ امرأة كانت تطَّلع على سعد ، فنهاها ، فلم تنته ، فاطَّلعتْ يوماً وهو يتوضأ ، فقال : شاهَ وجهُكِ ، فعاد وجهُها في قفاها .

وقال كثير النَّوّاء : عن عبد الله بن بديل قال : دخل سعد على معاوية ، فقال له : مالكَ لم تقاتلْ معنا ؟ فقال : إني مرَّت بي ريح مظلمة فقلت : إخْ إخْ[٢] ، فأنختُ راحلتي حتى انجلتْ عني ، ثم عرفتُ الطريق فسرت ، فقال معاوية : إنه ليس في كتاب الله إخْ إخْ ، ولكن قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآيِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٩] فوالله ما كنتَ مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية . قال سعد : ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ : « أنتَ منّي بمنزلةِ هارونَ من موسىٰ غيرَ أنَّهُ لا نبيَّ بعدي » . فقال معاوية : مَنْ سمع هذا معك ؟ فقال : فلان وفلان وأمُّ سلمة . فقال معاوية : أما إنّي لو سمعتُه منه ﷺ لما قاتلتُ علياً . وفي رواية من وجه آخر : أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجَّة حجَّها معاوية ، وأنهما قاما إلى أمّ سلمة ، فسألاها ، فحدَّثتهما بما حدَّث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعتُ هذا قبلَ هذا اليوم لكنتُ خادماً لعلي حتى يموت أو أموت .

وفي إسناد هذا ضعف[٣] ، والله أعلم .

وقد روي عن سعد : أنه سمع رجلاً يتكلَّم في علي وفي خالد ، فقال : إنَّه لم يبلغ ما بينَنا إلى ديننا .

وقال محمد بن سِيرين : طاف سعد على تسع جوارٍ في ليلة ، فلما انتهى إلى العاشرة أخذه النوم ، فاستحيتْ أن توقظه .

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب : يا بُنيَّ إذا طلبتَ شيئاً فاطلبه بالقناعة ، فإنه مَنْ لا قناعةَ له لم يُغنه المال .

وقال حماد بن سلمة : عن سِمَاك بن حرب ، عن مصعب بن سعد قال : كان رأس أبي في حَجْري وهو يقضي ، فبكيت ، فقال : ما يبكيك يا بُنيّ ؟ والله إنَّ الله لا يعذِّبني أبداً ، وإني لمن أهل الجنَّة ، إنَّ

---

(١) هو مينا بن أبي مينا الزهري ، متروك ، قال ابن حبان في المجروحين (٣/ ٢٢) : منكر الحديث . . . وجب التنكب عن روايته . مترجم أيضاً في ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٢٣٧) .

(٢) « إخ » : تقال لزجر البعير ليبرك .

(٣) لكن حديث : « أنت مني بمنزلة هارون . . . » حديث صحيح ، أخرجه البخاري رقم (٤٤١٦) في المغازي : باب غزوة تبوك ، وفي فضائل الصحابة : باب مناقب علي بن أبي طالب ، ومسلم (٢٤٠٤) في فضائل الصحابة أيضاً .

الله يدين للمؤمنين بحسناتهم ، فاعملوا لله خالصاً . وأمّا الكفار فيخفِّف عنهم بحسناتهم ، فإذا نَفِدَت قال : ليطلُبْ كل عامل ثواب عمله ممَّن عمل له[١] .

وقال الزهري : لما حضرتْ سعداً الوفاة دعا بخَلَقِ جُبَّة فقال : كفِّنوني في هذه فإني لقيتُ فيها المشركين يوم بدر ، وإنَّما خبَّأتها لهذا اليوم .

[وقال سعد : كنّا مع رسول الله ﷺ بمكة يُصيبنا شدَّة العيش ، فخرجتُ ليلةً أبول ، فإذا شيء يُقَعْقع تحت بولي ، فإذا قطعة جلد بعير ، فأخذتُها فغسلتُها ثم أحرقتُها ، ثم وضعتُها بين حَجَرين ، فسحقتُها ثم استففتُها ، وشربتُ عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً][٢] .

وكانت وفاة سعد بالعَقيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال ، فصلَّى عليه مروان ، وصلَّى بصلاته عليه أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودُفن بالبقيع ، وكان ذلك في هذه السنة ـ سنة خمس وخمسين ـ على المشهور الذي عليه الجمهور ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح . قال علي بن المديني : وهو آخر العشرة وفاة . وقال غيره : كان آخر المهاجرين السابقين الأوَّلين وفاة ، رضي الله عنهم أجمعين . وقال الهيثم بن عدي : مات سنة خمسين . وقال أبو معشر وأبو نعيم وقَعْنَب[٣] بن المحرَّر : توفي سعد سنة ثمان وخمسين ، وزاد قَعْنَب[٣] : وفيها توفي الحسن بن علي وعائشة وأمُّ سلَمة . والصحيح الأول ـ سنة خمس وخمسين .

قالوا : وكان سعدٌ قصيراً ، غليظاً ، شَثْن[٤] الكفَّين ، أفطس ، أشعر الجسد ، يخضِبُ بالسَّواد[٥] . وكان ميراثُه مئتي ألفٍ وخمسين ألفاً .

فَضَالة بن عُبيد الأنصاريُّ الأَوْسي[٦] : أول مشاهده أُحد ، وشهد بيعة الرّضوان ، ودخل الشام ، وتولَّى القضاء بدمشق في أيام معاوية بعد أبي الدرداء .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٧) .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . وقد أورده أبو نعيم في الحلية .

(٣) تحرف في الأصول إلى : مغيث . والخبر في إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢١٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤) وقد تحرف فيه المحرر إلى المحرز ، فيتنبه لذلك .

(٤) « الشثن » : الغليظ .

(٥) ورواه الحاكم (٣/ ٤٩٦) وإسناده ضعيف .

(٦) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠١) طبقات خليفة (ت٥٤٦) مسند أحمد (٦/ ١٨) المحبر (٢٩٤) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٢٤) التاريخ الصغير (١/ ١١٩) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٤١) أخبار القضاة (٣/ ٢٠٠) الجرح والتعديل (٧/ ٧٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٣٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٧٣) حلية الأولياء (٢/ ١٧) الاستيعاب (٣/ ١٢٦٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ١١١/ ب) أسد الغابة (٤/ ٣٦٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٥٠) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٧٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٩٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١١) العبر (١/ ٥٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٣) الكاشف (٢/ ٣٢٧) تذهيب التهذيب (٣/ ١٣٦/ ب) الإصابة (٣/ ٢٠٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٧) خلاصة الخزرجي (٣٠٨) شذرات الذهب (١/ ٢٥٢) .

قال أبو عبيد : مات سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : سنة سبع وستين . وقال ابن الجوزي في « المنتظم » : توفي في هذه السنة ، والله أعلم .

قُثَم بن العبّاس بن عبد المطَّلب[١] : كان أشبَهَ الناس برسول الله ﷺ .

تولّى نيابة المدينة في أيام علي . وشهد فتح سَمَرْقند [ممّا وراء النهر][٢] فاستُشْهد بها ، رحمه الله .

كعبُ بنُ عَمْرو[٣] : أبو اليَسَر الأنصاري السَّلَمي . شهد العقبة وبدراً ، وأَسَرَ يومئذ العباس بن عبد المطَّلب ، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد مع رسول الله ﷺ .

قال أبو حاتم[٤] وغيره : مات سنة خمس وخمسين . وزاد غيره : وهو آخر من مات من أهل بدر .

[قال أبو اليَسَر : أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وضَعَ له أظلَّه اللهُ يومَ لا ظلَّ إلّا ظلُّه »][٥] .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

ففيها شتا جُنادة بن أبي أميّة بأرض الروم . وقيل : عبد الرحمن بن مسعود .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٧) نسب قريش (٢٧) طبقات خليفة (ت١٩٧٣) المحبر (١٧ ، ٤٦ ، ١٠٧) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٩٤) التاريخ الصغير (١/ ١٤٢) أنساب الأشراف (٣/ ٦٥) الجرح والتعديل (٧/ ١٤٥) مشاهير علماء الأمصار (١٩ ، ٤١٧) جمهرة أنساب العرب (١٩) الاستيعاب (٣/ ١٣٠٤) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٢٧) أسد الغابة (٤/ ٣٩٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٥٩) تهذيب الكمال (ورقة ١١٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١١) تذهيب التهذيب (٣/ ١٥٧/ ب) العبر (١/ ٦١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٠) مرآة الجنان (١/ ١٣٨) العقد الثمين (٧/ ٦٧) الإصابة (٣/ ٢٢٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٣٦١) خلاصة الخزرجي (٣١٨) شذرات الذهب (١/ ٢٥٧) .

(٢) من (أ) فقط .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٨١) طبقات خليفة (١٠٢) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (٣/ ٤٢٧) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢٢٠) المعارف (٣٢٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٩) الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٦٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٥) الاستبصار (١٦٣) الاستيعاب (٣/ ١٣٢٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٧٧/ ب) أسد الغابة (٤/ ٤٨٤ و ٦/ ٣٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١١٤٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٩) العبر (١/ ٦١) الكاشف (٣/ ٨) مجمع الزوائد (٩/ ٣١٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٧) الإصابة (٨/ ٣٠١) خلاصة الخزرجي (٣٢١) شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) .

(٤) الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ٩٠١) .

(٥) ما بين الحاصرتين من (أ) فقط . وهو قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم (٣٠٠٦) في الزهد : باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

وقيل : فيها غزا في البحر يزيد بن شجرة[١] ، وفي البرِّ عِياض بن الحارث .

وفيها اعتمر معاوية في رجب ، وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

وفيها ولَّى معاويةُ سعيدَ بن عثمان بلاد خراسان ، وعزل عنها عبيد الله بن زياد ، فسار سعيد إلى خراسان ، والتقى مع الترك عند صُغد سَمَرْقند ، فقتل منهم خلقاً كثيراً واستشهد معه جماعة منهم ـ فيما قيل ـ قُثَم بن العبّاس بن عبد المطَّلب .

[قال ابن جرير : سأل سعيدُ بن عثمان بن عفّان معاوية أن يولِّيه خراسان ، فقال : إنَّ بها عبيد الله بن زياد ، فقال سعيد لمعاوية : أما لقد اصطنعك أبي ورقّاك حتى بلغتَ باصطناعه المدى الذي لا يُجارىٰ ولا يُسامىٰ ، فما شكرتَ بلاءه ، ولا جازيتَه بآلائه ، وقدَّمتَ عليَّ هذا ـ يعني : يزيد بن معاوية ـ وبايعتَ له ، ووالله لأنا خير منه أباً وأمّاً ونفساً . فقال له معاوية : أمّا بلاء أبيك عندي فقد يحقُّ عليَّ الجزاء به ، وقد كان من شكري لذلك أنِّي طلبتُ بدمه حتى تكشَّفت الأمور ، ولستُ بلائم لنفسي في التَّشمير . وأمّا فضل أبيك على أبيه ، فأبوكَ خيرٌ مني وأقربُ برسول الله ﷺ . وأمّا فضل أمِّك على أمّه فما لا يُنكر ، فإنَّ امرأةً من قريش خيرٌ من امرأة من كلب . وأمّا فضلك عليه ، فوالله ما أحبُّ أنَّ الغوطةَ دُحِسَتْ ليزيد رجالاً مثلك ـ يعني أنَّ الغوطة لو مُلِئت رجالاً مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحبَّ إليَّ منهم . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ! ابنُ عمِّك وأنت أحقُّ مَنْ نظر في أمره ، وقد عَتَب عليك فيَّ فأَعْتبه . فولّاه حرب خراسان ، فأتى سَمَرْقند ، فخرج إليه أهل الصُّغد من الترك ، فقاتلهم وهزمهم وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطَوْه رُهُناً خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ، فأقام بالتِّرمذ ولم يفِ لهم ، وجاء بالغلمان الرُّهُن معه إلى المدينة][٢] .

وفيها دعا معاويةُ الناس إلى البيعة ليزيدَ ولده أن يكون وليَّ عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة بن شعبة ، فروى ابن جرير[٣] من طريق الشَّعبي : أنَّ المغيرة كان قد قدم على معاوية واستعفاه من إمرة الكوفة ، فأعفاه لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلمّا بلغ ذلك المغيرة كأنه ندم ، فجاء إلى يزيد بن معاوية ، فأشار عليه أن يسأل من أبيه أن يكون وليَّ العهد من بعده ، فسأل يزيدُ ذلك من أبيه ، فقال : مَنْ أمرك بهذا ؟ قال : المغيرة ، فأَعجب ذلك معاويةَ من المغيرة ، وردَّه إلى عمل الكوفة ، وأمره أن يسعى في ذلك ، فعند ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يَسْتشيره في ذلك ، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سمرة .

(٢) الخبر بكامله سقط من ب ، وهو في تاريخ الطبري (٥/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) .

(٣) في تاريخه (٥/ ٣٠١) وما بعدها .

والصَّيد ، فبعث إليه من يَثْني رأيه عن ذلك وهو عبيد بن كعب النُّميري ـ وكان صاحباً أكيداً لزياد ـ فسار إلى دمشق ، فاجتمع بيزيد أولاً ، فكلَّمه عن زياد ، وأشار عليه بألَّا يطلب ذلك [ولا يقبله][١] فإنَّ تركَهُ خير له من السَّعي فيه ، فانزجر يزيدُ عما يريد من ذلك ، ثم اجتمع بأبيه واتَّفقا على ترك ذلك في هذا الوقت ، فلمّا مات زياد وكانت هذه السنة شرَعَ معاوية في نظم ذلك ليزيد والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، فبايع له الناس في سائر الأقاليم إلّا عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله ابن عمر ، والحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عبّاس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة ـ مرجعه من مكة ـ استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأَوعده وتهدَّده بانفراده ، فكان من أشدهم عليه ردّاً وأجلدهم في الكلام عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق ، وكان أليَنهم كلاماً عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاويةُ وهؤلاء الخمسة حضورٌ تحت منبره ، وبايع الناس ليزيد وهم قعود ، لم يوافقوا ولم يُظهروا خلافاً لما تهدَّدهم وتوعَّدهم ، فاتَّسَقت البيعة ليزيد في سائر البلاد ، وقدمت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنفُ بن قيس ، فأمره معاوية أن يحادث يزيد ، فجلسا ، ثم خرج الأحنف ، فقال له معاوية : ماذا رأيتَ من ابن أخيك ؟ فقال : إنا نخاف اللهَ إنْ كذَبْنا ، ونخافكم إنْ صَدَقنا ، وأنت أعلم به في ليله ونهاره ، وسرِّه وعلانيته ، ومدخله ومخرجه ، وأنت أعلم بما أردت ، وإنَّما علينا أن نسمع ونطيع ، وعليك أن تنصح للأمَّة .

وقد كان معاوية لمّا صالح الحسن بن علي عهد للحسن بالأمر من بعده ، فلمّا مات الحسن قوي أمر يزيد عند معاوية ، ورأى أنه لذلك أهل ، وذاك من شدَّة محبة الوالد لولده ، ولما كان يتوسَّم فيه من النَّجابة الدنيوية ، وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأُبَّهته ، وكان يظن أنه لا يقوم أحدٌ من أبناء الصحابة في هذا المعنى مقامَه ، ولهذا قال لعبد الله بن عمر فيما خاطبه به : إني خفتُ أن أذرَ الرعيَّة من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع . فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلُّهم بايعتُه ولو كان عبداً حبشيّاً مجدَّع الأطراف .

وقد عاتب معاويةَ في ولايته يزيدَ سعيدُ بنُ عثمان بن عفّان ، وطلب منه أن يولِّيه مكانه ـ يعني مكان ابنه يزيد ـ وقال له [سعيد فيما قال : إنَّ أبي لم يزل معتنياً بك حتى بلغتَ ذروة المجد والشرف ، وقد قدَّمتَ ولدك عليَّ وأنا خير منه أباً وأمّاً ونفساً . فقال له : أمّا ما ذكرتَ من إحسان أبيك إليَّ فإنه أمر لا يُنكر ، وأمّا كون أبيك خيراً من أبيه فحقّ ، وأمك قرشيّة وأمه كلبيّة فهي خير منها ، وأما كونك خيراً منه][٢] فوالله لو مُلئت إلي الغوطة رجالاً مثلك لكان يزيدُ أحبَّ إليَّ منكم كلكم .

(١) من (أ) فقط .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ .

وروينا عن معاوية أنه قال يوماً في خطبته : اللهمَّ إن كنتَ تعلم أني ولَّيته لأنه فيما أراه أهل لذلك فأَتِمَّ له ما ولَّيته ، وإن كنتَ تعلم أني إنَّما ولَّيتُه لأني أحبُّه فلا تتمَّ له ما ولَّيته .

وذكر الحافظ ابن عساكر[١] : أن معاوية كان قد سَمَرَ ليلة ، فتكلَّم أصحابه في المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فذكروا صفة المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فقال معاوية : وددتُ لو عرفت بامرأة تكون بهذه المثابة ؟! فقال أحد جلسائه : قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : ومَن ؟ قال : ابنتي يا أمير المؤمنين . فتزوَّجها معاوية ، فولدت له يزيد بن معاوية ، فجاء نجيباً ذكيّاً حاذقاً . ثم خطب امرأة أخرى فحَظِيت عنده وولدت له غلاماً آخر ، وهجر أمَّ يزيد فكانت عنده في جنب داره ، فبينما هو في النظارة ومعه امرأته الأُخرى إذ نظر إلى أمِّ يزيد وهي تسرِّحُه ، فقالت امرأته : قبَّحها الله وقبَّح ما تسرِّح . فقال : ولمَ ؟ فوالله إنَّ ولدها لأنجبُ من ولدك ، وإن أحببتِ بيَّنتُ لكِ ذلك ، ثم استدعى ولدها فقال له : إنَّ أمير المؤمنين قد عنَّ له أن يُطْلِق لك ما تتمنّاه عليه فاطلُب مني ما شئت . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يُطْلِق لي كلاباً للصَّيد وخيلاً ورجالاً يكونون معي في الصَّيد . فقال معاوية : قد أمرنا لكَ بذلك . ثم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه ، فقال يزيد : أو يعفيني أمير المؤمنين في هذا الوقت عن هذا ؟ فقال : لا بدَّ لك أن تسأل حاجتك ، فقال : أسأل ـ وأطال الله عمر أمير المؤمنين ـ أن أكون وليَّ عهده من بعده ، فإنه بلغني أنَّ عدل يومٍ في الرعيَّة كعبادة خمسمئة عام . فقال : قد أجبتك إلى ذلك . ثم قال لامرأته : كيف رأيت ؟ فعلمتْ وتحققتْ فضل يزيد على ولدها .

وقد ذكر ابن الجوزي في هذه السنة وفاة أمِّ حرَام بنت مِلْحان الأنصاريَّة امرأة عبادة بن الصامت ، والصحيح الذي لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين [في خلافة عثمان ، وكانت هي وزوجها][٢] مع معاوية حين دخل قبرص ، وَقَصَتْها[٣] بغلتُها فماتت هناك ، وقبرها بقبرص . والعجب أن ابن الجوزي أورد في ترجمتها حديثها المخرَّج في « الصحيحين » في قيلولة النبي ﷺ في بيتها ورؤياه في منامه قوماً من أمته يركبون ثَبَج[٤] البحر مثل الملوك على الأسرَّة غزاة في سبيل الله ، وأنها سألته أن يدعو لها أن تكون منهم ، فدعا لها ، ثم نام فرأى كذلك ، فقالت : ادعُ الله أن يجعلَني منهم ، فقال : « لا ، أنت من الأوَّلين »[٥] وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم وذلك في سنة سبع وعشرين ، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية [ومعهم أبو أيوب ، وقد توفي

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠) ضمن ترجمة يزيد .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) « وقصتها » : أوقعتها وكسرت عنقها .

(٤) « ثبج البحر » : وسطه ومعظمه .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٧٨٨) ومسلم رقم (١٩١٢) .

هناك ، فقبره قريب من سور القُسْطنطينيَّة . وقد ذكرنا هذا مقرراً في دلائل النبوة]⁽¹⁾ .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فيها كان مَشْتى عبد الله بن قيس بأرض الروم .

قال الواقدي : وفي شوّالها عزل معاويةُ مروانَ بن الحكم عن المدينة ، وولَّى عليها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ، وهو الذي حجَّ بالناس في هذه السنة ، لأنه صارت إليه إمرة المدينة ، وكان على الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان .

قال ابن الجوزي : وفيها توفي عثمان بن حُنَيف الأنصاريُّ الأوسيّ ، وهو أخو عبادة وسهل ابني حُنَيف .

بعثه عمر لمساحة خَرَاج السَّواد بالعراق ، واستنابه عمر على الكوفة ، فلمّا قدم طلحة والزبير صحبة عائشة ، وامتنع من تسليم دار الإمارة نُتِفتْ لحيتُه وحواجبُه وأشفارُ عينيه ومُثِّل به ، فلمّا جاء عليٌّ وسلَّمه البلد ، قال له : يا أمير المؤمنين فارقتُك ذا لحيةٍ واجتمعتُ بك أمرد ، فتبسَّم علي رضي الله عنه وقال : لك أجرُ ذلك عند الله .

وله في « المسند » و « السنن » حديث الأعمى الذي سأل رسول الله ﷺ أن يدعوَ له ليردَّ اللهُ عليه ضوء بصره ، فردَّه الله عليه[2] . وله حديث آخر عند النَّسائي[3] .

ولم أر أحداً أرَّخ وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزي ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الخَثْعَمي أرض الروم .

---

(١) ما بين حاصرتين ورد بدلاً عنه في أ : وقد تقدم هذا كله . وترجمة أم حرام في سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٦) والحديث مخرج هناك .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٣٨) والترمذي (٣٥٧٨) في الدعوات ، والنسائي في الكبرى رقم (١٠٤٩٥) وابن ماجه (١٣٨٥) في إقامة الصلاة . . . كلهم من طريق عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر المدني ، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، عن عثمان بن حنيف : «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك . قال : فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة . يامحمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم فشفعه فيّ» . وقال الترمذي : حسن صحيح وهو كما قال .

(٣) رواه النسائي في الكبرى رقم (٩٧٦٥) هو في النهي عن التصاوير .

وفيها قُتل يزيد بن شَجَرة في البحر . [وقيل : بل غزا البحر وبلاد الروم جُنادة بن أبي أميَّة . وقيل : إنما شتا بأرض الروم عمرو بن يزيد الجُهَني .

قال أبو معشر والواقدي][١] : وحجَّ بالناس فيها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان .

وفيها ولَّى معاويةُ الكوفة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثَّقفي ـ ابن أمِّ الحكم [وأمُّ الحكم هي أخت معاوية ـ وعزل عنها الضحّاك بن قيس ، فولّى ابنُ أمِّ الحكم][٢] على شرطته زائدة بن قدامة . وخرجت الخوارج في أيام ابن أمِّ الحكم ، وكان رئيسهم في هذه الوقعة حيّان بن ظَبْيان السُّلمي ، فبعث إليهم جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً . ثم إن ابن أمِّ الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة ، فأخرجوه من بين أظهرهم طريداً ، فرجع إلى خاله معاوية ، فذكر له ذلك ، فقال : لأولينَّك مصراً خيراً منها ، فولّاه مصر ، فلمّا سار إليها تلقّاه معاوية بن حُدَيج[٣] على مرحلتين من مصر فقال له : ارجع إلى خالك معاوية ، فلَعَمري لا ندعُك تدخلها فتسير فيها وفينا سيرتَك في إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع ابن أمِّ الحكم إلى معاوية ، ولحقه معاوية بن حُدَيج وافداً على معاوية ، فلمّا دخل عليه وجد عنده أخته أمَّ الحكم ـ وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر ـ فلمّا رآه معاوية قال : بخٍ بخٍ ، هذا معاوية بن حُدَيج ، فقالت أمُّ الحكم : لا مَرْحباً به ، تسمع بالمُعَيْديِّ خيرٌ من أنْ تراه[٤] ، فقال معاوية بن حُدَيج : على رِسْلِكِ يا أمَّ الحكم ، أما والله لقد تزوَّجتِ فما أكرمتِ ، وولدتِ فما أَنجبتِ ، أردتِ أن يليَ ابنُك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ، فما كان الله ليريَه ذلك ، ولو فعل لضربناه ضرباً يطأطِىء منه رأسه ، وإن كره ذلك الجالس ـ يعني معاوية ـ فالتفت إليها معاوية فقال : كُفِّي .

قصَّة غريبَـة

ذكرها ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » بسنده . وهو أنَّ شاباً من بني عُذرة جرت له قصَّة مع ابن أمِّ الحكم [وهو والٍ على الكوفة في هذه السنة][٥] وملخَّصُها : أنَّ معاوية بينما هو يوماً على السِّماط[٦] إذا شاب من بني عُذرة قد مثَل بين يديه ، فأنشده شعراً مضمونه التشوّق إلى زوجته سعاد ، فاستدناه معاويةُ واستحكاه عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني كنت مزوَّجاً بابنة عمٍّ لي ، وكان لي إبل وغنم ،

(١) ما بين حاصرتين سقط من آ . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٠٩) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٣) تصحف في غير موضع من الأصول إلى : خديج .
(٤) قولها : تسمع بالمعيدي . . . ، مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه . مجمع الأمثال للميداني (١/ ١٢٩ ـ ١٣١) .
(٥) ما بين حاصرتين من ب فقط .
(٦) في مختصر تاريخ دمشق : فوقف بين السماطين . وسماط القوم : صفهم .

فأنفقتُ ذلك عليها ، فلمّا قلَّ ما بيدي رغب عني أبوها وشكاني إلى عاملك بالكوفة ـ ابن أمِّ الحكم ـ وبلغه جمالها ، فحبسَني في الحديد ، وحملَني على أن طلَّقتُها ، فلمّا انقضت عدَّتُها أعطاه عاملك عشرة آلاف درهم فزوَّجه بها ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب ، وسند المسلوب ، فهل من فَرَج ؟ ثم بكى وأنشأ يقول :

فــي القلــب منِّــيَ نــارُ ... والنَّـــارُ فيهـــا شَـــرَارُ
والجســـمُ منِّـــي نَحيـــلٌ ... واللَّـــونُ فيـــه اصْفِـــرارُ
والعيـــنُ تبكـــي بشَجْـــوٍ ... فـــدَمْعُهـــا مِـــدْرارُ
والحـــبُّ داءٌ عسيـــرٌ ... فيـــه الطَّبيـــبُ يَحَـــارُ[١]
حُمِّلْـــتُ فيـــه عَظيمـــاً ... فمـــا علَيـــهِ اصْطبـــارُ
فليـــسَ ليلـــي بلَيـــلٍ ... ولا نهـــاري نهـــارُ

قال : فرقَّ له معاوية ، وكتب إلى ابن أمِّ الحكم يؤنِّبه على ذلك ويعيبه عليه ويأمره بطلاقها قولاً واحداً ، فلمّا جاءه كتاب معاوية تنفَّس الصُّعَداء وقال : وددتُ أن أمير المؤمنين خلَّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السَّيف ، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا تُجيبه نفسه . وجعل الرسول الذي ورد عليه بالكتاب يستحثُّه ، فطلَّقها وأخرجها عنه ، وسيَّرها مع الوفد إلى معاوية . فلمّا وقفت بين يديه رأى منظراً جميلاً ، فلما استنطقها فإذا أفصح الناس ، وأحلاهم كلاماً ، وأكملهم جمالاً ودلالاً ، فقال لابن عمِّها : يا أعرابيّ ! هل من سُلُوٍّ عنها بأفضل الرَّغبة ؟ قال : نعم ، إذا فرقتَ بين رأسي وجسدي ، ثم أنشأ يقول :

لا تجعلَنِّيَ والأمثالُ تُضربُ بي ... كالمُستغيثِ من الرَّمضاء بالنَّار
اردُدْ سُعادَ على حَيْرانَ مُكتئبٍ ... يُمسي ويُصبحُ في همٍّ وتَذْكار
قـد شَفَّـهُ قلـقٌ مـا مثلُـهُ قلـقٌ ... وأسعر القلبُ منه أيّ إسْعار
والله والله لا أَنسـىٰ محبَّتَهـا ... حتى أُغيَّبَ في رَمْسٍ وأحجار
كيف السُّلوُّ وقد هام الفؤادُ بها ... وأصبحَ القلبُ عنها غيرَ صَبَّار

فقال معاوية : فإنا نخيِّرها بيني وبينك وبين ابن أمِّ الحكم ، فأنشأتْ تقول :

هٰذا وإنْ أصبحَ في أَطْمار[٢] ... وكـان فـي نقـصٍ مـن اليَسَـار

---

(١) ورد الشطر الأول من هذا البيت في النسخ المطبوعة كما يلي : والحب ذا عبر وهذا تحريف فظيع : إذ يختل المعنى ولا يستقيم الوزن .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : إطار . « والأطمار » : جمع طمر ، وهو الثوب الخلَق .

أَحبُّ عندي من أبي وجاري وصاحبِ الدِّرهم والدِّينار
أخشى إذا غَدَرْتُ حرَّ النَّار

قال : فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ومركب ووطاء ، ولما انقضت عدَّتها زوَّجه بها وسلَّمها إليه . حذفنا منها أشعاراً كثيرة مطوَّلة[1] .

وجرت في هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وحبس منهم آخرين ، وكان صارماً كأبيه مقداماً في أمرهم .

ذكر من توفي من الأعيان في هذا العام :

سَعيد بن العاص[2] : ابن [سعيد بن العاص][3] بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيُّ الأمويّ .

قتل أبوه يوم بدر كافراً ، قتلَه علي بن أبي طالب ، ونشأ سعيد في حجر عثمان بن عفّان ، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله ﷺ تسع سنين . وكان من سادات المسلمين والأجواد المشهورين . وكان جدُّه سعيد بن العاص ـ ويكنى بأبي أُحَيْحة[4] ـ رئيساً في قريش ، يقال له : ذو التاج ، لأنه كان إذا اعتمَّ لا يعتمُّ أحد يومئذ إعظاماً له .

وكان سعيد هذا من عمّال عمر على السَّواد ، وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته . قالوا : وكان أشبهَ الناس لهجةً[5] برسول الله ﷺ . وكان في جملة الاثني عشر رجلاً [الذين يستخرجون

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٥٠ ـ ٢٥٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٠) نسب قريش (١٧٦) تاريخ خليفة (١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، وغيرها) المحبر (٥٥ ، ١٥٠ ، ١٧٤) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٥٠٢) المعارف (٢٩٦ ، ٦١٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٢) أنساب الأشراف (٤/ ٤٣٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٩٣) الجرح والتعديل (٤/ ٤٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٤٦) الأغاني (١٧/ ٢٢٤) معجم الطبراني الكبير (٦/ ٧٣) جمهرة أنساب العرب (٨٠) الاستيعاب (٢/ ٦٢١) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٧٤) تاريخ ابن عساكر (٧/ ١٢٧/آ) أسد الغابة (٢/ ٣٩١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٢١٨) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٥) تهذيب الكمال (١٠/ ٥٠١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٦) العبر (١/ ٦٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤) الكاشف (١/ ٢٢٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٣٢٤) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٨٧) الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٢٧) العقد الثمين (٤/ ٥١٧) نهاية السول (ورقة ١١٧) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٨) الإصابة (٢/ ٤٧) خلاصة الخزرجي (١٣٩) شذرات الذهب (١/ ٢٦٨) تهذيب ابن عساكر (٦/ ١٣٣) .

(٣) سقط من (أ) و ط .

(٤) تحرفت في (أ) و ط إلى : أجنحة .

(٥) وقعت في الأصول : لحية وما أثبته من مصادر ترجمته ، فقد أخرج ابن أبي داود في المصاحف (ص٢٤) عن سعيد ابن عبد العزيز أنه قال : إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ .

القرآن ويعلمونه ويكتبونه][١] منهم أُبيُّ بن كعب ، وزيدُ بن ثابت . واستنابه عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عُقْبَة ، فافتتح طَبرستان وجُرجان ، ونقض العهد أهل أَذْرَبيجان فغزاهم ففتحها ، ولمّا مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولاصفِّين ، فلمّا استقرَّ الأمر لمعاوية وفد إليه ، فعتب عليه ، فاعتذر إليه ، فعذره . . . في كلام طويل جدّاً ، وولّاه المدينة مرتين ، وعزله عنها مرتين بمروان بن الحكم . وكان سعيد هذا لا يسبُّ عليّا ، ومروان يسبُّه .

وروى عن النبي ﷺ ، وعن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعائشة ، وعنه ابناه : عَمرو بن سعيد الأَشْدَق ، وأبو سعيد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم . وليس له في « المسند » ولا في الكتب الستة شيء .

وقد كان حسن السِّيرة ، جيِّد السَّريرة . وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبرّ الكثير ، وكان يصرُّ الصُّرَر فيضعها بين يدي المصلِّين من ذوي الحاجات في المسجد .

قال ابن عساكر : وقد كانت له دار بدمشق تُعرف بعده بدار نعيم بنواحي الديماس، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات . وكان كريماً جواداً ممدَّحاً . ثم أورد شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو سعيد الجُعْفي ، حدّثنا عبد الله بن الأَجْلح ، حدّثنا هشام بن عروة ، عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله ﷺ قال : « خِيَارُكم في الإسلام خِيَارُكم في الجاهليَّة »[٢] . ومن طريق الزبير بن بكّار : حدّثني رجل ، عن عبد العزيز بن أبان ، حدّثني خالد بن سعيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببُرْد فقالت : إني نويت أن أُعطي هذا الثوبَ أكرمَ العرب ، فقال : « أعطيه هذا الغلام » يعني سعيد بن العاص ، وهو واقف ، فلذلك سمِّيت الثياب السَّعيديَّة[٣] . وأنشد للفرزدق فيه :

تَرَى الغُرَّ الجَحَاجحَ من قُرَيْشٍ إذا ما الخطبُ في الحَدَثانِ عَالا
قِيَاماً يَنْظُرونَ إلى سَعيدٍ كأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالا[٤]

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المغيرةَ وولّاها سعيد بن العاص[٥] ، ثم عزله وولّى الوليد بن

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) أخرجه يعقوب في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وابن عساكر في تاريخه (٩/ ٣٠٥) مختصره، ومتن الحديث المشهور في هذا هو حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري (٣٤٩٦) ومسلم (٢٥٢٦)، ولفظ البخاري: «والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. . . إلخ» .

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٦) .

(٤) البيتان في ديوان الفرزدق (٦١٥ ، ٦١٨) ورواية البيت الأول فيه : إذا ما الأمر ذو الحدثان عالا . وفي سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٥) تخريج موسع لهما .

(٥) وقع في المطبوع : سعيد بن أبي وقاص .

عُقبة[١] ، ثم عزله وولّى سعيد بن العاص ، فأقام بها حيناً ، ولم تُحمد سيرتُه فيهم ولم يحبُّوه ، ثم ركب مالك بن الحارث ـ وهو الأشتر النَّخعي ـ في جماعة إلى عثمان وسألوه أن يعزل عنهم سعيداً ، فلم يعزله ، وكان عنده بالمدينة ، فبعثه إليه ، وسبق الأشترُ إلى الكوفة ، فخطب الناسَ وحثَّهم على منعه من الدخول إليهم ، وركب الأشترُ في جيش يمنعوه من الدخول ، قيل : تلقَّوه إلى العُذَيب ، وقد نزل سعيد بالرعثة[٢] ، فمنعوه من الدخول إليهم ، ولم يزالوا به حتى ردُّوه إلى عثمان ، وولّى الأشترُ أبا موسى الأشعري على الصلاة والثغر ، وحذيفة بن اليَمَان على الفيء ، فأجاز ذلك أهلُ الكوفة وبعثوا إلى عثمان في ذلك ، فأمضاه وسرَّه ذلك فيما أظهره ، ولكن هذا كان أول وهن دخل على عثمان . وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ، ثم لمّا ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتَلَة عثمان ركب معهم ، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلّها ، ثم ولّاه معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين ، وعزل مروان ، فأقام حيناً[٣] ثم ردَّ مروان .

وقال عبد الملك بن عُمير : عن قَبيصة بن جابر قال : بعثني زياد في شغل إلى معاوية ، فلمّا فرغتُ من أموري قلت : ياأمير المؤمنين لمن يكون الأمرُ من بعدك ؟ فسكت ساعة ثم قال : يكون بين جماعة : أما كريم[٤] قريش فسعيد بن العاص ، وأما فتى قريش حياءً ودهاءً وسخاءً فعبد الله بن عامر ، وأما الحسن[٥] بن علي فرجل سيِّد كريم ، وأما القارىء لكتاب الله الفقيهُ في دين الله الشديدُ في حدود الله فمروان بن الحكم ، وأما رجل فقيه فعبد الله بن عمر ، وأما رجل يرد الشريعة مع دواهي السِّباع ويروغ رَوَغان الثعلب فعبد الله بن الزبير .

وروينا أنه استسقىٰ يوماً في بعض طرق المدينة ، فأخرج له رجل من داره ماءً فشرب ، ثم بعد حين رأى ذلك الرجل يَعرِض داره للبيع ، فسأل عنه لمَ يبيعُ داره ؟ فقالوا : عليه دين أربعة آلاف دينار ، فبعث إلى غريمه فقال : هي لك عليّ ، وأرسل إلى صاحب الدار فقال : استمتع بدارك[٦] .

وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا

---

(١) وقع في المطبوع : عتبة .

(٢) كذا في الأصول . والذي في مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٧) وغيره من المصادر التاريخية : الجَرَعة بين الكوفة والحيرة . معجم البلدان (٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .

(٣) كذا في أ ، ووقعت في ط : سبعاً ، وفي ب وم : خمساً .

(٤) في ب : كريمة ، وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي : كرمة .

(٥) كذا في الأصول ، وهو كذلك في تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٥٩٣) وقال محققه : المعروف أن الحسن بن علي تنازل عن الخلافة سنة ٤٠هـ ، ولاشك أن المقصود أخوه الحسين .

(٦) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤) .

يوصف بكرم ، فلو ذكرتَ له حالك فلعلَّه يسمح لك بشيء ، فقال : ويحك ! لا تُخْلِقي[١] وجهي ، فألحَّت عليه في ذلك ، فجاء فجلس إليه ، فلمّا انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه ، فقال له سعيد : أظن جلوسك لحاجة ، فسكت [الرجل ، فقال سعيد لغلمانه : انصرفوا ، ثم قال له سعيد : لم يبقَ غيري وغيرك ، فسكت][٢] فأطفأ المصباح ثم قال له : رحمك الله لست ترى وجهي فاذكر حاجتك ، فقال : أصلح الله الأمير ! أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت ، فقال له : إذا أصبحت فالقَ وكيلي فلاناً ، فلمّا أصبح الرجل لقي الوكيل ، فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأْتِ بمن يحملُه معك ، فقال : ما عندي من يحملُه ، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامَها وقال : حملتيني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى مَنْ يحملُه ، وما أراه أمَرَ لي إلّا بدقيق أو طعام ، ولو كان مالاً لما احتاج إلى من يحملُه ولأعطانيه . فقالت له المرأة : فمهما أعطاك فإنه يقوتنا فخذه ، فرجع الرجل إلى الوكيل ، فقال له الوكيل : إني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحملُه ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السُّودان يحملونه معك ، فذهب الرجل أمامهم ، فلمّا وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، فقال للغِلْمان : ضَعُوا ما معكم وانصرفوا ، فقالوا : إن الأمير قد أطلقَنا لك ، فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلّا كان الخادم الذي يحملها من جملتها . قال : فحسن حال ذلك الرجل .

وذكر ابن عساكر : أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالاً وكتاباً ذكر فيه أنه يخطُب إليه ابنتَه أمَّ عثمان من آمنة بنت جرير بن عبد الله البَجَلي ، فلمّا وصلت الهدايا والأموال والكتاب قرأه ، ثم فرَّق الهدايا في جلسائه ، ثم كتب إليه كتاباً لطيفاً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧] والسلام .

وروينا أنَّ سعيداً خطب أمَّ كلثوم بنت علي من فاطمة ، التي كانت تحت عمر بن الخطاب ، فأجابت إلى ذلك ، وشاورت أخويها ، فكرها ذلك ـ وفي رواية : إنما كره ذلك الحسين وأجاب الحسن ـ فهيَّأت دارها ، ونصبت سريراً ، وتواعدوا للكتاب ، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوِّجها منه ، فبعث إليها بمئة ألف ـ وفي رواية : بمئتي ألف ـ مَهْراً ، واجتمع الناس عنده ليذهبوا معه ، فقال : إني أكره أن أُحرج ابنَي[٣] فاطمة ، فترك التزويج ، وأطلق جميع ذلك المال لها .

وقال ابن مَعِين وعبد الأعلى بن حمّاد : سأل أعرابيٌّ سعيد بن العاص ، فأمر له بخمسمئة ، فقال الخادم : خمسمئة درهم أو دينار ؟ فقال : إنما أمرتك بخمسمئة درهم ، وإذ قد جاش في نفسك أنها

---

(١) تحرفت في (أ) و (ط) إلى : تحلقي . وفي اللسان : أخلق الدهر الشيء : أبلاه . وكذلك أخلق السائل وجهه .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من آ ، وسقط بعضه من ب .
(٣) في بعض النسخ : أمي .

دنانير فادفع إليه خمسمئة دينار . فلمّا قبضها الأعرابيُّ جلس يبكي ، فقال له : مالك ، ألم تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ، ولكن أبكي على الأرض كيف تأكل مثلك[١] .

وقال عبد الحميد بن جعفر : جاء رجل في حَمَالة[٢] أربع دِيَات سأل فيها أهل المدينة ، فقيل له : عليك بالحسن بن علي ، أو عبد الله بن جعفر ، أو سعيد بن العاص ، أو عبد الله بن عباس ، فانطلق إلى المسجد ، فإذا سعيد داخل إليه ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقيل : سعيد بن العاص ، فقصده فذكر له ما أقدمه ، فتركه حتى انصرف من المسجد إلى المنزل ، فقال للأعرابي : ائتِ بمن يحمل معك ، فقال : رحمك الله ! إنما سألتك مالاً لا تمراً ، فقال : أعرف ، ائتِ بمن يحمل معك ، فأعطاه أربعين ألفاً ، فأخذها الأعرابي وانصرف ، ولم يسأل غيره[٣] .

وقال سعيد بن العاص لابنه : يا بني ! أخزى الله[٤] المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأمّا إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه ، أو جاءك مخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه ، فوالله لو خرجتَ له من جميع مالك ما كافأتَه .

وقال سعيد : لجليسي عليَّ ثلاث : إذا دنا رحَّبتُ به ، وإذا جلس أوسعتُ له ، وإذا حدَّث أقبلتُ عليه .

وقال أيضاً : يا بني ! لا تُمازحِ الشريف فيحقد عليك ، ولا الدَّنيء فتهون عليه ـ وفي رواية : فيجترىء عليك .

وخطب يوماً فقال : مَنْ رزقه الله رزقاً حسناً فليكن أسعد الناس به ، إنما يتركه لأحد رجلين : إمّا مصلح فيسعد بما جمعتَ له وتخيب أنت ، والمصلح لا يقلُّ عليه شيء [وإمّا مفسد فلا يبقى له شيء][٥] . فقال معاوية : جمع أبو عثمان طرف الكلام .

وروى الأصمعي ، عن حكيم بن قيس قال : قال سعيد بن العاص : موطنان لا أَستحيي من رفقي فيهما والتأنّي عندهما : مخاطبتي جاهلاً أو سفيهاً ، وعند مسألتي حاجة لنفسي .

ودخلت عليه امرأة من العابدات ـ وهو أمير الكوفة ـ فأكرمها وأحسن إليها ، فقالت : لا جعل الله لك حاجة إلى لئيم ، ولا زالت المنَّة لك في أعناق الكرام ، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردِّها عليه .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٤) .
(٢) « الحمالة » : الغرامة التي يحملها قوم عن قوم .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٤) .
(٤) في المطبوع : أجر لله . والخبر بنحوه في العقد الفريد (١/ ٢٣٨) ولفظه فيه : قبح الله المعروف .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وقد كان له عشرة من الولد ذكوراً وإناثاً ، وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص ـ أخت مروان بن الحكم ـ ولمّا حضرت سعيداً الوفاةُ جمع بنيه وقال لهم : لا يفقدن أصحابي غير وجهي ، وصِلُوهم بما كنت أصلهم به ، وأجروا عليهم [ما كنت أُجري عليهم][1] واكفوهم مؤنة الطلب ، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يُردّ ، فوالله لرجل يتململُ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه . ثم أوصاهم بوصايا كثيرة منها : أن يوفوا ما عليه من الدَّين والوعود ، وألا يزوّجوا أخواتهم إلّا من الأكفاء ، وأن يسوِّدوا أكبرهم . فتكفَّل بذلك كله ابنه عمرو بن سعيد الأَشْدق ، فلمّا مات دفنه بالبقيع ، ثم ركب عمرو إلى معاوية فعزّاه فيه ، واسترجع معاوية وحزن عليه وقال : هل ترك من دَين عليه ؟ قال : نعم ، قال : وكم هو ؟ قال : ثلاثمئة ألف درهم ـ وفي رواية : ثلاثة آلاف ألف درهم ـ فقال معاوية : هي عليّ ، فقال ابنه : يا أمير المؤمنين ! إنه أوصاني ألّا أقضي دينه إلا من ثمن أراضيه ، فاشترى منه معاوية أراضي بمبلغ الدَّين ، وسأل منه عمرو أن يحملها له إلى المدينة ، فحملها له . ثم شرع عمرو يقضي ما على أبيه من الدَّين حتى لم يبق أحد ، فكان من جملة من طالبه شاب معه رقعة من أديم فيها عشرون ألفاً ، فقال له عمرو : كيف استحققت هذه على أبي ؟ فقال الشاب : إنه كان يوماً يمشي وحده ، فأحببت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله ، فقال : ابغني رقعة من أدم ، فذهبت إلى بعض الجزّارين فأتيته بهذه ، فكتب لي فيها هذا المبلغ ، واعتذر بأنه ليس عنده اليوم شيء . فدفع إليه عمرو ذلك المال ، وزاده شيئاً كثيراً .

ويروى أن معاوية قال لعمرو بن سعيد : من ترك مثلك لم يَمُت ، ثم قال : رحم الله أبا عثمان ثم قال : قد مات من هو أكبر منّي ومن هو أصغر مني . ثم أنشد قول الشاعر :

إذا سَارَ مَنْ دونَ امرىءٍ وأمامَهُ وأُوْحِشَ مِنْ إخوانه فهو سَائِر[2]

وكانت وفاة سعيد بن العاص في هذه السنة ، وقيل : في التي قبلها ، وقيل : في التي بعدها ، وقال بعضهم : كانت وفاته قبل عبد الله بن عامر بجمعة . فالله أعلم .

شَدَّاد بن أَوْس[3] : ابن ثابت بن المنذر بن حرام ، أبو يعلى الأنصاريُّ الخزرجيّ . صحابي جليل ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت .

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) البيت في مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٥) وقد خرجه محققه من التعازي والمراثي (ص٥٢) والكامل للمبرد (٤/ ٢٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠١) طبقات خليفة (٨٨ ، ٣٠٣) تاريخ خليفة (٢٢٧) مسند أحمد (٤/ ١٢٢) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٢٤) التاريخ الصغير (١/ ٨٩) المعارف (٣١٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٥٦ و٢/ ٣٢٠ ، ٧١٩) الجرح والتعديل (٤/ ٣٢٨) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٨٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٢٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٦) الاستبصار (٥٤) حلية الأولياء (١/ ٢٦٤) الاستيعاب (٢/ ٦٩٤) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢١١) أسد الغابة (٢/ ٥٠٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٢) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ٢٧٦) تهذيب الكمال (١٢/ ٣٨٩) تاريخ=

وحكى ابن مَنْده ، عن موسى بن عقبة أنه قال : شهد بدراً . قال ابن مَنْده : وهو وَهْم .

وكان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم ، كان إذا أخذ مضجعه يقلَقُ[1] على فراشه ، ويتلوّى كما تتلوّى الحيَّة ويقول : اللهمَّ إنَّ خوف النار قد أقلقَني ، ثم يقوم إلى صلاته .

قال عُبادة بن الصامت : كان شدّاد من الذين أُوتوا العلم والحلم .

نزل شدّاد فلسطين وبيت المقدس ، ومات في هذه السنة عن خمس وسبعين سنة . وقيل : مات سنة أربع وستين . وقيل : سنة إحدى وأربعين . فالله أعلم .

عبدُ اللهِ بنُ عامر[2] : ابن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصيّ القرشيُّ العَبْشَمي ، ابن خال عثمان بن عفّان .

ولد في حياة رسول الله ﷺ وتَفَل في فيه ، فجعل يبتلع ريق رسول الله ﷺ ، فقال[3] : « إنه لمُسْقىً » . فكان لا يُعالج أرضاً إلّا ظهر له الماء .

وكان كريماً ممدَّحاً ميمون النَّقيبة .

استنابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى ، وولّاه فارس بعد عثمان بن أبي العاص ـ وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ـ ففتح خراسان كلَّها ، وأطراف فارس ، وسِجِسْتان ، وكَرْمان ، وبلاد غَزْنة . وقتل كسرى ـ ملك الملوك في أيامه ، وهو يَزْدَجِرْد[4] ـ ثم أحرم عبد الله بن عامر بحجَّة ـ وقيل : بعمرة ـ من تلك البلاد شكراً لله عز وجل ، وفرَّق في أهل المدينة أموالاً كثيرة جزيلة .

= الإسلام (٢/ ٢٩١) العبر (١/ ٦٢) الكاشف (٢/ ٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٠) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٦٦٨) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٧١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٥٨) نهاية السول (ورقة ١٣٨) الإصابة (٥/ ٥٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٣١٥) خلاصة الخزرجي (١٦٤) شذرات الذهب (١/ ٢٦٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٢٩٠) .

(١) تحرفت في المطبوع إلى : تعلق .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤) نسب قريش (١٤٧) المحبر (الفهرس) ، المعارف (٣٢٠) فتوح البلدان (٣٩٦) الأخبار الطوال (١٣٩ وغيرها) تاريخ الطبري (٥/ ١٧٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٣٩) جمهرة أنساب العرب (٧٥) الاستيعاب (٣/ ٩٣١) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٦٧) تاريخ ابن عساكر (٩/ ٢٢٩/ ب) أسد الغابة (٣/ ٢٨٨) الكامل لابن الأثير (٣/ ٩٩) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٢٨٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦٦) العبر (١/ ٦٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٨) العقد الثمين (٥/ ١٨٥) الإصابة (ت٦١٨١) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢) شذرات الذهب (١/ ٢٦٩) .

(٣) يعني النبي ﷺ . والخبر في نسب قريش (ص١٤٨) والاستيعاب (٣/ ٩٣١ ـ ٩٣٢) ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٩) من طريق مصعب الزبيري ، وإسناده ضعيف .

(٤) مقتل يزدجرد بأوسع مما هنا في تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٣) وما بعدها .

وهو أول من لبس الخَزَّ بالبصرة . وهو أول من اتخذ الحِيَاض بعرفة وأجرى إليها الماء المَعين[١] .

ولم يزل على البصرة حتى قتل عثمان ، فأخذ أموال بيت المال وتلقّى بها طلحة والزبير وحضر معهم الجمل ، ثم سار إلى دمشق . ولم يُسمع له بذكر في صفّين ، ولكن ولّاه معاوية البصرة بعد . وتوفي في هذه السنة [بأرضه بعرفات][٢] وأوصى إلى عبد الله بن الزبير .

له حديث واحد ، وليس له في الكتب شيء . روى مصعب الزُّبيري ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن حنظلة بن قيس ، عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قُتِلَ دونَ مالِهِ فهو شَهيد »[٣] .

وقد زوَّجه معاوية بابنته هند ، وكانت جميلة ، فكانت تلي خدمته بنفسها من محبتها له ، فنظر يوماً في المرآة فرأى صَباحة وجهها وشيبة في لحيته ، فطلَّقها ، وبعث إلى أبيها أن يزوِّجها بشاب كأن وجهه ورقة مصحف .

توفي في هذه السنة . وقيل : بعدها بسنة .

عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر الصدِّيق[٤] : وهو أكبر ولد أبي بكر ، قاله الزبير بن بكّار . قال : وكانت فيه دُعَابة ، وأمُّه أمُّ رومان ، وأمُّ عائشة ، فهو شقيقها .

بارز يوم بدر وأُحُد مع المشركين [وأراد قتل أبيه أبي بكر][٥] فتقدَّم إليه أبوه أبو بكر ، فقال له رسول الله ﷺ : « أَمْتِعْنا بنفسِك »[٦] . ثم أسلم عبد الرحمن بعد ذلك في الهُدْنة ، وهاجر قبل الفتح ، ورزقه رسول الله ﷺ من خيبر كل سنة أربعين وَسْقاً ، وكان من سادات المسلمين .

وهو الذي دخل على رسول الله ﷺ يوم مات وعائشةُ مسندتُه إلى صدرها ، ومع عبد الرحمن سِواكٌ

---

(١) الأوائل لابن قتيبة (ص٣٧) .
(٢) ليس في ب .
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٩) وإسناده ضعيف ، ولكن في الباب ما يقويه . نسب قريش (ص١٤٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨) .
(٤) طبقات خليفة (١٨ ، ١٨٩) تاريخ خليفة (٢١٩) مسند أحمد (١/ ١٩٧) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٤٢) ثقات العجلي (٢٨٨) المعارف (١٧٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٨٥) الجرح والتعديل (٥/ ٢٤٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٧٣) الاستيعاب (٢/ ٨٢٤) أسد الغابة (٣/ ٤٦٦) مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ٢٧٩) تهذيب الكمال (ورقة ٧٧٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٣) العبر (١/ ٥٨) الكاشف (٢/ ١٤٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧١) الإصابة (٦/ ٢٩٥) تهذيب التهذيب (٦/ ١٤٦) خلاصة الخزرجي (٢٢٤) شذرات الذهب (١/ ٢٥١) .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٦) أخرجه الواقدي في مغازيه (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧) ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧٤) ، والبيهقي في السنن (٨/ ١٨٦) .

رَطْب ، فأمدَّه بصَرَه [فأخذتْ عائشةُ ذاكَ السِّواك ، فقضَمَتْه وطيَّبَتْه ، ثم دفعَتْه إلى رسول الله ﷺ فاستَنَّ به أحسنَ اسْتِنان ثم قال : « اللهمَّ في الرَّفيق الأعلىٰ » . ثم قَضىٰ . قالت : فجمعَ اللهُ ريقي وريقه ، ومات بين سَحري ونَحري في بيتي ويومي ، لم أظلم فيه أحداً][١] .

وقد شهد عبد الرحمن فتح اليَمامة ، وقَتل يومئذ سبعة ، وهو الذي قتل مُحَكَّم بن الطُّفيل[٢] صديق مُسَيْلمة على باطله ، كان محكَّم واقفاً في ثُلْمة حائط ، فرماه عبد الرحمن فسقط محكَّم ، فدخل المسلمون من الثُّلْمة فخلصوا إلى مُسَيلمة فقتلوه .

وقد شهد فتح الشام ، وكان معظَّماً بين أهل الإسلام . ونُفل ليلى بنت الجُودي ملك عرب الشام ، نفلَه إياها خالد بن الوليد عن أمر عمر بن الخطاب كما سنذكره مفصَّلاً .

وقد قال عبد الرزاق : عن مَعْمر ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيِّب قال : حدّثني عبد الرحمن بن أبي بكر ـ ولم نجرب عليه كذبة قط ـ ذكر عنه حكاية : أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة قال عبد الرحمن لمروان : جعلتُموها والله هِرَقْليَّة وكِسْرويَّة ـ يعني : يجعل الملِكُ المُلْك لمن بعده من ولده ـ فقال له مروان : اسكتْ ، فإنك أنت الذي أنزل الله فيك : ﴿ وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ [الأحقاف : ١٧] فقالت عائشة : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلّا أنَّه أنزل عُذري . ويروى أنها بعثت إلى مروان تؤنِّبه وتخبره بخبر [فيه ذمٌّ له ولأبيه لا يصح عنها .

قال الزبير بن بكّار : حدّثني إبراهيم بن محمد بن][٣] عبد العزيز الزّهري ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمئة ألف درهم بعد أن أَبَى البيعة ليزيد بن معاوية ، فردَّها عبد الرحمن [وأَبَى أن يأخذها وقال : أَبيعُ ديني بدُنياي ؟! وخرج إلى مكة فمات بها][٤] .

وقال أبو زرعة الدمشقي[٥] : حدّثنا أبو مُسْهر ، حدّثنا مالك قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومةٍ نامها .

ورواه أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد فذكره وزاد : فأَعتقت عنه عائشة رقاباً .

ورواه الثَّوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم فذكره .

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في أ ، وفيها مكانه : إلى آخر الحديث . والحديث في البخاري رقم (٤٤٥٠) .

(٢) ويعرف بمحكَم اليمامة . كان أحد قادة جيش مسيلمة . والمشهور ماقاله المؤلف من أن الذي قتله هو عبد الرحمن بن أبي بكر كما في تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٨) وابن الأثير (٣/ ٣٦٥) وغيرهما . وورد في القاموس المحيط مادة (حكم) : محكم اليمامة ، قتله خالد بن الوليد .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من آ .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من آ . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٤/ ٢٨٤) .

(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢٢٨) .

ولما توفي كانت وفاته بمكان يقال له الحُبْشِي ـ على ستة أميال من مكة ، وقيل اثني عشر ميلاً ـ فحملَه الرجال على أعناقهم حتى دُفن بأعلى مكة ، فلمّا قدمتْ عائشة مكة زارته وقالت : أما والله لو شهدتُك لم أبكِ عليك، ولو كنت عندك لم أنقلك من موضعك الذي متَّ فيه ، ثم تمثَّلت بشعر مُتَمِّم بن نُوَيرة في أخيه مالك :

وكنّا كَنْدمانَيْ جَذِيمةَ بُرْهةً ... منَ الدَّهر حتّى قيلَ لنْ يتصَدَّعا

فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالكاً ... لطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

رواه الترمذي وغيره[١] .

وروى ابن سعد : أن ابن عمر رأى فُسْطاطاً مضروباً على قبر عبد الرحمن ـ ضربته عائشةُ بعد ما ارتحلت ـ فأَمر بنزعه وقال : إنَّما يُظِلُّه عملُه .

وكانت وفاته في هذا العام في قول كثير من علماء التاريخ ، ويقال : إن عبد الرحمن توفي سنة ثلاث وخمسين ، قاله الواقدي وكاتبه محمد بن سعد وأبو عبيد وغير واحد ، وقيل : سنة أربع وخمسين . فالله أعلم .

قصَّتُه مع لَيْلى بنت الجُوديِّ
ملك عرب الشّام

قال الزبير بن بكّار : حدّثني محمد بن الضحّاك الحزامي عن أبيه : أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق قدم الشام في تجارة ـ يعني في زمان جاهليته ـ فرأى هنالك امرأة يقال لها ليلى ابنة الجُوديّ على طِنْفِسَة[٢] لها وحولها ولائدها[٣] ، فأعجبته ـ قال ابن عساكر : رآها بأرض بصرى ـ فقال فيها :

تذكَّرتُ لَيْلىٰ والسَّماوَةُ دونَها ... فما[٤] لابنةِ الجُوديِّ ليلىٰ وماليا

وأنَّىٰ تُعاطِي قلبَه حارثيَّةٌ ... تَؤُمَّنَّ بُصْرى أو تَحُلُّ الجَوابيا

وأنَّى تُلاقيها بَلىٰ ولعلَّها ... إنِ الناسُ حَجُّوا قابلاً أنْ تُوافيا

قال : فلمّا بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال للأمير على الجيش : إنْ ظفرتَ بليلى بنت

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٥٥) في الجنائز : باب زيارة النساء للقبور . وإسناده ضعيف ، لأن فيه عنعنة ابن جريج ، لكن رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٦٥٣٥) وفيه تصريح ابن جريج بالسماع ، فانتفت العلة وثبت الحديث . وأورده صاحب الأغاني (١٥/ ٣٠٩) ضمن ترجمة متمم بن نويرة .

(٢) « الطنفسة » : البساط الذي له خمل رقيق .

(٣) « الولائد » : الجواري والخدم .

(٤) تحرف رسمها في المطبوع فوقعت فيه : فمالُ ابنة . مما أخل بالمعنى .

الجُودي فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فظفر بها ، فدفعها إليه ، فأُعجب بها وآثرها على نسائه حتى جعلن يشكونَها إلى عائشة ، فعاتبته عائشة على ذلك ، فقال : والله كأني أَرشِفُ بأنيابها حبَّ الرُّمان ، فأصابها وجع سقط له فُوها ، فجفاها حتى شكَتْه إلى عائشة ، فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن ! لقد أحببتَ ليلى فأفرطت ، وأبغَضْتَها فأَفرطت ، فإمّا أن تُنْصفها وإما أن تُجهِّزها إلى أهلها[١] .

قال الزبير : وحدّثني عبد الله بن نافع ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : إنَّ عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجُودي حين فتح دمشق ، وكانت ابنة ملك دمشق ـ يعني ابنه ملك العرب الذين حول دمشق .

عُبيد الله بنُ عباس بن عبد المطَّلب[٢] : القرشيُّ الهاشميّ ، ابن عمِّ النبي ﷺ وكان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ، وأمُّهما أمُّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلاليّة . وكان عُبيد الله كريماً جميلاً وسيماً يشبه أباه في الجمال .

روينا أن رسول الله ﷺ كان يَصُفُّ عبد الله وعبيد الله وكَثيراً صفّاً ويقول : مَنْ سبقَ إليَّ فله كذا وكذا . فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبِّلهم ويلتزمهم[٣] .

وقد استنابه علي بن أبي طالب ـ في أيام خلافته ـ على اليمن .

وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين ، فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويزيد بن شجرة[٤] الرّهاوي الذي قدم على الحج من جهة معاوية ، ثم اصطلحا على شيبة بن عثمان الحَجَبي ، فأقام للناس الحج عامئذ ، ثم لما صارت الشوكة لمعاوية تسلَّط على عبيد الله بسر بن أبي أَرْطاة فقتل له ولدين ، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها .

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ دمشق ، مختصره (١٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) ، ووردت الأبيات أيضاً في نسب قريش (ص٢٧٦) والأغاني (١٧/ ٣٥٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٣) .

(٢) نسب قريش (٢٧) طبقات خليفة (ت١٩٧٢) مسند أحمد (١/ ٢١٤) المحبر (١٧ ، ١٠٧ ، ١٤٦ ، ٢٩٢ ، ٤٥٦) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٤٢) ثقات العجلي (٣١٧) المعارف (١٢١) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٢) العقد الفريد (١/ ٢٩٤) جمهرة أنساب العرب (١٨) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩) أسد الغابة (٣/ ٥٢٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣١٢) مختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٣٢٢) تهذيب الكمال (ورقة ٨٨٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٤ و٣/ ٢٨١) العبر (١/ ٦٣) تذهيب التهذيب (٢/ ٢٦٥/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢) الكاشف (٢/ ١٩٩) مرآة الجنان (١/ ١٣٠) العقد الثمين (٥/ ٣٠٩) الإصابة (٢/ ٤٣٧) تهذيب التهذيب (٧/ ١٩) خلاصة الخزرجي (٢٥١) شذرات الذهب (١/ ٢٦٦) خزانة الأدب (٣/ ٢٥٦ ، ٥٠٢) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢١٤) وإسناده ضعيف .

(٤) تحرفت في (أ) و (ط) إلى : سمرة .

وكان يقدم هو وأخوه عبد الله المدينة ، فيوسعهم عبد الله علْماً ويوسعهم عبيد الله كَرَماً .

وقد روي أنه نزل في مسيرٍ له مع مولى له على خيمة رجل من الأعراب ، فلمّا رآه الأعرابيُّ أعظمه وأجلَّه ، ورأى حسنه وشكله ، فقال لامرأته : ويحكِ ماذا عندك لضيفنا هذا ؟! فقالت : ليس عندنا إلّا هذه الشُّويهة[١] التي حياةُ ابنتِك من لبنها ، فقال : إنه لا بدَّ من ذبحها ، فقالت : أتقتلُ ابنتَك ؟ فقال : وإن ، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحُها ويسلخُها وهو يقول مرتجزاً :

يـا جَـارَتـي لا تُـوْقِظـي البُنَيَّـهْ
إنْ تُـوْقِظيهـا تَنْتَحِـبْ عَلَيَّـهْ
وتَنْـزِعِ الشَّفْـرَةَ مِـن يَـدَيَّـهْ

ثم هيَّأها طعاماً ، ثم حملَها فوضعها بين يدي عبيد الله ومولاه ، فعشّاهما . وكان عبيد الله قد سمع محاورته مع امرأته في الشاة ، فلمّا أراد الارتحال قال لمولاه : ويلك ماذا معك من المال ؟ فقال : معي خمسمئة دينار فضَلَت من نفقتك ، فقال : ادفعها إلى الأعرابي ، فقال : سبحان الله ! تعطيه خمسمئة دينار وإنما ذبح لك شاةً واحدة تساوي خمسة دراهم ؟! فقال : ويحك ! والله لهو أسخى منّا وأجود ، لأنّا إنما أعطيناه بعض ما نملك [وجاد علينا بجميع ما يملك][٢] وآثَرنا على مُهْجة نفسه وولده . فبلغ ذلك معاوية فقال : لله درُّ عبيد اللهِ من أي بيضة خَرَج [ومن أي عُشٍّ دَرَج][٣] .

قال خليفة بن خياط[٤] : توفي سنة ثمان وخمسين . وقال غيره : توفي في أيام يزيد بن معاوية . قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : توفي في سنة سبع وثمانين . وكانت وفاته بالمدينة ، وقيل : باليمن .

وله حديث واحد . قال أحمد : حدّثنا هُشيم ، حدّثنا يحيى بن [أبي][٥] إسحاق ، عن سليمان بن يسار ، عن عُبيد الله بن عباس قال : جاءت الغُمَيْصاء[٦] ـ أو الرُّمَيْصاء ـ إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجَها تزعمُ أنَّه لا يصلُ إليها ، فما كان إلَّا يسيراً حتّى جاء زوجُها فزعم أنَّها كاذبة وأنَّها تريد أن ترجعَ إلى زوجها الأوَّل ، فقال رسول الله ﷺ : « ليسَ لَكِ ذٰلكَ حتَّى يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ رجلٌ غيرُه »[٧] .

---

(١) « الشويهة » : تصغير شاة ، العُنيزة .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر في الجليس الصالح (١/ ٥٤٨) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩) مع اختلاف ببعض الألفاظ .
(٤) في تاريخه (ص٢٢٥) .
(٥) سقطت من الأصول ، فاستدركناها من المسند وغيره .
(٦) تحرفت في (أ) و (ط) إلى : العميصاء .
(٧) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢١٤) وهو حديث صحيح . وقوله : « حتى يذوق عسيلتك » كناية عن الجِماع .

وأخرجه النَّسائي[١] ، عن علي بن حُجْر[٢] ، عن هُشيم به .

ومما توفي في هذه السنة :

أمُّ المؤمنين عائشةُ بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق[٣] : [زوجة رسول الله ﷺ وأحبُّ أزواجه إليه ، المبرَّأة من فوق سبع سماوات رضي الله عنها][٤] وأمُّها هي أمُّ رُومان بنت عامر بن عُويمر الكِنَانيّة .

تكنى عائشة بأمِّ عبد الله ، قيل : كنّاها بذلك رسول الله ﷺ بابن أُختها عبد الله بن الزبير . وقيل : إنها أَسقطت من رسول الله ﷺ سِقْطاً[٥] فسمّاه عبد الله .

ولم يتزوَّج رسول الله ﷺ بِكْراً غيرها ، ولم ينزل عليه الوحيُ في لحاف امرأة غيرها ، ولم يكن في أزواجه أحبّ إليه منها .

تزوَّجها بمكة بعد وفاة خديجة . « وقد أتاه المَلَك بها في المنام في سَرَقةٍ[٦] من حرير مرتين أو ثلاثاً فيقول : هذه زوجتُك . قال : فأكشِفُ عنكِ فإذا هي أنت ، فأقول : إنْ يكن هذا من عند الله يُمْضِه »[٧] . فخطبها من أبيها ، فقال : يا رسول الله أوَ تحلُّ لك ؟ قال : نعم . قال : أولستُ أخاك ؟ قال : بلَى في الإسلام ، وهي لي حلال[٨] . فتزوَّجها رسول الله ﷺ فحظِيَتْ عنده . وقد قدمنا ذلك في أول السيرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : بسنة ونصف ، وقيل : بثلاث سنين . وكان عمرها إذ ذاك ست سنين ، ثم دخل بها وهي بنت تسع سنين بعد بدر من شوال من سنة اثنتين من الهجرة ، فأحبَّها .

ولما تكلَّم فيها أهل الإفك بالزُّور والبُهْتان غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على

---

(١) (٦/ ١٤٨) في الطلاق : باب إحلال المطلقة ثلاثاً .

(٢) تحرف في (أ) و (ط) إلى : حجرة .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨) تاريخ ابن معين (٢/ ٧٣) مسند أحمد (٦/ ٢٩) الزهد لأحمد (٢٤٠) تاريخ خليفة (٢٢٥) طبقات خليفة (٣٣٣) ثقات العجلي (٥٢١) المعارف (١٣٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٦٨) مستدرك الحاكم (٤/ ٤) حلية الأولياء (٢/ ٤٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٨١) طبقات الشيرازي (٤٧) جامع الأصول (٩/ ١٣٢) أسد الغابة (٧/ ١٨٨) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٨) طبقات علماء الحديث (ص٨٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧) العبر (١/ ٦٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٤) الكاشف (٣/ ٤٣٠) مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٣) الإصابة (١٣/ ٣٨) طبقات الحفاظ (ص٨) خلاصة الخزرجي (٤٩٣) كنز العمال (١٣/ ٦٩٣) شذرات الذهب (١/ ٢٥٨) أعلام النساء لكحالة (٣/ ٩) وقد استلت ترجمتها من سير أعلام النبلاء وطبعت في كتاب مستقل بدمشق سنة ١٩٤٥م .

(٤) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٥) السقط ـ بالفتح والضم والكسر ، والكسر أكثر ـ الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه .

(٦) « السرقة » : قطعة من جيد الحرير .

(٧) أخرجه البخاري (٧٠١٢) ، ومسلم (٢٤٣٨) في الفضائل : باب فضل عائشة .

(٨) رواه البخاري رقم (٥٠٨١) وانظر الفتح .

تعاقب الأزمان . [وقد ذكرنا ذلك مفصَّلاً فيما سلف ، وشرحنا الآياتِ والأحاديثَ الواردة في ذلك في غزوة المُرَيْسِيع ، وبسطنا ذلك أيضاً في كتاب التفسير بما فيه كفاية ومَقْنع ولله الحمد والمنّة][١] . وقد أجمع العلماء على تكفير مَنْ قذفها بعد براءتها ، واختلفوا في بقيَّة أمهات المؤمنين : هل يكفر مَنْ قذفهنَّ أم لا ؟ على قولين ، وأصحُّهما أنه يكفر لأن المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ ، والله تعالى إنَّما غضب لها لأنَّها زوجة رسول الله ﷺ ، فهي وغيرها منهن سواء .

ومن خصائصها ـ رضي الله عنها ـ أنها كان لها في القَسْم يومان يومها ويوم سَوْدة [حين وهبتها ذلك تقرُّباً إلى رسول الله ﷺ][٢] .

وأنه مات في يومها وفي بيتها وبين سَحرها ونَحرها ، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته من الدنيا وأول ساعة من الآخرة ، ودُفن في بيتها[٣] .

وقد قال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن مصعب بن إسحاق بن طلحة ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّه ليُهَوّنُ عليَّ أنّي رأيتُ بياضَ كفِّ عائشَةَ في الجنَّة » . تفرد به أحمد .

[وهذا في غاية ما يكون من المحبَّة العظيمة أن يرتاح لأنه رأى بياض كفِّ عائشة أمامه في الجنَّة][٥] .

ومن خصائصها أنها أعلم نساء النبي ﷺ بل هي أعلم النساء على الإطلاق . قال الزُّهري : لو جُمع علمُ عائشةَ إلى علم جميع أزواجه وعلم جميع النساء لكان علمُ عائشةَ أفضل[٦] .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشةُ أفقهَ الناس ، وأعلمَ الناس ، وأحسنَ الناس رأياً في العامة .

وقال عُروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا طبٍّ ولا شعرٍ من عائشة ، ولم ترو امرأة ولا رجل ـ غير أبي هريرة ـ عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها .

وقال أبو موسى الأشعري : ما أشكلَ علينا ـ أصحابَ محمد ـ حديثٌ قطّ فسألنا عائشةَ إلَّا وجدنا عندها منه عِلماً . رواه الترمذي[٧] .

وقال أبو الضّحى عن مَسْروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ . وقد تقدم ذلك خلال ترجمة سودة بنت زمعة .
(٣) تقدم ذلك ضمن حديث صحيح خلال ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر .
(٤) في مسنده (٦/ ١٣٨) وفي إسناده ضعف .
(٥) ما بين حاصرتين ليس في أ .
(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ١١) .
(٧) (٣٨٨٣) في المناقب : باب من فضل عائشة ، وهو حديث صحيح .

وأما ما يلهَجُ به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث : « خُذُوا شَطْر دينكم عن هٰذه الحُمَيْراء » فإنه ليس له أصل ، ولا هو مثبت في شيْ من أصول الإسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجّاج المزِّي ، فقال : لا أصلَ له[١] .

ثم لم يكن من النساء أعلم من تلميذاتها : عَمْرة بنت عبد الرحمن ، وحَفْصة بنت سِيرين ، وعائشة بنت طَلْحة .

وقد تفرَّدت أمُّ المؤمنين عائشةُ بمسائلَ عن الصحابة لم توجد إلَّا عندها ، وانفردت باختيارات أيضاً وردت أخبارٌ بخلافها بنوع من التأويل . وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة .

وقال الشعبي : كان مسروقٌ إذا حدَّث عن عائشة قال : حدّثتني الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق ، حبيبةُ رسول الله ، المبرَّأة من فوق سبع سماوات .

وثبت في « صحيح البخاري » من حديث أبي عثمان النَّهْدي ، عن عمرو بن العاص أنه قال : « قلت يا رسول الله ، أيُّ الناسِ أحبُّ إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : ومن الرجال ؟ قال : أبوها »[٢] .

وفي « صحيح البخاري » أيضاً عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمُلَ من الرِّجالِ كَثِير ، ولم يكمُلْ من النِّساء إلَّا مريمُ بنتُ عمران ، وخديجة بنت خُوَيلد ، وآسِيَةُ امرأةُ فرعون ، وفضلُ عائشةَ على النِّساءِ كفضلِ الثَّرِيد على سائِرِ الطَّعام »[٣] .

وقد استدل كثير من العلماء ممَّن ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة بهذا الحديث وقال : فإنه دخل فيه سائر النساء الثلاث المذكورات وغيرهن . ويعضُد ذلك أيضاً الحديث الذي رواه البخاري أيضاً : حدّثنا إسماعيل بن خليل ، حدّثنا علي بن مُسْهر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : استأذنتْ هالَةُ بنت خُوَيلد ـ أخت خديجة ـ على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، فقال : اللهمَّ هالَة . قالت عائشة : فغرت وقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدقين هلكتْ في الدهر الأول ، قد أبدلكَ اللهُ خيراً منها ؟! » . هكذا رواه البخاري[٤] ، فأما ما يُروى فيه من الزيادة : « واللهِ ما أبدلَني خيراً منها » فليس يصحُّ سندها . وقد ذكرنا ذلك مطوَّلاً عند وفاة خديجة ، وذكرنا حُجَّة من ذهب إلى تفضيلها على عائشة بما أغنى عن إعادته هاهنا .

---

(١) ولذلك ساقه أصحاب كتب الموضوعات، فذكره السيوطي في الدرر المنتثرة ص(٧٩)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة ص(١٩٠). والشوكاني في الفوائد المجموعة ص(٣٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٣٥٨) ومسلم (٢٣٨٤) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١) في فضائل الصحابة : باب فضل خديجة .

(٤) هو في البخاري معلقاً رقم (٣٨٢١) قال الحافظ في الفتح : كذا في جميع النسخ التي اتصلت إلينا بصيغة التعليق ، لكن صنيع المزي ـ وعنه تلميذه المؤلف ـ يقتضي أنه أخرجه موصولاً ، وصله أبو عوانة ، ومسلم رقم (٢٤٣٧) .

وروى البخاري عن عائشة : أنَّ النبي ﷺ قال يوماً : « يا عائِشُ ، هذا جبريلُ يُقرِئُكِ السَّلام ، فقالت : وعليهِ السَّلام ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، تَرىٰ ما لا أرىٰ »[١] .

وثبت في « صحيح البخاري » أن الناس كانوا يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة ، فاجتمع أزواج النبي ﷺ إلى أمِّ سلَمة وقلنَ لها : قُولي له يأمر الناس أن يُهْدوا له حيث كان . فقالت أمُّ سلَمة : فلمَّا دخل عليَّ قلتُ له ذلك ، فأعرض عني . ثم قلنَ لها ذلك ، فقالت له ، فأعرض عنها . ثم لمّا دار إليها قالت له ، فقال : « يا أمَّ سلَمة لا تُؤذيني في عائشة ، فإنَّه واللهِ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لِحَاف امرأةٍ منكنَّ غيرها » . وذكر أنهنَّ بعثنَ فاطمةَ ابنتَه إليه فقالت : إنَّ نساءَك يَنْشُدْنَكَ العدلَ في ابنة أبي بكر بن أبي قُحافة ، فقال : يا بُنَيَّة ، ألا تُحبِّين مَنْ أُحِبُّ ؟ قالت : قلت : بلَى ، قال : فأَحِبِّي هذه » . ثم بعثنَ زينب بنت جَحش ، فدخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة ، فتكلَّمت زينبُ ونالتْ من عائشة [فانتصرتْ عائشةُ منها وكلَّمتها حتى أَفْحمتها ، فجعل رسول الله ﷺ ينظرُ إلى عائشةَ][٢] ويقول : « إنَّها ابنةُ أبي بكر »[٣] .

وذكرنا أن عمّاراً لما جاء يستصرخ الناسَ ويستنفرهم إلى قتال طَلْحة والزُّبير أيام الجَمَل ، صَعِد هو والحسن بن عليٍّ على منبر الكوفة ، فسمع عمّارٌ رجلاً ينال من عائشة ، فقال له : اسكُتْ مَقْبوحاً مَنْبوذاً ، والله إنَّها لَزوجةُ رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكنَّ اللهَ ابتلاكم ليعلمَ إيّاهُ تطيعونَ أو إيّاها[٤] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا معاوية بن عمرو ، حدّثنا زائدة ، حدّثنا عبد الله بن خُثيم ، حدّثني عبد الله بن أبي مُليكة أنه حدّثه ذكوان ـ حاجب عائشة ـ أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة ، فجئت ـ وعند رأسها ابن أخيها عبدُ الله بن عبد الرحمن ـ فقلت : هذا ابنُ عباس يستأذن ، فأكبَّ عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن ـ وهي تموت ـ فقالت : دَعْني من ابن عباس ، فقال : يا أمّاه إنَّ ابن عباس من صالح بَنيك يسلِّم عليك ويودِّعك ، فقالت : ائذنْ له إن شئت ، قال : فأدخلته ، فلمّا جلس قال : أبشري ، فقالت : بماذا ؟ فقال : ما بينك وبين أن تلقَي محمداً والأحبَّة إلَّا أن تخرج الروح من الجسد ، وقد كنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إليه ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحبُّ إلّا طيّباً ، وسقطتْ قِلادتُك ليلة الأَبْواء فأصبح رسول الله ﷺ وأصبح الناس وليس معهم ماء ، فأنزل الله آية التيمُّم[٥] ، فكان ذلك في سَببك ، وما أنزل الله من الرُّخصة لهذه الأمة . وأنزل الله براءَتَك من فوق سبع سماوات ، جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله إلّا تُتْلى فيه آناء الليل وآناء النهار .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٨) في فضل عائشة ، ومسلم (٢٤٤٧) (٩١) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من آ .
(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٥٨١) في الهبة : باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض .
(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٧٧٢) في الفضائل : باب فضل عائشة .
(٥) يعني قوله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء : ٤٣] .

فقالت : دَعْني منك يا بن عباس ، والذي نفسي بيده لوددتُ أني كنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً[١] .

والأحاديث في فضائلها ومناقبها كثيرة جداً .

وقد كانت وفاتها في هذا العام سنة ثمان وخمسين، وقيل: قبلَه بسنة ، وقيل : بعده بسنة ، والمشهور في رمضان منه وقيل : في شوال ، والأشهر ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان . وأوصت أن تُدفن بالبقيع ليلاً . وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر . ونزل في قبرها خمسة وهم : عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوّام من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر ، و [عبد الله بن][٢] عبد الرحمن بن أبي بكر . وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة ، لأنه توفي رسول الله ﷺ وعمرها ثمان عشرة سنة ، وكان عمرها عام الهجرة ثماني سنين أو تسع سنين ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

فيها كان مشتى عَمرو بن مرَّة الجُهَني في أرض الروم في البرّ . قال الواقدي : ولم يكن فيها غزوٌ [في البحر ، وقال غيره : بل غزا في البحر عامئذ جُنادة بن أبي أميَّة][٣] .

وفيها عزل معاويةُ ابنَ أمِّ الحكم عن الكوفة لسوء سيرته فيهم ، وولَّى عليه النُّعمان بن بَشير .

وفيها ولَّى معاويةُ عبدَ الرحمن بن زياد ولاية خراسان ، وعزل عنها سعيد بن عثمان بن عفّان ، فصار عبيد الله على البصرة، وعبّاد بن زياد على سِجسْتان، وعبد الرحمن بن زياد على خراسان . ولم يزل عبد الرحمن عليها إلى زمن يزيد، فقدم عليه بعد مقتل الحسين ، فقال له : كم قدمتَ به من المال ؟ قال : عشرون ألف ألف ، فقال له: إن شئتَ حاسبناك ، وإن شئتَ سوَّغناكها وعزلناك عنها على أن تعطي عبد الله بن جعفر خمسمئة ألف درهم ، قال : بل سَوِّغها ، وأما عبد الله بن جعفر فأُعطيه ما قلتَ ومثلَها معها ، فعزله وولَّى غيره ، وبعث عبد الرحمن إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم وقال : خمسمئة ألف من جهة أمير المؤمنين ، وخمسمئة ألف من قِبَلي .

وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه أشراف أهل البصرة والعراق ، فاستأذن لهم عبيد الله[٤] عليه على منازلهم منه، وكان من آخر مَنْ أدخله على معاوية الأحنفُ بن قيس ـ ولم يكن عبيد الله يجلُّه ـ فلما رأى معاوية الأحنف رحَّب به وعظَّمه وأجلَّه وأجلسه معه على السرير، ثم تكلَّم القوم فأثنوا على عبيد الله والأحنفُ ساكت ، فقال له معاوية : مالك يا أبا بحر لا تتكلَّم ؟ فقال له : إن تكلمتُ خالفتُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٧٦) وهو حديث صحيح .

(٢) سقط من أ . والخبر في طبقات ابن سعد (٨/ ٧٧) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ . وقد أورده الطبري في تاريخه (٥/ ٣١٥) .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عبد الله .

القوم ، فقال معاوية : انهضوا فقد عزلتُه عنكم فاطلبوا والياً ترضَوْنه ، فمكثوا أياماً يتردَّدون إلى أشراف بني أميَّة يسألون كل واحد منهم أن يتولَّى عليهم ، فلم يقبل أحد منهم ذلك . ثم جمعهم معاوية فقال : من اخترتم ؟ فاختلفوا عليه والأحنفُ ساكت ، فقال له معاوية : مالك لا تتكلَّم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ولَّيت علينا من أهل بيتك فإنا لا نعدل بعبيد الله بن زياد أحداً ، وإن ولَّيت علينا من غيرهم فانظر لنا في ذلك ، فقال معاوية : قد أعدتُه إليكم . ثم إن معاوية أوصى عُبيد الله بن زياد بالأحنف خيراً ، وقبَّح رأيه في مباعدته ، فكان الأحنف بعد ذلك من أخص أصحاب عبيد الله ، ولمّا وقعت الفتنة لم يَفِ لعبيد الله غيرُ الأحنف بن قيس .

قصة يَزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَري مع ابني زياد : عُبيد الله وعبّاد

ذكر ابن جرير[١] عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى وغيره : أن هذا الرجل كان شاعراً وكان مع عبّاد بن زياد بسِجسْتان ، فاشتغل عنه بحرب الترك ، وضاق على الناس عَلَف الدواب ، فقال ابن مفرِّغ شعراً يهجو به ابن زياد على ما كان منه فقال :

أَلَا ليتَ اللِّحَى كانَتْ حَشِيشاً ... فنَعْلِفَهـا خيـولَ المُسْلمينـا

وكان عبّاد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جدّاً ، فبلغه ذلك ، فغضب وتطلَّبه ، فهرب منه وقال فيه قصائد يهجوه بها كثيرة ، فمن ذلك قوله :

إذا أَوْدىٰ معاويةُ بنُ حَرْبٍ ... فبَشِّر شعْبَ قَعْبِكَ بانْصِدَاع
فأَشْهَدُ أنَّ أمَّكَ لم تُباشِرْ ... أبا سُفيانَ واضعَةَ القِنَاع
ولكنْ كانَ أمراً فيه لَبْسٌ ... علَى خَوْفٍ شَديدٍ وارْتِيَاع

وقال أيضاً :

أَلَا أَبلِغْ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً من الرَّجُل اليَمَاني
أَتَغْضَبُ أنْ يُقالَ أبوكَ عَفٌّ ... وتَرْضىٰ أنْ يُقالَ أبوكَ زاني
فأَشْهَدُ أنَّ رِحْمَكَ من زيادٍ ... كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأَتان

فكتب عبّاد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات ، فقرأها عبيد الله على معاويةَ واستأذنه في قتله ، فقال : لا تقتله ولكن أَدِّبه ولا تبلغ به القتل . فلمّا رجع عُبيد الله إلى البصرة استحضره ، وكان قد استجار بوالد زوجة عُبيد الله بن زياد وهو المُنْذر بن الجارود ، وكانت ابنته بَحْرِيَّة

(١) في تاريخه (٥/ ٣١٧ ـ ٣٢١) .

عند عُبيد الله ، فأجاره وآواه إلى داره . وجاء الجارود مسلِّماً على عبيد الله ، وبعث عبيد الله الشُّرَط إلى دار المنذر ، فجاؤوا بابن مفرِّغ فأُوقف بين يديه ، فقال المنذر : إني قد أجرتُه ، فقال : يمدحك ويمدح أباك فترضى عنه ، ويهجوني ويهجو أبي ثم تُجيره عليّ ؟! ثم أمر عبيد الله بابن مفرِّغ فسُقي دواءً مُسْهلاً ، وحملوه على حمار عليه إكاف وجعلوا يطوفون به في الأسواق وهو يَسْلَح والناس ينظرون إليه ، ثم أمر به فنُفي إلى سِجسْتان إلى عند أخيه عبّاد ، فقال ابن مفرِّغ لعبيد الله بن زياد :

يَغْسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلي ... راسخٌ منكَ في العِظامِ البَوالي

فلما أَمر عبيد الله بنفي ابن مفرِّغ إلى سِجسْتان كلَّم اليمانيّون معاوية في أمر ابن مفرِّغ : أنَّه إنَّما بعثه إلى أخيه ليقتلَه ، فبعث معاوية إلى ابن مفرِّغ وأحضره ، فلمّا وقف بين يديه بكى وشكا إلى معاوية ما فعل به ابن زياد ، فقال له معاوية : إنك هجوتَه ، ألستَ القائل كذا ؟ ألستَ القائل كذا ؟ فأنكر أن يكون قال من ذلك شيئاً ، وذكر أن القائل ذلك هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان وأحبَّ أن يُسْندها إليّ ، فغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم ومنَعَه العطاء حتى يرضى عنه عبيد الله بن زياد . وأنشد ابنُ مفرِّغ ما قاله في الطريق في معاوية يخاطب راحلته :

عَـدَسْ مـا لعبّـاد عليـكِ إمـارةٌ ... نَجَـوْتِ وهٰـذا تحملِيـنَ طَلِيـقُ[1]

لَعَمْري لقَدْ نجّاكِ من هُوَّةِ الرَّدى ... إمـامٌ وحَبْـلٌ لـلأنـام وَثِيـقُ

سأَشكُرُ ما أَوْليتَ من حُسْنِ نِعمةٍ ... ومثلـي بشُكْـرِ المُنْعِمِيـنَ حَقِيـقُ

فقال له معاوية : أما لو كنّا نحن الذين هَجَوْتنا لم يكن من أذانا شيً يصل إليك ولم نتعرض لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه ارتكب فيَّ ما لم يرتكب مسلمٌ من مسلمٍ على غير حَدَثٍ ولا جُرْم ، قال : ألستَ القائل كذا ؟ ألستَ القائل كذا ؟ فقد عفونا عن جُرْمك ، أما إنك لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيً ، فانظر الآن من تخاطب ومن تشاكل ، فليس كل أحد يحتمل الهجاء ، ولا تعامل أحداً إلّا بالحُسْنى ، وانظر لنفسك أي البلاد أحبّ إليك تقيم بها حتى نبعثك إليها ، فاختار المَوْصل ، فأرسله إليها ، ثم استأذن عبيد الله في القدوم إلى البصرة والمقام بها ، فأذن له . ثم إن عبد الرحمن ركب إلى عُبيد الله فاسترضاه ، فرضي عنه ، وأنشده عبد الرحمن :

لأَنْـتَ زيـادةٌ فـي آلِ حَـرْبٍ ... أحـبُّ إلـيَّ مـن إحدَى بَنانـي

أراكَ أخـاً وعمّـاً وابـنَ عـمٍّ ... فـلا أَدرِي بغَيْـبٍ مـا تَـرانـي

---

(١) « عدس » : اسم البغلة ، أو : كلمة زجر للبغال . والبيت شاهد مشهور في النحو على أن هذا بمعنى الذي . مغني اللبيب (ص٥١٤) وخزانة الأدب (٢/ ٥١٤) .

فقال له عبيد الله : أراكَ واللهِ شاعر سَوْء ، ثم رضي عنه ، وأعاد إليه ما كان منعه من العطاء[١] .

قال أبو معشر والواقدي : وحجَّ بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان . وكان نائب المدينة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ، وعلى الكوفة النُّعمان بن بَشير وقاضيها شُريح ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد [وقاضيها هشام بن هُبيرة][٢] وعلى سِجِسْتان عبّاد بن زياد ، وعلى كَرْمان شَريك بن الأعور الحارثي ، من قِبَل عبيد الله بن زياد .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

قال ابن الجوزي : توفي فيها أسامة بن زيد ، والصحيح قبلها كما تقدم[٣] .

الحُطَيئةُ الشاعر[٤] : واسمه : جَرْول [بن أوس][٥] بن مالك بن جُؤَيَّة بن مخزوم بن مالك بن قُطَيعة ابن عَبْس[٦] ، أبو[٧] مُلَيكة ، الشاعر الملقَّب بالحُطَيئة لِقِصَرِه .

أدرك الجاهلية ، وأسلم في زمن الصدِّيق .

وكان كثير الهجاء حتى يقال : إنَّه هجا أباه وأمَّه ، وخاله وعمَّه ، ونفسه وعِرْسه[٨] . فمما قال في أمِّه :

تَنَحَّيْ فاقعُدي عَنِّي بَعيداً أَراحَ اللهُ منكِ العالَمِينا
أَغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً وكانُوناً على المُتحدِّثينا
جَزاكِ اللهُ شَرّاً من عَجُوزٍ ولقَّاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينا[٩]

وقال في أبيه وعمِّه وخاله :

---

(١) الخبر بطوله أيضاً في الكامل لابن الأثير (٣/ ٥٢٢ ـ ٥٢٥) وهو أيضاً في : الأغاني (١٨/ ٢٥٦) وما بعدها ، والشعر والشعراء (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦٤) ولسان العرب : مادة (عدس) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ط .

(٣) الترجمة في وفيات سنة ٥٤هـ .

(٤) مقدمة ديوانه بتحقيق نعمان أمين طه ، طبقات ابن سلام (١/ ١١٠) المعمرون والوصايا (١٣٤) الشعر والشعراء (١/ ٣٢٢) المعارف (٥٩٤) الاشتقاق (٢٧٩) العقد الفريد (١/ ٢٨٣) الأغاني (٢/ ١٥٧) رسالة الغفران (٣٠٧) أسد الغابة (٢/ ٣٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠) فوات الوفيات (١/ ٢٧٦) خزانة الأدب (١/ ٤٠٩) .

(٥) ليس في الأصول ، واستدركته من مصادر ترجمة الشاعر .

(٦) تحرف في (أ) و (ط) إلى : عيسى .

(٧) في أ و ط : بن . وهو خطأ ، فكنية الحطيئة : أبو مليكة ، نسبة إلى ابنته .

(٨) يعني : امرأته .

(٩) ديوان الحطيئة (ص٢٧٧) .

لَحَـاكَ اللهُ ثـمَّ لَحَـاكَ حقّـاً أبـاً ولَحَـاكَ مـنْ عـمٍّ وخـال
فنعمَ الشَّيخُ أنتَ لدَى المَخَازي وبئسَ الشَّيخُ أنتَ لدَى المَعَالي[١]

ومما قال في نفسه يذمُّها :

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلّا تَكلّما بِشَرٍّ فما أدري لِمَنْ أنا قائِلُهْ
أرىٰ ليَ وجهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ[٢]

وقد شكاه الناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فأحضره وحبسَه ، وكان سبب ذلك الزِّبْرقان بن بدر ، شكاه لعمر أنه قال له يهجوه :

دَعِ المكـارمَ لا تـرحـلْ لبُغْيَتِهـا واقعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسي[٣]

فقال له عمر : ما أراه هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه لا يكون هجاء أشدّ من هذا ، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما هجاه ولكنْ سلَح عليه . فعند ذلك حبسه عمر وقال : يا خبيث ! لأشغلنَّك عن أعراض المسلمين . ثم شفّع فيه عمرو بن العاص ، فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لا يهجو الناس واستتابه ، ويقال : إنه أراد أن يقطع لسانه ، فشفّعوا فيه حتى أطلقه .

وقال الزبير بن بكّار : حدثني محمد بن الضحّاك عن عثمان الحِزَامي[٤] ، عن عبد الله بن مصعب ، حدثني عن ربيعة بن عثمان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : أمر عمر بإخراج الحُطَيئة من الحبس ، وقد كلَّمه فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأُخرج وأنا حاضر ، فأنشأ يقول :

مـاذا تقـولُ لأفـراخٍ بـذي مَـرَخٍ زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
غادرتَ كاسِبَهم في قَعْر مُظْلمةٍ فارحَمْ هداكَ مليكُ الناسِ يا عُمَرُ
أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحِبِه أَلقىٰ إليكَ مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤْثروكَ بها إذ قدَّموك لها لكنْ لأنفسِهم كانتْ بكَ الأَثَرُ
فامنُنْ على صِبيةٍ بالرّمل مسْكنُهمْ بينَ الأباطح يَغْشاهُم بها القَدَرُ
نفسي فداؤُكَ كم بيني وبينَهُمُ من عَرضِ داويَةٍ يعمىٰ بها الخَبَرُ[٥]

---

(١) ديوان الحطيئة (ص٢٧٦) . وقوله : لحاك الله يعني : قبّحك ولعنك .

(٢) ديوان الحطيئة (ص٢٨٢) .

(٣) ديوان الحطيئة (ص٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

(٤) تحرفت في المطبوع إلى : الحرامي .

(٥) الأبيات في ديوان الحطيئة (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩) مع اختلاف ببعض الألفاظ . « والداويّة » : المفازة .

قال : فلما قال الحُطيئة : ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ، بكى عمر ، فقال عمرو بن العاص : ما أظلَّت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحُطيئة . ثم ذكر أنه أراد قطع لسان الحُطَيئة لئلاّ يهجو به الناس ، فأجلسه على كرسي وجيئ بالموسى ، فقال الناس : لا يعود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه قل : لا أعود ، فقال له عمر : النَّجاء ، فلمّا ولَّى قال له عمر : ارجع يا حُطيئة ، فرجع ، فقال له : كأني بك عند شاب من قريش قد كسَر لك نُمْرُقَة[1] وبسَط لك أخرى وقال : يا حُطيئة غنِّنا ، فاندفعتَ تغنِّيه بأعراض الناس . قال أسلم : فرأيت الحُطيئة بعد ذلك عند عبيد الله بن عمر وقد كسَر له نُمْرُقَة وبسط له أخرى وقال : يا حُطيئة غنِّنا ، فاندفع حُطيئة يغني ، فقلت له : يا حُطيئة ! أتذكر يوم عمر حين قال لك ما قال ؟ ففزع وقال : رحم الله ذلك المرء ، لو كان حيًّا ما فعلنا هذا ، فقلت لعبيد الله : إني سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

وقال الزبير : حدّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : قال عمر للحُطيئة : دع قول الشعر ، قال : لا أستطيع ، قال : لمَ ؟ قال : هو مَأكلة عيالي وعلَّة لساني ، قال : فدع المِدْحة المُجْحفة ، قال : وماهي يا أمير المؤمنين ؟ قال : تقول : بنو فلان أفضل من بني فلان ، امدح ولا تفضِّل ، فقال : أنت أشعر مني يا أمير المؤمنين .

ومن مديحه الجيِّد المشهور قوله :

أَقِلُّوا عليهِمْ لا أَبا لأَبيكُمُ ... من اللَّوْم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئِكَ قومٌ إنْ بَنَوا أحسَنُوا البُنا ... وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا وإنْ عقَدُوا شَدُّوا
وإنْ كانتِ النَّعماءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإنْ أنعَمُوا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا[2]

قالوا : ولما احتُضر الحُطيئة قيل له : أَوصِ ، قال : أُوصيكم بالشعر ، ثم قال :

الشِّعر صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ ... إذا ارتَقىٰ فيهِ الذي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بهِ إلى الحَضِيض قَدَمُهْ ... والشِّعر لا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ
يُرِيدُ أنْ يُعْرِبَهُ فيُعْجِمُهُ[3]

قال أبو الفرج ابن الجوزي في « المنتظم » : توفي الحطيئة في هذه السنة . وذكر أيضاً فيها وفاة عبد الله بن عامر بن كُريز ، وقد تقدَّم في التي قبلها .

---

(١) « النمرقة » : الوسادة الصغيرة .
(٢) ديوان الحطيئة (ص١٤٠) .
(٣) ديوان الحطيئة (ص٣٥٦) ضمن وصية أدبية ظريفة .

عبد الله بن مالك بن القِشْب[١] : واسمه جُنْدُب بن نَضْلَة بن عبد الله بن رافع الأَزدي ، أبو محمد ، حليف بني عبد المطَّلب ، المعروف بابن بُحَيْنَة [وهي أمُّه بُحَيْنة][٢] بنت الأَرَتّ بن المطَّلب بن عبد مناف .

أسلم قديماً ، وصحب رسول الله ﷺ ، وكان ناسكاً صوّاماً قوّاماً ، وكان ممَّن يسرُد صوم الدهر كله .

قال ابن سعد : كان ينزل بطنَ رِيم على ثلاثين ميلاً من المدينة ، ومات في عمل مروان في المرَّة الثانية ، ما بين سنة أربع وخمسين إلى ثمان وخمسين .

والعجب أن ابن الجَوْزي نقل من كلام محمد بن سعد ، ثم إنه ذكر وفاته في هذه السنة ـ يعني سنة تسع وخمسين ، فالله أعلم .

قيس بن سَعد بن عُبَادة الأنصاريُّ الخَزْرجي[٣] : صحابي جليل كأبيه . له في « الصحيحين » حديث القيام للجنازة[٤] ، وله في « المسند » حديث في صوم عاشوراء[٥] ، وحديث غسل رسول الله ﷺ في دارهم[٦] ، وغير ذلك[٧] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٤٢) مسند أحمد (٥/ ٣٤٤) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ت١٧) المعارف (٣٢٥) المعرفة والتاريخ (٢/ ٢١٣، ٢١٤) الجرح والتعديل (٥/ ١٥٠) ثقات ابن حبان (٣/ ٢١٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٧) الاستيعاب (٣/ ٩٨٢) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢٤٢) أنساب السمعاني (١/ ٢٢٦) أسد الغابة (٣/ ٣٧٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦١) تهذيب الكمال (١٥/ ٥٠٨) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٧٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٣٥١٥) الكاشف (٢/ ١٠٩) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٤١٥) نهاية السول (ورقة ١٨٥) الإصابة (٢/ ت٤٩٢٨) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨١) خلاصة الخزرجي (٢١١) .

(٢) ليس في ب .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢) طبقات خليفة (ت٦٠٣، ٩٧٣، ٢٥٥٦، ٢٧٢٢) مسند أحمد (٣/ ٤٢١ و٦/ ٦) المحبر (١٥٥، ١٨٤، ٢٣٣، ٢٩٢، ٣٠٥) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٤١) المعارف (٢٥٩، ٥٩٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٩) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٦ و٥/ ١٦٣) الجرح والتعديل (٧/ ٩٩) مروج الذهب (٣/ ٢٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٤١٨) الولاة والقضاة (٢٠) جمهرة أنساب العرب (٣٦٥) الاستيعاب (٣/ ١٢٨٩) تاريخ بغداد (١/ ١٧٧) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤١٧) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٢٤/ ب) جامع الأصول (٩/ ١٠١) أسد الغابة (٤/ ٤٢٤) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٦٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٦١) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٠٢) تهذيب الكمال (ورقة ١١٣٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢) تذهيب التهذيب (٣/ ١٦٣/ ب) الكاشف (٢/ ٣٤٨) تهذيب التهذيب (٨/ ٣٩٥) الإصابة (٣/ ٢٤٩) النجوم الزاهرة (١/ ٩٥) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٧) خلاصة الخزرجي (٣١٧).

(٤) رواه البخاري رقم (١٣١٢) ومسلم رقم (٩٦١) .

(٥) رواه أحمد (٦/ ٦) والنسائي (٥/ ٤٩) وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أحمد (٦/ ٦) وابن ماجه رقم (٤٦٦) وهو حديث ضعيف .

(٧) تنظر أحاديثه في تحفة الأشراف للمزي (٧/ ٥٢٦ ـ ٥٣١)، والمسند الجامع (١٤/ ٥٢٢ ـ ٥٣٢) .

وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين .

وثبت في « صحيح البخاري »[١] عن أنس قال : كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشُّرطة من الأمير .

وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، واستعمله على الصَّدَقَة .

ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح ومعه ثلاثمئة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير ، فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سِيف البحر ، فأكلوا منها وأقاموا عليها شهراً حتى سمنوا .

وكان قيس سيِّداً مطاعاً كريماً ممدَّحاً شجاعاً .

ولّاه علي نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله [علي][٢] عن مصر وولّى عليها محمد بن أبي بكر الصدِّيق ، فاستخفَّه معاوية ولم يزل حتى أخذ منه مصر كما قدمنا . وأقام قيس عند عليٍّ فشهد معه صفِّين والنهروان ولزمه حتى قُتل ، ثم صار إلى المدينة ، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه ليبايعه كما بايعه أصحابه .

قال عبد الرزاق : عن ابن عُيينة قال : قدم قيس بن سعد على معاوية ، فقال له معاوية : وأنت يا قيس تُلحِمُ عليَّ مع من أَلحم ؟! أما والله لقد كنتُ أحبُّ ألّا تأتيني هذا اليوم إلّا وقد ظفر بك ظفر من أظفاري مُوجع ، فقال له قيس : وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأُحيِّيك بهذه التحيَّة ، فقال له معاوية : ولمَ ؟ وهل أنت إلّا حَبرٌ من أحبار يهود ؟ فقال له قيس : وأنت يا معاوية كنتَ صنماً من أصنام الجاهلية ، دخلتَ في الإسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً ، فقال معاوية : اللهم غفراً ، مدَّ يدك ، فقال له قيس بن سعد : إن شئت زدت وزدت .

وقال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلَّة فأر بيتي ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية ! املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً[٣] .

وقال غيره : كانت له صحفة[٤] يُدار بها حيث دار ، وكان ينادي له منادٍ : هلمُّوا إلى اللحم والثَّريد . وكان أبوه وجدُّه من قبله يفعلان كفعله .

---

(١) رقم (٧١٥٥) في الأحكام .

(٢) سقط من أ. والخبر في حسن المحاضرة (١/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣).

(٣) العقد الفريد (١/ ٢٥٦) .

(٤) « الصحفة » : الجفنة والقصعة .

وقال عروة بن الزبير : باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فنادى مناديه : من أراد القرض فليأتِ ، فأقرض منها خمسين ألفاً ، وأطلق الباقي ، ثم مرض بعد ذلك فقلَّ عُوّاده ، فقال لزوجته قُريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصدِّيق : إني أرى قلَّة عُوّادي في مرضي هذا ، وإني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل ممّن كان له عليه دَيْن بصكِّه المكتوب عليه ، فوهبهم ماله عليهم . [وقيل : إنه أمر مناديَه فنادى : من كان لقيس بن سعد عليه دَيْن فهو منه في حلّ ، فما أمسى حتى كُسرت عتبة بابه من كثرة العوّاد][1] . وكان يقول : اللهمَّ ارزقني مالاً وفَعَالاً ، فإنه لا تصلح الفَعَال إلّا بالمال[2] .

وقال سفيان الثوري : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً ، فلمّا جاء ليوفيَه إياها قال له قيس : إنا قومٌ ما أعطينا أحداً شيئاً فنرجع فيه .

وقال الهيثم بن عديّ : اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس بن سعد ، وقال الآخر : عَرَابة الأوسي . فتمارَوْا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره ، فلينظر ما يعطيه ، وليحكم على العِيان . فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه ، فوجده قد وضع رجلَه في الغَرْز[3] ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا بن عمِّ رسول الله ! ابنُ سبيل ومُنْقطَع به . قال : فأخرج رجلَه من الغَرْز وقال : ضع رجلك واستَوِ عليها فهي لك بما عليها ، وخُذْ ما في الحقيبة ، ولا تخدعن السَّيف فإنه من سيوف علي . فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة ، وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف وخزّ وغير ذلك ، وأجلُّ ذلك سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه ، فوجده نائماً ، فقالت له الجارية : ما حاجتُك إليه ؟ قال : ابنُ سبيل ومنقطَع به ، قالت : فحاجتك أيسرُ من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمئة دينار ، ما في دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب إلى مولانا في مَعَاطن الإبل[4] فخذ لك ناقةً وعبداً واذهب راشداً . فلمّا استيقظ قيس من نومه أخبرتْه الجارية بما صنعت ، فأعتقها [شكراً على صنيعها ذلك][5] وقال : هلاّ أيقظتيني حتى أُعطيَه ما يكفيه ، فلعلَّ الذي أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عَرَابة الأوسي إليه ، فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكَّأ على عبدَين له ـ وكان قد كُفَّ بصره ـ فقال له : يا عَرَابة ، فقال : قل ، فقال : ابنُ سبيل ومنقَطَعٌ به ، قال : فخلّى عن العبدين ، ثم صفَّق بيده اليمنى على اليسرى ، ثم قال :

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب.

(٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٢٩/ ب).

(٣) «الغرز»: الركاب من الجلد.

(٤) « معاطن الإبل » : مبركها حول الحوض.

(٥) سقط من ب .

أوَّه أوه ، والله ما أصبحتُ ولا أمسيتُ وقد تركتِ الحقوقُ من مال عَرَابة شيئاً ، ولكن خذ هذين العبدَين ، قال : ما كنت لأفعل ، فقال : إن لم تأخذهما فهما حرّان ، فإن شئت فأعتق ، وإن شئت فخذ . وأقبل يلتمس الحائط بيده . قال : فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه . قال : فحكم الناس على أنَّ ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأنَّ ذلك ليس بمستنكر له ، إلَّا أن السَّيف أجلها . وأن قيساً أحد الأجواد ، حكَّم مملوكته في ماله بغير علمه ، واستحسن فعلها ، وعتقها شكراً لها على ما فعلت . وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عَرَابة الأوسي [لأنه جاد بجميع ما يملكه ، وذلك][١] جهد من مقلّ .

وقال سفيان الثوري : عن عمرو ، عن[٢] أبي صالح قال : قسم سعد بن عبادة ماله بين أولاده ، وخرج إلى الشام فمات بها ، فوُلد له ولد بعد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس بن سعد فقالا : إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذ كان حَمْلاً ، فاقسِمُوا له معكم . فقال قيس : إنِّي لا أغيِّر ما فعله سعد ، ولكن نصيبي له.

ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سِيرين ، فذكره .

ورواه عبد الرزاق عن ابن جُريج : أخبرني عطاء ، فذكره .

وقال ابن أبي خَيْثمة : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مِسْعَر ، عن مَعْبد بن خالد قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعاً أصبُعَه المسبحة ـ يعني يدعو[٣] .

وقال هشام بن عمّار : حدّثنا الجرّاح بن مَليح ، حدّثنا أبو رافع ، عن قيس بن سعد قال : لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المكرُ والخَدِيعَةُ في النار » لكنت من أمكر هذه الأمّة[٤] .

وقال الزهري : دُهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمُغيرة بن شُعبة ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن بُدَيل[٥] وكانا[٦] مع علي ، وكان المغيرة معتزلًا بالطائف حتى حُكِّم الحكمان[٧] فصار إلى معاوية .

---

(١) سقط من ب .
(٢) وقعت في المطبوع بن وهو خطأ. والخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٧).
(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٣٠/ ب).
(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٥٨٤) والبيهقي في « الشعب » رقم (٥٢٦٨) وهو حديث حسن بسند قال فيه الحافظ في الفتح (٤/ ٢٩٨) لا بأس به . وأخرجه الطبراني في الصغير من حديث ابن مسعود، والحاكم في مستدركه من حديث أنس، وإسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أبي هريرة. وفي إسناد كل منها مقال، لكن مجموعها يدل على أن للمتن أصلاً، فهو حسن. ومعنى الحديث: أن المكر والخديعة يؤديان بقاصدهما إلى النار .
(٥) تحرف في ب إلى: هذيل. والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ١٦٤) . وعبد الله بن بديل هو ابن ورقاء الخزاعي . صحابي جليل ، انتهت إليه رئاسة خزاعة ، وكان فصيحاً لسناً ، قتل يوم صفين .
(٦) يعني الأخيرين: قيس بن سعد، وعبد الله بن بديل.
(٧) في المطبوع: الخصمان.

وقد تقدم أن محمد بن أبي حذيفة كان قد تغلَّب على مصر وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ـ نائب عثمان بعد عمرو بن العاص ـ فأقرَّه عليٌّ مدة يسيرة ، ثم عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فثقل أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتباه ليكون معهما على علي ، فامتنع وأظهر للناس مُناصحتَه لهما ، وفي الباطن هو مع علي ، فبلغ ذلك علياً ، فعزله وبعث إلى مصر الأشتر النَّخعي [فمات][1] الأشتر في الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث علي محمد بن أبي بكر ، فخفَّ أمره على معاوية وعمرو ، فلم يزالا حتى أخذا منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأُحرق في جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ، ثم صار إلى علي بن أبي طالب بالكوفة ، فكان معه في حروبه حتى قُتل علي ، ثم كان مع الحسن بن علي حين سار إلى معاوية ليقاتلَه ، فكان قيس على مقدمة الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيساً ذلك وماأحبَّه ، وامتنع من طاعته معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية في وفد الأنصار ، فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية وقدَّمه ، وحظي عنده .

وبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن ابعث إليَّ بسراويل أطول رجل من العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلّا قد احتجنا إلى سراويلك ـ وكان قيس مديد القامة جداً ـ فقام قيس فتنحَّى ثم خلع سراويلَه فألقاها إلى معاوية ، فقال له معاوية : لو ذهبتَ إلى منزلك ثم أرسلتَ بها إلينا ، فأنشأ قيس يقول عند ذلك :

أَردتُ بها كي يعلمَ الناسُ أنَّها ... سَراويلُ قيسٍ والوفودُ شُهُودُ
وأنْ لا يقولوا غابَ قَيسٌ وهٰذه ... سَراويلُ عاديٍّ نَمَتْهُ ثَمُودُ
وإنِّي منَ الحيِّ اليَماني لَسَيِّدٌ ... وما النَّاسُ إلّا سيِّدٌ ومَسُودُ
فكِدْهُمْ بمثلي إنَّ مثلي عَلَيهمُ ... شديدٌ وخلْقي في الرِّجال مَدِيدُ
وفَضَّلَني في النَّاس أصلٌ ووالدٌ ... وباعٌ به أَعلُو الرِّجالَ مَدِيدُ

قال : فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه ، فوقفت بالأرض[2] .

وفي رواية : أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلَين من جيشه يزعم أنَّ أحدهما أقوى الروم ، والآخر أطول الروم ، فانظر هل في قومك من يفوقُهما في قوة هذا وطول هذا ؟ فإن كان في قومك من يفوقهما بعثتُ إليك من الأسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا ، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول

---

(١) سقطت من المطبوع .
(٢) الخبر بطوله في تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٣٢) وأيضاً، مختصره (٢١/ ١١٣) والسير (٣/ ١١٢) .

منهما فهادني ثلاث سنين . فلمّا حضرا عند معاوية قال : من لهذا القوي ؟ فقالوا : ماله إلّا أحد رجلين : إما محمد ابن الحنفيَّة ، أو عبد الله بن الزبير ، فجيء بمحمد ابن الحنفيَّة وهو ابن علي بن أبي طالب ، فلمّا اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيمَ أرسلتُ إليك ؟ قال : لا ، فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه ، فقال للرومي : إما أن تجلسَ لي أو أجلس لك ، وتناولني يدك أو أُناولُك يدي ، فأينا قدر على أن يُقيم الآخر من مكانه غلَبَه ، وإلّا فقد غُلب . فقال له : ماذا تريد ، تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومي : بل اجلس أنت ، فجلس محمد ابن الحنفيَّة وأعطى الرومي يدَه ، فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيلَه من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلاً ، فغُلب الرومي عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غُلب . ثم قام محمد ابن الحنفيَّة فقال للرومي : اجلس لي ، وأعطى محمداً يده ، فما أمهله أن أقامه سريعاً ، ورفعه في الهواء ثم ألقاه على الأرض ، فسُرَّ بذلك معاوية سروراً عظيماً .

ونهض قيس بن سعد ، فتنحَّى عن الناس ثم خلع سراويلَه ، وأعطاها لذلك الرومي الطويل ، فلبسها فبلغت إلى ثَدْيَيْه وأطرافها تخُطُّ بالأرض ، فاعترف الروم بالغلب . وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية . وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس ، فقال ذلك الشعر المتقدم معتذراً به إليهم ، وليكون ذلك ألزم للحجَّة التي تقوم على الروم وأقطع لما حاولوه[١] .

وروى الحميدي ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً ، صغير الرأس ، [ليست][٢] له لحية في ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالي خطت رجلاه بالأرض .

وقال الواقدي[٣] وخليفة بن خياط[٤] وغير واحد : توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، فتبعناه في ذلك .

---

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٢٩٣) : خبره في السراويل مع معاوية كذب وزور مختلق ليس له إسناد ، ولا يشبه أخلاق قيس ولا مذهبه في معاوية ، ولا سيرته في نفسه ونزاهته ، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزور ، والله أعلم .

(٢) سقطت من النسخ جميعاً ، وقد أثبتها من ترجمته في المصادر . قال ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٤٢٦) وكان ليس في وجهه لحية ولا شعرة ، فكانت الأنصار تقول : وددنا أن نشتري لقيس لحية بأموالنا . وكان مع ذلك جميلاً .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٣) .

(٤) طبقاته (ص٩٧) .

مَعْقِل بن يَسَار المُزَني[١] : صحابي جليل ، شهد الحُديبية ، وكان هو الذي يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس تحتها ، وكانت من السَّمُرة ، وهي المذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ۞ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] .

وقد ولاه عمر إمرة البصرة ، فحفر بها النهر المنسوب إليه ، فيقال : نهر مَعْقل . وله بها دار .

قال الحسن البصري : دخل عُبيد الله بن زياد على مَعْقل بن يَسَار يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقال له مَعْقل : إني محدِّثُك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لو لم أكن على حالي هذه لم أحدثك به ، سمعته يقول : « مَن اسْترعاهُ اللهُ رعيَّةً فلم يحُطها بنصيحة لم يَجِدْ رائحةَ الجنَّة ، وإنَّ ريحَها ليُوجد من مَسِيرة مئة عام »[٢] .

وممن توفي في هذه السنة :

أبو هُرَيْرَة الدَّوْسي[٣] رضي الله عنه : وقد اختُلِف في اسمه في الجاهلية والإسلام واسم أبيه على أقوال متعدِّدة ، وقد بسطنا أكثرها في كتابنا « التكميل » ، وقد بسط ذلك ابن عساكر في « تاريخه » . والأشهر أنَّ اسمه عبد الرحمن بن صَخْر ، وهو من الأزد ثم من دَوْس . ويقال : كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، وقيل : عبد نُهْم ، وقيل : عبد غَنْم . ويكنى بأبي الأسود . فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله ـ وقيل : عبد الرحمن ـ وكناه بأبي هريرة .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٤) طبقات خليفة (٣٧، ١٧٦) تاريخ خليفة (٢٥١) مسند أحمد (٥/ ٢٥) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٩١) ثقات العجلي (٤٣٤) المعارف (٢٩٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٠) الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٢١٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٧) الاستيعاب (٣/ ١٤٣٢) أنساب السمعاني (١١/ ٢٨٣) معجم البلدان (٥/ ٣٢٣) أسد الغابة (٥/ ٢٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٥٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٦) الكاشف (٣/ ١٤٤) مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٩) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٣٥) الإصابة (٩/ ٢٥٩) خلاصة الخزرجي (٣٨٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧) والبخاري رقم (٧١٥٠) ومسلم (١٤٢) (٢٢٩) . .

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٢ و ٤/ ٣٢٥) طبقات خليفة (١١٤) تاريخ خليفة (٢٢٥، ٢٢٧) مسند أحمد (٢/ ٢٢٨ و ٥/ ١١٤) الزهد لأحمد (٢٢٤) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ١٣٢) ثقات العجلي (٥١٣) المعارف (٢٧٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨٦ و٣/ ١٦٠، ١٦١، ١٦٢) أخبار القضاة (١/ ١١١) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٦) حلية الأولياء (١/ ٣٧٦) الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨) أنساب السمعاني (٥/ ٣٦٢) تاريخ ابن عساكر (١٩/ ١٠٥/أ) جامع الأصول (٩/ ٩٥) أسد الغابة (٦/ ٣١٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ١٧٩) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٥٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٩١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٣) العبر (١/ ٦٣) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٣) الكاشف (٣/ ٣٤١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٦١) غاية النهاية (١/ ٣٧١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢) الإصابة (١٢/ ٦٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٥١) حسن المحاضرة (١/ ٢٥٠) طبقات الحفاظ (٩) خلاصة الخزرجي (٤٦٢) شذرات الذهب (١/ ٢٦١) كتاب (أبو هريرة) من سلسلة أعلام العرب للدكتور محمد عجاج الخطيب.

وروي عنه أنه قال : وجدتُ هريرة وحشيَّة ، فأخذت أولادها ، فقال لي أبي : ما هذه في حجرك ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة .

وثبت في « الصحيح »[١] أن رسول الله ﷺ قال له : « أبا هِرّ » . وثبت أنه قال له[٢] : « يا أبا هُريرة » .

قال محمد بن سعد وابن الكلبي والطَّبراني : اسم أمِّه مَيْمونة بنت صُفَيح[٣] بن الحارث بن أبي صعب بن هبة[٤] بن سعد بن ثعلبة . أسلمت وماتت مسلمة .

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيّب ، وكان من حفّاظ الصحابة ، وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وأُبيّ بن كعب ، وأسامة بن زيد ، وبَصْرة بن أبي بَصْرة[٥] ، والفضل بن العباس ، وكعب الأحبار ، وعائشة أمِّ المؤمنين .

وحدث عنه خلائق من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم في « التكميل » كما ذكره شيخنا في « تهذيبه » .

قال البخاري : روى عنه نحو من ثمانمئة رجل أو أكثر من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وغيرهم.

وقال عمرو بن علي الفلاّس : كان ينزل المدينة ، وكان إسلامه سنة خَيْبر .

وقال الواقدي : وكان له بذي الحُلَيفة دار .

وقال غيره : كان آدم اللون ، بعيد ما بين المَنْكبين ، ذا ضَفيرتين ، أفرق[٦] الثَّنِيَّتين .

وقال أبو داود الطيالسي وغير واحد : عن أبي خَلْدة خالد بن دينار ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة قال : لمّا أسلمت قال رسول الله ﷺ : « ممَّن أنت؟ » فقلت : من دَوْس ، فوضع يده على جبهته وقال : « ما كنتُ أرىٰ أنَّ في دوسٍ رجلاً فيه خَيْر »[٧] .

وقال الزهري : عن سعيد ، عن أبي هريرة قال : شهدت مع رسول الله ﷺ خَيْبر .

وروى عبد الرزاق ، عن سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : قال أبو هريرة : جئت يوم خَيْبر بعدما فَرَغوا من القتال .

---

(١) صحيح البخاري (٦٢٤٦) في الاستئذان .

(٢) صحيح مسلم (٣١) (٥٢) في الإيمان و(١٧٨٠) (٨٦) في الجهاد والسير .

(٣) في آ: صبيح وهذا صحيح أيضاً. وترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٢٧٥).

(٤) في طبقات ابن سعد: هُنيّة.

(٥) تحرف في الأصول إلى: نضرة بن أبي نضرة.

(٦) في المطبوع: أقرن.

(٧) رواه الترمذي رقم (٣٨٣٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، حدّثنا الدَّراوَرْدي قال : حدّثني خُثَيم بن[١] عراك بن مالك ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة ، قال أبو هريرة : وقدمت المدينة مُهاجراً[٢] فصلَّيت الصبح وراء سِبَاع ، فقرأ في السجدة الأولى سورة مريم ، وفي الثانية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال أبو هريرة : فقلت في نفسي : ويلٌ لأبي فلان ـ لرجلٍ كان بأرض الأزد ، وكان له مِكْيالان : مكيال يَكيل به لنفسه ، ومكيال يَبْخس به الناس[٣] .

وقد ثبت في « صحيح البخاري » أنه ضلَّ غلام له في الليلة التي اجتمع في صَبيحتها برسول الله ﷺ وأنه جعل ينشد :

يـاليلـةً مِـنْ طُـولِهَـا وعَنَـائِهَـا ... علَىٰ أنَّهـا مِـنْ دارَةِ الكُفْرِ نَجَّـتِ

فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له : « هذا غلامُك » فقال : هو حرٌّ لوجه الله عزَّ وجل[٤] .

وقد لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ فلم يفارقْه في حضر ولا سفر ، وكان أحرص شئ على سماع الحديث منه وتفهُّمه عنه . وكان يلزمه على شِبَع بطنه .

وقال أبو هريرة ـ وقد تمخَّط يوماً في قميص عليه من كتّان : بَخْ بَخْ[٥] ، أبو هريرة يتمخَّط في الكتان ! لقد رأيتُني أَخرُّ فيما بين المنبر والحُجَر من الجوع ، فيمرُّ المارُّ فيقول : به جنون ، وما بي إلّا الجوع ، والله الذي لا إله إلّا هو لقد كنتُ أعتمدُ بكبدي على الأرض من الجوع ، وأَشُدُّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد كنتُ أستقرىء أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه وما بي إلّا أن يستتبعَني إلى منزله فيطعمَني شيئاً[٦] . وذكر حديث اللبن مع أهل الصُفَّة كما قدَّمناه في « دلائل النبوّة » .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا عكرمة بن عمّار[٨] ، حدّثني أبو كثير ـ وهو

---

(١) في المطبوع : خيثم عن ، خطأ .
(٢) في المطبوع : فهاجروا ، خطأ .
(٣) وهو حديث حسن . وهو في المعرفة والتاريخ (٣/ ١٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٨٩) .
(٤) أخرجه البخاري رقم (٢٥٣١) في العتق : باب إذا قال لعبده : هو لله ، ونوى العتق . وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨٦) .
(٥) « بخْ بخْ ، وبخ بخ » : تقال عند تعظيم الإنسان لشيء أو تعجبه منه .
(٦) أخرجه بنحوه مختصراً ، البخاري رقم (٧٣٢٤) والترمذي (٢٣٦٧) في الزهد ، وابن سعد في طبقاته (٤/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٠ ـ ٥٩١) .
(٧) في مسنده (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) .
(٨) تحرف في (أ) و(ط) إلى : عامر .

يزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السُّحَيمي الأعمى ـ حدّثني أبو هريرة قال : والله ما خلق اللهُ مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلّا أحبَّني ، قلت : وما علمُك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إنَّ أمي كانت امرأة مشركة ، وإني كنتُ أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى عليّ ، فدعوتها يوماً ، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقلت : يا رسول الله إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فكانت تأبى علَيّ ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيكَ ما أكره ، فادعُ اللهَ أن يهديَ أمَّ أبي هريرة ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهُمَّ اهدِ أمَّ أبي هريرة » . فخرجتُ أعدو أُبشِّرها بدعاء رسول الله ﷺ لها ، فلمّا أتيتُ الباب إذا هو مُجَاف ، وسمعتُ خَضْخَضَة الماء ، وسمعتْ خشف رجل ـ يعني وَقْعها ـ فقالت : يا أبا هريرة كما أنت ، ثم فتحتِ الباب وقد لبستْ درعها وعجِلَتْ عن خمارها أن تلبسَه ، وقالت : إني أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه . فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيتُ من الحزن ، فقلت : يا رسول الله أبشِرْ فقد استجاب الله دعاءك ، قد هدى اللهُ أمَّ أبي هريرة ، وقلت : يا رسول الله ادعُ الله أن يحبِّبَني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهُمَّ حبِّب عُبَيْدَك هذا وأُمَّه إلى عبادك المؤمنين ، وحبِّبْهم إليهما » . قال أبو هريرة : فما خلق اللهُ من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلّا وهو يحبُّني .

وقد رواه مسلم[١] من حديث عكرمة بن عمّار بإسناد نحوه .

وهذا الحديث من دلائل النبوة ، فإن أبا هريرة محبَّب إلى جميع الناس ، وقد شهر الله ذكره بما قدَّره من إيراد هذا الخبر عنه على رؤوس الناس في الجوامع المتعدِّدة في سائر الأقاليم في الإنصات يوم الجمعة بين يدي الخطبة والإمامُ على المنبر ، وهذا من تقدير الله العزيز العليم ، ومحبة الناس له رضي الله عنه .

وقال هشام بن عمار : حدثنا سعيد ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن المَقْبُري ، عن سالم مولى النصْريّين[٢] أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّما محمدٌ بَشَر ، أغضبُ كما يغضبُ البشر ، وإنِّي قد اتَّخذتُ عندكَ عَهْداً لن تخلفَنِيه ، فأيُّما رجلٍ من المسلمينَ آذيتُه أو شتمتُه أو جلدتُه فاجعلْها له قربةً تقرِّبُه بها عندَكَ يوم القيامة »[٣] . قال أبو هريرة : لقد رفع عليَّ رسول الله ﷺ يوماً الدِّرَّة ليضربني بها فلأَنْ يكونَ ضَرَبني بها أَحبُّ إليَّ من حُمر النَّعَم ، ذلك بأني أرجو أن أكون مؤمناً ، وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته .

وقال ابن أبي ذئب : عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله إني أسمع منك

---

(١) برقم (٢٤٩١) في فضائل الصحابة : باب فضائل أبي هريرة .

(٢) قوله : « النصريين » تحرف في ط إلى : « النضريين » . انظر تهذيب الكمال (١٠/ ١٥٤) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٩٣) ، ومسلم (٢٦٠١) (٩١) في البر والصلة .

حديثاً كثيراً فأنساه ، فقال : « ابسُطْ رداءَك » فبسطتُه ، ثم قال : « ضُمَّه » فضممتُه ، فما نسيتُ حديثاً بعدُ . رواه البخاري[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سفيان ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أنَّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ واللهُ الموعِد ، إني كنتُ امرأً مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بَطني ، وكان المهاجرون يشغَلُهم الصَّفقُ في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغَلُهُم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله ﷺ يوماً مجلساً فقال : « من بسطَ رداءَهُ حتى أقضيَ مَقالتي ثم يقبضُه إليه فلن ينسىٰ شيئاً سمعَه منِّي » فبسطتُ بردة عليَّ حتى قضى مقالتَه ثم قبضتُها إليّ ، فوالذي نفسي بيده ما نسيتُ شيئاً سمعتُه منه[٢] .

وقد رواه ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبي هريرة . وله طرق أُخر عنه .

وقد قيل : إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة ، لم ينس منها شيئاً ، بدليل أنه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرَّح به في الصحيح ، حيث نسي حديث « لا عَدْوَىٰ ولا طِيَرَة » مع حديثه « لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ »[٣] . وقيل : إن هذا كان عامّاً في تلك المقالة وغيرها ، والله أعلم .

وقال الدَّراوردي : عن عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة أنه قال : يا رسول الله مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِك يوم القيامة ؟ فقال : « لقد ظننتُ ـ يا أبا هريرة ـ أنَّ أحداً لا يسألُني عن هذا الحديث أولَ منك لما رأيتُ منْ حرصِكَ على الحديث . إنَّ أسعدَ الناسِ بشَفاعتي يوم القيامةِ مَنْ قال لا إلَهَ إلَّا الله خالصاً من قِبَلِ نفسِه »[٤] .

ورواه البخاري[٥] من حديث عمرو بن أبي عمرو به .

وقال ابن أبي ذئب : عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة أنه قال : حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءَين : فأمّا أحدُهما فبثثْتُه في الناس ، وأمّا الآخر فلو بثثْتُه لقُطِعَ هذا البلعوم . رواه البخاري[٦] من حديث ابن أبي ذئب . ورواه غير واحد عن أبي هريرة .

---

(١) رقم (١١٩) في العلم ، باب حفظ العلم .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٠) والبخاري رقم (٧٣٥٤) ومسلم (٢٤٩٢) (١٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٧٧١) في الطب: باب لا هامة . . . ، ومسلم (٢٢٢١) في السلام: باب لا عدوى ولا طيرة . وأورده ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ١٤٩) وفيه كلام مفيد.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٢٥) وإسناده جيد .

(٥) رقم (٩٩) في العلم : باب الحرص على الحديث ورقم (٦٥٧٠) في الرقاق.

(٦) رقم (١٢٠) في العلم : باب حفظ العلم.

وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وماوقع بين الناس من الحروب والقتال ، وماسيقع ، التي لو أخبر بها قبلَ كونِها لبادر كثيرٌ من الناس إلى تكذيبه وردُّوا ما أخبر به من الحق ، كما قال : لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامَكم وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدَّقتموني . وقد يتمسَّك بهذا الحديث طوائف من أهل الأهواء والبدع الباطلة ، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو هريرة ، ويعتقدون أنَّ ما هم عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة ، وما من مُبطل مع تضادّ أقوالهم إلّا وهو يدَّعي هذا ، وكلُّهم يكذبون ، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه من بعده ؟! وإنما الذي فيه شيء من الفتن والملاحم ، قد أخبر بها هو وغيره من الصحابة مما ذكرناه ومما سنذكره في كتاب الفتن والملاحم .

وقال حمّاد بن زيد : حدّثنا عمرو بن عبيد الأنصاري ، حدّثنا أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم : أن مروان دعا أبا هريرة ، وأقعده[١] خلف السَّرير ، وجعل مروان يسأل وجعلتُ أكتب ، حتى إذا كان رأس الحول دعا به وأقعده من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدَّم ولا أخَّر[٢] .

وروى أبو بكر بن عيّاش وغيره ، عن الأعمش ، عن أبي صالح قال : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن بأفضلهم[٣] .

وقال الربيع : قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ مَنْ روى الحديث في دهره[٤] .

وقال أبو القاسم البَغَوي : حدّثنا أبو خَيْثمة ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول قال : تواعد الناس ليلة من الليالي إلى قُبَّة من قباب معاوية ، فاجتمعوا فيها ، فقام فيهم أبو هريرة ، فحدَّثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح[٥] .

وقال سفيان بن عُيَيْنة : عن عمرو[٦] ، عن وهب بن منبِّه ، عن أخيه هَمّام بن منبِّه قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتبُ ولا أكتب[٧] .

---

(١) يعني أقعد كاتبه أبا الزعيزعة.
(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٥١٠) .
(٣) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٩/ ١٩٠).
(٤) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٩/ ١٩١).
(٥) المصدر السابق.
(٦) تحرف في (أ) و(ط) إلى: معمر، وعمرو : هو ابن دينار المكي .
(٧) أخرجه البخاري رقم (١١٣) في العلم: باب كتابة العلم. وللأستاذ شعيب الأرناؤوط تعليق مفيد عليه في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٩) .

وقالَ أبو زرعة الدمشقي : حدّثني محمد بن زرعة الرُّعَيْني ، حدّثنا مروان بن محمد ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن إسماعيل بن عبيد[١] الله ، عن السّائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لأُلحقنَّك بأرض [دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث أو لأُلحقنَّك بأرض][٢] القِرَدة . قال أبو زرعة : وسمعت أبا مُسْهر يذكر عن سعيد بن عبد العزيز نحواً منه ولم يسنده[٣] .

وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد يضعها الناس على غير مواضعها [وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرُّخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه ، أو نحو ذلك][٤] .

وقد جاء أن عمر أَذن له بعد ذلك في التحديث ، فقال مسدَّد : حدّثنا خالد الطحّان ، حدّثنا يحيى بن عبيد[٥] الله ، عن أبي هريرة قال : بلغَ عمرَ حديثي ، فأرسل إليَّ ، فقال : كنتَ معنا يوم كنّا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان ؟ قال : قلتُ : نعم ، وقد علمتُ لمَ تسألُني عن ذلك ؟ قال : ولمَ سألتُك ؟ قلتُ : إن رسول الله ﷺ قال يومئذ : « مَنْ كذَبَ [عليَّ متعمِّداً فَلْيتبوَّأ مَقْعَدَه مِنَ النّار » قال : أما إذاً فاذهب فحدِّث .

وقال][٦] الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا عبد الواحد ـ يعني ابن زياد ـ حدّثنا عاصم بن كُلَيب ، حدّثني أبي قال : سمعت أبا هريرة يقول ـ وكان يبتدِئ حديثه بأن يقول : قال رسول الله ﷺ الصادقُ المصدوق : « مَنْ كذَبَ عليَّ متعمِّداً فلْيتبوَّأْ مقعَدَه من النّار »[٧] .

وروي مثله من وجه آخر عنه .

وقال ابن وهب : حدّثني يحيى بن أيوب ، عن محمد بن عَجْلان : أن أبا هريرة كان يقول : إني لأحدِّث أحاديث لو تكلَّمتُ بها في زمان عمر ـ أو عند عمر ـ لشجَّ رأسي[٨] .

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : عبد .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٥٤٤) .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٥) تحرف في المطبوع إلى : عبد . ويحيى هو ابن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمي ، من الضعفاء المتروكين ، وأبوه عبيد الله لم يوثقه غير ابن حبان . والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٩/ ١١٧/ ب) .
(٦) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٧) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤١٣) وإسناده قوي .
(٨) رجاله ثقات ، إلا أنه منقطع ، لأن ابن عجلان لم يسمع من أبي هريرة .

وقال صالح بن أبي الأخضر : عن الزهري ، عن أبي سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنّا نستطيع أن نقول : قال رسول الله ﷺ ، حتى قُبض عمر[١]

وقال محمد بن يحيى الذُّهلي : حدّثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن الزُّهري قال : قال عمر : أَقِلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلّا فيما يُعمل به . قال : ثم يقول أبو هريرة : أفكنتُ محدِّثَكم بهذه الأحاديث وعُمر حيّ ؟ أما والله إذاً لأيقنت أن المِخْفَقَة[٢] ستباشر ظهري . [فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإنَّ القرآن كلام الله ، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دويٌّ بالقرآن كدويِّ النحل ، فدعهم على ما هم عليه ولا تَشْغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك في ذلك . وهذا معروف عن عمر رضي الله عنه][٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هُشَيم ، عن يعلَى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن ابن عمر : أنه مرَّ بأبي هريرة وهو يحدِّث عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ تَبعَ جنازةً فصلَّى عليها فلَهُ قِيراط ، فإنْ شَهِدَ دفنَها فلَهُ قيراطان ، القيراطُ أعظمُ مِنْ أُحُد » فقال له ابن عمر : أبا هرّ انظر ما تحدِّث عن رسول الله ﷺ ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أمَّ المؤمنين أَنشُدُكِ بالله أسمعتِ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ تَبعَ جنازةً فصلَّى عليها فلَهُ قيراط ، فإنْ شَهِدَ دفنَها فلَهُ قيراطان » ؟ فقالت : اللهمَّ نعم . فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يَشْغَلُني عن رسول الله ﷺ [غرسُ الوَدِيّ[٤] ولا صَفْقٌ بالأسواق ، إني إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ][٥] كلمةً يعلِّمُنيها أو أكلةً يُطعمُنيها . فقال له ابن عمر : يا أبا هرّ كنتَ أَلزَمَنا لرسول الله ﷺ وأعلَمنا بحديثه[٦] .

وقال الواقدي : حدّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه قال : كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة ، وهو يمشي أمامَها ويكثر الترحُّم عليه ويقول : كان ممَّن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين[٧] .

وقد روي : أن عائشة تأوَّلت أحاديث كثيرة من رواية أبي هريرة ، ووهَّمته في بعضها ، وفي الصحيح أنها عابت عليه سرد الحديث والإكثار منه في الساعة الواحدة .

---

(١) صالح بن أبي الأخضر ضعيف . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٩/ ١١٧/ ب) .

(٢) المخفقة: شئ يضرب به نحو سير أو دِرَّة . والخبر في مصنف عبد الرزاق برقم (٢٠٤٩٦) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) تحرفت في ط و ب إلى: الوادي . « والودي » : صغار النخل ، واحدتها : ودية .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٦) رجاله ثقات . وهو في مسند أحمد (٢/ ٢ ـ ٣) وهو حديث صحيح ، وأخرج المرفوع منه البخاري رقم (٤٧) ومسلم (٩٤٥) .

(٧) في إسنادها الواقدي ، وقد اتفقوا على ضعفه وعدم الاعتداد بروايته .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا بشر بن الوليد الكِنْدي ، حدّثنا إسحاق بن سعيد[١] ، عن سعيد : أن عائشة قالت لأبي هريرة : أكثرتَ الحديث عن رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ، قال : إني والله ما كانت تَشْغَلُني عنه المُكْحُلة والخِضاب ، ولكن أرى ذلك شَغَلَكِ عما استكثرتِ من حديثي . قالت : لعلّه[٢] .

وقال أبو يَعْلى : حدّثنا إبراهيم الشامي ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، أن رجلاً من قريش أتى أبا هريرة في حُلَّة وهو يتبختر فيها فقال : يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ فهل سمعتَه يقول في حُلَّتي هذه شيئاً ؟ قال : والله إنكم لتُؤذوننا ، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ما حدَّثتكم بشيء ، سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « إنَّ رجلاً ممَّن كانَ قبلَكُم بينما هو يتبخترُ في حُلَّة إذ خسفَ اللهُ بهِ الأرضَ فهو يَتَجَلْجَلُ[٣] فيها حتّى تقومَ السّاعة » فوالله ما أدري لعلَّه كان من قومك ـ أو من رهطك ـ شكَّ أبو يَعْلى[٤] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا محمد بن عمر ، حدّثني كثير بن زيد ، عن الوليد بن ربَاح قال : سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت بوالٍ ، وإن الوالي لغيرُك ، فدعه ـ يعني حين أرادوا دفن الحسن مع رسول الله ﷺ ـ ولكنَّك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك ـ يعني معاوية ـ قال : فأقبل عليه مروان مُغْضَباً فقال : يا أبا هريرة إن الناس قد قالوا : إنك أكثرتَ على رسول الله ﷺ الحديث ، وإنما قَدِمْتَ قبل وفاة النبي ﷺ بيسير . فقال أبو هريرة : نعم قدمتُ ورسولُ الله ﷺ بخيبر سنة سبع ، وأنا يومئذ قد زدتُ على الثلاثين سنة سنوات ، وأقمتُ معه حتى توفي ، أدور معه في بيوت نسائه وأخدُمُه ـ وأنا والله يومئذ مُقِلّ ـ وأصلّي خلفه ، وأحجُّ وأغزو معه ، فكنت ـ والله ـ أعلمَ الناس بحديثه ، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار ، وكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى عليَّ كلُّ حديث كان بالمدينة ، وكل من أحبَّ الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله ﷺ منزلة ، وكل صاحب له ، فكان أبو بكر صاحبَه في الغار وغيره ، وقد أخرجه رسول الله ﷺ أن يساكنه ـ يعرِّض بأبي مروان الحكم بن العاص . ثم قال أبو هريرة : ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنَّه يجد عندي منه علماً جمّاً ومقالاً . قال : فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ، ويتَّقيه بعد ذلك ، ويخافُه ويخاف جوابَه[٥] .

[وفي رواية : أن أبا هريرة قال لمروان : إني أسلمتُ وهاجرتُ اختياراً وطوعاً ، وأحببتُ

---

(١) تحرف في الأصول إلى : سعد وسعيد الذي يروي عنه هو أبوه .
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٩/ ١٢٠/ ١) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥) .
(٣) «يتجلجل»: يسوخ ويغوص في الأرض .
(٤) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٦) وأخرج المرفوع منه أحمد (٢/ ٤١٣) ومسلم رقم (٢٠٨٨) (٥٠) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٥) .

رسول الله ﷺ حبّاً شديداً ، وأنتم ـ أهل الدار وموضع الدعوة ـ أخرجتم الداعيَ من أرضه ، وآذيتموه وأصحابَه ، وتأخَّر إسلامُكم عن إسلامي إلى الوقت المكروه إليكم . فندم مروان على كلامه له ، واتَّقاه](١) .

وقال ابن أبي خيثمة : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا محمد بن سلمة ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن عمر ـ أو عثمان ـ بن عروة ، عن أبيه ـ يعني عروة بن الزبير بن العوام ـ قال : قال لي أبي الزبير : أَدْنني من هذا اليماني ـ يعني أبا هريرة ـ فإنه يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، قال : فأَدْنَيْتُه منه ، فجعل أبو هريرة يحدِّث وجعل الزبير يقول : صدق ، كذب ، صدق ، كذب . قال : قلت : يا أبة ما قولك : صدق ، كذب ؟ قال : يا بني أمّا أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا أشكُّ ، ولكن منها ما وضعه على مواضعه ، ومنها ما وضعه على غير مواضعه(٢) .

وقال علي بن المَديني : عن وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي أنس(٣) بن أبي عامر قال : كنت عند طلحة بن عُبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله منكم ، أم هو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يسمع أو ما لم يَقُل ؟ فقال طلحة : والله ما نشكُّ أنه قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع ، وعلم منه ما لم نعلم . إنا كنّا قوماً أغنياء ، لنا بيوتاتٌ وأهلون ، وكنّا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع ، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل ، وإنما كانت يده مع رسول الله ﷺ ، وكان يدور معه حيث ما دار ، فما نشكُّ أنه قد علم ما لم نعلم ، وسمع ما لم نسمع . وقد رواه الترمذي(٤) بنحوه .

وقال شُعبة : عن أشعث بن سليم ، عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب يحدِّث عن أبي هريرة ، فقيل له : أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحدِّث عن أبي هريرة ؟ فقال : إنَّ أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع ، وإني أن أحدِّث عنه أحبُّ إليَّ من أن أحدِّث عن رسول الله ﷺ ـ يعني ما لم أسمعه منه .

وقال مسلم بن الحجّاج : حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، حدّثنا مروان الدمشقي ، عن الليث بن سعد ، حدّثني بُكَير بن الأشَجّ قال : قال لنا بُسْر(٥) بن سعيد : اتقوا الله وتحفَّظُوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدِّث عن رسول الله ﷺ ويحدِّثنا عن كعب الأحبار ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ . وفي

---

(١) هذه الرواية ليست في ب .

(٢) تاريخ ابن عساكر : مختصره (٢٩/ ١٩٧) .

(٣) وقع في (أ) و(ط): اليسر وفي ب : البشر وكله تحريف . وأبو أنس: هو مالك بن أبي عامر ، جد مالك بن أنس الفقيه .

(٤) (٣٨٣٧) في المناقب: باب مناقب أبي هريرة ، وإسناده ضعيف .

(٥) تحرف في الأصول إلى: بشر .

رواية: يجعل ما قاله كعبٌ عن رسول الله، وماقاله رسول الله عن كعب. فاتقوا الله وتحفَّظوا في الحديث.

وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلِّس ـ [أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ ولا يميز هذا من هذا][1] ـ ذكره ابن عساكر[2].

وكأنَّ شعبة يشير بهذا إلى حديثه «مَنْ أصبح جُنباً فلا صِيامَ له» فإنه لما حُوقق عليه قال: أخبرنيه مخبر، ولم أسمعه من رسول الله ﷺ[3].

وقال شَريك: عن مُغيرة، عن إبراهيم قال: كان أصحابنا يَدَعُون من حديث أبي هريرة.

[وروى الأعمش، عن إبراهيم قال: ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة][4].

وقال الثوري: عن منصور، عن إبراهيم قال: كانوا يَرَوْن في أحاديث أبي هريرة شيئاً، وما كانوا يأخذون من حديثه [إلَّا ما كان من حديث][5] صفة جنَّة أو نار، أو حثٍّ على عمل صالح، أو نهي عن شرٍّ جاء القرآن به.

وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة، وردَّ هذا الذي قاله إبراهيم النَّخعي. وقد قال ما قاله إبراهيم طائفةٌ من الكوفيِّين، والجمهورُ على خلافهم.

وقد كان أبو هريرة من الصِّدق والحفظ والدِّيانة والعبادة والزَّهادة والعمل الصالح على جانب عظيم.

قال حمّاد بن زيد: عن عباس الجُريري، عن أبي عثمان النَّهدي قال: كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل، وامرأتُه ثلثه، وابنتُه ثلثه، يقوم هذا ثم يوقظ هذا، ثم يوقظ هذا هذا[6].

وفي «الصحيحين» عنه أنه قال: أوصاني خَليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر، وركعَتَي الضُّحى، وأن أُوتِرَ قبلَ أن أنام[7].

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب.

(٢) في تاريخه (١٩/ ١٢٢). وأورده الذهبي في السير (٢/ ٦٠٨) ثم عقب عليه بقوله: تدليس الصحابة كثير، ولا عيب فيه؛ فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم، والصحابة كلهم عدول.

(٣) في هذا المعنى أخرج مسلم في صحيحه (١١٠٩) في الصيام: باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب.

(٤) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط. سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٨) حاشية (٤).

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب.

(٦) أخرجه أحمد في الزهد ص٢٥٩، وإسناده صحيح.

(٧) أخرجه البخاري (١١٧٨) في التهجد: باب صلاة الضحى في الحضر، وفي الصوم: باب صيام أيام البيض، ومسلم (٧٢١) في صلاة المسافرين: باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، وأبو داود (١٤٣٢) في الصلاة: باب في الوتر قبل النوم، والترمذي (٧٦٠) في الصوم: باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، والنسائي (٣/ ٢٢٩) في قيام الليل: باب الحث على الوتر قبل النوم.

وقال ابن جُرَيج عمّن حدثه قال : قال أبو هريرة : إني أجزِّىء الليل ثلاثة أجزاء : فجزءاً لقراءة القرآن ، وجزءاً أنام فيه ، وجزءاً أتذكَّر فيه حديث رسول الله[١] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا إسحاق بن عثمان القرشي ، حدّثنا أبو أيوب قال : كان لأبي هريرة مسجد في مَخْدَعه ، ومسجد في بيته ، ومسجد في حجرته ، ومسجد على باب داره ، إذا خرج صلَّى فيها جميعها ، وإذا دخل صلَّى فيها جميعها[٢] .

وقال عكرمة : كان أبو هريرة يسبِّح كل ليلة اثني عشر ألف تسبيحة ، ويقول : أسبِّح على قدر ديتي[٣] .

وقال هُشيم : عن يَعْلى بن عطاء ، عن ميمون بن[٤] مَيْسرة قال : كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم ، أول النهار صيحة يقول : ذهب الليل وجاء النهار وعُرض آل فرعون على النار ، وإذا كان العشيُّ يقول : ذهب النهار وجاء الليل وعُرض آل فرعون على النار . فلا يسمع أحدٌ صوته إلّا استعاذ بالله من النار .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثنا موسى بن عبيدة ، عن زياد بن ثوبان ، عن أبي هريرة قال : لا تَغْبطَنَّ فاجراً بنعمة فإنَّ من ورائه طالباً حثيثاً طلبُه ، جهنَّم كلما خَبَتْ زدناهم سعيراً[٥] .

وقال ابن لَهيعة : عن أبي يونس ، عن أبي هريرة : أنه صلَّى بالناس يوماً ، فلمّا سلَّم رفع صوته فقال : الحمدُ لله الذي جعل الدّين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً ، بعدما كان أجيراً لابنة غَزْوان على شبع بطنه ، وحَمُولة رِجْله[٦] .

[وقال إبراهيم بن إسحاق الحَرْبي : حدّثنا عفّان ، حدّثنا سليم بن حيان قال: سمعت أبي يحدِّث عن أبي هريرة قال: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني ، وعُقْبة رجلي[٧] ، أحدو بهم إذا ركبوا ، وأحتطب إذا نزلوا ، فالحمدُ لله الذي جعل الدّين قواماً ، وجعل أبا هريرة

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) .
(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٦١ ـ ٢٦٢) ، والمخدع: مكان النوم .
(٣) مثله في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) ، ووقع في أ ، ب : ديني .
(٤) في الأصول: ميمون بن أبي ميسرة ، وماأثبته من الجرح والتعديل (٨/ ٢٣٥) وغيره . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) .
(٥) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ٢٠٠) .
(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٩) .
(٧) يعني: نوبة ركوبه .

إماماً][1] . ثم يقول : والله يا أهل الإسلام إنْ كانت إجارتي معهم إلّا على كِسْرة يابسة ، وعُقْبة في ليلة غبراء مظلمة ، ثم زَوَّجَنِيها الله ، فكنت أركب إذا ركبوا ، وأخدم إذا خدموا ، وأنزل إذا نزلوا .

وقال إبراهيم بن يعقوب الجُوزجاني[2] : حدّثنا الحجّاج بن نُصَير[3] ، حدّثنا هلال بن عبد الرحمن الحنفي ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أبي سلمة قال : قال أبو هريرة وأبو ذَرّ : باب من العلم نتعلّمه أحبُّ إلينا من ألف ركعة تطوُّعاً ، وباب نعلّمه ـ عملنا به أو لم نعمل ـ أحبُّ إلينا من مئة ركعة تطوُّعاً . وقالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إذا جاء طالبَ العلمِ الموتُ وهو على هذه الحالِ ماتَ وهو شهيد » .

وهذا حديث غريب في هذا الوجه[4] .

وروى غير واحد عن أبي هريرة : أنّه كان يتعوَّذ في سجوده من أن يزني ، أو يسرق ، أو يكفر ، أو يعمل كبيرة . فقيل له : أتخاف ذلك ؟ فقال : ما يُؤمنني وإبليس حيّ ، ومصرِّف القلوب يصرِّفها كيف يشاء[5] .

وقالت له ابنته : يا أبةِ إنَّ البنات يُعَيِّرنني يقلن : لمَ لا يُحلّيك أبوك بالذهب ؟ فقال : يا بنيَّة قولي لهن : إنَّ أبي يخشى عليَّ حرَّ اللهب[6] .

[وقال[7] أبو هريرة : أتيتُ عمر بن الخطاب ، فقمت له وهو يسبِّح بعد الصلاة ، فانتظرته ، فلمّا انصرف دنوت منه فقلت : أقرئني آياتٍ من كتاب الله ، قال : وماأريد إلّا الطعام ، قال : فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلمّا بلغ أهلَه دخل وتركني على الباب ، فأبطأ ، فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمر لي بطعام ، فلم أَرَ شيئاً ، فلمّا طال عليَّ قمتُ فمشيت ، فاستقبلني رسول الله ﷺ فكلّمني فقال : « ياأبا هريرة إنَّ خُلُوفَ[8] فمك الليلةَ لشديد » ؟! فقلت : أَجَل يا رسول الله ، لقد ظللت صائماً وما أفطرت بعد ، وما أجد ما أُفطر عليه ، قال : فانطلقَ وانطلقتُ معه حتى أتى بيته ، فدعا جاريةً له سوداء فقال : « آتينا بتلك

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في الحلية (١/ ٣٧٩) وتاريخ ابن عساكر (١٩/ ١٢٣/ ١) .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : الجورجاني .
(٣) تحرف في الأصول إلى : نصر . والحجاج بن نصير : هو الفساطيطي القيسي ، لين الحديث . ترجمته وأقوال العلماء فيه في تهذيب الكمال (٥/ ٤٦١) .
(٤) أخرجه يعقوب في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) وفيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي وهو متروك . وأيضاً في كشف الأستار عن زوائد البزار (١/ ٨٤) وهو ضعيف .
(٥) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ٢٠٢) .
(٦) المصدر السابق .
(٧) من هنا يبدأ سقط طويل في النسخة ب ، سنشير إليه في نهايته .
(٨) « الخلوف » : تغير رائحة الفم .

القَصْعة » فأتتنا بقَصْعة فيها وَضَر[١] من طعام أراه شعيراً قد أُكل وبقي في جوانبها بعضُه وهو يسير ، فسَمَّيت وجعلت أتتبَّعُه ، فأكلت حتى شبعت[٢] .

وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن أيوب ، عن محمد بن سِيرين أنَّ أبا هريرة قال لابنته : لا تَلبسي الذهب ، فإني أخشى عليك حرَّ اللهب[٣] .

وقد روي هذا عن أبي هريرة من طرق .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حجاج ، حدّثنا شُعبة ، عن سِمَاك بن حرب ، عن أبي الربيع ، عن أبي هريرة أنه قال : إنَّ هذه الكناسة مهلكة دنياكم وآخرتكم ـ يعني الشَّهوات ومايأكلونه .

وروى الطبراني ، عن ابن سِيرين ، عن أبي هريرة : أن عمر بن الخطاب دعاه ليستعملَه ، فأبى أن يعمل له ، فقال : أتكره العمل وقد عمل مَنْ هو خير منك ؟ ـ أو قال : قد طلبه من هو خير منك ـ ؟ قال : مَنْ ؟ قال : يوسف عليه السلام ، فقال أبو هريرة : يوسف نبيٌّ ابن نبيّ ، وأنا أبو هريرة بن أُمَيْمة ، فأخشى ثلاثاً واثنتين ، فقال عمر : أفلا قلت خمساً ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضيَ بغير حلم ، وأن يُضْرب ظهري ، ويُنْتزع مالي ، ويُشْتَم عرضي[٤] .

وقال سعيد بن أبي هند : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال له : « ألا[٥] تسألُني من هذه الغنائم التي يَسألُني أصحابُك » ؟ فقلت : أسألك أن تعلِّمني مما علَّمك الله ، قال : فنزع نَمِرَة[٦] على ظهري ، فبسطها بيني وبينه ، حتى كأني [أنظر][٧] إلى القمل يدبُّ عليها ، فحدثني ، حتى إذا استوعب حديثه قال : « اجمعْها إليك فصرَّها » فأصبحتُ لا أُسقط حرفاً مما حدَّثني[٨] .

وقال أبو عثمان النَّهدي : قلت لأبي هريرة : كيف تصوم ؟ قال : أصوم أوَّل الشهر ثلاثاً ، فإنْ حدَثَ بي حدث كان لي أجرُ شهري[٩] .

وقال حمّاد بن سلمة : عن ثابت ، عن أبي عثمان النَّهدي : أنَّ أبا هريرة كان في سفر ومعه قوم ،

---

(١) « الوضر » : الدسم وأثر الطعام .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٨) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٠) والذهبي في السير (٢/ ٦٢٢) وفي التعليق عليه كلام مفيد .

(٤) سيعيده المؤلف بعد قليل ، وهو في سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣) .

(٥) تحرفت في المطبوع إلى : لا .

(٦) « النمرة » : شملة فيها خطوط بيض وسود .

(٧) سقطت من المطبوع .

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨١) .

(٩) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) .

فلمّا نزلوا وضعوا السُّفرة وبعثوا إليه ليأكل معهم ، فقال : إني صائم ، فلمّا كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل يأكل ، فجعل القوم ينظرون إلى رسولهم الذي أرسلوه إليه ، فقال لهم : أراكم تنظرون إليّ ، قد ـ والله ـ أخبرني أنَّه صائم ، فقال أبو هريرة : صَدَق ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صومُ شهرِ الصَّبْر ، وصومُ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ ، صومُ الدَّهر » . وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر ، فأنا مفطر في تخفيف الله ، صائم في تضعيف الله عزَّ وجلّ(١) .

وروى الإمام أحمد : حدّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدّثنا إسماعيل ، عن أبي المتوكل ، عن أبي هريرة : أنه كان هو وأصحاب له إذا صاموا يجلسون في المسجد وقالوا : نطهِّر صيامنا(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عبيدة الحدّاد ، حدّثنا عثمان الشحام أبو سلمة ، حدّثنا فرقد السَّبَخي قال : كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويلٌ لي من بطني : إن أشبعتُه كظَّني(٣) ، وإن أجعتُه أضعفني(٤) .

وروى الإمام أحمد : عن عكرمة قال : قال أبو هريرة : إني لأستغفر الله عز وجل وأتوبُ إليه كلَّ يوم اثني عشر ألف مرّة ، وذلك على قدر ديتي(٥) .

وروى عبد الله بن أحمد ، عن أبي هريرة : أنه كان له خيطٌ فيه اثنا عشر ألف عقدة يسبِّح به قبل أن ينام . وفي رواية : ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبِّح به . وهو أصح من الذي قبله .

ولما حضره الموت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بُعد سفري ، وقلَّة زادي ، وأني أصبحت في صعود ومهبط على جنة ونار ، لا أدري إلى أيهما يُؤخذ بي(٦) .

وروى قتيبة بن سعيد ، حدّثنا الفرج بن فَضَالة ، عن أبي هريرة قال : إذا زوَّقتم مساجدكم ، وحلَّيتم مصاحفكم ، فالدَّمار عليكم(٧) .

وروى الطبراني ، عن مَعْمر قال : بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مرّ به جنازةٌ قال : رُوحوا فإنّا

---

(١) وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٨٤ ، ٥١٣) وهو حديث صحيح ، وشهر الصبر : هو شهر رمضان .

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٦٠) .

(٣) « كظني » : أتخمني .

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٦٠) وقد تحرف فيه السبخي إلى السبحي . وفرقد السبخي هذا لين الحديث كثير الخطأ ، كما قال الحافظ في التقريب .

(٥) تقدم الخبر قبل قليل .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٩) .

(٧) الفرج بن فضالة ضعيف .

غادُون ، أو اغدُوا فإنّا رائحون . موعظة بليغة ، وغفلة[١] سريعة ، يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له .

وقال الحافظ أبو بكر بن مالك : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدّثني أبو بكر ليث بن خالد البجلي[٢] ، حدّثنا عبد المؤمن بن عبيد[٣] الله السَّدوسي قال : سمعت أبا يزيد المدينى يقول : قام أبو هريرة على منبر رسول الله ﷺ دون مقام رسول الله ﷺ بعَتَبة فقال : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ، ويلٌ لهم من إمارة الصِّبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ، ويقتلون بالغضب .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا علي بن ثابت ، عن أسامة بن زيد ، عن أبي زياد ـ مولى ابن عباس ـ عن أبي هريرة قال : كانت لي خمس عشرة تَمْرة ، فأفطرتُ على خمس ، وتسحَّرتُ بخمس ، وأبقيتُ خمساً لفطري[٤] .

وقال أحمد : حدّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدّثنا إسماعيل ـ يعني العبدي ـ عن أبي المتوكل : أن أبا هريرة كانت لهم زنجيَّة قد غمتهم بعملها ، فرفع عليها يوماً السَّوط ثم قال : لولا القصاصُ يوم القيامة لأغشينَّكِ به ، ولكن سأبيعكِ ممَّن يوفيني ثمنك أحوج ما أكون إليه ، اذهبي فأنتِ حرةٌ لوجه الله عز وجل[٥]

وروى حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة : أن أبا هريرة مرض ، فدخلتُ عليه أعوده فقلت : اللهمَّ اشفِ أبا هريرة ، فقال : اللهمَّ لا تَرْجعها . ثم قال : يا أبا سلمة يوشكُ أن يأتيَ على الناس زمان يكون الموتُ أحبَّ إلى أحدهم من الذهب الأحمر[٦] .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : إذا رأيتم ستّاً فإنْ كانت نفس أحدكم في يده فليُرْسلها ، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني : إذا أُمِّرت السُّفهاء ، وبيع الحكم ، وتهون الدم ، وقُطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة[٧] ، ونشأَ نَشَء[٨] يتخذون القرآن مزامير[٩] .

---

(١) مثله في مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٥) ووقعت في ط : عقلة .

(٢) كذا في أ ، ط ـ لم أذكر النسخة ب لأن هذه الصفحات ساقطة منها كما أشرنا ـ وأراه محرفاً عن البلخي وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٥) .

(٣) تحرف في آ ، ط إلى : عبد ، والتصويب من الجرح والتعديل (٦/ ٦٥) وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٣٣) وغيرهما .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٨٤) .

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٥٩ ـ ٢٦٠) .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٨) .

(٧) «الجلاوزة» : جمع جلواز ، وهو الشرطي .

(٨) قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٥١ ـ ٥٢) : يروى بفتح الشين ، جمع ناشىء ، كخادم وخدَم . يريد جماعة أحداثاً . قال أبو موسى : والمحفوظ بسكون الشين ، كأنه تسمية المصدر .

(٩) أورده ابن سعد في طبقاته (٤/ ٣٣٧) بنحوه من طريق روح بن عبادة ، حدثنا الربيع بن صبيح قال : أخبرنا حبيب بن أبي فضالة أن أبا هريرة قال . . . وأخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٢) من كلام عوف بن مالك الأشجعي .

وقال ابن وهب : حدّثنا عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن زياد القُرَظي ، أن ثَعْلبة بن أبي مالك القُرَظي حدثه : أن أبا هريرة أقبل في السُّوق يحمل حُزْمة حطب ـ وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم ـ فقال : أَوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك ، فقلت : يرحمك الله يكفي هذا ، فقال : أَوسعِ الطريق للأمير والحُزمةُ عليه[1] [2] .

وله فضائل ومناقب كثيرة ، وكلام حسن ، ومواعظ جمَّة . أسلم ـ كما قدمنا ـ عام خيبر ، فلزم رسول الله ﷺ ولم يفارقه إلّا حين بعثه مع العلاء بن الحَضْرمي إلى البحرين ، ووصّاه به ، فجعله العلاء مؤذِّناً بين يديه ، وقال له أبو هريرة : لا تسبقني بآمين أيُّها الأمير . وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته ، وقاسمه مع جملة العمّال .

قال عبد الرزاق : حدّثنا مَعْمر ، عن أيوب ، عن ابن سِيرين : أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين ، فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرتَ بهذه الأموال أي عدوَّ الله وعدوَّ كتابه ؟! فقال أبو هريرة : لستُ بعدوِّ الله ولا عدوِّ كتابه ، ولكني عدوُّ مَنْ عاداهما ، فقال : فمن أين هي لك ؟ قال : خيل نُتِجَت ، وغَلَّة ورقيق لي ، وأُعطية تتابعت عليّ . فنظروا فوجدوه كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعملَه ، فأبى أن يعمل له ، فقال له : تكره العمل وقد طلبه مَنْ كان خيراً منك ؟! طلبه يوسف عليه السلام ، فقال : إنَّ يوسف نبيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ ابن نبيّ ، وأنا أبو هريرة بن أُمَيْمة[3] ، وأخشى ثلاثاً واثنتين ، قال عمر : فهلاّ قلت خمساً ؟ قال : أخشى أن أقولَ بغير علم ، وأقضيَ بغير حلم ، أو يُضرب ظهري ، ويُنتزع مالي ، ويُشتَم عرضي[4] .

وذكر غيره : أنَّ عمر غرَّمه في العُمالة الأولى اثني عشر ألفاً ، فلهذا امتنع في الثانية .

وقال عبد الرزاق : عن مَعْمر ، عن محمد بن زياد قال : كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة ، فإذا غضب عليه عزلَه وولّى مروان بن الحكم ، فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه ، فعزل مروان ورجع أبو هريرة ، فقال لمولاه : مَنْ جاءك فلا تردَّه واحجبْ مروان ، فلمّا جاء مروان دفع الغلام في صدره ، فما دخل إلّا بعد جهد ، فلمّا دخل قال : إن الغلام حجبَنا عنك ، فقال له أبو هريرة : إنك أحقُّ الناس ألّا تغضب من ذلك . والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة ، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٥) ورجاله ثقات .

(٢) هنا ينتهي نقص النسخة (ب) الذي أشرنا إليه قبل صفحات .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : أمية .

(٤) تقدم قبل صفحات . وهو في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٥) وحلية الأولياء (١/ ٣٨٠ ، ٣٨١) من طرق أخرى .

وقال حمّاد بن سلمة : عن ثابت ، عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة ، فيركب الحمار ويلقى الرجل فيقول : قد جاء الأمير ـ يعني نفسه ـ وكان يمرُّ بالصِّبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب ـ وهو أمير ـ فلا يشعرون إلّا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه كأنه مجنون [يريد بذلك أن يضحكهم][١] فيفزع الصِّبيان منه ويفرون عنه هاهنا وهاهنا يتضاحكون[٢] .

قال أبو رافع : وربما دعاني أبو هريرة إلى عشائه بالليل فيقول : دع العُراق للأمير ـ يعني قطع اللحم ـ قال : فأنظر فإذا هو ثريد بالزيت[٣] .

وقال ابن وهب : حدّثني عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن زياد القُرَظي ، أن ثَعْلبة بن أبي مالك حدّثه : أن أبا هريرة أقبل في السُّوق يحمل حُزْمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان [فقال : أَوسِعِ الطريق للأمير يا بن أبي مالك ، فقلت : أصلحك الله يكفي هذا ، فقال : أَوسِع الطريق للأمير والحُزْمة عليه][٤] . وقد تقدم هذا . وروي نحوه من غير وجه .

وقال أبو الزعيزعة ـ كاتب مروان : بعث مروان إلى أبي هريرة بمئة دينار ، فلمّا كان الغد بعث إليه : إني غلطتُ ولم أردك بها ، وإني إنما أردتُ غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتُها ، فإذا خرج عطائي فخذها منه ، وكان قد تصدَّق بها . وإنما أراد مروان اختباره[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا العلاء[٦] بن عبد الجبّار ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن يحيى بن سعيد [عن سعيد][٧] بن المسيِّب قال : كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت ، وإذا أمسك عنه تكلَّم[٨] .

وروى غير واحد ، عن أبي هريرة : أنه جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إني أصبحتُ صائماً ، فدخلت على أبي ، فجاءني بخبز ولحم ، فأكلت ناسياً . فقال : طعمةٌ أطعمكَها الله ، لا عليك . قال : ثم دخلتُ داراً لأهلي ، فجيء بلبن لِقْحَة ، فشربتُه ناسياً . قال : لا عليك . قال : ثم نمتُ فاستيقظت ، فشربتُ ماءً ـ وفي رواية : وجامعتُ ناسياً . قال أبو هريرة : إنك يا بن أخي لم تَعتَدِ الصيام[٩] .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٦) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) ما بين حاصرتين ليس في آ .
(٥) أبو الزعيزعة لا يعرف . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ٢٠٣) .
(٦) في أ ، ط : عبد الأعلى وما أثبته من ب .
(٧) سقط من المطبوع .
(٨) تاريخ ابن عساكر (١٩/ ١٢٥/ ب) .
(٩) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٩/ ٢٠٥) .

[وقال غير واحد : كان أبو هريرة إذا رأى الجنازة قال : رُوحوا فإنا غادُون ، أو اغدُوا فإنا رائحون .

وروى غير واحد : أنه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على قلَّة الزاد ، وشدَّة المفازة ، وأنا على عقبة هبوط إمّا إلى جنَّة أو إلى النار ، فما أدري إلى أيِّهما أصير][١] .

وقال مالك : عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبري قال : دخل مروان على أبي هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : اللهمَّ إني أحبُّ لقاءك فأحبَّ لقائي . قال : فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات أبو هريرة[٢] .

وقال يعقوب بن سفيان : عن دحيم ، عن الوليد [عن][٣] ابن جابر ، عن عمير بن هانىء قال : قال أبو هريرة : اللهمَّ لا تدركني سنة ستين . قال : فتوفي فيها أو قبلها بسنة . وهكذا قال الواقدي : إنه توفي سنة تسع وخمسين عن ثمان وسبعين سنة .

قال الواقدي : وهو الذي صلَّى على عائشة في رمضان ، وعلى أمِّ سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، ثم توفي أبو هريرة بعدهما فيها ، كذا قال ، والصواب أن أمَّ سلمة تأخَّرت بعد أبي هريرة .

وقد قال غير واحد : إنه توفي سنة تسع وخمسين ، و قيل : ثمان ، وقيل : سبع وخمسين ، والمشهور : تسع وخمسين .

قالوا : وصلَّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة ، وفي القوم ابنُ عمر ، وأبو سعيد ، وخلق من الصحابة وغيرهم . وكان ذلك عند صلاة العصر ، وكانت وفاته في داره بالعَقيق ، فحمل إلى المدينة ، فصلِّي عليه ثم دفن بالبقيع ، رحمه الله ورضي عنه .

وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاة أبي هريرة ، فكتب إليه معاوية : أن انظُر ورثته فأحسنْ إليهم ، واصرفْ إليهم عشرة آلاف درهم ، وأَحسن جوارهم ، واعمل إليهم معروفاً ، فإنه كان ممَّن نصر عثمان ، وكان معه في الدار ، رحمهما الله تعالى .

***

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ ، وهو مما تقدم ذكره . والزهد لأحمد (ص٢٦١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٩) .

(٣) سقطت من أ ، ط ، والمثبت من ب وهو الصحيح ، فالوليد : هو ابن مسلم . وابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد الداراني ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٩٧) .

سنة ستين من الهجرة النبوية

فيها كانت غزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية[١] .

قال الواقدي : وفيها دخل جُنادة بن أبي أميّة جزيرة رُودس .

وفيها أخذ معاوية البَيْعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عُبيد الله بن زياد إلى دمشق .

وفيها مرض معاوية مرضه الذي توفي فيه في رجب منها كما سنبيِّنه .

روى ابن جرير من طريق أبي مِخْنَف : حدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مَخْرمة أن معاوية لمّا مرض مرضته التي هلك فيها دعا ابنَه يزيد فقال : يا بنيَّ إني قد كفيتك الرحلة والرجال ، ووطَّأت لك الأشياء ، وذلَّلت لك الأعداء[٢] ، وأخضعت لك أعناق العرب . وإني لا أتخوَّف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتبَّ لك إلّا أربعة نفر : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ـ كذا قال ، والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بسنتين كما قدمنا ـ فأما ابن عمر فهو رجل قد وَقَذَته[٣] العبادة ، وإذا لم يبقَ أحدٌ غيره بايعك . وأما الحسين فإن أهل العراق خلفَه لا يدعونه حتى يخرجوه عليك ، فإن خرج عليك فظفرتَ به فاصفح عنه ، فإن له رحماً ماسَّة وحقّاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، ليست له همَّة إلّا في النساء واللهو . وأما الذي يَجْثِمُ لك جثوم الأسد ، ويراوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقدرتَ عليه فقطِّعه إرْباً إرْباً[٤] .

قال غير واحد : فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد في الصَّيد ، فاستدعى معاويةُ الضحّاك بن قيس الفِهْري ـ وكان على شرطة دمشق ـ ومسلم بن عُقبة ، فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ، ويقولا له يتوصّى بأهل الحجاز ، وإن سأله أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولِّي عليهم عاملاً فليفعل ، فعزلُ واحد أحبُّ إليك من أن يسلَّ عليك مئة ألف سيف ، وأن يتوصّى بأهل الشام خيراً ، وأن يجعلهم أنصاره ، وأن يعرف لهم حقَّهم . ولستُ أخاف عليه من قريش سوى ثلاثة : الحسين ، وابن عمر ، وابن الزبير ـ ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهذا أصح ـ فأما ابن عمر فقد وَقَذَته العبادة . وأما الحسين فرجل خفيف ، وأرجو أن يكفيَكَهُ الله بمن قتلَ أباه وخذل أخاه ، وإن له رحماً ماسَّة ، وحقّاً عظيماً ،

---

(١) قال في « معجم البلدان » سورية : بلدة بالشام بين خناصرة وسلمية .

(٢) في (أ) و(ط) : الأعزاء .

(٣) في الأصول : وقدته بالدال ، والمثبت من تاريخ الطبري . ورجل وقذته العبادة : أي سكّنته .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) . وقوله : « إرباً إرباً » : يعني عضواً عضواً .

وقرابة من محمد ﷺ ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه فإني لو أني صاحبته عفوتُ عنه . وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ ، فإن شَخَصَ لك فالبُدْ له[١] إلا أن يلتمس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل منه . واصفح عن دماء قومك ما استطعت .

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة ، قاله هشام بن الكلبي . وقيل : للنصف منه ، قاله الواقدي . وقيل : يوم الخميس لثمان بقين منه ، قاله المدائني . قال ابن جرير[٢] : وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها . وكان مدة ملكه استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بأَذْرُح[٣] فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر . وكان نائباً في الشام عشرين سنة تقريباً ، وقيل غير ذلك . وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وقيل : خمساً وسبعين سنة ، وقيل : ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل : خمساً وثمانين سنة . وسيأتي بقية الكلام في ذلك في آخر ترجمته .

وقال أبو السُّكين[٤] زكريا بن يحيى : حدّثني عم أبي زَحْر بن حِصْن[٥] ، عن جده حُمَيد بن مُنْهب قال : كانت هند بنت عُتبة عند الفاكِه بن المُغيرة المخزومي ، وكان الفاكِهُ من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوماً ، فاضطجع الفاكِهُ وهند فيه في وقت القائلة[٦] ، ثم خرج الفاكِهُ لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممَّن كان يغشاه ، فولج البيت ، فلمّا رأى المرأة فيه ولَّى هارباً ، ورآه الفاكِه وهو خارج من البيت ، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برجله وقال : مَنْ هذا الذي كان عندك ؟ فقالت : ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني أنت ، فقال لها : الحقي بأبيك . وتكلَّم فيها الناس ، فقال لها أبوها : يا بنيَّة إن الناس قد أكثروا فيك القالة ، فأنبئيني نبأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست إليه من يقتله فتنقطع عنك القالة ، وإنْ يكُ كاذباً حاكمته إلى بعض كُهّان اليمن ، فحلفتْ هند لأبيها بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها ، فقال عتبة بن ربيعة للفاكِه : يا هذا إنك قد رميتَ ابنتي بأمر عظيم [وعار كبير لا يغسله الماء ، وقد جعلتنا في العرب بمكان ذلَّة ومَنْقصة ، ولولا أنك مني ذو قرابة لقتلتك ، ولكن سأحاكمك إلى كاهن اليمن][٧] فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن . فخرج الفاكِه في بعض جماعة من بني مخزوم ـ أقاربه ـ

---

(١) مثله في تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٣) . ووردت في ط : فانبذ إليه .

(٢) في تاريخه (٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .

(٣) تحرفت في ط ، ب إلى : أدرح . وأذرح : بلدة في أطراف بلاد الشام من نواحي البلقاء . معجم البلدان (١/ ١٢٩) .

(٤) تحرف في الأصول إلى : السكن والتصحيح من ترجمته في تهذيب الكمال (٩/ ٣٨٤) وغيره .

(٥) تحرف في أ ، ط إلى : حصين . وابن حصن هنا مترجم في ميزان الاعتدال (٢/ ٦٩) وغيره .

(٦) « القائلة » : الظهيرة ، وفعله : قال يَقيل .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مَناف ، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم ، وساروا قاصدين بلاد اليمن . فلمّا شارفوا بلاد الكاهن قالوا : غداً نأتي الكاهن ، فلمّا سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغيَّر وجهها وأخذت في البكاء ، فقال لها أبوها : يا بنيَّة قد أرى ما بكِ من تنكُّر الحال وكثرة البكاء ، وما ذاك أراه عندك إلا لمكروه أحدثتيه وعمل اقترفتيه ، فهلاّ كان هذا قبل أن يشيع في الناس ويشتهر مسيرنا ؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لمكروه وقع مني ، وإني لبريئة ، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغيُّر الحال هو أني أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطىء ويصيب [وأخاف أن يخطىء في أمري بشيً ، يكون عارُه عليَّ إلى آخر الدهر][1] ولا آمَنُه أن يَسِمَني بسِيما[2] تكون عليَّ سبَّة في العرب . فقال لها أبوها : لا تخافي فإني سوف أختبره وأمتحنُه قبل أن يتكلَّم في شأنك وأمرك [فإن أخطأ فيما أَمتحنه به لم أدعه يتكلَّم في أمرك . ثم انفرد عن القوم ـ وكان راكباً مُهْراً ـ حتى توارى عنهم خلف رابية ، فنزل عن فرسه][3] ثم صفَّر له حتى أَدلى ، ثم أخذ حبّاتٍ من حنطة فأدخلها في إحليل المُهْر ، وأَوكى عليها بسير حتى أحكم ربطها [ثم صفَّر له حتى اجتمع إحليلُه ، ثم أتى القوم فظنُّوا أنه ذهب ليقضي حاجة][4] ثم أتى الكاهن ، فلمّا قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم . فقال له عُتبة : إنا قد جئناك في أمر ، ولكن لا أدعك تتكلَّم فيه حتى تبيِّن لنا ما خبَّأتُ لك ، فإني قد خبَّأت لك خَبيئاً فانظر ماهو فأخبرنا به . قال الكاهن : ثَمَرَة في كَمَرَة[5] ، قال : أريد أَبْيَن من هذا ، قال : حبات بُرٍّ في إحليل مُهْر ، قال : صدقت ، فخذ لما جئناك له ، انظر في أمر هؤلاء النسوة . [فأجلس النساء خلفه وهند معهم لا يعرفها][6] ثم جعل يدنو من إحداهنَّ فيضرب كتفها ويُبرِّيها ويقول : انهضي . حتى دنا من هند ، فضرب كتفها وقال : انهضي حَصَان رَزان ، غير رَسْحاء[7] ولا زانية ، ولتلدنَّ مَلِكاً يقال له معاوية . فوثب الفاكِهُ فأخذ بيدها ، فنثرت يدها في يده وقالت له : إليك عني ، والله لا يجمع رأسي ورأسَك وسادة ، والله لأحرصنَّ أن يكون هذا الولد من غيرك . فتزوَّجها أبو سفيان بن حرب ، فجاءت منه بمعاوية هذا . وفي رواية : أن أباها هو الذي قال للفاكِه ذلك . والله أعلم[8] .

---

(١) سقط من ب .
(٢) في ط : ميسماً .
(٣) سقط من ب .
(٤) سقط من ب .
(٥) « الكمرة » : رأس الذكر .
(٦) سقط من ب .
(٧) « الرسحاء » : القبيحة من النساء .
(٨) الخبر بطوله في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣١٣ ـ ٣١٤) .

وهذه ترجمة معاوية[١] وذكر شيء من أيامه وما ورد في مناقبه وفضائله

هو معاوية بن أبي سُفيان صَخر بن حَرب بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصي ، القرشيّ الأموي ، أبو عبد الرحمن ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي رسول رب العالمين . وأمُّه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

أسلم معاوية عام الفتح ، وروي عنه أنه قال : أسلمتُ يوم القضيَّة ولكن كتمت إسلامي من أبي ، ثم علم بذلك فقال لي : هذا أخوك يزيد ـ وهو خير منك ـ على دين قومه ، فقلت له : لم آلُ نفسي جهداً . قال معاوية : ولقد دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به ، ثم لمّا دخل عام الفتح أظهرتُ إسلامي ، فجئته فرحَّب بي وكتبتُ بين يديه .

قال الواقدي : وشهد معه حُنيناً ، وأعطاه مئة من الإبل وأربعين أوقية من ذهب ، وزنها له بلال ، وشهد اليمامة .

وزعم بعضهم أنه هو الذي قَتل مسيلمة ، حكاه ابن عساكر . وقد يكون شَرِكَ في قتله ، وإنما الذي طعنه وَحْشي ، وجلَّله[٢] أبو دُجَانة سِماك بن خَرَشَة بالسَّيف .

وكان أبوه من سادات قريش [في الجاهلية][٣] وتفرَّد بالسُّؤدَد بعد يوم بدر ، ثم لما أسلم حسُن بعد ذلك إسلامُه ، وكان له مواقف شريفة وآثار محمودة في يوم اليرموك وماقبله وبعده .

وصحب معاوية رسول الله ﷺ ، وكتب الوحي بين يديه مع الكتّاب ، وروى عن رسول الله ﷺ

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٢ و ٧/ ٤٠٦) نسب قريش (١٢٤) طبقات خليفة (ت٥١ ، ٩٦٩ ، ٢٨٠٩) مسند أحمد (٤/ ٩١) المحبر (الفهرس) المعمرون والوصايا (١٥٥) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٢٦) المعارف (٣٤٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٥) أنساب الأشراف (٤/ ٥ ، ١٣٦) تاريخ أبي زرعة الدمشقي : (الفهرس) الأخبار الطوال (٢١٨ ، ٢٢٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٣) ومابعدها ، الجرح والتعديل (٨/ ٣٧٧) العقد الفريد (٤/ ٣٦٢) مروج الذهب (٣/ ١١) ومابعدها ، مشاهير علماء الأمصار (ت٣٢٦) معجم المرزباني (٣١٣) جمهرة أنساب العرب (١١٢ ، ١١٣) وغيرها ، الاستيعاب (٣/ ١٤١٦) تاريخ بغداد (١/ ٢٠٧) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٨٩) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٣٦/ ب) طبقات فقهاء اليمن (٤٧) جامع الأصول (٩/ ١٠٧) أسد الغابة (٥/ ٢٠٩) الكامل في التاريخ (٤/ ٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٠٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٩٩ و ٢٥/ ٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٤٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٨) العبر (١/ ٦٤) تذهيب التهذيب (٤/ ٥٠/ أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٩) الكاشف (٣/ ١٣٨) مرآة الجنان (١/ ١٣١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٤) العقد الثمين (٧/ ٢٢٧) غاية النهاية (٢/ ٣٠٣) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٧) الإصابة (٣/ ٤٣٣) المطالب العالية (٤/ ١٠٨) تاريخ الخلفاء (٣٠٨) خلاصة الخزرجي (٣٨١) شذرات الذهب (١/ ٢٧٠) .

(٢) « جلله بالسيف » : علاه وطعنه به .

(٣) سقط من ط .

أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان معاوية طويلاً أبيض جميلاً ، إذا ضحك انقلبت شفتُه العليا ، وكان يخضِب . حدثني محمد بن يزيد الأزدي ، حدثنا أبو مُسْهر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن أبي عبد رب قال : رأيت معاوية يصفِّر لحيتَه كأنها الذهب .

وقال غيره : كان أبيض ، طويلاً ، أجلح[١] ، أبيض الرأس واللحية يخضبهما بالحِنَّاء والكَتَم .

وقد أصابته لَقْوَة[٢] في آخر عمره ، فكان يستُر وجهه ويقول : رحم الله عبداً دعا لي بالعافية ، فقد رُميت في أحسني وما يبدو مني ، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي .

وكان حليماً وقوراً ، رئيساً سيِّداً في الناس ، كريماً عادلاً شَهماً .

وقال المدائني : عن صالح بن كَيْسان قال : رأى بعضُ متفرِّسي العرب معاويةَ وهو صغير فقال : إني لأظنُّ هذا الغلام سيسود قومَه ، فقالت هند : ثكِلتُه إن كان لا يسود إلّا قومه .

وقال الشافعي : قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأنَّ وجهها فِلْقة قمر ، وخلفها من عَجِيزتها[٣] مثل الرجل الجالس ، ومعها صبيٌّ يلعب ، فمرَّ رجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودنَّ قومه ، فقالت هند : إن لم يَسُد إلّا قومه فأماته الله . وهو معاوية بن أبي سفيان .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سَيْف قال : نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابني هذا لعظيم الرأس ، وإنه لخَليقٌ أن يسود قومه . فقالت هند : قومه فقط ؟! ثكلتُه إن لم يَسُدِ العرب قاطبة . وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول :

إنَّ بُنَيَّ مُعْرِقٌ كريمْ ... محبَّبٌ في أهلِه حَليمْ
ليس بفحَّاشٍ ولا لئيمْ ... ولا بطُخْرُورٍ[٤] ولا سَؤومْ
صخر بني فِهْرٍ به زعيمْ ... لا يُخلِفُ الظنَّ ولا يَخِيمْ[٥]

قال : فلما ولَّى عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولّاه من الشام خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند : كيف رأيتِ صار ابنك تابعاً لابني ؟! فقالت : إن اضطربتْ خيل العرب فستعلم أين يقع ابنُك مما يكون فيه ابني .

---

(١) « الجلح » : ذهاب الشعر من مقدم الرأس . وفعله جَلِحَ ـ بالكسر . والنعت أجلح وجلحاء (اللسان) .
(٢) اللقوة : مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه (اللسان) .
(٣) « العجيزة » : المؤخرة .
(٤) « الطخرور » : الرجل لايكون جلداً ولا كثيفاً (اللسان) . وقد تحرفت هذه اللفظة في (أ) و(ط) إلى : « ضجور » وبهذا لايستقيم وزن البيت .
(٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٤/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) وشاعرات العرب (ص٤٦٥) .

فلمّا مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة ، وجاء البريد إلى عمر بموته ، ردَّ عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد ، ثم عزَّى أبا سفيان في ابنه يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين مَنْ ولَّيتَ مكانه ؟ قال : أخوه معاوية ، قال : وصلتَ رحماً يا أمير المؤمنين .

وقالت هند لمعاوية فيما كتبتْ به إليه : والله يا بنيَّ إنه قلَّ أن تلد حرَّة مثلك ، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر فاعمل بطاعته فيما أحببتَ وكرهت .

وقال له أبوه : يا بنيَّ إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخَّرنا ، فرفعهم سبقُهم [وقدَّمهم عند الله وعند رسوله][١] وقصَّر بنا تأخُّرنا ، فصاروا قادة وسادة ، وصرنا أتباعاً ، وقد ولَّوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم ، فإنك تجري إلى أمد فنافس ، فإن بلغتَه أورثته عَقِبك . فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمريَّة والعثمانية مدة خلافة عثمان .

وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قُبرص ، وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده . ولم تزل الفتوحات والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفِرنج وغيرها ، فلمّا كان من أمره وأمر أمير المؤمنين عليٍّ ما كان ، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكليَّة ، لا على يديه ولا على يدي علي ، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخسأه وأذلَّه ، وقهر جنده ودحرهم . فلمّا رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب إليه معاوية : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعينُ لأصطلحنَّ أنا وابن عمي عليك ، ولأُخرجنَّك من جميع بلادك ، ولأُضيقنَّ عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهُدْنة . ثم كان من أمر التحكيم ما كان ، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم ، فانعقدت الكلمة على معاوية ، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قدمنا ، فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته [والجهادُ في بلاد العدو قائم ، وكلمةُ الله عالية ، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض ، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو][٢] .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » من طريق عِكْرِمة بن عمّار ، عن أبي زُمَيل سِمَاك بن الوليد ، عن ابن عباس قال : قال أبو سفيان : يا رسول الله ثلاثٌ أَعطِنِيهنَّ ، قال : « نَعَم » ، قال : تُؤَمِّرُني حتى أُقاتِلَ الكفَّار كما كنتُ أقاتلُ المسلمين ، قال : « نَعَم » . قال : ومعاويةُ تجعلُهُ كاتباً بين يدَيْك ، قال : « نَعَم » . وذكر الثالثة وهي أنه أراد أن يزوِّج رسول الله ﷺ بابنته الأخرى عَزَّة بنت أبي سفيان ، واستعان

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

على ذلك بأختها أمِّ حَبيبة ، فقال : « إنَّ ذلكَ لا يحلُّ لي »[١] . وقد تكلَّمنا على ذلك في جزء مفرد ، وذكرنا أقوال الأئمة واعتذارهم عنه ولله الحمد . والمقصود منه أنَّ معاوية كان من جملة الكتّاب بين يدي رسول الله ﷺ الذين يكتبون الوحي .

وروى الإمام أحمد ومسلم والحاكم في « مستدركه »[٢] من طريق أبي عَوَانة الوضّاح بن عبد الله اليَشْكري عن أبي حَمْزة عمران بن أبي عطاء عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغِلمان فإذا رسولُ الله ﷺ قد جاء ، فقلت : ما جاء إلاَّ إليَّ ، فاختبأت على باب ، فجاءني فحَطَأني[٣] حطأةً أو حطأتين ثم قال : « اذهبْ فادعُ لي معاوية » ـ وكان يكتب الوحي ـ قال : فذهبت فدعوتُه له ، فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إنه يأكل ، فقال : « اذهبْ فادعُه » ، فأتيتُه الثانية ، فقيل : إنه يأكل ، فأخبرته ، فقال في الثالثة : « لا أَشْبعَ اللهُ بطنَه » . قال : فما شبع بعدها .

وقد انتفع معاويةُ بهذه الدعوة في دنياه وأُخراه : أمّا في دنياه فإنه لمّا صار في الشام أميراً كان يأكل في اليوم سبع مرات ، يُجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم سبع أكلات ، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول : والله ما أشبع وإنما أعيا . وهذه نعمة ومَعِدة يرغب فيها كل الملوك . وأمّا في أُخراه فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه [هو و][٤] البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهمَّ إنَّما أنا بَشَرٌ فأيُّما عبدٍ سَببتُهُ ، أو جلَدتُهُ ، أو دعوتُ عليهِ وليسَ لذلك أهلاً ، فاجعلْ ذلك كفَّارةً وقُرْبةً تُقَرِّبُه بها عندَكَ يومَ القيامَة »[٥] . فركَّب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ، ولم يورد له غير ذلك .

وقال المسيِّب بن واضح : عن أبي إسحاق الفَزَاري ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن

---

(١) تقدم هذا الحديث في بداية هذا الجزء في فضل معاوية . وقد أخرجه مسلم (٢٥٠١) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي سفيان . وفي زاد المعاد (١/ ١٠٩) ومابعدها كلام مفيد حول هذا الحديث .

(٢) هكذا جمعها المصنف في رواية واحدة، وفيه وهم من وجهين؛ الأول: أن مسلماً لم يخرجه من رواية أبي عوانة الوضاح، وإنما أخرجه (٢٦٠٤) في البر والصلة من طريق شعبة عن أبي حمزة عمران، به. وتنظر تحفة الأشراف (٤/ ٦٥٣) حديث (٦٣٢٤) والمسند الجامع (٩/ ٥٦٧) حديث (٧٠٣٧). الثاني: أن رواية أبي عوانة الوضاح التي أخرجها أحمد في مسنده (١/ ٢٩١) و(٣٣٥) ليس فيها عبارة «لا أشبع الله بطنه» فكأن أحمد أو بعض شيوخه اختصرها أو حذفها مع ثبوتها من رواية أبي عوانة إذ أخرجها أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧٤٦). ولم أقف على هذا الحديث في مستدرك الحاكم، فالله أعلم (بشار).

(٣) حطأني : أي قفدني ، والقفد : هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين . وقد تصحفت في آ ، ط إلى : فخطاني خطاة أو خطاتين .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٦٠٠) من حديث عائشة ، و(٢٦٠١) من حديث أبي هريرة ، و(٢٦٠٢) من حديث جابر بن عبد الله ورواه البخاري رقم (٦٣٦١) من حديث أبي هريرة .

أبي رَباح ، عن ابن عباس قال : « أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمّد أَقرئ معاوية السَّلام واستوصِ به خيراً فإنَّه أمينُ اللهِ على كتابِه ووَحْيه ونِعْمَ الأمين » . ثم أورده ابن عساكر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان . ثم أورده أيضاً من رواية علي وجابر بن عبد الله « أنَّ رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتابه معاوية ، فقال : اسْتكْتِبْه فإنَّه أمين » ولكن في الأسانيد إليهما غرابة . ثم أورد عن عليٍّ في ذلك غرائب كثيرة [وكذا][1] عن غيره أيضاً[2] .

وقال أبو عَوَانة : عن سليمان ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن زهير بن الأقمر الزُّبيدي ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان معاوية يكتب للنبيِّ ﷺ[3] .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدّثنا أحمد بن محمد الصَّيدلاني ، حدّثنا السَّري بن[4] عاصم ، حدّثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كَثير ، عن أبيه ، [عن][5] هشام بن عروة ، [عن أبيه][6] ، عن عائشة قالت : لمّا كان يوم أمِّ حَبيبة من النبي ﷺ دقَّ البابَ داق ، فقال النبي ﷺ : انظُروا مَنْ هذا ؟ قالوا : معاوية ، قال : ائذَنُوا له ، فدخل وعلى أُذنه قلمٌ يخطّ[7] به ، فقال : ما هذا القلمُ على أُذنك يا معاوية ؟ قال : قلمٌ أعددتُه لله ولرسوله ، فقال : جزاك الله عن نبيِّكَ خيراً ، واللهِ ما استكتبتُك إلَّا بوحيٍ من الله ، وما أفعلُ من صغيرة ولا كبيرة إلَّا بوحيٍ من الله ، كيفَ بكَ لو قَمَّصَك الله قميصاً ـ يعني الخلافة ـ ؟ فقامت أمُّ حَبيبة ، فجلستْ بين يديه وقالت : يا رسول الله وإنَّ اللهَ مقمِّصٌ أخي قميصاً ؟ قال : نعم ، ولكنْ فيه هَناتٌ وهَنات . فقالت : يا رسول الله فادعُ اللهَ له ، فقال : اللهمَّ اهدِهِ بالهُدى ، وجنِّبْه الرَّدى ، واغفِرْ له في الآخرة والأُولى » . قال الطبراني : تفرد به السَّري بن عاصم ، عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير ، عن هشام .

وقد أورد ابن عساكر بعد هذا أحاديثَ كثيرة موضوعة ، والعجبُ منه مع حفظه واطِّلاعه كيف لا ينبِّه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها ، واللهُ الموفق للصواب . وقد أوردَ[8] من طريق أبي هريرة وأنس وواثلة بن الأسقع مرفوعاً : « الأُمناء ثلاثة : جبريل ، وأنا ، ومعاوية » . ولا يصحُّ من جميع وجوهه . ومن رواية ابن عباس : « الأُمناء سبعة : القلَم ، واللَّوح ، وإسرافيل ، وميكائيل ،

---

(١) سقط من ط .

(٢) قلت : وذكر بعضها الذهبي في السير (٣/ ١٢٨ ـ ١٣١) واعتبرها من الأباطيل الظاهرة الوضع . وهي أيضاً في الفوائد المجموعة للشوكاني (ص٤٠٣ ـ ٤٠٧) .

(٣) رجاله ثقات . وهو في السير (٣/ ١٢٣) .

(٤) في ط ، ب : عن .

(٥) سقط من ط .

(٦) سقط من ط .

(٧) في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٤٠٤) لم يخط .

(٨) في المطبوع : أوردنا ، وهو خطأ .

وجبريل ، وأنا ، ومعاوية » . وهذا أنكر من الأحاديث التي قبلَه وأضعف إسناداً .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، عن معاوية ـ يعني ابن صالح ـ عن يونس بن سيف ، عن الحارث بن زياد ، عن أبي رُهْم ، عن العِرْباض بن سارية السّلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يدعونا إلى السّحور في شهر رمضان : هلُمَّ إلى الغَداء المبارك ، ثم سمعته يقول : اللهمَّ علِّمْ معاويةَ الكتابَ والحسَاب ، وقِهِ العَذاب » . تفرد به أحمد[١] .

ورواه ابن جرير من حديث ابن مَهْدي ، وكذلك رواه أسد بن موسى ، وبشر بن السَّري ، وعبد الله بن صالح [عن معاوية بن صالح][٢] بإسناده مثله . وفي رواية بشر بن السَّري : « وأَدخِلْه الجنَّة » .

ورواه ابن عديّ وغيرُه من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجُمَحي ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ علِّمْ معاويةَ الكتابَ والحسابَ وقِهِ العذاب »[٣] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا سليمان بن حرب ، والحسن[٤] بن موسى الأَشْيَب قالا : حدّثنا أبو هلال محمد بن سُليم ، حدّثنا جبَلة بن عطيَّة ، عن مَسْلمة بن مخلَّد . قال الأَشْيَب[٥] : قال أبو هلال أو عن رجل عن مَسْلمة بن مخلَّد ، وقال سليمان بن حرب أو حدَّثه مَسْلمة عن رجل : أنه رأى معاوية يأكل ، فقال لعمرو بن العاص : إنَّ ابن عمِّك هذا لمِخْضَد[٦] ، قال : أما إنِّي أقول لك هذا ، وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « اللهمَّ علِّمْه الكتاب ، ومكِّنْ له في البلاد ، وقِهِ العذاب »[٧] .

وقد أرسلَه غيرُ واحد من التابعين منهم : الزهري ، وعروة بن رُوَيم ، وحَرِيز[٨] بن عثمان الرَّحَبي الحمصي ، ويونس بن ميسرة بن حَلْبَس .

وقال الطبراني : حدّثنا أبو زرعة وأحمد بن يحيى بن حمزة الدمشقيان قالا : حدّثنا أبو مُسْهر ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة المزني ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية : « اللهمَّ علِّمْه الكتابَ والحساب ، وقِهِ العذاب »[٩] . قال ابن عساكر : وهذا غريب ، والمحفوظ بهذا الإسناد حديث العِرْباض الذي تقدم . ثم روى من طريق

---

(١) وهو في مسنده (٤/ ١٢٧) وإسناده ضعيف ، وقد صح منه حديث السحور .
(٢) مكانه بياض في ب .
(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٨١٠) ضمن ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الجمحي .
(٤) تحرف في المطبوع إلى : الحسين .
(٥) تحرف في المطبوع إلى : الأشهب ، وهو من رجال التهذيب .
(٦) الخضد : شدة الأكل . ومخضد : مِفعل منه ، كأنه آلة للأكل . والمراد : إنه يأكل بجفاء وسرعة .
(٧) فيه رجل مجهول . وهو في تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٤٣/ أ) .
(٨) تحرف في الأصول إلى : جرير ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) رجاله ثقات ، إلا أن سعيد بن عبد العزيز قد اختلط . وأورده الحافظ في الإصابة ضمن ترجمة عبد الله بن أبي عميرة .

الطبراني ، عن أبي زرعة ، عن أبي مُسْهر ، عن سعيد ، عن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة المزني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لمعاوية : « اللهمَّ اجعَلْه هادياً مهديّاً ، واهْدِه ، واهْدِ به »[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا علي بن بحر ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن[٢] يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة الأزدي ، عن النبي ﷺ أنه ذكر معاوية فقال : « اللَّهمَّ اجعلْه هادياً مَهْديّاً ، واهدِ به »[٣] .

وهكذا رواه الترمذي[٤] عن محمد بن يحيى ، عن أبي مُسْهر ، عن سعيد بن عبد العزيز به ، وقال : حسن غريب .

وقد رواه عمر بن عبد الواحد ومحمد بن سليمان الحرّاني ، كما رواه الوليد بن مسلم وأبو مُسْهر عن سعيد ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة .

ورواه محمد بن المصفَّى ، عن مروان بن محمد الطّاطَري ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس ، عن ابن أبي عَميرة : أن رسول الله ﷺ دعا لمعاوية فقال : « اللهمَّ علِّمه العلم ، واجعله هادياً مَهْدياً ، واهدِه ، واهدِ به » .

وقد رواه سلمة بن شَبيب ، وصفوان بن صالح ، وعيسى بن هلال ، وأبو الأزهر عن مروان الطّاطَري ، ولم يذكروا أبا إدريس في إسناده .

ورواه الطبراني ، عن عبدان بن أحمد ، عن علي بن سهل الرّملي ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة المزني : أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر معاوية فقال : « اللهمَّ اجعلْه هادياً مَهْديّاً ، واهدِه » .

قال ابن عساكر : وقول الجماعة هو الصواب .

وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث ، وأطنب فيه وأطرب ، وأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد ، فرحمه الله ، كم له من موطن يبرِّز فيه على غيره من الحفّاظ والنقّاد .

وقال الترمذي : حدّثنا محمد بن يحيى ، حدّثنا عبد الله بن محمد النُّفيلي ، حدّثنا عمرو بن واقد ، عن يونس بن حَلْبَس ، عن أبي إدريس الخولاني قال : لما عزل عمر بن الخطاب عُمير بن سعد عن حِمْص ولَّى معاوية فقال الناس[٥] : عزل عُمر عُميراً وولَّى معاوية ، فقال عُمير[٦] : لا تذكروا معاوية إلَّا

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٧) .

(٢) في أ : عن خطأ .

(٣) مسند أحمد (٤/ ٢١٦) .

(٤) برقم (٣٨٤٢) في المناقب .

(٥) في ط : « عن الشام وولى معاوية قال الناس » وما أثبتناه من م وجامع الترمذي .

(٦) في (أ) و(ط) : عمر .

بخير ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهمَّ اهدِ به » . تفرد به الترمذي[١] وقال : غريب . وعمرو بن واقد ضعيف .

هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عمير بن سعد الأنصاري . وعندي أنه ينبغي أن يكون من رواية عمر بن الخطاب ، ويكون الصواب فقال عمر : لا تذكروا معاوية إلّا بخير ، ليكون عذراً له في توليته له .

ومما يقوِّي هذا أن هشام بن عمّار قال : حدّثنا ابن أبي السائب ـ هو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان ـ قال : وسمعت أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولَّى معاوية بن أبي سفيان ، فقالوا : ولَّى حدث السِّنّ ، فقال : تلومونني في ولايته ، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهمَّ اجعلْه هادياً مَهْدياً ، واهدِ به » .

وهذا منقطع[٢] يقوِّيه ما قبله .

قال الطبراني : حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدّثنا نُعيم بن حمّاد ، حدّثنا محمد بن شُعيب بن شابور ، حدّثنا مروان بن جَناح ، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس ، عن عبد الله بن بُسر أن رسول الله ﷺ استشار أبا بكر وعمر في أمر ، فقال : « أشيروا علَيّ » فقالا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « ادعوا معاوية » فقال أبو بكر وعمر : أما في رسول الله ﷺ ورجلين من رجال قريش [ما يتقنون أمرهم حتى يبعث رسول الله ﷺ إلى غلام من غلمان قريش][٣] ؟! فقال : « ادعوا لي معاوية » فدُعي له ، فلمّا وقف بين يديه قال رسول الله ﷺ : « أَحضِروه أمركم ، وأَشهِدوه أمركم ، فإنه قوي أمين »[٤] .

ورواه بعضهم عن نُعيم ، وزاد « وحمِّلوه أمركم » .

ثم ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة ـ بلا شك ـ في فضل معاوية ، أضربنا عنها صفحاً، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصِّحاح والحِسان والمستجادات عمّا سواها من الموضوعات والمنكرات .

قال ابن عساكر : وأصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس : « أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم » . أخرجه مسلم في « صحيحه »[٥] .

وبعده حديث العِرْباض : « اللهم علِّم معاوية الكتاب »[٦] .

---

(١) وأخرجه برقم (٣٨٤٣) .
(٢) لأن الوليد بن سليمان لم يدرك عمر .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٤) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .
(٥) هكذا قال، وحديث أبي حمزة عن ابن عباس الذي في صحيح مسلم برقم (٢٦٠٤) ليس فيه أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم، والوهم فيه من الحافظ ابن عساكر ، كما يظهر .
(٦) وقد تقدم .

وبعده حديث ابن أبي عَميرة : « اللهم اجعله هادياً مهدياً »[١] .

قلت : وقد قال البخاري في كتاب المناقب[٢] : ذكر معاوية بن أبي سفيان : حدّثنا الحسن بن بشر ، حدّثنا المعافى ، عن عثمان بن الأسود ، عن ابن أبي مُليكة قال : أوترَ معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس ، فأتى ابن عباس فقال[٣] : دعه ، فإنه قد صحب رسول الله ﷺ . حدّثنا ابن أبي مريم ، حدّثنا نافع بن عمر ، حدّثنا ابن أبي مُليكة قال : قيل لا بن عباس : هل لك في أمير المؤمنين معاوية ؟ ما أوتر إلا بواحدة ! قال : أصاب ، إنه فقيه . حدّثنا عمرو بن عباس ، حدّثنا [محمد بن] جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن أبي التيّاح قال : سمعت حُمْران[٤] بن[٥] أبان ، عن معاوية قال : إنكم لتصلُّون صلاة ، لقد صحبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يصلِّيهما ، ولقد نهى عنهما ـ يعني الركعتين بعد العصر .

ثم قال البخاري بعد ذلك : ذكر هند بنت عتبة بنت ربيعة : حدّثنا عبدان[٦] ، حدّثنا عبد الله ، حدّثنا يونس ، عن الزهري ، حدّثني عروة : أن عائشة قالت : « جاءت هند بنت عتبة[٧] فقالت : يا رسول الله ! ما كان على ظهر الأرض من أهل خِبَاء أحبُّ إليَّ من أن يَذِلُّوا من أهل خِبَائك ، [ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهلُ خِبَاء أحبُّ إليَّ أن يعزُّوا من أهل خِبائك][٨] فقال : « وأيضاً والذي نفسي بيده » . قالت[٩] : يا رسول الله ! إن أبا سفيان رجل مِسِّيك ، فهل عليَّ حرجٌ[١٠] أن أُطعم من الذي له عيالَنا ؟ قال : « لا [أُراه] ، إلا بالمعروف »[١١] .

فالمدحة في قوله : « وأيضاً والذي نفسي بيده » وهو أنه كان يود أن هنداً وأهلها وكل كافر يذلُّوا في حال كفرهم ، فلما أسلموا كان يحب أن يَعِزُّوا ، فأعزَّهم الله ـ يعني أهل خبائها .

---

(١) وقد تقدم .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٦٤ ـ ٣٧٦٦) .

(٣) بعد هذا في ط : «أوتر معاوية بركعة بعد العشاء فقال»، وليست في ب وم ولا في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف، لذلك حذفناها .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : حمدان .

(٥) تحرفت في الأصول إلى : عن .

(٦) قال الحافظ ابن حجر في الفتح : هو للجميع ، وقال عبدان أي بصيغة التعليق ، وكلام أبي نعيم في المستخرج يقتضي أن البخاري أخرجه موصولاً عن عبدان . وقد وصله أيضاً البيهقي .

(٧) بعد هذا في ط : «امرأة أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ» وليست في م ولا في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف، لذلك حذفناها.

(٨) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ط .

(٩) في ط : « فقالت » وما هنا من أ وصحيح البخاري .

(١٠) في ط : « من حرج » ولفظة « من » ليست في م ولا في صحيح البخاري .

(١١) أخرجه البخاري رقم (٣٨٢٥) . « والمسّيك » : الشحيح والبخيل .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا رَوْح، حدّثنا أبو أميّة عمرو بن يحيى بن سعيد قال : سمعت جدِّي يحدث: أن معاوية أخذ الإداوة[١] بعد أبي هريرة فتبع رسول الله ﷺ بها ـ وكان أبو هريرة قد اشتكى ـ فبينما هو يُوضىء رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه إليه مرةً أو مرتين وهو يتوضأ فقال : « يا معاوية ! إنْ وليتَ أمراً فاتَّقِ اللهَ واعدِل » . قال معاوية : فما زلت أظن أني سأُبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتُليت . تفرد به أحمد[٢] .

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا ، عن أبي إسحاق الهمداني سعيد بن زُنْبور بن ثابت ، عن عمرو بن يحيى بن سعيد .

ورواه ابن مَنْدة من حديث بشر بن الحكم ، عن عمرو بن يحيى به .

وقال أبو يعلى[٣] : حدّثنا سويد بن سعيد ، حدّثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، عن جدِّه ، عن معاوية قال : « اتبعت رسول الله ﷺ بوضوء ، فلما توضأ نظر إلي فقال : « يا معاوية ! إنْ وليتَ أمراً فاتَّقِ اللهَ واعدِل » . فما زلت أظن أني مبتلىً بعمل حتى وليت .

ورواه غالب القطّان عن الحسن قال : سمعت معاوية يخطُب وهو يقول : صببت يوماً على رسول الله ﷺ وضوءه ، فرفع رأسه إلي فقال : « أما إنَّك ستَلي أمرَ أمَّتي بعدي ، فإذا كانَ ذلك فاقبَلْ من مُحسنِهم وتجاوَزْ عن مُسِيئهم » . قال : فما زلت أرجو حتى قمت مقامي هذا .

وروى البيهقي عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر ، عن عبد الملك بن عُمير قال : قال معاوية : والله ما حَملني على الخلافة إلّا قول رسول الله ﷺ : « إنْ ملكتَ فأَحسِنْ » . قال البيهقي : إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف ، إلّا أن للحديث شواهد[٤] .

وروى ابن عساكر بإسناده عن نُعيم بن حمّاد : حدّثنا محمد بن حرب ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، حدّثنا محمد بن زياد ، عن عوف بن مالك الأَشْجعي قال : بينما أنا راقد في كنيسة يوحنا ـ وهي يومئذ مسجد يصلَّى فيها ـ إذ انتبهت من نومي فإذا أنا بأسد يمشي بين يديّ ، فوثبت إلى سلاحي ، فقال الأسد : مَهْ ، إنما أُرسلت إليك برسالة لتبلّغها . قلت : ومن أرسلك ؟ قال : اللهُ أرسلني إليك لتبلِّغ معاوية السلام ، وتعلمه أنه من أهل الجنة ، فقلت له : ومن معاوية ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان .

ورواه الطبراني ، عن أبي يزيد القراطيسي ، عن المعلّى بن الوليد القعقاعي ، عن محمد بن حبيب الخَولاني ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغسّاني ، وفيه ضعف . وهذا غريب جداً ، ولعل الجميع مناماً ، ويكون قوله : « إذ انتبهت من نومي » مدرجاً لم يضبطه ابن أبي مريم ، والله أعلم .

---

(١) « الإداوة » : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

(٢) وهو في مسنده (٤/ ١٠١) وهو حديث معلول ، وقد تقدم في أول المجلد الكلام عليه (ص٦) فراجعه .

(٣) مسند أبي يعلى (٧٣٨٠) وإسناده ضعيف .

(٤) ما تقدم في أول هذا الجزء .

وقال محمد بن عائذ : عن الوليد ، عن ابن لَهِيعة ، عن يونس ، عن الزهري قال : قدم عمر الجابية ، فنزع شُرَحبيل ، وأمر عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر ، وبقَّى الشام على أميرين أبي عبيدة ويزيد ، ثم توفي أبو عبيدة ، فاستخلف عياض بن غَنْم ، ثم توفي يزيد فأمّر معاوية مكانه ، ثم نعاه عمر لأبي سفيان ، فقال : يا أبا سفيان احتسِبْ يزيد بن أبي سفيان ، قال : من أمَّرت مكانه ؟ قال : معاوية ، فقال : وصلتَ رحماً يا أمير المؤمنين . فكان على الشام معاوية [وعمير بن سعد حتى قتل عمر][1] .

وقال محمد بن إسحاق : مات أبو عبيدة في طاعون عَمَواس[2] واستخلف معاذاً ، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان ، فمات واستخلف أخاه معاوية ، فأقرَّه عمر ، وولّى عمرو بن العاص فلسطين والأردن ، ومعاوية دمشق وبعلبكّ والبَلقاء ، وولّى سعيد بن عامر بن حِذْيَم[3] حمص ، ثم جمع الشام كلّها لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم استمرَّ به عثمان بن عفان .

وقال إسماعيل بن أميَّة : أفرد عمر معاويةَ بإمرة الشام ، وجعل له في كل شهر ثمانين ديناراً . والصواب أن الذي جمع لمعاوية الشام كلَّها عثمان بن عفان ، وأما عمرُ فإنه إنما ولّاه بعض أعمالها . وقال بعضهم : لما عُزِّيت هند في يزيد بن أبي سفيان ـ ولم يكن منها ـ قيل لها : إنه قد جعل معاوية أميراً مكانه ، فقالت : أو مثل معاوية يُجعل خلفاً من أحد ؟! فوالله لو أنَّ العرب اجتمعت متوافرةً ثم رُمي به فيها لخرج من أي أعراضها (نواحيها)[4] شاء .

وقال آخرون : ذُكر معاوية عند عمر ، فقال : دعوا فتى قريش وابنَ سيِّدها ، إنه لمن يضحك في الغضب ، ولا ينال منه إلّا على الرضا ، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلّا من تحت قدميه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني محمد بن قدامة الجوهري ، حدّثني عبد العزيز بن يحيى ، عن شيخ له قال : لمّا قدم عمر بن الخطاب الشام تلقّاه معاويةُ في موكب عظيم ، فلمّا دنا من عمر قال له : أنت صاحب الموكب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : هو ما بلغك من ذلك . قال : ولمَ تفعلُ هذا ؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافياً إلى بلاد الحجاز . قال : يا أمير المؤمنين ! إنا بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ فيها كثيرة ، فيجب أن نُظهر من عزِّ السلطان ما يكون فيه عزٌّ للإسلام وأهله ويرهبهم به ، فإنْ أمرتَني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت . فقال له عمر : يا معاوية ! ما سألتك عن شيءٍ إلّا تركتني في مثل رواجب الضَّرِس ، لئن كان ما قلت حقّاً إنه لرأي

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ، وتحرف عمير بن سعد في ب إلى : يحيى بن سعيد . تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢١٨) .

(٢) « عمواس » : بفتح أوله وثانيه ، أو بكسر أوله وسكون ثانيه : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس معجم البلدان (٤/ ١٥٧) . وطاعون عمواس كان في سنة ١٨هـ .

(٣) تحرف اسمه في المطبوع إلى : سعد بن عامر بن جذيم .

(٤) كذا وقعت في المطبوع فقط ، وكأنها مقحمة ، وهي شرح للأعراض .

أريب ، وإن كان باطلاً إنه لخديعة أديب . قال : فمُرْني يا أمير المؤمنين بما شئت . قال : لا آمرك ولا أنهاك . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ! ما أحسن ما صَدَر عما أوردتَه فيه ! فقال عمر : لحُسْن موارده ومصادره جشَّمناه ما جشَّمناه[١] .

وفي رواية : أن معاوية تلقَّى عمر حين قدم الشام ، ومعاويةُ في موكب كثيف ، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار ، ولم يشعر بهما ، فقيل له : إنك جاوزتَ أمير المؤمنين ، فرجع ، فلمّا رأى عمرَ ترجَّل وجعل [يمشي وعمرُ يحدِّثه حتى انهال عرقه وكثر اصفرار لونه وجعل][٢] يقول له ما ذكرنا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما أحسن ما صَدَر عمّا أوردتَه فيه يا أمير المؤمنين ! فقال : من أجل ذلك جشَّمناه ما جشَّمناه .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب « الزهد »[٣] : أخبرنا محمد بن [أبي][٤] ذئب ، عن مسلم بن جُنْدب ، عن أسلم ـ مولى عمر ـ قال : قدم علينا معاوية وهو أبيضُ بضٌّ وباضٌّ ، أبضُّ الناس وأجملُهم ، فخرج إلى الحج مع عمر ، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه ، ثم يضع أصبعَه على متن معاوية ، ثم يرفعها عن مثل الشِّراك فيقول : بخٍ بخٍ ، نحن إذاً خيرُ الناس أن جُمع لنا خير الدنيا والآخرة . فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ! سأحدِّثك ؛ إنا بأرض الحمّامات والريف والشهوات ، فقال عمر : سأحدِّثك ، ما بك إلّا إلطافك نفسك بأطيب الطعام وتصبُّحك حتى تضرب الشمسُ متنيك وذوو الحاجات وراء الباب . [فقال : يا أمير المؤمنين علِّمْني أمتثل][٥] . قال : فلمّا جئنا ذا طُوى أخرج معاوية حُلَّة فلبسها ، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب ، فقال : يعمد أحدكم يخرُج حاجّاً تَفِلاً[٦] ، حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمةً أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطِّيب فلبسهما ! فقال معاوية : إنما لبستُهما لأدخل فيهما على عشيرتي وقومي . والله لقد بلغني أذاك هاهنا وبالشام ، فاللهُ يعلم أني لقد عرفت الحياء فيه . ثم نزع ثوبيه ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما[٧] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني أبي ، عن هشام بن محمد ، عن أبي عبد الرحمن المدني قال : كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال : هذا كسرى العرب[٨] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٥/ ١٨) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع .
(٣) كتاب الزهد (رقم ٥٧٦) .
(٤) سقطت من المطبوع .
(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٦) « التفل » : الذي ترك استعمال الطيب . وقد وقعت في المطبوع : مقلاً ، خطأ .
(٧) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ١٩) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٤) .
(٨) المصدر السابق .

وهكذا حكى المدائني عن عمر أنه قال ذلك .

وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي : عن جدِّه قال : دخل معاويةُ على عمرَ وعليه حُلَّة خضراء ، فنظر إليها الصحابة ، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدِّرَّة ، وجعل يضربه بها ، وجعل معاوية يقول : يا أمير المؤمنين اللهَ اللهَ فيّ . فرجع عمر إلى مجلسه ، فقال له القوم : لمَ ضربتَه يا أمير المؤمنين وما في قومك مثله ؟ فقال : والله ما رأيت إلّا خيراً ، وما بلغني إلّا خير [ولو بلغني غير ذلك لكان مني إليه غير ما رأيتم][1] ولكن رأيته ـ وأشار بيده ـ فأحببتُ أن أضع منه ما شمخ .

وقد قال أبو داود : حدّثنا سليمان بن عبد الرحمن الدِّمشقي ، حدّثنا يحيى بن حمزة ، حدّثنا ابن أبي مريم ، أن القاسم بن مُخَيمرة أخبره ، أن أبا مريم الأزدي أخبره قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعَمَنا بك[2] أبا فلان ـ وهي كلمة تقولها العرب ـ فقلت : حديث سمعتُه أخبرك به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ولّاه اللهُ شيئاً من أمر المسلمين فاحتجَبَ دونَ حاجتِهم وخَلَّتِهم[3] وفَقْرهم احتجَب اللهُ دونَ حاجتِه وخَلَّتِه وفَقْره » . قال : فجعل معاوية ـ حين سمع هذا الحديث ـ رجلاً على حوائج الناس[4] .

ورواه الترمذي[5] وغيره .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا مروان[6] بن معاوية الفَزَاري ، حدّثنا حبيب بن الشّهيد ، عن أبي مِجْلَز قال : خرج معاوية على الناس ، فقاموا له ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أحبَّ أن يمثُلَ له الرجالُ قِياماً فليتبوَّأ مقعَدَهُ من النّار »[7] .

وفي رواية : قال : خرج معاوية على ابن عامر وابن الزبير ، فقام له ابن عامر ولم يقم ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أحبَّ أن يمثُلَ له العباد قياماً فليتبوَّأ مقعَدَهُ من النّار »[8] .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، ولا مختصر تاريخ دمشق وسير أعلام النبلاء .
(٢) ما أنعمنا بك : أي ما جاءنا بك ، أو ما أعملك إلينا .
(٣) « الخَلَّة » : بفتح الخاء ـ الحاجة .
(٤) أخرجه أبو داود (٢٩٤٨) في الخراج والإمارة والفيء : باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية ، وهو حديث صحيح .
(٥) برقم (١٣٣٣) في الأحكام : باب ما جاء في إمام الرعية .
(٦) تحرف في آ إلى : هارون .
(٧) في المسند (٤/ ١٠٠) وهو حديث صحيح . وقد قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٣١) : أن يُلزمهم بالقيام صفوفاً على طريق الكبر والتوجُّه ، أو أن يقام على رأسه وهو جالس . وقال ابن الأثير في جامع الأصول (٦/ ٥٣٦) : مثَل الناس للأمير قياماً : إذا قاموا بين يديه وعن جانبيه وهو جالس ، نهي عنه ، لأن الباعث عليه الكبر وإذلال الناس .
(٨) مسند أحمد (٤/ ٩١) وهو حديث صحيح .

ورواه أبو داود[١] والترمذي[٢] من حديث حبيب بن الشهيد ، وقال الترمذي : حديث حسن[٣]

وروى أبو داود[٤] من حديث الثَّوري ، عن ثور بن يزيد ، عن راشد بن سعد المَقْرائي الحمصي ، عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّكَ إنْ تتبَّعْتَ عَوْراتِ الناسِ أفسَدْتَهُمْ أو كدتَ أنْ تُفسِدَهم » قال [أبو الدرداء] : كلمة سمعها معاوية نفعه الله بها . تفرد به أحمد[٥] . يعني أنه كان جيِّد السِّيرة ، حسن التجاوز ، جميل العفو ، كثير السّتر ، رحمه الله تعالى .

وثبت في « الصحيحين » من حديث الزُّهري ، عن حُميد بن عبد الرحمن ، عن معاوية أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بهِ خيراً يفقِّهْهُ في الدِّين ، وإنَّما أنا قاسمٌ واللهُ يُعْطي ، ولا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خالَفَهم حتى يأتي أمرُ اللهِ وهم ظاهرون » . وفي رواية : « وهم على ذلك »[٦]

وقد خطب معاوية بهذا الحديث مرة ثم قال : وهذا مالك بن يُخامِر يخبر عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال : « وهم بالشام »[٧] يحثُّ بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق ، وأن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها . وهذا مما كان يحتج به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق .

وقال الليث بن سعد : فتح معاوية قيساريَّة سنة تسع عشرة في دولة عمر بن الخطاب .

وقال غيره : وفتح قُبرص سنة خمس ـ وقيل : سبع ، وقيل : ثمان ـ وعشرين في أيام عثمان .

قالوا : وكان عام غزوة المضيق ـ يعني مضيق القُسْطنطينية ـ في سنة اثنتين وثلاثين في أيامه ، وكان هو الأمير على الناس عامئذ .

وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام [وقيل : إن عمر هو الذي جمعها له . والصحيح عثمان][٨] . واستقضى معاويةُ فَضَالة بن عبيد بعد أبي الدرداء . ثم كان ما كان بينه وبين عليٍّ بعد قتل عثمان على سبيل الاجتهاد والرأي ، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدَّمنا ، وكان الحقُّ والصواب مع عليّ ، ومعاوية معذور

(١) برقم (٥٢٢٩) في الأدب : باب في قيام الرجل للرجل .
(٢) برقم (٢٧٥٥) في الأدب : باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل .
(٣) وإنما اقتصر الإمام الترمذي على تحسينه لما في لفظه من اختلاف ، فانظر علل ابن أبي حاتم (٢٥٣١) (بشار) .
(٤) أبو داود (٤٨٨٨) في الأدب : باب في النهي عن التجسس وهو حديث صحيح . وما ورد ضمن حاصرتين مستدرك منه .
(٥) هكذا قال وهو وهم بين من المصنف أو سبق قلم منه رحمه الله صوابه : «تفرد به أبو داود» ، إذ لا علاقة لأحمد هنا (بشار) .
(٦) رواه البخاري رقم (٧١) وأخرجه مسلم رقم (١٠٣٧) (١٠٠) بقسمه الأول ، وأخرجه بتمامه رقم (١٠٣٧) الذي بعد (١٩٢٣) من طريق يزيد بن الأصم عن معاوية والرواية الأخرى أخرجها البخاري رقم (٣٦٤١) و(٧٤٦٠) من طريق عمير بن هانىء عن معاوية .
(٧) رواه البخاري رقم (٣٦٤١) و(٧٤٦٠) .
(٨) ما بين حاصرتين ليس في أ .

عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد شهدتِ الأحاديثُ الصحيحة بالإسلام للفريقين من الطرفين ـ أهل العراق وأهل الشام ـ كما ثبت في الحديث الصحيح « تمرُقُ مارقَةٌ على خير فُرْقةٍ من المسلمين ، فيقتلُها أَدنى الطائفتينِ إلى الحقّ »[١] فكانت المارقة الخوارج ، وقتلَهم عليٌّ وأصحابه .

ثم قُتل علي ، فاستقلَّ معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين ، وكان يغزو الروم في كلِّ سنة مرتين مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويأمر رجلاً من قومه فيحج بالناس ، وحج هو سنة خمسين ، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين ، وفيها ـ أو في التي بعدها ـ أغزاه بلاد الروم [فسار معه خلقٌ كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القُسْطنطينية . وقد ثبت في الصحيح : « أوَّلُ جيشٍ يغزو القُسْطنطينيةَ مغفورٌ لهُم »][٢] .

وقال وكيع : عن الأعمش ، عن أبي صالح قال : كان الحادي يحدو بعثمان فيقول :

إنَّ الأميـرَ بعـدَهُ علـيُّ ... وفي الزُّبير خلفٌ مَرْضيُّ

فقال كعب : بل هو صاحب البغلة الشَّهباء ـ يعني معاوية [فأتاه معاوية][٣] فقال : يا أبا إسحاق ! تقول هذا وهاهُنا عليٌّ والزبيرُ وأصحاب محمد ﷺ ؟ فقال : أنت صاحبُها .

ورواه سيف ، عن بدر بن الخليل ، عن عثمان بن عطيَّة[٤] الأسدي ، عن رجل من بني أسد قال : ما زال معاوية يطمع فيها منذ سمع الحادي في أيام عثمان يقول :

إنَّ الأميـرَ بعـدَهُ علـيُّ ... وفي الزُّبير خلفٌ مَرْضيُّ

فقال كعب : كذبتَ ، بل صاحب البغلة الشَّهباء بعده ـ يعني معاوية ـ فقال له معاوية في ذلك ، فقال : نعم ، أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذِّب بحديثي هذا . فوقعت في نفس معاوية[٥] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا محمد بن عبّاد المكي ، حدّثنا سفيان بن عُيينة ، عن أبي هارون قال : قال عمر : إياكم والفُرقة بعدي ، فإن فعلتم فإنَّ معاوية بالشام ، وستعلمون إذا وُكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها دونكم[٦] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢ و٤٨) ومسلم (١٠٦٥) (١٥٠) في الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، وأبو داود (٤٦٦٧) في السنة : باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة . كلهم من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) ما بين حاصرتين من ط ، ب ، ومكانه في أ : وقد تقدم هذا كله . وخرجنا الحديث في أحداث سنة تسع وأربعين من هذا الجزء .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في تاريخ الطبري : قطبة .

(٥) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٣) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٢٥) .

(٦) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٢٥) .

ورواه الواقدي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه .

وقد روى ابن عساكر عن عامر الشَّعبي : أن عليّاً حين بعث جرير بن عبد الله البَجَلي إلى معاوية قبل وقعة صفِّين ـ وذلك حين عزم عليٌّ على قصد الشام ، وجمع الجيوش لذلك ـ وكتب معه كتاباً إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعتُه لأنه قد بايعه المهاجرون والأنصار ، فإن لم تبايع استعنتُ بالله عليك وقاتلتُك ، وقد أكثرت القول في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله . . . في كلام طويل ، وقد قدَّمنا أكثره . فقرأه معاوية على الناس ، وقام جرير فخطب الناس ، وأمر في خطبته معاوية بالسمع والطاعة ، وحذَّره من المخالفة والمعاندة ، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس ، وأن يضرب بعضهم بعضاً بالسيوف . فقال له معاوية : انتظر حتى آخذ رأي أهل الشام . فلمّا كان بعد ذلك أمر معاوية منادياً فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فلمّا اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال : « الحمدُ لله الذي جعلَ الدَّعائم للإسلام أركانا ، والشرائع للإيمان بُرْهانا ، يتوقَّد مصباحُه بالسنَّة في الأرض المقدَّسة التي جعلها الله محلَّ الأنبياء والصالحين من عباده ، فأحلَّها أهل الشام ، ورضيهم لها ورضيها لهم ، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم أولياءه فيها ، والقوام بأمره ، الذابِّين عن دينه وحُرماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي أعلام الخير عظاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم الألفة بين المؤمنين ، والله نستعين على إصلاح ما تشعَّث من أمور المسلمين ، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة . اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائماً ، ويريدون هراقة دمائنا ، وإخافة سبيلنا ، وقد يعلم الله أنّا لا نريد لهم عقاباً ، ولا نَهتِك لهم حجاباً ، غير أنَّ الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننتزعَه طوعاً ما جاوب الصَّدى ، وسقط النَّدى ، وعرف الهدى . وقد علمنا أنَّ الذي حملهم على خلافنا البغيُ والحسدُ لنا ، فاللهَ نستعين عليهم . أيُّها الناس قد علمتم أني خليفةُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأني خليفةُ أمير المؤمنين عثمان عليكم ، وأني لم أُقم رجلاً منكم على خزاية قطّ ، وإني وليُّ عثمان وابن عمِّه . قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] وقد علمتم أنه قُتل مظلوماً ، وأنا أحبُّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقال أهل الشام بأجمعهم : بل نطلبُ بدمه ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ، ووثَّقوا له أن يبذلوا في ذلك أنفسَهم وأموالَهم ، أو يدركوا بثأره ، أو يفني اللهُ أرواحَهم قبل ذلك . فلمّا رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية ما رأى أفزعه ذلك وعجب منه .

وقال معاوية لجرير : إنْ ولّاني على الشام ومصر بايعتُه على ألا يكون لأحد بعده عليَّ بَيْعة . فقال : اكتب إلى عليٍّ بما شئتَ وأنا أكتب معك . فلما بلغ عليّاً الكتاب قال : هذه خديعة ، وقد سألني المغيرةُ بن شعبة أن أولي معاوية الشام وأنا بالمدينة ، فأبيتُ ذلك ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] . ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه ، فما قدم إلّا وقد اجتمعت العساكر إلى عليّ .

وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ـ وكان معتزلاً بفلسطين حين قُتل عثمان ، وكان عثمان قد عزله عن مصر فاعتزل بفلسطين ـ فكتب معاوية يستدعيه ليستشيرَه في أموره ، فركب إليه ، فاجتمعا على حرب علي .

وقد قال [الوليد بن][1] عُقبة بن أبي مُعَيط في كتاب معاوية إلى عليٍّ حين سأله نيابة الشام ومصر ، فكتب إلى معاوية يؤنِّبه ويلومُه على ذلك ويعرِّض بأشياء فيه :

مُعاويَ إنَّ الشَّامَ شامُكَ فاعتصِمْ ... بشامِكَ لا تُدخِلْ عليكَ الأَفاعِيَا
فـإنَّ عليّـاً نـاظـرٌ مـا تُجيبُـهُ ... فأَهْدِ لهُ حرباً تُشِيبُ النَّواصِيَا
وحَـام علَيهـا بـالقِتـال وبـالقَنـا ... ولا تَكُ مَخْشُوشَ الذِّراعَيْن وانِيَا
وإلَّا فسَلِّـم إنَّ فـي الأمـن راحـةً ... لمنْ لا يريدُ الحربَ فاخترْ معاوِيَا
وإنَّ كتـابـاً يـا بـنَ حـربٍ كتبتَـهُ ... على طمعٍ جانٍ عليكَ الدَّواهِيَا
سـألـتَ عليّـاً فيـه مـا لا تَنـالُـهُ ... ولـو نلتَـهُ لـم يبـقَ إلَّا ليـاليَـا
إلى أنْ ترىٰ منهُ التي ليس بعدَها ... بقـاءٌ فـلا تكثِـرْ عليـكَ الأَمـانيَـا
ومثـلُ علـيٍّ تغتـرزُهُ بخـدعَـةٍ ... وقد كانَ ما خرَّبتَ من قبلُ بانيَا
ولـو نَشِبَـتْ أظفـارُهُ فيـكَ مـرَّةً ... فَراكَ ابنَ هندٍ بعد ما كنتَ فاريَا[2]

وقد ورد من غير وجه : أنَّ أبا مسلم الخولاني وجماعةً معه دخلوا على معاوية فقالوا له : أنت تنازع عليّاً أم أنت مثله ؟ فقال : والله إني لأعلم أنه خيرٌ مني وأفضل ، وأحقُّ بالأمر مني ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأنا ابن عمِّه ، وأنا أطلب بدمه وأمره إلي ؟ فقولوا له : فليسلِّم إليَّ قَتَلَةَ عثمان وأنا أسلِّم له أمره . فأتوا علياً فكلموه في ذلك ، فلم يدفع إليهم أحداً . فعند ذلك صمَّم أهل الشام على القتال مع معاوية[3] .

وعن عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشَّعبي وأبي جعفر الباقر قال : بعث عليٌّ رجلاً إلى دمشق يُنذرهم أن عليّاً قد نَهَدَ[4] في العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية ، فلمّا قدم أمر معاوية فنُودي في الناس : الصلاة جامعة ، فملؤوا المسجد ، ثم صعد المنبر فقال في خطبته : إن عليّاً قد نَهَد إليكم في أهل العراق فما الرأي ؟ فضرب كلٌّ منهم على صدره ، ولم يتكلَّم أحدٌ منهم ، ولا رفعوا إليه

---

(١) سقط من (أ) و(ط) .
(٢) الأبيات في وقعة صفين للجعفي (ص٥٩) وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣/ ٨٤ ـ ٨٥) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣١ ـ ٣٢) مع اختلاف ببعض الألفاظ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٢) .
(٤) « نهد » : نهض .

أبصارهم ، وقام ذو الكَلاَع فقال : يا أمير المؤمنين ! عليك الرأي وعلينا الفعال . ثم نادى معاوية في الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم في ثلاثٍ ، فمن تخلَّف بعدها فقد أحلَّ بنفسه . فاجتمعوا كلهم ، فركب ذلك الرجل إلى عليٍّ فأخبره ، فأمر عليٌّ منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد المنبر فقال : إن معاوية قد جمع الناس لحربكم فما الرأي ؟ فقال كلُّ فريق منهم مقالة ، واختلط كلام بعضهم في بعض ، فلم يدرِ عليٌّ مما قالوا شيئاً ، فنزل عن المنبر وهو يقول : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ذهب والله بها ابنُ آكلةِ الأكباد[1] . ثم كان من أمر الفريقين ما كان ، كما ذكرناه مبسوطاً في سنة ست وثلاثين .

وقد قال أبو بكر بن دُريد : أنبأنا أبو حاتم ، عن أبي عُبيدة قال : قال معاوية : لقد وضعتُ رجلي في الرِّكاب وهممتُ يوم صفِّين بالهزيمة ، فما منعني إلا قولُ ابن الإطنابة حيث يقول :

أبَتْ لي عفَّتي وأَبى بَلائي ... وأخذي الحمدَ بالثمنِ الرَّبيح
وإكراهي على المكروهِ نَفْسي ... وضَرْبي هامةَ البطلِ المُشِيح
وقولي كلَّما جَشَأَتْ وجاشَتْ ... مكانَكِ تُحمَدي أو تَسْتريحي[2]

وروى البيهقي عن الإمام أحمد أنه قال : الخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . فقيل له : فمعاوية ؟ قال : لم يكن أحدٌ أحقَّ بالخلافة في زمان عليٍّ من عليّ ، ورحم الله معاوية .

وقال علي بن المَديني : سمعت سفيان بن عُيينة يقول : ما كانت في علي خصلةٌ تقصِّر به عن الخلافة ، ولم يكن في معاوية خصلةٌ ينازع بها علياً .

وقيل لشَريك القاضي : كان معاوية حليماً ؟ فقال : ليس بحليم مَنْ سفه الحقَّ وقاتل علياً . رواه ابن عساكر[3] .

وقال سفيان الثوري : عن حبيب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أنه ذكر معاوية وأنه لبَّى عشية عرفة ، فقال فيه قولاً شديداً . ثم بلغه أن علياً لبَّى عشية عرفة ، فتركه .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني عبّاد بن موسى ، حدّثنا علي بن ثابت الجزري ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده ،

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٦) .
(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٢) . والأبيات في الاختيارين (ص١٥٩ ـ ١٦٠) وعيون الأخبار (١/ ١٢٦) والعقد الفريد (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥) وغيرها من كتب الأدب . وابن الإطنابة : هو عمرو بن عامر بن زيد مناة الكعبي الخزرجي ، شاعر جاهلي فارس ، اشتهر بنسبته إلى أمه الإطنابة بنت شهاب .
(٣) في تاريخه ، مختصره (٢٥/ ٣٨) .

فسلَّمت وجلست ، فبينما أنا جالسٌ إذ أتي بعلي ومعاوية ، فأُدخلا بيتاً وأُجيف[١] الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قُضي لي وربِّ الكعبة . ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول : غُفر لي وربِّ الكعبة .

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل : إني أُبغِض معاوية ، فقال له : ولِمَ ؟ قال : لأنه قاتَل علياً ، فقال له أبو زرعة : ويحك ! إن ربَّ معاوية ربٌّ رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فأيش دخولك أنت بينهما ؟ رضي الله عنهما[٢] .

وسئل الإمام أحمد عمّا جرى بين علي ومعاوية ، فقرأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٤] . وكذا قال غير واحد من السلف .

وقال الأوزاعي : سُئل الحسن عمّا جرى بين علي وعثمان ، فقال : كانت لهذا سابقةٌ ولهذا سابقة ، ولهذا قرابةٌ ولهذا قرابة ، فابتُلي هذا وعُوفي هذا . وسُئل عمّا جرى بين علي ومعاوية ، فقال : كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة ، ولهذا سابقةٌ ولم يكن لهذا سابقة ، فابتُليا جميعاً .

وقال كلثوم بن جَوْشن : سأل النضر أبو عمر الحسَن البصري فقال : أبو بكر أفضل أَمْ علي ؟ فقال : سبحان الله ! ولا سواء ، سبقت لعلي سوابق يشركه فيها أبو بكر ، وأحدث علي حوادثَ لم يشركه فيها أبو بكر ، أبو بكر أفضل . قال : فعمر أفضل أم علي ؟ فقال مثل قوله في أبي بكر ، ثم قال : عمر أفضل . ثم قال : عثمان أفضل أم علي ؟ فقال مثل قوله الأول ، ثم قال : عثمان أفضل . قال : فعلي أفضل أم معاوية ؟ فقال : سبحان الله ! ولا سواء ، سبقت لعلي سوابقُ لم يشركه فيها معاوية ، وأحدث علي أحداثاً شركه فيها معاوية ، علي أفضل من معاوية .

وقد روى عن الحسن البصري : أنه كان ينقم على معاوية أربعة أشياء : قتالَه عليّاً ، وقتلَه حُجر بن عدي ، واستلحاقَه زياد بن أبيه ، ومبايعتَه ليزيد ابنه .

وقال جرير بن عبد الحميد : عن مغيرة قال : لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه وقد قاتلتَه ؟ فقال : ويحكِ ! إنك لا تدرينَ ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم . [وفي رواية : أنها قالت له : بالأمس تقاتله واليوم تبكيه][٣] ؟!

قلت : وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين ، ولهذا قال الليث بن سعد : إنَّ معاوية بُويع له بإيلياء بيعة الجماعة ، ودخل الكوفة سنة أربعين . والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور أنه بُويع له

---

(١) أجيف الباب : رُدَّ وأغلق .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٩) .
(٣) سقطت هذه الرواية في ب .

بإيلياء في رمضان سنة أربعين حين بلغ أهل الشام مقتل علي ، ولكنَّه إنما دخل الكوفة بعد مصالحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، وذلك بمكان يقال له أَذْرُح[١] ، وقيل بمسكن من أرض سواد العراق من ناحية الأَنْبار ، فاستقلَّ معاوية بالأمر إلى أن مات سنة ستين .

قال بعضهم : كان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب . وقيل : بل كان : لا قوَّة إلّا بالله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيبة وسعيد بن منصور قالا : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرَّة ، عن سعيد بن سويد قال : صلَّى بنا معاوية بالنُّخيلة ـ يعني خارج الكوفة ـ الجمعة في الضحى ثم خطبنا فقال : ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، قد عرفتُ أنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمَّر عليكم ، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون[٢] .

ورواه محمد بن سعد ، عن يعلَى بن عبيد ، عن الأعمش به .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا عارم ، حدّثنا حمّاد بن زيد[٣] ، عن مَعْمر ، عن الزُّهري : أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه ، ثم إنه بَعُدَ عن ذلك .

وقال نعيم بن حمّاد : حدّثنا ابن فُضيل ، عن السَّري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، حدّثني سفيان بن الليل قال : قلت للحسن بن علي لمّا قدم من الكوفة إلى المدينة : يا مُذِلَّ المؤمنين . قال : لا تقل ذلك ، فإني سمعت [أبي][٤] يقول : « لا تذهبُ الأيام والليالي حتى يملكَ معاوية » فعلمت أنَّ أمر الله واقع ، فكرهتُ أن تُهراقَ بيني وبينه دماء المسلمين .

وقال مُجالد : عن الشعبي ، عن الحارث الأعور قال : قال عليٌّ بعدما رجع من صفِّين : أيها الناسُ ! لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تَنْدُر[٥] عن كواهلها كأنها الحنظل .

وقال ابن عساكر بإسناده عن أبي داود الطيالسي : حدّثنا أيوب بن جابر ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ابن يزيد قال : قلت لعائشة : ألا تعجبينَ لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد ﷺ في الخلافة ؟ فقالت: وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البَرَّ والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة[٦] .

---

(١) وقعت في أ: أدرح وفي ط، ب: أدرج وكله تصحيف، فقد نص ياقوت في معجمه (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) على أنها بالحاء المهملة وقال : وقد وهم فيه قوم فرووه بالجيم . وهي بلدة في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز .

(٢) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٨) وفيه سعيد بن سويد وهو مجهول .

(٣) تحرف في ط إلى : يزيد .

(٤) ما بين حاصرتين من ب، وم وكذلك في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٧)، ووقع في أ، ط : «رسول الله ﷺ» .

(٥) « تندر » : تسقط .

(٦) بعد هذا في ط العبارة الآتية: «وكذلك غيره من الكفار» وليست في ب، م ولا في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٢) .

وقال الزهري : حدّثني القاسم بن محمد : أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة فكلّمها خاليَيْن لم يشهد كلامهما أحد إلّا ذكوان أبو عمرو مولى عائشة ، فقالت : أمنتَ أن أخبَأ لك رجلاً يقتلك بقتلك أخي محمداً ؟ فقال : صدقت ، فلمّا قضى معاوية كلامه معها تشهَّدت عائشة ثم ذكرت ما بعث الله به نبيَّه ﷺ من الهدى ودين الحق ، والذي سنَّ الخلفاءُ بعده ، وحضَّتْ معاوية على العدل واتباع أثرهم ، فقالت في ذلك فلم تترك له عذراً . فلمّا قضت مقالتها قال لها معاوية : أنت ـ والله ـ العالمةُ العاملة بأمر رسول الله ﷺ الناصحة المشفقة البليغة الموعظة ، حضضتِ على الخير ، وأمرتِ به ، ولم تأمرينا إلّا بالذي هو لنا مصلحة ، وأنتِ أهل أن تُطاعي . وتكلمتْ هي ومعاوية كلاماً كثيراً . فلمّا قام معاوية اتّكأ على ذكوان وقال : والله ما سمعتُ خطيباً ـ ليس رسول الله ﷺ ـ أبلغَ من عائشة[١] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا خالد بن مَخْلد البجلي ، حدّثنا سليمان بن بلال ، حدّثني علقمة بن أبي علقمة ، عن أمِّه قالت : قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة ، فأرسل إلى عائشة : أن أرسلي إلي بأَنْبِجانيَّة رسول الله ﷺ وشعره ، فأرسلتْ به معي أحمله ، حتى دخلتُ به عليه ، فأخذ الأَنْبِجانيَّة فلبسها ، وأخذ شعره فدعا بماءٍ فغسله وشربه وأفاض على جلده[٢] .

وقال الأصمعي : عن الهُذَلي [عن الشعبي][٣] قال : لما قدم معاويةُ المدينة عام الجماعة تلقَّته رجال من وجوه قريش ، فقالوا : الحمد لله الذي أعزَّ نصرك ، وأعلى أمرك . فما ردَّ عليهم جواباً حتى دخل المدينة ، فقصد المسجد ، وعلا المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني ـ والله ـ ما وليتُ أمركم حين وليتُه وأنا أعلم أنكم لا تُسَرُّون بولايتي ولا تحبُّونها ، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ، ولقد رمتُ نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه ، وأردتُها على عمل ابن الخطاب ، فكانت أشدَّ نفوراً وأعظم هرباً من ذلك ، وحاولتُها على مثل سنّيات عثمان ، فأبتْ عليَّ ، وأين مثلُ هؤلاء ؟! ومَنْ يقدر على أعمالهم ؟ هيهات أن يدرك فضلَهم أحدٌ ممن بعدهم ، رحمة الله ورضوانه عليهم ، غير أني سلكتُ بها طريقاً لي فيه منفعةٌ ولكم فيه مثل ذلك ، ولكلٍّ فيه مواكلةٌ حسنة ، ومشاربةٌ جميلة ، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة ، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خيرٌ لكم ، واللهِ لا أحملُ السيف على مَنْ لا سيفَ معه ، ومهما تقدَّم ما قد علمتموه

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٤٤) .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٤٤ ـ ٤٥) . « والأنبجانية » : كساء من صوف منسوب إلى أنبجان .
(٣) سقط من ب ، والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٨) .

فقد جعلته دُبر أذني ، وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كلِّه فارضَوا مني ببعضه ، فإنها [ليست][١] بقابية قُوبها ، وإنَّ السيل إذا جاء تترى ـ وإن قلَّ ـ أغنى . وإياكم والفتنةَ فلا تهمُّوا بها ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدِّر النعمة ، وتورث الاستئصال . أستغفر الله لي ولكم ، أستغفر الله . ثم نزل .

قال أهل اللغة : القابية : البيضة ، والقوب : الفرخ . قابت البيضة تقوب : إذا انفلقت عن الفرخ .

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حجَّ في سنة أربع وأربعين ، أو في سنة خمسين ، لا في عام الجماعة .

وقال الليث : حدّثني علوان بن صالح بن كيسان : أن معاوية قدِم المدينة أول حجَّة حجها بعد اجتماع الناس عليه ، فلقيه الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجَّه إلى دار عثمان بن عفان ، فلمّا دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها ، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فإنَّ لي حاجةً في هذه الدار ، فانصرفوا ، ودخل معاوية فسكَّن عائشة بنت عثمان ، وأمرها بالكف ، وقال لها : يا بنت أخي ! إن الناس أعطونا سلطاناً فأظهرنا لهم حِلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حِقد ، فبعناهم هذا بهذا ، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحُّوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم ، ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندري أتكون لنا الدائرةُ أم علينا ؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني أمَةً من إماء المسلمين ، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك[٢] .

وقد روى ابن عدي من طريق علي بن زيد ـ وهو ضعيف ـ عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد . [ومن حديث مجالد ـ وهو ضعيف أيضاً ـ عن أبي الوَدّاك ، عن أبي سعيد][٣] أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأَيتم معاويةَ على مِنْبري فاقتُلوه » .

وأسنده أيضاً من طريق الحكم بن ظُهَير ـ وهو متروك ـ عن عاصم ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود مرفوعاً .

وهذا الحديث كذب بلا شك ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم .

وأرسله عمرو بن عبيد عن الحسن البصري . قال أيوب : هو كذب .

---

(١) سقطت من أ ، ط .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٤٦) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

ورواه الخطيب البغدادي[١] بإسناد مجهول ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً : « إذا رأيتُم معاويةَ يخطُب على مِنْبري فاقبَلوه[٢] ، فإنَّه أمينٌ مأمون » .

وقال أبو زرعة الدمشقي : عن دحيم ، عن الوليد ، عن الأوزاعي قال : أدركتُ خلافة معاوية عدَّة من الصحابة منهم : أسامة ، وسعد ، وجابر ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت [ومسلمة[٣] بن مخلَّد ، وأبو سعيد ، ورافع بن خديج ، وأبو أمامة][٤] وأنس بن مالك ، ورجال أكثر ممَّن سمَّينا بأضعاف مضاعفة ، كانوا مصابيح الهدى ، وأوعية العلم ، حضروا من الكتاب تنزيلَه[٥] ، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويلَه . ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله ، منهم : المِسْور بن مَخْرمة ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وسعيد بن المسيِّب [وعروة بن الزبير][٦] وعبد الله بن مُحَيريز . . . في أشباه لهم ، لم ينزعوا يداً من جماعة في أمَّة محمد ﷺ .

وقال أبو زرعة : عن دُحيم ، عن الوليد ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : لمّا قُتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو ، حتى كان عام الجماعة ، فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ، تذهب سريَّة في الصيف وتشتو بأرض الروم ، ثم تقفُل وتعقبُها الأخرى . وكان في جملة من أغزى ابنُه يزيد ومعه خلقٌ من الصحابة ، فجاز بهم الخليج ، وقاتلوا أهل القُسْطنطينية على بابها ، ثم قفل بهم راجعاً إلى الشام[٧] . وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال : شُدَّ خناق الروم .

وقال ابن وهب : عن يونس ، عن الزهري قال : حجَّ معاوية بالناس في أيام خلافته مرَّتين ، وكانت أيامه عشرين سنة إلّا شهراً .

وقال أبو بكر بن عياش : حجَّ بالناس معاوية سنة أربع وأربعين ، وسنة خمسين .

وقال غيره : سنة إحدى وخمسين . فالله أعلم .

وقال الليث بن سعد : حدّثنا بُكير ، عن بُسْر[٨] بن سعيد : أن سعد بن أبي وقّاص قال : ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحقٍّ من صاحب هذا الباب ـ يعني معاوية .

---

(١) في تاريخه (١/ ٢٥٩) .
(٢) تحرفت في أ ، ط إلى : فاقتلوه .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : سلمة .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٥) في أ ، ط بعد هذا : ومن الدين جديده ، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم . وما أثبتناه من ب وهو مطابق لما في تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .
(٦) سقط من المطبوع .
(٧) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ١٨٨) .
(٨) تحرفت هذه اللفظة في ط إلى : بشر وفي أ إلى : يزيد . والخبر في السير (٣/ ١٥٠) .

وقال عبد الرزاق : حدّثنا مَعْمر ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، حدّثنا المِسْور بن مَخْرمة : أنه وفد على معاوية ، قال : فلمّا دخلت عليه ـ حسبت أنه قال : سلَّمت عليه ـ فقال : ما فعل طعنُك على الأئمَّة يا مِسْور ؟ قال : قلت : أرفضنا[١] من هذا وأحسِنْ فيما قدمنا له ، فقال : لتكلِّمنِّي بذات نفسك ، قال : فلم أدع شيئاً أعيبُه عليه إلّا أخبرته به ، فقال : لا تبرأ من الذنوب ، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك ؟ قال : قلت : نعم [إن لي ذنوباً إن لم يغفرها هلكت بسببها][٢] قال : فما الذي يجعلك أحقَّ بأن ترجو أنت المغفرة مني ؟ فوالله لما إلي من إصلاح الرعايا ، وإقامة الحدود ، والإصلاح بين الناس ، والجهاد في سبيل الله ، والأمور العظام التي لا يحصيها إلّا الله ولا نحصيها أكثرُ مما تذكر من العيوب والذنوب ، وإني لعلى دين يقبل اللهُ فيه الحسناتِ ويعفو عن السيِّئات ، والله على ذلك ما كنت لأخيِّر بين الله وغيره إلّا اخترت الله على غيره مما سواه . قال : ففكَّرت حين قال لي ما قال ، فعرفت أنه قد خصمني . قال : فكان المِسْور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير[٣] .

وقد رواه شعيب ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المِسْور بنحوه .

وقال ابن دُريد : عن أبي حاتم ، عن العُتْبي قال : قال معاوية : يا أيها الناس ! ما أنا بخيركم ، وإن منكم لمَنْ هو خير مني : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما من الأفاضل . ولكنْ عسى أن أكون أنفعَكُم ولاية ، وأنكاكم في عدوِّكم ، وأدرَّكم حلباً .

وقد رواه محمد بن سعد ، عن محمد بن مصعب ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن ثابت مولى معاوية : أنه سمع معاوية يقول نحو ذلك[٤] .

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدّثنا عمرو بن واقد ، حدّثنا يونس بن حَلْبَس قال : سمعت معاوية على منبر دمشق يوم جمعة يقول : أيها الناس ! اعقلوا قولي فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني ، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة أو ليخالفنَّ اللهُ بين قلوبكم . خذوا على أيدي سفهائكم أو ليسلطنَّ الله عليكم عدوكم فليسومنَّكم سوء العذاب . تصدَّقوا ، ولا يقولنَّ الرجل : إني مُقِلّ [فإن صدقة المُقِل أفضلُ من صدقة الغني . إياكم وقذفَ المحصَنات ، وأن يقول][٥] الرجل : سمعت وبلغني ، فلو قذف أحدكم امرأةً على عهد نوح لسُئِل عنها يوم القيامة .

---

(١) « أرفضنا » : دعنا .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم (٢٠٧١٧) ورجاله ثقات .

(٤) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/٤٨) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/٤٨ ـ ٤٩) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدّثنا يزيد بن طَهْمان[١] الرَّقاشي ، حدّثنا محمد بن سِيرين قال : كان معاوية [إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ لم يُتَّهم[٢] .

وروى أبو القاسم البغوي : عن سُويد بن سعيد ، عن همام بن إسماعيل ، عن أبي قَبيل قال : كان معاوية][٣] يبعث رجلاً يقال له أبو الجيش في كل يوم ، فيدور على المجالس يسأل : هل وُلِدَ لأحد مولود ؟ أو قدم أحدٌ من الوفود ؟ فإذا أُخبر بذلك أثبتَ في الديوان ـ يعني ليجري عليه الرزق .

وقال غيره : كان معاوية متواضعاً ، ليس له مَجالد إلّا كمجالد الصِّبيان التي يسمُّونها المَخاريق ، فيضرب بها الناس .

وقال هشام بن عمّار : عن عمرو بن واقد ، عن يونس بن مَيْسرة بن حَلْبَس قال : رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردَف وراءه وَصِيفٌ عليه قميص مرقوع الجيب ، وهو يسير في أسواق دمشق .

وقال الأعمش : عن مجاهد أنه قال : لو رأيتُم معاوية لقلتُم : هذا المَهْدي .

وقال هشيم : عن العوّام ، عن جبلة بن سُحيم ، عن ابن عمر قال : ما رأيت أحداً أسودَ من معاوية ، قال : قلت : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسودَ منه[٤] .

ورواه أبو سفيان الحِيري ، عن العوّام بن حَوْشب به ، وقال : ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أسودَ من معاوية ، قيل : ولا أبو بكر ؟ قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان خيراً منه ، وهو أسود منهم .

وروي من طرق عن ابن عمر مثله .

وقال عبد الرزاق : عن مَعْمر ، عن همام ، سمعت ابن عباس يقول : ما رأيتُ رجلاً كان أخلقَ بالملك من معاوية .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا أبو نُعيم ، حدّثنا ابن أبي عتيبة ، عن شيخ من أهل المدينة قال : قال معاوية : أنا أَوَّل الملوك .

وقال ابن أبي خيثمة : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضَمْرة[٥] ، عن ابن شَوْذب قال : كان معاوية يقول : أنا أولُ الملوك وآخرُ خليفة .

---

(١) تحرف في أ إلى : دهمان .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٥٠) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٥٢) .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٥٣) وأورد ابن الأثير في النهاية (٢/ ٤١٨) وقال : قيل : أراد أسخى وأعطى للمال . وقيل : أحلم منه .
(٥) تحرف في المطبوع إلى : حمزة .

قلت : والسنة أن يُقال لمعاوية : ملك ، ولا يقال له : خليفة ، لحديث سَفِينة « الخِلافةُ بعدي ثلاثونَ سنَة ، ثم تكون مُلْكاً عَضُوضاً »[١] .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً وذكر معاوية فقال : ما رأيت مثلَه في حِلْمه [واحتماله وكرمه][٢] .

وقال قَبيصة بن جابر : ما رأيت أحداً أعظم حلماً ، ولا أكثر سُؤدداً ، ولا أبعد أناة ، ولا ألين مخرجاً ، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية .

وقال بعضهم : أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً ، فقيل له : لو سطوتَ عليه ؟ فقال : إني لأستحيي من الله أن يضيقَ حلمي عن ذنب أحد من رعيَّتي . وفي رواية : قال له رجل : يا أمير المؤمنين ما أحلمك ؟! فقال : إني لأستحيي أن يكون جرم أحدٍ أعظمَ من حلمي .

وقال الأصمعي : عن الثوري قال : قال معاوية : إني لأستحيي أن يكون ذنبٌ أعظمَ من عفوي ، أو جهلٌ أكبرَ من حلمي ، أو تكون عورةٌ لا أُواريها بستري .

وقال الشعبي والأصمعي عن أبيه قالا : جرى بين رجل ـ يقال له : أبو الجَهْم ـ وبين معاوية كلام ، فتكلَّم أبو الجَهْم بكلام فيه غمٌّ لمعاوية ، فأطرق معاوية ثم رفع رأسه فقال : يا أبا الجَهْم ! إياك والسُّلطان ، فإنه يغضبُ غضبَ الصِّبيان ، ويأخذُ أخذَ الأسد ، وإنَّ قليلَه يغلب أكثر الناس . ثم أمر معاوية لأبي الجَهْم بمال ، فقال أبو الجَهْم في ذلك يمدح معاوية :

نَميلُ على جوانِبِهِ كأنَّا ... إذا مِلْنا نَميلُ على أَبِينا
نُقَلِّبُهُ لِنَخْبُرَ حالَتَيْهِ ... فنَخْبُر منهُما كرَماً ولِينا[٣]

وقال الأعمش : طاف الحسن بن عليٍّ مع معاوية ، فكان معاوية يمشي بين يديه ، فقال الحسن :

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠ ، ٢٢١) وأبو داود (٤٦٤٦) في السنة : باب في الخلفاء ، والترمذي (٢٢٢٦) في الفتن : باب ما جاء في الخلافة ، من طرق عن سعيد بن جُمْهان (تحرفت هذه اللفظة في سنن أبي داود إلى : جهمان) عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً » . قال سعيد : قال لي سفينة : أمسك خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين ، و خلافة عثمان اثنتي عشرة سنة ، وخلافة علي ست سنين . قال سعيد : قلت لسفينة : إن هؤلاء يزعمون أن علياً عليه السلام لم يكن بخليفة . قال : كذبت أَستاهُ بني الزرقاء ـ يعني بني مروان .
قال الترمذي : وهذا حديث حسن وقد تقدم .
« والملك العضوض » : ملك فيه عسف وظلم .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر مطولاً في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٥٥) .

(٣) ينسب هذان البيتان لعبد المسيح بن دارس ، وأن أبا الجهم قالهما متمثلاً ، كما في أمالي القالي (١/ ٢٣٤) . أما في البيان والتبيين (٣/ ٢٣٣) وعيون الأخبار (١/ ٢٨٤) فقد عزيا إلى أبي الجهم وأنه قالهما في معاوية . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (١٦/ ٢٥ و ٢٥/ ٥٩) . وأبو الجهم : هو عبيد ـ أو عامر ـ بن حذيفة ، من مسلمة الفتح .

ما أشبهَ أَليتيه بأَليتي هند ؟! فالتفت إليه معاوية فقال : أما إنَّ ذلك كان يُعجب أبا سفيان .

وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أمِّ الحكم لمعاوية : إنَّ فلاناً يشتمني ، فقال له : طأطِىء لها ، فتمرّ ، فتجاوزك .

وقال ابن الأعرابي : قال رجل لمعاوية : ما رأيتُ أندلَ منك ، فقال معاوية : بلى ، مَنْ واجه الرجال بمثل هذا .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قال معاوية : ما يسرُّني بذل الكرم حمرُ النَّعم .

[وقال : ما يسرُّني بذل الحلم عزُّ النصر][1] .

وقال بعضهم : قال معاوية : يا بني أميَّة قاربوا[2] قريشاً بالحِلْم ، فوالله لقد كنتُ ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتماً وأُوسعه حِلْماً [فأرجع وهو لي صديق ، إن استنجدتُه أنجدني ، وأثور به فيثور معي . وما وضع الحِلم][3] عن شريف شرفَه ، ولا زاده إلّا كرماً .

وقال : آفةُ الحِلْم الذلّ .

وقال أيضاً : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلبَ حِلمُه جهلَه ، وصبرُه شهوتَه ، ولا يبلغ الرجل ذلك إلّا بقوة الحِلْم .

وقال عبد الله بن الزبير : لله درُّ ابن هند ! إنْ كنّا لنفرِّقه[4] وماالليثُ على براثنه بأجرأَ منه ، فيتفارق لنا ، وإنْ كنّا لنخدِّعه وما ابنُ ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه ، فيتخادع لنا . والله لوددتُ أنّا مُتِّعنا به ما دام في هذا الجبل حجر ـ وأشار إلى أبي قُبيس .

وقال رجل لمعاوية : مَنْ أسودُ الناس ؟ فقال : أسخاهم نفساً حين يُسْأل ، وأحسنُهم في المجالس خلُقاً ، وأحلمُهم حين يُسْتجهل .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنَّى : كان معاوية يتمثَّل بهذه الأبيات كثيراً :

فمـا قَتَـلَ السَّفـاهَـةَ مثـلُ حِلْـم ... يعـودُ بـه علـى الجَهْـل الحَليـمُ
فــلا تَسْفَـهْ وإنْ مُلِّئـتَ غَيْظـاً ... علـىٰ أحـدٍ فـإنَّ الفحـشَ لُـومُ
ولا تَقْطَـعْ أخـاً لـكَ عنـدَ ذنـبٍ ... فـإنَّ الـذنـبَ يَغْفِـرُهُ الكـريـمُ[5]

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) كذا وردت في ب ، ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٥٩) . ووقعت في أ ، ط : فارقوا .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٤) « نفرِّقه » : نخوِّفه ، وهو من الفرَق : الخوف والجزع .
(٥) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦١) .

وقال القاضي الماوردي في « الأحكام السُلطانية » : وحُكي أن معاوية أُتي بلصوص ، فقطعهم حتى بقي واحد من بينهم فقال :

يَميني أميرَ المؤمنينَ أُعيذُها ... بعَفْوكَ أنْ تلقَىٰ نَكالاً يُبِينُها
يدي كانتِ الحسناءَ لو تمَّ سترُها ... ولا تَعدَمُ الحسناءُ عَيْباً يَشِينُها
فلا خيرَ في الدُّنيا وكانتْ حبيبةً ... إذا ما شِمالي فارَقَتْها يَمِينُها

فقال معاوية : كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك . فقالت أمُّ السارق : يا أمير المؤمنين ! اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها . فخلَّى سبيلَه ، فكان أول حدٍّ تُرك في الإسلام[١] .

وعن ابن عباس أنه قال : قد علمت بما غلبَ معاوية الناس : كانوا إذا طاروا وقع ، وإذا وقعوا طار .

وقال غيره : كتب معاوية إلى نائبه زياد : إنه لا ينبغي أن تَسُوس الناس سياسةً واحدة باللِّين فيمرحوا ، ولا بالشدَّة فتحمل الناس على المهالك . ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغِلْظة ، وأنا للِّين والأُلفة والرحمة ، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه .

وقال أبو مُسْهر : عن سعيد بن عبد العزيز قال : قضى معاويةُ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار ، وماكان عليها من الدَّين الذي كانت تعطيه الناس .

وقال هشام بن عروة : عن أبيه قال : بعث معاوية إلى أمِّ المؤمنين عائشةَ بمئة ألف ، ففرَّقتها من يومها فلم يبق منها درهم ، فقالت لها خادمتها : هلاّ أبقيتِ لنا درهماً نشتري به [لحماً تفطري عليه][٢] ؟ فقالت : لو ذكرتيني لفعلت .

وقال عطاء : بعث معاوية إلى عائشة ـ وهي بمكة ـ بطوقٍ قيمتُه مئة ألف ، فقبلته .

وقال زيد بن الحُباب : عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيدة قال : قدم الحسن بن علي على معاوية ، فقال له : لأجيزنَّك بجائزة لم يُجزها أحد كان قبلي . فأعطاه أربعمئة ألف ألف .

ووفد إليه مرة الحسن والحسين ، فأجازهما على الفور بمئتي ألف ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي ، فقال له الحسين : ولم تعطِ أحداً أفضل منّا .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا يوسف بن موسى ، حدّثنا جرير ، عن مغيرة قال : أرسل الحسنُ بن علي وعبدُ الله بن جعفر إلى معاويةَ يسألانه المال ، فبعث إليهما ـ أو إلى كلٍّ منهما ـ بمئة ألف ، فبلغ ذلك علياً

---

(١) الأحكام السلطانية (ص٢٥٧) ومختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٦) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٣) .

فقال لهما : ألا تستحيان ؟! رجل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال ؟ فقالا : بل حرمتَنا أنت وجاد هو لنا .

وروى الأصمعي قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية ، فقال للحسن : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ، وأمر له بثلاثمئة ألف . وقال لابن الزبير : مرحباً وأهلاً بابن عمة رسول الله ، وأمر له بمئة ألف .

[وقال أبو مروان المرواني : بعث معاوية إلى الحسين بن علي بمئة ألف][1] فقسَّمها على جلسائه وكانوا عشرة ، فأصاب كل واحد عشرة آلاف . وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمئة ألف ، فاستوهبتها منه امرأته فاطمة ، فأطلقها لها . وبعث إلى مروان بن الحكم بمئة ألف ، فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً . وبعث إلى ابن عمر بمئة ألف ، ففرَّق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف ، فقال معاوية : [إنه لمقتصد يحب الاقتصاد . وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمئة ألف ، فقال للرسول : لم جئتَ بها بالنهار ؟ هلا جئتَ بها بالليل ؟! ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً ، فقال معاوية][2] : إنه لخَبٌّ ضَبٌّ[3] ، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع حبله[4] .

وقال ابن دأب : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ويقضي له معها مئة حاجة ، فقدم عليه عاماً ، فأعطاه المال وقضى له الحاجات وبقيت منها واحدة ، فبينما هو عنده إذ قدم أَصْبَهْبَذ[5] سِجِسْتان يطلب من معاوية أن يملِّكه على تلك البلاد ، ووعد مَنْ قضى له هذه الحاجة من ماله بألف ألف ، فطاف على رؤوس الأمراء من أهل الشام وأمراء العراق ممن قدم مع الأحنف بن قيس ، فكلُّهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصده الدّهقان ، فكلَّم فيه ابنُ جعفر معاوية ، فقضى حاجته تكملة المئة حاجة ، وأمر الكاتب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان ، فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابن جعفر : اسجُد لله واحمل مالك إلى منزلك ، فإنا أهل بيت لا نبيع المعروف بالثمن . فبلغ ذلك معاوية ، فقال : لأن يكونَ يزيد قالها أحبُّ إليَّ من خراج العراق ، أبت بنو هاشم إلّا كرماً[6] .

وقال غيره : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، فاجتمع عليه في بعض

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ ، وبهذا السقط يصبح الخبر تابعاً لما قبله .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) رجل خبّ ضبّ : خداع مفسد .
(٤) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٤) وفي أوله : أنه أمر للحسن بن علي أيضاً بمئة ألف درهم .
(٥) اضطربت هذه اللفظة في الأصول ، وهي فارسية معربة . والأصبهبذ عند الديلم كالأمير عند العرب . المعرَّب للجواليقي (ص٢١٨) وتاج العروس مادة (صبهبذ) .
(٦) الخبر في مقطوعة شعرية لطيفة في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٥ ـ ٦٦) .

الأوقات دين خمسمئة ألف ، فألحَّ عليه غرماؤه ، فاستنظرهم حتى يقدم على معاويةَ فيسأله أن يُسْلفه شيئاً من العطاء ، فركب إليه ، فقال له : ما أقدمك يا بن جعفر ؟ قال : دين ألحَّ عليَّ غرماؤه ، فقال : وكم هو ؟ قال : خمسمئة ألف ، فقضاها عنه وقال له : إن الألف ألف ستأتيك في وقتها .

وقال ابن سعد[١] : حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا أبو هلال ، عن قَتادة قال : قال معاوية : يا عجباً للحسن بن علي ! شرب شربةَ عسل يمانيّة بماء رُومة[٢] ، فقضى نحبَه . ثم قال لا بن عباس : لا يسوءُك الله ولا يُحزنك من الحسن بن علي . فقال ابن عباس لمعاوية : لا يُحزنني الله ولا يسوئُني ما أبقى الله أمير المؤمنين . قال : فأعطاه ألف ألف درهم وعروضاً وأشياء وقال : خذها فاقسمها في أهلك .

وقال أبو الحسن المدائني : عن سلمة بن مُحارب قال : قيل لمعاوية : أيُّكم كان أشرف : أنتم أو بنو هاشم ؟ قال : كنّا أكثر أشرافاً وكانوا هم أشرف ، فيهم واحد لم يكن في بني عبد مناف مثل هاشم، فلمّا هلك كنّا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، وكان فيهم عبد المطلب لم يكن فينا مثله ، فلما مات صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، ولم يكن فيهم واحد كواحدنا ، فلم يكن إلا كقَرار العين حين قالوا : منّا نبيّ ، فجاء نبيٌّ لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ، محمد ﷺ ، فمن يدركُ هذه الفضيلة وهذا الشرف ؟

وروى ابن أبي خَيْثمة ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حمّاد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس : أن عمرو بن العاص قصَّ على معاوية مناماً رأى فيها أبا بكر وعمر وعثمان وهم يحاسَبون على ما ولوه في أيامهم ، ورأى معاوية وهو مُوكل به رجلان يحاسِبانه على ما عمل في أيامه . فقال له معاوية : ومارأيتَ ثَمَّ دنانير مصر[٣] ؟

وقال ابن دريد : عن أبي حاتم ، عن العُتْبي قال : دخل عمرو على معاويةَ وقد ورد عليه كتاب فيه تعزيةٌ له في بعض الصحابة ، فاسترجع معاوية ، فقال عمرو بن العاص :

يموتُ الصّالحونَ وأنتَ حيٌّ تَخطّاكَ المنايا لا تموتُ

فقال له معاوية :

أَترجو أنْ أموتَ وأنتَ حيٌّ فلستُ بميِّتٍ حتى تموت[٤]

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سعيد .
(٢) يعني : بماء بئر رومة ، وكان ماؤها عذباً ، وهي في عقيق المدينة . كانت لرجل من غفار يقال له رومة ، فابتاعها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتصدق بها . معجم البلدان (١/ ٢٩٩ و ٣/ ١٠٤) .
(٣) الخبر مطولاً في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٩) .
(٤) أورد الخبر مع البيتين ابن دريد في المجتنى (ص٤٩) وابن عساكر في تاريخه ، مختصره (٢٥/ ٦٩) والمسعودي في مروج الذهب (٣/ ٣٠) لكن الذي عند المسعودي أن الذي بدأ هو معاوية ، والذي أجاب هو عمرو .

وقال ابن السمَّاك : قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أُرضيَه إلّا حاسد نعمةٍ فإنَّه لا يُرضيه إلّا زوالُها .

وقال الزهري : عن عبد الملك ، عن أبي بحريّة قال : قال معاوية : المروءة في أربع : العَفاف في الإسلام ، واستصلاح المال ، وحفظ الإخوان ، وحفظ الجار .

وقال أبو بكر الهُذَلي : كان معاوية يقول الشعر ، فلما ولي الخلافةَ قال له أهلُه : قد بلغتَ الغاية فماذا تصنع بالشعر ؟ فارتاح يوماً فقال :

صرمتُ سَفاهتي وأَرحتُ حِلْمي وفيَّ على تحمُّليَ اعتِراضُ
على أَني أُجيبُ إذا دَعَتْني إلىٰ حاجاتِها الحَدَقُ المِراضُ[1]

وقال مغيرة : عن الشعبي : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمُه وعظُم بطنُه . وكذا روي عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال : أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية .

وقال أبو المليح : عن ميمون : أول من جلس على المنبر معاوية ، واستأذن الناسَ في الجلوس .

وقال قَتادة : عن سعيد بن المسيِّب : أول من أذَّن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية .

وقال أبو جعفر الباقر : كانت أبواب مكة لا أغلاقَ لها ، وأول من اتَّخذ لها الأبواب معاوية .

وقال أبو اليمان : عن شعيب ، عن الزهري : مضت السنَّة ألا يرثَ الكافرُ المسلم ، ولا المسلمُ الكافر ، وأول من ورَّث المسلمَ من الكافر معاوية ، وقضى بذلك بنو أميَّة بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز ، فراجع السنَّة ، وأعاد هشام ما قضى به معاويةُ وبنو أميَّة من بعده . وبه قال الزهري[2] .

ومضت السنَّة أنَّ دِيَة المعاهَد كدِيَة المسلم ، وكان معاوية أول من قَصَرها إلى النصف وأخذ النصف لنفسه .

وقال ابن وهب : عن مالك ، عن الزهري قال : سألت سعيد بن المسيِّب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي : اسمع يا زهري ! من مات محبّاً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وشهد للعشرة بالجنة ، وترحَّم على معاوية كان حقّاً على الله ألا يُناقشَه الحساب .

وقال سعيد بن يعقوب الطَّالْقاني : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : ترابٌ في أنف معاويةَ أفضل من عمر بن عبد العزيز .

---

(١) كذا رواية البيتين في أ ، ط . ورواية البيت الأول في ب ، م ومختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٠) كما يلي :
سرحت سفاهتي وأرحت حلمي وفيّ على تحلُّمي اعتراض

(٢) الخبر بأوضح مما هنا في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧١ ـ ٧٢) .

وقال محمد بن يحيى بن سعيد: سئل ابن المبارك عن معاوية، فقال: ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: سمع اللهُ لمن حَمِدَه، فقال خلفَه: ربَّنا ولكَ الحمد. فقيل له: أيهما أفضل هو أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لترابٌ في مَنْخِري معاويةَ مع رسول الله ﷺ خيرٌ وأفضل من عمر بن عبد العزيز[١].

وقال غيره: عن ابن المبارك قال: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شَزْراً اتَّهمناه على القوم[٢] ـ يعني الصحابة.

وقال محمد بن عبد الله بن عمّار المَوْصلي وغيره: سئل المعافى بن عمران: أيُّهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب وقال للسائل: أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟! معاوية صاحبُه وصهرُه وكاتبُه وأمينُه على وحي الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «دَعُوا لي أَصْحابي وأَصْهاري»[٣] فمن سبَّهم فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين.

وكذا قال الفضل بن عَنْبَسة[٤].

وقال أبو تَوْبة الربيع بن نافع الحلبي[٥]: معاوية سِتْر لأصحاب محمد ﷺ، فإذا كشف الرجلُ السِّتر اجترأ على ما وراءه.

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن! إذا رأيتَ رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتَّهِمْه على الإسلام.

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله يُسأل عن رجل تنقَّص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له: رافضي؟ فقال: إنه لم يجترىء عليهما إلّا وله خبيئةُ سوء. ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلّا وله داخلةُ سوء.

وقال ابن المبارك: عن محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن مَيْسرة قال: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قطُّ إلّا إنساناً شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطاً.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٤).

(٢) وقعت في ط: القول. والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٤).

(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٨)، وقول النبي ﷺ: «دعوا لي أصحابي» صحيح من حديث أنس؛ أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦) وغيره. وهو عند مسلم (٢٥٤١) في فضائل الصحابة من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي». أما لفظة «وأصهاري» فهي غير محفوظة، كما بيناها في موضع آخر (بشار).

(٤) تحرف في أ، ط إلى: عتيبة والمثبت في ب. وخبر الفضل بن عنبسة في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٤) ونصه: أنه سئل: معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فعجب من ذلك وقال: سبحان الله! أأجعل مَن رأى رسول الله ﷺ كمن لم يره؟! قالها ثلاثاً.

(٥) تحرف في ب إلى: الحلي. وأبو توبة الحلبي من رجال التهذيب.

وقال بعض السلف[١] : بينما أنا على جبل بالشام إذ سمعت هاتفاً يقول : من أبغض الصدِّيق فذاك زِنْديق ، ومن أبغض عمر فإلى جهنَّم زُمَرا ، ومن أبغض عثمان فذاك خصمُه الرحمن ، ومن أبغض علياً فذاك خصمُه النبي ، ومن أبغض معاوية سحَبَته الزَّبانية إلى جهنَّم الحامية ، يُرمى به في الهاوية .

وقال بعضهم[٢] : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، إذ جاء رجل ، فقال عمر : يا رسول الله ! هذا ينتقصُنا ، فكأنه انتهَره رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إني لا أنتقصُ هؤلاء ولكن هذا ـ يعني معاوية ـ فقال : « ويلك ! أوليس هو من أصحابي » ؟ قالها ثلاثاً ، ثم أخذ رسول الله ﷺ حَرْبة ، فناولها معاوية فقال : « جَأْ بها في لَبَّتِه[٣] » فضربه بها . وانتبهتُ فبكَّرت إلى منزلي ، فإذا ذلك الرجل قد أصابته الذَّبحة من الليل ومات ، وهو راشد الكندي .

وروى ابن عساكر عن الفُضيل بن عِيَاض أنه كان يقول : معاوية من الصحابة ، من العلماء الكبار ، ولكن ابتُلي بحبِّ الدنيا .

وقال العُتْبي : قيل لمعاوية : أسرع إليك الشيب ! فقال : كيف لا ، ولا أزال أرى رجلاً من العرب قائماً على رأسي يُلْقح لي كلاماً يلزمني جوابه ، فإن أصبتُ لم أُحمَد ، وإن أخطأتُ سارت بها البُرُد .

وقال الشعبي وغيره : أصابت معاويةَ في آخر عمره لَقْوَة .

وروى ابن عساكر في ترجمة حُدَيج[٤] الخَصِي مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة ، فأدخلتُها عليه مجرَّدة ، وبيده قضيب ، فجعل يهوي به إلى متاعها ـ يعني فرجها ـ ويقول : هذا المتاع لو كان لي متاع ، اذهب بها إلى يزيد بن معاوية ، ثم قال : لا ، ادعُ لي ربيعة بن عمرو الجُرَشي ـ وكان فقيهاً ـ فلمّا دخل عليه قال : إن هذه أُتيت بها مجرَّدة فرأيتُ منها ذاك وذاك ، وإني أردتُ أن أبعث بها إلى يزيد ، قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنها لا تصلح له ، فقال : نِعْم ما رأيت . قال : ثم وهبها لعبد الله بن مَسْعدة الفَزَاري مولى فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكان أسود ، فقال له : بيِّض بها ولدَك .

وهذا من فقه معاوية وتحرِّيه ، حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنَّه استضعف نفسه عنها ، فتحرَّج أن يَهَبَها من ولده يزيد لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء : ٢٢] وقد وافقه على ذلك الفقيهُ ربيعة بن عمرو الجُرَشي الدمشقي .

---

(١) هو محمد بن الحسن ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٦) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٦ ـ ٧٧) .

(٣) « الوجء » : اللكز ، ووجأه باليد والسكين : ضربه . « واللبة » : موضع الذبح وموضع القلادة من الصدر . اللسان والقاموس (وجأ ، لبب) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : خديج . والخبر أورده ابن عساكر ، مختصره (٦/ ٢٤٣) ضمن ترجمة حديج هذا .

[وذكر[١] ابن جرير : أن عمرو بن العاص قدمَ في وفد أهل مصر إلى معاوية ، فقال لهم في الطريق : إذا دخلتُم على معاويةَ فلا تسلِّموا عليه بالخلافة فإنه لا يحب ذلك ، فلمّا دخل عليه عمرو قبلَهم ، قال معاوية لحاجبه : أدخلهم ، وأوعزَ إليه أن يخوِّفهم في الدخول ويُرْعبهم ، وقال : إني لأظن عمراً قد تقدم إليهم في شيْ . فلمّا أدخلوهم عليه ـ وقد أهانوهم ـ جعل أحدهم إذا دخل يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فلمّا نهض عمرو من عنده قال : قبَّحكم الله ! نهيتكم عن أن تسلِّموا عليه بالخلافة فسلَّمتم عليه بالنبوَّة[٢] !

وذكر : أن رجلاً سأل من معاوية أن يساعدَه في بناء داره باثني عشر ألف جِذْع من الخشب ، فقال له معاوية : أين دارك ؟ قال : بالبصرة ، قال : وكم اتِّساعُها ؟ قال : فرسخان في فرسَخين ، قال : لا تقل : داري بالبصرة ، ولكن قل : البصرة في داري[٣] .

وذكر : أن رجلاً دخل بابنٍ معه ، فجلسا على سِمَاط معاوية ، فجعل ولده يأكل أكلاً ذريعاً ، فجعل معاوية يلاحظه ، وجعل أبوه يريد أن ينهاه عن ذلك فلا يفطن ، فلمّا خرجا لا مَهُ أبوه وقطعه عن الدخول ، فقال له معاوية : أين ابنُك التِّلْقامة[٤] ؟ قال : اشتكى . قال : قد علمتُ أن أكلَه سيورِّثه داءً .

قال : ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عَباءة ، فجعل يَزْدريه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك لا تخاطب العَباءة ، إنَّما يخاطبك مَنْ بها[٥] .

وقال معاوية : أفضل الناس مَنْ إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتُلي صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قَدَر غفر ، وإذا وعد أَنجز ، وإذا أساء استغفر[٦] .

وكتب رجل من أهل المدينة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

إذا الـرِّجـالُ ولَـدَتْ أولادُهـا ... واضطـربَـتْ مـن كِبَـرٍ أعضـادُهـا

وجعَلـتْ أسقـامُهـا تَعْتـادُهـا ... فهـيَ زُرُوعٌ قـد دَنَـا حصـادُهـا

(١) من هنا يبدأ سقط في النسخ أ ، ب ، م والمثبت من المطبوع فقط ، وسنشير إلى انتهاء السقط بعد صفحة تقريباً .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٣) .
(٤) رجل تلقام وتلقامة : كبير اللُّقم . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٢) .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٦) .
(٦) المصدر السابق .

فقال معاوية : نعىٰ إليَّ نفسي[١]][٢]

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني هارون بن سفيان ، عن عبد الله السَّهمي ، حدّثني ثمامة بن كُلْثوم : أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيُّها الناس ! إنَّ من زرع قد استَحْصَد ، وإني قد وليتكم ولن يَلِيَكم أحد بعدي خير مني ، وإنما يليكم من هو شرٌّ مني ، كما كان مَنْ وليكم قبلي خيراً مني . ويايزيد ! إذا دنا أجلي فولِّ غَسْلي رجلاً لبيباً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فليُنْعم الغسل ، وليَجْهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوبٌ من ثياب رسول الله ﷺ وقُرَاضة من شعره وأظفاره ، فاستودعِ القُراضة أنفي وفمي وأذنيّ وعينيّ ، واجعل ذلك الثوب مما يلي جلدي دون أكفاني . ويايزيد ! احفظْ وصيَّة الله في الوالدين ، فإذا أدرجتموني في جَريدتي ، ووضعتموني في حُفْرتي ، فخلُّوا معاوية وأرحم الراحمين[٣] .

وقال بعضهم : لما احتُضِرَ معاوية جعل يقول :

لَعمري لقد عمِّرتُ في الدَّهر بُرْهةً ... ودانَتْ لِيَ الدُّنيا بوقع البَوَاتر

وأُعطيتُ حمرَ المال والحُكمَ والنُّهىٰ ... ولي سَلَّمتْ كلُّ الملوكِ الجبابر

فأضحى الذي قَدْ كانَ ممَّا يَسُرُّني ... كحكم مَضَى في المُزْمناتِ الغوابر

فيالَيتني لم أُغْنَ في الملكِ ساعةً ... ولم أَسْعَ في لذَّاتِ عيشٍ نواضر

وكنتُ كذي طِمْرَين عاشَ ببُلْغةٍ ... من العيشِ حتّى زارَ ضِيقَ المَقابر[٤]

وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد ، عن محمد بن الحكم ، عمَّن حدثه : أن معاوية لما احتُضِر أوصى بنصف ماله أن يُرَدَّ إلى بيت المال ـ كأنه أراد أن يطيب له ـ لأن عمر بن الخطاب قاسم عمّاله .

وذكروا أنه في آخر عمره اشتدَّ به البرد ، فكان إذا لبس أو تغطّى بشيْ ثقيل يغمُّه ، فاتخذ له ثوباً من حواصل الطير ، ثم ثقل عليه بعد ذلك ، فقال : تبّاً لكِ من دار ! ملكتُك أربعين سنة : عشرين أميراً وعشرين خليفة ، ثم هذا حالي فيكِ ومصيري منكِ ! تبّاً للدنيا ولمحبِّيها .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا أبو عبيدة ، عن أبي يعقوب الثَّقفي ، عن عبد الملك بن عُمير قال : لما

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) والشعر الذي ورد فيه صُفَّ في مطبوع ابن كثير نثراً . والرجل الذي كتبه لمعاوية هو زر بن حُبيش أو أيمن بن خُريم كما ورد عند الطبري .

(٢) هنا ينتهي السقط من النسختين آ ، ب والذي أشرنا إليه قبل صفحة تقريباً .

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٩) .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٩ ـ ٨٠) مع اختلاف ببعض الألفاظ ، وقد أورد صاحب البدء والتاريخ (٦/ ١٦) البيتين الأخيرين ، وكذا المسعودي في مروج الذهب (٣/ ٥٨) .

ثقل معاوية ، وتحدَّث الناس بموته ، قال لأهله : احشُوا عينيَّ إِثْمِداً ، وأوسِعوا رأسي دهناً . ففعلوا وغرَّقوا وجهه بالدهن ، ثم مُهِّد له ، فجلس وقال : أسندوني ، ثم قال : ائذنوا للناس فليسلِّموا عليَّ قياماً ولا يجلس أحد . فجعل الرجل يدخل فيسلِّم قائماً ، فيراه مكتحلاً متدهنا فيقول : يقول الناس : إن أمير المؤمنين لمآبه ، وهو أصح الناس . فلما خرجوا من عنده قال معاوية :

وتجلُّدي للشَّامتينَ أُريهِمُ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهر لا أَتَضَعْضَعُ
وإذا المنيَّةُ أنشَبَتْ أظفارَها أَلفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ

قال : وكان به النقابة ـ يعني لوقة ـ فمات من يومه ذلك ، رحمه الله[١]

وقال محمد[٢] بن عقبة : لمّا نزل بمعاويةَ الموتُ قال : يا ليتني كنتُ رجلاً من قريش بذي طَوَى[٣] ، ولم أَلِ من هذا الأمر شيئاً .

وقال أبو السائب المخزومي : لما حضرتْ معاويةَ الوفاةُ تمثَّل بقول الشاعر :

إنْ تُناقشْ يكنْ نقاشُكَ يا ربّ عذاباً لا طَوْقَ لي بالعَذابِ
أو تُجاوزْ تجاوز العَفْو فاصفَحْ عن مُسِيءٍ ذنوبُهُ كالتُّرابِ[٤]

وقال بعضهم : لما احتُضر معاوية جعل أهلُه يقلِّبونه ، فقال لهم : أي شيخٍ تقلِّبون إنْ نجّاه الله من عذاب النار غداً !

وقال محمد بن سيرين : جعل معاوية ـ لما احتُضر ـ يضع خدّاً على الأرض ثم يقلِّب وجهه ، ويضع الخدَّ الآخر ويبكي ويقول : اللهمَّ إنك قد قلت في كتابك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] اللهمَّ فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له .

وقال العُتبي عن أبيه : تمثَّل معاوية عند موته بقول بعضهم وهو في السِّياق[٥] :

هو الموتُ لا مَنْجَىٰ منَ الموتِ والذي نُحاذرُ بعدَ الموتِ أدهىٰ وأفظعُ

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٧) وتاريخ ابن عساكر مختصره (٢٥/ ٨٢ ـ ٨٣) والكامل لابن الأثير (٤/ ٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٠ ـ ١٦١) والبيتان لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي أشعر شعراء هذيل ، من قصيدته السائرة التي رثى بها بنيه الخمسة الذين هلكوا بالطاعون في عام واحد ، ومطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهي في ديوان الهذليين (١٨ ـ ٢١) والمفضليات (٤٢١ ـ ٤٢٩) .

(٢) في أ، ط: « موسى » بدل « محمد » محرف . والخبر في تاريخ دمشق ، مختصره (٢٥/ ٨٣) .

(٣) ذو طوى : واد بمكة معجم البلدان (٤/ ٤٥) .

(٤) البيتان في أنساب الأشراف (٤/ ١٥٠) وتاريخ ابن عساكر مختصره (٢٥/ ٨٣) والكامل لابن الأثير (٤/ ٨) .

(٥) يقال : فلان في السياق أو في السوق : أي في النزع ، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

ثم قال : اللهم أَقلِ العَثْرة ، واعفُ عن الزَّلَّة ، وتجاوز بحلمك عن جهل مَنْ لم يرجُ غيرك ، فإنك واسع المغفرة ، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهربٌ إلا إليك[١]

ورواه ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرو بن العلاء فذكر مثله وزاد : ثم مات .

وقال غيره : أُغمي عليه ، ثم أفاق فقال لأهله : اتقوا الله فإنَّ الله تعالى يَقي من اتقاه ، ولا يَقي من لا يتَّقي . ثم مات ، رحمه الله .

وقد روى أبو مِخْنف ، عن عبد الملك بن نوفل قال : لما مات معاوية صَعِدَ الضحاك بن قيس المنبر ، فخطب الناس ـ وأكفانُ معاوية على يديه ـ فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن معاوية الذي كان سور العرب وعونَهم وحدَّهم ، قطع الله به الفتنة ، وملَّكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قد مات ، وهذه أكفانه ، فنحن مُدْرجوه فيها ، ومُدْخلوه قبره ، ومُخَلُّون بينه وبين عمله ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضُر عند الأولى . ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية يُعْلمه ويستحثُّه على المجئ .

ولاخلافَ أنه توفي بدمشق في رجب سنة ستين ، فقال جماعة : ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين ، وقيل : ليلة الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين ، قاله ابن إسحاق وغير واحد . وقيل : لأربع خلتْ من رجب ، قاله الليث . وقال سعد بن إبراهيم : لمستهلِّ رجب .

قال محمد بن إسحاق والشافعي : صلَّى عليه ابنه يزيد . وقد ورد من غير وجه أنه أوصى إليه أن يكفَّن في ثوب رسول الله ﷺ الذي كساه إياه وكان مدَّخراً عنده لهذا اليوم ، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامة أظفاره في فمه وأنفه وعينيه وأذنيه .

وقال آخرون : بل كان ابنه يزيد غائباً فصلَّى عليه الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ، ثم دفن ، فقيل : بدار الإمارة وهي الخضراء ، وقيل : بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور ، والله أعلم . وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل : جاوز الثمانين .

ثم ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج لتلقي يزيد بن معاوية ـ وكان يزيد بحُوَّارين[٢] ـ فلما وصلوا إلى ثنيَّة العُقاب[٣] تلقَّتهم أثقال يزيد ، وإذا يزيد راكب على بُخْتي وعليه الحزن ظاهر ، فسلَّم عليه

---

(١) الخبر والبيت في العقد الفريد (٣/ ١٨٠) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٨٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٠) .

(٢) « حوّارين » : حصن من ناحية حمص قريب من تدمر معجم البلدان (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

(٣) « ثنية العقاب » : فرجة في الجبل الذي يطل على غوطة دمشق من ناحية حمص تقطعه القوافل المغربة إلى دمشق من الشرق معجم البلدان (٤/ ١٣٣) . ويعرف اليوم موقعها بطلوع الثنايا .

الناس بالإمارة وعزّوه في أبيه ، وهو يخفض صوته في رده عليهم ، والناس صامتون لا يتكلّم معه إلا الضحاك بن قيس . فانتهى إلى باب تُوما[(١)] ، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة ، فأجازه مع السُّور حتى انتهى إلى الباب الشرقي ، فقيل : يدخل منه لأنه باب خالد ، فجازه حتى أتى الباب الصغير ، فعرف الناس أنه قاصد قبر أبيه ، فلمّا وصل إلى باب الصغير ترجّل عند القبر ثم دخل فصلّى على أبيه بعد ما دُفن ، ثم انفتل ، فلمّا خرج من المقبرة أُتي بمراكب الخلافة فركب . ثم دخل البلد ، وأمر فنُودي في الناس : أنَّ الصلاة جامعة . ودخل الخضراء فاغتسل ، ولبس ثياباً حسنة ، ثم خرج فخطب الناس [أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين][(٢)] فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أيُّها الناس ! إنَّ معاوية كان عبداً من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممَّن بعده ، ودون من قبلَه ، ولا أزكِّيه على الله ـ عز وجل ـ فإنه أعلم به ، إنْ عفا عنه فبرحمته ، وإنْ عاقبه فبذنبه ، وقد وليتُ الأمر من بعده ، ولست آسي على طلب ، ولا أعتذر من تفريط ، وإذا أراد الله شيئاً كان . وقال لهم في خطبته هذه : وإنَّ معاوية كان يُغزيكم في البر والبحر ، وإني لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر . وإن معاوية كان يُشتيكم بأرض الروم ، ولست مُشتياً أحداً بأرض الروم . وإنَّ معاوية كان يُخرج لكم العطاء أثلاثاً ، وأنا أجمعه لكم كلَّه . قال : فافترق الناس عنه وهم لا يفضِّلون عليه أحداً .

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : بعث معاوية ـ وهو مريض ـ إلى ابنه يزيد ، فلمّا جاءه البريد ركب وهو يقول :

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يخُبُّ به ... فأوجسَ القلبُ من قرطاسِهِ فَزَعا
قلنا : لكَ الويلُ ماذا في صَحيفتِكم ؟ ... قال : الخليفةُ أمسى مُثْقَلاً وَجِعا
فمادتِ الأرضُ أو كادتْ تَميدُ بنا ... كأنَّ أغبرَ من أركانها انْقَلعا
ثم انبَعَثْنا إلى خُوصٍ مضمَّرةٍ ... نرمي الفِجاجَ بها ما نَأْتلي سَرَعا
فما نُبالي إذا بلَّغن أرحُلَنا ... ما ماتَ منهنَّ بالمرمات أو ظَلَعا
[لما انْتَهَيْنا وبابُ الدارِ مُنصفقٌ ... بصوتِ رَمْلَةَ رِيعَ القلبُ فانصَدَعا
مَنْ لا تزلْ نفسُهُ تُوفي على شَرفٍ ... توشِكْ مقاليدُ تلكَ النفسِ أن تَقَعا][(٣)]
أودَى ابنُ هندٍ وأودَى المجدُ يَتْبَعُهُ ... كانا جميعاً خليطاً سالمَيْن مَعَا
أغرُّ أبلجُ يُسْتَسْقى الغمامُ بهِ ... لو قارَعَ الناسَ عن أحلامِهم قَرَعا

---

(١) « باب توما » : أحد أبواب مدينة دمشق ، وهو الآن علم لحي شهير فيها .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ .
(٣) هذان البيتان من المطبوع فقط .

لا يرقعُ الناسُ ما أوهىٰ وإنْ جَهَدوا أن يَـرْقعـوهُ ولا يُـوهُـونَ مـا رَقَعَـا[١]

وقال الشافعي : سرق يزيد هذين البيتين[٢] من الأعشى . ثم ذكر أنه دخل قبل موت أبيه دمشق ، وأنه أوصى إليه . وهذا ما قاله ابن إسحاق وغير واحد ، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلّا بعد موت أبيه ، وأنه صلَّى على قبره بالناس كما قدمناه ، والله أعلم .

وقال أبو الورد العَنْبري يرثي معاوية رضي الله عنه :

ألَا أَنْعىٰ معـاويـةَ بـنَ حَـرْبٍ نعـاةَ الحـلِّ للشَّهـرِ الحَـرَام
نعـاهُ النَّـاعيـاتُ بكـلِّ فـجٍّ خـواضـع فـي الأَزمَّـةِ كـالسِّهـام
فهاتيكَ النُّجومُ وهنَّ خُرسٌ يَنُحْـنَ علـىٰ معـاويـةَ الشَّـآم[٣]

وقال أيمن بن خُرَيم[٤] يرثيه أيضاً :

رمَى الحَدَثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ بمقـدارٍ سَمَـدْنَ لـهُ سُمُـودا[٥]
فـردَّ شُعـورَهُـنَّ السُّودَ بيضـاً وردَّ وجـوهَهُـنَّ البيـضَ سُـودا
فـإنَّـكَ لـو شَهِـدتَ بكـاءَ هندٍ ورَمْلَـةَ إذ يُصَفِّقْـنَ الخُـدودا
بكيـتَ بكـاءَ مُعْـوِلَـةٍ قَـريـحٍ أصـابَ الـدَّهـرُ واحـدَهـا الفَـريـدا

ذكر من تزوج من النساء ومن ولد له

كان له عبد الرحمن ـ وبه كان يُكنى ـ وعبد الله، وكان ضعيف العقل. وأمُّهما فاختة بنت قَرَظَة بن [عبد][٦]

---

(١) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٨٧ ـ ٨٨) وتخريجها فيه .

(٢) يعني البيتين الأخيرين ، وهما في ديوان الأعشى الكبير (ص١٥٧ ، ١٦١) من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي ، ومطلعها :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

(٣) تحرفت لفظة الشآم في أ ، ط إلى : الهمام . والبيت من شواهد اللسان والتاج : مادة (شأم) . والأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٨٨) وتخريجها فيه .

(٤) اختلف الرواة في عزو هذه الأبيات ، فقد نسبت في الحماسة (٢/ ٩٤١) وزهر الآداب (٢/ ٧) إلى عبد الله بن الزَّبير ـ بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة ـ الأسدي . وفي عيون الأخبار (٣/ ٦٧) ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٦٨) إلى فضالة بن شريك . وفي ذيل الأمالي (ص ١١٥) إلى الكميت بن معروف الأسدي . مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٨٩) .

(٥) قوله : سمدن له سمودا تحرف في أ ، ط إلى : سجدن له سجودا والبيت من شواهد اللسان والتاج : مادة (سمد) . « والسمود » : الغفلة واللهو عن الشيء .

(٦) سقطت لفظه عبد من الأصول، واستدركتها من نسب قريش: ص١٩٨، ٢٠٤ ومن ترجمتها في تاريخ دمشق (٧٠/ ٦) .

عَمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد تزوَّج بأختها منفردة عنها بعدها [وهي كَنُود بنت قرَظَة][١] وهي التي كانت معه حين افتتح قُبرص .

وتزوَّج نائلة بنت عُمارة الكلبيَّة ، فأعجبته ، وقال لميسون بنت بَحْدَل : ادخلي فانظري إلى ابنة عمِّك ، فدخلت ، فسألها عنها ، فقالت : إنها لكاملة الجمال ، ولكنْ رأيت تحت سُرَّتها خالاً ، وإني لأرى هذه يُقتل زوجها ويوضع رأسُه في حِجْرها . فطلَّقها معاوية ، فتزوَّجها بعده حبيب بن مَسْلَمة[٢] الفِهْري ، ثم خلف عليها بعده النعمانُ بن بشير ، فقُتل ووضع رأسُه في حِجْرها .

ومن أشهر أولاده يزيد ، وأمُّه مَيْسون بنت بَحْدَل بن أُنيف بن دُلجة بن قُنافة الكلبي ، وهي التي دخلت على نائلة فأخبرتْ معاوية عنها بما أخبرته ، وكانت حازمة عظيمة الشأن جمالاً ورياسة وعقلاً وديناً . دخل عليها معاوية يوماً ومعه خادم خَصي ، فاستترتْ منه وقالت : من هذا الرجل معك ؟ فقال : إنه خَصِي فاظهري عليه ، فقالت : ما كانت المُثْلة لتُحِلَّ له ما حرَّم الله عليه ، وحجبته عنها . وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مُثْلتك له لن تُحِلَّ ما حرَّمه الله عليه[٣] . فلهذا أولى الله ابنها يزيد الخلافة بعد أبيه .

وذكر ابن جرير : أن ميسونَ هذه ولدتْ لمعاوية بنتاً أخرى يقال لها : أمة ربِّ المشارق ، ماتت صغيرة[٤] .

ورَمْلة تزوَّجها عمرو بن عثمان بن عفان ، كانت دارها بدمشق عند عقبة السمك تُجاه زقاق الرمّان . قاله ابن عساكر . قال : ولها طاحون معروفة إلى الآن[٥] .

وهند بنت معاوية تزوَّجها عبد الله بن عامر ، فلما أُدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنَّعت عليه وأبت أشد الإباء ، فضربها ، فصرخت ، فلما سمع الجواري صوتها صرخن وعلَت أصواتهن ، فسمع معاوية فنهض إليهن فاستعلمهنَّ ما الخبر ؟ فقلن : سمعنا صوت سيِّدتنا فصحنا ، فدخل فإذا بها تبكي من ضربه ، فقال لا بن عامر : ويحك ! مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة ؟ ثم قال له : اخرج من هاهنا ، فخرج ابن عامر ، وخلا بها معاوية فقال لها : يا بنيَّة ! إنه زوجك الذي أحلَّه الله لك ، أو ما سمعتِ قول الشاعر :

من الخَفِراتِ البِيض أمّا حرامُها فصعبٌ ، وأما حلُّها فذَلول ؟

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ . وتحرفت كنود في ط ، ب إلى كنوة ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٩) إلى كتوة ، وماأثبتناه من ترجمتها في تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص٣١٨) ونسب قريش (ص٢٠٤) وغيرهما .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : سلمة ، وفي ب إلى : مسلم .

(٣) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص٣٩٧) .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٩) .

(٥) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص٩٥) .

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها : ادخل فقد مهَّدتُ لك خلقها ووطأته . فدخل ابن عامر ، فوجدها قد طابت أخلاقها ، فقضى حاجته منها[١] . رحمهم الله تعالى .

فصل

وكان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب ، فلمّا حضره الموت أشار على معاوية بتولية فَضَالة بن عُبيد ، ثم مات فَضَالة فولّى أبا إدريس الخَوْلاني .

وكان على حَرَسه رجل من الموالي يقال له : المختار ، وقيل : مالك ، ويُكنى أبا المُخَارق ـ مولى لحِميَر ـ وكان معاوية أول من اتّخذ الحرس .

وعلى حجابته سعدٌ مولاه .

وعلى الشرطة قيس بن حمزة ، ثم زُميل بن عمرو العُذْري ، ثم الضحاك بن قيس الفِهْري .

وكان صاحب أمره سَرْجون بن منصور الرومي .

وكان معاوية أول من اتَّخذ ديوان الخاتم وختم الكتب .

فصل

وممن ذكر أنه توفي في هذه السنة ـ أعني سنة ستين :

صَفوان بنُ المُعَطَّل[٢] : ابن رَحْضة[٣] بن المؤمَّل بن خُزاعِي ، أبو عمرو . أول مشاهده المُرَيْسِيع[٤] ، وكان في السَّاقة[٥] يومئذ .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (٤٦٠) .

(٢) طبقات خليفة (٥١ ، ١٨١ ، ٣١٨) تاريخ خليفة (٢٢٦) مسند أحمد (٥/ ٣١٢) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٠٥) التاريخ الصغير (٤٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٩) الجرح والتعديل (٤/ ٤٢٠) مشاهير علماء الأمصار (ت١٧١) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٦١ ، ٦٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٥١٨) الاستيعاب (٢/ ٧٢٥) تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٧٤/ آ) أسد الغابة (٣/ ٣٠) اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٥٣١ ، الذكواني) ، مختصر تاريخ دمشق (١١/ ١٠١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٥) معجم الزوائد (٩/ ٣٦٣) الإصابة (٥/ ١٥٢) كنز العمال (١٣/ ٤٣٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٤٤٠) .

(٣) تحرف في ط إلى : رخصة .

(٤) « المريسيع » : ماء لبني خزاعة ، كانت به غزوة بين النبي ﷺ وبين بني المصطلق سنة خمس ـ وقيل في وقتها غير ذلك ـ وتسمى غزوة بني المصطلق . وخبر هذه الغزوة في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٩) وغيره من كتب السيرة .

(٥) « ساقة الجيش » : مؤخره . « والساقة » : جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه . اللسان (سوق) .

وهو الذي رماه أهل الإفك بأمِّ المؤمنين ، فبرَّأه الله وإياها مما قالوا .

وكان من سادات المسلمين .

وكان ينام نوماً شديداً حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ ، فقال له رسول الله ﷺ: « إذا استيقظتَ فصَلِّ »(١) .

وقد قُتل صفوان شهيداً .

وأبو مسلم الخَوْلاني(٢) : عبد الله بن ثُوَب الخَوْلاني ، من خولان ببلاد اليمن .

دعاه الأسود العَنْسي(٣) إلى أن يشهد أنه رسول الله ، فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، أشهد أنَّ محمداً رسول الله . فأجَّج له ناراً وألقاه فيها ، فلم تضرَّه ، وأنجاه الله منها ، فكان يشبَّه بإبراهيم الخليل . ثم هاجر فوجد رسول الله ﷺ قد مات ، فقدم على الصدِّيق ، فأجلسه بينه وبين عمر ، وقال له عمر : الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أمَّة محمد من فُعل به كما فُعل بإبراهيم الخليل ، وقبَّله بين عينيه(٤) .

وكانت له أحوال ومكاشفات .

ويقال : إنه توفي فيها النعمان بن بشير . والأظهر أنه مات بعد ذلك ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

إمارة يزيد بن معاوية وماجرى في أيامه

بويع له بالخلافة بعد أبيه في رجب سنة ستين ، وكان مولده سنة ست وعشرين ، فكان يوم بويع

---

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٠ ، ٨٤ ـ ٨٥) وأبو داود رقم (٢٤٥٩) وهو حديث صحيح .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٨) طبقات خليفة (ت ٢٨٨٨) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٥٨) ثقات العجلي (٥١١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٨ ، ٣٨٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٢٦٦ ، ٢٢٧ ، ٣٨٦ ، ٦٩٠) الجرح والتعديل (٥/ ٢٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٨٥٦) تاريخ داريا (٥٩) حلية الأولياء (٢/ ٢٢) الاستيعاب (٣/ ٨٧٦) الإكمال لابن ماكولا (١/ ٥٦٨) أنساب السمعاني (٥/ ٢١٢) تاريخ ابن عساكر : جزء عبادة ـ عبد الله بن ثوب (٤٨٣) أسد الغابة (٣/ ١٩٢ و ٦/ ٢٨٨) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٥٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٥٣) طبقات علماء الحديث (١/ ١٠١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٧) الكاشف (٣/ ٣٣٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٤٩) تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٢) العبر (١/ ٦٧) فوات الوفيات (٢/ ١٦٩) الوافي بالوفيات (١٥/ ٣٧) الإصابة (ت٦٣٠٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٣٥) طبقات الحفاظ (١٣) خلاصة الخزرجي (٤٦٠) شذرات الذهب (١/ ٢٨١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣١٤) .

(٣) هو عيهلة ـ وقيل : عبهلة ـ بن كعب بن عوف المذحجي ، متنبىء مشعوذ من أهل اليمن ، أسلم لما أسلمت اليمن ، وارتد في أيام النبي ﷺ فكان أول مرتد في الإسلام . ضل به كثيرون من مذحج حتى اتسع سلطانه . قتل سنة ١١هـ . مترجم في أعلام الزركلي (٥/ ١١١) .

(٤) الخبر مطولاً في تاريخ ابن عساكر : جزء (عبادة ـ عبد الله) (ص٤٩٣) ومابعدها .

ابن أربع وثلاثين سنة . فأقرَّ نوابَ أبيه على الأقاليم ، ولم يعزل أحداً منهم . وهذا من ذكائه[١]

قال هشام بن محمد الكلبي[٢] : عن أبي مِخْنف لوط بن يحيى الكوفي الأخباري : ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين ، وأميرُ المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأميرُ الكوفة النعمان بن بشير ، وأميرُ البصرة عبيد[٣] الله بن زياد ، وأميرُ مكة عمرو بن سعيد بن العاص . ولم يكن ليزيد همَّة حين ولي إلّا بيعة النفر الذين أَبَوْا على معاوية البيعة ليزيد ، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة : « بسم الله الرحمن الرحيم . من يزيدَ أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد ، فإنَّ معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه ، وخوَّله ومكَّن له ، فعاش بقدر ، ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات بَرّاً تقيّاً ، والسلام » .

وكتب إليه بصحيفة كأنها أُذن الفأرة : « أمّا بعد ، فخذ حسيناً ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير بالبَيْعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا ، والسلام » .

فلما أتاه نَعْيُ معاوية فَظُعَ[٤] به وكبُرَ عليه ، فبعث إلى مروان ، فقرأ عليه الكتاب واستشاره في أمر هؤلاء النفر ، فقال : أرى أن تدعوَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية إلى البيعة ، فإن أَبَوْا ضربتَ أعناقهم . فأرسل من فوره عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إلى الحسين وابن الزبير ـ وهما في المسجد ـ فقال لهما : أَجيبا الأمير ، فقالا : انصرف ، الآن نأتيه ، فلمّا انصرف عنهما قال الحسين لا بن الزبير : إني أرى طاغيتهم قد هلك ، فقال ابن الزبير : وأنا ما أظن غيره . قال : ثم نهض حسين ، فأخذ معه مواليَه وجاء باب الأمير ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل وحده وأجلس مواليَه على الباب وقال : إنْ سمعتم أمراً يريبكم فادخلوا . فسلَّم وجلس ومروانُ عنده ، فناوله الوليد بن عتبة الكتاب ، ونعى إليه معاوية ، فاسترجع وقال : رحم الله معاوية ، وعظم لك الأجر . فدعاه الأمير إلى البَيْعة ، فقال له الحسين : إن مثلي لا يُبايع سرّاً ، وماأراك تجتزىء مني بهذا ، ولكنْ إذا اجتمع الناس دعوتَنا معهم فكان أمراً واحداً . فقال له الوليد ـ وكان يحب العافية : فانصرف على اسم الله حتى تأتيَنا في جماعة الناس . فقال مروان للوليد : والله لئن فارقك ولم يبايع الساعة ليكثرنَّ القتل بينكم وبينه ، فاحبِسْه ولا تُخرجه حتى يبايع وإلّا ضربت عنقه ، فنهض الحسين وقال : يا بن الزرقاء أنت تقتلني ؟! كذبتَ والله وأثمت . ثم انصرف إلى داره ، فقال مروان للوليد : والله ما تراه بعدها أبداً ، فقال الوليد : والله ـ يا مروان ـ ما أُحبُّ أنَّ لي الدنيا وما فيها وأني قتلت الحسين ، سبحان الله ! أقتل

---

(١) قوله : « وهذا من ذكائه » ليس في م ولا في تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٨) .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٨) .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبد .
(٤) فظع الأمر من باب ظرف ، فهو فظيع ، أي : شديد .

حسيناً أن قال : لا أبايع ؟ والله إني لأظن أنَّ مَن يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة[١]

وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير ، فامتنع عليه وماطله يوماً وليلة ، ثم إنَّ ابن الزبير ركب في مواليه واستصحب معه أخاه جعفراً وسارا إلى مكة على طريق الفُرْع[٢] ، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدروا على ردِّه . وقد قال جعفر لأخيه عبد الله ـ وهما سائران ـ متمثلاً بقول صَبِرة الحنظلي :

وكـلُّ بنـي أُمٍّ سَيُمْسـونَ ليلـةً ولم يَبْقَ مِنْ أعقابهم غيرُ واحِدِ

فقال : سبحان الله ! ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : والله ما أردتُ به شيئاً يسوءك ، فقال : إن كان إنما جرى على لسانك فهو أكره إليّ . قالوا : وتطيَّر به[٣] .

وأما الحسين بن علي فإنَّ الوليد تشاغل عنه بابن الزبير[٤] ، وجعل كلَّما بعث إليه يقول : حتى تنظر وننظر ، ثم جمع أهله وبنيه ، وركب ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب من هذه السنة ، بعد خروج ابن الزبير بليلة ، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفيَّة ، فإنه قال له : يا أخي ! والله لأنت أعزُّ أهل الأرض عليّ ، وإني ناصح لك : لا تدخلن مصراً من هذه الأمصار ، ولكن اسكن البوادي والرمال ، وابعث إلى الناس ، فإذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل فيهم[٥] ، وإن أبيتَ إلا سُكنى الأمصار فاذهب إلى مكة ، فإن رأيت ما تحب وإلَّا ترفعتَ إلى الجبال والرمال . فقال له : جزاك الله خيراً ، فقد نصحتَ وأشفقت . وسار الحسين إلى مكة ، فاجتمع هو وابن الزبير بها .

وبعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال : بايعْ ليزيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فقال رجل : إنما تريد أن يختلف الناس ويقتتلوا حتى يتفانَوا ، فإذا لم يبق غيرك بايعوك ؟ فقال ابن عمر : لا أحبُّ شيئاً مما قلت ، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيري بايعت . قال : فتركوه وكانوا يتخوَّفونه[٦] .

وقال الواقدي[٧] : لم يكن ابن عمر في المدينة حين قدم نَعْيُ معاوية ، وإنما كان هو وابن عباس بمكة ، فلقيهما ـ وهما مقبلان منها ـ الحسين وابن الزبير ، فقالا : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية والبيعة ليزيد ، فقال لهما ابن عمر : اتَّقيا الله ، ولا تفرِّقا بين جماعة المسلمين . وقدم ابن عمر وابن

---

(١) ينظر تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٠) .
(٢) « الفرع » : قرية من نواحي المدينة على طريق مكة ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (معجم البلدان) .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤١) .
(٤) في م : « فإنه تشاغل الوليد عنه بعبد الله بن الزبير » .
(٥) في ط : « المصر » ، وما هنا من م .
(٦) كذا في جميع النسخ ، والذي في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٢) والكامل لابن الأثير (٤/ ١٧) . وكانوا لا يتخوفونه .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٣) .

عباس إلى المدينة ، فلما جاءت البيعة من الأمصار بايع ابن عمر[١] مع الناس ، وأما الحسين وابن الزبير فإنهما قدما مكة ، فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص ، فخافاه وقالا : إنا جئنا عُوّاذاً بهذا البيت[٢]

وفي هذه السنة ـ في رمضان منها ـ عزل يزيدُ بنُ معاوية الوليدَ بنَ عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه ، وأضافها إلى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة ، فقدم المدينة في رمضان ، وقيل : في ذي القعدة ، وكان متواهاً[٣] متكبّراً . وسلّط عمرو بن الزبير ـ وكان عدواً لأخيه عبد الله ـ على حربه ، وجرّده له ، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة لحرب ابن الزبير .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن أبا شُريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي ـ أيُّها الأمير ـ أُحدِّثْك قولاً[٤] قام به رسول الله ﷺ الغَدَ من يوم الفتح ، سمعَتْهُ أذناي ، ووعاه قلبي [وأَبْصرتْهُ عيناي][٥] حين تكلَّم به . أنه حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : « إنَّ مكَّةَ حرَّمها اللهُ ولم يحرِّمْها الناس ، وإنه لم يحلّ القتالُ فيها لأحدٍ كان قَبْلي ، ولن تحلَّ لأحدٍ بَعْدي ، ولم تحلَّ لي إلّا ساعةً من نهار ، ثم قد عادَتْ حرمتُها اليومَ كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهدُ الغائب » . وفي رواية : « فإنْ أحدٌ ترخَّص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا : إنَّ الله أَذِنَ لرسوله ولم يأذَنْ لكم » . فقيل لأبي شُريح : ما قال لك ؟ فقال : قال لي : نحن أعلم بذلك منك . يا أبا شُريح ! إنَّ الحرمَ لا يُعِيذ عاصياً ، ولا فارّاً بدم ، ولا فارّاً بخَرْبة[٦] .

وقال الواقدي : ولّى عمرو بن سعيد شرطة المدينة عمرَو بن الزبير ، فتتبَّع أصحاب أخيه ومن يهوى هواه ، فضربهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير[٧] [وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حِزام ، وخُبيب بن

---

(١) في ب : بايعا .
(٢) في م : « نحن عُوَّاذ بهذا البيت » .
(٣) في ط : « متألهاً » ، ولا معنى لها ، ولا هي من صفة الوليد بن عتبة ، وما أثبتناه من م ، وهو بمعنى التكبر .
(٤) في ط : « حديثاً » ، وما هنا من م ، وهو الموافق لما في صحيح البخاري .
(٥) سقط من أ ، ط ، وهو الذي في الصحيحين .
(٦) أخرجه البخاري رقم (١٠٤) في العلم : باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ورقم (١٨٣٢) في جزاء الصيد : باب لا يعضد شجر الحرم ، ورقم (٤٢٩٥) في الغزوات : باب غزوة الفتح . ومسلم (١٣٥٤) في الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها . . . .
والخربة : بفتح الخاء وإسكان الراء ـ هذا هو المشهور ، ويقال : بضم الخاء أيضاً ـ أصلها سرقة الإبل ، وتطلق على كل خيانة . قال الخليل : هي الفساد في الدين ، من الخارب : وهو اللص المفسد في الأرض .
وقد توسع ابن القيم في شرح هذه الخطبة في زاد المعاد (٣/ ٤٤٢) وما بعدها .
(٧) بعد هذا في ط : « وأنه لا بد أن يأخذ أخاه عبد الله في جامعة من فضَّة حتى يقدم به على الخليفة ، فضرب المنذر بن الزبير » وليست في أ ، ب ، م ، ولا في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٤) .

عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن عمار بن يا سر وغيرهم ، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جَلْدة ، وفرَّ منه عبد الرحمن بن عثمان التيمي ، وعبد الرحمن بن عمرو[١] بن سهل . . في أناس من مكة]
ثم جاء العزم من يزيد إلى عمرو بن سعيد في تطلُّب ابن الزبير ، وأنه لا يقبل منه - وإن بايع - حتى يُؤتى به إليَّ في جامعة من ذهب أو فضة تحت بُرْنُسه ، فلاتُرى إلا أنه يسمع صوتها . وكان ابن الزبير قد منع الحارث بن خالد المخزومي من أن يصلي بأهل مكة ، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها ، فحينئذ صمَّم عمرو على تجهيز سريَّة إلى مكة بسبب ابن الزبير ، فاستشار عمرُو بنُ سعيد عمرَو بنَ الزبير : من يصلح أن نبعثه إلى مكة لأجل قتاله ؟ فقال له عمرو بن الزبير : إنك لا تبعث إليه مَنْ هو أنكى له منِّي ، فعيَّنه على تلك السريَّة ، وجعل على مقدمته أُنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمئة مقاتل . - وقال الواقدي : إنما عيَّنهما يزيد بن معاوية نفسُه ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد - فعسكر أُنيس بالجُرْف . وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يغزوَ مكة، وأن يتركَ ابن الزبير بها فإنه عما قليل إن لم يُقتل يمت . فقال أخوه عمرو بن الزبير: والله لنغزونَّه ولو في جوف الكعبة على رغم أنف من رَغِم . فقال مروان : والله إن ذلك ليَسُوءني[٢] . فسار أُنيس ، واتبعه عمرو بن الزبير في بقية الجيش - وكانوا ألفين - حتى نزل بالأَبطَح ، وقيل : بداره عند الصفا ، ونزل أُنيس بذي طوَى . فكان عمرو بن الزبير يصلِّي بالناس ، ويصلِّي وراءه أخوه عبد الله بن الزبير ، وأرسل عمرو إلى أخيه يقول له : برَّ يمينَ الخليفة ، وأْتِهِ وفي عنقك جامعةٌ من ذهب أو فضة ، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضاً ، واتَّقِ الله فإنك في بلد حرام . فأرسل عبد الله يقول لأخيه : موعدك المسجد . وبعث عبدُ الله بن الزبير عبدَ الله بن صفوان بن أمية في سريَّة ، فاقتتلوا مع أُنيس بن عمرو[٣] الأسلمي ، فهزموا أُنيساً هزيمة قبيحة ، وتفرَّق عن عمرو بن الزبير أصحابه ، ودخل[٤] عمرو إلى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبيدة بن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : تجير مِن حقوق الناس[٥] ؟! ثم ضربه بكل من ضرب بالمدينة إلّا المنذر بن الزبير وابنه فإنهما أبيا أن يَسْتقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه عارم ، فسمِّي سجن عارم . وقد قيل : إن عمرو بن الزبير مات تحت السِّياط ، والله أعلم .

---

(١) تحرف في أ إلى : عمير . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٤) وما بين الحاصرتين ليس في ب وفيها بدلاً عنه : وجماعة من الأعيان .
(٢) كذا في أ وب وم ، ومثله في تاريخ الطبري . ووقعت في المطبوع : ليسرني .
(٣) في ط : « عمرو بن أنيس » مقلوب .
(٤) في ط : « وهرب » ، وما هنا من م وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٥) .
(٥) في ط : « تجير مَن في عنقه حقوق الناس » وما هنا من م وهو الأصح لموافقته تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٥) .

قصة الحسين بن علي[١]

وسبب خروجه [بأهله][٢] من مكَّة [إلى العراق][٣] في طلب الإمارة وكيفيَّة مقتله

ولنبدأ قبل ذلك بشيء من ترجمته ، ثم نُتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله :

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم ، أبو عبد الله ، القرشيُّ الهاشمي ، السِّبط الشهيد بكربلاء ، ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء رضي الله عنها وريحانتُه من الدنيا .

ولد بعد أخيه الحسن ، وكان مولد الحسن (كما قدمنا)[٣] في سنة ثلاث من الهجرة . وقال بعضهم : إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل ، وولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع . وقال قَتَادة : ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ ، وقُتل يوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف ، رضي الله عنه .

وروي عن النبي ﷺ أنه حنَّكه وتَفَل في فِيه ، ودعا له ، وسمّاه حسيناً ، وقد كان سمّاه أبوه قبل ذلك حَرْباً وقيل : جعفراً ، وقيل : إنما سمّاه يوم سابعه ، وعَقَّ عنه .

وقال جماعة : عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانىء بن هانىء ، عن علي رضي الله عنه قال : الحسنُ أشبهُ برسول الله ﷺ ما بين الصَّدر إلى الرأس ، والحسينُ أشبهُ به ما بين أسفل من ذلك[٤] .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني محمد بن الضحاك الحِزَامي قال : كان وجهُ الحسن يشبهُ وجهَ رسول الله ﷺ ، وكان جسدُ الحسين يشبهُ جسدَ رسول الله ﷺ[٥] .

---

(١) نسب قريش (٥٧) طبقات خليفة (ت٩ ، ١٤٨٣ ، ١٩٦٩) مسند أحمد (١/ ٢٠١) المحبر (٦٦ ، ٢٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٤٨ ، ٤٨٠ ، ٤٠٠) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٣٨١) ثقات العجلي (١١٩) الأخبار الطوال (٢٤٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧ ، ٣٨١ ، ٤٠٠) الجرح والتعديل (٣/ ٥٥) مروج الذهب (٣/ ٦٤) ثقات ابن حبان (٣/ ٦٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٧) الأغاني (١٦/ ١٣٧) مقاتل الطالبيين (٥١) مستدرك الحاكم (٣/ ١٧٦) حلية الأولياء (٢/ ٣٩) جمهرة أنساب العرب (٥٢) الاستيعاب (١/ ٣٩٢) تاريخ بغداد (١/ ١٤١) تاريخ ابن عساكر (٥/ ٦/آ) أسد الغابة (٢/ ١٨) الكامل في التاريخ (٤/ ٤٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٦٢) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١١٥) تهذيب الكمال (٦/ ٣٩٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٤٠ و ٣/ ٥ ، ١٣) تذهيب التهذيب (١/ ١٤٩) العبر (١/ ٦٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٠) الكاشف (١/ ١٧١) الوافي بالوفيات (١٢/ ٤٢٣) مرآة الجنان (١/ ١٣١) العقد الثمين (٤/ ٢٠٢) غاية النهاية (١/ ٢٤٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٤٥) خلاصة الخزرجي (٨٣) شذرات الذهب (١/ ٢٧٣) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٣١٤) الحسين أبو الشهداء : عباس محمود العقاد .

(٢) ما بين الحاصرتين ليس في المطبوع .

(٣) ما بين الحاصرتين من م .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٧٩) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، وإسناده ضعيف .

(٥) أخرجه ابن عساكر ، مختصره (٧/ ١١٧) ، وهو في المعجم الكبير للطبراني (٢٨٤٥) .

وروى محمد بن سِيرين وأختُه حفصة عن أنس قال : كنت عند ابن زياد ، فجيء برأس الحسين ، فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيتُ مثلَ هذا حُسْناً ، فقلت له : إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ[١] .

وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد[٢] : رأيتَ الحسين ؟ قال : نعم ، أسود الرأس واللحية إلّا شعرات هاهنا في مقدَّم لحيته ، فلا أدري أَخَضَب وترك ذلك المكان تشبُّهاً برسول الله ﷺ أو لم يكن شابَ منه غير ذلك .

وقال ابن جُريج : سمعت عمر بن عطاء قال : رأيتُ الحسين بن علي يصبُغُ بالوَسْمة[٣] ، أما هو فكان ابن ستين سنة ، وكان رأسُه ولحيتُه شديدَي السَّواد .

فأما الحديث الذي رُوي من طريقين ضعيفين ، أنَّ فاطمة سألت رسول الله ﷺ في مرض الموت أن ينحل ولَدَيها شيئاً فقال : « أمّا الحسنُ فلَه هَيْبَتي وسُؤْددي ، وأمّا الحسينُ فلَهُ جُرْأتي وجُودي » فليس بصحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب المعتبرة .

وقد أدرك الحسين من حياة النبي ﷺ خمس سنين أو نحوها ، وروى عنه أحاديث . وقال مسلم بن الحجّاج[٤] : له رؤية من النبي ﷺ .

وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي : تابعي ثقة . وهذا غريب ، فلأن يقول في الحسين : إنه تابعي ، بطريق الأَولى .

وسنذكر ما كان رسول الله ﷺ يكرمهما به ، وماكان يُظهر من محبَّتهما والحنوِّ عليهما [في فضائل الحسين إذا فرغنا من ذكر مقتله][٥] ، والمقصودُ : أن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً . ثم كان الصدِّيق يكرمه ويعظِّمه ، وكذلك عمر وعثمان . وصحب أباه وروى عنه ، وكان معه في مغازيه كلِّها ، في الجمل وصفِّين ، وكان معظَّماً موقَّراً ، ولم يزل في طاعة

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٧٤٨) في الفضائل ، من طريق جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين . وأخرجه الترمذي (٣٧٧٨) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، من طريق النضر بن شميل ، أخبرنا هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين .

(٢) تحرف يزيد في الأصول إلى : زياد . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١١٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨١) .

(٣) الوسمة ـ بالسين المهملة ـ نبت يختضب به . وقد وقعت في أ ، ط : بالوشمة .

(٤) الكنى والأسماء (٤٦٥) .

(٥) ما بين الحاصرتين من م .

أبيه حتى قُتل . فلمّا آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصالح معاوية شقّ ذلك عليه ولم يسدِّد رأي أخيه في ذلك ، بل حثَّه على قتال أهل الشام ، فقال له أخوه : والله لقد هممتُ أن أسجنَكَ في بيت وأُطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك . فلمّا رأى الحسين ذلك سكت وسلم . فلمّا استقرَّت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردَّد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً ويقول لهما : مرحباً وأهلاً ، ويعطيهما عطاءً جزيلاً ، وقد أطلق لهما في يوم واحد مئتي ألف وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله لا يُعطيكُماها أحد قبلي ولا بعدي . فقال الحسين : والله لن تُعطيَ أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلاً أفضل منا . ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه .

وقد كان في الجيش الذين غزوا القُسْطنطينيّة مع يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين ، ولما أُخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممَّن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس ، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمِّم على ذلك ، فلمّا مات معاوية سنة ستين ، ودُعي الناس إلى البيعة[1] ليزيد بايع ابن عمر وابن عباس ، وصمَّم على المخالفة الحسينُ وابنُ الزبير ، وخرجا من المدينة فارّين إلى مكة ، فأقاما بها ، فعكف الناس على الحسين يغدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه ويسمعون كلامه حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد .

وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاّه عند الكعبة ، وجعل يتردَّد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس ، ولا يمكنه أن يتحرَّك بشيء ممَّا في نفسه مع وجود الحسين لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ، غير أنه قد تعيَّنت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه ، ولكن أظفره الله بهم كما تقدم ذلك آنفاً ، فانقشعت السرايا عن مكة مغلولين ، وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من اليزيديِّين ، وضرب أخاه عَمْراً وسجنه واقتصَّ منه وأهانه . وعظُم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز ، واشتَهَر أمرُه ، وبعُد صِيتُه ، ومع هذا كلِّه ليس هو عند الناس مثل الحسين ، بل الناس إنما ميلُهم إلى الحسين لأنه السيِّد الكبير ، وابن بنت رسول الله ﷺ فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ، ولكن الدولة اليزيدية كانت كلها تناوئه .

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم ـ وذلك حين بلغهم موت معاوية ، وولاية يزيد ، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد ـ فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهَمْداني ، وعبد الله بن وال ، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ، فقَدِما على الحسين لعشر مضَيْن من رمضان من هذه السنة ، ثم بعثوا بعدهما نفراً منهم قيس بن مُسْهر الصّدائي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكوا الأَرْحبي ، وعمارة بن عبد الله السَّلولي ، ومعهم نحو من مئة وخمسين كتاباً إلى الحسين ، ثم بعثوا

---

(١) في ط : وبويع ليزيد .

هانىء بن هانىء السَّبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السَّيْر إليهم .

وكتب إليه شَبَث بن رِبْعي ، وحَجّار بن أَبْجَر ، ويزيد بن الحارث بن رُوَيم ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، ومحمد بن عمر بن يحيى التميمي : « أما بعد ، فقد اخضرَّت الجِنان ، وأَينعت الثِّمار ، ولطمت الجِمام ، فإذا شئت فاقدَم على جندٍ لك مجنَّدة ، والسلام عليك » .

فاجتمعت الرسل كلُّها بكتبها عند الحسين ، وجعلوا يستحثُّونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون في كتبهم أنهم قد فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ، ويتكلَّمون في دولته ، وأنهم لمّا يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم . فعند ذلك بعث ابنَ عمِّه مسلم بن عَقيل بن أبي طالب إلى العراق ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق ، فإن كان متحتماً وأمراً حازماً محكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه ، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه ، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك . فلمّا سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلَين ، فسارا به على براري مهجورة المسالك ، فكان أحد الدليلَين منهما أول هالك ، وذلك من شدَّة العطش ، وقد أضلُّوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له : المَضيق من بطن خُبيت ، فتطيَّر به مسلم بن عَقيل ، فتلبَّث مسلم على ماءٍ هنالك ، ومات الدليل الآخر ، فكتب إلى الحسين يستشيره في أمره ، فكتب إليه الحسين يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ، ويستخبر خبرهم .

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عَوْسجة الأسدي ـ وقيل : نزل في دار المختار بن أبي عُبيد الثقفي ، فالله أعلم . فتسامع أهل الكوفة بقدومه ، فجاؤوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصرنَّه بأنفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور ، فتجهَّز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سنذكره .

وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير ، خبَّره رجل بذلك ، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبأ به ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة ، وأمرهم بالائتلاف والسُّنة وقال : إني لا أقاتل من لا يقاتلُني ، ولا أثب على مَنْ لا يثب علي ، ولا آخذكم بالظِّنَّة ، ولكن ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ لئن فارقتُم إمامكم ونكثتُم بيعته لأقاتلنَّكم ما دام في يدي من سيفي قائمتُهُ[١] . فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحَضْرمي فقال له : إنَّ هذا الأمر لا يصلُح إلّا بالغَشْم[٢] ، وإن الذي سلكتَه ـ

(١) « قائم السيف وقائمته » : مقبضه .
(٢) « الغشم » : الظلم .

أيها الأمير ـ مسلك المستضعَفين . فقال له النعمان : لأن أكون من المستضعَفين في طاعة الله أحبُّ إليَّ من أن أكون من الأقوياء الأَعزِّين في معصية الله . ثم نزل .

فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يُعلمه بذلك ، وكتب إلى يزيد عمارة بن عقبة ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص . فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمَّها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة ، وذلك بإشارة سَرْجون مولى معاوية [وكان يزيد يستشيرُه ، فقال سَرْجون : أكنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حيّاً ؟ قال : نعم ، قال : فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد فولِّه إياها . وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، فولّاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره](١)

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد : إذا قدمتَ الكوفة فاطلُب مسلم بن عَقيل ، فإنْ قدرتَ عليه فاقتلْه أو انفِه . وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي ، فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة ، فلمّا دخلها دخلها متلثِّماً بعِمامة سوداء ، فجعل لا يمرُّ بملأ من الناس إلّا قال : سلام عليكم . فيقولون : وعليك السلام ، مرحباً بابن رسول الله ـ يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه . وتكاثر الناس عليه ، ودخلها في سبعة عشر راكباً ، فقال لهم مسلم بن عمرو الذي من جهة يزيد : تأخَّروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد . فلمّا علموا ذلك عَلَتْهم كآبة وحزن شديد ، فتحقَّق عبيد الله الخبر ، ونزل قصر الإمارة من الكوفة ، فلما استقرَّ أمره أرسل مولى أبي رهم ـ وقيل : كان مولى له يقال له مَعْقل ـ ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص ، وأنه إنما جاء لهذه البيعة ، فذهب ذلك المولى ، فلم يزل يتلطَّف ويستدلُّ على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عَقيل حتى دخلها ، وهي دار هانىء بن عروة التي تحوَّل إليها من الدار الأولى ، فبايع ، وأدخلوه على مسلم بن عَقيل ، فلزمهم أياماً حتى اطَّلع على جلية أمرهم ، فدفع المال إلى أبي ثُمامة العائذي(٢) بأمر مسلم بن عَقيل ـ وكان هو الذي يقبض ما يُؤتى به من الأموال ويشتري السلاح ، وكان من فرسان العرب ـ فرجع ذلك المولى ، وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها . وقد تحوَّل مسلم بن عَقيل إلى دار هانىء بن عروة المُرادي ، ثم إلى دار شَريك بن الأعور ـ وكان من الأمراء الأكابر ، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته ، فبعث إلى هانىء يقول له : ابعث مسلم بن عَقيل حتى يكون في داري ليقتل عبيد الله [إذا جاء يعودني ، فبعثه إليه ، فقال له شَريك : كن أنت في الخباء ، فإذ جلس عبيد الله](٣) فإني أطلب الماء ـ وهي إشارتي إليك ـ فاخرج فاقتُله . فلمّا جاء عبيد الله جلس على فراش شَريك وعنده هانىء بن عروة ، وقام بين يديه غلام له يقال له مِهْران ، فتحدَّث عنده ساعة ثم قال شَريك :

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، وفيها بدلاً عنه : ولم يكن يزيد يحب عبيد الله قبل ذلك .

(٢) في ط : العامري .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

اسقُوني . فتجبَّن مسلم عن قتله ، وخرجت جارية بكوز من ماءٍ ، فوجدت مسلماً في الخباء ، فاستحيت ورجعت بالماء ثلاثاً . ثم قال : اسقُوني ولو كان فيه ذهاب نفسي . ففهم مِهْران الغدر ، فغمز مولاه ، فنهض سريعاً وخرج . فقال شَريك : أيها الأمير ! إني أريد أن أُوصي إليك ، فقال : سأعود . فخرج به مولاه ، فأركبه وطرد به ـ أي ساق به ـ وجعل يقول له مولاه : إن القوم أرادوا قتلك ، فقال : ويحك إني بهم لرفيق فما بالهم ؟ ! وقال شَريك لمسلم : ما منعك أن تخرج فتقتله ؟ قال : حديث بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الإيمانُ قَيَّدَ[1] الفَتْك ، لا يَفْتِكُ مُؤْمِن »[2] وكرهتُ أن أقتلَه في بيتك ، فقال : أما لو قتلتَه فجلست في القصر لم يستعد منه أحد ، ولتكفينَّ أمر القصر[3] ـ أو قال : لأكفينَّك أمر القصر ـ ولو قتلتَه لقتلتَ ظالماً فاجراً . ومات شَريك بعد ثلاث .

ولمّا انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلثِّم ظنَّه النعمانُ بن بشير الحسينَ قد قدم ، فأغلق باب القصر وقال : ما أنا بمسلم إليك أمانتي ، فقال له عبيد الله : افتح لا فتحتَه ، ففتح وهو يظنُّه الحسين ، فلمّا تحقَّق أنه عبيد الله أُسقط في يده . فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة ، وأمر منادياً فنادى في الناس : إن الصلاة جامعة . فاجتمع الناس ، فخرج إليهم ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد ولّاني أمركم وثغركم وفيئكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، والشدَّة على مريبكم وعاصيكم ، وإنما أنا ممتثل فيكم أمرَه ومنفِّذ عهدَه . ثم نزل .

وأمر العرفاء أن يكتبوا مَن عندهم من الزّورية[4] وأهل الرّيب والخِلاف والشِّقاق ، وأيما عريف لم يُطلعنا على ذلك صُلب أو نُفي وأُسقطت عرافته من الديوان .

وكان هانىء أحد الأمراء الكبار ، ولم يسلِّم على عبيد الله منذ قدم وتمارض ، فذكره عبيد الله وقال : ما بال هانىء لم يأتني مع الأمراء ؟ فقالوا : أيها الأمير ! إنه يشتكي ، فقال : إنه بلغني أنه يجلس على باب داره . وزعم بعضهم أنه عاده قبل شَريك بن الأعور ومسلم بن عَقيل عنده ، وقد همُّوا بقتله فلم يمكنهم هانىء لكونه في داره ، فجاء الأمراء إلى هانىء بن عروة ، فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد ، فالتفت إلى القاضي شُريح فقال متمثِّلاً بقول الشاعر :

---

(١) في الأصول : ضد .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦٦) من حديث الزبير ، وأبو داود (٢٧٦٩) في الجهاد : باب العدو يؤتى على غرَّة ، من حديث أبي هريرة ، وهو حديث صحيح .
قال المنذري : الفتك أن يأتي الرجلُ الرجلَ وهو غارّ غافل فيشد عليه فيقتله . وقوله : « الإيمان قيد الفتك » أي أن الإيمان يمنع القتل كما يمنع القيدُ عن التصرف ، فكأنه جعل الفتك مقيداً .

(٣) في ط : البصرة . والمثبت من أ ، ب .

(٤) في تاريخ الطبري : الحرورية .

أُريــدُ حيــاتَــهُ ويُــريــدُ قَتْلــي عَذيرَك مِنْ خَليلكَ مِنْ مُرادِ[1]

فلما سلَّم هانىء على عبيد الله قال : يا هانىء ! أين مسلم بن عَقيل ؟ قال : لا أدري ، فقام ذلك المولى التميمي الذي دخل دار هانىء في صورة قاصد من حمص فبايع ودفع الدراهم بحضرة هانىء إلى مسلم ، فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم . فلما رآه هانىء قُطع وأُسقط في يده ، فقال : أصلح الله الأمير ، والله ما دعوتُه إلى منزلي ، ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ . فقال عبيد الله : فائتني به ، فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه . فقال : أَدنُوه منِّي ، فأَدنَوْه ، فضربه بحربة على وجهه فشجَّه على حاجبه وكسر أنفه . وتناول هانىء سيف شرطي ليسلَّه ، فدُفع عن ذلك ، وقال عبيد الله : قد أحلَّ الله لي دمك لأنك حَرُوري ، ثم أمر به فحبسه في جانب الدار ، وجاء قومه من بني مَذْحج مع عمرو بن الحجاج ، فوقفوا على باب القصر يظنُّون أنه قد قُتل ، فسمع عبيد الله جلَبة ، فقال لشُريح القاضي وهو عنده : اخرُج إليهم فقل لهم : إن الأمير لم يحبسه إلّا ليسأله عن مسلم بن عَقيل . فقال لهم : إنَّ صاحبكم حيّ ، وقد ضربه سلطاننا ضرباً لم يبلغ نفسه ، فانصرِفوا ولا تُحلُّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فتفرَّقوا إلى منازلهم .

وسمع مسلم بن عَقيل الخبر ، فركب ونادى بشعاره : « يامنصور أمت » فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبي عُبيد ومعه راية خضراء ، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء ، فرتَّبهم مَيْمنة ومَيْسرة ، وسارهو في القلب إلى عبيد الله وهو يخطب الناس في أمر هانىء ويحذِّرهم من الاختلاف ، وأشرافُ الناس وأمراؤهم تحت منبره ، فبينما هو كذلك إذ جاءت النَّظَّارة يقولون : جاء مسلم بن عَقيل ، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومَنْ معه ، وأغلقوا عليهم الباب ، فلمّا انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف ، وتهدَّدوهم وتوعَّدوهم . وأخرج عبيد الله بعض الأمراء ، وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذِّلون الناس عن مسلم بن عقيل ، ففعلوا ذلك ، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له : ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك . ويقول الرجل لا بنه وأخيه : كأنك غداً بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم؟ . فتخاذل الناس وقصروا وتصرَّموا وانصرفوا عن مسلم بن عَقيل حتى لم يبق إلّا في خمسمئة نفس ، ثم تقالُّوا حتى بقي في ثلاثمئة ، ثم تقالُّوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً ، فصلَّى بهم المغرب وقصد أبواب كِنْدة ، فخرج منها في عشرة ، ثم انصرفوا عنه ، فبقي وحده ليس معه من يدلُّه على الطريق ، ولا من يواسيه بنفسه ، ولا من يؤويه إلى منزله ، فذهب على وجهه ، واختلط الظلام وهو وحده يتردَّد في الطريق لا يدري أين يذهب ، فأتى باباً ، فنزل عنده وطرقه ، فخرجت منه امرأة يقال لها طَوْعة ، كانت أمَّ ولد للأشعث بن قيس ، وقد كان لها ابن من غيره يقال له : بلال بن أَسِيد ، خرج مع الناس وأمُّه قائمة

---

(١) البيت لعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وهو في ديوانه (ص٩٢) وروايته فيه : أريد حِباءه . والحباء ـ بكسر الحاء ـ العطية . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٥) وابن الأثير (٤/ ٢٧ ـ ٢٨) .

بالباب تنتظره ، فقال لها مسلم بن عَقيل : اسقيني ماءً ، فسقَتْه ، ثم دخلت وخرجت فوجدته ، فقالت : ألم تشرب ؟ قال : بلى . قالت : فاذهب إلى أهلك عافاك الله ، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أُجمله لك . فقام فقال : يا أمة الله ! ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة ، فهل لك إلى أجر ومعروف وفعل نكافئك به بعد اليوم ؟ فقالت : يا عبد الله وما هو ؟ قال : أنا مسلم بن عَقيل ، كَذَبني هؤلاء القوم وغرُّوني . فقالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم . قالت : ادخل . فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي تكون فيه ، وفرشت له ، وعرضت عليه العَشاء فلم يتعشَّ ، فلم يكن بأسرعَ من أن جاء ابنها ، فرآها تكثر الدخول والخروج ، فسألها عن شأنها ، فقالت : يا بنيَّ الْهُ عن هذا ، فألحَّ عليها ، فأخذت عليه أن لا يحدِّث أحداً ، فأخبرَتْه خبر مسلم ، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلَّم .

وأما عبيد الله بن زياد ، فإنه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف بعد عِشَاء الآخرة ، فصلَّى بهم العِشاء في المسجد الجامع ، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عَقيل وحثَّ على طلبه ، ومَنْ وُجد عنده ولم يعلم به فدمُه هَدَر ، ومَنْ جاء به فله دِيَتُه ، وطلب الشُّرَط وحثَّهم على ذلك وتهدَّدهم .

فلمّا أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأنَّ مسلم بن عَقيل في دارهم ، فجاء عبد الرحمن فسارَّ أباه بذلك وهو عند ابن زياد ، فقال ابن زياد : ما الذي سارَّك به ؟ فأخبره الخبر ، فنَخَس[1] بقضيب في جَنْبه وقال : قم فائتني به الساعة .

وبعث ابن زياد عمرو[2] بن حُريث المخزومي ـ وكان صاحب شُرطته ـ ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً ، فلم يشعر مسلم إلّا وقد أُحيط بالدار التي هو فيها ، فدخلوا عليه ، فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وأُصيبت شفته العليا والسُّفلى ، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ، ويُلهبون النار في أطناب القصب ويلقونها عليها ، فضاق بهم ذرعاً ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان ، فأمكنه من يده ، وجاؤوا ببغلة فأركبوه عليها ، وسلبوا عنه سيفه ، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً ، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول ، فيئِس من نفسه وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال بعض مَنْ حوله : إنَّ من يطلب مثل الذي تطلُب لا يبكي إذا نزل به هذا . فقال : أما واللهِ لست أبكي على نفسي ، ولكن أبكي على الحسين وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمسِ من مكّة . ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال : إن استطعتَ أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل ، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصدِّق الرسولَ في ذلك ، وقال : كل ما حمَّ[3] الإلّه واقع .

---

(١) « نخس » : غرز .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : عمر .

(٣) « حمَّ » : قدَّر وقضى .

قالوا : ولمّا انتهى مسلم بن عَقيل إلى باب القصر إذا على بابه جماعةٌ من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه ، ينتظرون أن يُؤذن لهم على ابن زياد ، ومسلم مخضَّب بالدماء في وجهه وثيابه ، وهو مُثْخَن بالجراح ، وهو في غاية العطش ، وإذا قُلَّة[١] من ماءٍ بارد هنالك ، فأراد أن يتناولها ليشرب منها ، فقال له رجل من أولئك : والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم ، فقال له : ويلك يا بن باهلة[٢] ، أنت أَولى بالحميم والخلود في نار الجحيم مني . ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكَلال والعطش ، فبعث عُمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيط مولى له إلى داره ، فجاء بقُلَّة عليها منديل ومعه قَدَح ، فجعل يُفرغ له في القَدَح ويعطيه ، فيشرب فلا يستطيع أن يستسيغَه من كثرة الدماء التي تعلو على الماء مرتين أو ثلاثاً ، فلمّا شرب سَقطت ثناياه مع الماء فقال : الحمدُ لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماءٍ . ثم أُدخل على ابن زياد ، فلمّا وقف بين يديه لم يسلِّم عليه ، فقال له الحرس : ألا تسلِّم على الأمير ؟ فقال : لا ، إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه ، وإن لم يرد قتلي فسأسلِّم عليه كثيراً . فأقبل ابن زياد عليه فقال : إيه يا بن عَقيل ، أتيتَ الناس وأمرُهم جميعٌ وكلمتُهم واحدة لتشتِّتَهم وتفرِّقَ كلمتهم وتحملَ بعضهم على قتل بعض ؟! قال : كلاّ لست لذلك أتيت ، ولكنَّ أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب . قال : ومأأنت وذاك يا فاسق ؟ ! لِمَ لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ فقال : أنا أشرب الخمر ؟ ! واللهِ إنَّ الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنك قلت بغير علم ، وأنت أحقُّ بذلك مني [فإني لست كما ذكرتَ ، وإنَّ أَولى بها مني من يَلَغُ في دماء المسلمين وَلغاً ، ويقتل النفس التي حرَّم الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظنّ ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً . فقال له ابن زياد : يا فاسق إنَّ نفسك تمنِّيك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يُرِك أهلَه . قال : فمن أهلُه يا بن زياد ؟ قال : أميرُ المؤمنين يزيد . قال : الحمد لله على كل حال ، رَضِينا بالله حكماً بيننا وبينكم . قال : كأنك تظن أنَّ لكم في الأمر شيئاً ؟ قال : لا والله ما هو بالظنِّ ولكنَّه اليقين . قال له : قتلني اللهُ إنْ لم أقتلْكَ قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس . قال : أما إنك أحقُّ مَنْ أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تدع سوء القِتْلة وقُبح المُثْلة وخُبْث السيرة المكتسبة عن كباركم[٣] وجُهّالكم][٤] . وأقبل ابن زياد يشتِمُه ويشتِمُ حسيناً وعليّاً ومسلمٌ ساكت لا يكلِّمه ـ رواه ابن جرير عن

---

(١) « القُلة » : الجرَّة . وجمعها قُلَل وقِلال .

(٢) تحرفت في أ ، ط إلى : ناهلة . والمقصود هو مسلم بن عمرو الباهلي كما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٦) وابن الأثير (٤/ ٣٤) .

(٣) في ط : كتابكم .

(٤) ما بين حاصرتين ليس في ب ، وفيها بدلاً عنه : قال أبو مخنف وغيره من رواة الشيعة .

أبي مِخْنف وغيره من رواة الشيعة ـ ثم قال له ابن زياد : إني قاتلُك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أُوصي إلى بعض قومي ، قال : أَوصِ ، فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال : يا عمر ! إنَّ بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وهي سرٌّ فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فأبى أن يقوم معه حتى أَذن له ابن زياد . فقام فتنحَّى قريباً من ابن زياد ، فقال له مسلم : إنَّ علي ديناً في الكوفة سبعمئة درهم فاقضِها عني ، واستوهبْ جثَّتي من ابن زياد فوارها ، وابعث إلى الحسين فإني كنت قد كتبت له أن الناس معه ، ولا أراه إلّا مقبلاً . فقام عمر ، فعرض على ابن زياد ما قال له ، فأجاز ذلك له كلّه وقال : أما الحسين فإنه إن لم يردنا لا نرده ، وإن أرادنا لم نكفّ عنه . ثم أمر ابنُ زياد بمسلم بن عَقيل ، فأُصعد إلى أعلى القصر وهو يكبِّر ويهلِّل ويسبِّح ويستغفر ويصلِّي على ملائكة الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرُّونا وخذلونا . ثم ضرب عنقه رجل يقال له بُكير بن حُمْران ، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر ، وأتبع رأسه بجسده . ثم أمر بهانىء بن عروة المَذْحجي ، فضربت عنقه بسوق الغنم ، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكُنَاسة ، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة :

فإنْ كنتِ لا تَدْرينَ ما الموتُ فانظُري ... إلى هانىءٍ في السُّوق وابنِ عَقيل

أصابَهُما أمرُ الإمام فأصبَحا ... أحاديثَ مَنْ يغشى بكلِّ سَبيل

[إلى بطلٍ قد هَشَّم السيفُ وجهَهُ ... وآخر يَهْوي من[1] طَمَارَ قَتيل

تَرَىْ جسَداً قد غيَّر الموتُ لونَه ... ونَضْحَ دمٍ قَدْ سال كلَّ مسيل

فإنْ أنتمُ لم تَثْأروا بأخيكمُ ... فكُونوا بَغِيًّا أُرْضِيتْ بقليل[2]

ثم إن ابن زياد قَتل معهما أناساً آخرين][3] ثم بعث برؤوسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، وكتب إليه كتاباً صورة ما وقع من أمرهما .

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلَها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذَّرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرُّق . كما رواه هشام بن الكلبي وأبو مِخْنف ، عن الصَّقْعب بن زهير ،

---

(١) في الأصول ومروج الذهب (٣/ ٦٩) في ، والتصويب من تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٠) ولسان العرب (طمر) . « والطمار »: اسم المكان العالي . ويُنشَد البيت بفتح الراء وكسرها .

(٢) اختلف الرواة في قائل هذه الأبيات ، فقد نسبها الدينوري في الأخبار الطوال (ص٢٤٢) لعبد الرحمن بن الزبير الأسدي ، وهي في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٦) لعبد الله بن الزَّبير أو للفرزدق . والبيتان الأول والثالث منها من شواهد اللسان : مادة (طمر) ونسبتهما فيه لسليم بن سلام الحنفي . والأبيات أيضاً في مروج الذهب (٣/ ٦٩) ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٢١١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٠٨) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

عن أبي عثمان النَّهدي قال : بعث الحسين مع مولى له يقال له سلمان كتاباً إلى أشراف أهل البصرة ، فيه : أما بعد ، فإنَّ الله اصطفى محمداً على خلقه ، وأكرمه بنبوَّته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلَّغ ما أُرسل به ، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وأحقَّ الناس به وبمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنّا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحرَّوا الحق ، فرحمهم الله وغفر لنا ولهم . وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه ، فإن السنَّة قد أُميتت ، وإنَّ البدعة قد أُحييت ، فتسمعوا قولي وتطيعوا أمري ، فإن فعلتم أهدِكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر ، والظاهر أنه مطرَّز بكلام مَزيد من بعض رواة الشيعة .

قال : فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتمه إلّا المنذر بن الجارود ، فإنه ظنَّ أنه دسيسة من ابن زياد ، فجاء به إليه ، فبعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين ، فضرب عنقه ، وصعد عبيد الله بن زياد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فوالله ما بي تُقرن الصَّعبة ، وما يُقعقع لي بالشِّنان[1] ، وإني لنَكَال لمن عاداني ، وسِهَام لمن حاربني ، أنصف القارة مَنْ رماها . يا أهل البصرة إنَّ أمير المؤمنين ولَّاني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة ، وقد استخلفتُ عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ، فإياكم والخـلافَ والإرجاف ، فوالذي لا إلّه غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنَّه وعريفَه ووليَّه ، ولآخذنَّ الأدنى بالأقصى حتى يستقيم لي الأمر ولا يكون فيكم مخالفٌ ولا مشاقق . أنا ابن زياد ، أشبهته من بين مَـنْ وطىء الحصى ، ولم ينتزعني شبه خال ولا عم[2] . ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي ، فكان من أمره ما تقدم .

قال أبو مخنف : عن الصَّقْعب بن زهير ، عن عون بن [أبي][3] جُحَيفة قال : كان مخرج مسلم بن عَقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجَّة ، وقيل[4] يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة ، وذلك يوم عرفة سنة ستين ، وكان ذلك مخرج الحسين من مكَّة قاصداً أرض العراق بيوم واحد . وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكَّة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكَّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان . فأقام بمكَّة بقيَّة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة ، وخرج من مكَّة لثمان مضين من ذي الحجَّة يوم الثلاثاء يوم التَّروِيَة .

---

(١) قال صاحب اللسان في مادة (قعع) : وفي المثل : فلان لا يقعقع له بالشنان ، أي : لا يُخدع ولا يُروَّع .
(٢) هذه الخطبة في تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٨) .
(٣) سقطت من المطبوع .
(٤) وقعت في المطبوع : قتل . والخبر تاريخ الطبري (٥/ ٣٨١) وابن الأثير (٤/ ٣٦) .

وفي رواية ذكرها ابن جرير[١] : أن مسلم بن عَقيل لمّا بكى قال له [عمرو بن][٢] عبيد الله بن عباس السُّلمي : إنَّ من يطلب مثلَ ما تطلب لا يبكي إذا نزل به مثلُ الذي نزل بك . قال : إني واللهِ ما لنفسي أبكي ، ومالها من القتل أَرثي ، وإن كنتُ لم أحبَّ لها طرفة عين تلَفاً ، ولكنني أبكي لأهلي المقبلين إلى الكوفة ، أبكي للحسين وآل الحسين . ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ! إني والله أراك ستعجز عن أماني ، فهل عندك خير ؟ تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلّغ حسيناً عني رسالة ، فإني لا أراه إلّا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته ، وإنَّ ما تراه من جَزَعي لذلك ، فتقول له : إنَّ ابن عَقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسيرٌ لا يدري أيصبح أم يمسي حتى يُقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يغرنَّك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنَّى فراقهم بالموت أو القتل . إنَّ أهل الكوفة قد كذَبُوك وكذَبُوني ، وليس لكاذب رأي . فقال ابن الأشعث : والله لأفعلنَّ ولأُعلمنَّ ابن زياد أني قد أمَّنتُك .

قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بني مالك [بن عمرو][٣] بن ثمامة ـ وكان شاعراً ـ فقال له : اذهب فالْقَ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب ـ وكتب فيه الذي أمره به ابن عَقيل ـ ثم أعطاه راحلة وتكفَّل له بالقيام بأهله وداره . فخرج حتى لقي الحسين بزُبالةَ لأربع ليال من الكوفة ، فأخبره الخبر ، وأبلغه الرسالة . فقال الحسين : كلُّ ما حُمَّ نازل ، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا .

ولما انتهى مسلم إلى باب القصر ، وأراد شرب الماء ، قال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردَها ! والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم في نار الجحيم . فقال له ابن عَقيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحقَّ إذ أنكرته ، ونصح لإمامه إذ غششتَه ، وسمع وأطاع إذ عصَيْت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلي . فقال له مسلم : لأُمِّك الويل ! ما أجفاك وأفظَّك ، وأقساك وأغلظَك يا بن باهلة !! أنت والله أَوْلى بالحميم ونار الجحيم .

صفة مخرج الحسين إلى العراق

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق ، وتكرَّرت الرسل بينهم وبينه [وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله][٤] ثم وقع في غضون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عَقيل ، والحسينُ

---

(١) في تاريخه (٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) .
(٢) سقط من الأصول ، واستدركته من تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٤) وابن الأثير (٤/ ٣٣) .
(٣) سقط من ط . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٥) .
(٤) سقط من ب .

لا يعلم بشيء من ذلك ، بل قد عزم على المسير إليهم والقدوم عليهم ، فاتَّفق خروجه من مكة يوم التَّروِيَة قبل مقتل مسلم بيوم واحد ـ فإن مسلماً قُتل يوم عرفة . ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك ، وحذَّروه منه [وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم][١] .

قال سفيان بن عُيينة ، عن إبراهيم بن مَيْسرة ، عن طاوُوس ، عن ابن عباس قال : استشارني الحسين بن علي في الخروج ، فقلت : لولا أن يُزري بي وبك الناس لنشَبْت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب . فكان الذي ردَّ عليَّ أن قال : لأن أُقتل في مكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن أُقتل بمكة . قال : فكان هذا الذي سلَّى نفسي عنه .

وروى أبو مِخْنف ، عن الحارث بن كعب الوالبي ، عن عُقبة بن سِمْعان : أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا بن عمّ ! إنه قد أَرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبيِّن لنا ما أنت صانع ؟ فقال : إني قد أجمعت المسير في أحد يوميَّ هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرني ، إن كانوا قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم ، ونفَوْا عدوهم ، وضبطوا بلادهم فسِرْ إليهم ، وإن كان أميرهم حيّاً ، وهو مقيم عليهم ، قاهر لهم ، وعمّالُه تَجْبي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمَنُ عليك أن يستنفروا إليك الناس ويقلِّبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذين دعوك أشدَّ الناس عليك . فقال الحسين : إني أَستخير الله وأنظر ما يكون .

فخرج ابن عباس من عنده ، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم ! أخبرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدَّثت نفسي بإتيان الكوفة ، ولقد كتب إليَّ شيعتي بها وأشرافها بالقدوم عليهم ، وأستخير الله . فقال ابن الزبير : أما لو كان [لي][٢] بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ عنها . فلمّا خرج من عنده قال الحسين : قد علم ابن الزبير أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأن الناس لم يَعْدِلوه بي ، فودَّ أني خرجتُ منها لتخلوَ له .

فلمّا كان من العشيِّ أو من الغد جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له : يا بن عمّ ! إني أتصبَّر ولا أصبر ، إني أتخوَّف عليك في هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غُدر فلا تغترنَّ بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدَم عليهم ، وإلّا فسِرْ إلى اليمن فإنَّ به حصوناً وشعاباً ، ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم ، وبُثَّ دعاتك فيهم ، فإني أرجو ـ إذا فعلت ذلك ـ أن يكون ما تحب . فقال الحسين : يا بن عمّ ! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكني قد أزمعت المسير . فقال له : فإن كنت ولا بد سائراً فلا تَسِرْ بأولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تُقتل كما قُتل

---

(١) سقط من ب .

(٢) زيادة من تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٣) .

عثمان ونساؤه وولدُه ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررتَ عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذي لا إلٰه إلّا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليَّ وعليك الناسُ أطعتني وأقمتَ لفعلتُ ذلك . قال : ثم خرج من عنده ، فلقي ابن الزبير فقال : قرَّت عينك يا بن الزبير ؟ ! ثم قال :

يـا لـكِ مِـنْ قُبَّـرةٍ بمَعْمَـرِ خَلا لكِ الجوُّ فبِيضي واصْفِري

ونَقِّـري مـا شِئْـتِ أنْ تُنَقِّـري صيَّـادُكِ اليـومَ قتيـلٌ فـابشِـري

ثم قال ابن عباس : هذا الحُسينُ[١] يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز[٢]

وقال غير واحد[٣] : عن شَبَابة بن سَوَّار قال : حدّثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي قال : سمعت الشعبي يحدِّث عن ابن عمر : أنه كان بمكة ، فبلغه أنَّ الحسين بن علي قد توجَّه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، وإذا معه طوامير[٤] وكتب ، فقال : هذه كتبهم وبَيْعتهم ، فقال : لا تأتهم ، فأبىٰ ، فقال ابن عمر : إني محدِّثك حديثاً : إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيَّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يُرِد الدنيا . وإنك بضعة من رسول الله ، والله لا يليها أحدٌ منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلّا للذي هو خير لكم . فأبىٰ أن يرجع . قال : فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قَتيل .

وقال يحيى بن معين[٥] : حدثنا أبو عبيدة ، حدثنا سَلِيم بن حَيّان ، عن سعيد بن مِينا قال : سمعت عبد الله بن عَمْرو يقول : عجل حسين قدره ، والله لو أدركتُه ما تركته يخرج إلّا أن يغلبَني ، ببني هاشم فُتح هذا الأمر ، وببني هاشم يُختم ، فإذا رأيت الهاشميَّ قد ملك فقد ذهب الزمان .

قلت : وهذا مع حديث ابن عمر يدلُّ على أنَّ الفاطميِّين أدعياء كَذَبة ، لم يكونوا من سلالة فاطمة ، كما نص عليه غير واحد من الأئمة ، على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله .

---

(١) في ط : « حسين » ، وما هنا من م وهو الموافق لما في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٩) .
(٢) الخبر مع الرجز في الأخبار الطوال (ص٢٤٤) وتاريخ الطبري (٥/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) وابن الأثير (٤/ ٣٨ ـ ٣٩) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٧) وتاريخ الخلفاء (ص٣٢٧) والقبَّرة ـ ويروى : قنبرة ـ واحد القبَّر : وهو ضرب من الطير . وينسب هذا الرجز لطرفة بن العبد . ملحق ديوانه (ص١٩٣) وهناك تخريجٌ مفصلٌ له في مختصر تاريخ دمشق .
(٣) ينظر الخبر في تاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٢) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٢) .
(٤) « الطوامير » : الصحائف .
(٥) الخبر في تاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٣) وغير ناشره « عبد الله بن عمرو » إلى « عبد الله بن عمر » ، فأخطأ ، فانظر إلى قول المصنف بعد : « فهذا ـ يعني هذا الحديث ـ مع حديث ابن عمر » وقد تقدم حديث ابن عمر قبله .

وقال يعقوب بن سفيان[١] : حدّثنا أبو بكر الحميدي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا عبد الله بن شَريك ، عن بشر بن غالب قال : قال ابن الزبير للحسين : أين تذهب ، إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك ؟! فقال : لأَن أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن تُستحل بي ـ يعني مكة .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني عمي مصعب بن عبد الله ، أخبرني مَنْ سمع هشام بن يوسف يقول : عن مَعْمر قال : سمعت رجلاً يحدِّث عن الحسين أنه قال لعبد الله بن الزبير : أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطَّلاق والعَتاق إنَّهم معي . فقال له ابن الزبير : أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟! قال هشام : فسألت مَعْمراً عن الرجل ، فقال : هو ثقة . قال الزبير : وقال عمي : وزعم بعض الناس أنَّ ابن عباس هو الذي قال هذا[٢] .

وقد ساق محمد بن سعد[٣] ـ كاتب الواقدي ـ هذا سياقاً حسناً مبسوطاً فقال : أخبرنا علي بن محمد ، عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المُهاجر ، عن أبيه . وعن لوط بن يحيى الغامدي[٤] ، عن محمد بن بشير الهمداني وغيره . وعن محمد بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُمير . وعن هارون بن عيسى ، عن يونس بن [أبي][٥] إسحاق ، عن أبيه . وعن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن مُجالد ، عن الشعبي . قال محمد بن سعد : وغير هؤلاء قد حدثني أيضاً في هذا الحديث بطائفة ، فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه .

قالوا : لما بايع الناس معاويةَ ليزيدَ كان حسين ممن لم يبايع له ، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية ، كل ذلك يأبىٰ عليهم ، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفيَّة يطلبون إليه أن يخرج معهم ، فأبىٰ . وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم ، فقال له الحسين : إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويستطيلوا بنا ، ويشيطوا[٦] دماء الناس ودماءنا . فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم ، مرة يريد أن يسير إليهم ، ومرة يُجمع الإقامة عنهم . فجاءه أبو سعيد الخدري فقال : يا أباعبد الله ! إني لكم ناصح ، وإني عليكم مُشفِق ، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة : والله لقد مللتُهم

---

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٥٣) .
(٢) الخبر في أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٦٠) ، وتاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٣) .
(٣) الطبقات الكبرى (قسم صغار الصحابة) بتحقيق السلمي (١/ ٤٣٧) فما بعدها .
(٤) في ط : « العامري » ، محرف ، وهو منسوب إلى « غامد » جدٍّ له ، فانظر معجم الأدباء (٥/ ٢٢٥٢) (ط . إحسان عباس) .
(٥) سقطت من المطبوع .
(٦) قال الزمخشري : « شاط دمه » : إذا بطَل . وأشاط السلطان دمه : أهدره .

وأبغضتُهم ، وملُّوني وأبغضوني ، ومايكون منهم وفاء قطّ ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأَخْيَب ، والله مالهم نيّات ولا عَزْم على أمر ، ولا صَبْر على السيف .

قال : وقدم [المسيَّب بن نَجَبَة[١] الفَزَاري في عدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدَعَوه إلى خلع][٢] معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأي أخيك ، فقال : إني لأرجو أن يعطي الله أخي على نيّته في حبِّه الكف ، وأن يعطيني على نيَّتي في حبي جهاد الظالمين .

وكتب مروان إلى معاوية : إني لست آمَنُ أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظن يومكم من حسين طويلاً .

فكتب معاوية إلى الحسين : إنَّ من أعطى الله صفقةَ يمينه وعهده لجديرٌ بالوفاء ، وقد أنبئت أنَّ قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهلُ العراق مَنْ قد جرَّبت ، قد أفسدوا على أبيك وأخيك ، فاتَّقِ الله واذكر الميثاق ، فإنك متى تَكِدْني أكِدْك . فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عنِّي جدير ، والحسنات لا يَهدي لها إلّا الله ، وما أردتُ لك محاربة ولا عليك خلافاً ، وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك ، وما أعلم فتنة أعظم من ولا يتك أمر هذه الأمة . فقال معاوية : إن أَثَرنا بأبي عبد الله إلَّا أسداً[٣]

وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه : إني لأظنُّ أن في رأسك نزوةً فوددت أني أدركها فأغفرها لك .

قالوا : فلمّا احتُضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به ، وقال له : انظُر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ، فإنه أحبُّ الناس إلى الناس ، فصِلْ رحمه ، وارفقْ به يصلحْ لك أمرُه ، فإن يكن منه شيء فإني أرجو أن يكفيَكَهُ الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين ، وبايع الناس ليزيد[٤] ، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أُوَيس العامري ـ عامر بن لؤي ـ إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة : أن ادعُ الناس فبايعهم ، وابدأ بوجوه قريش ، وليكن أولَ من تبدأ به الحسين بن علي ، فإنَّ أمير المؤمنين عهد إليَّ في أمره الرفقَ به واستصلاحَه . فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فأخبرهما بوفاة معاوية ، ودعاهما إلى البَيْعة ليزيد بن معاوية ، فقالا : إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس . ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن

---

(١) تحرف في الأصول إلى : عقبة ، والتصويب من طبقات ابن سعد . والإكمال لابن ماكولا (١/ ٥٠١) ومشتبه الذهبي (١/ ١١٣) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) وقعت لفظة أسداً في أ ، ط : شراً . وهو خطأ ، فهو كذلك في طبقات ابن سعد الذي ينقل منه (١/ ٤٤٠) .

(٤) في ط : « يزيد » ، وما أثبتناه من م وتاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٦) .

الزبير وقالا : هو يزيد الذي نعرف ، والله ما حدث له عزم ولا مروءة . وقد كان الوليد أغلظ للحسين ، فشتمه الحسين وأخذ بِعِمَامته فنزعها من رأسه ، فقال الوليد : إنْ هِجْنا بأبي عبد الله إلّا أسداً[١] . فقال له مروان ـ أو بعض جلسائه : اقتُلْه ، فقال : إنَّ ذلك لدمٌ مضنونٌ به مَصُونٌ في بني عبد مناف[٢]

قالوا : وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة ، وأصبح الناس ، فغَدَوا على البيعة ليزيد ، وطُلِب الحسينُ وابن الزبير فلم يوجدا ، فقال المِسْور بن مَخْرمة : عجل الحسين ، وابنُ الزبير يلفتُه ويرجِّيه ليخلوَ بمكة . فقدِمَا مكة ، فنزل الحسين دار العباس ، ولزم ابن الزبير الحِجر ، ولبس المعافريَّ[٣] وجعل يحرِّض الناس على بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ، ويشير عليه أن يقدَم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعة أبيك . وكان ابن عباس ينهاه عن ذلك . وقال له عبد الله بن مطيع : إني فداؤك وأبي وأمي ، فأَمتِعْنا بنفسك ولا تَسِرْ إلى العراق ، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذُنّا عبيداً وخَوَلاً .

قالوا : ولقيهما عبد الله بن عمر وعبد الله بن عياش[٤] بن أبي ربيعة بالأَبْواء[٥] منصرفَيْن من العمرة ، فقال لهما ابن عمر : أذكِّركما اللهَ إلّا رجعتُما فدخلتُما في صالح مايدخل فيه الناس ، وتنظرا ، فإن اجتمع الناس عليه فلم تشذّا ، وإن افترق[٦] عليه كان الذي تريدان . وقال له : لا تخرج ، فإن رسول الله ﷺ خيَّره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك بضعة منه ولا تنالها ـ يعني الدنيا ـ واعتنقه وبكى وودَّعه . فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بن عليٍّ بالخروج ، ولَعَمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخِذْلان الناس لهم[٧] ماكان ينبغي له أن لا يتحركَ ماعاش ، وأن يدخل في صالح مادخل فيه الناس ، فإن الجماعة خير .

وقال له ابن عباس : وأين تريد يا بن فاطمة ؟ فقال : العراق وشيعتي ، فقال : إني لكارهٌ لوجهك هذا ، تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطةً وملالةً لهم ؟! أذكِّرك اللهَ أن تغرِّر بنفسك .

---

(١) في أ ، ط : « شراً » ، خطأ .
(٢) والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٣٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٥) أيضاً نقلاً من ابن سعد .
(٣) « المعافري » : ثياب تنسب إلى قبيلة معافر اليمن .
(٤) في أ ، ط : عبد الله بن عباس وابن أبي ربيعة . وفي مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٣٩) عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة وكلاهما تصحيف . والصواب ما أثبتناه من ب وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٦) .
(٥) « الأبواء » : جبل على يمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة ، وهناك بلدة تنسب إلى هذا الجبل معجم البلدان (١/ ٧٩) .
(٦) في ط : « افترقوا » ، وما أثبتناه من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٤٤) وهو الذي في تاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٦) .
(٧) في ط : « لهما » ، وما أثبتناه كما في المصادر التي تقدمت .

وقال أبو سعيد الخدري : غلبني الحسين على الخروج ، وقلت له : اتَّقِ اللهَ في نفسك ، والزَم بيتك ، ولا تخرج على إمامك .

وقال أبو واقد الليثي : بلغني خروج الحسين بن علي ، فأدركته بمَلَل[١] ، فناشدتُه اللهَ أن لا يخرج ، فإنه يخرج في غير وجه خروج ، إنما خرج يقتل نفسه . فقال : لا أَرجع .

وقال جابر بن عبد الله : كلَّمت حسيناً فقلت : اتَّقِ الله ، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض ، فوالله ماحمدتم ماصنعتم . فعصاني .

وقال سعيد بن المسيِّب : لو أنَّ حسيناً لم يخرج لكان خيراً له .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم ، ولكن شجَّعه على ذلك ابن الزبير .

وكتب إليه المِسْور بن مَخْرمة : إياك أن تغترَّ بكتب أهل العراق وبقول ابن الزبير : الْحَقْ بهم فإنهم ناصروك[٢] ، إياك تبرح الحرم ، فإنهم إن كانت بهم إليك حاجةٌ فسيضربون إليك آباط الإبل حتى يوافوك فتخرج في قوَّة وعدَّة . فجزاه خيراً وقال : أَستخير الله في ذلك .

وكتبت إليه عَمْرة بنت عبد الرحمن تعظِّم عليه مايريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة ، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يُساق إلى مصرعه وتقول : أشهد لسمعت عائشة تقول : إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُقتلُ الحسينُ بأرضِ بابل » . فلمّا قرأ كتابها قال : فلا بدَّ لي إذاً من مَصْرعي . ومضى[٣]

وأتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال له : يا بن عمّ ! قد رأيتَ ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت تريد أن تسير إليهم ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك مَنْ قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك مَنْ أنت أحبُّ إليه ممن ينصره ، فأذكِّرك اللهَ في نفسك . فقال : جزاك الله ـ يا بن عم ـ خيراً ، مهما يقضِ الله من أمر يكُن . فقال أبو بكر : إنا لله وإنَّا إليه راجعون ، نحتسب أبا عبد الله عند الله .

وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذِّره أهل الكوفة[٤] ، ويناشدُه اللهَ أن يشخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إني رأيت رؤيا ، ورأيت رسول الله ﷺ أمرني بأمر وأنا ماضٍ له ، ولست بمُخبر بها أحداً حتى أُلاقيَ عملي .

---

(١) « ملل » : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) بعد هذا في ط : « وقال له ابن عباس » ، وليست في ب ، م ولا في طبقات ابن سعد وتاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٤١٧) ، لذلك لم نثبتها .

(٣) أخرجه ابن عساكر ، مختصره (٧/ ١٤٠) .

(٤) في ط : « العراق » ، وما هنا من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٤٧) الذي ينقل منه ، وتهذيب الكمال (٦/ ٤١٨) .

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص نائب الحرمين : إني أسأل الله أن يُلهمَك رشدَك ، وأن يصرفك عمّا يُرديك ، بلغني أنك قد عزمتَ على الشخوص إلى العراق ، وإني أعيذك بالله من الشقاق ، فإنك إنْ كنت خائفاً فأقبل إليّ ، فلك عندي الأمان والبرُّ والصِّلَة . فكتب إليه الحسين : إنْ كنتَ أردتَ بكتابك برِّي وصلتي فجُزيت خيراً في الدنيا والآخرة ، وإنا لم نشاقق مَنْ دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، وخير الأمان أمان الله ، ولم يؤمن بالله مَنْ لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة عنده .

قالوا : وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبُه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنّوه الخلافة ، وعندك منهم خبر وتجرِبة ، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكفُفْه عن السَّعي في الفُرقة . وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش :

يا أيُّها الراكبُ الغادي لطِيَّتِهِ ... على عُذافرةٍ في سَيْرها قُحَمُ[1]
أبلغْ قريشاً على نَأْيِ المَزارِ بها ... بيني وبينَ حسينِ اللهُ والرَّحِمُ
وموقفٌ بفِناءِ البيتِ أَنْشُدُهُ ... عهدَ الإلَهِ وما تُوفى بهِ الذِّمم
عَنَّيْتُمُ قومَكم فخراً بأُمِّكُمُ ... أمّ لعَمْري حَصَانٌ بَرَّةٌ كرمُ
هي التي لا يُداني فَضْلَها أحدٌ ... بنتُ الرسولِ وخير الناسِ قد علموا
وفضلُها لكُمُ فضلٌ وغيرُكُمُ ... من قومكمْ لهمُ في فضلِها قِسَمُ
إنِّي لأعلمُ أو ظنّاً كعالِمِهِ ... والظَّنُّ يصدُقُ أحياناً فينتظِمُ
أنْ سوفَ يترُكُكُمْ ماتَدَّعونَ بها ... قَتْلى تَهاداكُمُ العِقْبانُ والرَّخَمُ[2]
ياقومَنا لا تَشُبُّوا الحربَ إذ سَكَنَتْ ... ومَسِّكُوا بحبال السِّلم واعتصِمُوا
قد جَرَّبَ الحربَ مَنْ قد كان قبلكُمُ ... من القُرون وقد بادتْ بها الأُمَمُ
فأَنْصِفُوا قومَكُمْ لا تَهْلِكوا بَذَخاً[3] ... فربَّ ذي بَذَخٍ زلَّتْ به القَدَمُ[4]

قال : فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهُه ، ولست أدع النصيحة له في كل ما تجتمع به الأُلفة وتُطفأ به الثائرة . ودخل ابن عباس على الحسين فكلّمه طويلاً وقال

(١) « الطية » : الجهة أو النية . « العذافرة » : الناقة الصلبة القوية . « قحم » : إقدام وجرأة وتقحم .
(٢) « الرخم » : جمع رخمة : طائر أبقع على شكل النسر خلقة .
(٣) « البذح » : الكِبر ، وتبذخ فلان : تطاول وتكبر وفخر .
(٤) الخبر والأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٤١ ـ ١٤٢) وقد أورد الطبري الأبيات في تاريخه (٨/ ٢٠٢) في حوادث سنة ١٦٩هـ .

له : أَنشُدكَ اللهَ أن تهلك غداً بحال مضيعة ، لا تأت العراق ، وإن كنت لا بدَّ فاعلاً فأقم حتى ينقضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدرون ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فأبى الحسين إلّا أن يمضي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني [لأظنك ستُقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قُتل عثمان بين نسائه وبناته ، والله إني][١] لأخاف أن تكون أنت الذي يُقاد به عثمان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس ! إنك شيخ قد كبرت . فقال له ابن عباس : لولا أن يُزري ذلك بي وبك لنشبتُ يدي في رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تناصَينا[٢] أقمتَ لفعلتُ ، ولكن لا إخال ذلك مانعك . فقال الحسين : لأن أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن تُستحل بي ـ يعني مكة ـ[٣] . قال : فبكى ابن عباس وقال : أقررتَ عينَ ابن الزبير بذلك ، وذلك الذي سلَّى نفسي عنه .

قال : ثم خرج ابن عباس عنه وهو مغضبٌ وابنُ الزبير على الباب ، فلمّا رآه قال : يا بن الزبير قد أتى ماأحببت ، قرَّت عينك ، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز ، ثم قال :

يـا لَـكِ مِـنْ قُنْبَـرَةٍ بمَعْمَـر   خَلاَ لَكِ الجوُّ فبيضِي واصْفِري
ونقِّرِي ما شِئْتِ أَنْ تنقِّري[٤]

قال : وبعث الحسين إلى المدينة يقدّم عليه من خفَّ معه من بني عبد المطلب ، وهم تسعة عشر رجلاً ونساءً وصِبيان من إخوانه وبناته ونسائه ، وتبعهم محمد بن الحنفيَّة ، فأدرك حسيناً بمكة ، فأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا ، فأبى الحسين أن يقبل ، فحبس محمدُ بن الحنفيَّة ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد[٥] الحسينُ في نفسه على محمد وقال : ترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه ؟! فقال محمد : وما حاجتي إلى أن تُصاب ويُصابوا معك ؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم .

قالوا : وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج متوجِّهاً إليهم في أهل بيته وستين شيخاً[٦] من أهل الكوفة[٧] ، وذلك يوم الإثنين في عشر ذي الحجة [سنة ستين][٨] فكتب مروان إلى ابن زياد : أما بعد : فإن الحسين بن علي قد توجَّه إليك ، وهو الحسين بن فاطمة ، وفاطمة

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٢) « تناصينا » : أخذ كل منا بناصية الآخر . ووقعت في ط : تباصينا .
(٣) في ط : « أن أقتل بمكة وتستحل بي » وما هنا من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٥٠) الذي ينقل منه المصنف ، وتهذيب الكمال (٦/ ٤٢١) .
(٤) تقدم تخريجه قبل صفحات .
(٥) « وجد » : غضب وحزن .
(٦) في ط : « شخصاً » ، خطأ وما هنا من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٥١) وتهذيب الكمال (٦/ ٤٢٢) .
(٧) بعد هذا في ط : « صحبته » وليست في م ولا في طبقات ابن سعد وتهذيب الكمال (٦/ ٤٢٢) .
(٨) ليس في ط .

بنت رسول الله ﷺ ، وتالله ماأحد يسلّمه الله أحبّ إلينا من الحسين ، فإياك أن تُهيِّج على نفسك ما لا يسدُّه شيء ، ولا تنساه العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر . والسلام . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص : أما بعد : فقد توجَّه إليك الحسين ، وفي مثلها تُعتق أو تكون عبداً تُسترقُّ كما يُسترقُّ العبيد .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني محمد بن الضحّاك ، عن أبيه قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : إنه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتُليت أنت به من بين العمّال ، وعندها تُعتق أو تعود عبداً كما ترقُّ العبيد وتعبَّد . فقتله ابن زياد ، وبعث برأسه إليه .

قلت : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام ، كما سيأتي .

[وفي رواية : أن يزيد كتب إلى ابن زياد : قد بلغني أن الحسين قد توجَّه نحو العراق ، فضع المناظر والمسالح ، واحترِس ، واحبس على الظنَّة ، وخذ على التُّهمة ، غير أن لا تقاتل إلّا مَنْ قاتلك ، واكتب إليّ في كل مايحدُث من خبر . والسلام][1]

قال الزبير بن بكّار : وحدّثني محمد بن الضحّاك قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة مرَّ بباب المسجد الحرام وقال :

لا ذَعَرْتُ السَّوَام في فَلَقِ الصُّبـ ـح مُغيراً ولا دُعِيتُ يَزيدا
يومَ أُعطي مخافةَ الموتِ ضَيْماً والمنايا يَرْصُدْنني أنْ أَحِيدا[2]

وقال أبو مِخْنف : قال أبو جَنَاب يحيى بن أبي حيَّة[3] : عن عدي بن حَرْملة الأسدي ، عن عبد الله بن سُليم والمذري[4] بن المشْمَعِلّ الأسديَّين قالا : خرجنا حاجَّيْن من الكوفة ، فقدمنا مكة ، فدخلنا يوم التَّروِيَة ، فإذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمَيْن عند ارتفاع الضحى فيما بين الحِجْر والباب ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئتَ أن تقيم أقمت فولِّيتَ هذا الأمر ، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك . فقال الحسين : إنَّ أبي حدّثني أنَّ لها كبشاً يستحلُّ حرمتها ، فما أُحِبُّ أن أكون أنا ذلك الكبش . فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئتَ ولِّني أنا الأمر فتُطاعَ ولا تُعصى . فقال : وما أريد هذا أيضاً . ثم إنهما أخفَيا كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس رائحين[5] متوجِّهين إلى

---

(١) هذه الرواية ليست في ب .
(٢) البيتان ليزيد بن مفرِّغ الحميري ، وقد قالهما الحسين متمثلاً . وهما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٢) والأغاني (١٨/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٣٦) .
(٣) تحرفت في ط إلى : خيثمة .
(٤) في ط : المنذر .
(٥) سقطت من ط ، وهي في م وعند الطبري (٥/ ٣٨٥) .

مِنىً عند الظهيرة . قالا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصَّفا والمروة ، وقصَّر من شعره ، وحلَّ من عُمرته ، ثم توجَّه نحو الكوفة ، وتوجَّهنا نحن مع الناس إلى مِنىً[١] .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني الحارث بن كعب الوالبي ، عن عُقبة بن سِمْعان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد ـ يعني نائب مكة ـ عليهم أخوه يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرِف ، أين تريد ؟! فأبى عليه ومضى ، وتدافع الفريقان ، وتضاربوا بالسِّياط والعصيّ . ثم إن حسيناً وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ، ومضى الحسين على وجهه ذلك ، فنادَوْه : يا حسين ! ألا تتقي الله ، أتخرج من الجماعة وتفرِّق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة ؟! فتأوَّل الحسين قول الله تعالى[٢] : ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ٤١] .

قال : ثم إن الحسين مرَّ بالتَّنعيم[٣] ، فلقي بها عِيراً قد بعث بها بَحِير بن رَيْسَان[٤] الحِمْيري نائب اليمن إلى يزيد بن معاوية ، عليها [ورسٌ وحُلَلٌ كثيرة ، فأخذها الحسين وانطلق بها ، واستأجر أصحاب الجمال عليها][٥] إلى الكوفة ، ودفع إليهم أجرتهم .

ثم ساق أبو مِخْنف بإسناده الأول : أن الفَرَزدق[٦] لقي الحسين في الطريق ، فسلَّم عليه وقال له : أعطاك الله سؤلك وأمَّلك فيما تحب . فسأله الحسين عن أمر الناس[٧] وراءه ، فقال له : قلوبُ الناس معك ، وسيوفُهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء . فقال له : صدقتَ ، لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ، يفعل مايشاء ، وكل يوم ربُّنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحبُّ فنحمَد الله على نَعمائه ، وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد[٨] من كان الحق نيَّته والتقوى سريرته . ثم حرَّك الحسين راحلته وقال : السلام عليكم . ثم افترقا[٩] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) .

(٢) في ط : « هذه الآية » بدل « قول الله تعالى » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٥) .

(٣) « التنعيم » : موضع بمكة في الحل ، فيه مساجد حول مسجد عائشة وسقايا على طريق المدينة ، يحرم منه المكيون بالعمرة . معجم البلدان (٢/ ٤٩) .

(٤) في أ ، ط : بجير بن زياد ، وفي ب : بحير بن ريان وكلاهما تصحيف ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو مطابق لما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٥) ومشتبه النسبة للذهبي (١/ ٤٧) وغيره .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٦) هو ابن غالب ، الشاعر المشهور .

(٧) بعد هذا في ط : « وما » ، وما أثبتناه من م ، وهو الموافق لسياق الطبري .

(٨) في ط : « يتعد » وما أثبتناه من م وتاريخ الطبري .

(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٦) .

وقال هشام بن الكلبي : عن عَوانة بن الحكم ، عن لَبَطَة[١] بن الفَرَزدق ، عن أبيه قال : حججتُ بأمي ، فبينما أنا أسوق بها بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج ـ وذلك سنة ستين ـ إذ لقيتُ الحسين خارجاً من مكة معه أسيافُه وأتراسُه ، فقلت له : بأبي وأمي يا بنَ رسول الله ! ما أعجلك عن الحج ؟ فقال : لو لم أعجل لأُخِذت . ثم سألني : ممن أنت ؟ فقلت : امرؤ من العراق ، فسألني عن الناس ، فقلت له : القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية . وذكر نحو ما تقدم .

قال الفرزدق : وسألت الحسين عن أشياء وعن المناسك ، فأخبرني بها . قال : وإذا هو ثقيل اللسان من بِرْسام[٢] كان أصابه بالعراق . قال : ثم مضيت فإذا فُسْطاط[٣] مضروب في الحرم ، وهيئة حسنة ، فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألني ، فأخبرته أني لقيت الحسين ، فقال : فهلاّ اتَّبعته ؟ فإن الحسين لا يَحِيكُ[٤] فيه السِّلاح ، ولا يجوز فيه ولا في أصحابه . فندم الفرزدق وهمَّ أن يلحق به ، ووقع في قلبه مقالة ابن عمرو ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصدَّني ذلك عن اللحاق به . فلمّا بلغه أنه قُتل لَعَن ابن عمرو ، وكان ابن عمرو يقول : والله لا تبلغ الشجرةُ ولا النخلةُ ولا الصغيرُ حتى يبلغ هذا الأمر ويظهر . وإنما أراد ابن عمرو بقوله : لا يَحيك فيه السِّلاح ، أي : السِّلاح الذي لم يقدَّر أن يقتل به . وقيل غير ذلك ، وقيل : أراد الهَزْل بالفرزدق[٥]

قالوا : ثم سار الحسين لا يَلوي على شيْ ، حتى نزل ذات عِرْق .

قال أبو مِخْنف : فحدّثني الحارث بن كعب الوالبي ، عن علي بن الحسين بن علي قال : لمّا خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنيه[٦] : عون ومحمد : أما بعد ، فإني أسألك بالله لما انصرفتَ حتى تنظر في كتابي هذا ، فإني مشفِق عليك من الوجه الذي توجَّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت اليوم طُفيء نور الإسلام ، فإنك علَم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجَل بالسير فإني في أثر كتابي ، والسلام .

ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد ـ نائب مكة ـ فقال له : اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان ، وتمنِّيه فيه البِرَّ والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعلَّه يطمئنُّ إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب عني ماشئتَ وائتني به حتى أختمه . فكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد

---

(١) تحرف في ط إلى : ليطة ، وفي ب إلى : لبيطة .
(٢) « البرسام » : ذات الجنب ، وهو التهابٌ في الغشاء المحيط بالرئة .
(٣) « الفسطاط » : بيت كبير من الشعر .
(٤) « يحيك » : يؤثر .
(٥) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) وأيضاً في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٧٣) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٤٤) .
(٦) في ط : ابنه ، خطأ .

ما أراد عبد الله ، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فختمه بخاتمه ، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد : ابعث معي أخاك ، فبعث معه أخاه يحيى ، فانصرفا حتى لحقا الحسين ، فقرأا عليه الكتاب ، فأبى أن يرجع وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أمرني بأمر وأنا ماضٍ له ، فقالا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال : لا أحدِّث بها أحداً حتى ألقى ربي عزَّ وجلّ[(١)] .

قال أبو مِخْنف : وحدّثني محمد بن قيس : أنَّ الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرُّمة[(٢)] ، بعث قيس بن مُسْهِر الصَّيداوي إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليٍّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمَد إليكم اللهَ الذي لا إله إلّا هو ، أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن عَقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا ، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يُثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التَّروِيَة ، فإذا قدم عليكم رسولي فأكيسُوا[(٣)] أمركم وجدُّوا ، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال : وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يُقتل بسبع وعشرين ليلة ، ومضمونه : أما بعد ، فإن الرائد لا يَكذِبُ أهلَه ، وإن جميع أهل الكوفة معك ، فأَقبِل حين تقرأ كتابي هذا ، والسلام عليك .

قال : وأقبل قيس بن مُسهِر الصَّيداوي بكتاب الحسين إلى الكوفة ، حتى إذا انتهى إلى القادسيَّة أخذه الحُصَين بن نُمير ، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له ابن زياد : اصعَد إلى أعلى القصر فسُبَّ الكذّاب ابن الكذّاب . فصعِدَ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنَّ هذا الحسين بن علي خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقتُه بالحاجر من بطن الرُّمة ، فأَجيبوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعليٍّ والحسين . فأمر به ابن زياد ، فأُلقي من رأس القصر فتقطَّع ، ويقال : بل تكسَّرت عظامه وبقي فيه بقية رَمَق . فقام إليه عبد الملك بن عُمير البَجلي فذبحه وقال : إنما أردتُ إراحته من الألم ـ وقيل : إنه رجل يشبه عبد الملك بن عُمير وليس به . وفي رواية : أن الذي قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن بُقطر أخو الحسين من الرَّضاعة ، فأُلقي من أعلى القصر . والله أعلم[(٤)] .

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشيء من أخبار ما وقع .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) .

(٢) وقع في ط : بطن ذي الرمة وهو خطأ . والرمة ـ بتشديد الميم ويخفف ـ واد بنجد .

(٣) كذا في أ ، ب ، م ، ووقعت في ط : فاكتموا وفي تاريخ الطبري : فاكمشوا .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

قال أبو مِخْنف : عن أبي علي الأنصاري ، عن بكر بن مصعب المُزَني قال : وكان الحسين لا يمرُّ بماءٍ من مياه العرب إلا اتَّبعوه .

قال أبو مِخْنف : عن أبي جَنَاب ، عن عدي بن حَرْملَة ، عن عبد الله بن سُليم والمذري[1] بن المشْمَعِلّ الأسديَّين قالا : لما قضينا حجَّنا لم يكن لنا همة إلّا اللحاق بالحسين ، فأدركناه وقد مرَّ برجل من بني أسد ، فهمَّ الحسين أن يكلِّمه ويسأله ثم ترك ، فجئنا ذلك الرجل ، فسألناه عن أخبار الناس ، فقال : والله لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقيل وهانىء بن عروة ، ورأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق . قالا : فلحقنا الحسين فأخبرناه ، فجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مراراً . فقلنا له : اللهَ اللهَ في نفسك . فقال : لا خير في العيش بعدهما . قلنا : خارَ اللهُ لك . وقال له بعض أصحابه : والله ما أنت مثل مسلم بن عَقيل ، ولو قدمتَ الكوفة لكان الناس إليك أسرع[2] .

وقال غيرهما : لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عَقيل وثب عند ذلك بنو عَقيل بن أبي طالب وقالوا : لا والله لا نرجع حتى ندركَ ثأرنا أو نذوقَ ما ذاق أخونا .

فسار الحسين ، حتى إذا كان بزَرُود[3] بلغَه أيضاً مقتل الذي بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر ، فقال : قد خذلتنا شيعتُنا ، فمن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه ، وليس عليه منا ذِمام . قال : فتفرَّق الناس عنه أيادِي سَبَا[4] يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه [من مكة . وإنّما فعل ذلك لأنه ظنَّ أن مَن اتَّبعه من الأعراب إنما اتَّبعوه لأنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهلها ، فكرِهَ أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون ، وقد علم أنه إذا بيَّن لهم الأمر لم يصحبْه إلّا مَنْ يريد مواساته في الموت معه][5] .

قال : فلمّا كان السَّحَر أمر فتيانه أن يستقُوا من الماء ويُكثروا منه . ثم سار حتى مرَّ ببطن العَقَبة ، فنزل بها .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن يزيد الرِّشْك قال : حدّثني من شافَهَ الحسين قال : [رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه

---

(١) في ط : المنذر .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٨) .
(٣) زرود : منطقة رملية بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان (٣/ ١٣٩) .
(٤) « تفرقوا أيادي سبا » : مثل ضربته العرب في الفرقة : أي فرقتهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى . والعرب لاتهمز سبا في هذا الموضع لأنه كثر في كلامهم فاستثقلوا فيه الهمز ، وإن كان أصله مهموزاً . اللسان : مادة (سبأ) .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) .

لحسين ، قال][١] : فأتيتُه ، فإذا شيخٌ يقرأ القرآن والدموعُ تسيل على خدَّيه ولحيته ، قال : قلت بأبي وأمي يا بن رسول الله ، ماأنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟! فقال : هذه كتب أهل الكوفة إليَّ ، ولا أراهم إلّا قاتليّ ، فإذا فعلوا ذلك لم يَدَعوا لله حرمة إلّا انتهكوها ، فيسلِّط الله عليهم مَنْ يذِلُّهم حتى يكونوا أذلَّ مِن فَرَمِ الأَمَة ـ يعني : مِقْنَعَتها[٢] . وأخبرنا علي بن محمد ، عن الحسن بن دينار ، عن معاوية بن قُرَّة قال : قال الحسين : والله لتَعْتدنَّ عليَّ كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت . وحدّثنا علي بن محمد ، عن جعفر بن سليمان الضُّبعي قال : قال الحسين : والله لا يَدَعوني حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جوفي ، فإذا فعلوا ذلك سلَّط الله عليهم من يُذلُّهم حتى يكونوا أذل مِن فَرَم الأَمَة . فقُتل بِنِيْنَوى[٣] يوم عاشوراء سنة إحدى وستين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو بكر الحميدي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا شهاب بن خِرَاش[٤] ، عن رجل من قومه قال : كنت في الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين[وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال الدَّيلم ، فعيَّنهم ابن زياد ، وصرفهم إلى قتال الحسين][٥] فلقيتُ حسيناً ، فرأيته أسود الرأس واللحية ، فقلت له : السلام عليك أبا عبد الله . فقال : وعليك السلام ـ وكانت فيه غُنَّة ـ فقال : لقد باتت فيكم سللة منذ الليلة ـ يعني سُرّاقاً[٦] . قال شهاب : فحدثت به زيد بن علي فأعجبه : وكانت فيه غُنَّة . قال سفيان بن عيينة : وهي في الحسينيِّين[٧] .

قال أبو مِخْنف : عن أبي خالد الكاهلي قال : لما صبَّحت الخيلُ الحسينَ بن علي رفع يديه فقال : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدَّة ، وأنت لي من كل أمر نزل بي ثقةٌ وعدَّة ، فكم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقلُّ فيه الحيلة ، ويخذُل فيه الصديق ، ويشمَت فيه العدو ، فأنزلتُه بك وشكوتُه إليك ، رغبةً فيه إليك عمن سواك ، ففرَّجتَه وكشفتَه وكفيتَنيه ، فأنت[٨] وليُّ كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل غاية[٩]

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ب .
(٢) « المقنعة » : ماتغطي به المرأة رأسها . وفي النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٤١) : (حتى تكونوا أذل من فرم الأمة) هو ماتعالج به المرأة فرجها ليضيق . وقيل : هو خرقة الحيض .
(٣) « نينوى » : ناحية بسواد الكوفة ، منها كربلاء .
(٤) تحرف في ط والمعرفة والتاريخ إلى : حراش وفي أ إلى : حرشان .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب ، كما سقطت لفظة آلاف من المعرفة والتاريخ .
(٦) في ط : سرافاً تحريف .
(٧) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٥) .
(٨) بعد هذا في ط : « لي » وليست في م ولا في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٣) ، ولا في تاريخ دمشق .
(٩) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٤٦) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : حدّثني حجّاج بن محمد ، عن أبي مَعْشر[١] ، عن بعض مشيخته قال : قال الحسين حين نزلوا كَرْبلاء : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا : كَرْبلاء . قال : كربٌ وبلاء .

وبعث عبيدُ الله بن زياد عمرَ بن سعد لقتالهم ، فقال له الحسين : يا عمر! اختَرْ لي إحدى ثلاث خصال : إما أن تتركني أرجع كما جئت ، فإن أبيتَ هذه فسيِّرْني إلى يزيد [فأضع يدي في يده فيحكم فيَّ ما رأى ، فإن أبيتَ هذه فسيِّرْني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهمَّ أن يسيِّره إلى يزيد][٢] فقال شَمِرُ بن ذي الجَوْشَن : لا ، إلاَّ أن ينزل على حُكمك . فأرسل إلى الحسين بذلك ، فقال الحسين : والله لا أفعل . وأبطأ عمر عن قتاله ، فأرسل ابن زياد شَمِرَ بن ذي الجَوْشَن وقال له : إنْ تقدَّم عمرُ فقاتلَ وإلاَّ فاقتله وكن مكانه ، فقد ولَّيتك الإمرة . وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة ، فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً ؟! فتحوَّلوا مع الحسين يقاتلون معه[٣] .

وقال أبو زرعة : حدّثنا سعيد بن سليمان ، حدّثنا عبّاد بن العوّام ، عن حُصين قال : أدركتُ ذاك ـ يعني مقتل الحسين ـ قال : فحدّثني سعد بن عبيدة قال : فرأيت الحسين وعليه جبَّة برود ، ورماه رجل يقال له عمرو بن خالد الطُّهَوي بسهم ، فنظرتُ إلى السهم معلَّقاً بجبَّته[٤] .

وقال ابن جرير : حدّثنا محمد بن عمّار الرازي ، حدّثنا سعيد بن سليمان ، حدّثنا عبّاد بن العوّام ، حدّثنا حُصين : أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة : إنَّ معك مئة ألف . فبعث إليهم مسلم به عَقيل . . . فذكر قصة مقتل مسلم كما تقدم .

قال حُصين : فحدّثني هلال بن يِسَاف : أن ابن زياد أمر الناس أن يأخذوا ما بين واقصةَ إلى طريق الشام إلى طريق البصرة ، فلا يَدَعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج ، وأقبل الحسين ولا يشعر بشيء ، حتى أتى الأعراب ، فسألهم عن الناس ، فقالوا : والله لا ندري ، غير أنك لا تستطيع أن تلج ولا تخرج . قال : فانطلق يسير نحو يزيد بن معاوية ، فتلقَّته الخيول بكربلاء ، فنزل يناشدهم الله والإسلام . قال : وكان بعث إليه ابنُ زياد عمرَ بن سعد وشَمِرَ بن ذي الجَوْشَن وحُصين بن نُمير ، فناشدهم اللهَ والإسلام أن يسيِّروه إلى أمير المؤمنين يزيد ، فيضع يده في يده ، فقالوا له : لا ، إلاَّ أن تنزل على حُكم ابن زياد . وكان في جملة من معهم الحرُّ بن يزيد الحَنْظلي ثم النَّهْشلي على خيل ، فلمّا سمع ما يقول الحسين قال

---

(١) تحرفت لفظة معشر في أ إلى : مسعر وفي ب إلى : مسعود . والخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣١١) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٤٧) .
(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٦٢٦) .

لهم : ألا تقبلون من هؤلاء ما يَعرضون عليكم ؟! والله لو سألْتكم هذا الترك والدَّيلم ما حلَّ لكم أن تردُّوهم . فأَبَوْا إلّا حكم ابن زياد ، فضرب الحرُّ وجه فرسه وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنُّوا أنه جاء ليقاتلهم ، فلمّا دنا منهم قلب ترسه وسلَّم عليهم ، ثم كرَّ على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ، ثم قُتل رحمه الله[١] .

وذكر أن زهير بن القَيْن البَجَلي لقي الحسين وكان حاجّاً ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي مخرمة[٢] المرادي ورجلان آخران ـ وهما عمرو بن الحجّاج ومعن السُّلمي ـ [قال الحُصين : وقد رأيتهما . قال :][٣] وأقبل الحسين يكلِّم من بعث إليه ابن زياد [وإني لأنظر إليه][٤] وعليه جبَّة من برود ، فلمّا كلَّمهم انصرف ، فرماه رجل من بني تميم يقال له عَمْرو الطُّهَوي بسهم بين كتفيه ، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلّقاً بجبَّته ، فلما أَبَوْا عليه رجع إلى مصافِّه ، وإني لأنظر إليهم وهم قريب من مئة رجل ، فيهم لصُلب علي خمسة ، ومن بني هاشم ستة عشر ، ورجل من بني سُليم حليف لهم ، ورجل من بني كنانة حليف لهم ، وابن عم ابن زياد .

وقال حُصين : وحدّثني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد ، إذ أتاه رجل فسارَّه فقال له : قد بعث إليك ابن زياد جُوَيرية بن بدر التميمي ، وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك . قال : فوثب إلى فرسه فركبها ، ثم دعا بسلاحه فلبسه ، وإنه لعلى فرسه ، ونهض بالناس إليهم فقاتَلوهم ، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد ، فوضع بين يديه ، فجعل يقول بقضيبه في أنفه ويقول : إن أبا عبد الله كان قد شَمِط[٥] . قال : وجيء بنسائه وبناته وأهله ، وكان أحسن شيء صنَعَه أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل ، وأجرى عليهم رزقاً ، وأمر لهم بنفقة وكسوة . قال : وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر ـ أو ابن أبي جعفر ـ فأتيا رجلاً من طيىء ، فلجأا إليه يستجيران به ، فضرب أعناقهما وجاء برأسَيْهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد . قال : فهمَّ ابن زياد بضرب عنقه ، وأمر بداره فهُدمت[٦] .

قال : وحدّثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال : لما أُتي يزيدُ برأس الحسين فوضع بين يديه ، رأيته يبكي ويقول : لو كان بينه وبينه رحِمٌ ما فعل هذا ـ يعني ابن زياد[٧] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٢) .
(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٢) بحرية .
(٣) ما بين الحاصرتين ليس في ط ، واستدركناه من م ، وهو في تاريخ الطبري أيضاً (٥/ ٣٩٢) .
(٤) ما بين الحاصرتين من م ، وهو أيضاً في تاريخ الطبري .
(٥) « شمط » : شاخ وكبر .
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٣) .
(٧) المصدر السابق .

قال الحصين : ولما قُتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطَّخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع[١].

[قال أبو مخنف : حدّثني لَوْذان ـ أحد بني[٢] عكرمة ـ أن أحد عمومته سأل الحسين : أين تريد ؟ فحدَّثه ، فقال له : أنشُدُك الله لما انصرفت راجعاً ، فوالله ما بين يديك من القوم أحد يذبُّ عنك ولا يقاتل معك ، وإنما ـ والله ـ أنت قادم على الأسنَّة والسيوف ، فإنَّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفَوْك مؤنة القتال ووطؤوا لك الأشياء ثم قدمتَ عليهم بعد ذلك كان ذلك رأياً ، فأمّا على هذه الصفة فإني لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس يخفى عليَّ ما قلتَ وما رأيت ، ولكنَّ الله لا يُغلب على أمره . ثم ارتحل قاصداً الكوفة .

وقال خالد بن العاص :

رُبَّ مستَنْصَحٍ يَغُشُّ ويُرْدِي وظَنِينٍ بالغَيْب يُلفَى نَصِيحا][٣]

وقد حج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عامل المدينة ومكة ليزيد . وقد عَزل يزيدُ عن إمرة المدينة الوليد بن عُتبة وولّاها عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان منها [وكان عُبيد الله بن زياد على البصرة والكوفة][٤] .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلّت هذه السنة والحسين بن علي سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقراباته ، فقُتل في يوم عاشوراء من شهر المحرّم من هذه السنة على المشهور الذي صحَّحه الواقدي وغير واحد ، وزعم بعضهم أنه قُتل في صفر منها ، والأول أصح .

وهذه صفة مَقْتله مأخوذة من كلام أئمَّة هذا الشأن لا كما يزعمُه أهل التشيُّع من الكذب الصَّريح والبُهْتان

قال أبو مِخْنف : عن أبي جَنَاب ، عن عدي بن حَرْملة ، عن عبد الله بن سُليم[٥] والمذري بن

(١) المصدر السابق .
(٢) قوله : أحد بني تحرف في ط إلى : حدثني . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٩) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب. والبيت في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٢) وهو لإبراهيم بن العباس الصولى كما في فهرسه .
(٤) ما بين الحاصرتين من م .
(٥) اضطربت النسخ في هذا السند : فوقع في أ ، ط . . . عن عدي بن حرملة ، عن عبد الله بن حرملة ، عن عبد الله بن=

المشمعِلّ الأسديَّين قالا : أقبل الحسين ، فلمّا نزل شَرَاف[١] قال لغِلمانه وقت السحر : استقُوا من الماء فأكثِروا ، ثم ساروا إلى صدر النهار ، فسمع الحسين رجلاً يكبِّر ، فقال له : ممَّ كبَّرت ؟ فقال : رأيت النخل ، فقال له الأسديّان : إن هذا المكان لم يرَ أحد منه نخلة ، فقال الحسين : فماذا تريانه رأى ؟ فقالا : هذه الخيل قد أقبلت ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقالا : بلى ، ذو حُسم ، فأخذ ذات اليسار إليها فنزل ، وأمر بأبنيته فضُربت ، وجاء القوم ـ وهم ألف فارس مع الحرِّ بن يزيد التميمي ، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد ـ حتى وقفوا في مقابلته في نَحْر[٢] الظَّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمُّون متقلِّدو سيوفهم ، فأمر الحسين أصحابه أن يتروَّوا من الماء ، ويَسقُوا خيولهم ، وأن يسقُوا خيول أعدائهم أيضاً .

وروى هو وغيره قالوا : لمّا دخل وقتُ الظهر أمر الحسين الحجّاج بن مَسْروق الجُعْفي فأذَّن ، ثم خرج الحسين في إزار ورداءٍ ونعلَين ، فخطب الناس من أصحابه وأعدائه ، واعتذر إليهم في مجيئه هذا إلى هاهنا : بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة : أن ليس لهم إمام ، وإن أنتَ قدمتَ علينا بايعناك وقاتلنا معك . ثم أُقيمت الصلاة ، فقال الحسين للحرّ : تريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال : لا ، ولكن صلِّ أنت ونصلِّي نحن وراءك . فصلَّى بهم الحسين ، ثم دخل خيمته واجتمع به أصحابه ، وانصرف الحرُّ إلى جيشه وكلٌّ على أُهبته ، فلما كان وقتُ العصر صلَّى بهم الحسين ، ثم انصرف ، فخطبهم وحثَّ على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الأدعياء السائرين بالجَوْر . فقال له الحرّ : إنا لا ندري ما هذه الكتب ولا مَنْ كتبها ، فأحضر الحسين خُرجَيْن مملوءين كتباً ، فنثرها بين يديه وقرأ منها طائفة ، فقال الحرّ : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك[٣] ، وقد أُمرنا ـ إذا نحن لقيناك ـ أن لا نفارقك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد . فقال الحسين : الموت أدنى إليك من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وركب النساء ، فلمّا أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحرّ : ثكلتك أمُّك ! ماذا تريد ؟ فقال له الحرّ : أما والله لو غيرك يقولها لي [من العرب وهو على مثل الحال التي أنت عليها][٤] لأقتصنَّ منه ولما تركت ذكر أمّه ، ولكن لا سبيل إلى ذكر أمك إلّا بأحسن ما نقدر عليه . وتقاول القوم

= سليم . وتحرف سليم في ب إلى : سليمان . وما أثبتنا من تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٠) علماً بأن هذا السند كثير الورود عند ابن جرير .

(١) تحرفت في ط إلى : شرف . وشراف : على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب ، ومن شراف إلى واقصة ميلان . معجم البلدان (٣/ ٣٣١) .

(٢) تحرفت في ط إلى : نحو . « ونحر الظهيرة » : هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع ، كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر . اللسان : مادة (نحر) .

(٣) بعد هذا في ط : « في شيء » وليست في م ولا في تاريخ الطبري ولا في الكامل لابن الأثير ، لذلك حذفناها .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وتراجعوا ، فقال له الحرّ : إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما أُمرت أن لا أفارقك حتى أُقدمك الكوفة على ابن زياد ، فإن أبيتَ فخذ طريقاً لا تقدمك الكوفة ولا تردّك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد ، وأكتب أنا إلى ابن زياد إن شئت ، فلعل الله أن يأتيَ بأمر يرزقني فيه العافية من أن أُبتلى بشيء من أمرك . قال : فأخذ الحسين يساراً عن طريق العُذَيب[١] والقادسيّة ، والحرُّ بن يزيد يسايره وهو يقول له : يا حسين ! إني أذكِّرك اللهَ في نفسك ، فإني أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلنّ ، ولئن قوتلت لتَهلكنَّ فيما أرى . فقال له الحسين : أفبالموت تخوّفني ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال : أين تذهب فإنك مقتول ؟ فقال :

سَأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفَتَى ... إذا ما نوىٰ حقّاً وجاهَدَ مُسْلِما
وآسَى الرجالَ الصّالحينَ بنفسِهِ ... وفارقَ خَوْفاً أنْ يعيشَ ويُرْغَما

ويروى على صفة أخرى :

سَأمضي وما بالموتِ عارٌ على امرىءٍ ... إذا ما نوىٰ حقّاً ولم يُلفَ مُجْرِما
فإنْ متُّ لم أَندمْ وإنْ عشتُ لم أُلَمْ ... كفى بكَ موتاً أن تَذِلَّ وتُرْغَما[٢]

فلما سمع ذلك الحرُّ منه تنحّى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، فانتهَوْا إلى عُذيب الهِجانات [كان بها هجائن النعمان ترعى هنالك][٣] فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يخبُّون ويجنِّبون[٤] فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ، يقصدون الحسين ، ودليلُهم رجل يقال له الطِّرِمّاح بن عديّ راكب على فرس وهو يقول :

يا ناقتي لا تُذْعَري من زَجْري ... وشمِّري قبلَ طلوعِ الفَجْرِ
بخيرِ رُكبانٍ وخيرِ سَفْرِ ... حتى تحلّي بكريمِ النَّجْرِ[٥]
الماجدِ الحرِّ رَحيبِ الصَّدرِ ... أَتىٰ بهِ اللهُ لخيرِ أَمْرِ
ثُمّتَ أَبقاهُ بقاءَ الدَّهرِ

فأراد الحرُّ أن يحُول بينهم وبين الحسين ، فمنعه الحسين من ذلك ، فلمّا خلَصوا إليه قال لهم : أخبروني عن الناس وراءكم ، فقال له مجمّع بن عبد الله العائذي[٦] ـ أحد النفر الأربعة : أما أشراف الناس

---

(١) « العذيب » : ما بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال . معجم البلدان (٤/ ٩٢) .
(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٤) وابن الأثير (٤/ ٤٩) .
(٣) من أ فقط ، ومثله في تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٤) .
(٤) « الخبب والتجنيب » : صفتان تستحبان في عَدْو الفرس .
(٥) « النجر » : الأصل والحسب .
(٦) في أ ، ط : العامري . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٥) واللباب لابن الأثير (٢/ ٣٠٨) .

فهم إلْب [عليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم ، يُستمال بذلك وُدُّهم ، ويُستخلص به نصيحتهم ، فهم إلْبٌ][1] واحد عليك ، وأما سائر الناس فأفئدتهم تَهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك . قال لهم : فهل لكم برسولي علم ؟ قالوا : ومن رسولك ؟ قال : قيس بن مُسْهر الصَّيداوي ، قالوا : نعم ، أخذه الحُصين بن نُمير فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلَّى عليك وعلى أبيك ولعن ابنَ زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به فأُلقي من رأس القصر فمات . فترقرقت عينا الحسين وقرأ قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ الآية . . . [الأحزاب : ٢٣] ، ثم قال : اللهمَّ اجعل منازلهم الجنَّة ، واجمع بيننا وبينهم في مستقرٍّ من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك .

ثم إن الطِّرِمّاح بن عديّ قال للحسين : أنظرُ فما أرى معك أحداً إلّا هذه الشِّرْذمة اليسيرة ، وإني لا أرى هؤلاء القوم الذين يسايرونك أكفاء لمن معك ، فكيف وظاهر الكوفة مملوء بالخيول والجيوش يعرضون ليقصدوك ! فأنشُدُك اللهَ إن قدرتَ أن لا تتقدم إليهم شبراً فافعل ، فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك اللهُ به [حتى ترى رأيك فسِرْ معي حتى أنزلك مَنَاع جبلنا ، وهو أَجَأ ، منعنا الله به][2] من ملوك غسان وحِمْير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر ، والله إن دخلنا ذلٌّ قطُّ فأسير معك حتى أنزلك القُرَيَّة ثم تبعث إلى الرجال ممن بأَجَأ وسَلمى من طيِّىء ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فأنا زعيم بعشرة آلاف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تَطرف . فقال له الحسين : جزاك الله خيراً . ولم يرجع عمّا هو بصدده ، فودَّعه الطِّرِمّاح .

ومضى الحسين ، فلمّا كان من الليل أمر فتيانه أن يستقُوا من الماء كفايتهم ، ثم سرى فنَعَس في مسيره حتى خفق برأسه ، واستيقظ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربِّ العالمين . ثم قال : رأيت فارساً على فرس وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم ، فعلمتُ أنها أنفسنا نُعيت إلينا . فلمّا طلع الفجر صلَّى بأصحابه ، وعجل الركوب ، ثم تياسر في مسيره حتى انتهى إلى نِيْنَوى ، فإذا راكب متنكِّب قوساً قد قدم من الكوفة ، فسلَّم على الحرِّ بن يزيد ولم يسلِّم على الحسين ، ودفع إلى الحرِّ كتاباً من ابن زياد ، ومضمونُه : أن يَعْدِلَ بالحسين في السير إلى العراء[3] في غير قرية ولا حِصْن حتى تأتيه رسلُه وجنوده ، وذلك يوم الخميس الثاني من المحرَّم سنة إحدى وستين . فلمّا كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف ، وكان قد جهَّزه ابن زياد في هؤلاء إلى الدَّيلم ، وخيَّم بظاهر الكوفة ، فلمّا قدم عليهم أمر الحسين قال له : سِرْ إليه ، فإذا فرغتَ منه فسِرْ إلى الدَّيلم . فاستعفاه عمر بن سعد من

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وقوله : فهم إلب واحد أي : مجتمعون عليه بالعداوة .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، والمثبت في أ ، ب وتاريخ الطبري (٥/ ٤٠٦) .
(٣) كذا في (ب) وتاريخ الطبري (٥/ ٤٠٨) ووقعت في أ ، ط : العراق .

ذلك ، فقال له ابن زياد : إن شئت عفيتُك وعزلتُك عن ولا ية هذه البلاد التي قد استنبتُك عليها ، فقال : حتى أنظر في أمري ، فجعل لا يستشير أحداً إلّا نهاه عن المسير إلى الحسين ، حتى قال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة : إياك أن تسير إلى الحسين فتعصي ربَّك وتقطع رحمَك ، فوالله لأن تخرج من سلطان الأرض كلِّها أحبُّ إليك من أن تلقى الله بدم الحسين ، فقال : إني أفعل إن شاء الله تعالى . ثم إن عبيد الله بن زياد تهدَّده وتوعَّده بالعزل والقتل ، فسار إلى الحسين ، فنازله في المكان الذي ذكرنا ، ثم بعث إلى الحسين الرسل : ما الذي أقدمك ؟ فقال : كتب إليَّ أهل الكوفة أن أقدم عليهم ، فإذ قد كرهوني فأنا راجع إلى مكة وأذركم . فلمّا بلغ عمر بن سعد هذا قال : أرجو أن يعافيَني اللهُ من حربه . وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فردَّ عليه ابن زياد : أن حُلْ بينهم وبين الماء كما فُعل بالتقيِّ الزكيِّ المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، واعرِضْ على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فإذا فعلوا ذلك رأْينا رأْينا . وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من ورود الماء ، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجّاج ، فدعا عليهم [الحسين][1] بالعطش ، فمات هذا الرجل من شدَّة العطش .

ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين ، فجاء كل واحد منهما في نحو من عشرين فارساً ، فتكلَّما طويلاً حتى ذهب هَزِيع[2] من الليل ، ولم يدر أحد ما قالا ، ولكن ظنَّ بعض الناس أنه سأله أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ويتركا العسكرين متواقفين ، فقال عمر : إذاً يهدم ابن زياد داري ، فقال الحسين : أنا أبنيها لك أحسن مما كانت . قال : إذاً يأخذ ضِيَاعي ، قال : أنا أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز . قال : فتكرَّه عمر بن سعد من ذلك . وقال بعضهم : بل سأل منه إما أن يذهبا إلى يزيد ، أو يتركه يرجع إلى الحجاز ، أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك . فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك ، فقال : نعم ، قد قبلت . فقام الشِّمِر بن ذي الجَوْشن فقال : لا والله حتى ينزل على حُكمك هو وأصحابه . ثم قال : والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدَّثان عامة الليل . فقال له ابن زياد : فنِعم ما رأيت .

وقد روى أبو مِخْنف : حدّثني عبد الرحمن بن جندَب ، عن عقبة بن سِمْعان قال : لقدصحبتُ الحسين من مكة إلى حين قُتل ، والله ما من كلمة قالها في موطن إلّا وقد سمعتها ، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده في يده ، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور ، ولكن طلب منهم أحد أمرين : إما أن يرجع من حيث جاء ، وإما أن يَدَعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه[3] .

---

(١) من ب فقط . تاريخ الطبري (٥/ ٤١٢) .

(٢) « الهزيع من الليل » : طائفة منه نحو ثلثه أو ربعه .

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤١٣ ـ ٤١٤) .

ثم إن عبيد الله بعث شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال : اذهب فإن جاء حسين وأصحابه على حُكمي وإلّا فمُرْ عمر بن سعد أن يقاتلهم ، فإن تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس . وكتب إلى عمر بن سعد يتهدَّده على توانيه في قتال الحسين . وأمره إن لم يجئ الحسين إليه أن يقاتله ومن معه فإنهم مشاقُّون . فاستأمن عبيد[١] الله بن أبي المحلّ لبني عمته أمِّ البنين بنت حِزام[٢] من علي ، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبعثه عبيد الله بن أبي المحلّ مع مولى له يقال له : كرمان[٣] ، فلمّا بلغهم ذلك قالوا : أما أمان ابن سُمَيَّة فلا نريده ، وإنا لنرجو أماناً خيراً من أمان ابن سُمَيَّة .

ولما قدم شَمِر بن ذي الجَوْشن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد ، قال عمر : أبعدَ اللهُ دارك ، وقبَّح ما جئت به ، والله إني لأظنك الذي صرفتَه عن الذي عرضتُ عليه من الأمور الثلاثة التي طلبها الحسين ، فقال له شَمر : فأخبرني ما أنت صانع ، أمقاتلهم أنت أو تاركي وإياهم ؟ فقال له عمر : لا ، ولا كرامة لك ! أنا أتولَّى ذلك ، وجعله على الرَّجَّالة . ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرّم ، فقام شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال : أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب ، فقال : أنتم آمنون . فقالوا : إن أمَّنْتنا وابن رسول الله ﷺ وإلّا فلا حاجة لنا بأمانك .

قال : ثم نادى عمر بن سعد في الجيش : يا خيل الله اركبي وأبشري ، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ ، هذا والحسين أمام خيمته محتبياً بسيفه ، نَعَس فخفق برأسه ، وسمعت أخته الضجَّة ، فدنت منه فأيقظته ، فرجع برأسه كما هو وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال لي : « إنَّكَ تروحُ إلينا » ، فلطمتْ وجهها وقالت : يا ويلتا . فقال : ليس لك الويل يا أختاه ، اسكُني رحمك الرحمن . وقال له أخوه العباس بن علي : يا أخي جاءك القوم ، فقال : اذهب إليهم فسَلْهم : ما بدا لهم ؟ فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال : ما لكم ؟ فقالوا : جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حُكمه ، وإما أن نقاتلكم . فقال : مكانكم حتى أذهب إلى أبي عبد الله فأعلمه . فرجع ووقف أصحابه ، فجعلوا يتراجعون القول ويؤنِّب بعضهم بعضاً ، يقول أصحاب الحسين : بئس القوم أنتم ، تريدون قتل ذريَّة نبيِّكم وخيار الناس في زمانهم ؟! ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم : يقول لكم أبو عبد الله : انصرفوا عشيَّتكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة . فقال عمر بن سعد لشَمِر بن ذي الجَوْشن : ما تقول ؟ فقال : أنت الأمير والرأيُ رأيك ، فقال عمرو بن الحجّاج بن سلمة الزُّبيدي :

---

(١) في تاريخ الطبري (٥/ ٤١٥) وابن الأثير (٤/ ٥٦) عبد .

(٢) في ط : « حرام » ، مصحف .

(٣) في تاريخ الطبري (٥/ ٤١٥) : كزمان .

سبحان الله ! والله لو سألكم ذلك رجل من الدَّيلم لكان ينبغي إجابته . [وقال قيس بن الأشعث : أجِبْهم إلى ما سألوك ، فلعَمْري][1] ليصبحنَّك بالقتال غُدْوة . وهكذا جرى الأمر ، فإن الحسين لما رجع العباس قال له : ارجع فارْدُدْهم هذه العشيَّة لعلَّنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره ، فقد علم الله مني أني أُحب الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، والاستغفار والدعاء .

وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه في أول الليل ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلَّى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة ، وقال لأصحابه : من أحبَّ منكم أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنتُ له ، فإن القوم إنما يريدونني . [فقال مالك بن النضر : عليَّ دينٌ ولي عيال ، فقال : هذا الليل قد غشيَكم فاتَّخِذوه جَمَلاً[2] ، ثم ليأخذ كلُّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم اذهبوا في بسيط الأرض في سواد هذا الليل إلى بلادكم ومدائنكم ، فإن القوم إنما يريدونني ، فلو قد أصابوني لهَوْا عن طلب غيري ، فاذهبوا حتى يفرِّج الله عز وجل . فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه : لا بقاء لنا بعدك ، ولا أرانا الله فيك ما نكره . فقال الحسين : يا بني عَقيل ! حسبُكم بمسلم أخيكم ، اذهبوا فقد أذنت لكم ، قالوا : فما يقول الناس ، إنا تركنا شيخنا وسيِّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، لم نرمِ معهم بسهم ، ولم نطعنْ معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، رغبة في الحياة الدنيا ؟ لا والله لا نفعل ، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرِدَ موردك ، فقبَّح الله العيش بعدك . وقال نحو ذلك مسلم بن عَوْسجة الأسدي ، وكذلك قال سعيد بن عبد الله الحنفي : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك ، والله لو علمتُ أني أُقتل دونك ألف قَتْلة ، وأنَّ الله يدفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك ، لأحببتُ ذلك ، فكيف وإنما هي قَتْلة واحدة ؟ ! وتكلَّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً من وجه واحد فقالوا : والله لا نفارقك ، وأنفسُنا الفداء لك ، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا وأبداننا ، فإذا نحن قُتلنا وفَّينا وقضينا ما علينا][3] . وقال أخوه العباس : لا أرانا الله يوم فقدك ، ولا حاجة لنا في الحياة بعدك . وتتابع أصحابه على ذلك .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني الحارث بن كعب وأبو الضحّاك ، عن علي بن الحسين زين العابدين قال : إني لجالس تلك العشيَّة التي قُتل أبي في صبيحتها ، وعمتي زينب تمرِّضني ، إذ اعتزل أبي في خبائه ومعه أصحابه ، وعنده حُوَيّ مولى أبي ذر الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول :

---

(١) سقط من ب .

(٢) في المطبوع : حجلاً ، وهو تحريف . وقد شرحه محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : « الحجل » : القيد . والصواب ما أثبتناه من النسخة أ . وقوله : فاتخذوه جملاً من أمثال العرب ، يقال للرجل إذا سرى ليلته جمعاء أو أحياها بصلاة أو غيرها من العبادات ، كأنه ركبه ولم ينم فيه . اللسان : مادة (جمل) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) .

يا دهرُ أفٍّ لكَ مِنْ خليل كم لكَ بالإشْراقِ والأَصِيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قَتيل والـدهـرُ لا يَقْنـعُ بـالبَـدِيـل
وإنّمـا الأمـرُ إلـى الجَليـل وكـلُّ حـيٍّ سـالـكُ السَّبيـل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى حفظتُها وفهمتُ ما أراد ، فخنقَتْني العَبْرة [فرددتها ، ولزمت السكوت ، وعلمت أن البلاء نازل][1] . وأما عمتي فقامت حاسرةً حتى انتهتْ إليه فقالت : واثُكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ، ماتت أمي فاطمة ، وعليّ أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي ، وثِمال الباقي ، فنظر إليها وقال : يا أُخيَّة ! [لايُذهبنَّ حِلمَك الشيطان . فقالت : بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ! أستقتَلْت ؟ ولطمَتْ وجهها ، وشقَّت جيبها ، وخرَّت مغشيّاً عليها . فقام إليها ، وصبَّ على وجهها الماء ، وقال : يا أخيَّة][2] اتقي الله واصبري وتعزَّيْ بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبقون ، وأن كل شي هالك إلّا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقهره وعزَّته ، ويعيدهم فيعبدونه[3] وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمي أنَّ أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة . ثم حرَّج عليها أن لا تفعل شيئاً من هذا بعد مَهْلكه . ثم أخذ بيدها فردَّها إلى عندي . ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يُدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصاً إليهم إلّا من جهة واحدة ، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم[4] .

وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلُّون ويستغفرون ويدعون ويتضرَّعون ، وخيل حرس عدوهم تدور من ورائهم عليها عَزْرة بن قيس الأَحْمسي [والحسين يقرأ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٨ ـ ١٧٩] فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن ـ ورب الكعبة ـ الطيبون ميَّزنا الله منكم . قال : فعرفته ، فقلت لبُرَير بن خُضير[5] : أتدري من هذا ؟ قال : لا ، فقلت : هذا أبو حَرْب السَّبيعي عبيد الله بن شمير ـ وكان مِضْحاكاً بطّالاً ،

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) في بعض النسخ : فيعودون .
(٤) الخبر بطوله مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) وابن الأثير (٤/ ٥٨ ـ ٥٩) ومقاتل الطالبيين (ص٧٥) .
(٥) ورد هذا الاسم في أ : زيد بن حسين ، وفي ط : زيد بن حضير ، وفي تاريخ الطبري : برير بن حضير ، وفي ذلك كله تحريف . والتصويب من الإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٥٧ و ٢/ ٤٨٤) .

وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسَه في خبائه ـ فقال له بُرير بن خُضير[١] : يا فاسق ، متى كنت من الطيِّبين ؟ ! فقال له : من أنت ويلك ؟ قال : أنا بُرير بن خُضير[١] . قال : إنا لله ! هلكت والله ، عز ـ والله ـ عليَّ يا بُرير قتلك . قال : فقلت له : يا أبا حرب ! هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله لنحن الطيِّبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم ، وأنا على ذلك من الشاهدين . قال : ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟! قال : فانتهره عَزْرة بن قيس ـ أمير السرية التي تحرسنا ـ فانصرف عنا][٢]

قالوا : فلما صلَّى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة ، وقيل يوم السبت ـ وكان يوم عاشوراء ـ انتصب للقتال ، وصلَّى الحسين أيضاً بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ، ثم انصرف فصفَّهم ، فجعل على ميمنته زهير بن القَيْن ، وعلى الميسرة حبيب بن المُظهِر[٣] ، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه ، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقاً ، وقذفوا فيه حطباً وخشباً وقصباً ، ثم أُضرمت فيه النار لئلاّ يخلُص أحد إلى بيوتهم من ورائها . وجعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزُّبيدي ، وعلى الميسرة شَمِر بن ذي الجَوْشن ـ واسم ذي الجوشن شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بني الضباب بن كلاب ـ وعلى الخيل عَزْرة بن قيس الأَحْمسي ، وعلى الرَّجَّالة شَبَث[٤] بن رِبْعي ، وأعطى الراية دريداً[٥] مولاه . وتواقف الناس في ذلك الموضع ، فعدل الحسين إلى خيمة قد نُصبت ، فاغتسل فيها ، واطَّلى بالنورة ، وتطيَّب بمسك كثير ، ودخل بعده بعض الأمراء ففعلوا كما فعل ، فقال بعضهم لبعض : ما هذا في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : [دعنا منك ، والله ما هذه بساعة باطل ، فقال يزيد بن حصين : والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن ـ والله ـ إني لمستبشر بما نحن لا قون][٦] والله ما بيننا وبين الحور العين إلاّ أن يميل علينا هؤلاء القوم فيقتلوننا .

ثم ركب الحسين على فرسه ، وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه ، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما

---

(١) تحرف في أ ، ط إلى : يزيد بن حصين .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) كذا قيده ابن حجر في التبصير والزبيدي في التاج بالظاء المعجمة الساكنة وكسر الهاء . وقيده ابن ماكولا في إكماله بظاء معجمة وهاء مشددة مكسورة . وقد تحرف في غير موضع من الأصول وتاريخ ابن الأثير إلى: مطهر ، وفي تاريخ الطبري إلى: مظاهر .

(٤) تحرف في ط إلى: شبيث .

(٥) في ط ، أ : وردان ، وفي ب : دويداً ، وفي تاريخ الطبري : ذويداً ، وما أثبتناه يعضده ما نقله ابن الأثير في الكامل (٤/ ٦٠) وسيأتي مرة أخرى بعد صفحتين من هذا المجلد .

(٦) ما بين حاصرتين سقط من ب .

تقدم ذكره : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة . . . إلى آخره . وركب ابنه علي بن الحسين ـ وكان ضعيفاً مريضاً ـ فرساً يقال له : لا حق[١] ، ونادى الحسين : أيها الناس ! اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم ، فأنصت الناس كلهم ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أيها الناس ! إنْ قبلتم مني وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم عليَّ سبيل ، وإن لم تقبلوا مني ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء ، فقال عند ذلك : لا يُبعد الله ابن عباس ـ يعني حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر ـ ثم بعث أخاه العباس فسكَّنهن . ثم شرع يذكر للناس فضلَه وعظمة نسبه وعلوَّ قدره وشرفه ، ويقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها ، هل يصلح لكم قتال مثلي وأنا ابن بنت نبيِّكم ، وليس على وجه الأرض ابنُ بنت نبيٍّ غيري ؟ وعليٌّ أبي ، وجعفر ذو الجناحين عمي ، وحمزة سيد الشهداء عمُّ أبي ، وقال لي رسول الله ﷺ ولأخي : « هٰذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة »[٢] . فإن صدَّقتموني بما أقول وهو الحق ، فوالله ما تعمَّدت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب ، وإلاّ فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك : جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد ، وسهل بن سعد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يُخبروكم بذلك . [ويحكم ! أما تتَّقون الله ؟ أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي][٣] ؟ فقال عند ذلك شَمِر بن ذي الجَوْشن : هو يعبد الله على حَرْف ، إنْ كنت أدري ما يقول . فقال له حبيب بن مُظْهِر : والله يا شَمِر إنك لتعبد الله على سبعين حَرْفاً ، وأما نحن فوالله إنا لندري ما يقول ، وإنه قد طُبع على قلبك . ثم قال : أيها الناس ! ذَروني أرجع إلى مأمني من الأرض . فقالوا : وما يمنعك أن تنزل على حُكم بني عمك ؟ فقال : معاذ الله [أن أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، أو أُقر إقرار العبيد ، عبادَ الله][٤] ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر : ٢٧] . ثم أناخ راحلته ، وأمر عُقبة بن سِمْعان فعقلها ، ثم قال : [أخبروني : أتطلبوني بقتيل لكم قتلتُه ؟ أو مال لكم أكلتُه ؟ أو بقصاصة من جراحة ؟ فأخذوا لا يكلِّمونه . قال : فنادى : يا شَبَث[٥] بن رِبْعي ، يا حجّار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : الأحمق .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣) والترمذي رقم (٣٧٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » وهو حديث صحيح .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، وهو في أ ، ب ، م وتاريخ الطبري (٥/ ٤٢٥) .

(٥) تحرف في ط إلى : شبيث .

إليَّ أن قد أينعت الثمار واخضرَّ الجناب ، فاقدَم علينا فإنك إنما تقدَم على جند مجنَّدة ؟ فقالوا له : لم نفعل . فقال : سبحان الله ! والله لقد فعلتم . ثم قال : يا أيها الناس ! إذ قد كرهتموني فدَعُوني أنصرف عنكم ، فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حُكم بني عمك فإنهم لن يؤذوك ، ولا ترى منهم إلا ما تحب ؟ فقال له الحسين : أنت أخو أخيك ، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عَقيل ؟ لا والله لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أُقر لهم إقرار العبيد][1]

قال : وأقبلوا يزحفون نحوه وقد تحيَّز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل ، منهم الحرُّ بن يزيد أمير مقدمة جيش ابن زياد ، فاعتذر إلى الحسين مما كان منه ، قال : ولو أعلم أنهم على هذه النيَّة لسِرتُ معك إلى يزيد ، فقبل منه الحسين ، ثم تقدم بين يدي أصحاب الحسين ، فخاطب عمر بن سعد فقال : ويحكم ! ألا تقبَلون من ابن بنت رسول الله ﷺ ما يعرض عليكم من الخصال الثلاث ؟ فقال : لو كان ذلك إليَّ قبلت .

[قال : وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القَيْن على فرس له شاك في السلاح فقال : يا أهل الكوفة ! نَذارِ لكم من عذاب الله نَذار ، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة ، وعلى دين واحد ومِلَّة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فإذا وقع السيف انقطعت العِصمة وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذريَّة نبيِّه لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم ، وخِذْلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنكم لم تدركوا منهما إلا سوءاً عموم سلطانهما ، يَسْمُلان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثِّلان بكم ، ويقتلان أماثلكم وقراءكم ، أمثال حُجْر بن عدي وأصحابه ، وهانيء بن عروة وأشباهه . قال : فسبُّوه ، وأثنَوْا على ابن زياد ودَعَوا له ، وقالوا : لا ننزِعُ حتى نقتل صاحبك ومن معه . فقال لهم : إن ولد فاطمة أحقُّ بالود والنصر من ابن سميَّة ، فإن أنتم لم تنصروهم فأُعيذكم بالله أن تقتلوهم ، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، يذهب حيث شاء ، فلَعَمْري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . قال : فرماه شَمِر بن ذي الجَوْشن بسهم وقال له : اسكُتْ ، أَسكَتَ اللهُ نَأْمتَكَ[2] ، أبْرَمْتنا[3] بكثرة كلامك . فقال له زهير : يا بنَ البوّال على عقبَيْه ، إياك أخاطب[4] ؟ ! إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تُحكِم من كتاب الله آيتين ، فأبشِرْ بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال له شَمِر : إن الله قاتلُك وصاحبَك بعد ساعة ، فقال له زهير : أبالموت

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب ، وهو في أ ، ط وتاريخ الطبري (٥/ ٤٢٥) .

(٢) قال صاحب اللسان : يقال : أسكت الله نأمته ـ مهموزة مخففة الميم ـ وهو من النئيم : الصوت الضعيف ، أي نغمته وصوته . ويقال : نامَّته ـ بتشديد الميم . يدعى بذلك على الإنسان .

(٣) « أبرمتنا » : أضجرتنا .

(٤) في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٦) ما إياك أخاطب .

تخوِّفني ؟ فوالله لَلْموت معه أحبُّ إليَّ من الخلد معكم . ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول : عباد الله ! لا يغرنَّكم عن دينكم هذا الجِلْف الجافي وأشباهه ، فوالله لا ينال شفاعة محمد ﷺ قوم أهرقوا دماء ذريَّته ، وقتلوا مَنْ نصرهم وذبَّ عن حريمهم .

وقال الحرُّ بن يزيد لعمر بن سعد : أصلحك الله ! أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إي والله قتالاً أيسرُه أن تسقط الرؤوس وتَطيح الأيدي . وكان الحرُّ من أشجع أهل الكوفة ، فلامَهُ بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : والله إني أخيِّر نفسي بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة غيرها ولو قُطِّعت وحُرِّقت . ثم ضرب فرسه ، فلحق بالحسين ، فاعتذر إليه بما تقدم ثم قال : يا أهل الكوفة ! لأمِّكم الهَبَل[١] ، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا ما أتاكم أسلمتموه ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، ومنعتموه التوجُّه في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع منها الكلب والخنزير ، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعهم العطش ؟! بئس ما خلفتم محمداً في ذريَّته ، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه . فحملت عليه رجّالة لهم ترميه بالنبل ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين . وقال لهم عمر بن سعد : لو كان الأمر لي لأجبتُ الحسين إلى ما طلب [[٢] ولكنْ أبى عليَّ عبيد الله بن زياد ، وقد خاطب أهل الكوفة وأنَّبهم ووبَّخهم وسبَّهم . فقال لهم الحرُّ بن يزيد : ويحكم ! منعتم الحسين ونساءه وبناته الماء الفرات الذي يشرب منه اليهود والنصارى ويتمرَّغ فيه خنازير السواد وكلابه ، فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً .

قال : فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه : يا دريد أَدْنِ رايتَك ، فأدناها ، ثم شمَّر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال : اشهدوا أني أول من رمى القوم . قال : فترامى الناس بالنبال ، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله فقالا : من يبارز ؟ فبرز لهما عبد الله[٣] بن عمير الكلبي بعد استئذانه الحسين ، فقتل يساراً أولاً ثم قتل سالماً بعده ، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى .

وحمل رجل يقال له عبد الله بن حَوْزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له : يا حسين ! أبشر بالنار . فقال له الحسين : كلاّ ويحك ! إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع ، بل أنت أَولى بالنار . قالوا : فانصرف ، فوقَصَتْه فرسه فسقط وتعلَّقت قدمه بالركاب [وكان الحسين قد سأل عنه ، فقال : أنا ابن حَوْزة ، فرفع الحسين يده وقال : اللهم حُزْه إلى النار . فغضب ابن حَوْزة ، وأراد أن يقحم عليه الفرس

---

(١) « الهبل »: الثُكل .

(٢) ما بين حاصرتين ـ قدر صفحة ونصف الصفحة ـ سقط من ب .

(٣) في ط : « عبيد الله » محرف . وينظر تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٩) والكامل (٤/ ٦٥) . وسيأتي مرة أخرى في الرواية الآتية .

وبينه وبينه نهر ، فحالت به الفرس ، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه ، وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب [(١) وشدَّ عليه مسلم بن عَوْسجة فضربه فأطار رجله اليمنى ، وغارت به فرسه فلم يبقَ حجرٌ يمر به إلّا ضربه في رأسه حتى مات .

[وروى أبو مخنف ، عن أبي جَناب قال : كان منّا رجل يُدعى عبد الله بن عُمَير(٢) من بني عُلَيم ، كان قد نزل الكوفة واتخذ داراً عند بئر الجَعْد من هَمْدان ، وكانت معه امرأة له من النَّمِر بن قاسط ، فرأى الناسَ يتهيَّؤون للخروج إلى قتال الحسين ، فقال : والله لقد كنت على قتال أهل الشِّرك حريصاً ، وإني لأرجو أن يكون جهادي مع ابن بنت رسول الله ﷺ لهؤلاء أفضل من جهاد المشركين ، وأيسر ثواباً عند الله . فدخل إلى امرأته ، فأخبرها بما هو عازم عليه ، فقالت : أصبتَ ، أصاب الله بك أرشد أمورك ، افعل وأَخرجني معك . قال : فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين ، ثم ذكر قصة رمي عمر بن سعد بالسَّهم ، وقصة قتلة يسار مولى زياد ، وسالم مولى ابن زياد ، وأن عبد الله بن عُمير استأذن الحسين في الخروج إليهما ، فنظر إليه الحسين ، فرأى رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين ، فقال الحسين : إني لأحسبه للأقران قتَّالًا . اخرج إن شئت ، فخرج ، فقالا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك (فقال لهما : يا أولاد الزانية ! أو بكم رغبة عن مبارزة أحد من الناس ، وهل يخرج إليكما أحد)(٣) إلا وهو خير منكما ؟ ! ثم شدَّ على يسار فكان كأمسِ الذاهب ، فإنه لمشتغل به إذ حمل عليه سالم مولى ابن زياد ، فصاح به صائح : قد رَهَقك العبد . قال : فلم ينتبه حتى غشيه فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه ، ثم مال عليه(٤) الكلبي حتى قتله ، وأقبل يرتجز ويقول :

إنْ تُنْكراني فأنا ابنُ كَلْبِ ... حَسْبيَ بَيْتي في عُلَيمٍ حَسْبي
إنّي امرؤٌ ذو مِرَّةٍ(٥) وعَصْبِ ... ولستُ بالخوَّار عندَ الكَرْب
إنِّي زعيمٌ لكِ أمَّ وهبِ ... بالطَّعنِ فيهمْ مُقْدِماً والضَّرْب
ضَرْب غلامٍ مُؤْمنٍ بالرَّبِّ

فأخذت أمُّ وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداك أبي وأمي ، قاتِل دون الطَّيِّبين ذريَّة

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وكذلك الكامل لابن الأثير (٤/ ٦٦) .
(٢) تحرف في المطبوع إلى: نمير .
(٣) ما بين قوسين سقط من المطبوع ، وهو في أ وقريب منه في تاريخ الطبري .
(٤) في أ ، ط : على ولا يصح بها المعنى . والتصويب من تاريخ الطبري وابن الأثير ، فالكلبي: هو عبد الله بن عمير نفسه .
(٥) في المطبوع: ذو مروءة ولا يستقيم به الوزن . والمثبت من أ وتاريخ الطبري . والمِرّة: القوة ، ومنه قوله تعالى ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ .

محمد عليه السلام . فأقبل إليها يردُّها نحو النساء ، فأقبلت تجاذبه ثوبه وقالت : دعني أكن معك . فناداها الحسين : انصرفي إلى النساء فاجلسي معهن ، فإنه ليس على النساء قتال . فانصرفت إليهن](١)

قال : وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصرُ في ذلك لأصحاب الحسين لقوَّة بأسهم ، وأنهم مستميتون لا عاصمَ لهم إلّا سيوفهم ، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل عمرو بن الحجّاج ـ أمير ميمنة جيش ابن زياد ـ وجعل يقول : قاتلوا مَنْ مَرَق من الدين وفارق الجماعة . فقال له الحسين : ويحك يابن حجّاج ! أعليَّ تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ؟ ستعلمون إذا فارقتْ أرواحنا أجسادنا من أَولى بصليِّ النار .

وقد قُتل في هذه الحملة مسلم بن عَوْسجة ، وكان أول من قُتل من أصحاب الحسين ، فمشى إليه الحسين وترحَّم عليه وهو على آخر رمق ، وقال له حبيب بن مُظْهر : أبشر بالجنة . فقال له بصوت ضعيف : بشَّرك الله بالخير . ثم قال له حبيب : لولا أني أعلم أني على أثرك لاحقك لكنت أقضي ما توصي به ، فقال له مسلم بن عَوْسجة : أوصيك بهذا ـ وأشار إلى الحسين ـ إلى أن تموت دونه .

قالوا : ثم حمل شَمِر بن ذي الجَوْشن بالميسرة وقصدوا نحو الحسين ، فدافعت عنه الفرسان ، من أصحابه دفاعاً عظيماً ، وكافحوا دونه مكافحة بليغة ، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرُّماة الرَّجَّالة ، فبعث إليه نحواً من خمسمئة ، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فعقروها كلها حتى بقي جميعهم رجَّالة ، ولما عقروا جواد الحرِّ بن يزيد نزل عنه وفي يده السيف كأنه ليث وهو يقول :

إنْ تَعْقِروا بي فأنا ابنُ الحرِّ أشجعُ مِنْ ذي لِبَدٍ هِزَبْرِ(٢)

ويقال : إن عمر بن سعد أمر بتقويض تلك الأبنية التي تمنع من القتال مَنْ أتى ناحيتها ، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك ، فأمر بتحريقها ، فقال الحسين : دعوهم يحرقونها فإنهم لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أُحرقت .

وجاء شمِر بن ذي الجَوْشن ـ قبَّحه الله ـ إلى فُسْطاط الحسين ، فطعنه برمحه ـ يعني الفِسْطاط ـ وقال : إيتوني بالنار لأحرقه على من فيه ، فصاحت النسوة وخرجْنَ منه ، فقال له الحسين : أحرقك الله بالنار . وجاء شَبَث بن رِبْعي إلى شَمِر ـ قبحه الله ـ فقال له : ما رأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا ، أتريد أن ترعب النساء ؟ فاستحيى وهَمَّ بالرجوع . [وقال حُميد بن مسلم : قلت لشَمِر : سبحان الله ! إنَّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين : تعذِّب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء ؟!

---

(١) القصة بكاملها سقطت من النسخة ب . وهي في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٩ ت ٤٣٠) وأوردها ابن الأثير في كامله (٤/ ٦٥ ـ ٦٦) دون مافيها من الرجز .

(٢) البيت في تاريخ الطبري (٥/ ٤٣٦) وذو لبد وهزبر : من أسماء الأسد .

والله إنَّ في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك . قال : فقال لي : من أنت ؟ قلت : لا أخبرك من أنا ـ وخشيت أني إن أخبرته فعرفني أن يسوءني عند السلطان ‹[1]

وشدَّ زهير بن القين ـ في رجال من أصحاب الحسين ـ على شَمِر بن ذي الجَوْشن ، فأزالوه عن موقفه [وقتلوا أبا عزَّة الضبابي ـ وكان من أصحاب شَمر ـ وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قُتل بان فيهم الخلل ، وإذا قُتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبيّن ذلك فيهم لكثرتهم][2]

ودخل عليهم وقتُ الظهر ، فقال الحسين : مُرُوهم فليكفُّوا عن القتال حتى نصلي ، فقال رجل من أهل الكوفة : إنها لا تُقبل منكم . فقال له حبيب بن مُظْهِر : ويحك ! أتُقبل منكم ولا تُقبل من آل رسول الله ﷺ ؟ وقاتل حبيب قتالاً شديداً [حتى قتل رجلاً يقال له بُديل بن صُرَيم من بني عُقْفان[3] وجعل يقول :

أنــا حبيــبٌ وأبــي مُظْهِــرُ ... فــارسُ هَيْجـاء وحَـرْب مِسْعَـرُ
أنتــمْ أوفــرُ عــدَّةً وأكثــرُ ... ونحــنُ أوفــىٰ منكـمُ وأَصْبَـرُ
ونحــنُ أعلــىٰ حُجَّــةً وأظهــرُ ... حقّـاً وأنقــىٰ منكـمُ وأَطْهَـرُ][4]

ثم حمل على حبيب هذا رجلٌ من بني تميم ، فطعنه فوقع ، ثم ذهب ليقوم ، فضربه الحُصين بن نُمير على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتزَّ رأسه وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه فعرفه ، فقال لحامله : أعطني رأس أبي حتى أدفنه ، ثم بكى (وقال لقاتله : أما والله لقد قتلته وهو خير منك)[5] . قال : فمكث الغلام إلى أن بلغ أشُدَّه ثم لم تكن له همة إلّا قتل قاتل أبيه . قال : فلما كان زمن مصعب بن الزبير[6] دخل الغلام عسكر مصعب ، فإذا قاتلُ أبيه في فِسْطاطه ، فدخل عليه وهو قائل[7] ، فضربه بسيفه حتى برد .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني محمد بن قيس قال : لما قُتل حبيب بن مُظْهِر هدَّ ذلك الحسين ، وقال عند ذلك : أحتسب نفسي ، وأخذ الحرُّ يرتجز ويقول للحسين :

آليــتُ لا تُقْتَــل حتّــى أُقتَــلا ... ولــنْ أُصــابَ اليــوم إلّا مُقْبِـلا

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٣٨) .
(٢) مكانه في ب : وقتلوا بعض أصحابه .
(٣) عقفان : حي في خزاعة .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٣٩) .
(٥) ما بين قوسين سقط من المطبوع ، وهو في أ وتاريخ الطبري .
(٦) تحرف في ط إلى : عمير .
(٧) قائل : من القيلولة : وهي النوم في الظهيرة .

أَضرِبُهم بالسَّيف ضَرْباً مِقْصَلا لا نـاكـلاً عنهُـمْ ولا مُهَلِّلا[١]

ثم قاتل هو وزهير بن القَيْن قتالاً شديداً ، فكان إذا شدَّ أحدهما حتى استلحم شدَّ الآخر حتى يخلصَه ، فعلا ذلك ساعة ، ثم إن رجالاً شدُّوا على الحرِّ بن يزيد فقتلوه ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابنَ عمٍّ له كان عدواً له][٢] .

ثم صلَّى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً [[٣] ودافع عن الحسين صناديد أصحابه . وقاتل زهير بن القَيْن بين يدي الحسين قتالاً شديداً ، ورمي بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدي الحسين ، وجعل زهير يرتجز ويقول :

أنـا زهيـرٌ وأنـا ابـنُ القَيْـنِ أَذودُكمْ بالسَّيف عن حُسَينِ[٤]

قال : وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول :

أَقـدِمْ هُـدِيتَ هـادياً مَهْدِيَّا فـاليـومَ تلْقـىٰ جـدَّكَ النَّبيَّـا

وحَسَنـاً والمُـرْتضـىٰ عليَّـا وذا الجَنَـاحَيْـنِ الفَتَـى الكَمِيَّـا

وأسَدَ اللهِ الشَّهيدَ الحَيَّا

قال : فشدَّ عليه كثير بن عبد الله الشَّعبي ومُهاجر بن أوس فقتلاه .

قال : وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجمَلي ، وكان قد كتب اسمه[٥] على فُوق[٦] نبله ، فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول :

أَرمـي بهـا مُعَلَّمـاً أَفْـواقهـا والنفـسُ لا ينفعُهـا شِقَـاقُهـا

أنا الجَملي ، أنا على دين علي .

فقَتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جَرح ، ثم ضرب حتى كُسرت عضداه ، ثم أسروه فأتوا به عمر بن سعد ، فقال له : ويحك يا نافع ! ما حملك على ما صنعتَ بنفسك ؟ فقال : إن ربي يعلم ما أردت ـ والدماء تسيل عليه وعلى لحيته ـ ثم قال : والله لقد قتلتُ من جندكم اثني عشر سوى من

---

(١) « المقصل »: القاطع . « النكول »: النكوص والجبن . التهليل ـ هنا ـ الفرار . وقد صُف هذا البيت في طبعة دار الكتب العلمية صفاً خاطئاً مما أخل بوزنه ومعناه . وانظر الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) .

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في النسخة ب ، وفيها بدلاً عنه: حتى قتل رحمه الله ، وحمل رأسه إلى ابن زياد ، والضمير في ذلك يرجع إلى حبيب بن مظهر .

(٣) من هنا يبدأ سقط كبير في النسخة ب سنشير إليه عند نهايته .

(٤) في المطبوع: عن الحسين . ولا يستقيم به الوزن . والمثبت من أ وتاريخ الطبري (٥/ ٤٤١) .

(٥) سقطت هذه اللفظة من الأصول ، واستدركتها من تاريخ الطبري (٥/ ٤٤١) وابن الأثير (٤/ ٧١) .

(٦) الفُوق من السهم: موضع الوتر ، والجمع: أفواق وفُوَق .

جَرحت ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيتْ لي عضد وساعد ما أسرتموني . فقال شَمِر لعمر : اقتله ، قال : أنت جئت به ، فإن شئت فاقتله . فقام شَمِر فأنضى سيفه ، فقال له نافع : أما والله يا شَمِر لو كنتَ من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه . ثم قتله .

ثم أقبل شَمِر فحمل على أصحاب الحسين ، وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يُقتلوا بين يديه ، فجاءه عبد الرحمن وعبد الله ابنا عَزْرة الغفاري ، فقالا : أبا عبد الله عليك السلام ، حازَنَا العدو إليك فأحببنا أن نُقتل بين يديك وندفع عنك . فقال : مرحباً بكما ، ادنُوَا مني ، فدنَوَا منه ، فجعلا يقاتلان قريباً منه وهما يقولان :

قـد علِمـتْ حقّـاً بنـو غِفَـار ... وخِنْـدِفٌ بعـدَ بنـي نِـزَار
لنَضْـرِبَـنَّ معشـرَ الفُجّـار ... بكـلِّ عَضْـبٍ قـاطـعٍ بَتَّـار
ياقومُ ذُودُوا عن بني الأَخْيار ... بـالمشْرَفـيِّ والقَنَـا الخَطَّار[١]

ثم أتاه أصحابه مَثْنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول : جزاكم الله أحسن جزاء المتَّقين . فجعلوا يسلِّمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا .

ثم جاءه عابس بن أبي شَبيب فقال : يا أبا عبد الله ! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليَّ منك ، ولو قدرتُ أن أدفع عنك الضَّيم أو القتل بشيء أعز عليَّ من نفسي ودمي لفعلتُه ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، اشهد لي أني على هَدْيك . ثم مشى بسيفه[٢] صَلْتاً وبه ضربة على جبينه ـ وكان أشجع الناس ـ فنادى : ألا رجل لرجل ؟ ألا ابرزوا لي . فعرفوه فنكلوا عنه ، ثم قال عمر بن سعد : ارضَخُوه بالحجارة ، فرُمي بالحجارة من كل جانب . فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ثم شدَّ على الناس ، والله لقد رأيته يَكْرُد[٣] أكثر من مئتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقُتل رحمه الله ، فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدد كلّ يدَّعي قتله ، فأتوا به عمر بن سعد فقال لهم : لا تختصموا فيه فإنه لم يقتلْه إنسان واحد . ففرَّق بينهم بهذا القول[٤] .

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٢) .

(٢) سقطت هذه اللفظة من المطبوع .

(٣) « يكرد »: يسوق .

(٤) هنا ينتهي نقص في النسخة ب ضم عدداً من الأخبار مع أشعارها ، وقد ورد فيها بدلًا عنه: « ووصل إلى الحسين رضي الله عنه ، ودافع عنه صناديد أصحابه ، فقُتل زهير بن القين بين يديه ، وقاتل دونه نافع بن هلال الجملي حتى قَتل من أصحاب ابن زياد اثني عشر سوى من جرح ، ثم كسرت عضداه ، ومع هذا ضرب عنقه بين يدي عمر بن سعد=

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانَوا ، ولم يبق أحد إلّا سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخَثْعمي .

وكان أولَ قتيل قُتل من أهل الحسين من بني أبي طالب عليٌّ الأكبر ابن الحسين بن علي ، وأمُّه ليلى بنت أبي مُرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي ، طعنه مُرَّة بن مُنْقِذ بن النعمان العَبْدي فقتله ، لأنه جعل يَقي أباه ، وجعل يقصد أباه ، فقال علي بن الحسين :

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ علي ... نحنُ ـ وبيتِ الله ـ أولىٰ بالنَّبي
تالله لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَّعي ... كيفَ تَرَوْنَ اليومَ ستري عَنْ أَبي

فلمّا طعنه مُرَّة احتوشته الرجال فقطَّعوه بأسيافهم ، فقال الحسين : قتل الله قوماً قتلوك يا بُنيّ ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه ؟! فعلى الدنيا بعدك العَفَاء . قال : وخرجت جارية كأنها الشمس حُسْناً فقالت : يا أخيّاه ويابن أخيّاه ! فإذا هي زينب بنت علي من فاطمة ، فأكبّت عليه وهو صريع . قال : فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط ، وأمر به الحسين فحوِّل من هناك إلى بين يديه عند فُسطاطه[١] .

ثم قُتل عبد الله بن مسلم بن عَقيل ، ثم قُتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر . ثم قُتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عَقيل بن أبي طالب . ثم قُتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

[قال أبو مِخْنف : وحدّثني فُضيل بن خَدِيج الكندي : أن يزيد بن زياد ـ وكان رامياً ، وهو أبو الشَّعثاء الكناني من بني بَهْدَلة ـ جثا على ركبتيه بين يدي الحسين ، فرمى بمئة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم . فلمّا فرغ من الرمي قال : قد تبيَّن لي أني قتلت خمسة نفر :

أنا يزيدُ وأنا المُهَاجِرْ ... أشجعُ من ليثٍ قويٍّ حادرْ
يارِبِّ[٢] إنِّي للحسين ناصرْ ... ولابنِ سعدٍ تاركٌ وهاجرْ][٣]

قالوا : ومكث الحسين نهاراً طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلّا رجع عنه ، لا يحب أن يلي قتله ، حتى

= شمر بن ذي الجوشن ، ثم حمل شمر على أصحاب الحسين وهو يقول :

خلوا عداة الله خلوا عن شمر ... يضربهم بسيفه ولا يفر

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٦) ومقاتل الطالبيين (ص٧٦ ـ ٧٧) وابن الأثير (٤/ ٧٤) وعلي هذا غير زين العابدين .

(٢) وقعت في المطبوع : برب .

(٣) الخبر برمته سقط من ب . وقد أورده الطبري في تاريخه (٥/ ٤٤٥) مع اختلاف ببعض ألفاظ الشعر .

جاءه رجل من بني بَدّا[١] يقال له مالك بن البشير[٢] ، فضرب الحسين على رأسه بالسيف ، فأدمى رأسه ، وكان على الحسين برنس ، فقطعه وجرح رأسه ، فامتلأ البُرْنس دماً ، فقال له الحسين : لا أكلتَ بها ولا شربت ، وحشركَ الله مع الظالمين . ثم ألقى الحسين ذلك البُرْنس ودعا بعمامة فلبسها .

[وقال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حُميد قال : خرج إلينا غلام كأنَّ وجهه فِلْقة قمر ، في يده السيف ، وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شِسْع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمر بن سعد بن نُفيل الأزدي : والله لأشدَّنَّ عليه . قال : فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم . فقال : والله لأشدَّنَّ عليه . فشدَّ عليه عمر بن سعد أمير الجيش فضربه ، وصاح الغلام : يا عمّاه ! قال : فشدَّ الحسين على عمر بن سعد شدَّة ليث أغضب ، فضرب عمرَ بالسيف ، فاتقاه بالساعد ، فأطنَّها من لَدُن المِرْفق ، فصاح ثم تنحَّى عنه . وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين ، فاستقبلت عمر بصدورها وحرَّكت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انجلت الغبرة فإذا الحسينُ قائم على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجله ، والحسين يقول : بُعْداً لقوم قتلوك ، ومَنْ خصمُهم يوم القيامة فيك جدُّك . ثم قال : عزَّ ـ والله ـ على عمك أن تدعوَه فلا يُجيبك ، أو يُجيبك ثم لا ينفعك ، صوت ـ والله ـ كثر واترُه وقلَّ ناصرُه . ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه عليٍّ الأكبر ومع مَنْ قُتل من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، فقيل لي : هو القاسم بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب[٣] .

وقال هانىء بن ثُبيت الحضرمي : إني لواقف يوم مقتل الحسين عاشرَ عشرة ليس منا رجل إلّا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقميص ، وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً ، فكأني أنظر إلى دُرَّتين في أُذنيه تذبذبان كلَّما التفت ، إذ أقبل رجل يركض على فرسه ، حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ، ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام السَّكوني : هانىء بن ثُبيت هو الذي قتل الغلام ، خاف أن يُعاب ذلك عليه فكنَّى عن نفسه][٤] .

قال : ثم إن الحسين أعيا ، فقعد على باب فُسْطاطه وأُتي بصبي صغير من أولاده اسمه عبد الله ، فأجلسه في حِجْره ، ثم جعل يقبّله ويشمُّه ويودِّعه ويوصي أهلَه ، فرماه رجل من بني أسد ـ يقال له : ابن[٥] موقد النار ـ بسهم ، فذبح ذلك الغلام ، فتلقَّى حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال :

---

(١) « بدّا » : بطن من كندة .

(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٨) وابن الأثير (٤/ ٧٥) النسير .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) ومقاتل الطالبيين (ص٥٨) وابن الأثير (٤/ ٧٥) .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب وتاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩) .

(٥) لفظة ابن من ط فقط .

ربِّ إن تك قد حبستَ عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير ، وانتقم لنا من الظالمين .

ورمى عبدُ الله بن عقبة الغَنَوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضاً .

ثم قُتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنو علي بن أبي طالب ـ إخوة الحسين .

وقد اشتدَّ عطش الحسين ، فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر ، بل ما نعوه عنه ، فخلص إلى شَرْبة منه ، فرماه رجل ـ يقال له حصين بن تميم ـ بسهم في حنكه فأثبته ، فانتزعه الحسين من حنكه ، ففار الدم ، فتلقّاه بيديه ، ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دماً ، ثم رمى به إلى السماء وقال : اللهم أَحصِهم عدداً ، واقتُلْهم بدداً ، ولاتذر على الأرض منهم أحداً . ودعا عليهم دعاءً بليغاً .

[قال : فوالله إنْ مكث الرجل الرامي له إلّا يسيراً حتى صب الله عليه الظمأ ، فجعل لا يَرْوَى ويُسقى الماء مبرَّداً ، وتارة يبرَّد له اللبن والماء جميعاً ، ويُسقى فلا يَرْوَى بل يقول : ويلكم اسقوني قتلَني الظمأ . قال : فوالله ما لبث إلّا يسيراً حتى انقدَّ بطنُه انقداد بطن البعير .

ثم إن شَمِر بن ذي الجَوْشن أقبل في نحو من عشرة من رَجّالة الكوفة قِبَل منزل الحسين الذي فيه ثقلُه وعيالُه ، فمشى نحوهم ، فحالوا بينه وبين رَحْله ، فقال لهم الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دِين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا في دنياكم أحراراً وذوي أحساب ، امنعوا رَحْلي وأهلي من طغاتكم وجهّالكم . فقال ابن ذي الجَوْشن : ذلك لك يابن فاطمة . ثم أحاطوا به ، فجعل شَمِر يحرِّضهم على قتله ، فقال له أبو الجَنوب : وما يمنعك أنت من قتله ؟ فقال له شَمِر : ألي تقول هذا ؟! فقال أبو الجنوب : وأنت لي تقول هذا ؟! فاستبّا ساعة ، فقال له أبو الجَنوب ـ وكان شجاعاً : والله لقد هممتُ أن أُخضخض هذا السِّنان في عينك . فانصرف عنه شَمِر][1] .

ثم جاء شَمِر ومعه جماعة من الشُّجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فُسْطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه ، فجاء غلام يشتدُّ من الخيام كأنه البدر ، في أذنيه دُرَّتان ، فخرجت زينب بنت عليٍّ لتردَّه ، فامتنع عليها ، وجاء يحاجف عن عمِّه ، فضربه رجل منهم بالسيف ، فاتقاه بيده ، فأطنَّها سوى جلده ، فقال : يا أبتاه ! فقال له الحسين : يا بنيَّ احتسبت أجرك عند الله ، فإنك تلحق بآبائك الصالحين[2] .

ثم حمل على الحسين الرجالُ من كل جانب ، وهو يجول فيهم بالسيف يميناً وشمالاً ، فيتنافرون عنه كتنافر المِعْزى عن السَّبُع . وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول : ليت السماء تقع على الأرض . وجاءت عمر بن سعد فقالت : يا عمر ! أرضيتَ أن يُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟! فتحادرت

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥١) .

الدموع على لحيته ، وصرف وجهه عنها . ثم جعل لا يُقدم أحد على قتله حتى نادى شَمِر بن ذي الجَوْشن : ويحكم ! ماذا تنتظرون بالرجل ؟ فاقتُلوه ثكلتْكم أمهاتكم . فحملت الرجال من كل جانب على الحسين ، وضربه زُرْعة بن شَرِيك التميمي على كتفه اليسرى ، وضُرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو . ثم جاء إليه سنان بن أنس[١] النَّخَعي ، فطعنه بالرمح فوقع ، ثم نزل فذبحه وحزَّ رأسه ، ثم دفع رأسه إلى خَولي بن يزيد .

وقيل : إن الذي قتله شَمِر بن ذي الجَوْشن . وقيل : رجل من مَذْحج . وقيل : عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وليس بشيء ، وإنما كان عمر أمير السريَّة التي قتلت الحسين فقط . والأول أشهر .

[وقال عبد الله بن عمّار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على مَن عن يمينه حتى ابذعرُّوا[٢] عنه (وعلى مَن عن شماله حتى ابذعرُّوا عنه)[٣] ، فوالله ما رأيت مكثوراً[٤] قطُّ قد قُتل أولاده وأصحابه أربط جأشاً منه ولا أمضى جَناناً منه . والله ما رأيت قبلَه ولا بعدَه مثلَه . قال : ودنا عمر بن سعد من الحسين ، فقالت له زينب : يا عمر ! أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فبكى وصرف وجهه عنها .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني الصَّقْعب بن زهير ، عن حُميد بن مسلم قال : جعل الحسين يشدُّ على الرجال وهو يقول : أعلى قتلي تَحاثُّون[٥] ؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله ِ اللهُ أسخط عليكم بقتله مني ، وايمُ الله ِإني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسَكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم .

قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه (لفعلوا ، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض دمه ، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله)[٦] حتى نادى شَمِر بن ذي الجَوْشن : ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدَّم إليه زُرْعة بن شَرِيك التميمي ، فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو النخعي بالرمح ، ثم نزل فاحتزَّ رأسه ودفعه إلى خَولي][٧] .

---

(١) اضطربت النسخ في سنان بن أنس وأثبته كما في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٣) ومقاتل الطالبيين (ص٧٩) وابن الأثير (٤/ ٧٨) .

(٢) « ابذعروا » : تفرقوا . وقعت في المطبوع : أنذعروا .

(٣) ما بين قوسين ليس في ط .

(٤) « المكثور » : مَن كثر عليه أعداؤه .

(٥) وردت هذه اللفظة في أ : تحاربون ، وفي ط : تحابون ، وما أثبته من تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٢) .

(٦) ما بين قوسين سقط من أ .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة شَمِر بن ذي الجَوْشن ـ وذو الجَوْشن : صحابي جليل ، قيل اسمه شرحبيل ، وقيل عثمان بن نَوْفل ، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضِّبابي ، بطن من كلاب ويكنى شَمِر بأبي السَّابغة ـ ثم من طريق عمر بن شبَّة : حدثنا أبو أحمد ، حدّثني عمي فُضيل بن الزبير ، عن عبد الرحيم بن مَيْمون ، عن محمد بن عمرو بن حسن قال : كنا مع الحسين بنهري كربلاء ، فنظر إلى شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : «كأنِّي أنظرُ إلى كلبٍ أَبْقع يَلَغُ في دماء أَهلِ بَيْتي» . وكان شَمِر ـ قبحه الله ـ أبرص[١] .

وأخذ سنان وغيرُه سَلَبه ، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله ، وما في خِبائه حتى ما على النساء من الثياب الطاهرة .

وقال أبو مِخْنف : عن جعفر بن محمد قال : وجدنا بالحسين حين قُتل ثلاثاً وثلاثين طعنة ، وأربعاً وثلاثين ضربة . وهمَّ شَمِر بن ذي الجَوْشن بقتل علي بن الحسين الأصغر ـ زين العابدين ـ وهو صغير مريض ، حتى صرفه عن ذلك حُميد بن مسلم أحد أصحابه ، وجاء عمر بن سعد فقال : ألا لا يَدخلن على هؤلاء النسوة أحد ، ولا يَقتل هذا الغلام أحد ، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم . قال : فوالله ما ردَّ أحد شيئاً . فقال له علي بن الحسين : جُزيت خيراً فقد دفع الله عني بمقالتك شراً[٢] .

قالوا : ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلى صوته :

أَوْقِـرْ ركـابـي فضَّـةً وَذَهَـبـا ... أنـا قَتلـتُ المَلِـكَ المَحَجَّـبـا
قَتلـتُ خيـرَ النَّـاسِ أمّـاً وأَبَـا ... وخيـرَهُـمْ إذ يُنسَبُـونَ نَسَبَـا[٣]

فقال عمر بن سعد : أدخلوه عليّ . فلمّا دخل رماه بالسوط وقال : ويحك أنت مجنون ؟! والله لو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك .

ومنَّ عمر بن سعد على عُقبة بن سِمْعان حين أخبره أنه مولى ، فلم ينج منهم غيره . والمرفع بن يمانة[٤] أُسر ، فمنَّ عليه ابن زياد . وقُتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفساً[٥] ، فدفنهم أهل الغاضريّة[٦] من بني أسد بعدما قُتلوا بيوم واحد .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٠/ ٣٣٢) ، وهو حديث غريب .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٤) .
(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٤) ومقاتل الطالبيين (ص٨٠) ومروج الذهب (٣/ ٧٠) وابن الأثير (٤/ ٧٩) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٥٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٠٩) .
(٤) كذا اسمه في الأصول ، والذي في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٤) وابن الأثير (٤/ ٨٠) المرقّع بن ثمامة .
(٥) أسماؤهم مفصلة في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٨) وابن الأثير (٤/ ٩٢) .
(٦) « الغاضرية » : قرية قريبة من كربلاء .

[قال : ثم أمر عمر بن سعد أن يُوطأ الحسين بالخيل ، ولايصح ذلك ، والله أعلم .

وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً][1]

وروي عن محمد بن الحنفيَّة أنه قال : قُتل مع الحسين سبعةَ عشرَ رجلاً كلُّهم من أولاد فاطمة .

وعن الحسن البصري أنه قال : قُتل مع الحسين ستةَ عشرَ رجلاً كلُّهم من أهل بيته ، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه .

وقال غيره : قُتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثةٌ وعشرون رجلاً ، فمن أولاد علي رضي الله عنه : جعفر ، والحسين ، والعباس ، ومحمد ، وعثمان ، وأبو بكر . ومن أولاد الحسين : علي الأكبر ، وعبد الله . ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة : عبد الله ، والقاسم ، وأبو بكر بنو الحسن بن علي بن أبي طالب . ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان : عون ، ومحمد . ومن أولاد عَقيل : جعفر ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ومسلم قُتل قبل ذلك كما قدمنا ، فهؤلاء أربعة لصُلبه ، واثنان آخران هما : عبد الله بن مسلم بن عَقيل ، ومحمد بن أبي سعيد بن عَقيل ، فكملوا ستة من ولد عَقيل ، وفيهم يقول الشاعر[2] :

واندُبي تسعةً لصُلبِ عليٍّ قـد أُصِيبُـوا وستَّـةً لعَقِيـل

وسميّ النبيِّ غُودِرَ فيهم قـد عَلَـوْهُ بصَـارمٍ مَصْقـول

وممن قُتل مع الحسين بكربلاء أخوه من الرَّضاعة عبد الله بن بُقْطُر ، وقد قيل : إنه قُتل قبل ذلك ، حيث بعث معه كتاباً إلى أهل الكوفة ، فحُمل إلى ابن زياد فقتله .

وقُتل من أهل الكوفة من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى ، فصلَّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم .

ويقال : إنَّ عمر بن سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بحوافر خيولهم حتى ألصقوه بالأرض يوم المعركة ، وأمر برأسه أن يُحمل من يومه إلى ابن زياد مع خَولي بن يزيد الأصبحي ، فلمّا انتهى به إلى القصر وجده مغلقاً ، فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجّانة[3] ، وقال لامرأته نَوار بنت مالك : جئتك بعزِّ الدهر ، فقالت : وما هو ؟ فقال : برأس الحسين ، فقالت : جاء الناس بالذهب والفضة وجئتَ أنت برأس ابن بنت رسول الله ﷺ ؟! والله لا يجمعني وإياك فراشٌ أبداً ، ثم نهضتْ عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من بني أسد ، فنامت عنده . قالت المرأة الثانية الأسديَّة : والله ما زلتُ أرى النور ساطعاً

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) هو مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم ، كما في مروج الذهب (٣/ ٧١ ـ ٧٢) .

(٣) « الإجانة » : المِرْكن الذي تغسل فيه الثياب .

من تلك الإجّانة إلى السماء ، وطيوراً بيضاً ترفرف حولها . فلمّا أصبح غدا به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه . ويقال : إنه كان معه رؤوس بقية أصحابه ـ وهو المشهور ـ ومجموعها اثنان وسبعون رأساً ، وذلك أنه ما قُتل قتيل إلّا احتزُّوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد ، ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية بالشام .

قال الإمام أحمد : حدّثنا حسين ، حدّثنا جرير ، عن محمد ، عن أنس قال : أُتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين ، فجُعل في طَسْت ، فجَعل ينكت عليه ، وقال في حسنه شيئاً . فقال أنس : إنه كان أشبهَهُم برسول الله ﷺ ، وكان مخضوباً بالوَسْمَة[١] .

ورواه البخاري في المناقب عن محمد بن الحسين[٢] بن إبراهيم ـ هو ابن إشْكاب ـ عن حسين بن محمد ، عن جرير بن حازم ، عن محمد بن سِيرين ، عن أنس . . . فذكره[٣] .

وقد رواه الترمذي[٤] من حديث حَفْصة بنت سِيرين ، عن أنس . وقال : حسن صحيح . وفيه : «فجعل ينكتُ بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيتُ مثل هذا حُسْناً» .

وقال البزّار : حدّثنا مفرج بن شُجاع بن عبيد الله المَوْصلي ، حدّثنا غسان بن الربيع ، حدّثنا يوسف بن عَبدة[٥] ، عن ثابت وحُميد ، عن أنس قال : لما أُتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان ـ أحسبُه قال ـ جميلاً ، فقلت : والله لأَسوءَنَّك ، إني رأيت رسول الله ﷺ يلثُم حيث يقع قضيبُك . قال : فانقبض . تفرد به البزار من هذا الوجه وقال : لا نعلم رواه عن حُميد غير يوسف بن عَبدة ، وهو رجل من أهل البصرة مشهور ، وليس به بأس[٦] .

ورواه أبو يعلى الموصلي[٧] : عن إبراهيم بن الحجاج ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس . . . فذكره .

ورواه قرَّة بن خالد ، عن الحسن ، عن أنس . . . فذكره .

وقال أبو مِخْنف : عن سليمان بن أبي راشد ، عن حُميد بن مسلم قال : دعاني عمر بن سعد ، فسرَّحني إلى أهله لأبشِّرهم بما فتح الله عليه وبعافيته ، فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه ، فدخلتُ فيمن دخل ، فإذا رأسُ الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت فيه

---

(١) « الوسمة » : نبت يختضب بورقه الشعر . ووقعت في الأصول : بالوشمة . والخبر في مسند أحمد (٣/ ٢٦١) .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : الحسن .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٧٤٨) .
(٤) برقم (٣٧٧٨) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين .
(٥) تصحف في أ ، ط : يونس بن عبيدة ، والمثبت من ب وزوائد البزار وتهذيب التهذيب (١١/ ٤١٧) .
(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٣٤) رقم (٢٦٤٩) .
(٧) في مسنده (٣٩٨١) وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف .

بقضيب بين ثناياه ساعة ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيَّتين ، فوالله الذي لا إله إلّا هو لقد رأيتُ شَفَتَيْ رسول الله ﷺ على هاتين الثنيَّتين يقبِّلُهما . ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينَك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفتَ وذهب عقلك لضربتُ عنقك . قال : فنهض فخرج [فلما خرج قال الناس : والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتلَه ، قال : فقلت : ما قال ؟ قالوا : مرَّ بنا وهو يقول : ملك عبدٌ عبيداً ، فاتخذَهم تليداً[1] ، أنتم ـ يا معشر العرب ـ العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمَّرتم ابن مُرْجانة[2] ، فهو يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم ، فبُعداً لمن رضي بالذُّل][3]

وقد رُوي من طريق أبي داود بإسناده عن زيد بن أرقم . . . بنحوه .

ورواه الطبراني من طريق ثابت ، عن زيد .

وقد قال الترمذي[4] : حدّثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمَيْر قال : لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه ، فنُصبت في المسجد في الرَّحبة ، فانتهيتُ إليه وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فإذا حيَّة قد جاءت تتخلَّل الرؤوس حتى دخلت في مَنْخِري عبيد الله بن زياد ، فمكثتْ هنيهةً ثم خرجتْ ، فذهبتْ حتى تغيَّبتْ ، ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت . ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثاً . ثم قال الترمذي : حسن صحيح .

وأمر ابن زياد فنُودي : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصَعِد المنبر ، فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلبهم الملك ويفرِّق الكلمة عليهم . فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي فقال : ويحك يا بن زياد ! تقتلون أولاد النبيِّين وتتكلَّمون بكلام الصدِّيقين ؟ ! فأمر به ابن زياد ، فقُتل وصُلب . ثم أمر برأس الحسين ، فنُصب بالكوفة وطيف به في أزقَّتها ، ثم سيَّره مع زَحْر بن قيس ومعه رؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية [بالشام ، وكان مع زَحْر جماعة من الفرسان ، منهم أبو بُرْدة بن عوف الأزدي ، وطارق بن أبي ظَبيان الأزدي ، فخرجوا حتى قدموا بالرؤوس كلِّها على يزيد بن معاوية][5] .

قال هشام : فحدّثني عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زِنْباع الجُذامي ، عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرشي ـ من حمير ـ قال : والله إني لعند يزيدَ بن معاوية بدمشق ، إذ أقبل زَحْر بن قيس فدخل على يزيد ، فقال له يزيد : ويحك ما وراءك ؟ ! [فقال : أَبشِر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره ، ورد

---

(١) « التليد » : أولاد الأعاجم .

(٢) « ابن مرجانة » : هو عبيد الله بن زياد ، حيث كانت أمه مرجانة من بنات ملوك الفرس .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦) .

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٧٨٠) . وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٩) ضمن ترجمة عبيد الله بن زياد .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب . تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٩) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٣ ـ ٣٤) .

علينا الحسينُ بن علي بن أبي طالب وثمانيةَ عشرَ من أهل بيته وستون من شِيعته ، فسِرْنا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، فغدونا إليهم مع شروق الشمس ، فأحطنا بهم من كل ناحية ، حتى أخذت السيوف مأخذَها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولاوَزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذ الحمام من صقر ، فوالله ما كانوا إلا جزر جَزُور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجرَّدة ، وثيابهم مزمَّلة ، وخدودهم معفَّرة ، تصهرهم الشمس ، وتَسْفي عليهم الريح ، زوّاهم العِقْبان والرَّخَم][1] .

قال : فدمعتْ عينا يزيد بن معاوية وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سميَّة ، أما والله لو أني صاحبُه لعفوتُ عنه ، ورحم الله الحسين . ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء . ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال : أما والله لو أني صاحبُك ما قتلتُك . ثم أنشد قول الحُصَين[2] بن الحُمَام المرِّي الشاعر :

نُفَلِّـقُ هـامـاً مـنْ رجـالٍ أعـزَّةٍ   عَلَينـا وهـمْ كـانـوا أَعَـقَّ وأَظْلَمـا

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جعفر العبسي [عن أبي عمارة العبسي][3] قال : وقام يحيى بن الحكم ـ أخو مروان بن الحكم ـ فقال :

لَهَـامٌ يجنـبِ الطَّـفِّ أدنـىٰ قـرابـةً   من ابنِ زيادِ العبد ذي الحسَبِ الوَغْل
سُميَّةُ أضحىٰ نسلُها عددَ الحَصىٰ   وليسَ لآلِ المُصْطفى اليومَ من نَسْل

قال : فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال له : اسكُت[4] .

وقال محمد بن حميد الرازي ـ وهو شِيعيّ : حدثنا محمد بن يحيى الأحمري ، حدّثنا ليث ، عن مجاهد قال : لما جيء برأس الحسين ، فوضع بين يدي يزيد ، تمثَّل بهذه الأبيات :

ليـتَ أَشْيـاخـي ببَـدْرٍ شَهِـدُوا   جَـزَعَ الخـزرجِ فـي وَقْـع الأَسَـلْ
فـأهلُّـوا واسْتَهَلُّـوا فَـرَحـاً   ثـمَّ قـالـوا لـي هنيّـاً لا تَسَـلْ

---

(١) ما بين حاصرتين مكانه في ب : فذكر له أمر الحسين وماكان من أمره بكربلاء . والخبر بطوله في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠) .

(٢) تحرف في الأصول إلى : الحسين . والحصين بن الحمام : شاعر جاهلي مقل . والبيت في ديوان الحماسة (١/ ٣٩١) وغيره من كتب الأدب . تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠) ومروج الذهب (٣/ ٧٠) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدركته من تاريخ الطبري .

(٤) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠ ـ ٤٦١) وابن الأثير (٤/ ٨٩ ـ ٩٠) .

حيـنَ حكَّـتْ بقُبَـاءٍ[١] بَـرْكَهـا واسْتحرَّ القتلُ في عبد الأَشَلْ[٢]
قد قَتَلْنا الضِّعفَ من أشرافكم وعَـدَلْنـا مَيْـلَ بَـدْرٍ فـاعْتَـدَلْ[٣]

قال مجاهد : نافق فيها والله ، ما بقي في جيشه أحد إلّا تركه ؛ أي : ذمَّه وعابه .

وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين : هل سيَّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ؟ على قولين : الأظهر منهما أنه سيَّره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة ، فالله أعلم .

وقال أبو مِخْنف : عن أبي حمزة الثُّمالي ، عن عبد الله الثُّمالي ، عن القاسم بن بُخَيت قال : لما وضِع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينكتُ بقضيب كان في يده في ثغره ، ثم قال : إنَّ هذا وإيانا كما قال الحُصَين بن الحُمام المري :

نُفَلِّـقُ هـامـاً مـنْ رجـالٍ أعـزَّةٍ عَلَينـا وهـمْ كـانـوا أَعَـقَّ وأَظْلَمـا

فقال أبو بَرْزة الأسلمي : أما والله لقد أخذ قضيبُك هذا مأخذاً ، لقد رأيت رسول الله ﷺ يَرْشُفُه ، ثم قال : ألا إنَّ هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعُه محمد ، وتجيء وشفيعُك ابن زياد . ثم قام فولَّى[٤]

وقد رواه ابن أبي الدنيا ، عن أبي الوليد ، عن خالد بن يزيد بن أسد ، عن عمّار الدهني ، عن جعفر قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو بَرْزة وجعل ينكت بالقضيب ، فقال له : « ارفع قضيبَك ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يلثمُه » .

قال ابن أبي الدنيا : وحدّثني سلَمة[٥] بن شَبِيب ، عن الحميدي ، عن سفيان : سمعت سالم بن أبي حَفْصة قال : قال الحسن : لما جيء برأس الحسين جعل يزيد يطعن بالقضيب . قال سفيان : وأُخبرت أن الحسن[٦] كان ينشد على إثر هذا :

سُميَّةُ أمسىٰ نَسْلُها عدَدَ الحَصىٰ وبنتُ رسولِ اللهِ ليس لها نَسْلُ

وأما بقية أهله ونساؤه وحرمه فإن عمر بن سعد وكَّلَ بهم من يحرسهم ويكلؤهم ، ثم أركبوهم على الرواحل في الهوادج ، فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطَّرحين هنالك بكت النساء

---

(١) في ط : بفناء .
(٢) تحرفت الأشل في الأصول إلى : الأسل . « وعبد الأشل » : بنو عبد الأشهل ، من الأوس .
(٣) الأبيات لعبد الله بن الزبعرى ، وهي مخرجة ومشروحة في ديوانه (ص٤٢) من قصيدة قالها يوم أُحد معرضاً بحسان ابن ثابت والخزرج .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٥) .
(٥) تحرف في ط ، ب إلى : مسلمة .
(٦) تحرف في ط إلى : الحصين .

وصرخن ، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلَها فقالت وهي تبكي : يا محمداه ! يا محمداه ! صلى عليك الله وملك السماء ، هذا حسين بالعراء ، مزمَّل بالدماء ، مقطَّع الأعضاء ، يا محمداه ! وبناتك سبايا ، وذريتك مقتَّلة ، تَسْفي عليها الصَّبا ! قال : فأبكت ـ والله ـ كلَّ عدو وصديق[1]

قال قرَّة بن قيس : لما مرَّت النسوة بالقتلى صحنَ ولطمنَ خدودهنّ . قال : فما رأيت من منظر من نسوة قطُّ أحسن من منظر رأيته منهن ذلك اليوم ، والله إنهنَّ لأحسن من مَهَا يَبْرين . وذكر الحديث كما تقدم .

قال : ثم ساروا بهم من كربلاء حتى دخلوا الكوفة ، فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى وغيرها .

[قال : ودخلت زينب ابنة فاطمة في أرذل ثيابها قد تنكَّرت وحفَّت بها إماؤها ، فلما دخلت على عبيد الله بن زياد قال : من هذه ؟ فلم تكلِّمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة ، فقال : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وكذَّب أُحدوثتكم . فقالت : بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهَّرنا تطهيراً ، لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذَّب الفاجر . قال : كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتكم ؟ فقالت : كُتب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجُّونك إلى الله . فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمرو بن حُريث : أصلح الله الأمير ! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها ؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ، ولا تُلام على خَطَل .

وقال أبو مِخْنف : عن المجالد بن سعيد : إن ابن زياد لمّا نظر إلى علي بن الحسين (زين العابدين) قال لشرطي : انظر أأدرك هذا الغلام ؟ فإن كان أدرك فانطلِقوا به فاضرِبوا عنقَه . فكشف إزاره عنه ، فقال : نعم ! فقال : اذهب به فاضرِب عنقه . فقال له علي بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهنَّ رجلاً يحافظ عليهنّ . فقال له ابن زياد : تعال أنت ، فبعثه معهنّ .

قال أبو مِخْنف : وأما سليمان بن أبي راشد ، فحدّثني عن حُميد بن مسلم قال : إني لقائم عند ابن زياد حين عُرض عليه علي بن الحسين ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : أنا علي بن الحسين ، قال : أولم يقتل اللهُ عليَّ بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلَّم ؟ قال : كان لي أخ يقال له عليٌّ أيضاً ، قتله الناس . قال : إن الله قتله ، فسكت ، فقال : مالك لا تتكلَّم ؟ فقال : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] قال : أنت والله منهم ، ويحك ! انظروا هذا أدرك ؟ والله إني لأحسبُه رجلاً ، فكشف عنه مُري بن معاذ الأحمريّ ، فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتُلْه ، فقال علي بن الحسين : من يوكَّل بهذه النسوة ؟ وتعلقتْ به زينب

(١) تاريخ الطبري (٥/٤٥٦) .

عمتُه فقالت : يا بن زياد ! حسبُك منا ما فعلتَ بنا ، أما رَويتَ من دمائنا ؟ وهل أبقيتَ منا أحداً ؟ قال : واعتنقتْه وقالت : أسألك بالله إن كنتَ مؤمناً إنْ قتلته لما قتلتني معه . وناداه عليٌّ فقال : يا بن زياد ! إن كان بينك وبينهنَّ قرابة فابعث معهنَّ رجلاً تقيّاً يصحبهنَّ بصحبة الإسلام قال : فنظر إليهنَّ ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : عجباً للرّحم ! والله إني لأظنُّ أنها ودَّت لو أني قتلتُه أن أقتلَها معه . دعوا الغلام . انطلِق مع نسائك [(١)]

قال : ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبيانه وبناته فجهِّزوا إلى يزيد ، وأمر بعلي بن الحسين فغُلَّ بغُلٍّ إلى عنقه ، وأرسلهم مع محفِّز[(٢)] بن ثعلبة العائذي ـ من عائذة قريش ـ ومع شَمِر بن ذي الجَوْشن قبّحه الله ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع محفِّز بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفِّز بن ثعلبة ، أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة . فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدتْ أمُّ محفِّز شرٌّ وألأم .

فلما دخلت الرؤوس والنساء على يزيد دعا أشراف الشام فأجلسهم حولَه ، ثم دعا بعليِّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأُدخلوا عليه والناسُ ينظرون ، فقال لعلي بن الحسين : يا عليّ ! أبوك قطع رحمي ، وجهل حقّي ، ونازَعني سُلطاني ، فصنعَ اللهُ به ما قد رأيت . فقال علي : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد : ٢٢] فقال يزيد لابنه خالد : أَجِبْه . قال : فما درى خالد ما يردُّ عليه ، فقال له يزيد : قُلْ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] فسكت عنه ساعة ، ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئةً قبيحة ، فقال : قبّح اللهُ ابن مَرْجانة ! لو كانت بينهم وبينه قرابةٌ ورحمٌ ما فعل هذا بهم ، ولا بعث بكم هكذا .

وروى أبو مِخْنف ، عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت علي قالت : لما أُجلسنا بين يدي يزيد رقَّ لنا وأمر لنا بشيء وألطَفَنا . ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه ـ يعنيني ـ وكنتُ جارية وضيئة ، فارتعدتُ فزِعةً من قوله ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذتُ بثياب أختي زينب ـ وكانت أكبر مني وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز ـ فقالت لذلك الرجل : كذبتَ ـ والله ـ ولؤُمت ، ما ذلك لك وله . فغضب يزيد فقال لها : كذبتِ ، والله إن ذلك لي ، ولو شئتُ أن أفعله لفعلت . قالت : كلا ، والله ما جعل اللهُ ذلك لك إلّا أن تخرج من ملَّتنا وتَدين بغير ديننا . قالت : فغضب يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من الدِّين أبوك وأخوك ، فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدِّي اهتديتَ أنت وأبوك وجدُّك . قال : كذبتِ يا عدوَّة الله . قالت : أنت أمير

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وهو في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) .
(٢) كذا قيده ابن ماكولا والذهبي وغيرهما ـ بالفاء المشددة والزاي . وقد تحرف في المطبوع في غير موضع إلى : محقر .

المؤمنين [مسلَّط ، تشتم ظالماً ، وتقهر بسلطانك . قالت : فوالله لكأنه استحيىٰ فسكت . ثم قام ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين](١) ! هب لي هذه ، فقال له يزيد : اعزُب ، وهبَ اللهُ لك حَتْفاً قاضياً .

ثم أمر يزيدُ النعمان بن بَشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلاً أميناً معه رجال وخيل ، ويكون علي بن الحسين معهنّ . ثم أنزل النساء عند حريمه في دار الخلافة ، فاستقبلهنَّ نساء آل معاوية يبكين ويَنُحْنَ على الحسين ، ثم أقمنَ المناحة ثلاثة أيام . وكان يزيد لا يتغدّى ولايتعشَّى إلا ومعه علي بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين ، فقال يزيد يوماً لعمر بن الحسين ـ وكان صغيراً جداً ـ أتقاتل هذا ؟ يعني ابنه خالد بن يزيد ـ يريد بذلك ممازحته وملاعبته ، فقال : أعطني سكِّيناً وأعطه سكِّيناً حتى نتقاتل . فأخذه يزيد فضمَّه إليه وقال : شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَمَ(٢) ، هل تلد الحية إلَّا حية ؟ .

ولما ودَّعهم يزيد قال لعلي بن الحسين : قبح الله ابن سميَّة ، أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألني خصلة إلّا أعطيتُه إياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعتُ ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت . ثم جهَّزه وأعطاه مالًا كثيراً ، وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول ، وقال له : كاتِبْني بكل حاجة تكون لك . فكان ذلك الرسول الذي أرسله معهم يسير عنهم بمعزل من الطريق ، ويبعد عنهم بحيث يدركهم طرفه ، وهو في خدمتهم حتى وصلوا المدينة . فقالت فاطمة بنت علي : قلت لأختي زينب : إن هذا الرجل الذي أُرسل معنا قد أحسن صحبتنا فهل لك أن نصلَه ؟ فقالت : والله ما معنا شيء نصلُه به إلا حليّنا ، قالت لها : نعطيه حليّنا . قالت : فأخذت سواري ودُمْلَجي(٣) ، وأخذت سوارها ودُمْلَجها ، وبعثنا به إليه واعتذرنا إليه وقلنا : هذا جزاؤك بحسن صحبتك لنا ، فقال : لو كان الذي صنعتُ معكم إنما هو للدنيا كان في هذا الذي أرسلتموه ما يُرضيني وزيادة ، ولكن ـ والله ـ ما فعلتُ ذلك إلّا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله ﷺ(٤) .

[وقيل : إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أُتي ابن فاطمة ، وما الحامل له على ما فعل ، وما الذي أوقعه فيما وقع فيه ؟ قالوا : لا ، قال : يزعم أن أباه خيرٌ من أبي ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ خيرٌ من أمي ، وجدّه رسول الله خيرٌ من جدي ، وأنه خير مني وأحقُّ بهذا الأمر مني ! فأما قوله : أبوه خير من أبي ، فقد حاجَّ أبي أباه إلى الله عز وجل ، وعلم الناس أيهما حُكم له . وأما قوله : أمُّه خير من أمي ، فلعَمْري إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي . وأما قوله : جدُّه رسول الله خير من

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) قوله : شنشنة أعرفها من أخزم . مثل عربي . « والشنشنة » : الطبيعة والسجية ، كأنه أراد : إني أعرف منك مَشابهَ من أبيك في رأيه وعقله وذكائه . اللسان : مادة (شنن) .

(٣) الدملج ـ بفتح اللام وضمها : ما يوضع على العضد من الحليّ .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) .

جدي ، فلعَمْري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله فينا عِدْلًا ولانِدّاً . ولكنه إنما أُتي من قلة فقهه ، لم يقرأ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ الآية [٢٦ من سورة آل عمران] وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين ـ وكانت أكبر من سُكَينة : يا يزيد ! بنات رسول الله ﷺ سبايا ، فقال يزيد : يا بنت أخي ! أنا لهذا كنت أكره . قالت : قلت : والله ما تركوا لنا خُرْصاً[١] ، فقال : ابنة أخي ! ما أتى إليك أعظم مما ذهب لك . ثم أدخلهنَّ داره ، ثم أرسل إلى كل امرأة منهن : ماذا أُخذ لك ؟ فليس منهن امرأة تدَّعي شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لها .

وقال هشام : عن أبي مِخْنف ، حدّثني أبو حمزة الثُّمالي ، عن عبد الله الثُّمالي ، عن القاسم بن بُخَيت[٢] قال : لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا ـ والله ـ على آخرهم ، وهذه الرؤوس والسبايا . فوثب مروان وانصرف . وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال : ما صنعتم ؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه ، فقال لهم : حُجِبتم عن محمد ﷺ يوم القيامة ، لن أُجامعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف . قال : ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بني هاشم ونُحْنَ عليه][٣] .

وروي أن يزيد استشار الناس في أمرهم ، فقال رجال ممن قبَّحهم الله : يا أمير المؤمنين ! لا تتخذن من كلب سوءٍ جرواً ، اقتُل علي بن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد ، فسكت يزيد ، فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ! اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحال . فرقَّ عليهم يزيد ، وبعث بهم إلى الحمَّام ، وأجرى عليهم الكساوى والعطايا والأطعمة ، وأنزلهم في داره .

وهذا يردُّ قول الرافضة : إنهم حُملوا على جنائب الإبل سبايا عرايا ، حتى كذب مَنْ زعم منهم أن الإبل البَخاتي إنما نبتتْ لها الأسنمة من ذلك اليوم لتستر عوراتِهنّ من قُبُلهنَّ ودُبُرهنّ .

ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد ـ أمير الحرمين ـ يبشِّره بمقتل الحسين ، فأمر منادياً فنادى بذلك ، فلما سمع نساء بني هاشم ارتفعت أصواتهنَّ بالبكاء والنَّوح ، فجعل عمرو بن سعيد يقول : هذا ببكاء نساء عثمان بن عفان .

وقال عبد الملك بن عُمير : دخلتُ على عبيد الله بن زياد وإذا رأسُ الحسين بن علي بين يديه على

---

(١) الخرص ـ بضم الخاء وكسرها : حلقة القُرط .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : نجيب .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب ، وماورد خلاله من أخبار في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) .

تُرس ، فوالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عُبيد وإذا رأسُ عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على تُرس [ووالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على مصعب بن الزبير وإذا رأسُ المختار بين يديه على تُرس][١] ووالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان وإذا رأسُ مصعب بن الزبير على تُرس بين يديه .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في « تاريخه » : حدّثني زكريا بن يحيى الضَّرير ، حدّثنا أحمد بن جناب[٢] المصِّيصي ، حدّثنا خالد بن يزيد بن[٣] عبد الله القَسْري ، حدّثنا عمّار الدُّهني قال : قلت لأبي جعفر : حدِّثني عن مقتل الحسين كأني حضرته ، فقال : أقبلَ الحسين بكتاب مسلم بن عَقيل الذي كان قد كتبه إليه يأمره فيه بالقدوم عليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسيَّة ثلاثة أميال لقيَه الحرُّ بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا المِصْر ، فقال له : ارجع فإني لم أدعْ لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمَّ الحسين أن يرجع ، وكان معه إخوة مسلم بن عَقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا ممن قَتل أخانا أو نُقتل ، فقال : لا خير في الحياة بعدكم . فسار ، فلقيه أوائل خيل ابن زياد ، فلما رأى ذلك عدل[٤] إلى كربلاء ، فأسند ظهره إلى قصباء[٥] وخلاً ليقاتل من جهة واحدة ، فنزل وضرب أبنيته . وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومئة راجل . وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولّاه ابن زياد الري وعهد إليه عهده ، فقال : اكفني هذا الرجل واذهب إلى عملك ، فقال : اعفني ، فأبى أن يعفيه ، فقال : أنظرني الليلة ، فأخَّره ، فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به . فتوجَّه إليه عمر بن سعد ، فلما أتاه قال له الحسين : اختر[٦] واحدة من ثلاث : إما أن تَدَعوني فأنصرف من حيث جئت ، وإما أن تَدَعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تَدَعوني فألحق بالثغور . فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عبيد الله بن زياد : لا ، ولا كرامة حتى يضع يده في يدي ، فقال الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً . فقاتله ، فقُتل أصحاب الحسين كلُّهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته ، وجاءه سهم فأصاب ابناً له في حِجْره ، فجعل يمسح الدم ويقول : اللهم احكُم بيننا وبين قوم دَعَونا لينصرونا فقتلونا . ثم أمر بحبَرَة[٧] فشقَّها ثم لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتل ، قتله رجل من مَذْحج ، وحزَّ رأسه فانطلق به إلى ابن زياد وقال في ذلك :

أَوْقِرْ ركابي فضَّةً وذَهَبا ... فقد قَتَلْتُ المَلِكَ المُحَجَّبا

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع . والخبر في تاريخ الخلفاء (ص٣٢٨ ـ ٣٢٩) .
(٢) في المطبوع : خباب ، تحريف .
(٣) في المطبوع : عن ، خطأ .
(٤) في المطبوع : عاد .
(٥) كذا في ب وتاريخ الطبري . ووقعت في أ ، ط : قصيتا .
(٦) في المطبوع : اختبر ، خطأ .
(٧) الحبرة ـ بكسر الحاء وفتحها : ضرب من البرود اليمانية .

قتلتُ خيرَ النَّاسِ أُمّاً وأَبَا وخيرَهُمْ إذ يُنْسَبُونَ نَسَبَا

قال : فأوفده إلى يزيد بن معاوية ، فوضع رأسه بين يديه ، وعنده أبو بَرْزة الأسلمي ، فجعل يزيد ينكت بالقضيب على فيه ويقول :

نُفلِّقُ هاماً مِنْ رجالٍ أعِزَّةٍ عَلَينا وهمْ كانُوا أَعَقَّ وأَظْلَما

فقال له أبو بَرْزة : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيتُ رسول الله ﷺ واضعاً فيه على فيه يلثُمه .

قال : وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد ، ولم يكن بقي من آل الحسين إلّا غلام ، وكان مريضاً مع النساء ، فأمر به ابن زياد ليُقتل ، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني ، فرقَّ لها وكفَّ عنه .

قال : فأرسلهم إلى يزيد ، فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام ، ثم دخلوا عليه فهنَّؤوه بالفتح ، فقام رجل منهم أحمر أزرق ـ ونظر إلى وصيفة من بناته ـ فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه ، فقالت زينب : لا ، ولا كرامة لك ولا له إلا أن تخرجا من دين الله . قال : فأعادها الأزرق ، فقال له يزيد : كفَّ عن هذا . ثم أدخلهم على عياله ، ثم حملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرةً شعرها ، واضعة كمَّها على رأسها ، تتلقاهم وهي تبكي وتقول :

ماذا تقولونَ إنْ قالَ النَّبيُّ لكُمْ ماذا فَعَلْتمْ وأنتمْ آخرُ الأُمَمِ
بعِتْرَتي وبأَهْلي بعدَ مُفْتَقَدِي منهمْ أُسَارىٰ وقَتْلىٰ ضُرِّجُوا بدم
ماكانَ هذا جَزَائي إذْ نَصَحْتُ لكمْ أَنْ تخلفُوني بسُوءٍ في ذوي رَحِمي[١]

وقد روى أبو مِخْنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود : أن بنت عَقيل هي التي قالت هذا الشعر .

وهكذا حكى الزبير بن بكّار أن زينب الصغرى بنت عَقيل بن أبي طالب هي التي قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبويّة .

وروى أبو بكر بن الأنباري بإسناده أن زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة ـ وهي زوج عبد الله بن جعفر أمّ بنيه ـ رفعت سجف[٢] خبائها يوم كربلاء يوم قُتل الحسين وقالت هذه الأبيات[٣] . فالله أعلم .

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) .
(٢) « السجف » : الستر .
(٣) الخبر في شاعرات العرب (ص٢٥٧) وأعلام النساء (٣/ ٣٢٤) وفيهما أن هذه الأبيات لعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب .

وقال هشام بن الكلبي : حدّثني بعض أصحابنا ، عن عمرو بن [أبي][١] المقدام قال : حدّثني عمر بن عكرمة قال : أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولاة لنا تحدِّثنا قالت : سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول :

أيُّها القاتلونَ ظُلْماً حُسَيناً ... أَبشِرُوا بالعَذَابِ والتَّنْكيل

كلُّ أهلِ السَّماءِ يدعُو عَلَيكم ... مِنْ نبيٍّ ومالكٍ وقَبِيل

قَدْ لُعِنْتم على لسَانِ ابنِ داو ... دَ وموسىٰ وحاملِ الإِنْجِيل[٢]

قال هشام[٣] : حدّثني عمرو بن حيزوم الكلبي ، عن أمّه قالت : سمعت هذا الصوت . وقال الليث وأبو نعيم : يوم السبت .

ومما أنشده الحاكم أبو عبد الله النَّيْسابوري وغيره لبعض المتقدِّمين في مقتل الحسين :

جاؤوا برأسِكَ يا بنَ بنتِ محمَّدٍ ... متزمِّلاً بدِمائِهِ تَزْمِيلا

وكأنَّما بكَ يا بنَ بنتِ محمَّدٍ ... قَتَلوا جهَاراً عامِدينَ رَسُولا

قَتَلوكَ عطشاناً ولمْ يَتَدبَّرُوا ... في قَتْلكَ القرآنَ والتَّنْزيلا

ويُكَبِّرونَ بأنْ قُتِلْتَ وإنَّما ... قَتَلوا بكَ التَّكبيرَ والتَّهْليلا

فصل

وكان مقتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ يوم الجمعة ، يوم عاشوراء من المحرَّم ، سنة إحدى وستين . وقال هشام بن الكلبي : سنة اثنتين وستين ، وبه قال علي بن المديني . وقال ابن لَهِيعة : سنة اثنتين أو ثلاث وستين . وقال غيره : سنة ستين . والصحيح الأول . بمكان من الطَّفِّ يقال له : كربلاء من أرض العراق ، وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها ، وأخطأ أبو نعيم في قوله : إنه قُتل وله من العمر خمس أو ست وستون سنة .

قال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عبد الصَّمد بن حسان ، حدّثنا عُمارة ـ يعني ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن

---

(١) سقطت من المطبوع . وعمرو بن أبي المقدام : هو عمرو بن ثابت الكوفي . قال فيه ابن حجر : ضعيف ، رمي بالرفض .

(٢) تنسب هذه الأبيات للجن ، وهي في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٧) وابن الأثير (٤/ ٩٠) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٥٤) .

(٣) في المطبوع : قال ابن هشام ، خطأ .

(٤) مسند أحمد (٣/ ٢٦٥) وفيه عمارة بن زاذان وهو كثير الخطأ ، فإسناد الحديث ضعيف .

أنس قال : « استأذن ملَك القَطْر أن يأتيَ النبي ﷺ فأذن له ، فقال لأمِّ سلمة : احفَظِي علينا البابَ لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسينُ بن علي ، فوثب حتى دخل ، فجعلَ يصعَدُ على مَنْكب النبي ﷺ فقال المَلك : أتحبُّه ؟ قال النبيُّ[١] ﷺ : نعم ، فقال : إنَّ أمَّتَك تقتلُه ، وإنْ شئتَ أريتُك المكان الذي يُقتل فيه . قال : فضرب بيده فأَراهُ تراباً أحمر ، فأخذتْ أمُّ سلمة ذلك التراب فصرَّتْه في طرف ثوبها . قال : فكنّا نسمع أنه يُقتل بكربلاء » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا وكيع ، حدّثني عبد الله بن سعيد ، عن أبيه ، عن عائشة ـ أو أمّ سلمة ـ : أن رسول الله ﷺ قال : « لقد دخلَ عليَّ البيتَ ملَكٌ لم يدخلْ قبلَها [فقال لي : إنَّ ابنَكَ هذا حسين مقتول ، وإنْ شئتَ أَريتُكَ مِنْ تُربة الأرضِ التي يُقتل بها][٢] قال : فأَخرجَ تربةً حمراء »[٣] .

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أمِّ سلمة . ورواه الطبراني[٤] عن أبي أُمامة وفيه قصة أمِّ سلمة . ورواه محمد بن سعد[٥] عن عائشة بنحو رواية أمِّ سلمة ، فالله أعلم . وروي ذلك من حديث زينب بنت جَحْش ، ولُبَابة أمِّ الفضل امرأة العباس . وأرسله غير واحد من التابعين .

وقال أبو القاسم البَغْوي : حدّثنا محمد بن هارون أبو بكر ، حدّثنا إبراهيم بن محمد الرَّقي وعليُّ بن الحسن الرازي قالا : حدّثنا سعيد بن عبد الملك أبو واقد الحرّاني ، حدّثنا عطاء بن مسلم ، حدّثنا أشعث بن سُحيم[٦] ، عن أبيه قال : سمعت أنس بن الحارث يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ ابني ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرضٍ يُقال لها كَربلاء ، فمَنْ شهِدَ منكُم ذلكَ فَلْيَنْصُره » . قال : فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء ، فقُتل مع الحسين . قال : ولا أعلم رواه غيره .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا محمد بن عبيد ، حدّثنا شُرَحبيل[٧] بن مُدرك ، عن عبد الله بن نُجي[٨] ، عن أبيه أنه سار مع علي ـ وكان صاحب مِطْهَرته ـ فلما حاذى[٩] نِينَوَى وهو منطلق إلى صفِّين ، فنادى

---

(١) لفظة : « النبي ﷺ » سقطت من ط .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) مسند أحمد (٦/ ٢٩٤) .
(٤) المعجم الكبير (٨٠٩٦) .
(٥) الطبقات الكبرى (١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) الطبقة الخامسة من الصحابة .
(٦) في الاستيعاب (١/ ١١٢) : « سليم » ، ولم أقف له على ترجمة ، لكن ما أثبتناه اتفقت عليه النسخ ، وكذلك ذكره البخاري في ترجمة أنس بن الحارث من تاريخه الكبير (٢/ ٣٠) وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ١٤٦) وابن حجر في الإصابة (١/ ٦٨) .
(٧) تحرف في أ ، ط إلى : شراحيل ، وهو من رجال التهذيب .
(٨) تحرف في ط إلى : يحيى ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) في الأصل : جاؤوا وما أثبته من المسند وزوائد البزار والسير .

علي : اصبِر أبا عبد الله ! اصبِر أبا عبد الله بشطِّ الفُرات ! قلت : وماذا تريد ؟ قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ وعيناه تَفيضان فقلت : ما أبكاك يا رسول الله ؟ قال : بلَى ، قام من عندي جبريلُ قبلُ ، فحدّثني أنَّ الحسينَ يُقتل بشطِّ الفُرات ، قال : فقال : هل لكَ أن أُشِمَّك من تُربته ؟ قال : فمدَّ يده فقبضَ قبضةً من تراب فأعطانِيها ، فلم أملِكْ عينيَّ أنْ فاضَتا » . تفرد به أحمد[١]

وروى محمد بن سعد[٢] ، عن علي بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن رجل ، عن عامر الشَّعبي ، عن علي مثله .

وقد روى محمد بن سعد وغيره ـ من غير وجه ـ عن علي بن أبي طالب : أنه مرَّ بكربلاء عند أشجار الحَنْظل وهو ذاهب إلى صفِّين ، فسأل عن اسمها ، فقيل : كربلاء ، فقال : كربٌ وبلاء . فنزل وصلَّى عند شجرة هناك ثم قال : يُقتل هاهنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة ، يدخلون الجنَّة بغير حساب . وأشار إلى مكان هناك ، فعلَّموه بشيء ، فقُتل فيه الحسين .

وقد روي عن كعب الأحبار آثارٌ في كربلاء .

وقد حكى أبو الجَنَاب الكلبي وغيره : أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نَوْح نساء الجنِّ على الحسين وهنَّ يقلنَ :

مَسَحَ الرسُولُ جَبينَهُ ... فَلَهُ بَرِيقٌ في الخُدُود
أَبَواهُ مِنْ عُلْيَا قُرَيْـ ... ـشٍ جدُّهُ خيرُ الجُدُود[٣]

وقد أجابهم بعض الناس فقال :

خَرَجُوا بِهِ وفداً إليـ ... ـهِ فهمْ لهُ شَرُّ الوُفود
قَتَلوا ابنَ بنتِ نبيِّهِمْ ... سَكَنُوا بِهِ ذاتَ الخُدود

وروى ابن عساكر : أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم ، فوجدوا في كنيسة مكتوباً :

أَتَرْجو أمَّةٌ قَتَلَتْ حُسَيناً ... شَفَاعَةَ جدِّهِ يومَ الحِسَاب

فسألوهم : من كتب هذا ؟ فقالوا : إن هذا مكتوب هاهنا من قبل مبعث نبيّكم بثلاث مئة سنة !

---

(١) وهو في مسنده (١/ ٨٥) وإسناده ضعيف .
(٢) طبقاته الكبرى (الطبقة الخامسة من صغار الصحابة) (١/ ٤٢٩) .
(٣) مجالس ثعلب (ص٣٣٩) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٥٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٧) وتاريخ الخلفاء (ص٣٣٠) .

وروي أنَّ الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهو يشربون الخمر والرأس معهم ، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بدمٍ هذا البيت :

أَتَـرْجـو أمَّـةٌ قَتَلَـتْ حُسَينـاً شَفَاعَةَ جدِّهِ يومَ الحِسَابِ[١]

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن وعفّان ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عمّار بن أبي عمّار ، عن ابن عباس قال : « رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام بنصف[٢] النهار أشعثَ أغبَر ، معه قارورةٌ فيها دم ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا ؟! قال : هذا دمُ الحسينِ وأصحابِه لم أزل ألتقِطُه منذ اليوم » . قال عمار : فأحصينا ذلك فوجدناه قد قُتل في ذلك اليوم .

تفرد به أحمد[٣] ، وإسناده قوي .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا عبد الله بن محمد بن هانىء أبو عبد الرحمن النحوي ، حدّثنا مَعْدي[٤] بن سليمان ، حدّثنا علي بن زيد بن جُدْعان قال : استيقظ ابن عباس من نومه ، فاسترجع وقال : قُتل الحسين والله ، فقال له أصحابه : لم يا بن عباس ؟! فقال : « رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجةٌ من دم ، فقال : أتعلم ما صنعتْ أُمّتي من بعدي ؟ قتلوا بنيَّ الحسين ، وهذا دمُه ودم أصحابه أرفعُهما إلى الله » . فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة ، فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة : أنه قُتل في ذلك اليوم وتلك الساعة .

وروى الترمذي[٥] ، عن أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي خالد الأحمر ، عن رَزِين ، عن سلمى قالت : دخلت على أمِّ سلمة وهي تبكي ، فقلت : ما يُبكيك ؟ فقالت : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسِه ولحيته التراب ، فقلت : مالكَ يا رسول الله ؟! قال : « شهدتُ قتلَ الحسين آنفاً » .

وقال محمد بن سعد[٦] : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، أنبأنا قرَّة بن خالد ، أخبرني عامر بن عبد الواحد ، عن شَهْر بن حَوْشب قال : إنا لعندَ أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ فسمعنا صارخة ، فأقبلتْ حتى انتهتْ إلى أمِّ سلمة فقالت : قُتل الحسين ، فقالت : قد فعلوها ؟ ! ملأ اللهُ قبورهم ـ أو بيوتهم ـ عليهم ناراً ، ووقعتْ مغشيّاً عليها ، وقمنا .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٥٥) .

(٢) في ط : « نصف » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في المسند .

(٣) وهو في مسنده (١/ ٢٤٢ و٢٨٣) .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : مهدي وهو من رجال التهذيب . وقد قال فيه أبو زرعة : واهي الحديث . وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن حبان : لايجوز أن يحتج به ـ ميزان الاعتدال (٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣) .

(٥) الترمذي (٣٧٧١) في المناقب . وإسناده ضعيف .

(٦) طبقاته الكبرى (١/ ٤٩٥ـ٤٩٦) الطبقة الخامسة من الصحابة. ونقله ابن عساكر في تاريخ دمشق مختصره (٧/ ١٥٣).

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، حدّثنا ابن سلمة[١] ، عن عمّار قال : سمعت أمَّ سلمة قالت : سمعتُ الجنَّ يبكين على الحسين ، وسمعت الجنَّ تنوح على الحسين .

ورواه الحسين بن إدريس ، عن هاشم بن هاشم ، عن أمِّه ، عن أمِّ سلمة قالت : سمعتُ نساء الجنِّ ينحنَ على الحسين وهنَّ يقلن :

أيُّها القاتلونَ جَهْلاً حُسَيناً ... أَبشِرُوا بالعذابِ والتَّنْكيل

كلُّ أهلِ السَّماءِ يدعو عَليكُم ... من نبيٍّ ومُرْسَلٍ وقَبِيل

قَدْ لُعِنتمْ على لسَانِ ابنِ داو ... دَ وموسىٰ وصاحبِ الإنجيل[٢]

وقد روي من طريق أخرى عن أمِّ سلمة بشعر آخر غير هذا ، فالله أعلم .

وقال الخطيب : أخبرنا أحمد بن عثمان بن مَيّاح[٣] السُّكري ، حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدّثنا محمد بن شدّاد المِسْمعي ، حدّثنا أبو نعيم ، حدّثنا عبد الله[٤] بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : « أوحى اللهُ تعالى إلى محمد ﷺ : أني قتلتُ بيحيى بن زكريّا سبعين ألفاً ، وأنا قاتلٌ بابن بنتِك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً »[٥] .

هذا حديث غريب جداً ، وقد رواه الحاكم في « مستدركه »[٦] .

وقد ذكر الطبراني هاهنا آثاراً غريبة جداً .

ولقد بالغ الشِّيعة في يوم عاشوراء ، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً : من كون الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم . وما رُفع يومئذ حجرٌ إلا وُجد تحته دم . وأنَّ أرجاء السماء احمرَّت . وأنَّ الشمس كانت تطلع وشعاعُها كأنه الدم . وصارت السماء كأنها عَلَقة[٧] . وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً . وأمطرت السماء دماً أحمر . وأنَّ الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ . . . ونحو ذلك .

---

(١) تحرفت . في أ ، ط إلى : مسلم . وابن سلمة هو حماد . والخبر في معجم الطبراني (٢٨٦٧) كما في التعليق على السير (٣/ ٣١٦) .

(٢) تقدمت هذه الأبيات قبل صفحات .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : ساج ، وهو مترجم في تاريخ الخطيب (٤/ ٣٠٠) وأيضاً في الإكمال لابن ماكولا (٥/ ٣٠٧) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : عبيد الله .

(٥) تاريخ بغداد (١/ ١٤١ ـ ١٤٢) .

(٦) مستدرك الحاكم (٢/ ٢٩٠ و٥٩٢) و(٣/ ١٨٧) ، وهو حديث موضوع كما بيناه في تعليقنا على تاريخ الخطيب (١/ ٤٧٢) (بشار) .

(٧) « العلقة » : القطعة من الدم الجامد .

وروى ابن لَهِيعَة ، عن أبي قَبيل المَعَافِري : أنَّ الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر . وأنَّ رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جَعلت الحيطان تسيل دماً . وأنَّ الأرض أظلمت ثلاثة أيام . ولم يمسَّ زعفران ولا وَرْس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسِّه . ولم يُرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط[١] . وأنَّ الإبل التي عقروها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العَلْقم . إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء .

وأما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت مَنْ قَتَلَه فأكثرها صحيح ، فإنه قلَّ مَن نجا مِن أولئك الذي قتلوه من آفةٍ وعاهة في الدنيا ، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض ، وأكثرهم أصابهم الجنون .

ولهم في صفة مصرع الحسين كذبٌ كثير وأخبار باطلة ، وفيما ذكرنا كفاية ، وفي بعض ما أوردناه نظر ، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفّاظ والأئمة ذكروه ما سقتُه ، وأكثره من رواية أبي مِخْنف لوط بن يحيى ، وقد كان شيعيّاً ، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة[٢] ، ولكنه أخباري حافظ ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره ، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنِّفين في هذا الشأن ممن بعده . والله أعلم .

وقد أسرف الرافضة في دولة بني بُويه ـ في حدود الأربعمئة وما حولها ـ فكانت الدبادب[٣] تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ، ويذرُّ الرماد والتبن في الطرقات والأسواق ، وتعلَّق المسوح[٤] على الدكاكين ، ويُظهر الناس الحزن والبكاء ، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلَتئذٍ موافقة للحسين لأنه قتل عطشاناً . ثم تخرج النساء حاسراتٍ عن وجوههنَّ ينحنَ ويلطمنَ وجوههنَّ وصدورهن ، حافيات في الأسواق . . . إلى غير ذلك من البدع الشنيعة ، والأهواء الفظيعة ، والهتائك المختَرَعة ، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنِّعوا على دولة بني أمية لأنه قُتل في دولتهم .

[وقد عاكس الرافضةَ والشيعةَ يوم عاشوراء النواصبُ من أهل الشام ، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ، ويغتسلون ويتطيَّبون ، ويلبسون أفخر ثيابهم ، ويتَّخذون ذلك اليوم عيداً ، يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويُظهرون السرور والفرح ، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم][٥] .

وقد تأوَّل عليه مَنْ قتلَه أنه جاء ليفرِّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها ، وليخلع مَنْ بايعه الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد في « صحيح مسلم » الحديث بالزجر عن ذلك ، والتحذير منه ، والتوعُّد

---

(١) « دم عبيط » : دم طري .
(٢) نقل الذهبي أقوال العلماء فيه في ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) .
(٣) « الدبادب » : الطبول .
(٤) « المسوح » : المناديل .
(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .

عليه . وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأوّلوا عليه وقتلوه ، ولم يكن لهم قتلُه ، بل كان يجب عليهم إجابتُه إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاث المتقدم ذكرُها . فإذا ذمت طائفة من الجبارين لم تذم الأمة بكمالها وتتهم على نبيها ﷺ ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه ، ولا كما سلكوه ، بل أكثر الأئمة ـ قديماً وحديثاً ـ كارهٌ لما وقع من قتله وقتل أصحابه ، سوى شرذمةٍ قليلة من أهل الكوفة قبّحهم الله ، وأكثرُهم كانوا قد كاتَبُوه ليتوصَّلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة . [فلما علم ابن زياد منهم بلَّغهم ما يريدون من الدنيا ، وأخذهم على ذلك وحملَهم عليه بالرغبة والرهبة ، فانكفُّوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه][1] . وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله ، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك ـ والله أعلم ـ ولا كرهه ، والذي يكاد يغلب على الظن أنَّ يزيد لو قَدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه ، وكما صرَّح هو به مُخبراً عن نفسه بذلك . [وقد لَعَن ابن زياد على فعله ذلك وشتَمَه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ، ولا عاقبَه ، ولا أرسل يَعيب عليه ذلك ، والله أعلم][2]

فكل مسلم ينبغي له أن يُحزنه قتلُه رضي الله عنه ، فإنه من سادات المسلمين وعلماء الصحابة ، وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً . ولكن لا يحسن ما يفعلُه هؤلاء من إظهار الجزع والحزن الذي لعلَّ أكثره تصنُّع ورياء ، وقد كان أبوه أفضل منه فقُتل ، وهم لا يتَّخذون مقتلَه مأتماً كيوم مقتل الحسين ، فإنَّ أباه قُتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين . وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السُّنة والجماعة ، وقد قُتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، وقد ذُبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتَّخذ الناس يوم قتله مأتماً . وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي ، قُتل وهو قائم يصلِّي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ، ولم يتَّخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصدِّيق كان أفضل منهم ، ولم يتَّخذ الناس يوم وفاته مأتماً . ورسول الله ﷺ سيِّد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبلَه ، ولم يتَّخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين . ولا ذكر أحدٌ أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مثل : كسوف الشمس ، والحمرة التي تطلع في السماء ، وغير ذلك .

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه الحسين بن علي[3] عن جدِّه رسول الله ﷺ أنه قال : « مامِنْ مسلمٍ يُصابُ بمصيبةٍ فيتذكَّرُها ـ وإن تقادم عهدُها ـ فيُحْدث لها استرجاعاً إلّا

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٣) في أ، ط : علي بن الحسين وهو خطأ .

أعطاهُ اللهُ من الأجر مثلَ يوم أُصِيب بها » . رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه[١]

وأما قبر الحسين رضي الله عنه

فقد اشتهر عند كثير من المتأخِّرين أنه في مشهد علي ، بمكان من الطَّفِّ عند نهر كربلاء ، فيقال : إن ذلك المشهد بُني على قبره ، فالله أعلم .

وقد ذكر ابن جرير وغيره : أن موضع قتله عفي أثرُه حتى لم يطَّلع أحد لتعيينه على خبر . وقد كان أبو نعيم ـ الفضل بن دُكين ـ ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين .

وذكر هشام بن الكلبي : أن الماء لمَّا أُجري على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابي من بني أسد ، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمُّها حتى وقع على قبر الحسين ، فبكى وقال : بأبي أنت وأمي ، ما كان أطيبَك وأطيب تربتك! ثم أنشأ يقول :

أَرادُوا ليُخْفُوا قبرَهُ عن عَدُوِّه فَطِيبُ تُرابِ القبرِ دَلَّ على القَبْرِ[٢]

وأما رأس الحسين رضي الله عنه

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السِّيَر : أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندي أن الأول أشهر ، فالله أعلم .

ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دُفن فيه الرأس . فروى محمد بن سعد : أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد ـ نائب المدينة ـ فدفنه عند أمِّه بالبقيع .

وذكر ابن أبي الدنيا ، من طريق عثمان بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عمر بن صالح ـ وهما ضعيفان ـ : أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي ، فأُخذ من خزانته ، فكُفِّن ، ودُفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق .

قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس داخل باب الفراديس الثاني .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠١) وابن ماجه (١٦٠٠) في الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة، وفي سنده هشام بن زياد وهو متروك ، وقد ترجم له ابن حبان في المجروحين (٣/ ٨٨) وأورد هذا الحديث ضمن ترجمته فالحديث ضعيف جداً .
وقوله : يحدث لها استرجاعاً أي يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٥٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٧) . والبيت لمسلم بن الوليد وهو في ملحق ديوانه (٣٢٠) .

وذكر ابن عساكر في « تاريخه » في ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية : أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبعرى ـ يعني قوله :

ليتَ أَشْياخي ببدرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الخَزْرَجِ منْ وَقْعِ الأَسَلْ

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ، ثم وضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جيء به إليه وقد بقي عظماً أبيض ، فكفَّنه وطيَّبه وصلَّى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين . فلما جاءت المسوِّدة ـ يعني بني العباس ـ نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر : أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بني أمية وقد جاوزت المئة سنة[١] ، فالله أعلم .

وادَّعت الطائفة المسمَّون بالفاطميِّين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمئة إلى ما بعد سنة ستين وستمئة : أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنَوا عليه المشهد المشهور به بمصر ـ الذي يقال له : تاج الحسين ـ بعد سنة خمسمئة . وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروِّجوا بذلك بطلان ما ادَّعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاّني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم في حدود سنة أربعمئة ، كما سنبيِّن ذلك كله إذا انتهينا إليه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

[قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاؤوا برأس ، فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك ، والله أعلم][٢] .

فصل

في ذكر شيء من فضائله

روى البخاري من حديث شعبة ومَهْدي بن ميمون ، عن محمد بن أبي يعقوب ، سمعت ابن أبي نُعْم[٣] قال : سمعت عبد الله بن عمر ـ وسأله رجل من أهل العراق عن المحرِم يقتل الذباب ـ فقال : أهلُ العراق يَسْألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابنَ بنت رسول الله ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ : « هما رَيْحانتايَ منَ الدُّنيا »[٤] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر : جزء تراجم النساء (ص١٠١ ـ ١٠٤) .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٣) تحرف في الأصول إلى : نعيم .
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) في فضائل أصحاب النبي، و(٥٩٩٤) في الأدب .

ورواه الترمذي[١]، عن عقبة بن مُكْرم ، عن وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي يعقوب به نحوه : أنَّ رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يُصيب الثوب ، فقال ابن عمر : انظروا إلى أهل العراق يَسْألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت محمد ﷺ . وذكر تمام الحديث ، ثم قال : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو أحمد ، حدّثنا سفيان ، عن أبي الجَحّاف[٢]، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أحبَّهما فقد أحبَّني ، ومن أبغَضَهما فقد أبْغَضَني » ـ يعني حسناً وحسيناً[٣].

وقال الإمام أحمد : حدّثنا تَلِيد بن سليمان ـ كوفي ـ حدثنا أبو الجَحّاف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : « أنا حربٌ لمنْ حارَبَكم ، سِلْم لمنْ سالمكُم »[٤] . تفرد بهما الإمام أحمد[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا ابن نُمير[٦]، حدّثنا حجاج ـ يعني : ابن دينار ـ عن جعفر بن إياس ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثُم هذا مرَّة وهذا مرَّة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله والله إنَّك لتُحبُّهما ! فقال : « مَنْ أَحبَّهما فقد أَحبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَني » تفرد به أحمد[٧] .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدّثنا أبو سعيد الأشجّ ، حدّثني عُقبة بن خالد ، حدّثني يوسف بن إبراهيم التميمي : أنه سمع أنس بن مالك يقول : سئل رسول الله ﷺ : أيُّ أهلِ بيتكَ أحبُّ إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » . قال : وكان يقول [لفاطمة][٨] : « ادعي ابنيَّ ، فيشمّهُما ويضمّهُما إليه »[٩]

---

(١) (٣٧٧٠) في المناقب .

(٢) تحرف في المطبوع في أكثر من موضع إلى : الحجاف . وأبو الجحاف : هو داود بن أبي عوف البرجمي الكوفي . تكلموا فيه . ميزان الاعتدال (٢/ ١٨) .

(٣) مسند أحمد (٢/ ٢٨٨) وإسناده قوي .

(٤) مسند أحمد (٢/ ٤٤٢) وإسناده ضعيف .

(٥) هكذا قال المصنف ، وفي قوله نظر حين أطلق تفرد الإمام أحمد بالحديثين ، وإنما تفرد الإمام أحمد بالحديث الثاني حسب . أما الأول فقد أخرجه أيضاً : ابن ماجه (١٤٣) في فضائل الصحابة ، والنسائي في فضائل الصحابة من سننه الكبرى (٨١٦٨) ، كلاهما من طريق سفيان الثوري ، به (بشار) .

(٦) تحرف في ط إلى : عمير .

(٧) وهو في مسنده (٢/ ٤٤٠) وهو حديث حسن .

(٨) سقطت من الأصول ، واستدركتها من مسند أبي يعلى .

(٩) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/ رقم (٤٢٩٤) وإسناده ضعيف ، لضعف يوسف بن إبراهيم التميمي .

وكذا رواه الترمذي[١] عن أبي سعيد الأشجّ به ، وقال : حسن غريب من حديث أنس .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا أسود بن عامر وعفان ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وورواه الترمذي[٣] ، عن عبد بن حميد ، عن عفان به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وقال الترمذي[٤] : حدّثنا محمود بن غَيْلان ، حدّثنا أبو أُسامة ، عن فُضيل بن مرزوق ، عن عدي بن[٥] ثابت ، عن البراء : « أن رسول الله ﷺ أبصرَ حسناً وحسيناً فقال : اللهمَّ إنِّي أُحبُّهما فأَحِبَّهما » . ثم قال : حسن صحيح .

وقد روى الإمام أحمد ، عن زيد بن الحُباب ، عن الحسين بن واقد ، وأهلُ السنن الأربعة ، من حديث الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يخطبُنا إذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثُران ، فنزل رسول الله ﷺ من[٦] المنبر ، فحملَهما فوضَعَهما بين يديه ثم قال : صدق الله : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] نظرتُ إلى هذين الصبيَّين يمشيان ويعثُران فلم أَصبِرْ حتى قطعتُ حديثي ورفعتُهُما »[٧] . وهذا لفظ الترمذي ، وقال : غريب[٨] لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد .

ثم قال[٩] : حدّثنا الحسن[١٠] بن عرفة ، حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن عبد الله بن عثمان بن

---

(١) برقم (٣٧٧٢) في المناقب .
(٢) مسند أحمد (٣/ ٢٥٩ مع ٢٨٥) وإسناده ضعيف .
(٣) رقم (٣٢٠٦) .
(٤) رقم (٣٧٨٢) في المناقب .
(٥) في ط : عن ، خطأ .
(٦) في ط : « عن » ، وما هنا من ب وهو الموافق لما في جامع الترمذي وهذا لفظه كما سيذكر المصنف .
(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤) والترمذي (٣٧٧٤)، وأبو داود (١١٠٩)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائي (٣/ ١٩٢) وهو حديث صحيح .
(٨) هكذا في الأصول ، وفي المطبوع من جامع الترمذي : حسن غريب ، وهو الذي نقله المزي في تحفة الأشراف (٢/ ٩٥) حديث (١٩٥٨) ، وهو الأوفق لحال الحديث ، فإن الحديث صحيح فقد روي من طرق عدة ، وإنما حسنه الترمذي والله أعلم من أجل علي بن الحسين بن واقد ، فإنه ضعيف عند التفرد .
(٩) يعني الترمذي . والحديث في سننه برقم (٣٧٧٥) .
(١٠) تحرف في ط إلى : الحسين .

خُثيم[١] ، عن سعيد بن راشد ، عن يعلى بن مُرَّة قال : قال رسول الله ﷺ : « حسينٌ منِّي وأنا من حسين ، أحبَّ اللهُ مَنْ أحبَّ حسيناً ، حسينٌ سِبطٌ من الأَسْباط » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن[٢]

ورواه أحمد[٣] ، عن عفان ، عن وهيب[٤] ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم به .

ورواه الطبراني ، عن بكر بن سهل ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن[٥] راشد بن سعد ، عن يعلى بن مُرَّة : أن رسول الله ﷺ قال : « الحسنُ والحسينُ سِبْطان من الأَسْباط »[٦]

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو نعيم ، حدّثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد [عن ابن أبي نُعْم][٧] عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شَبابِ أَهلِ الجَنَّة » .

ورواه الترمذي[٨] ، من حديث سفيان الثوري وغيره ، عن يزيد بن أبي زياد ، وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أبو القاسم البغوي ، عن داود بن رُشَيْد[٩] ، عن مروان الفَزاري ، عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْم ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجنَّةِ إلَّا ابنيّ الخالة : يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام » .

وأخرجه النسائي[١٠] ، من حديث مروان بن معاوية الفَزاري به .

ورواه سويد بن سعيد ، عن محمد بن خازم ، عن الأعمش ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا وكيع ، عن ربيع بن سعد ، عن ابن[١١] سابط قال : دخل حسين بن علي

---

(١) تحرف في ط إلى : خيثم .

(٢) في إسناده سعيد بن راشد ، أو ابن أبي راشد ، مجهول ، ولكن للحديث شاهد من حديث أبي رمثة عند ابن عساكر فهو به حسن .

(٣) في مسنده (٤/ ١٧٢) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : وهب .

(٥) في ط : بن ، خطأ .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٠١) ، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وجماع ترجمته تدل على ضعفه عند التفرد ، فهو حسن الحديث عند المتابعة .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من أ ، وتصحف في ط ، ب إلى أبي نعيم . وابن أبي نعم : هو عبد الرحمن بن أبي نُعم البجلي ، أبو الحكم الكوفي . من رجال التهذيب ، وله ترجمة في سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٢ ـ ٦٣) وفيها ذكر لهذا الحديث وتخريج موسع له . وأيضاً مخرج في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٥) ومسند أحمد (٣/ ٦٢ و ٨٢) .

(٨) رقم (٣٧٦٨) .

(٩) تحرف في أ ، ب إلى : سعيد .

(١٠) في الكبرى رقم (٨٥٢٨) وهو حديث حسن .

(١١) في ط أبي ، خطأ .

المسجد ، فقال جابر بن عبد الله : « من أحبَّ أنْ ينظرَ إلى سيِّد شَبابِ أهلِ الجنَّة فلْينظُرْ إلى هٰذا » . سمعتُه من رسول الله ﷺ . تفرد به أحمد[١] .

وروى الترمذي والنسائي ، من حديث إسرائيل ، عن مَيْسرة بن حَبيب ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن زرّ بن حُبَيْش ، عن حُذيفة : أن أمَّه بعثته ليستغفر له رسول الله ﷺ ولها ، قال : فأتيتُه فصلَّيت معه المغرب ، ثم صلَّى حتى صلَّى العشاء ، ثم انفتل ، فتبعتُه ، فسمع صوتي ، فقال : مَنْ هذا حُذيفة ؟ قلت نعم ، قال : ما حاجتُك غفرَ اللهُ لك ولأمِّك ؟ إنَّ هذا ملَكٌ لم يَنْزل إلى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربَّه أنْ يسلِّم عليَّ ويبشرَني بأن فاطمةَ سيدةُ نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة » . ثم قال الترمذي[٢] : هذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف إلّا من حديث إسرائيل .

وقد روي مثل هذا من حديث علي بن أبي طالب ، ومن حديث الحسين نفسه ، وعمر ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهم . وفي أسانيده كلِّها ضعف ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدّثنا موسى بن مُطَير[٣] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في الحسن والحسين : « مَنْ أَحبَّني فَلْيحبَّ هٰذَيْن »[٤] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سليمان بن داود ، حدّثنا إسماعيل ـ يعني ابن جعفر ـ أخبرني محمد ـ يعني ابن [أبي][٥] حرملة ـ عن عطاء : أن رجلاً أخبره أنه رأى النبي ﷺ يضمُّ إليه حسناً وحسيناً ويقول : « اللهمَّ : إنِّي أُحِبُّهُما فأَحِبَّهُما »[٦] .

وقد روي عن أسامةَ بن زيد وسلمان الفارسي شيء يشبه هذا ، وفيه ضعف وسقم ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا كامل ، وأبو المنذر أخبرنا كامل ، قال أسود : أخبرنا المَعْنيُّ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : « كنّا نصلِّي مع رسول الله ﷺ العشاء ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً فيضعهما على الأرض ، فإذا عاد عادا ، حتى قضى صلاتَه أقعدهما على فخذيه . قال : فقمتُ إليه فقلت : يا رسول الله أردُّهما ؟ فبرقتْ برقةٌ ، فقال لهما : الحقا بأمِّكما . قال : فمكث ضوءُها حتى دخلا »[٧] .

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٧٥) .
(٢) في المناقب برقم (٣٧٨١) ورواه النسائي في الكبرى (٨٣٦٥) وهو حديث حسن كما قال الإمام الترمذي .
(٣) تحرف في الأصول إلى : عطية . وموسى بن مطير واهٍ ، كما قال الذهبي في ميزانه (٤/ ٢٢٣) .
(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده برقم (٢٥٠٢) .
(٥) سقطت من الأصول . وترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ١١٠) وغيره .
(٦) مسند أحمد (٥/ ٣٦٩) وهو حديث صحيح .
(٧) مسند أحمد (٢/ ٥١٣) وإسناده حسن .

وقد روى موسى بن عثمان الحضرمي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة نحوه .

وقد روي عن أبي سعيد وابن عمر قريب من هذا .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا معاذ بن معاذ ، حدّثنا قيس بن الربيع ، عن أبي المقدام [عن][1] عبد الرحمن الأزرق ، عن علي قال : « دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا نائم [على المنامة][2] فاستَسْقى الحسنُ أو الحسين ، فقام رسول الله ﷺ إلى شاةٍ لنا بَكيءٍ[3] يحلبها ، فدرَّتْ ، فجاءه الآخر ، فَنَحّاه النبيُّ ﷺ[4] ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنَّه أحبُّهما إليك !؟ قال : لا ، ولكنَّه اسْتَسْقى قبلَه . ثم قال : إنّي وإيّاكِ وهٰذين وهذا الراقِد في مكان واحدٍ يومَ القيامة » . تفرد به أحمد[5]

ورواه أبو داود الطيالسي ، عن عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن أبي فاختة ، عن علي . . فذكر نحوه [وقد روي عن أبي سعيد الخدري وعن ميمونة وأم سلمة أمي المؤمنين مثله أو نحوه][6] .

وقد ثبت : أن عمر بن الخطاب كان يكرمُهما ويحملُهما ويعطيهما كما يعطي أباهما . وجيء مرة بحُلَل من اليمن ، فقسمَها بين أبناء الصحابة ولم يُعطِهما منها شيئاً ، وقال : ليس فيها شيء يصلح لهما . ثم بعث إلي نائب اليمن فاستعمل لهما حُلَّتين تناسبهما .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا قَبيصة بن عقبة ، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن العَيْزار بن حُريث قال : بينما عمرو بن العاص جالسٌ في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلاً فقال : هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني سليمان ، عن[7] الدَّراوردي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : « أن رسول الله ﷺ بايع الحسنَ والحسينَ [وعبد الله بن عباس] وعبدَ الله بن جعفر وهم صغار لم يبلُغوا ، ولم يبايع صغيراً إلّا منّا » . وهذا مرسل غريب .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا يعلى بن عبيد ، حدّثنا عبيد الله بن الوليد الوَصّافي[8] ، عن عبد الله بن

---

(١) سقطت من أ ، ط .

(٢) سقط من أ ، ط .

(٣) في ط : « كي » ، وما هنا من م ، وهو الموافق لما في المسند . والبكيء : هي الناقة والشاة التي قل لبنها فهي بكيئة .

(٤) لفظ « النبي ﷺ » سقط من ط .

(٥) وهو في مسنده (١/ ١٠١) وإسناده ضعيف جداً .

(٦) ما بين الحاصرتين من م . وينظر تاريخ دمشق (١٤/ ١٦٤) .

(٧) وقعت في ط : بن وفي الكلام سقط ، والذي في تاريخ دمشق (٤/ ١٨٠) « عن الزبير عن أحمد بن سليمان عن عبد العزيز الدراوردي عن جعفر ، به » وهو الصواب .

(٨) الوصافي : بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة وفي آخرها الفاء . هذه النسبة إلى الوصاف العجلي كما نص على ذلك السمعاني . وقد تحرفت في ط، ب إلى : الرصافي وفي أ إلى : الرماني . وعبيد الله بن الوليد الوصافي منكر الحديث جداً . مترجم في المجروحين (٢/ ٦٣ ـ ٦٤) .

عبيد بن عُمير[١] قال : « حجَّ الحسينُ بن عليٍّ خمساً وعشرين حجَّة ماشياً ونجائبُهُ تُقادُ بين يَدَيْه » .

وحدّثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين ، حدّثنا حفص بن غياث ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : « أنَّ الحسين بن عليٍّ حجَّ ماشياً وإنَّ نجائبَهُ لتُقَادُ وراءَه » . والصواب : أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخاري[٢] .

وقال المدائني : جرى بين الحسن والحسين كلام ، فتهاجرا ، فلمّا كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكبَّ على رأسه يقبِّلُه ، فقام الحسين فقبَّلَه أيضاً وقال : إن الذي منعني من ابتدائك بهذا أني رأيتُ أنك أحقُّ بالفضل منِّي ، فكرهت أن أنازعَك ما أنت أحقُّ به منِّي .

وحكى الأصمعي عن ابن عون : أن الحسن كتب إلى الحسين يعيبُ عليه إعطاءَ الشعراء ، فقال الحسين : إن أحسن المال ما وقى العِرْض .

وقد روى الطبراني : حدّثنا أبو حَنيفة محمد بن حَنيفة الواسطي ، حدّثنا يزيد بن البراء بن عمرو بن البراء الغَنَوي ، حدّثنا سليمان بن الهيثم قال : كان الحسين بن علي يطوف بالبيت ، فأراد أن يستلم [الحجر][٣] فأوسع له الناس ، فقال رجل : يا أبا فراس من هذا ؟ فقال الفرزدق :

هٰذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأَتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هٰذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهمُ ... هٰذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطّاهرُ العَلَمُ
يكادُ يُمْسِكُهُ عرفانُ راحَتِه ... رُكن الحَطِيم إذا ما جاءَ يَسْتلمُ
إذا رأَتْهُ قريشٌ قال قائلُها ... إلى مَكارمِ هٰذا يَنتهي الكَرَمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضىٰ من مَهابتِه ... فما يُكلَّمُ إلّا حينَ يَبْتَسِمُ
في كفِّه خيزرانٌ ريحُهُ عَبِقٌ ... بكفِّ أروعَ في عِرْنينِه شَمَمُ
مشتقَّةٌ من رسولِ الله نِسْبَتُهُ ... طابَتْ عناصِرُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ
لا يستطيعُ جوادٌ بُعْدَ غايتِه ... ولا يُدانيهِ قومٌ إنْ هُمُ كرُمُوا
مَنْ يعرفِ اللهَ يعرفْ أوّليةَ ذا ... فالدِّينُ من بيتِ هذا نالَهُ أُمَمُ
أيُّ العشائر هُمْ ليستْ رقابهمُ ... لأوَّليةِ هٰذا أو لَهُ نَعَمُ

---

(١) تحرف اسمه في ط إلى : عبد الله بن عبيد الله بن عميرة .
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٨) .
(٣) زيادة من الطبراني يقتضيها السياق .

هكذا أوردها الطبراني في ترجمة الحسين في « معجمه الكبير »[١] وهو غريب ، فإن المشهور أنها من قيل الفرزدق في علي بن الحسين لا في أبيه ، وهو أشبه ، فإن الفرزدق لم يرَ الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسينُ ذاهب إلى العراق ، فسأل الحسينُ الفرزدقَ عن الناس ، فذكر له ما تقدم ، ثم إن الحسين قُتل بعد مفارقته له بأيام يسيرة ، فمتى رآه يطوف بالبيت ؟! والله أعلم .

وروى هشام ، عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد : أين الكتابُ الذي كتبتُه إليك في قتل الحسين ؟ فقال : مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب ، فقال له ابن زياد : لتجيئنَّ به ، قال : ضاع ، قال : والله لتجيئنَّ به ، قال : تُرِك والله يُقرأ على عجائز قريش أعتذر إليهم بالمدينة ، أما والله لقد نصحتُك في حسين نصيحة لو نصحتُها إلى سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدَّيت حقَّه . فقال عثمان بن زياد ـ أخو عبيد الله : صدق عمرُ والله ، ولوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خِزَامةٌ[٢] إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يُقتل . قال : فوالله ما أنكر [ذلك] عليه عبيد الله بن زياد[٣] .

فصل

في شيء من أشعاره التي رويت عنه

فمن ذلك ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب :

اِغْنَ عنِ المخلوقِ بالخالقِ ... تَسُدْ على الكاذبِ والصّادقِ
واسْتَرْزِقِ الرحمنَ منْ فَضْلِهِ ... فليسَ غيرَ اللهِ من رازقِ
مَنْ ظنَّ أنَّ الناسَ يُغْنُونَهُ ... فليسَ بالرحمنِ بالواثقِ
أو ظنَّ أنَّ المالَ من كسْبِهِ ... زلَّتْ بهِ النَّعلانِ منْ حالقِ[٤]

وعن الأعمش : أن الحسين بن علي قال :

كلَّما زِيدَ صاحبُ المالِ مالاً ... زِيدَ في همِّهِ وفي الاشْتِغالِ
قد عَرَفْناكِ يا مُنَغِّصَةَ العَيْـ ... ـشِ ويا دارَ كلِّ فانٍ وبالِ
ليس يَصْفو لزاهدٍ طلبُ الزُّهـ ... ـدِ إذا كانَ مُثْقَلاً بالعيالِ[٥]

---

(١) (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢) برقم (٢٨٠٠) .
(٢) « الخزامة » : حلقة توضع في أنف البعير .
(٣) ينظر الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٧) .
(٤) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٣٢) .
(٥) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٣٢) .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :

نـادَيـتُ سكّـانَ القبـورِ فـأُسْكِتـوا ... وأَجابني عَنْ صَمْتِهِمْ ندبُ الجُثىٰ

قالتْ أَتدري ما فعلتُ بسَاكني ... مزَّقـتُ لحمَهُـمُ وخـرَّقـتُ الكُسَـا

وحَشَـوْتُ أعينَهُـمْ تـراباً بعـدَمـا ... كانتْ تَأَذّىٰ باليسيرِ من القَذَى

أمـا العِظـامُ فـإنَّنـي مـزَّقْتُهـا ... حتّى تباينتِ المفاصِلُ والشَّوىٰ

قطَّعتُ ذا مِنْ ذا ومن هٰذا كذا ... فتركْتُها رِمَماً يطوفُ بها البِلىٰ[1]

وأنشد بعضهم للحسين رضي الله عنه أيضاً :

لئِنْ كـانـتِ الـدُّنيـا تُعَـدُّ نفيسـةً ... فـدارُ ثـوابِ اللهِ أَعلـىٰ وأَنبـلُ

وإِنْ كانتِ الأبدانُ للموتِ أُنْشِئَتْ ... فقتلُ امرىءٍ بالسَّيف في اللهِ أَفضلُ

وإِنْ كانتِ الأرزاقُ شيئاً مقدَّراً ... فقِلَّةُ سَعْيِ المرءِ في الكسبِ أَجملُ

وإِنْ كانتِ الأموالُ للتَّركِ جمعُها ... فما بالُ متروكٍ بهِ المرءُ يَبْخَلُ[2]

ومما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أنيف ـ ويقال : بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس الكلبي ـ أمّ ابنته سُكينة :

لعَمــرُكَ إنَّنــي لأُحِــبُّ داراً ... تحـلُّ بهـا سُكَينـةُ والـرَّبـابُ

أُحبُّهمـا وأبـذُلُ جـلَّ مـالـي ... وليـسَ لـلائِمـي فيهـا عِتـابُ

ولسْـتُ لهـمْ وإنْ عَتبـوا مُطيعـاً ... حيـاتـي أو يُغَيِّبَنـي التُّـرابُ[3]

وقد أسلم أبوها على يدي عمر بن الخطاب ، وأمَّره عمر على قومه ، فلما خرج من عنده خطب إليه علي بن أبي طالب أن يزوِّج ابنيه الحسن والحسين من بناته ، فزوَّج الحسن ابنته سلمى ، والحسين ابنته الرباب ، وزوَّج علياً ابنته الثالثة ـ وهي المحياة بنت امرىء القيس ـ في ساعة واحدة . فأحبَّ الحسين زوجته الرباب حبّاً شديداً ، وكان بها معجباً ، ويقول[4] فيها الشعر . ولما قُتل بكربلاء كانت معه ، فوجدتْ عليه وجداً شديداً ، وذكر أنها أقامت على قبره سنة ثم انصرفت وهي تقول :

إلى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السَّلام عَلَيْكما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقدِ اعْتَذَرْ[5]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٣٣) .

(٣) الأبيات في نسب قريش (٥٩) والأغاني (١٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠) .

(٤) سقطت الواو من ط .

(٥) البيت للبيد، وهو في ديوانه طبعة صادر (ص٧٩) من قصيدة قالها في مخاطبة ابنتيه لما حضرته الوفاة، ومطلعها : =

وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش ، فقالت : ما كنت لأتّخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ ، ووالله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقفٌ أبداً . ولم تزل كمِدةً حتى ماتت . ويقال : إنها إنما عاشت بعده أياماً يسيرة ، فالله أعلم [وابنتها سُكينة بنت الحسين كانت من أجمل النساء حتى إنه لم يكن في زمانها أحسن منها ، فالله أعلم][1]

وروى أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب : أن ابن زياد ـ بعد مقتل الحسين ـ تفقّد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحرّ بن يزيد ، فتطلّبه حتى جاءه [بعد أيام ، فقال : أين كنت يا بن الحرّ ؟ قال : كنت مريضاً ، قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ قال : أمّا قلبي فلم يمرض ، وأمّا بدني فقد منَّ الله عليه بالعافية . فقال له ابن زياد : كذبتَ ، ولكنّك كنت مع عدوّنا ، قال : لو كنتُ مع عدوك لم يخفَ مكانُ مثلي ولكان الناس شاهدوا ذلك . قال : وغفل عنه ابن زياد غفلة[2] ، فخرج ابن الحرِّ فقعد على فرسه ، ثم قال : أبلغوه أني لا آتيه ـ والله ـ طائعاً . فقال ابن زياد : أين ابن الحرّ ؟ قالوا : خرج ، فقال : عليَّ به ، فخرج الشُّرط في طلبه ، فأسمعهم غليظ ما يكرهون ، وترضَّى عن الحسين وأخيه وأبيه ، ثم أسمعهم في ابن زياد غليظاً من القول][3] ثم امتنع منهم وقال في الحسين وفي أصحابه شعراً :

يقـولُ أميـرٌ غـادرٌ حـقّ غـادرٍ ... ألا كنـتَ قـاتلـتَ الشّهيـدَ ابـنَ فـاطِمَـهْ

[ونَفْسـي علـى خـذْلانِـهِ واعْتِـزالِـهِ ... وبَيْعَـةِ هـذا النـاكـثِ العَهْـدِ لائمَـهْ][4]

فيـا نَـدَمـي أنْ لا أكـونَ نصـرتُـهُ ... ألا كـلُّ نفـسٍ لا تُسَـدَّدُ نـادمَـهْ[5]

سَقَـى اللهُ أرواحَ الـذيـنَ تـآزرُوا ... علـى نَصْـرِهِ سُقْيـا مـن الغيـثِ دائمَـهْ

وقفـتُ علـى أَجْـداثِهِـمْ ومَجَـالِهِـمْ ... فكـادَ الحشـىٰ يَنْقَـضُّ والعيـنُ سـاجمَـهْ

لَعَمْري لقد كانُوا مَصَاليتَ في الوغىٰ ... سِـراعـاً إلـى الهَيْجـا حُمـاةً خضـارمَـهْ

تـآسَوْا علـى نصـرِ ابـنِ بنـتِ نبيِّهِـمْ ... بـأسْيـافِهِـمْ آسَـاد غِيْـلٍ ضـراغمَـهْ

فـإنْ تقتلُـوا تلـكَ النفـوسَ تقيَّـةً ... علَـى الأرضِ قَـدْ أضحـتْ لـذلـكَ واجمَـهْ

= تمنـى ابنتـاي أن يعيـش أبـوهمـا ... وهـل أنـا إلا مـن ربيعـة أو مضـر

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) كذا في أ وتاريخ الطبري . ووقعت في ط : وعقل عن ابن زياد عقلة .

(٣) ما بين حاصرتين اختصر في ب إلى : فأسمع ابن الحر لابن زياد غليظ ما يكره، ثم خرج من عنده .

(٤) هذا البيت في النسخة ب فقط . وقد أورده ابن عساكر وابن الأثير .

(٥) اضطرب هذا البيت في المطبوع، حيث ورد الشطر الثاني فيه : لذو حسرة ما إن تفارق لازمة ، وهذا شطر من بيت ذكره الطبري وابن عساكر ولم يرد في نسخ كتابنا، ولفظه :

وإني لأني لم أكن من حماته ... لذو حسرة ما إن تفارق لازمة

فما إنْ رأى الرّاؤونَ أفضلَ منهُمُ ... لـدَى المـوتِ سَاداتٌ وزهـرٌ قمـاقمَـهْ
أتقتلُهـمْ ظلمـاً وتـرجُـو وِدَادَنـا ... فَـذِي خطَّـةٌ ليسَـتْ لنـا بمـلائمَـهْ
لَعَمـري لقـد راغَمْتُمـونـا بقَتْلِهـمْ ... فكـمْ نـاقـمٍ منّـا عليكُـمْ ونـاقمَـهْ
أَهُـمُّ مِـراراً أن أسِيـرَ بجَحْفـلٍ ... إلـى فِئَـةٍ زاغَـتْ عـن الحقِّ ظـالمَـهْ
فيـابـنَ زيـادٍ إسْتَعِـدَّ لحَـرْبِنـا ... وموقفِ ضَنْكٍ تقصِمُ الظَّهرَ قاصمَهْ[1]

وقال الزبير بن بكار : قال سليمان بن قَتَّة[2] يرثي الحسين رضي الله عنه :

وإنَّ قتيـلَ الطَّـفِّ مـنْ آلِ هـاشِـمٍ ... أذلَّ رقـابـاً مـنْ قـريـشٍ فـذَلَّـتِ
فإنْ تُتْبعوهُ عائذَ البيتِ تُصْبحوا ... كعـادٍ تعمَّـتْ عـن هُـداهـا فضَلَّـتِ
مـررتُ علَـى أبيـاتِ آلِ محمَّـدٍ ... فـألفيتُهـا أمثـالَهـا حيـثُ حلَّـتِ
وكـانُـوا لنـا غُنْمـاً فعـادُوا رزيَّـةً ... لقـد عظُمَـتْ تلـكَ الـرَّزايـا وجَلَّـتِ
فـلا يُبْعِـدِ اللهُ الـدِّيـارَ وأهلَهـا ... وإنْ أصبحـتْ منهُـمْ بـرَغْمـي تخَلَّـتِ
إذا افتقرَتْ قيسٌ جَبَرْنا فقيرَها ... وتقتُلُنـا قيـسٌ إذا النَّعـلُ زَلَّـتِ
وعنـدَ يـزيـدٍ قطـرةٌ مـنْ دمـائِنـا ... سنَجْـزيهـمُ يـومـاً بهـا حيـثُ حلَّـتِ
أَلَمْ ترَ أنَّ الأرضَ أضحتْ مريضةً ... لقتـلِ حسَيـنٍ والبـلاد اقشَعَـرَّتِ

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة

ـ أعني سنة إحدى وستين ـ بعد مقتل الحسين

ففيها ولَّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه ، وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وعزل عنها أخويه عبّاداً وعبد الرحمن . وسار سَلْم إلى عمله ، فجعل ينتخب الوجوه والفرسان ، ويحرِّض الناس على الجهاد ، ثم خرج في جحفل عظيم ليغزوَ بلاد الترك ، ومعه امرأته أمُّ محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فكانت أول امرأة من العرب قُطع بها النهر ،

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) وأيضاً في ابن الأثير (٤/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) ومختصر تاريخ دمشق : (١٥/ ٣٠٨) . والبيت الأخير سقط من ب ولم أجده في المصادر المشار إليها ، لكن ورد في تلك المصادر :

فكفـوا وإلا ذدتكـم فـي كتـائـب ... أشد عليكم من زحوف الديالمه

(٢) كذا ضبطه ابن حجر وغيره ـ بفتح القاف والتاء المشددة . وقد تحرف في أ ، ط إلى : قتيبة . والأبيات ـ أو بعضها ـ في شرح ديوان الحماسة (٢/ ٩٦١) والاستيعاب (١/ ٣٩٤) والكامل لابن الأثير (٤/ ٩١) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٥٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٨) ومعجم البلدان (الطف) (٤/ ٣٦) وقد نسبها فيه ياقوت لأبي دهبل ، ولم يتابع على ذلك .

وولدت هنالك ولداً أسموه صُغْدي(١) ، وبعثت إليها امرأة صاحب الصُغْد بتاجها من ذهب ولآل .

وكان المسلمون قبل ذلك لا يشتون في تلك البلاد ، فشتى بها سَلْم بن زياد [وبعث المهلّب بن أبي صُفْرة إلى تلك المدينة التي هي للترك ـ وهي خوارزم ـ فحاصرهم حتى صالحوه على نيّف وعشرين ألف ألف ، وكان يأخذ منهم عُروضاً عوضاً ، فيأخذ الشيء بنصف قيمته ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظي بذلك المهلَّب عند سَلْم بن زياد](٢) . ثم بعث من ذلك ما اصطفاه ليزيد بن معاوية مع مرزبان ومعه وفد . وصالح سَلْم أهل سَمَرْقند في هذه الغزوة على مال جزيل .

وفي هذه السنة عزل يزيدُ عن إمرة الحرمين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ، فولّاه المدينة ، وذلك أن عبد الله بن الزبير لمّا بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ، ويعظِّم قتل الحسين وأصحابه جداً ، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين ، ويترحَّم على الحسين ويلعن من قتله ، ويقول : أما والله قتلوه طويلاً بالليل قيامُه ، كثيراً في النهار صيامُه ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء والملاهي ، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحداء ، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام ، ولا بالجلوس في حِلَق الذكر طلب الصيد ـ يعرض في ذلك بيزيد بن معاوية ـ فسوف يلقَوْن غيّا . ويؤلِّب الناس على بني أمية ، ويحثُّهم على مخالفتهم وخلع يزيد . فبايعه خلق كثير في الباطن ، وسألوه أن يُظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد ، وكان شديداً عليه ولكن فيه رفق . وقد كان كاتَبَه أهل المدينة وغيرهم ، وقال الناس : أما إذ قُتل الحسين فليس أحد ينازع ابن الزبير . فلمّا بلغ ذلك يزيد شقَّ ذلك عليه ، وقيل له : إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير ، أو يحاصره حتى يخرجه من الحرم . فبعث فعزله وولّى الوليد بن عتبة في هذه السنة ـ وقيل : في مستهلِّ ذي الحجة ـ فأقام للناس الحج فيها .

وحلف يزيد : ليأتيَنِّي ابن الزبير في سلسلة من فضة ، وبعث بها مع البريد ومعه بُرنس من خزٍّ ليبرَّ يمينه ، فلما مرَّ البريد على مروان وهو بالمدينة وأخبره بما هو قاصد له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول(٣) :

فَخُذْها فما هيَ للعزيزِ بخطَّةٍ ... وفيها مَقالٌ لامرىءٍ متذلِّلِ

أعامرُ إنَّ القومَ سامُوكَ خطَّةً ... وذلكَ في الجيرانِ غزلٌ بمِغزَلِ

أراكَ إذا ما كنتَ في القوم ناصحاً ... يُقالُ له بالدَّلْوِ أَدِبِرْ وأَقبِلِ

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : صفدي .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) والأبيات للعباس بن مرداس . كما في الأغاني (١٤/ ٣١١) .

فلمّا انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنيه عبد الملك وعبد العزيز ليَحْضرا مراجعته في ذلك وقال : أسمعاه قولي في ذلك . قال عبد العزيز : فلمّا جلس الرسل بين يديه جعلتُ أُنشده ذلك وهو يسمع ولا أُشعره ، فالتفت إليَّ فقال : أخبرا أباكما أني أقول :

[إنِّي لمنْ نَبْعَةٍ صُمٍّ مكاسِرُها إذا تَنَاوَحَتِ القَصْباءُ والعُشَرُ][1]

ولا أَلِينُ لغيرِ الحقِّ أَسْأَلُهُ حتَّى يَلين لضِرسِ الماضِغِ الحجَرُ

قال عبد العزيز : فما أدري أيهما كان أعجب[2] !

قال أبو مَعْشر : لا خلاف بين أهل السِّير أن الوليد بن عتبة حجَّ بالناس في هذه السنة وهو أمير الحرمين ، وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان وسجستان سَلْم بن زياد ـ أخو عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن علي رضي الله عنهما : ومعه بضعة عشر من أهل بيته قُتلوا جميعاً بكربلاء ، وقيل : بضعة وعشرون ، كما تقدم . وقُتل معهم جماعة من الأبطال والفرسان .

جابر[3] بن عَتِيك بن قَيْس[4] : أبو عبد الله الأنصاري السَّلَمي . شهد بدراً وما بعدها ، وكان حامل راية الأنصار[5] يوم الفتح . كذا قال ابن الجوزي . قال : وتوفي في هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة .

حمزةُ بنُ عَمرو الأسْلَمي[6] : صحابي جليل . ثبت في « الصحيحين » عن عائشة أنها قالت : سأل

---

(١) سقط هذا البيت من أ .

(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٦) وابن الأثير (٤/ ٩٩ ـ ١٠٠) .

(٣) كذا في أ ، ط ، ووقع في ب : جبر ، وكلاهما صحيح . وللدكتور بشار عواد تعليق موسع على تهذيب الكمال (٤/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٩) مسند أحمد (٥/ ٤٤٥) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١/ ٢٠٨) الجرح والتعديل (٢/ ٤٩٣ ، ٥٣٢) مشاهير علماء الأمصار (ت٨٩) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٢٠٥) الاستيعاب (١/ ٢٢٢) إكمال ابن ماكولا (٢/ ١٣ ـ ١٤) أنساب السمعاني (١١/ ٣٨٦) أسد الغابة (١/ ٣٠٩ ، ٣١٧) تهذيب الكمال (٤/ ٤٥٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦) الكاشف (١/ ١٢٢) تهذيب التهذيب (١/ ورقة ١٠٠) تاريخ الإسلام (٣/ ٢) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥٥) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣) الإصابة (٢/ ٥٨) خلاصة الخزرجي (٥٩ ، ٦٠) .

(٥) كذا في أ ، ط ، وفي ب : كان حامل راية بني أمية . وفي طبقات ابن سعد وغيره من المصادر : كان حامل راية بني معاوية بن مالك .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٣١٥) طبقات خليفة (١١١) تاريخ خليفة (٢٣٥) مسند أحمد (٣/ ٤٩٤) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ت١٧٣) الجرح والتعديل (٣/ ٢١٢) ثقات ابن حبان : (٣/ ٧٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٥١) ، معجم الطبراني الكبير (٣/ ت٢٣٨) الاستيعاب (١/ ٣٧٥) الجمع لابن القيسراني (١/ ١٠٦) أنساب السمعاني (١/ ٢٤٩)=

حمزة بن عمرو رسول الله ﷺ فقال : إني كثير الصيام ، أفأصوم في السَّفر ؟ فقال له : « إنْ شئتَ فصُم ، وإنْ شئتَ فأفطِر »[١] .

وقد شهد فتح الشام ، وكان هو البشير للصدِّيق يوم أَجنادين .

قال الواقدي : وهو الذي بشَّر كعب بن مالك بتوبة الله عليه ، فأعطاه ثوبيه .

وروى البخاري في « التاريخ »[٢] بإسناد جيد عنه أنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة ، فأضاءتْ لي أصابعي حتى جمعتُ عليها كلَّ متاع كان للقوم » .

اتفقوا على أنه توفي في هذه السنة ـ أعني إحدى وستين .

شَيْبَةُ بن عثمان بن أبي طَلْحة[٣] : العَبْدَري الحَجَبي ، صاحب مفتاح الكعبة .

كان أبوه ممَّن قتله علي بن أبي طالب يوم أُحد كافراً . وأظهر شيبة الإسلام يوم الفتح ، وشهد حُنيناً وفي قلبه شيء من الشكّ ، وقد همَّ بالفتك برسول الله ﷺ ، فأطلع الله على ذلك رسوله ، فأخبره بما همَّ به ، فأسلم باطناً وجاد إسلامه ، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر .

قال الواقدي عن أشياخه : إنَّ شيبة قال : كنت أقول : والله لو آمنَ بمحمد جميعُ الناس ما آمنت به ، فلما فتح مكة وخرج إلى هوازن خرجتُ معه رجاء أن أجد فرصة آخذ بثأر قريش كلِّها منه . قال : فاختلط الناس ذات يوم ، ونزل رسول الله ﷺ عن بغلته ، فدنوتُ منه وانتضيتُ سيفي لأضربه به ، فرُجع لي

= الكامل لابن الاثير (٤/ ١٠١) أسد الغابة (٢/ ٥٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٩) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٦٤) تهذيب الكمال (٧/ ٣٣٣) تاريخ الإسلام (٣/ ١٤) العبر (١/ ٦٥) الكاشف (١/ ١٩٠) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٧٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٣٩) إكمال مغلطاي (ورقة ٢٩٤) نهاية السول (ورقة ٧٧) تهذيب التهذيب (٣/ ٣١) خلاصة الخزرجي (٩٣) شذرات الذهب (١/ ٢٨٠) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٤٥٠) .

(١) أخرجه البخاري في الصوم (٣٣/ برقم ١٩٤٣) ومسلم (١١٢١) في الصيام : باب التخيير في الصوم والفطر في السفر .

(٢) ٣/ ترجمة (١٧٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٨) نسب قريش (٢٥٢) طبقات خليفة (ت٧٤ ، ٢٥٠٤) تاريخ خليفة (١٩٨ ، ٢٢٦ ، ٢٥١) مسند أحمد (٣/ ٤٠٩) المحبر (١٧) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٤١) الجرح والتعديل (٤/ ٣٣٥) مشاهير علماء الأمصار (ت١٥٨) جمهرة أنساب العرب (١١٤) الاستيعاب (٢/ ٧١٢) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٢١٩) أنساب السمعاني (٤/ ٦٤ و ٧/ ٤٤٠) تاريخ ابن عساكر (٨/ ٧٧/ آ) أسد الغابة (٢/ ٥٣٤) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٨) تهذيب الكمال (١٢/ ٦٠٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٣) تذهيب التهذيب (٢/ ٨٤/ ب) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٧٥٣) العبر (١/ ٦٤) الكاشف (٢/ ١٥) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٧٦) مرآة الجنان (١/ ١٣١) العقد الثمين (/ ١٩) نهاية السول (ورقة ١٤٣) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٦) الإصابة (ت٣٩٤٥) خلاصة الخزرجي (١٦٨) شذرات الذهب (١/ ٢٦٨) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٣٤٩) .

شُواظ[١] من نار كاد يَمْحشني[٢] ، فالتفتَ إليَّ رسول الله ﷺ وقال : يا شيبة ادنُ مني ، فدنوت منه ، فوضع يده على صدري وقال : اللهمَّ أَعذهُ من الشيطان . قال : فوالله ما رفع يده حتى لهو يومئذ أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري ، ثم قال : اذهبْ فقاتل . قال : فتقدمت إلى العدو ، ووالله لو لقيتُ أبي لقتلتُه لو كان حيّاً ، فلما تراجع الناس قال لي : يا شيبة ! الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردتَ لنفسك ، ثم حدَّثني بكل ما كان في نفسي مما لم يطَّلع عليه أحد إلّا الله عز وجل ، فتشهدت وقلت : أستغفر الله ، فقال : غفر الله لك[٣] .

وليَ الحجابة بعد عثمان بن طلحة ، واستقرَّت الحجابة في بنيه وبيته إلى اليوم ، وإليه يُنسب بنو شيبة ، وهم حجبة الكعبة .

قال خليفة بن خياط[٤] وغير واحد : توفي سنة تسع وخمسين . وقال محمد بن سعد[٥] : بقي إلى أيام يزيد بن معاوية . وقال ابن الجوزي في « المنتظم » : مات في هذه السنة .

عبدُ المطَّلب بن رَبيعَة[٦] بن الحارث : بن عبد المطَّلب بن هاشم .

صحابي ، انتقل إلى دمشق وله بها دار ، ولما مات أوصى إلى يزيد بن معاوية ـ وهو أمير المؤمنين .

الوليدُ بنُ عُقبة[٧] : بن أبي مُعَيط أبان[٨] بن أبي عمرو ذكوان بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، أبو وهب ، القرشي العَبْشمي .

---

(١) « الشواظ » : اللهب .

(٢) « يمحشني » : يحرقني .

(٣) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ١٠) .

(٤) تاريخه (٢٢٦) . وينظر تهذيب الكمال (١٢/ ٦٠٦) .

(٥) طبقاته الكبرى (٥/ ٤٤٨) .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٥٧) نسب قريش (٨٧) طبقات خليفة (ت١٤ ، ٢٨٠٨) مسند أحمد (٤/ ١٦٥) تاريخ البخاري (٦/ ١٣١) الجرح والتعديل (٦/ ٦٨) جمهرة أنساب العرب (٧١) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٦) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٢٩) أسد الغابة (٣/ ٥٠٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٢٠٨) مختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٢٩٣) تهذيب الكمال (١٨/ ٢٧٨) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٦) العبر (١/ ٦٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٢) الكاشف (٢/ ١٨٢) تذهيب التهذيب (٢/ ٢٤٨/ آ) مرآة الجنان (١/ ١٣٧) العقد الثمين (٥/ ٤٩٤) تهذيب التهذيب (٦/ ٣٨٣) الإصابة (٢/ ٤٣٠) خلاصة الخزرجي (٣٧٩) شذرات الذهب (١/ ٢٨٢) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤ و ٧/ ٤٧٦) نسب قريش (١٣٨) طبقات خليفة (ت٥٧ ، ٨٢٥ ، ٩٧٤ ، ١٤٨٧ ، ٣٠٦٤) مسند أحمد (٤/ ٣٢) ، المحبر (الفهرس) المعارف (٣١٨) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٠٩ ، ٣٢٩) الجرح والتعديل (٩/ ٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٨٤) الأغاني (٥/ ١٢٢) جمهرة أنساب العرب (١١٥) الاستيعاب (٤/ ١٥٥٢) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٤٣٤/ ب) أسد الغابة (٥/ ٤٥١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٤٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٣٥) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٢) الكاشف (٣/ ٢١١) تذهيب التهذيب (٤/ ١٣٨/ آ) العقد الثمين (٧/ ٣٩٨) الإصابة (٣/ ٦٣٧) تهذيب التهذيب (١١/ ١٤٢) خلاصة الخزرجي (٤١٧) .

(٨) في ط : « بن أبان » خطأ .

وهو أخو عثمان بن عفان لأمّه أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمُّها أمُّ حكيم البيضاء بنت عبد المطَّلب .

وللوليد من الإخوة : خالد ، وعمارة ، وأمُّ كلثوم .

وقد قتل رسول الله ﷺ أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صَبْراً [بين يديه ، فقال : يا محمد ! من للصِّبية ؟ فقال : لهم النار][1] . وكذلك فعل بالنضر بن الحارث .

وأسلم الوليد هذا يوم الفتح ، وقد بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المُصْطلق ، فخرجوا يتلقَّونه ، فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يجهِّز إليهم جيشاً ، فبلغهم ذلك ، فجاء مَنْ جاء منهم ليعتذروا إليه ويخبروه بصورة ما وقع ، فأنزل الله تعالى في الوليد : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] ذكر ذلك غير واحد من المفسِّرين[2] . والله أعلم بصحة ذلك . وقد حكى أبو عمر[3] بن عبد البَرّ على ذلك الإجماع .

وقد ولّاه عمر صدقاتِ بني تَغْلب ، وولّاه عثمان نيابة الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة خمس وعشرين ، ثم شرب الخمر وصلَّى بأصحابه ثم التفتَ إليهم فقال : أزيدكم ؟ ووقع منه تخبيط ، ثم إن عثمان جلدَه وعزلَه عن الكوفة بعد أربع سنين ، فأقام بها ، فلما جاء علي إلى العراق سار إلى الرقَّة واشترى له عندها ضيعة وأقام بها معتزلاً جميع الحروب التي كانت أيام علي ومعاوية وما بعدها إلى أن توفي بضيعته في هذه السنة ، ودفن بضيعته ـ وهي على خمسة عشر ميلاً من الرقَّة . ويقال : إنه توفي في أيام معاوية ، فالله أعلم .

روى له الإمام أحمد وأبو داود[4] حديثاً واحداً في فتح مكة .

وقد ذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة . وذكر أيضاً وفاة أمِّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلاليَّة ، وقد تقدم ذكر وفاتها في سنة إحدى وخمسين ، وقيل : إنها توفيت سنة ثلاث وستين . وقيل : سنة ست وستين . والصواب ما ذكرناه .

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٦٤٤) .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي (ص٤١٢) .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عمرو . وينظر كلامه في الاستيعاب (٤/ ١٥٥٣) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢) ، وأبو داود (٤١٨١) في الترجل ، وإسناده ضعيف .

أمُّ سَلَمة أمُّ المؤمنين[١] : هند بنت أبي أميَّة حذيفة ـ وقيل : سُهَيْل[٢] ـ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، القرشية المخزومية .

كانت أولاً تحت ابن عمِّها أبي سلَمة بن عبد الأسد ، فمات عنها ، فتزوَّجها رسول الله ﷺ ودخل بها في شوال سنة اثنتين بعد وقعة بدر[٣] . وقد كانت سمعتْ من زوجها أبي سَلَمة حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما مِنْ مسلمٍ يُصابُ بمُصِيبةٍ فيقول : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعُون ، اللهمَّ أجُرني في مُصِيبتي ، واخلفْ لي خيراً منها ، إلاَّ أَبدلَه اللهُ خيراً منها » . قالت : فلما مات أبو سلَمة قلت ذلك ثم قلت : ومن هو خيرٌ من أبي سلَمة أول رجلٍ هاجر؟ ثم عزم الله لي فقلتها ، فأبدلني اللهُ خيراً منه ـ رسول الله[٤] .

وكانت من حِسَان النساء وعابداتهن .

قال الواقدي : توفيت سنة تسع وخمسين ، وصلَّى عليها أبو هريرة . وقال ابن أبي خَيْثمة : توفيت أيام يزيد بن معاوية . قلت : والأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدلُّ على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله ، والله أعلم . ورضي الله عنها .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

يقال : فيها قدم وفد المدينة النبوية على يزيد بن معاوية ، فأكرمهم وأجازهم بجوائز سنيّة ، ثم عادوا من عنده بالجوائز فخلعوه وولّوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغَسِيل ، فبعث إليهم يزيد جنداً في السنة الآتية إلى المدينة ، فكانت وقعة الحرَّة على ما سنبيِّنه في التي بعدها إن شاء الله تعالى] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٨٦) تاريخ ابن معين (٧٤٢) نسب قريش (٣٣٧) طبقات خليفة (٣٣٤) مسند أحمد (٦/ ٢٨٨) المعارف (١٣٦) الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤) مستدرك الحاكم (٤/ ١٦) الاستيعاب (٤/ ١٩٢٠) أسد الغابة (٧/ ٣٤٠) تهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠١) الكاشف (٣/ ٤٣٦) العبر (١/ ٦٥) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٥) الإصابة (١٣/ ٢٢١) خلاصة الخزرجي (٤٩٦) كنز العمال (١٣/ ٦٩٩) شذرات الذهب (١/ ٢٨٠) أعلام النساء (٥/ ٢٢١) .

(٢) في ط وم : « سهل » ، وما هنا يعضده ما في طبقات ابن سعد (٨/ ٨٦) وتهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٧) ، وغيرهما .

(٣) هذا كلام شيخه أبي الحجاج المزي في تهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٧) ، لكن تعقبه الحافظ ابن حجر في هذا فقال : « إنما تزوجها النبي ﷺ سنة أربع على الصحيح ، ويقال : سنة ثلاث ، فإن أبا سلمة بن عبد الأسد شهد أحداً ورُمي بسهم فعاش خمسة أشهر أو سبعة ، وحلت أم سلمة في شوال سنة أربع ، وقد نص على ذلك خليفة والواقدي . وقال ابن عبد البر : مات في جمادى الآخرة سنة ثلاث (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٦) ، وتعليق الدكتور بشار على تهذيب الكمال .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٧ ـ ٢٨) وابن ماجه (١٥٩٨) في الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة وأخرجه مسلم مختصراً رقم (٩١٨) (٣) .

وقد كان يزيد عزل عن الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص ، وولّى عليهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فلما دخل المدينة [(١)] احتاط على الأموال والحواصل والأملاك ، وأخذ العبيد الذين لعمرو بن سعيد فحبسهم - وكانوا نحواً من ثلاثمئة عبد - فتجهَّز عمرو بن سعيد إلى يزيد ، وبعث إلى عبيده أن يخرجوا من السجن ويلحقوا به ، وأعدَّ لهم إبلاً يركبونها ، ففعلوا ذلك ، فما لحقوه حتى وصل إلى يزيد ، فأكرمه واحترمه ورحَّب به وأدنى مجلسه ، ثم إنه عاتبه في تقصيره في شأن ابن الزبير ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وإن جلَّ أهل مكة والحجاز مالؤوه علينا وأحبُّوه ، ولم يكن لي جند أقوى بهم عليه لو ناهضتُه ، وقد كان يحذرني ويحترس مني ، وكنت أرفق به كثيراً وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه ، مع أني قد ضيَّقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يَدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا اسمه واسم أبيه ، ومن أي بلاد هو ، وما جاء له ، وماذا يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريده رددته صاغراً ، وإلا خلَّيت سبيله . وقد ولَّيتَ الوليد ، وسيأتيك من عمله وأمره مالعلك تعرف به فضل مسارعتي واجتهادي في أمرك ومناصحتي لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ويكبِت عدوَّك . فقال له يزيد : أنت أصدق ممن رماك وحملني عليك ، وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدَّخره لذات الصدع وكفاية المهم ، وكشف نوازل الأمور العظام . . . في كلام طويل .

وأما الوليد بن عتبة فإنه أقام بالحجاز ، وقد همَّ مراراً أن يبطش بعبد الله بن الزبير ، فيجده متحذراً ممتنعاً قد أعدَّ للأمور أقرانها .

وثار باليمامة رجل آخر يقال له : نَجْدة بن عامر الحنفي حين قتل الحسين ، وخالف يزيد بن معاوية ، ولم يخالف ابن الزبير ، بل بقي على حدة ، له أصحاب يتبعونه . فإذا كان ليلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجمهور ، وتخلَّف عنه أصحاب ابن الزبير وأصحاب نَجْدة ، ثم يدفع كل فريق وحدهم . ثم كتب نَجْدة إلى يزيد : إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق لا يتَّجه لأمر رشد ولا يرعوي لعظة الحكيم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق ليِّن الكنف ، رجوت أن يسهل به من الأمور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى . قالوا : فعزل يزيد الوليد ، وولَّى عثمان [بن][(٢)] محمد بن أبي سفيان ، فسار إلى الحجاز ، وإذا هو فتى غِرّ حدث غمر لم يمارس الأمور ، فطمعوا فيه ، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغَسِيل الأنصاري ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمي ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشراف أهل المدينة ،

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٢) سقطت من المطبوع .

فقدموا على يزيد ، فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وعظَّم جوائزهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة إلا المنذر بن الزبير فإنه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة ، وكان يزيد قد أجازه بمئة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد ، ولما رجع وفد المدينة إليها أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا : قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، وتعزف عنده القيان بالمعازف ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه . فتابعهم الناس على خلعه ، وبايعوا عبد الله بن الغَسِيل على الموت ، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة ، فوافق أولئك على خلع يزيد ، وأخبرهم أنه يشرب الخمر ويسكر حتى يترك الصلاة ، وعابه أكثر مما عابه أولئك . فلما بلغ ذلك يزيد قال : اللهم إني آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت ، فأدركه وانتقم منه .

ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويحذِّرهم غبَّ ذلك ، ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد ، وخوَّفهم الفتنة ، وقال لهم : إن الفتنة وخيمة ، وقال : لا طاقة لكم بأهل الشام . فقال له عبد الله بن مطيع : ما يحملك ـ يا نعمان ـ على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال له النعمان : أما والله لكأني بك وقد تركت[١] تلك الأمور التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحى الموت بين الفريقين ، قد ضربتَ بغلتك إليَّ وخلَّفتَ هؤلاء المساكين ـ يعني الأنصار ـ يُقتلون في سِكَكِهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم . فعصاه الناس فلم يسمعوا منه ، فانصرف وكان والله كما قال سواء .

قال ابن جرير[٢] : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة .

كذا قال ، وفيه نظر ، فإنه إن كان وفد في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فإنما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا في أول سنة ثلاث وستين ، وهو أشبه ، والله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

بُرَيدة بن الحُصَيب الأَسْلَمي[٣] : كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة عند

---

(١) في تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١) نزلت .
(٢) في تاريخه (٥/ ٤٨١) .
(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤١ و ٧/ ٨ ، ٣٦٥) طبقات خليفة (١٠٩ ، ١٨٧ ، ٣٢٢) تاريخ خليفة (٢٥١) مسند أحمد (٥/ ٣٤٦) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٤١) ثقات العجلي (٧٩) المعارف (٣٠٠) الجرح والتعديل (٢/ ٤٢٤) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٤١٤) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٣) الاستيعاب (١/ ١٨٥) الجمع لابن=

كُراعِ الغَمِيم[١] ، فلما كان هناك تلقّاه بُريدة في ثمانين نفساً من أهله فأسلموا ، وصلى بهم صلاة العشاء ، وعلّمه ليلتئذ صدراً من سورة مريم .

ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أُحُد ، فشهد معه المشاهد كلها ، وأقام بالمدينة ، فلما فتحت البصرة نزلها واختط بها داراً ، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرو في خلافة يزيد بن معاوية .

ذكر موته غير واحد في هذه السنة .

الرّبيعُ بنُ خُثَيْم[٢] : أبو يزيد الثوري الكوفي ، أحد أصحاب ابن مسعود .

[قال له عبد الله بن مسعود][٣] : ما رأيتك قطُّ إلا ذكرت المُخْبتين ، ولو رآك رسول الله ﷺ لأحبّك[٤] .

وكان ابن مسعود يجلّه كثيراً .

وقال الشعبي : كان الربيع من معادن الصدق ، وكان أورع أصحاب ابن مسعود .

وقال ابن معين : لا يُسأل عن مثله .

وله مناقب كثيرة جدّاً .

أرخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة .

عَلْقَمَةُ بنُ قَيْس[٥] : أبو شِبل النَّخعي الكوفي .

= القيسراني (١/ ٦١) أسد الغابة (١/ ٢٠٩) تهذيب الكمال (٤/ ٥٣) تذهيب التهذيب (١/ ٨١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٨٦) العبر (١/ ٦٦) الكاشف (١/ ٩٩) مجمع الزوائد (٩/ ٣٩٨) الإصابة (١/ ٢٤١) تهذيب التهذيب (١/ ٤٣٢) خلاصة الخزرجي (٤٧) شذرات الذهب (١/ ٢٨١) .

(١) « كراع الغميم » : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عُسفان بثمانية أميال . معجم البلدان (٤/ ٤٤٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ١٨٢) طبقات خليفة (١٤١) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٦٩) ثقات العجلي (١٥٤) المعارف (٤٩٧) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٦٣) الجرح والتعديل (٣/ ٤٥٩) العقد الفريد (١/ ٢٧٥) و ٢/ ٤٢٤ و ٣/ ١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٩) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٢٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٣٧) حلية الأولياء (٢/ ١٠٥) جمهرة أنساب العرب (٢٠١) الجمع لابن القيسراني (١/ ١٣٤) أنساب السمعاني (٣/ ١٤٦ ، ١٤٧) تهذيب الكمال (٩/ ٧٠) تذهيب التهذيب (١/ ٢١٧) تذكرة الحفاظ (١/ ٥٧) تاريخ الإسلام (٣/ ١٥ ، ٢٤٧ ، ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٨) الكاشف (١/ ٢٣٥) معرفة التابعين (ورقة ١١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٥) غاية النهاية (١/ ٢٨٣) نهاية السول (ورقة ٩٥) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٢) خلاصة الخزرجي (١١٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٠٦) . و« المخبتون » : المطمئنون ، وقيل : هم المتواضعون الخاشعون لربهم .

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٦) طبقات خليفة (ت١٠٥٤) تاريخ خليفة (١٩٦ ، ٢٣٦) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤١) =

كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم ، وكان يُشَبَّه بابن مسعود .

وقد روى علقمة عن جماعة من الصحابة ، وعنه خلق من التابعين .

عُقْبَةُ بنُ نافع الفِهْري[1] : بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف ، فافتتحها ، واختط القَيْرَوان ، وكان موضعها غيضة لا تُرام من السباع والحيّات والحشرات ، فدعا الله تعالى ، فجعلنَ يخرجنَ منها بأولادهن من الأوكار والجحار ، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة .

غزا أقواماً من البربر والروم ، فقُتل شهيداً رضي الله عنه .

عَمْرو بنُ حَزْمْ[2] : صحابي جليل . استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمرُه سبع عشرة سنة ، وأقام بها مدة ، وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

مَسْلَمَةُ[3] بنُ مُخَلَّد الأنصاريُ الزُّرَقي[4] : ولد عام الهجرة ، وسمع من رسول الله ﷺ ، وشهد

= التاريخ الصغير (١/ ١٢٣) ثقات العجلي (٣٣٩) المعارف (٤٣١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٥٢) الجرح والتعديل (٦/ ٤٠٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٤١) حلية الأولياء (٢/ ٩٨) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٩٦) طبقات الشيرازي (٧٩) أنساب السمعاني (١٢/ ٦١) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٤٠٤/ ب) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣٤٢) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٦٦) تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٠) طبقات علماء الحديث (١/ ١٠٠) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣) العبر (١/ ٦٦) تاريخ الإسلام (٣/ ٥٠) تذكرة الحفاظ (١/ ٤٨) الكاشف (٢/ ٢٤٢) معرفة القراء الكبار (١/ ٥١) مرآة الجنان (١/ ١٣٧) غاية النهاية (١/ ٥١٦) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٦) الإصابة (ت٦٤٥٤) النجوم الزاهرة (١/ ١٥٧) طبقات الحفاظ (١٢) خلاصة الخزرجي (٢٧١) شذرات الذهب (١/ ٢٨١) .

(١) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٤٣٥) فتوح مصر (١٩٤ ، ١٩٧) تاريخ الطبري (٥/ ٢٤٠) رياض النفوس (١/ ٦٢) جمهرة أنساب العرب (١٦٣ ، ١٧٨) الاستيعاب (٣/ ١٠٧٥) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٣٥٨/ ب) معجم البلدان (٤/ ٤٢٠) أسد الغابة (٤/ ٥٩) الكامل في التاريخ (٤/ ١٠٥) معالم الإيمان (١/ ١٦٤ ، ١٦٧) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٠٦) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٢) العقد الثمين (٦/ ١١١) الإصابة (٢/ ٤٩٢) حسن المحاضرة (٢/ ٢٢٠) .

(٢) طبقات خليفة (٨٩) تاريخ خليفة (٦٧ ، ٢٥٨) التاريخ الصغير (١/ ٨١) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٩٦) الاستيعاب (٣/ ١١٧٢) جمهرة أنساب العرب (٣٤٨) إكمال ابن ماكولا (٢/ ٤٤٩) أسد الغابة (٤/ ٢١٤) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ١٩٥) تهذيب الكمال (٢١/ ٥٨٥) الكاشف (٢/ ٢٨٢) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٠) الإصابة (٤/ ٢٩٣) خلاصة الخزرجي (٢٨٨) .

(٣) تحرف في الأصول إلى : مسلم .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٤) طبقات خليفة (٩٨ ، ٢٩٢) مسند أحمد (٤/ ١٠٤) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٨٧) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٩٤ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٢٩) الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٩٤) الولاة والقضاة (٣٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٩٥) جمهرة أنساب العرب (٣٦٦) الاستيعاب (٣/ ١٣٩٧) إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢٢٣ و ٤٣٨) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٢٢٨/ آ) أسد الغابة (٥/ ١٧٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٧١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٧٤) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٨) العبر (١/ ٦٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٤) الكاشف (٣/ ١٢٨)=

فتح مصر ، وولي الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات في ذي القعدة من هذه السنة .

نَوْفل بنُ معاوية الدِّيلي[1] [2] : صحابي جليل ، شهد بدراً وأُحداً والخندق مع المشركين ، وكانت له في المسلمين نِكاية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد فتح مكة وحُنيناً ، وحج مع أبي بكر سنة تسع ، وشهد حجة الوداع ، وعمِّر ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام . قاله الواقدي . قال : وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

وقال ابن الجوزي : مات في هذه السنة .

وفيها توفيت :

الرَّباب بنت أنيف[3] : امرأة الحسين بن علي التي كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدُون في السبت ـ أو في الجمعة ـ على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ففيها كانت :

وَقْعَةُ الحَرَّة

وكان سببها : أنَّ أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولَّوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، فلما كان في أول هذه السنة أظهروا ذلك واجتمعوا عند المنبر ، فجعل الرجل منهم يقول : قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه ، ويلقيها عن رأسه ، ويقول الآخر : قد خلعته كما خلعت نعلي هذه ، حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك . ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم ـ وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ابن عم يزيد ـ وعلى إجلاء بني أمية

= تذهيب التهذيب (٤/ ٤٠/آ) الإصابة (٣/ ٤١٨) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٨) حسن المحاضرة (١/ ٢٣٥) خلاصة الخزرجي (٣٧٧) شذرات الذهب (١/ ٢٨٢) .

(١) تحرف اسمه في المطبوع إلى : مسلم بن معاوية الديلمي .

(٢) مسند أحمد (٥/ ٤٢٩) المعارف (٣١٤) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤ ، ٨٤ ، ٢٤١) الاشتقاق (١٧٤) الجرح والتعديل (٨/ ٤٨٧) مشاهير علماء الأمصار (ت١٩١) الاستيعاب (٤/ ١٥١٣) أنساب السمعاني (٥/ ٤٠٢ و١٢/ ١٢٢) أسد الغابة (٥/ ٣١٧) تهذيب الكمال (٣٠/ ٧٠) الكاشف (٣/ ١٨٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٩٢) الإصابة (ت٨٨٣١) خلاصة الخزرجي (٤٠٥) .

(٣) المحبر (٣٩٦) الكامل في التاريخ (٤/ ٨٨) أعلام الزركلي (٣/ ١٣) شاعرات العرب (١٢٨) أعلام النساء لكحالة (١/ ٤٣٨) .

من المدينة ، فاجتمعت بنو أمية ـ [وهم قريب من ألف رجل][1] ـ في دار مروان بن الحكم ، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم .

واعتزل الناسَ عليُّ بن الحسين زينُ العابدين ، وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، لم يخلعا يزيد ، ولا أحد من بيت ابن عمر ، وقد قال ابن عمر لأهله : لا يخلعن أحد منكم يزيد فيكون الفيصل ـ ويروى : الصيلم ـ بيني وبينه . وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده في ترجمة يزيد . وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنّما كنّا نبايع رسول الله ﷺ على ألّا نفرّ . وكذلك لم يخلع يزيدَ أحدٌ من بني عبد المطّلب . وقد سئل محمد ابن الحنفيّة في ذلك ، فامتنع أشدَّ الامتناع ، وناظرهم وجادلهم في يزيد ، ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شربه الخمر وتركه بعض الصلوات ، كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله .

وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه [من الحصر والإهانة والجوع والعطش ، وأنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه][2] وإلا استؤصلوا عن آخرهم ، وبعثوا ذلك مع البريد ، فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرَّد به مما به من النِّقرس[3] في رجليه . فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال : ويلك! أما فيهم ألف رجل ؟ قال : بلى ، قال : فهلاّ قاتلوا ولو ساعة من نهار ؟! ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم ، وعرض عليه أن يبعثه إليهم ، فأبى عليه ذلك ، وقال : إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة ، فأما الآن فإنما دماء قريش تراق بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ، ليتولَّ ذلك من هم أبعد منهم مني . قال : فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المرّي وهو شيخ كبير ضعيف ، فانتدب لذلك ، وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس ـ وقيل : اثني عشر ألفاً ـ وخمسة عشر ألف راجل ، وأعطى كل واحد منهم مئة دينار ـ وقيل : أربعة دنانير ـ ثم استعرضهم يزيد وهو على فرس له .

قال المدائني : وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مَسْعدة الفزاري ، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السَّكوني ، وعلى أهل الأردن حُبيش بن دُلْجة القيني ، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجُذامي ، وشريك الكناني ، وعلى أهل قِنَّسرين طريف بن الحسحاس الهلالي ، وعليهم جميعاً مسلم بن عقبة المرّي من غطفان ، وإنما يسميّه السلَف مسرف بن عقبة . فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ! ولّني عليهم أكفك ـ وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رواحة ـ فقال يزيد : لا ، ليس لهم إلا

---

(١) سقط من المطبوع .
(٢) سقط من أ .
(٣) « النقرس » : داء ووجع يأخذ في الرجل والمفاصل .

هذا الغشمة[١] ، والله لأقتلنَّهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة ، فقال النعمان : يا أمير المؤمنين ! أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ . وقال له عبد الله بن جعفر : أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك أتقبل منهم ؟ قال : إن فعلوا فلا سبيل عليهم .

وقال يزيد لمسلم بن عقبة : ادع القوم ثلاثاً ، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم ، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا ظهرتَ عليهم فأَبحِ المدينة ثلاثاً ثم اكفف عن الناس ، وانظر إلى علي بن الحسين فاكفف عنه ، واستوص به خيراً ، وأدنِ مجلسه ، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه . وأمره إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن الزبير[٢] . وقال له : إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السَّكوني .

وقد كان يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد أن يسير إلى [ابن][٣] الزبير فيحاصره بمكة ، فأبى عليه وقال : والله لا أجمعهما للفاسق أبداً ، أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ وأغزو البيت الحرام ؟! وقد كانت أمُّه مَرجانة قالت له حين قتل الحسين : ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت ؟! وعنَّفته تعنيفاً شديداً .

قالوا : وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته : يزيد القرود ، شارب الخمور ، تارك الصلوات ، منعكف على القينات . فلما جهَّز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول :

أَبْلِـغْ أبـا بكـرٍ إذا الجيشُ سَـرىٰ وأَشرفَ الجيشُ على وادي القُرىٰ
أَجَمْـعَ سكـرانَ مـن القـومِ تَـرىٰ يا عَجباً من مُلحدٍ في امِّ القُرىٰ
مخادعٍ للدِّين يَقْضي بالفِرىٰ[٤]

وفي رواية :

أَبْلِـغْ أبـا بكـرٍ إذا الأمـرُ انبَـرىٰ ونَزَلَ الجيشُ على وادي القُرىٰ
عشـرونَ ألفـاً بيـنَ كهـلٍ وفتـى أَجَمْعَ سكرانَ من القوم تَرىٰ[٥]

قالوا : وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة ، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية وقالوا لهم : والله لنقتلنَّكم عن آخركم أو تعطونا مَوْثقاً ألا تدلُّوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميِّين ، ولا تمالئوهم علينا ، فأعطَوهم العهود بذلك ، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية ، فجعل مسلم يسألهم

---

(١) « الغشمة » : الظالم .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : نمير .
(٣) سقطت من المطبوع .
(٤) « الفِرى » : جمع فرية ، وهي الكذبة .
(٥) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٤) وابن الأثير (٤/ ١١٢) ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩٣) .

عن الأخبار فلا يخبره أحد ، فانحصر لذلك . وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له : إن كنت تريد النصر فانزل شرقيَّ المدينة في الحرَّة ، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أقفيتكم وفي وجوههم ، فادعهم إلى الطاعة ، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة . فشكره مسلم بن عقبة على ذلك ، وامتثل ما أشار به ، فنزل شرقيَّ المدينة في الحرَّة ، ودعا أهلها ثلاثة أيام ، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة ، فلما مضت الثلاثة قال لهم في اليوم الرابع ـ وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ـ قال لهم : يا أهل المدينة! مضت الثلاثة ، وإن أمير المؤمنين قال لي : إنكم أصلُه وعشيرته ، وإنه يكره إراقة دمائكم ، وإنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثاً فقد مضت ، فماذا أنتم صانعون ؟ أتسالمون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب . فقال : لا تفعلوا ، بل سالموا ونجعل حدنا وقوتنا على هذا الملحد ـ يعني ابن الزبير ـ فقالوا : يا عدو الله ! والله لو أردت ذلك لما مكنّاك منه ، أنحن نذركم تذهبون فتلحدوا في بيت الله الحرام ؟ ثم تهيؤوا للقتال ، وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين ابن عقبة ، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير ، وجعلوا أجل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسِيل ، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم أهل المدينة إليها . وقد قُتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان منهم : عبد الله بن مطيع وبنون له سبعة بين يديه ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شمّاس ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، وقد مرَّ به مروان وهو مجندل[١] فقال : رحمك الله ، فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود !

ثم أباح مسلم بن عقبة ـ الذي يقول فيه السلف : مسرف بن عقبة ، قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله ـ المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد لا جزاه الله خيراً ، وقَتل خلقاً من أشرافها وقرّائها ، وانتهب أموالاً كثيرة منها ، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد ، فكان ممن قُتل بين يديه صبراً معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ، ولكن أسمعه في يزيد كلاماً غليظاً ، فنقم عليه بسببه .

واستدعى بعلي بن الحسين ، فجاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ليأخذ له بهما عنده أماناً ، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به ، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشراب ـ وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجاً إلى المدينة ، فكان يُشاب[٢] له بشرابه ـ فلما جيء بالشراب شرب مروان قليلاً ، ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً ، وكان مروان مواداً لعلي بن الحسين ، فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الإناء في يده قال له : لا تشرب من شرابنا ، ثم قال له : إنما جئتَ مع هذين لتأمن بهما ؟ فارتعدت يد علي بن الحسين ، وجعل لا يضع الإناء من يده ولا يشربه ، ثم قال له : لولا أن أمير

---

(١) « مجندل » : صريع .

(٢) « يشاب » : يخلط .

المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك ، ثم قال له : إن شئت أن تشرب فاشرب ، وإن شئت دعونا لك بغيرها ، فقال : هذه الذي في كفي أريد ، فشرب . ثم قال له مسلم بن عقبة : قم إلى هاهنا فاجلس ، فأجلسه معه على السرير وقال له : إن أمير المؤمنين أوصاني بك ، وإن هؤلاء شغلوني عنك ، ثم قال : لعل أهلك فزعوا ؟ فقال : إي والله ! فأمر بدابته فأُسرجت ، ثم حمله عليها حتى رده إلى منزله مكرَماً .

ثم استدعى بعمرو بن عثمان بن عفان ـ ولم يكن خرج مع بني أمية ـ فقال له : إنك إنْ ظهر أهلُ المدينة قلتَ : أنا معكم . وإن ظهر أهلُ الشام قلتَ : أنا ابن أمير المؤمنين . ثم أمر به فنُتفتْ لحيتُه بين يديه ، وكان ذا لحية كبيرة .

قال المدائني : وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال . فأرسلت سعدى بنت عوف المرِّيَّة إلى مسلم بن عقبة تقول له : أنا بنت عمك ، فمر أصحابك ألا يتعرضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا ، فقال لأصحابه : لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولاً .

وجاءته امرأة فقالت : أنا مولاتك وابني في الأسارى ، فقال : عجِّلوه لها ، فضُربت عنقه ، وقال : أعطوها رأسه ، أما ترضين ألا يقتل حتى تتكلمي في ابنك ؟!

ووقعوا على النساء حتى قيل : إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج ، فالله أعلم .

قال المدائني : عن أبي قرَّة قال : قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرَّة من غير زوج .

وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله . وخرج أبو سعيد الخُدْري فلجأ إلى غار في جبل ، فلحقه رجل من أهل الشام ، قال : فلما رأيته انتضيت سيفي ، فقصدني ، فلما رآني صمَّم على قتلي ، فشمت سيفي ثم قلت : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٩] فلما رأى ذلك قال : من أنت ؟ قلت : أنا أبو سعيد الخُدري ، قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ، فمضى وتركني .

قال المدائني : وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيِّب ، فقال له : بايع ، فقال : أبايع على سيرة أبي بكر وعمر . فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون ، فخلّى سبيله .

وقال المدائني : عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالا : لما انهزم أهل المدينة يوم الحرَّة صاح النساء والصِّبيان ، فقال ابن عمر : بعثمان وربِّ الكعبة .

قال المدائني : عن شيخ من أهل المدينة قال : سألت الزُّهري : كم كانت القتلى يوم الحرَّة ؟ قال : سبعمئة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي ، وممن لا أعرف من حُر وعبد وغيرهم

عشرة آلاف . قال : وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام .

قال الواقدي وأبو مَعْشر : كانت وقعة الحرَّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين .

قال الواقدي : عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن عون قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكانوا يسمونه العائذ ـ يعني العائذ بالبيت ـ ويرون الأمر شورى . وجاء خبر الحرَّة إلى أهل مكة ليلة مستهل المحرم مع سعيد مولى المِسْور بن مَخْرمة ، فحزنوا حزناً شديداً ، وتأهبوا لقتال أهل الشام .

قال ابن جرير[١] : وقد رويت قصة الحرَّة على غير ما رواه أبو مِخْنف ، فحدّثني أحمد بن زهير ، حدّثنا أبي ، سمعت وهب بن جرير ، حدّثنا جُويرية ابن أسماء قال : سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته لنا . فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة ، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ـ وكان شريفاً فاضلاً سيِّداً عابداً ـ ومعه ثمانية بنين له ، فأعطاه يزيد مئة ألف درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا : قد بلغنا أنه أعطاك وأحذاك وأكرمك ! قال : قد فعل ، وما قبلت منه إلا لأتقوى به على قتاله . ثم حضَّ الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعث إليهم مسلم بن عقبة . وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبُّوا فيه زقّاً من قطران وغوَّروه ، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً ، فلم يستقوا حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم يُر مثلُها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وكان أميرهم مسلم شديد الوجع ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير[٢] من خلفهم في جوف المدينة ، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر ، فانهزم الناس ، فكان من أُصيب في الخندق أعظم ممن قتل ، فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يغطُّ نوماً ، فنبَّهه ابنه ، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه ، فتقدم فقاتل حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناس للبيعة على أنهم خول[٣] ليزيد بن معاوية ، ويحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء .

---

(١) في تاريخه (٥/ ٤٩٥) .

(٢) كذا في ط ، ومثله في تاريخ الطبري ، ووقع في أ ، ب : النكبة .

(٣) « الخول » : الخدم والعبيد .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد الصمد « من تاريخه » من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي : حدّثنا الحسين بن الحسن اليشكري ، حدّثنا الزِّيادي ، عن الأصمعي ح وحدّثني محمد بن الحارث ، عن المدائني قال : لما قتل أهل الحرَّة هتف هاتف بمكة على أبي قُبيس مساء تلك الليلة وابن الزبير جالس يسمع :

قُتِـلَ الخِيـارُ بَنُـو الخِيـا ... رِ ذَوُو المَهَـابَـةِ والسَّمـاح
والصَّـائمـونَ القَـائمـو ... نَ أُولُـو العِبـادَةِ والصَّـلاح
المُهْتَـدُونَ المُحْسِنُـو ... نَ السَّـابقـونَ إلـى الفَـلاح
مـاذا بـواقِـمَ والبَقيـ ... ـعِ من الجَحَاجِحَةِ الصِّباح
وبقـاعُ يثـربَ ويحهُـنَّ ... مـن النَّـوادبِ والصِّيـاح

فقال ابن الزبير لأصحابه : يا هؤلاء ! قتل أصحابكم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١]

وقد أخطأ يزيد خطأً فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام [مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم . وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد][٢] وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ، ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه وبين ما يشتهيه ، فقصمه الله قاصم الجبابرة ، وأخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] .

قال البخاري في « صحيحه »[٣] : حدّثنا الحسين بن الحُرَيث[٤] ، حدّثنا الفضل بن موسى ، حدّثنا الجُعَيد ، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، عن أبيها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يَكيدُ أهلَ المدينةِ أَحدٌ إلّا انماعَ كما يَنْماعُ المِلحُ في الماءِ » .

وقد رواه مسلم من حديث أبي عبد الله القَرّاظ المدني ـ واسمه : دينار ـ عن سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يُريدُ أحدٌ المدينةَ بسُوءٍ إلّا أذابَهُ اللهُ في النَّار ذوبَ الرَّصاص ـ أو ذوبَ المِلحِ في الماءِ » . وفي رواية لمسلم من طريق أبي عبد الله القرّاظ ، عن سعد وأبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أرادَ أهلَ المدينةِ بسُوءٍ أذابَهُ اللهُ كما يَذوبُ المِلحُ في الماءِ »[٥] .

---

(١) الخبر والشعر في تاريخ ابن عساكر مختصره (٣/ ١٥٦) .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٣) كتاب : فضائل المدينة (١٨٧٧) .
(٤) تحرف في أ ، ط إلى : الحارث . وترجمته في تهذيب الكمال (٦/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) .
(٥) أخرجه مسلم (١٣٨٦) و(١٣٨٧) في الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أنس بن عياض ، حدّثنا يزيد بن خُصَيفة [عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة][١] عن عطاء بن يسار ، عن السائب بن خلّاد : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أخافَ أهلَ المدينةِ ظلماً أخافَهُ اللهُ ، وعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعين ، لا يقبلُ اللهُ منهُ يومَ القيامةِ صرْفاً ولا عَدْلًا »[٢]

ورواه النسائي[٣] من غير وجه ، عن علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن يزيد بن خُصَيفة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن عطاء بن يسار ، عن [ابن][٤] خلاد ابن منجوف بن الخزرج . . . أخبره ، فذكره .

وكذلك رواه الحميدي ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن يزيد بن خصيفة .

ورواه النسائي أيضاً[٥] ، عن يحيى بن حبيب بن عربي ، عن حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن مسلم بن أبي مريم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن خلّاد ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ فذكره .

وقال ابن وهب : أخبرني حَيْوة بن شُريح ، عن ابن الهاد ، عن أبي بكر ، عن عطاء بن يسار ، عن السائب بن خلّاد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أخافَ أهلَ المدينةِ أَخافَهُ الله ، وعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعين »[٦]

وقال الدارقطني : حدّثنا علي بن أحمد بن القاسم ، حدّثنا أبي ، حدّثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري ، عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالا : خرجنا مع أبينا يوم الحرَّة وقد كُف بصره فقال : تعس من أخاف رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أخافَ أهلَ هذا الحيِّ مِنَ الأنصارِ فَقَدْ أخافَ ما بينَ هٰذين ـ ووضَع يدَهُ على جنبيه »[٧] . قال الدارقطني : تفرد به سعيد بن عبد الحميد[٨] لفظاً وإسناداً .

---

(١) سقط من الأصول ، واستدركته من المسند .
(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٥٥) وهو حديث صحيح .
(٣) في الكبرى رقم(٤٢٦٦) .
(٤) سقطت من المطبوع .
(٥) في الكبرى رقم (٤٢٦٥) .
(٦) هو بمعنى حديث أحمد في المسند (٤/ ٥٥) الذي تقدم .
(٧) أخرجه الدارقطني في الأفراد كما نص عليه صاحب كنز العمال (٣٣٧٥) . وأخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط برقم (١٠٩٣) .
(٨) في المطبوع : سعد بن عبد العزيز ، خطأ .

وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخّص في لعنة يزيد بن معاوية ، وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلاّل وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين ، وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد . ومنع من ذلك آخرون ، وصنفوا فيه أيضاً لئلاّ يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً ، والإمام إذا فسق لا يُعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة ، ووقوع الهَرج [وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه][1] كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا .

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرَّة من مسلم بن عقبة وجيشه ، فرح بذلك فرحاً شديداً ، فإنه كان يرى أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته وأمَّروا عليهم غيره ، فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة ، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم . وقد جاء في الصحيح : « مَنْ جاءَكُمْ وأَمْرُكُمْ جميعٌ يُريدُ أنْ يُفرِّقَ بينَكُمْ فاقْتُلوهُ كائناً مَنْ كان »[2]

وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزِّبَعْرى في وقعة أُحد التي يقول فيها :

لَيتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ

حينَ حلَّتْ بقُباهم بَرْكَها ... واسْتَحَرَّ القتلُ في عَبْدِ الأَشَلْ

قَدْ قَتَلْنا الضِّعْفَ من أَشْرافهم ... وعَدَلْنا مَيلَ بَدْرٍ فاعْتَدَلْ[3]

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال :

لَعِبَتْ هاشِمُ بالمُلْكِ فَلاَ ... مَلَكٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ

فهذا إن كان قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنِّع به عليه . وسنذكر ترجمة يزيد بن معاوية قريباً ، وما ذكر عنه ، وما قيل فيه ، وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية [فإنه لم يمهل بعد وقعة الحرَّة وقتل الحسين

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢) (٦٠) في الإمارة : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣ ـ ٢٤) من حديث عرفجة بن أسعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون هَنات وهَنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهم جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » .

(٣) تقدم تخريج هذه الأبيات . وهي في ديوان ابن الزبعرى (ص٤٢) .

إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده ، إنه كان عليماً قديراً [(١)] .

وقد توفي في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرَّة مما يطول ذكرهم ، فمن مشاهيرهم من الصحابة :

عبدُ الله بن حَنْظَلة[(٢)] أمير المدينة في وقعة الحَرَّة .

ومَعْقِلُ بن سِنَان[(٣)] .

وعبدُ الله[(٤)] بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم .

وفيها :

مَسْرُوقُ بنُ الأَجْدَع[(٥)] : [كان أبوه الأجدع ـ واسمه عبد الرحمن بن مالك ـ أفرس مَنْ باليمن .

وقيل : إن مسروقاً كان عاملاً على بعض البلاد ، فلما قدم على أهله نظروا في خُرْجه فلم يجدوا فيه سوى فأس بلا عود ، فقالوا له : غبتَ سنتين ثم جئت بفأس بلا عود ؟! فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، تلك فأس استعرناها فنسينا أن نردَّها .

وأهدى عامل البصرة إلى مسروق ثلاثين ألفاً ، فأبى أن يقبلها وكان أحوج الناس إليها . ولما ولي القضاء كان لا يأخذ عليه ورقاً .

وكان شُريح يستشيره ، وهو لا يستشير شُريحاً .

وقام مسروق حتى انتفخت قدماه .

وقد حضر أبا بكر وعمر وعثمان . وروى عن جماعة من الصحابة . وشهد الحكمين .

قال : بحسب امرىء من الجهل أن يُعجب بعمله ، وبحسب المرء من العلم أن يخشى الله .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٢١) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٦) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : عبيد الله ، وهو مترجم في السير (٢/ ٣٧٧) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٧٦) طبقات خليفة (ت١٠٦٦) تاريخ خليفة (٢٥١) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٣٥) ثقات العجلي (٤٢٦) المعارف (٤٣٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٦٠) الجرح والتعديل (٨/ ٣٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٤٦) حلية الأولياء (٢/ ٩٥) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢) طبقات الشيرازي (٧٩) أنساب السمعاني (١٢/ ٣٤٥) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٢٠٧/ ب) أسد الغابة (٥/ ١٥٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٨٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٤٣) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٢١) طبقات علماء الحديث (١/ ١٠٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٤٩) العبر (١/ ٦٨) الكاشف (٣/ ١٢٠) غاية النهاية (٢/ ٢٩٤) الإصابة (١٠/ ٢٥) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩) النجوم الزاهرة (١/ ١٦١) طبقات الحفاظ (١٤) خلاصة الخزرجي (٣٧٤) شذرات الذهب (١/ ٢٨٥) .

وقال : إذا بلغ أحدُكم أربعين سنة فليأخذ حِذره من الله .

وقال : لو أتاني آتٍ من ربي ـ عز وجل ـ فأخبرني أنه يعذبني لاجتهدت في العبادة لئلاّ ألوم نفسي إن دخلت جهنم ، أما بلغك من قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢] إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم واعتنقتهم الزبانية ، وحِيل بينهم وبين ما يشتهون ، وانقطعت عنهم الأماني ، ورُفعت عنهم الرحمة ، وأقبل كل امرىءٍ منهم يلوم نفسه .

قال الإمام أحمد: حج مسروق فلم ينم إلّا ساجداً على وجهه حتى رجع . وكان يصلِّي حتى تورَّم قدماه .

وقال : إنّ أحسن ما أكون ظناً بربي حين يقول الخادم : ليس في البيت قَفيز ولا درهم .

وقال : إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه ، فيستغفر الله منها .

قال ابن مرثد : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم مسروق .

وقد قالت امرأة مسروق : ما كان يوجد إلّا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة .

ولما احتُضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : ومالي لا أبكي وإنما هي هَدَّة ثم لا أدري أين يُسلك بي بين يدي طريقين لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

وكان صائماً في يوم حار ، فغُشي عليه ، فقالت له ابنته : أفطِر ، فقال لها : ما أردت بي ؟ قالت : الرفق ، قال : إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [(١)] .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ففيها ـ في أول المحرم منها ـ سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب على مخالفة يزيد بن معاوية ، واستخلف على المدينة رَوْح بن زنباع ، فلما بلغ ثنيَّة هَرْشَى[(٢)] بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم فقال : إن أمير المؤمنين عهد إليَّ إن حدث بي حادث الموت أن أستخلف عليكم حُصين بن نمير السَّكوني ، ووالله لو كان الأمر إليَّ ما فعلت . ثم دعا به فقال : انظر يا بن بردعة[(٣)] الحمار فاحفظ ما أوصيك به ، ثم أمره إذا وصل مكة أن يناجز ابن الزبير قبل ثلاث . ثم قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قط ـ بعد شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ أحب إليَّ من قتل أهل

---

(١) انفردت النسخة (أ) بهذه الترجمة ، ولم يرد في ط ، ب إلا اسم مسروق على أنه توفي في هذه السنة .

(٢) رسمت هذه اللفظة في الأصول وتاريخ الطبري (٥/ ٤٩٦) : بالمد (هرشا) . وقد قيدها ياقوت في معجمه (٥/ ٣٩٧) بالقصر (هرشى) وقال : هي ثنية في طريق مكة قريبة من الجُحْفة ، يرى منها البحر .

(٣) البردعة ـ بالدال والذال ـ الحلس .

المدينة وأجزى عندي في الآخرة ، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي . ثم مات ـ قبحه الله ـ ودفن بالمُشَلَّل[(١) (٢)] .

وسار حُصين بن نمير بالجيش نحو مكة ، فانتهى إليها لأربع بقين من المحرم ـ فيما قاله الواقدي ـ وقيل : لسبع مضين منه . وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشراف المدينة ، وانضاف إليه أيضاً نَجْدة بن عامر الحنفي ـ من أهل اليمامة ـ في طائفة من أهلها ليمنعوا البيت من أهل الشام . فنزل حُصين بن نمير ظاهر مكة ، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام ، فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة ، فانكشف أهل مكة ، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به ، فكرَّ عليه المِسْور بن مَخْرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة ، فقاتلوا دونه حتى قُتلوا جميعاً ، وصابرهم ابن الزبير حتى الليل ، فانصرفوا عنه ، ثم اقتتلوا في بقية شهر المحرم وصفراً بكماله ، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورمَوها بالنار ، فاحترق جدار الكعبة في يوم السبت ـ هذا قول الواقدي ـ وهم يقولون :

خطّارة مثل الفَنِيق[(٣)] المُزْبِدِ تُرْمىٰ بها جُدْران هذا المَسْجِدِ

وجعل عمرو بن حوطة السدوسي يقول :

كيفَ ترىٰ صَنِيعَ أمِّ فَرْوَهْ تأخُذُهمْ بينَ الصَّفا والمَرْوَهْ[(٤)]

وأمُّ فروة : اسم المنجنيق .

وقيل : إنما احترقت لأن [أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة ، فعلقت النار في بعض أستار الكعبة ، فسرَت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت . وقيل : إنما احترقت لأن][(٥)] ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء ، فظن أنهم أهل الشام ، فرُفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل ، فأطارت الريح شَرَرَةً من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : المسلك . والمشلل كما في معجم ياقوت (٥/ ١٣٦) : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر .

(٢) وجاء بعد هذا في ط : « ثم أتبعه الله بيزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه ، فما متَّعهما الله بشيء مما رجوه وأمَّلوه ، بل قهرهم القاهر فوق عباده ، وسلبهم الملك ، ونزعه منهم من ينزع الملك ممن يشاء » وهو ليس في النسخ المعتمدة ومنها ب وم ، وهو كلام مقحم .

(٣) تحرفت في أ ، ط إلى : الفتيق وشرحها على ذلك محققو طبعة دار الكتب العلمية . « والفنيق » : هو الفحل المكرَم من الإبل . اللسان (خطر ، فنق) .

(٤) الخبر والرجز في تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) وأيضاً في ابن الأثير (٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .

الكعبة ، فعلقت في أستارها وأخشابها فاحترقت ، واسودَّ الركنُ وانصدعَ في ثلاثة أمكنة منه .

واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر ، وجاء الناسَ نعيُ يزيد بن معاوية ، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس ـ أو ثمان أو تسع ـ وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة ـ أو ثمانية ـ أشهر ، فغُلب أهل الشام هنالك وانقلبوا صاغرين ، فحينئذ خمدت الحرب وطفئت نار الفتنة . ويقال : إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة . ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام ، فنادى فيهم : يا أهل الشام ! قد أهلك الله طاغيتكم، فمن أحبَّ منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل ، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع . فلم يصدِّق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به ، حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع[١] بالخبر اليقين .

ويذكر أن حُصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدِّثه بين الصفَّين ، فاجتمعا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما ، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفُّها ، فقال له ابن الزبير : مالك ؟ فقال : إن الحمام تحت رجلي فرسي تأكل الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم . فقال له : تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين ؟! فقال له حصين : فائذن لنا فلنطف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا ، فأذن لهم ، فطافوا .

وذكر ابن جرير[٢] : أن حصيناً وابن الزبير اتَّعدا ليلة أن يجتمعا ، فاجتمعا بظاهر مكة ، فقال له حصين : إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر بعده ، فهلمَّ فارحل معي إلى الشام ، فوالله لا يختلف عليك اثنان . فيقال : إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك ، وأغلظ له في المقال ، فنفر منه ابن نمير وقال : أنا أدعوه إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقال ؟! ثم كرَّ بالجيش راجعاً إلى الشام ، وقال : أعده بالملك ويتوعدني بالقتل ؟! ثم ندم ابن الزبير على ماكان منه إليه من الغلظة ، فبعث إليه يقول له : أما الشام فلستُ آتيه ، ولكن خذ لي البيعة على من هنالك ، فإني أؤمنكم ، وأعدل فيكم . فبعث إليه يقول له : إن من يبتغينا من أهل هذا البيت بالشام لكثير . ورجع فاجتاز بالمدينة ، فطمع فيه أهلها ، وأهانوهم إهانة بالغة ، وأكرمهم علي بن الحسين (زين العابدين) وأهدى لحصين بن نمير قَتّاً[٣] وعلفاً . وارتحلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام ، فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استُخلف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) كذا في الأصول . وفي تاريخ الطبري (٥/ ٥٠١) : المنقَع .

(٢) في تاريخه (٥/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣) مع اختلاف ببعض الألفاظ .

(٣) « القت » : الفصفصة ، وهي الرطبة من علف الدواب .

وهذه ترجمة يَزِيد بن مُعَاوِيَـة[١]

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر[٢] بن حَرْب بن أميَّة بن عبد شمس ، أمير المؤمنين ، أبو خالد الأموي . ولد سنة خمس ـ أو ست ، أو سبع ـ وعشرين ، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون وليَّ العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين ، فاستمرَّ متولياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . وأمه : مَيْسون بنت بَحْدَل[٣] بن أُنيف بن دُلْجة بن قُنافة[٤] بن عديّ بن زهير بن حارثة الكَلْبي .

روى عن أبيه معاوية : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين »[٥] . وحديثاً آخر في الوضوء .

وعنه ابنه خالد ، وعبد الملك بن مروان .

وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة ـ وهي العليا ـ وقال : له أحاديث .

وكان كثير اللحم ، عظيم الجسم ، كثير الشعر ، جميلاً ، طويلاً ، ضخم الهامة ، محدد الأصابع غليظها ، مجدّراً .

وكان أبوه قد طلَّق أمَّه وهي حامل به ، فرأت في المنام أنه خرج منها قمر من قُبُلها ، فقصَّت رؤياها على أمها ، فقالت : إن صدقتْ رؤياك لتلدن من يُبايَع له بالخلافة .

وجلست أمُّه ميسون يوماً تمشطُه وهو صبيّ صغير ، وأبوه مع زوجته الحظية عنده في المنظرة ـ وهي فاختة بنت قَرَظة ـ فلما فرغت من مَشْطه نظرت أمه إليه فأعجبها ، فقبَّلت بين عينيه ، فقال معاوية عند ذلك :

---

(١) نسب قريش (١٢٧) المعارف (٣٥١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٥) الأخبار الطوال : (الفهرس) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩) العقد الفريد : (الفهرس) مروج الذهب (٣/ ٦٣ ، ٧٥) الأغاني (١٧/ ٢٠٩) جمهرة الأنساب (١٠٣) تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٩٥/آ) الكامل في التاريخ (٤/ ١٢٥) منهاج السنة (٢/ ٢٣٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨) تاريخ الإسلام (٣/ ٩١) العبر (١/ ٦٩) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٤٠) فوات الوفيات (٤/ ٣٢٧) تهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٠) لسان الميزان (٦/ ٢٩٣) تاريخ الخلفاء (٣٢٥) القلائد الجوهرية (٢٦٢) تاريخ الخميس (٢/ ٣٠٠) شذرات الذهب (١/ ٢٨٦) رغبة الآمل (٤/ ٨٣ و ٥/ ١٢٩) .

(٢) في ط : « بن صخر » ، خطأ .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : مخول .

(٤) في ط : « نفاثة » ، وهو تحريف . ينظر نسب قريش (ص١٢٧) وترجمة ميسون من تاريخ دمشق (٧٠/ ١٣٠) .

(٥) رواه ابن عساكر من طريق يزيد ، وهو في مختصره (٢٨/ ١٨) وهو في الصحيحين من غير طريقه ، في البخاري رقم (٧١) ومسلم رقم (١٠٣٧) ومن طرق أخرى عندهما .

إذا مـاتَ لـمْ تُفْلحْ مُـزَيْنَـةُ بعـدَهُ فَنُوطِي عليهِ يا مُزَينُ التَّمائِمَا[١]

وانطلق يزيد يمشي وفاختة تُتبعه بصرها ثم قالت : لعن الله سواد ساقي أمِّك . فقال معاوية : أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله ـ وهو ولده منها ، وكان أحمق ـ فقالت فاختة : لا والله ، ولكنك تؤثر هذا عليه ، فقال : سوف أبيِّن لك ذلك حتى تعرفيه قبل أن تقومي من مجلسك هذا ، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له : إنه قد بدا لي أن أعطيَك كل ما تسألني في مجلسي هذا ، فقال : حاجتي أن تشتري لي كلباً فارهاً وحماراً ، فقال : يا بني ! أنت حمار ويُشترى لك حمار ؟! قم فاخرج . ثم قال لأمه : كيف رأيت ؟! ثم استدعى بيزيد فقال : إني قد بدا لي أن أعطيَك كل ماتسألني في مجلسي هذا ، فسلني ما بدا لك . فخرَّ يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة وأراه فيَّ هذا الرأي ، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك ، وتولِّيني العام صائفة المسلمين ، وتأذن لي في الحج إذا رجعت ، وتولِّيني الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتي ، وتفرض لأيتام بني جُمح ، وأيتام بني سهم ، وأيتام بني عدي . فقال : مالك ولأيتام بني عدي ؟ فقال : لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري . فقال معاوية : قد فعلتُ ذلك كلَّه . وقبَّل وجهه ثم قال لفاختة بنت قَرَظة : كيف رأيت ؟! فقالت : يا أمير المؤمنين ! أوصِه بي فأنت أعلم به مني . ففعل .

وفي رواية : أن يزيد لما قال له أبوه : سلني حاجتك ، قال له يزيد : اعتقني من النار أعتق الله رقبتك منها ، قال : وكيف ؟ قال : إني وجدت في الأثر أنه « مَنْ تقلَّد أمرَ هذهِ الأمَّة ثلاثةَ أيام حرَّمهُ اللهُ على النار » فاعهد إليَّ من بعدك . ففعل[٢] .

وقال العتبي : رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له ، فقال له : اعلم أنَّ الله أقدرُ عليك منك عليه ، سوءة لك ! أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك ؟ والله لقد منعَتْني القدرة من الانتقام من ذوي الإحَن ، وإنَّ أحق من عفا لمن قدر .

قلت : وقد ثبت في الصحيح : أن رسول الله ﷺ رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له ، فقال : « اعلمْ أبا مَسْعودٍ للهُ أَقدرُ عليكَ منكَ علَيه »[٣] .

قال العتبي : وقدم زياد بأموال كثيرة وبسفط مملوءٍ جواهر على معاوية ، فسُرَّ بذلك معاوية ، فقام

---

(١) البيت في نسب قريش (١٢٧) والأغاني (١٧/ ٢١١) ومختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩) واللسان مادة (تمم) .

(٢) الخبر بطوله في تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٨/ ٢٠ ـ ٢١) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٠) ومسلم (١٦٥٩) في الأيمان : باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ، وأبو داود (٥١٦٠) في الأدب : باب في حق المملوك ، والترمذي (١٩٤٨) في البر والصلة : باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم .

زياد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية ، فقام يزيد فقال : إن تفعل ذلك ـ يا زياد ـ فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زياد بن عُبيد إلى حرب بن أميَّة . فقال له معاوية : اجلس فداك أبي وأمي .

وعن عطاء بن السائب قال : غضب معاوية على ابنه يزيد ، فهجره ، فقال له الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين ! إنما هم أولادنا ، ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فأرضِهم ، وإن طلبوا فأعطِهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً فيملُّوا حياتك ويتمنَّوا موتك . فقال معاوية : لله درُّك يا أبا بحر ! يا غلام ائت يزيد فأقره مني السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمئة ألف درهم ومئة ثوب . فقال يزيد : من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأحنف ، فقال يزيد : لا جرم لأُقاسمنَّه ! فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوباً[١] .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلاَبي ، حدّثنا ابنُ عائشة ، عن أبيه قال : كان يزيدُ في حداثته صاحبَ شراب ، يأخذ مآخذ الأحداث ، فأحسَّ معاويةُ بذلك ، فأحبَّ أن يعظَه في رفق ، فقال : يا بنيّ ! ما أقدركَ على أن تصلَ إلى حاجتك من غير تهتُّك يذهب بمروءتك وقدرك ، ويشمت بك عدوّك ، ويسيء بك صديقك . ثم قال : يا بنيّ ! إني منشدُك أبياتاً فتأدَّبْ بها واحفظْها ! فأنشَدَه :

انصَبْ نهاراً في طِلاَبِ العُلا ... واصبِرْ على هَجْرِ الحَبيبِ القَريب
حتَّى إذا اللَّيلُ أَتى بالدُّجى ... واكتحلَتْ بالغُمضِ عينُ الرَّقِيب
فباشِرِ اللَّيلَ بما تَشْتَهي ... فإنَّما اللَّيلُ نهارُ الأَرِيب
كمْ فاسِقٍ تحسبُهُ ناسِكاً ... قد باشَرَ اللَّيلَ بأمرٍ عَجِيب
غَطَّى عليهِ اللَّيلُ أسْتارَهُ ... فباتَ في أَمنٍ وعيشٍ خَصِيب
ولذَّةُ الأَحمقِ مكشُوفَةٌ ... يسْعىٰ بها كلُّ عدوٍّ مُريب[٢]

قلت : وهذا كما جاء في الحديث : « مَن ابتُليَ بشيءٍ من هذِه القاذوراتِ فليسْتَتِرْ بسِتر اللهِ عزَّ وجلّ »[٣] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢) وقد أورده صاحب العقد الفريد (٢/ ٤٣٧) وفيه : أنه أمر له بمئتي ألف درهم ومئتي ثوب ، فبعث يزيد إلى الأحنف بمئة ألف ومئة ثوب ـ شاطره إياها .

(٢) الخبر والأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢ ـ ٢٣) .

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل (٩١) و(٩٢) ، والحاكم (٤/ ٢٤٤) و(٣٨٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣٠) بإسناد قوي . ورواه مالك في الموطأ (٢٣٨٦) برواية الليثي بتحقيق الدكتور بشار عن زيد بن أسلم مرسلاً .

وروى [الواقدي و][1] المدائني : أن ابن عباس وفد إلى معاوية ، فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزِّيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رحَّب به وأكرمه ، وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه ، فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزِّي لا المهنِّيء ، ثم ذكر الحسن فقال : رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك ، وعوَّضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب حلماء[2] الناس . ثم أنشد متمثلاً :

مَغَاضٍ عن العَوْراء لا يَنْطقونَها وأهلُ وراثاتِ الحُلومِ الأَوائل[3]

وقد كان يزيد أول من غزا مدينة قُسْطنطينية في سنة تسع وأربعين ـ في قول يعقوب بن سفيان . وقال خليفة بن خياط[4] : سنة خمسين . ثم حج بالناس في تلك السنة بعد مرجعه من هذه الغزوة من أرض الروم . وقد ثبت في الحديث : أن رسول الله ﷺ قال : « أولُ جيشٍ يَغْزُو مدينةَ قَيْصَر مغفورٌ لهم »[5] . وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله ﷺ في منامه عند أمِّ حرام ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنتِ منَ الأوَّلين » . يعني : جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان ، وكانت معهم أمُّ حرام فماتت هنالك بقبرص ، ثم كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ، ولم تدرك أمُّ حرام جيش يزيد هذا . وهذا من أعظم دلائل النبوة .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر هاهنا الحديث الذي رواه محاضر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن[6] عَبِيدة ، عن عبد الله : أن رسول الله ﷺ قال : « خيرُ النّاسِ قَرْني ، ثمَّ الذينَ يلُونَهُمْ ، ثمَّ الذينَ يلُونَهُمْ »[7] .

وكذلك رواه عبد الله بن شَقيق[8] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ مثله .

---

(١) سقط من المطبوع .
(٢) كذا في ب ومثله في مختصر تاريخ دمشق . والذي في أ ، ط : علماء .
(٣) الخبر والبيت في مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣) .
(٤) في تاريخه (ص٢١١) .
(٥) أخرجه البخاري في الجهاد : ٩٣ برقم (٢٩٢٤) . وقد تقدم في أول هذا الجزء .
(٦) تحرفت في أ ، ط إلى : بن .
(٧) تمامه : « ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » . وقد أخرجه البخاري : من طريق أخرى عن الأعمش رقم (٦٤٢٩) ، ومسلم (٢٥٣٣) من طريق أخرى عن منصور في فضائل الصحابة .
(٨) تحرف في المطبوع إلى : شفيق .

ثم أورد من طريق حمّاد بن سلمة ، عن أبي محمد ، عن زُرارة بن أوفى قال : القرن عشرون ومئة سنة ، فبُعث رسول الله ﷺ في قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية .

قال أبو بكر بن عياش : حج بالناس يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين ، واثنتين وخمسين ، وثلاث وخمسين .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أبو كُريب ، حدّثنا رشدين [عن] عمرو بن الحارث ، عن بُكير[١] بن الأَشَج : أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلاً إن وليت ؟ قال : يمتِّع الله بك يا أمير المؤمنين ! قال : لتخبرنِّي ، قال : كنتُ ـ والله يا أبة ـ عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني ! والله لقد جهدتُ على سيرة عثمان بن عفان فما أطقتها ، فكيف بك وسيرة عمر[٢] ؟!

وقال الواقدي : حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى قال : قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت : يا يزيد ! اتقِ الله فقد وطّأتُ لك هذا الأمر ، ووليت من ذلك ما وليت ، فإن يك خيراً فأنا أسعد به ، وإن كان غير ذلك شقيت به ، فارفُق بالناس ، وأغمض عما بلغك من قول تؤذى به وتنتقص به ، وطَأْ عليه يهنك عيشُك ، وتصلح لك رعيتُك ، وإياك والمناقشةَ وحملَ الغضب ، فإنك تهلك نفسك ورعيَّتك ، وإياك وجفوة[٣] أهل الشرف واستهانتهم والتكبُّر عليهم ، ولِنْ لهم ليناً لا يري منك ضعفاً ولا خَوَراً ، وأوطئهم فراشَك ، وقرِّبهم إليك ، وأدنِهم منك ، فإنهم يعلمون لك حقَّك ، ولا تُهنهم ولا تستخفَّ بحقهم فيهينوك ويستخفُّوا بحقك ويقعوا فيك . فإذا أردتَ أمراً فادع أهل السِّنِّ والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى ، فشاورْهم ولا تخالفهم . وإياك والاستبدادَ برأيك ، فإن الرأي ليس في صدر واحد ، وصدِّقْ من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف ، واخزُن ذلك عن نسائك وخدمك ، وشمِّر إزارك ، وتعاهد جندَك ، وأصلح نفسك يصلُحْ لك الناس ، لا تدع لهم فيك مقالاً ، فإن الناس سراع إلى الشرّ . واحضُر الصلاة ، فإنك إذا فعلتَ ما أوصيك به عرف الناس لك حقَّك ، وعظمتْ مملكتُك ، وعظمتَ في أعين الناس . واعرف شرف أهل المدينة ومكة ، فإنهم أصلُك وعشيرتُك . واحفظ لأهل الشام شرفهم ، فإنهم [أنصارُك وحُماتُك وجندُك الذين بهم تصل إلى][٤] أهل طاعتك . واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعِدُهم فيه منك بالمعروف ، فإن ذلك يبسط آمالهم . وإن وفد عليك وافد من الكُوَر كلها فأحسِن إليهم ، وأكرمهم فإنهم

---

(١) في المطبوع : عن أبي بكير وفي ب عن بكر وكلاهما خطأ . وبكير بن الأشج : هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي . من رجال التهذيب .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥) .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : خيرة .

(٤) سقط من ط .

لمن وراءهم . ولا تسمعن قول قاذف ولا ما حل[١] ، فإني رأيتهم وزراء سَوء[٢]

ومن وجه آخر : أن معاوية قال ليزيد : إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه ، قال : ومن هو ؟ قال : عبد الله بن جعفر . فلمّا وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيه إياها ، وكانت جائزته على معاوية ستمئة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، فأعطاه ألف ألف أخرى ، فقال له ابن جعفر : والله لا أجمع أبويَّ لأحد بعدك . ولمّا خرج ابن جعفر من عند يزيد ـ وقد أعطاه ألفي ألف ـ رأى على باب يزيد بَخَاتيَّ[٣] مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان ، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد ، فسأله منها ثلاث بَخاتي ليركب عليها إلى الحج والعمرة وإذا وفد إليه ، فقال يزيد للحاجب : ما هذه البَخاتي التي على الباب ؟ ـ ولم يكن شعر بها ـ فقال : يا أمير المؤمنين ! هي أربعمئة بُخْتيَّة جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألطاف ـ وكان عليها أنواع من الأموال كلها ـ فقال : اصرِفْها إلى أبي جعفر بما عليها . فكان عبد الله بن جعفر يقول : أتلومونني على حسن الرأي في هذا ؟! يعني : يزيد[٤] .

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحِلْم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك . وكان ذا جمال ، حسن المعاشرة . وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا حَيْوَة ، حدّثني بشير بن أبي عمرو الخَوْلاني : أن الوليد بن قيس حدَّثه : أنه سمع أبا سعيد الخُدْري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكونُ خلفٌ من بعدِ ستِّينَ سنةً أضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبعُوا الشَّهواتِ فسوفَ يلْقَوْنَ غَيّاً[٥] ، ثم يكون خلفٌ يقرؤُونَ القرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيَهُمْ . ويقرأُ القرآنَ ثلاثة : مؤمنٌ ، ومنافقٌ ، وفاجرٌ » . [قال بشير][٦] : فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ فقال : المنافقُ كافرٌ به ، والفاجرُ يتأكَّلُ به ، والمؤمنُ يؤمنُ به . تفرَّد به أحمد[٧] .

---

(١) « الماحل » : الماكر .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٦) .
(٣) « البخاتي » : جمال طوال الأعناق خراسانية . يقال : جمل بُختي ، وناقة بُختية .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٦ ـ ٢٧) .
(٥) وقعت هذه اللفظة في المطبوع : عياً ثم شرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : عياً : كللاً وتعباً وضلال . قلت : لا يخفى على متعلم أن لفظ هذه العبارة متفق مع الآية ٥٩ من سورة مريم ، وقد قال المفسرون : « الغي » : واد ـ أو نهر ـ في جهنم أعده الله للغاوين . كما قيل : معناه : فسوف يلقون مجازاة غيهم . اللسان : مادة (غوي) .
(٦) سقط من المطبوع .
(٧) وهو في مسنده (٣/ ٣٨ ـ ٣٩) وأخرجه ابن حبان رقم (٧٥٥) والحاكم (٢/ ٣٧٤) وهو حديث حسن .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدّثنا زهير بن حرب ، حدّثنا الفضل بن دُكين ، حدّثنا كامل أبو العلاء ، سمعت أبا صالح ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « تعوَّذُوا باللهِ من سنةِ سَبْعين ، ومن إمارَةِ الصِّبْيان »[١] .

وروى الزبير بن بكار ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل : أنه قال في يزيد بن معاوية :

لستَ منَّا وليسَ خالُكَ منّا يا مُضِيعَ الصَّلاةِ للشَّهَواتِ[٢]

قال : وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار ، ويعرف بموسى شهوات .

وروي عن عبد الله بن الزبير : أنه سمع جارية له تغني بهذا البيت ، فضربها وقال : قولي :

أنتَ منَّا وليسَ خالُكَ منّا يا مُضِيعَ الصَّلاةِ للشَّهَواتِ

وقال الحافظ أبو يعلى : حدّثنا الحكم بن موسى ، حدّثنا يحيى بن حمزة ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي عبيدة : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال أمرُ أمَّتي قائماً بالقسط حتى يثلِمَه رجل من بني أميَّة يقال له : يزيد » . وهذا منقطع بين مكحول وأبي عبيدة ، بل معضل .

وقد رواه ابن عساكر من طريق صَدَقة بن عبد الله الدمشقي ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخُشني ، عن أبي عبيدة ، عن رسول الله ﷺ قال : « لا يزالُ أمرُ هذه الأمَّة قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلِمُه رجل من بني أميَّة يقال له : يزيد » . ثم قال : وهو منقطع أيضاً بين مكحول وأبي ثعلبة .

وقال أبو يعلى : حدّثنا عثمان بن أبي شَيبة ، حدّثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن عوف ، عن خالد بن أبي المهاجر ، عن أبي العالية قال : كنّا مع أبي ذرٍّ بالشام ، فقال أبو ذرّ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أولُ من يغيِّر سنَّتي رجلٌ من بني أميَّة » .

ورواه ابن خزيمة ، عن بُنْدار ، عن عبد الوهاب بن عبد المجيد ، عن عوف : حدّثنا مهاجر بن أبي مخلد ، حدّثني أبو العالية ، حدّثني أبو مسلم ، عن أبي ذرّ . . فذكر نحوه . وفيه قصة وهي : أن أبا ذرٍّ كان في غزاة عليهم يزيدُ بن أبي سفيان ، فاغتصب يزيدُ من رجل جارية ، فاستعان الرجل بأبي ذرٍّ على يزيد أن يردَّها عليه ، فأمره أبو ذرٍّ أن يردَّها عليه ، فتلكَّأ ، فذكر أبو ذرٍّ له الحديث ، فردَّها ، وقال يزيد لأبي ذرّ : نشدتك بالله أهو أنا ؟ قال : لا .

---

(١) ورواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٦) وإسناده ضعيف .
(٢) البيت مع بيت آخر في الأخبار الطوال (ص٢٦٥) .

وكذا رواه البخاري في « التاريخ » ، وأبو يعلى عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب . ثم قال البخاري : والحديث معلول ، ولا يعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . قال : وقد مات يزيد بن أبي سفيان زمن عمر ، فولّى مكانه أخاه معاوية . وقال عباس الدوري : سألت ابن مَعين : أسمع أبو العالية من أبي ذر ؟ قال : لا ، إنما يروي عن أبي مسلم عنه ، قلت : فمن أبو مسلم هذا ؟ قال : لا أدري .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلُّها موضوعة لا يصح شيء منها ، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه ، والله أعلم .

قال الحارث بن مسكين : عن سفيان ، عن شَبيب بن غَرْقدة ، عن المستظل[١] قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد علمتُ ـ وربِّ الكعبة ـ متى تهلكُ العرب ، إذا ساسَهم من لم يدرك الجاهليَّة ولم يكن له قدم في الإسلام .

قلت : يزيد بن معاوية أكثر مانُقم عليه في عمله شربُ الخمر وإتيان بعض الفواحش ، فأما قتل الحسين فإنه ـ كما قال جده أبو سفيان يوم أحد ـ لم يأمر بذلك ولم يسؤه . وقد قدَّمنا أنه قال : لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مَرْجانة ـ يعني : عبيد الله بن زياد ـ وقال للرسل الذين جاؤوا برأسه : قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا . ولم يعطهم شيئاً ، وأكرم آل بيت الحسين ، وردَّ عليهم جميع ما فُقد لهم وأضعافه ، وردَّهم إلى المدينة في محامل وأُبهة عظيمة ، وقد ناح أهله في منزله على الحسين ـ حين كان أهل الحسين عندهم ـ ثلاثة أيام . وقد قيل : إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ، ثم ندم على ذلك . فقال أبو عبيدة مَعْمر بن المثنى : إن يونس بن حبيب الجَرْمي حدثه قال : لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤوسهم إلى يزيد ، فسُرَّ بقتلهم أولاً ، وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم ، فكان يقول : وما كان عليَّ لو احتملتُ الأذى وأنزلته في داري ، وحكمته فيما يريده ، وإن كان عليَّ في ذلك وَكَفٌ[٢] ووهن في سلطاني حفظاً لرسول الله ﷺ ورعايةً لحقِّه وقرابته ؟! ثم يقول : لعن الله ابن مَرْجانة ، فإنه أحرجه واضطرَّه ، وقد كان سأله أن يخلي سبيله ، أو يأتيني ، أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبغَّضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البَرُّ والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً . مالي ولابن مَرْجانة ؟! لعنه الله وغضب عليه .

---

(١) تحرف هذا السند في الأصول إلى : ... عن شبيب ، عن عرقدة بن المستظل . الجرح والتعديل (٤/ ٣٥٧) و(٨/ ٤٢٩) ، وتهذيب الكمال (١٢/ ٣٧٠) .

(٢) « الوكف » : الإثم .

ولما خرج أهل المدينة عن طاعة يزيد وخلعوه وولَّوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يذكروا عنه ـ وهم أشد الناس عداوة له ـ إلا ما ذكروه عنه من شربه الخمر وإتيانه بعض القاذورات . لم يتَّهموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسقاً ، والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة [ووقوع الهَرْج كما وقع زمن الحرَّة ، فإنه بعث إليهم من يردهم إلى الطاعة ، وأنظرَهم ثلاثة أيام ، فلما لم يرجعوا قاتلهم][١] . وقد كان في قتال أهل الحرَّة كفاية ، ولكنه تجاوز الحدَّ بإباحة المدينة ثلاثة أيام ، فوقع بسبب ذلك شرٌّ عظيم كما قدّمنا .

وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات من أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد ، ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد . قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا إسماعيل بن عليَّة ، حدّثني صخر بن جويرية ، عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابنُ عمر بنيه وأهلَه ، ثم تشهَّد ، ثم قال : أما بعد ، فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الغادرَ يُنْصَبُ لهُ لواءٌ يومَ القيامةِ يُقال : هٰذه غَدْرَةُ فلان » وإن من أعظم الغدر ـ إلا أن يكون الإشراك بالله ـ أن يبايعَ رجلٌ رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكثَ بيعتَه ، فلايخلعن أحدٌ منكم يزيد ، ولا يسرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون الصَّيْلَم[٣] بيني وبينه .

وقد رواه[٤] مسلم[٥] والترمذي[٦] من حديث صخر بن جُويرية . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، عن صخر بن جُويرية ، عن نافع ، عن ابن عمر . . فذكر مثله[٧] .

ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد ابن الحنفيَّة ، فأرادوه

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ .
(٢) مسند أحمد (٢/ ٤٨) .
(٣) كذا وردت هذه اللفظة في أ ، ب ، وهي كذلك في مسند أحمد . ووقعت في المطبوع : الفيصل ثم شرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : الفيصل : من أسماء السيف .
قلت : كلا اللفظين ـ الفيصل والصيلم ـ بمعنى واحد ، وهو القطيعة التامة أو المنكرة ، كما شرحه ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٩ ، ٤٥٢) .
(٤) يعني متن الحديث الوارد خلال كلام نافع .
(٥) برقم (١٧٣٥) في الجهاد والسير : باب تحريم الغدر .
(٦) برقم (١٥٨١) في السير : باب ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة ورواه البخاري رقم (٧١١١) من طريق أيوب عن نافع به .
(٧) ورد في هامش النسخة أ ما نصه : ورواه البخاري في كتاب الفتن (٧١١١) عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع . . . بنحوه .

على خلع يزيد ، فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدّى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة ، متحرِّياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة . قالوا : فإن ذلك كان منه تصنُّعاً لك . فقال : وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر لي الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] ولست من أمركم في شيء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحلُّ القتال على ماتريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : قد قاتلت مع أبيك ! قال : جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنيك أبا هاشم[1] والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحضُّ الناس فيه على القتال . قال : سبحان الله ! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه ؟! إذاً ما نصحت لله في عباده . قالوا : إذاً نكرهك . قال : إذاً آمر الناس بتقوى الله ، وألا يُرضوا المخلوق بسخط الخالق . وخرج إلى مكة .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا مصعب الزّبيري ، حدّثنا ابن أبي حازم ، عن هشام ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن ابن عمر دخل ـ وهو معه ـ على ابن مطيع ، فلما دخل عليه قال : مرحباً بأبي عبد الرحمن ، ضعوا له وسادة . فقال : إنما جئتك لأحدِّثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ نَزَعَ يَداً مِنْ طاعةٍ فإنَّهُ يأتي يومَ القيامَةِ لا حُجَّةَ له ، ومَنْ مَاتَ مُفارقَ الجماعةِ فإنَّهُ يموتُ ميتةً جاهليَّة » .

وهكذا رواه مسلم[2] من حديث هشام بن سعد ، عن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر به . وتابعه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه .

وقد رواه الليث ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر . . . فذكره .

وقال أبو جعفر الباقر : لم يخرج أحدٌ من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرَّة ، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرم أبي ، وأدنى مجلسه ، وأعطاه كتاب أمان .

وروى المدائني : أن مسلم بن عقبة بعث رَوْح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرَّة ، فلما أخبره بما وقع قال : واقوماه ، ثم دعا الضحاك بن قيس الفِهْري فقال له : ترى ما لقي أهل المدينة ، فما الذي يجبرهم ؟ قال : الطعام والأعطية ، فأمر بحمل الطعام إليهم ، وأفاض عليهم أعطيته .

---

(١) وقع في أ ، ط : أبا القاسم وهو خطأ .
(٢) برقم (١٨٥١) (٥٨) في الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

وهذا خلاف ما ذكره كذَبة الروافض عنه من أنه شَمِت بهم ، واشتفى بقتلهم ، وأنه أنشد ذاكراً وآثراً شعر ابن الزِّبعرى المتقدم ذكره .

وقال أبو بكر محمد بن خلف بن المَرْزبان بن بسام : حدّثني محمد بن القاسم ، سمعت الأصمعي يقول : سمعت هارون الرشيد ينشد ليزيد بن معاوية :

إنَّها بينَ عامرِ بنِ لُؤَيٍّ ... حينَ تَنْمي وبينَ عبدِ مَنَافِ
ولهَا في الطَّيِّبينَ جدودٌ ... ثمَّ نالتْ مكارمَ الأخلافِ
بنت عمِّ النَّبيِّ أكرم مَنْ يَمْـ ... ـشي بنعلٍ على التُّرابِ وحافي
لَنْ تراها علَى التبدُّلِ والغِلْـ ... ـظةِ إلَّا كَدُرَّةِ الأَصْدافِ

وقال الزبير بن بكار : أنشدني عمي مصعب ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان :

آبَ هٰذا الهمُّ فاكْتَنَعَا[1] ... ثمَّ مرَّ النَّومُ فامْتَنَعَا
راعِياً للنَّجمِ أَرْقُبُهُ ... فإذَا ماكوكبٌ طَلَعا
حامَ حتَّى إنَّني لأَرىٰ ... أنَّهُ بالغَوْرِ قَدْ وَقَعا
ولهَا بالماطِرونِ[2] إذا ... أكلَ النَّملُ الذي جَمَعا
نُزْهَةٌ حتَّى إذا بَلَغتْ ... نَزَلَتْ من جِلَّقٍ[3] بِيَعَا
في قبابٍ وَسْطَ دَسْكَرةٍ[4] ... حولَها الزَّيتونُ قد يَنَعا[5]

[ومن شعره :

وقائلةٍ لي حينَ شبَّهْتُ وجهَها ... ببدر الدُّجىٰ يوماً وقد ضاقَ مَنْهَجي
تُشبِّهُني بالبدرِ هٰذا تناقصٌ ... بقَدْري ولكنْ لستُ أوَّلَ مَنْ هُجي
ألمْ تَرَ أنَّ البدرَ عند كمالِهِ ... إذا بلغَ التَّشبيه عادَ كدُمْلجي[6]

---

(١) تحرفت هذه اللفظة في المطبوع إلى : فاكتنفا وشرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية على ذلك .
قلت : البيت من شواهد اللسان : مادة (كنع) . وقوله : اكتنع ، يعني : حضر .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : بالمطارونَ وقال محققو طبعة دار الكتب العلمية : المطارون : موضع بالشام .
قلت : ليس هنالك موضع اسمه المطارون ، لكن الصحيح ما أثبتناه في النسختين آ و ب ، وقد أورده ياقوت في معجمه (٥/ ٤٢) وقال : موضع بالشام قرب دمشق ، ومن شروطه أن يلزم الواو وتعرب نونه . ثم ذكر الأبيات .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : خلق .

(٤) « الدسكرة » : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(٥) الأبيات في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣٣٢) وقد أورد الجَريري ثلاثة منها في الجليس الصالح (١/ ٢٧٨) .

(٦) « الدملج » : العقد .

فلا فخرَ إنْ شبَّهْتَ بالبدرِ مَبْسَمي وبالسِّحرِ أَجْفاني وباللّيلِ مَدْعجي [(١)]

وقد ذكر الزبير بن بكّار ، عن أبي محمد الجزري قال : كانت بالمدينة جارية مغنِّية يقال لها سلاّمة ، من أحسن النساء وجهاً ، وأتمهنَّ عقلاً ، وأحسنهنَّ قدّاً ، قد قرأت القرآن ، وروت الشعر وقالته ، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها . فعلقت الأحوص ، وصدَّت عن عبد الرحمن ، فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، فامتدحه ودلَّه على سلاّمة وجمالها وحسنها وفصاحتها . وقال : لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين ، وأن تكون من سمّارك ، فأرسل يزيد ، فاشتُريت له وحُملت إليه ، فوقعت منه موقعاً عظيماً ، وفضَّلها على جميع من عنده . ورجع عبد الرحمن إلى المدينة فمرَّ بالأحوص فوجده مهموماً ، فأراد أن يزيده إلى مابه من الهم همّاً فقال :

يا مُبْتَلى بالحبِّ مَقْروحا لاقىٰ مِنَ الحبِّ تباريحا
أفحمَهُ الحبُّ فما يَنْثَني إلَّا بكأسِ الحبِّ مَصْبُوحا
وصارَ ما يُعْجِبُهُ مُغْلَقاً عنهُ وما يَكْرَهُ مَفْتُوحا
قد حازَها مَنْ أصبحتْ عندَهُ ينالُ منها الشَّمَّ والرِّيحا
خليفةُ اللهِ فسَلِّ الهوىٰ وعَزِّ قلباً منكَ مَجْروحا

قال : فأمسك الأحوص عن جوابه ، ثم غلبه وجدُه عليها ، فسار إلى يزيد ، فامتدحه ، فأكرمه يزيد وحظي عنده ، فدسَّت إليه سلاّمة خادماً وأعطته مالاً على أن يدخله عليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلك ، فقال : امض لرسالتها ، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد في مكان يراهما ولا يريانه ، فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فأُلقي له كرسي فقعد عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه إليه ، فلم يزالا يتحدثان إلى السَّحر ، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما ريبة ، حتى إذا همَّ الأحوص بالخروج قال :

أمسىٰ فُؤادي في همٍّ وبَلْبالِ مِنْ حبِّ مَنْ لمْ أزلْ منهُ على بالِ

فقالت :

صَحَا المحبُّونَ بعدَ النَّأيِ إذ يَئِسُوا وقد يَئِسْتُ وما أَصْحُو على حالِ

فقال :

مَنْ كانَ يَسْلُو بيأسٍ عَنْ أخي ثِقَةٍ فعنكِ سلاَّمُ ما أمسَيتُ بالسَّالي

فقالت :

---

(١) سقطت هذه الأبيات من النسخة ب .

واللهِ واللهِ لا أنساكَ يا شَجَني حتَّى تفارقَ منِّي الرُّوحُ أوصَالي

فقال :

واللهِ ما خابَ مَنْ أمسىٰ وأنتِ لهُ يا قرَّةَ العينِ في أهلٍ وفي مالِ

قال : ثم ودَّعها وخرج ، فأخذه يزيد ودعا بها فقال : أخبراني عما كان في ليلتكما واصدقاني . فأخبراه وأنشداه ما قالا ، فلم يحرِّفا منه حرفاً ، ولا غيَّرا شيئاً مما سمعه ، فقال لها يزيد : أتحبينه ؟ قالت : إي والله يا أمير المؤمنين !

حبّاً شَديداً جرىٰ كالرُّوحِ في جَسَدي فهَلْ يفرِّقُ بينَ الرُّوحِ والجَسَد

فقال له : أتحبها ؟ فقال : إي والله يا أمير المؤمنين !

حبّاً شَديداً تَلِيداً غيرَ مطَّرِفِ بينَ الجوانحِ مثلَ النَّارِ يَضْطَرِمُ

فقال يزيد : إنكما لتصفان حباً شديداً ، خذها يا أحوص فهي لك ، ووصله صلة سنية . فرجع بها الأحوص إلى الحجاز وهو قرير العين[١] .

[وقد روي أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصَّيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً ، وكان يشدُّ القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويُلبس القرود قلانس الذهب وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرد حزن عليه . وقيل : إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقِّزها فعضَّته . وذكروا عنه غير ذلك ، والله أعلم بصحة ذلك][٢]

وقال عبد الرحمن بن أبي مذعور : حدّثني بعض أهل العلم قال : آخر ما تكلَّم به يزيد بن معاوية : اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ولم أرده ، واحكُم بيني وبين عبيد الله بن زياد .

وكان نقش خاتمه : آمنت بالله العظيم .

مات يزيد بحوَّارين ـ من قرى دمشق ـ في رابع عشر ربيع الأول ، وقيل : يوم الخميس للنصف منه ، سنة أربع وستين . وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين . وكان مولده في سنة خمس ـ وقيل : سنة ست ، وقيل : سبع ـ وعشرين . ومع هذا فقد اختلف في سنِّه ومبلغ أيامه في الإمارة على أقوال كثيرة ، وإذا تأمّلت ماذكرته لك من هذه التحديدات انزاح عنك الإشكال من هذا الخلاف ، فإن منهم

---

(١) الخبر مطولاً في الأغاني (٩/ ١٣٣ ـ ١٣٦) وتاريخ دمشق جزء تراجم النساء (ص١٨٣ ـ ١٨٦) وهو ـ كما يرى الأصفهاني ـ موضوع .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

من قال : جاوز الأربعين حين مات ، فالله أعلم . ثم حُمل بعد موته إلى دمشق ، وصلَّى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفي أيامه وسِّع النهر المسمَّى بيزيد في ذيل جبل قاسيون ، وكان جدولًا صغيراً فوسَّعه أضعاف ماكان يجري فيه من الماء .

وقال ابن عساكر : حدّثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفّر العبدي ـ قاضي البحرين ـ من لفظه وكتبه لي بخطّه قال : رأيت يزيد بن معاوية في النوم ، فقلت له : أنت قتلتَ الحسين ؟ فقال : لا . فقلت له : هل غفر الله لك ؟ قال : نعم ، وأدخلني الجنة . قلت : فالحديث الذي يروى : أن رسول الله ﷺ رأى معاوية يحمل يزيد فقال : « رجلٌ مِنْ أهلِ الجنَّةِ يحملُ رجلاً منْ أهلِ النَّار » ؟ فقال : ليس بصحيح . قال ابن عساكر : وهو كما قال ، فإن يزيد بن معاوية لم يولد في حياة النبي ﷺ وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة .

وقال أبو جعفر بن جرير :

ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

فمنهم : معاوية بن يزيد بن معاوية ، يكنى أبا ليلى ، وهو الذي يقول فيه الشاعر[١] :

إنِّـي أرىٰ فتنـةً قَـدْ حـانَ أوَّلُهـا والملكُ بعدَ أبي لَيْلىٰ لِمَنْ غَلَبا

وخالد بن يزيد ، يكنى أبا هاشم ، كان يقول : إنه أصاب علم الكيمياء ، وأبو سفيان ، وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم ، وهي التي يقول فيها الشاعر :

اِنْعَمـي أمَّ خـالـدِ رُبَّ سَـاعٍ كقَـاعِـدِ

وعبد الله[٢] بن يزيد ـ ويقال له : الأُسْوار[٣] ـ كان من أرمى العرب ، وأمُّه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر . وهو الذي يقول فيه الشاعر :

زعمَ النّاسُ أنَّ خيرَ قريشٍ كلِّهمْ حينَ يُذكرُ الأُسْوارُ

---

(١) هو أزنم الفزاري ، كما سيأتي قريباً .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : عبد العزيز . ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ١٣٤) .
(٣) « الأسوار والإسوار » : هو الجيد الرمي بالسهام . وقد لقب عبد الله بذلك لجودة رميه .

وعبد الله الأصغر [وعمر][١] وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ، لأمهات أولاد شتى[٢] . [ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان . فهؤلاء خمسة عشر ذكراً . وكان له من البنات : عاتكة ، ورَمْلة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد . فهؤلاء خمس بنات . وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب ، والله سبحانه أعلم][٣] .

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية[٤]

أبي عبد الرحمن ـ ويقال : أبو يزيد ، ويقال : أبو ليلى[٥] ـ القرشي الأموي . وأمُّه : أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة .

بويع له بعد موت أبيه ـ وكان وليّ عهده من بعده ـ في رابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين . وكان رجلاً صالحاً ناسكاً . ولم تطل مدَّته ، قيل : إنه مكث أربعين يوماً . وقيل : عشرين يوماً . وقيل: شهرين. وقيل : شهراً ونصف شهر . وقيل : ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . وقيل : أربعة أشهر. فالله أعلم.

وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس ، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلِّي بالناس ويسد الأمور .

ثم مات معاوية بن يزيد هذا عن إحدى وعشرين ـ وقيل : ثلاث وعشرين ـ سنة وثمانية عشر يوماً ، وقيل : تسع عشرة سنة ، وقيل : عشرين ، وقيل : ثلاث وعشرين ، وقيل : إنما عاش ثماني عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة . فالله أعلم . وصلَّى عليه أخوه خالد ، وقيل : عثمان بن عَنْبسة ، وقيل : الوليد بن عتبة ، وهذا هو الصحيح ، فإنه أوصى إليه بذلك . وشهد دفنه مروان بن الحكم . وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلِّي بالناس بعده حتى استقر الأمر لمروان بالشام . ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق . ولما حضرته الوفاة قيل له : ألا توصي ؟ فقال : لا أتزود مرارتها لآخرتي ، وأترك حلاوتها لبني أمية .

---

(١) زيادة من تاريخ الطبري .

(٢) هنا ينتهي كلام ابن جرير كما في تاريخه (٥/ ٥٠٠) وأيضاً الكامل لابن الأثير (٤/ ١٢٥) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٤) نسب قريش (١٢٨) المعارف (٣٥٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٣٥٨) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠١) مروج الذهب (٣/ ٨٢) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٩٥/ ب) الكامل لابن الأثير (٤/ ١٢٩) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٠) تاريخ الإسلام (٣/ ٨٣) العبر (١/ ٦٩) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٩) النجوم الزاهرة (١/ ١٦٣) تاريخ الخلفاء (٣٣٤) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) .

(٥) في المطبوع : أبو يعلى ، تحريف .

وكان ـ رحمه الله ـ أبيض شديد البياض ، كثير الشعر ، كبير العينين ، جعد الشعر ، أقنى الأنف ، مدور الرأس ، جميل الوجه دقيقه ، حسن الجسم .

قال أبو زرعة الدمشقي : معاوية ، وعبد الرحمن ، وخالد : إخوة ، وكانوا من صالحي القوم[١] .

وقال فيه بعض الشعراء ـ وهو عبد الله بن همّام السَّلولي :

تلقّاها يزيدٌ عَنْ أبيهِ ... فدُونَكَها مُعاويَ[٢] عن يَزيدَا
أَدِيرُوها بَني حَرْبٍ عليكُمْ ... ولا ترمُوا بها الغَرَضَ البَعيدَا[٣]

ويروى : أن معاوية بن يزيد هذا نادى في الناس : الصلاة جامعة ، ذات يوم ، فاجتمع الناس ، فقال لهم فيما قال : يا أيها الناس ! إني قد وليتُ أمركم وأنا ضعيف عنه ، فإن أحببتم تركتها لرجل قويٍّ كما تركها الصدِّيق لعمر ، وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لذلك ، وقد تركت لكم أمركم فولُّوا عليكم من يصلح لكم ، ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى . فيقال : إن سُقي ، ويقال : إنه طُعن .

ولما دفن حضر مروان دفنه ، فلما فرغ منه قال مروان : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم ، معاوية بن يزيد ، فقال مروان : هو أبو ليلى الذي قال فيه أزنم[٤] الفزاري :

إنِّي أرىٰ فتنةً تَغْلي مَراجِلُها ... والملكُ بعدَ أَبي ليلىٰ لمَنْ غَلَبا[٥]

قالوا : فكان كما قال ، وذلك أن أبا ليلى توفي من غير عهد منه إلى أحد ، فتغلَّب على الحجاز عبد الله بن الزبير ، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم ، وبايع أهل خراسان سَلْم بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة ، وسار فيهم سَلْم سيرة حسنة أحبُّوه عليها ، ثم أخرجوه من بين أظهرهم . وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق ، وطردوا عنهم عبيد الله بن زياد بعدما كانوا بايعوه عليهم حتى يصير للنَّاس إمام ، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها ، وقد بايعوا بعده عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف ببَبَّة ، وأمه : هند بنت أبي سفيان ، وقد جعل على شرطة البصرة هميان بن عدي

---

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٣٥٨) .
(٢) في المطبوع : معاوية . ولا يستقيم بها الوزن .
(٣) البيتان من قصيدة لعبد الله بن همام أوردها ابن سلام الجمحي في الطبقات (٢/ ٦٢٨) . وأيضاً في نسب قريش (١٢٩) ومروج الذهب (٣/ ٦٣) ومختصر تاريخ دمشق (١٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧) و (٢٥/ ١١٠) .
(٤) تحرف في المطبوع إلى : أرثم .
(٥) الخبر والشعر أورده ابن سعد في طبقاته (٥/ ٣٩) ونقله عنه ابن عساكر ، مختصره (٤/ ٢٤٧) .

السدوسي ، فبايعه الناس في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين . وقد قال الفرزدق[(١)] في ذلك :

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعَهْدِهم … وبَبَّــة قــد بــايعتُــهُ غيــرَ نــادِمِ

فأقام فيهم أربعة أشهر ثم لزم بيته ، فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب ابنُ الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلِّي بهم شهرين ، ثم كان ماسنذكره . وخرج نَجْدة بن عامر الحنفي باليمامة ، وخرج بنو ماحور في الأهواز وفارس ، وغير ذلك على ماسيأتي تفصيله .

إمارة عبد الله بن الزُّبير[(٢)]
وعند ابن حَزْم وطائفة أنه أمير المؤمنين آنذاك

قد قدَّمنا أنه لما مات يزيد أقلع الجيش عن مكة ، وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير ، وهو عائذ بالبيت ، فلما رجع حُصَين بن نُمَير السَّكُوني بالجيش إلى الشام استفحل أمر ابن الزبير بالحجاز وما والاها ، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة عامة هنالك ، واستناب على أهل المدينة أخاه عُبيد الله بن الزُّبير ، وأمره بإجلاء بني أمية منها ، فأجلاهم ، فرحلوا إلى الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك .

ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير ـ بعد حروب جرت بينهم وفتن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ثم تضطرب أمورهم ـ ثم بعثوا إلى ابن الزبير وهو بمكة يخطبونه لأنفسهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلِّي بهم .

[ويقال : إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن ، فقال الناس : هذا أمر فيه صعوبة . وبايعه عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن علي بن أبي طالب ، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفيّة وابن عباس ليبايعوا فأبَوا عليه . وبُويع في رجب بعد أن أقام الناس ثلاثة أشهر بلا إمام][(٣)] .

وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبد الله[(٤)] بن يزيد الأنصاري على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن

---

(١) البيت ليس في ديوانه ، لكن نسب إليه في سفر السعادة (١/ ١١٢) والنقائض (٢/ ٢٧٢) ونسب في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٥ و ٧/ ١٠١) إلى سحيم بن وثيل اليربوعي ، وروايته فيه :

بايعت أيقاظاً فأوفيت بيعتي … وبَبَّة قد بايعته وهو نائم

(٢) وستأتي ترجمته في أوائل الجزء اللاحق إن شاء الله تعالى .

(٣) ما بين حاصرتين من ط فقط .

(٤) في ط : عبد الرحمن . وهو خطأ .

طلحة بن عبيد الله على الخَرَاج ، واسْتوسَقَ[١] له المصران جميعاً . وأرسل إلى أهل مصر فبايعوه ، واستناب عليها عبد الرحمن بن جَحْدَر ، وأطاعت له الجزيرة وبلاد الشام سوى دمشق وأعمالها من الأردن فإنهم بايعوا لمروان بن الحكم .

ولما رجع الحُصين بن نُمير من مكة إلى الشام كان قد التفَّ على عبد الله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه ، منهم : نافع بن الأزرق ، وعبد الله بن إباض ، وجماعة من رؤوسهم . فلما استقرَّ أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم : إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيه في عثمان بن عفان ـ وكانوا يبغضون عثمان ـ فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان ، فأجابهم فيه بما يَسُوءُهم ، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الإيمان والتصديق والعدل والإحسان والسِّيرة الحسنة والرجوع إلى الحق إذا تبيَّن له . فعند ذلك نفروا عنه ، وفارقوه ، وقصدوا بلاد العراق وخراسان ، فتفرقوا فيها بأبدانهم ، وأديانهم ، ومذاهبهم ، ومسالكهم المختلفة المنتشرة التي لا تنضبط ولا تنحصر ، لأنها مفرعة على الجهل ، وقوة النفس ، والاعتقاد الفاسد . ومع هذا استحوَذوا على كثير من البلدان والكُوَر ، حتى انتُزعت منهم بعد ذلك على ماسنذكره فيما بعد إن شاء الله .

ذكر بيعة مروان بن الحكم[٢]

وكان سبب ذلك أن حُصَين بن نُمَير لما رجع من أرض الحجاز ، وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ، وانتقلت بنو أميَّة من المدينة إلى الشام ، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ، وقد كان عزَم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق ، وقد بايع أهلها الضحَّاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على إمام ، والضحاك يريد أن يبايع لابن الزبير . وقد بايع لا بن الزبير النُّعمان بن بشير بحمص ، وبايع له زُفَر بن عبد الله الكِلابي بقِنَّسْرين[٣] ، وبايع له ناتل[٤] بن قيس بفلسطين وأخرج منها رَوْح بن زنباع الجُذَامي . فلم يزل عبيد الله بن زياد والحُصَين بن نُمير بمروان بن الحكم حتى ثنياه عن رأيه ، وحذراه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام ، وقالا له : أنت شيخ قريش وسيِّدُها ، فأنت أحقُّ بهذا الأمر . [فرجع عن البيعة لابن الزبير . وخاف ابن زياد الهلاك إن تولَّى غير بني أمية ، فعند ذلك][٥] التفَّ هؤلاء كلُّهم مع قومه بني أمية ومع أهل اليمن على مروان ، فوافقهم على ماأرادوا ، وجعل يقول : ما فات شيء .

---

(١) « استوسق » : انضم وأطاع .

(٢) وستأتي ترجمته لاحقاً .

(٣) « قنسرين » : بلدة قريبة من حلب .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : نائل ، وفي ب إلى : بابل وما أثبتناه من ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٩٦) وغيره .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ب .

وكتب حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي إلى الضحّاك بن قيس يثنيه عن المبايعة لابن الزبير ، ويعرِّفه أيادي بني أمية عنده وإحسانهم إليه ، ويذكر فضلهم وشرفهم . وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبني أمية ، وهو يدعو إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وبعث إلى الضحاك كتاباً بذلك ، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة على المنبر ، وبعث بالكتاب مع رجل يقال له : ناغضة بن كريب الطابخي ـ وقيل : هو من بني كلب ـ وقال له : إن لم يقرأه هو على الناس فاقرأه أنت . وأعطاه نسخة به ، فسار إلى الضحاك ، فأمره بقراءة الكتاب ، فلم يقبل ، فقام ناغضة فقرأه على الناس ، فصدَّقه جماعة من أمراء الناس وكذَّبه آخرون ، وثارت فتنة عظيمة بين الناس ، فقام خالد بن يزيد بن معاوية ـ وهو شاب حدث ـ على درجتين من المنبر فسكَّن الناس ، ونزل الضحاك فصلَّى بالناس الجمعة ، وأمر الضحاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناغضة أن يُسجنوا ، فثارت قبائلهم فأخرجوهم من السجن ، واضطرب أهل دمشق في ابن الزبير وبني أمية . وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب جَيْرون[(١)] ، فسمي هذا اليوم يوم جَيْرون .

قال المدائني : وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يتولَّى عليهم ، فأبى ، وهلك في تلك الليالي .

ثم إن الضحاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به ، ونال من يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من بني كلب فضربه بعصا كانت معه ، والناس جلوس متقلِّدي سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا في المسجد قتالاً شديداً ، فقَيْس ومن لفَّ لفيفها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحاك بن قيس ، وبنو كلب يدعون إلى بني أمية وإلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، ويتعصَّبون ليزيد وأهل بيته . فنهض الضحاك بن قيس فدخل دار الإمارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس إلا يوم السبت لصلاة الفجر ، ثم أرسل إلى بني أمية فجمعهم إليه ، فدخلوا عليه وفيهم مروان بن الحكَم ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ـ قاله المدائني ـ فاعتذر إليهم مما كان منه ، واتَّفق معهم أن يركب معهم غدوة إلى حسان بن مالك الكلبي فيتَّفقوا على رجل يرتضونه من بني أمية للإمارة ، فركبوا جميعاً إليه ، فبينما هم يسيرون إلى الجابية لقصد حسان بن مالك إذ جاء معنُ بن ثور[(٢)] بن الأَخنس في قومه قيس ، فقال له : إنك دعوتَنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبناك ، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ! فقال له الضحاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن نُظهِر ماكنا

---

(١) « باب جيرون » : هو الباب الشرقي من أبواب الجامع الأموي بدمشق .

(٢) تصحف في تاريخ الطبري (٥/ ٥٣٣) والكامل لابن الأثير (٤/ ١٤٧) إلى ثور بن معن . وترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٩) .

نُسيرَ ، وأن ندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها . فمال الضحاك بمن معه فرجع إلى دمشق ، فأقام بها بمن معه من قيس ومن لفَّ لفيفها ، وبعث إلى أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير ، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك . فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه ، وكتب إليه بنيابة الشام . وقيل : بل بايع الناس لنفسه بالخلافة . فالله أعلم أي ذلك كان .

والذي ذكره المدائني : أنه إنما دعا إلى بيعة ابن الزبير أولاً ، ثم حسَّن له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه ، وذلك إنمـا فعله مكراً منه وكباراً ليفسد عليه ما هو بصدده ، فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام ، فنَقَم الناس عليه ذلك وقالوا : دعوتَنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعته من غير سبب ولا عذر ، ثم دعوتَنا إلى نفسك ؟! فرجع إلى البيعة لابن الزبير ، فسقط بذلك عند الناس ، وذلك الذي أراد ابن زياد .

وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه بمروان وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه ، ثم فارق مروان ليخدع له الضحاك ، فنزل عنده بدمشق ، وجعل يركب إليه كل يوم ، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيوش إليه ليكون أمكن له ، فركب الضحاك إلى مرج راهط فنزل بمن معه من الجنود ، وعند ذلك اجتمع بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن ، واجتمع إليهم مَنْ هنالك من قوم حسان بن مالك من بني كلب .

ولما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لا بن الزبير وما استوسق له من الملك عزم على الرحيل إليه لمبايعته ، وليأخذ منه أماناً لبني أميَّة ، فسار حتى بلغ أَذْرِعات ، فلقيه ابن زياد مقبلاً من العراق ، فصدَّه عن ذلك ، وهجَّن رأيه ، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص وحُصين بن نُمير وابن زياد وأهل اليمن وخلق ، فقالوا لمروان : أنت كبير قريش ورئيسها ، وخالد بن يزيد غلام ، وعبد الله بن الزبير كهل ، فإنما يُقرع الحديد بعضه ببعض ، فلا تباره بهذا الغلام ، وارم بنحرك في نحره ، ونحن نبايعك ، ابسُط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه بالجابية في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين . قاله الواقدي .

فلما تمهَّد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس ، فالتقيا بمرج راهط ، فغلبه مروان بن الحكم وقتله وقتل من قيس مقتلة لم يُسمع بمثلها ، على ما سيأتي تفصيله في أول سنة خمس وستين ، فإن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت هذه الوقعة في المحرم من سنة خمس وستين . وفي رواية محمد بن سعد عن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت في أواخر هذه السنة . وقال الليث بن سعد والواقدي والمدائني وأبو سليمان بن يزيد وأبو عبيد وغير واحد : كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقعة مَرْج راهِط
ومقتل الضَّحّاك بن قَيْس الفِهْري[١]

قد تقدم : أن الضحاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبي سفيان ، وكان يصلِّي عنه إذا اشتغل أو غاب ، ويقيم الحدود ويسد الأمور ، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه ، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد ، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه أهل دمشق حتى يجتمع الناس على إمام ، فلما اتسعت البيعة لابن الزبير عزم على المبايعة له ، فخطب الناس يوماً وتكلَّم في يزيد بن معاوية وذمّه ، فقامت فتنة في المسجد الجامع حتى اقتتل الناس فيه بالسيوف ، فسكن الناس ثم دخل دار الإمارة من الخضراء وأغلق عليه الباب ، ثم اتفق مع بني أمية على أن يركبوا إلى حسان بن مالك بن بَحْدل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على من يراه أهلاً للإمارة ، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد ـ ويزيد ابن ميسون ، وميسون بنت بحدل أخت حسان ـ فلما ركب الضحاك معهم انخزل[٢] بأكثر الجيش ، فرجع إلى دمشق فامتنع بها ، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير ، وسار بنو أمية ومعهم مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية ، وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحاك بن قيس ، فعزم مروان بن الحكم على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعَه ويأخذَ أماناً منه لبني أمية ، فإنه كان قد أمر بإجلائهم عن المدينة ، فسار حتى وصل إلى أذرِعات ، فلقيه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق ، فاجتمع به ومعه حُصين بن نُمير وعمرو بن سعيد بن العاص ، فحسَّنوا إليه أن يدعوَ لنفسه ، فإنه أحق بذلك من ابن الزبير الذي قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء ، فلم يزالوا بمروان حتى أجابهم إلى ذلك ، وقال له عبيد الله بن زياد : وأنا أذهب لك إلى الضحاك بدمشق فأخدعه لك وأخذِّل أمره ، فسار إليه ، وجعل يركب إليه كل يوم ويُظهر له الودَّ والنصيحة والمحبة ، ثم حسَّن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير ، فإنك أحق بالأمر منه لأنك لم تزل في الطاعة مشهوراً

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٠) نسب قريش (٤٤٧) طبقات خليفة (١٢٧ ، ١٨٥ ، ٣٠١) تاريخ خليفة (٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) مسند أحمد (٣/ ٤٥٣) المحبر (٢٩٥ ، ٣٠٢) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٣٢) المعارف (٤١٢) تاريخ الطبري (الفهرس) الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٧) مروج الذهب (٣/ ٩٥ وغيرها) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٦٨) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٢٩٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٢٤) جمهرة أنساب العرب (١٧٨) الاستيعاب (٢/ ٧٤٤) إكمال ابن ماكولا (٧/ ٣٨٦) تاريخ ابن عساكر (٨/ ٢٠٥/ ب) أسد الغابة (٣/ ٤٩) الكامل في التاريخ (٤/ ١٤٩) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ١٢٩) تهذيب الكمال (١٣/ ٢٧٩) تاريخ الإسلام (٣/ ٢١) تذهيب التهذيب (٢/ ٩٨/ آ) العبر (١/ ٧٠) الكاشف (٢/ ٣٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤١) تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٨٥١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٠٠) العقد الثمين (٥/ ٤٨) نهاية السول (ورقة ١٤٩) الإصابة (٢/ ٢٠٧) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٤٨) خلاصة الخزرجي (١٧٦) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٧) .

(٢) « انخزل » : انفرد .

بالأمانة ، وابن الزبير خارج عن الناس . فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصمد معه ، فرجع إلى الدعوة لابن الزبير ، ولكن انحطَّ عند الناس ، ثم قال ابن زياد : إن من يطلب ما تطلب لا ينزل المدن والحصون ، وإنما ينزل الصحراء ويدعو إليه بالجنود ، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فنزله ، وأقام ابن زياد بدمشق ، وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبد الله عند خالهم حسان بالجابية ، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته ، فدعا إلى نفسه ، وتزوج بأم خالد بن يزيد ـ وهي أمُّ هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ـ فعظم أمره ، وبايعه الناس ، واجتمعوا عليه ، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس ، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عبّاد بن زياد ، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً ، وبدمشق من جهته يزيد بن أبي النِّمس[1] . وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يمدُّ مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك . ويقال : كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن ابن أم الحكم . وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص .

وبعث الضحاك إلى النعمان بن بشير ، فأمدَّه النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذي الكلاع . وركب إليه زفر بن الحارث الكلابي في أهل قنّسرين ، فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي ، وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلاليّ . فتصافُّوا ، وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون بالمرج في كل يوم ، فيقتتلون قتالاً شديداً . ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى الموادعة خديعة ، فإنَّ الحربَ خُدْعة[2] ، وأنت وأصحابك على الحق وهم على الباطل ، فنُودي في الناس بذلك . ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتلاً شديداً ، وصبر أصحاب الضحاك صبراً بليغاً ، فقُتل الضحاك بن قيس في المعركة ، قتله رجل يقال له : زحمة بن عبد الله ـ من بني كلب ، طعنه بحربة فأنفذها ولم يعرفه . وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فرَّ أولئك بين يديه ، فنادى مروان : ألا لا يتبع مُدْبر . ثم جيء برأس الضحاك ، ويقال : إن أول من بشره بقتله رَوْح بن زنباع الجُذامي .

واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم . وروي أنه بكى على نفسه يوم مَرْج راهط فقال : أبعدما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك ؟!

قلت : ولم تطل مدَّتُه في الملك إلا تسعة أشهر على ما سنذكره .

وقد كان الضَّحاك بن قَيس بن خالد الأكبر بن وَهْب بن ثعلبة بن وائلة بن عَمرو بن شَيْبان بن مُحارب

---

(١) كذا في أ ، ب وتاريخ الطبري : ووقعت في المطبوع : النمر . وقال ابن الأثير في كامله (٥/ ١٥٣) : يزيد بن أبي الغمس ـ بالسين المهملة ، وقيل : بالشين المعجمة ـ كان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ، ثم عاود الإسلام ، وشهد صفين مع معاوية ، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان .

(٢) قوله : فإن الحرب خدعة مقتبس من حديث صحيح .

ابن فِهْر بن مالك ـ أبو أُنيس[١] الفِهْري ـ أحدَ الصحابة على الصحيح . وقد سمع من النبي ﷺ وروى عنه أحاديث عدة . وروى عنه جماعة من التابعين . وهو أخو فاطمة بنت قيس ـ وكانت أكبر منه بعشر سنين . وكان أبو عبيدة بن الجرّاح عمَّه . حكاه ابن أبي حاتم[٢] .

وزعم بعضهم : أنه لا صحبة له .

وقال الواقدي : أدرك النبي ﷺ وسمع منه قبل البلوغ . وفي رواية عن الواقدي أنه قال : ولد الضحاك قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين .

وقد شهد فتح دمشق ، وسكنها ، وله بها دار عند حجر الذهب مما يلي نهر بردى . وكان أميراً على أهل دمشق يوم صفِّين مع معاوية ، ولما أخذ معاوية الكوفة استنابه بها في سنة أربع وخمسين . وقد روى البخاري في « التاريخ » : أن الضحاك قرأ بالناس في الكوفة سورة (ص) في الصلاة فسجد فيها ، فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود في السجود .

ثم استنابه معاوية عنده بدمشق فلم يزل عنده حتى مات معاوية وتولَّى ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد ، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا عفان بن مسلم ، حدّثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن الحسن : أن الضحاك بن قيس كتب إلى [قيس بن][٣] الهيثم حين مات يزيد بن معاوية : سلام عليك ، أما بعد : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ بينَ يَدَي السّاعةِ فِتَناً كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلم ، فِتَناً كقطع الدُّخان ، يموتُ فيها قلبُ الرجلِ كما يموتُ بدنُه ، يصبحُ الرجلُ مُؤمناً ويُمْسي كافراً ، ويُمْسي مُؤمناً ويصبحُ كافراً ، يَبيعُ أقوامٌ خلاقَهُمْ ودينَهُمْ بعَرَضٍ منَ الدُّنيا قليل » وإن يزيدَ بن معاوية قد مات وأنتم إخوانُنا وأشقاؤُنا فلا تَسْبقونا حتى نختار لأنفسِنا[٤] .

وقد روى ابن عساكر[٥] من طريق ابن قُتيبة ، عن العباس بن الفرج الرِّياشي ، عن يعقوب بن إسحاق بن تَوْبة ، عن حماد بن زيد قال : دخل الضحاك بن قيس على معاوية ، فقال معاوية منشداً له :

تطاولت للضَّحّاكِ حتَّى رددتُهُ ... إلى حَسَبٍ في قومِهِ متَقاصِر

---

(١) ويقال : أبو أمية . ويقال : أبو عبد الرحمن . ويقال : أبو سعيد .

(٢) في الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٧) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٥٣) وابن سعد في الطبقات (٧/ ٤١٠) وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان . وهو عند ابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ٥٠) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٢) والمرفوع منه صحيح ، دون قوله : « فتناً كقطع الدخان » .

(٥) تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩١) .

فقال الضحاك : قد علم قومنا أنا أحلاسُ الخيل . فقال : صدقت ، أنتم أحلاسُها ونحن فرسانُها . يريد معاوية : أنتم راضَةٌ وساسَة ، ونحن الفرسان . وأرى أن أصل الكلمة من الحِلْس وهو كساء يكون تحت البَرْذعة ، أي : أنهم يلزمون ظهورها كما يلزم الحِلسُ ظهر البعير والدابّة .

وروي أيضاً[١] : أن مؤذن دمشق قال للضَّحاك بن قيس : والله ـ أيها الأمير ـ إني لأحبُّك في الله . فقال له الضَّحاك : ولكني ـ والله ـ أبغضُك في الله . قال : ولمَ أصلحك الله ؟ قال : لأنَّك تتراءى في أذانك ، وتأخذُ على تعليمك أجراً .

قُتل الضَّحاك ـ رحمه الله ـ يوم مرج راهط ، وذلك للنصف من ذي الحجَّة سنة أربع وستين . قاله الليث بن سعد ، وأبو عبيد ، والواقدي ، وابن زبر ، والمدائني .

وفيها مقتل :

النُّعْمان بن بَشِير الأَنْصاري[٢] : وأُمه عَمْرة بنت رواحة . كان النعمان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة من الأنصار في جمادى الأول سنة اثنتين من الهجرة ، فأتتْ به أمُّه تحمله إلى النبي ﷺ فحنَّكَهُ وبشَّرها بأنه يعيشُ حميداً ، ويُقتلُ شهيداً ، ويدخلُ الجنَّة . فعاش في خير وسعة .

ولي نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر ، ثم سكن الشام ، وولي قضاءها بعد فَضالة بن عبيد ، وفَضالة بعد أبي الدرداء . وناب بحمص لمعاوية . وهو الذي ردَّ آل رسول الله ﷺ إلى المدينة بأمر يزيد بن معاوية في ذلك . وهو الذي أشار على يزيد بالإحسان إليهم [وقال : عامِلْهم بما كان يعاملُهم به رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحالة][٣] فرقَّ لهم يزيد ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

ثم لما كانت وقعة مَرْج راهط وقُتل الضحاك بن قيس ، وكان النعمان قد أمدَّه بأهل حمص [عدا عليه أهل حمص][٣] فقتلوه بقرية يقال لها : بِيرِين[٤] ، قتله رجل يقال له خالد بن خَلِيّ المازني ـ

(١) تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٣) طبقات خليفة (ت٥٩٣ ، ٩٣٠ ، ٢٨٥٣) مسند أحمد (٤/ ٢٦٧ و ٣٧٥) المحبر (٢٧٦ ، ٢٩٤ ، ٤٢١) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٧٥) ثقات العجلي (٤٥٠) المعارف (٢٩٤) أخبار القضاة (٣/ ٢٠١) الجرح والتعديل (٨/ ٤٤٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٣٢) الأغاني (١٦/ ٢٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٣٠) جمهرة أنساب العرب (٣٦٤) الاستيعاب (٤/ ١٤٩٦) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥٣١) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٢٩٣/ ب) أسد الغابة (٥/ ٣٢٦) الكامل في التاريخ (٤/ ١٤٩) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٢٩) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٠) تهذيب الكمال (٢٩/ ٤١١) تاريخ الإسلام (٣/ ٨٨) العبر (١/ ٧٠) تذهيب التهذيب (٤/ ٩٧/ ب) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١١) الكاشف (٣/ ١٨١) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٤٧) الإصابة (٣/ ٥٥٩) خلاصة الخزرجي (٤٠٢) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في ط .

(٤) « بيرين » : من قرى حمص .

وَقيل : خليّ بن داود ، وهو جد خالد بن خَلِيّ . وقد رثته ابنته حَميدة بنت النعمان فقالت :

ليتَ ابنَ مُزْنَةَ وابنَهُ ... كانُوا لقَتْلِكَ واقِيَهْ
وبني أُميَّةَ كلَّهم ... لَمْ تبقَ منهمْ باقِيَهْ
جاءَ البريدُ بقَتْلِهِ ... يا لَلْكِلابِ العاويَهْ
يَسْتَفْتِحونَ برأسِهِ ... دارتْ عليهمْ ثانيَهْ
فَلأَبْكينَّ مُسِرَّةً ... ولأبكينَّ علانيَهْ
ولأبكينَّكَ ما حَيِيـ ... ـتُ معَ السِّباعِ العاديَهْ[١]

[وقيل : إن أعشى هَمْدان[٢] قدم على النعمان بن بشير وهو على حمص وهو مريض ، فقال له النعمان : ما أقدمَك ؟ قال : جئت لتصلَني وتحفظَ قرابتي ، وتقضيَ دَيْني ، فقال : والله ما عندي ، ولكني سائلُهم لك شيئاً ، ثم قام فصعد المنبر ثم قال : يا أهل حمص ! إن هذا ابن عمِّكم من العراق ، وهو مُسْترفِدُكم شيئاً ، فما ترون ؟ فقالوا : احتكم في أموالنا ، فأبىٰ عليهم ، فقالوا : قد حكمنا من أموالنا كل رجل دينارين ـ وكانوا في الديوان عشرين ألف رجل ـ فعجَّلها له النعمان من بيت المال أربعين ألف دينار ، فلما خرجت أعطياتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين][٣] .

ومن كلام النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قوله : إن الهَلكة كل الهَلكة أن تعمل السيئات في زمن البلاء .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو اليمان ، حدّثنا إسماعيل بن عياش ، عن أبي رواحة يزيد بن أيهم ، عن الهيثم بن مالك الطّائي قال : سمعت النعمان بن بشير وهو على المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ للشَّيطانِ مَصَاليَ وفُخوخاً ، وإنَّ من مَصَاليه وفخوخِهِ البطَر بنِعَمِ الله ، والفخر بعَطاء الله ، والكِبْر على عباد الله ، واتّباع الهوىٰ في غير ذاتِ الله »[٤] .

---

(١) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٣ ـ ١٦٤) .
(٢) هو أبو المصبّح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث . شاعر مفوّه شهير .
(٣) هذا الخبر من المطبوع فقط . وتمامه كما في الأغاني (٦/ ٥٠) ومختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٢) أنه عندما قبضها قال يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمان نعمان الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ... كمدل إلى الأقوام حبل غرور
متى أكفر النعمان لم ألف شاكراً ... وماخير من لا يقتدي بشكور

(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٤٦) وابن عساكر ، مختصره (٢٦/ ١٦٢) . والمصالي ـ كما قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٥١) شبيهة بالشرَك ، واحدتها مِصْلاة . أراد ما يستفز به الناس من زينة الدنيا وشهواتها .

ومن أحاديثه الحسان ما سمعه من رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الحلالَ بيِّن ، وإنَّ الحرامَ بيِّن ، وبينَ ذلكَ أمورٌ مشتَبِهاتٌ لا يعلمُهُنَّ كثيرٌ منَ الناس ، فمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ فقدِ اسْتَبْرَأ لدينهِ وعِرْضِه ، ومَنْ وقعَ في الشُّبهاتِ وقعَ في الحرامِ كالرّاعي يَرْعىٰ حولَ الحِمىٰ يوشِكُ أنْ يرتعَ فيه ، ألا وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمىً ، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ محارمُه ، ألا وإنَّ في الجَسدِ مُضغةً إذا صلحتْ صلحَ لها سائرُ الجسَد ، وإذا فَسدَتْ فسَدَ لها سائر الجسَد ، ألا وهي القَلْب » . رواه البخاري ومسلم[١] .

وقال أبو مُسهِر : كان النعمان بن بشير على حمص عاملاً لابن الزبير ، فلما تَمَرْوَن أهل حمص خرج النعمان هارباً ، فاتبعه خالد بن خَلي فقتله . قال أبو عبيد وغير واحد : في هذه السنة .

وقد روى محمد بن سعد بأسانيده : أن معاوية كان قد تزوج امرأة[٢] جميلة جداً ، فبعث إحدى امرأتيه ـ مَيْسون[٣] أو فاختة ـ لتنظرَ إليها ، فلما رأتْها أعجبتها جداً ، ثم رجعتْ إليه ، فقال : كيف رأيتِها ؟ قالت : بديعة الجمال ، غير أنّي رأيتُ تحت سُرَّتها خالاً أسود ، وإني أحسب أن زوجها يُقتل ويُلقى رأسُه في حِجْرها . فطلَّقها معاوية ، وتزوجها النعمان بن بشير . فلما قُتل أُتي برأسه فأُلقي في حِجْرها سنة خمس وستين .

وقال أبو سليمان بن زَبْر[٤] : قتل بسَلَمْيَة[٥] سنة ست وستين[٦] . وقال غيره : سنة خمس وستين . وقيل : سنة ستين . والصحيح ما ذكرناه .

وفيها توفي :

المِسْوَر[٧] بنُ مَخْرَمَة بن نَوْفل[٨] : صحابي صغير ، أصابه حَجَر المنجنيق مع ابن الزُّبير بمكة

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٢) في الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ، ومسلم (١٥٩٩) في المساقاة : باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، وأبو داود (٣٣٣٠) والترمذي (١٢٠٥) في البيوع : باب ما جاء في ترك الشبهات ، وابن ماجه (٣٩٨٤) في الفتن : باب الوقوف عند الشبهات ، والدارمي (٢/ ٢٤٥) وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩) .

(٢) هي نائلة بنت عمارة الكلبية .

(٣) هي ميسون بنت بحدل الكلبية . وقد تحرفت في المطبوع إلى : قيسون .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : زير . والخبر في تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ١٨١) . على أن المصنف لا ينقل منه مباشرة ، وإنما ينقل من تهذيب الكمال لشيخه المزي (٢٩/ ٤١٧) ، وليس في وفيات ابن زبر لفظة « سلمية » فقد زادها غيره .

(٥) « سلمية » : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة . قال ياقوت في معجمه (٣/ ٢٤) وفي طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير .

(٦) تحرف لفظ ستين في المطبوع إلى : خمسين .

(٧) « المِسْور » : بكسر الميم وسكون السين ، هكذا ضبطه ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ١٧٦) وغيرُه . ووقع في المطبوع في أكثر من موضع المسوَّر وهو خطأ .

(٨) نسب قريش (٢٦٢) طبقات خليفة (ت٨١) المحبر (٦٨) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤١٠) المعارف (٤٢٩) المعرفة=

وهو قائم يصلِّي في الحِجْر . وهو من أعيان من قُتل في حصار مكة .

[وهو[١] المِسْور بن مَخْرمة بن نوفل ، أبو عبد الرحمن الزُّهري . أمُّه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف .

له صحبة ورواية . ووفد على معاوية . وكان ممَّن يلزم عمر بن الخطاب .

وقيل : إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعاً وصلَّى ركعتين .

وقيل : إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب مرصَّعاً بالياقوت ، فلم يدر ما هو ، فلقيه رجل من الفرس فقال له : بِعْنيه بعشرة آلاف ، فعلم أنه شيْ له قيمة ، فبعث به إلى سعد بن أبي وقاص ، فنفله [سعد][٢] إياه ، فباعه بمئة ألف .

ولما توفي معاوية قدم مكة ، فأصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير لمّا رموا به الكعبة ، فمات بعد خمسة أيام ، وغسَّله عبد الله بن الزبير ، وحمله في جملة من حمل إلى الحَجُون[٣] ، وكانوا يطؤون به القتلى ويمشون به بين أهل الشام .

واحتكر المِسْور بن مخرمة طعاماً في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى سحاباً فكرهه ، فلما أصبح غدا إلى السوق فقال : من جاءني أعطيتُه ، فقال عمر : أجُننتَ يا أبا مخرمة ؟! فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت سحاباً ، فكرهت ما فيه الناس ، فكرهت أن أربح فيه شيئاً . فقال له عمر : جزاك الله خيراً .

ولد المِسْور بمكة بعد الهجرة بسنتين .

المُنْذر بن الزُّبير بن العوَّام[٤] : ولد في خلافة عمر بن الخطاب . وأمُّه أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق .

= والتاريخ (١/ ٣٥٨) الاشتقاق (٩٦) الجرح والتعديل (٨/ ٢٩٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٨٧) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٢٣) جمهرة أنساب العرب (١٢٩) الاستيعاب (٣/ ١٣٩٩) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥١٥) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٢٥١/ أ) أسد الغابة (٥/ ١٧٥) تهذيب الأسماء واللغات (٩٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٠٥) تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨١) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٠) العبر (١/ ٧٠) الكاشف (٣/ ١٢٨) تذهيب التهذيب (٤/ ٤٠/ ب) مرآة الجنان (١/ ١٤٠) العقد الثمين (٧/ ١٩٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥١) الإصابة (٣/ ٤١٩) خلاصة الخزرجي (٣٧٧) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) .

(١) من هنا يبدأ سقط من النسختين أ ، ب ، وينفرد المطبوع بصفحة تقريباً يمر خلالها ترجمة كل من المنذر بن الزبير ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف . وسنشير إلى هذا السقط عند نهايته .

(٢) زيادة من سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٢) يقتضيها السياق . والخبر أيضاً في تاريخ ابن عساكر مختصر (٢٤/ ٣٠٨) . وقوله : نفله ، يعني : أهداه .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٢) نسب قريش (٢٤٤) المحبر (٧٠ ، ١٠٠) جمهرة نسب قريش (١/ ٢٣٦) وما بعدها ، =

وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمئة ألف ، وأقطعه أرضاً ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال .

وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام يقاتلان[1] أهل الشام بالنهار ويطعمانهم بالليل .

قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه . ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن ينزل في قبره .

مُصْعَبُ بن عبد الرَّحمن بن عَوْف[2] : كان شاباً ديِّناً فاضلاً .

قُتل مصعب ـ أيضاً ـ في حصار مكّة مع ابن الزُّبير][3] .

وفي هذه السنة ـ أعني سنة أربع وستين ـ جرت حروب كثيرة وفتن منتشرة ببلاد المشرق ، واستحوذ على بلاد خراسان رجل يقال له : عبد الله بن حازم ، وقهر عمّالها وأخرجهم منها ، وذلك بعد موت يزيد وابنه معاوية قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي ، وجرت بين عبد الله بن حازم هذا وبين عمرو بن مَرْثَد حروب يطول ذكرها وتفصيلها ، اكتفينا بذكرها إجمالاً إذ لا يتعلَّق بذكرها كبير فائدة ، وهي حروب فتنة وقتال بغاة بعضهم في بعض ، والله المستعان .

[وقال الواقدي : وفي هذه السنة بعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل خراسان سَلْم بن زياد بن أبيه ، وأحبُّوه حتى إنهم سمَّوا باسمه ـ في تلك السنة ـ أكثر من ألف غلام مولود ، ثم نكثوا واختلفوا ، فخرج عنهم سَلْم وترك عليهم المهلَّب بن أبي صفرة][4] .

وفيها اجتمع ملأ الشيعة على سليمان بن صُرَد بالكوفة ، وتواعدوا النُّخيلة ليأخذوا بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب ، وما زالوا في ذلك مجدِّين وعليه عازمين من بعد مقتل الحسين بكربلاء في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ، وقد ندموا على ما كان منهم من بعثهم إليه ، فلما أتاهم خذلوه وتخلَّوا عنه

= المعارف (٢٢٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٠ ، ٥٧٥) وغيرها ، جمهرة أنساب العرب (١٢٣) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ١٠٢/ب) الكامل في التاريخ (٤/ ١٠٢ ، ١٢٤) وغيرها ، مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٤٧) تاريخ الإسلام (٣/ ٨٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨١) العقد الثمين (٧/ ٢٨٠) تعجيل المنفعة (٢٦٩) .

(١) في المطبوع : يقاتلون ، خطأ . والخبر في جمهرة نسب قريش (ص٣٨٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٧) نسب قريش (٢٦٧) المعارف (٢٣٨) أخبار القضاة (١/ ١١٨) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٥ ، ٤٩٧ ، ٥٧٥) الجرح والتعديل (٨/ ٣٠٣) العقد الفريد (٤/ ٣٩٢) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٦١) الكامل في التاريخ (٤/ ١٢٤) وغيرها .

(٣) هنا ينتهي النقص من النسختين أ ، ب الذي أشرنا إلى ابتدائه قبل صفحة تقريباً .

(٤) انفرد المطبوع بهذه الفقرة ، ولم ترد في النسختين أ ، ب .

ولم ينصروه . [فجادت بوصل حين لا ينفع الوصل][١] . فاجتمعوا في دار سليمان بن صُرَد ـ وهو صحابي جليل . [وكان رؤوس القائمين في ذلك خمسة : سليمان بن صُرَد الصحابي][٢] والمسيّب بن نَجَبَة[٣] الفزاري ـ أحد كبار أصحاب علي ، وعبد الله بن سعد بن نُفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ، ورفاعة بن شدّاد البجلي ـ وكلهم من أصحاب علي رضي الله عنه . فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ على تأمير سليمان بن صُرَد عليهم ، فتعاهدوا وتعاقدوا وتواعدوا النُّخيلة ، وأن يجتمع من يستجيب لهم إلى ذلك بها في سنة خمس وستين ، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئاً كثيراً وأعدُّوه لذلك .

[وقام المسيّب بن نَجَبة خطيباً فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد ، فقد ابتُلينا بطول العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا الله فوجدَنا كاذبين في نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ بعد أن كتبنا إليه وراسلناه ، فأتانا طمعاً في نصرتنا إياه ، فخذلناه ، وأخلفناه ، وأتينا به إلى مَنْ قتله وقتل أولاده وذريَّته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذَّلنا عنهم بألسنتنا ، ولا قوَّيناهم بأموالنا ، فالويل لنا جميعاً ويلاً متصلاً أبداً لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتلهم والممالئين عليه ، أو نُقتل دون ذلك وتذهب أموالنا وتخرب ديارنا ، أيها الناس ! قوموا في ذلك قومة رجل واحد ، وتوبوا إلى بارئكم فاقتُلوا أنفسَكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم . . . وذكر كلاماً طويلاً . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن يجتمعوا بالنُّخيلة في السنة الآتية][٤] .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى سعد بن حُذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك ، فاستجاب له ، ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن ، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول ، وتمالؤوا عليه ، وتواعدوا النُّخيلة في التاريخ المذكور . وكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صُرَد بذلك ، ففرح أهل الكوفة بموافقة أهل المدائن لهم على ذلك ، وتنشَّطوا لأمرهم الذي تمالؤوا عليه . فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بعد قليل طمعوا في الأمر ، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا ولم يبق من يقيم لهم أمراً ، فاستشاروا سليمان في الظهور وأن يخرجوا إلى النُّخيلة قبل الأجل ، فنهاهم عن ذلك وقال : لا ، حتى يأتي الأجل الذي واعدوا إخوانهم فيه ، ثم هم في الباطن يعدون السلاح والقوة ولا يشعر بهم جمهور الناس ، وحينئذ عَمَد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حُريث ـ نائب عبيد الله بن زياد على الكوفة ـ فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب : دُحْرُوجة ، فبايع

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ ، ب .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) كذا قيده ابن ماكولا وغيره . ووقع في أ ، ط في مواضع كثيرة : نجية ، وهو تحريف .

(٤) انفرد المطبوع بهذه الفقرة ولم ترد في النسختين أ ، ب .

لعبد الله بن الزبير ، فهو يسد الأمور حتى تأتي نواب ابن الزبير . فلما كان يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من هذه السنة ـ أعني سنة أربع وستين ـ قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير ، أحدهما عبد الله بن يزيد الخَطْمي على الحرب والثغر ، والآخر إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي على الخَراج والأموال . وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار بن أبي عبيد ـ وهو المختار الثقفي الكذاب ـ فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صُرَد وعظَّموه تعظيماً زائداً ، وهم معدُّون للحرب . فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا ـ في الباطن ـ إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب ـ وهو محمد بن الحنفيَّة ، ولقبه المهدي ـ فاتَّبعه على ذلك كثير من الشيعة ، وفارقوا سليمان بن صُرَد ، وصارت الشيعة فرقتين : الجمهور منهم مع سليمان بن صُرَد يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفيَّة ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفيَّة ورضاه ، وإنما يتقوَّلون عليه ليروِّجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة .

وجاءت العين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخَطْمي ـ نائب ابن الزبير ـ بما تمالأ عليه فرقتا الشيعة على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون ، وأشار عليه من أشار بأن يبادر إليهم ، ويحتاط عليهم ، ويبعث الشُّرط والمقاتلة فيقمعهم عمّا هم مجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة . فقام خطيباً في الناس ، وذكر في خطبته ما بلغه عن هؤلاء القوم ، وما أجمعوا عليه من الأمر ، وأن منهم من يريد الأخذ بثأر الحسين ، ولقد علموا أنني لست ممن قتله ، وأني والله لممن أصيب بقتله وكره قتله ، فرحمه الله ولعن قاتله ، وإني لا أتعرَّض لأحد قبل أن يبدأني بالشر ، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بثأر الحسين فليعمِدوا إلى ابن زياد ، فإنه هو الذي قتل الحسين وخيار أهله ، فليأخذوا منه بالثأر ، ولا يخرجوا بسلاحهم على أهل بلدهم فيكون فيه حتفهم واستئصالهم .

فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال : أيها الناس ! لا يغرنَّكم من أنفسكم كلام هذا المداهن ، إنا ـ والله ـ قد استيقنّا من أنفسنا أن قوماً يريدون الخروج علينا ، ولنأخذنَّ الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، والحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته ، حتى يدينوا للحق ويذلُّوا للطاعة .

فوثب إليه المسيَّب بن نَجَبة الفزاري ، فقطع عليه كلامه فقال : يا بن الناكثين أتهدِّدنا بسيفك وغَشْمك[1] ؟ أنت والله أذلُّ من ذلك ، إنّا والله لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدَّك ، وإنا لنرجو أن نلحقك بهما قبل أن تخرج من هذا القصر .

وساعد المسيَّب بن نَجَبة من أصحاب إبراهيم بن محمد بن طلحة جماعة من العمال ، وجرَت فتنة

---

(١) « الغشم » : الظلم .

وشرٌّ كبير في المسجد ، فنزل عبد الله بن يزيد الخَطْمي عن المنبر ، وحاولوا أن يوقعوا بين الأميرين فلم يتفق لهم ذلك ، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن صُرَد بالسلاح ، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس ، وركبوا مع سليمان بن صُرَد فقصدوا نحو الجزيرة ، وكان من أمرهم ما سنذكره .

وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب فإنه قد كان بغيضاً إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو ذاهب إلى الشام بأهل العراق ، فلجأ إلى المدائن ، فأشار المختار على عمِّه ـ وهو نائب المدائن ـ بأن يقبض على الحسين ويبعثه إلى معاوية فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فامتنع عمُّ المختار من ذلك ، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك ، فلمّا كان من أمر مسلم بن عَقيل ما كان وقتله ابن زياد كان المختار يومئذ بالكوفة ، فبلغ ابن زياد أنه يقول : لأقومنَّ بنصرة مسلم ولآخذنَّ بثأره ، فأحضره بين يديه ، وضرب عينه بقضيب كان بيده فشتَرها ، وأمر بسجنه ، فلمّا بلغ أختَه سجنُه بكت وجزعت عليه ، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من السجن ، فبعث يزيد إلى ابن زياد : أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن أبي عبيد من السجن ، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك ، فأخرجه وقال له : إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك . فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول : والله لأقطعنَّ أنامل عبيد الله بن زياد ، ولأقتلنَّ بالحسين ابن علي على عدد من قُتل بدم يحيى بن زكريا . فلمّا استفحل أمر عبد الله بن الزبير بمكة بايعه المختار بن أبي عبيد ، وكان من كبار الأمراء عنده ، ولمّا حاصره الحُصين بن نُمير مع أهل الشام قاتل المختار دون ابن الزبير أشدَّ القتال ، فلمّا بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق نَقَم على ابن الزبير في بعض الأمر ، وخرج من الحجاز ، وقصد الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهيؤون للصلاة ، فجعل لا يمرُّ بملإٍ من الناس إلا سلَّم وقال : أبشِروا بالنصر والظفر بالأعداء . ودخل المسجد فصلَّى إلى سارية هنالك حتى أقيمت الصلاة ، ثم صلَّى من بعد الصلاة حتى صلِّيت العصر ، ثم انصرف ، فسلَّم عليه الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظَّموه ، وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفيَّة ، ويظهر الانتصار لأهل البيت ، وأنه ما جاء إلا بصدد أن يقيم شعارهم ، ويظهر منارهم ، ويستوفي ثأرهم ، ويقول للناس الذين اجتمعوا على سليمان بن صُرَد من الشيعة ـ وقد خشي أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان ـ فجعل يخذِّلهم ويستميلهم إليه ويقول لهم : إني قد جئتكم من قِبَل وليِّ الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الرضي ، والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النَّعماء ، وأن سليمان بن صُرَد ـ يرحمنا الله وإياه ـ إنما هو غشمة من الغشم ، وشَنٌّ[1] بالٍ ، ليس بذي تجربة للأمور ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، وإني إنما أعمل على مَثل مُثِّل لي ، وأمر قد بُيِّن

---

(١) « الشن » : القِربة .

لي ، فيه عزُّ وليكم ، وقتلُ عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني وأطيعوا أمري ، ثم أبشِروا وتباشروا فإني لكم بكل ما تأمُلون وتحبُّون كفيل . فالتفَّ عليه خلق كثير من الشيعة ، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن صُرَد ، فلمّا خرجوا مع سليمان إلى النُّخيلة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشَبث بن رِبْعي وغيرهما لعبد الله بن زياد نائب الكوفة : إن المختار بن أبي عبيد أشدُّ عليكم من سليمان بن صُرَد . فبعث إلى الشُّرط ، فأحاطوا بداره ، فأُخذ فذُهب به إلى السجن مقيَّداً ـ وقيل : بغير قيد ـ فأقام به مدة ، ومرض فيه .

قال أبو مخنف : فحدّثني يحيى بن أبي عيسى أنه قال : دخلتُ إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نعوده ونتعاهده ، فسمعته يقول : أما وربِّ البحار ، والنخيل والأشجار ، والمَهامِهِ[١] والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصلِّين الأخيار ، لأقتلنَّ كل جبّار بكل لَدْنٍ[٢] خطّار ، ومهند بتّار ، في جموع من الأنصار ، ليسوا بمِيل أَغْمار[٣] ، ولا بعُزْل أشرار ، حتى إذا أقمتُ عمود الدِّين ، ورأبتُ صدع المسلمين ، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين ، وأدركتُ ثأر أولاد النبيِّين ، لم أبكِ على زوال الدنيا ، ولم أَحفِل بالموت إذا دنا .

قال : وكان كلما أتيناه وهو في السجن يردِّد علينا هذا القول حتى خرج .

ذكر هَدْم الكعبة وبنائها في أيّام ابن الزُّبير

قال ابن جرير : وفي هذه السنة هدَم ابن الزبير الكعبة ، وذلك لأنه مال جدارها مما رُميت به من حجارة المنجنيق ، فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلُّون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سَرَقة من حرير ، وادُّخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب عند الخُزّان[٤] حتى أعاد ابن الزبير بناءها[٥] على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل . وذلك كما ثبت في « الصحيحين » وغيرهما من المسانيد والسنن من طرق عن عائشة أمِّ المؤمنين : أن رسول الله ﷺ قال : « لولا حِدْثانُ قومِكِ بكُفرٍ لنقضتُ الكعبةَ ولأَدخلتُ فيها الحِجْر ، فإنَّ قومَكِ قصرتْ بهم النَّفقة ، ولجعلْتُ لها باباً شرقيّاً وباباً غربيّاً يدخلُ الناسُ من أحدِهما ويخرجونَ من الآخر ، ولأَلصَقْتُ بابَها بالأرض فإنَّ قومَكِ رفعُوا بابَها ليُدْخِلُوا مَنْ شاؤُوا ويَمْنَعُوا مَنْ شاؤُوا »[٦]

---

(١) « المهامه » : جمع مهمهة ، وهي المفازة البعيدة .

(٢) « اللدن » : الرمح . وفي اللسان : رمح خطار : ذو اهتزاز شديد .

(٣) « الميل » : جمع أميل ، وهو الجبان . « والأغمار » : جمع غُمْر ، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور .

(٤) « الخُزان » : الحجبة في خزانة البيت .

(٥) هنا ينتهي كلام ابن جرير . تاريخه (٥/ ٥٨٢) .

(٦) أخرجه البخاري (١٥٨٤) في الحج : باب فضل مكة وبنيانها ، ومسلم (١٣٣٣) في الحج : باب نقض الكعبة =

فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرَتْه به خالته عائشة أمُّ المؤمنين عن رسول الله ﷺ فجزاه الله خيراً . ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين ـ كما سيأتي ـ هدم الحائط الشمالي وأخرج الحِجْرَ كما كان أولاً ، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصَّها فيها ، فارتفع الباب ، وسدَّ[١] الغربي ، وتلك آثاره إلى الآن ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان له في ذلك ، ولم يكن بلغه الحديث ، فلما بلغه الحديث قال : وددنا أنا تركناه وما تولّى من ذلك .

وقد همَّ المهدي ابن المنصور أن يعيدها على ما بناها ابن الزبير ، واستشار الإمام مالك بن أنس في ذلك ، فقال : إني أكره أن يتخذها الخلفاء لعبة ـ يعني : يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم ـ فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأياً آخر . والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على المدينة أخوه عبيدة[٢] ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطْمي ، وعلى قضائها سعيد بن نِمْران[٣] ، وامتنع شُريح أن يحكم في زمن الفتنة ، وعلى البصرة عمر [بن عبيد الله][٤] بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هُبيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

وكان في أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قدَّمنا . وقد استقر ملك الشام لمروان بن الحكم ، وذلك بعد ظفره بالضحاك بن قيس وقتله له في الوقعة .

وقيل : إن فيها دخل مروان الديار المصرية ، وأخذها من نائبها الذي من جهة ابن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جَحْدم[٥] ، واستقرت يد مروان على الشام ومصر وأعمالها ، والله أعلم .

[وقال الواقدي : لما أراد ابنُ الزبير هدم البيت شاور الناسَ في هدمها ، فأشار عليه جابر بن عبد الله ، وعبيد الله بن عُمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتيَ بعدك من يهدمها ، فلا تزال تُهدم حتى يتهاون الناس بحُرْمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما وهىٰ منها (وتدع بيتاً أسلم الناسُ عليه ، وأحجاراً بُعث رسول الله ﷺ عليها . فقال ابن الزبير : لو احترق بيت أحدكم ما رضي حتى يجدِّده ، فكيف ببيت

= وبنائها ، ومالك في الموطأ (١/ ٣٦٣ ، ٣٦٤) في الحج : باب ما جاء في بناء الكعبة ، والنسائي : (٥/ ٢١٤ ـ ٢١٦) في الحج : باب بناء الكعبة ، والترمذي (٨٧٥) في الحج : باب ما جاء في كسر الكعبة .

(١) تحرفت في المطبوع إلى : وسه .

(٢) كذا في ب ، م ومثله في تاريخ الطبري . ووقع في أ ، ط : عبيد الله .

(٣) في الأصول : سعيد بن المرزبان خطأ ، والمثبت من تاريخ الطبري . وأيضاً من أخبار القضاة لوكيع (٢/ ٣٩٧) .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، ووقع في أ ، ب : بن عبد الله .

(٥) كذا وردت في أ ، ب وتاريخ الطبري وابن الأثير . ووقعت في المطبوع : جحدر .

ربكم ﴾[١] ! ثم إن ابن الزبير استخار الله ثلاثة أيام ، ثم غدا في اليوم الرابع ، فبدأ بنقض الرُّكن من الأساس ، فلما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلاً بالحِجْر مشبَّكاً كأصابع اليد ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً فأمرهم أن يحفروا ، فلما ضربوا المعاول في تلك الأحجار المشبَّكة ارتجَّت مكة ، فتركه على حاله ، ثم أسّس عليه البناء ، وجعل للكعبة بابين موضوعين بالأرض : باب يُدخل منه ، وباب يُخرج منه ، ووضع الحَجَر الأسود بيده ، وشدَّه بفضة لأنه كان قد تصدَّع ، وزاد في وسع الكعبة عشرة أذرع ، ولطَّخ جدرانها بالمسك وسترها بالديباج ، ثم اعتمر من مسجد عائشة ، وطاف بالبيت وصلَّى وسعىٰ ، وأزال ما حول الكعبة من الزّبالة وما كان حولها من الدماء . وكانت الكعبة قد وَهَتْ من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق ، واسودَّ الركن ، وانصدع الحجرُ الأسود من النار التي كانت حول الكعبة . وكان سبب تجديد ابن الزبير لها ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم ذكره ، والله أعلم][٢] .

ثم دخلت سنة خمس وستين

فيها اجتمع إلى سليمان بن صُرَد نحو من سبعة عشر ألفاً ، كلُّهم يطلبون الأخذ بثأر الحسين ممن قتله .

[قال الواقدي : لما خرج الناس إلى النُّخيلة كانوا قليلاً ، فلم تعجب سليمان قلَّتُهم ، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة بأعلى صوته : يا ثارات الحسين ، فلم يزل ينادي حتى بلغ المسجد الأعظم ، فسمع الناس ، فخرجوا إلى النُّخيلة ، وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريباً من عشرين ألفاً أو يزيدون ـ في ديوان سليمان بن صُرَد ـ فلما عزم على المسير بهم لم يصف معه منهم سوى أربعة آلاف ، فقال المسيّب بن نَجَبة لسليمان : إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجَتْه النية وباع نفسه لله عز وجل ، فلا تنتظرن أحداً ، وامضِ لأمرك في جهاد عدوك ، واستعن بالله عليهم . فقام سليمان في أصحابه وقال : يا أيها الناس ! من كان خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقون معه : ما للدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا . فقيل له : أنسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلتُه عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره ؟! فقال سليمان : إن ابن زياد هو الذي جهَّز الجيش إليه وفعل به ما فعل ، فإذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ، ولو قاتلتموهم أولاً ـ وهم أهل مصركم ـ ما عدم الرجل منكم أن يرى رجلاً قد قتل أباه ، قد قتل أخاه أو حميمَه ، فيقع التخاذل ، فإذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت .

---

(١) ما بين هذين القوسين ليس في المطبوع ، وهو من أ فقط .
(٢) هذه الفقرة برمتها سقطت من النسخة ب .

فنادى فيهم : سيروا على اسم الله تعالى ، فساروا عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول](١)

وقال في خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزَبَرْجدها فليس معنا مما يطلب شيء ، وإنما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح في أكفنا ، وزاد يكفينا حتى نلقى عدوَّنا . فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه . وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولاً فليس له إلا السيف وها هو قد أقبل من الشام قاصداً العراق . فصمّم الناس معه على هذا الرأي .

فلما أزمعوا على ذلك بعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد ـ أمراء الكوفة من جهة ابن الزبير ـ إلى سليمان بن صُرَد يقولان له : إنا نحب أن تكون أيدينا واحدة على ابن زياد ، وأنهم يريدون أن يبعثوا معهم جيشاً ليقوِّيهم على ما هم قد قصدوا له ، وبعثوا إليه البريد أن ينتظرهم حتى يقدموا عليه . فتهيأ سليمان بن صُرَد لقدومهم عليه في رؤوس الأمراء ، وجلس في أبهته والجيوشُ محدقة به ، وأقبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم [بن محمد](٢) بن طلحة في أشراف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين لئلا يطمعوا فيهم ـ وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص في هذه الأيام كلِّها لا يبيت إلا في قصر الإمارة عند عبد الله بن يزيد خوفاً على نفسه ـ فلما اجتمع الأميران عند سليمان بن صُرَد قالا له وأشارا عليه : ألا يذهبوا حتى تكون أيديهم واحدة على قتال ابن زياد ، ويجهِّزوا معهم جيشاً ، فإن أهل الشام جمع كثير وجمٌّ غفير وهم يحاجفون عن ابن زياد ، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال : إنا قد خرجنا لأمر فلا نرجع عنه ولا نتأخر فيه . فانصرف الأميران راجعين إلى الكوفة .

وانتظر سليمان بن صُرَد وأصحابه أصحابَهم الذين كانوا قد واعدوهم من أهل البصرة وأهل المدائن ، فلم يقدموا عليهم ولا واحد منهم ، فقام سليمان في أصحابه خطيباً وحرَّضهم على الذهاب لما خرجوا له ، وقال : لو قد سمع إخوانكم بخروجكم للحقوكم سراعاً . فخرج سليمان وأصحابه من النُّخيلة يوم الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول سنة خمس وستين ، فسار بهم مراحل ما يتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلَّف عنه طائفة من الناس الذين معه ، فلما مرُّوا بقبر الحسين صاحوا صيحة رجل واحد ، وتباكوا ، وباتوا عنده ليلة يصلُّون ويدعون ، وظلوا يوماً يترحمون عليه ، ويستغفرون له ، ويترضون عنه ، ويتمنون أن لو كانوا ماتوا معه شهداء .

قلت : لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلة لكان أنفعَ له وأنصر من اجتماع سليمانَ وأصحابِه لنصرته بعد أربع سنين .

---

(١) هذه الفقرة من المطبوع فقط . وقد ورد بدلاً عنها في النسختين آ ، ب ما نصه : وقد خطبهم سليمان بن صرد حين خرجوا من الكوفة في ربيع الأول من هذه السنة بالنخيلة ، فحرضهم على الجهاد في ذلك .

(٢) سقط من المطبوع .

ولما أرادوا الانصراف جعل لا يَرِيم[١] أحد منهم حتى يأتي القبر فيترحم عليه ويستغفر له ، حتى جعلوا يزدحمون أشدَّ من ازدحامهم عند الحجر الأسود .

ثم ساروا قاصدين الشام ، فلما اجتازوا بقَرْقِيسِيا[٢] تحصَّن منهم زفر بن الحارث ، فبعث إليه سليمان بن صُرَد : إنا لم نأت لقتالكم ، فأخرج إلينا سوقاً ، فإنا إنما نقيم عندكم يوماً أو بعض يوم ، فأمر زفر بن الحارث أن يخرج السوق إليهم ، وأمر للرسول إليه ـ وهو المسيّب بن نَجَبة ـ بفرس وألف درهم . فقال : أما المال فلا ، وأما الفرس فنعم ، وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن صُرَد ورؤوس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزوراً وطعاماً وعلفاً كثيراً ، ثم خرج زفر بن الحارث فشيَّعهم وسار مع سليمان بن صُرَد وقال له : إنه قد بلغني أن أهل الشام قد جهزوا جيشاً كثيفاً وعدداً كثيراً مع حُصين بن نُمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وأدهم بن محرز الباهلي ، وربيعة بن المخارق الغَنَوي ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي . فقال سليمان بن صُرَد : على الله توكلنا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

ثم عرض عليهم زفر أن يدخلوا مدينته أو يكونوا عند بابها ، فإن جاءهم أحد كان معهم عليه . فأبوا أن يقبلوا وقالوا : قد عرض علينا أهل بلدنا مثل ذلك فامتنعنا . قال : فإذا أبيتم ذلك فبادروهم إلى عين الوردة ، فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم ، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه . ثم أشار عليهم بما يعتمدونه في حال القتال [فقال : ولا تقاتلوهم في فضاء فإنهم أكثر منكم عدداً فيحيطون بكم ، فإني لا أرى معكم رجالًا والقومُ ذوو رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم][٣] . فأثنى عليه سليمان بن صُرَد والناسُ خيراً . ثم رجع عنهم .

وسار سليمان بن صُرَد ، فبدر إلى عين الوردة ، فنزل غربيها ، وأقام هنالك [خمساً] قبل وصول أعدائه إليه ، واستراح سليمان وأصحابه واطمأنوا .

وقعة عين وَرْدة

فلما اقترب قدوم أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابَه ، فرغَّبهم في الآخرة ، وزهَّدهم في الدنيا ، وحثَّهم على الجهاد ، وقال : إن قُتلت فالأمير عليكم : المسيّب بن نَجَبة ، فإن قُتل فعبد الله بن سعد بن نفيل ، فإن قُتل فعبد الله بن وال ، فإن قُتل فرفاعة بن شداد ، ثم بعث بين يديه المسيب بن نَجَبة في

---

(١) « لا يريم » : لا يبرح .
(٢) « قرقيسيا » : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك ، وعندها مصب الخابور في الفرات .
(٣) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

أربعمئة[١] فارس ، فأغاروا على جيش شرحبيل بن ذي الكلاع وهم غارُّون[٢] ، فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين ، واستاقوا نعماً . وأتى الخبر إلى عبيد الله بن زياد ، فأرسل بين يديه الحصين بن نُمير ، فصبَّح سليمان بن صُرَد وجيشه ، فتواقفوا في يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى ، وحُصين بن نُمير قائم في اثني عشر ألفاً ، وقد تهيأ كل من الفريقين لصاحبه ، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول في طاعة مروان بن الحكم ، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلوه عن الحسين . وامتنع كل من الفريقين أن يجيب إلى ما طُلب منه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً عامة يومهم إلى الليل ، وكانت الدائرة فيه للعراقيين . فلما أصبحوا أصبح ابن ذي الكلاع وقد وصل إلى الشاميين في ثمانية آلاف[٣] فارس ، وقد أنَّبه وشتمه ابن زياد ، فاقتتل الناس في هذا اليوم قتالاً لم يَرَ الشيب والمرد مثلَه قط ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل ، فلما أصبح الناس في اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن محرز في عشرة آلاف ـ وذلك في يوم الجمعة ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى حين ارتفاع الضحى ، ثم استدار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب ، فخطب سليمان بن صُرَد الناس وحرَّضهم على الجهاد ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً جداً ، ثم ترجَّل سليمان بن صُرَد [وكسر جفن سيفه ونادى : يا عباد الله ! من أراد الرواح إلى الجنة والتوبةَ من ذنبه والوفاءَ بعهده فليأت إلي . فترجَّل معه ناس كثيرون ، وكسروا جفون سيوفهم ، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم ، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء ، وقُتل سليمان بن صُرَد أمير العراقيين][٤] رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ، ثم وثب ثم وقع ، ثم وثب ثم وقع وهو يقول : فزت وربِّ الكعبة . فأخذ الراية المسيَّب بن نَجَبة ، فقاتل بها قتالاً شديداً وهو يقول :

قـد عَلِمَـتْ ميّـالـةُ الـذَّوائـبِ واضِحـةُ اللَّبّـاتِ والتَّـرائـبِ

أنِّـي غـداةَ الـرَّوع والتغـالُـبِ أشجَعُ مِنْ ذي لبدةٍ[٥] مُواثبِ

قَصَّاعِ[٦] أقرانٍ مَخُوفُ الجانبِ[٧]

ثم قاتل قتالاً شديداً ، فقضى ابن نَجَبة نحبه ، ولحق في ذلك الموقف صحبه رحمهم الله . فأخذ

---

(١) مثله في تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٦) ، ووقع في المطبوع : خمسمئة .
(٢) « غارّون » : غافلون . وقد تحرفت في المطبوع إلى : عارون .
(٣) مثله في تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٨) ، ووقع في المطبوع : ثمانية عشر ألف . وهو خطأ .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٥) « ذو اللبدة » : الأسد .
(٦) في اللسان : قصعت الرجل قصعاً : صغرته وحقرته .
(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠) ومروج الذهب (٣/ ١٠٢) .

الراية عبد الله بن سعد بن نفيل ، فقاتل قتالاً شديداً أيضاً [وهو يقول : رحم الله إخوتي ، منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر ، وما بدَّلوا تبديلا][١] . وحمل حينئذ ربيعة بن المخارق على أهل العراق حملة منكرة ، وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ، ثم اتحدا ، فحمل ابن أخي ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله ، ثم احتمل عمه ، فأخذ الراية عبد الله بن وال ، فحرَّض الناس على الجهاد وجعل يقول : الرواح إلى الجنة ـ وذلك بعد العصر ـ وحمل بالناس ففرّق من كان حوله ، ثم قُتل ـ وكان من الفقهاء المفتين ـ قتله أدهم بن محرز الباهلي أمير حرب الشاميين ساعتئذ، فأخذ الراية رفاعة بن شدّاد ، فانحاز بالناس وقد دخل الظلام ، ورجع الشاميون إلى رحالهم، وانشمر رفاعة بمن بقي معه راجعاً إلى بلاده ، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كرُّوا راجعين إلى بلادهم، فلم يبعثوا وراءهم طلباً ولا أحدا [فقطع رفاعة بمن معه الخابور، ومرَّ على قَرْقيسيا، فبعث إليهم زفر بن الحارث الطعام والعلف والأطباء، فأقاموا ثلاثاً حتى استراحوا ، ثم ارتحلوا][٢] فلما وصلوا إلى هِيْت إذا سعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن أطاعه من أهل المدائن قاصدين إلى نصرتهم ، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم ، ونَعَوْا إليه أصحابهم ترحموا عليهم ، واستغفروا لهم ، وتباكوا على إخوانهم ، وانصرف أهل المدائن إليها، ورجع راجعة أهل الكوفة إليها وقد قتل منهم خلق كثير وجمٌّ غفير، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو في السجن لم يخرج منه بعد، فكتب إلى رفاعة بن شداد يعزّيه فيمن قُتل منهم، ويترحم عليهم ، ويغبطهم بما نالوا من الشهادة وجزيل الثواب [ويقول : مرحباً بالذين أعظم الله أجورهم ورضي عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها ، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه في أرواح النبيين والشهداء والصالحين ، وبعد : فأنا الأمير المأمون ، قاتل الجبّارين والمفسدين إن شاء الله ، فأعِدُّوا واستعدُّوا وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت. . . وذكر كلاماً كثيراً في هذا المعنى][٣] . وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن رَئِيِّهِ[٤] الذي كان يأتي إليه من الشياطين ، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان ، فيوحي إليه قريباً مما كان يوحي شيطان مسيلمة إلى مسيلمة .

وكان جيش سليمان بن صُرَد وأصحابه يسمى بجيش التوّابين رحمهم الله .

وقد كان سليمان بن صُرَد [الخزاعي ـ أبو مطرِّف ـ الكوفي][٥] صحابياً جليلاً نبيلاً عابداً . وروى عن

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، ط .

(٢) ما بين حاصرتين من أ فقط . ومكانه في المطبوع : لما لقوا منهم من القتل والجراح وكلاهما سقط من النسخة ب .

(٣) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط ، ونحوه في تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٦) من رواية أبي مخنف .

(٤) تحرفت في المطبوع إلى : ربه ، « والرئيّ » : ما يعتاد الإنسان من الجن ـ اللسان (رأي) .

(٥) ما بين حاصرتين من أ فقط . وترجمته وأهم مصادرها في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٤) .

النبي ﷺ أحاديث في « الصحيحين » وغيرهما . وشهد مع علي صفِّين . وكان أحد من كان يجتمع الشيعة في داره لبيعة الحسين ، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقدوم إلى العراق ، فلما قدمها وقُتل بكربلاء بعد ذلك ورأى هؤلاء أنهم كانوا سبباً في قدومه وأنهم خذلوه حتى قُتل هو وأهل بيته ، فندموا على ما فعلوا معه ، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسمَّوا جيشهم : جيش التوابين ، وسمَّوا أميرهم سليمان بن صُرَد : أمير التوابين ، فقُتل سليمان ـ رضي الله عنه ـ في هذه الوقعة بعين وردة سنة خمس وستين ، وقيل : سنة سبع وستين ، والأول أصح . وكان عمره يوم قتل ثلاثاً وتسعين سنة رحمه الله .

[وأما المسيّب بن نَجَبة بن ربيعة الفَزاري فإنه قدم مع خالد بن الوليد من العراق ، وشهد فتح دمشق ، ثم عاد إلى العراق وشهد مع علي صفِّين وغيرها . وكان أحد الكبار الذين خرجوا يطلبون بدم الحسين رضي الله عنه][1] وحُمل رأسه ورأس سليمان بن صُرَد إلى مروان بن الحكم بعد الوقعة .

وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفرهم به من عدوهم ، فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق [وقد قال : أهلك الله رؤوس الضلال سليمان بن صُرَد وأصحابه . وعلّق الرؤوس بدمشق][2] .

وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز ، وأخذ بيعة الأمراء على ذلك في هذه السنة . قاله ابن جرير[3] وغيره .

وفيها دخل مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدَق إلى الديار المصرية ، فأخذاها من يد نائبها الذي كان لعبد الله بن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جَحْدم ، وكان سبب ذلك أن مروان قصدها ، فخرج إليه نائبها ابن جَحْدم ، فقابله مروان ليقاتله ، فاشتغل به ، وخلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جَحْدم فدخل مصر فملكها ، وهرب عبد الرحمن ، ودخل مروان إلى مصر فتملَّكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز .

وفيها بعث ابن الزبير أخاه مصعباً ليفتح له الشام ، فبعث إليه مروان عمرو بن سعيد ، فتلقّاه إلى فلسطين ، فهرب منه مصعب بن الزبير وكرَّ راجعاً ولم يظفر بشيء . واستقر ملك الشام ومصر لمروان .

[وقال الواقدي : إن مروان حاصر مصر ، فخندق عبد الرحمن بن جَحْدم على البلد خندقاً وخرج في

---

(١) ما بين حاصرتين من أ فقط .
(٢) ما بين حاصرتين من ط فقط .
(٣) في تاريخه (٥/ ٦١٠) .

أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمَّى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل في خواصِّ أهل البلد ، فقُتل منهم خلق كثير ، وقُتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدي كرب الكلاعي أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرَّق الناس ، وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلاً تخلَّفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأُكيدر بن حملة اللخمي ـ وكان من قتلة عثمان ـ وذلك في نصف جمادى الآخر يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنازته ، فدفنوه في داره . واستولى مروان على مصر ، وأقام بها شهراً ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان، وموسى بن نُصير وزيراً له، وأوصاه بالإحسان إلى الأكابر، ورجع إلى الشام[١] .

وفيها جهَّز مروان جيشين : أحدهما مع حُبَيش بن دُلَجَة القيني[٢] ليأخذ له المدينة ، وكان من أمره ما سنذكره ، والآخر مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعه من نواب ابن الزبير ، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صُرَد ، وكان من أمرهم ما تقدم ذكره . واستمر جيش الشاميين ذاهباً إلى العراق ، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم .

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة . وكان سبب موته أنه تزوج بأمِّ خالد امرأة يزيد بن معاوية ـ وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة ـ وإنما أراد مروان بتزويجه إياها ليصغِّر ابنها خالداً في أعين الناس ، فإنه قد كان في نفوس كثير من الناس أن يملكوه بعد أخيه معاوية ، فتزوج أمَّه ليصغر أمره فيما بينهم . فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه ، فلما جلس قال له فيما خاطبه به : يا بن الرطبة الاست . فذهب خالد إلى أمِّه ، فأخبرها بما قال له ، فقالت : اكتم ذلك ولا تُعلمه أنك أعلمتني بذلك . فلما دخل عليها مروان قال لها : هل ذكرني خالد عندكِ بسوء ؟ فقالت له : وماذا عساه يقول لك وهو يحبك ويعظِّمك ؟! ثم إن مروان رقد عندها ، فلما أخذه النوم عمَدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه ، وتحاملت عليها هي وجواريها حتى مات غماً . وكان ذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : إحدى وثمانون سنة . وكانت إمارته تسعة أشهر ، وقيل : عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام .

---

(١) هذه الفقرة من المطبوع فقط .

(٢) وقعت في المطبوع : العتيبي ، وهو تحريف ، تنظر ترجمته في تاريخ دمشق (١٢/ ٨٦) .

ترجمة مَرْوان بن الحَكَم[١]

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميَّة بن [عبد][٢] شمس بن عبد مناف القرشيّ الأموي ، أبو عبد الملك ، ويقال : أبو الحكم ، ويقال : أبو القاسم .

وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي ﷺ وروى عنه في حديث صلح الحديبية ، وفي رواية في « صحيح البخاري » عن مروان والمِسْور بن مخرمة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله[٣] .

وروى مروان عن : عمر ، وعثمان ـ وكان كاتبه : أي : كان كاتب عثمان ـ وعلي ، وزيد بن ثابت ، وبُسْرة[٤] بنت صفوان الأسدية ـ وكانت حماته . وقال الحاكم أبو أحمد : كانت خالته . ولا منافاة بين كونها حماته وخالته .

وروى عنه : ابنه عبد الملك ، وسهل بن سعد ، وسعيد بن المسيِّب ، وعروة بن الزبير ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، ومجاهد ، وغيرهم .

قال الواقدي ومحمد بن سعد : أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه شيئاً ، وكان عمره ثمان سنين حين توفي النبي ﷺ[٥] .

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين[٦] .

وقد كان مروان من سادات قريش وفضلائها .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٥) نسب قريش (١٥٩ ، ١٦٠) طبقات خليفة (ت١٩٨٤) المحبر (٢٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٢٢٨ ، ٣٧٧) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٦٨) المعارف (٣٥٣) الأخبار الطوال (٢٨٥) الجرح والتعديل (٨/ ٢٧١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٣٠ و ٦١٠) مروج الذهب (٣/ ٩٤) ، معجم الشعراء (٣١٧) ، جمهرة أنساب العرب (٨٧) الاستيعاب (٣/ ١٣٨٧) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥٠١) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ١٧٠/ أ) أسد الغابة (٥/ ١٤٤) الكامل في التاريخ (٤/ ١٩١) الحلة السيراء (١/ ٢٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٨٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ١٧٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٣١٥) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٠) العبر (١/ ٧١) تذهيب التهذيب (٤/ ٣٠/أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٦) الكاشف (٣/ ١١٦) فوات الوفيات (٤/ ١٢٥) العقد الثمين (٧/ ١٦٥) الإصابة (٣/ ٤٧٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ٩١) النجوم الزاهرة (١/ ١٦٤ ، ١٦٩) حسن المحاضرة (١/ ٢٣٤) خلاصة الخزرجي (٣٧٣) شذرات الذهب (١/ ٢٨٩) .

(٢) سقط من ط .

(٣) هو في صحيح البخاري في عدة مواضع . ينظر تخريج هذا الحديث وعدة أحاديث أخرى في تحفة الأشراف للمزي (٨/ ٥١) (بشار) .

(٤) كذا قيدها الحافظ في التقريب ، بضم أولها وسكون المهملة . وقد تحرفت في المطبوع إلى : بسيرة .

(٥) تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٣٢) .

(٦) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٥) .

روى ابن عساكر[١] وغيره : أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها ، فقالت : قد خطبها جرير بن عبد الله البَجَلي وهو سيد شباب المشرق ، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قريش ، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم . فقالت المرأة : أجادٌّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قالت : قد زوجناك يا أمير المؤمنين !

وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظِّمه . وكان كاتب الحُكم بين يديه . ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، وبسببه حُصر عثمان بن عفان فيها ، وألحَّ عليه أولئك أن يسلِّم مروان إليهم ، فامتنع عثمان أشد الامتناع . وقد قاتل مروان يوم الدار قتالاً شديداً ، وقتل بعض الخوارج ، وكان على الميسرة يوم الجمل ، ويقال : إنه رمى طلحة بسهم في ركبته فقتله ، فالله أعلم .

وقال ابن عبد الحكم[٢] : سمعت الشافعي يقول : كان عليٌّ يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه تعطفني عليه رحم ماسَّة ، وهو سيد من شباب قريش .

وقال ابن المبارك : عن جرير بن حازم ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قَبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية : من تركتَ لهذا الأمر من بعدك ؟ فقال : أما القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، الشديد في حدود الله ، مروان بن الحكم . وقد استنابه على المدينة غير مرة ، يعزله ثم يعيده إليها . وأقام للناس الحج في سنين متعددة .

وقال حنبل عن الإمام أحمد قال : يقال : كان عند مروان قضاء ، وكان يتتبَّع قضايا عمر بن الخطاب .

وقال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول ـ وذكر مروان يوماً فقال : قال مروان : قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ، ثم أصبحت فيما أنا فيه من إهراق الدماء وهذا الشأن!

وقال إسماعيل بن عياش : عن صفوان بن عمرو[٣] ، عن شُريح بن عبيد وغيره قال : كان مروان إذا ذكر الإسلام قال :

بنعمةِ ربِّي لا بما قَدَّمتْ يَدِي ولا بتُراثي[٤] إنَّني كنتُ خاطِئا

---

(١) في تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٣٨) .
(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ١٧٩) ووقع في المطبوع : وقال أبو الحكم .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : عمرة . وصفوان بن عمرو : هو السكسكي ، من رجال التهذيب .
(٤) في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ١٨٠) بيراثي .

وقال الليث عن يزيد بن [أبي][1] حَبيب ، عن سالم أبي النَّضر أنه قال : شهد مروان جنازة ، فلما صلّى عليها انصرف ، فقال أبو هريرة : أصاب قيراطاً وحُرم قيراطاً . فأُخبر بذلك مروان ، فأقبل يجري حتى بدت ركبتاه ، فقعد حتى أُذن له .

وروى المدائني ، عن إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد : أن مروان كان أسلف علي بن الحسين حين رجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار ، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من علي بن الحسين شيئاً ، فبعث إليه عبد الملك بذلك ، فامتنع من قبولها ، فألحَّ عليه ، فقبلها .

وقال الشافعي : أنبأنا حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن الحسن والحسين كانا يصلِّيان خلف مروان ولا يُعيدانها ، ويعتدّان بها .

وقد روى عبد الرزاق ، عن الثَّوري ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : أول من قدَّم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان ، فقال له رجل : خالفتَ السنة ، فقال مروان : إنه قد تُرك ماهنالك . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ماعليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ رأى منكم منكَراً فليغيِّرْهُ بيده ، فإنْ لم يستطِع فبلسَانه ، فإنْ لم يستطِع فبقلبه ، وذلك أضعفُ الإيمان »[2]

قالوا : ولما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع مَنْ عنده من الصحابة ، فاستشارهم فيها .

قالوا : وهو الذي جمع الصِّيعان ، فأخذ بأعدلها ، فنُسب إليه الصاع ، فقيل : صاع مروان .

وقال الزبير بن بكار : حدّثنا إبراهيم بن حمزة ، حدّثني ابن أبي علي اللَّهَبي[3] ، عن إسماعيل بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : خرج أبو هريرة من عند مروان فلقيَه قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له : يا أبا هريرة إنه أشهدنا الآن على مئة رقبة أعتقها الساعة ، قال : فغمز أبو هريرة يدي وقال : يا أبا سعيد : يَكٌ[4] من كسب طيِّب خيرٌ من مئة رقبة . قال الزبير : اليَك[5] الواحد .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عطيّة ، عن

---

(١) سقطت من ط .

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم (٥٦٤٩) أخرجه مسلم (٤٩) في الإيمان : باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، والترمذي (٢١٧٢) في الفتن : باب ما جاء في تغيير المنكر من طريق أخرى عن سفيان به .

(٣) هو علي بن علي . و « اللهَبي » : نسبة إلى أبي لهب . ذكره السمعاني في الأنساب (١١/ ٤٤) وقال : يروي عن الثقات الموضوعات ، وعن الأثبات المقلوبات . ولا يجوز الاحتجاج به .

(٤) تحرفت هذه اللفظة في أ ، ط إلى : « بك » .

(٥) تحرفت هذه اللفظة في أ ، ط إلى « البك » .

أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو أبي فلانٍ ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مال الله دُوَلًا ، ودين الله دَخَلاً ، وعباد الله خَوَلًا »[١] .

ورواه أبو يعلى ، عن زكريا بن يحيى زَحْمويه ، عن صالح بن عمر ، عن مطرِّف ، عن عطيَّة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتَّخذوا دين الله دَخَلاً ، وعباد الله خَوَلًا ، ومال الله دُوَلًا »[٢] .

وقد رواه الطبراني[٣] ، عن أحمد بن عبد الوهاب ، عن أبي المغيرة ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن راشد بن سعد ، عن أبي ذرّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا بلغَ بنو أميَّة أربعين رجلاً . . . » وذكره . وهذا منقطع .

ورواه العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة من قوله : « إذا بلغَ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً . . . » فذكره .

ورواه البَيْهقي وغيره من حديث ابن لَهِيعة عن أبي قَبيل ، عن ابن وهب ، عن معاوية وعبد الله بن عباس ، عن رسول الله ﷺ : أنه قال : « إذا بلغَ بنو الحكم ثلاثين اتَّخذوا مال الله بينهم دُوَلًا ، وعباد الله خَوَلًا ، وكتاب الله دخلاً . فإذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمئة كان هلاكُهم أسرعَ من لَوْك تمرة » . وأن رسول الله ﷺ ذكر عبد الملك بن مروان فقال : « أبو الجبابرة الأربعة » .

وهذه الطرق كلها ضعيفة .

وروى أبو يعلى وغيره ـ من غير وجه ـ عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : « أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أن بني الحكم يَرْقَوْن على منبره ويَنْزلون ، فأصبح كالمتغيِّظ وقال : رأيت بني الحكم يَنْزون على منبري نَزْوَ القردة ! فما رؤي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات » .

ورواه الثوري ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب مرسلاً وفيه : فأوحى الله إليه : إنما هي دنيا أُعطوها . فقرَّتْ عينه . وهي قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] يعني : بلاءً للناس واختباراً .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٠) وهو حديث ضعيف ، كما سيبين المصنف حيث يقول : « وهذه الطرق كلها ضعيفة » ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله (الصحيحة ٢/ ٣٧٩ حديث ٧٤٤) ، ولم أر له سنداً يفرح به ، فمدار أسانيده على عطية العوفي وهو ضعيف ، فحكم ابن كثير أولى (بشار) . « والدخل » : الفساد . « والخول » : الخدم والعبيد .

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ رقم ١١٥٢) .

(٣) في مسند الشاميين (١٤٥١) .

وهذا مرسل ، وسنده إلى سعيد ضعيف .

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة ، فلهذا أضربنا صفحاً عن إيرادها لعدم صحتها . [وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي ﷺ وإنما أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ، ثم طرده النبي ﷺ إلى الطائف ، ومات بها .

ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان ، لأنه زوّر على لسانه كتاباً إلى مصر بقتل أولئك الوفد .

ولما كان متولِّياً على المدينة لمعاوية كان يسبُّ علياً كل جمعة على المنبر . وقال له الحسين بن علي : لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صُلْبه على لسان نبيِّه فقال : « لعن الله الحكم وما ولد » . والله أعلم][1]

وقد تقدم أن حسان بن مالك بن بَحْدل لما قدم عليه مروان أرض الجابية أعجبه إتيانه إليه ، فبايعه ، وبايع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الإمرة لخالد بن يزيد ، ويكون لمروان إمرة حمص ، ولعمرو بن سعيد نيابة دمشق . وكانت البيعة لمروان يوم الإثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين . قاله الليث بن سعد وغيره .

وقال الليث : وكانت وقعة مرج راهط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر بيومين .

قالوا : فغلب الضحاك بن قيس ، واستوسق له ملك الشام ومصر ، فلما استقرَّ ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك ، ثم من بعده لولده عبد العزيز ـ والد عمر بن عبد العزيز ـ وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية لأنه كان لا يراه أهلاً للخلافة ، ووافقه على ذلك حسان بن مالك[2] بن بَحْدل ـ وإن كان خالاً لخالد بن يزيد ـ وهو الذي قام بأعباء بيعة عبد الملك . ثم إن أمَّ خالد دبَّرت أمر مروان فسمَّته ـ ويقال : بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادةً فمات مخنوقاً ، ثم إنها أعلنت الصُّراخ هي وجواريها وصِحْنَ : مات أمير المؤمنين فجأة . ثم قام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنذكره .

وقال عبد الله بن أبي مذعور : حدّثني بعض أهل العلم قال : كان آخر ما تكلَّم به مروان : « وجبت الجنَّة لمن خاف النار » . وكان نقش خاتمه : العزَّة لله .

وقال الأصمعي : حدّثنا عدي بن أبي عمار ، عن أبيه ، عن حرب بن زياد قال : كان نقش خاتم مروان : آمنتُ بالعزيز الرحيم .

---

(١) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : مالك بن حسان .

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى ـ وقيل : ثلاث ـ وستين سنة . وقال أبو مَعْشر وغير واحد : كان عمره يوم توفي إحدى وثمانين سنة .

وقال خليفة : حدّثني الوليد بن هشام ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين ، وصلَّى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وقال غيره : عشرة أشهر .

وقال ابن أبي الدنيا وغيره : كان قصيراً ، أحمر الوجه ، أوقَص[١] ، دقيق العنق ، كبير الرأس واللحية ، وكان يُلقَّب : خيط باطل .

قال الحافظ ابن عساكر[٢] : وذكر سعيد بن كثير بن عُفير : أن مروان مات حين انصرف من مصر بالصِّنَّبرة[٣] ، ويقال : بِلُدّ[٤] . وقد قيل : إنه مات بدمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير .

[وكان كاتبه عبيد بن أوس ، وحاجبه المِنْهال مولاه ، وقاضيه أبو إدريس الخَوْلاني ، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغسّاني .

وكان له من الولد : عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومعاوية ، وغير هؤلاء . وكان له عدة بنات من أمَّهات شتّى][٥] .

●●●

(١) « الوقص » : قصر العنق .

(٢) تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٨٠) .

(٣) « الصنبرة » : موضع بالأردن مقابل لعقبة أَفيق ، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال معجم البلدان (٣/ ٤٢٥) .

(٤) « لُدّ » : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين معجم البلدان (٥/ ١٥) .

(٥) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان وملكه	٥
فضل معاوية بن أبي سفيان	٧
خروج طائفة من الخوارج عليه	٨
وفيات سنة ٤١هـ	٩
رفاعة بن رافع	
ركانة بن عبد يزيد	
صفوان بن أمية	
عثمان بن طلحة	
عمرو بن الأسود السكوني	
عاتكة بنت زيد	
أحداث سنة ٤٢هـ	١٢
أحداث سنة ٤٣هـ	١٣
وفيات سنة ٤٣هـ	١٥
عمرو بن العاص	
محمد بن مسلمة الأنصاري	
عبد الله بن سلام	
أحداث سنة ٤٤هـ	١٩
وفيات سنة ٤٤هـ	٢١
أم حبيبة بنت أبي سفيان	
أحداث سنة ٤٥هـ	٢٢
وفيات سنة ٤٥هـ	٢٣
زيد بن ثابت الأنصاري	
سلامة بن سلامة بن وقش	
عاصم بن عدي	
حفصة بنت عمر بن الخطاب	
أحداث سنة ٤٦هـ	٢٦

الموضوع | الصفحة

وفيات سنة ٤٦هـ ٢٧
سالم بن عمير
سراقة بن كعب
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
هرم بن حيان العبدي
أحداث سنة ٤٧هـ ٢٨
وفيات سنة ٤٧هـ ٢٩
قيس بن عاصم المنقري
أحداث سنة ٤٨هـ ٣٠
أحداث سنة ٤٩هـ ٣١
وفيات سنة ٤٩هـ ٣٢
الحسن بن علي بن أبي طالب
أحداث سنة ٥٠هـ ٥٣
وفيات سنة ٥٠هـ ٥٤
مدلاج بن عمرو السلمي
جبير بن مطعم
الحكم بن عمرو الغفاري
دحية بن خليفة الكلبي
عبد الرحمن بن سمرة
عثمان بن أبي العاص
عقيل بن أبي طالب
عمرو بن أمية الضمري
عمرو بن الحمق الخزاعي
كعب بن مالك
المغيرة بن شعبة
جويرية بن الحارث
صفية بنت حيي بن أخطب
أم شريك الأنصارية
أحداث سنة ٥١هـ ٦٣
وفيات سنة ٥١هـ ٧٣
جرير بن عبد الله البجلي
جعفر بن أبي سفيان

الموضوع الصفحة

حارثة بن النعمان الأنصاري
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
عبد الله بن أنس الجهني
نفيع بن الحارث (أبو بكرة)
أم المؤمنين ميمونة
أحداث سنة ٥٢هـ ٧٨
وفيات سنة ٥٢هـ ٧٨
خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري)
عبد الله بن قيس الأشعري
عمران بن حصين
كعب بن عجرة الأنصاري
معاوية بن حديج
هاني بن نيار
أحداث سنة ٥٣هـ ٨٤
وفيات سنة ٥٣هـ ٨٥
الربيع بن زياد الحارثي
رويفع بن ثابت
زياد بن أبي سفيان
صعصعة بن ناجيه
جبلة بن الأيهم الغساني
أحداث سنة ٥٤هـ ٩٢
وفيات سنة ٥٤هـ ٩٣
أسامة بن زيد بن حارثة
ثوبان بن بجدد
جبير بن مطعم
الحارث بن ربعي
حكيم بن حزام
حويطب بن عبد العزى العامري
سعيد بن يربوع
مرة بن شراحيل الهمداني
النعيمان بن عمرو
سودة بنت زمعة

الموضوع | الصفحة

أحداث سنة ٥٥هـ ١٠١
وفيات سنة ٥٥هـ ١٠١
الأرقم بن أبي الأرقم
سحبان بن زفر الباهلي
سعد بن أبي وقاص
فضالة بن عبيد الأنصاري
قثم بن العباس بن عبد المطلب
كعب بن عمرو
أحداث سنة ٥٦هـ ١١٤
أحداث سنة ٥٧هـ ١١٨
أحداث سنة ٥٨هـ ١١٨
قصة عزيبة ١١٩
وفيات سنة ٥٨هـ ١٢١
سعيد بن العاص
شداد بن أوس
عبد الله بن عامر
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
قصته مع ليلى بنت الجودي ١٣٠
عبيد الله بن عباس
عائشة بنت أبي بكر الصديق
أحداث سنة ٥٩هـ ١٣٧
قصة يزيد بن ربيعة الحميري ١٣٨
وفيات سنة ٥٩هـ ١٤٠
الحطيئة الشاعر
عبد الله بن مالك بن القشب
قيس بن سعد بن عبادة
معقل بن يسار المزني
أبو هريرة الدوسي
أحداث سنة ٦٠هـ ١٦٨
ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه ١٧١
ذكر من تزوج من النساء و من ولد له ٢٠٩
وفيات سنة ٦٠هـ ٢١١

الموضوع	الصفحة
صفوان بن المعطل	
أبو مسلم الخولاني	
إمارة يزيد بن معاوية	٢١٢
قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة	٢١٧
صفة مخرج الحسين إلى العراق	٢٢٨
أحداث سنة ٦١هـ	٢٤٥
صفة مقتل الحسين	٢٤٥
قبر الحسين رضي الله عنه	٢٨٥
رأس الحسين رضي الله عنه	٢٨٥
ذكر شيء من فضائل الحسين	٢٨٦
ذكر شيء من أشعار الحسين	٢٩٣
من أحداث سنة ٦١هـ	٢٩٦
وفيات سنة ٦١هـ	٢٩٨
الحسين بن علي رضي الله عنهما	
حمزة بن عمرو الأسلمي	
شبية بن عثمان بن أبي طلحة	
عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث	
الوليد بن عقبة بن أبي معيط	
أم سلمة (أم المؤمنين)	
أحداث سنة ٦٢هـ	٣٠٢
وفيات سنة ٦٢هـ	٣٠٤
بريدة بن الحصيب الأسلمي	
الربيع بن خثيم الثوري الكوفي	
علقمة بن قيس النخعي	
عقبة بن نافع الفهري	
عمرو بن حزم	
مسلمة بن مخلد الأنصاري الزرقي	
نوفل بن معاوية الديلي	
الرباب بنت أنيف	
أحداث سنة ٦٣هـ	٣٠٧
وقعة الحرة	٣٠٧
وفيات سنة ٦٣هـ	٣١٦

الموضوع	الصفحة
عبد الله بن حنظلة	
معقل بن سنان	
عبد الله بن زيد بن عاصم	
مسروق بن الأجدع	
أحداث سنة ٦٤هـ	**٣١٧**
ترجمة يزيد بن معاوية	**٣٢٠**
ذكر أولاد يزيد بن معاوية	**٣٣٣**
إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية	**٣٣٤**
إمارة عبد الله بن الزبير	**٣٣٦**
ذكر بيعة مروان بن الحكم	**٣٣٧**
وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك	**٣٤٠**
وفيات سنة ٦٤هـ	**٣٤٣**
النعمان بن بشير الأنصاري	
المسور بن مخرمة	
المنذر بن الزبير بن العوام	
معصب بن عبد الرحمن بن عوف	
ذكر هدم الكعبة وبنائها	**٣٥١**
أحداث سنة ٦٥هـ	**٣٥٣**
وقعة عين وردة	**٣٥٥**
ترجمة مروان بن الحكم	**٣٦٠**
الفهرس	**٣٦٧**

* * *